

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

تاريخ الخلفاء الراشدين (٢)

فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

شخصيته وعصره

تأليف

الدكتور علي محمد محمد الصلابي

الإهداء

إلى كلّ مسلمٍ حريصٍ على إعزاز دين الله ، ونصرته .
أهدي هذا الكتاب، سائلاً المولى عزّ وجلّ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يكون
خالصاً لوجهه الكريم.

قال تعالى:

{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا * }

[الكهف : ١١٠]

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * } [ال عمران : ١٠٢] .
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا * } [النساء : ١] .
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا * } [الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

فهذا الكتاب (أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته ، وعصره) يرجع الفضل في كتابته إلى المولى . عز وجل . ثم إلى مجموعة خيرة من العلماء ، والشيوخ ، والدعاة ، الذين شجعوني على المضي في دراسة عصر الخلفاء الراشدين ، حتى إن أحدهم قال لي : لقد أصبحت هناك فجوة بين أبناء المسلمين وذلك العصر ، وحدث خلط في ترتيب الأوليات ، حيث صار الكثير من أبناء المسلمين يلثون بسيرة الدعاة ، والعلماء ، والمصلحين ، أكثر من إمامهم بسيرة الخلفاء الراشدين ، وأن ذلك العصر غني بالجوانب السياسية ، والتربوية ، والإعلامية ، والأخلاقية ، والاقتصادية ، والفكرية ، والجهادية ، والفقهية ؛ التي نحن في أشد الحاجة إليها ، ونحتاج أن نتبع مؤسسات الدولة الإسلامية ، وكيف تطورت مع مسيرة الزمن ، كالمؤسسة القضائية ، والمالية ، ونظام الخلافة ، والمؤسسة العسكرية ، وتعيين الولاة ، وما حدث من اجتهادات في ذلك العصر عندما احتكت الأمة الإسلامية بالحضارة الفارسية ، والرومانية ، وطبيعة حركة الفتوحات الإسلامية .

كانت بداية هذا الكتاب فكرة أراد الله لها أن تصبح حقيقة ، فأخذ الله بيدي ، وسهل لي الأمور ، وذلك الصعاب ، وأعاني على الوصول للمراجع والمصادر ، والفضل لله تعالى ، الذي أعاني على ذلك .

إن تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليء بالدروس ، والعبر ، وهي متناثرة في بطون الكتب ، والمصادر والمراجع ، سواء كانت تاريخية ، أو حديثية ، أو فقهية ، أو أدبية ، أو تفسيرية ، أو كتب التراجم

والجرح والتعديل ، فقامت بدراستها حسب وسعي ، وطاقتي ، فوجدت فيها مادةً تاريخيةً غزيرةً ، يصعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التاريخية المعروفة والمتداولة ، فقامت بجمعها ، وترتيبها ، وتوثيقها ، وتحليلها ، وقد طبع الكتاب الأول عن الصديق . رضي الله عنه . وقد سمّيته (أبو بكر الصديق : شخصيته وعصره) .

وبفضل الله انتشر هذا الكتاب في المكتبات العربية ، والمعارض الدولية ، ووصل إلى كثيرٍ من القراء ، والدعاة ، والعلماء ، وطلاب العلم ، وعوام المسلمين ، فشجعوني على الاستمرار في دراسة عصر الخلفاء الراشدين ، ومحاولة تبسيطه ، وتقديمه للأمة في أسلوبٍ يلائم العصر .

إنَّ تاريخ عصر الخلفاء الراشدين مليءٌ بالدروس ، والعبر ، فإذا أحسنَّا عرضه ، وابتعدنا عن الروايات الضعيفة ، والموضوعة ، وعن كتب المستشرقين ، وأذناهم . واعتمدنا منهج أهل السنة في الدراسة ؛ نكون قد أسهمنا في صياغته بمنظور أهل السنة ، وتعرَّفنا على حياة ، وعصر مَنْ قال الله فيهم :

{وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ نَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*} [التوبة : ١٠٠] .

وقال تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رِحْمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا} [الفتح: ٢٩] .

وقال فيهم رسول الله (ص) : « خير أمتي القرن الذي بعثتُ فيهم ... » [(١)] .

وقال فيهم عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . : من كان مستنًا ؛ فليستنَّ بمنَّ قد مات ، فإنَّ الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب محمد (ص) كانوا والله أفضلَ هذه الأمة ، وأبرها قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه ، وإقامة دينه ؛ فاعرفوا لهم فضلهم ، واتَّبِعُوهم في آثارهم ، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقهم ، ودينهم ، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم [(٢)] .

فالسَّحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ، ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها ، فعصرهم خير العصور ، فهم الذين علموا الأمة القرآن الكريم ، ورووا السنن والآثار عن رسول الله (ص) ، فتاريخهم هو الكنز الذي حفظ مدَّخرات الأمة في الفكر ، والثَّقافة ، والعلم ، والجهاد ، وحركة الفتوحات والتَّعامل مع الشُّعوب والأمم ، فتجد الأجيالُ في هذا التَّاريخ المجيد ما يُعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهجٍ صحيحٍ ، وهدىً رشيدٍ ، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها ، ودورها في دنيا النَّاس ، وتستمدُّ من ذلك العصر ما يغدِّي الأرواح ، ويهدِّب النفوس ، وينوِّر العقول ، ويشحذ الهمم ، ويقدم الدُّروس

، ويسهّل العبر ، وينضج الأفكار ، ويجد الدعاة ، والعلماء والشيوخ ، وأبناء الأمة ما يعينهم على إعداد الجيل المسلم ، وتربيته على منهاج النبوة ، ويتعرفوا على معالم الخلافة الراشدة ، وصفات قادتها ، وجيلها ، وخصائصها ، وأسباب زوالها .

فهذا الكتاب الثاني عن عصر الخلفاء الراشدين ، يتحدث عن الفاروق عمر بن الخطاب ، ويتناول شخصيته ، وعصره ، فهو الخليفة الثاني ، وأفضل الصحابة الكرام بعد أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم - جميعاً ، وقد حثنا رسول الله (ص) ، وأمرنا باتباع سنتهم ، والاهتداء بهديهم ، قال رسول الله (ص) : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » [(٣)] فعمر - رضي الله عنه - خير الصالحين بعد الأنبياء ، والمرسلين ، وأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وقد قال فيهما رسول الله (ص) : « اقتدوا باللذين من بعدي ؛ أبي بكر وعمر » [(٤)] .

وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشهيرة في فضائل الفاروق - رضي الله عنه - فقد قال رسول الله (ص) : « لقد كان فيمن قبلكم من الأمم محدثون ؛ فإن يك في أمّتي أحد ؛ فإنه عمر » [(٥)] ، وقال رسول الله (ص) : « أريت كأي أنزع بدلوك بكرة على قليب » [(٦)] ، فجاء أبو بكر ، فنزع ذنوباً ، أو ذنوبين ، فنزع نزعاً ضعيفاً ، والله تبارك وتعالى يغفر له [(٧)] ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستقى ، فاستحالت غرباً ؛ فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن » [(٨)] .

وقد قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - : قلت : يا رسول الله ! أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : يا رسول الله ! من الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثمّ من ؟ قال : « عمر بن الخطاب » ثمّ عدّ رجالاً [(٩)] .

إنّ حياة الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - صفحة مشرقة من التاريخ الإسلامي الذي بهر كلّ تاريخ وفاقه ، والذي لم تحوِ تواريخ الأمم مجتمعةً بعض ما حوى من الشرف ، والمجد ، والإخلاص ، والجهاد ، والدعوة في سبيل الله . ولذلك قمت بتتبع أخباره ، وحياته ، وعصره في المصادر ، والمراجع ، واستخرجتها من بطون الكتب ، وقمت بترتيبها ، وتنسيقها ، وتوثيقها ، وتحليلها ؛ لكي تصبح في متناول الدعاة ، والخطباء ، والعلماء ، والساسة ، ورجال الفكر ، وقادة الجيوش ، وحكّام الأمة ، وطلاب العلم ، وعامة الناس ، لعلهم يستفيدون منها في حياتهم ، ويقتدون بها في أعمالهم ، فيكرمهم الله بالفوز في الدارين .

لقد تتبعت حياة الفاروق منذ ولادته حتى استشهاده ، فتحدثت عن نسبه ، وأسرته ، وحياته في الجاهلية ، وعن إسلامه ، وهجرته ، وعن أثر القرآن الكريم ، وملازمته للنبي (ص) في تربيته ، وصياغة شخصيته الإسلامية العظيمة ، وتكلمت عن مواقفه في الغزوات ، وفي المجتمع المدني في حياة الرسول (ص) ، والصديق - رضي الله عنه - . وبينت قصة استخلافه ، ووضعت قواعد نظام حكمه ، كالثوري ، وإقامة العدل ، والمساواة بين الناس ، واحترامه للحريات ، وأشارت إلى أهم صفات الفاروق ، وحياته مع أسرته ، واحترامه لأهل البيت ، وإلى حياته في المجتمع بعدما أصبح خليفة المسلمين ، كاهتمامه ورعايته لنساء المجتمع ، وحفظه لسوابق الخير لرعيته ، وحرصه على قضاء حوائج الناس ، وتربيته لبعض زعماء المجتمع ، وإنكاره لبعض التصرفات المنحرفة ، واهتمامه بصحة الرعية ونظام الحسنة ، وبالأسواق ، والتجارة ، وحرصه على تحقيق مقاصد الشريعة في المجتمع ، كحماية جانب التوحيد ومحاربة الرينغ ، والبدع ، واهتمامه بأمر العبادات ، وحماية أعراض المجاهدين .

وتحدثت عن اهتمام الفاروق بالعلم ، وعن تتبعه للرعية بالتوجيه ، والتعليم في المدينة ، وجعله المدينة داراً للفتوى ، والفقهاء ، ومدرسة تخرج فيها العلماء ، والدعاة ، والولاة ، والقضاة ، وبينت الأثر العمري في مدارس الأمصار ، كالمدرسة المكية ، والمدنية ، والبصرية ، والكوفية ، والشامية ، والمصرية ، فقد اهتم الفاروق بالكوادر العلمية

المتخصصة ، وبعثها إلى الأمصار ، وأرشد القادة والأمراء مع توسع حركة الفتوحات إلى إقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة ، لتكون مراكز للدعوة ، والتعليم ، والتربية ، ونشر الحضارة الإسلامية ، فقد كانت المساجد هي المؤسسات العلمية الأولى في الإسلام ، ومن خلالها تحرك علماء الصحابة لتعليم الشعوب الجديدة التي دخلت في الإسلام طواعيةً بدون ضغط ، أو إكراه .

وقد وصلت المساجد التي تقام فيها الجمعة في دولة عمر - رضي الله عنه - إلى اثني عشر ألف مسجد ، وقد كانت المؤسسات العلمية خلف مؤسسة الجيش ؛ التي قامت بفتح العراق ، وإيران ، والشام ، ومصر ، وبلاد المغرب ، وقد قاد هذه المؤسسات كوادر علمية ، وفقهية ، ودعوية متميزة ، تربت على يدي رسول الله (ص) في المدينة .

وقد استفاد الفاروق من هذه الطاقات فأحسن توجيهها ، ووضعها في محلها ، فأسست تلك الطاقات الكوادر للحركة العلمية ، والفقهيّة التي كانت مواكبة لحركة الفتح . وتكلمت عن اهتمام الفاروق بالشعر ، والشعراء ، فقد كان عمر - رضي الله عنه - أكثر الخلفاء الراشدين ميلاً لسماع الشعر ، وتقويمه

، كما كان أكثرهم تمثلاً به حتى قيل : كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيتاً من الشعر ، وقد برع الفاروق في النقد الأدبي ، وكانت له مقاييس يحتكم إليها في تفضيله ، أو إثارة نصاً على نص ، أو تقديمه شاعراً على غيره ، ومن هذه المقاييس سلامة العربية ، وأنس الألفاظ ، والبعد عن المعازلة ، والتعقيد ، والوضوح ، والإبانة ، وأن تكون الألفاظ بقدر المعاني ، وجمال اللفظة في موقعها ، وحسن التقسيم .

وكان رضي الله عنه يمنع الشعراء من قول الهجاء ، أو ما يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية ، واستخدم أساليب متعددة في تأديبهم ، منها : أنه اشترى أعراض المسلمين من الحطيئة بثلاثة آلاف درهم حتى قال ذلك الشاعر :

وَأَحَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ مَنَعْتَنِي عِرْضَ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخَفْ

شتمي فأصبح امناً لا يفرغ وتحدثت عن التطور العمراني وإدارة الأزمات في عهد عمر ، فبينت اهتمام الفاروق بالطرق ، ووسائل النقل البري ، والبحري ، وإنشاء الثغور ، والأمصار كقواعد عسكرية ، ومراكز إشعاع حضاري ، وتكلمت عن نشأة المدن الكبرى في عهد عمر ، كالبصرة ، والكوفة ، والفسطاط ، وسرت ، وعن الاعتبار العسكرية والاقتصادية التي وضعها الفاروق عند إنشاء المدن ، وعن الأساليب التي اتخذها عمر في مواجهة عام الرمادة ، وكيف جعل من نفسه قدوة ؟ وعن معسكرات اللاجئين في تلك السنة ، وعن الاستعانة بأهل الأمصار ، والاستعانة بالله ، وصلاة الاستسقاء ، وعن بعض الاجتهادات الفقهية في عام الرمادة ، كوقف إقامة حد السرقة ، وتأخير دفع الزكاة في ذلك العام .

وأشرت إلى عام الطاعون ، وموقف الفاروق من هذا الوباء الذي كان سبباً في وفاة كبار قادة الجيش الإسلامي بالشام ، وقد مات أكثر من عشرين ألفاً من المسلمين بسبب الطاعون ، واختلت الموازين ، وضاعت الموارث ، فذهب الفاروق إلى الشام ، وقسم الأرزاق ، وسمى الشواتي ، والصوائف ، وسد ثغور الشام ، ومسالحها [(١٠)] ، وولى الولاة ، ورتب أمور الجند ، والقادة ، والناس ، وورث الأحياء من الأموات .

ووضحت دور الفاروق في تطوير المؤسسة المالية ، والقضائية ؛ فتحدثت عن المؤسسة المالية ، وعن مصادر دخل الدولة في عهد عمر . رضي الله عنه . كالزكاة ، والجزية ، والخراج ، والعشور ، والفية ،

والغنائم ، وعن بيت مال المسلمين ، وتدوين الدواوين ، وعن مصارف الدولة في عهد عمر ، وعن اجتهاد الفاروق في مسألة أرض الخراج ، وعن إصدار النقود الإسلامية .

وبيّنت دور الفاروق في تطوير المؤسسة القضائية ، وتكلّمت عن أهم رسائل عمر إلى القضاة ، وعن تعيين القضاة ، ومرتباتهم ، وصفاتهم ، وما يجب عليهم ، وعن مصادر الأحكام القضائية ، والأدلة التي يعتمد عليها القاضي ، وعن اجتهادات الفاروق القضائية ، كحكم تزوير الخاتم الرسمي للدولة ، ورجل سرق من بيت المال بالكوفة ، ومَن جهل تحريم الزنى ، وغيرها من الأحكام القضائية والفقهية . وعن فقه عمر في التعامل مع الولاة ، فبيّنت أقاليم الدولة في عهد عمر ، وأسماء من تولّى إمارة الأقاليم في عصره ، وعن أهم قواعد عمر في تعيين الولاة ، وشروطه عليهم ، وعن صفات ولاة عمر ، وعن حقوق الولاة ، وواجباتهم ، وعن متابعة الفاروق للولاة ، ومحاسبتهم ، وعن تعامل الفاروق مع شكاوى الرعية في الولاة ، وعن أنواع العقوبات التي أنزلها الفاروق بالولاة ، وعن قصّة عزل خالد بن الوليد . رضي الله عنه . وعن عزله في المرتين الأولى ، والثانية ، ومجمل أسباب عزله ، وعن موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل ، وعن موقف خالد بن الوليد من ذلك القرار ، وماذا قال عن الفاروق ؛ وهو على فراش الموت .

ووصفت فتوح العراق ، وإيران ، والشّام ، ومصر ، وليبيا في عهد الفاروق ، ووقفت عند الدُّروس ، والعبير ، والفوائد ، والسُّنن في تلك الفتوح . وسلّطت الأضواء على الرسائل التي كانت بين الفاروق ، وقادة جيوشه ، واستخرجت منها مادّة علميةً تربويّةً في توجيه الشعوب ، وبناء الدُّول ، وتربية المجتمعات ، وترشيد القادة ، وفنون القتال ، واستنبطت من رسائل عمر إلى القادة حقوق الله ، كمصابرة العدو ، وأن يقصدوا بقتالهم نصره دين الله ، وأداء الأمانة ، وعدم المحاباة في نصر دين الله ، وحقوق القادة ، كالتزام طاعتهم ، وامتنال أوامرهم ، وحقوق

الجند ، كاستعراضهم ، وتفقد أحوالهم ، والرّفق بهم في السّير ، وتحريضهم على القتال ... إلخ . وتكلّمت عن علاقة عمر مع الملوك ، وعن نتائج الفتوحات العمرية ، وعن الأيام الأخيرة في حياة الفاروق ، وعن فهمه لفقه القدم على الله ؛ الذي كان مهيمناً على نفسه ، ومتغلغلاً في قلبه منذ إسلامه حتّى استشهاده . لقد حاولت في هذا الكتاب أن أُبين كيف فهم الفاروق الإسلام ، وعاش به في دنيا الناس ، وكيف أثر في مجريات الأمور في عصره . وتحدّثت عن جوانب شخصيته المتعدّدة السياسيّة ، والعسكريّة ، والإداريّة ، والقضائيّة ، وعن حياته في المجتمع لما كان أحد رعاياه ، وبعد أن

تولَّى الخلافة بعد الصِّدِّيق ، ورَكَزَت على دوره في تطوير المؤسسات الماليَّة ، والقضائيَّة ، والإداريَّة ، والعسكريَّة .

إنَّ هذا الكتاب يبرهن على عظمة الفاروق ، ويثبت للقارىء بأنَّه كان عظيماً بإيمانه ، عظيماً بعلمه ، عظيماً بفكره ، عظيماً ببيانه ، عظيماً بخُلُقِه ، عظيماً بآثاره . فقد جمع الفاروق العظمة من أطرافها ، وكانت عظمته مستمدةً من فهمه ، وتطبيقه للإسلام ، وصلته العظيمة بالله ، واتباعه لهدي الرِّسول الكريم (ص) .

إنَّ الفاروق من الأئمَّة الذين يرسمون للناس خطَّ سيرهم ، ويتأسَّى بهم النَّاس بأقوالهم ، وأفعالهم في هذه الحياة ، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان ، والعاطفة الإسلاميَّة الصَّحيحة ، والفهم السليم لهذا الدِّين ، فما أحوج الأمة الإسلاميَّة إلى الرِّجال الأكفأ الذين يقتدون بالصَّحابة الكرام ، ويجسِّدون المعاني السَّامية ، فيحيونها بتضحياتٍ يراها النَّاس ، ويحسُّون بها ، فإنَّ تاريخ الخلفاء الرِّاشدين والصَّحابة الكرام يظلُّ مذكراً للأئمَّة عبر الأجيال ، ويكون الاحتفاء به بالتأسِّي بأولئك العظماء ، وتطبيق تلك المواقف الكريمة من عظماء الرِّجال ؛ الذين يشاركون أفراد الأئمَّة في ظروف الحياة المعاصرة ، حتَّى لا يظنَّ ظانُّ : أنَّ هذه المواقف ، والدُّروس ، والعبء إمَّا كانت في عصورٍ ملائمةٍ لوجودها ، وأنَّ تكرارها يتطلَّب ظروفًا حياتيَّةً مشابهةً . والحقيقة تقول : إنَّه كَلِّمًا قويَّ المحرِّك الإيماني ، وأنَّضح فقه القدوم على الله ، وحرص المسلمون على العمل به ؛ فإنَّ الله يتكفَّل بنصر أوليائه ، وتسخير ظروف الحياة لصالحهم .

هذا وقد اجتهدتُ في دراسة شخصيَّة الفاروق ، وعصره حسب وسعي ، وطاقتي ، غير مدَّعٍ عصمةً ، ولا متبريٍّ مِنْ زَلَّةٍ . ووجه الله العظيم لا غيره قصدتُ ، وثوابه أردتُ ، وهو المسؤول في المعونة عليه ، والانتفاع به ؛ إنَّه طيِّب الأسماء ، سميع الدُّعاء .

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأربعاء السَّاعة السَّابعة وخمس دقائق صباحاً بتاريخ ١٣ من رمضان ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٨ من نوفمبر ٢٠٠١ م والفضل لله من قبل ، ومن بعد ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل هذا العمل ، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنَّه ، وكرمه ، وجوده ، قال تعالى : { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * } [فاطر : ٢] .

ولا يسعني في نهاية هذه المقدِّمة إلا أن أقف بقلبي خاشعٍ منيبٍ بين يدي الله عزَّ وجل ، معترفاً بفضلته ، وكرمه ، وجوده ، فهو المتفضِّل ، وهو المكرِّم ، وهو المعين ، وهو الموقِّق ، فله الحمد على ما منَّ به

عليّ أوّلاً وَاخراً ، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ، ولعباده نافعاً ، وأن يثيبني على كلّ حرفٍ كتبتُهُ ، ويجعله في ميزان حسناتي ، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكلِّ ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع . ونرجو من كلّ مسلمٍ يطّلع على هذا الكتاب أن لا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربّه ، ومغفرته ، ورضوانه من دعائه . قال تعالى : { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * } [النمل : ١٩] .

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، واخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه

علي محمد محمد الصّلابي

١٣ من رمضان ١٤٢٢ هـ

الفصل الأوّل

عمر رضي الله عنه بمكّة

المبحث الأوّل

اسمه، ونسبه، وكنيته، وصفته، وأسرته، وحياته في الجاهلية

أولاً : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وألقابه :

هو عمر بن الخطَّاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي [(١١)] بن غالب القرشي العدوي [(١٢)] ، يجتمع نسبه مع رسول الله (ص) في كعب بن لؤي بن غالب [(١٣)] ، ويكنى أبا حفص [(١٤)] ، ولقب بالفاروق [(١٥)] ، لأنَّه أظهر الإسلام بمكَّة ففرَّق الله به بين الكفر والإيمان [(١٦)] .

ثانياً : مولده ، وصفته الخلقية :

ولد عمر - رضي الله عنه - بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة [(١٧)] . وأمَّا صفته الخلقية ، فكان رضي الله عنه أبيض ، أمهق ، تعلوه حمرة ، حسن الخدين ، والأنف ، والعينين ، غليظ القدمين ، والكفين ، مجدول اللحم ، وكان طويلاً ، جسيماً ، أصلع ، قد فرع النَّاس ، كأنَّه راكبٌ على دابَّةٍ ، وكان قوياً ، شديداً ، لا واهناً ، ولا ضعيفاً [(١٨)] ، وكان يخضب بالحناء ، وكان طويل السَّبله [(١٩)] ، وكان إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب أوجع [(٢٠)] .

ثالثاً : أسرته :

أمَّا والده ، فهو الخطَّاب بن نفيل ، فقد كان جدُّ عمر نفيل بن عبد العزَّى ممَّن تتحاكم إليه قريش [(٢١)] ، وأمَّا والدته ؛ فهي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ، وقيل : بنت هاشم أخت أبي جهل [(٢٢)] ، والذي عليه أكثر المؤرِّخين هو أنَّها بنت هاشم ابنة عمِّ أبي جهل بن هشام [(٢٣)] . وأمَّا زوجاته ، وأبنائه ، وبناته ؛ فقد تزوَّج في الجاهلية زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون ، فولدت له عبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وحفصة ، وتزوَّج مليكة بنت جبرول ، فولدت له عبيد الله ، فطلَّقها في الهدنة ، فخلف عليها أبو الجهم بن حذيفة ، وتزوَّج قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية المخزومي ، ففارقها في الهدنة ، فتزوَّجها بعده عبد الرحمن بن أبي بكر ، وتزوَّج أم حكيم بنت الحارث بن هشام بعد زوجها عكرمة بن أبي جهل حين قتل في الشام [(٢٤)] ، فولدت له فاطمة ، ثمَّ طلقها ، وقيل : لم يطلقها [(٢٥)] ، وتزوَّج جميلة بنت [(٢٦)] عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح من الأوس ، وتزوَّج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قبله عند عبد الله بن أبي بكر [(٢٧)] ، ولما قتل عمر تزوَّجها بعده الزبير بن العوام - رضي الله عنه - ويقال : هي أمُّ ابنه عياض ، فالله أعلم .

وكان قد خطب أمَّ كلثوم ابنة أبي بكر الصِّدِّيق ، وهي صغيرة ، وراسل فيها عائشة فقالت أمُّ كلثوم : لا حاجة لي فيه ، فقالت عائشة : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنَّه خشن العيش ، فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص ، فصدَّه عنها ، ودلَّه على أم كلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب ،

من فاطمة بنت رسول الله (ص) ، وقال : تعلق منها بسبب من رسول الله (ص) ، فخطبها من عليٍّ فرَّجَها إيَّاهَا ، فأصدقها عمر . رضي الله عنه . أربعين ألفاً ، فولدت له زيدا ، ورقية [(٢٨)] ، وتزوج هُمية امرأة من اليمن ، فولدت له عبد الرحمن الأصغر ، وقيل : الأوسط . وقال الواقدي : هي أمُّ ولد ، وليست بزوجة [(٢٩)] .

قالوا : وكانت عنده فكية أمُّ ولد ، فولدت له زينب ؛ قال الواقدي : وهي أصغر ولده [(٣٠)] . فجملة أولاده . رضي الله عنه . ثلاثة عشر ولداً ، وهم : زيد الأكبر ، وزيد الأصغر ، وعاصم ، وعبد الله ، وعبد الرحمن الأكبر ، وعبد الرحمن الأوسط ، وعبد الرحمن الأصغر ، وعبيد الله ، وعياض ، وحفصة ، ورقية ، وزينب ، وفاطمة رضي الله عنهم . ومجموع نسائه اللاتي تزوجهنَّ في الجاهلية والإسلام ممن طلقهنَّ ، أو مات عنهن سبع [(٣١)] .

وكان رضي الله عنه يتزوج من أجل الإنجاب ، والإكثار من الذرية ، فقد قال رضي الله عنه : ما اتى النساء للشهوة ، ولولا الولد؛ ما باليت ألا أرى امرأة بعيني [(٣٢)] . وقال رضي الله عنه : إني لأكره نفسي على الجماع رجاء أن يخرج الله مني نسمةً تسبحه ، وتذكره [(٣٣)] .

رابعاً : حياته في الجاهلية :

أمضى عمر في الجاهلية شطراً من حياته ، ونشأ كأمثاله من أبناء قريش ، وامتاز عليهم بأنه كان ممن تعلموا القراءة ، وهؤلاء كانوا قليلين جداً [(٣٤)] ، وقد حمل المسؤولية صغيراً ، ونشأ نشأةً غليظةً شديدة ، لم يعرف فيها ألوان الترف ، ولا مظاهر الثروة ، ودفعه أبوه الخطاب في غلظة وقسوة إلى المراعي يرعى إبله ، وتركت هذه المعاملة القاسية من أبيه أثراً سيئاً في نفس عمر . رضي الله عنه . فظلَّ يذكرها طيلة حياته ، فهذا عبد الرحمن بن حاطب يحدثنا عن ذلك ، فيقول : كنت مع عمر بن الخطاب بضجنان [(٣٥)] ، فقال : كنت أرى للخطاب بهذا المكان ، فكان فظاً غليظاً ، فكنت أرى أحياناً ، وأحتطب أحياناً ... [(٣٦)] ولأنَّ هذه الفترة كانت قاسيةً في حياة عمر ، فإنَّه كان يكثر من ذكرها ، فيحدثنا سعيد بن المسيب رحمه الله قائلاً : حجَّ عمر ، فلما كان بضجنان قال : لا إله إلا الله العلي العظيم ، المعطي ما شاء ، لمن شاء ، كنت أرى إبل الخطاب بهذا الوادي ، في مدرعة صوف ، وكان فظاً ، يتعبنى إذا عملت ، ويضربني إذا قصرت ، وقد أمسيت ليس بيني وبين الله أحدٌ ، ثمَّ تمثَّل :

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يَبْقَى الإله ويُرَدَى المأل والولدُ تُغْنِي عَنْ هُرْمَزٍ يوماً خَزَائِنُهُ
والخُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا وَلَا سُلَيْمَانَ إِذْ تَجَرَّى الرِّيحُ لَهُ وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ

فِيمَا بَيْنَهَا بُرْدُ أَيْنَ الْمَلُوكِ الَّتِي كَانَتْ نَوَاهِلُهَا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفِدُ حَوْضاً هُنَالِكَ
مُؤَزَّوْدٌ بِلَا كَذِبٍ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا [(٣٧)] ولم يكن ابن الخطّاب . رضي الله عنه .

يرعى لأبيه وحده ، بل كان يرعى لخالاتٍ له من بني مخزوم ، وذكر لنا ذلك عمر . رضي الله عنه . نفسه
حين حدّثته نفسه يوماً وهو أمير المؤمنين : أنّه أصبح أميراً للمؤمنين فمن ذا أفضل منه ... ولكي
يُعرِّف نفسه قدرها . كما ظنّ . وقف يوماً بين المسلمين يعلن : أنّه لم يكن إلا راعي غنم ، يرعى
لخالاتٍ له من بني مخزوم . يقول محمّد بن عمر المخزومي عن أبيه : نادى عمر بن الخطاب بالصلاة
جامعاً ، فلمّا اجتمع النَّاسُ ، وكَبَرُوا ، صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على
نبيّه . عليه الصلاة والسلام . ثمّ قال : أيُّها الناس ! لقد رأيتني أرعى على خالاتٍ من بني مخزوم ،
فيقبضن لي قبضةً من التمر ، أو الزبيب ، فأظلمُ يومي ، وأيُّ يوم !! ثمّ نزل ، فقال له عبد الرحمن بن
عوف : يا أمير المؤمنين ! ما زدت على أن قمّأت نفسك . عبّت . فقال : ويحك يا ابن عوف !! إيّ
خلوت ، فحدّثتني نفسي ، قالت : أنت أمير المؤمنين ، فَمَنْ ذا أفضل منك ؟ فأردت أن أعرفها
نفسها . وفي روايةٍ : إيّ وجدت في نفسي شيئاً ، فأردت أن أطأىء منها [(٣٨)] .

ولا شكّ : أنّ هذه الحرفة . الرّعي . الّتي لازمت عمر بن الخطّاب في مكّة قبل أن يدخل الإسلام قد
أكسبته صفاتٍ جميلةً ، كقوّة التّحمّل ، والجلد ، وشدّة البأس ، ولم يكن رعي الغنم هو شغل ابن
الخطّاب في جاهليته [(٣٩)] ، بل حذق من أول شبابه ألواناً من رياضة البدن ، فحذق المصارعة ،
وركوب الخيل ، والفروسيّة ، وتذوّق الشّعر ، ورواه [(٤٠)] ، وكان يهتمُّ بتاريخ قومه وشؤونهم ، وحرص
على الحضور في أسواق العرب الكبرى ، مثل (عكاظ) و(مجنّة) و(ذي المجاز) واستفاد منها في التّجارة ،
ومعرفة تاريخ العرب ، وما حدث بين القبائل من وقائع ، ومفاخرات ، ومنافرات ، حيث تُعرض تلك
الأحداث في إطار اثارٍ أدبيّة ، يتناولها كبار الأدباء بالنّقد على مرأى ، ومسمع من ملأ القبائل وأعيانها
مما جعل التّاريخ العربيّ عرضاً دائماً

الحركة ، لا ينسدل عليه ستار النّسيان ، وربّما تطاير شرر الحوادث ، فكانت الحرب ، وكانت عكاظ .
بالذات . سبباً مباشراً في حروبٍ أربع ، سمّيت حروب الفجار [(٤١)] .

واشغل عمر - رضي الله عنه - بالتجارة وبيع منها ما جعله من أغنياء مكة ، وكسب معارف متعدّدة من البلاد التي زارها للتجارة ، فرحل إلى الشام صيفاً ، وإلى اليمن شتاءً [(٤٢)] ، واحتلّ مكانة بارزة في المجتمع المكيّ الجاهلي ، وأسهم بشكلٍ فعّالٍ في أحداثه ، وساعده تاريخ أجداده المجيد ، فقد كان جدّه نُفيل بن عبد العزّي تحتكم إليه قريش في خصوماتها [(٤٣)] ، فضلاً عن أنّ جدّه الأعلى كعب بن لؤي كان عظيم القدر والشأن عند العرب ، فقد أرخوا بسنة وفاته إلى عام الفيل [(٤٤)] ، وتوارث عمر عن أجداده هذه المكانة المهمة التي أكسبته خبرةً ، ودرايةً ، ومعرفةً بأحوال العرب وحياتهم ، فضلاً عن فطنته ، وذكائه ، فلجؤوا إليه في فضّ خصوماتهم ، يقول ابن سعد : « إنّ عمر كان يقضي بين العرب في خصوماتهم قبل الإسلام » [(٤٥)] .

وكان - رضي الله عنه - رجلاً حكيماً ، بليغاً ، حصيماً ، قويّاً ، حليماً ، شريفاً ، قويّ الحجة ، واضح البيان ، ممّا أهله لأن يكون سفيراً لقريش ، ومفاخرّاً ، ومنافراً لها مع القبائل [(٤٦)] ، قال ابن الجوزي : كانت السفارة إلى عمر بن الخطّاب ؛ إن وقعت حربٌ بين قريش وغيرهم بعثوه سفيراً ، أو نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر ، بعثوه منافرّاً ، ومفاخرّاً ، ورضوا به ، رضي الله عنه [(٤٧)] .

وكان يدافع عن كلّ ما ألفته قريش من عاداتٍ ، وعباداتٍ ، ونظم ، وكانت له طبيعةٌ مخلصّةٌ ، تجعله يتفانى في الدفاع عمّا يؤمن به ، وبهذه الطبيعة التي جعلته يشتدّ في الدفاع عمّا يؤمن به قاوم عمر الإسلام في أوّل الدّعوة ، وخشي عمر أن يهزّ هذا الدّين الجديد النّظام المكي الذي استقرّ ، والذي يجعل لمكة بين العرب مكاناً خاصّاً ، ففيها البيت الذي يُحجّ إليه ، والذي جعل قريشاً ذات مكانةٍ خاصّةٍ عند العرب ، والذي صار لمكة ثروتها الرّوحية ، وثروتها الماديّة ، فهو سبب ازدهارها ، وغنى سراتها ، ولهذا قاوم سراة مكة هذا الدّين ، وبطشوا

بالمستضعفين من معتنقيه ، وكان عمر من أشدّ أهل مكة بطشاً بهؤلاء المستضعفين [(٤٨)] . ولقد ظلّ يضرب جاريةً أسلمت ، حتّى أعييت يداها ، ووقع السّوط من يده ، فتوقّف إعياءً ، ومرّ أبو بكر ، فراه يعذب الجارية ، فاشتراها منه ، وأعتقها [(٤٩)] .

لقد عاش عمر في الجاهلية وسبر أغوارها ، وعرف حقيقتها ، وتقاليدها ، وأعرافها ، ودافع عنها بكلّ ما يملك من قوّة ، ولذلك لما دخل في الإسلام ؛ عرف جماله ، وحقيقته ، وتيقّن الفرق الهائل بين الهدى والضلال ، والكفر والإيمان ، والحقّ والباطل ، ولذلك قال قولته المشهورة : إنّما تُنقَضُ عُرا الإسلام عروةً عروةً ؛ إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهليّة [(٥٠)] .

المبحث الثاني

إسلامه وهجرته

أولاً : إسلامه :

كان أوّل شعاعة من نور الإيمان لامست قلبه ، يوم رأى نساء قريش يتركنّ بلدهنّ ، ويرحلنّ إلى بلدٍ بعيدٍ عن بلدهنّ ، بسبب ما لقين منه ومن أمثاله ، فرق قلبه ، وعاتبه ضميره ، فرثى لهنّ ، وأسمعهنّ الكلمة الطيبة التي لم يكنّ يطمعنّ أن يسمعنّ منه مثلها [(٥١)] .

قالت أمّ عبد الله بنت حنتمة : لما كنّا نرتحل مهاجرين إلى الحبشة ؛ أقبل عمر حتّى وقف عليّ ، وكنا نلقى منه البلاء ، والأذى ، والغلظة علينا ، فقال لي : إنّه الانطلاق يا أمّ عبد الله ؟ قلت : نعم ، والله لنخرجن في أرض الله ! اذيتمونا ، وقهرتمونا ، حتّى يجعل الله لنا فرجاً . فقال عمر : صحبكم الله ! ورأيت منه رقّة لم أرها قطّ . فلما جاء عامر بن ربيعة وكان قد ذهب في بعض حاجته ، وذكرت له ذلك ، فقال : كأنّك قد طمعت في إسلام عمر ؟ قلت له : نعم ، فقال : إنّه لا يسلم حتّى يسلم حمّاز الخطّاب [(٥٢)] .

لقد تأثر عمر من هذا الموقف ، وشعر : أنّ صدره قد أصبح ضيقاً حرجاً ؛ فأبى بلاءٍ يعانيه أتباع هذا الدّين الجديد ، وهم على الرّغم من ذلك صامدون ! ما سرّ تلك القوّة الخارقة ؟ وشعر بالحزن ، وعصر قلبه الأمل [(٥٣)] ، وبعد هذه الحادثة بقليل أسلم عمر. رضي الله عنه . وبسبب دعوة رسول الله (ص) ، فقد كانت السّبب الأساسي في إسلامه ، فقد دعا له بقوله : « اللهم أعزّ الإسلام بأحبّ الرّجلين إليك : بأبي جهل بن هشام ، أو بعمر بن الخطّاب » . قال : وكان أحبّهما إليهم عمر [(٥٤)] .

وقد ساق الله الأسباب لإسلام عمر . رضي الله عنه . فعن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . قال : ما سمعت عمر لشيء قطّ يقول : إني لأظنّه كذا إلا كان كما يظنّ ، بينما عمر جالسٌ إذ مرّ به رجلٌ جميلٌ ، فقال عمر : لقد أخطأ ظنيّ ، أو إنّ هذا على دينه في الجاهليّة ، أو لقد كان

كاهنهم ، عليّ بالرَّجُل ! فدُعي له ، فقال له ذلك . فقال : ما رأيت كاليوم استُقبل به رجلٌ مسلم .
قال : فإِنِّي أعزم عليك إلا ما أخبرني .

قال : كنت كاهنهم في الجاهليَّة .

قال : فما أعجب ما جاءتك به جِنِّيُّك ؟ قال : بينما أنا يوماً في السُّوق جاءني أعرف فيها الفزع ،
فقلت : ألم تر الجنَّ ، وإِبلاسهـا [(٥٥)] ، ويأسها من بعد إنكاسها [(٥٦)] ، ولحوقها بالقلاص ،
وأحلاسها [(٥٧)] .

قال عمر : صدق ، بينما أنا نائمٌ عند الهتهم ؛ إذ جاء رجلٌ بعجلٍ ، فدبجه ، فصرخ به صارخٌ . لم أسمع
صارخاً قطُّ أشدَّ صوتاً منه . يقول : يا جليح [(٥٨)] ! أمرٌ نجيح ، رجلٌ فصيح ، يقول : لا إله إلا الله
فوثب القوم ، قلت : لا أبرح حتَّى أعلم ما وراء هذا ، ثمَّ نادى : يا جليح ! أمرٌ نجيحٌ ، رجلٌ فصيح
، يقول : لا إله إلا الله . فقمت ، فما نشبنا [(٥٩)] أن قيل : هذا نبيُّ [(٦٠)] .

وقد ورد في سبب إسلام الفاروق . رضي الله عنه . الكثير من الروايات ، ولكن بالنظر إلى أسانيدھا من
النَّاحية الحديثيَّة ؛ فأكثرها لا يصحُّ [(٦١)] ، ومن خلال الروايات التي ذكرت في كتب السيرة ،
والتَّاريخ يمكن تقسيم إسلامه ، والصَّدع به إلى عناوين ، منها :
١. عزمه على قتل رسول الله :

كانت قريش قد اجتمعت فتشاورت في أمر النَّبيِّ (ص) ، فقالوا : أيُّ رجلٍ يقتل محمّداً ؟ فقال عمر
بن الخطَّاب : أنا لها ، فقالوا : أنت لها يا عمر ! فخرج في الهاجرة ، في يوم شديد الحرِّ ، متوشِّحاً
سيفه ، يريد رسول الله ورهطاً من أصحابه ، فيهم : أبو بكر ، وعليٌّ ، وحمزة . رضي الله عنهم . في
رجالٍ من المسلمين ممَّن كان أقام مع رسول الله (ص) بمكَّة ، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة ،
وقد ذكروا له : أئهم اجتمعوا في دار الأرقم في أسفل الصَّفا . فلقية نُعيم بن عبد الله النَّحَّام . فقال :
أين تريد يا عمر ؟! قال : أريد هذا الصَّابيء ؛ الَّذي فرَّق أمر قريش ،

وسقَّه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب الهتها ، فأقتله . قال له نُعيم : لبئس الممشى مشيت يا عمر !
ولقد والله غرَّتك نفسك من نفسك ، وفرَّطت ، وأردت هلكة بني عدِيٍّ ، أترى بني عبد مناف تاركيك
تمشي على الأرض ، وقد قتلت محمّداً ؟ فتحاورا ، حتَّى علت أصواتهما ، فقال عمر : إِنِّي لأظنُّك قد
صبوت ، ولو أعلم ذلك ؛ لبدأت بك ، فلمَّا رأى النَّحَّام : أنه غير مُنتهٍ ؛ قال : فإِنِّي أخبرك : أن

أهلك ، وأهل ختنك قد أسلموا ، وتركوك ، وما أنت عليه من ضلالتك. فلما سمع مقالته؛ قال: وأيُّهم؟ قال: ختنك، وابن عمك، وأختك [٦٢].

٢. مداهمة عمر بيت أخته ، وثبات فاطمة بنت الخطّاب أمام أخيها :

لما سمع عمر : أنّ أخته ، وزوجها قد أسلما ؛ احتمله الغضب ، وذهب إليهما ، فلما قرع الباب ؛ قال : من هذا ؟ قال : ابن الخطّاب . وكانا يقرآن كتاباً في أيديهما ، فلما سمعا حسّ عمر ؛ قاما مبادرين فاختبأ ، ونسيا الصّحيفة على حالها ، فلما دخل ، ورأته أخته ؛ عرفت الشرّ في وجهه ، فخبّأت الصّحيفة تحت فخذها . قال : ما هذا الهينمة ، والصّوت الخفي ، الذي سمعته عندكم ؟ « وكانا يقرآن طه » فقالا : ما عدا حديثاً تحدّثناه بيننا . قال : فلعلكما قد صبوتما ؟ فقال له ختنه : رأيت يا عمر ! إن كان الحقّ في غير دينك ؟ فوثب عمر على ختنه سعيد ، وبطش بلحيته ، فتواثبا ، وكان قوياً شديداً ، فضرب بسعيد الأرض ، ووطئه ووطأ ، ثمّ جلس على صدره ، فجاءت أخته ، فدفعته عن زوجها ، فنفحها نفحةً بيده ، فدَمَى وجهها ، فقالت ، وهي غَضِبِي : يا عدو الله ! أتضربني على أن أوحّد الله ؟ قال : نعم ! قالت : ما كنت فاعلاً فافعل ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله ، لقد أسلمنا على رغم أنفك ! فلما سمعها عمر ندم ، وقام عن صدر زوجها ، فقع ، ثمّ قال : أعطوني هذه الصّحيفة ؛ التي عندكما فأقرأها ، فقالت أخته : لا أفعل ! قال : ويحك قد وقع في قلبي ما قلت ، فأعطينها أنظر إليها ، وأعطيك من المواثيق ألا أخونك حتّى تحزبها حيث شئت . قالت : إنك رجس ف { لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * } [الواقعة: ٧٩] فقم ، فاغتسل ، أو توضّأ فخرج عمر ؛ ليغتسل ، ورجع إلى أخته ، فدفعت إليه الصّحيفة ، وكان فيها طه ، وسور أخرى ، فرأى فيها :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

فلما مرّ بالرّحمن الرّحيم ؛ دُعِرَ ، فألقى الصحيفة من يده ، ثمّ رجع إلى نفسه فأخذها فإذا فيها : { طه } * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى * } [طه: ١ - ٨] .

فعظمت في صدره. فقال : من هذا فرّت قريش ؟ ثمّ قرأ . فلما بلغ إلى قوله تعالى : { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّنكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى * } [طه: ١٤ - ١٦] .

قال : ينبغي لمن يقول هذا ألا يُعَبَّدَ معه غَيْرُهُ ، دُلُّوني على مُحَمَّدٍ [٦٣] .

٣. ذهابه لرسول الله وإعلان إسلامه :

فلَمَّا سمع خَبَابَ - رضي الله عنه - ذلك ؛ خرج من البيت ، وكان مختفياً ، وقال : أبشر يا عمر ! فإِنِّي أرجو أن تكون قد سبقت فيك دعوة رسول الله (ص) يوم الإثنين : « اللهم أعز الإسلام بأحبِّ هذين الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ : بأبي جهل بن هشام ، أو بعمر بن الخطَّاب » [٦٤] .

قال : دُلُّوني على مكان رسول الله ، فلَمَّا عرفوا منه الصِّدق ؛ فقالوا : هو في أسفل الصِّفا . فأخذ عمر سيفه ، فتوشَّحه ، ثمَّ عمد إلى رسول الله وأصحابه ، فضرب عليهم الباب ، فلَمَّا سمعوا صوته ؛ وجلوا ، ولم يجترئوا أحدٌ منهم أن يفتح له ، لما قد علموا من شدَّته على رسول الله (ص) ، فلَمَّا رأى حمزة - رضي الله عنه - وجَلَ القوم قال : ما لكم ؟ قالوا : عمر بن الخطَّاب ! قال : عمر بن الخطَّاب ؟ افتحوا له ، فإن يرد الله به خيراً ، يُسلم ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً، ففتحوا، وأخذ حمزة، ورجل آخر بعضديه حتَّى أدخلاه على رسول الله (ص) ، فقال : أرسلوه [٦٥] ، ونهض إليه رسول الله (ص) ، وأخذ بحجزته [٦٦] ، وجمع رداءه ثمَّ جبذه جبْدَةً شديدةً ، وقال : « ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ والله ما أرى أن تنتهي حتَّى يُنزل الله بك قارعة » ، فقال له عمر : يا رسول الله ! جئتك أو من بالله ، ورسوله ، وبما جئت به من عند الله ! قال : فكبَّر رسول الله (ص) ، فعرف أهل البيت من أصحاب رسول الله أنَّ عمر قد أسلم ، ففترَّق أصحاب رسول الله من مكانهم ، وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة بن عبد المطلب ، وعرفوا : أنَّهما سيمنعان رسول الله ، ويتصنَّفون بهما من عدوِّهم [٦٧] .

٤. حرص عمر على الصِّدع بالدَّعوة ، وتحمُّله الصِّعاب في سبيلها :

دخل عمر في الإسلام بإخلاصٍ متناهٍ ، وعمِلَ على تأكيد الإسلام بكلِّ ما أوتي من قوَّة ، وقال لرسول الله (ص) : يا رسول الله ! ألسنا على الحقِّ إن متنا ، وإن حيينا ؟ قال (ص) : « بلى ، والذي نفسي بيده إنَّكم على الحقِّ ، إن متتم ، وإن حييتم » . قال : ففيم الاختفاء ؟ والذي بعثك بالحقِّ لتخرجنَّ ! وكان الرسول (ص) (على ما يبدو) قد رأى أنَّه قد ان الأوان للإعلان ، وأنَّ الدَّعوة قد غدت قويَّةً تستطيع أن تدفع عن نفسها ، فأذن بالإعلان ، وخرج (ص) في صقَّين ، عمر في أحدهما ، وحمزة في الآخر ، ولهم كديدٌ ككديد الطَّحين [٦٨] ، حتَّى دخل المسجد ، فنظرت قريش إلى عمر ، وحمزة ، فأصابتهم كابةٌ لم تصبهم قطُّ ، وسمَّاه رسول الله (ص) يومئذٍ : الفاروق [٦٩] .

لقد أعزَّ الله الإسلام والمسلمين بإسلام عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . فقد كان رجلاً ذا شكيمة ، لا يرام ما وراء ظهره ، وامتنع به أصحاب رسول الله (ص) ، وبحمزة [(٧٠)] .

وتحدَّى عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . مشركي قريش ، فقاتلهم حتَّى صلَّى عند الكعبة [(٧١)] ، وصلَّى معه المسلمون ، وحرص عمر . رضي الله عنه . على أذية أعداء الدَّعوة بكلِّ ما يملك . ونتركه يحدِّثنا عن ذلك بنفسه . قال رضي الله عنه : كنت لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين ، فذهبت إلى خالي أبي جهل . وكان شريفاً فيهم . ففرعت عليه الباب ، فقال : مَنْ هذا ؟ قلت : ابن الخطَّاب . فخرج إليَّ ، فقلت : أعلمت أبيّ قد صبوت ؟ قال : فعلت ؟ قلت : نعم ! قال : لا تفعل ! قلت : بلى ! قال : لا تفعل ! ثمَّ دخل ، وأجاف الباب (أي : ردّه) دوني ، وتركني . قلت : ما هذا بشيء . فذهبت إلى رجلٍ من أشرف قريش ، ففرعت عليه بابه ، فقيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطَّاب ، فخرج إليَّ ، فقلت : أشعرت أبيّ صبوت ؟ قال : أفعلت ؟ قلت : نعم ! قال : لا تفعل ! ودخل ، فأجاف الباب دوني ، فقلت : ما هذا بشيء ، فقال لي رجلٌ : أتُحِبُّ أن يُعلَمَ إسلامُك ؟ قلت : نعم . قال : إذا جلس النَّاسُ في الحِجْرِ ؛ جئت إلى ذلك الرَّجل (جميل بن معمر الجمحي) فجلست إلى جانبه ، وقلت : أعلمت أبيّ صبوت ؟ فلمَّا جلس النَّاسُ في الحجر ؛ فعلت ذلك ، فقام فنادى بأعلى صوته : إنّ ابن الخطَّاب قد صبأ . وثار إليّ النَّاسُ يضربونني ، وأضربهم [(٧٢)] .

وفي رواية عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . قال : لما أسلم عمر ؛ لم تعلم قريش بإسلامه ، فقال : أيُّ أهل مكَّة أنقلُ للحديث ؟ قيل له : جميل بن معمر الجمحي . فخرج إليه ، وأنا معه ، أتبع أثره ، وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت ، وسمعت . فأتاه ، فقال : يا جميل ! إليّ قد أسلمت ، فوالله ! ما ردَّ عليه كلمة ؛ حتى قام يجُرُّ رداءه ، وتبعه عمر ، وأتبعته أبي ، حتَّى إذا قام على باب المسجد ؛ صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ! . وهم في أُنديتهم حول الكعبة . ألا إنّ عمر بن الخطَّاب قد صبأ . وعمر يقول مِنْ خلفه : كذب ، ولكنني أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله . فتأروا إليه ، فوثب عمر على عتبة بن ربيعة ، فبرك عليه ، وجعل يضربه ، وأدخل إصبعيه في عينيه ، فجعل عُتبة يصيح ، فتنحَّى النَّاسُ عنه ، فقام عمر يجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا أخذ شريفَ مَنْ دنا منه ، حتَّى أحجم النَّاسُ عنه ، واتبع المجالس التي كان يجلسها بالكفر ، فأظهر فيها الإيمان [(٧٣)] ، وما زال يقاتلهم حتَّى ركبت الشمس على رؤوسهم وفتّر عمر ، وجلس ، فقاموا على رأسه ، فقال : افعلوا ما بدا لكم ، فوالله لو كنَّا ثلاثمئة رجلٍ ؛ لتركتموها لنا ، أو تركناها لكم . فبينما

هم كذلك ؛ إذ جاء رجلٌ عليه حلَّةٌ حريرٍ ، وقميصٌ مُوشَّى ، قال : ما بالكم ؟ قالوا : ابن الخطاب قد صبا . قال : فَمَه ؟ امرؤ اختار ديناً لنفسه ، أتظنون : أن بني عديٍّ يُسلمون إليكم صاحبهم ؟! فكأثما كانوا ثوباً انكشف عنه ، فقلت له بالمدينة : يا أبت ! من الرجل ردَّ عنك القوم يومئذٍ ؟ قال : يا بني ! ذاك العاص بن وائل السَّهمي [(٧٤)] .

٥. أثر إسلامه على الدَّعوة :

قال عبد الله بن مسعودٍ - رضي الله عنه - : ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر ، ولقد رأيتنا ، وما نستطيع أن نطوف بالبيت ، ونصليّ ؛ حتّى أسلم عمر ، فلمّا أسلم ؛ قاتلهم حتّى تركونا ، فصلينا ، وطفنا [(٧٥)] . وقال أيضاً : كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمةً ، لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصليّ ، ونطوف بالبيت ؛ حتّى أسلم عمر ، فلمّا أسلم قاتلهم حتّى تركونا نصليّ [(٧٦)] ، وقال صهيب بن سنان : لما أسلم عمر بن الخطاب ، ظهر الإسلام ، ودعي إليه علانيةً ، وجلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا ممّن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به [(٧٧)] .

ولقد صدق في عمر - رضي الله عنه - قول القائل :

أعني به الفاروقَ فَرَّقَ عَنوَةً
بالسَّيفِ بَيْنَ الكُفْرِ والإيمَانِهُ أظْهَرَ الإسلامَ بَعْدَ حَقَائِهِ

وَمَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بالكِتْمَانِ [(٧٨)] ٦. تاريخ إسلامه ، وعدد المسلمين يوم أسلم :

أسلم عمر - رضي الله عنه - في ذي الحجَّة من السنَّة السَّادسة من النُّبوَّة ، وهو ابن سبعٍ وعشرين سنة [(٧٩)] ، وكان إسلامه بعد إسلام حمزة - رضي الله عنه - بثلاثة أيَّام [(٨٠)] ، وكان المسلمون يومئذٍ تسعةً وثلاثين ، قال عمر - رضي الله عنه - : لقد رأيتني وما أسلم مع رسول الله (ص) إلا تسعةً وثلاثون رجلاً ، فكَمَلتْهم أربعين ، فأظهر الله دينه ، وأعزَّ الإسلام . (وروي) : أتهم كانوا أربعين ، أو بضعة وأربعين رجلاً ، وإحدى عشرة امرأةً ، ولكنَّ عمر لم يكن يعرفهم كلَّهم ؛ لأنَّ غالب من أسلم كان يخفي إسلامه خوفاً من المشركين ، ولا سيَّما عمر ، فقد كان عليهم شديداً ، فذكر : أنه أكملهم أربعين ، ولم يذكر النِّساء ؛ لأنَّه لا إعزاز بهنَّ لضعفهنَّ [(٨١)] .

ثانياً : هجرته :

لما أراد عمر الهجرة إلى المدينة ؛ أبا إلا أن تكون علانيةً ، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - : قال لي عليُّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - : ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا متخفياً ، إلا عمر بن الخطاب ، فإنه لما همَّ بالهجرة ؛ تقلَّد سيفه ، وتكبَّ قوسه ، وانتضى في يده أسهماً ، واختصر

عزته [(٨٢)] ، ومضى قبل الكعبة ، والملا من قريشٍ بفنائها ، فطاف بالبيت سبعا متمكنا ، ثم أتى المقام ، فصلّى متمكنا ، ثم وقف على الحلق واحدة ، واحدة ، فقال لهم : شامت الوجوه ، لا يُرغم الله إلا هذه المعاطس [(٨٣)] ، من أراد أن تثكله أمه ، ويوتّم ولده ، أو ترمّل زوجته ؛ فليلقني وراء هذا الوادي ! قال عليّ . رضي الله عنه . : فما تبعه أحدٌ إلا قومٌ من المستضعفين علّمهم ، وأرشدهم ، ومضى لوجهه [(٨٤)] .

وكان قدوم عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . إلى المدينة قبل مقدم النبيّ (ص) إليها ، وكان معه من لحق به أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطّاب ، وعمرو وعبد الله ابنا سراقه بن المعتمر ، وخنيس بن حذافة السّهمي زوج ابنته حفصة ، وابن عمّه سعيد بن زيد ، وهو أحد العشرة المبشّرين بالجنّة ، وواقد بن عبد الله التّميمي ، حليف لهم ، وخولي بن أبي خولي ، ومالك بن أبي خولي ، حليفان لهم من بني عجل ، وبنو البكير ، وإياس ، وخالد ، وعامل ، وعامر ، وحلفاؤهم من بني سعد ابن ليث ، فنزلوا على رفاعه بن عبد المنذر في بني عمرو بن عوف بقباء [(٨٥)] .

يقول البراء بن عازبٍ . رضي الله عنه . : أوّل من قدم علينا مصعب بن عمير ، وابن أبي مكتوم ، وكانا يُقرئان النَّاس ، فقدم بلالٌ ، وسعدٌ ، وعمّار بن ياسر ، ثم قدم عمر بن الخطّاب في عشرين نفرا من أصحاب النبيّ (ص) ، ثمّ قدم النبيّ (ص) ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيءٍ فرحهم برسول الله (ص) [(٨٦)] .

وهكذا ظلّ عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . في خدمة دينه ، وعقيدته بالأقوال ، والأفعال ، لا يخشى في الله لومة لائم ، وكان رضي الله عنه سندا ، ومعينا لمن أراد الهجرة من مسلمي مكّة حتّى خرج ، ومعه هذا الوفد الكبير من أقاربه وحلفائه ، وساعد عمر . رضي الله عنه . غيره من أصحابه الذين يريدون الهجرة ، وخشي عليهم من الفتنة والابتلاء في أنفسهم [(٨٧)] ، ونتركه يحدّثنا بنفسه عن ذلك ، حيث قال : اتّعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا ، وعيَّاش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل السّهمي ، التّناضب [(٨٨)] ، من أضاء [(٨٩)] بني غفار فوق سرف [(٩٠)] ، وقلنا : أيّنا لم يصبح عندها ؛ فقد حُبس ، فليمض صاحباه . قال : فأصبحت أنا ، وعيَّاش بن أبي ربيعة عند التّناضب ، وحُبس عنّا هشام ، وفُتِن ، فافتتن [(٩١)] ، فلمّا قدمنا المدينة ؛ نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل ابن هشام ، والحارث بن هشام إلى عيَّاش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمّهما ، وأخوهما لأُمّهما ، حتّى قدما علينا المدينة ، ورسول الله (ص) بمكّة ، فكلّمناه ، وقالوا : إنّ أمّك نذرت أن لا

يمسّ رأسها مُشطٌ حتّى تراك ، ولا تستظلُّ من شمسٍ حتّى تراك ، فرق لها ، فقلت له : عيَّاش ! إنَّه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك ، فاحذرهم ! فوالله لو قد اذى أمك القمل ؛ لامتشطت ، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكَّة لاستظلت .

قال : أبرُّ قسم أُمي ، ولي هناك مالٌ فاخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أيّ لمن أكثر قريشٍ مالاً ، فلك نصف مالي ، ولا تذهب معهما . قال : فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما ، فلمّا أبى إلا ذلك ، قال : قلت له : أما إذا قد فعلت ما فعلت ، فخذ ناقتي هذه ، فإنّها ناقةٌ نجبيةٌ ذلولٌ [(٩٢)] ، فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب فانجُ عليها . فخرج عليها معهما ، حتّى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : يا أخي ! والله لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تُعقبني [(٩٣)] على ناقتك هذه ؟ قال : بلى ! قال : فأناخ ، وأناخ ، ليتحوّل عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه ، فأوثقاه ، ثمّ دخلا به مكَّة ، وفتناه ، فافتن [(٩٤)] .

قال : فكنا نقول : ما الله بقابلٍ ممّن افتن صرفاً ، ولا عدلاً ، ولا توبةً ، قومٌ عرفوا الله ، ثمّ رجعوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، فلمّا قدم رسول الله (ص) المدينة ؛ أنزل الله تعالى فيهم ، وفي قولنا ، وقولهم لأنفسهم : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ بَعَثَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * } [الزمر : ٥٥.٥٣] .

قال عمر بن الخطاب : فكتبتها بيدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاص . قال : فقال هشام : فلمّا أتني جعلت أقرؤها بزدي طوى [(٩٥)] ، أصعد بها فيه ، وأصوب ، ولا أفهمها حتّى قلت : اللهم فهمنيها ، قال : فألقى الله في قلبي : أنّها إنّما أنزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيري فجلست عليه ، فلحقت برسول الله ، وهو بالمدينة [(٩٦)] .

هذه الحادثة تظهر لنا كيف أعدّ عمر - رضي الله عنه - خطّة الهجرة له ، ولصاحبه عيَّاش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل السهمي ، وكان ثلاثتهم كلٌّ واحدٍ من قبيلة ، وكان مكان اللقاء الذي اتّعدوا فيه بعيداً عن مكَّة ، وخارج الحرم على طريق المدينة ، ولقد تحدّد الزّمان ، والمكان بالضبط بحيث إنّه إذا تخلّف أحدهم ؛ فليمض صاحبه ، ولا ينتظرانه ؛ لأنّه قد حبس ، وكما توقعوا ، فقد حبس هشام بن العاص - رضي الله عنه - بينما مضى عمر ، وعيَّاش بهجرتهما ، ونجحت الخطّة كاملةً ، ووصلنا المدينة سالمين [(٩٧)] إلا أنّ قريشاً صمّمت على متابعة

المهاجرين ، ولذلك أعدت خطة محكمة قام بتنفيذها أبو جهل ، والحارث ، وهما أخوا عياش من أمه ، الأمر الذي جعل عياشاً يطمئن إليهما ، وبخاصة إذا كان الأمر يتعلق بأمه ، فاختلق أبو جهل هذه الحيلة؛ لعلمه بمدى شفقة، ورحمة عياش بأمه.

والذي ظهر جلياً عندما أظهر موافقته على العودة معهما ، كما تظهر الحادثة الحسنة الأني الرفيع الذي كان يتمتع به عمر . رضي الله عنه . حيث صدقت فراسته في أمر الاختطاف [(٩٨)] ، كما يظهر المستوى العظيم من الأخوة التي بناها الإسلام ، فعمر يضحّي بنصف ماله حرصاً على سلامة أخيه ، وخوفاً عليه من أن يفتنه المشركون بعد عودته ، ولكن غلبت عياشاً عاطفته نحو أمه ، وبره بها ، ولذلك قرّر أن يمضي لمكة ، فيبرّ قسم أمه ويأتي بماله الذي هناك ، وتأبى عليه عقته أن يأخذ نصف مال أخيه عمر . رضي الله عنه . وماله قائم في مكة لم يمسه ، غير أنّ أفق عمر . رضي الله عنه . كان أبعد ، فكأنه يرى رأي العين المصير المشؤوم الذي سينزل بعياش لو عاد إلى مكة ، وحين عجز عن إقناعه أعطاه ناقته الدلول النجبية ، وحدث لعياش ما توقعه عمر من غدر المشركين [(٩٩)] .

وساد في الصّفّ المسلم : أنّ الله تعالى لا يقبل صرفاً ، ولا عدلاً من هؤلاء الذين فُتِنوا ، فافتنوا ، وتعايشوا مع المجتمع الجاهلي ، فنزل قول الله تعالى : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ } [الزمر: ٥٣] وما أن نزلت هذه الايات ؛ حتّى سارع الفاروق . رضي الله عنه . بها إلى أخويه الحميمين عياش ، وهشام ، ليجددا محاولتهما في مغادرة معسكر الكفر . أيّ سموّ عظيم عند ابن الخطّاب . رضي الله عنه ! لقد حاول مع أخيه عياش ، عرض عليه نصف ماله على ألا يغادر المدينة ، وأعطاه ناقته ليفرّ عليها ، ومع هذا كلّه ، فلم يشمت بأخيه ، ولم يتشفّ منه ؛ لأنه خالفه ، ورفض نصيحته ، وألقى برأيه خلف ظهره ، إنّما كان شعور الحبّ والوفاء لأخيه هو الذي يسيطر عليه ، فما أن نزلت الاية حتّى سارع ببعثها إلى أخويه في مكة ، وإلى كلّ المستضعفين هناك ؛ ليقوموا بمحاولات جديدة للانضمام إلى المعسكر الإسلامي [(١٠٠)] .

هذا وقد نزل عمر بالمدينة ، وأصبح وزير صدقٍ لرسول الله (ص) ، واخى النبيّ (ص) بينه وبين عويم بن ساعدة [(١٠١)] ، وقيل : بينه وبين عتبان بن مالك [(١٠٢)] ، وقيل : بينه وبين معاذ بن عفراء [(١٠٣)] . وقد علّق ابن عبد الهادي على ذلك ، وقال : لا تناقض بين الأحاديث ، ويكون رسول الله (ص) قد اخى بينه وبين كلّ أولئك في أوقات متعدّدة ، فإنّه ليس بمتنع أن يؤاخى بينه وبين كلّ أولئك في أوقات متعدّدة [(١٠٤)] .

الفصل الثَّاني

التَّربية القرآنيَّة والنَّبويَّة لعمر بن الخطَّاب رضي الله عنه

المبحث الأوَّل

حياة الفاروق مع القرآن الكريم

أوَّلاً : تصوُّره عن الله ، والكون ، والحياة ، والجنَّة ، والنَّار ، والقضاء ، والقدر :

كان المنهج التربويُّ الَّذي تربَّى عليه عمر بن الخطاب وكلُّ الصَّحابة الكرام هو القرآن الكريم ، المنزَّل من عند ربِّ العالمين ، فهو المصدر الوحيد للتلقِّي ، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقِّي ، وتفردَه ، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج ، والفكرة المركزيَّة الَّتِي يتربَّى عليها الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والجماعة المسلمة ، فكانت للآيات الكريمة الَّتِي سمعها عمر من رسول الله (ص) مباشرةً أثرها في صياغة شخصية الفاروق الإسلاميَّة ، فقد طهَّرت قلبه ، وزكَّت نفسه ، وتفاعلت معها روحه ، فتحوَّل إلى إنسانٍ جديدٍ بقيمه ، ومشاعره ، وأهدافه ، وسلوكه ، وتطلُّعاته [(١٠٥)] .

فقد عرف الفاروق من خلال القرآن الكريم مَنْ هو الإله الَّذي يجب أن يعبده ، وكان النَّبيُّ (ص) يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة ، فقد حرص (ص) أن يربِّي أصحابه على التَّصوُّر الصَّحيح عن ربِّهم وعن حقِّه عليهم ، مدركاً : أنَّ هذا التَّصوُّر سيورث التَّصديق ، واليقين عندما تصفو النفوس ، وتستقيم الفطرة ، فأصبحت نظرة الفاروق إلى الله ، والكون ، والحياة ، والجنَّة ، والنَّار ، والقضاء والقدر ، وحقيقة الإنسان ، وصراعه مع الشَّيطان مستمدةً من القرآن الكريم ، وهدى النَّبيِّ (ص) .

فالله سبحانه وتعالى منزَّه عن النقائص ، موصوفٌ بالكمالات الَّتِي لا تتناهى ، فهو سبحانه « واحدٌ لا شريك له ، ولم يتَّخذ صاحبةً ، ولا ولداً » .

وأنَّه سبحانه خالق كلِّ شيءٍ ، ومالكه ، ومدبِّره : { إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * } [الأعراف: ٥٤] .

وأنَّه تعالى مصدر كلِّ نعمةٍ في هذا الوجود ، دَقَّت ، أو عظمت ، ظهرت ، أو خفيت { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاؤُونَ * } [النحل : ٥٣] .

وأنَّ علمه محيطٌ بكلِّ شيءٍ فلا تخفى عليه خافية في الأرض ، ولا في السَّماء ولا ما يخفي الإنسان ، وما يعلن .

وأنَّه سبحانه يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته ، في كتاب لا يترك صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة ، والوقت المناسب { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * } [ق : ١٨] .

وأنَّه سبحانه يتبلي عباده بأمور تخالف ما يحبُّون ، وما يهونون ؛ ليعرِّف الناس معادتهم ، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره ، ويسلِّم له ظاهراً وباطناً ، فيكون جديراً بالخلافة ، والإمامة ، والسِّيادة ، ومن منهم يغضب ، ويسخط ، فلا يساوي شيئاً ، ولا يسند إليه شيء { الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ * } [الملك : ٢] .

وأنَّه سبحانه يوفِّق ، ويؤيِّد ، وينصر من لجأ إليه ، ولاذ بحماه ، ونزل على حكمه في كلِّ ما يأتي ، وما يذر : { إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * } [الأعراف : ١٩٦] .
وأنَّه سبحانه وتعالى حقه على العباد أن يعبدوه ، ويوحِّدوه ، فلا يشركوا به شيئاً { بَلِ اللَّهُ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ * } [الزمر : ٦٦] .

وأنَّه سبحانه حدَّد مضمون هذه العبودية ، وهذا التَّوحيد في القرآن الكريم [١٠٦] .
وأما نظرتَه للكون ؛ فقد استمدَّها من قول الله تعالى : { قُلْ أَأَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * } [فصلت : ٩ - ١٢] .

وأما هذه الحياة مهما طالت ؛ فهي إلى زوالٍ ، وأنَّ متاعها مهما عظم ، فإنَّه قليلٌ حقيرٌ ؛ قال تعالى : { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاحْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * } [يونس : ٢٤] .

وأما نظرته إلى الجنة ؛ فقد استمدّها من خلال الايات الكريمة التي وصفتها ، فأصبح حاله مَن قال الله تعالى فيهم : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * } [السجدة : ١٦ ، ١٧] .

وأما تصوُّره للنار فقد استمدّه من القرآن الكريم ، فأصبح هذا التصوُّر رادعاً في حياته عن أيِّ انحرافٍ عن شريعة الله ، فيرى المتتبع لسيرة الفاروق عمق استيعابه لفقهِ القُدوم على الله عزَّ وجلَّ ، وشدَّة خوفه من عذاب الله ، وعقابه ، فقد خرج . رضي الله عنه . ذات ليلةٍ في خلافته يعسُّ بالمدينة ، فمرَّ بدار رجلٍ من المسلمين ، فوافقه قائماً يصلي ، فوقف يسمع قراءته ، فقرأ : { وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّفْهِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * } [الطور : ١ - ٦] إلى أن بلغ { إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ * } [الطور : ٧] .

قال : قسمٌ وربِّ الكعبة حقٌّ ! فنزل عن حماره فاستند إلى حائط فمكث ملياً ، ثمَّ رجع إلى منزله ، فمرض شهراً يعودُه النَّاس لا يدرون ما مرضه [١٠٧] .

وأما مفهوم القضاء والقدر ؛ فقد استمدّه من كتاب الله وتعليم رسول الله (ص) له ، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه ، واستوعب مراتبه من كتاب الله تعالى ، فكان على يقينٍ بأنَّ علم الله محيطٌ بكلِّ شيءٍ { وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * } [يونس : ٦١] وأنَّ الله قد كتب كلَّ شيءٍ كائنٍ { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ * } [يس : ١٢] . وأنَّ مشيئة الله نافذةٌ ، وقدرته تامَّةٌ { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا * } [فاطر : ٤٤] وأنَّ الله خالقٌ لكلِّ شيءٍ { ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * } [الأنعام : ١٠٢] .

وقد ترتب على الفهم الصَّحيح ، والاعتقاد الرَّاسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر ثمارٌ نافعةٌ ، ومفيدةٌ ، ظهرت في حياته ، وسراها بإذن الله تعالى في هذا الكتاب ، وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه ، وبني الإنسان ، وأنَّ حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين : الأصل البعيد ، وهو الحلقة الأولى من طين ، حين سوَّاه ، ونفخ فيه الرُّوح ، والأصل القريب ، وهو خلقه من نطفةٍ [١٠٨] ، فقال تعالى : { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * }

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * [السجدة: ٧] . [٩] .

وعرف : أنَّ هذا الإنسان خلقه بيده ، وأكرمه بالصُّورة الحسنة ، والقامة المعتدلة ، ومنحه العقل ، والنُّطق ، والتَّمييز ، وسخر الله له ما في السَّماء ، والأرض ، وفضَّله الله على كثيرٍ من خلقه ، وكرَّمه بإرساله الرُّسل له ، وأنَّ من أروع مظاهر تكريم المولى عزَّ وجلَّ سبحانه للإنسان أن جعله أهلاً لحبِّه ، ورضاه ، ويكون ذلك باتِّباع النَّبيِّ (ص) الَّذي دعا النَّاسَ إلى الإسلام ؛ لكي يحيوا حياةً طيِّبةً في الدُّنيا ، ويظفروا بالنَّعيم المقيم في الآخرة ، قال تعالى : { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * } [النحل: ٩٧] .

وعرف عمر . رضي الله عنه . حقيقة الصِّراع بين الإنسان والشَّيطان ، وأنَّ هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، يوسوس له بالمعصية ، ويستثير فيه كوامن الشَّهوات ، فكان مستعيناً بالله على عدوِّه إبليس ، وانتصر عليه في حياته ، كما سترى في سيرته ، وتعلم من قصَّة ادم مع الشَّيطان في القرآن الكريم : أنَّ ادم هو أصل البشر ، وجوهر الإسلام الطَّاعة المطلقة لله ، وأنَّ الإنسان له قابليَّة للوقوع في الخطيئة . وتعلم من خطيئة ادم ضرورة توكل المسلم على ربِّه ، وأهميَّة التَّوبة ، والاستغفار في حياة المؤمن ، وضرورة الاحتراز من الحسد ، والكبر ، وأهميَّة التَّخاطب بأحسن الكلام ، مع الصحابة لقول الله تعالى : { وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا * } [الإسراء : ٥٣] . وسار على منهج رسول الله في تزكية أصحابه لأرواحهم ، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات ، وتربيتهم على التخلُّق بأخلاق القرآن الكريم .

لقد أكرم المولى . عزَّ وجلَّ . عمر بن الخطَّاب بالإسلام ؛ الَّذي قدَّم له عقيدةً صحيحةً ، صافيةً ، خلفت عقيدته الأولى ، وقضت في نفسه عليها ، فانهارت أركان الوثنيَّة ، فلا زلفى لوثنٍ ، ولا بنات لله ، ولا صهر بين الجنِّ والله ، ولا كهانة تحدِّد للمجتمع مساره ، وتقذف به في تيه التَّشاؤم والطَّيرة ، ولا عدم بعد الموت [(١٠٩)] . انتهى ذلك كلُّه ، وخلفته عقيدة الإيمان بالله وحده مصفَّاةً من الشِّرك ، والولد ، والكهانة ، والعدم بعد الحياة الدُّنيا ليحلَّ الإيمان باخرةً ينتهي إليها عمل الإنسان في تقويم مجزئٍ عليه . انتهى عبث الجاهليَّة في حياة بلا بعثٍ ، ولا مسؤوليَّة أمام الدِّيان ، وخلفتها عقيدة الإيمان باليوم الآخر ومسؤوليَّة الجزاء ، وانصهر عمر

بكلّيته في هذا الدّين ، وأصبح الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما ، وعبد الله وحده في إحسانٍ كما يراه [(١١٠)] ، وتربّي عمر على القرآن الكريم مع توفيقٍ من الله تعالى له في العيش مع القرآن الكريم ؛ الذي أثر في عقله ، وقلبه ، ونفسه ، وروحه ، وانعكست ثمار تلك المعيشة على جوارحه ، وكان سبب ذلك . بعد توفيق الله له . تتلمذه على يدي رسول الله (ص) [(١١١)] .

ثانياً : موافقات عمر للقران الكريم ، وإمامه بأسباب النّزول ، وتفسيره لبعض الايات :

١. موافقات عمر للقران الكريم :

كان عمر من أكثر الصّحابة شجاعةً ، وجرأةً ، فكثيراً ما كان يسأل الرسول (ص) عن التّصرّفات التي لم يدرك حكمها ، كما كان رضي الله عنه يبدي رأيه ، واجتهاده بكلّ صدقٍ ، ووضوحٍ ، ومن شدّة فهمه ، واستيعابه لمقاصد القرآن الكريم نزل القرآن الكريم موافقاً لرأيه . رضي الله عنه . في بعض المواقف ، قال عمر رضي الله عنه : وافقت الله تعالى في ثلاثٍ ، أو وافقني ربي في ثلاثٍ ؛ قلت : يا رسول الله ! لو اتّخذت مقامَ إبراهيم مُصلّىً ، وقلت : يا رسول الله يدخل عليك البرّ ، والفاجر ، فلو أمرت أمّهات المؤمنين بالحجاب ، فأنزل الله تعالى اية الحجاب ، قال : وبلغني معاتبه النّبّيّ (ص) بعض نساءه ، فدخلت عليهنّ ، قلت : إن انتهيتنّ ، أو لبيدلنّ الله رسوله (ص) خيراً منكّنّ ، حتّى أتيتُ إحدى نساءه قالت : يا عمر ! أما في رسول الله (ص) ما يعظ نساءه ، حتّى تعظهنّ أنت؟! فأنزل الله :

٢. موافقته في ترك الصّلاة على المنافقين :

قال عمر : لما توفي عبد الله بن أبيّ ؛ دُعي رسول الله (ص) للصّلاة عليه ، فقام إليه ، فلمّا وقف عليه يريد الصّلاة ؛ تحوّلت حتّى قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله ! أعلى عدوّ الله عبد الله بن أبيّ القائل يوم كذا وكذا : كذا وكذا . يعدّ أيّامه . قال : ورسول الله (ص) يتبسّم ، حتّى إذا أكثرت عليه ، قال : « أحرّ عني يا عمر ! إني خيرت ، فاحترت ، قد قيل لي : { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } [التوبة: ٨٠] لو أعلم أنّي إن زدت على السّبعين ؛ غفر له ؛ لزدتُ » . قال : ثمّ صلّى عليه ، ومشى معه ، فقام على قبره حتّى فرغ منه . قال : فعجب لي ، وجرأتني على رسول الله (ص) ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيراً حتّى نزلت هاتان الايتان : { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } [التوبة: ٨٠] لو أعلم أنّي إن زدت على السّبعين ؛ غفر له ؛ لزدتُ » . قال : ثمّ صلّى عليه ، ومشى معه ، فقام على قبره حتّى فرغ منه . قال : فعجب لي ، وجرأتني على رسول الله (ص) ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا

يسيراً حَتَّى نزلت هاتان الايتان : { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } [التوبة: ٨٤] إلى

آخر الاية، فما صلَّى رسول الله (ص) بعده على منافقٍ، ولا قام على قبره حَتَّى قبضه الله عزَّ وجل [١١٢].

٣. موافقته في أسرى بدر :

قال عمر رضي الله عنه : ... فلَمَّا كان يومئذٍ فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسر منهم سبعون رجلاً ، فاستشار رسول الله أبا بكرٍ ، وعليّاً ، وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبيَّ الله ! هؤلاء بنو العمِّ ، والعشيرة ، والإخوان ، فإِنِّي أرى أن تأخذ منهم الفداء ، فيكون ما أخذنا منهم قوَّةً لنا على الكفَّار ، وعسى الله أن يهديهم ، فيكونوا لنا عضداً ! فقال رسول الله (ص) : ما ترى يا بن الخطاب ؟! فقال : قلت : والله ما أرى رأي أبي بكر ! ولكيَّ أرى أن تمكِّني من فلانٍ - قريبٍ لعمر - فأضرب عنقه ، وتمكِّن عليّاً من عقيلٍ [١١٣] ، فيضرب عنقه ، وتمكِّن حمزة من فلانٍ أخيه فيضرب عنقه ، حَتَّى يعلم الله : أنَّهُ ليس في قلوبنا هودةٌ للمشركين ، هؤلاء صنائدهم ، وأئمتهم ، وقادتهم . فهوي رسول الله (ص) ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء .

فلَمَّا كان من الغد ؛ قال عمر : غدوت إلى النبيِّ (ص) فإذا هو قاعدٌ ، وأبو بكرٍ ، وإذا هما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ! أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاءً ؛ بكيت ، وإن لم أجد بكاءً ؛ تباكيت لبكائكما ! قال : قال النبيُّ (ص) : «الذي عَرَضَ عليَّ أصحابك من الفداء ، ولقد عَرَضَ عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» . لشجرةٍ قريبة . وأنزل الله تعالى : { مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ } [الأنفال: ٦٧] إلى قوله : { لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ } [الأنفال: ٦٨] من الفداء .

ثم أحلَّ لهم الغنائم فلَمَّا كان يوم أحد من العام المقبل ؛ عوقبوا بما صنعوا يوم بدرٍ من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون ، وفرَّ أصحاب النبيِّ (ص) عن النبيِّ (ص) ، وكُسِرَت رباعيته ، [١١٤] وهشمت البيضة [١١٥] على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، فأنزل الله تعالى : إلى { أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ } : { اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [آل عمران : ١٦٥] بأخذكم الفداء [١١٦] .

٤. موافقته في الاستئذان :

أرسل النبيُّ (ص) غلاماً من الأنصار إلى عمر بن الخطاب ، وقت الظَّهيرة ؛ ليدعوه ، فدخل

عليه ، وكان نائماً ، وقد انكشف بعض جسده ، فقال : اللَّهُمَّ حَرِّمِ الدُّخُولَ عَلَيْنَا فِي وَقْتِ نَوْمِنَا !
وفي (رواية) قال : يا رسول الله ! وددت لو أَنَّ الله أمرنا ، ونهانا في حال الاستئذان [(١١٧)] ...
فنزلت [(١١٨)] { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَصْعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهيرةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ } [النور:
. [٥٨]

٥. عمر ودعاؤه في تحريم الخمر :

قال عمر : لما نزل تحريم الخمر ؛ قال : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخمر بياناً شفاءً ! فنزلت هذه الآية التي في
البقرة : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخمرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ } [البقرة: ٢١٩] قال : فدعي عمر ، فقرئت
عليه فقال : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخمر بياناً شفاءً ! فنزلت الآية التي في النساء : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا
تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى } [النساء: ٤٣] فكان منادي رسول الله (ص) إذا أقام الصَّلَاةَ نادى أن
لا يقربن الصَّلَاةَ سكران ، فدعي عمر ، فقرئت عليه ، فقال : اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخمر بياناً شفاءً !
فنزلت الآية التي في المائدة ، فدعي عمر ، فقرئت عليه ، فلما بلغ { فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * } [المائدة:
٩١] قال عمر : انتهينا ، انتهينا [(١١٩)] !

وهكذا خضع تحريم الخمر لسنة التدريج ، وفي قوله : فهم عمر من الاستفهام الاستنكاري بأن المراد به
{ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * } ، لأن هذا الاستفهام أقوى وأقطع في التحريم من النهي العادي ، فقط ألفاظ
الاية وتركيبها وصياغتها تهديد رهيب واضح كالشمس في التحريم [(١٢٠)] .

٦. إمامه بأسباب النزول :

حفظ عمر القرآن كله [(١٢١)] في الفترة التي بدأت بإسلامه ، وانتهت بوفاة الرسول (ص) وقد حفظه
مع أسباب التنزيل إلا ما سبق نزوله قبل إسلامه ، فذلك مما جمعه جملةً ، ولا مبالغة إذا قلنا : إنَّ عمر
كان على علمٍ بكثير من أسباب التنزيل ، لشدة اتِّصاله بالتلقي عن رسول الله (ص) ، ثمَّ هو قد حفظ
منه ما فاته ، فإنَّ يلمَّ بأسباب النزول والقرآن بِكُرِّ التنزيل، والحوادث لا تزال تترى ؛ فذلك أمرٌ
يسيرٌ [(١٢٢)] .

وقد كان عمر سبباً في التنزيل لأكثر من اية ، بعضها متفقٌ على مكِّيته ، وبعضها مدنيٌّ ، بل كان
بعض الايات يحظى من عمر بمعرفة زمانه ، ومكانه على وجهٍ دقيق ، قال عن الآية الكريمة { الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا } [المائدة: ٣] : والله إِيَّيَّ لأعلم

اليوم الذي نزلت على رسول الله ، والسَّاعَةُ الَّتِي نزلت فيها على رسول الله عشية عرفة في يوم الجمعة [(١٢٣)] .

وقد كان عمر . وحده ، أو مع غيره . سبباً مباشراً في تنزيل بعض الايات ، منها قول الله تعالى : { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ... عِنْدَهُ أَجْرًا عَظِيمًا* } [التوبة: ١٩ . ٢٢] .

وفي الصَّحِيح : أَنَّ رجلاً قال : لا أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال عليُّ بن أبي طالبٍ: الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله . فقال عمر بن الخطاب : لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله . ولكن إذا قُضِيَت الصَّلَاةُ ؛ سألته عن ذلك ، فسأله ، فأنزل الله هذه الاية ، فبيّن لهم : أَنَّ الإيمان ، والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام ، والحجّ ، والعمرة ، والطَّواف ، ومن الإحسان إلى الحجاج ، بالسَّقَايَةِ . ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه : لأن أربط ليلةً في سبيل الله أحبُّ إليَّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود [(١٢٤)] .

٧. سؤاله لرسول الله (ص) عن بعض الايات :

كان عمر . رضي الله عنه . يسأل رسول الله (ص) عن بعض الايات ، وأحياناً أخرى يسمع صحابياً يستفسر من رسول الله (ص) عن بعض الايات ، فيحفظها ، ويعلمها لمن أراد من طلاب العلم ، فعن يعلى بن أمية ، قال : سألت عمر بن الخطاب ، قلت : { فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا } [النساء: ١٠١] ، وقد امن الله النَّاسُ؟ [(١٢٥)] فقال لي عمر: عجبْتُ ممَّا عجبْت منه، فسألت رسول الله (ص) عن ذلك ، فقال : « صدقةٌ تصدَّق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته » [(١٢٦)] .

وقد سُئِلَ عمر بن الخطاب عن هذه الاية : { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } [الأعراف: ١٧٢] ، فقال عمر : سمعت رسول الله (ص) سُئِلَ عنها ، فقال رسول الله (ص) : « إِنَّ

الله خلق ادم ، ثم مسح ظهره بيمينه ، واستخرج منه ذريرةً ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة ، وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريرةً ، فقال : خلقت هؤلاء للنار ، وبعمل أهل النار يعملون » . فقال رجل : يا رسول الله ! فقيم العمل ؟ فقال رسول الله (ص) : « إِنَّ الله - عزَّ وجلَّ - إذا خلق العبد للجنة ؛ استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل الجنة ، فيدخله به الجنة ، وإذا خلق العبد للنار ؛ استعمله بعمل أهل النار ؛ حتى يموت على عملٍ من أعمال أهل النار ، فيدخله به النار » [(١٢٧)] .

ولما نزل قول الله تعالى : { سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * } [القمر: ٤٥] قال عمر : أي جمع يهزم ؟ أي جمع يغلب ؟ قال عمر : فلمّا كان يوم بدر رأيت رسول الله (ص) يثبت في الدرع ، وهو يقول : فعرفت تأويلها يومئذٍ

٨ . تفسير عمر لبعض الايات ، وبعض تعليقاته :

كان عمر يتحرّج في تفسير القران برأيه ولذلك لما سئل عن قوله تعالى : { وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا * } [الذاريات: ١] قال : هي الرياح ، ولولا أنّي سمعت رسول الله (ص) يقوله ؛ ما قلته ، قيل : { فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * } [الذاريات: ٢] . قال : السحاب ، ولولا أنّي سمعت رسول الله (ص) يقوله ؛ ما قلته ، قيل : { فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * } [الذاريات: ٣] ؟ قال : السفن ، ولولا أنّي سمعت رسول الله (ص) يقوله ؛ ما قلته ، قيل : { فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا * } [الذاريات: ٤] ؟ قال : هي الملائكة ، ولولا أنّي سمعت رسول الله (ص) يقوله ، ما قلته [١٢٨] .

وكان رضي الله عنه له منهج في تفسيره للآيات ، فإنّه رضي الله عنه إذا وجد لرسول الله (ص) تفسيراً ؛ أخذ به ، وكان هو الأفضل مثل ما مرّ معنا من تفسيره ، وإذا لم يجد طلبه في مظانّه عند بعض الصحابة مثل : ابن عباس ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ ، وغيرهم . رضي الله عنهم . وهذا مثال على ذلك ؛ فقد قال عمر . رضي الله عنه . يوماً لأصحاب النبيّ (ص) : فيم ترون هذه الآية نزلت : { أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * } [البقرة: ٢٦٦] . قالوا : الله أعلم ! فغضب عمر ، فقال : قولوا : نعم ، أولاً . فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ! قال عمر : يا ابن أخي ! قل ، ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعملٍ . قال عمر : أي عملٍ ؟ قال ابن عباس : لعملٍ . قال عمر : لرجلٍ غنيٍّ يعمل بطاعة الله

عزّ وجل ، ثمّ بعث الله له الشيطان ، فعمل بالمعاصي حتّى أغرق أعماله [١٢٩] . وفي رواية : قال ابن عباس : عنى بما العمل ، إنّ ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنّته ؛ إذا كبر سنّه ، وكثر عياله ، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم يبعث ، فقال عمر : صدقت يا ابن أخي [١٣٠] !

وكانت له بعض التعليقات على بعض الايات مثل قوله تعالى : { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * } [البقرة: ١٥٦] .

[١٥٧] فقال : نِعَمَ العَدْلَانِ ، ونِعَمَ العَلَاوَةِ [١٣١] ! ويقصد بالعدلين : الصَّلَاةَ والرَّحْمَةَ ، والعَلَاوَةَ : الِاهْتِدَاءَ [١٣٢] .

وسمع القارىء يتلو قول الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * } [الإنفطار: ٦] فقال عمر : الجهل [١٣٣] . وفسر قول الله تعالى : { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * } [التكوير: ٧] بقوله : الفاجر مع الفاجر ، والطَّالِحُ مع الطَّالِحِ [١٣٤] ، وفسر قول الله تعالى : { إِلَى اللَّهِ تَوْبَةٌ نَصُوحًا } [التحریم: ٨] ، بقوله : أن يتوب ، ثم لا يعود ، فهذه التَّوْبَةُ الواجبة التَّامَّةُ [١٣٥] .

وذات يوم مرَّ بدير راهبٍ ، فناداه : يا راهب ! فأشرف الرَّاهِبُ . فجعل عمر ينظر إليه ، ويكي . فقيل له : يا أمير المؤمنين ! ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرت قول الله عز وجل في كتابه : { عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * } [الغاشية: ٣ ، ٤] فذاك الَّذِي أبكاني [١٣٦] . وفسر الجبت بالسَّحَرِ ، والطاغوت بالشَّيْطَانِ في قوله تعالى : { يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ } [النساء: ٥١] [١٣٧] .

المبحث الثاني

ملازمته لرسول الله (ص)

كان عمر - رضي الله عنه - واحداً من المكيين الذين قرؤوا وكتبوا في مجتمعهم الأمي ، وهذا دليل على شغفه بالعلم منذ صغره ، وسعيه ليكون واحداً من القلة القليلة ، الذين محوا أميتهم ، وهذبوا أنفسهم ، وتبوؤوا مكانة مرموقة في عصر الرسالة ، لمجموعة مقومات ، لعلَّ منها إمامه بالقراءة والكتابة وهو حدثٌ له قيمته انذاك ، وقد تلقى عمر دروسه الأولى ، وتعلَّم القراءة والكتابة على يدي حرب بن أمية والد أبي سفيان [١٣٨] ، وقد أهلتته هذه الميزة لأن يتقف نفسه بثقافة القوم انذاك ، وإن كنا نجزم أنَّ الرَّافِدَ القويَّ الَّذِي أثار في شخصية عمر ، وصقل مواهبه ، وفجَّر طاقاته ، وهذب نفسه هو مصاحبته لرسول الله (ص) وتلمذه على يديه في مدرسة النبوة ، ذلك : أنَّ عمر لازم الرسول (ص) في مكة بعد إسلامه كما لازمه كذلك في المدينة المنورة - حيث سكن العوالي - وهي ضاحية في ضواحي المدينة ، وإن كانت قد انصلت بها الان وأصبحت ملاصقة لمسجد الرسول (ص) ، حيث امتد العمران ، وتوسَّعت المدينة ، وزحفت على الضواحي ، في هذه الضاحية نظَّم عمر نفسه ، وحرص على التلمذة في حلقات

مدرسة النبوة في فروع شتى من المعارف ، والعلوم على يدي معلّم البشريّة ، وهاديها ، والذي أدبه ربّه ، فأحسن تأديبه ، وقد كان لا يفوته علمٌ من قران ، أو حديثٍ ، أو أمرٍ ، أو حدث ، أو توجيهٍ ، قال عمر : كنت أنا ، وجارّ لي من الأنصار من بني أميّة بن يزيد . وهي من عوالي المدينة . وكنا نتناوب النزول على رسول الله (ص) ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلتُ ؛ جئت بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل ؛ فعل مثل ذلك [(١٣٩)] .

وهذا الخبر يوقفنا على الينبوع المتدفّق ؛ الذي استمدّ منه عمر علمه ، وتربيته ، وثقافته ، وهو كتاب الله الحكيم ؛ الذي كان ينزل على رسول الله (ص) منجّماً على حسب الوقائع ، والأحداث ، وكان الرسول يقرؤه على أصحابه ، الذين وقفوا على معانيه ، وتعمّقوا في فهمه ، وتأثّروا بمبادئه ، وكان له عميق الأثر في نفوسهم ، وعقولهم ، وقلوبهم ، وأرواحهم ، وكان عمر واحداً من هؤلاء الذين تأثّروا بالمنهج القرآنيّ في التّربية ، والتّعليم ، وعلى كلّ دارس لتاريخ عمر ، وحياته أن يقف وقفةً متأمّلةً أمام هذا الفيض الرّبانيّ الصّافي ، الذي غدّى المواهب ، وفجّر العبقريات ، ونمّى ثقافة القوم ، ونعني به : القران الكريم ، وقد حرص عمر

منذ أسلم على حفظ القران ، وفهمه ، وتأمله ، وظلّ ملازماً للرّسول (ص) يتلقّى عنه ما أنزل عليه ؛ حتّى تمّ له حفظ جميع آياته ، وسوره ؛ وقد أقرّاه الرّسول (ص) بعضه ، وحرص على الرّواية التي أقرّاه بها الرّسول [(١٤٠)] .

وكان لعمر أحياناً شرف السّبق إلى سماع بعض آياته فور نزوله ، كما عُني بمراجعة محفوظه منه [(١٤١)] ، فقد تربّى عمر - رضي الله عنه - على المنهج القرآنيّ ، وكان المرّيّ له (ص) . وكانت نقطة البدء في تربية عمر هي لقاءه برسول الله (ص) ، فحدث له تحوّلٌ غريبٌ واهتداءٌ مفاجيء بمجرّد اتّصاله بالنبيّ (ص) ، فخرج من دائرة الظّلام إلى دائرة النور ، واكتسب الإيمان ، وطرح الكفر ، وقوي على تحمّل الشّدائد والمصائب في سبيل دينه الجديد ، وعقيدته السّميحة ، كانت شخصية رسول الله (ص) المحرّك الأوّل للإسلام ، وشخصيته (ص) تملك قوى الجذب والتأثير على الآخرين ، فقد صنعه الله على عينه ، وجعله ، أكمل صورةٍ لبشرٍ في تاريخ الأرض ، والعظمة دائماً تحبُّ ، وتحاط من النّاس بالإعجاب ، ويلتفتُ حولها المعجبون ، يلتصقون بها التصاقاً بدافع الإعجاب والحبِّ ، ولكنّ رسول الله (ص) يضيف إلى عظّمته تلك : أنّه رسول الله ، متلقّي الوحي من الله ، ومبلّغه إلى النّاس ، وذلك بُعدٌ آخر ، له أثره في تكييف مشاعر ذلك المؤمن تجاهه ، فهو لا يحبّه لذاته فقط ، كما يُحبُّ العظماء من النّاس ، ولكن

أيضاً لتلك النفحة الربانية ؛ التي تشمله من عند الله ، فهو معه في حضرة الوحي الإلهي المكرم ، ومن ثم يلتقي في شخص الرسول (ص) البشر العظيم ، والرسول العظيم ، ثم يصبحان شيئاً واحداً في النهاية ، غير متميز البداية ، ولا النهاية . حب عميق شامل للرسول البشر ، أو للبشر الرسول ، ويرتبط حب الله بحب رسوله ، ويمتزجان في نفسه ، فيصبحان في مشاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلها ، ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك .

كان هذا الحب ، الذي حرّك الرّعيّل الأوّل من الصّحابة هو مفتاح التّربية الإسلاميّة ونقطة ارتكازها ، ومنطلقها الذي تنطلق منه [(١٤٢)] ، لقد حصل للصّحابة بركة صحبتهم لرسول الله (ص) وتربيتهم على يديه أحوال إيمانية عالية ، يقول سيّد قطب . رحمه الله . عن تلك التّركية : إنّها لتزكية ، وإنّه لتطهير ذلك الذي كان يأخذهم به الرسول (ص) ، تطهير للضمير ، والشّعور ، وتطهير للعمل ، والسلوك ، وتطهير للحياة الزوجية ، وتطهير للحياة الاجتماعية ، وتطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التّوحيد ، ومن التّصوّرات الباطلة إلى الاعتقاد الصّحيح ، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح ، وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية

إلى نظافة الخلق الإيماني ، ومن دنس الرّبا ، والشّحت إلى طهارة الكسب الحلال ، إنّها تزكية شاملة للفرد ، والجماعة ، والحياة السّريّة ، والحياة الواقع ، تزكية ترتفع بالإنسان ، وتصوّراته عن الحياة كلها ، وعن نفسه ، ونشأته إلى افاق النّور التي يتّصل فيها برّبّه ، ويتعامل مع الملائ الأعلى [(١٤٣)] .

لقد تتلمذ عمر . رضي الله عنه . على يدي رسول الله ، فتعلّم منه القرآن الكريم ، والسّنة النبويّة ، وتزكية النفوس ، قال تعالى : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * } [آل عمران : ١٦٤] .

وحرص على التّبخر في الهدى النبوي الكريم في غزواته ، وسلمه ، وأصبح لعمر . رضي الله عنه . علم واسع ، ومعرفة غزيرة بالسّنة النبويّة المطهّرة ، التي أثرت في شخصية عمر ، وفقهه ، ولازم رسول الله (ص) ، واستمع من رسول الله ، وتلقّى عنه ، وكان إذا جلس في مجلس النّبوة لم يترك المجلس حتّى ينفض ، كما كان حريصاً على أن يسأل الرسول (ص) على كل ما تجيش به نفسه ، أو يشغل خاطره [(١٤٤)] ، لقد استمدّ من رسول الله علماً وتربيةً ، ومعرفةً بمقاصد هذا الدّين العظيم ، وخصّه رسول الله (ص) برعايته ، وشمله بتسديده ، ولقد شهد له رسول الله (ص) بالعلم ، فقد قال (ص) : «

بيناً أنا نائمٌ أتيت بقدح لبنٍ ، فشربت حتىّ لأرى الريّ يخرج في أظفاري ، ثمّ أعطيت فضلي عمر بن الخطّاب .

قالوا : فما أوّلته يا رسول الله ؟ قال : « العلم » [(١٤٥)] .

قال ابن حجر : والمراد بالعلم هنا العلم بسياسة النّاس بكتاب الله ، وسنة رسول الله (ص) [(١٤٦)] . وهذه المعرفة لا يمكن تأييدها إلا لمن كان راسخ القدم في التزوّد بما يعينه على فهم كتاب الله ، وسنة نبيه ، وسبيله في ذلك : التعمّق في فهم اللّغة ، وادابها ، والتمرّس في معرفة أساليبها ، والتزوّد في كلّ ما يساعد على فهمها من معارف ، وخبرات ، وكذلك كان عمر . رضي الله عنه [(١٤٧)] . ولقد جمع بين رسول الله (ص) وبين عمر حبّ شديداً ، والحبّ عاملاً هاماً في تهيئة

مناخٍ علميٍّ ممتازٍ بين المعلم وبين تلميذه ، يأتي بخير النتائج العلميّة ، والثّقافيّة ، لما له من عطاءٍ متجدّد ، وعمر قد أحبّ رسول الله (ص) حبّاً جمّاً ، وتعلّق فؤاده به ، وقدم نفسه فداءً له ، وتضحياً في سبيل نشر دعوته ، فقد جاء في الحديث : أن رسول الله (ص) قال : « لا يؤمن أحدكم حتىّ أكون أحبّ إليه من والده ، وولده ، والناس أجمعين » [(١٤٨)] . فقال له عمر : يا رسول الله ! لأنت أحبّ إليّ من كلّ شيءٍ إلا من نفسي ! فقال (ص) : « لا والذي نفسي بيده ، حتىّ أكون أحبّ إليك من نفسك » فقال له عمر : فإنّه الآن ، والله لأنت أحبّ إليّ من نفسي ! فقال النبيّ (ص) : « الآن ياعمر ! » [(١٤٩)] .

واستأذن عمر يوماً إلى عمرةٍ ، فقال له (ص) : « لا تنسنا يا أخي في دعائك » [(١٥٠)] ! . فقال عمر : ما أحبّ أن لي بها ما طلعت عليه الشمس لقوله : يا أخي [(١٥١)] !

وهذا الحبّ السّاميّ الشّريف هو الذي جعل عمر يلازم الرّسول (ص) في جميع غزواته ، وقد أمده ذلك بخبرة ، ودربة ، ودراية بشؤون الحرب ، ومعرفة بطبائع النفوس وغرائزها ، كما أنّ ملازمته للرّسول (ص) وكثرة تحدّثه معه قد طبعه على البلاغة ، والبيان ، والفصاحة ، وطلاقة اللّسان ، والتّفنّن في أوجه القول [(١٥٢)] . وفي النّقاط القادمة سنبين بإذن الله تعالى مواقفهم في الميادين الجهاديّة مع رسول الله ، وبعض الصّور من حياته الاجتماعيّة بالمدينة في حياة النبيّ (ص) .

أولاً : عمر . رضي الله عنه . في ميادين الجهاد مع رسول الله (ص) :

اتفق العلماء على أنّ عمر . رضي الله عنه . شهد بدرًا ، وأحدًا ، والمشاهد كلّها مع رسول الله (ص) ، ولم يغب عن غزوة غزاها رسول الله [(١٥٣)] .

١ - غزوة بدر :

شارك عمر رضي الله عنه في غزوة بدر ، وعندما استشار رسول الله (ص) أصحابه قبل المعركة ؛ تكلم أبو بكر - رضي الله عنه - أوّل مَنْ تكلم ، فأحسن الكلام ، ودعا إلى قتال الكافرين ، ثمّ الفاروق عمر - رضي الله عنه - فأحسن الكلام ، ودعا إلى قتال الكافرين [(١٥٤)] ، وكان أول من استشهد من المسلمين يوم بدر مهجع [(١٥٥)] مولى عمر - رضي الله عنه [(١٥٦)] . وقتل عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - خاله العاص بن هشام [(١٥٧)] ضارباً بالقرابة عرض الحائط أمام رابطة العقيدة ، بل كان يفخر بذلك تأكيداً لهذه الفكرة ، وبعد انتهاء المعركة أشار بقتل أسارى المشركين ، وفي تلك الحادثة دروسٌ ، وعبرٌ عظيمةٌ [(١٥٨)] ، وعندما وقع العباس عمّ النبيّ (ص) في الأسر حرص عمر على هدايته ، وقال له : يا عباس أسلم ! فوالله لئن تسلم أحبُّ إليّ من أن يسلم الخطّاب ، وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله يعجبه إسلامك [(١٥٩)] ، وكان من بين الأسرى خطيب قريش سهيل بن عمرو ، فقال لرسول الله (ص) : يا رسول الله ! دعني أنتزع ثنيتي سهيل بن عمرو ، فيدلع لسانه ، فلا يقوم عليك خطيباً في موطنٍ أبداً ! فقال رسول الله (ص) : « لا أمثّل به ، فيمثل الله بي ، وإن كنت نبياً ، وإن عسى أن يقوم مقاماً لا تدمّه » [(١٦٠)] .

وهذا ما حدث فعلاً بعد وفاة رسول الله (ص) ؛ إذ همّ عددٌ من أهل مكّة بالرجوع عن الإسلام ؛ حتّى خافهم والي مكّة عتاب بن أسيد ، فتواري ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثمّ ذكر وفاة النبيّ ، وقال : إنّ ذلك لم يزد الإسلام إلا قوّة ، فمَنْ رابنا ؛ ضربنا عنقه ! فتراجع النّاس عن رأيهم [(١٦١)] . وحدثنا عمر عن حديثٍ سمعه من رسول الله (ص) عندما خاطب مشركي مكّة الذين قتلوا ببدرٍ ، فعن أنسٍ قال : كنّا مع عمر بين مكّة والمدينة ، فتراءينا الهلال ، وكنت حديد البصر ، فرأيتّه ، فجعلت أقول لعمر : أما تراه ؟ قال : سأراه وأنا مستلقٍ على فراشي ، ثمّ أخذ يُحدّثنا عن أهل بدرٍ ، قال : إنّ كان رسول الله (ص) ليرينا مصارعهم بالأمس ، يقول : « هذا مصرع فلانٍ غداً - إنّ شاء الله - وهذا مصرع فلانٍ غداً إنّ شاء الله » . قال : فجعلوا يصرعون عليها . قال : قلت : والذي بعثك بالحق ما أخطؤوا تيك ! كانوا يصرعون عليها ، ثمّ أمر بهم ، فطرحوا في بئرٍ ، فانطلق إليهم ، فقال : « يا فلان ! يا فلان ! هل وجدتم ما وعدكم الله حقّاً ، فإني وجدت ما وعدني الله حقّاً » قال عمر : يا رسول الله !

أَتَكَلِّمُ قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟ قال: « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ! ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا » [(١٦٢)].

وعندما جاء عمير بن وهب إلى المدينة قبل إسلامه في أعقاب بدرٍ يريد قتل رسول الله (ص)؛ كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في نفرٍ من المسلمين يتحدثون عن يوم بدرٍ، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم في عدوهم؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب؛ وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشِّحاً سيفه، فقال: هذا الكلب عدوُّ الله عمير بن وهبٍ ما جاء إلا لشرِّ، وهو الَّذي حرَّش بيننا، وحزرننا للقوم يوم بدر. ثمَّ دخل على رسول الله (ص) فقال: يا نبي الله! هذا عدوُّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشِّحاً سيفه. قال: « فأدخله عليّ ». قال: فأقبل عمر حتَّى أخذ بحمالة [(١٦٣)] سيفه في عنقه، فلبَّيه [(١٦٤)] بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله (ص) فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنَّه غير مأمونٍ. ثمَّ دخل به على رسول الله (ص)، فلمَّا راه رسول الله (ص) وعمر اخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: « أرسله يا عمر! ادن يا عمير! » فدنا، ثم قال: انعموا صباحاً! وكانت تحية أهل الجاهليَّة بينهم، فقال رسول الله (ص): « أكرمنا الله بتحيَّةٍ خيرٍ من تحيَّتِك يا عمير! بالسلام تحية أهل الجنة [(١٦٥)] ». فقال: أما والله يا محمد إن كنتُ بها لحديثُ عهد. فقال: « فما جاء بك يا عمير؟! » قال: جئت لهذا الأسير الَّذي في أيديكم، فأحسنوا فيه. قال: « فما بال السَّيف في عنقك؟ » قال: قَبَّحها الله من سيوفٍ! وهل أغنت عَنَّا شيئاً؟! قال: « اصدقني، ما الَّذي جئت له ». قال: ما جئت إلا لذلك. قال: « بل قعدت أنت وصفوان بن أميَّة في الحجر، فذكرتما أصحاب القليب من قريشٍ، ثمَّ قلت: لولا دينُ عليٍّ، وعيالُ عندي، لخرجت حتَّى أقتل محمداً، فتحمَّل لك صفوان بن أميَّة بدينك، وعيالك، على أن تقتلني له، والله حائلٌ بينك وبين ذلك » قال عمير: أشهد أنَّك لرسولُ الله! قد كنَّا يا رسول الله! نكذِّبك بما كنت تأتينا به من خبر السَّماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا، وصفوان، فوالله إنِّي لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الَّذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق. ثمَّ شهد شهادة الحقِّ، فقال رسول الله: « فقَّهوا أخاكم في دينه، وعَلِّموه القرآن، وأطلقوا أسيره ». ففعلوا [(١٦٦)].

ومن خلال هذه القصة يظهر الحسُّ الأمنيُّ الرَّفيع الَّذي تميَّز به عمر بن الخطاب - رضي الله

عنه . فقد انتبه لمجيء عمير بن وهب ، وحذر منه ، وأعلن : أنه شيطان ما جاء إلا لشرِّ ، فقد كان تاريخه معروفاً لدى عمر ، فقد كان يؤذي المسلمين في مكة ، وهو الذي حرّض على قتال المسلمين في بدرٍ ، وعمل على جمع المعلومات عن عددهم ، ولذلك شرع عمر في أخذ الأسباب لحماية الرسول (ص) ، فمن جهته فقد أمسك بحمالة سيف عمير الذي في عنقه بشدّة ، فعمله عن إمكانية استخدام سيفه للاعتداء على الرسول (ص) ، وأمر نقرأ من الصحابة بحراسة النبيّ (ص) [(١٦٧)] .

٢ . غزوة أحد ، وبني المصطلق ، والخذق :

من صفات الفاروق الجهادية علوُّ الهمة ، وعدم الصغار ، والترفع عن الذلّة حتّى ولو بدت الهزيمة تلوح أمامه ، كما حدث في غزوة أحدٍ ، ثانية المعارك الكبرى التي خاضها رسول الله (ص) ، فعندما وقف أبو سفيان في نهاية المعركة ، وقال : أفي القوم محمّد ؟ فقال رسول الله (ص) : « لا تجيبوه » فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ فقال (ص) : « لا تجيبوه » فقال : إنّ هؤلاء قتلوا ، فلو كانوا أحياء لأجابوا . فلم يملك عمر . رضي الله عنه . نفسه فقال : كذبت يا عدو الله ! أبقى الله عليك ما يخزيك ! قال أبو سفيان : اعل هبل [(١٦٨)] ، فقال النبيّ (ص) : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله أعلى وأجلُّ » . قال أبو سفيان : لنا العزّي ، ولا عزّي لكم . فقال النبيّ (ص) : « أجيبوه » . قالوا : ما نقول ؟ قال : « قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم » ، قال أبو سفيان : يومٌ بيوم بدرٍ ، والحرب سجال ، وتجدون مثله لم امر بها ، ولم تسؤني [(١٦٩)] .

وفي روايةٍ قال عمر : لا سواء قتلتنا في الجنة وقتلناكم في النار [(١٧٠)] . فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الان ، قال : أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر ، لقول ابن قمئة لهم : إني قد قتلت محمداً [(١٧١)] .

كان في سؤال أبي سفيان عن رسول الله (ص) ، وأبي بكر ، وعمر دلالة واضحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم ؛ لأنّه في علمهم : أنّهم أهل الإسلام ، وبهم قام صرحه ، وأركان دولته ، وأعمدة نظامه ، ففي موتهم يعتقد المشركون : أنّه لا يقوم الإسلام بعدهم ،

وكان السُّكوت عن إجابة أبي سفيان أولاً تصغيراً له ؛ حتّى إذا انتشى ، وملاه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر ، وردّوا عليه بشجاعة [(١٧٢)] .

وفي غزوة بني المصطلق كان للفاروق موقفٌ متميّز ، ونترك شاهد عيان يحكي لنا ما شاهده . قال جابر بن عبد الله الأنصاريّ : كنّا في غزاة ، فكسع [(١٧٣)] رجلاً من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال

الأنصاريُّ : يا للأنصار ! وقال المهاجريُّ : يا للمهاجرين ! فسمع ذلك رسول الله ، فقال : « ما بال دعوى الجاهليَّة » ، قالوا : يا رسول الله ! كسع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال النَّبِيُّ (ص) : « دعوها فإنها منتنة » . فسمع بذلك عبد الله بن أُبي ، فقال : فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذلَّ ، فبلغ النَّبِيُّ (ص) ، فقال عمر : يا رسول الله ! دعني أضرب عنق هذا المنافق ! فقال النَّبِيُّ (ص) : « دعه لا يتحدث النَّاسُ : أنَّ محمداً يقتل أصحابه » [(١٧٤)] .

وفي روايةٍ : قال عمر بن الخطَّاب : مُرَّ به عبَّاد بن بشر ، فليقتله ، فقال له رسول الله (ص) : « فكيف يا عمر ! إذا تحدَّث النَّاسُ : أنَّ محمداً يقتل أصحابه ؟ لا . ولكن أدِّن بالرحيل » وذلك في ساعةٍ لم يكن رسول الله (ص) يرتحل فيها ، فارتحل النَّاسُ [(١٧٥)] .

ومن مثل هذه المواقف والتَّوجيهات النَّبويَّة استوعب عمر . رضي الله عنه . فقه المصالح والمفاسد ، فهذا الفقه يظهر في قوله (ص) : « فكيف يا عمر ! إذا تحدَّث النَّاسُ أن محمداً يقتل أصحابه » [(١٧٦)] . إنَّها المحافظة التَّامة على السُّمعة السِّياسية ، ووحدة الصِّفِّ الدَّاخليَّة ، والفرق كبيرٌ جدًّا بين أن يتحدث النَّاسُ عن حبِّ أصحاب محمَّد محمداً ، ويؤكِّدون على ذلك بلسان قائدهم الأكبر أبي سفيان : ما رأيت أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمَّد محمداً [(١٧٧)] ، وبين أن يتحدث النَّاسُ : أنَّ محمداً يقتل أصحابه ، ولا شكَّ : أنَّ وراء ذلك محاولاتٍ ضخمةً ، ستتمُّ في محاولة الدُّخول إلى الصِّفِّ الدَّاخلي في المدينة من العدوِّ ، بينما هم يائسون الان من قدرتهم على شيءٍ أمام ذلك الحبِّ ، وتلك التَّضحيات [(١٧٨)] .

وفي غزوة الخندق يروي جابرٌ ، فيقول : إنَّ عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعدما غربت الشَّمس ، فجعل يسبُّ كفار قريش ، وقال : يا رسول الله ! ما كدت أصليَّ العصر حتَّى كادت الشمس تغرب . قال النَّبِيُّ (ص) : « والله ما صليتُها ! » فقمنا إلى بطحان [(١٧٩)] ، فتوضَّأ للصَّلَاة ، وتوضَّأنا لها ، فصلَّى العصر بعد ما غربت الشَّمس ، ثمَّ صلى بعدها المغرب [(١٨٠)] .

٣ . صلح الحديبية ، وسريَّة إلى هوازن ، وغزوة خيبر :

وفي الحديبية دعا رسول الله (ص) عمر ليعثه إلى مكَّة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء به ، فقال : يا رسول الله ! إنِّي أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بمكَّة من بني عدِيٍّ بن كعبٍ أحدٍ يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي لها ، وغلظتي عليها ، ولكني أدلُّك على رجلٍ أعزَّ بها منِّي ، عثمان بن عفَّان .

فدعا رسول الله (ص) عثمان ابن عفان ، فبعثه إلى أبي سفيان ، وأشرف قريش يخبرهم : أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ، ومعظماً لحرمته [(١٨١)] ، وبعد الاتفاق على معاهدة الصلح ، وقبل تسجيل وثائقها ظهرت بين المسلمين معارضة شديدة ، وقوية لهذه الاتفاقية ، وخاصة في البندين اللذين يلتزم النبي (ص) بموجبهما برّد مَنْ جاء من المسلمين لاجئاً ، ولا تلتزم قريش برّد مَنْ جاءها من المسلمين مرتدّاً ، والبند الذي يقضي بأن يعود المسلمون من الحديبية إلى المدينة دون أن يدخلوا مكة ذلك العام ، وقد كان أشدّ النَّاس معارضةً لهذه الاتفاقية وانتقاداً لها عمرُ بن الخطّاب ، وأسيد بن حضير سيّد الأوس ، وسعدُ بن عباد سيّد الخزرج ، وقد ذكر المؤرخون : أنّ عمر بن الخطّاب أتى رسول الله (ص) معلناً معارضته لهذه الاتفاقية ، وقال لرسول الله (ص) : أُلست برسول الله ؟ قال : « بلى ! » قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : « بلى ! » قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : « بلى ! » قال : فعلام نعطي الدّنية في ديننا ؟ قال : « إيّ رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصرِي » [(١٨٢)] .

وفي رواية : « أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني » [(١٨٣)] . قلت : أو ليس كنت تحدّثنا أنا سنأتي البيت ، فنطوف به ؟ قال : « بلى ! فأخبرتكَ أنّا نأتيه العام ؟ » قلت : لا ! قال : « فإنّك اتيه ومطوّفٌ به » . قال عمر : فأتيت أبا بكر فقلت له : يا أبا بكر ! أليس برسول الله ؟ قال : بلى ! قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ! قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ! قال : فعلام نعطي الدّنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر ناصحاً الفاروق بأن يترك الاحتجاج ، والمعارضة : الزم غرزه ، فإنّي أشهد : أنّه رسول الله ، وأن الحقّ ما أمر به ، ولن نخالف أمر الله ، ولن يضيعه الله [(١٨٤)] .

وبعد حادثة أبي جندل المؤلمة المؤثّرة عاد الصّحابة إلى تجديد المعارضة للصلح ، وذهبت مجموعة منهم إلى رسول الله (ص) بينهم عمر بن الخطّاب لمراجعته ، وإعلان معارضتهم مجدّداً للصلح ؛ إلا أنّ النبي (ص) بما أعطاه الله من صبرٍ ، وحكمةٍ ، وحلمٍ ، وقوّة حجةٍ استطاع أن يقنع المعارضين بوجاهة الصلح ، وأنّه في صالح المسلمين ، وأنّه نصر لهم [(١٨٥)] ، وأنّ الله سيجعل للمستضعفين من أمثال أبي جندلٍ فرجاً ومخرجاً .

وقد تحقّق ما أخبر به (ص) ، وقد تعلّم عمر - رضي الله عنه - من رسول الله احترام المعارضة التّزيهة ، ولذلك نراه في خلافته يشجّع الصّحابة على إبداء الاراء السّليمة التي تخدم المصلحة العامّة [(١٨٦)] ،

فحرية الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي ، وأنَّ للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه ، ولو كان هذا الرأي نقداً لموقف حاكم من الحكام ، أو خليفة من الخلفاء ، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن ، والأمان دون إرهاب ، أو تسلط يخنق حرية الكلمة ، والفكر ، ونفهم من معارضة عمر لرسول الله (ص) : أنَّ المعارضة لرئيس الدولة في رأي من الآراء ، وموقف من المواقف ليست جريمة تستوجب العقاب ، ويغيب صاحبها في غياهب الشجون [(١٨٧)] .

لم يكن ذلك الموقف من الفاروق شكاً ، أو ريبة فيما الت إليه الأمور ، بل طلب لكشف ما خفي عليه ، وحث على إذلال الكفار ؛ لما عرف من قوته في نصرته الإسلام [(١٨٨)] ، وبعد ما تبين له الحكمة ؛ قال عن موقفه بالحديبية : ما زلت أتصدق ، وأصوم ، وأصلي ، وأعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً [(١٨٩)] .

وفي شعبان سنة ٧ من الهجرة بعث رسول الله عمر بن الخطاب إلى ثرية في ثلاثين رجلاً إلى عجز [(١٩٠)] هوازن بثرية ، وهي بناحية القبلاء [(١٩١)] ، على أربع مراحل من مكة [(١٩٢)] ، فخرج ، وخرج معه دليل من بني هلال [(١٩٣)] ، فكان يسير الليل ، ويكمن النهار ، فأتى الخبر هوازن ، فهربوا ،

وجاء عمر محاثم فلم يلق منهم أحداً ، فانصرف راجعاً إلى المدينة رضي الله عنه [(١٩٤)] .
وفي رواية : قال له الدليل الهلالي : هل لك في جمع اخر ، تركته من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم ؟ فقال عمر : لم يأمرني رسول الله بهم ، إنما أمرني أن أعمد لقتال هوازن بثرية [(١٩٥)] ، وهذه السرية تدلنا على ثلاث نتائج عسكرية :

الأولى : أنَّ عمر أصبح مؤهلاً للقيادة ؛ إذ لولا ذلك لما ولاه النبي الكريم (ص) قيادة سرية من سرايا المسلمين تتجه إلى منطقة بالغة الخطورة ، وإلى قبيلة من أقوى القبائل العربية وأشدها شكيمة .
والثانية : أنَّ عمر الذي كان يكمن نهاراً ، ويسير ليلاً مشبع بمبدأ المباغتة ، أهم مبادئ الحرب على الإطلاق ، مما جعله يباغت عدوه ، ويجبره على الفرار ، وبذلك انتصر بقواته القليلة على قوات المشركين الكثيرة .

والثالثة : أنَّ عمر ينفذ أوامر قائده الأعلى نصاً ، وروحاً ، ولا يجيد عنها ، وهذا هو روح الضبط العسكري ، وروح الجندية في كل زمان ، ومكان [(١٩٦)] .

وفي غزوة خيبر عندما نزل رسول الله بحضرة أهل خيبر ؛ أعطى رسول الله اللّواء [(١٩٧)] عمر بن الخطّاب ، فنهض معه مَنْ نهض من النَّاس ، فلقوا أهل خيبر ، فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله (ص) ، فقال رسول الله : « لأعطينَّ اللّواء غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله ، ويحُبُّه الله ورسوله » فلمَّا كان غدٌ تصدَّر [(١٩٨)] لها أبو بكر ، وعمر ، فدعا عليّاً ، وهو أرمَد [(١٩٩)] ، فتفل في عينيه ، وأعطاه اللّواء ، ونهض معه من النَّاس من نهض فتلقَى أهل خيبر ، فإذا مرحب يرجز ، ويقول :

قَدْ عَلِمْتَ حَيْبُرُ أَبِي مَرْحَبُ
شَاكِي السِّلَاحِ بَطْلٌ مُجْرِبٌ أَعْطَى أَحْيَاناً وَحِيناً أَضْرِبُ

إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ فَاخْتَلَفَ هُوَ وَعَلِيٌّ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَضْرِبْهُ عَلِيُّ عَلَى هَامَتِهِ حَتَّى عَضَّ السَّيْفُ مِنْهُ بِيضَتِي [(٢٠٠)]

رأسه ، وسمع أهل المعسكر صوت ضربته ، فما تتامَّ اخر النَّاس مع عليٍّ حتَّى فتح الله لهم ، وله . وعندما أقبل في خيبر نفرٌ من أصحاب النَّبيِّ (ص) ، فقالوا : فلان شهيدٌ ، فقال رسول الله (ص) : « كلا ، إني رأيته في النَّار في بردةٍ غلَّها ، أو عباءةٍ » ثمَّ قال رسول الله (ص) : « يابن الخطّاب اذهب فنادِ في النَّاس : أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ » . قال : فخرجت ، فناديت : أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ [(٢٠١)] .

٤ . فتح مكّة ، وغزوة حنين ، وتبوك :

لما نقضت قريش صلح الحديبية بغدها ؛ خشيت من الخطر القادم من المدينة ، فأرسلت أبا سفيان ليشدَّ العقد ، ويزيد في المدّة ، فقدم على رسول الله ، فدخل على ابنته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ، ولكن بدون جدوى ، وخرج حتَّى أتى رسول الله ، فكلمه ، فلم يردَّ عليه شيئاً ، ثمَّ ذهب إلى أبي بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله ، فقال : ما أنا بفاعلٍ ، ثمَّ أتى عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . فكلمه ، فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله؟! والله لو لم أجد إلا الذرَّ لجاهدتكم به [(٢٠٢)] !

وعندما أكمل النَّبيُّ (ص) استعدادَه للسَّير إلى فتح مكّة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى أهل مكّة يخبرهم فيه بنأ تحرك النَّبيِّ (ص) إليهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى أطلع نبيّه (ص) عن طريق الوحي على هذه الرِّسالة ، ففضى (ص) على هذه المحاولة في مهدها ، فأرسل النَّبيُّ (ص) عليّاً ، والمقداد ، فأمسكوا بالمرأة في روضة خاخ على بعد اثني عشر ميلاً من المدينة ، وهدّدوها أن يفتشوها إن لم تُخرج الكتاب ، فسلمته لهم ، ثمَّ استدعي حاطب . رضي الله عنه . للتَّحقيق ، فقال : يا رسول الله ! لا تعجل عليّ ، إني كنت امرأً ملصقاً في قريش . يقول : كنت حليفاً ، ولم أكن من أنفسها .

وكان مَنْ معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم ، وأموالهم ، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام . فقال رسول الله (ص) : « إما إنّه قد صدقكم » ، فقال عمر : يا رسول الله ! دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال (ص) : « إنّه قد شهد بديراً ، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على مَنْ شهد بديراً ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » [(٢٠٣)] . ومن الحوار الذي تمّ بين الرّسول (ص) ، وعمر بن الخطّاب في شأن حاطب يمكن أن نستخرج بعض الدُّروس ، والعبر ، منها :

. حكم الجاسوس القتل ، فقد أخبر عمر بذلك ، ولم ينكر عليه الرّسول (ص) ، ولكن منع من إيقاع العقوبة بسبب كونه بديراً .

. شدّة عمر في الدّين : لقد ظهرت هذه الشّدّة في الدّين حينما طالب بضرب عنق حاطب .
. الكبيرة لا تسلب الإيمان : إنّ ما ارتكبه حاطب كبيرة ، وهي التجسّس ، ومع هذا ظلّ مؤمناً .
. لقد أطلق عمر على حاطب صفة النّفاق بالمعنى اللُّغوي ، لا بالمعنى الاصطلاحي في عهده (ص) ؛ إذ النّفاق إبّان الكفر ، والتّظاهر بالإسلام ، وإمّا الذي أراد عمر ، أنّه أبطن خلاف ما أظهر ، إذ أرسل كتابه الذي يتنافى مع الإيمان الذي خرج يجاهد من أجله ، ويبدل دمه في سبيله [(٢٠٤)] .
. تأثر عمر من ردّ الرّسول (ص) ، فتحوّل في لحظاتٍ من رجلٍ غاضبٍ ينادي بإجراء العقوبة الكبيرة على حاطب إلى رجلٍ يبكي من الخشية ، والتأثر ، ويقول : الله ورسوله أعلم ! ذلك لأنّ غضبه كان لله ، ورسوله ، فلمّا تبين له أنّ الذي يرضي الله تعالى ، ورسوله (ص) غير ما كان يراه ؛ غضّ النّظر عن ذلك الخطأ ، ومعاملة صاحبه بالحسنى تقديرًا لرصيده في الجهاد ، واستجاب [(٢٠٥)] .

وعندما نزل رسول الله (ص) بمصرّ الظهران، وخشي أبو سفيان على نفسه، وعرض عليه العبّاس عمّ رسول الله طلب الأمان من رسول الله (ص) ، فوافق على ذلك، يقول العبّاس بن عبد المطلب: قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله (ص) في النَّاس ، واصباح قريش والله ! قال : فما الحيلة ؟ فذاك أبي ، وأمّي ! قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربنّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتّى اتّي بك رسول الله (ص) فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفي ، ورجع صاحبه ، فجمت به ، كلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله (ص) وأنا عليها ؛ قالوا : عمّ رسول الله على بغلته ، حتّى مررت بنار عمر بن الخطّاب ، فقال : من هذا ؟ وقام إليّ ، فلمّا رأى أبا سفيان على عجز الدّابة ؛ قال : أبو سفيان عدوّ الله ، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقدٍ ، ولا عهدٍ ! ثمّ

خرج يشتدُّ نحو رسول الله (ص) ودخل عليه عمر ، فقال : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقدٍ ، ولا عهدٍ ؛ فدعني فلاضرب عنقه ، قال : قلت : يا رسول الله إني قد أجرته ! فلمَّا أكثر عمر من شأنه ؛ قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله أن لو كان من بني عديٍّ ما قلت هذا ! ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف . فقال عمر : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، وما بي

إلا أنِّي قد عرفت أنَّ إسلامك كان أحبَّ إليَّ رسول الله من إسلام الخطَّاب لو أسلم ، فقال (ص) : « اذهب به يا عباس ! إلى رحلك فإذا أصبحت ؛ فائتني به » [(٢٠٦)] .

فهذا موقفُ عمر . رضي الله عنه . وهو يرى عدوَّ الله يمرُّ بقوَّات المسلمين ، محتمياً بظهر العباس عمِّ النَّبِيِّ (ص) وقد بدا ذليلاً خائفاً ، فيودُّ عمر . رضي الله عنه . أن يضرب عنق عدوِّ الله قربي إلى الله تعالى ، وجهاداً في سبيله ، ولكنَّ الله تعالى قد أراد الخير بأبي سفيان ، فشرح صدره للإسلام ، فحفظ دمه ، ونفسه [(٢٠٧)] .

وفي غزوة حنين باغت المشركون جيش المسلمين ، وانشمر النَّاس راجعين ، لا يلوي أحدٌ على أحدٍ ، وانحاز رسول الله (ص) ذات اليمين ، ثمَّ قال : أين أيُّها الناس ؟! هلُمُّوا إليَّ ، أنا رسول الله ! أنا محمد بن عبد الله ! فلم يسمع أحدٌ ، وحملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق النَّاس إلا أنه بقي مع رسول الله نفرٌ من المهاجرين ، والأنصار ، وأهل بيته ، وكان فيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته عليُّ بن أبي طالبٍ ، والعبَّاس بن عبد المطلب ، وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ، وربيعة بن الحارث وغيرهم [(٢٠٨)] .

ويحكى أبو قتادة عن موقف عمر في هذه الغزوة ، فيقول : خرجنا مع النَّبِيِّ (ص) عام حنين ، فلمَّا التقينا كانت للمسلمين جولةٌ ، فرأيت رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المسلمين ، فضربته من ورائه على جبل عاتقه [(٢٠٩)] بالسَّيف ، فقطعت الدِّرع ، وأقبل عليَّ فضمَّني ضمَّةً وجدت منها ريح الموت ، ثمَّ أدركه الموت ، فأرسلني ، فلحقت عمر بن الخطَّاب ، فقلت : ما بال الناس ؟ فقال : أمر الله ! ثمَّ رجعوا [(٢١٠)] .

قال تعالى عن هذه الغزوة : { لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * } [التوبة: ٢٥] فلمَّا تاب الله تعالى على المؤمنين بعد أن كادت الهزيمة تلحق بهم ، نصر الله أوليائه ، بعد أن فاءوا إلى نبيِّهم ، واجتمعوا

حوله ، فأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ ، وَنَصَّرَهُ عَلَى جُنْدِهِ ، وَقَالَ تَعَالَى يَقْصُ عَلَيْنَا ذَلِكَ : { ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * } [التوبة: ٢٦] .

وبعد معركة حنين عاد المسلمون إلى المدينة وبينما هم يَمْشُونَ بِالْجِعْرَانَةِ [٢١١] ، كان رسول الله يقبض الفضَّةَ من ثوب بلالٍ - رضي الله عنه - ويعطي الناس ، فأتى رجلٌ ، وقال لرسول الله : يا مُحَمَّدُ ، اعدِل ! قال رسول الله (ص) : « ويلك ! ومن يعدل إذا لم أكن أعْدِلُ ؟! لقد خبثُ ، وخسرتُ إن لم أكن أعْدِلُ » . فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : دعني يا رسول الله ! فأقتل هذا المنافق ، فقال : « معاذ الله ! أن يتحدَّثَ الناسُ أُنِّي أَقْتَلُ أَصْحَابِي ، إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم [٢١٢] ، يمرقون منه كما يمرق السَّهْمُ [٢١٣] من الرميَّةِ » [٢١٤] .

ففي هذا الموقف منقبةٌ عظيمةٌ لعمر - رضي الله عنه - فهو لا يصبر إذا انتهكت أمامه الحُرْمَاتُ ، فقد اعتدى على مقام النُّبُوَّةِ والرِّسَالَةِ ، فما كان من الفاروق إلا أن أسرع قائلاً: دعني يا رسول الله! أقتل هذا المنافق، هذا هو ردُّ الفاروق أمام من ينتهكون قدسيَّة النُّبُوَّةِ ، والرِّسَالَةِ [٢١٥] .

وفي الجعرانة لبيَّ عمر - رضي الله عنه - رغبة يعلى بن أمية التميميِّ الصَّحَابِيِّ المشهور في رؤية رسول الله حين ينزل عليه الوحي ، فعن صفوان بن يعلى : أنَّ يعلى كان يقول لعمر بن الخطاب : ليتني أرى نبيَّ الله (ص) حين ينزل [٢١٦] عليه ، قال : فبينما النَّبِيُّ (ص) بالجعرانة ، وعليه ثوبٌ قد أُظْلِمَ به ، معه فيه ناسٌ من أصحابه ؛ إذ جاءه أعرابيٌّ عليه جبَّةٌ متضمَّخٌ [٢١٧] بطيبٍ ، فقال : يا رسول الله ! كيف ترى في رجلٍ أحرم بعمرَةٍ في جبَّةٍ بعد ما تضمَّخَ بالطيبِ ؟ فأشار عمر على يعلى بيده : أن تعال ، فجاء يعلى فإذا النَّبِيُّ (ص) محمَّرُ الوجه ، يغطُّ [٢١٨] كذلك ساعةً ، ثمَّ سرِّي عنه ، قال : « أين الذي سألني عن العمرة انفاً ؟ » فالتمس الرَّجُلُ ، فجاء به ، فقال النَّبِيُّ (ص) : « أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرَّات ، وأمَّا الجبَّةُ فانزعها ، ثمَّ اصنع في عمرتك كما تصنع في حجِّك » [٢١٩] .

وأما في غزوة تبوك ؛ فقد تصدَّق بنصف ماله ، وأشار على رسول الله بالدُّعاء للناس بالبركة عندما أصاب الناس مجاعةٌ ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما كان غزوة تبوك [٢٢٠] ؛ أصاب الناس مجاعةٌ ، قالوا : يا رسول الله ! لو أذنت لنا ، فنحن نواضحنا [٢٢١] ، فأكلنا ، وأدَّهنا ، فقال رسول الله (ص) : « افعلوا » فجاء عمر ، فقال : يا رسول الله ! إن فعلت قلَّ الظَّهر ،

ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة ، لعلَّ الله أن يجعل في ذلك ، فقال رسول الله (ص) : « نعم » قال : فدعا بِنَطْعٍ ، فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، قال : فجعل الرَّجُل يجيء بكفِّ الدُّرَّة ، ويجيء الآخر بكفِّ تمرٍ ، ويجيء الآخر بكسرةٍ ، حتَّى اجتمع على النَّطْع من ذلك شيء يسير ، ثمَّ دعا (ص) عليه بالبركة ، ثمَّ قال : « خذوا في أوعيتكم » فأخذوا في أوعيتهم حتَّى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملؤوه وأكلوا حتَّى شبعوا ، وفضلت منه فضلةٌ ، فقال رسول الله : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبداً غير شاكِّ ، فيحجب عن الجنة » [(٢٢٢)] .

هذه بعض المواقف العمرية التي شاهدها مع رسول الله (ص) ، ولا شكَّ : أنَّ الفاروق قد استوعب الدُّروس ، والعبر التي حدثت في غزوات رسول الله (ص) ، وأصبحت له زاداً انطلق به لترشيد وقيادة النَّاس بشرع الله تعالى .

ثانياً : من مواقفه في المجتمع المدني :

كان عمر شديد الحرص على ملازمة رسول الله (ص) ، وكان رضي الله عنه إذا جلس إلى رسول الله لم يترك المجلس حتَّى ينفض ، فهو واحدٌ من المجتمع القليل ؛ الذي لم يترك رسول الله (ص) وهو يخطب حين قدمت غيرٌ إلى المدينة [(٢٢٣)] ، وكان يجلس في حلقات ، ودروس ، ومواعظ رسول الله نشطاً ، يستوضح ، ويستفهم ، ويلقي الأسئلة بين يدي رسول الله في الشؤون الخاصة والعامَّة [(٢٢٤)] ، ولذلك فقد روى عن النَّبِيِّ (ص) خمسمئة حديث ، وتسعةً وثلاثين حديثاً [(٢٢٥)] .

وفي روايةٍ : خمسمئة وسبعةً وثلاثين حديثاً [(٢٢٦)] ، اتَّفَق الشيخان في صحيحيهما على ستةٍ وعشرين منها ، وانفرد البخاريُّ بأربعةٍ وثلاثين ، ومسلمٌ بواحدٍ وعشرين [(٢٢٧)] ، والبقيَّة في كتب الأحاديث الأخرى [(٢٢٨)] ، وقد وقَّفه الله إلى رواية أحاديث لها قيمتها الأولوية في حقيقة الإيمان ، والإسلام ، والإحسان ، والقضاء ، والقدر ، وفي العلم ، والدِّكر ، والدُّعاء ، وفي الطَّهارة ، والصَّلَاة ، والجنائز ، والزَّكاة ، والصَّدقات ، والصِّيَام ، والحجِّ ، وفي النَّكاح والطلاق ، والنَّسب ، والفرائض ، والوصايا ، والاجتماع ، وفي المعاملات ، والحدود ، وفي اللِّباس ، والأطعمة ، والأشربة ، والدُّبائح ، وفي الأخلاق ، والزُّهد ، والرِّفاق ، والمناقب ، والفتن ، والقيامة ، وفي الخلافة ، والإمارة ، والقضاء ، وقد أخذت هذه الأحاديث مكانها في مختلف العلوم الإسلامية ، ولا تزال رافداً يمدُّ هذه العلوم [(٢٢٩)] ، وإليك بعض المواقف التَّعليمية ، والتَّربوية ، والاجتماعية من حياة الفاروق مع رسول الله (ص) في المدينة .

١ . رسول الله (ص) يسأل عمر عن السائل :

عن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . : أنه قال : أخبرني عمر بن الخطاب : أنهم بينما هم جلوس . أو قعود . عند النَّبِيِّ (ص) جاءه رجلٌ يمشي ، حسن الوجه ، حسن الشعر ، عليه ثيابٌ بياضٌ ، فنظر القوم بعضهم إلى بعض : ما نعرف هذا ، وما هذا بصاحب سفر ! ثمَّ قال : يا رسول الله ! اتيك ؟ قال : « نعم » فجاء ، فوضع ركبتيه عند ركبتيه ، ويديه على فخذه ، فقال : ما الإسلام ؟ قال : « شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله ، وتقيم الصَّلَاة ، وتؤتي الزَّكَاة ، وتصوم رمضان ، وتحجُّ البيت » قال : فما الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله ، وملائكته ، والجنَّة ، والنار ، والبعث بعد الموت ، والقدر كلِّه » . قال : فما الإحسان ؟ قال : « أن تعمل لله كأنَّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك » قال : فمتى الساعة ؟ قال : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » . قال : فما أشراتها ؟ قال : « إذا العراة ، الحفاة ، العالة ، رعاءُ الشَّاء تطاولوا في البنيان ، وولدت الإماء أربابهنَّ » [(٢٣٠)] . قال : ثمَّ قال : « عليَّ الرجل » فطلبوه ، فلم يروا شيئاً ، فمكث يومين أو ثلاثة ، ثمَّ قال : « يا بن الخطاب أتدري من السائل عن كذا وكذا ؟ » . قال : الله ورسوله أعلم ، قال : « ذاك جبريل ، جاءكم يعلمكم دينكم » [(٢٣١)] . وهذا الحديث يبيِّن : أنَّ الفاروق تعلَّم معاني الإسلام ، والإيمان ، والإحسان بطريقة السُّؤال والجواب من أفضل الملائكة ، وأفضل الرُّسل .

٢ . إصابة رأيه رأي رسول الله (ص) :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : كنَّا قعوداً حول رسول الله (ص) معنا أبو بكر ، وعمر في نفرٍ . فقام رسول الله (ص) من بين أظهرنا ، فأبطأ علينا ، وخشينا أن يقتطع دوننا ، وفرعنا ، فقمنا ، فكننت أوَّل مَنْ فرغ ، فخرجت أبتغي رسول الله (ص) حتَّى أتيت حائطاً [(٢٣٢)] للأنصار لبني النَّجار ، فدرت به هل أجد له باباً ، فلم أجد ، فإذا ربيعٌ [(٢٣٣)] يدخل في جوف حائطٍ من بئر خارجة ، فاحتفزت [(٢٣٤)] كما يحتفز الثَّعلب ، فدخلت على رسول الله (ص) ، فقال : « أبو هريرة ؟ » فقلت : نعم يا رسول الله ! قال : « ما شأنك ؟ » قلت : كنت بين أظهرنا ، فقممت ، فأبطأت علينا ، فخشينا أن تقتطع دوننا ، وفرعنا ، فكننت أوَّل من فرغ ، فأتيت هذا الحائط ، فاحتفزت كما يحتفز الثَّعلب ، وهؤلاء النَّاس ورائي . فقال : « يا أبا هريرة . وأعطاني نعليه . اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيته من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بما قلبه فبشره بالجنَّة » وكان أوَّل من لقيت عمر ،

فقال : ما هاتان التَّعلان يا أبا هريرة ؟! فقلت : هاتان نعلا رسول الله (ص) بعثني بهما إلى من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشَّرتَه بالجنَّة . فضرب عمر بيده بين ثدييَّ ، فخررت لاسِتي ، فقال : ارجع يا أبا هريرة ! فرجعت إلى رسول الله (ص) فأجهشت بكاءً ، وركبني [(٢٣٥)] عمر . فإذا هو على إثري ، فقال لي رسول الله (ص) : « مالك يا أبا هريرة ؟! » قلت : لقيت عمر ، فأخبرته بالَّذي بعثني [(٢٣٦)] به ، فضرب بين ثديي ضربةً ، فخررت لاسِتي ! قال : « ارجع » . فقال رسول الله (ص) : « يا عمر ! ما حملك على ما فعلت ؟ » فقال : يا رسول الله ! أبعثت أبا هريرة بنعليك إلى من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً به قلبه بشَّره بالجنَّة ؟ قال : « نعم » قال : فلا تفعل ؛ فإنِّي أخاف أن يتكلَّ النَّاس عليها ، فخلَّهم يعملون . فقال رسول الله (ص) : « فخلَّهم » [(٢٣٧)] .

٣ . حرص رسول الله (ص) على توحيد مصدر تلقِّي الصَّحابة :

عن جابر بن عبد الله : أن النَّبِيَّ (ص) رأى بيد عمر بن الخطاب ورقةً من التَّوراة ، فقال : « أمتَهوِّكون فيها » [(٢٣٨)] يابن الخطَّاب ؟ والَّذي نفسي بيده ! لقد جئتكم بها بيضاء نقيةً ، لا تسألوهم عن شيءٍ فيخبروكم بحقِّ فتكذبوا به ، أو بباطلٍ فتصدقوا به ، والَّذي نفسي بيده ! لو أن موسى كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني » . وفي روايةٍ : « أن لو كان موسى حيّاً ثمَّ اتبعتموه وتركتموني لصَلَّتم » [(٢٣٩)] .

٤ . رسول الله (ص) يتحدَّث عن بدء الخلق :

عن طارق بن شهابٍ ، قال : سمعت عمر - رضي الله عنه - يقول : قام فينا النَّبِيُّ (ص) مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق ؛ حتَّى دخل أهلُ الجنَّة منازلهم ، وأهل النَّار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه مَنْ نسيه [(٢٤٠)] . وهذا الحديث يدخل ضمن فقه القدوم على الله الَّذي فهمه عمر من رسول الله .

٥ . نهي رسول الله (ص) عن الحلف بالآباء ، وحثُّه على التَّوكل على الله :

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أنَّ عمر بن الخطاب ، قال : سمعت رسول الله يقول : « إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - ينهاكم أن تحلفوا بابائكم » . قال عمر : فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله (ص) نهي عنها ! ولا تكلمت بها ذاكراً ، ولا اثراً [(٢٤١)] . وسمع عمر - رضي الله عنه - نبيَّ الله يقول : « لو أنكم توكَّلون على الله حقَّ توكُّله ؛ لرزقكم كما يرزق الطَّير ، تغدو خماساً ، وتروح بطاناً » [(٢٤٢)] .

٦. رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ نبياً ورسولاً :

عن أبي موسى قال: سئل النبي (ص) عن أشياء كرهها، فلمَّا أكثر عليه ؛ غضب ، ثمَّ قال للنَّاس : « سلوني عمَّا شئتم » . قال رجل : من أبي ؟ قال : « أبوك حذافة » فقام اخر ، فقال : من أبي ؟ قال : « أبوك سالم مولى شيبه » [(٢٤٣)] فلمَّا رأى عمر ما في وجهه ، قال : يا رسول الله ! إنَّا نتوب إلى الله عزَّ وجلَّ [(٢٤٤)] . وفي روايةٍ : فبرك عمر على ركبتيه ، فقال : رضينا بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمدٍ (ص) نبياً، فسكت [(٢٤٥)] .

٧. لا ونعمة عينٍ ، بل للنَّاس عامة !

عن ابن عباسٍ . رضي الله عنهما . : أن رجلاً أتى عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . فقال: امرأةٌ جاءت تباعه فأدخلتها الدَّولج [(٢٤٦)] ، فأصبت منها ما دون الجماع ؟ فقال : ويحك لعلها مغيبةٌ [(٢٤٧)] في سبيل الله ؟ ونزل القران : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ * ﴾ [هود: ١١٤] . إلى اخر الآية، فقال: يا رسول الله ألي خاصَّة أم للنَّاس عامَّة ، فضرب عمر صدره بيده، فقال: لا، ولا نعمة عينٍ، بل للنَّاس عامَّة، فقال رسول الله (ص) : « صدق عمر » [(٢٤٨)] .

٨ . حكم العائد في صدقته :

عن عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . قال : حملت على فرسٍ في سبيل الله ، فأضاعه صاحبه ، فأردت أن أبتاعه وظننت : أنه بائعه برخصٍ ، فقلت : حتَّى أسأل رسول الله (ص) فقال : « لا تبتعه ، وإن أعطاكه بدرهمٍ ، فإنَّ الَّذي يعود في صدقته كالكلب يعود في قيئه » [(٢٤٩)] .

٩ . من صدقاته ، ووقفه :

عن ابن عمر . رضي الله عنهما : أنَّ عمر تصدَّق بمالٍ له على عهد رسول الله (ص)، وكان يقال له: ثمغ ، وكان به نخلٌ ، فقال عمر : يا رسول الله ! إنِّي استفدت مالاً ، وهو عندي نفيس ، فأردت أن أتصدَّق به، فقال النبي (ص): « تصدَّق بأصله، لا يباع ، ولا يوهب ، ولا يورث ، ولكن ينفق ثمره » . فتصدَّق به عمر ، فصدقته تلك في سبيل الله ، وفي الرِّقاب ، والمساكين ، والضيِّف ، وابن السَّبيل ، ولدوي القربى ، ولا جناح على من وليه أن يأكل بالمعروف ، أو يؤكل صديقه غير متموِّل به [(٢٥٠)] . وفي روايةٍ : أصاب عمر بخبير أرضاً ، فأتى النبي (ص) ، فقال : أصبت أرضاً لم أصب مالاً قط أنفس منه ، كيف تأمرني به ؟ قال : « إن شئت حبست أصلها ، وتصدَّقت بها » . فتصدَّق عمر : أنه لا

يباع أصلها ، ولا يوهب ، ولا يورث ، في الفقراء ، وذوي القربى ، والرِّقاب ، وفي سبيل الله ، والضيِّف ، وابن السَّبيل ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ، أو يطعم صديقاً غير ممتوِّل فيه [(٢٥١)] . فهذا الموقف العمريُّ فيه فضيلةٌ ظاهرة للفاروق . رضي الله عنه . ورغبته في المسارعة للخيرات ، وإيثاره الحياة الآخرة على الحياة الفانية .

١٠ . هديَّة نبويَّة لعمر بن الخطَّاب ، وأخرى لابنه :

عن ابن عمر قال: رأى عمر على رجلٍ حلَّةً من إستبرقٍ، فأتى بها إلى النَّبيِّ (ص)، فقال: يا رسول الله ! اشتر هذه، فالبسها لوفد النَّاس إذا قدموا عليك. قال : « إِمَّا يلبس الحرير في الدنيا مَنْ لا خلاق له في الآخرة » . فمضى من ذلك ما مضى ، ثُمَّ إِنَّ النَّبيِّ (ص) بعث إليه بحلَّةٍ ، فأتى النَّبيِّ (ص) ، فقال : بعثت إليَّ بهذه ، وقد قلت في مثلها . أو قال : في حلَّةٍ عطارِدٍ [(٢٥٢)] . ما قلت ؟ قال : « إِمَّا بعثت بها إليك لتصيب بها مالاً » [(٢٥٣)] . وفي روايةٍ : ... فكساها عمر أخاً له بمكَّة قبل أن يسلم [(٢٥٤)] .

وأما هدية النَّبيِّ (ص) لابن عمر ؛ فعن عبد الله بن عمر ، قال : كنَّا مع النَّبيِّ (ص) في سفرٍ ، فكنت على بكرٍ صعبٍ [(٢٥٥)] لعمر ، فكان يغلبني فيتقدَّم أمام القوم ، فيجزه عمر ، ويرده ، فقال النَّبيُّ (ص) لعمر : « بعنيه » قال : هو لك يا رسول الله ! قال : « بعنيه » . فباعه من رسول الله فقال النَّبيُّ (ص) : « هو لك يا عبد الله بن عمر ! تصنع به ما شئت » [(٢٥٦)] .

١١ . تشجيعه لابنه وبشرى لابن مسعود :

عن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . : أنَّ رسول الله (ص) قال : « إِنَّ من الشَّجر شجرةً لا يسقط ورقها ، وهي مثل المسلم ، حدِّثوني ما هي ؟ » فوقع النَّاس في شجر البادية ، ووقع في نفسي : أنها النَّخلة ، قال عبد الله : فاستحييت ، فقالوا : يا رسول الله ! أخبرنا بها . فقال رسول الله (ص) : « أهي النَّخلة » . قال عبد الله : فحدِّثت أبي بما وقع في نفسي ، فقال : لأن تكون قلتها أحبُّ إليَّ من أن يكون لي كذا ، وكذا [(٢٥٧)] .

وأما بشرى عمر لابن مسعود ؛ فقد روى عمر . رضي الله عنه . أنه سمر في بيت أبي بكرٍ مع رسول الله في أمور المسلمين ، فخرج رسول الله ، وخرجنا معه ، فإذا رجل قائمٌ يصلي في المسجد ، فقام رسول الله (ص) يستمع قراءته ، فلمَّا كدنا أن نعرفه ، قال رسول الله (ص) : « مَنْ

سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل ، فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد « قال : ثمّ جلس الرّجل يدعو ، فجعل رسول الله يقول له : « سل تعطه ، سل تعطه » قال عمر : قلت : والله لأغدوّنّ إليه ، فلاأبشرته ، قال : فغدوت إليه لأبشره ، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه ، فبشره ، ولا والله ما سابقته إلى خيرٍ قطٍ إلا سبقني إليه» [(٢٥٨)] !

١٢ . حدّره من الابتداع :

عن المسور بن مخزّمة [(٢٥٩)] ، وعبد الرحمن بن عبد القاري : أنّهما سمعا عمر بن الخطّاب يقول : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله (ص) فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأها على حروفٍ كثيرةٍ ، لم يقرئها رسول الله (ص) ، فكادت أساوره [(٢٦٠)] في الصلّاة ، فانتظرت حتى سلّم ، فلبّته [(٢٦١)] ، فقلت : من أقرأك هذه السّورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله (ص) ، فقلت له : كذبت ! فوالله إنّ رسول الله (ص) هو أقرأني هذه السّورة ؛ التي سمعتك ، فانطلقت به إلى رسول الله (ص) أقوده ، فقلت : يا رسول الله ! إيّي سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروفٍ لم تقرئها ، وأنّك أقرأني سورة الفرقان ، فقال : « يا هشام اقرأها ! » فقرأها القراءة التي سمعته ، فقال رسول الله (ص) : « هكذا أنزلت » . ثمّ قال : « اقرأ يا عمر » فقرأتها التي أقرأنيها ، فقال رسول الله (ص) : « هكذا أنزلت » ثمّ قال رسول الله (ص) : « إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ ، فاقروا ما تيسر منه » [(٢٦٢)] .

١٣ . خذ ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل :

عن عبد الله بن عمر قال : سمعت عمر بن الخطّاب يقول : قد كان رسول الله يعطيني العطاء فأقول : أعطه أفقر إليه مني حتى أعطاني مرة مالا ، فقلت : أعطه أفقر إليه مني . فقال رسول الله (ص) : « خذه ، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل ، فخذ ، وما لا ، فلا تتبعه نفسك » [(٢٦٣)] .

١٤ . دعاء رسول الله (ص) لعمر رضي الله عنه :

رأى النبيّ (ص) على عمر ثوباً ، وفي رواية : قميصاً أبيض ، فقال : « أجديّ ثوبك ، أم غسيل ؟ » فقال : بل غسيل ، فقال : « البس جديداً ، وعش حميداً ، ومُت شهيداً » [(٢٦٤)] .

١٥ . لقد علمت حين مشى فيها رسول الله (ص) ليباركنّ فيها :

عن جابر بن عبد الله : أَنَّ أَبَاهُ تُؤَيِّبٌ ، وَتَرَكَ عَلَيْهِ ثَلَاثِينَ وَسَقًا لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ ، فَاسْتَنْظَرَهُ جَابِرٌ ، فَأَبَى أَنْ يَنْظُرَهُ ، فَكَلَّمَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ (ص) لِيَشْفَعَ لَهُ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، وَكَلَّمَ الْيَهُودِيَّ لِيَأْخُذَ ثَمْرَ نَخْلِهِ بِالَّذِي لَهُ فَأَبَى ، فَدَخَلَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) النَّخْلَ فَمَشَى فِيهَا ثُمَّ قَالَ لَجَابِرٍ : « جُدُّ لَه ، فَأَوْفَ لَه الَّذِي لَهُ » فَجَدَّهُ بَعْدَمَا رَجَعَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، فَأَوْفَاهُ ثَلَاثِينَ وَسَقًا [(٢٦٥)] ، وَفَضَلَتْ لَهُ سَبْعَةَ عَشْرَ وَسَقًا ، فَجَاءَ جَابِرٌ رَسُولَ اللَّهِ (ص) لِيُخْبِرَهُ بِالَّذِي كَانَ ، فَوَجَدَهُ يُصَلِّيَ الْعَصْرَ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُ بِالْفَضْلِ ، فَقَالَ : أَخْبِرْ بِذَلِكَ ابْنَ الْخَطَّابِ ، فَذَهَبَ جَابِرٌ إِلَى عُمَرَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَقَدْ عَلِمْتَ حِينَ مَشَى فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ، لِيُبَارِكَنَّ فِيهَا [(٢٦٦)] .

١٦- زواج حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما - من رسول الله (ص) :

قال عمر - رضي الله عنه - : حين تَأَيَّمْتُ [(٢٦٧)] حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله (ص) ، فتوفي بالمدينة ، فقال عمر بن الخطاب : أتيت عثمان بن عفان ، فعرضت عليه حفصة ، فقال : سأنظر في أمري ، فلبث ليالي ، ثم لقيني ، فقال : قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا . قال عمر : فلقيت أبا بكر الصديق ، فقلت : إن شئت زوّجتك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر - رضي الله عنه - فلم يرجع إليّ شيئاً ، وكنت عليه أوجد مّي على عثمان ، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ، فأنكحها إيّاه ، فلقيني أبو بكر ، فقال : لعلك وجدت عليّ حين عرضت عليّ حفصة ، فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال عمر : قلت : نعم ! قال أبو بكر : فإنّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أنّي كنت علمت : أنّ رسول الله (ص) قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله (ص) ، ولو تركها رسول الله (ص) ؛ قبلتها [(٢٦٨)] .

ثالثاً : موقف عمر - رضي الله عنه - من خلاف رسول الله (ص) مع أزواجه :

عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عن المرأتين من أزواج النبي (ص) ، اللّتين قال الله تعالى : { إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } [التحریم: ٤] حتّى حجّ عمر ، وحججت معه ، فلمّا كنّا ببعض الطّريق ؛ عدل عمر ،

وعدلت معه بالإداوة ، فتبرّز ، ثمّ أتاني ، فسكبت على يديه ، فتوضّأ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! من المرأتان من أزواج النبي (ص) اللّتان قال الله تعالى : { إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } ؟ فقال عمر : واعجباً لك يا ابن عباس ! - قال الزُّهري : كره ، والله ما سأله عنه ولم يكتبه عنه - قال : هي حفصة ، وعائشة . قال : ثمّ أخذ يسوق الحديث ، قال : كنّا معشر قريشٍ قوماً نغلب النساء ، فلمّا

قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من نساءهم ، قال : وكان منزلي في بني أمية بن زيد بالعوالي ، قال : فتغصبت [(٢٦٩)] يوماً على امرأتي ، فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبي (ص) ليراجعنه ! وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل . قال : فانطلقت ، فدخلت على حفصة ، فقلت : أتراجعين رسول الله (ص) ؟ قالت : نعم ! قلت : وتهجره إحدائكن اليوم إلى الليل؟ قالت : نعم. قلت : قد خاب من فعل ذلك منكن ، وخسر ، أفأتمن إحدائكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ؟ لا تراجعني رسول الله ، ولا تسأليه شيئاً ، وسليني ما بدا لك ، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم ، وأحب إلى رسول الله (ص) منك . يريد عائشة . .

قال : وكان لي جار من الأنصار ، وكنا نتناوب التزول إلى رسول الله (ص) ، فينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فيأتيني بخبر الوحي ، وغيره ، واتي به مثل ذلك ، قال : وكنا نتحدث : أن غسان تنعل الخيل لتغزونا ، فنزل صاحبي يوماً ، ثم أتاني عشاء ، فضرب بابي ، ثم ناداني ، فخرجت إليه ، فقال : حدث أمر عظيم ، فقلت : وماذا ، أجاؤت غسان ؟ قال : لا ، بل أعظم من ذلك ، وأطول ! طلق الرسول نساءه . فقلت : قد خابت حفصة ، وخسرت ، قد كنت أظن هذا كائناً . حتى إذا صليت الصبح شددت علي ثيابي ، ثم نزلت ، فدخلت على حفصة ، وهي تبكي ، فقلت : أطلقك رسول الله (ص) ؟ فقالت : لا أدري هو هذا معترلاً في هذه المشربة ، فأتيت غلاماً له أسود ، فقلت : استأذن لعمر . فدخل الغلام ، ثم خرج إلي ، فقال : قد ذكرت لك له فصمت ، فانطبقت حتى أتيت المنبر ، فإذا عنده رهطٌ جلوسٌ يبكي بعضهم ، فجلست قليلاً ، ثم غلبني ما أجد ، فأتيت الغلام ، فقلت : استأذن لعمر . فدخل ، ثم خرج إلي ، فقال : قد ذكرت لك له ، فصمت ، فخرجت ، فجلست إلى المنبر ، ثم غلبني ما أجد ، فأتيت الغلام ، فقلت : استأذن لعمر . فدخل ثم خرج إلي ، فقال : قد ذكرت لك له ، فصمت ، فوليت مدبراً ، فإذا الغلام يدعوني ، فقال : ادخل ، فقد أذن لك . فدخلت ، فسلمت على رسول الله (ص) ، فإذا هو متكأ على رمل حصير ، قد أثر في جنبه ، فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك؟! فرفع رأسه إلي ، وقال : « لا » فقلت : الله أكبر ! لو رأيتنا يا رسول الله ! وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة ، وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يتعلمن من

نسائهم ، فتغصبت على امرأتي يوماً فإذا هي تراجعني ، فأنكرت أن تراجعني ، فقالت : ما تنكر أن أراجحك ؟ فوالله إن أزواج رسول الله (ص) ليراجعنه ، وتهجره إحداهنَّ اليوم إلى الليل. فقلت : قد خاب من فعل ذلك منهنَّ ، وخسر ، أفتأمن إحداهنَّ أن يغضب الله عليها لغضب رسوله ، فإذا هي قد هلكت ؟ فتبسّم رسول الله (ص) ، فقلت : يا رسول الله ! فدخلت على حفصة ، فقلت : لا يغرك أن كانت جارتك هي أوسم ، وأحبَّ إلى رسول الله منك ، فتبسّم أخرى ، فقلت : أستأنسُ يا رسول الله !؟ قال : « نعم » فجلست ، فرفعت رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرُدُّ البصر إلا أهباً [(٢٧٠)] ثلاثة ، فقلت : ادع يا رسول الله أن يوسّع على أمتك ، فقد وسّع على فارس ، والرُّوم ، وهم لا يعبدون الله . فاستوى جالساً ، ثمَّ قال : « أفي شك أنت يا بن الخطاب !؟ أولئك قومٌ عجّلت لهم طيبائهم في الحياة الدنيا » . فقلت : استغفر لي يا رسول الله ! وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدّة موجدته عليهنَّ ، حتّى عاتبه الله عزَّ وجلَّ [(٢٧١)] .

هذا ما تيسّر جمعه ، وترتيبه من حياة الفاروق في المجتمع المدنيّ ، ولقد نال عمر - رضي الله عنه - أوسمةً رفيعةً من رسول الله (ص) ، بيّنت فضله ، ودينه ، وعلمه - رضي الله عنه - وستحدّث عنها بإذن الله .
رابعاً : شيءٌ من فضائله ، ومناقبه :

إنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يلي أبا بكر الصّدّيق في الفضل ، فهو أفضلُ النَّاسِ على الإطلاق بعد الأنبياء ، والمرسلين ، وأبي بكرٍ ، وهذا ما يلزم المسلم اعتقاده في أفضليته - رضي الله عنه - وهو معتقد الفرقة النّاجية أهل السُنّة ، والجماعة [(٢٧٢)] ، وقد وردت الأحاديث الكثيرة والأخبار الشّهيرة بفضائل الفاروق - رضي الله عنه - ومنها :

١. إيمانه وعلمه ودينه :

فقد جاء في منزلة إيمانه - رضي الله عنه - ما رواه عبد الله بن هشام : أنه قال : كنّا مع النّبِيّ (ص) وهو اخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله ! لأنّ أحبُّ إليّ من كل شيءٍ إلا من نفسي ، فقال النّبِيّ (ص) : « لا والذي نفسي بيده ! حتّى أكون أحبَّ إليك من نفسك » فقال له عمر : فإنّه الان والله لأنّ أحبُّ إليّ من نفسي ! فقال النّبِيّ (ص) : « الان يا عمر [(٢٧٣)] » .

وأما علمه ، فقد قال رسول الله (ص) : « بينما أنا نائمٌ شربت - يعني : اللّبن - حتّى أنظر إلى الرّيّ يجري في ظفري ، أو في أظفاري ، ثمَّ ناولت عمر » فقالوا: فما أولّته ؟ قال : « العلم » [(٢٧٤)] .

وجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبّن ، والعلم في كثرة النّفع ، وكونهما سبباً للصّلاح ، فاللبّن للغذاء البدنيّ ، والعلم للغذاء المعنوي . وفي الحديث فضيلةٌ ، ومنقبةٌ لعمر . رضي الله عنه . وإنّ الرّؤيا من شأنها ألاّ تحمل على ظاهرها ، وإن كانت رؤيا الأنبياء من الوحي ، لكن منها ما يحتاج إلى تعبير ، ومنها ما يحمل على ظاهره .

والمراد بالعلم . في الحديث . : سياسة النّاس بكتاب الله ، وسنة رسول الله (ص) . واختصّ عمر بذلك لطول مدّته بالنسبة إلى أبي بكرٍ ، وباتّفاق النّاس على طاعته بالنسبة إلى عثمان ، فإنّ مدّة أبي بكرٍ كانت قصيرةً ، فلم تكثر فيها الفتوح ؛ التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف ، ومع ذلك فساس عمر فيها مع طول مدّته النّاس بحيث لم يخالفه أحدٌ ، ثمّ ازدادت اتّساعاً في خلافة عثمان ، فانتشرت الأقوال ، واختلفت الآراء ، ولم يتفق له ما اتفق لعمر في طواعية الخلق له ، فنشأت من ثمّ الفتن إلى أن أفضى الأمر إلى قتله ، واستخلف عليٌّ فما ازداد الأمر إلاّ اختلافاً ، والفتن إلاّ انتشاراً . وأمّا دينه ، فقد قال رسول الله : « بينما أنا نائمٌ ، رأيت النّاس يعرضون ، وعليهم قمصٌ منها ما يبلغ الثديّ ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومرّ عمر بن الخطّاب ، وعليه قميص يجرّه » قالوا : ماذا أولت ذلك يا رسول الله ؟! قال : « الدّين » [(٢٧٥)] .

٢. هيبة عمر ، وخوف الشّيطان منه :

عن سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . قال : استأذن عمر بن الخطّاب على رسول الله (ص) وعنده نسوةٌ من قريشٍ يُكَلِّمنه ، ويستكترنه ، عاليةٌ أصواتهنّ على صوته ، فلمّا استأذن عمر بن الخطّاب ؛ قمن ، فبادرن الحجاب ، فأذن له رسول الله (ص) ، فدخل عمر ورسول الله (ص) يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ! فقال النّبِيُّ (ص) : « عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي ، فلمّا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب » قال عمر : فأنت أحقُّ أن يهبن يا رسول الله ! ثمّ قال عمر : يا عدوّات أنفسهنّ ! أتهبنني ، ولا تهبن رسول الله (ص) ؟! فقلن : نعم أنت أفضُّ ، وأغلظ من رسول الله (ص) . فقال رسول الله (ص) : « إيهاً يا بن الخطّاب ! والذي نفسي بيده ! ما لقيك الشّيطان سالكاً فجاً » [(٢٧٦)] قَطُّ إلاّ سلك فجاً غير فجك » [(٢٧٧)] . هذا الحديث فيه فضل

عمر . رضي الله عنه . وأنّه من كثرة التزامه الصّواب لم يجد الشّيطان عليه مدخلاً ينفذ إليه [(٢٧٨)] .

قال ابن حجر : فيه فضيلةٌ لعمر ، تقتضي : أنّ الشّيطان لا سبيل له عليه ، لا أنّ ذلك يقتضي وجود العصمة ؛ إذ ليس فيه إلاّ فرار الشّيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها ، ولا يمنع ذلك من وسوسته

له ، بحسب ما تصل إليه قدرته . فإن قيل : عدم تسليطه عليه بالسوسة يؤخذ بطريق مفهوم الموافقة ؛ لأنه إذا منع من السلوك في طريق ؛ فأولى ألا يلبسه بحيث يتمكن من وسوسته له ، فيمكن أن يكون حفظ من الشيطان ، ولا يلتزم من ذلك ثبوت العصمة له ؛ لأنها في حق النبي واجبة ، وفي حق غيره ممكنة . ووقع حديث حفصة عند الطبراني في الأوسط بلفظ : « إن الشيطان لا يلقي عمر منذ أسلم إلا فرّ لوجهه » .

هذا دالٌّ على صلابته في الدين ، واستمرار حاله على الجدِّ الصرف ، والحقِّ المحض ، وقال النووي : هذا الحديث محمولٌ على ظاهره ، وأنَّ الشيطان يهرب إذا راه ؛ وقال عياضٌ : يحتمل أن يكون ذلك على سبيل ضرب المثل ، وأنَّ عمر فارق سبيل الشيطان ، وسلك طريق السداد ، فخالف كلَّ ما يجبه الشيطان . قال ابن حجر : والأول أولى [(٢٧٩)] .

٣. ملهم هذه الأمة :

قال رسول الله (ص) : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك في أمّتي أحدٌ ؛ فإنه عمر » [(٢٨٠)] . هذا الحديث تضمّن منقبةً عظيمةً للفاروق . رضي الله عنه . وقد اختلف العلماء في المراد بالمحدث ، فقيل : المراد بالمحدث : الملهم . وقيل : من يجري الصواب على لسانه من غير قصدٍ ، وقيل : مُكَلِّمٌ ؛ أي : تكلمه الملائكة بغير نبوةٍ ، بمعنى أنها تكلمه في نفسه ، وإن لم ير مُكَلِّمًا في الحقيقة ، فيرجع إلى الإلهام . وفسره بعضهم بالتفريس [(٢٨١)] .

قال ابن حجر: والسبب في تخصيص عمر بالذكر، لكثرة ما وقع له في زمن النبي (ص) من الموافقات التي نزل القرآن مطابقاً لها، ووقع له بعد النبي (ص) عدّة إصابات [(٢٨٢)] . وكون عمر . رضي الله عنه . اختص بهذه المكرمة العظيمة ، وانفرد بها دون من سواه من الصحابة لا تدلُّ على أنه أفضل من الصديق . رضي الله عنه [(٢٨٣)] . قال ابن القيم : ولا تظنَّ أنَّ تخصيص عمر . رضي الله عنه . بهذا تفضيلٌ له على أبي بكرٍ الصديق ، بل هذا من أقوى مناقب الصديق ، فإنه لكمال مشربه من حوض النبوة ، وتمام رضاعه من ثدي الرسالة، استغنى بذلك عمّا تلقاه من تحديثٍ، أو غيره، فالذي يتلقاه من مشكاة النبوة أتمُّ من الذي يتلقاه عمر من التحديث ، فتأمل هذا الموضوع وأعطه حقه من المعرفة ، وتأمل ما فيه من الحكمة البالغة الشاهدة لله بأنه الحكيم الخبير [(٢٨٤)] .

٤. لم أر عبقرياً يفري فريه :

قال رسول الله (ص) : « رأيت في المنام أُنزِعُ بِدَلْوٍ بَكَرَةً عَلَى قَلْبِي » [(٢٨٥)] ، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً ، أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً ، والله يغفرُ له [(٢٨٦)] ، ثمَّ جاء عمر بن الخطَّاب ، فاستحالت غَرْباً ، فلم أر عبقرياً يُفْري فَرْيَهُ ، حتَّى روي النَّاسُ ، وضربوا بِعَطَنِ « [(٢٨٧)] . وهذا الحديث فيه فضيلةٌ ظاهرةٌ لعمر . رضي الله عنه . تضمَّنَها قوله (ص) : « فجاء عمر بن الخطَّاب ، فاستحالت غرباً ... الحديث » ومعنى « استحالت » : صارت ، وتحوَّلت من الصِّغَرِ إلى الكبر . وأمَّا « العبقرِيُّ » فهو السَّيِّدُ ، وقيل : الَّذي ليس فوقه شيءٌ ، ومعنى « ضرب النَّاسُ بِعَطَنِ » أي : أرووا إبلهم ، ثمَّ اووها إلى عطنها ، وهو الموضع الَّذي تُساق إليه بعد السَّقْيِ ؛ لتستريح . وهذا المنام الَّذي راه النَّبِيُّ (ص) مثلاً واضحٌ لما جرى للصِّدِّيقِ ، وعمر . رضي الله عنهما . في خلافتهما ، وحسن سيرتهما ، وتطور اثارهما ، وانتفاع النَّاسِ بهما ، فقد حصل في خلافة الصِّدِّيقِ قتالُ أهل الردَّةِ ، وقطع دابرهم ، واتَّساع الإسلام رغم قصر مدَّةِ خلافته ، فقد كانت سنتين ، وأشهرًا ، فوضع الله فيها البركة ، وحصل فيها من النَّفع الكثير ، ولما توفِّي الصِّدِّيقِ خلفه الفاروق ، فاتَّسعت رقعة الإسلام في زمنه وتقرَّرَ للنَّاسِ من أحكامه ما لم يقع مثله ، فكثرت انتفاع النَّاسِ في خلافة عمر لطولها ، فقد مصَّرَ الأمصار ، ودوَّن الدَّواوين ، وكثرت الفتوحات ، والغنائم .

ومعنى قوله (ص) : « فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه » : أي لم أر سيِّداً يعمل عمله ، ويقطع قطعه . ومعنى قوله (ص) : « حتى ضرب الناس بعطن » ، قال القاضي عياض : ظاهره أنَّه عائد إلى خلافة عمر خاصَّةً ، وقيل : يعود إلى خلافة أبي بكر ، وعمر جميعاً ؛ لأنَّ بنظرهما ، وتدبيرهما ، وقيامهما بمصالح المسلمين تمَّ هذا الأمر ، « وضرب النَّاسِ بعطنٍ » ، لأنَّ أبا بكرٍ قمع أهل الردَّةِ ، وجمع شمل المسلمين ، وألَّفهم ، وابتدأ الفتوح ، ومهَّد الأمور ، وتمَّت ثمرات ذلك ، وتكاملت في زمن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما [(٢٨٨)] .

٥. غَيْرَةُ عمر رضي الله عنه ، وبشرى رسول الله (ص) له بقصرٍ في الجنَّةِ :

قال رسول الله (ص) : « رأيتني دخلت الجنَّةَ ، فإذا أنا بالرُّمَيْصَاءِ امرأةَ أبي طلحة ، وسمعت حَشْفَةً ، فقلت : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا بلالٌ ، ورأيت قصراً بفنائها جاريةٌ ، فقلت : لمن هذا ؟ فقال : لعمرَ ، فأردت أن أدخله ، فأنظر إليهِ ، فذكرت غيرتك » . فقال عمر : بأبي ، وأمِّي يا رسول الله ! أعليك أغار ؟ [(٢٨٩)] . وفي رواية قال رسول الله (ص) : « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة

تتوضأ إلى جانب قصر فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فولّيت مدبراً « فبكى عمر ، وقال : أعلّيك أغار يا رسول الله [(٢٩٠)] ؟ !

هذان الحديثان اشتملا على فضيلة ظاهرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . حيث أخبر النبيّ (ص) برؤيته قصراً في الجنّة للفاروق ، وهذا يدلُّ على منزلته عند الله تعالى [(٢٩١)] .

٦. أحبُّ أصحاب رسول الله (ص) إليه بعد أبي بكرٍ :

قال عمرو بن العاص . رضي الله عنه . : قلت : يا رسول الله ! أيُّ النَّاس أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشة »
« قلت : يا رسول الله ! من الرِّجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثمَّ من ؟ قال : « عمر بن الخطاب »
ثمَّ عدَّ رجالاً [(٢٩٢)] .

٧. بشرى لعمر بالجنّة :

عن أبي موسى الأشعريّ قال : كنت مع النبيّ (ص) في حائطٍ من حيطان المدينة ، فجاء رجلٌ فاستفتح ، فقال النبيّ (ص) : « افتح له ، وبشره بالجنّة » ففتحت له ، فإذا أبو بكر فبشّرته بما قال النبيّ (ص) ، فحمد الله ، ثمَّ جاء رجلٌ فاستفتح ، فقال النبيّ (ص) : « افتح له وبشره بالجنّة » ففتحت له ، فإذا هو عمر ، فأخبرته بما قال النبيّ (ص) ، فحمد الله ، ثمَّ استفتح رجلٌ ، فقال لي : « افتح له ، وبشّره بالجنّة على بلوى تصيبه » فإذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله (ص) فحمد الله ، ثمَّ قال : الله المستعان [(٢٩٣)] .

خامساً : موقف عمر في مرض رسول الله (ص) ووفاته :

١. في مرض رسول الله (ص) :

قال عبد الله بن زمعة : لما استعزَّ برسول الله (ص) وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين ؛ دعاه بلالٌ إلى الصلّاة ، فقال (ص) : « مروا من يصليّ للنّاس » ، قال : فخرجت فإذا عمر في النّاس ، وكان أبو بكر غائباً ، فقلت : يا عمر ! قم فصلِّ بالنّاس ، فتقدّم ، فكبّر ، فلمّا سمع رسول الله (ص) صوته ، وكان عمر رجلاً مجهراً ، قال : « فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ! يأبى الله ذلك والمسلمون ! » قال : فبعث إلى أبي بكرٍ ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلّاة ، فصلّى بالنّاس ، قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لي عمر : ويحك !! ماذا صنعت بي يا بن زمعة ؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أنّ رسول الله أمر بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالنّاس ! قال : قلت : والله ما أمرني رسول الله (ص) بذلك ، ولكّني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقّ من حضر بالصلّاة بالنّاس [(٢٩٤)] . وقد روى ابن

عباسٍ بأنّه : لما اشتدَّ بالنَّبِيِّ (ص) وجعه قال : « ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا بعده » قال عمر . رضي الله عنه . : إنَّ النَّبِيَّ (ص) غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ! فاختلفوا ، وكثر اللَّغَط قال : « قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع » فخرج ابن عبَّاس يقول : إنَّ الرزيَّة كلَّ الرزيَّة ما حال بين رسول الله (ص) وبين كتابه [٢٩٥] .

وقد تكلم العلماء على هذا الحديث بما يشفي العليل ، ويروي الغليل ، وقد أطال النَّفس في الكلام عليه النَّوويُّ في شرح مسلم ، فقال : اعلم : أنَّ النَّبِيَّ (ص) معصوم من الكذب ، ومن تغيير شيء من الأحكام الشَّرعيَّة في حال صحَّته ، وحال مرضه ، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه ، وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه ، وليس معصوماً من الأمراض ، والأسقام العارضة للأجسام ، ونحوها ممَّا لا نقص فيه لمنزلته ، ولا فساد لما تمهَّد من شريعته ، وقد سُحِر (ص) حتَّى صار يخيَّل إليه أنَّه فعل الشيء ولم يكن فعله ، ولم يصدر منه (ص) وفي هذا الحال كلامٌ في الأحكام مخالِفٌ لما سبق من الأحكام التي قرَّرها ، فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي همَّ النَّبِيُّ (ص) به ، فقيل : أراد أن ينصَّ على الخلافة في إنسانٍ معيَّنٍ لئلا يقع نزاعٌ ، وفتنٌ . وقيل أراد كتاباً يبيِّن فيه مهمات الأحكام ملخصةً ، ليرتفع النزاع فيها ، ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه ، وكان النَّبِيُّ (ص) همَّ بالكتاب حين ظهر له أنَّه مصلحة ، أو أوحى إليه بذلك ، ثمَّ ظهر : أنَّ المصلحة تركه ، أو أوحى إليه بذلك ، ونسخ ذلك الأمر الأوَّل .

وأما كلام عمر . رضي الله عنه . فقد اتَّفَق العلماء المتكلِّمون في شرح الحديث على أنَّه من دلائل فقه عمر ، وفضائله ، ودقيق نظره ؛ لأنَّه خشي أن يكتب (ص) أموراً ربما عجزوا عنها ، واستحقُّوا العقوبة عليها لأنَّها منصوِّبة لا مجال للاجتهاد فيها ، فقال عمر : حسبنا كتاب الله ، لقوله تعالى : { مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: ٣٨] ، وقوله : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } [المائدة: ٣] فعلم : أنَّ الله تعالى أكمل دينه ، فأمن الضلال على الأمة ، وأراد الترفيه على رسول الله (ص) ، فكان عمر أفقه من ابن عباس ، وموافقيه .

قال البيهقيُّ : ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنَّه توهم الغلط على رسول الله (ص) ، أو ظنَّ به غير ذلك ممَّا لا يليق به بحالٍ ، لكنَّه لما رأى ما غلب على رسول الله (ص) من الوجع ، وقرب الوفاة ، مع ما اعتراه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول ممَّا يقوله المريض ممَّا لا عزيمة له فيه ، فيجد المنافقون بذلك سبيلاً إلى الكلام في الدِّين ، وقد كان أصحابه (ص) يراجعونه في بعض الأمور قبل أن يجزم فيها

بتحتيم ، كما راجعوه يوم الحديبية في الخلاف ، وفي كتاب الصلح بينه وبين قريش ، فأما إذا أمر النبي (ص) بالشيء أمر عزيمة ؛ فلا يراجعه فيه أحد منهم [(٢٩٦)]. وقول عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله ، ردُّ على من نازعه ، لا على أمر النبي (ص) [(٢٩٧)].

وعلق الشيخ علي الطنطاوي على ذلك ، فقال : والذي أراه أن عمر قد تعوّد خلال صحبته الطويلة للرسول أن يبدي له رأيه لما يعلم من إذنه له بذلك ، ولرضاه عنه ، وقد مرّ من أخبار صحبته مواقف كثيرة ، كان يقترح فيها على رسول الله (ص) أموراً ، ويطلب منه أموراً ، ويسأله عن أمور ، فكان الرسول (ص) يقرُّه على ما فيه الصواب ، ويردُّه عن الخطأ ، فلمّا قال الرسول (ص) : « ائتوني أكتب لكم كتاباً » اقترح عليه عمر على عادته التي عوّدته الرسول (ص) ، أن يكتبني بكتاب الله ، فأقرّه الرسول (ص) ، ولو كان يريد الكتابة ؛ لأسكت عمر ، ولأمضى ما يريد [(٢٩٨)].

٢. موقفه يوم قبض الرسول (ص) :

لما بلغ النَّاسَ خبر وفاة رسول الله (ص) ؛ حدثت ضجّةٌ كبيرةٌ ، فقد كان موت الرسول (ص) صدمةً لكثيرٍ من المسلمين خاصّة ابن الخطّاب ، حدّثنا عن ذلك الصّحابيّ الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - حيث قال : لما توفي رسول الله (ص) ؛ قام عمر بن الخطّاب فقال : إنّ رجالاً من المنافقين يزعمون : أنّ رسول الله (ص) قد توفي ، وإنّ رسول الله ما مات ، ولكنّه ذهب إلى ربّه ، كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلةً ، ثمّ رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات ، والله ليرجعن رسول الله (ص) كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجالٍ ، وأرجلهم زعموا : أنّ رسول الله (ص) قد مات [(٢٩٩)].

وأقبل أبو بكر حتّى نزل على باب المسجد - حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتّى دخل على رسول الله (ص) في بيت عائشة - رضي الله عنها - ورسول الله (ص) مسجّى في ناحية البيت ، عليه بردةٌ حبرة ، فأقبل حتّى كشف عن وجه رسول الله (ص) ثمّ أكبّ

عليه ، فقبّله ، ثمّ بكى ، فقال : بأبي أنت ، وأمي ! لا يجمع الله عليك موتين ، أمّا الموتة التي كتب الله عليك ؛ فقد ذقتها ، ثمّ لن تصيبك بعدها موتةٌ أبداً . قال : ثمّ رد البردة على وجه رسول الله (ص) ، ثمّ خرج ، وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ! أنصت ، فأبى إلا أن يتكلّم ، فلما راه أبو بكر لا ينصت ؛ أقبل على النَّاس ، فلمّا سمع الناس كلامه ؛ أقبلوا عليه ، وتركوا عمر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيُّها الناس ! إنّه من كان يعبد محمّداً ؛ فإنّ محمّداً قد مات ، ومن كان يعبد

الله ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * } [آل عمران : ١٤٤] .

قال أبو هريرة : فوالله لكأنَّ النَّاسَ لم يعلموا : أنَّ هذه الآية نزلت حتَّى تلاها أبو بكر يومئذٍ ، قال : وأخذها النَّاسُ عن أبي بكرٍ ، فإِنَّمَا هي في أفواههم . قال : فقال أبو هريرة : قال عمر : فوالله ! ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت ؛ حتَّى وقعتُ إلى الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت : أنَّ رسول الله قد مات [(٣٠٠)] .

* * *

المبحث الثالث

عمر رضي الله عنه في خلافة الصِّدِّيق

أولاً : مقامه في سقيفة بني ساعدة ، ومبايعته الصِّدِّيق :

عقب وفاة النَّبِيِّ (ص) اجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : منَّا أميرٌ ، ومنكم أميرٌ ، فذهب إليهم أبو بكر ، وعمر بن الخطَّاب ، وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلَّم ، فأسكته أبو بكر ، وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك إلا أنِّي قد هيأتُ كلاماً قد أعجبني خشيت ألا يبلغه أبو بكر ، ثمَّ تكلم أبو بكر ، فتكلَّم أبلغ النَّاسِ ، فقال في كلامه : نحن الأمراء ، وأنتم الوزراء . فقال حباب بن المنذر : لا والله لا نفعل ! منَّا أميرٌ ، ومنكم أميرٌ ، فقال أبو بكر : لا ، ولكننا الأمراء ، وأنتم الوزراء ، هم أوسط العرب داراً ، وأعرهم أحساباً ، فبايعوا عمر ، أو أبا عبيدة . فقال عمر : بل نبايعك أنت ، وأنت سيِّدنا ، وخيرنا ، وأحبُّنا إلى رسول الله ، فأخذ عمر بيده فبايعه ، وبايعه النَّاسُ [(٣٠١)] ، فرضي الله عن عمر ، وأرضاه ، فإنَّه عندما ارتفعت الأصوات في السَّقيفة ، وكثر اللُّغط ، وخشي عمر الاختلاف ، ومن أخطر الأمور التي خشىها عمر أن يبدأ بالبيعة لأحد الأنصار ، فتحدث الفتنة العظيمة ؛ لأنَّه ليس من اليسير أن يبايع أحدٌ بعد البدء بالبيعة لأحد الأنصار ، فأسرع عمر . رضي الله عنه . إخماداً للفتنة [(٣٠٢)] ، وقال للأنصار : يا معشر الأنصار ! أستم تعلمون : أنَّ رسول الله (ص) أمر أبا بكر أن يؤمَّ النَّاسَ ، فأئكم تطيب نفسه أن يتقدَّم أبا بكر ؟

فقلت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر [(٣٠٣)] ! ثمَّ بادر رضي الله عنه وقال لأبي بكر : ابسط يدك ، فبسط يده ، فبايعه ، وبايعه المهاجرون ، ثمَّ الأنصار [(٣٠٤)] .

وعندما كان يوم الثلاثاء جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلَّم قبل أبي بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثمَّ قال : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنِّي كُنت قُلْتُ لَكُمْ بِالْأَمْسِ مَقَالَةً مَا كَانَتْ ، وَمَا وَجَدْتَهَا فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَلَا كَانَتْ عَهْدًا عَهْدَهُ إِلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنت أَرَى : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) سَيَدْبِرُ أَمْرَنَا . يَقُولُ : يَكُونُ آخِرْنَا . وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْقَى فِيكُمْ كِتَابَهُ الَّذِي بِهِ هَدَى اللَّهُ

رَسُولَهُ (ص) ، فَإِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِمَا كَانَ هِدَاةً لَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ أَمْرَكُمْ عَلَى خَيْرِكُمْ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، فَقَوْمُوا ، فَبَايَعُوا ، فَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ بِبَيْعَتِهِ الْعَامَّةِ بَعْدَ بَيْعَةِ السَّقِيفَةِ [(٣٠٥)] ، فَكَانَ عَمْرٌ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . يَذُودُ ، وَيَقْوِي ، وَيَشْجَعُ النَّاسَ عَلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى جَمَعَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَنْقَذَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْاِخْتِلَافِ وَالْفِرْقَةِ ، وَالْفِتْنَةِ ، فَهَذَا الْمَوْقِفُ الَّذِي وَقَفَهُ عَمْرٌ مَعَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ جَمْعِهِمْ عَلَى إِمَامَةِ أَبِي بَكْرٍ مَوْقِفٌ عَظِيمٌ مِنْ أَعْظَمِ مَوَاقِفِ الْحِكْمَةِ ؛ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَسَجَّلَ بِمَاءِ الذَّهَبِ [(٣٠٦)] .

لقد خشي أن يتفرَّق أمر المسلمين ، وتشبَّ نار الفتن ، فأخمدها بالمبادرة إلى مبايعة أبي بكر ، وتشجيع النَّاسِ على المبايعة العامَّة فكان عمله هذا سبباً لنجاة المسلمين من أكبر كارثةٍ كانت تحلُّ بهم ، لولا يمن نقيته ، وصحَّة نظره بعد معونة الله تعالى [(٣٠٧)] .

ثانياً : مراجعته لأبي بكر في محاربة مانعي الزَّكاة ، وإرسال جيش أسامة :

قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : لما توفي رسول الله (ص) وكان أبو بكر بعده ، وكفر مَنْ كفر مِنْ العرب ، قال عمر : يا أبا بكر ! كيف تقاتل النَّاسَ ، وقد قال رسول الله (ص) : « أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتَلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ عَصِمَ مِنِّي مَالُهُ ، وَنَفْسُهُ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ » ؟! قال أبو بكر : وَاللَّهِ لَأَقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ ، وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا [(٣٠٨)] ، كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) ؛ لِقَاتَلْتَهُمْ عَلَى مَنَعِهَا . قَالَ عَمْرٌ : فَوَاللَّهِ ! مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتَ أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - . قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ ، فَعَرَفْتُ : أَنَّهُ الْحَقُّ [(٣٠٩)] .

وعندما اقترح بعض الصحابة على أبي بكرٍ بأن يبقى جيش أسامة حتى تهدأ الأمور ؛ أرسل أسامة من معسكره من الجرف عمر بن الخطاب رضي الله عنهما إلى أبي بكر يستأذنه أن يرجع بالنَّاسِ ، وقال :

إِنَّ مَعِيَ وَجوهَ الْمُسْلِمِينَ وَجَلَّتْهُمْ ، وَلَا أَمِنَ عَلَى خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَالْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَخَطَّفَهُمُ الْمُشْرِكُونَ [(٣١٠)] . وَلَكِنَّ أَبَا بَكْرٍ خَالَفَ ذَلِكَ ، وَأَصْرَرَ عَلَى أَنْ تَسْتَمِرَّ الْحَمْلَةُ الْعَسْكَرِيَّةُ فِي تَحْرُكِهَا إِلَى الشَّامِ كَانَتْ الظُّرُوفُ ، وَالْأَحْوَالُ ، وَالتَّوَاتُجُ ، وَطَلَبَتِ الْأَنْصَارُ رِجَالًا أَقْدَمَ سَنًا مِنْ أُسَامَةَ يَتَوَلَّى أَمْرَ الْجَيْشِ ، وَأَرْسَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيَحْدِثَ

الصِّدِّيقِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . : فَإِنَّ الْأَنْصَارَ تَطْلُبُ رِجَالًا أَقْدَمَ سَنًا مِنْ أُسَامَةَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَوَثَبَ أَبُو بَكْرٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَكَانَ جَالِسًا ، وَأَخَذَ بِلِحْيَةِ عُمَرَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَقَالَ : ثَكَلْتِكَ أَمْكُ يَا بْنَ الْخَطَّابِ ! اسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ، وَتَأْمَرْنِي أَنْ أَعْزِلَهُ [(٣١١)] ، فَخَرَجَ عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . إِلَى النَّاسِ ، فَقَالُوا : مَا صَنَعْتَ ؟ فَقَالَ : امضُوا ثَكَلْتَكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ ! مَا لَقِيتُ فِي سَبَبِكُمْ مِنْ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ [(٣١٢)] .

ثالثاً : عُمَرُ ، وَرُجُوعُ مِعَاذٍ مِنَ الْيَمَنِ ، وَفِرَاسَةُ صَادِقَةٌ فِي أَبِي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيِّ ، وَرَأْيُهُ فِي تَعْيِينِ أَبَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الْبَحْرَيْنِ :

١. عُمَرُ وَرُجُوعُ مِعَاذٍ مِنَ الْيَمَنِ :

مَكَثَ مِعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِالْيَمَنِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَكَانَ لَهُ جِهَادُهُ الدَّعْوِيُّ ، وَكَذَلِكَ ضَدَّ الْمُرْتَدِّينَ ، وَبَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَدِمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . لِأَبِي بَكْرٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . : أَرْسَلْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ ، فَدَعْ لَهُ مَا يُعَيِّشُهُ ، وَخُذْ سَائِرَهُ مِنْهُ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنَّمَا بَعَثَهُ النَّبِيُّ (ص) لِيَجْبِرَهُ ، وَلَسْتُ بِأَخِذٍ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُعْطِينِي ، وَرَأَى عُمَرُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . لَمْ يَأْخُذْ بِرَأْيِهِ ، وَلَكِنَّ عُمَرَ مُقْتَنِعٌ بِصَوَابِ رَأْيِهِ ، فَذَهَبَ إِلَى مِعَاذٍ لَعَلَّهُ يَرْضَى ، فَقَالَ مِعَاذُ : إِنَّمَا بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ (ص) لِيَجْبِرَنِي وَلَسْتُ بِفَاعِلٍ . إِنَّ عُمَرَ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مُسْتَعْدِيًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَرِيدُ الْخَيْرَ لِمِعَاذٍ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَهِيَ هِيَ مِعَاذُ يَرْفُضُ نَصِيحَةَ عُمَرَ ، وَيَعْلَمُ عُمَرُ : أَنَّهُ لَيْسَ بِصَاحِبِ سُلْطَانٍ عَلَى مِعَاذٍ ، فَيَنْصَرِفُ رَاضِيًا ، لِأَنَّهُ قَامَ بِوَجْهِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ ، وَلَكِنْ مِعَاذًا رَأَى رَفْضَهُ نَصِيحَةَ عُمَرَ مَا جَعَلَهُ يَذْهَبُ إِلَيْهِ قَائِلًا : قَدْ أَطَعْتُكَ ، وَإِنِّي فَاعِلٌ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، فَإِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي فِي خَوْضَةِ مَاءٍ قَدْ خَشِيتُ الْغَرَقَ ، فَخَلَصْتَنِي مِنْهُ يَا عُمَرُ ! ثُمَّ ذَهَبَ مِعَاذُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَذَكَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ لَهُ ، وَحَلَّفَهُ : أَنَّهُ لَا يَكْتُمُهُ شَيْئًا . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . : أَنَا لَا أَخِذُ شَيْئًا ، وَقَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ . فَقَالَ عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . : هَذَا حِينَ حَلَّ ، وَطَابَ [(٣١٣)] . وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِمِعَاذٍ :

ارفع حسابك . فقال معاذ : أحسابان : حساب الله ، وحساب منكم ؟ والله لا ألي لكم عملاً أبداً [(٣١٤)] !

٢. فراسة صادقة في أبي مسلم الخولاني :

كان عمر . رضي الله عنه . يتمتع بفراسة يندر وجودها في هذه الحياة ، فقد روى الذهبي : أن الأسود العنسي تنبأ باليمن . ادعى النبوة . فبعث إلى أبي مسلم الخولاني ، فاتاه بنارٍ عظيمة ، ثم إنّه ألقى أبا مسلمٍ فيها ، فلم تضرّه .. فقيل للأسود : إن لم تنف هذا عنك أفسد عليك من أتبعك ، فأمره بالرحيل ، فقدم المدينة ، فأناخ راحلته ، ودخل المسجد يصلي ، فبصر به عمر . رضي الله عنه . فقام إليه ، فقال : ممن الرجل ؟ قال : من اليمن . قال : وما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب . قال : نشدتك بالله ! أنت هو ؟ قال : اللهم نعم ! فاعتنقه عمر ، وبكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصديق ، فقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد (ص) من صنع به كما صنع إبراهيم الخليل [(٣١٥)] .

٣. رأيه في تعيين أبان بن سعيد على البحرين :

انتهج أبو بكر . رضي الله عنه . خط الشورى في تعيين الأمراء ، فقد ورد : أنه شاور أصحابه فيمن يبعث إلى البحرين ، فقال له عثمان : ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله ، فقدم عليه [(٣١٦)] بإسلامهم ، وطاعتهم ، وقد عرفوه ، وعرفهم ، وعرف بلادهم . يعني : العلاء بن الحضرمي . فأبى ذلك عمر عليه ، وقال : أكره أبان بن سعيد بن العاص ، فإنه رجلٌ قد حالفهم . فأبى أبو بكر أن يكرهه ، وقال : لا أكره رجلاً يقول : لا أعمل لأحدٍ بعد رسول الله . وأجمع أبو بكر بعثة العلاء بن الحضرمي إلى البحرين [(٣١٧)] .

رابعاً : رأي عمر في عدم قبول دية قتلى المسلمين ، واعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن :

١. رأي عمر في عدم قبول دية قتلى المسلمين في حروب الردة :

جاء وفد بزاحة من أسدٍ ، وغطفان إلى أبي بكر يسألونه الصلح ، فخيرهم بين الحرب المجلية ، والسلام المخزية ، فقالوا : هذه المجلية قد عرفناها ؛ فما المخزية ؟ قال : تنزع منكم الحلقة ، والكراع ، ونغنم ما أصبنا منكم ، وتردون علينا ما أصبتم منا ، وتدون قتالنا ، وتكون قتلاكم في النار ، وتتركون أقواماً يتبعون أذناب الإبل حتى يري الله خليفة رسوله (ص) والمهاجرين أمراً يعذرونكم به . فعرض أبو بكر ما

قال على القوم ، فقام عمر بن الخطَّاب ، فقال : قد رأيت رأياً سنشير عليك ، أمّا ما ذكرت من الحرب المجلية ، والسِّلم المخزية ؛ فنعم ما ذكرت ، وأمّا ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منكم ، وتردُّون ما أصبتم منا ؛ فنعم ما ذكرت ، وأمّا ما ذكرت تدون قتالنا ، وتكون قتلاكُم في النَّار ، فإنَّ قتالنا قاتلت ، فقتلت على أمر الله ،

أجورها على الله ، ليس لها دياتٌ . فتبايع القوم على ما قال عمر [(٣١٨)] .

٢. اعتراضه على إقطاع الصِّديق للأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن :

جاء عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس إلى أبي بكرٍ . رضي الله عنه . فقالا : يا خليفة رسول الله ! إنَّ عندنا أرضاً سبخةً ، ليس فيها كلاً ، ولا منفعةً ، فإن رأيت أن تقطعنا لعلنا نحرثها ، أو نزرعها ، لعلَّ الله أن ينفع بها بعد اليوم . فقال أبو بكرٍ لمن حوله : ما تقولون فيما قالا ، إن كانت أرضاً سبخة لا يُنتفع بها ؟ قالوا : نرى أن تقطعها إيَّاهما ، لعلَّ الله ينفع بها بعد اليوم . فأقطعهما إيَّاهما ، وكتب لهما بذلك كتاباً ، وأشهد عمر ، وليس في القوم ، فانطلقا إلى عمر يشهدانه ، فوجده قائماً بهنأ [(٣١٩)] بعيراً له ، فقالا : إنَّ أبا بكرٍ أشهدك على ما في الكتاب ، فنقرأ عليك ، أو تقرأ ؟ فقال : أنا على الحال الذي تريان ، فإن شئتما فاقرا وإِنْ شئتما فانظرا حتَّى أفرغ ، فأقرأ عليكم ، قالا : بل نقرأ ، فقرأ فلما سمع ما في الكتاب تناوله من أيديهما ، ثمَّ تفل عليه ، فمحاها ، فندمرا ، وقالا مقالةً سيئةً . فقال : إنَّ رسول الله كان يتألَّفكما ، والإسلام يومئذٍ ذليلٌ ، وإنَّ الله قد أعزَّ الإسلام ، فاذهبا ، فاجهدا جهدكما ، لا رعى الله عليكم إن رعيتما . فأقبلا إلى أبي بكرٍ ، وهما يتدَمَّران ، فقالا : والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر ؟! فقال : لا بل هو لو كان شاء . فجاء عمر . وهو مغضبٌ . فوقف على أبي بكرٍ ، فقال : أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعها هذين ؛ أرض هي لك خاصّة أم للمسلمين عامّة ؟ قال : بل للمسلمين عامّة . قال : فما حملك أن تخصَّ بها هذين دون جماعة المسلمين ؟ قال : استشرت هؤلاء الذين حولي فأشاروا عليّ بذلك . قال : فإذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، فكلُّ المسلمين أوسعتهم مشورةً ، ورضاً؟ فقال أبو بكرٍ . رضي الله عنه . : قد كنت قلت لك : إنَّك على هذا أقوى مِنِّي ، ولكن غلبتني [(٣٢٠)] .

هذه الواقعة دليلٌ لا يقبل الشكَّ : أنَّ حكم الدولة الإسلاميَّة في عهد الخلفاء الرَّاشدين كان يقوم على الشُّورى ، فهي تظهر لنا خليفة رسول الله (ص) ، حريصاً على استشارة المسلمين في الصَّغيرة والكبيرة ، وما كان ليبرم أمراً دون مشورة إخوانه [(٣٢١)] .

إِنَّ الْخَبَرَ السَّالِفَ الذِّكْرَ يُؤَكِّدُ لَنَا : أَنَّ خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - كَانَ يَمْضِي الشُّورَى فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْمُسْلِمِينَ ، بَلْ وَكَانَ يَنْزِلُ عَنْ رَأْيِهِ ، وَهُوَ مَنْ هُوَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - إِتْمَا صُورَةً لِلشُّورَى الْحَقِيقِيَّةِ الْمُنْضَبَطَةِ مَعَ أَوْامِرِ اللَّهِ ، مَعَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، لَا الشُّورَى الْمَزَيَّفَةَ الَّتِي تَجْرِي تَحْتَ قَبَابِ مَجَالِسِ دَسْتُورِيَّةٍ ، لَمْ تَجْنِ مِنْ وَرَائِهَا الشُّعُوبَ إِلَّا الْمَرَارَةَ ، وَالِاسْتَبْدَادَ ، وَالظُّلْمَ ، وَالضِّيَاعَ [(٣٢٢)] .

خامساً : جمع القرآن الكريم :

كَانَ مِنْ ضَمَنِ شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي حَرْبِ الْيَمَامَةِ كَثِيرٌ مِنْ حَفْظَةِ الْقُرْآنِ ، وَقَدْ نَتَجَ عَنْ ذَلِكَ أَنْ قَامَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِمَشُورَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِجَمْعِ الْقُرْآنِ حَيْثُ جُمِعَ مِنَ الرَّقَاعِ ، وَالْعِظَامِ ، وَالسَّعْفِ ، وَمِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ [(٣٢٣)] ، وَأَسْنَدِ الصِّدِّيقِ هَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمَ إِلَى الصَّحَابِيِّ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ ، قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : أُرْسِلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مُقْتَلٌ أَهْلُ الْيَمَامَةِ [(٣٢٤)] ، فَإِذَا عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عِنْدَهُ ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : إِنَّ عَمَرَ أَتَانِي ، فَقَالَ : إِنَّ الْقَتْلَ قَدْ اسْتَحْرَجَ [(٣٢٥)] يَوْمَ الْيَمَامَةِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحْرَجَ الْقَتْلَ بِالْقِرَاءَةِ بِالْمَوَاطِنِ [(٣٢٦)] فَيَذْهَبُ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرْآنِ ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ . قُلْتُ لِعَمَرَ : كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ؟! قَالَ عَمَرُ : هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ ، فَلَمْ يَزَلْ عَمَرَ يِرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عَمَرَ . قَالَ زَيْدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ ، لَا نَتَّهِمُكَ ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص) ، فَتَتَّبَعُ الْقُرْآنَ ، فَاجْمَعْهُ [(٣٢٧)] . قَالَ زَيْدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الْجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ الْقُرْآنِ [(٣٢٨)] .

ونستخلص من واقعة جمع القرآن الكريم بعض النتائج ، منها :

١. إِنَّ جَمْعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ جَاءَ نَتِيجَةَ الْخَوْفِ عَلَى ضِيَاعِهِ ؛ نَظَرًا لِمَوْتِ الْعَدِيدِ مِنَ الْقُرَّاءِ فِي حُرُوبِ الرَّدَّةِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقُرَّاءَ ، وَالْعُلَمَاءَ كَانُوا وَقْتئذٍ أَسْرَعَ النَّاسِ إِلَى الْعَمَلِ ، وَالْجِهَادِ لِرَفْعِ شَأْنِ الْإِسْلَامِ ، وَالْمُسْلِمِينَ بِأَفْكَارِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ وَسَيُوفِهِمْ ، فَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ يَنْبَغِي الْاِقْتِدَاءَ بِهِمْ لِكُلِّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ .

٢. إِنَّ جَمْعَ الْقُرْآنِ تَمَّ بِنَاءٍ عَلَى الْمَصْلُحَةِ الْمُرْسَلَةِ ، وَلَا أَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ عَمَرَ لِأَبِي بَكْرٍ حِينَ سَأَلَهُ : كَيْفَ نَفَعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ص) : إِنَّهُ وَاللَّهِ خَيْرٌ . وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ :

أنَّه قال له : إِنَّه والله خيرٌ ، ومصلحةٌ للمسلمين ، وهو نفس ما أجاب به أبو بكر زيد بن ثابت حين سأل نفس السؤال . وسواء صحَّت الرواية التي جاء فيها لفظ المصلحة ، أو لم تصحَّ ، فإنَّ التَّعبير بكلمة : خير ، يفيد نفس المعنى ، وهو مصلحة المسلمين في جمع القرآن ، فقد جمع القرآن مبنياً على المصلحة المرسلة أوَّل الأمر ، ثم انعقد الإجماع على ذلك بعد أن وافق الجميع بالإقرار الصَّريح ، أو الضَّمني ، وهذا يدلُّ على أنَّ المصلحة المرسلة يصحُّ أن تكون سنداً للإجماع بالنسبة لمن يقول بحجَّيتها ، كما هو مقرَّر في كتب أصول الفقه .

٣. وقد أتضح لنا من هذه الواقعة كذلك كيف كان الصَّحابة يجتهدون في جَوِّ من الهدوء ، يسوده الوُدُّ ، والاحترام ، هدفهم الوصول إلى ما يحقِّق الصَّالح العام لجماعة المسلمين ، وأنَّهم كانوا ينقادون إلى الرأي الصَّحيح ، وتنشرح قلوبهم له بعد الإقناع ، والافتناع ، فإذا اقتنعوا بالرأي ؛ دافعوا عنه ، كما لو كان رأيهم منذ البداية ، وبهذه الرُّوح أمكن انعقاد إجماعهم حول العديد من الأحكام الاجتهاديَّة [(٣٢٩)] .

* * *

الفصل الثَّالث

استخلاف الصِّدِّيق للفاروق . رضي الله عنهما . ،
وقواعد نظام حكمه ، وحياته في المجتمع

المبحث الأوَّل

استخلاف الصِّدِّيق للفاروق وقواعد نظام حكمه
أولاً : استخلاف الصِّدِّيق للفاروق :

لما اشتدَّ المرض بأبي بكرٍ جمع النَّاس إليه ، فقال : إِنَّه قد نزل بي ما قد ترون ، ولا أظنُّني إلا ميِّتٌ ؛ لما بي ، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي ، وحلَّ عنكم عقدي ، وردَّ عليكم أمركم ، فأمرُّوا عليكم مَنْ أحببتُمْ ، فإنَّكم إن أمرتم في حياتي كان أجدر ألا تختلفوا بعدي [(٣٣٠)] . وتشاور الصَّحابة . رضي الله عنهم . وكلُّ يحاول أن يدفع الأمر عن نفسه ويطلبه لأخيه ؛ إذ يرى فيه الصَّلاح ، والأهليَّة ، لذا

رجعوا إليه ، فقالوا : رأينا يا خليفة رسول الله رأيك ! قال : فأمهلوني حتى أنظر الله ، ولدينه ، ولعباده

فدعا أبو بكرٍ عبد الرحمن بن عوف ، فقال له : أخبرني عن عمر بن الخطاب ، فقال له : ما تسألني عن أمرٍ إلا وأنت أعلم به مني . فقال أبو بكر : وإن ! فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه !

ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب . فقال : أنت أخبر به ، فقال : على ذلك يا أبا عبد الله ! فقال عثمان : اللهم علمي به : أن سريره خيرٌ من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله . فقال أبو بكر : يرحمك الله ! والله لو تركته ما عدتُك !

ثم دعا أسيد بن حضير ، فقال له مثل ذلك ، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخيرة بعدك ، يرضى للرضا ، ويسخط للسخط ، والذي يسرُّ خيرٌ من الذي يعلن ، ولن يلي هذا الأمر أحدٌ أقوى عليه منه .

وكذلك استشار سعيد بن زيد ، وعددًا من الأنصار ، والمهاجرين ، وكلُّهم تقريباً كانوا برأيٍ واحدٍ في عمرٍ إلا طلحة بن عبيد الله خاف من شدته ، فقال لأبي بكر : ما أنت قائل لرؤك إذا سألك عن استخلاف عمر علينا ، وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر : أجلسوني ، أبالله تخوفوني ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم ، أقول : اللهم استخلفت عليهم خير أهلك [(٣٣١)] ! وبين لهم سبب غلظة عمر ، وشدته ، فقال : ذلك لأنة يراني رقيقاً ، ولو أفضى الأمر إليه ؛ لترك كثيراً مما عليه [(٣٣٢)] .

ثم كتب عهداً مكتوباً يُقرأ على الناس في المدينة ، وفي الأمصار عن طريق أمراء الأجناد ، فكان نصُّ العهد : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في اخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق الكاذب ، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ، وإني لم ال الله ، ورسوله ، ودينه ، ونفسي ، وإياكم خيراً ، فإن عدل ؛ فذلك ظني به ، وعلمي فيه ، وإن بدّل فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم ، والخير أردت ، ولا أعلم الغيب { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ * } [الشعراء: ٢٢٧] .

إنَّ عمر هو نصح أبي بكر الأخير للأمة ، فقد أبصر الدنيا مقبلةً تهادى ، وفي قومه فاقةً قديمةً ، يعرفها ، فإذا ما أطلُّوا لها استشرفوا شهواتها ، فنكلت بهم ، واستبدت ، وذاك حدّتهم رسول الله (ص) إيَّاه [(٣٣٣)] ، قال رسول الله (ص) : « فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن

تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على مَنْ كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم ، كما أهلكتهم» [(٣٣٤)] .

لقد أبصر أبو بكرٍ الداءَ فأتى لهم رضي الله عنه بدواءٍ ناجحٍ .. جبلٍ شاهقٍ ، إذا ما رآته الدنيا أيست ، وولت عنهم مدبرةً ، إِنَّه الرَّجُلُ الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ (ص) : « إِيهًا يَا بَنَ الْخَطَابِ ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ » [(٣٣٥)] .

إِنَّ الْأَحْدَاثَ الْجَسَامَ الَّتِي بِالْأُمَّةِ قَدْ بَدَأَتْ بِقَتْلِ عَمْرٍ ، هَذِهِ الْقَوَاصِمُ خَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى فِرَاسَةِ أَبِي بَكْرٍ وَصَدَقَ رُؤْيَتُهُ فِي الْعَهْدِ لِعَمْرٍ ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ : أَفْرَسَ النَّاسُ ثَلَاثَةَ : صَاحِبَةَ مُوسَى ؛ الَّتِي قَالَتْ : { يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ * } [القصص: ٢٦] ، وَصَاحِبَ يُوسُفَ حَيْثُ قَالَ : { أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا } [يوسف: ٢١] ، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عَمْرٍ [(٣٣٦)] ، فَقَدْ كَانَ عَمْرٌ هُوَ سَدُّ الْأُمَّةِ الْمُنِيعُ ؛ الَّذِي حَالَ بَيْنَهَا ، وَبَيْنَ أَمْوَاجِ الْفِتَنِ [(٣٣٧)] .

هَذَا وَقَدْ أَخْبَرَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِخَطَوَاتِهِ الْقَادِمَةَ ، فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرٌ ، فَعَرَفَهُ أَبُو بَكْرٍ بِمَا عَزَمَ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ، فَتَهَدَّدَهُ أَبُو بَكْرٍ بِالسَّيْفِ ، فَمَا كَانَ أَمَامَ عَمْرٍ إِلَّا أَنْ يَقْبَلَ [(٣٣٨)] ، وَأَرَادَ الصِّدِّيقُ أَنْ يَبْلِغَ النَّاسَ بِلِسَانِهِ وَاعِيًا مَدْرَكًا حَتَّى لَا يَحْصِلَ أَيُّ لَبْسٍ ، فَأَشْرَفَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّاسِ ، وَقَالَ لَهُمْ : أَتَرْضَوْنَ بِمَنْ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَلُوتُ مِنْ جَهْدِ الرَّأْيِ ، وَلَا وَلِيْتُ ذَا قَرَابَةٍ ، وَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ ، وَأَطِيعُوا . فَقَالُوا : سَمِعْنَا ، وَأَطَعْنَا [(٣٣٩)] . وَتَوَجَّهَ الصِّدِّيقُ بِالذُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ يَبْتَغِيهِ ، وَيَبْتَغِيهِ كَوَامِنَ نَفْسِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ وَلِيَّتَهُ بَغِيرَ أَمْرِ نَبِيِّكَ ، وَلَمْ أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا صَلَاحَهُمْ ، وَخَفْتُ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةَ ، وَاجْتَهَدْتُ لَهُمْ رَأْيِي ، فَوَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَهُمْ ، وَأَقْوَاهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْرَصَهُمْ عَلَى مَا أُرْشِدُهُمْ ، وَقَدْ حَضَرَنِي مِنْ أَمْرِكَ مَا حَضَرَ ، فَأَخْلَفَنِي فِيهِمْ ، فَهَمَّ عِبَادُكَ [(٣٤٠)] !

وَكَلَّفَ أَبُو بَكْرٍ عَثْمَانَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . بِأَنْ يَتَوَلَّى قِرَاءَةَ الْعَهْدِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ لِعَمْرٍ قَبْلَ مَوْتِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ خْتَمَهُ لِمَزِيدٍ مِنَ التَّوَثُّيقِ ، وَالْحَرَصُ عَلَى إِمضَاءِ الْأَمْرِ ، دُونَ أَيِّ إِثَارٍ سَلْبِيَّةٍ ، وَقَالَ عَثْمَانُ لِلنَّاسِ : أَتَبَايَعُونَ لِمَنْ فِي هَذَا الْكِتَابِ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ . فَأَقْرَأُوا بِذَلِكَ جَمِيعًا ، وَرَضُوا بِهِ [(٣٤١)] ، فَبَعْدَ أَنْ قَرَأَ الْعَهْدَ عَلَى النَّاسِ ، وَرَضُوا بِهِ ؛ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ ، وَبَايَعُوهُ [(٣٤٢)] ، وَاخْتَلَى الصِّدِّيقُ بِالْفَارُوقِ

، وأوصاه بمجموعةٍ من التَّوصيات لإخلاء ذمَّته من أي شيءٍ ، حتَّى يمضي إلى ربِّه خالياً من أيِّ تبعَةٍ بعد أن بذل قصارى جهده ، واجتهاده [(٣٤٣)] ، وقد جاء في الوصية :

اتَّق الله يا عمر ! واعلم أنَّ الله عملاً بالنَّهار لا يقبله بالليل ، وعملاً بالليل لا يقبله بالنَّهار ، وأنَّه لا يقبل نافلة حتَّى تُؤدَّى فريضته ، وإمَّا ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الحقَّ في دار الدُّنيا ، وثقله عليهم ، وحقَّ لميزانٍ يوضع فيه الحقُّ غداً أن يكون ثقيلاً . وإمَّا

خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتِّباعهم الباطل في الدُّنيا ، وخفته عليهم ، وحقَّ لميزانٍ يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً . وإنَّ الله تعالى ذكر أهل الجنَّة ، فذكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيِّئه ، فإذا ذكرتهم ؛ قلت : إنِّي لأخاف ألا ألحق بهم ، وإنَّ الله تعالى ذكر أهل النَّار ، فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، وردَّ عليهم أحسنه ، فإذا ذكرتهم ؛ قلت : إنِّي لأرجو ألا أكون مع هؤلاء ؛ ليكون العبد راغباً راهباً ، لا يتمنَّى على الله ، ولا يقنط من رحمة الله ، فإن أنت حفظت وصيَّتي فلا يك غائبٌ أحبُّ إليك من الموت ، وهو اتيك ، وإن أنت ضيَّعت وصيَّتي فلا يك غائبٌ أبغضٌ إليك من الموت ، ولست تُعجزه [(٣٤٤)] .

وباشر عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . أعماله بصفته خليفة للمسلمين فور وفاة أبي بكرٍ رضي الله عنه [(٣٤٥)] .

ويلحظ الباحث : أنَّ ترشيح أبي بكرٍ الصِّدِّيق . رضي الله عنه . لعمر بن الخطَّاب ، لم يأخذ قوَّته الشرعية ، ما لم يستند لرضا الغالبية بعمر ، وهذا ما تحقَّق حين طلب أبو بكر من النَّاس أن يبحثوا لأنفسهم عن خليفة من بعده ، فوضعوا الأمر بين يديه ، وقالوا له : رأينا إمَّا هو رأيك [(٣٤٦)] .

ولم يقرِّر أبو بكرٍ التَّرشيح إلا بعد أن استشار أعيان الصَّحابة ، فسأل كلَّ واحدٍ على انفرادٍ ، ولما ترجَّح لديه اتفاقهم ؛ أعلن ترشيحه لعمر ، فكان ترشيح أبي بكرٍ صادراً عن استقراء لآراء الأُمَّة من خلال أعيانها ، على أنَّ هذا التَّرشيح لا يأخذ قوته الشرعية إلا بقبول الأُمَّة به ، ذلك : أنَّ اختيار الحاكم حقٌّ للأُمَّة ، والخليفة يتصرَّف بالوكالة عن الأُمَّة . ولا بد من رضا الأصيل ، ولهذا توجَّه أبو بكر إلى الأُمَّة : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإنِّي والله ما ألوت من جهدي الرأى ، ولا وليت ذا قرابة ، وأني قد استخلفت عمر بن الخطَّاب ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ، فقالوا : سمعنا ، وأطعنا [(٣٤٧)] . وفي قول أبي بكرٍ : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ إشعارٌ بأنَّ الأمر للأُمَّة ، وأنها هي صاحبة العلاقة والاختصاص [(٣٤٨)] .

إنَّ عمر - رضي الله عنه - ولي الخلافة باتِّفاق أهل الحِلِّ والعقد، وإرادتهم، فهم الَّذِينَ فَوَّضُوا لأبي بكرٍ انتخاب الخليفة، وجعلوه نائباً عنهم في ذلك، فشاور ، ثمَّ عَيَّن الخليفة، ثمَّ عرض هذا التَّعيين على النَّاس، فأقرُّوه، وأمضوه، ووافقوا عليه ، وأصحاب الحِلِّ والعقد في الأُمَّة هم النَّواب (الطَّبَّيعيون) عن هذه الأُمَّة ، وإذاً فلم يكن استخلاف عمر رضي الله عنه إلا على أصحِّ الأساليب الشُّورية وأعد لها [(٣٤٩)] .

إنَّ الخطوات الَّتِي سار عليها أبو بكر الصِّدِّيق في اختيار خليفته من بعده لا تتجاوز الشُّورى بأيِّ حالٍ من الأحوال ، وإن كانت الإجراءات المتَّبعة فيها غير الإجراءات المتَّبعة في تولية أبي بكرٍ نفسه [(٣٥٠)] ، وهكذا تمَّ عقد الخلافة لعمر - رضي الله عنه - بالشُّورى والاتِّفاق ، ولم يورد التَّاريخ أيَّ خِلافٍ وقع حول خلافته بعد ذلك ، ولا أنَّ أحداً نهض طول عهده لينازعه الأمر ، بل كان هناك إجماعٌ على خلافته ، وعلى طاعته في أثناء حكمه ، فكان الجميع وحدةً واحدةً [(٣٥١)] .

ثانياً : انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه :

وقد نقل إجماع الصَّحابة - رضي الله عنهم - ومن بعدهم على خلافة عمر طائفة من أهل العلم ؛ الَّذِينَ يعتمد عليهم في النَّقل منهم :

١- روى أبو بكرٍ أحمد بن الحسين البيهقيُّ بإسناده إلى عبد الله بن عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قال : دخلت على عمر حين طعن . فقلت : أبشر بالجنَّة يا أمير المؤمنين ! أسلمت حين كفر النَّاس ، وجاهدت مع رسول الله (ص) حين خذله النَّاس ، وقُبض رسول الله (ص) وهو عنك راضٍ ، ولم يَخْتَلَف في خلافتك اثنان ، وقتلت شهيداً . فقال : أعد عليَّ . فأعدت عليه ، فقال : والله الَّذي لا إله غيره ! لو أنَّ لي ما على الأرض من صفراء وبيضاء ؛ لافتديت به من هول المطلع [(٣٥٢)] .

٢- وقال أبو نعيم الأصبهانيُّ مبيناً الإجماع على خلافة الفاروق - رضي الله عنه - : لما علم الصِّدِّيق - رضي الله عنه - من فضل عمر - رضي الله عنه - ونصيحته ، وقوَّته على ما يقِلِّده ، وما كان يعينه عليه من أيَّامه من المعونة التَّامة لم يكن يسعه في ذات الله ، ونصيحته لعباد الله تعالى أن يعدل هذا الأمر عنه إلى غيره ، ولما كان يعلم من أمر شأن الصَّحابة - رضي الله عنهم - : أنَّهم يعرفون منه ما عرفه ، ولا يشكل عليهم شيءٌ من أمره ؛ فوض إليهم ذلك ، فرضي المسلمون ذلك ، وسلَّموه ، ولو خالطهم في أمره ارتيابٌ ، أو شبهةٌ ؛ لأنكروه ، ولم يتَّبِعوه كاتِّباعهم أبا بكرٍ - رضي الله عنهم - فيما فرض الله عليه الاجتماع وأنَّ إمامته وخلافته ثبتت على

الوجه الذي ثبت للصديق ، وإنما كان الدليل لهم على الأفضل ، والأكمل ، فتبعوه على ذلك مستسلمين له ، راضين به [(٣٥٣)] .

٣. وقال أبو عثمان الصّابوني بعد ذكره خلافة الصّديق باختيار الصّحابة ، وإجماعهم عليه ، فقال: ثمّ خلافة عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . باستخلاف أبي بكرٍ . رضي الله عنه . إِيَّاهُ ، واتِّفَاقِ الصّحَابَةِ عليه بعده ، وإنجاز الله سبحانه بمكانه في إعلاء الإسلام ، وإعظام شأنه وَعَدَهُ [(٣٥٤)] .

٤. وقال النّووي في معرض ذكره لإجماع الصّحابة على تنفيذ عهد الصّديق بالخلافة لعمر ، حيث قال: أجمعوا على اختيار أبي بكرٍ على تنفيذ عهده إلى عمر [(٣٥٥)] .

٥. وقال ابن تيميّة : وأمّا عمر ؛ فإنّ أبا بكرٍ عهد إليه ، وبايعه المسلمون بعد موت أبي بكرٍ ، فصار إماماً لما حصلت له القدرة والسّلطان بمبايعتهم [(٣٥٦)] .

٦. وقال شارح الطّحاوية : وتنبّئت الخلافة بعد أبي بكرٍ . رضي الله عنه . لعمر . رضي الله عنه . وذلك بتفويض أبي بكرٍ الخلافة إليه ، واتِّفَاقِ الأُمَّةِ بعده عليه [(٣٥٧)] .

ومن هذه التّفوّل التي تقدّم ذكرها تبين : أنّ خلافة عمر . رضي الله عنه . تمّت بإجماع أصحاب رسول الله (ص) ، حيث تلقّوا عهد أبي بكرٍ . رضي الله عنه . بالخلافة لعمر بالقبول ، والتّسليم ، ولم يعارض في ذلك أحدٌ ، وكذا أجمعت الفرقة النّاجية أهل السّنّة والجماعة على ما أجمع عليه أصحاب رسول الله ، ولم يخالفهم إلا من لا يعتدّ بخلافه ممّن ابتلي بغيض أصحاب رسول الله (ص) ، وممّن جرى في ركايبهم ممّن فُتِنَ بهم ، فإنّ اعتراض معترضٍ على إجماع الصّحابة المتقدّم ذكره بما رواه ابن سعدٍ ، وغيره من أنّ بعض الصّحابة سمعوا بدخول عبد الرّحمن ابن عوف ، وعثمان على أبي بكرٍ ، فقال له قائل منهم: ما أنت قائلٌ لرَبِّكَ إذا سألك عن استخلاف عمر علينا وقد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكرٍ : أجلسوني ، أبالله تخوفوني ؟ خاب من تزوّد من أمركم بظلم ، أقول : اللّهُمَّ استخلفت عليهم خير أهلِكَ ! أبلغ عني ما قلت لك من وراءك [(٣٥٨)] ، والجواب عن هذا الإنكار الصّادر إنّ صحّ من هذا القائل ليس عن جهالةٍ لتفضيل عمر بعد أبي بكرٍ واستحقاقه للخلافة ، وإنما كان خوفاً من خشونته وغلظته ، لا اتِّهاماً له في قوّته ، وأمانته [(٣٥٩)] .

ثالثاً : خطبة الفاروق لما تولّى الخلافة :

اختلف الرّواة في أوّل خطبةٍ خطبها الفاروق عمر ، فقال بعضهم : إنّه صعد المنبر ، فقال : اللّهُمَّ إِنِّي شَدِيدٌ فَلْيَبِّئْ ، وَإِنِّي ضَعِيفٌ فَفَقِّبْنِي ، وَإِنِّي بَخِيلٌ فَسَحِّبْنِي [(٣٦٠)] . وروي أنّ أوّل خطبةٍ كانت قوله :

إِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ بِي ، وابتلاني بكم بعد صاحبي ، فوالله لا يحضرنى شيءٌ من أمركم ، فيليه أحدٌ دوني ، ولا يتغيَّب عني فالو فيه عن أهل الجزء . يعني : الكفاية . والأمانة ، والله لئن أحسنوا ، لأحسننَّ إليهم ! ولئن أساءوا ؛ لأنكَلنَّ بهم ! فقال من شهد خطبته ، ورواها عنه : فوالله ! ما زاد على ذلك حتَّى فارق الدنيا [(٣٦١)] ، وروي : أنَّه لما ولي الخلافة صعد المنبر ، وهمَّ أن يجلس مكان أبي بكرٍ ، فقال : ما كان الله ليراني أرى نفسي أهلاً لمجلس أبي بكرٍ . فنزل مرقاةً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثمَّ قال : اقرؤوا القرآن ؛ تعرفوا به ، واعملوا به ؛ تكونوا من أهله ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتزَيَّنوا للعرض الأكبر يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ، إنَّه لم يبلغ حقُّ ذي حقِّ أن يطاع في معصية الله ألا وإيَّ أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولي اليتيم ؛ إن استغنيت ؛ عفت ، وإن افتقرت ؛ أكلت بالمعروف [(٣٦٢)] .

ويمكن الجمع بين هذه الروايات إذا افترضنا : أنَّ عمر ألقى خطبته أمام جمعٍ من الحاضرين ، فحفظ بعضهم منها جزءاً ، فرواه ، وحفظ آخر جزءاً غيره ، فذكره ، وليس من الغريب أن يمزج الفاروق في أوَّل خطبةٍ له بين البيان السياسي ، والإداري ، والعظة الدنيئة ، فذلك نهج هؤلاء الأئمَّة الأولين ؛ الذين لم يروا فارقاً بين تقوى الله ، والأمر بها ، وسياسة البشر تبعاً لمنهجه ، وشريعته ، كما أنَّه ليس غريباً على عمر أن يراعي حقَّ سلفه العظيم أبي بكرٍ ، فلا يجلس في موضع كان يجلس فيه ، فيساويه بذلك في أعين النَّاس ، فراجع عمر نفسه . رضي الله عنه . ونزل درجةً عن مكان الصِّديق رضي الله عنه [(٣٦٣)] . وفي رواية أخرى : أنَّه بعد يومين من استخلافه تحدَّث النَّاس فيما كانوا يخافون من شدَّته ، وبطشه ، وأدرك عمر : أنَّه لابدُّ من تجلية الأمر بنفسه ، فصعد المنبر ، وخطبهم ، فذكر بعض شأنه مع النَّبيِّ (ص) وخليفته ، وكيف أهما توفيا وهما عنه راضيان .

ثمَّ قال : .. ثمَّ إني قد وليت أموركم أيُّها النَّاس ! فاعلموا أنَّ تلك الشِّدَّة قد أضعفت ، ولكنها إمَّا تكون على أهل الظُّلم ، والتَّعدي ، ولست أدع أحداً يظلم أحداً ، أو يتعدَّى عليه حتَّى أضع خدَّه على الأرض ، وأضع قدمي على الخد الآخر حتَّى يذعن للحقِّ . وإني بعد شدَّتي تلك أضع خدِّي لأهل العفاف ، وأهل الكفاف . ولكم عليَّ أيُّها النَّاس خصالٌ أذكرها لكم ، فخذوني بها ؛ لكم عليَّ ألا أجتبي شيئاً من خراجكم ، ولا ممَّا أفاء الله عليكم إلا في وجهه ، ولكم عليَّ إذا وقع بين يدي ألا يخرج مني إلا في حقِّه ، ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم ، وأرزاقكم . إن شاء الله تعالى . وأسدُّ ثغوركم ، ولكم عليَّ ألا ألقىكم في المهالك ، ولا أجمركم [(٣٦٤)] في ثغوركم ، وإذا غبتم

في البعوث ؛ فأنا أبو العيال ، حتى ترجعوا إليهم ، فاتَّقوا الله عباد الله ! وأعينوني على أنفسكم بكفِّها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإحضار النَّصِيحة فيما ولاي الله من أمركم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ، ولكم [(٣٦٥)] . وجاء في رواية : إنما مثل العرب مثل جملٍ انفِ اتَّبِع قائده ، فليُنظر قائده حيث يقوده ، أمّا أنا فوربِّ الكعبة لأحملنكم على الطريق [(٣٦٦)] ! وفي هذه الروايات لخطبة عمر . رضي الله عنه . لما وليَّ الخلافة يتَّضح منهجه في الحكم الذي لم يجد عنه ، وأبرز ملامحه :

١. أنه ينظر إلى الخلافة على أنها ابتلاء ابتلي به ، سيحاسب على أداء حقه ؛ فالحكم عند الرّاشدين تكليفٌ ، وواجبٌ ، وابتلاءٌ ، وليس جاهاً ، وشرفاً ، واستعلاءً .

٢. وهذا الاستخلاف يتطلَّب منه أن يباشر حمل أعباء الدَّولة فيما حضره من أمرها ، وأن يوليَّ على الرِّعية التي غابت عنه أفضل الأمراء ، وأكفأهم ، غير أن ذلك . فيما يرى عمر . ليس كافياً لإبراء ذمته أمام الله تعالى ؛ بل يرى : أن مراقبة هؤلاء العمّال ، والولاية فرضٌ لا فكاك منه ، فمن أحسن منهم ؛ زاده إحساناً ، ومن أساء ؛ عاقبه ، ونكّل به [(٣٦٧)] . وسيأتي بيان ذلك بإذن الله عند حديثنا عن مؤسسة الولاية ، وفقه الفاروق في تطويرها .

٣. إنَّ شدَّة عمر التي هاجها النَّاس سيخلصها لهم ليناً ، ورحمةً ، وسينصب لهم ميزان العدل ، فمن ظلم وتعدَّى ؛ فلن يجد إلا التَّنكيل ، والهوان (ولست أدع أحداً يظلم أحداً ، ويتعدَّى عليه حتى أضع خده على الأرض ..) أمّا من اثر القصد ، والدِّين ، والعفاف ، فسيجد من الرِّحمة ما لا مزيد عليه ؛ أضع خدي لأهل العفاف [(٣٦٨)] ، وسيتَّضح عدل عمر . رضي الله عنه . في رعيته من خلال المواقف واهتمامه بمؤسَّسة القضاء ، وتطويرها بحيث سيطر العدل على كلِّ ولايات الدَّولة .

٤. وتكفَّل الخليفة بالدِّفاع عن الأُمَّة ودينها ، وأن يسدَّ الثُّغور ، ويدفع الخطر ، غير أن ذلك لن يتمَّ بظلم المقاتلين ، فلن يجسهم في الثُّغور إلى حدِّ لا يطيقونه ، وإن غابوا في الجيوش فسيرعى الخليفة ، وجهازه الإداريُّ أبناءهم ، وأسْرهم [(٣٦٩)] . ولقد قام الفاروق بتطوير المؤسَّسة العسكريَّة ، وأصبحت قوَّة ضاربةً لا مثيل لها على مستوى العالم في عصره .

٥. وتعهَّد الخليفة بأداء الحقوق الماليَّة للرِّعيَّة كاملةً .. من خراجٍ وفيءٍ ، لا يحتجن [(٣٧٠)] منه شيئاً ، ولا يضعه في غير محلِّه ، بل سيزيد عطاياهم ، وأرزاقهم باستمرار الجهاد ، والغزو والحضِّ على العمل ،

وضبط الأداء المالي للدولة [(٣٧١)]، وقد قام بتطوير المؤسسة المالية، وضبط مصادر بيت المال، وأوجه الإنفاق في الدولة.

٦. وفي مقابل ذلك يطالب الرعية بأداء واجبها من النصح لخليفتها، والسَّمع، والطاعة له، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مما يشيع الرقابة الإسلامية في المجتمع.

٧. وثبّه إلى أنّه لا يُعان على ذلك إلا بتقوى الله، ومحاسبة النفس، واستشعار المسؤولية في الآخرة [(٣٧٢)].

٨. علّق الشيخ عبد الوهاب النّجار على قول عمر - رضي الله عنه - : إنّما مثل العرب كمثل جملٍ انف ؛ بقوله : الجمل الانف : هو الجملُ الدّلول المواقي الذي يأنف من الرّجر والضّرب ، ويعطي ما عنده من السّير عفواً سهلاً . وهذا تشخيصٌ حسنٌ للأمة الإسلامية لعهد ، فإنّها كانت سامعةً مطاوعةً ، إذا أمرت ؛ اتنمرت ، وإذا نهيت ؛ انتهت . ويتبع ذلك المسؤولية الكبرى على قائدها فإنّه يجب عليه أن يرتاد لها ، ويصدر في شأنه بعقلٍ ، ويورد بتمييز حتّى لا يورطها في خطرٍ ، ولا يقحمها في مهلكةٍ ، ولا يهمل شأنها إهمالاً يكون من ورائه البطر . وقد أراد بالطريق : الطّريق الأقوم الذي لا عوج فيه . وقد برّ بما أقسم به [(٣٧٣)].

٩. سنّة الله في الفضاة ، والغلظة ، والرّفق : مضت سنّة الله في أحوال الناس ، واجتماعهم ، وفي إقبالهم على الشّخص ، واجتماعهم عليه ، وقبولهم منه ، وسماعهم قوله ، وأنسهم به أن ينفصوا عن الفظّ الغليظ القلب ؛ حتّى ولو كان ناصحاً ، مريداً للخير لهم ، حريصاً على ما ينفعهم [(٣٧٤)] ، وقد دلّ على هذا قول الله تعالى : { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * } [آل عمران : ١٥٩] . ولذلك كان دعاء الفاروق لما تولى الخلافة : اللَّهُمَّ إِنِّي شَدِيدٌ فَلَئِي !

وقد استجاب الله هذا الدعاء ، وامتألت نفس عمر بالعطف ، والرّحمة ، واللّين ، وأصبحت من صفاته بعد توليته الخلافة ، فقد عرف النَّاس عمر في عهدِي الرّسول ، وأبي بكرٍ شديداً ، حازماً ، وصوِّره لنا التاريخ على أنّه الشّخص الوحيد الذي مثّل منذ دخل الإسلام حتّى تولّى الخلافة دور الشّدّة ، والقوّة بجانب الرّسول (ص) ، وبجانب أبي بكرٍ ، حتّى ال إليه الأمر ؛ انقلب رخاءً ، ويسراً ، ورحمةً [(٣٧٥)].

١٠. كانت البيعة العامة في سيرة الخلفاء الراشدين مقيّدةً بأهل المدينة دون غيرهم . وربما حضرها ، وعقدتها الأعراب ، والقبائل التي كانت محيطةً بالمدينة ، أو نازلةً فيها ، أمّا بقية الأمصار ، فكانت تبعاً لما يتفرّر في مدينة الرسول (ص) ، وهذا لا يطعن بالبيعة ، ولا يقلل من شرعيّتها ؛ لأن جمع المسلمين من كل الأقطار والأمصار كان أمراً مستحيلاً ، ولا بدّ للدولة من قائم بها ، ولا يمكن أن تعطل مصالح الخلق ، أضف إلى ذلك : أنّ الأمصار الأخرى قد أيّدت في بيعة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ما جرى في المدينة ، تأييداً صريحاً ، أو ضمناً ، ولا شك أنّ الأساليب التي لجأ إليها الناس في صدر الإسلام كانت تجارب تصبّ في حقل تطوير الدولة ، ومؤسّساتها [٣٧٦] .

١١. المرأة والبيعة : لم أجد أثناء البحث إشارةً إلى أنّ المرأة قد بايعت في زمن أبي بكر ، وعمر ، وفي عصر الخلفاء الراشدين ، ولم تشر كتب السياسة الشرعيّة القديمة إلى حقّ المرأة ، أو واجبها في البيعة . على حدّ علمي القاصر . والظاهر : أنّ البيعة قد اقتضت في معظم عصور التاريخ الإسلامي على الرجال دون النساء ، فلا الرجال دعوا إليها ، ولا هي طالبت بها ، واعتبر تغيب المرأة عن البيعة أمراً طبيعياً ، إلى درجة أنّ علماء الحقوق الدستوريّة الإسلاميّة لم يشيروا إليها في قليل ، ولا كثير ، غير أنّ هذا الواقع التاريخي ، والفقهّي لا يغيّر من حقيقة الحكم الشرعيّ شيئاً ، فليس في القرآن الكريم ، ولا في السنّة النبويّة . وهما المصدران الرئيسان للتشريعة . ما يمنع المرأة من أن تشارك الرجل في البيعة [٣٧٧] .

١٢. رد سبايا العرب : كان أوّل قرار اتّخذه عمر في دولته ردّ سبايا أهل الردّة إلى عشائريهم ، حيث قال : كرهت أن يكون السبي سنةً في العرب [٣٧٨] ، وهذه الخطوة الجريئة ساهمت في شعور العرب جميعاً : أنّهم أمام شريعة الله سواءً ، وأنّه لا فضل لقبيلة على قبيلة إلاّ بحسن بلائها ، وما تقدّمه من خدمات للإسلام ، والمسلمين ، وتلت تلك الخطوة خطوةً أخرى هي السّماح لمن ظهرت توبّتهم من أهل الردّة بالاشتراك في الحروب ضدّ أعداء الإسلام ، وقد أثبتوا شجاعةً في الحروب ، وصبراً عند اللّقاء ، ووفاءً للدولة لا يعدله وفاء [٣٧٩] .

١٣. تجنّب منصب الخلافة في قلب الأُمَّة ، وأصبح رمزاً للوحدة ، ولقوّة المسلمين ، ويرى الباحث القدرة الفائقة التي كان يتمتّع بها الصّحابة الكرام ، ومدى الأصالة في أعمالهم بحيث إنّ ما أقاموه في سويغات قليلةٍ من نفس يوم وفاة الرسول (ص) احتاج هدمه إلى ربع قرن في المخطّط البريطاني ، رغم أنّ البريطانيين أنفسهم كانوا يطلقون على الخلافة في تلك الفترة الرّجل العجوز ، فأبي شموخ هذا لتلك

الخلافة ، وأيُّ رسوخٍ لها حيث تحتاج لهدمها . وبعد أن أصبحت شكلاً لا موضوعاً . ربع قرنٍ كاملٍ ، وبعد حياةٍ استمرت قروناً من الزَّمن [(٣٨٠)] .

١٤ . الفرق بين الملك ، والخليفة : قال عمر . رضي الله عنه . : والله ما أدري أخليفةٌ أم ملك ؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمرٌ عظيمٌ ، فقال له قائل : إنَّ بينهما فرقاً ، إنَّ الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ، ولا يضعه إلا في حقٍ ، وأنت بحمد الله كذلك ، والملك يعسف النَّاس ، فيأخذ من هذا ، أو يعطي هذا . فسكت عمر [(٣٨١)] . وفي روايةٍ : أنَّ عمر سأل سلمان الفارسي : أملكُ أنا أم خليفةٌ ؟ فقال سلمان : إن أنت جبيت من الأرض درهماً ، أو أقلَّ ، أو أكثر ، ثمَّ وضعته في غير موضعه ؛ فأنت ملكٌ غير خليفةٍ . فاستعبر عمر [(٣٨٢)] .

رابعاً : الشورى :

إنَّ من قواعد الدَّولة الإسلاميَّة حتمية تشاور قادة الدَّولة ، وحكَّامها مع المسلمين ، والتُّزول على رضاهم ، ورأيهم ، وإمضاء نظام الحكم بالشورى ، قال تعالى : { فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ * } [آل عمران : ١٥٩] .

وقال تعالى : { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * } [الشورى : ٣٨] . لقد قرنت الآية الكريمة الشورى بين المسلمين بإقامة الصَّلَاة ، فدلَّ ذلك على أنَّ حكم الشورى كحكم الصَّلَاة ، وحكم الصَّلَاة واجبة شرعاً ، فكذلك الشورى واجبة شرعاً [(٣٨٣)] ، وقد اعتمد عمر . رضي الله عنه . مبدأ الشورى في دولته ، فكان رضي الله عنه لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ، ولا يستبدُّ عليهم في شأنٍ من الشؤون العامة ، فإذا نزل به أمر ؛ لا يبرمه حتَّى يجمع المسلمين ، ويناقش الرأي معهم فيه ، ويستشيرهم .

ومن مآثور قوله : (لا خير في أمر أبرم من غير شورى) [(٣٨٤)] ، وقوله : (الرأي الفرد كالخيطة السَّحيل ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرازٍ لا يكاد ينتقض) [(٣٨٥)] . وقوله : (شاور في أمرك مَنْ يخاف الله عز وجل) [(٣٨٦)] . وقوله : (الرِّجال ثلاثة : رجلٌ ترد عليه الأمور ، فيسدِّدها برأيه ، ورجل يشاور فيما أشكل عليه ، وينزل حيث يأمره أهل الرأي ، ورجل حائرٌ بائر ، لا ياتمر رشداً ، ولا يقطع مرشداً) [(٣٨٧)] . وقوله : (يحقُّ على المسلمين أن يكون أمرهم شورى بينهم ، وبين ذوي الرأي منهم ، فالنَّاس تبعٌ لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ، ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً

لهم ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم ما رأوا لهم ، ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم (٣٨٨) .

وكان يحثُّ قادة حربه على الشورى ، فعندما بعث أبا عبيد التَّقفي لمحاربة الفرس بالعراق؛ قال له : (اسمع ، وأطع أصحاب النَّبيِّ (ص) ، وأشركهم في الأمر خاصَّةً من كان منهم من أهل بدرٍ) (٣٨٩)

وكان يكتب إلى قادته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم العسكريَّة عمرو ابن معديكرب ، وطلحة الأَسدي قائلاً : (استشيروا ، واستعينوا في حربكم بطلحة الأَسديِّ ، وعمرو بن معديكرب ، ولا تولوهما من الأمر شيئاً فإنَّ كلَّ صانعٍ أعلم بصناعته) (٣٩٠) .

وكتب إلى سعد بن أبي وقاصٍ : (وليكن عندك من العرب أوَّل من أهل الأرض مَنْ تطمئنُّ إلى نصحه وصدقه ، فإنَّ الكذوب لا ينفعلك خبره ؛ وإن صدقك في بعضه ، والغاشُّ عينٌ عليك ، وليس عيناً لك) (٣٩١) . وممَّا قاله عمر . رضي الله عنه . لعتبة بن غزوان حين وجَّهه إلى

البصرة : (قد كتبتُ إلى العلاء الحضرميِّ) (٣٩٢) ، أن يمدِّك بعرفجة بن هرثمة (٣٩٣) ، وهو ذو مجاهدةٍ للعدوِّ ، ومكایدته ، فإذا قدم عليك فاستشره ، وقربه) (٣٩٤) .

وكان مسلك الفاروق في الشورى جميلاً : فإنَّه كان يستشير العامَّة أوَّل أمره فيسمع منهم ، ثمَّ يجمع مشايخ أصحاب رسول الله ، وأصحاب الرأي منهم ، ثم يفضي إليهم بالأمر ، ويسألهم أن يخلصوا فيه إلى رأيٍ محمودٍ ، فما استقرَّ عليه رأيهم ؛ أمضاه .

وعمله هذا يشبه الأنظمة الدُّستورية في كثيرٍ من الممالك النَّظامية ، إذ يعرض الأمر على مجلس النُّواب مثلاً ، ثم بعد أن يقرَّر بالأغلبية يعرض على مجلسٍ آخر يسمَّى في بعضها مجلس الشيوخ ، وفي بعضها مجلس اللُّوردات ، فإذا انتهى المجلس من تقريره أمضاه الملك . والفرق بين عمل عمر وعمل هذه الممالك : أنَّ هنا الأمر كان اجتهاداً منه ، وبغير نظامٍ متَّبِعٍ ، أو قوانينٍ مسنونةٍ (٣٩٥) ، وكثيراً ما كان عمر يجتهد في الشَّيء ، ويبيدي رأيه فيه ، ثم يأتي أضعف النَّاس فيبيِّن له وجه الصَّواب ، وقوَّة الدَّليل ، فيقبله ، ويرجع عن خطأ ما رأى إلى صواب ما استبان له (٣٩٦) .

وقد توسَّع نطاق الشورى في خلافة عمر . رضي الله عنه . لكثرة المستجدَّات ، والأحداث ، وامتداد رقعة الإسلام إلى بلادٍ ذات حضاراتٍ ، وتقاليدٍ ، ونظمٍ متباينة ، فولدت مشكلاتٍ جديدةً احتاجت إلى الاجتهاد الواسع ، مثل معاملة الأرض المفتوحة ، وتنظيم العطاء وفق قواعد جديدة لتدفع أموال

الفتوح إلى الدولة ، فكان عمر يجمع للشورى أكبر عددٍ من الصحابة الكبار [(٣٩٧)] ، وكان لأشياخ بدر مكائنتهم الخاصة في الشورى لفضلهم ، وعلمهم ، وسابقتهم ، إلا أن عمر - رضي الله عنه - أخذ يشوبهم بشباب ، فإنهم على درهم ماضون لأجلهم ، ورحمة ربه ، ومغفرته ، والدولة لا بد لها من تجديد رجالاتها ، وكان عمر العبريُّ الفدُّ قد فطن إلى هذه الحقيقة ، فأخذ يختار من شباب الأمة من علم منهم علماء ، وورعاً وتقياً ، فكان عبد الله بن عباس من أولهم ، وما زال عمر يجتهد متخيراً من شباب الأمة مستشارين له ، متخذاً القرآن فيصلاً في التخير حتى قال عبد الله بن عباس : وكان القرءاء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولاً كانوا ، أو شباناً [(٣٩٨)] .

وقد قال الزُّهريُّ لغلمان أحداث : لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم ، فإن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان ، فاستشارهم بيتغي حدة عقولهم [(٣٩٩)] . وقال محمد بن سيرين : إن كان عمر رضي الله عنه ليستشير في الأمر حتى إن كان ليستشير المرأة ، فرمما أبصر في قولها الشيء يستحسنه ، فيأخذه . وقد ثبت : أنه استشار مرة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها [(٤٠٠)] .

وقد كان لعمر - رضي الله عنه - خاصة من عليّة الصحابة ، وذوي الرأي ، منهم : العباس بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، وكان لا يكاد يفارقه في سفر ، ولا حضر ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعليُّ بن أبي طالب [(٤٠١)] ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، ويزيد بن ثابت [(٤٠٢)] ، ونظراؤهم ، فكان يستشيرهم ، ويرجع إلى رأيهم [(٤٠٣)] ، وكان المستشارون يبدون آراءهم بحريّة تامّة ، وصراحة كاملة ، ولم يتهم عمر - رضي الله عنه - أحداً منهم في عدالته ، وأمانته . وكان عمر - رضي الله عنه - يستشير في الأمور التي لا نصّ فيها من كتاب ، أو سنّة ، وهو يهدف إلى معرفة إن كان بعض الصحابة يحفظ فيها نصّاً من السنّة ، فقد كان بعض الصحابة يحفظ منها ما لا يحفظه الآخرون ، وكذلك كان يستشير في فهم النصوص المحتملة لأكثر من معنى لمعرفة المعاني ، والأوجه المختلفة ، وفي هذين الأمرين قد يكفي باستشارة الواحد أو العدد القليل ، وأمّا في التّوازل العامّة ؛ فيجمع الصحابة ، ويوسّع النّطاق ما استطاع ، كما فعل عند وقوع الطّاعون بأرض الشّام ، متوجّهاً إليها [(٤٠٤)] ، وبلغ عمر خبره ، فوافاه الأمراء بسرغ - موضع قرب الشّام - وكان معه المهاجرون ، والأنصار ، فجمعهم مستشيراً : أيضي لوجهه ، أم يرجع ؟ فاختلفوا عليه : فمن قائل : خرجت لوجه الله فلا يصدّنك عنه هذا . ومن قائل : إنّه بلاء ، وفناء ، فلا نرى أن تقدم عليه .

ثمَّ أحضر مهاجرة الفتح من قريشٍ ، فلم يختلفوا عليه ، بل أشاروا بالعودة ، فنأدى عمر في النَّاسِ : إِيَّيْهِ مَصْبِيحٌ عَلَى ظَهْرٍ [(٤٠٥)] . فقال أبو عبيدة : أفراراً من قدر الله ؟ . فقال : نعم ، نفرُّ من قدر الله إلى قدر الله ، أ رأيت لو كان لك إِبِلٌ ، فهبطت وادياً له عدوتان : إحداهما مخصبةٌ ، والأخرى جدبةٌ ، أليس إن رعيت الخصبه ؛ رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فسمع بهم عبد الرَّحْمَنِ بن عوف ، فجاءهم ، وقال : إِنَّ النَّبِيَّ (ص) قال : « إذا سمعتم به بأرضٍ ؛ فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها ، فلا تخرجوا فراراً منه » [(٤٠٦)] .

وكانت مجالات الشورى في عهد عمر متعددةً ، منها في المجال الإداريِّ ، والسِّيَاسِي ، كاختيار العمَّال ، والأمراء ، والأمور العسكريَّة ، ومنها في المسائل الشَّرعيَّة المحضه ، كالكشف في الحكم الشَّرعيِّ من حيث الحلُّ ، والحرمة ، والمسائل القضائيَّة [(٤٠٧)] ، وستتضح مجالات الشورى ، وتطبيقاتها وبحث عمر . رضي الله عنه . عن الدليل الأقوى من خلال هذا البحث كلُّ في موضعه بإذن الله تعالى .

والَّذِي نَحْبُ أَنْ نُوَكِّدَ عَلَيْهِ : أَنَّ الْخِلاَفَةَ الرَّاشِدَةَ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى مَبْدَأِ الشُّورَى الْمُسْتَمَدَّةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ (ص) وَلَمْ تَكُنْ فِي عَهْدِ عُمَرَ فَلْتَةً اسْتَنْبَطَهَا ، وَلَا بَدْعَةً أَتَى بِهَا ، وَلَكِنَّهَا قَاعِدَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ الْمَنْهَجِ الرَّبَّانِيِّ .

خامساً : العدل والمساواة :

إِنَّ مِنْ أَهْدَافِ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ الْحِرْصَ عَلَى إِقَامَةِ قَوَاعِدِ النِّظَامِ الْإِسْلَامِيِّ الَّتِي تَسَاهِمُ فِي إِقَامَةِ الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ ، وَمِنْ أَهَمِّ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ الْعَدْلُ ، وَالْمَسَاوَاةُ ، فِي خِطَابِ الْفَارُوقِ لِلأُمَّةِ أَقَرَّ هَذِهِ الْمَبَادِيءَ ، فَعَدَلْتَهُ ، وَمَسَاوَاتِهِ تَظْهَرُ فِي نَصِّ خِطَابِهِ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَى الأُمَّةِ يَوْمَ تَوَلَّيَهُ مَنَصِبَ الْخِلاَفَةِ ؛ وَلَا شَكَّ : أَنَّ الْعَدْلَ فِي فِكْرِ الْفَارُوقِ هُوَ عَدْلُ الْإِسْلَامِ ؛ الَّذِي هُوَ الدِّعَامَةُ الرَّئِيسِيَّةُ فِي إِقَامَةِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَالْحُكْمِ الْإِسْلَامِيِّ ، فَلَا وَجُودَ لِلْإِسْلَامِ فِي مَجْتَمَعٍ يَسُودُهُ الظُّلْمُ ، وَلَا يَعْرِفُ الْعَدْلَ .

إِنَّ إِقَامَةَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ - أَفْرَاداً ، وَجَمَاعَاتٍ ، وَدَوْلًا - لَيْسَتْ مِنَ الْأُمُورِ التَّطَوُّعِيَّةِ الَّتِي تَتْرَكَ لِمَزَاجِ الْحَاكِمِ ، أَوْ الْأَمِيرِ ، وَهَوَاهُ ، بَلْ إِنَّ إِقَامَةَ الْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ تَعُدُّ مِنْ أَقْدَسِ الْوَاجِبَاتِ ، وَأَهْمِّهَا ، وَقَدْ اجْتَمَعَتِ الأُمَّةُ عَلَى وَجُوبِ الْعَدْلِ [(٤٠٨)] ، قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي : أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ حَاكِمًا وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْكُمَ بِالْعَدْلِ [(٤٠٩)] .

وهذا الحكم تؤيِّده النُّصوصُ القرآنيَّةُ ، والسُّنَّةُ النَّبويَّةُ ، فَإِنَّ مِنْ أَهْدَافِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ إِقَامَةَ

المجتمع الإسلامي الذي تسود فيه قيم العدل ، والمساواة ، ورفع الظلم ، ومحاربتة بجميع أشكاله ، وأنواعه ، وعليها أن تفسح المجال ، وتيسر السبل أمام كل إنسان يطلب حقه أن يصل إليه بأيسر السبل ، وأسرعها دون أن يكلفه ذلك جهداً ، أو مالا ، وعليها أن تمنع أي وسيلة من الوسائل التي من شأنها أن تعيق صاحب الحق من الوصول إليه ، وهذا ما فعله الفاروق في دولته ، فقد فتح الأبواب على مصاريعها لوصول الرعية إلى حقوقها، وتفقد بنفسه أحوالها، فمنعها من الظلم المتوقع عليها ، وأقام العدل بين الولاة ، والرعية ، في أسمى صورة عرفها التاريخ ؛ فقد كان يعدل بين المتخاصمين ويحكم بالحق ، ولا يهمله أن يكون المحكوم عليه من الأقرباء ، أو الأعداء ، أو الأغنياء ، أو الفقراء ، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * } [المائدة: ٨] .

لقد كان الفاروق قدوة في عدله ، أسر القلوب ، وبهر العقول ، فالعدل في نظره دعوة عملية للإسلام ، به تفتح قلوب الناس للإيمان ، وقد سار على ذات نهج الرسول (ص) ، فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس ، وقد نجح في ذلك على صعيد الواقع والتطبيق نجاحاً منقطع النظير ، لا تكاد تصدقه العقول ، حتى اقترن اسمه بالعدل ، وبات من الصعب جداً على كل من عرف شيئاً يسيراً من سيرته أن يفصل ما بين الاثنين ، وقد ساعده على تحقيق ذلك النجاح الكبير عدّة أسباب ومجموعة من العوامل ، منها :

١. إنّ مدّة خلافته كانت أطول من مدّة خلافة أبي بكرٍ ، بحيث تجاوزت عشر سنوات في حين اقتصرت خلافة أبي بكرٍ على سنتين ، وعدّة شهورٍ فقط .
٢. إنّ كان شديد التمسك بالحق حتى إنّ كان على نفسه وأهله أشدّ منه على الناس ، كما سنرى .
٣. إنّ فقهه القدوم على الله كان قوياً عنده لدرجة أنّه كان في كلّ عملٍ يقوم به يتوخّى مرضاة الله قبل مرضاة الناس ، ويخشى الله ، ولا يخشى أحداً من الناس .
٤. إنّ سلطان الشرع كان قوياً في نفوس الصّحابة ، والتّابعين بحيث كانت أعمال عمر تلقى تأييداً ، وتجاوباً ، وتعاوناً من الجميع [(٤١٠)] .
٥. وهذه بعض مواقفه في إقامته للعدل ، والقسط بين الناس ، فقد حكم بالحق لرجل يهوديٍّ على مسلم ، ولم يحمله كفر اليهوديٍّ على ظلمه ، والحيف عليه . أخرج الإمام مالك [(٤١١)]

من طريق سعيد بن المسيَّب : أنَّ عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . اختصم إليه مسلمٌ ، ويهوديٌّ ، فرأى عمر : أنَّ الحقَّ لليهوديِّ ، ففضى له ، فقال له اليهوديُّ : والله لقد قضيت بالحقِّ [(٤١٢)] ! وكان رضي الله عنه يأمر عمَّاله أن يوافوه بالمواسم ، فإذا اجتمعوا ؛ قال : أيُّها النَّاس ! إليَّ لم أبعث عمَّالي عليكم ؛ ليصيبوا من أرباحكم ، ولا من أموالكم ، إنّما بعثتهم ؛ ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فُعل به غير ذلك فليُقم ، فما قام أحدٌ إلا رجلٌ واحدٌ قام ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ عاملك ضربني مئة سوطٍ . قال : فيم ضربته ؟ قم فاقتصص منه ، فقام عمرو بن العاص ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّك إن فعلت هذا يكثر عليك ، ويكون سنَّة يأخذ بها من بعدك ، فقال : أنا لا أقيد ؛ وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه ! قال : فدعنا ، فلنرضه ، قال : دونكم ، فأرضوه ، فافتدى منه بمئتي دينارٍ ، كلُّ سوطٍ بدينارين [(٤١٣)] ولو لم يرضوه ؛ لأقاده [(٤١٤)] رضي الله عنه .

وجاء رجلٌ من أهل مصر يشكو ابن عمرو بن العاص واليه على مصر قائلاً : يا أمير المؤمنين ! عائدٌ بك من الظُّلم . قال : عدت معاذاً . قال : سابقت ابن عمرو بن العاص ، فسبقته ، فجعل يضربني بالسَّوط ، ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو . رضي الله عنهما . يأمره بالقدوم ، ويقدم بابنه معه . فقدم عمرو ، فقال عمر : أين المصريُّ ؟ خذ السَّوط ، فاضرب . فجعل يضربه بالسَّوط ، ويقول عمر : اضرب ابن الأكرمين ؟ قال أنس : فاضرب ، فوالله ! لقد ضربه ، ونحن نحبُّ ضربه ، فما رفع عنه حتَّى تمنَّينا أن يرفع عنه ، ثمَّ قال عمر للمصريِّ : اصنع على صلعة عمرو . فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّما ابنه الذي ضربني ، وقد اشتفيت منه . فقال عمر لعمرو : مذكم تعبدتم النَّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ! لم أعلم ، ولم يأتيني [(٤١٥)] !

لقد قامت دولة الخلفاء الرّاشدين على مبدأ العدل ، وما أجمل ما قاله ابن تيميَّة : إنّ الله ينصر الدَّولة العادلة ؛ وإن كانت كافرَةً ، ولا ينصر الدَّولة الظَّالمة ، ولو كانت مسلمةً ، .. بالعدل تستصلح الرِّجال وتستغزr الأموال [(٤١٦)] .

وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده الفاروق في دولته ؛ فيعدُّ أحد المبادئ العامَّة التي أقرّها الإسلام . قال تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَأَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ* } [الحجرات: ١٣] .

إنَّ النَّاس جميعاً في نظر الإسلام سواسيةً ، الحاكم والمحكوم ، الرِّجال والنساء ، العرب والعجم ، الأبيض والأسود ، لقد ألغى الإسلام الفوارق بين النَّاس بسبب الجنس ، واللَّون ، أو النَّسب ، أو الطَّبقة ،

والحكام والمحكومون كلهم في نظر الشرع سواءً [(٤١٧)] ، وجاءت ممارسة الفاروق لهذا المبدأ خير شاهداً ، وهذه بعض المواقف التي جسدت مبدأ المساواة في دولته :

. أصابت الناس في إمارة عمر . رضي الله عنه . سنة (جذب) بالمدينة وما حولها ، فكانت تسفي إذا ربحت [(٤١٨)] تراباً كالرّماد ، فسمي ذلك العام عام الرّمادة ، فالى (حلف) عمر ألا يذوق سمناً ، ولا لبناً ، ولا لحماً حتى يحيا الناس من أول الحيا ، فكان بذلك حتى أحيى الناس من أول الحيا ، فقدمت السوق عكةً من سمن ، ووطب من لبن ، فاشتراها غلام لعمر بأربعين ، ثم أتى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! قد أبر الله يمينك ، وعظم أجرك ، قدم السوق وطب من لبن ، وعكةً من سمن ، فابتعتها بأربعين ، فقال عمر : أغليت بهما ، فتصدّق بهما ، فإني أكره أن اكل إسرافاً . وقال عمر : كيف يعينني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسنهم [(٤١٩)] .

هذا موقف أمير المؤمنين عام القحط الذي سمي عام الرّمادة ، ولم يختلف موقفه عام الغلاء ، فقد : أصاب الناس سنة غلاء ، فعلا السمن ، فكان عمر يأكل الزيت ، فتقرقر بطنه ، فيقول : قرقر ما شئت ، فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس [(٤٢٠)] .

ولم يقتصر مبدأ المساواة في التطبيق عند خلفاء الصّدر الأول على المعاملة الواحدة للناس كافةً ، وإنما تعداه إلى شؤون المجتمع الخاصة ، ومنها ما يتعلّق بالخدام ، والمخدوم ، فعن ابن عباس : أنه قال : قدم عمر بن الخطّاب حاجباً ، فصنع له صفوان بن أمية طعاماً ، فجاؤوا بجفنةٍ يحملها أربعة ، فوضعت بين يدي القوم يأكلون ، وقام الخدام ، فقال عمر : أترغبونه عنهم ؟ فقال سفيان بن عبد الله : لا والله يا أمير المؤمنين ! ولكننا نستأثر عليهم ، فغضب عمر غضباً شديداً ، ثم قال : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ، فعل الله بهم وفعل ! ثم قال للخدام : اجلسوا ، فكلوا ، فقعد الخدام يأكلون ، ولم يأكل أمير المؤمنين [(٤٢١)] .

وكذلك فإن عمر . رضي الله عنه . لم يأكل من الطّعام ما لا يتيسّر لجميع المسلمين ، فقد كان يصوم الدهر ، فكان زمن الرّمادة إذا أمسى أتى بجنز قد ثرد بالزيت ، إلى أن نحرُوا يوماً من الأيام جزوراً [(٤٢٢)] ، فأطعمها الناس ، وغرفوا له طيبها ، فأتي به فإذا قديداً من سنام ، ومن كبد ، فقال : أتى هذا ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين ! من الجزور التي نحرناها اليوم . فقال : بخ بخ ، بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها ، وأطعمت الناس كرادسها ، ارفع هذه الجفنة ، هات غير هذا الطّعام ، فأتي بجنز وزيت ، فجعل يكسر بيده ، ويثرد ذلك الخبز [(٤٢٣)] .

ولم يكن عمر ليطبّق مبدأ المساواة في المدينة وحدها ، من غير أن يعلمه لعمّاله في الأقاليم ، حتّى في مسائل الطّعام ، والشّرّاب [(٤٢٤)] . فعندما قدم عتبة بن فرقد أذربيجان ؛ أتى بالخبيص ، فلمّا أكله وجد شيئاً حلواً طيّباً ، فقال : والله لو صنعت لأمير المؤمنين من هذا ، فجعل له سفطين عظيمين ، ثمّ حملهما على بعيرٍ مع رجلين ، فسرح بهما إلى عمر . فلمّا قدما عليه ؛ فتحهما ، فقال : أيُّ شيءٍ هذا ؟ قالوا : خبيص . فذاقه ، فإذا هو شيءٌ حلؤٌ . فقال : أكلتُ المسلمين يشبع من هذا في رحله ؟ قال : لا . قال : أمّا لا ؛ فارددهما . ثمّ كتب إليه : أمّا بعد : فإنّه ليس من كدّ أهلك ، ولا من كدّ أمك . أشبع المسلمين ممّا تشبع منه في رحلك [(٤٢٥)] .

ومن صور تطبيق المساواة بين النّاس ما قام به عمر عندما جاءه مالٌ ، فجعل يقسمه بين النّاس ، فزادحموا عليه ، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم النّاس ، حتّى خلص إليه ، فعلاه بالدّرّة ، وقال : إنك أقبلت لا تحاب سلطان الله في الأرض ، فأحببتُ أن أعلمك أنّ سلطان الله لن يهابك [(٤٢٦)] . فإذا عرفنا : أنّ سعداً كان أحد العشرة المبشّرين بالجنّة ، وأنّه فاتح العراق ، ومدائن كسرى ، وأحد السّنة ، الذين عيّنتهم للشورى ؛ لأنّ رسول الله (ص) مات ، وهو راضٍ عنهم ، وأنّه كان يقال له : فارس الإسلام ... عرفنا مبلغ التزام عمر بتطبيق المساواة [(٤٢٧)] .

ويروي ابنُ الجوزي : أنّ عمرو بن العاص ، أقام حدّ الخمر على عبد الرحمن بن عمر بن الخطّاب ، يوم كان عامله على مصر . ومن المألوف أن يقام الحد في السّاحة العامّة للمدينة ، لتتحقّق من ذلك العبرة للجمهور ، غير أنّ عمرو بن العاص أقام الحدّ على ابن الخليفة في البيت ، فلمّا بلغ الخبر عمر ، كتب إلى عمرو بن العاص : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاص بن أبي العاص : عجبت لك يا بن العاص ، ولجراتك عليّ ، وخلاف عهدي . أما إنّي قد

خالفت فيك أصحاب بدرٍ ممّن هو خيرٌ منك ، واخترتك لجدالك عتيّ ، وإنفاذ عهدي ، فأراك تلوثت بما قد تلوثت ، فما أراني إلا عازلك فمسيء عزلك ، تضرب عبد الرّحمن في بيتك ، وقد عرفت أنّ هذا يخالفني ؟ إنّما عبد الرحمن رجلٌ من رعيّتك ، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلت : هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفت أنّ لا هوادة لأحدٍ من النّاس عندي في حقّ يجب لله عليه ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءةٍ على قتبٍ حتّى يعرف سوء ما صنع [(٤٢٨)] . وقد تمّ إحضاره إلى المدينة ، وضربه الحدّ جهراً . وروى ذلك ابن سعدٍ ، وأشار إليه ابن الزُّبير ، وأخرجه عبد الرزاق بسندٍ صحيحٍ عن ابن عمر مطوّلاً [(٤٢٩)] .

وهكذا نرى المساواة أمام الشريعة في أسمى درجاتها ، فملتهم هو ابن أمير المؤمنين ، ولم يعفه الوالي من العقاب ، ولكن الفاروق وجد أن ابنه تمتع ببعض الرعاية ، فلمه ذلك أشدّ الألم ، وعاقب واليه . وهو فاتح مصر . أشدّ العقاب ، وأفساه . وأنزل بالابن ما يستحق من العقاب ، حرصاً على حدود الله ، ورغبةً في تأديب ابنه ، وتقويمه ، وإذا كان هذا منهجه مع أقرب الناس عنده ، فما بالك بالآخرين!؟ [(٤٣٠)]

ومن الأمثلة التاريخية الهامة التي يستدلُّ بها المؤلفون على عدم الهوادة في تطبيق المساواة ، ما صنعه عمر مع جبلة بن الأيهم ، وهذه هي القصة : كان جبلة آخر أمراء بني غسان من قبل هرقل ، وأن الغساسنة يعيشون في الشام تحت إمرة دولة الرُّوم ، وكان الرُّوم يحرضونهم دائماً على غزو الجزيرة العربية ، وخاصةً بعد نزول الإسلام . ولما انتشرت الفتوحات الإسلامية ، وتوالت انتصارات المسلمين على الرُّوم ؛ أخذت القبائل العربية في الشام تعلن إسلامها ، فبدأ للأمير الغساني أن يدخل الإسلام هو أيضاً ، فأسلم ، وأسلم ذويه معه ، وكتب إلى الفاروق يستأذنه في القدوم إلى المدينة ، ففرح عمر بإسلامه ، وقدمه ، فجاء إلى المدينة ، وأقام بها زمناً ، والفاروق يرحاه ، ويرحب به ، ثم بدا له أن يخرج إلى الحج ، وفي أثناء طوافه بالبيت الحرام وطأى إزاره رجل من بني فزارة ، فحلّه ، وغضب الأمير الغساني لذلك . وهو حديث عهد بالإسلام . فلطمه لطمه قاسية هشمت أنفه ، وأسرع الفزاري إلى أمير المؤمنين يشكو إليه ما حلَّ به ، وأرسل الفاروق إلى جبلة يدعوه إليه ، ثم سأله ، فأقر بما حدث ، فقال له عمر : ماذا دعاك يا جبلة لأن تلطم أخاك هذا فتهشم أنفه ؟

فأجاب بأنّه قد ترقق كثيراً بهذا البدوي (وأنه لولا حرمة البيت الحرام ؛ لأخذت الذي فيه عيناه) .

فقال له عمر : لقد أقررت ، فإمّا أن ترضي الرجل ، وإمّا أن أقتص له منك .

وزادت دهشة جبلة بن الأيهم لكل هذا الذي يجري ، وقال : وكيف ذلك ، وهو سُوقَةٌ وأنا مَلِكٌ ؟

فقال عمر : إنّ الإسلام قد سوى بينكما .

فقال الأمير الغساني : لقد ظننت يا أمير المؤمنين ! أن أكون في الإسلام أعزّ مني في الجاهلية .

فقال الفاروق : دع منك هذا فإنك إن لم ترض الرجل ؛ اقتصت له منك .

فقال جبلة : إذا أنتصر .

فقال عمر : إذا تنصرت ضربت عنقك ، لأنك أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك! [(٤٣١)] .

وهنا أدرك جبلة : أنَّ الجدل لا فائدة منه ، وأنَّ المراوغة مع الفاروق لن تجدي ، فطلب من الفاروق أن يمهله ليفكّر في الأمر ، فأذن له عمر بالانصراف ، وفكّر جبلة بن الأيهم ووصل إلى قرار ، وكان غير موفّق في قراره ، فقد اثر أن يغادر مكّة هو وقومه في جنح الظلام ، وفرّ إلى القسطنطينية ، فوصل إليها متنصّراً ، وندم بعد ذلك على هذا القرار أشدّ الندم ، وصاغ ذلك في شعرٍ جميل مازال التّاريخ يرّدده ، ويرويه .

وفي هذه القصّة نرى حرص الفاروق على مبدأ المساواة أمام الشّرع ، فالإسلام قد سوى بين الملك والسُّوقة ، ولا بدّ لهذه المساواة أن تكون واقعاً حيّاً وليس مجرد كلماتٍ توضع على الورق ، أو شعارٍ تردّده الألسنة [(٤٣٢)] .

لقد طبّق عمر - رضي الله عنه - مبدأ المساواة الذي جاءت به شريعة ربّ العالمين ، وجعله واقعاً حيّاً يعيش ، ويتحرّك بين النّاس ، فلم يتراجع أمام عاطفة الأبوة ، ولم ينثن أمام ألقاب النّبالة ، ولا تضيّع أمام اختلاف الدّين ، أو مجاملة الرّجال الفاتحين ، لقد كان ذلك المبدأ العظيم واقعاً حيّاً ، شعر به كلُّ حاكمٍ ، ومحكوم ، ووجدته كلُّ مقهورٍ ، وكلُّ مظلوم [(٤٣٣)] .

لقد كان لتطبيق مبدأ المساواة أثره في المجتمع الرّاشدي ، فقد أثار الشّعور بما على نفوس ذلك الجيل ، فنبذوا العصبية التقليديّة ، من الادّعاء بالأوليّة ، والزعامة ، والأحقّيّة بالكرامة ، وأزالت الفوارق الحسبية الجاهليّة ، ولم يطمع شريفٌ في وضيعٍ ، ولم ييأس ضعيفٌ من أخذ حقّه ، فالكلُّ سواءٌ في الحقوق ، والواجبات ، لقد كان مبدأ المساواة في المجتمع الرّاشدي نوراً جديداً أضاء به الإسلام جنّات المجتمع الإسلامي ، وكان لهذا المبدأ الأثر القويّ في إنشائه [(٤٣٤)] .

سادساً : الحريات :

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسيّة ؛ التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الرّاشدين ، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريّات العامّة للنّاس كافّة ضمن حدود الشّريعة الإسلاميّة ، وبما لا يتناقض معها ، فقد كانت دعوة الإسلام لحريّة النّاس - جميع النّاس - دعوةً واسعةً وعريضةً ، قلّما تشتمل على مثلها دعوةٌ في التّاريخ ، وكانت أوّل دعوةٍ أطلقها في هذا المجال هي دعوته النّاس في العديد من الايات القرآنيّة لتوحيد الله ، والتّوجّه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات ، والمخلوقات ، وفي دعوة التوحيد هذه كلُّ معاني الحريّة ، والاستقلال لبني الإنسان ، أضف إلى ذلك : أنّ الإسلام عرف الحريّة بكلِّ معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارةً تكون فعلاً إيجابياً، كالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، وتارةً فعلاً سلبيّاً

كالاتمتناع عن إكراه أحد في الدُخول في الدِّين ، وفي أحيانٍ كثيرةٍ، يختلط معناها بمعنى الرَّحمة ، والعدل ، والشُّورى ، والمساواة ؛ لأنَّ كلَّ مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره، ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرِّيَّة.

وقد أسهم مبدأ الحرِّيَّة مساهمةً فعَّالةً إِبَّانَ حكم الخلفاء الرَّاشدين خاصَّةً بانتشار الدِّين الإسلاميِّ ، وبتسهيل فتوحات المسلمين ، واتِّساع رقعة دولتهم ؛ لأنَّ الإسلام كَرَّمَ الإنسان ، وكفل حرِّيَّاته على أوسع نطاق ، ولأنَّ النُّظم السِّياسية الأخرى السَّائدة انذاك في دولة الرُّوم والفرس كانت أنظمةً استبداديَّةً ، وتسلُّطيَّةً ، وفتويَّةً ، قاسى بسببها الرِّعايا وبصورةٍ خاصَّةٍ المناوئون السِّياسيون ، والأقليات الدِّينية أشد درجات الكبت ، والاضطهاد ، والظُّلم .

فعلى سبيل المثال كانت دولة الرُّوم تفرض على الاخذين بالمذهب اليعقوبي ، ولا سيَّما في مصر والشَّام ، أن يدينوا بالمذهب الملكاني (دينها الرِّسمي) وكم أخذ المخالفون بالمشاعل توقد نيرانها ، ثمَّ تسلط على أجسامهم حتَّى يحترقوا ، ويسيل الدُّهن من جوانبهم على الأرض ، والجبايرة القساة يحملونهم حملاً على الإيمان بما أفرَّه مجمع مقدونية ، أو يضعونهم في كيسٍ مملوءٍ بالرِّمال ثمَّ يلقون بهم في أعماق البحار .

وكذلك كانت دولة فارس في مختلف العصور تضطهد معتنقي الملل السَّماوية ، ولا سيما المسيحيين بعد ازدياد القتال عنفاً بينها وبين دولة الرُّوم . وأمَّا في الإسلام في زمن

رسول الله (ص) ، وعصر الخلفاء الرَّاشدين ، فقد كانت الحرِّيَّات العامَّة المعروفة في أيَّامنا معلومةً، ومصونة تماماً [٤٣٥] ، وإليك بعض التَّفصيل عن الحرِّيَّات في زمن الفاروق رضي الله عنه:

١. حرية العقيدة الدِّينية :

إنَّ دين الإسلام لم يُكره أحداً من النَّاس على اعتناقه ، بل دعا إلى التَّفكير ، والتأمُّل في كون الله ، ومخلوقاته ، وفي هذا الدِّين ، وأمر أتباعه أن يجادلوا النَّاس بالتي هي أحسن ، قال تعالى : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦] . وقال تعالى : {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى: ٤٨] . وقال تعالى : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} * [النحل: ١٢٥] .

وقال تعالى : {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} * [العنكبوت: ٤٦] والايات في ذلك كثيرةٌ، ولذلك نجد الفاروق في دولته حرص على حماية الحرِّيَّة الدِّينية، ونلاحظ بأنَّ عمر سار على

هدي النَّبِيِّ (ص) ، والخليفة الرَّاشد أبي بكرٍ في هذا الباب ، فقد أقرَّ أهل الكتاب على دينهم ؛ وأخذ منهم الجزية ، وعقد معهم المعاهدات ، كما سيأتي تفصيله ، وحُطِّطت معابدهم ، ولم تهدم ، وتركت على حالها ، وذلك لقول الله تعالى : {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَادَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} [الحج: ٤٠] .

فحركة الفتوحات في عهد الفاروق التي قام بها الصَّحابة تشهد على احترام الإسلام للأديان الأخرى ، وحرص القيادة العليا على عدم إكراه أحدٍ في الدُّخول في الإسلام ، حتَّى إِنَّ الفاروق نفسه جاءته ذات يوم امرأة نصرانية عجوز كانت لها حاجةٌ عنده ، فقال لها : أسلمي ؛ تسلمي ، إِنَّ الله بعث محمداً بالحقِّ ، فقالت : أنا عجوزٌ كبيرةٌ ، والموت إليَّ أقرب ، فقضى حاجتها ، ولكنَّه خشي أن يكون في مسلكه هذا ما ينطوي على استغلال حاجتها لمحاولة إكراهها على الإسلام ، فاستغفر الله ممَّا فعل ، وقال : اللَّهُمَّ إِنِّي أُرشدت ، ولم أكره [(٤٣٦)] !

وكان لعمر - رضي الله عنه - عبدٌ نصرانيٌّ اسمه : (أشق) حدَّث فقال : كنت عبداً نصرانياً لعمر ، فقال : أسلم حتَّى نستعين بك على بعض أمور المسلمين ؛ لأنَّه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم ، فأبيت ، فقال : {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦] . فلمَّا حضرته الوفاة أعتقني ، وقال : اذهب حيث شئت [(٤٣٧)] .

وقد كان أهل الكتاب يمارسون شعائر دينهم ، وطقوس عبادتهم في معابدهم ، وبيوتهم ، ولم يمنعهم أحدٌ من ذلك ؛ لأنَّ الشريعة الإسلامية حفظت لهم حتَّى الحرِّيَّة في الاعتقاد .

وقد أورد الطَّبْرِيُّ في العهد الَّذي كتبه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأهل إيلياء (القدس) ونصَّ فيه على إعطاء الأمان لأهل إيلياء على أنفسهم ، وأموالهم ، وصلبانهم ، وكنائسهم [(٤٣٨)] ، وكتب والي عمر بمصر عمرو بن العاص لأهل مصر عهداً جاء فيه : بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ، هذا ما أعطى عمرو بن العاص لأهل مصر من الأمان على أنفسهم ، وملَّتهم ، وأموالهم ، وكنائسهم ، وصلبهم ، وبرَّهم ، وبجرهم ، وأكَّد ذلك العهد بقوله : على ماضي هذا الكتاب عهدُ الله وذمَّةُ رسوله ، وذمَّةُ الخليفة أمير المؤمنين ، وذمَّةُ المؤمنين [(٤٣٩)] .

وقد اتَّفَق الفقهاء [(٤٤٠)] على أنَّ لأهل الدِّمَّة ممارسة شعائرهم الدِّينية ، وأنَّهم لا يمنعون من ذلك ما لم يظهروا ، فإنَّ أرادوا ممارسة شعائرهم إعلاناً ، وجهراً ، كإخراجهم الصُّلبان يرون منعهم من ذلك في أمصار المسلمين ، وعدم منعهم في بلدانهم ، وقراهم [(٤٤١)] .

يقول الشيخ الغزالي عن كفالة الإسلام لحرية المعتقد : إِنَّ الْحَرِيَّةَ الدِّينِيَّةَ الَّتِي كَفَلَهَا الإِسْلَامُ لِأَهْلِ الأَرْضِ لم يُعْرَفْ لها نَظِيرٌ في القَارَاتِ الخمس ، ولم يحدث أن انفرد دينٌ بالسُّلْطَة ، ومنح مخالفه في الاعتقاد كلَّ أسباب البقاء والازدهار مثل ما صنع الإسلام [(٤٤٢)] .

لقد حرص الفاروق على تنفيذ قاعدة حرّية الاعتقاد في المجتمع ، ولخص سياسته حيال النصارى ، واليهود بقوله : وإِنَّا أعطيناهم العهد على أن نخلي بينهم وبين كنائسهم ، يقولون فيها ما بدا لهم ، وألا نخملهم ما لا يطيقون ، وإن أرادهم عدوهم بسوءٍ قاتلنا دونهم ، وعلى أن نخلي بينهم وبين أحكامهم ، إلا أن يأتوا راضين بأحكامنا ، فنحكم بينهم ، وإن غيَّبوا عنَّا ؛ لم نتعرَّض لهم [(٤٤٣)] .

وقد ثبت عن عمر : أنه كان شديد التَّسامح مع أهل الدِّمَّة ، حيث كان يعفيهم من الجزية عندما يعجزون عن تسديدها ، فقد ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال : إنَّ عمر . رضي الله عنه . مرَّ

بباب قومٍ وعليه سائلٌ يسأل . شيخٌ كبيرٌ ضربُ البصر . فضرب عضده من خلفه وقال : من أيِّ أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهوديٌّ ، قال : فما الجأك إلى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية ، والحاجة ، والسِّنِّ ، قال : فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، فرضخ له بشيءٍ من المنزل [(٤٤٤)] ، ثمَّ أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال : انظر هذا ، وضرباه ؛ فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثمَّ نخذله عند الهرم ! ووضع عنه الجزية ، وعن ضربائه [(٤٤٥)] ، وقد كتب إلى عمَّاله معيماً عليهم هذا الأمر [(٤٤٦)] . وهذه الأفعال تدلُّ على عدالة الإسلام ، وحرص الفاروق أن تقوم دولته على العدالة والرِّفق برعاياه ولو كانوا من غير المسلمين ، وقد بقيت الحرّية الدِّينِيَّة معلماً بارزاً في عصر الخلافة الرَّاشدة ، مكفولةً من قبل الدَّولة ، ومصونةً بأحكام التَّشريع الرَّبَّانيِّ .

٢. حرّية التَّنقُّل ، أو حرّية الغدو والرَّواح :

حرص الفاروق على هذه الحرّية حرصاً شديداً ، ولكنه قيدها في بعض الحالات الاستثنائية التي استدعت ضرورةً لذلك ، أمَّا الحالات الاستثنائية التي جرى فيها تقييد حرّية التَّنقُّل ، أو حرّية المأوى ؛ فهي قليلةٌ جداً ، ويكفي أن نشير إلى حالتين نظراً لأهميتهما :

أ. أمسك عمر كبار الصَّحابة في المدينة ، ومنعهم من الدَّهاب إلى الأقطار المفتوحة إلا بإذنٍ منه ، أو لمهمةً رسميَّةً ، كتنعين بعضهم ولاةً ، أو قادةً للجيوش ، وذلك حتَّى يتمكَّن من أخذ مشورتهم ، والرُّجوع إليهم فيما يصادفه من مشاكل في الحكم ، ويجول في الوقت نفسه دون وقوع أيَّة فتنةٍ ، أو انقسامٍ في صفوف المسلمين في حال خروجهم للأمصار ، واستقرارهم فيها [(٤٤٧)] ، فقد كان من

حكيمته السياسيّة ، ومعرفته الدّقيقة لطباع النّاس ، ونفسيّتهم : أنّه حصر كبار الصّحابة في المدينة ، وقال : أخوف ما أخاف على هذه الأُمّة انتشاركم في البلاد [(٤٤٨)] .

وكان يعتقد : أنّه إذا كان التّساهل في هذا الشّأن ؛ نجمت الفتنة في البلاد المفتوحة ، والتفّ النّاس حول الشّخصيّات المرموقة ، وثارَت حولها الشُّبهات ، وكثرت القيادات ، والرّيات ، وكان من أسباب الفوضى [(٤٤٩)] .

لقد خشي عمر - رضي الله عنه - من تعدّد مراكز القوى السياسيّة ، والدّينيّة داخل الدّولة الإسلاميّة ، حيث يصبح لشخص هذا الصّحابيّ الجليل ، أو ذاك هالة من الإجلال ، والاحترام على رأيه ، ترقى به إلى مستوى القرار الصّادر من السّلطة العامّة ، وتجنّباً لتعدّد مراكز القوى ، وتشبّث السّلطة ؛ فقد رأى عمر إبقاء كبار الصّحابة داخل المدينة ، يشاركونه في صناعة القرار ، ويتجنّبون فوضى الاجتهاد الفرديّ ، ولولا هذا السّنَد الشرعيّ ؛ لكان القرار الصّادر عن عمر - رضي الله عنه - غير مجدٍ ، ولا ملزم لافتقاده لسببه الشرعيّ ؛ الذي يسوّغه ؛ إذ التصرّف على الرّعيّة منوطٌ بالمصلحة [(٤٥٠)] .

ب . وأمّا الحالة الثّانية ؛ فقد حصلت عندما أمر عمرُ بإجلاء نصارى نجران ، ويهود خيبر من قلب البلاد العربيّة إلى العراق ، والشام . وسبب ذلك : أنّ يهود خيبر ، ونصارى نجران لم يلتزموا بالعهد ، والشّروط ؛ الّتي أبرموها مع رسول الله (ص) ، وجدّدوها مع الصّديق ، فقد كانت مقرّات يهود خيبر ، ونصارى نجران أوكاراً للدّسائس والمكر ، فكان لابدّ من إزالة تلك القلاع الشّيطانيّة ، وإضعاف قوّاتهم ، أمّا بقية النّصارى ، واليهود ، كأفرادٍ ، فقد عاشوا في المجتمع المدني يتمتّعون بكلّ حقوقهم .

روى البيهقيّ في سننه ، وعبد الرّزاق بن همّام الصّنعائيّ في مصنفه عن ابن المسيّب ، وابن شهاب : أنّ رسول الله - (ص) - قال : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » . قال مالك : قال ابن شهاب : ففحص عن ذلك عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - حتّى أتاه التّلج واليقين عن رسول الله (ص) أنّه قال : « لا يجتمع دينان في جزيرة العرب » ، فأجلى يهود خيبر . قال مالك : قد أجلى عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - يهود نجران ، وفدك [(٤٥١)] .

لقد كانت نبوّة النّبِيّ (ص) بالنّسبة للصّحابة يقيناً ، ولذلك لم يستطع اليهود ، ولا نصارى نجران أن يلتزموا بعهودهم مع المسلمين لشدّة عداوتهم ، وبغضهم ، وحسدهم للإسلام والمسلمين ، فاليهود في خيبر كان من أسباب إجلائهم ما رواه ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : لما فدع [(٤٥٢)] أهل خيبر

عبد الله بن عمر ؛ قام عمر خطيباً ، فقال : إِنَّ رسول الله . (ص) . عامل يهود خيبر على أموالهم ، وقال : نَقَرْتُمْ ما أَفْرَكَم الله ، وَإِن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك ، فَعُدِّي عليه من اللَّيْلِ ، فَعُدَّتْ يده ورجلاه ، وليس لنا هناك عدوٌ غيرهم هم عدوُّنا ، وَتَهَمَّتْنَا ، وقد رأيت إجلاءهم ، فلمَّا أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني الحقيق ، فقال : يا أمير المؤمنين ! أخرجنا ، وقد أَقْرَنَّا مُحَمَّد . (ص) . وعاملنا على الأموال ، وشرط ذلك لنا ؟ فقال عمر : أَظننت أئبي نسيت قول رسول الله . (ص) . : « كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك

قلوصك] (٤٥٣) ليلة بعد ليلة ؟ » فقال : كان ذلك هزيلةً من أبي القاسم . فقال : كذبت يا عدوَّ الله ! فأجلاهم عمر ، وأعطيناهم قيمة ما كان لهم من الثَّمَر مالا ، وإِبلاً ، وعروضاً من أَقْتابٍ ، وحبالٍ وغير ذلك] (٤٥٤) .

لقد غدر اليهود ، ونقضوا عهودهم ، فكان طبيعياً أن يُخرجوا من جزيرة العرب تنفيذاً لوصية رسول الله ، فأجلاهم عمر إلى تيماء ، وأريحا ، وأمَّا نصارى نجران فلم يلتزموا بالشُّروط والعهود التي أبرموها مع رسول الله (ص) ، وجددوها مع الصِّدِّيق ، فأحلُّوا ببعضها ، وأكلوا الرِّبا وتعاملوا به ، فأجلاهم الفاروق من نجران إلى العراق ، وكتب لهم : أمَّا بعد .. فمن وقع به من أمراء الشَّام ، أو العراق فليوسعهم خريب الأرض] (٤٥٥) ، وما اعتملوا من شيء ؛ فهو لهم لوجه الله ، وعقبٌ من أرضهم . فأتوا العراق فاتَّخذوا النَّجْرانيَّة . وهي قرية بالكوفة . [(٤٥٦)] ، وذكر أبو يوسف : أنَّ الفاروق خاف من النَّصارى على المسلمين] (٤٥٧) .

وبذلك تتجلى سياسة الفاروق فيما فعل من إخراجهم بعد توفُّر أسباب أخرى إضافةً إلى وصية رسول الله (ص) ، ويتجلى فقه الفاروق في توجيه الضَّربات المركَزة إلى مقرَّات اليهود في خيبر ، والنَّصارى في نجران بعد أن وجدت المبرِّرات اللازمة لإخراجهم من جزيرة العرب بدون ظلم ، أو عسفٍ ، أو جورٍ ، وهكذا منع أوكار الدَّسائس ، والمكر من أن تأخذ نفساً طويلاً للتَّخطيط من أجل القضاء على دولة الإسلام الفتيَّة .

٣- حقُّ الأمن ، وحرمة المسكن ، وحرية الملكية :

إِنَّ الإسلام أَقرَّ حقَّ الأمن في العديد من الايات القرآنيَّة ، والأحاديث النَّبويَّة ، قال تعالى : { فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ * } [البقرة: ١٩٣] . وقال أيضاً : { فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ } [البقرة: ١٩٤] .

وقد عرف الإسلام أيضاً حقَّ الحياة ؛ الذي هو أوسع من حقِّ الأمن ؛ لأنَّ هذا الأخير يتضمَّن فعلاً سلبياً من جانب الدَّولة يعبر عنه بالامتناع عن الاعتداء أو التَّهديد ، في حين أنَّ حقَّ الحياة يتضمَّن علاوةً على ذلك فعلاً إيجابياً ، وهو حماية الإنسان ، ودمه من أيِّ اعتداءٍ ، أو تهديدٍ ، ويجعل هذه الحماية مسؤوليَّةً عامَّةً ملقاةً على عاتق النَّاسِ كافَّةً ؛ لأنَّ الاعتداء بدون حقِّ على أحدهم هو بمثابة الاعتداء عليهم جميعاً [(٤٥٨)] ، قال تعالى : { مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة: ٣٢] .

ومن المنطلق القرآنيّ ، والممارسة النَّبويَّة تكفُّل الفاروق في عهده للأفراد بحقِّ الأمن ، وحقِّ الحياة ، وسهر على تأمينهما ، وصيانتهما من أيِّ عبثٍ ، أو تطاول . وكان الفاروق . رضي الله عنه . يقول : (إني لم أستعمل عليكم عمَّالي ليضربوا أبقاركم ، ويشتموا أعراضكم ، ويأخذوا أموالكم ، ولكن استعملتهم ليعلموكم كتاب ربِّكم ، وسنة نبيِّكم ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فليرفعها إليَّ حتَّى أقصه منه) [(٤٥٩)] ، وجاء عن عمر أيضاً قوله : ليس الرِّجل بمأمونٍ على نفسه إن أجهته ، أو أخفته ، أو حبسته أن يقرَّ على نفسه [(٤٦٠)] .

وقوله هذا يدلُّ على عدم جواز الحصول على الإقرار ، والاعتراف من مشتبه به في جريمةٍ تحت الضَّغط ، أو التَّهديد سواءً أكانت الوسيلة المستعملة بذلك مادِّيَّة (كحرمانه من عطائه ، أو مصادرة أمواله) أو معنويَّة (كاللجوء إلى تهديده ، أم تخويفه بأيِّ نوع من العقاب) وجاء في كتابه لأبي موسى الأشعريِّ بصفته قاضياً : (واجعل للمدَّعي حقَّاً غائباً ، أو بيِّنة أمدأ ينتهي إليه ، فإن أحضر بيِّنته ؛ أخذت له بحقِّه ، وإلا وجهت عليه القضاء ، فإنَّ ذلك أنفى للشكِّ) [(٤٦١)] وهذا القول يدلُّ على أنَّ حقَّ الدِّفاع كان محترماً ، ومصوناً [(٤٦٢)] .

وفيما يتعلَّق بجريمة المسكن ، فإنَّ الله سبحانه حرَّم دخول البيوت والمسكن بغير موافقة أهلها ، أو بغير الطَّريقة المألوفة لدخولها ، فقال سبحانه بهذا الشأن : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * } [النور: ٢٧ - ٢٨] .

وقال أيضاً : { وَأَثُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا } [البقرة: ١٨٩] ، كما قال : { وَلَا تَجَسَّسُوا } [الحجرات: ١٢] وقد كانت حرمة المسكن مكفولةً ، ومصونةً في عهد الفاروق ، وعصر الخلفاء

الراشدين [(٤٦٣)] ، وأما حرّية الملكية ؛ فقد كانت مكفولةً ، ومصونةً أيضاً في عصر الراشدين ضمن أبعد الحدود التي تقرّها الشريعة الإسلامية في هذا المجال ، فحين اضطر عمر - رضي الله عنه - لأسبابٍ سياسيّة ، وحرّية لإجلاء نصارى نجران ، ويهود خيبر من قلب شبه الجزيرة العربيّة ، إلى العراق والشام أمر بإعطائهم أرضاً كأرضهم في الأماكن التي انتقلوا إليها احتراماً منه ، وإقراراً لحقّ الملكية الفردية ؛ الذي يكفله الإسلام لأهل الذمّة مثلما يكفله للمسلمين [(٤٦٤)] ، وعندما اضطر عمر إلى نزع ملكيّة بعض الدّور من أجل العمل على توسيع المسجد الحرام في مكّة ، ولم يكن دفعه للتّعويض العادل إلا اعترافاً منه ، وإقراراً بحقّ الملكية الفردية ؛ التي لا يجوز مصادرتها حتّى في حالة الضّرورة إلا بعد إنصاف أصحابها [(٤٦٥)] .

وحرّية الملكية لم تكن في عهد الراشدين مطلقةً ، وإنما هي مقيدةٌ بالحدود الشرعية ، وبمراعاة المصلحة العامّة ، فقد روي : أنّ بلالاً بن الحارث المزني جاء إلى رسول الله (ص) يطلب منه أن يستقطعه أرضاً ، فأقطعه أرضاً طويلةً عريضةً ، فلما الت الخلافة إلى عمر رضي الله عنه ؛ قال له : يا بلال ! إنّك استقطعت رسول الله (ص) أرضاً طويلةً عريضةً ، ففقطها لك ، وإنّ رسول الله (ص) لم يكن يمنع شيئاً يسأله ، وأنت لا تطيق ما في يدك . فقال : أجل . فقال عمر : فانظر ما قويت عليه منها ، فأمسكه ، وما لم تطق ، وما لم تقو عليه ، فادفعه إلينا ، نقسمه بين المسلمين ، فقال : لا أفعل والله شيئاً أقطعنيه رسول الله (ص) ! فقال عمر : والله لتفعلنّ ! فأخذ عمر ما عجز عن عمارته ، فقسمه بين المسلمين [(٤٦٦)] .

وهذا يدلُّ على أنّ الملكية الفردية مرتبطةً ارتباطاً وثيقاً بمصلحة الجماعة ، فإن أحسن المالك القيام بما يتطلّبه معنى الاستخلاف في الرّعاية ، والاستثمار ؛ فليس لأحدٍ أن ينازعه ملكه ، وإلا فإنّ لولي الأمر أن يتصرّف بما يحول دون إهماله [(٤٦٧)] .

٤. حرية الرأي :

كفل الإسلام للفرد حرّية الرأي كفالةً تامّةً ، وقد كانت هذه الحرّية مؤمنةً ، ومصونةً في عهد الخلفاء الراشدين ، فكان عمر - رضي الله عنه - يترك الناس يبدون آراءهم السّديدة ، ولا يقيدهم ، ولا يمنعهم من الإفصاح عمّا تكنّنه صدورهم [(٤٦٨)] ، ويترك لهم فرصة الاجتهاد في المسائل التي لا نصّ فيها ، فعن عمر : أنّه لقي رجلاً ، فقال : ما صنعت ؟ قال : قضى عليّ ، وزيدٌ بكذا . قال : لو كنت أنا لقضيت بكذا ، قال : فما منعك ، والأمر إليك ؟ قال : لو كنت

أردك إلى كتاب الله ، وإلى سنة نبيه (ص) ؛ لفعلت ، ولكي أردك إلى رأيي ، والرأي مشترك ما قال علي ، وزيد [(٤٦٩)] .

وهكذا ترك الفاروق الحريرة للصحابة بيدون اراءهم في المسائل الاجتهادية ، ولم يمنعهم من الاجتهاد ، ولم يحملهم على رأي معين [(٤٧٠)] .

وكان التقد ، أو التصح للحاكم في عهد الفاروق ، والخلفاء الراشدين مفتوحاً على مصراعيه ، فقد قام الفاروق - رضي الله عنه - يخطب ، قال : أيها الناس ! من رأى منكم في اعوجاجاً ، فليقومه . فقام له رجل ، وقال : والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا ! فقال عمر : الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه [(٤٧١)] .

وقد جاء في خطبة عمر لما تولى الخلافة : أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإحضاري النصيحة [(٤٧٢)] .

واعتبر الفاروق ممارسة الحريرة السياسية البناءة (النصيحة) تعد واجباً على الرعية ، ومن حق الحاكم أن يطلب بها : أيها الرعية إن لنا عليكم حقاً : النصيحة بالغيب ، والمعونة على الخير [(٤٧٣)] .

وكان يرى أن من حق أي فرد في الأمة أن يراقبه ، ويقوم اعوجاجه ؛ ولو بجد السيف ؛ إن هو حاد عن الطريق ، فقال : أيها الناس من رأى منكم في اعوجاجاً ؛ فليقومه [(٤٧٤)] .

وكان يقول : أحب الناس إلي من رفع إلي عيوي [(٤٧٥)] ، وقال أيضاً : إني أخاف أن أخطيء فلا يردني أحد منكم تهيئاً مني [(٤٧٦)] .

وجاءه يوماً رجلاً ، فقال له على رؤوس الأشهاد : اتق الله يا عمر ! فغضب بعض الحاضرين من قوله ، وأرادوا أن يسكتوه عن الكلام ، فقال لهم عمر : لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها [(٤٧٧)] ، ووقف ذات يوم يخطب في الناس ، فما كاد يقول :

(أيها الناس ! اسمعوا ، وأطيعوا) حتى قاطعه أحدهم قائلاً : لا سمع ولا طاعة يا عمر ! فقال عمر بهدوء : لم يا عبد الله ؟! قال : لأن كلاً منا أصابه قميص واحد من القماش لستر عورته وعليك حلة ! فقال

له عمر : مكانك ، ثم نادى ولده عبد الله بن عمر ، فشرح عبد الله : أنه قد أعطى أباه نصيبه من القماش ؛ ليكمل به ثوبه ، فاقتنع الصحابة ، وقال الرجل في احترام وخشوع : الان السمع والطاعة يا

أمير المؤمنين [(٤٧٨)] ! وخطب ذات يوم ، فقال : لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقيةً ، وإن كانت بنت ذي القصة - يعني : يزيد بن الحصين - فمن زاد ألقىت الزيادة في بيت المال . فقالت امرأة

معتزلةً على ذلك : ما ذاك لك ! قال : ولم ؟ قالت : لأنَّ الله تعالى قال : {وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا*} [النساء: ٢٠] . فقال عمر : امرأة أصابت ، ورجلٌ أخطأ [٤٧٩] .

وجاء في رواية : أنَّه قال : اللَّهُمَّ غفراً ! كلُّ إنسانٍ أفقه من عمر ، ثمَّ رجع ، فركب المنبر، فقال: أيها الناس ! إيَّي كنت نهيتمكم أن تزيدوا النَّساء في صدقاتهن على أربعمئة درهمٍ، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحبَّ، وطابت به نفسه، فليفعل [٤٨٠] .

وليست حرِّيَّة الرأي مطلقةً في نظر الشريعة ؛ فليس للإنسان أن يقطع في كلِّ ما يشاء ، بل مقيدةٌ بعدم مضرة الآخرين بإبداء الرأي ، سواء كان الضرر عاماً ، أو خاصاً . وممَّا منعه عمر . رضي الله عنه . وحظره ، وقيدته :

أ. الاراء الضالَّة المضلَّة في الدين ، واتباع المتشابهات : ومن ذلك قصَّة النَّبطي الذي أنكر القدر بالشَّام [٤٨١] ، فقد اعترض على عمر . رضي الله عنه . وهو يخطب بالشَّام حينما قال عمر : ومن يضلُّ الله فلا هادي له ، فاعترض النَّبطي منكرًا للقدر ، قائلاً : إنَّ الله لا يضلُّ أحداً ! فهدَّده عمر بالقتل إن أظهر مقولته القدرية مرَّة أخرى [٤٨٢] .

وعن السَّائب بن يزيد : أنَّه قال : أتى رجلٌ عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . فقال : يا أمير المؤمنين ! {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا*فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا*} [الذاريات: ١ - ٢] فقال عمر . رضي الله عنه .: أنت هو ؟ فقام إليه ، وحسر [٤٨٣] عن ذراعيه ، فلم يزل يجلده حتَّى سقطت عمامته ، فقال : والذي نفس عمر بيده ! لو وجدتك مخلوقاً ؛ لضربت رأسك ، ألبسوه ثيابه ، واحملوه على قَتَبِ [٤٨٤] ، ثمَّ اخرجوا حتَّى تقدموا به بلاده ، ثمَّ ليقم خطيباً ، ثمَّ ليقل : إنَّ صبيغاً [٤٨٥] ابتغى العلم ، فأخطأه ، فلم يزل وضعياً في قومه حتَّى هلك [٤٨٦] .

ب . والوقوع في أعراض النَّاس بدعوى الحرِّيَّة :

وقد حبس عمر . رضي الله عنه . الحطيئة [٤٨٧] من أجل هجائه الزُّبَيْرِ بن بدر [٤٨٨] بقوله :
دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلَ لِبُعَيْتِهَا وَأَفْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي [٤٨٩] لأنه شبهه بالنِّساء في أهنَّ يطعمن ، ويسقين ، ويكسين [٤٩٠] ، وقد توعدَّ عمر الحطيئة بقطع لسانه إذا تمادى في هجو المسلمين ، ونهش أعراضهم ، وقد استعطفه الحطيئة وهو في سجنه بشعر منه قوله :

ماذا أقول لأفراخٍ بذِي مَرَحٍ زُغِبِ الحِوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجْرًا لَقِيتَ كاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ
فَاعْفِرْ عَلَيكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمَرُ أَنْتَ الْأَمِيرُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَى إِلَيْكَ
مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرُ فَرَّقَ لَهُ قَلْبَ عَمْرٍ ، وَخَلَى سَبِيلَهُ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ أَلَا يَهْجُو أَحَدًا مِنْ
المسلمين [(٤٩١)] ، وقد ورد : أَنَّ الفاروق اشترى أعراض المسلمين من الحُطَيْمَةِ بمبلغ ثلاثة آلاف درهمٍ
، حتَّى قال ذلك الشَّاعر :

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ وَمَنْعَتِي عِرْضَ الْبَخِيلِ فَلَمْ يَخَفْ
شَتْمِي وَأَصْبَحَ امِنًا لَا يَفْرَعُ [(٤٩٢)] ٥. رأي عمر في الزَّوْجِ بالكتائِبَاتِ :

لما علم عمر . رضي الله عنه .: أَنَّ حذيفة بن اليمان تزَّوجَ يهوديَّةً كتب إليه : خَلِّ سَبِيلَهَا ،
فكتب إليه حذيفة : أتزعم أنَّها حرام فأخلي سبيلها ؟ فقال : لا أزعم أنَّها حرامٌ ، ولكي أخاف أن
تعاطوا المومسات منهنَّ . وفي روايةٍ : إني أخشى أن تدعوا المسلمات ، وتكحوا المومسات [(٤٩٣)] .
قال أبو زهرة: (يجب أن نقرَّ أن الأولى للمسلم ألا يتزوج إلا مسلمة لتمام الألفة من كلِّ وجهٍ ، ولقد
كان عمر . رضي الله عنه . ينهى عن الزَّوْجِ بالكتائِبَاتِ إلا لغرض سامٍ، كارتباط سياسيٍّ يقصد به جمع
القلوب، وتأليفها، أو نحو ذلك..) [(٤٩٤)].

لقد بيَّن المولى عزَّ وجل في كتابه بأنَّ الزَّوْجِ بالمؤمنة ، ولو كانت أمةً أولى من الزَّوْجِ بالمشركة ، ولو
كانت حرَّةً ، قال تعالى : { وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا
أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبُدْ مُؤْمِنٌ حَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ
إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * } [البقرة: ٢٢١] .

ففي هذه الايات الكريمة ينهى الحقُّ . سبحانه وتعالى . عن الزَّوْجِ بالمشركات حتَّى يؤمنَ بالله ، ويصدِّقَ
نبيه ، وحكم بأفضلية الأمة المؤمنة بالله ورسوله . وإن كانت سوداء رقيقة الحال . على المشركة الحرَّة وإن
كانت ذات جمالٍ ، وحسبٍ ، ومالٍ ، ويمنع في المقابل المؤمنات من الزَّوْجِ بالمشركين ولو كان المشرك
أحسن من المؤمن في جماله ، وماله ، وحسبه [(٤٩٥)] ، وإذا كان الزَّوْجِ بالمشركة حراماً بنصِّ هذه
الاية فإنَّ الزَّوْجِ بالكتابية جائزٌ بنصِّ اخرٍ ، وهو قوله تعالى : { وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ } [المائدة: ٥] وهو نصٌّ مخصَّصٌ للعموم في النَّصِّ
الأوَّل ، هذا هو رأي الجمهور [(٤٩٦)] ، إلا أنَّهم قالوا : إنَّ الزواج بالمسلمة أفضل ، هذا فيما إذا لم
تكن هنالك مفسدٌ تلحق الزوج ، أو الأبناء ، أو المجتمع المسلم ، أمَّا إن وجدت مفسدٌ فإنَّ الحكم

هو المنع ، وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء المعاصرين [(٤٩٧)] ، وهو رأي سبق إليه عمر بن الخطاب : إذ هو أول من منع الزَّواج بالكتائب مستنداً في ذلك إلى حجَّتين :
أ. لأنَّه يؤدي إلى كساد الفتيات المسلمات ، وتعئيسهنَّ .

ب. لأنَّ الكتائب تفسد أخلاق الأولاد المسلمين ودينهم .
وهما حجَّتان كافيتان في هذا المنع ، إلا أنَّه إذا نظرنا إلى عصرنا فإنَّنا سنجد مفاصد أخرى كثيرة استجدت ، تجعل هذا المنع أشدَّ [(٤٩٨)] ، وقد أورد الأستاذ جميل محمَّد مبارك مجموعةً من هذه المفاصد منها :

أ. قد تكون للزَّوجة من أهل الكتاب مهمَّة التَّجسس على المسلمين .
ب. دخول عادات الكفار إلى بلاد المسلمين .
ج. تعرُّض المسلم للتَّجسس بجنسيَّة الكفار .
د. جهل المسلمين المتزوِّجين بالكتائب ، ممَّا يجعلهم عجيبةً سهلة التَّشكيل في يد الكتائيات .
هـ شعور المتزوِّجين بالكتائب بالتَّقص ، وهو أمرٌ أدَّى إليه الجهل بدين الله [(٤٩٩)] .
وهي مفاصد كافيةٌ للاستدلال على حرمة الزَّواج بالكتابية في عصرنا .

إنَّ القيود التي وضعها عمر على الزَّواج بالكتائب تنسجم مع المصالح الكبرى للدَّولة ، والأهداف العظمى للمجتمعات الإسلاميَّة ، فقد عرفت الأمم الواعية ما في زواج أبنائها بالأجنبيَّات من المضارِّ ، وما يجلبه هذا الزَّواج من أخطارٍ تصيب الوطن عفوًّا ، أو قصداً ، فوضعت لذلك قيوداً ، وبالذَّات للذين يمثِّلونَّها في المجالات العامَّة ، وهو احتياطٌ له مبرراته الوجيهة ، فالزَّوجة تعرف الكثير من أسرار زوجها إن لم تكن تعرفها كلَّها ، على قدر ما بينهما من مودَّةٍ ، وانسجامٍ ، ولقد كان لهذه النَّاحية من اهتمام عمر . رضي الله عنه . مقام الأستاذيَّة الحازمة الحاسبة لكلِّ من جاء بعده كحاكمٍ على مرِّ الزَّمان . إنَّ الزَّواج من الكتائب فيه مفاصد عظيمةٌ ، فإنَّهنَّ دخيلاتٌ علينا ، ويخالفنَّنا في كلِّ شيءٍ ، وأكثرهنَّ يبقين على دينهنَّ ، فلا يتدوَّنن حلاوة الإسلام ، وما فيه من وفاءٍ ، وتقديرٍ للزَّوج .

قدَّر عمر كلَّ ذلك بفهمه لدينه ، وبصائرٍ تقديره لطبائع البشر ، وبحسن معرفته لما ينفع المسلمين وما يضرُّهم ، فأصدر فيه أوامره وعلى الفور ، وفي حسمٍ [(٥٠٠)] .

لقد كانت الحرِّيَّة في العهد الرَّاشدي مصونةً ، ومكفولةً ، ولها حدودها ، وقيودها ، ولذلك ازدهر المجتمع ، وتقدَّم في مدار الرُّقي ، فالحرِّيَّة حقٌّ أساسيٌّ للفرد ، والمجتمع ،

يتمتع بها في تحقيق ذاته ، وإبراز قدراته ، وسلب الحرّية من المجتمع سلباً لأهم مقوماته ، فهو أشبه بالأموات .

إنّ الحرّية في الإسلام إشعاعٌ داخليٌّ ملاً جنبات النفس الإنسانيّة بارتباطها بالله ، فارتفع الإنسان بهذا الارتباط إلى درجة السُمومِ والرّفعة ، فأصبحت النفس تَوَاقَةً لفعل الصّالحات ، والمسارعة في الخيرات ابتغاء ربّ الأرض والسّموات ، فالحرّية في المجتمع الإسلاميّ دعامةٌ من دعائمه ، تحقّقت في المجتمع الرّاشدي في أبهى صور انعكست أنوارها على صفحات الرّمان [(٥٠١)] .

سابعاً : نفقات الخليفة ، والبدء بالتّاريخ الهجري ، ولقب أمير المؤمنين :
١. نفقات الخليفة :

لما كانت الخلافة ديناً ، وقربةً يُتَقَرَّبُ بها إلى الله تعالى ؛ فإنّ من يتولاها ، ويحسن فيها فإنّه يرجى له مثوبته ، وجزاؤه عند الله سبحانه وتعالى ، فإنّه يجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته [(٥٠٢)] ، وقال تعالى : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّٰلِحٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ * } [الأنبياء: ٩٤] ذلك بالنسبة للجزء الأخرى ، وأمّا بالنسبة للجزء الدنيويّ فإنّ الخليفة الذي يحجز منافعه الصّالحة للأمة ، ويعمل على أداء الواجب نحوها يستحقّ عوضاً على ذلك ؛ إذ أنّ المنافع إذا حجزت ؛ قوبلت بعوضين [(٥٠٣)] ، فالقاعدة الفقهية : أنّ كلّ محبوس لمنفعة غيره يلزمه نفقته ، كمُفْتٍ ، وقاضٍ ، ووالٍ [(٥٠٤)] ، وأخذ العوض على تولى الأعمال مشروع بإعطاء النّبّي (ص) العمالة [(٥٠٥)] لمن ولاه عملاً [(٥٠٦)] .

ولما وليّ عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زماناً ، لا يأكل من بيت المال شيئاً حتّى دخلت عليه في ذلك خصاصةً ، لم يعد يكفيه ما يربحه من تجارته ، لأنّه اشتغل عنها بأمر الرّعية ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله (ص) فاستشارهم في ذلك ، فقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه ؟ فقال عثمان بن عفان : كل ، وأطعم .

وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل [(٥٠٧)] . وقال عمر لعليّ : ما تقول أنت في ذلك ؟ قال : غداً ، وعشاءً ، فأخذ عمر بذلك ، وقد بيّن عمر حظه من بيت المال ، فقال : إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة قيمّ اليتيم ، إن استغنيت عنه ؛ تركت ، وإن افتقرت إليه ؛ أكلت بالمعروف [(٥٠٨)] .

وجاء في رواية : أنَّ عمر خرج على جماعةٍ من الصَّحابة ، فسألهم : ما ترونه يحلُّ لي من مال الله ؟ أو قال : من هذا المال ؟ فقالوا : أمير المؤمنين أعلم بذلك مِنَّا ، قال : إن شئتم أخبرتكم ما أستحلُّ منه : ما أحجُّ ، وأعتمر عليه من الظَّهر ، وحلَّتِي في الشِّتاء ، وحلَّتِي في الصَّيف ، وقوت عيالي شعبهم ، وسهمي في المسلمين ، فإنَّما أنا رجلٌ من المسلمين . قال معمر : وإنَّما كان الَّذي يحجُّ عليه ، ويعتمر بغيراً واحداً [(٥٠٩)] .

وقد ضرب الخليفة الرَّاشد الفاروق للحكام أروع الأمثلة في أداء الأمانة فيما تحت أيديهم ، فقد روى أبو داود عن مالك بن أوس بن الحدثان ، قال : ذكر عمر ابن الخطاب يوماً الفيء ، فقال : ما أنا بأحقَّ بهذا الفيء منكم ، وما أحدٌ مِنَّا بأحقَّ به من أحدٍ ، إلا أنا على منازلنا من كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وقَسَم رسول الله (ص) ؛ فالرَّجل وقَدَّمه ، والرَّجل وبلاؤه ، والرَّجل وعياله ، والرَّجل وحاجته [(٥١٠)] .

وعن الرَّبيع بن زياد الحارثي : أنَّه وفد إلى عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . فأعجبته هيئته ، ونحوه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنَّ أحقَّ النَّاس بطعامٍ لينٍ ، ومركبٍ لينٍ ، وملبسٍ لينٍ لأنت . وكان أكل طعاماً غليظاً . فرفع عمر جريدةً كانت معه ، فضرب بها رأسه ، ثمَّ قال : أما والله ما أراك أردت بما الله ! ما أردت بما إلا مقاربتِي ، وإن كنت لعلَّها لأحسب : أنَّ فيك خيراً ، ويحك ! هل تدري مثلي ، ومثل هؤلاء ؟ قال : وما مثلك ، ومثلهم ؟ قال : مثل قوم سافروا ، فدفَعوا نفقاتهم إلى رجلٍ منهم ، فقالوا : أنفق علينا ، فهل يحلُّ له أن يستأثر منها بشيءٍ ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ! قال : فذلك مثلي ، ومثلهم [(٥١١)] .

وقد استنبط الفقهاء من خلال الهدى النَّبويِّ والعهد الرَّاشديِّ مجموعةً من الأحكام تتعلَّق بنفقات الخليفة ، منها :

أ. أنَّه يجوز للخليفة أن يأخذ عوضاً عن عمله ، وقد نصَّ النَّبويُّ [(٥١٢)] ، وابن العربيُّ [(٥١٣)] ، والبهوتيُّ [(٥١٤)] ، وابن مفلح [(٥١٥)] على جواز ذلك .

ب . وأنَّ الخليفين أبا بكرٍ ، وعمر . رضي الله عنهما . قد أخذوا رزقاً على ذلك .
ج . وأنَّ أخذ الرِّزق هو مقابل انشغالهما في أمور المسلمين ، كما قاله أبو بكرٍ ، وعمر رضي الله عنهما .

د . وأنَّ الخليفة له أن يأخذ ذلك سواءً كان بجاجةٍ إليه ، أو لا ، ويرى ابن المنير [(٥١٦)] : أنَّ الأفضل له أن يأخذ ؛ لأنَّه لو أخذ كان أعون في عمله ممَّا لو ترك ؛ لأنَّه بذلك يكون مستشعراً بأنَّ العمل واجبٌ عليه [(٥١٧)] .

٢. بدء التاريخ :

يعدُّ التَّاريخ بالهجرة تطوُّراً له خطره في التَّوَّاحي الحضارية ، وكان أوَّل من وضع التَّاريخ بالهجرة عمر ، ويُحكى في سبب ذلك عدَّة رواياتٍ ، فقد جاء عن ميمون بن مهران : أنَّه قال : دُفِعَ إلى عمر - رضي الله عنه - صكُّ محله في شعبان ، فقال عمر : شعبان هذا الَّذي مضى ، أو الَّذي هو ات ، أو الَّذي نحن فيه ، ثمَّ جمع أصحاب رسول الله (ص) ، فقال لهم : ضعوا للنَّاس شيئاً يعرفونه ، فقال قائل : اكتبوا على تاريخ الرُّوم . فقيل : إنَّه يطول وإِنَّهم يكتبون من عند ذي القرنين . فقال قائل : اكتبوا تاريخ الفرس ، قالوا : كلِّما قام ملكٌ طرح ما كان قبله . فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله بالمدينة فوجدوه أقام عشر سنين ، فكتب ، أو كتب التَّاريخ على هجرة رسول الله (ص) [(٥١٨)] .

وعن عثمان بن عبيد الله [(٥١٩)] ، قال : سمعت سعيد بن المسيَّب يقول : جمع عمر ابن الخطَّاب المهاجرين ، والأنصار - رضي الله عنهم - فقال : متى نكتب التَّاريخ ؟ فقال له عليُّ بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - : منذ خرج النَّبيُّ (ص) من أرض الشِّرك - يعني : من يوم هاجر - قال : فكتب ذلك عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه [(٥٢٠)] .. وعن ابن المسيَّب قال : أوَّل مَنْ كتب التَّاريخ عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لستَّ عشرةً من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه [(٥٢١)] . وقال أبو الزِّناد [(٥٢٢)] : استشار عمر في التَّاريخ ، فأجمعوا على الهجرة [(٥٢٣)] .

وروى ابن حجر في سبب جعلهم بداية التَّاريخ في شهر محرم ، وليس في ربيع الأوَّل الشَّهر الَّذي تمَّت فيه هجرة النَّبيِّ (ص) : أنَّ الصَّحابة الذين أشاروا على عمر وجدوا : أنَّ الأمور التي يمكن أن يؤرَّخ بها أربعة ، هي : مولده ، ومبعثه ، وهجرته ، ووفاته ، ووجدوا : أنَّ المولد ، والمبعث لا يخلوا من التَّزاع في تعيين سنة حدوثه ، وأعرضوا عن التَّاريخ بوفاته لما يثيره من الحزن ، والأسى عند المسلمين ، فلم يبق إلا الهجرة ، وإنَّما أخروه من ربيع الأوَّل إلى المحرم ؛ لأنَّ ابتداء العزم على الهجرة كان من المحرم ؛ إذ وقعت بيعة العقبة الثَّانية في ذي الحِجَّة ، وهي مقدمة الهجرة ، فكان أوَّل هلالٍ استهلَّ بعد البيعة والعزم على

الهجرة هو هلال محرّم ، فناسب أن يجعل مبتدأً .. ثمّ قال ابن حجر : وهذا أنسب ما وقعت عليه من مناسبة الابتداء بالمحرّم [(٥٢٤)] .

وبهذا الحدث المتميّز أسهم الفاروق في إحداث وحدةٍ شاملةٍ بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى في شبه الجزيرة ، حيث ظهرت وحدة العقيدة بوجود دينٍ واحدٍ ، ووحدة الأُمَّة بإزالة الفوارق ، ووحدة الاتِّجاه بأخذ تاريخٍ واحدٍ ، فاستطاع أن يواجه عدوّه وهو واثقٌ من التّصرّ [(٥٢٥)] .

٣. لقب أمير المؤمنين :

لما مات أبو بكرٍ . رضي الله عنه . وكان يدعى خليفة رسول الله (ص) ، فقال المسلمون : من جاء بعد عمر قيل له : خليفة خليفة رسول الله (ص) ، فيطول هذا ، ولكن أجمعوا على اسم تدعون به الخليفة ، يُدعى به مَنْ بعده من الخلفاء ، فقال بعض أصحاب رسول الله (ص) : نحن المؤمنون ، وعمر أميرنا ، فدُعي عمر أمير المؤمنين ، فهو أوّل من سُمِّي بذلك [(٥٢٦)] .

وعن ابن شهاب : أنّ عمر بن عبد العزيز . رضي الله عنه . سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي خيثمة [(٥٢٧)] : لما كان أبو بكر . رضي الله عنه . يكتب : من أبي بكرٍ خليفة رسول الله (ص) ، ثمّ كان عمر . رضي الله عنه . يكتب بعده : من عمر بن الخطاب خليفة أبي بكرٍ ، مَنْ أوّل من كتب : أمير المؤمنين ؟ فقال : حدّثني جدّي الشّفاء [(٥٢٨)] . وكانت من المهاجرات الأوّل ، وكان عمر إذا دخل السوق ؛ دخل عليها . قالت : كتب عمر بن الخطاب إلى عاملٍ بالعراق [(٥٢٩)] : أن ابعث إليّ برجلين جلدتين نبيّلين أسألهما عن العراق ، وأهله ، فبعث إليه صاحب العراقين بلبيد بن ربيعة ، وعدي بن حاتم ، فقدما المدينة ، فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد ، ثمّ دخلا المسجد ، فوجدا عمرو بن العاص ، فقالا له : (يا عمرو ! استأذن لنا على أمير المؤمنين) فدخل عمرو ، فقال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ! فقال له عمر : ما بدا لك في هذا الاسم يا ابن العاص ؟! لتخرجنّ ممّا قلت ، قال : نعم ، قدم لبيد بن ربيعة ، وعدي بن حاتم ، فقالا : استأذن لنا أمير المؤمنين ، فقلت : أنتما والله أصبّتما اسمه ، إنّهُ أمير ، ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب من ذلك اليوم [(٥٣٠)] .

وفي روايةٍ : أنّ عمر . رضي الله عنه . قال : أنتم المؤمنون ، وأنا أميركم ، فهو سمّي نفسه [(٥٣١)] ، وبذلك يكون عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . : أنّه أوّل من سمّي بأمر المؤمنين .

وأنّه لم يسبق إليه . وإذا نظر الباحث في كلام أصحاب النّبِيِّ (ص) ؛ رأى أنّ جميعهم قد اتّفقوا على تسميته بهذا الاسم ، وسار له في جميع الأقطار في حال ولايته [(٥٣٢)] .

المبحث الثاني

صفات الفاروق ، وحياته مع أسرته ، واحترامه لأهل البيت

أولاً : أهم صفات الفاروق :

إنّ مفتاح شخصية الفاروق إيمانه بالله تعالى ، والاستعداد لليوم الآخر ، وكان هذا الإيمان سبباً في التوازن المدهش ، والخلاب في شخصية عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . ولذلك لم تطغ قوّته على عدالته ، وسلطانه على رحمته ، ولا غناه على تواضعه ، وأصبح مستحقاً لتأييد الله ، وعونه ، فقد حقّق شروط كلمة التوحيد ، من العلم ، واليقين ، والقبول ، والانقياد ، والإخلاص ، والمحبة ، وكان على فهم صحيح لحقيقة الإيمان ، وكلمة التوحيد ، فظهرت اثار إيمانه العميق في حياته ، والتي من أهمها :

١. شدّة خوفه من الله تعالى بحاسبته لنفسه :

كان رضي الله عنه يقول : أكثروا من ذكر النار ، فإن حرّها شديد ، وقعرها بعيد ، ومقامها حديدٌ [(٥٣٣)] ، وجاء ذات يوم أعرابيٌّ ، فوقف عنده ، وقال :

يا عُمَرَ الحَيْرِ جُرَيْتِ الجَنَّةِ جَهَّزْ بُنَيَّاتِي وَأُمَّهِنَّ أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهُ قَالَ : إن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابيٌّ؟! قال :

أُقْسِمُ أَيْ سَوْفَ أَمْضِيَنَّه قَالَ : فَإِنْ مَضَيْتِ ؛ ماذا يكون يا أعرابيٌّ؟! قال :

وَاللَّهِ عَنِّي حَالِي لَتَسْأَلَنَّهُ ثُمَّ تَكُونُ الْمَسْأَلَاتُ ثُمَّ الْوَأَقِفُ الْمَسْئُولُ بَيْنَهُنَّ إِمَّا إِلَى نَارٍ

وَإِمَّا جَنَّةً فَبَكَى عَمْرٌ حَتَّى اخْضَلَتْ لِحْيَتُهُ بِدَمْعِهِ ، ثُمَّ قَالَ : يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم ،

لا لِشِعْرِهِ ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ قَمِيصاً غَيْرَهُ [(٥٣٤)] ، وهكذا بكى أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . بكاءً

شديداً تأثراً بِشِعْرِ ذَلِكَ الأعرابيِّ ؛ الذي ذكّره بموقف الحساب يوم القيامة ، مع أنّه لا يذكر أنّه

ظلم أحداً من النَّاسِ ، وَلَكِنَّهُ لعَظِيمٌ خَشِيَّتُهُ ، وَشَدَّةٌ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى تَنْهَمِرُ دَمْعَهُ أَمَامَ كُلِّ مَنْ

يُذَكِّرُهُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ [(٥٣٥)] .

وكان رضي الله عنه من شدة خوفه من الله تعالى يحاسب نفسه حساباً عسيراً ، فإذا حُيِّلَ إليه أنه أخطأ في حقِّ أحدٍ؛ طلبه، وأمره بأن يقتصَّ منه ، فكان يقبل على النَّاسِ يسألهم عن حاجتهم، فإذا أفضوا إليه بها ؛ قضاها ، ولكنه ينهاهم عن أن يشغلوه بالشكاوى الخاصَّة : إذا تفرَّغ لأمرٍ عامٍّ ، فذات يوم كان مشغولاً ببعض الأمور العامَّة [(٥٣٦)] ، فجاءه رجلٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين ! انطلق معي فأعني على فلانٍ ، فإنه ظلمني ، فرفع عمر الدِّرَّة ، فخفق بها رأس الرَّجل ، وقال : تتركون عمر وهو مقبل عليكم ، حتَّى إذا اشتغل بأمور المسلمين ؛ أتيتموه ! فانصرف الرَّجل متدبراً ، فقال عمر: عليَّ بالرَّجل . فلمَّا أعادوه ؛ ألقى عمر بالدِّرَّةِ إليه ، وقال : أمسك الدِّرَّة ، واخفني ، كما خفقتك ، قال الرَّجل : لا يا أمير المؤمنين ! أدعها لله ولك ، قال عمر : ليس كذلك ؛ إما أن تدعها لله وإرادة ما عنده من الثَّواب ، أو تردّها عليّ ، فأعلم ذلك . فقال الرَّجل : أدعها لله يا أمير المؤمنين ! وانصرف الرَّجل ، أمَّا عمر فقد مشى حتَّى دخل بيته [(٥٣٧)] ، ومعه بعض النَّاسِ منهم الأحنف بن قيس ؛ الذي حدَّثنا عما رأى : ... فافتتح الصَّلَاة ، فصلَّى ركعتين ثمَّ جلس ، فقال : يا ابن الخطاب ! كنت وضيعاً ، فرفعك الله ، وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثمَّ حملك على رقاب المسلمين ، فجاء رجلٌ يستعديك ، فضربته ، ما تقول لربك غداً إذا أتيته ؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبَةً ظننت : أنه خير أهل الأرض [(٥٣٨)] .

وعن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : مرَّ عمر - رضي الله عنه - وأنا في السُّوق ، وهو ماژ في حاجةٍ ، ومعه الدِّرَّة ، فقال : هكذا أمط [(٥٣٩)] عن الطريق يا سلمة ! قال : ثمَّ خفقتني بها خفقةً فما أصاب إلا طرف ثوبي ، فأمطت عن الطَّريق ، فسكت عني حتَّى كان في العام المقبل ، فلقيني في السوق ، فقال : يا سلمة ! أردت الحجَّ العام ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ! فأخذ بيدي ، فما فارقت يدي يده حتَّى دخل بيته ، فأخرج كيساً فيه ستمئة درهم ، فقال : يا سلمة ! استعن بهذه ، واعلم أنَّها من الخفقة التي خفقتك عام أوَّل . قلت : والله يا أمير المؤمنين ! ما ذكرتها حتَّى ذكرتها . قال : والله ما نسيتهما بعد [(٥٤٠)] !

وكان رضي الله عنه يقول في مجالسة النَّفس ، ومراقبتها : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتهيؤوا للعرض الأكبر [(٥٤١)] { يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ * } [الحاقة: ١٨] وكان من شدة خشيته لله ومحاسبته لنفسه يقول : لو مات جدِّي بطف [(٥٤٢)] الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر [(٥٤٣)] .

وعن عليٍّ - رضي الله عنه - قال : رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على قَتَبٍ يَعدو ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! أين تذهب ؟ قال : بعيرٌ نَدَّ [(٥٤٤)] من إبل الصدقة أطلبه ، فقلت : أذَلَّت الخلفاء بعدك ! فقال : يا أبا الحسن ! لا تلمني ، فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أنَّ عناقاً [(٥٤٥)] أخذت بشاطئ الفرات ؛ لأخذ بها عمر يوم القيامة [(٥٤٦)] .

وعن أبي سلامة قال : انتهيت إلى عمر وهو يضرب رجلاً ، ونساءً في الحرم على حوض يتوضؤون منه ، حتى فرَّق بينهم ، ثمَّ قال : يا فلان ! قلت : لبيك ! قال : لا لبيك ، ولا سعديك ، ألم امرك أن تتخذ حياضاً للرجال ، وحياضاً للنساء ؟! قال : ثمَّ اندفع فلقية عليٍّ - رضي الله عنه - فقال : أخاف أن أكون هلكاً ، قال : وما أهلكك ؟ قال : ضربت رجلاً ونساءً في حرم الله - عزَّ وجلَّ - قال : يا أمير المؤمنين ! أنت راعٍ من الرعاة ، فإن كنت على نصحٍ وإصلاحٍ ؛ فلن يعاقبك الله ، وإن كنت ضربتهم على غشٍّ ؛ فأنت الظالم [(٥٤٧)] .

وعن الحسن البصريِّ : أنه قال : بينما عمر - رضي الله عنه - يجول في سكك المدينة؛ إذ عرضت هذه الآية { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } [الأحزاب : ٥٨] فانطلق إلى أبي بن كعبٍ ، فدخل عليه بيته ؛ وهو جالسٌ على وسادةٍ ، فانزعها أبيُّ من تحته ، وقال : دونكها يا أمير المؤمنين ! قال : فبندها برجله ، وجلس ، فقرأ عليه هذه الآية ، وقال : أخشى أن أكون أنا صاحب الآية ، وأوذى المؤمنين ، قال : لا تستطيع إلا أن تعاهد رعيتك ، فتأمر ، وتنهى . فقال عمر : قد قلت والله أعلم [(٥٤٨)] .

وكان عمر - رضي الله عنه - ربما توقد النَّارَ ثمَّ يدلي يده فيها ، ثمَّ يقول : ابن الخطاب ! هل لك على هذا صَبْرٍ [(٥٤٩)] ؟!

وعندما بعث سعدُ بن أبي وقاصٍ أيام القادسيَّة إلى عمر - رضي الله عنه - بقباء كسرى ، وسيفه ، ومنطقته ، وسراويله ، وقميصه ، وتاجه ، وخفيه ؛ نظر عمر في وجوه القوم ، فكان أجسمهم ، وأمدَّهم قامَةً سراقَةَ بن جعشم المدلجي ، فقال : يا سراقَةَ ! قم فالبس ، فقام فلبس ، وطمع فيه . فقال له عمر : أدبر ، فأدبر . ثمَّ قال : أقبل ، فأقبل ، ثمَّ قال : بخٍ بخٍ ، أعرايُّ من بني مدلج عليه قباء كسرى ، وسراويله ، وسيفه ، ومنطقته ، وتاجه ، وخفاه ، ربَّ يوم يا سراقَةَ بن مالك ! لو كان عليك فيه من متاع كسرى كان شرفاً لك ، ولقومك ، انزع . فنزع سراقَةَ ، فقال عمر : اللهم إنك منعت هذا رسولك ، ونبيك ، وكان أحبَّ إليك منِّي ، وأكرم عليك منِّي ، ومنعته أبا بكرٍ ، وكان أحبَّ إليك منِّي ، وأكرم عليك منِّي ، ثمَّ أعطيتني ، فأعوذ بك أن تكون أعطيتني لتمكر بي ، ثمَّ بكى حتى رحمه مَنْ

عنده ، ثمَّ قال لعبد الرحمن : أقسمت عليك لما بعته ثمَّ قسمته قبل أن تمسي [(٥٥٠)] . ومواقفه في هذا الباب كثيرةٌ جداً .

٢ . زهده :

فهم عمر . رضي الله عنه . من خلال معاشته للقران الكريم ، ومصاحبته للنبيِّ الأمين (ص) ، ومِنْ تفكُّره في هذه الحياة بأنَّ الدُّنيا دار اختبارٍ ، وابتلاءٍ ، وعليه فإنَّها مزرعةٌ لآخرة ، ولذلك تحرَّرَ من سيطرة الدُّنيا بزخارفها ، وزينتها ، وبريقها ، وخضع ، وانقاد ، وأسلم نفسه لربِّه ظاهراً ، وباطناً ، وكان وصل إلى حقائق استقرَّت في قلبه ساعدته على الرُّهد في هذه الدُّنيا ، ومن هذه الحقائق :

أ . اليقين التَّامُّ بأننا في هذه الدُّنيا أشبه بالغرباء ، أو عابري سبيلٍ ، كما قال النبي (ص) : « كن في الدُّنيا كأنك غريبٌ ، أو عابر سبيلٍ » [(٥٥١)] .

ب . وأنَّ هذه الدُّنيا لا وزن لها ، ولا قيمة عند ربِّ العزَّة إلا ما كان منها طاعةً لله . تبارك وتعالى . إذ يقول النبي (ص) : « لو كانت الدُّنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » [(٥٥٢)] ، « ألا إنَّ الدُّنيا ملعونةٌ ، ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه ، أو عالماً ، أو متعلِّماً » [(٥٥٣)] .

ج . وأنَّ عمرها قد قارب على الانتهاء ؛ إذ يقول (ص) : « بعثت أنا والسَّاعة كهاتين » ويقرن بين إصبعيه السَّبابة ، والوسطى [(٥٥٤)] .

د . وأنَّ الآخرة هي الباقية ، وهي دار القرار ، كما قال مؤمن ال فرعون :
{ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ دَكْرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * } [غافر : ٣٩ . ٤٠] [(٥٥٥)] .

كانت هذه الحقائق قد استقرَّت في قلب عمر فترفع رضي الله عنه عن الدُّنيا وحطامها ، وزهد فيها ، وإليك شيئاً من مواقفه التي تدلُّ على زهده في هذه الفانية : فعن أبي الأشهب [(٥٥٦)] قال : مرَّ عمر . رضي الله عنه . على مزبلةٍ ، فاحتبس عندها ، فكأنَّ أصحابه تأدَّوا بها ، فقال : هذه دنياكم التي تحرصون عليها ، وتبكون عليها [(٥٥٧)] .

وعن سالم بن عبد الله : أنَّ عمر بن الخطَّاب كان يقول : والله ! ما نعبأ بلدَّات العيش أن نأمر بصغار المعزى أن تُسمَط [(٥٥٨)] لنا ، ونأمر بلباب [(٥٥٩)] الخبز ، فيخبز لنا ، ونأمر بالزَّبيب ، فينبذ لنا

في الأسعان [(٥٦٠)] حتى إذا صار مثل عين اليعقوب [(٥٦١)] ، أكلنا هذا ، وشربنا هذا ، ولكننا نريد أن نستبقي طبياتنا ؛ لأننا سمعنا الله يقول : { أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا } [الأحقاف: ٢٠] .

وعن أبي عمران الجوني ، قال : قال عمر بن الخطاب : لنحن أعلم بلين الطعام من كثير من اكلية ، ولكننا ندعه ليوم { يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا } [الحج : ٢] .

وقد قال عمر . رضي الله عنه . : نظرت في هذا الأمر ، فجعلت إن أردت الدنيا أضرب بالآخرة ، وإن أردت الآخرة أضرب بالدنيا ، فإذا كان الأمر هكذا ، فأضرب بالفانية [(٥٦٢)] .

وقد خطب رضي الله عنه الناس ؛ وهو خليفة ، وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة [(٥٦٣)] .
وطاف ببيت الله الحرام وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة ، إحداهن بأدم أحمر [(٥٦٤)] .
وأبطأ على الناس يوم الجمعة ، ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه ، وقال : إنما حبسني غسل ثوبي هذا ، كان يُغسل ، ولم يكن لي ثوب غيره [(٥٦٥)] .

وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة ، قال : خرجت مع عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . حاجاً من المدينة إلى مكة إلى أن رجعنا ، فما ضرب له فسطاطاً [(٥٦٦)] ، ولا خباءً ، كان يلقي الكساء [(٥٦٧)] والنّطع [(٥٦٨)] ، على الشجرة ، فيستظلّ تحته [(٥٦٩)] .

هذا هو أمير المؤمنين الذي يسوس رعيّة من المشرق والمغرب يجلس على الثراب ، وتحت رداءً كأنه أدنى الرعيّة ، أو من عامّة الناس ، ودخلت عليه مرّة حفصة أمّ المؤمنين . رضي الله عنها . وقد رأت ما هو فيه من شدّة العيش والرّهد الظاهر عليه ، فقالت : إنّ الله أكثر من الخير ، وأوسع عليك من الرزق ، فلو أكلت طعاماً أطيب من ذلك ، ولبست ثياباً ألين من ثوبك ؟ قال : سأخصمك إلى نفسك [(٥٧٠)] ، فذكر أمر رسول الله (ص) وما كان يلقي من شدّة العيش ، فلم يزل يذكرها ما كان فيه رسول الله (ص) ، وكانت معه حتى أبكاها ، ثمّ قال : إنّه كان لي صاحبان سلكا طريقاً ، فإن سلكت الشّديد ؛ لعليّ أن أدرك معهما عيشهما الرّخيّ [(٥٧١)] .

لقد بسّطت الدنيا بين يدي عمر . رضي الله عنه . وتحت قدميه ، وفُتحت بلاد الدنيا في عهده ، وأقبلت إليه الدنيا راغمةً ، فما طرف لها بعينٍ ، ولا اهتَرَ لها قلبه ، بل كان كلُّ سعادته في إعزاز دين الله ، وحضدِ شوكة المشركين ، فكان الرّهد صفةً بارزةً في شخصية الفاروق [(٥٧٢)] .

يقول سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - : والله ما كان عمر بن الخطاب بأقدمنا هجرةً ،
وقد عرفت بأيِّ شيءٍ فضلنا ، كان أزهَدنا في الدنيا [(٥٧٣)] .

٣ - ورعه :

ومَّا يدلُّ على ورعه - رضي الله عنه - ما أخرجه أبو زيد عمر بن شَبَّه من خبر معدان بن أبي طلحة
اليعمري : أنَّه قدم على عمر - رضي الله عنه - بقطائف ، وطعامٍ ، فأمر به ، فقسم ، ثمَّ قال : اللَّهُمَّ
إِنَّكَ تعلم أَيُّيَّ لم أرزقهم ، ولن أستأثر عليهم إلا أن أضع يدي في طعامهم ، وقد خفت أن تجعله ناراً في
بطن عمر . قال معدان : ثمَّ لم أبرح حتَّى رأيتُه اتَّخذ صفحةً من خالص ماله فجعلها بينه وبين جفان
العاقَّة ، فأمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - يرغب في أن يأكل مع عاقَّة المسلمين ؛ لما في ذلك من
المصالح الاجتماعية ، ولكنه يتحرَّج من أن يأكل من طعام صنع من مال المسلمين العام ، فيأمر
بإحضار طعامٍ خاصٍّ له من خالص ماله ، وهذا مثلاً رفيعٌ في العقَّة ، والورع ؛ إذ أنَّ الأكل من مال
المسلمين العامِّ معهم ليس فيه شبهة تحريم ، لأنَّه منهم ، ولكنه قد أعفَّ نفسه من ذلك ابتغاءً ممَّا عند
الله تعالى ، ولشدَّة خوفه من الله تعالى خشي أن يكون ذلك من الشُّبهات ، فحمى نفسه منه [(٥٧٤)] .

وعن عبد الرحمن بن نجيح قال : نزلت على عمر - رضي الله عنه - فكانت له ناقةٌ يجلبها ، فانطلق
غلامه ذات يوم ، فسقاه لبناً أنكره ، فقال : ويحك من أين هذا اللبن لك ؟ قال : يا أمير المؤمنين !
إنَّ النَّاقَةَ انفلت عليها ولدها ، فشربها ، فحلبت لك ناقةً من مال الله . فقال : ويحك ، تسقيني ناراً
؟! واستحلَّ ذلك اللبن من بعض النَّاس ، فقليل : هو لك حلالٌ يا أمير المؤمنين ! ولحمها [(٥٧٥)] .

فهذا مثلاً من ورع أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - حيث خشي من عذاب الله - جلَّ وعلا - لمَّا شرب
ذلك اللبن مع أنَّه لم يتعمد ذلك ، ولم تطمئنَّ نفسه إلا بعد أن استحلَّ ذلك من بعض كبار الصَّحابة
رضي الله عنهم الَّذِينَ يمثلون المسلمين في ذلك الأمر .

وهذا الخبر وأمثاله يدلُّ على أنَّ ذكر الآخرة بما فيها من حسابٍ ، ونعيمٍ أو شقاءٍ ، أخذ بمجامع عمر
، وملاً عليه تفكيره ، حتَّى أصبح ذلك موجَّهاً لسلوكه في هذه الحياة [(٥٧٦)] . لقد كان عمر - رضي
الله عنه - شديد الورع ، وقد بلغ به الورع فيما يحقُّ له ، ولا يحقُّ : أنَّه مرض يوماً ،

فوصفوا له العسل دواءً ، وكان في بيت المال عسلٌ جاء من بعض البلاد المفتوحة ، فلم يتداوَّ عمرُ
بالعسل ، كما نصحه الأطباء ، حتَّى جمع الناس ، وصعد المنبر ، واستأذن الناس : إن أذنتم لي ، وإلا

فهو عليّ حرامّ ، فبكى النَّاسُ إشفافاً عليه ، وأذنوا له جميعاً ، ومضى بعضهم يقول لبعض : لله دُرُكٌ يا عمر ! لقد أتعبت الخلفاء بعدك [(٥٧٧)] .

٤ . تواضعه :

عن عبد الله بن عبّاس ، قال : كان للعبّاس ميزابٌ على طريق عمر ، فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة ، وقد كان دُبُحٌ للعبّاس فرخان ، فلمّا وافى الميزاب صبّ ماءً بدم الفرخين ، فأصاب عمر ، فأمر عمر بقلعه ، ثمّ رجع عمر ، فطرح ثيابه ، ولبس ثياباً غير ثيابه ، ثمّ جاء ، فصلّى بالنّاس فأتاه العباس ، فقال : والله إنّهُ للموضع الَّذي وضعه رسول الله (ص) . فقال عمر للعبّاس : وأنا أعزم عليك لما صعّدت على ظهري حتّى تضعه في الموضع الَّذي وضعه رسول الله (ص) . ففعل ذلك العباس [(٥٧٨)] .

وعن الحسن البصريّ قال : خرج عمر . رضي الله عنه . في يومٍ حارٍّ واضعاً رداءه على رأسه ، فمرّ به غلامٌ على حمارٍ ، فقال : يا غلام ! احملني معك ، فوثب الغلام عن الحمار ، وقال : اركب يا أمير المؤمنين ! قال : لا ! اركب وأركب أنا خلفك ، تريدُ تحملني على المكان الوطيء ، وتركب أنت على الموضع الخشن ! فركب خلف الغلام ، فدخل المدينة ، وهو خلفه والنّاس ينظرون إليه [(٥٧٩)] .

وعن سنان بن سلمة الهذلي ، قال : خرجت مع الغلمان ونحن نلتقط البلح ، فإذا عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . ومعه الدّرة ، فلمّا راه الغلمان تفرّقوا في النّخل ، قال : وقمت في إزاري شيءٌ قد لقطته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! هذا ما تلقي الرّيح . قال : فنظر إليه في إزاري فلم يضربني ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! الغلمان الان بين يديّ ، وسيأخذون ما معي ، قال : كلا ، امش ، قال : فجاء معي إلى أهلي [(٥٨٠)] .

وقدم على عمر بن الخطّاب وفدٌ من العراق فيهم الأحنف بن قيس في يومٍ صائفٍ شديد الحرّ ، وعمر معتجّرٌ (معتمّمٌ) بعباءة يهنأ بعيراً من إبل الصّدقة (أي يطليه بالقطران) فقال : يا أحنف ! ضع ثيابك ، وهلمّ ، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فإنّه من إبل الصّدقة ؛ فيه حقُّ اليتيم ، والأرملة ، والمسكين . فقال رجلٌ من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ! فهلا تأمر عبداً من عبيد الصّدقة ، فيكفيك ؟ فقال عمر : وأيّ عبدي هو أعبدُ منّي ، ومن الأحنف ؟ إنّهُ منّ ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسَيِّده في التّصيحة ، وأداء الأمانة [(٥٨١)] .

وعن عروة بن الزبير - رضي الله عنه - قال : رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على عاتقه قربة ماء ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! لا ينبغي لك هذا ! فقال : لما أتاني الوفود سامعين مطيعين ، دخلت نفسي نخوةً ، فأردت أن أكسرهما [(٥٨٢)] .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : سمعت عمر بن الخطاب يوماً ، وخرجت معه حتى دخل حائطاً ، فسمعته يقول - وبينه وبينه جدار ، وهو في جوف الحائط - : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخٍ ، والله يا بن الخطاب ، لتتقين الله ، أو ليعذبتك [(٥٨٣)] !

وعن جبير بن نفير : أن نفراً قالوا لعمر بن الخطاب : ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط ، ولا أقول للحق ، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين ! فأنت خير الناس بعد رسول الله . فقال عوف بن مالك [(٥٨٤)] : كذبتم - والله - لقد رأينا بعد رسول الله (ص) ! فقال : من هو ؟ فقال : أبو بكر ، فقال عمر : صدق عوف ، وكذبتم ، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك ، وأنا أضل من بعير أهلي - يعني : قبل أن يسلم - لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين [(٥٨٥)] .

وهذا يدل على تواضع عمر ، وتقديره للفضلاء ، ولا يقتصر على الأحياء منهم ، ولكنه يعم منهم الموتى كذلك ، فلا يرضى أن ينكر فضلهم ، أو يغفل ذكرهم ، ويظل يذكرهم بالخير في كل موقف ، ويحمل الناس على احترام هذا المعنى النبيل ، وعدم نسيان ما قدموه من جلائل الأعمال ، فيبقى العمل النافع متواصل الحلقات ، يحمله رجال من رجال إلى رجال ، فلا ينسى العمل الطيب بغياب صاحبه ، أو وفاته ، وفي هذا وفاءً ، وفيه إيمان [(٥٨٦)] .

إن عمر - رضي الله عنه - لا يقر إغفال فضل من سبقه في هذا المقام ، ولا يرضى أن تذهب أفضل السابقين أدراج النسيان . إن الأمة التي تنسى ، أو تغفل ذكر من خدموها أمة مقضي عليها بالتبار ، أليس من الخير أن يُربى الناس على هذه الخلال السامية ؟ لقد تربى عمر على كتاب الله ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، فعلماه ما تعجز عنه كتب التربية ، والأخلاق ،

قديمها ، وحديثها ، وما يزال كتاب الله بين أيدينا ، وما تزال سنة رسول الله (ص) محفوظة لدينا ، وفيها علم وتربية ، وأخلاق بما لا يقاس عليه [(٥٨٧)] .

٥ . حلمه :

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قدم عيينة بن حصين بن حذيفة ، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس [(٥٨٨)] ، وكان من نفر الذين يُدنيهم عمر ، وكان القرءاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ،

كهولاً كانوا ، أو شبَّاناً ، فقال عيينة لابن أخيه : يا بن أخي ! هل لك وجهٌ عند هذا الأمير ؟ فاستأذن لي عليه . قال : سأستأذن لك عليه ، قال ابن عباسٍ : فاستأذن الحرُّ لعيينة ، فأذن له عمر ، فلما فدخل عليه ؛ قال : هي يا بن الخطَّاب ، فوالله ما تعطينا الجزل [(٥٨٩)] ! ولا تحكم فينا بالعدل ! فغضب عمر حتَّى همَّ أن يوقع به ، فقال له الحرُّ : يا أمير المؤمنين ! إنَّ الله تعالى قال لنبيِّه (ص) : { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * } [الأعراف : ١٩٩] . وإنَّ هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزوها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله [(٥٩٠)] ، فعندما سمع رضي الله عنه الآية الكريمة هدأت ثائرته ، وأعرض عن الرجل الذي أساء إليه في خلقه عندما اتَّهمه بالبخل ، وفي دينه عندما اتَّهمه بالجور في القسِّم ، وتلك التي يهتَّم لها عمر ، وينصب ، ومَنْ مَنَّا يملك نفسه عند الغضب ؟ وخاصةً إذا كان للغضب ما يحمل عليه ، كثيرون لا أظنُّ ، ولا قليلون .

متى نتجمل بهذه التَّعاليم لنكون مثلاً قرانياً نتحرَّك وفق ما نقرأ في كتاب الله الكريم ؟ متى يكون خلقنا القرآن [(٥٩١)] ؟ وعندما خطب عمر بالجابية في الشَّام تحدَّث عن الأموال ، وكيفية القسمة ، وعن أمورٍ ذكر منها ... : وإني أعتذر إليكم عن خالد بن الوليد فإني أمرته أن يجبس هذا المال على ضعفة المهاجرين ، فأعطى ذا البأس ، وذا الشَّرَف ، وذا اللِّسان ، فنزعته ، وأمرت أبا عبيدة بن الجراح ، فقام أبو عمرو بن حفص بن المغيرة [(٥٩٢)] ، فقال : والله ما اعتذرت يا عمر ! ولقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله (ص) ، وأغمدت سيفاً سلَّه رسول الله (ص) ، ووضعت أمراً نصبه رسول الله (ص) ، وقطعت رحماً ، وحسدت ابن العمِّ . فقال عمر - رضي الله عنه - : إنَّك قريب القرابة ، حديث السيِّئ ، تغضب في ابن عمك [(٥٩٣)] .

هذه بعض صفاته التي كانت ثماراً لتوحيده ، وإيمانه بالله ، واستعداده للقدوم على الله تعالى ، وقد تحدَّث العلماء ، والباحثون عن صفاته الشَّخصية ، والتي من أهمها : القوة الدِّينية ، والشَّجاعة ، والإيمان القويُّ ، والعدل ، والعلم ، والخبرة ، وسعة الاطِّلاع ، والهيبة وقوة الشَّخصية ، والفراسة ، والفتنة ، وبعد النَّظر ، والكرم ، والقدوة الحسنة ، والرَّحمة ، والشِّدَّة ، والحزم ، والغلظة ، والتَّقوى ، والورع ، وتكلَّموا عن سمات السُّلوك القيادي عند الخليفة عمر بن الخطاب ، والتي من أهمها : سماع النَّقد ، والقدرة على تفعيل النَّاس ، وإيجاد العمل ، والمشاركة في اتخاذ القرارات بالشُّورى ، والقدرة على إحداث التَّغيير والتقلُّب في المواقف الطارئة ، وشدَّة مراقبته للولاة ، والأمراء . وفي ثنايا البحث سوف يلاحظ القارئ الكريم هذه الصِّفات ، وأكثر ، ولا أريد حصرها في هذا المبحث خوفاً من التَّكرار .

ثانياً : حياته مع أسرته :

قال عمر - رضي الله عنه - : إِنَّ النَّاسَ لِيُؤْثِدُونَ إِلَى الْإِمَامِ مَا أَدَّى الْإِمَامُ إِلَى اللَّهِ ، وَإِنَّ الْإِمَامَ إِذَا رَتَعَ رَتَعَتِ الرَّعِيَّةُ [(٥٩٤)] ، ولذلك كان - رضي الله عنه - شديداً في محاسبة نفسه ، وأهله ، فقد كان يعلم : أَنَّ الْأَبْصَارَ مَشْرُوبَةٌ نَحْوَهُ ، وَطَاحَةٌ إِلَيْهِ ، وَأَنَّهُ لَا جَدْوَى إِذْ قَسَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَرَتَعَ أَهْلَهُ ، فَحَوْسَبَ عَنْهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَمْ تَرْحَمْهُ أَلْسِنَةُ الْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا ، فَكَانَ عَمْرٌ إِذَا نَهَى النَّاسَ عَنْ شَيْءٍ تَقَدَّمَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْ كَذَا ، وَكَذَا ، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ ، كَمَا يَنْظُرُ الطَّيْرُ إِلَى اللَّحْمِ ؛ فَإِنْ وَقَعْتُمْ ؛ وَقَعُوا ، وَإِنْ هَبْتُمْ ؛ هَابُوا ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُوْتِي بِرَجُلٍ وَقَعَ فِيمَا نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْهُ إِلَّا أضعفت له العذاب ، لمكانه مِنِّي ، فمن شاء منكم أن يتقدّم ، ومن شاء منك أن يتأخّر [(٥٩٥)] .

وكان شديد المراقبة والمتابعة لتصرفات أولاده ، وأزواجه ، وأقاربه . وهذه بعض المواقف :

١ - المرافق العامة :

منع عمر - رضي الله عنه - أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس ، خوفاً من أن يحابي أهله به ، قال عبد الله بن عمر : اشتريت إبلاً أنجعتها الحمى فلمّا سمنت ؛ قدمت بها ، قال : فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سمناً ، فقال : لمن هذه الإبل ؟

قيل : لعبد الله بن عمر ، قال : فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر بخ ، بخ ! ابن أمير المؤمنين ، قال : ما هذه الإبل ؟ قال : قلت : إبل اشتريتها ، وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون . قال : فيقولون : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين ، يا عبد الله ابن عمر ! اغد إلى رأس مالك ، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين [(٥٩٦)] .

٢ - محاسبته لابنه عبد الله لما اشترى فيء جلولاء :

قال عبد الله بن عمر : شهدت جلولاء - إحدى المعارك ببلاد فارس - فابتعت من المغنم بأربعين ألفاً ، فلمّا قدمت على عمر ؛ قال : أرأيت لو عُرضت على النَّار ، ففيل لك : افتده ، أكنت مفتدياً به ؟ قلت : والله ما من شيء يؤذي بك إلا كنت مفتدياً بك منه ، قال : كأني شاهد النَّاس حين تبايعوا ، فقالوا : عبد الله بن عمر صاحب رسول الله (ص) ، وابن أمير المؤمنين ، وأحبُّ النَّاسِ إليه ، وأنت كذلك ، فكان أن يرخصوا عليك أحبَّ إليهم من أن يغلوا عليك ، وإني قاسم مسؤول ، وأنا معطيك أكثر ما ربح تاجر من قريش ، لك ربح الدرهم درهم ، قال : ثمّ دعا التُّجار ، فابتاعوه منه بأربعمئة ألف درهم ، فدفع إليّ ثمانين ألفاً وبعث بالباقي إلى سعد بن أبي وقاص ليقسمه [(٥٩٧)] .

٣ . منع جرّ المنافع بسبب صلة القرى به :

عن أسلم قال : خرج عبد الله ، وعبيد الله ابنا عمر في جيشٍ إلى العراق ، فلَمَّا قفلا ؛ مرًّا على أبي موسى الأشعري ، وهو أمير البصرة فرحَّب بهما ، وسهَّل ، وقال : لو أقدر لكما على أمرٍ أنفعكما به ؛ لفعلت ، ثمَّ قال : بلى ! ها هنا مالٌ من مال الله أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين ، وأسلفكما ، فتبيعان به متاع العراق ، ثمَّ تبيعانه بالمدينة ، فتؤدِّيان رأس المال إلى أمير المؤمنين ، ويكون لكما الرِّبح ، ففعلنا ، وكتب إلى عمر أن يأخذ منهما المال . فلَمَّا قدما على عمر قال : أكلَّ الجيش أسلف كما أسلفكما ؟ فقالا : لا ! فقال عمر : أدِّيا المال وربحه ، فأَمَّا عبد الله ؛ فسكت ، وأما عبيد الله فقال : ما ينبغي لك يا أمير المؤمنين ! لو هلك المال ، أو نقص ؛ لضمَّناه . فقال : أدِّيا المال . فسكت عبد الله ، وراجع عبيد الله . فقال رجلٌ من جلساء عمر : يا أمير المؤمنين ! لو جعلته قراضاً (شركةً) [(٥٩٨)] . فأخذ عمر رأس المال ، ونصف ربحه ، وأخذ عبد الله وعبيد الله نصف ربح المال . قالوا : هو أوَّل قراضٍ في الإسلام .

٤ . تفضيل أسامة بن زيدٍ على عبد الله بن عمر . رضي الله عنهم . في العطاء :

كان عمر رضي الله عنه يقسم المال ، ويفضِّل بين النَّاس على السَّابِقة والنَّسب ، ففرض لأسامة بن زيد . رضي الله عنه . أربعة الاف ، وفرض لعبد الله بن عمر . رضي الله عنه . ثلاثة الاف ، فقال : يا أبت ! فرضت لأسامة بن زيد أربعة الاف ، وفرضت لي ثلاثة الاف ؟ فما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لك ! وما كان له من الفضل ما لم يكن لي ! فقال عمر : إِنَّ أباه كان أحبَّ إلى رسول الله (ص) من أبيك ، وهو كان أحبَّ إلى رسول الله (ص) منك [(٥٩٩)] !!

٥ . أنفقت عليك شهراً :

قال عاصم بن عمر : أرسل إليَّ عمر يرفأ (مولاة) فأتيتُه . وهو جالسٌ في المسجد . فحمد الله . عزَّ وجلَّ . وأثنى عليه ، ثمَّ قال : أمَّا بعد : فإني لم أكن أرى شيئاً من هذا المال يحلُّ لي قبل أن أليه إلا بحقه ، ثمَّ ما كان أحرم علي منه حين وليته ، فعاد أمانتي ، وإني كنت أنفقت عليك من مال الله شهراً ، فلست بزائدك عليه ، وإني أعطيت ثمرك بالعالية منحةً ، فخذ ثمنه ، ثمَّ ائت رجلاً من تجار قومك ، فكن إلى جانبه ، فإذا ابتاع شيئاً فاستشره ، وأنفق عليك ، وعلى أهلِكَ . قال : فذهبتُ ، ففعلت [(٦٠٠)] .

٦ . خذه يا معيقب ! فاجعله في بيت المال :

قال معيقيب : أرسل إليَّ عمر . رضي الله عنه . مع الظَّهيرة ، فإذا هو في بيتِ يطالب ابنه عاصماً ... فقال لي : أتدري ما صنع هذا ؟ إنَّه انطلق إلى العراق ، فأخبرهم : أنَّه ابن أمير المؤمنين ، فانتفقمهم » سألمهم التَّفقة « ، فأعطوه انيةً ، وفضَّةً ، ومتاعاً ، وسيفاً محلي . فقال عاصم : ما فعلت ! إنما قدمت على أناسٍ من قومي ، فأعطوني هذا . فقال عمر : خذه يا معيقيب ، فاجعله في بيت المال [(٦٠١)]

فهذا مثل من التَّحرِّي في المال يكتسبه الإنسان عن طريق جاهه ، ومنصبه ، فحيث شعر أمير المؤمنين عمر بأنَّ ابنه عاصماً قد اكتسب هذا المال ؛ لكونه ابن أمير المؤمنين تحرَّج في إبقاء ذلك المال عنده ؛ لكونه اكتسبه بغير جهده الخاصِّ ، فدخل ذلك في مجال الشُّبهات [(٦٠٢)] .

٧ . عاتكة زوجة عمر ، والمسك :

قدم على عمر . رضي الله عنه . مسكٌ ، وعنبرٌ من البحرين ، فقال عمر : والله لوددت أنِّي وجدت امرأةً حسنة الوزن تزُن لي هذا الطيب حتَّى أقسمه بين المسلمين ، فقالت له امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل : أنا جيدة الوزن ، فهلَمَّ أذن لك ، قال : لا ! قالت : لم ؟ قال : إنِّي أخشى أن تأخذه ، فتجعله هكذا . وأدخل أصابعه في صدغيه . وتمسحي به عنقك ، فأصيب فضلاً على المسلمين [(٦٠٣)] .

فهذا مثلٌ من ورع أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . واحتياطه البالغ لأمر دينه ، فقد أبى على امرأته أن تتولَّى قسمة ذلك الطيب حتَّى لا تمسح عنقها منه فيكون قد أصاب شيئاً من مال المسلمين ، وهذه الدِّقَّة المتناهية في ملاحظة الاحتمالات لأوليائه السابقين إلى الخيرات ، وفرقانٌ يفرقون به بين الحلال والحرام ، والحقِّ والباطل ، بينما تفوت هذه الملاحظات على الذين لم يشغلوا تفكيرهم بحماية أنفسهم من المخالفات [(٦٠٤)] .

٨ . رفضه هديَّةً لزوجته :

قال ابن عمر : أهدى أبو موسى الأشعري لامرأة عمر عاتكة بنت زيد طنفسة ، أراها تكون ذراعاً وشبراً ، فراها عمر عندها ، فقال : أتى لك هذه ؟ فقالت : أهداها لي أبو موسى الأشعري ، فأخذها عمر . رضي الله عنه . فضرب بها رأسها ، حتَّى نفض رأسها [(٦٠٥)] ، ثمَّ قال : عليَّ بأبي موسى ، وأتعبوه فأتي به ، وقد أتعب ، وهو يقول : لا تعجل عليَّ يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : ما يملك علي

أن تهدي لنسائي؟ ثم أخذها عمر، فضرب بها فوق رأسه، وقال: خذها، فلا حاجة لنا فيها [٦٠٦].

وكان رضي الله عنه يمنع أزواجه من التدخّل في شؤون الدولة، فعندما كتب عمر - رضي الله عنه - على بعض عماله، فكلّمته امرأته فيه، فقالت: يا أمير المؤمنين! فيم وجدت عليه؟ قال: يا عدوة الله! وفيم أنت وهذا؟ إنما أنت لعبة يلعب بك، ثم تتركين. وفي رواية: فأقبلي على مغزلك، ولا تعرضي فيما ليس من شأنك [٦٠٧].

٩. هدية ملكة الروم لزوجته أم كلثوم:

ذكر الأستاذ الخضري في محاضراته: أنه لما ترك ملك الروم الغزو، وكاتب عمر، وقاربه، وسير إليه عمر الرّسل مع البريد؛ بعثت أم كلثوم بنت عليّ بن أبي طالب إلى ملكة الروم بطيب، ومشارب، وأحناش من أحناش النساء، ودستته إلى البريد، فأبلغه لها، فأخذ منه وجاءت امرأة قيصر، وجمعت نساءها، وقالت: هذه هدية امرأة ملك العرب، وبنت نبيهم، وكاتبتها، وأهدت لها، وفيما أهدت لها عقد فاحرّ، فلمّا انتهى به البريد إليه أمر بإمساكه ودعا الصّلاة جامعة، فاجتمعوا فصلّى بهم ركعتين، وقال: إنّه لا خير في أمر أبرم عن غير شورى من أموري. قالوا في هدية أهدتها أم كلثوم لامرأة ملك الروم، فقال قائلون: هو لها بالذّي لها، وليست امرأة الملك بذمّة فتصانع به، ولا تحت يديك فتبقيك. وقال آخرون: قد كنّا نهدي الثياب لنسنتيب، ونبعث بها لتباع، ولنصيب شيئاً، فقال: ولكن الرّسول رسول المسلمين والبريد بريدهم، والمسلمون عظّموها في صدرها. فأمر بردها إلى بيت المال، وردّها عليها بقدر نفقتها [٦٠٨].

١٠. أم سليط أحقّ به:

عن ثعلبة بن أبي مالك: أنه قال: إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قسم مروطاً بين نساء أهل المدينة، فبقي منها مرطٌ جيّدٌ، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين! أعط هذا بنت رسول الله (ص) التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت عليّ - فقال عمر: أم سليط أحقّ به. وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله (ص). قال عمر: فإنّها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد [٦٠٩].

١١. عَشَشْتِ أَبَاكَ، وَنَصَحْتِ أَقْرَبَاءَكَ:

جاء إلى عمر - رضي الله عنه - بمال ، فبلغ ذلك حفصة أم المؤمنين ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! حقُّ أقربائك من هذا المال ، قد أوصى الله عز وجل بالأقربين من هذا المال . فقال : يا بنية ! حقُّ أقربائي في مالي ، وأما هذا ففي سداد المسلمين ، غششتِ أباك ، ونصحتِ أقرباءك . قومي [(٦١٠)] .

١٢ . أردتَ أن ألقى الله ملكاً خائناً ؟

قدم صهراً لعمر عليه ، فطلب أن يعطيه عمر من بيت المال ، فانتهره عمر ، وقال : أردتَ أن ألقى الله ملكاً خائناً ؟ فلما كان بعد ذلك أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم [(٦١١)] .

هذه بعض المواقف التي تدلُّ على ترفع عمر عن الأموال العامة ، ومنع أقربائه ، وأهله من الاستفادة من سلطانه ، ومكانته ، ولو أنَّ عمر أرخى العنان لنفسه ، أو لأهل بيته ؛ لرتعوا ، ولرتع من بعدهم ، وكان مال الله - تعالى - حيساً على أولياء الأمور . ومن القواعد الطبيعية المؤيَّدة بالمشاهد : أنَّ الحاكم إذا امتدَّت يده إلى مال الدولة اتَّسع الفتق على الرأتق ، واختلَّ بيت المال ، أو ماليَّة الحكومة ، وسرى الخلل إلى جميع فروع المصالح ، وجهر المستسِرُّ بالخيانة ، وانحلَّ النظام ، ومن المعلوم : أنَّ الإنسان إذا كان ذا قناعة ، وعقَّة عن مال النَّاس ، زاهداً في حقوقهم ؛ دعاهم ذلك إلى محبته ، والرَّغبة فيه ، وإذا كان حاكماً ؛ حذبوا عليه ، وأخلصوا في طاعته ، وكان أكرم عليهم من أنفسهم [(٦١٢)] .

ومن خلال حياته مع أسرته ، وأقربائه يظهر لنا معلَّم من معالم الفاروق في ممارسة منصب الخلافة ، وهي القدوة الحسنة في حياته الخاصة ، والعامَّة ، حتَّى قال في حقِّه عليُّ بن أبي طالب : عَفَّفَتْ ، فَعَفَّتْ رعيَّتُك ، ولو رتعت ؛ لرتعوا . وكان لالتزامه بما يدعو إليه ، ومحاسبته نفسه ، وأهل بيته أكثر ممَّا يحاسب به ولاته ، وعمَّاله الأثر الكبير في زيادة هيئته في النفوس ، وتصديق الخاصَّة والعامَّة له [(٦١٣)] .

هذا هو عمر الخليفة الرَّاشد ؛ الَّذي بلغ الدِّروة في القدوة ، ربَّاه الإسلام فملاً الإيمان بالله شغاف قلبه ، إنَّه الإيمان العميق ، الَّذي صنع منه قدوةً للأجيال ، ويبقى الإيمان بالله ، والتَّربية على تعاليم هذا الدِّين سبباً عظيماً في جعل الحاكم قدوةً في أروع ما تكون القدوة من هنا إلى يوم القيامة [(٦١٤)] .

ثالثاً : احترامه ومحبَّته لأهل البيت :

لا شكَّ : أنَّ لأهل بيت النَّبيِّ (ص) منزلةً رفيعةً ، ودرجةً عاليةً من الاحترام ، والتَّقدير عند أهل السُّنَّة والجماعة ، حيث يراعون حقوق ال البيت التي شرعها الله لهم ، فيحبُّونهم ، ويتولَّونهم ، ويحفظون فيهم وصيَّة رسول الله (ص) التي قالها يوم غدِير خم : « أذكركم الله في أهل بيتي » [(٦١٥)] ، فهم أسعد

الناس بالأخذ بهذه الوصية ، وتطبيقها ، فيتبرؤون من طريقة الذين غلوا في بعض أهل البيت ، غلواً مفرطاً ، وطريقة النواصب الذين يؤذونهم ، ويغضونهم ، فأهل السنة متفقون على وجوب محبة أهل البيت ، وتحريم إيذائهم ، أو الإساءة

إليهم بقول ، أو فعل [(٦١٦)] ، وهذا الفاروق . رضي الله عنه . يوضح لنا معتقد أهل السنة في أهل البيت من خلال تصرفاته ، ومواقفه معهم .

١ . معاملته لأزواج النبي (ص) :

كان رضي الله عنه يتفقد أزواج النبي (ص) ، ويجزل لهم العطاء ، وكان لا يأكل طريفةً ، ولا فاكهةً إلا جعل منها لأزواج النبي (ص) ، و آخر من يبعث إليه حفصة ، فإن كان نقصاناً ؛ كان في حقها [(٦١٧)] . وكان يرسل العطاء لهم ، فهذه القصة وقعت مع أم المؤمنين زينب بنت جحش . رضي الله عنها . : لما خرج العطاء أرسل عمر إلى أم المؤمنين زينب بنت جحش . رضي الله عنها . بالذي لها ، فلمّا دخل عليها ؛ قالت : غفر الله لعمر ، غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني . فقالوا : هذا كله لك . قالت : سبحان الله ! واستترت منه بثوبٍ قالت : صبّوه ، واطرحوا عليه ثوباً ، ثمّ قالت لبرزة بنت رافع : أدخلني يدك فاقبضي منه قبضةً فاذهبي بها إلى بني فلان ، وبني فلان : (من أهل رحمها ، وأيتامها) فقسمته حتى بقيت بقيةً تحت الثوب . فقالت برزة : غفر الله لك يا أم المؤمنين ! والله لقد كان لنا في هذا حقٌ . قالت : فلکم ما تحت هذا الثوب . قالت : فكشفنا الثوب ، فوجدنا خمسةً وثمانين درهماً . ثمّ رفعت يديها إلى السماء فقالت : اللهم لا يدركني عطاءٌ لعمر بعد عامي هذا ! فماتت . رضي الله عنها . فكانت أول أزواج النبي (ص) لحوقاً به [(٦١٨)] .

ومن صور إكرامه لأزواج النبي (ص) ما روته أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . تقول : كان عمر بن الخطاب يرسل إلينا بأحظائنا حتى من الرؤوس ، والأكارع [(٦١٩)] .

وعندما استأذن أزواج النبي (ص) عمر في الحج ، فأبى أن يأذن لهم ، حتى أكثرن عليه ، فقال : ساذن لكنّ بعد العام ، وليس هذا من رأيي ، فأرسل معهنّ عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأمرهما أن يسير أحدهما بين أيديهنّ والآخر خلفهنّ ولا يسايرهنّ أحد ، فإذا نزلن ، فأنزلوهنّ شعباً ، ثمّ كونا على باب الشعب لا يدخُلنّ عليهنّ أحدٌ ، ثمّ أمرهما إذا طفن بالبيت لا يطوف معهنّ أحدٌ إلا النساء [(٦٢٠)] .

٢ . عليّ بن أبي طالبٍ . رضي الله عنه . وأولاده :

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لال رسول الله (ص) وإيثارهم على أبنائه ، وأسرتة ، نذكر من ذلك بعض المواقف .

. جاء فيما رواه الحسين بن عليّ . رضي الله عنه . : أنّ عمر قال لي ذات يوم : أي بُنيّ ! لو جعلت تأتينا ، وتغشانا ؟ فجئت يوماً وهو خالٍ بمعاوية ، وابن عمر بالباب لم يؤذن له ، فرجعت ، فلقيني بعدُ ، فقال : يا بنيّ لم أرك أتيتنا ؟ قلت : جئت ، وأنت خالٍ بمعاوية ، فرأيت ابن عمر رجع ، فرجعتُ . فقال : أنت أحقُّ بالإذن من عبد الله بن عمر ، إنّما أنت من رؤوسنا ما ترى ! الله ، ثمّ أنتم ، ووضع يده على رأسه [(٦٢١)] .

وروى ابن سعد عن جعفر بن محمّد الباقر عن أبيه علي بن الحسين ، قال : قدم على عمر حُلل من اليمن ، فكسا النَّاس ، فراحوا في الحلل ، وهو بين القبر والمنبر جالسٌ ، والنَّاس يأتونه ، فيسلمون عليه ويدعون له ، فخرج الحسن ، والحسين من بيت أمّهما فاطمة . رضي الله عنهما . يتخطيان النَّاس ، ليس عليهما من تلك الحلل شيءٌ ، وعمر مُقَطَّب بين عينيه ، ثمّ قال : والله ما هنا لي ما كسوتكم ! قالوا : يا أمير المؤمنين ! كسوت رعيتك ، فأحسنت ، قال : من أجل الغلامين يتخطيان النَّاس ، وليس عليهما من شيء ، كبرت عنهما ، وصغرا عنها ، ثمّ كتب إلى واليه في اليمن أن ابعث بحلّتين لحسن ، وحسين ، وعجّل . فبعث إليه بحلّتين ، فكساهما [(٦٢٢)] .

وعن أبي جعفرٍ : أنّه لما أراد أن يفرض للنَّاس بعدما فتح الله عليه ، جمع ناساً من أصحاب النَّبيّ (ص) ، فقال عبد الرحمن بن عوف . رضي الله عنه . : ابدأ بنفسك ، فقال : لا والله ! بالأقرب من رسول الله (ص) ، ومن بني هاشم رهط رسول الله (ص) ، وفرض للعبّاس ، ثمّ لعليّ ، حتّى والى بين خمس قبائل ، حتّى انتهى إلى بني عديّ بن كعب ، فكتب مَنْ شهد بدرًا من بني هاشم ، ثمّ من شهد بدرًا من بني أميّة بن عبد شمس ، ثمّ الأقرب ، فالأقرب ، ففرض الأعطيات لهم ، وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله (ص) [(٦٢٣)] .

يقول العلامة شبلي النعماني في كتاب « الفاروق » حول عنوان (رعاية الحقوق والاداب بين الال والأصحاب) : إنّ عمر . رضي الله عنه . لم يكن يبتُّ برأيٍ في مهمّات الأمور قبل أن يستشير عليّاً . رضي الله عنه . الَّذي كان يشير عليه بغايةٍ من النَّصح ، ودافعٍ من الإخلاص ، ولما سافر إلى بيت المقدس ؛ استخلفه في جميع شؤون الخلافة على المدينة ، وقد تمثّل مدى

الانسجام ، والتضامن بينهما حينما زوجه عليّ . رضي الله عنهما . من السيدة أمّ كلثوم ؛ التي كانت بنت فاطمة . رضي الله عنها [(٦٢٤)] . وسمّى أحد أولاده عمر، كما سمّى أحدهم أبا بكر، وسمّى الثالث عثمان [(٦٢٥)] ، ولا يسمّي الإنسان أبناءه إلا بأحبّ الأسماء ، وبمن يرى فيهم القدوة المثاليّة [(٦٢٦)] .

كان عليّ . رضي الله عنه . المستشار الأوّل لعمر بن الخطاب . رضي الله عنه . وكان عمر يستشيره في الأمور الكبيرة منها ، والصغيرة ، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس ، وحين فتحت المدائن ، وعندما أراد عمر التوجّه إلى نهاوند ، وقتال الفرس ، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم ، وفي موضوع التّقويم الهجريّ وغير ذلك من الأمور [(٦٢٧)] ، وكان عليّ . رضي الله عنه . طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحاً لعمر خائفاً عليه ، وكان عمر يحبّ عليّاً ، وكانت بينهما مودّة ، ومحبة ، وثقة متبادلة ، ومع ذلك يأبى أناسٌ إلا أن يزوروا التاريخ ، ويقصّوا بعض الروايات ؛ التي تناسب أمزجتهم ، ومشاربهم ، ليصوّروا لنا فترة الخلفاء الرّاشدين عبارة عن : أن كلّ واحدٍ منهم كان يتربّص بالآخر الدوائر ، لينقضّ عليه ، وكلّ أمورهم كانت تجري وراء الكواليس [(٦٢٨)] .

يقول الدكتور البوطي : إنّ من أبرز ما يلاحظه المتأمّل في خلافة عمر ذلك التّعاون المتميّز الصّافي بين عمر ، وعليّ . رضي الله عنهما . فقد كان عليّ هو المستشار الأوّل لعمر في سائر القضايا ، والمشكلات ، وما اقترح عليّ على عمر رأياً إلا واجهه عمر إلى تنفيذه عن قناعة ، وحسبك في ذلك قوله : لولا عليّ ؛ هلك عمر ، أمّا عليّ ؛ فقد كان يحضه النّصح في كلّ شؤونه وأحواله ، وقد رأيت : أنّ عمر (استشاره في أن يذهب بنفسه على رأس جيشٍ لقتال الفرس ، فنصحه نصيحة المحبّ له ، الغيور عليه ، والضّنين به ألا يذهب ، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب ، وهو في مكانه ، وحذّره من أنّه إذا ذهب ، فلسوف ينشأ وراءه من الثّغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجهه . رأيت لو أنّ رسول الله (ص) أعلن : أنّ الخلافة من بعده لعلي ، أفكان لعليّ أن يعرض عن أمر رسول الله (ص) هذا ، وأن يؤيد المستلين لحقّه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البنّاء ؟ بل أفكان للصّحابة . رضوان الله عليهم . كلّهم أن يضيّعوا أمر رسول الله (ص) ؟ بل أفكان من المتصوّر أن يُجمِعوا وفي مقدمتهم عليّ

- رضوان الله عليه . على ذلك ؟ ثم يقول بعد ذلك بقليل : بوسعنا أن نعلم إذاً ، بكلِّ بداهةٍ : أنَّ المسلمين إلى هذا العهد . نهاية عهد عمر . بل إلى نهاية عهد عليٍّ كانوا جماعةً واحدةً ، ولم يكن في ذهن أيٍّ من المسلمين أيُّ إشكالٍ بشأن الخلافة ، أو بشأن من هو أحقُّ بها) [(٦٢٩)] .

٣ . الخلاف بين العباس ، وعلي . رضي الله عنهما . في فيء رسول الله (ص) من بني النضير : قال مالك بن أوس : بينما أنا جالس في أهلي حين متع [(٦٣٠)] النَّهار ؛ إذا رسول عمر بن الخطاب يأتيني ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فانطلقت معه حتَّى أدخل على عمر ، فإذا هو جالسٌ على رمال [(٦٣١)] سريرٍ ليس بينه وبينه فراشٌ ، متكأئى على وسادة من آدم ، فسلمت عليه ، ثم جلست ، فقال : إنَّه قدم علينا من قومك أهل أبياتٍ ، وقد أمرت فيهم برضحٍ ، فاقبضه ، فاقسمه بينهم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! لو أمرت به غيري ، قال : اقبضه أيُّها المرء ! فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ ، فقال : هل لك في عثمان ، وعبد الرَّحمن بن عوف ، والرُّبيرة ، وسعد بن أبي وقاص ، يستأذنون ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، فدخلوا ، فسلموا ، وجلسوا ، ثمَّ جلس يرفأ يسيراً ، ثمَّ قال : لك في عليٍّ ، وعباسٍ ؟ قال : نعم . فأذن لهما ، فدخلا فسلما ، فجلسا ، فقال عباس : (يا أمير المؤمنين ! اقض بيني وبين هذا) . وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله (ص) من مال بني النضير ، فقال الرَّهط . عثمان وأصحابه . : يا أمير المؤمنين ! اقض بينهما ، وأرح أحدهما من الآخر . قال عمر : تيدكم [(٦٣٢)] ، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السَّماء ، والأرض : هل تعلمون : أنَّ رسول الله (ص) قال : « لا نورث ، ما تركنا صدقةً » يريد رسول الله (ص) نفسه ؟ قال الرَّهطُ : قد قال ذلك . فأقبل عمر على عليٍّ ، وعباسٍ ، فقال : أنشدكما بالله أتعلمان أنَّ رسول الله (ص) قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك ، قال عمر : فإيُّ أحدٍتكم عن هذا الأمر : إنَّ الله قد خصَّ رسوله (ص) في هذا الفيء بشيءٍ لم يعطه أحداً غيره ، ثمَّ قرأ : { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [الحشر: ٦] . فكانت هذه خالصةً لرسول الله (ص) ، ووالله ما احتازها دونكم ! ولا استأثر بها عليكم ، قد أعطاكموها ، وبثها فيكم ، حتَّى بقي منها هذا المال ، فكان رسول الله (ص) ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ، ثمَّ يأخذ ما بقي ، فيجعله يجعل مال الله ، فعمل رسول الله (ص) بذلك حياته ، أنشدكم بالله هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم ! ثمَّ قال لعليٍّ ، وعباسٍ : أنشدكما بالله ،

هل تعلمان ذلك ؟ قال عمر : ثم توفى الله نبيّه (ص) ، فقال أبو بكر : أنا وليُّ رسول الله (ص) ، فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله (ص) ، والله يعلم إنّه فيها لصادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحقِّ ، ثم توفى الله أبا بكرٍ ، فكنت أنا وليُّ أبي بكرٍ ، فقبضتها سنتين من إمارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله (ص) ، وما عمل فيها أبو بكر ، والله يعلم أيّ فيها لصادقٌ بارٌّ راشدٌ تابعٌ للحقِّ ، ثم جئتماني تكلّماني ، وكلمتكموا واحدةً ، وأمركما واحدٌ ، جئني يا عبّاس ! تسألني نصيبك من ابن أخيك ، وجاءني هذا « يريد عليّاً » يريد نصيب امرأته من أبيها ، فقلت لكما : إنّ رسول الله (ص) قال : « لا نورث ما تركناه صدقةً » . فلما بدا لي أن أدفعه إليكما قلت : إن شئتما دفعتها إليكما على أنّ عليكما عهد الله ، وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله (ص) ، وما عمل أبو بكر ، وبما عملت فيها منذ وليتها ، فقلتما : ادفعها إلينا ، فبذلك دفعتها إليكما ، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليهما بذلك ؟ قال الرّهط : نعم ! ثمّ أقبل عليّ وعبّاسٍ ، فقال : أنشدكما بالله هل دفعتها إليكما بذلك ؟ قالوا : نعم ! قال : فتلتسان مّي قضاءً غير ذلك ، فوالله الذي بإذنه تقوم السّماء ، والأرض ! لا أقضي فيها قضاءً غير ذلك ، فإن عجزتما عنها ، فادفعها إليّ ، فإني أكفيكماها [(٦٣٣)] .

٤ - احترام عمر للعبّاس وابنه عبد الله رضي الله عنهم :

بيّن الفاروق - رضي الله عنه - للأمة عامّةً فضل العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله (ص) ، ومدى احترامه ، وتواضعه ، ومعرفته لحقّه ، وذلك عندما استسقى به في عام الرّمادة ، كما سيأتي بإذن الله تعالى ، بل قد أقسم عمر - رضي الله عنه - للعباس كما تقدّم : أنّ إسلامه أحبُّ إليه من إسلام أبيه لو أسلم ؛ لأنّ إسلام العباس أحبُّ إلى رسول الله (ص) [(٦٣٤)] . ومن المحبّة التي كان يكتنّها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لابن عمّ رسول الله (ص) عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما : أنّه كان يدخله في مجلس كبار الصّحابة من مشيخة بدر - رضي الله عنهم - وقد كان لهم أبناء في سنّه ، ولم يحظ بهذا التّكريم سواه ، وفي هذا بيان لفضيلته ، ومكانته العلميّة لدى الفاروق رضي الله عنهم أجمعين . فقد روى البخاريُّ بإسناده إلى ابن عباسٍ ، قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدرٍ ، فقال بعضهم : لم تدخل هذا الفتى معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال : إنّه ممّن قد علمته ، فدعاهم ذات يومٍ ، ودعاني معهم ، قال : وما رأيته دعاني يومئذٍ إلا ليربهم مّي ، فقال : ما تقولون في : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * } [النصر : ١ - ٢] حتى ختم السّورة ، فقال بعضهم : لا

ندري ، أو لم يقل بعضهم شيئاً ، فقال لي : يا بن العباس ! أكذلك تقول ؟ قلت : لا ! قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجل

رسول الله (ص) أعلمه الله له مكّة فذلك علامة أجلك قال { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا * } : ما أعلم منها إلا ما تعلم [(٦٣٥)] .

قال الحافظ ابن حجر : وأخرج البغوي [(٦٣٦)] ، في معجم الصحابة من طريق زيد بن أسلم ، عن ابن عمر قال : كان عمر يدعو ابن عباسٍ ويقرّبه ، ويقول : إني رأيت رسول الله (ص) دعاك يوماً ، فمسح رأسك وقال : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ » [(٦٣٧)] . ففعل عمر - رضي الله عنه - هذا تقريراً لجلالة قدر ابن عباسٍ ، وبياناً لكبير منزلته في العلم ، والفهم .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير : أنّ عمر - رضي الله عنه - كان يقول : نعم ترجمان القران عبد الله بن عباس ! وكان يقول إذا أقبل : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السّؤول ، والقلب العقول [(٦٣٨)] . لقد كان الحبُّ ، والودُّ متبادلاً بين عمر وبين أهل بيت رسول الله (ص) .

* * *

المبحث الثالث

حياة عمر في المجتمع واهتمامه بنظام الحِسْبَةِ

أولاً : حياة عمر في المجتمع :

كانت حياة عمر - رضي الله عنه - في المجتمع تطبيقاً حياً لكتاب الله ، وسنة رسوله (ص) ومن خلال مواقف المتنوعة نرى الإسلام متجسداً في سيرته ، وإليك بعض هذه المواقف :

١ - عمر - رضي الله عنه - ورعايته لنساء المجتمع :

كان عمر - رضي الله عنه - يهتمُّ بنساء المسلمين ، وبناتهم ، وعجائزهم ، ويعطي لهنَّ حقوقهنَّ ، ويرفع عنهنَّ ما يقع من الظلم عليهنَّ ، ويرعى شؤون الأسر التي غاب عنها رجالها في الجهاد ، ويحرص على إيصال حقوق الأرمال إليهنَّ حتى قال قولته المشهورة : والله لئن سلّمني الله لأدعنَّ أرامل أهل العراق لا يحتجنَّ إلى أحدٍ بعدي أبداً [(٦٣٩)] ، وهذه بعض المشاهد التي كتبت على صفحات الرّمن بأحرفٍ من نور :

. ثكلتك أمك .. عثراتِ عمر تُتَّبَعُ ؟

خرج عمر - رضي الله عنه - في سواد الليل فراه طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنهما - فذهب عمر فدخل بيتاً ، ثم دخل بيتاً اخر ، فلمّا أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت ، فإذا بعجوزٍ عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرَّجل يأتيك ؟ قالت : إنّه يتعهدني منذ كذا وكذا ، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ! فقال طلحة : ثكلتك أمك ! عثراتِ عمر تتَّبَعُ [(٦٤٠)] ؟

إنّ الاهتمام بضعفاء المجتمع من عوامل النّصر ، ومن القربات العظيمة ؛ التي يُتَقَرَّبُ بها إلى المولى - عز وجل - فينبغي لقادة الحركات الإسلاميّة ، وحكّام الشعوب الإسلاميّة ، وأئمّة المساجد ، وأبناء المسلمين أن يعتنوا بهذا الجانب الإنساني في مجتمعاتهم ، ويعطوه حقّه .
هذه امرأةٌ سمع الله شكواها من فوق سبع سموات :

خرج عمر رضي الله عنه من المسجد ومعه الجارود العبدي ؛ فإذا امرأةٌ برزت على ظهر الطّريق ، فسلمّ عليها عمر بن الخطّاب ، فردّت عليه السلام ، وقالت : يا عمر ! عهدتك وأنت تسمّى عُميراً في سوق عكاظ تدعر الصّبيان بعصاك ، فلم تذهب الأيام حتّى سُمّيت عُمراً ، ولم تذهب الأيام حتّى سُمّيت أمير المؤمنين ، فاتّق الله في الرّعية ، واعلم : أنّه من خاف الوعيد ؛ قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت ؛ خشي الفوت . فقال الجارود : أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين ! فقال عمر : دعها ، أما تعرف هذه ؟ هذه هي خولة بنت ثعلبة التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، فعمر أحقُّ أن يسمع لها [(٦٤١)] .

وجاء في روايةٍ : فوالله ! لو أنّها وفقت إلى اللّيل ما فارقتها إلا إلى الصّلاة ، ثمّ أرجع إليها [(٦٤٢)] .
وجاء في روايةٍ : هذه خولة التي أنزل الله فيها : { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا } [المجادلة: ١] [(٦٤٣)] .

. مرحباً بنسبٍ قريب :

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قال : خرجت مع عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - إلى الشّوق ، فلحقتُ عمرَ امرأةً شابةً ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! هلك زوجي ، وترك صبيةً صغاراً ؛ والله ما يُنضجون كُرَاعاً ! ولا لهم زرعٌ ، ولا ضرعٌ ، وخشيت أن تأكلهم الضّبُع ، وأنا بنت حُفّاف بن إيماء الغفاري [(٦٤٤)] ، وقد شهد أبي الحديبية مع النّبِيِّ (ص) . فوقف معها عمر ، ولم يمض ، وقال : مرحباً بنسبٍ قريب ، ثمّ انصرف إلى بعيرٍ ظهيرٍ [(٦٤٥)] ، كان مربوطاً في الدّار ، فحمل عليه

غرارتين [(٦٤٦)] ملاءهما طعاماً ، وجعل بينهما نفقةً ، وثياباً ، ثم ناولها بخطامه ، ثم قال : اقتاديه فلن يفي حتى يأتيكم الله بخير . فقال رجلٌ : يا أمير المؤمنين ! أكثرت لها . فقال عمر : ثكلتك أمك ! والله إنِّي لأرى أبا هذه ، وأخاها قد حاصراً حصناً زماناً فافتتحاه [(٦٤٧)] ، ثم أصبحنا نستفيء سُهماننا فيه [(٦٤٨)] .

وهذا دليلٌ على وفاء الفاروق لكلِّ مَنْ قَدَّمَ للإسلام شيئاً ، ولو كان صغيراً .. ويا له من وفاءٍ نحن في أشدِّ الحاجة إليه في هذا الزَّمان الَّذي يكاد ينعدم فيه الوفاء عند كثيرٍ من النَّاس [(٦٤٩)] .
خطبته لأمِّ كلثوم بنت الصِّديق :

تقدَّم عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . إلى عائشة أمِّ المؤمنين . رضي الله عنها . يخطب منها أختها الصُّغرى أمَّ كلثوم ، وحدثت عائشة أختها ، فردَّت عليها : لا حاجة لي في ذلك ، فقالت لها : أترغبين عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ! إنَّه خشن العيش ، شديدٌ على النِّساء . فأرسلت عائشة إلى عمرو بن العاص ، فأخبرته ، فقال : يا أمَّ المؤمنين ! لا تراعي ، أنا أكفيك هذا الأمر .
ثم مضى إلى عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! بلغني خبرٌ أعيذك بالله منه ! قال : ما هو ؟ قال : خطبت أمَّ كلثوم بنت أبي بكرٍ ؟ قال : نعم ، أفرغت بي عنها ، أم رغبت بها عني ؟ قال : لا هذا ، ولا ذاك ، لكنَّها حدَّثتُ نِشأت في كنف أمِّ المؤمنين عائشة في لينٍ ، ورفقٍ ، وفيك غلظةً ، ونحن نهابك ، وما نقدر أن نردَّك عن خلقٍ من أخلاقك ، فكيف بها إن خالفتك في شيءٍ ، فسطوت بها ؟ كنت قد خلفت أبا بكرٍ في ولده بغير ما يحقُّ لك . قال عمر : فكيف بعائشة ، وقد كلَّمتها ؟ قال : أنا أكفيك عائشة يا أمير المؤمنين ! [(٦٥٠)] .

وفي روايةٍ : أنَّ عمرو بن العاص قال : يا أمير المؤمنين ! لو ضمنت إليك امرأةً ؟ قال عمر : عسى أن يكون ذلك في أيَّامك هذه .

قال عمرو : ومن ذكر أمير المؤمنين ؟ قال عمر : أمَّ كلثوم بنت أبي بكرٍ . قال عمرو : مالك وللجارية تنعي إليك أباهاً بكرهً وعشيئاً ، قال عمر : أعائشة أمرتك بهذا ؟ قال عمرو : نعم ، فتركها ، وتزوجها طلحة بن عبيد الله [(٦٥١)] .

من الأماني الحلوة التي تداعب خيال الفتيات الزَّواج من عظيم قومها ، وهنا يتقدَّم أمير المؤمنين خاطباً غير امر ، ولا مكره ، وفي تمام الحرِّيَّة والتَّصميم ترفض الفتاة أمير المؤمنين رفضاً مسبباً ، ويبلغ أمير المؤمنين بالرفض ، فيعدل ، ويقلع غير حائقٍ ، ولا ضائقٍ ، ولا مهدِّدٍ ، ولا متوعِّدٍ ؛ لأنَّه يعلم : أنَّ

الإسلام لا يرغم الفتاة على الزواج بمن لا تريد، ولقد كان عمرو بارعاً في لباقة مدخله بتبليغ الرّفص، كما كان عمر لمّاحاً في معرفة مصدره رغم دقّة عمرو في التّعبير [(٦٥٢)] ، بل إنّ عمر - رضي الله عنه - يقف بجانب الفتيات في حقهنّ في الموافقة

على من يتقدّم إليهنّ، حيث يقول: لا تكرهوا فتياتكم على الرّجل القبيح، فإنهنّ يجبن ما تحبّون [(٦٥٣)].

. رجل يكلم امرأة في الطريق :

بينما عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يمرّ في الطّريق ، فإذا هو برجلٍ يكلم امرأة ، فعلاه بالدّرة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّما هي امرأتي ! فقال له : فلم تقف مع زوجتك في الطّريق تعرّضان المسلمين غيبتكما ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! الان قد دخلنا المدينة ، ونحن نتشاور أين نزل ، فدفع إليه الدّرة وقال : اقتصصّ منّي يا عبد الله ! فقال : هي لك يا أمير المؤمنين ، فقال : خذ واقتصصّ ! فقال بعد ثلاث : هي لله ، قال : لله لك فيها [(٦٥٤)] .

. امرأة تشتكي إلى عمر من زوجها :

جاءت امرأة إلى عمر - رضي الله عنه - فقالت : يا أمير المؤمنين ! إنّ زوجي قد كثر شرّه ، وقلّ خيره ! قال لها عمر : ومن زوجك ؟ قالت : أبو سلمة . قال : فعرفه عمر - رضي الله عنه - فإذا رجل له صحبة ، فقال لها عمر : ما نعلم من زوجك إلا خيراً ، ثمّ قال لرجلٍ عنده : ما تقول أنت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لا نعلم إلا ذلك ، فأرسل إلى زوجها ، وأمرها فقعدت خلف ظهره ، فلم يلبث أن جاء الرّجل مع زوجها ، فقال له عمر : أتعرف هذه ؟ قال : ومن هذه يا أمير المؤمنين ؟! قال : هذه امرأتك ، قال : وتقول ماذا ؟ قال : تزعم أنّه كثر شرّك ، وقلّ خيرك . قال : بمسما قالت يا أمير المؤمنين ! والله إنّها لأكثر نساءها كسوةً ، وأكثرها رفاهية بيت ، ولكن بعلمها بكيء [(٦٥٥)] ، فقال : ما تقولين ؟ قالت : صدق .

فأخذ الدّرة فقام إليها ، فتناولها ، وهو يقول : يا عدوة نفسها ! أفنيت شبابه ، وأكلت ماله ، ثمّ أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه . فقالت : يا أمير المؤمنين ! أقلني في هذه المرّة ، والله لا تراني في هذا المقعد أبداً ! فدعا بأثواب ثلاثة ، فقال لها : اتقي الله ، وأحسني صحبة هذا الشّيخ ! ثمّ أقبل عليه ، فقال : لا يمنعك ما رأيته صنعت بها أن تحسن صحبتها . قال : أفعل يا أمير المؤمنين ! قال الرّاوي : كأني أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقاً .

ثمَّ إِنِّي سمعت عمر - رضي الله عنه - يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : « خير أُمَّتِي القرن الَّذِي أَنَا فيه ، ثمَّ الَّذين يلونه ، ثمَّ الَّذين يلونه ، ثمَّ يجيء قوم تسبق شهادتهم أيمانهم ، يشهدون قبل أَن يستشهدوا ، لهم في أسواقهم لغطٌ » [(٦٥٦)] .
لم تطلِّقها ؟ قال : لا أحبُّها :

قال عمر - رضي الله عنه - لرجلٍ همَّ بطلاق امرأته : لم تطلقها ؟ قال : لا أحبُّها ، فقال عمر : أو كلُّ البيوت بُنيت على الحبِّ ؟ فأين الرِّعاية ، والتدبُّم [(٦٥٧)] ؟
- رزق أولاد الخنساء :

عندما استشهد أبناء الخنساء الأربعة في القادسيَّة ، وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر ؛ قال : أعطوا الخنساء أرزاق أولادها الأربعة ، وأجروا عليها ذلك حتَّى تقبض . فلم تزل تأخذ عن كلِّ واحدٍ منهم مئتي درهمٍ حتَّى قبضت [(٦٥٨)] .
- هند بنت عتبة تقترض من بيت المال ، وتتاجر :

كان زوجها قبل أبي سفيان حفص بن المغيرة عمُّ خالد بن الوليد ، وكان من الجاهليَّة ، وكانت هند من أحسن نساء قريشٍ ، وأعتقهنَّ ، ثمَّ إنَّ أبا سفيان طلقها في آخر الأمر ، فاستقرضت من عمر من بيت المال أربعة آلاف درهم ، فخرجت إلى بلاد كلب ، فاشتريت ، وباعت ، وأتت ابنها معاوية وهو أمير على الشَّام لعمر ، فقالت : أي بني ! إنَّه عمر ، وإنَّما يعمل لله [(٦٥٩)] .

إنَّ المرأة في العصر الرَّاشدي كانت لها مكانتها ، فقد رفع الإسلام مكانتها ، فنهاها شاركت في العصر الرَّاشدي بخوض العديد من المجالات الفكرية ، والأدبية ، والتجارية ، فالسيدة عائشة ، وأمُّ سلمة ، وحبيبة بنت أمِّ حبيبة ، وأروى بنت كريب بن عبد شمس ، وأسماء بنت سلمة التَّميميَّة برعن في الحديث ، والفقہ ، والأدب ، والفتيا ، وغيرهنَّ أجدن قول الشُّعر ، كالخنساء ، وهند بنت عتبة [(٦٦٠)] ، وكان عمر - رضي الله عنه - يعرف للمرأة فضلها ، وأنها مخلوقٌ يحسُّ ، ويشعر ، وينظر ، ويفكر ، وأنَّه كما كان يستشير الرِّجال ؛ فقد كان يستشير النِّساء ، فقد كان يقدم الشِّفاء بنت عبد الله العدويَّة في الرأْي ، فماذا بقي بعد ذلك للمرأة حتَّى

تبحث عنه في غير الإسلام إذا كان أمير المؤمنين يستشيرها في أعمال الدَّولة ، ويرضى رأبها [(٦٦١)] .

وكان . رضي الله عنه . يعتبر نفسه أبا العيال ، فيمشي إلى المغيبات اللواتي غاب أزواجهن ، فيقف على أبوابهن ، ويقول : ألكن حاجة ؟ وأيتكن تريد أن تشتري شيئاً ؟ فإنني أكره أن تخدعن في البيع والشراء ، فيرسلن معه بجواريهن فيدخل السوق ووراءه من جوارى النساء وغلماهن ما لا يحصى ، فيشتري لهن حوائجهن ، ومن ليس عندها شيء اشترى لها من عنده ، وإذا قدم الرسول من بعض الثُغور يتبعهن بنفسه في منازلهن بكتب أزواجهن ، ويقول : أزواجكن في سبيل الله ، وأنتن في بلاد رسول الله (ص) ، إن كان عندكن من يقرأ ، وإلا فاقربن من الأبواب حتى أقرأ لكنن ، ثم يقول : الرسول يخرج يوم كذا ، وكذا فاكبتي حتى نبعث بكتبكن ، ثم يدور عليهن بالقراطيس والدواة : هذه دواة ، وقرطاس فادنين من الأبواب حتى أكتب لكنن ، ويمر إلى المغيبات فيأخذ كتبهن ، فيبعث بها إلى أزواجهن [(٦٦٢)] .

٢ . حفظ سوابق الخير للرعية :

كان . رضي الله عنه . يحفظ سوابق الخير للمسلمين ، وكان لديه ميزان دقيق في تقييم الرجال ، فقد قال رضي الله عنه : لا يعجبنيكم طنطنة الرجل ، ولكن من أدى الأمانة ، وكف عن أعراض الناس ، فهو الرجل [(٦٦٣)] ، وكان رضي الله عنه يقول : لا تنظروا إلى صلاة امرأ ، ولا صيامه ، ولكن انظروا إلى عقله ، وصدقه . ويقول : إنني لا أخاف عليكم أحد رجلين : مؤمناً قد تبين إيمانه ، وكافراً قد تبين كفره ، ولكني أخاف عليكم منافقاً يتعوذ بالإيمان ، ويعمل لغيره . وسأل عمر عن رجل شهد عنده بشهادة ، وأراد أن يعرف هل له من يزيه ، فقال له رجل : إنني أشهد له ، وأزيه يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : أنت جاره في مسكنه ؟ قال : لا ! قال : أعاشرته يوماً ، فعرفت حقيقة أمره ؟ قال : لا ! قال : أسافرت يوماً معه ، فإن السفر والاعتراب محك للرجال ؟ قال : لا ! قال عمر : لعلك رأيته في المسجد قائماً قاعداً يصلي ؟ قال : نعم ! قال : اذهب ، فأنت لا تعرفه [(٦٦٤)] .

وقد حظي مجموعة من المسلمين بالثناء ، والتقدير من عمر . رضي الله عنه . بفضل توفيق الله لهم للأعمال المحميدة لخدمة الإسلام ، وهذه بعض المواقف الدالة على ذلك :

. امنتم إذ كفروا ، وأقبلتم إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا :

عن عدي بن حاتم ، قال : أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي ، فجعل يفرض للرجل من طيأي في ألفين ، ويعرض عني ، قال : فاستقبلته ، فأعرض عني ، ثم أتيت في حيال وجهه ، فأعرض عني ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! أتعرفني ؟ فضحك حتى استلقى على قفاه ، ثم قال : نعم ، والله إنني لأعرفك ! امنتم إذ كفروا ، وأقبلتم إذ أدبروا ، ووفيت إذ غدروا ، وإن أول صدقة بيضت وجه رسول

الله (ص) ووجوه أصحابه صدقة طيّبٍ ، جئت بها إلى رسول الله (ص) [(٦٦٥)] . ثم أخذ يعتذر ،
ثم قال : إنما فرضت لقومٍ أجهفت بهم الفاقة ، وهم سادة عشائريهم لما ينوبهم من الحقوق [(٦٦٦)] .
وجاء في رواية : فقال عديٌّ : فلا أبالي إذا [(٦٦٧)] !

. حقُّ على كلِّ مسلمٍ أن يُقبَّلَ رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ :

أسرت الروم الصحابيَّ الجليل عبد الله بن حذافة السهميَّ فجاؤوا به إلى ملكهم ، فقال له : تنصّر وأنا
أشركك في ملكي ، وأزوّجك ابنتي . فقال له : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما تملكه العرب على
أن أرجع عن دين محمّد (ص) طرفة عين ما فعلت ! فقال : إذا أقتلك ، فقال : أنت وذاك ، فأمر به
فصُلب وأمر الرّماة ، فرموه قريباً من يديه ، ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية ، فيأبى ، ثم أمر به ،
فأنزل ، ثم أمر بقدرٍ ، وفي روايةٍ ببقرة من نحاسٍ ، فأحميت ، وجاء بأسيرٍ من المسلمين ، فألقاه ؛ وهو
ينظر ، فإذا عظامٌ تلوح ، وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يلقي فيه فرفع في البكرة ليُلقي فيها ، فبكى ،
فطمع فيه ، ودعاه ، فقال : إني إنما بكيت ؛ لأنّ نفسي إنما هي نفسٌ واحدةٌ تلقى في هذا القدر
السّاعة في الله ، فأحسبت أن يكون لي بعدد كلِّ شعرةٍ في جسدي نفسٌ تعذب هذا العذاب في الله .

وفي بعض الروايات : أنّه سجنه ، ومنع عنه الطّعام ، والشّراب أيّاماً ، ثم أرسل إليه بخميرٍ ، ولحم خنزيرٍ
، فلم يقربه ، ثم استدعاه ، فقال : ما منعك أن تأكل ؟ فقال : أما إنّني قد حل لي ، ولم أكن لأشمتك
بي ، فقال له الملك : فقّبِلَ رأسي وأنا أطلقك ، فقال : وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ؟ قال :
نعم ، فقّبِلَ رأسه ، فأطلقه ، وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلمّا رجع ؛ قال عمر بن
الخطّاب . رضي الله عنه . : حقُّ على كلِّ مسلمٍ أن

يقبّل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقام ، فقّبِلَ رأسه رضي الله عنه [(٦٦٨)] .

. أفيكم أويس بن عامر ؟

كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن ؛ سألهم : أفيكم أويس بن عامرٍ ؟ حتّى أتى على
أويس ، فقال : أنت أويس بن عامرٍ ؟ قال : نعم . قال : من مراد ، ثم من قرن ؟ قال : نعم . قال :
فكان بك برصٌ ، فبرئت منه إلا موضع درهمٍ ؟ قال : نعم . قال : لك والدّة ؟ قال : نعم . قال :
سمعت رسول الله (ص) يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد اليمن من مراد ، ثم من قرن ،
كان به برص ، فبرأ منه إلا موضع درهمٍ ، له والدّة ، هو بها برٌّ ، لو أقسم على الله لأبرّه ، فإن
استطعت أن يستغفر لك فافعل » ، فاستغفر لي ، فاستغفر له ، فقال له عمر : أين تريد ؟ قال : اتي

الكوفة ، قال : ألا أكتب لك إلى عاملها ؟ قال : أكون في غبرات [(٦٦٩)] النَّاس أحب إليَّ . قال : فلَمَّا كان من العام المقبل ، رجع رجل من أشرفهم ، فوافق عمر ، فسأله عن أويس ، فقال : تركته رثَّ البيت ، قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : « يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن ، من مراد ، ثمَّ من قرن ، كان به برص ، فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة ، هو بها برٌّ ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل » . فأتى أويساً ، فقال : استغفر لي ، قال : أنت أحدث عهداً بسفرٍ صالح ، فاستغفر لي ، قال : استغفر لي ، قال : لقيت عمر ؟ قال : نعم ، قال : فاستغفر له ، قال : ففطن له النَّاس ، فانطلق على وجهه [(٦٧٠)] .

عمر - رضي الله عنه - ومجاهد بارٌّ بأُمَّه :

أقبل قومٌ غزاةً من الشَّام يريدون اليمن ، وكان لعمر جفناثٌ يضعها إذا صلى الغداة ، فجاء رجلٌ منهم ، فجلس يأكل ، فجعل يتناول بشماله ، فقال له عمر ، وكان يتعهَّد النَّاس عند طعامهم : كل بيمينك ، فلم يجبه ، فأعاد عليه ، فقال : هي يا أمير المؤمنين مشغولةٌ ، فلمَّا فرغ من طعامه ؛ دعا به ، فقال : ما شغل يدك اليمنى ؟ فأخرجها ، فإذا هي مقطوعةٌ فقال : ما هذا ؟ فقال : أصيبت يدي يوم اليرموك ، قال : فمن يوضِّئك ؟ قال : أتوضأ بشمالي ، ويعين الله ، قال : فأين تريد ؟ قال : اليمن ، إلى أمِّ لي لم أرها منذ كذا وكذا سنةً ، قال : أو برٌّ أيضاً ؟ فأمر له بخادمٍ ، وخمسة أباغر من إبل الصدقة ، وأوقرها له [(٦٧١)] .

رجل ضُرب ضربةً في سبيل الله حفرت في وجهه :

بينما النَّاس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر ؛ إذ رفع رأسه ، فنظر إلى رجلٍ في وجهه ضربةٌ ، فسأله ، فأخبره : أنه أصابته في غزاةٍ كان فيها ، فقال : عدُّوا له ألفاً ، فأعطي ألف درهم ، ثمَّ قال : عدُّوا له ألفاً ، فأعطى الرَّجل ألفاً أخرى ، قال له ذلك أربع مرَّاتٍ كلُّ ذلك يعطيه ألف درهم ، فاستحيا الرَّجل من كثرة ما يعطيه ، فخرج ، فسأل عنه ، فقيل له : رأينا أنه استحيا من كثرة ما أعطي ، فخرج ، فقال : أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي منها درهم ! رجلٌ يُضرب ضربةً في سبيل الله حفرت في وجهه [(٦٧٢)] .

أمنيةٌ عمريةٌ :

عن عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - قال لأصحابه : تمنَّوا . فقال بعضهم : أتمنى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهباً أنفقه في سبيل الله ، وأتصدق به . وقال رجلٌ : أتمنى لو أهما مملوءة زبرجداً ، وجواهر ،

فأنفقه في سبيل الله ، وأتصدق . ثم قال عمر : تمنّوا ، فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين ! فقال : أتمنّى لو أنّها مملوءة رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وحذيفة بن اليمان [(٦٧٣)] ، فأستعملهم في طاعة الله [(٦٧٤)] . وهؤلاء من إخوانه في الله ، وقد وصف عمر - رضي الله عنه - إخوان الصّدق بقوله : عليك بإخوان الصّدق ؛ تعش في أكنافهم ، فإنهم زينة في الرّخاء ، وعدة في البلاء ، وضع أمر أخيك على أحسنه ؛ حتّى يجيئك ما يقلبك منه ، واعتزل عدوك ، واحذر صديقك إلا الأمين ، ولا أمين إلا من يخشى الله ، ولا تصحب الفاجر ، فتتعلّم من فجوره ، ولا تطلعه على سرّك ، واستشر في أمرك من يخشى الله تعالى [(٦٧٥)] .

وكان عمر - رضي الله عنه - يذكر الأخ من إخوانه في الليل ، فيقول : يا طولها من ليلة ! فإذا صلّى الغداة غدا إليه ، فإذا لقيه ؛ التزمه ، أو اعتنقه [(٦٧٦)] . وكان يقول : لولا أن أسير في سبيل الله ، أو أضع جنبي في التراب لله ، أو أجالس قوماً يلتقطون طيب القول كما تلتقط الثمرة ؛ لأحببت أن أكون قد لحقت بالله [(٦٧٧)] .

. العمل عنده هو معيار التفاضل بين الناس :

كان العمل عند الفاروق - رضي الله عنه - معيار التفاضل بين البشر ، فعندما حضر إليه جمع من سادات قريش على رأسهم سهيل بن عمرو بن الحارث ، وأبو سفيان بن حرب ، وبعض عبيد قريش السابقين : صهيب ، وبلال ؛ أذن في لقائه للموالي الفقراء قبل أن يأذن للسادة من قريش وأشرافها ، فغضب السادة لذلك ، فقال أبو سفيان لبعض أصحابه : لم أر كاليوم قط ، يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه ؟ فقال سهيل : أيّها القوم ! إيّى والله أرى الذي في وجوهكم ! إن كنتم غضاباً ، فاغضبوا على أنفسكم ، دعي القوم - إلى الإسلام - ودعيتم ، فأسرعوا ، وأبطأتم ، فكيف بكم إذا دُعوا يوم القيامة ، وتركتم [(٦٧٨)] .

. عمر - رضي الله عنه - يشهد للجنّاة :

عن أبي الأسود : أنّه قال : أتيت المدينة ، فوافيتها [(٦٧٩)] ، وقد وقع فيها مرضٌ ، فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلست إلى عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - فمرّت به جنازةٌ ، فأثني على صاحبها خير ، فقال عمر : وجبت . ثمّ مرّ بأخرى ، فأثني على صاحبها خيرٌ ، فقال عمر : وجبت . ثمّ مرّ بالثالثة ، فأثني عليها شرّاً ، فقال عمر : وجبت . فقال أبو الأسود : ما وجبت يا أمير المؤمنين ؟! قال : قلت كما قال رسول الله (ص) : « أيّما مسلم شهد له أربعةٌ بخير ؛ أدخله الله الجنة » قال : فقلنا : وثلاثة ؟

قال : فقال : « وثلاثة » . قال : قلنا : واثنان ؟ قال : « واثنان » . قال : ثم لم نسأله عن الواحد [(٦٨٠)] .

. عمر . رضي الله عنه . وعطاء حكيم بن حزام رضي الله عنه :

عن عروة بن الزبير : أن حكيم بن حزام قال : سألت رسول الله (ص) فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ، ثم قال لي : « يا حكيم ! إنَّ هذا المال خضِرٌ حلوٌ ، فمن أخذه بسخاوةٍ نفسٍ ؛ بورك له فيه ، ومن أخذه بإشرافٍ نفسٍ ؛ لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ، ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى » . قال حكيم : فقلت : يا رسول الله ! والذي بعثك بالحق لا أرزأُ [(٦٨١)] أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا ! فكان أبو بكرٍ . رضي الله عنه . يدعو حكيماً ليعطيه فيأبى أن يقبل منه شيئاً ، ثم إنَّ عمر دعاه ليعطيه ، فيأبى أن يقبله ، فقال : يا معشر المسلمين ! إني أعرض عليه حقّه الذي قسم الله له من هذا الفيء ، فيأبى أن يأخذه ، فلم يرزأُ حكيم أحداً من النَّاس بعد النبيِّ (ص) حتى تُوفِّي رحمه الله [(٦٨٢)] .

. عمر يُقبَلُ رأس عليِّ رضي الله عنهما :

شكا رجل عليّاً إلى عمر . رضي الله عنهما . فلمَّا جلس عمر لينظر في الدَّعوى ؛ قال عمر لعليِّ : ساو خصمك يا أبا الحسن ! فتغيَّر وجه عليِّ ، وقضى عمر في الدَّعوى ، ثمَّ قال لعلي : أغضبت يا أبا الحسن ! لأني سوَّيت بينك وبين خصمك ؟ فقال علي : بل لأنك لم تسوِّ بيني وبين خصمي يا أمير المؤمنين ! إذ كرمتني ، فناديتني يا أبا الحسن ! بكنتي ، ولم تناد خصمي بكنته ، فقبَّل عمر رأس عليِّ ، وقال : لا أبقاني الله بأرضٍ ليس فيها أبو الحسن [(٦٨٣)] .

. جريرُ البجليُّ ينصح عمر :

عن عاصم بن بهدلة عن رجلٍ من أصحاب عمر ، قال : كنَّا عند عمر بن الخطَّاب ، فخرجت من رجلٍ ريحٌ ، وحضرت الصَّلَاة ، فقال عمر : عزمت على من كانت هذه الريح منه إلا قام ، فتوضَّأ ، فقال جرير بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ! اعزم علينا جميعاً أن نقوم فتوضَّأ ، فهو أستر . ففعل [(٦٨٤)] .

. رجلٌ من الموالي يخطب من قريش :

شجَّع عمر . رضي الله عنه . التَّزَاجِجَ بين القبائل كوسيلةٍ للتأليف بينها ، حتَّى إنَّ رجلاً من الموالي خطب إلى رجلٍ من قريش أخته ، فرفض القرشيُّ ، فتدخَّل عمر لديه قائلاً : ما يمنعك أن تزوجه ؟ فإن له

صلاحاً ، وقد جاءك بخير الدنيا (المال) وخير الآخرة (التقوى) ، زوّج الرّجل ، إن رضيت أخثك ؛
فروّجه إيّاها [(٦٨٥)] .

٣ . مهابته في وسط المجتمع وحرصه على قضاء حوائج النّاس :

. مهابته في وسط المجتمع :

كان لعمر . رضي الله عنه . هيمنةً على النفوس والقلوب ، ومهابةً تكبح من جماح النفوس ، وتضبط
من نزواتها ، وأصحُّ دليلٍ على ذلك عزله لخالد بن الوليد . رضي الله عنه . وهو في أوج شهرته ، وقد
اقتربت به تجارب الانتصار في كلِّ حرب ، وأحاطت به حالات

الإكبار ، والإعجاب ، وقد أنفذ أمر عزله يوم كان النّاس في أشدِّ حاجةٍ إليه ، ووصل أمر العزل والنّاس
مصافؤون جيوش الروم يوم اليرموك ، وأمّر على الجيوش أبا عبيدة ، فقال خالد : سمعاً ، وطاعةً لأمير
المؤمنين . ولما نبّه أحد الجنود على وقوع الفتنة بهذا التّغيير ؛ قال خالد : لا مجال لفتنةٍ ما دام
عمر [(٦٨٦)] .

وهذا إن دلَّ على خضوع خالدٍ لأمر الخليفة . وهو القائد المنصور المحبّب . وتنازله عن القيادة في تواضعٍ
، وإيثارٍ قلماً يوجد له نظيرٌ في تاريخ القيادات العسكريّة ، والإمارات الحرّيّة ، فهو يدلُّ كذلك على
سطوة سيدنا عمر ، وامتلاكه لزام الأمور [(٦٨٧)] ، فقد كانت له مهابةٌ عظيمةٌ في قلوب النّاس ،
فعن الحسن البصريّ . رحمه الله . قال : بلغ عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . : أن امرأةً يتحدّث عنها
الرّجال ، فأرسل إليها . قال : وكان عمر رجلاً مهيباً . فلمّا جاءها الرّسول ؛ قالت : يا ويلها ما لها
ولعمر ! فخرجت فضرّ بها المخاض فمرّت بنسوةٍ فعرفن الذي بها ، فقدمت بغلامٍ ، فصاح صيحةً ، ثمّ
طفا [(٦٨٨)] ، فبلغ ذلك عمر . رضي الله عنه . فجمع المهاجرين ، والأنصار ، واستشارهم ، وفي آخر
القوم رجلاً ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إنّما كنت مؤدّباً وإمّاً أنت راعٍ ، قال : ما تقول يا فلان ؟ قال :
أقول : إن كان القوم تابعوك على هواك ؛ فوالله ما نصحووا لك ! وإن يك اجتهدهم أراهم ، فوالله فقد
أخطأ رأيهم يا أمير المؤمنين ! قال : فعزمت عليك لما قمت ، فقسمتها على قومك [(٦٨٩)] ، فقيل
للحسن : من الرّجل ؟ قال : عليُّ بن أبي طالب [(٦٩٠)] ، واجتمع عليٌّ ، وعثمان ، وطلحة ،
والزبير ، وعبد الرحمن ، وسعد رضي الله عنهم .

وكان أجراهم على عمر عبد الرحمن بن عوف ، فقالوا : يا عبد الرحمن ! لو كلّمت أمير المؤمنين للنّاس
، فإنّه يأتي طالب الحاجة ، فتمنعه هيئته أن يكلمه حتّى يرجع ، ولم يقض حاجته . فدخل عليه فكلمه

في ذلك ، فقال : يا عبد الرحمن ! أنشدك الله ! أعليّ ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، أو بعضهم أمرك بهذا ؟ قال : اللهم نعم ! فقال : يا عبد الرحمن ! والله ! لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتدّت عليهم حتى خفت الله في الشدّة، فأين المخرج؟ فقام عبد الرحمن يبكي ، ويجرّ إزاره ، ويقول بيده : أفّ

لهم بعدك ! أفّ لهم بعدك [(٦٩١)] ! وعن عمر بن مرّة [(٦٩٢)] ، قال : لقي رجلاً من قريش عمر ، فقال : لئن لنا ، فقد ملأت قلوبنا مهابةً ! فقال: أفي ذلك ظلمٌ؟ قال : لا . قال : فزادني الله في صدوركم مهابةً [(٦٩٣)] .

وحدّث عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - فقال : مكثت سنةً وأنا أريد أن أسأل عمر - رضي الله عنه - عن ايةٍ ، فلا أستطيع أن أسأله هيبَةً [(٦٩٤)] . وعن عكرمة مولى ابن عبّاسٍ : أن حجّاماً كان يقصُّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان رجلاً مهيباً ، فتنحج عمر ، فأحدث الحجّام ، فأمر له عمر بأربعين درهماً [(٦٩٥)] ، وكان عندما يرى شدّة هيبته في نفوس النّاس يقول : اللهم تعلم أيّ منك أشدُّ فرقاً منهم منّي [(٦٩٦)] !

. حرصه على قضاء حوائج النّاس :

قال ابن عباس : كان عمر - رضي الله عنه - كلّما صلّى صلاةً ؛ جلس للنّاس ، فمن كانت له حاجةٌ نظر فيها ، فصلّى صلواتٍ لم يجلس بعدها ، فأتيت الباب ، فقلت : يا يرفأ ! بأمر المؤمنين علّةٌ من شكوكٍ؟ [(٦٩٧)] قال : لا ، فبينما أنا كذلك ؛ إذ جاء عثمان ، فدخل يرفأ ثمّ خرج علينا ، فقال : قم يا بن عفان ! قم يا بن عباس ! فدخلنا على عمر وبين يديه صُبْرٌ [(٦٩٨)] من مالٍ ، فقال : إيّي نظرت ، فلم أجد بالمدينة أكثر عشيرةً منكما ، فخذنا هذا المال ، فاقسماه بين النّاس ، وإن فضل فضلٌ ؛ فردّاه . قال : فجنّوت لركبتي ، فقلت : وإن كان نقصانٌ ؛ رددت علينا ؟ فقال : شنشنةٌ أعرفها من أخزم [(٦٩٩)] ، أين كان هذا ومحمّد (ص) وأصحابه يأكلون القدّ ؟ قلت : لو فتح الله لصنع غير الذي تصنع ، قال : وما كان يصنع ؟ قلت : إذاً لأكل ، وأطعمنا . قال : فنشج حتىّ اختلقت أضلاعه ، وقال : لوددت أيّ خرجت من الأمر كفافاً لا عليّ ، ولا لي [(٧٠٠)] .

وعن سعيد بن المسيّب قال: أصيب بعيرٌ من الفيء، فنحره عمر - رضي الله عنه - وأرسل منه إلى أزواج النّبِيِّ (ص) ، وصنع ما بقي ، فدعا عليه جماعةٌ من المسلمين ، وفيهم العباس بن عبد المطلب ، فقال العبّاس : يا أمير المؤمنين ! لو صنعت لنا كلّ يومٍ مثل هذا ، فأكلنا عندك ، وتحدّثنا ! فقال

عمر : لا أعود لمثلها ، إِنَّه مضى صاحباي وقد عملا عملاً ، وسلكا طريقاً ، وإيَّيَّ إن عملت بغير عملهما ؛ سُلِكَ بي غير طريقهما [(٧٠١)] .

وعن أسلم مولى عمر : استعمل عمر مولى له على الحمى ، فقال : يا هنيئاً اضمم جناحك عن المسلمين ، واتق دعوة المظلوم ، فإنها مستجابة ، وأدخل ربَّ الصُّرمة ، والعُنيمة ، وإيَّيَّ ونعم ابن عوف ، ونعم ابن عفان ، فإنَّهما إن تهلك ماشيتهما ؛ يرجعان إلى زرع ، ونخلٍ ، وإن ربَّ الصُّرمة والعُنيمة إن تهلك ماشيتهما ؛ يأتيني بنيه ، فيقول : يا أمير المؤمنين ! أفتاركهم أنا ؟ لا أبا لك ! فلما ، والكأأ أيسر عليَّ من الذهب ، والفضة ، وايم الله ! إهم ليرون أني ظلمتهم ، إهم لبلادهم ، قاتلوا ، عليها في الجاهلية ، وأسلموا عليها في الإسلام ، والذي نفسي بيده ! لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ؛ ما حميت عليهم بلادهم شبراً [(٧٠٢)] .

وعن موسى بن أنس بن مالك : أن سيرين . والد محمد بن سيرين . سأل أنساً المكاتبه ، وكان كثير المال ، فأبى ، فانطلق إلى عمر ، فقال : كاتبه ، فأبى ، فضربه بالدرة ، ويتلو عمر { فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا } [النور: ٣٣] فكاتبه [(٧٠٣)] .

وفي القصة الأخيرة نرى عبداً يطلب حرَّيته ، وسيداً يأبى ، وحاكماً ينصف ، وينفذ رأي العبد ، ويترك رأي السيد ، أين تجد هذا في التاريخ على طول ، وعرضه [(٧٠٤)]؟! .

٤ . تربيته لبعض زعماء المجتمع :

لم يسمح عمر . رضي الله عنه . في خلافته للأعيان أن يتسلطوا على أبناء المجتمع ، أو يتناولوا عليهم ، أو يشعروا بنوع من الرفعة على الناس ، وإليك بعض هذه المواقف :

. أبو سفيان رضي الله عنه وداره بمكة :

قدم عمر مكة ، فأقبل أهل مكة يسعون ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إنَّ أبا سفيان ابتنى داراً ، فحبس عنا مسيل الماء ؛ ليهدم منازلنا ، فأقبل عمر ومعه الدرة ، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً ، فقال : ارفع هذا ! فرفعه ، ثم قال : وهذا .. وهذا حتى رفع أحجاراً كثيرة خمسة ، أو ستة ، ثم استقبل عمر الكعبة ، فقال : الحمد لله الذي جعل عمر يأمر أبا سفيان ببطن مكة ، فيطيعه [(٧٠٥)] .

. عيينة بن حصن ومالك بن أبي زفر :

زار عيينة بن حصن عمر - رضي الله عنه - وعنده مالك بن أبي زفر من فقراء المسلمين ، فتناول عليه قائلاً : أصبح الضعيف قوياً ، والدني مرتفعاً ! فقال مالك : أيفخر علينا هذا بأعظم حائلة ، وأرواح في النار؟ فغضب عمر لما اعترض عيينة على هذا القصاص ، وقال له : كن ذليلاً في الإسلام ، فوالله لا أرضى عنك حتى يشفع لك مالك ، ولم يجد عيينة بداً من أن يستشفع بمالك لدى عمر [(٧٠٦)] .

. الجارود ، وأبي بن كعب رضي الله عنهما :

أقبل الجارود على عمر رضي الله عنهما ، فقال رجل : هذا سيّد ربيعة ، فاعتلاه عمر بالدرّة ، وقال : خشيت أن يخالط قلبك منها شيء . وفعل عمر ذات الصنيع مع أبي بن كعب ، لما رأى الناس قد اجتمعت عليه تسأله بعد خروجه من المسجد ، وقال : إنّ هذا الذي تصنع فتنة للمتبوع ، ومذلة للتابع [(٧٠٧)] .

٥ . إنكاره لبعض التصرفات في المجتمع :

كانت حياة الفاروق - رضي الله عنه - على وفق شرع الله تعالى الحكيم ، ولذلك كان لا يرضى عن أيّ سلوكٍ منحرفٍ ، أو تصرفٍ يتولّد عنه مفسد للمجتمع الإسلامي ، وهذه بعض المواقف التي وجّه فيها الفاروق بعض المخطئين إلى الصواب :

. مجزرة الزبير بن العوام رضي الله عنه :

كان عمر - رضي الله عنه - يأتي إلى مجزرة الزبير بن العوام ، وكانت الوحيدة بالمدينة ومعه الدرّة ، فإذا رأى رجلاً اشترى لحماً يومين متتابعين ضربه بالدرّة ، وقال له : ألا طويت بطنك لجارك ، وابن عمك [(٧٠٨)] .

. الان سل ما بدا لك !

رأى عمر - رضي الله عنه - سائلاً يسأل ، وعلى ظهره جرابٌ مملوء طعاماً ، فأخذ الطعام ونثره لإبل الصدقة ، ثمّ قال له : الان سل ما بدا لك [(٧٠٩)] ! .

. دع هذه المشية :

أقبل رجل مرخياً يديه طارحاً رجليه ، يتبختر ، فقال له عمر - رضي الله عنه - : دع هذه المشية . فقال : ما أطيق ، فجلده ، ثمّ تبختر ، فجلده ، فترك التبختر . فقال عمر : إذا لم أجد في مثل هذا ، ففيم أجد ؟ فجاءه الرجل بعد ذلك ، فقال : جزاك الله خيراً ، إن كان إلا شيطاناً أذهبه الله بك [(٧١٠)] .

. لا تُمت علينا ديننا :

نظر عمر - رضي الله عنه - إلى رجلٍ مظهرٍ للنُّسك ، متماوتٍ ، فخفقه بالدِّرَّة ، وقال : لا تمت علينا ديننا ، أمانك الله [(٧١١)] . وعن الشِّفاء بنت عبد الله وقد رأت فتياناً يقصدون في المشي ، ويتكلمون رويداً ، فقالت : ما هؤلاء؟ قالوا : نسَّاك ، فقالت : كان والله عمر بن الخطاب إذا تكلم ؛ أسمع ، وإذا مشى ؛ أسرع ، وإذا ضرب ؛ أوجع ، وهو والله النَّاسك حقاً [(٧١٢)] ! .
. اهتمامه بصحَّة الرِّعية :

اهتم الخليفة عمر - رضي الله عنه - بصحَّة الرِّعية ، فكان يحذِّرهم من مغبة السِّمنة ومخاطرها ، ويدعوهم إلى تخفيف أوزانهم لما فيه من القوَّة على العمل والقدرة على أداء الواجبات ، فكان يقول : أيُّها النَّاس ! إيَّاكم والبطنة عن الطَّعام ، فإنَّها مكسلةٌ عن الصَّلَاة ، مفسدةٌ للجسم ، مورثةٌ للسُّقم ، وإنَّ الله عز وجل يبغض الخبر السَّمين ، ولكن عليكم بالقصد في قُوتكم ، فإنَّه أدنى من الصَّلَاح ، وأبعد من السَّرَف ، وأقوى على عبادة الله عزَّ وجل ، ولن يهلك عبدٌ حتَّى يؤثر شهوته على دينه [(٧١٣)] .
ويذكر ابن الجوزي : أنَّ عمر رضي الله عنه ، رأى رجلاً عظيم البطن ، فقال : ما هذه ؟ قال : بركة من الله ، فقال : بل عذابٌ من الله [(٧١٤)] .

وأما اهتمامه بالصِّحَّة العامَّة للمواطنين ؛ فإنَّه كان ينهى من به مرضٌ مُعد منهم أن يختلط بهم لمنع انتشار المرض ، وكان ينصح المريض بالبقاء في بيته حتَّى يتمثل إلى الشِّفاء ، فيروى : أنه - رضي الله عنه - مرَّ بامرأة مجذومةٍ وهي تطوف بالبيت ، فقال لها : يا أمة الله ! لو قعدت في بيتك لا تؤذين النَّاس ! فقعدت ، فمرَّ بها رجلٌ بعد ذلك ، فقال : إنَّ الذي نهاك قد مات ، فاخرجي . فقالت : والله ما كنت لأطيعه حيًّا وأعصيه ميتاً [(٧١٥)] ! كما كان يؤكِّد على الرِّياضة ، والفروسيَّة ، وركوب الخيل ، وكان يقول : علِّموا أولادكم العوم ، والرِّماية ، ومروهم ، فليشبووا على الخيل وثباً ، ورؤوهم ما جمَّل من الشِّعر [(٧١٦)] .

. نصيحةٌ عمريةٌ لمن وقع في شرب الخمر :

تفقَّد عمر - رضي الله عنه - رجلاً ذا بأسٍ شديدٍ من أهل الشَّام ، فقيل له : إنَّه تتابع في الشُّرب . فقال لكتابه اكتب : من عمر بن الخطاب إلى فلانٍ ، سلام عليك ، وأنا أحمد الله إليك ؛ الذي لا إله إلا هو ، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم : { حم * تنزيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * عَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ * } [غافر: ١ - ٣] ثمَّ ختم الكتاب ، وقال لرسوله

: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً ، ثم أمر من معه بالدعاء له بالتوبة ، فلما أتته الصحيفة ؛ جعل يقرؤها ، ويقول : قد وعدني ربِّي أن يغفر لي ، وحدّرتني عقابه ، فلم يزل يردّها حتى بكى ، ثم نزع ، فأحسن التّزّع ، وحسنت توبته ، فلما بلغ عمر أمره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أحدكم زلّ ؛ فسددوه ، وادعوا له ، ولا تكونوا أعواناً للشّيطان عليه [(٧١٧)] .

وفي هذا الموقف تظهر عبقرية عمر في تربية النفوس ، ومعرفته بطبائع البشر ، ووسائل التقويم ، فما ينفع شخصاً قد يضر غيره ، فهذا درسٌ من دروس التّربية النّاجحة ، وأسلوبٌ رقيقٌ في التّوجيه . أمير المؤمنين على ضخامة مسؤوليّاته ، ومشاغله يغيب عن مجلسه واحدٌ من رواده ، فلا يفوته هذا الغياب ، ولكن يسأل ليعالج ، فيصلح ، واليوم يغيب الأخ عن أخيه ، فلا يشعر أحدهما بغياب الآخر ، وإن شعر ؛ فلا يسأل عن سبب الغياب ، وإذا تحرّى السُّؤال فلا يسعى وراء علاجٍ إن كان في الأمر ما يستدعي العلاج ، إنّ هذا التفلّت معولٌ من معاول هدم الأخوة الإسلاميّة ، وما هذا بحال مسلمين يعرفون أنّهم إخوةٌ ، فهل من التفاتةٍ ، لعلّ ، وعسى [(٧١٨)] ؟ .

. رأي عمر في المجالس الخاصّة :

كان عمر - رضي الله عنه - يميل إلى أن تكون مجتمعات الناس عامّةً يهوي إليها جميع النّاس على اختلاف طبقاتهم ، وكان يكره اختصاص النّاس بمجالس ؛ لأن ذلك يدعوهم إلى أن تكون لهم آراءٌ متفرّقةٌ متباينةٌ تنتهي بأحزابٍ متعاديةٍ [(٧١٩)] .

روى ابن عباسٍ أن عمر قال لناسٍ من قريش : بلغني أنّكم تتخذون مجالس ، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال : من صحابة فلانٍ ؟ من جلساء فلانٍ ؟ حتى تُحوميت المجالس ، وإيم الله ! إنّ هذا لسريعٌ في دينكم ، سريعٌ في شرفكم ، سريعٌ في ذات بينكم ، ولكأنيّ بمن يأتي بعدكم يقول : هذا رأي فلانٍ ، قد قسموا الإسلام أقساماً ، أفيضوا مجالسكم بينكم ، وتجالسوا معاً ، فإنّه أدوم لألفتكم ، وأهيب لكم في النّاس [(٧٢٠)] .

وفي الحقّ: إن ابتعاد الخاصّة عن عامّة النّاس ، واختصاصهم بأفرادٍ يجلسون إليهم مضيقٌ كثيراً لما ينتظر من تربية الخاصّة للعامّة ، واجتماعهم مفيدٌ فائدةً كبرى ، وهي نقل أقوالهم غير محرّفةٍ ، ولا مشويةٍ بما يطمس حقيقتها ، ثمّ إن كثرة المجالس تدعو بدون ريبٍ إلى كثرة الاختلاف في المسائل التي تعرض لهم ، فتكثر الأقوال المتباينة في الدّين ، وهو الذي خافه عمر - رضي الله عنه - على النّاس وعلى من يأتي [(٧٢١)] .

ثانياً : اهتمامه بالحِسْبَةِ (الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر) :

أخبر المولى . عزَّ وجلَّ . عن أصحاب نبيِّه الكريم (ص) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ : أَنَّهُمْ عِنْدَ تَمْكِينِ اللَّهِ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ سَيَقُومُونَ بِأَرْبَعَةِ أُمُورٍ : إِقَامَةُ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * } [الحج: ٤٠ . ٤١] .

يقول الإمام أبو بكر الجصاص في تفسيره : وهذه صفة المهاجرين ؛ لأنهم هم الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ، فأخبر تعالى : أَنَّهُ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ؛ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وهو صفة الخلفاء الراشدين ؛ الَّذِينَ

مَكَّنَّاهُمْ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ، وهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ رضي الله عنهم [(٧٢٢)] . وقد شهد التاريخ ، وثبت بالتواتر : أَنَّ الْفَارُوقَ . رضي الله عنه . قام بتلك الأمور خير قيام [(٧٢٣)] ، واهتمَّ رضي الله عنه بحماية ، وتطوير مؤسسات الدولة ، كالمالية ، والقضائية ، والعسكرية ، والمتعلقة بالولاية ، واجتهد رضي الله عنه في حمل النَّاسِ عَلَى امْتِثَالِ أَوْامِرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَوْامِرِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (ص) ، وَعَمَلَ عَلَى حَمْلِ النَّاسِ عَلَى اجْتِنَابِ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَنَهَى عَنْهُ نَبِيُّهُ (ص) مِنْ خِلَالِ مَنْصِبِهِ كَخَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَمِنْ خِلَالِ الْوَلَايَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ . رحمه الله .: وَجَمِيعَ الْوَلَايَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِئِمَّا مَقْصُودِهَا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ [(٧٢٤)] ، وَقَدْ قَامَ الْفَارُوقُ . رضي الله عنه . بحماية جانب التَّوْحِيدِ ، ومحاربة الزَّيْغِ ، وإقامة العبادات في المجتمع الإسلامي ، وحارب المنكر ، وشجَّع على المعروف :

١ . حماية جانب التَّوْحِيدِ ، ومحاربة الزَّيْغِ ، والبدع :

لما كان من مقاصد قيام الدولة الإسلامية حراسة الدِّينِ ، فَإِنَّ مَنْ أَهَمَّ مَا قَامَ بِهِ الْفَارُوقُ الْقِيَامَ بِهَذَا الْمَقْصَدِ ، وَهُوَ حِفْظُ أَصْلِ الدِّينِ بِحَمْلِ النَّاسِ عَلَى الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ الصَّافِيَةِ ؛ الَّتِي تَرْكُومُ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، وَحَارَبَ شَبَهَاتِ الزَّائِعِينَ ، وَرَدَّ كَيْدَ أَعْدَاءِ الدِّينِ ؛ الَّذِينَ يَرُوجُونَ لِلْعُقَاذِ الْمُنْحَرِفَةِ ، وَالْخِرَافَاتِ الْمُنْكَرَةِ ؛ الَّتِي زَيَّنَهَا لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، فَظَنُّوا : أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنْعًا ، وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَشْهَدُ لِلْفَارُوقِ فِي حِمَايَتِهِ لِجَانِبِ التَّوْحِيدِ ، وَمَحَارِبَتِهِ لِلزَّيْغِ :

. عروس النَّيْل :

أرسل عمرو بن العاص إلى الفاروق . رضي الله عنهما . يخبره عن عادة أهل مصر في رمي فتاة في النَّيْل كلَّ عام ، وقالوا له : أيُّها الأمير لنيلنا هذا سنَّة لا يجري إلا بها . قال : وما ذاك؟ قالوا : إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشَّهر عمدنا إلى جارية بكرٍ من أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الخُلِّيِّ ، والثِّيَاب أفضل ما يكون ، ثُمَّ ألقيناها في هذا النَّيْل ، فقال لهم عمرو : إنَّ هذا ممَّا لا يكون في الإسلام ، إنَّ الإسلام يهدم ما قبله ، فأقاموا فترةً ، والنَّيْل لا يجري قليلاً ، ولا كثيراً ، حتَّى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطَّاب بذلك ،

فكتب إليه : إنَّك قد أصبت بالَّذي فعلت ، وإيَّيَّ قد بعثت إليك بطاقةً داخل كتابي ، فألقها في النَّيْل ، فلمَّا قدم كتابه ؛ أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أمَّا بعد : فإن كنت إمَّا تجري من قبلك ، ومن أمرك ؛ فلا تجرِ فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إمَّا تجري بأمر الله الواحد القهَّار ، وهو الَّذي يُجريك ، فنسأل الله تعالى أن يجريك ، قال : فألقى البطاقة في النَّيْل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النَّيْل ستة عشر ذراعاً في ليلةٍ واحدةٍ ، وقطع الله هذه السنَّة السَّيِّئة عن أهل مصر إلى اليوم[(٧٢٥)] .

فقد بين الفاروق معاني التَّوحيد في البطاقة ، وأنَّ النَّيْل إمَّا يجري بمشيئة الله ، وقدرته سبحانه وتعالى ، وكشف للنَّاس زيف معتقدهم الفاسد الَّذي تغلغل في النَّفوس ، وكان بتصرفه الحكيم قد نسف هذا المعتقد من نفوس المصريِّين[(٧٢٦)] .

. إنَّك حجرٌ لا تنفعُ ، ولا تضرُّ :

عن عابس بن ربيعة ، عن عمر . رضي الله عنه . : أنَّه جاء إلى الحجر الأسود ، فقبَّله ، فقال : إيَّيَّ أعلم أنَّك حجرٌ لا تضرُّ ، ولا تنفعُ ، ولولا أيُّ رأيت النَّبيَّ (ص) يقبلك ما قبَّلتك[(٧٢٧)] . إنَّه الاتِّباع في أحسن صورهِ ، وأجمل معانيهِ[(٧٢٨)] ، قال ابن حجر : قال الطَّبْرِيُّ : إمَّا قال ذلك عمر ؛ لأنَّ النَّاس كانوا حديثي عهدٍ بعبادة الأصنام ، فخشى أن يظنَّ الجهَّال أنَّ استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار ، كما كانت العرب تفعل في الجاهليَّة ، فأراد عمر أن يعلم النَّاس : أن استلامه اتِّباعٌ لفعل النَّبيِّ (ص) .

ثمَّ قال ابن حجر . رحمه الله . : وفي قول عمر هذا التَّسليم للشَّارع في أمور الدِّين ، وحسن الاتِّباع فيما لم يكشف عن معانيها ، وهو قاعدةٌ عظيمةٌ في اتِّباع النَّبيِّ (ص) فيما يفعله ، ولو لم يعلم الحكمة

فيه [(٧٢٩)] ، وهذا الخُلق . وهو اتِّباع السُّنَّة ، والحرص عليها . من أخلاق النَّصر في جيل الصَّحابة . رضي الله عنهم . فقد علموا بأنَّه لا بدَّ من اتِّباع السُّنَّة كي يُحِبُّوهم الله بالنَّصر والتأييد [(٧٣٠)] .

. قطع شجرة الرِّضوان :

أخرج ابن سعد بإسنادٍ صحيحٍ عن نافع : أنَّ عمر بلغه أنَّ قوماً يأتون الشَّجرة . شجرة الرِّضوان . فيصلُّون عندها ، فتوعَّدهم ، ثمَّ أمر بقطعها ، فُقِطِعَتْ [(٧٣١)] .

فهذا موقفٌ لأمير المؤمنين . رضي الله عنه . في حماية التَّوحيد ، والقضاء على موارد الفتن ، حيث قام أولئك التَّابعون بعملٍ لم يعمله الصَّحابة . رضي الله عنهم . فهو أمرٌ مبتدعٌ ، وقد يؤدِّي بعد ذلك إلى عبادةٍ ، وأمر بها فُقِطِعَتْ [(٧٣٢)] .

. قبر دانيال :

لما ظهر قبر دانيال بتستر ؛ كتب فيه أبو موسى إلى عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . فكتب إليه عمر : إذا كان بالنَّهار ؛ فاحفر ثلاثة عشر قبراً ، ثمَّ ادفنه بالليل في واحدٍ منها ، وعقِّر قبره لئلا يفتن به النَّاس [(٧٣٣)] .

. أتريدون أن تتخذوا اثار أنبيائكم مساجد ؟

ثبت بالإسناد الصَّحيح عن عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . : أنَّه كان في السَّفر ، فرأى قوماً ينتابون مكاناً يصلُّون فيه ، فقال : ما هذا؟ قالوا : مكان صلَّى فيه رسول الله (ص) . فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ، إنَّهم اتخذوا اثار أنبيائهم مساجد . من أدركته الصلاة فليصل ، وإلا فليمض [(٧٣٤)] .

. فأحبيت أن يعلموا : أنَّ الله هو الصَّانع :

إنَّ عزل خالد بن الوليد من قيادة الجيش في الشَّام لم يكن له أيُّ سببٍ غير المصلحة العامَّة للأُمَّة ، فقد خشي الفاروق من تعلق النَّاس بخالد ، فيعتقدون : أنَّ النصر معلقٌ ببركة خالدٍ ، وحنكته الحربيَّة ، فيتكلمون على ذلك ، فأراد أن يعلمهم : أنَّ الله هو النَّاصر ، وأنَّه الفَعَّال لما يريد ، فأصدر قراره بعزله ، وأكَّد ذلك في كتابه المفسِّر للقرار ؛ الذي عمَّمه على الولايات حرصاً منه على جانب التَّوحيد ، حيث جاء فيه : إنِّي لم أعزل خالداً عن سخطه ، ولا خيانه ، ولكنَّ النَّاس فتنوا به ، فأحبيت أن يعلموا : أنَّ الله هو الصَّانع [(٧٣٥)] .

. إنما المتوكل من يُلقي حبه في الأرض :

عن معاوية بن قرة : أن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . لقي ناساً من أهل اليمن ، فقال : من أنتم؟ قالوا : نحن المتوكلون . قال : بل أنتم المتكلمون ، إنما المتوكلون من يلقي حبه في الأرض ، ويتوكل على الله عزَّ وجلَّ [(٧٣٦)] .

. ألا وإنا نفتدي ، ولا نبتدي ، ونُتبع ، ولا نبتدع :

قال عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . على المنبر : ألا إن أصحاب الرأى أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها ، فأفتوا برأيهم ، فضلوا ، وأضلوا ، ألا وإنا نفتدي ، ولا نبتدي ، ونُتبع ، ولا نبتدع ، ما نضلُّ ما تمسكنا بالأثر . وعن عمرو بن ميمون عن أبيه ، قال : أتى عمر بن الخطاب رجلاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إننا فتحنا المدائن ، وأصبنا كتاباً فيه كلامٌ معجبٌ ، قال : أمن كتاب الله ؟ قال : لا . فدعا بالدرّة ، فجعل يضربه بها ، وجعل يقرأ : {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْعَافِلِينَ*} [يوسف: ١ - ٣] . ثم قال : إنما هلك من كان قبلكم : أنهم أقبلوا على كتب علمائهم ، وأسأفتهم ، وتركوا التوراة والإنجيل ، حتى درسا [(٧٣٧)] ، وذهب ما فيهما من العلم [(٧٣٨)] .

وعن أسلم قال : سمعت عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . يقول : فيم الرملان [(٧٣٩)] الان ؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنّا نفعله على عهد رسول الله (ص) [(٧٤٠)] ، وعن الحسن البصريّ : أنّ عمران بن حصين . رضي الله عنه . أحرم من البصرة ، فقدم على عمر ، فأغلظ له ، ونهاه عن ذلك ، وقال : يتحدث الناس : أنّ رجلاً من أصحاب محمد (ص) أحرم من مصر من الأمصار [(٧٤١)] . وعن أبي وائل [(٧٤٢)] قال : كنت جالساً على كرسيّ شيبة بن عثمان [(٧٤٣)] في الكعبة ، فقال : لقد جلس هذا المجلس عمر ، فقال : لقد هممت ألا أدع فيه صفراء ، ولا بيضاء إلا قسمتها ، فقلت : ما كنت لتفعل ! قال : ولم؟ قلت : إنّ صاحبك لم يفعل ، قال : هما المران أفتدي بهما [(٧٤٤)] .

هذه بعض مواقف الفاروق التي ترشدنا إلى حمايته بجانب التوحيد ، ومحاربه للبدع ، فقد فهم التوحيد ؛ الذي أرشد إليه الإسلام وعرفه ، وعمل به ، وحرص على محو كل أثرٍ من آثار الوثنيّة في النفوس ، والقلوب ، وأقام صرح التوحيد في أعماق الكينونة البشريّة [(٧٤٥)] ، لقد عمل الفاروق على تعميق

حقيقة الإيمان في المجتمع الإسلامي بكلِّ معانيه ، وبكلِّ أركانه ، ومحاربة الشِّركِ بكلِّ أشكاله ، وأنواعه ، وخفائيه ، ومحاربة البدع ، والافتداء برسول الله في أقواله ، وأفعاله (ص) ، فهذه الأصول تدخل ضمن فقه التَّمكين ؛ الذي فهمه الفاروق ، وعاش به في دنيا النَّاسِ .

٢ . اهتمامه بأمر العبادات :

فهم الفاروق - رضي الله عنه - من كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) : أنَّ الدِّينَ كُلَّهُ داخلٌ في العبادة ، والدِّينَ منهاجَ الله ، جاء ؛ ليسع الحياة كُلَّهَا ، وينظِّمَ جميعَ أمورِها من أدب الأكل ، والشُّرب ، وقضاء الحاجة إلى بناء الدولة ، وسياسة الحكم ، وسياسة المال وشؤون المعاملات ، والعقوبات ، وأصول العلاقات الدَّولِيَّةِ في السلم ، والحرب ، وأنَّ الشَّعائرَ التَّعبديَّةَ من صلاةٍ ، وصومٍ ، وزكاةٍ ، وحجٍّ ، لها أهمِّيَّتُها ، ومكانتها ، ولكنها ليست العبادة كُلَّهَا ، بل هي جزءٌ من العبادة الَّتِي يريدُها الله تعالى [(٧٤٦)] ، وتطبيق هذا الفهم للعبادة في دنيا النَّاسِ من شروط التَّمكين في الأرض ، كما أنَّ العبادة لها أهمِّيَّةٌ في حياة الإنسان في تثبيت الاعتقاد ، وتثبيت القيم الأخلاقيَّةِ ، وإصلاح الجانب الاجتماعيِّ . وإليك بعض اهتمامات الفاروق بشعائر الصَّلَاةِ ، والزَّكاةِ ، والحجِّ ، والصَّومِ ، والذِّكرِ ، وحرصه على تحقيق معاني العبادة في نفسه ، وفي المجتمع الإسلاميِّ .

. الصَّلَاةُ :

كان النَّبِيُّ (ص) يأمر المسلمين بالصَّلَاةِ ، ويبالغ في الإنكار على من يتخلف عن الجماعة ، ويشتدُّ نكيره على تاركها ، وسار الصِّدِّيقُ على هديه ، ولما تولى الفاروق الخلافة ؛ اهتمَّ بأمر الصَّلَاةِ ، وحمل النَّاسَ عليها ، وتعقَّبَ تاركها ، وكتب إلى عماله : إِنَّ أُمَّمَ أَمْرِكُمْ عِنْدِي

الصَّلَاةُ ، فمن حفظها ، وحافظ عليها ؛ حفظ دينه ، ومن ضيَّعها ؛ فهو لما سواها أضيَّع [(٧٤٧)] . وكان رضي الله عنه شديد الحرص على الخشوع في الصَّلَاةِ ، فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : صَلَّيتُ خلفَ عمر ، فسمعتُ حينه من وراء ثلاثة صفوفٍ [(٧٤٨)] .

وجاء في روايةٍ : أَنَّهُ قرأ في صلاةِ الفجرِ : { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ } [يوسف: ٨٦] وبكى حتَّى سُمِعَ نَشيجُهُ من آخرِ الصُّفوفِ [(٧٤٩)] .

وقد قال رضي الله عنه لمن يعبث في صلاته : لو خشع قلب هذا ؛ لخشعت جوارحه [(٧٥٠)] .

وكان رضي الله عنه إذا أبطأ عليه خبر الجيوش قنت [(٧٥١)] .

وكان يدعو للمجاهدين في صلاته ، ويقنت لذلك ، فعندما قاتل أهل الكتاب ؛ قنت عليهم في الصَّلَاة المكتوبة [(٧٥٢)] ، وكان رضي الله عنه يري الناس ، ونفسه على الاهتمام بأمر الصَّلَاة : فرائضها ، وسننها ، ويرشد الناس إلى السُّنَّة ، وينهاهم عن البدع ، فعندما تأخَّر رضي الله عنه في صلاة المغرب حتَّى طلع نجمان بسبب شغله ببعض الأمور ؛ أعتق رقبتين بعد الصَّلَاة [(٧٥٣)] ، وكان يرى الجمع بين صلاتين من غير عذرٍ من الكبائر ، وكان ينهى من يصلي بعد العصر [(٧٥٤)] ، وكان يؤثِّب من تأخَّر عن التقدُّم لصلاة الجمعة ، فعن سالم بن عبد الله ، وعن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهم . : أنَّ عمر بن الخطاب بينما هو قائمٌ في الخطبة يوم الجمعة ؛ إذ دخل رجلٌ من المهاجرين الأولين من أصحاب النَّبِيِّ (ص) ، فناده عمر : أيَّة ساعةٍ هذه ؟ قال : إنِّي شغلت ، فلم أنقلب إلى أهلي حتى سمعت التَّأذِينَ ، فلم أزد أن توضَّأت ، فقال : والوضوء أيضاً؟! وقد علمت : أنَّ رسول الله (ص) كان يأمر بالْعُسَل [(٧٥٥)] .

وكان رضي الله عنه يمنع رفع الأصوات في المسجد ، فعن السَّائب بن يزيد ، قال : كنت قائماً في المسجد ، فحصبني رجلٌ ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقال : اذهب فائتني بهذين ، فجئته بما ، قال : من أنتما ؟ أو : من أين أنتما ؟ قالوا : من أهل الطَّائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد ؛ لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله (ص) [(٧٥٦)] .

وكان رضي الله عنه يعظّم توجيهات رسول الله (ص) ؛ فعن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . قال : قال رسول الله (ص) : « إذا استأذنت أحدكم امرأته أن تأتي المسجد فلا يمنعها » قال : وكانت امرأة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . تصلي في المسجد ، فقال لها : إنَّك لتعلمين ما أحبُّ . فقالت : والله لا أنتهي حتى تنهاني ! قال : فطعنَ عمر ، وإمَّا لفي المسجد [(٧٥٧)] .

فهذا الخبر يدلُّ على تعظيم أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . لأمر الشريعة ووقوفه عند كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) حيث قدّم تنفيذ ذلك على ما تحبُّه نفسه [(٧٥٨)] .

وكان رضي الله عنه يحبُّ الصَّلَاة في كبد الليل . يعني : وسط الليل . وكان يصلي ما شاء الله حتَّى إذا كان من آخر الليل ؛ أيقظ أهله ، ويقول : الصَّلَاة ! الصَّلَاة ! ويتلو هذه الآية { وَأُمِرُّ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * } [طه : ١٣٢] [(٧٥٩)] ، وقد قام ذات ليلة ، فغشيه همٌّ عظيمٌ من تفكيره في أمور النَّاس ، فما استطاع أن يصلي ، وما استطاع أن يرقد ، فقد

قال : فوالله ما أستطيع أن أصلي ، ولا أستطيع أن أرقد ! وإني لأفتتح السورة فما أدري أي أولها أنا ، أم في آخرها ، فلما سئل : ولم يا أمير المؤمنين ؟ قال : من همي بالناس [(٧٦٠)] .

وكان يعوض ما فاتته من قيام بالليل بالنهار ، فقد روى رضي الله عنه عن النبي (ص) قال : « مَنْ نام عن حزيه ، أو عن شيءٍ منه ، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ؛ كتب له كأنما قرأه من الليل » [(٧٦١)] . وكان رضي الله عنه يتمي أن يكون مؤذناً ، فقد قال : لو كنت أطيق الأذان مع الخلافة ؛ لأذنت [(٧٦٢)] . وكان كثير الدعاء ، والتضرع لله . عز وجل . ومن أدعيته ، وأقواله في شأن الدعاء : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً [(٧٦٣)] ! ومن دعائه أيضاً : اللهم إن كنت كتبتني شقيئاً فاحني ، واكتبني سعيداً ! فإنك تحو ما تشاء ، وتثبت [(٧٦٤)] .

وكان يقول : إني لا أحمل هم الإجابة ، وإنما أحمل هم الدعاء ، فإذا أُلهمت الدعاء ؛ فإن الإجابة معه [(٧٦٥)] ، وكان يحث الناس على الاقتراب من المطيعين ، ويقول : اقتربوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنهم تتجلى لهم أمورٌ صادقةٌ [(٧٦٦)] .

وكان عمر - رضي الله عنه - يحب التذكير بالله ، فقد كان يقول لأبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - : يا أبا موسى ! ذكرنا ربنا . فيقرأ ، ويستمع عمر ، ومن معه ، فيكون [(٧٦٧)] .

وكان يحب الجلوس مع أهل الذكر ، فعن أبي سعيد مولى أبي أسيد قال : كان عمر يعسر في المسجد بعد العشاء ، فلا يرى فيه أحداً إلا أخرجه ، إلا رجلاً قائماً يصلي ، فمر بنفرٍ من أصحاب رسول الله (ص) فيهم أبي بن كعب ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قال : نفرٌ من أهلك يا أمير المؤمنين ! قال : ما خلفكم بعد الصلاة ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . فجلس معهم ، ثم قال لأدناهم : خذ في الدعاء ، فدعا ، فاستقرأهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إليّ ، وأنا بجانبه ، فقال : هات ! فحُصرتُ ، وأخذني أفكلاً [(٧٦٨)] ، فقال : قل ، ولو أن تقول : اللهم اغفر لنا ! اللهم ارحمنا ! قال : ثم أخذ عمر في الدعاء ، فما كان أحدٌ أكثر دمعاً ، ولا أشد بكاءً منه ، ثم قال : تفرّقوا الان [(٧٦٩)] .

. التراويح :

أول من جمع الناس على صلاة التراويح هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكتب بذلك إلى البلدان ، وسبب ذلك : أن الفاروق خرج في ليلةٍ من ليالي رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعٌ [(٧٧٠)] متفرّقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل ، فيصلته بصلاته الرهط . فقال عمر : إني أرى لو

جمعت هؤلاء على قارأيٍ واحدٍ ؛ لكان أمثل . ثمَّ عزم ، فجمعهم على أبي بن كعبٍ ، قال الرّواي عبد الرحمن بن عبد القاري : ثم خرجت معه ليلةً أخرى ، والنّاس يصلّون بصلاة قارئهم ، قال عمر : نعم البدعة هذه ، وأتني ينامون عنها أفضل من التي يقومون . يريد آخر الليل . وكان النّاس يقومون أوّله [(٧٧١)] ، ولا يتوهّم متوهّم : أنّ التّراويح من وضع عمر ، ولا أنّه أوّل من وضعها ، بل كانت موضوعةً من زمن النّبّي (ص) ، ولكن عمر - رضي الله عنه -

أوّل من جمع النّاس على قارأيٍ واحدٍ فيها ، فإنّهم كانوا يصلّون لأنفسهم ، فجمعهم على قارأيٍ واحدٍ [(٧٧٢)] ، وأمّا دليل أصلها من هدي النّبّي (ص) ، فقد كان (ص) يحثّ النّاس على قيام شهر رمضان ، فقد قال : « مَنْ قام رمضان إيماناً ، واحتساباً ؛ عُفِر له ما تقدّم من ذنبه » [(٧٧٣)] .

وعن عروة بن الرّبير : أنّ عائشة - رضي الله عنها - أخبرته : أنّ رسول الله (ص) خرج ليلة من جوف الليل ، فصلّى في المسجد ، وصلّى رجالٌ بصلاته ، فأصبح النّاس فتحدّثوا ، فاجتمع أكثر منهم ، فصلّى فصلّوا معه ، فأصبح النّاس فتحدّثوا فكثرت أهل المسجد من اللّيلة الثالثة ، فخرج رسول الله (ص) فصلّى فصلّوا بصلاته ، فلمّا كانت اللّيلة الرّابعة عجز المسجد عن أهله ؛ حتّى خرج لصلاة الصّبح ، فلمّا قضى الفجر أقبل على النّاس فتشّهّد ، ثمّ قال : « أمّا بعد فإنّه لم يخف عليّ مكائكم ، ولكيّي خشيت أن تفرض عليكم ، فتعجزوا عنها » . فتوفي رسول الله (ص) والأمر على ذلك [(٧٧٤)] ، وأمّا قول عمر بن الخطّاب : نعم البدعة هذه ، إمّا سمّاها بدعةً ، فإنّما ذلك لأنّه بدعةٌ في اللّغة ؛ إذ كلُّ أمرٍ فُعلَ على غير مثالٍ متقدّمٍ يسمّى في اللّغة بدعةً [(٧٧٥)] ، وما فعله الفاروق من جمع النّاس على إمامٍ في صلاة التّراويح ، وتعميم ذلك في الولايات يدلُّ على حبّه ، وولعه بالنّظام .

. الزّكاة ، والحجّ ، ورمضان :

اهتمّ الفاروق بالزّكاة ، ونظم هذه الفريضة ، وأصبحت من ضمن مصادر دخل الدّولة ، وسنتحدث عن هذه الفريضة عند حديثنا عن المؤسّسة الماليّة بإذن الله تعالى . وأمّا الحجّ ؛ فقد كان يحجّ بالنّاس خلال فترة خلافته . وقيل : حجّ عشر سنين ؛ أي فترة خلافته كلّها . وقيل : تسع سنين منها [(٧٧٦)] .

ومن واجبات الخليفة أو الولاة الذين ينوبون عنه في الولايات أمورٌ ، منها :

. إشعار النّاس بأوقات الحجّ ، والخروج إلى المشاعر .

. ترتيبهم للمناسك وفق الشّرع .

. تقديره للمواقف بمقامه فيها .

. اتّباعه في الأركان المشروعة .

. إمامتهم في الصلوات ، وإقائه الخطب المشروعة [(٧٧٧)] .

وكان رضي الله عنه يحثُّ النَّاسَ على الحجِّ ويأمرهم بذلك حتَّى قال : لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار ، فينظروا إلى كلِّ من كان عنده جِدَّةٌ . أي : سَعَةٌ . فلم يحجِّ ، فيضربوا عليهم الجزية [(٧٧٨)] ، وكان . رضي الله عنه . قد اجتهد بحيث يكون البيت معموراً في غير أشهر الحجِّ ، فقد كان النَّاسُ في عهد أبي بكرٍ ، وعمر يقتصرون على العمرة في أشهر الحجِّ ، ويتركون سائر الأشهر ، لا يعتمرون فيها من أمصارهم ، فصار البيت يعرى عن العمَّار من أهل الأمصار سائر الحول ، فأمرهم عمر بن الخطَّاب بما هو أكمل لهم بأن يعتمروا في غير أشهر الحجِّ ، فيصير البيت مقصوداً معموراً في أشهر الحجِّ ، وغير أشهر الحجِّ ، وهذا الذي اختاره لهم عمر هو الأفضل ، حتَّى عند القائلين بأن التَّمَنُّعَ أفضل من الأفراد والقران كالإمام أحمد ، وغيره [(٧٧٩)] ، وقد ثبت عنه بأنَّه : كان يتصدَّق كلَّ عامٍ بكسوة الكعبة ، ويقسمها بين الحجَّاج [(٧٨٠)] .

وأما الصِّيَامُ ؛ فقد سار فيه على نهج رسول الله (ص) ، وقد ثبت عنه : أنَّه أفطر في يوم غيمٍ ثمَّ طلعت الشمس فقال عمر . رضي الله عنه . : الخطب يسير ، وقد اجتهدنا [(٧٨١)] ، وعندما بلغ عمر : أنَّ رجلاً يصوم الدهر ؛ أتاه ، فعلاه بالدِّرَّةِ ، وجعل يقول : كل يا دهري [(٧٨٢)] ! فقد كان رضي الله عنه كثير التَّعبُّد والاجتهاد في الطَّاعات ، فإنَّه كان من الصَّلَاة إلى الغاية القصوى ، والصَّوم أخذ منه غايته ، وخصوصاً في آخر عمره ، والصدقة أكثر منها ، والحجُّ كان لما وليَّ الخلافة يحجُّ كلَّ عام ، والجهاد غزا مع النَّبي (ص) جميع المشاهد ، وغزا بعده ، وجميع ما وقع في خلافته من الغزوات ، والفتوحات ، فله أجره ؛ لأنَّه سببه [(٧٨٣)] ، وكان من أهل الذِّكر ، فقد قال رضي الله عنه : عليكم بذكر الله ، فإنَّه شفاءٌ ، وإيَّاكم وذكر النَّاسِ ، فإنَّه داءٌ [(٧٨٤)] . وكان يقول : خذوا بحظِّكم من العزلة [(٧٨٥)] .

٣ . اهتمامه بالأسواق والتَّجارة :

حرص الفاروق على تفقُّد أحوال المتعاملين في السُّوق ، وحملهم على التَّعامل بالشرع الحنيف ، وكان يوليُّ غيره على أمر السوق ، فقد وليَّ عمر السائب بن يزيد . رضي الله عنه . سوق المدينة ، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وغيرهم [(٧٨٦)] ، ويلاحظ الباحث : أنَّ نظام الحِسْبَةِ في

الدولة الإسلامية نشأ طبقاً لقواعد الشريعة الإسلامية ، وتطوّر مع تطوّر المجتمع الإسلامي ، حتى أصبح ولايةً من ولايات الإسلام ، لها شروطٌ يتعيّن توافرها في متولّيها ، وشروطٌ فيمن يحتسب عليه ، وشروطٌ في الأعمال التي يحتسب فيها [(٧٨٧)] .

وقد ثبت : أنّ الفاروق . رضي الله عنه . كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السُّوق ، فقد كان يطوف في الأسواق حاملاً دِرّته معه ، يؤدّب بها من راه مستحقاً لذلك ، فعن أنس بن مالك . رضي الله عنه . قال : رأيت على عمر . رضي الله عنه . إزاراً فيه أربع عشرة رقعةً ؛ إنّ بعضها لأدم ، وما عليه قميص ، ولا رداءً ، معتمٌ ، معه الدرّة ، يطوف في سوق المدينة [(٧٨٨)] . ونقل الحافظ الذهبي عن قتادة قوله : كان عمر . رضي الله عنه . يلبس . وهو خليفة . جبّةً من صوف مرقوعاً بعضها بأدم ، ويطوف في الأسواق ، على عاتقه درّةً يؤدّب النَّاس بها [(٧٨٩)] .

ومن احتسابه في مجال السُّوق ما رواه الإمام مسلمٌ عن مالك بن أوس بن الحدثان : أنّه قال : أقبلت أقول : مَنْ يصطرف الدرّاهم [(٧٩٠)] ؟ فقال طلحة بن عبيد الله . رضي الله عنه .: وهو عند عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . أرنا ذهبك ، ثمّ اتنا إذا جاء خدمنا ، نعطك وركك [(٧٩١)] ، فقال عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . : كلا ، والله لتعطينه ورقه ، أو لتردّن إلية ذهبه ! فإنّ رسول الله (ص) قال : « الورق بالورق رباً إلا هاء ، وهاء [(٧٩٢)] ، والذهب بالذهب رباً إلا هاء ، وهاء ، والبرُّ بالبرِّ رباً إلا هاء ، وهاء ، والشّعير بالشّعير رباً إلا هاء وهاء ، والتّمر بالتّمر رباً إلا هاء ، وهاء » [(٧٩٣)] .

ومن احتسابه في مجال السُّوق أيضاً : أنّه رأى رجلاً قد شاب اللبن بالماء للبيع ، فأراقه [(٧٩٤)] . وكان رضي الله عنه يمنع الاحتكار في أسواق المسلمين ، فقد سأل عمر حاطب بن أبي بلتعة : كيف تبع يا حاطب ؟! فقال : مدين بدرهم . فقال : تبتاعون بأبوابنا ، وأفئتنا ، وأسواقنا ، تقطعون في رقابنا ، ثمّ تبعون كيف شئتم ، بع صاعاً . والصّاع أربعة أمداد . وإلا فلا تبع في سوقنا ، وإلا فسيروا في الأرض ، واجلبوا ، ثمّ بيعوا كيف شئتم [(٧٩٥)] .

وخرج مرّةً إلى السُّوق ، فرأى ناساً يحتكرون بفضل أذاهم [(٧٩٦)] . فقال عمر : لا ونعمة عين ! يأتينا الله بالرزق ؛ حتّى إذا نزل في سوقنا ؛ قام أقوامٌ فاحتكروا بفضل أذاهم عن الأرملة ، والمسكين ، حتّى إذا خرج الجلاب ، باعوا على نحو ما يريدون من التحكّم ؟ ولكن أيّما جالبٌ جلب بجملٍ على عموده كتده في الشّتاء ، والصّيف حتّى ينزل سوقنا ؛ فذلك ضيف عمر ، فليعه كيف شاء ، وليمسك

كيف شاء . وعن مسلم بن جندب قال : قدم المدينة طعامً ، فخرج أهل السُّوق إليه ، فابتاعوه ، فقال لهم عمر : أي أسواقنا تتجرون ؟ أشركوا الناس ، أو اخرجوا ، فاشترى ، ثم اتوا فبيعوا [(٧٩٧)] .
وعمر - رضي الله عنه - لا يقصر الاحتكار على أقوات النَّاس ، والبهائم ، ولكنه يجعله عامًّا في كل ما يضرُّ بالنَّاس فقدُّه ، فقد روى مالكٌ في الموطأ : أنَّ عمر بن الخطاب قال : لا حكرة في سوقنا ، ولا يعمد رجال بأيديهم فضول أذهب إلى رزق الله نزل بساحتنا ، فيحتكرون علينا ، ولكن أيُّما جالب جلب على عمود كتده في الشِّتاء والصِّيف ، فذلك ضيف عمر ، فليبع كيف شاء ، وليمسك كيف شاء [(٧٩٨)] .

وتفيد النُّصوص التي ذكرت : أنَّ الغاية من الاحتكار هي التحكُّم في الأسعار ، ممَّا يؤثِّر على الفقير ، والأرملة ، واليتيم ، وهذا واضحٌ من قول عمر لحاطب بن أبي بلتعة - وكان يبيع مدَّين بدرهمٍ -: تبتاعون بأبوابنا ، وأفئتنا ، وأسواقنا تقطعون في رقابنا ، ثمَّ تبيعون كيف شئتم !! بع صاعاً - والصَّاع أربعة أمداد - وقوله لأهل السُّوق الذين يحتكرون : يأتينا الله بالرزق ، حتَّى إذا نزل بسوقنا ؛ قام أقوامٌ فاحتكروا بفضل أذهابهم على الأرملة ، والمسكين ، حتَّى إذا خرج الجلاب باعوا على نحو ما يريدون من التحكُّم . فأنكر ذلك عليهم أشدَّ إنكارٍ [(٧٩٩)] .

وكان رضي الله عنه يتدخل لفرض السِّعر المناسب للسِّلَع الصَّروية عندما تدعو الحاجة إلى هذا التدخل حمايةً للمستهلكين ، وللشُّجار ، فقد جاء رجلٌ بزيِّتٍ فوضعه في السُّوق ، وجعل يبيع بغير سعر النَّاس ، فقال له عمر : إمَّا أن تبيع بسعر السُّوق ، وإمَّا أن ترحل عن سوقنا ، فإنَّنا لا نجبرك على سعرٍ . فنحاه عنهم [(٨٠٠)] .
- إلزام التُّجار بمعرفة الحلال والحرام في البيوع :

كان الفاروق - رضي الله عنه - يضرب بالدِّرة مَنْ يقعد في السُّوق ، وهو لا يعرف الأحكام ، ويقول : لا يقعد في سوقنا مَنْ لا يعرف الرِّبا [(٨٠١)] ، وكان يطوف بالأسواق ، ويضرب بعض التُّجار بالدِّرة ، ويقول : لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه ، وإلا أكل الرِّبا شاء ، أو أبي [(٨٠٢)] . فكلُّ شؤن الحكم كانت محلَّ اهتمام عمر ، لا يطغى جانبٌ على جانبٍ ، فلا يحتلُّ الحال بين يدي الحاكم ، إنَّه يقعد للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق ، وتنظِّم التَّداول ، وتضمن الثَّبات ، والاستقرار ، فلا غبن ، ولا غشٍّ ، ولا احتكار ، ولا أسواق سوداء ، أو زرقاء ، ولا جهل بما يجوز ، وما لا يجوز في عالم التجارة ،

يُصدر قراراً موجزاً شاملاً يقضي على كلِّ المفسد ، ويضبط كلَّ شيء : من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا [(٨٠٣)] .

وهذا يشبه صدور قانون من قوانين اليوم ، يقول مثلاً : لا يزاول العمل الفلاني من لم يكن حاصلًا على إجازة كذا ، وكذا في علم من العلوم [(٨٠٤)] ، وتُعنى دول اليوم بتنظيم الأسواق ، والإشراف عليها ، وتقوم الغرف التجاريَّة ، أو ما يقوم مقامها على ترشيد ، وإصلاح ، وضبط كلِّ ما من شأنه ضبط الأسواق ، وراحة الجمهور .

وكان لعمر - رضي الله عنه - فضل السَّبَق في ذلك ، فلم يترك الأمر فوضى في الأسواق ، ولكن أقام عليها مشرفين يراقبون ، وينظِّمون ، ويحافظون ، فقد استعمل سليمان بن حثمة على الأسواق ، كما كان السائب بن يزيد عاملاً له على سوق المدينة مع عبد الله بن عتبة بن مسعود ، فهناك مشرفٌ عامٌّ على الأسواق ، ومشرفون على كلِّ سوقٍ على حدة يعملون تحت إمرته ، ومن المقطوع بنفعه : أنَّ العناية بالأسواق تنظيمًا ، وتيسيرًا لها دخلٌ كبيرٌ في إراحة النَّاسِ من كثيرٍ من العناء في الحصول على حاجاتهم ، فإذا اهتمَّ الحاكم بهذه الناحية الاهتمام الَّذي يستحقُّه كان له من الله الأجر .

وأثبتت تصرُّفات عمر - رضي الله عنه - السليمة ، الصَّحيحة ، العمليَّة ، الدَّقِيقة : أنَّ الإسلام صالحٌ لكلِّ عصرٍ ، وفي كلِّ مكانٍ في جميع أنحاء العالم ، يدفع الأمم المتأخِّرة إلى التقدُّم ، ويحفظ الأمم المتقدِّمة من التدهور والانهيار ، لا يسدُّ الطريق على من يريد التقدُّم أن يتقدم ، ولا يترك الغافل في سباته العميق [(٨٠٥)] .

. أمره النَّاس بالسَّعي وحثُّهم على التَّكسُّب :

كان عمر - رضي الله عنه - يحثُّ النَّاس على السَّعي ، وكسب لقمة العيش ، فعن محمَّد بن سيرين ، عن أبيه ، قال : شهدت مع عمر بن الخطَّاب المغرب فأتى عليّ ، ومعِي رُزْمَةٌ [(٨٠٦)] فقال : ما هذا معك ؟ فقلت : رُزْمَةٌ أقوم في هذا السوق ، فأشترى ، وأبيع ، فقال : يا معشر قريش ! لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التَّجارة ، فإنَّها ثلث الإمارة . وروي أيضاً عن الحسن ، قال : قال عمر : مَنْ اتَّجَرَ في شيء ثلاث مرَّات ، فلم يصب منه شيئاً ، فليتحوَّل إلى غيره [(٨٠٧)] . وقال عمر : تعلَّموا المهنة ، فإنَّه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنةٍ [(٨٠٨)] .

وقال : لولا هذه البيوع ؛ صرتم عائلةً على النَّاس [(٨٠٩)] .

وقال : مكسبةٌ فيها بعض دناءةٍ خير من مسألة الناس [(٨١٠)]. وقال : إذا اشترى أحدكم جملاً ؛ فليشتره عظيماً سميناً ، فإن أخطأه خيره ؛ لم يخطئه سوقه . وقال : يا معشر الفقراء ! ارفعوا رؤوسكم ، وأجبروا ، فقد وضح الطريق ، ولا تكونوا عيالاً على الناس [(٨١١)] .

وقال : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقني ! وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ، ولا فضةً . وإن الله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض ، وتلا قول الله تعالى : { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * } [الجمعة: ١٠] [(٨١٢)].

وكان رضي الله عنه إذا رأى غلاماً ، فأعجبه سأل : هل له حرفة ؟ فإن قيل : لا ؛ قال : سقط من عيني [(٨١٣)] .

وقال : ما جاءني أجلي في مكانٍ ما عدا الجهاد في سبيل الله أحبُّ إليَّ من أن يأتيني وأنا بين شعبي رحلي ، أطلب من فضل الله ، وتلا : { وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ } [المزمل: ٢٠] [(٨١٤)] .

. خشية عمر من ترك أعيان المسلمين للتجارة :

دخل عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . السوق في خلافته فلم ير فيه في الغالب إلا النبط ، فاغتم لذلك ، فلما أن اجتمع الناس ؛ أخبرهم بذلك ، وعذلهم [(٨١٥)] في ترك السوق فقالوا : إن الله أغنانا عن السوق بما فتح به علينا ، فقال . رضي الله عنه . : والله لئن فعلتم ليحتاج رجالكم إلى رجالهم ، ونساؤكم إلى نسائهم [(٨١٦)] ، فقد كان رضي الله عنه ينظر بتوجُّسٍ ، وخشيةٍ إلى تقاعس أعيان المسلمين . من غير المجاهدين . عن التجارة ، والسعي في طلب الرزق [(٨١٧)] .

٤ . الدوريات العمرية الليلية (العسس) :

ومما لا شك فيه : أن (العسس) كان نواة الشرطة ، فقد ذكر بعض المؤرخين : أن عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . كان أميراً على العسس في عهد أبي بكرٍ ، وأن عمر بن الخطاب تولى هو نفسه العسس ، وكان يستصحب معه أسلم موله ، وربما استصحب عبد الرحمن بن عوف . والعسس : هو الطواف بالليل لتتبع اللصوص ، وطلب أهل الفساد ، ومن يُخشى شرهم . ومن الحق أن نعدّه الخطوة الأولى في تنظيم مؤسسة الشرطة ؛ لأن المؤمنين كانوا يتولون حراسة أنفسهم ، ومنع المنكر من بينهم في النهار ، حتى إذا ناموا ؛ تولى السهر عنهم رجال العسس ، ثم لما تكاثر المفسدون ، وتظاهروا بالمنكر في

وضح النهار ؛ أحوج الأمر إلى من يترصدهم نهاراً أيضاً ، فأنشئت الشرطة .. فالشرطة إذاً (عَسَسَ)
دائمٌ) إذا صح هذا التعبير [(٨١٨)] .

كان الفاروق . رضي الله عنه . يقوم بنفسه على حراسة المسلمين ، وقد ساعده ذلك على الإمام بواقع
المجتمع الإسلامي ، ففي مدينة رسول الله (ص) . وهي يومئذٍ عاصمة الدولة الإسلامية الكبرى ،
وملتقى البشر ، ومقر الحكم . كان يسعى في دروبها ليلاً ؛ ليرى بنفسه ، ويسمع ما قد يتردد عماله في
أن يحملوه إليه ، أو يفوت عليهم ما يحملوه إليه ، وكم وضع من القواعد ، وكم عدل من القواعد ، التي
وجد : أن الواقع يفرض عليه وضعها ، أو يفرض عليه

تعديلها ، وإلغاءها ، وإليك بعض الأمثلة الدالة على ما ذهب إليه [(٨١٩)] :
- النهي عن تعجيل فطام الصبيان :

عن أسلم مولى عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . قال : قدم المدينة رفقةً من تجار ، فنزلوا المصلّى ،
فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف : هل لك أن نحرسهم الليلة ؟ قال : نعم . فباتا يجرسانهم ، ويصليان
، فسمع عمر بكاء صبي فتوجّه نحوه ، فقال لأمه : اتقي الله ، وأحسني إلى صبيك ، ثم عاد إلى مكانه
، فلما كان آخر الليل ، سمع بكاء الصبي ، فأتى أمه فقال لها : ويحك ! إنك أمٌ سوء ، مالي أرى ابنك
لا يقر منذ الليلة من البكاء ؟ فقالت : يا عبد الله ! إنني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك . قال : ولم ؟
قالت : لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم . وكان عمر قد فرض لكل مفطوم رزقاً ، أو عطاء . قال : وكم
عمر ابنك هذا ؟ قالت : كذا ، وكذا شهراً ، فقال : ويحك لا تعجله عن الفطام ، فلما صلى الصبح
، وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء ، قال : يؤساً لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ! ثم أمر
مناديه فنادى : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام ، وكتب بذلك إلى
الافاق [(٨٢٠)] .

ما أجملها من حادثة ! وما أعظمها من عدالة ! وبذلك أصبح كل مولود مسجلاً في ديوان العطاء
ويُفرض له من بيت مال المسلمين ، لأن بيت المال حق لكل مسلم ، ولأن المسؤول عنه إنما هو أمين ،
وقائم عليه ، لا يجوز له أن يصرف منه شيئاً في غير محله ، ولا أن يمنع منه حقاً وجب فيه .

- تحديد مدة غياب الجنود عن زوجاتهم :

ومن ثمار عسس عمر . رضي الله عنه . : أنه خرج ذات ليلة يطوف في المدينة ، فسمع امرأة تقول في
صديقٍ شديد :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ تَسْرِي كَوَاكِبِهِ وَأَرْقَنِي [(٨٢١)] أَلَا ضَجِيعٌ أَلَاعِبُهَا لَاعِبُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا كَأَمَّا

بَدَا قَمْرًا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَاجِبُهُ سُرٌّ بِهِ مَنْ كَانَ يَلْهُو بِقُرْبِهِ لَطِيفُ الْحَشَا

لَا بَجْتَوِيهِ [(٨٢٢)] أَقَارِئُهُمُ وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَا شَيْءٌ غَيْرُهُ لِنُقُضَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ

وَلَكِنِّي أَحْسَى رَقِيبًا مُوَكَّلًا بِأَنْفُسِنَا لَا يَفْتُرُ الدَّهْرُ كَاتِبَهُ [(٨٢٣)] فَقَالَ عُمَرُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ

! ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا بِكَسْوَةٍ ، وَنَفَقَةٍ ، وَكُتِبَ فِي أَنْ يَقْدَمَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا [(٨٢٤)] ، وَجَاءَ فِي رِوَايَةٍ : ثُمَّ خَرَجَ

، فَضْرَبَ الْبَابَ عَلَى حَفْصَةَ ابْنَتِهِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! مَا جَاءَ بِكَ فِي هَذِهِ

السَّاعَةِ ؟ فَقَالَ : أَيُّ بَنِيَّةٍ ! كَمْ صَبَرَ الْمَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا ؟ قَالَتْ : تَصْبِرُ الشَّهْرَ ، وَالشَّهْرَيْنِ ، وَالثَّلَاثَةَ ،

وَفِي أَرْبَعَةٍ يَنْفَدُ الصَّبْرُ . فَكُتِبَ عُمَرُ أَلَّا تَحْبَسَ الْجِيُوشَ فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ [(٨٢٥)] . فَهَذِهِ سِيَاسَةُ عُمَرَ

فِي تَحْدِيدِ مَدَّةِ غِيَابِ الْجُنْدِيِّ عَنِ زَوْجَتِهِ ، وَلَمْ يَخَالَفْ عُمَرَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فِي ذَلِكَ مَخَالِفٌ [(٨٢٦)] .

وَأَمَّا الْجُنُودُ الَّذِينَ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِالْمَدَّةِ ؛ فَقَدْ وَضَعَ لَهُمُ الْفَارُوقُ نِظَامًا قَبْلَ تَحْدِيدِ مَدَّةِ الْغِيَابِ ، فَبَعْدَ أَنْ

عَرَفَ عِدَدَ الْغَائِبِينَ غَيْبَةً طَوِيلَةً ، وَالَّذِينَ لَمْ يَنْفَقُوا عَلَى زَوْجَاتِهِمْ فِي غِيَابِهِمْ ، لَمَّا عَرَفَ بِأَسْمَائِهِمْ كُتِبَ إِلَى

أَمْرَاءِ الْجِيُوشِ أَنْ يَطْلُبُوا هَؤُلَاءِ ، وَيَعْرِضُوا عَلَيْهِمُ الْإِتِي : إِمَّا أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى نِسَائِهِمْ ، وَإِمَّا أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْهِنَّ

بِنَفَقَةٍ كَافِيَةٍ ، وَإِمَّا أَنْ يَطْلُقُوا ، وَإِذَا طَلَقُوا ؛ أَلْزَمُوا بِبَيْعِ نَفَقَةٍ مَا مَضَى [(٨٢٧)] .

. حِمَايَةُ أَعْرَاضِ الْمُجَاهِدِينَ :

وَمِنْ ثَمَارِ تَفَقُّدِهِ لِأَحْوَالِ الرِّعْيَةِ حِمَايَةَ أَعْرَاضِ الْمُجَاهِدِينَ ، فَقَدْ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ ، فَسَمِعَ

شِعْرًا فِيهِ رِيئَةٌ ، امْرَأَةٌ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ تَتَمَنَّى الْوَصُولَ إِلَى شَرْبَةِ خَمْرٍ ، وَالْقُرْبَ مِنْ شَابٍ طَالَمَا تَمَنَّتَهُ ، سِوَاءِ

أَكَانَ التَّمَنَّى حَقًّا ، أَمْ كَانَ تَعَزُّلًا فَقَطْ دُونَ قَصْدِ شَيْءٍ ، فَظَاهَرَ مَا قَالَتِ الرِّبِيَّةُ ، فَقَدْ تَغَنَّتْ بِالْبَيْتِ

التَّالِي :

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى خَمْرٍ فَأَشْرَبَهَا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ سَمِعَ هَذَا عُمَرَ ، فَأَصْبَحَ ،

وَطَلَبَ نَصْرَ بْنَ حَجَّاجٍ ، وَإِذَا هُوَ أَصْبَحَ النَّاسَ وَجْهًا ، وَأَحْسَنَهُمْ شِعْرًا ، فَأَمَرَهُ بِجَلْقِ شَعْرِهِ ، فَازْدَادَ

جَمَالًا ، فَأَمَرَهُ بِالْعِمَامَةِ فَازْدَادَ جَمَالًا ، فَنَفَاهُ إِلَى الْبَصْرَةِ [(٨٢٨)] ، خَشِيَةَ افْتِتَانِ النِّسَاءِ بِهِ ، وَسَدًّا

لِلذَّرِيعَةِ وَمَحَافِظَةً عَلَى أَعْرَاضِ الْجُنُودِ الْمُرَابِطِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَهَذَا الْفِعْلُ مِنْ عُمَرَ يَعْطِي لَنَا بَعْدًا فِي

سِيَاسَتِهِ الْعَامَّةِ ، وَحِكْمَتِهِ فِي تَقْدِيمِ الْمَصْلُحَةِ

الْعَامَّةِ ، فَفِي جَمَالِ نَصْرِ ، وَوُلُوعِهِ بِنَفْسِهِ ، وَغِيَابِ الْجُنُودِ عَنِ نِسَائِهِمْ ، وَتَوَفُّرِ الرَّاحَةِ ، وَالْأَمْنِ فِي

الْمَدِينَةِ ذَرِيعَةً إِلَى الْوُقُوعِ فِي الْفِتْنَةِ ، فَأُولَى بِهَذَا الشَّابِّ الْمَتَدَلِّلِ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى مَدِينَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ عَلَيْهِ يَكْتَسِبُ

خبرةً في القتال ، أو يستفيد مما يراه من بطولات ، وهم الرجال ، والبصرة . المدينة العسكريّة انذاك .
أضمنُ لعلاج مثل هذا الشاب [(٨٢٩)] .

وخشيت المرأة التي سمع منها عمر أن يبدر إليها بشيء ، فدست إليه أبياتاً تقول فيها :
قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي تُخْشَى بَوَادِرُهُ مَالِي وَلِلْحَمْرِ أَوْ نَصْرِ بْنِ حَجَّاجٍ إِنِّي عَنِيتُ أبا حَفْصِ بَعِيرِهِمَا
شُرْبِ الْحَلِيبِ وَطَرْفِ فَاتِرِ سَاجِيَانِ الْهُوَى زَمَهُ التَّقْوَى فَقَيَّدَهُ حَتَّى أَقَرَّ
بِالْجَامِ وَإِسْرَاجِلَا تَجْعَلِ الظَّنَّ حَقًّا لَا تُبَيِّنُهُ إِنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ الْحَائِفِ الرَّاجِي فَبَعثَ إِلَيْهَا
عمر . رضي الله عنه .: قد بلغني عنك خير ، إني لم أخرج من أجلك ، ولكي بلغني : أنه يدخل على
النساء ، فلست امنهن ، وبكى عمر ، وقال : الحمد لله الذي قيّد الهوى ، وقد أقرّ بالجام ،
وإسراج [(٨٣٠)] . ثم إن عمر كتب إلى عامله بالبصرة كتاباً ، فمكث الرسول عنده أياماً ، ثم نادى
مناديه ، ألا إن بريد المسلمين يريد أن يخرج ، فمن كانت له حاجة فليكتب ، فكتب نصر بن حجاج
كتاباً ، ودسه في الكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عمر أمير المؤمنين سلام الله عليك ، أما
بعد :

لَعَمْرِي لئن سَيَّرْتَنِي أَوْ فَضَحْتَنِي وَمَا نَلْتُهُ مِنِّي عَلَيْكَ حَرَامًا صَبَحْتُ مَنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ
وَقَدْ كَانَ لِي بِالْمَكْتَبَيْنِ مَقَامًا إِنَّ عَنَّتِ الزَّلْفَاءُ يَوْمًا مِمْنِيَّةٍ وَبَعْضُ أَمَايِ النِّسَاءِ
عَرَامُظْنَتِ بِي الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ بَقَاءٌ فَمَالِي فِي النَّدِيِّ كَلَامٌ مُمْنَعُنِي مِمَّا تَطْنُ تَكْرُمِي
وَأَبَاءُ صِدْقٍ سَالِفُونَ كِرَامٌ مُمْنَعُهَا مِمَّا تَطْنُ صَلَاتُهَا وَحَالٌ لَهَا فِي قَوْمِهَا
وَصِيَامُ فَهَذَانِ حَالَانَا فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعِي فَقَدْ جَبَّ مِنِّي كَاهِلٌ وَسَنَا مِامَ الْهُدَى لَا تَبْتَلِي الطَّرْدَ
مُسْلِمًا لَهُ حُرْمَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَزَمَامٌ فَقَالَ عمر : أمّا ولي سلطان ؛ فلا ، فما رجع إلى المدينة إلا بعد
وفاة عمر ، رضوان الله عليه [(٨٣١)] .

ووقعت قصة أخرى شبيهة بهذه ، واجهها الفاروق في طوافه بالليل أيضاً ، فبينما هو ذات ليلة يطوف
في المدينة ؛ إذ سمع نساءً يتحدثن ، ويتساءلن : أيُّ فتیان المدينة أصبح وجهاً ؟ فقالت إحداهن : أبو
ذؤيب . فطلبه عمر ، وإذا هو من أجمل الناس ، فقال له : أما إنك لذئبهن ، اذهب فلن تساكني أبداً
! فقال الفتى : أمّا إن كنت فاعلاً ؛ فألحقني بابن عمي نصر بن الحجاج ، وكان الاثنان من بني سليم ،
فألحقه بابن عمه [(٨٣٢)] .

وهذا الفعل العمري يفرضه واقع الأمة ، وينسجم مع شخصية الفاروق القويّة التي تستوعب طاقات الأفراد المتنوّعة ، وعهد الفاروق عهد تعبئةٍ ، وتحشيدٍ للجيش ، وإرسالها للقتال في سبيل الله لكلّ القادرين عليه ، فكيف يسمع عمر بهذين الشّابين في المدينة وليس هناك ما يمنعهما من القتال ، فأخراجهما من المدينة أولى من تصفيف الشّعر ، ومجالسة النّساء [(٨٣٣)] .
- أنت تحمل عتيّ وزري يوم القيامة :

عن أسلم مولى عمر - رضي الله عنه - قال : خرج عمر إلى حرّة واقم [(٨٣٤)] وأنا معه حتّى إذا كنا بصرار [(٨٣٥)] ، إذا نارٌ تورت - أي : تشعل - قال : يا أسلم ! إني أرى ها هنا ركباناً قصر بهم اللّيل ، والبرد ، انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتّى دنونا منهم ، فإذا بامرأةٍ معها صبيانٌ ، وقدرٍ منصوبه على نارٍ ، وصبيانها يتضاغون (أي : يتصايحون) فقال عمر : السّلام عليكم يا أهل الضوء ! وكره أن يقول : يا أصحاب النّار ! فقالت : وعليكم السّلام . فقال : أدنو ؟ فقالت : ادن بخيرٍ ، أو دع ، فدنا منها ، فقال : ما بالكم ؟ قالت : قصر بنا اللّيل ، والبرد . قال : وما بال هؤلاء الصّبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع ، قال : وأي شيء في هذا القدر ؟ قالت : ماءٌ أسكتهم به حتّى يناموا ، والله بيننا وبين عمر ، فقال : أي رحمك الله ! وما يدري عمر بكم ، قالت : يتولّى أمرنا ، ثمّ يغفل عنّا؟! فأقبل عليّ ، فقال : انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتّى أتينا دار الدّقيق ، فأخرج عدلاً من دقيقٍ ، وكبّة شحمٍ ، وقال : احمله عليّ ، قلت : أنا أحمله عنك ، قال : أنت تحمل وزري يوم القيامة ؟ لا أمّ لك ! فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه إليها نهرول ، فألقى ذلك عندها وأخرج من الدّقيق شيئاً ، فجعل يقول لها : ذري عليّ أنا أحرّ لك [(٨٣٦)] ، وجعل ينفخ تحت القدر ، فرأيت الدّخان يخرج من خلال لحيته حتّى طبخ لهم ، ثمّ أنزلها ، وقال : ابغيني شيئاً ، فأنته بصحفةٍ فأفرغها فيها ، فجعل يقول لها : أطعميهم وأنا

أسطح لهم - أي : أبسطه حتّى يبرد - فلم يزل حتّى شبعا ، وترك عندها فضل ذلك ، وقام ، وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيراً ، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين ، فيقول : قولي خيراً ، إذا جئت أمير المؤمنين ، وجدتنى هناك إن شاء الله ! ثمّ تنحى ناحيةً عنها ، ثمّ استقبلها فربض مريضاً ، فقلت له : لك شأن غير هذا ؟ فلا يكلمني ، حتّى رأيت الصّبية يصطرعون ، ثمّ ناموا ، وهدؤوا ، فقام يحمد الله ، ثمّ أقبل عليّ فقال : يا أسلم ! إن الجوع أسهرهم ، وأبكاهم ، فأحببت ألا أنصرف حتّى أرى ما رأيت [(٨٣٧)] .

وهذا حافظ إبراهيم يصوّر لنا هذا المشهد العظيم :

وَمَنْ رَأَهُ أَمَامَ الْقَدْرِ مُنْبَطِحاً [(٨٣٨)] وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُذَكِّيهِهَا [(٨٣٩)] وَقَدْ تَحَلَّلَ فِي

أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ مِنْهَا الدُّخَانُ وَقُوَّهُ [(٨٤٠)] غَابَ فِي فِيْهَارَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

حَالٍ تَرُوْعُ . لعمر الله . رَائِيْهَا يَسْتَقْبِلُ النَّارَ حَوْفَ النَّارِ فِيْ عَدِهِ وَالْعَيْنُ مِنْ حَشِيَّةِ

سَالَتْ مَا قِيَهَا [(٨٤١)] . يا أمير المؤمنين ! بشر صاحبك بغلام :

بينما عمر يعسُّ ذات ليلة ؛ إذ مرَّ برحبةٍ من رحاب المدينة فإذا هو بيت شعرٍ لم يكن بالأمس ، فدنا منه ، فسمع أنين امرأةٍ ، ورأى رجلاً قاعداً ، فدنا منه ، فسلم عليه ، ثمَّ قال : من أنت ؟ قال : رجل من أهل البادية جئت إلى أمير المؤمنين أصيب من فضله ، قال : ما هذا الصَّوت ؛ الذي أسمعُه في البيت ؟ قال : رحمك الله ، امضٍ لحاجتك ، قال : عليّ ذاك ؛ ما هو ؟ قال : امرأة تمخض ، قال : هل عندها أحدٌ ؟ قال : لا ! فانطلق حتَّى أتى منزله ، فقال لامرأته أمّ كلثوم بنت عليٍّ : هل لك في أجرٍ ساقه الله إليك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : امرأةٌ غريبةٌ تمخض ، ليس عندها أحدٌ . قالت : نعم ، إن شئت ؟ قال : فخذني معك ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق ، والدُّهن ، وجيئي ببرمةٍ (أي : قدر) وشحمٍ ، وحبوبٍ . فجاءت به ، فقال : انطلقني ، وحمل البرمة ، ومشيت خلفه حتَّى انتهى إلى البيت ، فقال لها : ادخلي إلى المرأة ، وجاء حتَّى قعد إلى الرَّجُل فقال له : أوقد لي ناراً ، ففعل ، فأوقد تحت البرمة حتَّى أنضجها ، وولدت المرأة ، فقالت امرأته : يا أمير المؤمنين ! بشر صاحبك بغلام .

فلمَّا سمع الأعرابيُّ بأمر المؤمنين ، كأنَّه هابه ، فجعل يتنحَّى عنه ، فقال له : مكانك كما أنت ، فحمل البرمة ، فوضعها على الباب ، ثمَّ قال : أشبعيها ، ففعلت ثمَّ أخرجت البرمة فوضعتها على الباب ، فقام عمر ، فأخذها ، فوضعها بين يدي الرَّجُل ، وقال : كل ، ويحك ! فإنَّك قد سهرت من الليل . وقال لامرأته : اخرجي ، وقال للرَّجُل : إذا كان غداً فائتينا نأمر لك بما يصلحك . فلمَّا أصبح ؛ أتاه ، ففرض لابنه في الدُّرِّيَّة ، وأعطاه [(٨٤٢)] .

. والله ما كنت لأطيعه في الملاء ، وأعصيه في الخلا :

عن أسلم مولى عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . قال : بينما أنا مع عمر بن الخطَّاب ، وهو يعسُّ بالمدينة ؛ إذ عيبي ، فاتكأ على جانب جدارٍ في جوف اللَّيْلِ ، وإذا امرأةٌ تقول لابنتها : يا بنتاه ! قومي إلى ذلك اللَّبَن ، فامدقيه [(٨٤٣)] بالماء ، قالت : يا أمَّاه ! أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين ؟ قالت : وما كان عزمته ؟ قالت : إنَّه أمر مناديه ، فنادى : لا يشاب اللَّبَن بالماء ، فقالت لها

: يا بنية ! قومي إلى اللبن فامدقيه بالماء ، فإنك بموضع لا يراك عُمرُ ، ولا منادي عمر ، فقالت الصبية : والله ما كنت لأطيعه في الملاء ، وأعصيه في الخلا ! وعمر يسمع كل ذلك ، فقال : يا أسلم ! علم الباب ، واعرف الموضع ، ثم مضى في عسسه ، فلمّا أصبح قال : يا أسلم ! امض إلى الموضع فانظر من القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهم من بعلٍ ؟ فأتيثُ الموضع ، فنظرت ، فإذا الجارية أيمٌ لا بعل لها ، وإذا تيك أمها ، وإذا ليس لها رجلٌ ، فأتيت عمر ، فأخبرته ، فدعا ولده ، فجمعهم ، فقال : هل فيكم من يحتاج إلى امرأةٍ ، فأزوجه ؟ ولو كان بأيكم حركةً إلى النساء ما سبقه منكم أحدٌ إلى هذه الجارية ، فقال عبد الله : لي زوجة ، وقال عبد الرحمن : لي زوجة ، وقال عاصمٌ : يا أبتاه لا زوجة لي ، فزوجني ، فبعث إلى الجارية ، فزوجها من عاصم ، فولدت له بنتاً ، وولدت البنت بنتاً ، وولدت البنت عمر بن العزيز رحمه الله تعالى [(٨٤٤)] .

قال ابن عبد الهادي : قال بعضهم : هكذا وقع في روايةٍ ، وهو غلطٌ ، وإنما الصواب : فولدت لعاصم بنتاً ، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رحمه الله [(٨٤٥)] .

وهكذا كان عمر - رضي الله عنه - يتفقد الرعية بنفسه ، ويعسُ في الليالي ، ويقوم بواجبه نحو رعيته محتسباً عند الله تعالى أجره ، ولم يكن رضي الله عنه في حرصه على الإمام بواقع دولته يقتصر على العاصمة وحدها ، بل كان يمتدُّ إلى جميع أرجاء الدولة الإسلامية ، كما سنرى في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى .

٥ - رأفته ورحمته بالبهايم :

كانت رافة الفاروق بالبهايم صادرةً عن إيمان ملؤه الرفق ، والرحمة ، والإحسان إلى كلِّ شيءٍ ، فقد لان قلبه بذكر الله ، فأصبح يشفق على خلق الله ، وقد فهم من الإسلام بأنه في كلِّ ذات كبدٍ رطبٍ أجرٌ ، وأنه لا يجوز شرعاً إساءة استعمال الحيوان ، ولا إزهاقه ، ولا تسخيره في غير ما خلق له ، ولا تحميله فوق طاقته [(٨٤٦)] ، وقد أعلن رضي الله عنه بأنه مسؤول عن بغلةٍ تعثر في العراق لم يسوّ لها الطريق ، وهذا بعض الصفحات العمرية التي سجّلت بماء الذهب في ذاكرة التاريخ الإنساني :

. أتحمّل على بعيرك ما لا يطيق :

عن المسيّب بن دارم ، قال : رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يضرب جملاً ، ويقول : حمّلت جملك ما لا يطيق [(٨٤٧)] .

. أما علمتم أنّ لها عليكم حقّاً :

قال الأحنف بن قيس : وفدنا إلى عمر بفتح عظيم ، فقال : أين نزلتم ؟ فقلت : في مكان كذا ، وكذا ، فقام معي حتى انتهينا إلى مناخ ركائبنا ، فجعل يتخللها ببصره ويقول : ألا اتقيتم الله في ركائبكم هذه ؟ أما علمتم : أن لها عليك حقاً؟ ألا خليتكم عنها، فأكلت من نبت الأرض [(٨٤٨)] ؟
. يداوي إبل الصدقة :

قدم على عمر وفد من العراق ، فيهم الأحنف بن قيس في يوم صائفٍ شديد الحرِّ ، وعمر معتجراً (متعمِّم) بعباءةٍ يهنأ بعيراً من إبل الصدقة . يطليه بالقطران . فقال : يا أحنف ! ضع ثيابك ، وهلمَّ فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فإنه من إبل الصدقة ، فيه حقُّ اليتيم ، والأرملة ، والمسكين ، فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ! فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة ، فيكيفيك ؟ قال عمر : وأي عبدٍ هو أعبدُ مني ومن الأحنف ؟ إنَّه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسبيده في النصيحة ، وأداء الأمانة [(٨٤٩)] .

. عذبت بهيمةً من البهائم في شهوة عمر :

اشتهدى الفاروق سمكاً طرياً ، فأخذ يرفأ . مولاه . راحلةً فسار ليلتين مقبلاً ، وليلتين مدبراً ، واشترى مكتلاً ، فجاء به ، وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرق ، فنظرها عمر فقال : عذبت بهيمةً من البهائم في شهوة عمر ، والله لا يذوق عمر ذلك [(٨٥٠)] !
. إني لخائفٌ أن أسأل عنك :

رأى عمر جملاً تبدو عليه مظاهر الإعياء ، والمرض ، فتقدّم من الجممل ، ووضع يده في دبر الجممل فيحصه ، وهو يقول : إني لخائفٌ أن أسأل عنك [(٨٥١)] .

هذه بعض المواقف العمرية التي تدلُّ على رافة ، ورحمة الفاروق بالبهائم ، ألا ليت الشباب الحائر يطالع تاريخه ، ويلمُّ بإسلامه ، ليعرف : أنه ما من قاعدة إنسانية تنفع المجتمع البشري إلا ولها في الإسلام تعويدٌ ، وتنظيمٌ حتى لا ينهروا بالغرب الذي يباهي بإنشاء جمعيات الرفق بالحيوان ، على أنها مظهرٌ من مظاهر إنسانيته الفاضلة ، وحتى لا يقلده شبابنا ظناً منهم أنهم أصحابها ، وليدركوا أننا أساتذتهم في الرفق بالحيوان [(٨٥٢)] ، وفي كلِّ شيءٍ نافع .

إنَّ مراقبة الله سرُّ الهدى ، ومنار الخير ، ولبُّ العبادة حتى الجممل المريض يخشى فيه عمر ربّه أن يسأله عنه ، هذا هو كنه الإسلام ، رقابةٌ ، وخشيةٌ تسكن القلب ، وهل ينجح حاكم بغير هذا ؛ كي ينجو من حساب الله ، وقد ولاه أمر عباده [(٨٥٣)] ؟

٦ . زلزلة الأرض في عهد الفاروق :

تزلزلت الأرض بالناس على عهد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . فقال : أيها الناس ! ما كانت هذه الزلزلة إلا على شيءٍ أحدثتموه ، والذي نفسي بيده لئن عادت ؛ لا أساكنكم فيه أبداً [(٨٥٤)] ! .

المبحث الرابع

اهتمام الفاروق بالعلم والدعاة والعلماء

أولاً : اهتمام الفاروق بالعلم :

العلم من أهم مقومات التمكن للأمة الإسلامية ؛ لأنه من المستحيل أن يمكّن الله تعالى لأمة جاهلة ، متخلفة عن ركاب العلم ، وإن الناظر إلى القرآن الكريم ليتراءى له في وضوح : أنه زاخرٌ بالآيات ؛ التي ترفع من شأن العلم ، وتحثُّ على طلبه ، وتحصيله ، وإنَّ أوَّل آيةٍ من كتاب الله تعالى تأمر بالعلم ، والقراءة : { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * } [العلق : ١] ، وكذلك يجعل القرآن الكريم العلم مقابلاً للكفر الذي هو جهلٌ ، وضلالٌ ، وقال تعالى : { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * } [الزمر : ٩] .

وإنَّ الشيء الوحيد الذي أمر الله تعالى رسوله (ص) أن يطلب منه الزيادة هو العلم [(٨٥٥)] ، قال تعالى : { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا * } طه : ١١٤ [وقد فهم الصحابة الكرام : أنَّ العلم ، والفقہ في الدين من أسباب جلب النصر ، والعون ، والتأييد الإلهي ، لذلك حرصوا على التفقه في الدين ، وتعلم كتاب الله ، وسنة رسوله ، وكان طلبهم للعلم لله سبحانه وتعالى ، وحرصوا على معرفة الدليل في الأحكام ، وأيقنوا بأنَّه لا بدَّ في العلم من العمل ، وإلا نزع الله منه البركة ، فقد تعلم الصحابة من رسول الله (ص) دعاءه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يَسْتَجَابُ لَهَا » [(٨٥٦)] .

وقد شهدت الأمة للفاروق . رضي الله عنه . بغزارة العلم وبأنه فقيهٌ من فقهاء الأمة في الصدر الأوَّل بلا منازع ، فقد عرف بعمق الفهم ، والقدرة على التحليل ، والبراعة في الاستنباط والاستنتاج ، وهذا ما أهله . بعد توفيق الله تعالى . لتلك المكانة المرموقة ، ولقد أصبح عمر فقيه المسلمين بعد أن الت إليه الخلافة ، فأرسي باجتهاداته قواعد العدالة كما فهمها من جوهر الإسلام ، وحقيقته .

وقد كان رضي الله عنه في مقدّمة الفقهاء من الصّحابة ، وقد أشاد السّلف الصّالح بعلمه ، ودرايته ، ومعرفته الدّقيقة بالأحكام الشّرعية ، وكان رضي الله عنه يحتاط في أخذ الحديث ويهتم بمذاكرة الصّحابة في العلم ، ويسأل الصّحابة عن المسائل الّتي لم يتعلّمها من رسول الله ، وله أقوال في الحثّ على طلب العلم ، وتتبّع رعيته بالتّوجيه والتّعلّم ، وجعل من المدينة داراً للفقّه ، والفتوى ، وأصبحت مدرسةً يتخرّج فيها الولاة ، والقضاة ، وأعدّ مجموعةً خيِّرةً من الصّحابة الكرام قادوا المؤسّسات العلميّة (المساجد) في حركة الفتح ، فقاموا بتربية وتعليم الشّعوب المفتوحة على كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) ، ووضع النّواة الأولى في تأسيس المدارس العلميّة الّتي أثّرت في الشّعوب الإسلاميّة ، كمدرسة البصرة ، والكوفة ، والشّام ، وطوّرت المدرسة المدنيّة والمكيّة .

١ . احتياطه في أخذ الحديث ، ومذاكرته للعلم ، وسؤاله عمّا يجهل :

. احتياطه في أخذ الحديث ، وطلبه للتّثبت :

استأذن أبو موسى الأشعري في الدّخول على عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . فلم يؤذن له . وكأنّه كان مشغولاً . فرجع أبو موسى ، ففرغ عمر ، فقال : ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ؟ ائذنوا له ، قيل : قد رجع ، فدعاه فقال : كنا نؤمر بذلك ، فقال : تأتيني على ذلك بالبيّنة ، فانطلق إلى مجالس الأنصار ، فسألهم ، فقالوا : لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا . فقام أبو سعيد ، فقال : كنا نؤمر بهذا . فقال عمر : خفي عليّ هذا من أمر رسول الله (ص) ؟ أهاني عنه الصّفق بالأسواق ، يعني : الخروج إلى التّجارة [(٨٥٧)] .

وجاء في رواية أبي سعيد الخدريّ ، قال : كنت في مجلسٍ من مجالس الأنصار ؛ إذ جاء أبو موسى كأنّه مدعوٌّ ، فقال : استأذنت على عمر ثلاثاً ، فلم يؤذن لي ، فرجعت ، فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثاً ، فلم يؤذن لي ، فرجعت ، وقال رسول الله (ص) : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له ، فليرجع » . فقال : والله لتقيمنّ عليه بينة ! أمنكم أحدٌ سمعه من النّبّيّ (ص) ؟ فقال أبي بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم ، فكنت أصغر القوم ، فقامت معه ، فأخبرت عمر : أنّ النّبّيّ (ص) قال ذلك [(٨٥٨)] .

. مذاكرة عمر للعلم وسؤاله عمّا يجهل :

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال : أتى عمر بامرأة تَشْمُ ، فقام ، فقال : أنشدكم بالله ! من سمع من النبي (ص) في الوشم ؟ فقال أبو هريرة : فقمتم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! أنا سمعت ، قال : ما سمعت ؟ قال : سمعت النبي (ص) يقول : « لا تَشْمَنَّ ، ولا تَسْتَوْشِمَنَّ » [(٨٥٩)] .

وعن المغيرة بن شعبة عن عمر . رضي الله عنه . أنه قال : استشارهم في إملاص المرأة ، فقال المغيرة : قضى النبي (ص) بالغرّة عبدٍ ، أو أمةٍ . قال : ائت من يشهد معك ، فشهد محمد بن مسلمة : أنه شهد النبي (ص) قضى به [(٨٦٠)] . وعن عمر . رضي الله عنه . : أنه سُئِلَ عن الرجل يُجْنِبُ فِي السَّفَرِ ، فلا يجد الماء ؟ فقال : لا يصلِّي حتى يجد الماء ، فقال له عمار : يا أمير المؤمنين ! أما تذكر إذ كنتُ أنا ، وأنت في الإبل ، فأجنبنا ، فأما أنا فتمرغنت ، كما تمرغ الدابة ، وأما أنت ؟ فلم تصل ، فذكرت ذلك للنبي (ص) ، فقال : إنما يكفيك هذا [(٨٦١)] ، وضرب بيديه الأرض ، فمسح بهما وجهه ، وكفّيه ؟ فقال له عمر : اتق الله يا عمار ! فقال : إن شئت لم أحديث به ، فقال : بل نوليك من ذلك ما توليت ، فهذه سنة شهدها عمر ، ثم نسيها حتى أفتى بخلافها ، وذكره عمار ، فلم يذكر ، وهو لم يكذب عماراً بل أمره أن يُحدِّث به [(٨٦٢)] .

٢ . من أقواله في الحث على العلم :

قال رضي الله عنه : إنَّ الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذُّنوب مثل جبال تامة ، فإذا سمع العلم ؛ خاف ، ورجع ، وتاب ، فانصرف إلى منزله ؛ وليس عليه ذنبٌ ، فلا تُفارقوا مجالس العلماء [(٨٦٣)] .

وقال رضي الله عنه : لا يكون الرجل عالماً حتى لا يحسد من فوقه ، ولا يحقر من دونه ولا يأخذ على علمه أجراً .

وقال رضي الله عنه : نفقَّهوا قبل أن تُسودوا . أي : تصيروا سادة قومكم . فتمنعكم الأنفة من التعلُّم ، فتعيشوا جُهَّالاً [(٨٦٤)] .

وقال رضي الله عنه : العلم إن لم ينفَعك ؛ لم يضرك [(٨٦٥)] .

وقال رضي الله عنه : موت ألف عابدٍ أهون من موت عالمٍ بصيرٍ بحلال الله ، وحرامه [(٨٦٦)] .

وقال رضي الله عنه : كونوا أوعية الكتاب ، وينايع العلم ، وسلوا الله رزق يومٍ بيوم ، ولا يضركم ألا يُكثِرَ لكم [(٨٦٧)] .

وقال رضي الله عنه : تعلّموا العلم ، وعلمّوه النَّاس ، وتعلّموا الوقار ، والسكينة ، وتواضعوا لمن تعلمتم منه العلم ، وتواضعوا لمن علمتموه العلم ، ولا تكونوا من جبابرة العلماء ، فلا يقوم علمكم بجهلكم [(٨٦٨)] .

وحذّر رضي الله عنه من زلّة العالم ، فقال : يهدم الإسلام زلّة عالم ، وجدال منافق بالقران ، وأئمة مضلون [(٨٦٩)] .

٣ . تتبعه للرعية بالتوجيه ، والتعليم في المدينة :

كان الفاروق يتعهد الرعية بالتوجيه ، والتعليم ، والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصاً يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر المهمة في توجيه الأمة وترشيدها ، وقد حفظ التاريخ للفاروق كثيراً من خطبه ، وهذه إشارات عابرة لبعض خطبه :

خطب عمر على منبر رسول الله (ص) ، فقال : إنّه قد نزل تحريم الخمر ، وهي خمسة أشياء : العنب ، والتّم ، والحنطة ، والشعير ، والعلسل . والخمر ما خامر العقل ، وثلاثٌ وددت أنّ رسول الله (ص) لم يفارقنا حتّى يعهد إلينا عهداً : الجُد ، والكلالة ، وأبوابٌ من أبواب الرّبا [(٨٧٠)] .

وخطب يوم الجمعة في نصح الرعية ، وبيان حقّها عليه ، فقال : أيّها الناس ! إنّ بعض الطّمع فقرٌ ، وإنّ بعض اليأس غنىٌ ، وإنّكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتأمّلون ما لا تدركون ، وأنتم مؤجّلون في دار غرورٍ ، كنتم على عهد رسول الله (ص) تؤخذون بالوحي ، فمن أسرّ شيئاً ؛ أخذ بسريرته ، ومن أعلن شيئاً ؛ أخذ بعلايته ، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم ، والله أعلم بالسرائر ، فإنّه من أظهر لنا شيئاً ، وزعم : أنّ سريرته حسنةٌ ؛ لم نصدقه ، ومن أظهر لنا علانيةً حسنةً ظننّا به حسناً ، واعلموا أنّ بعض الشّحّ شعبة من النّفاق ، فأنفقوا خيراً لأنفسكم { وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * } [الحشر: ٩] ، أيّها الناس ! أطيبوا مثواكم ، وأصلحوا أموركم ، واتّقوا الله ربّكم ، ولا تلبسوا نساءكم القباطي ؛ فإنّه إن لم يشفّ ، فإنّه يصف . أيّها الناس ! إيّ لوددت أنّ أنجو كفافاً لا لي ، ولا عليّ ، وإيّ لأرجو إن غمّرت فيكم يسيراً ، أو كثيراً أن أعمل بالحقّ فيكم إن شاء الله . وألا يبقى أحدٌ من المسلمين . وإن كان في بيته . إلا أتاه حقّه ، ونصيبه من مال الله ، ولا يعمل إليه نفسه ولم ينصب إليه يوماً ، وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله ، ولقليلٍ في رفقٍ خيرٌ من كثيرٍ في عنفٍ ، والقتل حتف من الحتوف يصيب البرّ ،

والفاجر ، والشَّهيدُ من احتسب نفسه ، وإذا أراد أحدكم بعيداً فليعتمد إلى الطَّويل العظيم ، فليضربه بعصاه ، فإنَّ وجده حديد الفؤاد ؛ فليشتره [(٨٧١)] .

— خ حكم عظيمة من الخطبة :

لقد استفتح عمر رضي الله عنه خطبته بحكمٍ عظيمةٍ بيّن فيها : أن الغنى الحقيقيّ يكون بالقناعة ، وأنَّ الفقر الحقيقيّ يكون بالطَّمع ، فأصل القناعة الإيأس ممّا في أيدي الناس ، فمن أيس ممّا عند غيره ؛ قنع بما عنده ، ومن قنع بما عنده ؛ استغنى ؛ وإن كان فقيراً ، ومن أخذ به الطَّمع ، واستشرف لما في أيدي النَّاس ؛ افتقر في نفسه وإن كان غنياً في ماله ، فإنَّ ماله لا يغنيه ؛ لأنَّ الغنى غنى النفس ، وأنَّ العقل السَّليم يقتضي ألاَّ يجمع الإنسان من الدُّنيا أكثر ممّا يحتاج إليه ، وألاَّ تكون اماله الدُّنيويّة معلقةً بما لا يملك ، وأنَّ ينظر إلى الدُّنيا على أنَّها دار زوال ، وأنَّ لا يغررَّ بما فيها من جواذب ، ومغريات [(٨٧٢)] .

. أخذ الناس بظواهرهم وترك سرائرهم :

وفي هذه الخطبة تقريرٌ لما استقرَّ عليه الأمر بعد انقطاع الوحي من أخذ النَّاس بظواهرهم ، وترك سرائرهم إلى الله تعالى ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الوالي ليس مسؤولاً عن الحكم على سرائر القلوب ، ولن يستطيع ذلك ، ولكنَّه مسؤولٌ عن صلاح ظواهر النَّاس ، ومن صلاح الظَّاهر يتكوّن المجتمع الصَّالح ، فإنَّه يحكم للمجتمع بذلك إذا صلح ظاهره ، ولم تعلن فيه الفواحش ، ولم يبرز فيه من يجاهر بالفسوق ، أو يدافع عنه ، وإن كان فيه أفراد قد ساءت بواطنهم ؛ لأنَّ العرف الاجتماعيّ . والحال هذه . يكون سائراً مع ما أعلن من الصَّلاح ، ومكارم الأخلاق ، أمّا ما خفي من الانحراف ؛ فإنَّ العرف الإسلامي يرفضه ، فيضطر أصحابه إلى التَّستر ، والانزواء .

. بعض الشُّحِّ شعبةٌ من النِّفاق :

وقوله . رضي الله عنه . : واعلموا : أنَّ بعض الشُّحِّ من النِّفاق واضحٌ في الَّذِينَ يتقاعسون عن الإنفاق في سبيل الله تعالى ، وهم يرون دولاً ، وطوائف من أمَّتهم يعتدي عليهم الكفار ، وتنتهك أعراضهم ، وتنتهب بلادهم ، فينهض هؤلاء المعتدي عليهم للجهاد ، ولكن لا يجدون إلاَّ القليل من المسلمين الَّذِينَ يساعدونهم بأموالهم ، فالَّذين أصيبوا بمرض الشُّحِّ من

المؤمنين قد اتَّصفوا بالنِّفاق العملي ، وهو علامةٌ على ضعف الإيمان [(٨٧٣)] .

. ولوددت أنجو كفافاً لا لي ، ولا عليّ !

إحساسٌ مرهفٌ ، وتصوُّرٌ بالغ الدقَّة في إدراك المسؤولية ، فإنَّ تحمُّل الولاية إقدامٌ على عملٍ من أعلى الأعمال الصَّالحة ، ولكن فيه مزالِق خطيرةٌ ، قد تحيله إلى عملٍ من أسوأ الأعمال ، وكم من مسؤولٍ كان عمله رافعاً ذكره عند الله تعالى ، وعند الصَّالحين من النَّاس ؛ لما يقوم به من محاسبة نفسه على كلِّ صغيرةٍ ، وكبيرةٍ ، وكم من مسؤولٍ كان عمله بضدِّ ذلك ؛ لكونه أتبع نفسه هواها ، وقَدَّم رضا النَّاس على رضا الله تعالى .

ولقد كان عمر رضي الله عنه من أبرز عظماء التَّاريخ الَّذِينَ مثَّلوا العدالة في أبلغ صورها، ومع ذلك يقول هذه المقالة، ويحمِّله خوفه العظيم من الله تعالى على تناسي ما لعمله في الولاية من أجرٍ مقابل أن يخرج طاهر الأردن ممَّا فيها من وزيرٍ [(٨٧٤)].

٤ . من حكمه الَّتِي سارت بين النَّاس :

قال رضي الله عنه : مَنْ كَتَم سِرَّهُ ؛ كانت الخيرة في يديه . وَمَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ ؛ فلا يلومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ . ولا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك سوءاً ؛ وأنت تجد لها في الخير مدخلاً . وَضَعْ أَمْرَ أَخِيكَ عَلَى أَحْسَنِهِ ؛ حتَّى يَأْتِيكَ مِنْهُ مَا يَغْلِبُكَ . ولا تكثر الحلف ، فيهينك الله . وما كافأت مَنْ عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وعليك بإخوان الصِّدِّق ! اكتسبهم ، فإيَّهم زينٌ في الرِّخاء ، وعدَّةٌ عند البلاء [(٨٧٥)] .

فهذه حكمٌ بالغةٌ ، وكلُّ حكمةٍ تفتح افقاً في عالم التَّربية . وهذا تعليقٌ مفيدٌ على هذه الحكم :

. مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ ؛ كانت الخيرة في يديه :

فالإنسان حاكمٌ نفسه ما دام سِرُّه بين جنبيه ، فإذا أفضى السِّرَّ لواحدٍ من النَّاس ، أو أكثر فإنَّه لو رأى : أنَّ المصلحة في عدم الإفشاء ؛ لم يستطع ردَّ أمره إلى السِّرِّيَّة .

. ومن عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ ؛ فلا يلومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ :

فالإنسان هو المسؤول عن نفسه قبل النَّاس ، فعليه أن يحاول إبراء ساحته بكلِّ ما يستطيع ، وإذا ظنَّ : أنَّ بعض النَّاس قد يفهمون من سلوكه خلاف مراده ؛ فليسارع إلى كشف أمره ، وإنَّ

كان موضع التَّقَّة ، وسمعته عاليةً في المجتمع ، فإنَّ النَّبِيَّ (ص) قال للرَّجلين اللَّذين رأياه ومعه امرأةٌ تسير في اللَّيْلِ : « على رسلكما إنَّها صفيَّة بنت حيي » [(٨٧٦)] .

. ولا تظنَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك سوءاً ؛ وأنت تجد لها في الخير مدخلاً :

فهذا توجيهٌ عمريٌّ جليلٌ في التَّحَرُّزِ من سوء الظَّنِّ ، فإِحسانِ الظَّنِّ بالمسلمين مطلوبٌ من المسلم ، وأن يحاول تأويل الكلمات التي ظاهرها الشَّرُّ بما تحتمله من خيرٍ حتَّى يجد أنَّ تلك الكلمات متمحضةٌ للشَّرِّ ، فذلك مطلوبٌ من المسلم مع أخذ الحذر لنفسه ، ولمن هم تحت ولايته ؛ حتَّى لا يؤخذ على غرَّةٍ [(٨٧٧)] .

. ولا تكثر الحلف ، فيهينك الله :

فالحلف بالله تعالى تعظيمٌ له ، فإذا كان الحلف بقدر الحاجة ، وفي حال التَّعظيمِ لله تعالى ، وخشيته كان ذلك من توحيده ، وإجلاله جلَّ وعلا ، أمَّا إذا أكثر المسلم من الحلف بالله تعالى حتَّى في الأمور الحقيرة ؛ فإنَّه لن يصاحب ذلك تعظيمٌ له سبحانه ، بل يدخل في باب الاستهانة ، وعدم المبالاة ، فتكون عاقبة ذلك تعرُّض المكثِّر من الحلف لإهانة الله تعالى إيَّاه ، ومن تعرُّض لذلك ؛ فقد خسر خسراً مبيناً .

. وما كافات من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه :

فإذا كان بينك وبين أحدٍ خلافٌ ، فعصى الله . تعالى . بسببك ، إمَّا بالاعتداء عليك ، أو انتهاك عرضك ، أو أخذ مالك ، فإنَّ أفضل جزاءٍ تجازيه به أن تطيع الله . جل وعلا . فيه ، وذلك بالتزام الأدب الإسلاميِّ في الخلاف ، وحفظ حقِّ أخيك المسلم ، بأن لا تردَّ عليه بالمستوى الهابط ؛ الذي خاطبك به ، ثمَّ إنَّ عفوت عنه ، وتنازلت عن حقِّك ، فذلك من كمال طاعة الله سبحانه .
. وعليك بإخوان الصِّدق :

نعم ، فربَّ أخٍ لك لم تلده أمُّك ، بل إنَّ إخوان الصِّدق الذين ائتلفت قلوبهم على التَّقوى أعظمُ تضحيةً ، وإحساناً من إخوان النَّسب ؛ إذا لم يكونوا كذلك . فإخوان الصِّدق سعادةٌ للإنسان في وقت الرِّخاء ، يسرُّ بلقائهم ، ويشترك معهم في أعمال البرِّ ، والإحسان ، والإصلاح ، إذا نزل البلاء ، ووجد الجدُّ ، فهم عدَّةٌ لإخوانهم ، يتسابقون إلى البذل ، والتَّضحية ، ويتنافسون في أداء الأعمال الشَّاقة ، ويؤثرون على أنفسهم ، وإن كانت بهم خصاصةٌ [(٨٧٨)] .

فهذه بعض الحكم العمريَّة التي سارت بين النَّاس ، فإذا كان نقَّاد الأدب لا يزالون يُعجبون بحكم المتنبيِّ ، ويرون فيها خلاصةً لتجارب النَّاس في عصره ، فإنَّ حكم المتنبيِّ لا يمكن أن تذكر مع كلمات عمر ، ولا تجري معها في ميدانٍ . إنَّ المتنبيِّ لخصَّ في حكمه تجارب النَّاس ، وعمر وضع في كلماته (الحكم)

للناس . إنَّ من كلماته ما كان دستوراً للحكم ، أو للقضاء ، أو للأخلاق ، دستوراً كاملاً ، ولكنَّه لم يجأى في موادَّ مطولةٍ ، ولم يكتب بلغة القوانين ، بل جاء حكمةً سائرةً ، ومثلاً مأثوراً في لغةٍ هي في البيان غايةُ الغايات مِنْ مثل قوله : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟

وقوله: إنَّ هذا الأمر لا يصلح له إلا اللين في غير ضعفٍ والقوي في غير عنفٍ .

وقوله : أريد للإمارة رجلاً إن كان في القوم ، وهو أميرهم ؛ ظنَّ واحداً منهم ، وإن كان فيهم ، وهو واحدٌ منهم ؛ ظنَّ : أنه أميرهم .

وقوله في الولاة : أشكو إلى الله ظلم القويِّ ، وعجز التقيِّ .

وقوله : من لا يعرف الشرَّ ؛ كان أجدر أن يقع فيه . وقوله : لست بخبِّ ، ولا الخبُّ يخدعني [(٨٧٩)] .

وقوله : ما أمر الله تعالى بشيءٍ إلا وأعان عليه ، ولا نهى عن شيءٍ إلا وأغنى عنه [(٨٨٠)] .

ثانياً : جعله المدينة داراً للفتوى ، والفقهِ :

لما انتقل النبي (ص) إلى الرِّفِيقِ الأعلى ؛ كانت المدينة عاصمة الدولة الإسلاميَّة ، وموطن الخلافة ، وفيها تفتق عقل الصَّحابة في استخراج أحكامٍ إسلاميَّةٍ ، تصلح لما جدَّ من شؤونٍ في المجتمعات الإسلاميَّة ، بعد الفتوح التي كثرت ، واتَّسعت بها رقعة الإسلام ، فقد كانت المدينة تحتلُّ المكانة المرموقة بين سائر الأمصار ، فالجتمعت المدينيُّ عاش فيه رسول الله (ص) ، وتربَّى فيه على يديه النّوأة الأولى لخير أُمَّةٍ أخرجت للناس ، وبذلك أصبح لا يدانيه أيُّ مجتمعٍ اخر .. وكان لوجود عمر على رأس الخلافة في المدينة . مدَّة عشر سنوات . لخصائصه الدَّاتية ، وسياسته في الحكم أثرٌ كبيرٌ في جعل المدينة المدرسة الأولى للحديث ، والفقهِ ،

والتشريع في القرنين الأوَّل ، والثاني ، وذلك لما يأتي :

. إنَّ المدينة كانت في عهد عمر مجمع الصَّحابة ، وخصوصاً ذوي السِّبق منهم في الإسلام ، استبقاهم عمر حوله ، حرصاً عليهم ، ورغبةً في أن يكونوا عوناً له في سياسة الأُمَّة ، واستعانةً بعلمهم ، واعتماداً على إخلاصهم ، واسترشاداً بارائهم ، ومشورتهم ، وقد بقي علم هؤلاء الصَّحابة بالمدينة ، فبلغ فقهاء الصَّحابة المُفتون (١٣٠) مئةً وثلاثين صحابياً ، وكان المكثرون منهم سبعةً : عمر ، وعليُّ ، وعبد الله بن مسعودٍ ، وعائشة ، وزيد بن ثابتٍ ، وعبد الله بن عباسٍ ، وعبد الله بن عمر . قال أبو محمَّد بن حزم : ويمكن أن يُجمع من فتوى كلِّ واحدٍ منهم سفرٌ ضخْمٌ [(٨٨١)] .

والمتوسطون من الصحابة فيما روي عنهم من الفتيا : أبو بكر ، لقصر المدّة التي عاشها بعد رسول الله (ص) ، وأمّ سلمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو موسى الأشعري ، وسعد بن أبي وقاص ، وجابر بن عبد الله ، ومعاذ بن جبل ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمران بن حصين ، وعبادة بن الصّامت . قالوا : ويمكن أن يجمع من فتيا كلّ واحدٍ منهم جزء صغير [(٨٨٢)] ، وجل من ذكرتهم بقي في المدينة في عهد عمر بن الخطاب ، إلا من كانت له مهمّة تعليميّة ، أو جهاديّة كلّفه بها الفاروق نتيجةً لتوسّع الدولة ، واحتياج البلاد المفتوحة لمن يعلم أهلها القرآن الكريم ، والسنة النبويّة المطهّرة ، وقد أثمرت سياسة عمر . رضي الله عنه . في جعل المدينة دار الفقه ، والعلم ، ومنزل أهل الرأي ، والمشورة .

ومّا يدلُّ على نجاح تلك السياسة ما رواه ابن عباس ؛ حيث قال : كنت أقرأى رجالاً من المهاجرين ، منهم : عبد الرحمن بن عوف ، فبينما أنا في منزله بمنى ، وهو عند عمر في اخر حجّة حجّها ؛ إذ رجع إليّ عبد الرحمن ، فقال : لو رأيت رجالاً أتى أمير المؤمنين اليوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هل لك في فلانٍ يقول : لو قد مات عمر ؛ لقد بايعت فلاناً ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكرٍ إلا فلتةً ، فتمّت ! فغضب عمر ، ثمّ قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس ، فمحدّتهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم . قال عبد الرحمن : فقلت : لا يا أمير المؤمنين ! لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاك الناس ، وغوغاءهم ، فإنّهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وألا يعوها ، وألا يضعوها على مواضعها ، فأمهل ؛ حتّى تقدم المدينة ؛ فإنّها دار الهجرة ، والسنة ، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكناً ، فيعي أهل

العلم مقاتلك ، ويضعوها على مواضعها . قال عمر : أما والله . إن شاء الله . لأقومنّ بذلك أوّل مقام أقومه بالمدينة [(٨٨٣)] !

قال ابن حجر : واستدلّ بهذا الحديث على أنّ أهل المدينة مخصوصون بالعلم ، والفهم ، لاتّفاق عبد الرحمن بن عوف ، وعمر على ذلك ، قال : وهو صحيحٌ في حقّ أهل ذلك العصر . عصر عمر . ويلتحق بهم من ضاهاهم في ذلك ، ولا يلزم من ذلك أن يستمرّ ذلك في كلّ عصرٍ ، ولا في كلّ فردٍ [(٨٨٤)] ، وقد أثر ذلك العصر في المدارس العلميّة التي نشأت مع تطوّر المجتمع ، وتوسّع الفتوحات ، فقد كان تلاميذ مدرسة عمر في المدينة ، ونشروا علمهم بالمدينة ، فنشأ تلاميذ صاروا

أعلاماً ؛ لقرهم من المنهل ، ولبقائهم في البيئة المدنيّة ، وبعض تلاميذ عمر تمّ إرسالهم إلى البلدان المفتوحة ؛ لتعليم ، وتفقيه ، وتربية الشُّعوب التي دخلت في الإسلام .

ولقد تصدّرت المدينة مكاناً عالياً في العلم ، والفقّه ، وأثّرت مدرسة المدينة في الأقطار المفتوحة ، والمدارس التي تشكّلت ، كالبصرة ، والكوفة ، وغيرها ، ويأتي تعاقب مركزيّة الفقّه في المدينة كالتالي :

المدينة مهبط الوحي ، والتّشريع ، ولا ينازعها بلدٌ في العصر الرّاشديّ .

في عهد الخلفاء الرّاشدين كانت المدينة مركز فقهاء الصّحابة ، وعلى رأسهم عمر .

قتل عثمان سنة ٣٥هـ ، وانتقل عليٌّ إلى الكوفة ، ومع ذلك بقيت المدينة مركز أهل العلم ، والفتوى بسبب امتداد عُمر الصّحابة الفقهاء في المدينة ، حتّى عمّروا أكثر النّصف الثّاني من القرن الأوّل ، وهم : عائشة ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله ، وابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، وغيرهم .

نشأت مدرسة كبار التّابعين في المدينة ، وكان منهم الفقهاء السّبعة ، الذين لم يوجد لهم نظيرٌ في الأمصار الإسلاميّة ، وهم المذكورون في قول الشاعر :

أَلَا كُلُّ مَنْ لَا يُفْتَدِي بِأَيْمَةٍ فَقَسَمْتُهُ ضَيْزَى عَنِ الْحَقِّ حَارِجَهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ عُرْوَةُ قَاسِمٌ

سَعِيدٌ ، أَبُو بَكْرٍ سُلَيْمَانٌ حَارِجَةٌ . وجاءت الطّبقة الثّانية من التّابعين (صغار التّابعين)

وعاشوا حتّى أواخر النّصف الأوّل من القرن الثّاني ، أذكر منهم : ابن شهاب الزّهري ، ونافع بن أسلم ، ويحيى بن سعيد الأنصاري .

ثمّ جاء عصر الإمام مالكٍ ، وهو من تابعي التّابعين ، فكان من أعلم النّاس بعلم من سبقه من التّابعين كبارهم ، وصغارهم .

ويشهد لعلم أهل المدينة احتياج أهل الأمصار إلى علم الحجاز ، ورحلتهم إليه في طلبه بما لم يعرف للأمصار الأخرى ، فقد رحل علماء الأمصار الإسلاميّة إلى المدينة في طلب العلم ، وعرض ما لديهم على علمائهم ، فكانوا المرجع في هذا الشأن ، وقد ذهب علماء المدينة إلى الأمصار قضاءً ، ومعلّمين [(٨٨٥)] ابتداءً من الذين أرسلهم عمر . رضي الله عنه . لما فتحت الشّام ، والعراق لتعليم

النّاس كتاب الله ، وسنة رسوله ، فقد ذهب إلى العراق عبد الله بن مسعودٍ ، وحذيفة بن اليمان ، وعمّار بن ياسر ، وعمران بن حصين ، وسلمان الفارسي ، وغيرهم ، وذهب إلى الشّام معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصّامت ، وأبو الدرداء ، وبلال بن رباح ، وأمثالهم ، وبقي عنده مثل : عثمان ، وعليّ ، وعبد الرحمن بن عوفٍ ، ومثل : أبيّ بن كعبٍ ، ومحمّد بن مسلمة ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم ، وكان

ابن مسعود . وهو أعلم من كان بالعراق من الصحابة إذ ذاك . يفتي بالفتيا ، ثم يأتي المدينة فيسأل علماء أهل المدينة ، فيردونه عن قوله ، فيرجع إليهم [(٨٨٦)] .

لقد أثرت المدرسة المدنيّة في بقيّة المدارس ، وكان سائر أمصار المسلمين غير الكوفة منقادين لعلم أهل المدينة ، لا يعدّون أنفسهم أكفأهم في العلم ، كأهل الشّام ، ومصر ، مثل الأوزاعيّ ، ومن قبله ، وبعده من الشّاميّين ، ومثّل اللّيث بن سعد ، ومن قبله ، ومن بعده من المصريّين ، وأنّ تعظيمهم لعلم أهل المدينة ، واتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بيّن ، وكذلك علماء أهل البصرة ، كأثوب ، وحمّاد بن زيد ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأمثالهم ، ولهذا ظهر مذهب أهل المدينة في هذه الأمصار [(٨٨٧)] .

لقد كانت ثقة أهل الأمصار في علم أهل المدينة ، تجعلهم يقدّمونه على كلّ علمٍ ؛ لما روى الخطيب البغداديّ : أنّ محمّد بن الحسن الشّيباني كان إذا حدّثهم عن مالكٍ ؛ امتلأ عليه منزله ، وإذا حدّثهم عن غير مالك لم يجبه إلا القليل من النّاس ، فقال : ما أعلم أحداً أسوأ ثناءً على أصحابه منكم ! إذا حدّثكم عن مالكٍ ؛ ملأتم عليّ الموضع ، وإذا حدّثكم عن أصحابكم ؛ إنّما تأتون متكارهين [(٨٨٨)] .

ويتفاضل غير أهل المدينة بقدر ما يأخذونه من علم أهل المدينة، ويرون في علم أهل المدينة معياراً للتّفوّق ، فيقول مجاهدٌ ، وعمرو بن دينار ، وغيرها من أهل مكّة : لم يزل شأننا متشابهاً متناظراً حتى خرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة ، فلمّا رجع ؛ استبان فضله علينا [(٨٨٩)] .

إنّ من أسباب الثّروة الفقهيّة ؛ التي حظيت بها المدينة أيّام عمر بن الخطاب شخصيّة عمر بن الخطاب الملهمة ، وقد شهد رسول الله (ص) لعمر بذلك ، لما راه موفّقاً في ارائه . وقد جعل من عاصمة الدّولة مدرسةً تخرّج فيها العلماء ، والدّعاة ، والولاة ، والقضاة ، وإذا نظرنا في المدارس العلميّة الأولى في العالم الإسلاميّ ؛ رأينا الأثر العمريّ عليها ؛ لأنّ كلّ المؤسّسين تقريباً تأثروا بفقّه الفاروق . رضي الله عنه . وإليك نبذةً مختصرةً عن هذه المدارس :

١ . المدرسة المكيّة :

احتلّت هذه المدرسة المكانة في قلوب المؤمنين ، السّاكين ، والثّائبين إلى بلد الله الحرام ، الحجاج ، والعمّار ، والزّوّار ، بل أخذت مكّة بألباب كلّ مؤمنٍ راها ، أو تمثّى أن يراها ، ولقد كان العلم بمكّة يسيراً زمن الصحابة ، ثمّ كثر في أواخر عصرهم ، وكذلك في أيّام التّابعين ، وزمن أصحابهم ، كابن أبي نجیح ، وابن جريج [(٨٩٠)] ، إلا أنّ مكّة اختصت زمن التّابعين بحبر الأمتة ، وترجمان القرآن ابن عباسٍ

. رضي الله عنهما . الذي صرف جلَّ هَمِّه ، وغاية وسعه إلى علم التفسير ، ورَبَّى أصحابه على ذلك ، فنبغ منهم أئمةٌ كان لهم قصب السبق بين تلاميذ المدارس في التفسير ، وقد ذكر العلماء مجموعةً من الأسباب أدَّت إلى تفوُّق هذه المدرسة ، أهم هذه الأسباب ، والأساس فيها إمامةُ ابن عبَّاسٍ . رضي الله عنهما . وأستاذيَّته لها [(٨٩١)] .

وقد تحدَّث العلماء عن مجموعةٍ من الأسباب أهَّلَت ابن عباسٍ . رضي الله عنهما . وقدَّمته على غيره من الصَّحابة في فهم كتاب الله ، والقدرة على تفسيره ، وهي على الإجمال : دعاء النَّبِيِّ (ص) له بالفقه في الدِّين ، والعلم بالتأويل ، الأخذُ عن كبار الصَّحابة ، قوَّةُ اجتهاده ، وقدرته على الاستنباط ، اهتمامه بالتفسير ، منهجه المميَّز في تعليم أصحابه ، حرصه على نشر العلم ، رحلاته ، وأسفاره ، تأخُّر وفاته ، قرب منزلته من عمر . رضي الله عنه [(٨٩٢)] . فقد حظي بعنايةٍ خاصَّةٍ من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النَّجابة ، والدِّكاء ، والفتنة ، فكان يدينه من مجلسه ، ويقرِّبه إليه ، ويشاوره ، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الايات ، وابنُ عباسٍ ما زال شاباً

غلاماً ، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه ، وحثِّه على التَّحصيل ، والتقدُّم بل والإكثار في باب التفسير ، وغيره من أبواب العلم ، فعن عامرٍ الشَّعبيِّ ، عن ابن عباسٍ ، قال : قال لي أبي : يا بني ! أرى أمير المؤمنين يقربك ، ويخلو بك ، ويستشيرك مع أناسٍ من أصحاب رسول الله (ص) ، فاحفظ عني ثلاثاً : اتَّق الله لا تفشيقاً له سرّاً ، ولا يجربينَّ عليك كذبةً ، ولا تغتابنَّ عنده أحداً [(٨٩٣)] .

وكان عمر . رضي الله عنه . يداخله مع أكابر الصَّحابة ، وما ذلك إلا لأنَّه وجد فيه قوَّة الفهم ، وجودة الفكر ، ودقَّة الاستنباط ، وقد قال ابن عباسٍ . رضي الله عنهما . كان عمر يسألني مع أصحاب محمَّد (ص) ، فكان يقول لي : لا تتكلَّم حتى يتكلَّموا ، فإذا تكلمتُ ، قال : غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه [(٨٩٤)] .

وكان ابن عباسٍ لشدة أدبه إذا جلس في مجلسٍ فيه من هو أسن منه لا يتحدَّث إلا إذا أُذن له ، فكان عمر يلمس ذلك منه ، فيحثُّه ، ويحرِّضه على الحديث تنشيطاً لنفسه ، وتشجيعاً له في العلم [(٨٩٥)] ، كما مرَّ معنا في تفسير قوله تعالى : { أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ } [البقرة: ٢٦٦] ، وقوله تعالى : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * } [النصر: ١] .

وكان لعمر . رضي الله عنه . مجلسٌ يسمع فيه من الشَّبَاب ، ويعلمهم ، وكان ابن عباسٍ من المقدمين عند عمر ، فعن عبد الرَّحمن بن زيدٍ ، قال : كان عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . إذا صلَّى السُّبْحَةَ ،

وفرغ ، دخل مَرَبِدًا له [(٨٩٦)] ، فأرسل إلى فتیانٍ قد قرؤوا القرآن ، منهم ابن عباسٍ ، قال : فيأتون ، فيقرؤون القرآن ويتدارسون ، فإذا كانت القائلة ؛ انصرف ، قال : فمروا بهذه الآية و { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * } وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ * } [البقرة: ٢٠٦ . ٢٠٧] ، فقال ابن عباسٍ لبعض من كان إلى جانبه : اقتتل الرجلان . فسمع عمر ما قال ، فقال : وأيُّ شيءٍ قلت ؟ قال : لا شيء يا أمير المؤمنين ! قال : ماذا قلت ؟ اقتتل الرجلان ؟ قال : فلمَّا رأى ذلك ابن عباسٍ ؛ قال : أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزَّة بالإثم ، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ، يقوم هذا ، فيأمر هذا بتقوى الله ، فإذا لم يقبل ، وأخذته العزَّة بالإثم ، قال هذا : وأنا أشتري نفسي ! فقاتله ، فاقتتل الرجلان ، فقال عمر : لله تلاكذك يا ابن عباسٍ [(٨٩٧)] .

وكان عمر - رضي الله عنه - يسأل ابن عباسٍ عن الشَّيء من القرآن ، ثمَّ يقول : غصَّ غَوَاصٍ [(٨٩٨)] ، بل كان عمر إذا جاءتة الأفضية المعضلة ؛ يقول لابن عباس : يا أبا عَبَّاسٍ ! قد طرأت علينا أفضية عضلٌ ، وأنت لها ، ولأمثالها ! ثمَّ يأخذ برأيه ، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه إذا كانت العضل [(٨٩٩)] ، وعن سعد بن أبي وقَّاص ، قال : ما رأيت أحداً أحضر فهماً ، ولا ألبَّ لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس !

ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعو للمعضلات ، ثمَّ يقول : عندك قد جاءتك معضلةٌ ، ثمَّ لا يجاوز قوله ، وإنَّ حوله لأهل بدرٍ من المهاجرين ، والأنصار [(٩٠٠)] ، وكان عمر يصفه بقوله : ذاكم فتى الكهول ، إنَّ له لساناً سؤولاً ، وقلباً عقولاً [(٩٠١)] .

يقول طلحة بن عبيد الله : ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباسٍ أحداً [(٩٠٢)] ، وكان ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - كثير الملازمة لعمر ، حريصاً على سؤاله ، والأخذ عنه ، ولذا كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة نقلاً ، وروايةً لتفسير عمر ، وعلمه - رضي الله عنهم - وقد أشار بعض أهل العلم إلى أنَّ عامَّة علم ابن عباسٍ أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع [(٩٠٣)] .

هذا بعض ما لقيه ابن عباسٍ إمام المدرسة المكيَّة من عناية الفاروق ، وتقريبه له - رضي الله عنهم - وأظنُّ هذا ممَّا أعان ابن عباسٍ ، وشجَّعه للمُضيِّ قُدماً في طريق العلم عامَّةً ، والتفسير خاصَّةً [(٩٠٤)] .

قد تحدّثنا عن اهتمام عمر بالمدينة ، وجعلها داراً للفتوى ، والفقهِ ، والعلم ، وأشهر من تفرّغ في المدينة للحياة العلميّة زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ، فقد استبقاه عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - في المدينة ، فكثر أصحابه ، يقول ابن عمر - رضي الله عنهما : فرّق عمر الصحابة في البلدان ، وحبس زيد بن ثابت بالمدينة ، يفتي أهلها . ويقول حميد بن الأسود : ما تقلّد أهل المدينة قولاً بعد زيد بن ثابت كما تقلّدوا قول مالك [(٩٠٥)] ، وكان أحد الصّحابة الذين

قيّض لهم أصحاباً حفظوا أقوالهم ، ونشروا علمهم ، واثارهم [(٩٠٦)] . وقال عامر الشّعبي - رحمه الله - : غلب زيد النّاس على اثنين ، على الفرائض ، والقران [(٩٠٧)] .

وقد شهد رسول الله (ص) لزيد في علم الفرائض ، فقال : « وأفرضهم زيد » [(٩٠٨)] . وقد صحب زيداً عدداً من فقهاء المدينة ، وقد اشتهر من أصحابه والاخذين عنه سنّة من التّابعين ، يقول ابن المديني : فأما من لقي زيداً ، وتنبّت عندنا أنّه لقيه ؛ فهم : سعيد بن المسيّب ، وعروة بن الرّبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وخارجة بن زيد ، وأبان بن عثمان ، وسليمان بن يسار [(٩٠٩)] ، وقد كان مدرسة المدينة الأثر الكبير ، كما بيّنا في المدارس العلميّة الأخرى .

٣ . المدرسة البصريّة :

أوّل من مَصّر البصرة عتبة بن غزوان - رضي الله عنه - اختطّها سنة أربع عشرة - وقيل غير ذلك - بأمر عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى عند حديثنا عن التطوير العمراني في السّياسة العمريّة ، وهي أقدم من الكوفة بثلاث سنين [(٩١٠)] ، وهي منافسة لمدرسة الكوفة في كلّ الفنون ، وقد نزلها من الصّحابة جمعٌ كثيرٌ [(٩١١)] ، منهم : أبو موسى الأشعريّ ، وعمران بن حصين - رضي الله عنهما - ، وعدّة من الصّحابة كان خاتمهم أنس بن مالك رضي الله عنه [(٩١٢)] .

ومن أشهر من نزل البصرة أبو موسى الأشعريّ ، وأنس بن مالك - رضي الله عنهما - فأما أبو موسى - رضي الله عنه - فكان فيمن قدم مكّة ، وأسلم ، وهاجر إلى الحبشة مع من هاجر ، وكان يعدّ من أعلم الصّحابة ، وقد قدم البصرة ، وعلم بها [(٩١٣)] ، وقد تأثر أبو موسى بعمر بن الخطّاب - رضي الله عنهما - وكانت بينهما مراسلاتٌ ، سنأتي عليها - بإذن الله - عند حديثنا عن مؤسّسة الولاية ، والقضاة ، وكان أبو موسى - رضي الله عنه - قد اشتهر بالعلم ، والعبادة ، والورع ، والحياء ، وعزّة النفس ، وعفتها ، والرّهد في الدُّنيا ، والثّبات على الإسلام . ويعد أبو موسى - رضي الله عنه - من كبار علماء الصّحابة ،

، وفقهائهم ، ومفتيهم ، فقد ذكره الذهبي في « تذكرة الحفاظ » في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنهم ، قال عنه : كان عالماً

عاملاً ، صالحاً ، تالياً لكتاب الله ، إليه المنتهى في حسن الصّوت بالقران ، روى علماً طيباً مباركاً ، أقرأ أهل البصرة ، وأفقههم [(٩١٤)] .

وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي (ص) ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر ، وعليّ ، وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً ، وكان عمر يتعهده بالوصايا ، والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة ، كما أنّ أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كلّ ما يعرض له من القضايا ، حتّى عدّه الشعبي واحداً من أربعة قضاة ، هم أشهر قضاة الأمة ، فقال : قضاة الأمة : عمر ، وعليّ ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى [(٩١٥)] .

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة المنورة يحرص على مجالس عمر - رضي الله عنهما - وربما أمضى جزءاً كبيراً معه ، فعن أبي بكر بن أبي موسى : أنّ أبا موسى - رضي الله عنه - أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء ، فقال له عمر : ما جاء بك؟ قال : جئت أتحدّث إليك ، قال : هذه الساعة ! قال : إنّه فقه . فجلس عمر ، فتحدّثا طويلاً ، ثمّ إن أبا موسى قال : الصلّاة يا أمير المؤمنين ! قال : إنّنا في صلاة [(٩١٦)] .

وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلّم ، كان أيضاً حريصاً على نشر العلم ، وتعليم الناس ، وتفقيهم ، وكان يحضّ الناس على التعلّم ، والتعليم في خطبه ، فعن أبي المهلب قال : سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول : من علّمه الله علماً ؛ فليعلّمه ، ولا يقولنّ ما ليس له به علم ، فيكون من المتكلّفين ، ويمرق من الدين [(٩١٧)] .

وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلميّ ، وخصّص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلميّة ، ولم يكتف بذلك ، بل كان لا يدع فرصة تمرّ دون أن يستفيد منها في تعليم الناس ، وتفقيهم ، فإذا ما سلم من الصلّاة استقبل - رضي الله عنه - الناس ، وأخذ يعلّمهم ، ويضبط لهم قراءتهم للقران الكريم ، قال ابن شوذب : كان أبو موسى إذا صلّى الصبح ؛ استقبل الصّفوف رجلاً رجلاً يقرئهم [(٩١٨)] .

واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته ، وحسن قراءته ، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعون يقرأ ، وكان عمر - رضي الله عنه - إذا جلس عنده أبو موسى ، طلب منه أن يقرأ له

ما يتيسر له من القرآن [(٩١٩)] ، وقد وقَّفه الله لتعليم المسلمين ، وبذل رضي الله عنه كلَّ ما يستطيع من جهدٍ في تعليم القرآن ، ونشره بين النَّاس في كل البلاد التي نزل فيها ، واستعان بصوته الجميل ، وقراءته النَّديَّة ، فاجتمع النَّاس عليه ، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة ، فقسَّمهم إلى مجموعاتٍ وحلَّقٍ ، فكان يطوف عليهم يسمعونهم ، ويستمع منهم ، ويضبط لهم قراءتهم [(٩٢٠)] ، فالقران الكريم شغله الشَّاغل - رضي الله عنه - . صرف له معظم أوقاته في حلِّه ، وفي سفره ، فعن أنس بن مالك قال : بعثني الأشعريُّ إلى عمر - رضي الله عنه - فقال عمر : كيف تركت الأشعريَّ ؟ فقلت له : تركته يعلم النَّاس القرآن ، فقال : أما إنَّه كيسٌ [(٩٢١)] ، ولا تسمعها إياه [(٩٢٢)] . حتَّى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ، ويفقه ، فعن حطَّان بن عبد الله الرقاشي قال : كنَّا مع أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - في جيشٍ على ساحلِ دجلة ، إذ حضرت الصَّلَاة ، فنادى مناديه للظُّهر ، فقام النَّاس للوضوء ، فتوضَّأ ، ثم صلَّى بهم ، ثم جلسوا حلَّقاً ، فلمَّا حضرت العصر نادى منادي العصر ، فهبَّ النَّاس للوضوء أيضاً ، فأمر مناديه : لا وضوء إلا على من أحدث . وأثمرت جهوده العلميَّة - رضي الله عنه - وقرَّت عينه برؤية عددٍ كبير حوله من حفَّاظ القرآن الكريم ، وعلمائه ، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمئةٍ ، ولما طلب عمر بن الخطَّاب من عمَّاله أن يرفعوا إليه أسماء حفَّاظ القرآن لكي يكرمهم ، ويزيد عطاءهم ، كتب إليه أبو موسى : أنَّه بلغ من قبلي ممَّن حمل القرآن ثلاثمئةٍ وبضعة رجالٍ [(٩٢٣)] .

واهتمَّ أبو موسى - رضي الله عنه - بتعليم السُّنَّة ، وروايتها ، فروى عن رسول الله (ص) الكثير ، كما روى عن كبار الصَّحابة السُّنَّة وروايتها ، وروى عنه عددٌ من الصَّحابة ، وكبار التَّابعين . قال الدَّهبي - رحمه الله - : حدَّث عنه بريدة بن الحصيبي ، وأبو أمامة الباهليُّ ، وأبو سعيد الخدريُّ ، وأنس بن مالك ، وطارق بن شهاب ، وسعيد بن المسيب ، والأسود بن يزيد ، وأبو وائل شقيق بن سلمة ، وأبو عثمان النَّهديُّ ، وخلقٌ سواهم [(٩٢٤)] .

وكان رضي الله عنه شديد التمسُّك بسنَّة النَّبي (ص) ، دلَّ ذلك على ما أوصى به أولاده عند موته . ومع حرصه الشَّديد على السُّنَّة لم يكثر - رضي الله عنه - من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة - رضي الله عنهم - فقد كانوا يتهيبون من الرِّواية عن النَّبي (ص) مخافة الزَّلل ، والخطأ ، وقد كان عمر يوصي عمَّاله أن يهتمُّوا بالقران ، وألا يكثرُوا من رواية السُّنَّة ، وكان أبو موسى شديد الطَّاعة لعمر [(٩٢٥)] .

وأما أنس بن مالك النجاري الخزرجي خادم رسول الله (ص) ؛ كان يتسمّى بذلك ، ويفتخر به ، وحقاً له ذلك [(٩٢٦)] ، فيقول رضي الله عنه : خدمت النبيّ (ص) عشر سنين وأنا غلامٌ [(٩٢٧)] .

ويقول أيضاً : قدم رسول الله (ص) وأنا ابن عشر سنين ، ومات وأنا ابن عشرين سنة [(٩٢٨)] ، وقد دعا له النبيّ (ص) بكثرة المال ، والمباركة في العمر ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم أكثر ماله ، وولده ، وبارك له فيه » [(٩٢٩)] . قال الذهبيّ : وقد سرد صاحب التّهذيب نحو مئتي نفسٍ من الرّواة عن أنسٍ [(٩٣٠)] ، وروى ألفي حديث ، ومئتين وستةً وثمانين حديثاً ، اتفق البخاريّ ، ومسلمٌ على مئةٍ وثمانين حديثاً ، وانفرد البخاريّ بثمانين حديثاً ، ومسلمٌ بتسعين [(٩٣١)] ، ويعتبر أنس بن مالك رضي الله عنه شيخ السّادة من علماء التّابعين أمثال : الحسن البصري ، وسليمان التّيمي ، وثابت البناني ، والرّهري ، وربيعه بن أبي عبد الرحمن ، وإبراهيم بن ميسرة ، ويحيى ابن سعيد الأنصاري ، ومحمّد بن سيرين ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغيرهم [(٩٣٢)] .

وقد اهتمّ أنس بخدمة السّنة روايةً ، وتعليماً ، وغلبت عليه الصّفة العلميّة ، فقد قام ببعض الأعمال الهامّة في خدمة الخلافة الراشدة ، وأسند إليه الخلفاء الرّاشدون . رضي الله عنهم . بعض المناصب الرّفيعة في الدّولة المسلمة ، وخاصّة في عهد أبي بكرٍ ، وعمر رضي الله عنهما . ولما تولى أبو موسى الأشعريّ . رضي الله عنه . ولاية البصرة في عهد عمر ؛ قرّب أنساً ، واعتبره من خاصّته ، فعن ثابت عن أنس قال : كنا مع أبي موسى في مسيرٍ ، والنّاس يتكلّمون ، ويذكرون الدّنيا ، قال أبو موسى : يا أنس ! إنّ هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً ، فتعال فلندكر ربّنا ساعةً ، ثمّ قال : ما ثبر النّاس . ما بطاً بهم . ؟ قلت : الدّنيا ، والشّيطان ، والشّهوات . قال : لا ، لكن عجلت الدّنيا ، وعُيبت الآخرة ، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ، ولا ميّلوا [(٩٣٣)] ! ولثقة أبي موسى بأنسٍ فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير

المؤمنين عمر ، قال أنس : بعثني أبو موسى الأشعريّ من البصرة إلى عمر ، فسألني عن أحوال النّاس [(٩٣٤)] . وبعد فتح تستر أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى ، والغنائم ، فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان [(٩٣٥)] .

وقد روى عن أنسٍ خلقٌ عظيمٌ من الصّحابة ، والتّابعين ، لا سيما في البصرة ، وقد ترك أثره في الرّهد ، والعبادة فيمن حوله من النّاس .

وكان أنس حريصاً على تعليم أصحابه ، شديد المحبة لتلاميذه ، يدينهم ، ويكرمهم قائلاً : ما أشبهكم بأصحاب محمد (ص) ! والله لأنتم أحبُّ إليَّ من عدَّة ولدي إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم ! وإيَّيَّي لأدعو لكم بالأسحار]] (٩٣٦) ، ممَّا مكَّنه من إنشاء جيلٍ من العلماء الذين أخذوا عنه علم الحديث ، وبلَّغوه للاخرين ، وحملوا للأجيال من بعدهم ، وبقي أصحاب أنس الثِّقات إلى ما بعد الخمسين ومئة]] (٩٣٧) .

٤ . المدرسة الكوفيَّة :

نزل الكوفة ثلاثمئة من أصحاب الشَّجرة ، وسبعون من أهل بدرٍ ، رضي الله عنهم أجمعين ، وكتب عمر بن الخطَّاب إلى أهل الكوفة قائلاً : يا أهل الكوفة ! أنتم رأس العرب ، وجمجمتها ، وسهمي الذي أرمي به إن أتاني شيءٌ من ها هنا ، وها هنا ، قد بعثت إليكم بعبد الله ، وخزئت لكم ، واثرتكم به على نفسي]] (٩٣٨) .

وفي روايةٍ عنه : قال : أمَّا بعد فإيَّي بعثت إليكم عمَّاراً أميراً ، وعبد الله معلِّماً ، ووزيراً ، وهما من النُّجباء من أصحاب رسول الله (ص) ، فاسمعوا لهما ، واقصدوا بهما ، وإيَّي قد اثرتكم بعبد الله على نفسي إثره]] (٩٣٩) . وقد اهتمَّ عمر بالكوفة ، ووجَّه ابن مسعود ، فكتب إليه : إنَّ القرآن نزل بلسان قريش فأقرأى النَّاس بلغة قريش ، لا بلغة هذيل]] (٩٤٠) .

وعندما شيع جماعةً من الصَّحابة قاصدين الكوفة ؛ قال لهم : إنَّكم تأتون أهل قرية . يعني : الكوفة . لهم دويٌّ بالقران كدوي النَّحل ، فلا تصدُّوهم بالأحاديث ، فتشغلوهم ، جرِّدوا القران ، وأقلُّوا الرِّواية عن رسول الله (ص) ، وأمضوا ، وأنا شريككم]] (٩٤١) ، لقد كان عمر يفضِّل الاشتغال بالقران عن الاشتغال بالسُّنة ، ويظهر لنا ذلك في أنَّه لما أراد أن يكتب السُّنة ؛ استشار أصحاب رسول الله في ذلك ، فأشاروا عليه : أن يكتبها ، فطفق يستخير الله فيها شهراً ، ثمَّ أصبح يوماً وقد عزم الله له ، فقال : إيَّي كنت أريد أن أكتب السُّنن ، وإيَّي ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكبُّوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإيَّي والله لا ألِّيس كتاب الله بشيءٍ أبداً]] (٩٤٢) .

لقد كانت منهجيَّة الفاروق تعتمد على ترسيخ القران الكريم في نفوس النَّاس وعدم صرفهم عنه ، حتَّى تتأصَّل معانيه في حياة المجتمع ، وتستقرَّ علومه ، ويميِّز الناس بينه وبين سواه من العلوم الإسلاميَّة الأخرى بما فيها الحديث النَّبوي]] (٩٤٣) ، فالتأكيد على القران الكريم كان منذ عهد رسول الله (ص)

، والتحذير من الانصراف إلى غيره كان منذ ذلك العصر أيضاً ، وما كان عمر . رضي الله عنه . إلا متبوعاً لتعاليم النبي (ص) [(٩٤٤)] .

اجتهد عبد الله بن مسعود في إيجاد جيلٍ يحمل دعوة الله فهماً ، وعلماً ، وكان له الأثر البالغ في نفوس أصحابه الملازمين له ، أو من جاء بعدهم ، وقد شهد له الفاروق بالعلم ، فعن زيد بن وهبٍ ، قال : كنت جالساً في القوم عند عمر ؛ إذ جاء رجلٌ نحيف ، قليلٌ ، فجعل عمر ينظر إليه ، ويتهلل وجهه ، ثم قال : كنيفٌ ملأى علماً ، كنيفٌ ملأى علماً ، فإذا هو ابن مسعودٍ [(٩٤٥)] .

وقد تأثرت مدرسة الكوفة بآبٍ مسعودٍ ، فقد كانت من أكثر المدارس اقتداءً ، ومتابعةً لأستاذها حتى بعد موته ، فإن تأثيره قد بقي في الكوفة بعده مدّةً طويلةً [(٩٤٦)] ، وقد تأثر رضي الله عنه بفقهِه عمر غاية التأثير ، وكان يدع قوله لقوله ، وكان يقول : لو أنّ علم عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . وضع في كفة الميزان ، ووضع علم أهل الأرض في كفةٍ ؛ لرجح علم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه [(٩٤٧)] . وقد برز ابن مسعود . رضي الله عنه . بين الصّحابة ، وسبق في علم القراءة ، وقد تلقى من في رسول الله (ص) بضعا وسبعين سورةً من القرآن ، فعن شقيق بن سلمة ، قال : خطبنا عبد الله بن مسعود ، فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله (ص) بضعا وسبعين سورة ، والله

لقد علم أصحاب النبي (ص) أيّ من أعلمهم بكتاب الله ، وما أنا بخيرهم [(٩٤٨)] . وعن مسروقٍ : ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو ، فقال : ذاك رجلٌ لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله (ص) يقول : « استقرئوا القرآن من أربعةٍ : من عبد الله بن مسعود . فبدأ به . وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن كعبٍ ، ومعاذ بن جبل » [(٩٤٩)] .

وقد عرف عمر الفاروق . رضي الله عنه . لابن مسعودٍ قدره في علم القراءة ، والإقراء ، فعن علقمة قال : جاء رجلٌ إلى عمر ، وهو يعرفه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! جئت من الكوفة ، وتركت بها من يملأ المصاحف عن ظهر قلبه قال : فغضب عمر ، وانتفخ ، حتى كاد يملأ ما بين شعبي الرجل ، ثم قال : ويحك ! من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعودٍ ، فما زال يطفأى ، ويسري الغضب ، حتى عاد إلى حاله التي كان عليها ، ثم قال : ويحك ! والله ما أعلمه بقي أحدٌ من المسلمين هو أحقُّ بذلك منه [(٩٥٠)] ! وقد ترك ابن مسعودٍ مجموعةً من التلاميذ اشتهروا بالفقه ، والعمل ، والزهد ، والتقوى ، منهم : علقمة بن قيس ، مسروق بن الأجدع ، عبيدة السلمانيُّ ، أبو ميسرة بن شرحبيل ، والأسود بن يزيد ، الحارث الجعفيُّ ، مرّة الهمدانيُّ [(٩٥١)] .

٥ . المدرسة الشَّامِيَّة :

بعد فتح الشام كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطَّاب كتاباً جاء فيه : إنّ أهل الشَّام كثروا ، وملؤوا المدائن ، واحتاجوا إلى مَنْ يَعْلَمُهم القرآن ويفقِّههم ، فأعني يا أمير المؤمنين ! برجالٍ يَعْلَمُونهم . فدعا عمر معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصَّامت ، وأبا الدَّرءاء . رضي الله عنهم . فأرسلهم لهذه المهمة ، وقال لهم : ابدؤوا بحمص فإنَّكم ستجدون النَّاس على وجوهٍ مختلفة ، منهم من يتعلَّم بسرعة ، فإذا رأيتم ذلك ، فعَلِّموا طائفةً من النَّاس ، فإذا رضيتم منهم ، فليقم بها واحدٌ ، ويخرج واحدٌ إلى دمشق ، والآخر إلى فلسطين ، وقدموا حمص ، فكانوا بها حتَّى إذا رضوا من أناسٍ ما وصلوا إليه من مستوى علميٍّ أقام بها عبادة ، وخرج أبو الدَّرءاء إلى دمشق ، ومعاذ إلى فلسطين [(٩٥٢)] .

كانت المدارس العلميَّة التي أنشأ نواتها الفاروق في البلدان المفتوحة تقوم بدورٍ في تعليم النَّاس ، وتربيتهم . فالمدرسة الشَّامِيَّة قامت على أكتاف معاذٍ ، وأبي الدَّرءاء ، وعبادة بن

الصَّامت . رضي الله عنهم . وغيرهم من الصَّحابة ، فأبو الدَّرءاء . رضي الله عنه . كانت له حلقةٌ عظيمة في مسجد دمشق يحضرها ما يزيد على ألف وستمئة شخص ، يقرؤون عشرةً ، عشرةً ، ويتسابقون عليه ، وأبو الدَّرءاء واقفٌ يفتي النَّاس في حروف القرآن [(٩٥٣)] ، ويعدُّ أبو الدَّرءاء أكثر الصَّحابة أثراً في الشَّام ، ودمشق . يقول الذهبي : وكان أبو الدَّرءاء عالم أهل الشَّام ، ومقرأى أهل دمشق ، وفقههم ، وقاضيهم [(٩٥٤)] .

وكان رضي الله عنه من قرَّاء الصَّحابة المعدودين [(٩٥٥)] ، وكان رضي الله عنه يحثُّ أهل الشَّام على طلب العلم قائلاً : مالي أرى علماءكم يذهبون وأرى جهَّالكم لا يتعلَّمون؟! اعلموا قبل أن يرفع العلم ، فإنَّ رفع العلم ذهابُ العلماء [(٩٥٦)] ، ومن حثَّه على طلب العلم قوله : كن عالماً ، أو متعلِّماً ، أو محبِّاً ، أو متبعباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك ! قال الحسن البصريُّ : الخامسة : المبتدع [(٩٥٧)] . وقوله : اطلبوا العلم فإنَّ عجزتم ؛ فأحبُّوا أهله ، فإنَّ لم تحبُّوهم ؛ فلا تبغضوهم [(٩٥٨)] ، ألا فتعلَّموا ، وعَلِّموا ، فإنَّ العالم والمتعلِّم في الأجر سواءٌ ، ولا خير في النَّاس بعدها [(٩٥٩)] ، ولن تكون عالماً حتَّى تكون متعلِّماً ، ولا تكون متعلِّماً حتَّى تكون بما علمت عاملاً [(٩٦٠)] ، وكان يقول : لا تفقه كلَّ الفقه حتَّى ترى للقران وجوهاً [(٩٦١)] . وقيل لأبي الدَّرءاء : ما لك لا تقول الشعر ؟ فإنَّه ليس رجل له بيت من الأنصار إلا وقد قال الشعر ؟ قال : وأنا قد قلت ، فاسمعوا :

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا مَا أَرَادَ يُقُولُ الْمَرْءُ فَأَتَيْتِي وَمَالِي وَتَقْوَى اللَّهِ
أَفْضَلُ مَا اسْتَفَادَا [(٩٦٢)] وقد جاء في رواية: أن أبا الدرداء عندما أراد عمر أن يولييه في الشام ،
فأبى ، فأصرَّ عليه ،

فقال أبو الدرداء : إذا رضيت مني أن أذهب إليهم لأعلمهم كتاب ربهم ، وسنة نبيهم ، وأصلي بهم ؛
ذهبت . فرضي عمر منه بذلك [(٩٦٣)] .

ومن إمام أبي الدرداء بكثيرٍ من العلم ازدادت مكانته في نفوس المسلمين ، فاجتمع حوله كثيرٌ من
طلاب العلم ، فمن سائلٍ عن فريضة ، ومن سائلٍ عن حسابٍ ، وسائلٍ عن حديثٍ ، وسائلٍ عن
معضلةٍ ، وسائلٍ عن شعرٍ [(٩٦٤)] ، ولهذا كان أثره العلمي واسعاً في الشام ، ولا سيما في تعليم
القران [(٩٦٥)] ، وكذلك أثره الوعظي ، فقد قام في أهل الشام ذات يوم ، فقال لهم : يا أهل الشام !
ما لكم تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، ألا وإنَّ عاداً وثمود ،
كانوا قد ملؤوا ما بين بصرى ، وعدن أموالاً وأولاداً ، ونعماً ، فمن يشتري مني ما تركوه
بدرهمين [(٩٦٦)] ؟! وقد كانت مثل هذه التعاليم تنسجم مع السياسة العمرية الرامية إلى تهيئة الأمة ،
وإدامة جاهزيتها الجهادية [(٩٦٧)] .

وأما معاذ بن جبل الخزرجي - رضي الله عنه - فقد استفاد منه أهل اليمن ، ثم أهل الشام وكان عبد الله
بن مسعود يثني على معاذ بن جبل ، فيحدث أصحابه قائلاً : إنَّ معاذاً { كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ
يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * } : وما الأمة ؟ قال : الذي يعلم الناس الخير ، ثم قال : هل تدرون ما القانت ؟
قالوا : لا ! قال : القانت : المطيع لله [(٩٦٨)] ، وإنَّ معاذاً كان كذلك . فقد كان ابن مسعود يشبهه
معاذاً بالنبي إبراهيم الخليل - عليه السلام - لما هو عليه من السمو العلمي ، والمكانة الفقهية ، والخلقية ،
وذلك لما امتاز به معاذٌ من فهم عميقٍ للفقه الإسلامي ، أعطاه قدرة على الإجابة عن المعضلات مما
أوجد له القبول والإعجاب بين المسلمين [(٩٦٩)] ، قال عنه عمر : عجزت النساء أن يلدنَّ مثل
معاذٍ [(٩٧٠)] .

وكان عمر إذا حزبه أمر ؛ يستشير أهل الشورى ، ومعهم من الأنصار : معاذ بن جبل ، وأبي بن كعب
، وزيد بن ثابت [(٩٧١)] ؛ لما يتمتعون به من الفقه ، والتفسير الواقعي ، والعلمي للأحداث ، ولما
كان لديهم من خبرة في ذلك ؛ إذ كانوا يفتون على عهد رسول الله (ص) ، وقد

كان عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - يحبُّ سماع حديث معاذٍ ، وأبي الدرداء ، فيقول : حدِّثونا عن العاقِلَيْنِ ، فيقال : من العاقلان ؟ فيقول : معاذٌ ، وأبو الدرداء الأنصاريَّانِ [(٩٧٢)] .
ولما خطب الخليفة عمر بن الخطاب بالجابية ؛ قال : من كان يريد أن يسأل عن الفقه ؛ فليأت معاذ بن جبلٍ [(٩٧٣)] .

وكان رأي عمر في بداية عهد الصِّدِّيق : أنَّ الخلافة لا تستغني عن وجود معاذ ابن جبل في عاصمتها ، وكان معارضاً لخروجه من المدينة ، فكان يقول بعد خروج معاذ إلى الشَّام : لقد أخلَّ خروجه بالمدينة ، وأهلها في الفقه ، وما كان يفتيهم به ، ولقد كنت كلِّمت أبا بكر أن يجسه لحاجة النَّاسِ إليه ، فأبي عليٍّ ، وقال : رجلٌ أراد الشَّهادة ، فلا أحبسه . فقلت : والله إنَّ الرَّجل ليرزق الشَّهادة وهو على فراشه ، وفي بيته ، عظيم الغنى عن مصره [(٩٧٤)] . ويبدو أنَّ الفاروق غيَّر رأيه فيما بعد ، فقد أرسله لتعليم أهل الشَّام ، وأقرَّه على البقاء فيها .

وقد كان لخروج معاذ بن جبلٍ إلى الشَّام أثرٌ كبيرٌ لما ترك من العلم ، والفقه ، ولما أثبت من جدارةٍ في ذلك ، قال أبو مسلم الخولاني : دخلت مسجد حمص ، فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النَّبِيِّ (ص) ، وإذا فيهم شابٌ أكحل العينين ، براق الشَّنايا ، ساكتٌ لا يتكلَّم ، فإذا امترى القوم في شيءٍ ؛ أقبلوا عليه ، فسألوا ، فقلت لجليسٍ لي : من هذا ؟ قال : معاذ بن جبلٍ [(٩٧٥)] . وكان معاذ - رضي الله عنه - يحثُّ على طلب العلم ، فيقول : تعلَّموا العلم ، فإنَّ تعلُّمهُ لله خشيةٌ ، وطلبه عبادةٌ ، ومذاكرته تسبيحٌ والبحث عنه جهادٌ ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقةٌ ، وبذله لأهله قربةٌ ؛ لأنه معالم الحلال ، والحرام ، ومنار أهل الجنَّة ، والأنس في الوحشة ، والصَّاحب في الغربة ، والمحدِّث في الخلوة ، والدَّلِيل على السَّراء والضَّراء ، والسِّلاح على الأعداء ، والدِّين عند الأجلاء ، يرفع الله تعالى به أقواماً ، ويجعلهم في الخيرة قادةً ، وأئمةً تُقتبس آثارهم ، ويُقتدى بفعالهم ، ويُنتهى إلى رأيهم [(٩٧٦)] .

وقد بقي في الشَّام يعلم النَّاس دينهم إلى أن أصيب في طاعون عمواس ، فبكاه أصحابه ، فقال : ما بيكيكم ، قالوا : نبكي على العلم الذي ينقطع عنا عند موتك . قال : إنَّ العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة ، ومن ابتغاهما ؛ وجدتهما في الكتاب ، والسُّنَّة ، فاعرضوا

على الكتاب كلَّ الكلام ، ولا تعرضوه على شيءٍ من الكلام [(٩٧٧)] .

فالقران عند معاذ هو الميزان الذي يقاس عليه كلُّ شيءٍ ، ولا يقاس هو على غيره .

هذه هي منهجية معاذ في تعليمه للقران ، بقي متمسكاً بذلك إلى اخر لحظة في حياته ، فكان وهو في غمرات الموت كلما أفاق فتح عينيه ، ثم قال : ربي اخنقني خنقك ! فوعزتك إنك لتعلم أن قلبي يحبك [(٩٧٨)] !

وأما عبادة بن الصّامت . رضي الله عنه . فقد وجّهه عمر الفاروق إلى الشّام قاضياً ومعلّماً ، فأقام بجمص ، ثمّ انتقل إلى فلسطين ، فولي قضاءها ، واستقرّ به المقام فيها ، فكان أوّل من تولّى قضاء فلسطين ، وكان أيضاً يعلّم أهلها القران ، وظلّ على هذا النّحو إلى أن مات بها [(٩٧٩)] ، وقد أسهم عبادة بنصيب كبير في تنفيذ سياسة الفاروق العلميّة ، والتربويّة ، والجهاديّة ، وكان رضي الله عنه من أهل الزّهد ، والخشونة ، فعندما وصل إلى حمص ؛ قال لأهلها : ألا إنّ الدّنيا عرضٌ حاضرٌ ، وإنّ الآخرة وعدٌ صادقٌ .. ألا وإنّ للدّنيا بنين ، وإنّ للآخرة بنين ، فكونوا من أبناء الآخرة ، ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، فإنّ كلّ أمّ يتبعها بنوها [(٩٨٠)] .

فهذه المعاني كان عمر يحرص على ترسيخها في نفوس المسلمين ، ويختار من الصّحابة الكرام من يستطيع أن يذكرّ النّاس بها ، وتتجسّد هذه المعاني في سيرته ، وكان رضي الله عنه يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، فعندما كان قاضياً في فلسطين أنكر على والي الشّام شيئاً ، وقال : لا أساكنك بأرضٍ ، فرحل إلى المدينة ، فقال له عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره ، فقال : ارحل إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك ، فلا إمرة له عليك [(٩٨١)] !

فعاد إلى الشّام داعيةً ، ومعلّماً ، وقدوةً في مجتمعه .

وبعث عمر . رضي الله عنه . أيضاً . عبد الرحمن بن غنم الأشعريّ إلى الشّام يفقه النّاس ، فمعاذ ، وأبو الدرداء ، وعبادة . رضي الله عنهم . هم الأعمدة الرّئيسية التي اعتمد عليها عمر في تأسيس المدرسة الشّاميّة ؛ التي قامت بالدّعوة ، والتّعليم ؛ والتّربية في تلك الديار ، وكان معهم مجموعةٌ خيرةٌ من الصّحابة الكرام ، وعلى يد هؤلاء الصّحب الكرام تعلّم التّابعون بالشّام ، وكانوا كثيرين إلا أنّ أشهرهم عائد الله بن عبد الله أبو إدريس الخولانيّ ، ومكحول أبو عبد الله الدمشقيّ ، وغيرهم كثير [(٩٨٢)] .

٦ . المدرسة المصرية :

كان في جيش عمرو بن العاص . رضي الله عنه . الذي فتح مصر الكثير من الصّحابة ، إلا أننا يمكن أن نعدّ عقبة بن عامر . رضي الله عنه . أكثر الصّحابة تأثيراً في مصر في النّواحي العلميّة ، وقد أحبّ

أهل مصر عقبة ، ورووا عنه ، ولازموه حتى قال سعد بن إبراهيم : كان أهل مصر يحدثون عن عقبة بن عامر ، كما يحدث أهل الكوفة عن عبد الله [(٩٨٣)] ، وتلقى المصريون العلم عن الصحابة ، وكان من أشهرهم أبو الخير مرشد بن عبد الله اليزبي ، فقد أخذ العلم وتلمذ على يد عقبة ، وعمرو بن العاص [(٩٨٤)] ، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم .

هذه أهم المدارس التي كان لحركة الفتوحات أثر في نشأتها ، والتي أشرف على نواتها الأولى الفاروق . رضي الله عنه . وقد كان عمر - رضي الله عنه - إذا اجتمع إليه جيش ، بعث عليهم رجلاً من أهل العلم ، والفقهاء ؛ ليعلم الجند أمور دينهم ، وما قد يعرض لهم من الأمور ، والأحكام ، والقواعد الفقهية ، والقران [(٩٨٥)] .

وعندما اتسعت الفتوحات الإسلامية ؛ احتاجت للمؤسسات العلمية التربوية ، فقد بنيت الأمصار الإسلامية ، مثل الكوفة ، والبصرة ، والفسطاط ، فبالإضافة إلى كونها قواعد عسكرية ، ومراكز لتجمع الجند ، وأسرهم ؛ أصبحت أيضاً مقراً لتجمع العلماء ، والفقهاء ، والوعاظ [(٩٨٦)] ، فقد كان الفاروق يعين الدعاة ، والمعلمين ، ويرسلهم إلى البلدان المفتوحة ، وقد صرح الفاروق بأن من أهم مقاصد بعث الولاة ، والأمراء إلى الأمصار أن يقوموا بتعليم الناس ، فقد خطب الفاروق - رضي الله عنه - وقال : اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار ، وإني إنما بعثتهم عليهم ؛ ليعدلوا بينهم ، وليعلموا الناس دينهم ، وسنة نبيهم (ص) ، ويقسموا فيهم فيئهم [(٩٨٧)] .

وقد فرض الفاروق الأرزاق من بيت مال المسلمين للمعلمين ، والمفتين حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم في التعليم ، والإفتاء ، وحتى الذين يعلمون الأطفال تكفل الفاروق بأرزاقهم ، فقد كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان ، فكان عمر يرزق كلاً منهم خمسة عشر (درهماً) في كل شهر [(٩٨٨)] ، فقد كان نشر التعليم من أهم أهداف الخليفة عمر بن الخطاب ، فقد أرسل في البوادي ، والأمصار من يعلمهم دينهم ، ولم يكتف عمر - رضي الله عنه - بجهود ولاة الأمصار في نشر التعليم ، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم من المدينة ، محمّلين بوصاياهم ، فقد بعث عشرة من الصحابة - رضي الله عنهم - وكان فيهم عبد الله بن مغفل المزبي ؛ ليفقهوا الناس بالبصرة [(٩٨٩)] ، وكذلك بعث عمران بن حصين الخزاعي - رضي الله عنه - إلى البصرة ؛ ليفقه أهلها ، وكان من فقهاء الصحابة [(٩٩٠)] .

ويبدو : أنَّ التَّعليم في الشَّام كان أكثرَ مركزيةً من بقيةِ الأمصار ؛ لأنَّ عمر . رضي الله عنه . لما افتتح البلدان ؛ كتب إلى أبي موسى الأشعريِّ ، وهو على البصرة ، يأمره أن يتَّخذ للجماعة مسجداً ، ويتَّخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة ؛ انضُّموا إلى مسجد الجماعة ، وشهدوا الجمعة ، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص ؛ وهو على الكوفة بمثل ذلك ، وكتب إلى عمرو بن العاص ؛ وهو على مصر بمثل ذلك ، وكتب إلى أمراء أجناد الشَّام : لا يتبدوا إلى القرى ، ويتركوا المدائن ، وأن يتَّخذوا في كلِّ مدينةٍ مسجداً واحداً ، ولا يتَّخذوا للقبائل مساجد كما اتَّخذ أهل الكوفة ، والبصرة ، ومصر [(٩٩١)] ، فقد اهتمَّ الفاروق بالكوادر العلميَّة المتخصِّصة ، وبعثها إلى الأمصار ، وأرشد القادة ، والأمراء مع توسُّع حركة الفتوحات بإقامة المساجد في الأقاليم المفتوحة ؛ لتكون مراكز للدِّين الجديد ، ومراكز للعلم ، والمعرفة ، ونشر الحضارة الإسلاميَّة ، فقد كانت المساجد هي المؤسَّسات العلميَّة الأولى في الإسلام ، ومن خلالها تحرَّك علماء الصَّحابة لتعليم الأُمَّة وفق الخطَّة الاستراتيجيَّة ؛ التي سار عليها الفاروق والتي وضعت منذ عصر النَّبي (ص) . وقد وصلت المساجد التي يصلى فيها الجمعة في دولة عمر . رضي الله عنه . إلى اثني عشر ألف منبر [(٩٩٢)] ، وكانت تقوم بدورها في تعليم النَّاس ، وتربيتهم ، وتهذيب نفوسهم ، وعندما احتاج المسلمون إلى فصل مكان تعليم الصِّبيان عن المساجد ؛ أمر عمر . رضي الله عنه . ببناء بيوت المكاتب ، ونصب الرِّجال لتعليم الصِّبيان ، وتأديبهم [(٩٩٣)] ، وشجَّع الفاروق الطُّلاب على تلقي العلوم ، ويسَّر سبلها لهم ، وأعطاهم

المكافآت الماليَّة تشجيعاً لهم ، فقد كتب إلى بعض عمَّاله بمنح الجوائز تشجيعاً للمتفويِّقين ، وقد تجلَّى ذلك في أمره لسعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . بأن يعطي من يتعلَّم القرآن ممَّا بقي من المال [(٩٩٤)] ، وهذا التَّشجيع من الفاروق لأبناء الأُمَّة الذين إن تفرغوا لتعلُّم كتاب الله ، وحفظه ؛ فلن يجدوا إلاَّ العون ، والتَّشجيع ، وخصوصاً في الأقاليم التي أهلها حديثو عهدٍ بالإسلام ، يفجر الطَّاقات الكامنة فيها من مقدرة أبنائها على حفظ ، وفهم كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) ، وقد كان رضي الله عنه يهتمُّ بجميع العلوم التي لها علاقة بالقران ، والسُّنة وخصوصاً اللغة العربيَّة ، ومن أقواله في ذلك : تعلِّموا العربيَّة ، فإنَّها تثبتُّ العقل ، وتزيد في المروءة [(٩٩٥)] .

وقوله : تعلِّموا النَّحو كما تتعلَّمون السُّنن ، والفرائض [(٩٩٦)] . وقوله : تعلِّموا إعراب القرآن كما تتعلَّمون حفظه [(٩٩٧)] .

وقوله : شرُّ الكتابة المشق [(٩٩٨)] ، وشرُّ القراءة الهذرمية ، وأجود الخطِّ أبينه [(٩٩٩)] .

بل نجد : أنَّ الفاروق يعاقب من يخطأ في العربية ، وهو في مكانٍ هامٍّ ينبغي أن يكون فيه مجيداً لما كُلف به ، وتحمله ، فقد ورد أنَّ أبا موسى الأشعريّ كتب إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كتاباً ، فكتب إليه عمر : إنَّ كاتبك ؛ الذي كتب إليّ لحن ، فاضربه سوطاً [(١٠٠٠)] .

وقد روى ابن الجوزي أيضاً : أنَّ كاتب عمرو بن العاص كتب إلى عمر ، فكتب : باسم الله ، ولم يكتب السنين ، فكتب عمر إلى عمرو : أن اضربه سوطاً ، فاضربه عمرو ، فقيل له : في أيّ شيءٍ ضربك ؟ قال : في سين [(١٠٠١)] .

إنَّ الفاروق - رضي الله عنه - كان حريصاً على إتقان كلِّ شيءٍ ، ولذا لم يترك أمراً من الأمور التي تتصل بالسياسة ، أو الاقتصاد ، أو الجيوش ، أو التعليم ، أو الأدب ، أو غير ذلك مما يتصل بحياة الأمة ، ومجدها ، وعزّتها ، وقوّتها ، وحضارتها إلا أبدع فيه ، وأعطاه اهتمامه ، ويدلُّنا على شمولية سياسته ، وحسن رعايته للأمة باستعمال الشدّة في موضعها ، واللين في موضعه ، والحفاظ على أن يكون مستوى الكتابة بين الولاة على مستوى الفصحى في أمّةٍ

دستورها القرآن الكريم ؛ الذي نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين [(١٠٠٢)] .

كانت خلف المؤسّسة العسكرية التي قامت بفتح العراق ، وإيران ، والشّام ، ومصر ، وبلاد المغرب كوادراً علميّةً ، وفقهيّةً ، ودعويّةً متميِّزةً تربّيت على يدي رسول الله (ص) في المدينة ، وقد استفاد الفاروق من هذه الطّاقات ، فأحسن توجيهها ، ووضعها في محلّها ، فأسّست تلك الكوادرات الحركة العلميّة ، والفقهيّة ؛ التي كانت مواكبةً لحركة الفتح ، واستطاع علماء الصّحابة ؛ الذين تفرغوا لدعوة النّاس ، وتربيتهم أن ينشئوا جيلاً من العارفين بالدّين الإسلاميّ من أبناء المناطق المفتوحة ، وقد استطاعوا أن يتغلّبوا على مشكلة إعاقة الحاجز اللُّغوي ، بل تعلّم الكثير من الأعاجم لغة الإسلام ، وأصبح كثيرٌ من رواد حركة العلم بعد عصر الصّحابة من العجم . لقد أثّرت المدارس العلميّة ، والفقهيّة في المناطق المفتوحة ، وشكّلت جيلاً من العلماء نقلوا إلى الأمّة علم الصّحابة ، وأصبحوا من ضمن سلسلة السّنن ؛ التي نقلت للأمة كتاب الله ، وسنّة رسوله (ص) .

ويرجع الفضل - بعد الله - في نقل ما تلقاه الصّحابة من علمٍ من الرّسول بالدّرجة الأولى إلى مؤسّسي المدارس العلميّة بمكّة ، والمدينة ، والبصرة ، والكوفة ، ومصر ، وغيرها من الأقطار [(١٠٠٣)] ، وقد اهتمّ الفاروق بأولئك العلماء ، والفقهاء وتابع أحوالهم ، وسعيهم ؛ حتّى بارك الله في جهودهم ، وأثّرت تلك الثّمار ، فأصبحت يانعةً .

ثالثاً : الفاروق ، والشّعر ، والشّعراء :

يظهر من الأخبار ؛ التي وصلتنا : أنّ الحركة الشّعريّة ، كانت نشطةً في المدينة أيّام عمر بن الخطّاب ، حيث لا يخلو كتابٌ في تاريخ الشّعر العربيّ من ذكر عمر بن الخطّاب ، وبخاصّةٍ في موضوع النّقد الأدبيّ ، وانتشار الآراء النّقدية في زمنه دليلٌ على وجود السّماع ، أو الرّواية ، ومعروفٌ : أن كتب الأدب لم تعتمد على الأسانيد إلى الموثوقين من الرّواة ، ولكنّها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبيّة ، والنقدية التي تتصل بالخلفاء الرّاشدين ، والصّحابة بعامةٍ ، والتّابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ ما عدا بعض الأراجيز ؛ التي كانت تردّد في العهد النبويّ ، وروتها كتب الحديث الشّريف [(١٠٠٤)] ، ونحو أبياتٍ للتّابغة الجعديّ [(١٠٠٥)] وأمّية بن أبي الصّلت ،

وحسّان بن ثابت [(١٠٠٦)] ، فالمراجع فيما يتعلّق بالشّعر ، والشّعراء في عهد عمر هي كتب الأدب ، والأدباء ، فهي غنيّة في هذا الباب .

١ . عمر والشّعر :

كان عمر - رضي الله عنه - أكثر الخلفاء الرّاشدين ميلاً لسماع الشّعر ، وتقويمه ، كما كان أكثرهم تمثلاً به ، حتّى قيل : كان عمر بن الخطّاب لا يكاد يعرض له أمرٌ إلا أنشد فيه بيت شعرٍ [(١٠٠٧)] . روي : أنّه خرج يوماً . وقد لبس بُرداً جديداً ، فنظر إليه النّاس نظراً شديداً ، فتمثّل قائلاً :

لَمْ تُغْنِ عَن هُرْمُزٍ يَوْمًا حَزَائِنُهُ وَالْحُلْدُ قَدْ حَاوَلَتْ عَادًا فَمَا خَلَدُوا بَيْنَ الْمَلُوكِ الَّتِي كَانَتْ نَوَافِلُهَا

مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا رَاكِبٌ يَفْدُحَوْضُ هُنَالِكَ مَوْزُودٌ بِلَا كَذِبٍ لَا بَدَّ مِنْ وَرْدِهِ

يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا [(١٠٠٨)] ويروي الإمام الشّافعيّ . رحمه الله . : أنّ عمر كان يحرّك في محسّرٍ ، ويقول :

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْقًا وَضِينُهَا مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينُهَا [(١٠٠٩)] والبيت لواحدٍ من

نصارى نجران أسلم ، وذهب يجرّج .

وقيل لامرأةٍ أوسيّةٍ حكيمةٍ من العرب بحضرة عمر : أي منظرٍ أحسن ؟

فقلت : قصورٌ بيضٌ في حدائق خضرٍ ، فأنشد عمر لعديّ بن زيد :

كَدُمَى الْعَاجِ فِي الْمَحَارِبِ أَوْ كَالْبَيْضِ فِي الرَّوْضِ زَهْرُهُ [(١٠١٠)] مُسْتَنْبِرٌ وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ،

قال : خرجت مع عمر في بعض أسفاره ، فإتّأ لسيّر ليلةً ، وقد دنوت منه ، إذ ضرب مقدّم رجليه

بسوطه . وقال :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ يُقْتَلُ أَحْمَدُ
وَلَمَّا نَطَاعِنُ دُونَهُ وَنُنَاضِلُوهُ نُسَلِّمُهُ حَتَّى نُصْرَعَ حَوْلَهُ
وَنَذْهَلَ عَنَّا أُنْبَائِنَا وَالْحَلَالِيلُ وَقَالَ أَيْضاً :

وَمَا حَمَلْتُ مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا
وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْحَالِ قَبْلَ ابْتِدَالِهِ
أَبْرَ وَأَوْقَى ذِمَّةً مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمَتَجَرِّدِ [(١٠١١)] ويلاحظ الباحث :
أَنَّ محفوظ عمر من الشعر قديمه ، ومعاصره كان طيباً له ، ممَّا ينبأى عن حافظةٍ مستوعبةٍ لمخزونها ،
مصنفةٍ له ؛ إذ كان على طرف لسانه منه ما يناسب وقائع يومه في بديهةٍ حاضرةٍ ، وحافظةٍ سريعةٍ ،
بل إنَّه حفظ من الشعر ما صدر عن ضغينةٍ للإسلام ، فأسمع حسَّان بن ثابت ما قالته هند بنت عتبة
ضدَّ حمزة ، والمسلمين [(١٠١٢)] ، ممَّا هيَّج حسَّانَ للردِّ عليها .

وبهذا يمكننا أن نقول : إنَّ عمر كان مرهف الحسِّ ، رقيق الشُّعور ، يتذوَّق الشعر ، ويرويه ، ويبيدي
فيه رأياً صائباً ، بيد أنَّه لم يكن شاعراً ، كما يرى بعض الباحثين ، وما قيل من أنَّه شاعرٌ لا يسلم به
النُّقاد ، والأدباء المنصفون ؛ لأنَّه عاش في قومه كتاباً مفتوحاً ، لا يستتر منهم في شيءٍ ، وكانت له
مجالسه التي تجمعه وغيره من النَّاس ، ولو كان لعمر شعرٌ ؛ لرواه عنه هؤلاء ، وردَّدوه ، وأذاعوه فيما
بينهم ، ووصل إلينا عن طريق الرُّواة ، كما وصلت إلينا سيرته ، وحياته ، كما أنَّ النقاد الأوائل لم
يذكروا : أنَّ عمر كان شاعراً . فلم يذكره ابن سلام في طبقاته ، ولا ابن قتيبة في كتابه (الشعر والشُّعراء
) ، كما لم يذكره الجاحظ في كتبه التي عُني فيها بكثيرٍ من بلاغة عمر ، وأدبه [(١٠١٣)] .

وقد ذكر المبرِّد في خبر عمر ، ومنمِّم بن نويرة في رثائه الأخير مالك بن نويرة قولَ عمرَ لمنمِّم : لو كُنت
أقول الشعر . كما تقول . لرثيت أخي كما رثيت أخاك [(١٠١٤)] .

وكان رضي الله عنه يحبُّ من الشعر ما يعبر عن جوهر الحياة الإسلاميَّة ، ويصوِّر مبادئها ، ولا تتعارض
معانيه مع معاني الدِّين الجديد ، أو تغاير قيمه . وكان يحثُّ المسلمين على تعلُّم الشعر الجميل ، فيقول
: تعلِّموا الشعر ؛ فإنَّ فيه محاسنٌ تُبتغى ، ومساوئٌ تُتقى ، وحكمةٌ للحكماء ، ويدلُّ على مكارم
الأخلاق [(١٠١٥)] .

وكتب لأبي موسى الأشعري واليه على العراق : مر من قبلك بتعلُّم الشعر ، فإنَّه يدلُّ على معالي
الأخلاق ، وصواب الرأي ، ومعرفة الأنساب [(١٠١٦)] .

ولا يقف عند هذا الحدِّ فحسب ، بل يراه مفتاحاً للقلوب ، ومحركاً لمشاعر الخير في

الإنسان، فهو يقول في فضله، ونفعه: أفضل صناعات الرّجل الأبيات من الشّعر يقدّمها في حاجاته، يستعطف بها قلب الكريم، ويستميل بها قلب اللّئيم [(١٠١٧)].

ولكي تكتمل تربية الأبناء يوجّه الآباء ليرووا أولادهم محاسن الشّعر ، فيقول : علّموا أولادكم العوم ، والرّماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً ، ورؤوهم ما يجمل من الشّعر [(١٠١٨)] .

ويظهر حرص عمر على الشّعر الجاهلي شديداً ، لما لذلك من صلةٍ بكتاب الله حين يقول : عليكم بديوانكم لا تضلّوا . فقال له سامعوه : وما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهليّة ، فإنّ فيه تفسير كتابكم ، ومعاني كلامكم [(١٠١٩)] .

وهذا يتّفق مع موقف تلميذه ترجمان القران عبد الله بن عباسٍ ؛ الذي يقول : إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله ، فلم تعرفوه ؛ فاطلبوه في أشعار العرب ، فإنّ الشّعر ديوان العرب [(١٠٢٠)] .

وكان عمر رضي الله عنه يرى : أنّ الشّعر كان أصحّ العلوم عند الجاهليّين ، فقد ورد : أنّه قال : كان الشعر علم القوم ، ولم يكن لهم علمٌ أصحّ منه ، فجاء الإسلام ، فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ، وغزو الرّوم ، ولهيت عن الشّعر ، وروايته ، فلمّا كثّر الإسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب في الأمصار ، راجعوا رواية الشّعر ، فلم يؤوّلوا إلى ديوانٍ مدوّنٍ ، ولا كتابٍ مكتوبٍ ، وألفوا ذلك ؛ وقد هلك من العرب من هلك بالموت ، والقتل ، فحفظوا أقلّ ذلك ، وذهب عنهم أكثره [(١٠٢١)] .

وقد كان رضي الله عنه يحبُّ من الشعراء مَنْ ملأ الإيمان قلبه ، وعمر وجدانه بمثل الإسلام الرّفيعة ، وقيمه السّامية ، وترجمها شعراً ينمُّ عن التّدين الحقّ ، ويصوّر الأخلاق الفاضلة التي حثّ الإسلام عليها ، وطالب أتباعه باعتمادها ، أمّا ما عدا ذلك ممّا يتعارض مع هذه المبادئ ، وتلك القيم ؛ فإنّ عمر كان يلفظه ، ويأباه ، ويقف من أصحابه موقفاً متشدّداً يؤازره في ذلك حسنه الرّهيف ، وذوقه الرّفيع ؛ الذي ينفذ إلى أعماق النّصّ الأدبيّ يكشف عمّا فيه من قيم شعوريّة تتمشّى مع الإسلام ، ولا ترفضها تعاليمه [(١٠٢٢)] .

٢ . الفاروق والحطيئة والزّبرقان بن بدر :

روي : أنّ الشّاعر الحطيئة . أبا مليكة . جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبسٍ ، كان في طريقه إلى العراق فراراً بأهله من الجذب ، وطلباً للعيش ، فلقي الزّبرقان بن بدر بن امرأ القيس بن خلف التّميمي السّعدي [(١٠٢٣)] وكان في طريقه إلى عمر بصدقات قومه ، وعرفه الزّبرقان ، فحادثه ، وعلم بحاله ، فطلب إليه أن ينزل بقومه ، وينتظر أوبته ، فنزل الحطيئة بهم ، لكن بغيض بن عامر بن

شمّاس بن لؤي بن جعفر أنف النّاقة ، وكان خصماً للزّبرقان ، استطاع أن يفسده عليه ، وأن يضمّه إليه ، وأن يغريه بالزّبرقان ، فاندفع يهجوّه ، ويمدح بني أنف النّاقة ، وبلغ هجاؤه قصائد عدّة دفع الزّبرقان بن بدر بواحدةٍ منها إلى عمر يقول فيها الحطيئة :

مَا كَانَ ذَنْبٌ بَغِيضٍ لَأَبَا لَكُمْ فِي بَائِسٍ جَاءَ يَحْدُو آخِرَ النَّاسِ لَقَدْ مَرَّيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دَرَّتْكُمْ
يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسْحِي وَإِسْناسِي [(١٠٢٤)] إِلَى أَنْ قَالَ :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُعِيَّتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِمِنُ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ
جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ فَلْتُ مَعَاوِلَكُمْ مِنْ آلِ لَأِي
صَفَاةٌ أَصْلُهَا رَاسِقَةٌ نَاضِلُوكَ فَسَلُّوا مِنْ كِنَانَتِهِمْ مَجْدًا تَلِيدًا وَتُبْلًا غَيْرَ أَنْكَاسٍ [(١٠٢٥)] ثُمَّ رَفَعَ
أمره إلى عمر ، وأتاه به ، وقال له : هجاني ! قال : وما قال لك ؟ قال : قال لي : دع المكارم لا
ترحل لبغيتهما ... إلخ الأبيات . فقال عمر : ما أسمع هجاءً ، ولكنها معاتبَةٌ ، فقال الزّبرقان : أو ما
تبلغ مروءتي إلا أن أكل ، وألبس ؟ فقال عمر : عليّ بحسّان ، فجيء به ، فسأله ، فقال : لم يهجه ،
بل سلح عليه ، فسجنه عمر [(١٠٢٦)] .

وكان عمر - رضي الله عنه - أعلم النّاس بالشّعر ، ولكنه هنا في مقام القضاء ، فاستدعى أهل التّخصّص ؛
ليحكموا ، ثمّ أصدر بعد ذلك حكمه . يقول العقّاد عن عمر في هذه القضية : .. فنسي أنّه
الأديب الرّواية ، ولم يذكر إلا أنّه القاضي ، الذي يدرأ الحدود بالشّبهات ، ولا يحكم بما يعلم دون ما
يعلمه أهل الصّناعة [(١٠٢٧)] .

وحيثما شعر الحطيئة بمرارة السّجن أخذ يستعطف عمر بأبياتٍ ينفي ما تُسب إليه ، وذلك على طريقة
النّابغة في اعتذاريّاته للنعمان بن المنذر حين يقول :

أَعُوذُ بِجِدِّكَ إِلَيَّ أَمْرُؤُ سَقَنِي الْأَعَادِي إِلَيْكَ السَّجَالَا وَلَا تَأْخُذْنِي بِقَوْلِ الْوُشَاةِ فَإِنَّ
لِكُلِّ زَمَانٍ رِجَالًا فَإِنْ كَانَ مَا زَعَمُوا صَادِقًا فَسَيَقُتُ إِلَيْكَ نِسَائِي رِجَالًا [(١٠٢٨)] حَوَاسِرَ
لَا يَشْتَكِيَنَّ الْوَجَا يُخَضِّضَنَّ الْأَ وَيَرْفَعَنَّ الْإِلا [(١٠٢٩)] فلم يستجب عمر لاعتذاره حتّى
قال أبياته العاطفيّة المؤثّرة الرّائعة ؛ التي يقول فيها :

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرِّحٍ زُغِبِ الْخَوَاصِلِ لَا مَاءَ وَلَا شَجْرًا لَقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ
فَاعْفُزْ عَلَيَّ سَلَامُ اللَّهِ يَا عُمْرَانْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلَقْتُ إِلَيْكَ
مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشْرِ [(١٠٣٠)] لَمْ يُؤْثِرْوكَ إِذَا مَا قَدَّمُوكَ هَا لَكِنْ بِكَ اسْتَأْثَرُوا إِذْ كَانَتْ

الأثر فامتن على صبيّة بالرّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ تَعَشَاهُمْ بِهَا الْقَرَرُ أَهْلِي فِدَاؤُكَ مَا بَيْنِي
وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرَضِ دَاوِيَةَ تَعَمَى بِهَا الْحُبْرُ [(١٠٣١)] فبكى عمر تائراً بما سمعه ، وأمر بإطلاق
سراحه ، وعمل على لجم لسانه ، فقد اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة الاف درهم . فقال الحطيئة
متشاكياً في ذلك :

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ حَمِيَّتِي عَرَضَ اللَّئِيمِ فَلَمْ يَخْفَ
ذَمِّي وَأَصْبَحَ امِنًا لَا يَفْرَعُ وَيَبْدُو أَنَّ الْحَطِيئَةَ لَمْ يَقْتَنِعْ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ بِوَجُوبِ هَجْرِ الْهَجَاءِ نَهَائِيًّا ،
فاستدعاه عمر ، وأجلسه بين يديه ، وهذّده بقطع لسانه ، فقال الحطيئة : يا أمير المؤمنين ! إني والله
قد هجوت أبي ، وأمّي ، وهجوت امرأتي ، وهجوت نفسي ، فنبسّم عمر . رضي الله عنه . وعفا
عنه [(١٠٣٢)] ، وانتهى الحطيئة عن الهجاء في زمن عمر .

وهناك حادثة أخرى مماثلة ذكرها صاحب (زهر الاداب) حيث قال : كان بنو العجلان يفتخرون بهذا
الاسم ، ويتشرفون بهذا الوسم ؛ إذ كان عبد الله بن كعب جدّهم إنما سُمّي
العجلان لتعجيله القرى للضيّفان ، فكان شرفاً لهم حتّى قال النّجاشي ، واسمه : قيس بن عمرو بن
كعب يهجوهم بقصيدة منها :

أُولَئِكَ أَحْوَالُ اللَّعِينِ وَأُسْرَةُ الْ هَجِينِ وَرَهْطِ الْوَاهِنِ الْمَتَدَلِّلِ وَمَا سُمِّي الْعَجْلَانُ إِلَّا لِقَوْلِهِ
حُذِ الْقَعْبِ وَاحْلِبِ أَيْهَا الْعَبْدُ وَاغْجَلِ وَزَعَمْتَ الرُّوَاةَ : أن بني الْعَجْلَانِ اسْتَعَدُّوا عَلَى النَّجَاشِيِّ
لَمَا قَالَ هَذَا الشِّعْرُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . رضي الله عنه . فحبسه ، وقيل : جلده [(١٠٣٣)] .
فالخليفة عمر بن الخطّاب يعاقب على شعر الهجاء ، وليس الأمر كذلك فحسب ، وإمّا كان يعاقب
على أنواعٍ أخرى من الشِّعْرِ منها : التّعَرُّضُ لأعراض المسلمين ، وإثارة الشّحناء ، والبغضاء بين
المسلمين ، والتّعَرُّضُ لنساء المسلمين ، وقد فصلّ ذلك الدُّكتور واضح الصّمّد [(١٠٣٤)] .

٣- الشِّعْرُ يَجُولُ حَزَمَ عَمْرٍ إِلَى لَيْنٍ ، وَشَفَقَةَ :

كان أميّة بن الأسكر الكناني ، وكان سيّداً من سادات قومه ، وله ابنٌ اسمه : كلاب ، هاجر إلى
المدينة في خلافة عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . فأقام بها مدّةً ، ثمّ لقي ذات يوم طلحة بن عبيد الله
، والرّبيير بن العوّام ، فسألها : أيُّ الأعمال أفضل في الإسلام ؟ فقالا له : الجهاد ، فسأل عمر ،
فأغراه في الجند قالاً : الغازي إلى الفرس . فقام أميّة ، وقال لعمر : يا أمير المؤمنين ! هذا اليوم من
أيّامي ، ولولا كبر سنّي . فقام إليه ابنه كلاب ، وكان عابداً زاهداً فقال : لكنّي يا أمير المؤمنين ! أبيع

نفسى ، وأبيح دنيائى باخرتى . فتعلق به أبوه ، وكان فى ظلِّ نخلٍ له ، وقال : لا تدع أباك ، وأمك ، شيخين ضعيفين ربّيك صغيراً ، حتّى إذا احتاجا إليك ؛ تركتهما . فقال : نعم أتركهما لما هو خيرٌ لي ، فخرج غازياً بعد أن أَرْضَى أباه ، فأبطأ ، وكان أبوه فى ظلِّ نخلٍ له ، وإذا حمامة تدعو فرخها ، فراها الشيخ فبكى ، فرأته العجوز ، فبكت ، وأنشأ يقول :

لِمَنْ شَيْخَانِ قَدْ نَشَدَا كِلَابَا كِتَابَ اللَّهِ لَوْ قَبِلَ الْكِتَابُ أَنْادِيَهُ فَيُعْرِضُ فِي إِبَاءِ فَلَا
وَأَبِي كِلَابٍ مَا أَصَابَ لَدَا هَتَفَتْ حَمَامَةٌ بَطْنَ وَجٍ [(١٠٣٥)] عَلَى بَيْضَاتِهَا ذِكْرًا كِلَابًا فَإِنَّ
مُهَاجِرِينَ تَكَنَّفَاهُ فَفَارَقَ شَيْخَهُ حَطًّا وَحَابَا

تَرَكْتَ أَبَاكَ مُرْعَشَةً يَدَاهُ وَأَمَّكَ مَا تُسْبِغُ لَهَا شَرَابًا تَنْقِضُ مَهْدَهُ شَفَقًا عَلَيْهِ وَتُجْنِبُهُ أَبَاعِهَا
الصِّعَابَ فَإِنَّكَ قَدْ تَرَكْتَ أَبَاكَ شَيْخًا يُطَارِقُ [(١٠٣٦)] أَيْتَقًا [(١٠٣٧)] شَرِبًا [(١٠٣٨)]
طَرَابًا إِذَا ارْتَعَشْتَ لِإِزْقَالٍ [(١٠٣٩)] سِرَاعًا أَثَرَنَ بِكُلِّ رَابِيَةٍ تُرَابًا طَوِيلًا شَوْفُهُ يَبْكِيكَ فَرْدًا
عَلَى حُزْنٍ وَلَا يَرْجُو إِلَّا يَابًا فَإِنَّكَ وَالْتِمَاسُ الْأَجْرِ بَعْدِي كَبَاغِي الْمَاءِ يَتَّبِعُ
السَّرَابَا [(١٠٤٠)] وَكَانَ أُمِيَّةٌ قَدْ أَضُرَّ (أَي : عَمِي) فَأَخَذَهُ قَائِدُهُ بِيَدِهِ ، وَدَخَلَ بِهِ عَلَى عَمْرِ ؛ وَهُوَ فِي
المسجد ، فَأَنشَدَهُ :

أَعَادِلُ قَدْ عَدَلْتِ بَعِيرٍ عِلْمٍ وَمَا تَدْرِينِ عَادِلُ مَا الْأَيْفَامَا كُنْتِ عَادِلْتِي فَرْدِي كِلَابًا
إِذْ تَوَجَّهَ لِلْعِرَاقِ لَوْمٌ أَقْضَى اللَّبَانَةَ مِنْ كِلَابٍ عَدَاةَ غَدٍ وَادَّنَ بِالْفِرَاقِ فَتَى الْفَتِيَانِ فِي عُسْرِ
وَيُسْرِ شَدِيدِ الرَّكْنِ فِي يَوْمِ التَّلَاقِ فَيَلَا وَأَيْبِكَ مَا بَالَيْتِ وَجْدِي وَلَا شَفَقِي عَلَيْكَ ، وَلَا
اشْتِيَاقِي وَإِنْفَادِي عَلَيْكَ إِذَا شَتُونَا وَضَمُّكَ تَحْتَ نَحْرِي وَاعْتِنَاقِي فَلَقَ الْفُؤَادَ شَدِيدًا وَجِدٍ

لَهُمَّ سَوَادُ قَلْبِي بِإِنْفِلَاقِ سَأَسْتَعْدِي عَلَى الْفَارُوقِ رَبًّا لَهُ دَفْعُ الْحَجِيجِ إِلَى
بُسَاقٍ [(١٠٤١)] وَأَدْعُو اللَّهَ مُجْتَهِدًا عَلَيْهِ يَبْطُنُ الْأَحْشَبِينَ [(١٠٤٢)] إِلَى دِقَاقٍ [(١٠٤٣)] إِنَّ
الْفَارُوقُ لَمْ يَرُدُّدْ كِلَابًا عَلَى شَيْخَيْنِ هَامُهُمَا زَوَاقٍ [(١٠٤٤)] فَبَكَى عَمْرُ بِكَاءٍ شَدِيدًا ،
وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى بِأَمْرِهِ بِإِشْخَاصِ كِلَابٍ ، فَرَحَّلَهُ عَلَى الْفُورِ ، فَقَدِمَ عَلَى عَمْرِ ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُدْخِلَ ،
ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُمِيَّةَ ، فَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ سَأَلَهُ : مَا أَحَبُّ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ فِي يَوْمِهِ ، فَقَالَ : كِلَابٌ
أَحَبُّ أَنَّهُ عِنْدِي فَأَشْتُمُهُ ، فَأَمَرَ بِكِلَابٍ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ ، فَوَثَبَ

الشيخ فجعل يشمُّ ابنه ، وبيكي ، وجعل عمر - رضي الله عنه - يبكي [(١٠٤٥)] ، والحاضرون كذلك ، وقالوا لكلاب : الزم أبويك ، فجاهد فيهما ما بقيا ، ثمَّ شأنك بنفسك بعدهما ، وأمر له بعطائه ، وصرفه مع أبيه ، وتغنَّت الرُّكبان بشعر أبيه ، فبلغه ، فأنشأ يقول :

لَعَمْرُكَ مَا تَرَكْتُ أَبَا كِلَابٍ كَبِيرَ السِّنِّ مُكْتَنِبًا مُصَابًا وَأَمَّا لَا يَزَالُ لَهَا حَيْنٌ تُنَادِي
بَعْدَ رَقْدَتِهَا كِلَابًا لِكَسْبِ الْمَالِ أَوْ طَلَبِ الْمَعَالِي وَلِكَيْ رَجَوْتُ بِهِ التَّوَابَا وَكَانَ كِلَابٌ مِنْ خِيَارِ
المسلمين ، فلم يزل مقيماً عندهما حتى ماتا [(١٠٤٦)] .

وهناك حادثة مشاهقة حيث هاجر شيبان بن المخبَّل السَّعدي (الشاعر المعروف) وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس ، فجزع عليه والده « المخبَّل » جزعاً شديداً ، وكان قد أسنَّ ، وضعف ، فلم يملك الصبر عنه ، فأنشد قصيدةً يقول فيها :

أَيُّهْلِكُنِي شَيْبَانُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لِقَلْبِي مِنْ حَوْفِ الْفِرَاقِ وَجَيْبُفَايِي حَنْتَ ظَهْرِي حُطُوبٌ أَلَا
تَرَى أَرَى الشَّخْصَ كَالشَّخْصَيْنِ وَهُوَ فَرِيئُؤَيُّخِرِي شَيْبَانُ أَنْ لَنْ يَعْنِي تَعَقُّ إِذَا
فَارَقْتَنِي وَتَحُوبٌ [(١٠٤٧)] فَلَا تَدْخُلَنَّ الدَّهْرَ قَبْرَكَ حَوْبَةً يَقُومُ بِهَا يَوْمًا عَلَيْكَ
حَسِيبٌ [(١٠٤٨)] فَلَمَّا سَمِعَهَا عَمْرٌ ؛ رَقَّ لَهُ ، وبكى ، وكتب إلى سعدٍ بأن يرجع شيبان ، فردَّه إلى أبيه [(١٠٤٩)] .

ولم تكن هذه الحادثة هي الأخيرة من نوعها حيث يتأثر عمر بالشعر ، بل يذكر له حوادث مماثلة ، منها : هاجر خراش بن أبي خراش الهذلي في أيام عمر بن الخطاب ، وغزا مع المسلمين ، فأوغل في أرض العدو ، فقدم أبو خراش المدينة ، فجلس بين يدي عمر ، وشكا إليه شوقه إلى ابنه ، وأنه رجلٌ قد انقرض أهله ، وقتل إخوته ، ولم يبق له ناصرٌ ، ولا معينٌ غير ابنه خراش ، وقد غزا ، وتركه ، وأنشأ يقول :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِّي خِرَاشًا وَقَدْ يَأْتِيكَ بِالنَّبَأِ الْبَعِيدِ وَقَدْ تَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَا
بِالْحِدَاءِ وَلَا تَزِيدُ تُنَادِيهِ لِيَعْقُبَهُ كَلْبٌ وَلَا يَأْتِي لَقَدْ سَفِهَ الْوَلِيدُ
فَرَدَّ إِنَاءَهُ لَا شَيْءَ فِيهِ كَأَنَّ دُمُوعَ عَيْنَيْهِ الْفَرِيدُ وَأَصْبَحَ دُونَ غَابِقِهِ وَأَمْسَى جَبَالٌ
مِنْ جِرَارِ الشَّامِ سُوْدُ أَلَا فَاعْلَمْ خِرَاشُ بِأَنَّ خَيْرَ الـ مُهَاجِرٍ بَعْدَ هِجْرَتِهِ زَهِيدُ رَأَيْتَكَ وَابْتِعَاءَ الْبِرِّ
دُونِي كَمَحْضُوبِ اللَّبَانِ وَلَا يَصِيدُ [(١٠٥٠)] فتأثر عمر ، وكتب بعودة خراش إلى أبيه ، وأمر بأن لا يغزو من كان له أبٌ شيخٌ إلا بعد أن يأذن له [(١٠٥١)] .

وهكذا نلاحظ تأثر أمير المؤمنين بالشعر ، ولشدة تأثره يبكي ، وهو الذي اشتهر بالشدّة ، والحزم ، وهذا يدلُّ على إحساسه المرهف ، وشعوره الإنسانيّ ، حيث يشارك الاباء العاجزين توقّهم ، وحاجتهم إلى أبنائهم ، وكذلك يشارك كلّ إنسانٍ مظلومٍ ، أو مغلوبٍ على أمره ما ينتابه من أحاسيس ، ومشاعر ، وقد مرَّ معنا موقفه من شعر الهجاء [(١٠٥٢)] .

٤. نزعة النّقد الأدبيّ عند عمر :

كان عمر بن الخطّاب من أشدّ النَّاسِ تأثراً برسول الله (ص) حتّى في نظرته إلى الأدب ، وفي حكمه على الشعر ، والشُّعراء ، وقد أثرت عنه اراء ، وأحكام نقديةٌ لنصوص أدبيّة كثيرة ، ومعظم هذا المرويّ نقل عنه وهو خليفة ؛ أي : في السّنوات العشر الأخيرة من حياته ، وهي اثارٌ تُصوّر في جملتها مدى تقديره للأثر الأدبيّ عندما تكتمل له (نظرية الكمال) التي يراها عمر ، والتي هي لديه نتاج ثقافة العمر في تلك المرحلة النّاضجة ، لذا ينبغي أن نحيط بالروافد التي أصقلت حسّه النّقدي ، ونمّت ملكة النّقد عنده واضعين في الاعتبار حياته بشطريها الجاهلي ، والإسلاميّ على هذا النّحو :

. كان عمر في جاهليته واحداً من المسؤولين عن صيانة القيم الجاهليّة ، وكانت له مكانته في قريش ، وقريشٌ انذاك محطُّ أنظار العرب ، وملتقى أفئدتهم ، وكان كذلك في الإسلام في عصر الخلافة .
. كان عمر خبيراً بالشعر العربيّ جاهليّه ، وإسلاميّه ، مستوعباً لما قاله المشركون ، والمرتدّون ، وأعداء الإسلام من شعرٍ ضدّ هذا الدّين الحنيف .

. كان عمر عليماً بأحوال العرب في الجاهليّة ، والإسلام . عقيدةً ، وتاريخاً ، وأنساباً ، وسلوكاً ، وعلماً ، وقد أثار له علمه بهذه الأشياء طريق نقد الكلام وإبداء الرّأي فيه .

. حرص عمر منذ نشأته على غشيان المجالس الأدبيّة التي لم تخل من المسامرة ، وإنشاد الشعر ومطارحة الأدب ، وتدوّقه وإبداء الرّأي فيه ، حتّى إذا أسلم عمر ؛ أصبح يعتبر مجالسة الرّجال الذين ينتقون أطايب الحديث ، كما ينتقي أطايب الثّمر إحدى ثلاثٍ ترغّبه في الدّنيا بعد الصّلاة ، والجهاد في سبيل الله ، كما كان عمر واحداً من ستمار النّبويّ (ص) ، وقد أقام وهو خليفة رحباً في ناحية المسجد سمّيت البطحاء ، كان يرتادها محبُّو الشعر ، وطلابه [(١٠٥٣)] .

. كان لعمر صاحب رسول الله (ص) القِدْح المعلّى ، والنّظر الثّاقب ، والألمعيّة الهادفة ، والدّكاء الخارق المصحوب بالإلهام ، والشّفاافية المبصرة ، ممّا يجعله يصيب المعنى فلا يكاد يخطئه ، وهو بجانب ذلك موفور الإحساس بما يقرأ ، أو يسمع ، شديد التدوّق للنصّ الأدبيّ ، وما احتوى عليه من قيمٍ جماليّة ،

أو شعوريّة ، وذلك لفرط إحساسه به ، وإدراك كنهه ، وغاياته [(١٠٥٤)] ، فقد كان رضي الله عنه تأخذ المعاني الهادفة بمجامع قلبه ، فترضى بها نفسه ، ويفصح عن إعجابه بها ، وتقديره ، فقد روي : أن مَتَمّاً بن نويرة رثى أخاه مالكاً ، الذي لقي حتفه على يدي جنود خالد بن الوليد في حروب الردّة ، فلما انتهى مَتَمُّمٌ إلى قوله :

لَا يُمِسُّكَ الْفَحْشَاءُ تَحْتَ ثِيَابِهِ حُلُوْ شَمَائِلُهُ عَفِيْفُ الْمُتَزَّرِ قَامَ إِلَيْهِ عَمْرٌ ، فقال : لوددت أُنِّي رثيت أخي زيد بن الخطّاب بمثل ما رثيت به مالكاً أخاك ! فقال له : يا أبا حفص ! والله لو علمت : أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رثيته .

فقال عمر : ما عزّاني أحدٌ بمثل تعزيتك [(١٠٥٥)] !

ومن هذا المنطق في فهم النَّصِّ وتقدير حيويّته ، كان عمر يرتفع بقيمة النَّصِّ الأدبيّ البليغ ، ويسمو به إلى منزلة لا تدانيها قيمة كنوز الدنيا الفانية . روي عنه . رضي الله عنه . : أنّه قال لبعض ولد هرم بن سنان : أنشدني بعض ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم فيُحسن ! فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّنا كنّا نعطيه فنجزل ، فقال عمر : ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم [(١٠٥٦)] .

هذه هي الروافد التي غدّت ذوق عمر النَّقدي ، وصقلت ملكته النَّاقدة ، وجعلته يتبوأ هذه المكانة الأديبة في عصر الإسلام [(١٠٥٧)] .

وأما المقاييس التي أخذها عمر في إثارة نصّاً على نصٍّ ، أو تقديمه شاعراً على غيره فإنّها مقاييس الشّكل ، وهي :

—خ سلامة العربية :

فقد كان ذوقه مطبوعاً على سلامة الفصحى ، وصحّتها ، يتأفّف من اللّحن ، وينفر منه ، وكان اللّحن في العبارة كافياً لأن يسقط النَّصُّ ، ويرفضه ، بل ويعاقب من يقع منه اللّحن [(١٠٥٨)] .

—خ أنس الألفاظ ، والبُعد عن المعازلة ، والتّعقيد :

روي : أنّ عمر . رضي الله عنه . كان يقَدِّم زهيراً ، ويستحسن شعره ، ويعلّل لهذا الاستحسان بأنّه كان لا يعاظم بين الكلام ، ولا يتنبّع وحشيّه ، ولا يمدح الرّجل إلا بما فيه [(١٠٥٩)] ، والمعازلة : أن يعقد الكلام ، ويوالي بعضه فوق بعضٍ ؛ حتّى يتداخل ، ويغمض . وحوشيّ الكلام : وحشيّه ، وغريبه [(١٠٦٠)] .

وهذا الأثر يوضح أصول الشَّعر الَّذي يرضى عنه الإسلام ، وهو الشَّعر الواضح المعنى ، القريب المفردات ، الصَّادق ، البعيد عن المبالغة ؛ لأنَّ الشَّعر يدعو إلى قضِيَّة ، ويخاطب جمهور النَّاس ، ولا بدَّ أن يكون مفهوماً [(١٠٦١)] ، والجدير بالذِّكر أنَّ علماء البلاغة الَّذين دوَّنوا أصول هذا العلم فيما بعد لم يخرجوا في مباحثهم عن فصاحة المفرد ، وبلاغته ، والكلام ، وفصاحته عمَّا قال عمر في هذا الصَّدق ، اللهمَّ إلا ما اقتضاه التَّصنيف من منهجٍ ، وتنظيمٍ ، وتبويبٍ عند بعضهم [(١٠٦٢)] .

—خ الوضوح والإبانة :

فقد كتب إلى سعد بن أبي وقَّاص . رضي الله عنهما . : أنَّه قد منعي من بعض ما أردت الكتاب به قلَّة علمي بما هجتم عليه ، واللَّذي استقرَّ عليه أمر عدوِّكم ، فصف لنا منازل المسلمين ، والبلد الَّذي بينكم وبين المدائن صفةً كأني أنظر إليه ، واجعلني من أمركم على الجليَّة [(١٠٦٣)] .

وهذه الكلمة الأخيرة : (واجعلني من أمركم على الجليَّة) تبيِّن بجلاءٍ إيثار عمر الوضوح ،

والإبانة في الكلام ، كما تصوِّر إيثاره الصِّدق فيه ، وهذا مقياسٌ نقديٌّ دقيقٌ . كما كتب إلى قضاته يناشدهم الإيضاح في التَّعبير عن فهم مسائل القضاء .. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك . وقال عن أمرٍ أراد أن يخطب فيه : وكنت زوّرت مقالةً أعجبتني . وهكذا يرى عمر : أنَّ الكلمة وسيلةٌ إفهامٍ ، وأداة هدىً ، وبيانٍ ، وليست سبيلاً إلى الإغراب والتَّعمية ، ومن ثمَّ أنكر التَّشادق ، والتَّفقُّر [(١٠٦٤)] .

—خ أن تكون الألفاظ بقدر المعاني :

ومن مآثور كلامه من ذلك قوله : إيَّاك والمكابلة [(١٠٦٥)] . قال الإمام الدَّارميُّ : يعني في الكلام ؛ أي : المزايدة فيه ، فعمر إذاً يريد البعد عن فضول القول ؛ لأنَّه ضياعٌ لمضمون الفكرة ، وتبديدها ، ولا يخلو من تكرارٍ مُملٍ ، وتردادٍ مكروهٍ ، فوق كونه يفقد روعة النَّصِّ ، ويذهب بجماله [(١٠٦٦)] ، قال عمر . رضي الله عنه . : إنَّ شقائق الكلام من شقائق اللِّسان ، فأقلُّوا ما استطعتم [(١٠٦٧)] .

—خ جمال اللفظة في موقعها :

كان ينفر من اللفظة الَّتِي أقحمت في غير مكانها المناسب ؛ لأنَّها تشين المعنى ، وتذهب برونق الكلام ، وبهائه ، ومن ذلك قوله لسحيم عبد بني الحسحاس بصدد تعقيبه على بيتٍ له ، يقول فيه :

عُمَيْرَةٌ ودَّعَ إنَّ بَجَهَّزَتْ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا فقال عمر : لو قدَّمت الإسلام على الشَّيب لأجزتُك ، وذلك لأنَّ عمر أدرك بذوقه ، الَّذي صقله الإسلام ، ونمَّاه : أنَّ

الإسلام في نفس المؤمن أقوى زجراً من قَبْلِ الشَّيْبِ ، ومن بعده .. وجدُّهُ به أن يُقَدِّمَ في النَّصِّ تَمْثِيلاً مع أهمِّيَّته ، وتأثيره في النَّفوس ، وهذا ما نأى عنه البيت [(١٠٦٨)] .

—خ حسن التَّقْسِيمِ :

كما كان عمر يعلن عن إعجابه الشَّدِيدِ بما في البيت من جَمَالٍ فَنِّيٍّ يَرْضِي الأذواق ، والعقول على السَّوَاءِ ، ويترجم هذا الإعجاب في ترديده البيت ترديداً يَنْمُّ عن حسن تَدْوُقٍ ، وعمق إحساس بما في النَّصِّ من جَمَالٍ . ومَّا يدلُّ على ذلك ما روي من أنَّ عمر أنشد قصيدة عبدة بن الطَّيِّبِ الَّتِي أَوْلَاهَا :

هَلْ حَبْلٌ حَوْلَهُ بَعْدَ الهَجْرِ مَوْصُولٌ أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدَ الدَّارِ مَشْعُولٌ فَلَمَّا بلغ المنشد قوله

:

وَالْمَرْءُ سَاعٍ لَأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْشُ سُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلٌ قَالَ عمر متعجباً : وَالْعَيْشُ سُحٌّ ، وَإِشْفَاقٌ ، وَتَأْمِيلٌ ، يُعْجِبُهُ مِنْ حَسَنِ مَا قَسَمَ ، وما فَصَّلَ [(١٠٦٩)] .

ولما أنشد عمر قول زهير بن أبي سلمى :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ فَذَلِكُمْ مَقَاطِعُ كُلِّ حَيٍّ ثَلَاثٌ كُلُّهُنَّ لَكُمْ شِفَاءٌ [(١٠٧٠)] فهو يريد : أَنَّ الْحَقَّوَقَ إِذَا تَصَحُّ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ : يَمِينٌ ، أَوْ مُحَاكِمَةٌ ، أَوْ حُجَّةٌ بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ ، وَسَمِّيَ زَهِيرٌ : (قاضي الشُّعْرَاءِ) بِهَذَا الْبَيْتِ ، فَكَانَ عَمْرٌ . رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ . يتعجب من معرفة زهير لمقاطع الحقِّ مع أَنَّهُ جَاهِلِيٌّ ، وَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ ، وَأَكَّدَ تِلْكَ الْمَقَاطِعَ [(١٠٧١)] .

وهناك مقاييس أخرى كان عمر يؤثرها في مضمون الأدب ، ويوجِّه بها الأدباء وجهةً جديدةً ، تنبع من الدِّينِ ، والخُلُقِ ، ويمكن أن تضاف إلى المقاييس الفَنِّيَّةِ السَّابِقَةِ حَتَّى يُمكن أن تعطي القارأى تصوُّراً لمقاييس نقد الأدب في عصر عمر ممثَّلةً في تعبيراته ومأثوراته ، منها : الصِّدْقُ فِي التَّرْجَمَةِ عَنِ الْخَوَاطِرِ ، وتصوير العواطف النَّبِيلَةِ . كان ممَّا يستحسنه عمر ، وبنال إعجابه ، وعنصر الصِّدْقِ هَذَا هُوَ الَّذِي جعله يعجب إعجاباً شديداً بقصيدة المخبَّلِ السَّعْدِيِّ ، وأمِّيَّةِ بن الأَسْكَرِ الْكِنَانِيِّ ، كما كان عمر يؤثر في المعنى أن يكون جديداً مبتكراً يناسب الدِّينَ ويتمشَّى مع أخلاقه ، وادابه ، وأن يُصاغ هذا المعنى صياغةً محكمةً وأن يعبر عنه في تصويرٍ جميلٍ ، وبيانٍ حسنٍ ، وكان عمر يؤثر في المعنى فوق صدقه ، وابتكاره أن يكون موائماً لمقاييس الدِّينِ الخُلُقِيَّةِ ، بحيث لا يتورَّط الشَّاعِرُ فِي هِجَاءِ ذَمِيمٍ ، أَوْ سَبَابٍ فَاضِحٍ ، أَوْ نَهْشٍ لِلْأَعْرَاضِ ، أَوْ الْانْكَبَابِ عَلَى وَصْفِ الشَّرَابِ ، وتصوير سَوْرَةِ الْخَمْرِ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ

مما ينبأى عن ضعف العقيدة ، وفساد الخلق ، وقد سبق أن ذكرتُ موقفه من الخطيئة ، وسحيم ، ومن كان على شاكلتهما من الشعراء [(١٠٧٢)] .

ومما يتصل بنقده هذا ما روي من أن النعمان بن عدي قد عينه عمر على ميسان [(١٠٧٣)] ، فذهب إليها ، وامتنعت زوجته عن أن ترافقه ، فأراد أن يبعث في نفسها الرغبة في صحبته بما يعرف عن غيره النساء ، فكتب إليها بأبياتٍ من فضل القول ، لا تمثل حقيقةً في قليل ، أو كثير ، هي :

فَمَنْ مُبْلَغُ الْحُسْنَاءِ أَنْ حَلِيلَهَا
بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي رُجَاجٍ وَحَنْتَمَادًا شَثُّ غَنْتِنِي دَهَاقِينُ قَرِيَّةٍ
وَصَنَاجَةٌ تَحْدُو عَلَى كُلِّ مَيْسَمِ إِذَا كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي ولا تسقني

بالأصغر المثلِّم لعلَّ أمير المؤمنين يسوءه تنادُمنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمْتَهَدِمِ فَلَمَّا سَمِعَهَا عَمْرٌ ؛ قَالَ :

وايم الله لقد ساءني ! ثم عزله . ولا غرابة فيما فعل عمر من عزله النعمان ؛ لأنَّ النعمان كان أمير قوم ، وإمامهم في الصلاة ، وقدوتهم في الحياة ، وهذا الشعر وإن لم يمثِّل حياة رجلٍ كان من أهل الهجرة الأولى ، لكنَّه يتعارض مع قيم هذا الدين ، وتأباه تعاليمه ، ومن ثمَّ رفضه عمر ، وعاقب قائله [(١٠٧٤)] .

هذه هي أبرز الملامح والنزعات النقدية التي تميَّز بها نقد عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . والتي تدلُّ على أصالة النقد الأدبي في أطوار نشأته الأولى ، كما تبين منزعه ، واتجاهه حيث لم يعتمد على الذوق وحده في تقويم الأدب ، والحكم عليه ، وإنما جنح إلى لونٍ من الموضوعية الدقيقة في شرح النص ، وتبيان جماله ، أو قبحه ، والتعليل لما يُستجد ، أو يُستهجن من نماذجه ، وسيظلُّ النقد العربيُّ مديناً لعمر ما عاش يتوحى في النص سلامة العربية ، وبلاغة عبارتها ، واستقلال المعنى بحظِّه التام من التعبير ، وصدق التكوين ، وحسن التصوير ، ووضوحه .

وهذه مقاييس نقدية دقيقة لا يختلف مع عمر فيها ناقدٌ أصيل [(١٠٧٥)] ، ويطول بنا القول لو استرسلنا في بيان ثقافة هذا الخليفة العظيم ، ومقدرته على تذوق الشعر ، ونقده والحكم عليه ، فإنَّ ذلك يحتاج إلى فصولٍ طويلةٍ ، ومن خير الكتب التي تُرضي حاجة النفس في هذا الباب كتاب : عمر بن الخطاب للدكتور محمد أبو النصر ، والأدب الإسلامي في عهد النبوة ، وخلافة الراشدين للدكتور نايف معروف ، وأدب صدر الإسلام للدكتور واضح الصمد ، والمدينة النبوية فجر الإسلام ، والعصر الراشدي للأستاذ محمد محمد حسن شراب .

المبحث الخامس

التطوير العمراني ، وإدارة الأزمات في عهد عمر

أولاً : التطوير العمراني :

قام عمر - رضي الله عنه - بتوسعة مسجد الرسول (ص) ، وأدخل فيه دار العباس ابن عبد المطلب ، وامتدت التوسعة عشرة أذرع من جهة القبلة وعشرين ذراعاً من الناحية الغربية ، وسبعين ذراعاً من الناحية الشمالية ، وأعاد بناءه باللين والجريد ، وجعل عمده من الخشب ، وسقفه من الجريد ، وكساه ليحمي الناس من المطر ، ونهى عن زخرفته بحمرة ، أو صفرة ؛ لئلا يفتتن الناس في صلاتهم [(١٠٧٦)] ، وكان المسجد تراباً وفرشه بالحصى ليكون أنظف للمصلي ، وألين على الماشي [(١٠٧٧)] .

وأجرى عمر - رضي الله عنه - تعديلاتٍ يسيرةً في المسجد الحرام بمكة ، فنقل مقام إبراهيم ، وكان ملصقاً بالكعبة إلى مكانه اليوم بعيداً عنها للتيسير على الطائفين والمصلين ، وعمل عليه المقصورة [(١٠٧٨)] واشترى دوراً حول الحرم ، وهدمها ، وزادها فيه ، وأبى قوم من جيران المسجد أن يبيعوا ، فهدم بيوتهم ، ووضع الأثمان حتى أخذوها بعد ، وأخذ له جداراً قصيراً دون القامة ، فكانت المصايح توضع عليه [(١٠٧٩)] ، وكانت كسوة الكعبة في الجاهلية الجلود ، فكساها (ص) بالثياب اليمانية ، ثم كساها عمر القباطي [(١٠٨٠)] ، وهي ثيابٌ مصرية رقيقة بيضاء [(١٠٨١)] ، كما عمّرت المساجد في الأمصار الجديدة في خلافة عمر - رضي الله عنه - فاخترت سعد بن أبي وقاص المسجد الجامع بالكوفة .

واختطت عتبة بن غزوان المسجد الجامع بالبصرة .

واختط عمرو بن العاص المسجد الجامع في الفسطاط ، فكانت هذه المساجد الكبيرة محلّ

صلاة المسلمين، وتعارفهم، وتدارسهم العلم، وقضائهم وتلقّهم أوامر الخليفة، والولاية [(١٠٨٢)] .

١. الاهتمام بالطرق ، ووسائل النقل البري ، والبحري :

رصد الخليفة الفاروق حصّةً من بيت مال المسلمين لدعم التواصل بين أجزاء الدولة الإسلامية ، وخصّص عمر عدداً ضخماً من الجمال ، بوصفها وسيلة المواصلات المتاحة آنذاك ؛ لتيسير انتقال مَنْ لا ظهر له بين الجزيرة ، والشّام ، والعراق ، كما أخذ ما يسمّى (دار الدقيق) وهي مكانٌ يجعل فيه السّويق ، والتّمر ، والزّبيب ، ومتطلّبات المعيشة الأخرى ، يعين به المنقطع من أبناء السّبيل ، والضيف الغريب ، ووضع في الطريق بين مكة والمدينة ، ما يصلح به حاجة المسافر ، وما يحمل عليه من ماءٍ إلى

ماءٍ ، فالفاروق - رضي الله عنه - يترسّم الهدى القرانيّ المرشد إلى أنّ العمران يستلزم التّواصل ، ممّا يوقّر الأمن ، ولا يجعل المسافر بحاجةٍ إلى حمل ماءٍ ، ولا زاد [(١٠٨٣)] .

وكانت توجيهات عمر إلى القبائل ، والأمراء ، والولاة تصبّ في هذا الاتجاه ، فعن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جدّه قال : قدمنا مع عمر بن الخطاب في عمرته سنة سبع عشرة ، فكلمه أهل المياه في الطريق أن يبنوا منازل لهم فيما بين مكّة والمدينة لم تكن قبل ذلك ، فأذن لهم ، واشترط أنّ ابن السبيل أحقّ بالماء ، والظّل [(١٠٨٤)] ، ونلاحظ اهتمام عمر بإصلاح الطُّرق في معاهدات بعض ولايته مع البلدان التي تمّ فتحها ، فلمّا تم فتح نهاوند جاء أهل الماهين ماه بمرذان ، وماه دينار ، وطلبوا من حذيفة بن اليمان الأمان على أن يؤدّوا الجزية ، فكتب لأهل كلّ ما عهداً هذه صورته : (بسم الله الرّحمن الرّحيم : هذا ما أعطى حذيفة بن اليمان أهل ماه دينار ، أعطاهم الأمان على أنفسهم ، وأمواهم ، وأرضيهم ، لا يُغيّرون عن ملّة ، ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ، ولهم المنعة [(١٠٨٥)] ما أدّوا الجزية في كلّ سنةٍ إلى واليهم من المسلمين ، على كلّ حاملٍ في ماله ، ونفسه على قدر طاقته ، وما أرشدوا ابن السبيل ، وأصلحوا الطُّرق وقروا (أضافوا) جنود المسلمين من مرّ بهم ، فأوى إليهم يوماً وليلاً ، ونصحوا ، فإن غشّوا ، وبدّلوا ، فذمّتنا منهم بريئة . شهد القعقاع بن عمرو ، ونعيم بن مقرّن ، وكتب في المحرم سنة ١٩ هـ [(١٠٨٦)] .

ومما يستنبط من هذا الكتاب استيعاب ولاة عمر لأصول الحضارة ، وسياسة الملك ، فقد عرفوا لوازم العمران ، فجعلوا إصلاح الطُّرق التي هي عون الأمم التّجارية ، والحربيّة إجبارياً على أهل البلاد المفتوحة ، وقد انصرفت همّة الفاروق منذ السنّة السّادسة عشرة للهجرة إلى تمصير الأمصار في العراق ، وشقّ الأنهار ، وإصلاح الجسور [(١٠٨٧)] ، وقد جاء في عهد عياض بن غنم لأهل الرّها ما يأتي : باسم الله ، هذا كتابٌ من عياض بن غنم لأسقف الرّها : إنكم قد فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدّوا إليّ عن كلّ رجلٍ ديناراً ومدي قمح ، فأنتم امنون على أنفسكم ، وأمواكم ، ومن يتبعكم ، وعليكم إرشاد الضّالّ ، وإصلاح الجسور ، والطُّرق ، ونصيحة المسلمين . شهد الله ، وكفى بالله شهيداً [(١٠٨٨)] . وعندما علم عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه : أنّ خليجاً كان يجري بين التّيل من قرب حصن بابلين إلى البحر الأحمر ، فكان يربط الحجاز بمصر ، وييسر تبادل التّجارة ، ولكن الرّوم أهملوه ، فزُدم ، فأمر الفاروق عامله على مصر عمرو بن العاص بشقّ هذا الخليج مرّة أخرى ، فشقّه ، فيسّر الطريق بين بلاد الحجاز وبين الفسطاط عاصمة مصر ، وأصبح شريان تجارة يتدفّق منه الرّخاء ما

بين البحرين مرّةً أخرى وقامت على هذا الخليج داخل الفسطاط منتزهاتٌ ، وخمائل ، ومساكن ، وسمّاه عمرو : خليج أمير المؤمنين [(١٠٨٩)] .

وقد حمل والي مصر ما أراد من الطعام إلى المدينة ، ومكة ، فنفع الله بذلك أهل الحرمين ، ثمّ لم يزل يحمل فيه الطّعام حتّى حمل فيه بعهد عمر بن عبد العزيز ، ثمّ ضيّعه الولاة بعد ذلك ، فترك ، وغلب عليه الرّمّل ، فانقطع فصار منتهاه إلى ذنب التّمساح من ناحية بطحاء القلزم [(١٠٩٠)] .

وحفر بالعراق قناةً مائيةً مسافة ثلاثة فراسخ من الخور إلى البصرة لإيصال مياه دجلة إلى البصرة [(١٠٩١)] . وهذه المشاريع في حفر الأنهار ، والخلجان ، وإصلاح الطّرق ، وبناء الجسور ، والسّدود ، أخذت أموالاً ضخمةً من ميزانية الدّولة في عهد عمر [(١٠٩٢)] .

٢ . إنشاء الثّعور ، والأمصار كقواعد عسكرية ، ومراكز إشعاع حضاريّ :

مع توسع حركات الفتوحات اهتمّت الدّولة الإسلاميّة في عهد الفاروق ببناء المدن على الثّعور ، وتسهيل سبل المواصلات ، وإصلاح الأراضي ، وكذلك تشجيع الهجرة إلى مراكز

التّجمّع الجهاديّة ، والتّحوّل إلى البلدان المفتوحة لنشر الإسلام ، وإمداد المجاهدين بالرجال ، والعتاد . وأهم الأمصار التي أنشئت [(١٠٩٣)] هي : البصرة ، والكوفة ، والموصل ، والفسطاط ، والجزيرة ، وسرت [(١٠٩٤)] ، وقد خطّطت ، وووّعت بين الجيوش بحسب قبائلهم وألويتهم ، وأنشئت فيها المرافق العامّة ، كالمساجد ، والأسواق ، وأنشأى لكلّ مدينةٍ حمى لرعي خيل ، وإبل المجاهدين ، وشجّع النّاس على استفاد أهلهم ، وذريبتهم من مدن الحجاز وأطراف الجزيرة العربيّة للإقامة في هذه المدن ؛ لتكون قواعد عسكرية تنطلق منها تعبئة الجيوش ، وإمدادها للتوغّل في أرض العدو ، ونشر دعوة الإسلام فيها ، وقد أمر عمر . رضي الله عنه . قادة الجيوش عند تخطيط هذه المدن أن يكون الطّريق بينها وبين عاصمة الخلافة سهلاً ، وأن لا يحول دونها بحارٌّ ، أو أنهار ؛ لأنّ عمر . رضي الله عنه . كان يخشى من جهل العرب حينئذٍ بركوب البحر ، ولكن عندما أدرك قدرة الجيش الإسلامي في مصر على استغلال الطّرق المائيّة النّهريّة ، سمح لعمر ابن العاص بشقّ قناة نهريةٍ تصل بين نهر النيل ، والبحر الأحمر ؛ حتّى تنقل الإمدادات من الطّعام إلى الحجاز [(١٠٩٥)] كما مر معنا .

لقد قام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بتمصير الأمصار ، وتجنيد الأجناد مع توسّع رقعة الدّولة ، وكثرة الفتوحات ، وبعد الشّقة بين المسلمين ، فقد احتاج الجند إلى أماكن يستريحون فيها من عناء السّفر ، فلا بدّ لهم من منازل يأوون إليها شتاءً ، وإذا رجعوا من غزوهم ، فوجدت الدّواعي لبناء المدن

، وما دام هدف الفتوحات هو نشر الدَّعوة الإسلاميَّة ، وتبليغها للأُمم ، والشعوب ، والأفراد ؛ فكان لا بدَّ من إقامة حياةٍ إسلاميَّة تلمسها هذه الأُمم ، والشُّعوب ، ويحسُّ بها الأفراد ، فبنيت الأمصار الإسلاميَّة على نمطٍ إسلاميٍّ تُطبَّق فيها الحياة الإسلاميَّة كاملةً كنماذج للمجتمع الإسلامي ، فالكوفة ، والبصرة ، والفسطاط ، والموصل مدنٌ إسلاميَّة ، توسَّطت كلاً منها المسجدُ ، وانتشرت من حوله البيوت للجنود .

وفي هذه المجتمعات النَّموذجية تمركزت الفكرة الإسلاميَّة بقوَّتها ، ومبادئها ، القوَّة ممثَّلة في الجيش كلِّه ، والفكرة ممثَّلة في كتاب الله ، مجتمعاتٌ كاملةٌ تطبَّق أحكام الله على نفسها في كلِّ أمر ، وعلى استعدادٍ دائماً لبذل الدِّماء في سبيل الله ، ومن هذه المجتمعات انبتق الإسلام نوراً على البلاد ؛ الَّتِي افتتحها ، فوجَّهت أبناءها ، وطبقت العدل في حكمها ، وقبلت من أسلم فيها ، وهذه أبرع الأساليب في تبليغ الدَّعوة ، وعرض الفكرة على الأُجانب عنها . وفي الشَّام لم تنشأ فيه أمصار إسلاميَّة ، لأنَّها زحرت بالدُّور الَّتِي هجرها أهلها الرُّوم ، وجلوا عنها ،

فاستولى عليها المسلمون ، وصارت لهم أخائذ تغنيهم عن بناء دورٍ جديدة ، ولكثرة العرب في الشَّام ، حيث كانت كلُّ قبيلةٍ تجد لها أقارب هناك ، ولذلك ظهرت الأُجناد في الشَّام [(١٠٩٦)] .
ومن أهم الأمصار الَّتِي مُصِّرت في عهد عمر رضي الله عنه :
مدينة البصرة :

معنى البصرة في اللغة : الأرض الغليظة ذات الحجارة الصُّلبة . وقيل : الأرض ذات الحصى . وقيل : الحجارة الرِّخوة البيضاء . والبصرة مدينة عند ملتقى دجلة ، والفرات ، ويعرف ملتقاهما بشطِّ العرب [(١٠٩٧)] ، وقد روعي في تمصيرها فكرة عمر بن الخطَّاب في إنشاء المدن في مراعاة الطَّبيعة العربيَّة ، فموقعها قريبٌ من الماء ، والمرعى في طرق البرِّ إلى الرِّيف ، وكان سبب نزول المسلمين بها في عهد أبي بكرٍ : أن قطبة بن قتادة الدُّهلي ، أو سويد بن قطبة على اختلاف في الرِّواية كان يصابول الفرس في جماعة من قومه في ناحية البصرة ، فأبقاه خالد بن الوليد والياً وقائداً في ناحيةٍ . فلمَّا صارت الخلافة إلى عمر عيَّن عتبة بن غزوان من أصحاب رسول الله (ص) السَّابقين الأوَّلين والياً ، وقائداً لهذه النَّاحية ، وقال له : أشغل من هناك من أهل الأهواز ، وفارس ، وميسان عن إمداد إخوانهم . وأمر قطبة ، أو سويداً بالانضمام إليه ، فسار إليه عتبة في أكثر من ثلاثمئة رجلٍ ، وانضمَّ إليه قطبة فيمن معه من بكر بن وائل ، وتميم ، فنزلها في شهر ربيع الأوَّل ، أو الآخر عام ١٤ هـ [(١٠٩٨)] .

واستشار عتبة عمر بن الخطّاب في تمصير البصرة ، فأمره أن ينزل موقعاً قريباً من الماء ، والمرعى ، فوقع اختياره على مكان البصرة ، وكتب إليه : إني وجدت أرضاً في طرف البرّ إلى الريف ، ومن دونها مناقع ماء ، فيها قصباء ، فكتب له : أن انزل فيها . فنزلها ، وبني مسجدها من قصبٍ ، وبني دار إمارتها دون المسجد ، وبني النَّاس سبع دساكر من قصبٍ أيضاً ؛ لكثرتِه هناك ، فكانوا إذا غزوا ؛ نزعوا ذلك القصب ، ثمّ حزموه ، ووضعوه حتّى يعودوا من الغزو ، فيعيدوا بناءها كما كان ، وأصاب القصب حريقٌ ، فاستأذنوا عمر بن الخطّاب أن يبنوا باللّين ، فأذن لهم في إمارة أبي موسى الأشعري بعد وفاة عتبة عام ١٧ هـ . فبنى أبو موسى المسجد ، ودار الإمارة باللّين ، والطين ، وسقفها بالعشب ، ثمّ بنوها بالحجارة ، والاجر ، وقد جعلوها خططاً لقبائل أهلها ، وجعلوا عرض شارعها الأعظم . وهو مربدها . ستين ذراعاً ، وعرض ما سواه من الشّوارع عشرين ذراعاً ، وعرض كلّ زقاقٍ سبعة أذرع ، وجعلوا وسط كلّ خطّة رحبةً

فسيحة لمرباط خيولهم ، وقبور موتاهم ، وتلاصقوا في المنازل [(١٠٩٩)] .

وأمر عمر أبا موسى الأشعري أن يحتفر لأهل البصرة نहरًا ، فحفر نهر الأبلّة ، وقاده إلى البصرة بمسافة ثلاثة فراسخ [(١١٠٠)] ، وبذلك يكون المسلمون في طليعة من عرف تخطيط المدن ، وقد كثر غناء من سكن البصرة من المسلمين بفتح الأبلّة ، ودست ، وميسان [(١١٠١)] ، فرغبها النَّاس ، واتوها ، وكانوا طلاب غنى ، كما كان الأوائل طلاب جهاد ، فوفدت أخلاطٌ من القبائل ، وأخلاطٌ من الطّامعين ، والتُّجار فازداد عدد سكّانها زيادةً كبيرة [(١١٠٢)] .

ومن خلال الروايات التاريخية استنتج الباحثون الاعتبارات العسكرية ، والاقتصادية التي وضعها الفاروق عند إنشاء المدن :

— خ تأسيس هذه المدن على مشارف أرض العرب ممّا يلي أرض العجم ، لتبقى حصوناً منيعةً لا يطمع العدوُّ في تجاوزها .

— خ صلاحية مواقع هذه المدن لسكن العرب ؛ لأنّهم كانوا حينئذٍ مادّة الجهاد في سبيل الله ، وهم لا يصلحون إلا حيث توجد مراعي الإبل ، كما بيّن الفاروق رضي الله عنه .

— خ روعي في اختيار مواقع المدن أن تكون على حدّ البر من أرض العرب ، حتّى يجد العرب المراعي اللازمة لمواشيهم ، كما روعي من جهة ثانية أن تكون على أدنى الرّيف من أرض العجم لترد إلى هذه المدن المنتجات الرّيفيّة من ألبان ، وأصوافٍ ، وحبوبٍ ، وثمارٍ ، فقد قال عمر رضي الله عنه عندما قرأ

كتاب عتبة بن غزوان عن أرض البصرة : هذه أرضٌ نصرَةٌ قريبةٌ من المشارب ، والمراعي ، والمحتطب [(١١٠٣)] .

وهذا يدلُّ على سلامة السِّياسة الحربيَّة ، ودقَّة التَّخطيط العمراني ؛ ليلائم ظروف السِّلم ، والحرب معاً ، فقد ضمنت هذه الخطة تأمين مصادر المياه ، وقرب خطوط الإمداد بالمواد الغذائيَّة ، ومصادر الطَّاقة اللازمة لحاجة أهل المصر ، كالحطب وغيره .

— خ التأكد من عدم وجود عوائق طبيعيَّة ، كالبحار مثلاً ، تمنع وصول الإمدادات من قاعدة الخلافة إلى جبهات القتال [(١١٠٤)] .

— خ كان تنظيم الأمصار يتمُّ طبقاً للتنظيم القبلي للجيش ، فكلُّ قبيلةٍ تكون في منازل متجاورة [(١١٠٥)] .

. مدينة الكوفة :

تُجمع آراء المؤرِّخين على أنَّ سعد بن أبي وقَّاص - رضي الله عنه - يعدُّ هو المؤسس الأول للمدينة ، وأنَّه قد اختار موضعها ، وأمر بتخطيطها بعد فترةٍ من الانتصارات التي حقَّقتها المسلمون في حربهم ضدَّ الفرس في جبهة المدائن ، وكما هي الحال تماماً في مسألة اختيار وتمصير مدينة البصرة ، فإنَّ العوامل العسكريَّة لعبت دوراً أساسياً ، ومركزياً في دفع سعد إلى التَّفكير في اتِّخاذ موضع ، أو محيِّم للمجاهدين [(١١٠٦)] ، وقام بتنفيذ ذلك بعد توجيه الفاروق له - رضي الله عنهم - وقد خضع اختيار سعد للكوفة وفق المعايير التي وضعها الفاروق .

وقد لاحظ الفاروق في وفود القادسيَّة ، والمدائن تغيُّراً في وجوههم ، فعلم : أنَّ ذلك من وخومة البلاد ، فكتب إلى سعد بن أبي وقَّاص يأمره أن يتَّخذ لهم مكاناً يوافقهم كما يوافق إبلهم ، وأرسل سلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان رائدين ، فارتادا حتَّى أتيا موضع الكوفة ، وموقعهما بين الحيرة ، والفرات ، وقد سميت بذلك لأنَّها من رملٍ ، وحصباء ، كلُّ رملٍ ، وحصباء فهو كوفة [(١١٠٧)] ، فتحول سعد من المدائن إليها في محرم عام ١٧ هـ ، وكان عمر يريد أن يقيم المسلمون في خيامهم ؛ لأن ذلك أجدُّ في حربهم ، وأدكى لهم ، وأهيب في عين عدوِّهم ، وأدعى إلى إحجامه عن أمر يهْمُ به ، ولما استأذنه أهل الكوفة ، والبصرة في بنيان القصب لم يحبَّ أن يخالفهم ، فأذن لهم ، فابتنى أهلها بالقصب ، ثمَّ إنَّ الحريق الذي وقع بالكوفة ، والبصرة أتى عليها ، فاستأذنوا عمر في البناء باللبن ، فقال : افعلوا ، ولا يزيدنَّ أحدكم على ثلاث أبياتٍ (حجرات) ولا تطاولوا في البنيان . وكتب إلى عتبة ، وأهل

البصرة يمثل ذلك ، وجعل على تنزيل أهل البصرة ، والإشراف على بنائها عاصم بن الدلف أبا الجرداء ، وعلى تنزيل أهل الكوفة والإشراف على بنائها أبا الهيثاج بن مالك الأسدي ، فقام أبو الهيثاج بتخطيط الكوفة بأمر عمر الذي أمر بالمنهج أربعين ذراعاً ، وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ، وبالأزقة سبعة أذرع ، ليس دون ذلك شيء ، وفي القطائع ستين ذراعاً ، وكان أول شيء حُطَّ فيها مسجدها ، ثم قام في وسطه رام شديد النزع ، فرمى عن يمينه ، وشماله ، ومن بين يديه ، ومن خلفه ، ثم أمر بالبناء وراء مواقع السِّهَام ، وبنى في مقدمة المسجد ظلَّةً ذرعها مئتان على أساطين من رخام كانت للأكاسرة سماؤها كأسمية المساجد

الرُّومية ، وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريقٌ منقب مئتا ذراعٍ ، وجعل فيها بيوت الأموال ، وقام بالبناء روزبة الفارسي [(١١٠٨)] ، وسكنها بعد إنشائها المجاهدون والمسلمون ، ثم فرقةً فارسية من فرق القائد رستم عدَّتْها أربعة الاف ، كانت تعرف باسم جند شاهنشاه ، فاستأمنوا على أن ينزلوا حيث أحبُّوا ، ويحالفوا من أحبُّوا ، ويفرض لهم العطاء ، فأعطاهم سعد ما سألوه ، وكان لهم نقيبٌ يقال له : ديلم ، فقبل عنهم : حمراء ديلم [(١١٠٩)] ، كما نزلها جماعةٌ من يهود نجران ، ونصاراها عندما أجلاهم عمر عن شبه الجزيرة ، فأقاموا بمحلَّةٍ عُرفَتْ بالنَّجْرانيَّة في الكوفة [(١١١٠)] ، وارتفع شأن البصرة ، والكوفة بعد تمصيرهما ، وعظم أمرهما ، وأصبح لهما شهرةٌ عظيمةٌ في قيادة الجيوش ، وحلِّ لواء العلم ، والأدب في العالم الإسلامي كلِّه ، بل وانتقلت إليهما القوَّة من الحجاز ، فاتَّخذ عليُّ بن أبي طالبٍ - رضي الله عنه - الكوفة مقراً لخلافته بعد أن انتقل مركز الثقل الإسلامي إلى الأمصار على وجه الإجمال [(١١١١)] .

إنَّ عمر - رضي الله عنه - وضع تخطيط البصرة ، والكوفة على قاعدةٍ صحيحةٍ مُحْكَمَةٍ ، فقد وسَّع طرقها ، وجعلها على نظامٍ جميلٍ ، وهي في شكلها العام تدلُّ على عبقرية الفاروق في المجال العمراني ، فقد كانت الكوفة تجمع بين سكن المدن ، وهواء البادية ، وترتبتها ، وذلك أدعى لصحَّة الأجسام ، وجودة الهواء ؛ لأنَّ سعة الطُّرُق للبلاد بمثابة الرِّئة للجسم ، وكان عمر يريد ممَّن نزلوا الكوفة أن يكونوا في خيامهم ؛ لأن ذلك أسرع إذا مسَّت الحاجة ، وأهيب في عين عدوِّهم ، إلا أن الأمر تطوَّر بعد ذلك ؛ حتَّى بنيت المدن بالطُّوب [(١١١٢)] .

. خشية عمر على المسلمين من الدُّخول في حياة التُّرف ، والتَّعيم :

كان عمر - رضي الله عنه - يخشى على المسلمين الدخول في حياة الترف ، والتعيم ، وما يترتب على ذلك من نتائج سيئة في الدنيا ، والاخرة ، فعندما نزل أهل الكوفة ، واستقرت بأهل البصرة الدار عرف القوم أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا ، ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنیان القصب ، واستأذنه فيه أهل البصرة ، فقال عمر : العسكر أخذ لحربكم ، وأذكى لكم ، وما أحب أن أخالفكم ، وما القصب ؟ قالوا : العكرش [(١١١٣)] إذا روي قصب فصار قصباً . قال : فشانكم . فابتنى أهل المصرين بالقصب [(١١١٤)] .

ثم إن الحريق وقع بالكوفة، والبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبه شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك، فبعث سعد منهم نفرأ إلى عمر يستأذونه في البناء باللين، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم، وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلا وآمروه فيه (يعني شاوروه) فقال: افعلوا، ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات (يعني: غرف) ولا تطاولوا في البنیان، والزمو السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم إلى الكوفة بذلك، وكتب عمر إلى عتبة، وأهل البصرة بمثل ذلك. قال: وعهد عمر إلى الوفد، وتقدم إلى الناس ألا يرفعوا بنياناً فوق القدر، قالوا: وما القدر؟ قال: ما لا يقربكم في السرف، ولا يخرجكم من القصد [(١١١٥)].

هذا ومن استعراض هذا الخبر يتبين لنا: أن أولئك القوم كانوا زاهدين في مظاهر الدنيا، فهم يريدون من المساكن ما يكتفون من الشمس، والمطر، والبرد، والحري، ولا يهتفهم التمتع بالقصور، والبيوت العالية، ولذلك اختاروا التعريش بالقصب الذي كان أيسر الأشياء لديهم؛ حتى اضطروا إلى البناء بالطين، ومع ذلك نجد عمر - رضي الله عنه - يضع لهم الاحتياطات اللازمة لمنع التنافس، والتطاول في البنیان.

وهذا إدراك يعيد المدى لما يتوقع أن تكون عليه الأمة من الغنى بعد الفتوح، فهو يحاول في هذا التوجيه وأمثاله أن يحد من اندفاع الأمة نحو الإسراف والترف، وأن يحملها على حياة القصد، والاعتدال، ومن كلام عمر - رضي الله عنه - السابق يتبين لنا: أن المقصود بالبناء الذي لا خير فيه ما قرب من الإسراف، وأخرج عن القصد، والاعتدال، وإن من أعظم مظاهر الإسراف التطاول في البنیان، وذلك لأن البنیان يستهلك من الإنسان مالا كثيراً، ووقتاً طويلاً، فإذا انصرف له الإنسان بالاهتمام؛ استحوذ على تفكيره حتى يبقى هو الهمة الأكبر عند بعض الناس [(١١١٦)]، ولئن كان ما يخشاه عمر - رضي الله عنه - من الانفتاح الدنيوي في عهده، ويحاول أن يحجز الأمة عن التوغل فيه من ناحية البناية لا يعدو أن يكون بناءً محدوداً ينتهي إعداده في أمدٍ قصير، فإن إعداد البناء في عصرنا هذا يستغرق

سنواتٍ من العمر، ثم قد يعقبه في أحوالٍ كثيرة ديونٌ متراكمة يظلُّ صاحبها يجمع فضول أمواله لسدادها.

وقد يمرُّ عليه سنون من عمره وهو لا يعرف عن الزكاة شيئاً، مع أنه يعتبر من المتوسطين في الغنى الذين هم غالبية الناس، لأنَّ القصور التي تعارف أكثر الناس عليها تتطلب أنواعاً عاليةً من الأثاث، والكماليات؛ التي ترهق طالبها، وتجعله يظلُّ يلاحق أنفاسه سنواتٍ علَّه يصل إلى ما تصبو إليه نفسه من مُشاكله النَّاس في مظاهر الحياة الدُّنيا، وفي خضمِّ هذا التَّنَافس تضيع أحياناً بعض مطالب الإسلام الحيويَّة من العبادات المائيَّة التي على رأسها الزكاة، والإنفاق على المجاهدين في سبيل الله تعالى، كما أنه قد ينشغل فكر الإنسان أحياناً عن الأمور المهمَّة كالصَّلَاة وطلب العلم [(١١١٧)].

. قول عمر: ما لا يقربكم من السرف، ولا يخرجكم من القصد:

يعني: أنَّ حدود البناء المشروع ما لا يقرب صاحبه من الإسراف، وهو مجاوزة الحد المشروع، ولا يخرج عن حد الاعتدال، وقد ترك عمر . رضي الله عنه . تحديد ذلك لهم؛ لأن لكلِّ بلدٍ عرفاً خاصاً يتحدَّد به الإسراف والاعتدال، والتقتير، فالقصد إذاً يحدِّده العرف السائد في البلد لدى أوساط النَّاس من أهل الاستقامة بالاعتدال في الأمور الدنيويَّة [(١١١٨)].

. قوله: الزموا السنَّة تلمزمكم الدولة:

يعني أنَّ الالتزام بالطريق المستقيم الذي سار عليه رسول الله (ص) سببٌ في الإدالة على النَّاس، والتمكين في الأرض، كما جاء في قوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [النور: ٥٥].

لقد كان هذا التزهيد من عمر . رضي الله عنه . في مظاهر الدُّنيا مع أنَّ المسلمين آنذاك كانوا يتنافسون في هذا الزهد، فكيف بمن جاؤوا بعدهم على مَرِّ العصور ممن يتنافسون على مظاهر الدُّنيا؟ هذا ولقد كان أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . حريصاً على علاج أمر الانفتاح المادي الذي كان في عصره حيث فُتحت بلاد الفرس وأجزاء من بلاد الرُّوم، فأفاء الله تعالى على المسلمين من غنائم الفتوح، وفيء البلاد، وخارجها أموالاً عظيمةً، ولقد خطب أمير المؤمنين خطبةً بليغةً شخَّص فيها ذلك الموقع، وأرشد المسلمين إلى السُّلوك الأمثل.

لقد قال رضي الله عنه: إنَّض الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشُّكر، وأنَّخذ عليكم الحجَّة فيما آتاكم من كرامة الآخرة، والدُّنيا، عن غير مسألةٍ منكم له، ولا رغبةٍ منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه، وعبادته، وكان قادراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامَّة خلقه، ولم يجعلكم لشيءٍ غيره، وسخَّر لكم ما في البرِّ، والبحرِ، ورزقكم من الطَّيبات لعلَّكم تشكرون. ثمَّ جعل لكم سمعاً، وبصراً.

ومن نعم الله عليكم نعمٌ عمَّ بها بني آدم، ومنها نعمٌ اختصَّ بها أهل دينكم، ثمَّ صارت تلك النِّعم خواصُّها وعوامُّها في دولتكم، وزمانكم، وطبقتكم، وليس من تلك النِّعم نعمةٌ وصلت إلى امرئٍ خاصَّةٍ إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين النَّاس كلِّهم؛ أتعبهم شكرها، وفدحهم حقُّها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمةٌ مخالفةٌ لدينكم إلا أمتان، أمةٌ مُستعبدةٌ للإسلام وأهله، يجزون لكم، يُستصفون [(١١١٥)] معاشهم، وكدائهم وشرح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمةٌ تنتظر وقائع الله، وسطواته في كلِّ يومٍ وليلةٍ، قد ملأ الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقلٌ يلجؤون إليه، ولا مهربٌ يتَّقون به، قد دهمتهم جنود الله. عزَّ وجل. ونزلت بساحتهم مع رفاغة [(١١١٦)] العيش، واستنفاضة المال، وتتابع البعوث، وسدِّ الثُّغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامَّة التي لم تكن هذه الأُمَّة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود مع الفتوح العظام في كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشَّاكرين، وذكر الذَّاكرين، واجتهاد المجتهدين، مع هذه النِّعم التي لا يحصى عددها، لا يقدر قدرها، ولا يستطيع أداء حقِّها إلا بعون الله ورحمته ولطفه، فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته، والمصارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتمُّوا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني، وفرادى، فإنَّ الله عز وجل قال لموسى: { أَخْرِج قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ } [إبراهيم: ٥]. وقال لمحمَّد (ص): { وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ } [الأنفال: ٢٦].

فلو كنتم مستضعفين محرومين خير الدُّنيا على شعبة من الحقِّ، تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت؛ لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشدَّ الناس معيشةً، وأثبتهم بالله جهالةً، فلو كان هذا الذي استشلاككم [(١١١٧)] به لم يكن معه حظُّ في دنياكم، غير أنَّه ثقةٌ لكم في اخرتكم؛ التي إليها المعاد، والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة ما كنتم عليه أحرى أن

تشخُّوا على نصيبكم منه، وأن تظهروا على غيره قَبْلَهُ؛ ما إِنَّه قد جمع لكم فضيلة الدنيا، والآخره، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حقَّ الله ، فعملتم له ، وقسرتم أنفسكم على طاعته ، وجمعتم مع الشُّرور بالتَّعم خوفاً لها، ولانتقالها، ووجلاً منها، ومن تحويلها، فإنَّه لا شيء أسلبُ للنِّعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير ، ونماء للنِّعمة، واستيجاب للزَّيادة، هذا الله عليّ من أمركم، ونهيكم واجبٌ [(١١١٨)].

. مدينة الفسطاط :

إذا كان سعد بن أبي وقَّاص . رضي الله عنه . يعدُّ المؤسِّس الأول لمدينة الكوفة ، فإنَّ عمرو بن العاص يعدُّ المؤسِّس لمدينة الفسطاط ، فبعد انتهائه من عملية فتح الإسكندرية أراد الاستقرار فيها ، فكتب إليه عمر بن الخطاب : ألا تجعلوا بيني وبينكم ماءً حتى أقدم إليكم .. فتحوَّل من الإسكندرية إلى الفسطاط [(١١١٩)] ، وأوَّل عملٍ عمله فيها هو بناء مسجده الَّذي عرف باسمه فضلاً عن مسجده في الإسكندرية ، ثم بنى داراً لعمر بن الخطَّاب ، وربما قصد بها داراً للخلافة ، فكتب إليه عمر بن الخطَّاب ، وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين [(١١٢٠)] ، وبني عمرو بن العاص لنفسه دارين قريبتين من المسجد كما يخبرنا عنهما ابن عبد الحكم : فاخطَّ عمرو بن العاص داره الَّتِي هي اليوم عند باب المسجد بينهما الطَّرِيق ، وداره الأخرى اللاصقة إلى جنبها [(١١٢١)] . وربما بناها واحدةً له ، والأخرى داراً للإمارة بعد أن أمر عمر بن الخطَّاب بهدم داره السَّالفة الذِّكر ، وكَلَّف عمرو بن العاص جماعةً من كبار الصَّحابة من مرافقيه ليفصلوا بين القبائل ، فجعلوا لكلِّ قبيلةً جهةً لمنازلهم ، عرفت بالخطط ، وهي أشبه ما تُعرف بالأحياء في وقتنا الحاضر ، ولكنها لم تكن بهذا الاتِّساع حيث جعل بين القبيلة والأخرى شوارع ، وربما لم تكن بمفهوم الشُّوارع اليوم وإمَّا ممَّرات بين كلِّ حارةٍ ، وأخرى . وكانت الجماعة مكونةً من : معاوية بن خديج التَّجِيبِي ، وشريك بن شُمي الغطيفي ، وعمرو بن محرم الخولاني ، وحويل بن ناشرة المعافري ، وكانوا هم الَّذِينَ أنزلوا الناس ، وفصلوا بين القبائل ، وذلك في سنة إحدى وعشرين [(١١٢٢)] ، وعلى الرغم من أنَّ المجال لا يتسع لذكر جميع الخطط في هذا المجال إلاَّ أنَّه لا بأس من ذكر بعضٍ منها ، مثل : خطَّة أسلم ، والليتون ، وبني معاذ ، وبلي ، وبني بحر ، ومهرة ، ولخم ، وغافق ، والصَّدَف ، وحضرموت ، وتجب ، وخولان ، ومذحج ، ومراد ، ويافع ، ومعافر ، ومعهم الأشعريُّون [(١١٢٣)] .

ويستدلُّ الباحث من هذه الأسماء على كثرة القبائل العربيَّة وغيرها ممَّن شارك في عملية الفتح ، وبالتالي كثرة الأحياء المكوَّنة من هذه القبائل ، وحبُّ كلِّ قبيلةٍ في أن يكون لها استقلالها الخاص ، لتداول شؤونها وما يهَمُّ أفرادها ، ونستدلُّ أيضاً على دقَّة التَّنظيم الَّذي وافق

عليه عمرو بن العاص في هذا التَّقسيم القبليِّ [(١١٢٤)] ، وقد كانت هذه القبائل تبني في وسطها مساجدها ، فقد ذكر ابن ظهيرة في كتابه : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة نقلاً عن ابن زولاق ما ذكره عن المساجد الأولى في الفسطاط ، ذكر في أوَّلها مسجد عمرو بن العاص ثمَّ عدداً من المساجد المنسوبة لأفراد [(١١٢٥)] ، وقال بعدها : وبمصر من مساجد الصَّحابة سوى ما ذكرنا مساجد بنوها حين الفتح عدَّتْها نحو مئتي مسجدٍ ، وثلاثةٍ وثلاثين مسجداً ، وقد أعدَّ ترتيبها تبعاً لعشائرها [(١١٢٦)] .

هذا وقد وفق عمرو بن العاص باختياره المكان ؛ إذ يسهل منه الاتصال بحاضرة الخلافة ، فضلاً عن كونه وسطاً بين شمالي البلاد وجنوبها ، وقريباً من النيل [(١١٢٧)] .
- مدينة سرت بليبيا :

بعد أن أصبحت برقة قاعدةً للإسلام غربي مصر ، انطلق منها عمرو بن العاص ، وجنده إلى طرابلس ، فبدأ بمدينة سرت بين برقة ، وطرابلس ، فاستولى عليها ، واتَّخذها المسلمون قاعدةً للانطلاق إلى الغرب منذ عام ٢٢ هـ ، وبقيت قاعدةً لقوَّات المسلمين ، ومركزاً لعُقبه بن نافع ؛ الذي صرَّف همَّه لنشر الإسلام في الواحات القريبة من فزان ، وودَّان ، وزويلة ، والسُّودان [(١١٢٨)] .
- الحاميات المقامة في المدن المفتوحة :

أطلق عمر - رضي الله عنه - اسم الأجناد على الحاميات المقامة في المدن المفتوحة في جميع الجهات من البلاد المفتوحة ، وخاصَّةً بلاد الشام ، فكان فيها ثكنات لإقامة الجند ، وفي كلِّ معسكرٍ حظيرة للخيل فيها ما لا يقلُّ عن أربعة الاف حصان بكامل معدَّاتها ، وتجهيزاتها كلُّها على أهبة الاستعداد [(١١٢٩)] ، حتى إذا دعت الحاجة أمكن القيادة أن تدفع إلى ميادين القتال في وقتٍ قصيرٍ أكثر من ٣٦ ألفاً من الفرسان دفعةً واحدةً في بلاد الشَّام وحدها . وقد خصَّصت مراعٍ واسعةً لتلك الخيول في كلِّ الأجناد ، وكان كل حصانٍ يوسم على فخذه ميسم : جيش في سبيل الله ، تنفيذاً لقوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] .

ومن هذه الحاميات في بلاد الشَّام :

. جند دمشق : وتولاها في عهد عمر بن الخطَّاب ثلاثة على التَّرتيب ، هم : يزيد بن أبي سفيان ، فسويد بن كلثوم ، فمعاوية بن أبي سفيان .

. جند حمص : وقد تولاها أبو عبيدة عامر بن الجراح ، فعبادة بن الصَّامت ، فعياض بن غنم ، فسعيد بن عامر بن حذيم ، ثم عمير بن سعد ، فعبد الله بن قرط .

. جند قنَّسرين : وتولاها خالد بن الوليد ، فعمير بن سعد .

. جند فلسطين : وتولاها يزيد بن أبي سفيان فعلقمة بن مجزز .

. جند الأردن : مركزها طبرية وتولاها شرحبيل بن حسنة ، فيزيد بن أبي سفيان ، فمعاوية ، وقد تولَّى

معاوية جند دمشق ، والأردن بعد وفاة يزيد في طاعون عمواس [(١١٣٠)] . هذا وقد دفعت الرَّغبة في

الجهاد ابتغاء مرضاة الله كثيراً من الصَّحابة ، وعلماء التَّابعين إلى الارتحال إلى هذه المدن التي تُسمَّى

الثُّغور ، والأمصار ، لنشر الدَّعوة ، والجهاد في سبيل الله ، وتعليمهم القرآن ، وقد أصبحت كلٌّ من

المدينة المنورة ، والبصرة ، والكوفة ، ودمشق ، والفسطاط ، مناطق جذب سكانية تحوَّل النَّاس إليها

طلباً للعلم ، والجهاد ، أو برغبة التَّسجيل في ديوان الجيش ، والحصول على الأعطيات ، أو برغبة

التجارة ، واحتراف المهن الأخرى ، ممَّا جعل هذه الأمصار منارات حضاريةً ، ازدهرت فيها شتى العلوم

، والمعارف ، ونمت فيها مختلف الحرف ، والصِّناعات [(١١٣١)] .

ثانياً : الأزمة الاقتصادية (عام الرَّمادة) :

تعرَّضت الدَّولة الإسلاميَّة في عهد عمر - رضي الله عنه - للابتلاء ، وهذه السَّنَّة جارية في الأمم ،

والدُّول ، والشُّعوب ، والمجتمعات ، والأُمَّة الإسلاميَّة أمة من الأمم ، فسَنَّة الله فيها جارية لا تتبدَّل ،

ولا تتغيَّر ، ومن أعظم الابتلاءات في عهد عمر عام الرَّمادة ، وطاعون عمواس ، ونترك الصَّفحات

لتحدِّثنا عن تعامل عمر مع هذه الأزمات ، وكيف دفعها بسَنَّة الأخذ بالأسباب ، والتَّضرُّع ، والدُّعاء

إلى ربِّ العباد ، ففي سنة ١٨ هـ أصاب النَّاس في الجزيرة مجاعةً شديدةً ، وجدبٌ ، وقحطٌ ، واشتدَّ

الجوع حتَّى جعلت الوحوش تأوي إلى الإنس ، وحتَّى جعل الرجل يذبح الشَّاة فيعافها من قبحها ،

وماتت المواشي جوعاً ، وسمِّي هذا العام عام الرَّمادة ؛ لأنَّ الرِّيح كانت تسفي تراباً كالرَّماد ، واشتدَّ

القحط ، وعزَّت اللَّقمة . وهرع النَّاس

من أعماق البادية إلى المدينة ، يقيمون فيها ، أو قريباً منها ، ويلتمسون لدى أمير المؤمنين حلاً ، فكان الفاروق أكثر الناس إحساساً بهذا البلاء ، وتحملاً لتبعاته [(١١٣٢)] ، ويمكن للباحث أن يلحظ الخطوات التي سار عليها عمر في التعامل مع هذه الأزمة كالآتي :

١. ضرب من نفسه للناس قدوة :

جاء لعمر بن الخطاب في عام الرمادة بخبز مفتوت بسمن ، فدعا رجلاً بدويّاً ليأكل معه ، فجعل البدوي يتبع باللقمة الودك في جانب الصفحة [(١١٣٣)] ، فقال له عمر : كأنتك مقفر من الودك ، فقال البدوي : أجل ، ما أكلت سمناً ، ولا زيتاً ، ولا رأيت أكلاً له منذ كذا ، وكذا إلى اليوم ، فحلف عمر لا يذوق لحماً ، ولا سمناً حتى يحيا الناس ! ولقد أجمع الرواة جميعاً : أن عمر كان صارماً في الوفاء بهذا القسم ، ومن ذلك ، أنه لما قدمت إلى السوق عكة سمن ، ووطب من لبن ، فاشترها غلاماً لعمر بأربعين درهماً ، ثم أتى عمر فقال : يا أمير المؤمنين ! قد أبر الله يمينك ، وعظم أجرك ، وقدم السوق وطب من لبن ، وعكة من سمن ابتعتهما بأربعين درهماً ، فقال عمر : أغليت [(١١٣٤)] فتصدق بهما ، فإني أكره أن أكل إسرافاً ! ثم أردف قائلاً: كيف يعينني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم [(١١٣٥)]؟! فهذه جملة واحدة في كلمات مضيئة ، يوضح فيها الفاروق مبدأ من أروع المبادئ الكبرى التي يمكن أن تعرفها الإنسانية في فن الحكم «كيف يعينني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما مسهم» [(١١٣٦)].

وقد تأثر عمر في عام الرمادة حتى تغير لونه . رضي الله عنه . فعن عياض بن خليفة ، قال : رأيت عمر عام الرمادة ، وهو أسود اللون ، ولقد كان رجلاً عربياً يأكل السمن ، واللبن ، فلما أحل الناس حرّمهما ، فأكل الزيت حتى غير لونه ، وجاع ، فأكثر [(١١٣٧)] .

وعن أسلم قال: كنّا نقول: لو لم يرفع الله تعالى المحل عام الرمادة لظننا: أن عمر يموت همّاً بأمر المسلمين [(١١٣٨)] ، وكان . رضي الله عنه . يصوم الدهر [(١١٣٩)] ، فكان عام الرمادة، إذا أمسى، أتى بخبز قد ثرد بالزيت، إلى أن نحر يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس ، وغرفوا له طيبها ، فأتي به ، فإذا قدر من سنام، ومن كبِد، فقال : أئى هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ! من الجزور

التي نحرنا اليوم . قال : بخ ، بخ ، بخ بئس الوالي أنا إن أكلت طيبها ، وأطعمت الناس كراديسها [(١١٤٠)] ، ارفع هذه الصّحفة ، هات لنا غير هذا الطّعام ، فأتي بخبز ، وزيت ، فجعل يكسر بيده ، ويثرد ذلك بالزيت ، ثم قال : ويحك يا يرفأ [(١١٤١)] ! احمل هذه الجفنة حتى تأتي بها

أهل بيت يشمع [(١١٤٢)] ، فَإِنِّي لم اتهم منذ ثلاثة أيام ، وأحسبهم مقفرين ، فضعها بين أيديهم [(١١٤٣)] .

هذا هو الفاروق وهذا هو فنُّ الحكم في الإسلام يؤثر الرّعية على نفسه ، فيأكلون خيراً ممَّا يأكل ، وهو الذي يحمل من أعباء الحكم والحياة أضعاف ما يحملون ، ويعاني من ذلك أضعاف ما يعانون ، وهو في ذلك لا يضع القيود على نفسه وحدها ، بل يسير بها ليقبّد أفراد أسرته ، فهم أيضاً يجب أن يعانون أكثر ممَّا يعاني النَّاس ، وقد نظر ذات يومٍ في عام الرّمادة ، فرأى بطيخة في يد ولدٍ من أولاده ، فقال له على الفور : بخ ، بخ يا ابن أمير المؤمنين ! تأكل الفاكهة ، وأمة محمد هزلي ؟ فخرج الصَّبِيُّ هارباً يبكي ، ولم يسكت عمر إلا بعد أن سأل عن ذلك ، وعلم : أنّ ابنه اشتراها بكفٍّ من نوى [(١١٤٤)] .

لقد كان إحساسه بمسؤوليّة الحكم أمام الله عزَّ وجلَّ يملك عليه شعاب نفسه ، فلم يترك وسيلةً في الدِّين ، والدُّنيا يواجه بها الجذب ، وانقطاع المطر إلا لجأ إليها ، فكان دائم الصَّلَاة ، دائم الاستغفار ، دائم الحرص على توفير الأقوات للمسلمين ، يفكر في رعيّته ، من زحف منهم إلى المدينة ، ومن بقي منهم في البادية ، ويواجه العبء كلّهُ في كفاءة ، واقتدارٍ .. ثمَّ بعد ذلك قسوةً على النَّفس ما أروعها من قسوة ! حتّى قال من أحاط به في تلك الأزمنة : لو لم يرفع الله المحل [(١١٤٥)] عام الرّمادة لظننا : أنّ عمر يموت همّاً بأمر المسلمين [(١١٤٦)] .

٢. معسكرات اللاجئين عام الرّمادة :

عن أسلم ، قال : لما كان عام الرّمادة جاءت العرب من كلِّ ناحية ، فقدموا المدينة ، فكان عمر قد أمر رجالاً يقومون بمصالحهم ، فسمعتهم يقول ليلةً : أحصوا من يتعشّى عندنا . فأحصوهم من القابلة ، فوجدوهم سبعة الاف رجلٍ ، وأحصوا الرِّجال المرضى ، والعيالات فكانوا أربعين ألفاً .

ثمَّ بعد أيامٍ بلغ الرِّجال ، والعيال ستّين ألفاً ، فما برحوا حتّى أرسل الله السَّماء ، فلمّا مطرت ؛ رأيت عمر قد وُكِّل بهم من يخرجوهم إلى البادية ، ويعطوهم قوتاً وحملاناً إلى

باديتهم ، وكان قد وقع فيهم الموت فأراه مات ثلاثهم ، وكانت قدور عمر تقوم إليها العمّال من السّحر يعملون الكركور ، ويعملون العصائد [(١١٤٧)] ، وهنا نرى الفاروق رضي الله عنه يقبِّم وظائف العمل على العاملين ، وينشأ مؤسّسة اللاجئين بحيث يكون كلُّ موظفٍ عالماً بالعمل الذي كلفه به دون تقصيرٍ فيه ، ولا يتجاوز إلى عملٍ اخر مسندٍ إلى غيره [(١١٤٨)] ، فقد عيّن أمراء على نواحي

المدينة لتفقد أحوال النَّاس الَّذِينَ اجتمعوا حولها طلباً للرزق لشدة ما أصابهم من القحط ، والجوع ، فكانوا يشرفون على تقسيم الطعام ، والإدام على النَّاس ، وإذا أمسوا ؛ اجتمعوا عنده ، فيخبرونه بكلِّ ما كانوا فيه ، وهو يوجِّههم [(١١٤٩)] .

وكان عمر يطعم الأعراب من دار الدَّقِيق ، وهي من المؤسَّسات الاقتصادية التي كانت أيام عمر توزع على الوافدين على المدينة ، الدَّقِيق والسَّويق ، والتَّمر والزَّبيب من مخزون الدَّار قبل أن يأتي المدد من مصر ، والشَّام ، والعراق ، وقد توسَّعت دار الدَّقِيق لتصبح قادرةً على إطعام عشرات الألوف الذين وفدوا على المدينة مدَّة تسعة أشهر قبل أن يجيا النَّاس بالمطر [(١١٥٠)] .

وهذا يدلُّ على عقلية عمر في تطوير مؤسَّسات الدولة سواءً كانت ماليَّة ، أو غيرها ، وكان رضي الله عنه يعمل بنفسه في تلك المعسكرات . قال أبو هريرة : يرحم الله ابن حنتمة ! لقد رأيتُه عام الرَّمادة وإنَّه ليحمل على ظهره جرابين ، وعكَّة زيت [(١١٥١)] في يده ، وإنَّه ليعتقب (أي يتناوب) هو وأسلم ، فلمَّا راني قال : من أين يا أبا هريرة؟! قلت : قريباً . قال : فأخذت أعقبه (أعاونه) فحملناه ؛ حتَّى انتهينا إلى ضرار فإذا صرَّم (جماعة) نحو من عشرين بيتاً من محارب ، فقال عمر : ما أقدمكم ؟ قالوا : الجهد . قال : وأخرجوا لنا جلد مية مشويَّة كانوا يأكلونها ، ورمة العظام مسحوقة كانوا يسفونها . قال : فرأيت عمر طرح رداءه ، ثم نزل يطبخ لهم ، ويطعمهم حتَّى شعوا ، ثم أرسل أسلم إلى المدينة ، فجاء بأبيرة ، فحملهم عليها ، حتَّى أنزلهم الجبانة ، ثم كساهم ، ثم لم يزل يختلف إليهم ، وإلى غيرهم ؛ حتَّى رفع الله ذلك [(١١٥٢)] .

وكان رضي الله عنه يصلِّي بالنَّاس العشاء ثم يخرج إلى بيته ، فلا يزال يصلِّي حتَّى يكون آخر الليل ثم يخرج فيأتي الأنقاب ، فيطوف عليها ، وقد ذكر عبد الله بن عمر بأنَّه قال : وإني لأسمعه ليلةً في السَّحر ، وهو يقول : اللُّهُمَّ لا تجعل هلاك أمةٍ محمَّد على يدي ! ويقول : اللُّهُمَّ لا تهلكننا بالسَّنين ، وارفع عنا البلاء ! يرِدُّ هذه الكلمات [(١١٥٣)] .

وقال مالك بن أوسٍ (من بني نصر) : لما كان عام الرَّمادة قدم على عمر قومي وهم مئة بيت فنزلوا الجبَّانة ، فكان يطعم النَّاس من جاءه ، ومن لم يأت ؛ أرسل إليه الدَّقِيق ، والتَّمر ، والأدم إلى منزله ، فكان يرسل إلى قومي بما يصلحهم شهراً بشهر ؛ وكان يتعهَّد مرضاهم ، وأكفان من مات منهم . ولقد رأيت الموت وقع فيهم حتَّى أكلوا الثَّقَل ، وكان عمر . رضي الله عنه . يأتي بنفسه ، فيصلِّي عليهم

، لقد رأيته صلى على عشرة جميعاً ، فلماً أحيوا ؛ قال : اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية ، فجعل يحمل الضعيف منهم حتى لحقوا ببلادهم [(١١٥٤)] .

وعن حزم بن هشام عن أبيه ، قال : رأيت عمر بن الخطاب عام الرمادة مرّاً على امرأة ، وهي تعصد عصيدة لها ، فقال : ليس هكذا تعصدين . ثم أخذ المسوط (ما يخلط به كالمعلقة) فقال : هكذا فأراها ، وكان يقول : لا تذرني إحدائكم الدقيق حتى يسخن الماء بل تذرهُ قليلاً قليلاً ، وتسوطه بمسوطها ، فإنه أربع له ، وأحرى ألا يتفرّد (أي : يجتمع ، ويركب بعضه بعضاً) . وحدّثت بعض نساء عمر . رضي الله عنه . فقالت : ما قرب عمر امرأة زمن الرمادة حتى أحيى الناس [(١١٥٥)] .

وعن أنس قال : تفرقر بطن عمر بن الخطاب عام الرمادة ، وكان يأكل الرّيت ، وكان قد حرّم على نفسه السّمّن ، فنقر بطنه بأصبعيه ، وقال : تفرقر إنّه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس [(١١٥٦)] .

٣. الاستعانة بأهل الأمصار :

وأسرع عمر . رضي الله عنه . فكتب إلى عمّاله على البلاد الغنيّة يستغيثهم ، فأرسل إلى عمرو بن العاص عامله على مصر : من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاص ، سلام عليك ، أمّا بعد : أفتراني هالكاً ومن قبلي ، وتعيش أنت منعماً ومن قبلك ؟ فواغوثاه ! واغوثاه ! فكتب إليه عمرو بن العاص : لعبد الله أمير المؤمنين من عمرو بن العاص سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد : أتاك الغوث ، فالرّيث الرّيث ! لأبعثن بعير (عير : بكسر العين : قافلة) أوّلها عندك ، واخرها عندي ، مع أيّ أرجو أن أجد سبيلاً أن أحمل في البحر [(١١٥٧)] ، فبعث في البر بألف بعير تحمل الدقيق ، وبعث في البحر بعشرين

سفينة تحمل الدقيق ، والدّهن ، وبعث إليه بخمسة الاف كساء [(١١٥٨)] .

وكتب عمر إلى كلّ عامل من عمّاله على الشّام : ابعث إلينا من الطّعام بما يصلح من قبلك ، فإنهم قد هلكوا ، إلا أن يرحمهم الله [(١١٥٩)] . وكتب إلى عمّاله على العراق ، وفارس بمثل ذلك . فكلّهم أرسلوا إليه [(١١٦٠)] .

وذكر الطّبري : أنّ أوّل من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح في أربعة الاف راحلة من طعام ، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة ، فلماً رجع إليه ؛ أمر له بأربعة الاف درهم ، فقال : لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ! إنّما أردت الله ، وما قبّله ، فلا تدخل عليّ الدنيا ، فقال : خذها ، فلا بأس بذلك إذا

لم تطلبه ، فأبى ، فقال : خذها فإني قد وليت لرسول الله (ص) مثل هذا ، فقال لي مثل ما قلت لك ، فقلت له كما قلت لي ، فأعطاني . فقبل أبو عبيدة ، وانصرف مع عمّاله ، وتتابع النَّاسُ [(١١٦١)] وبعث معاوية بن أبي سفيان ثلاثة آلاف بعيرٍ تحمل طعاماً ، ووصلت من العراق ألف بعير تحمل دقيقاً [(١١٦٢)] ، وشرع عمر في توزيع هذا الزَّاد على أهل المدينة ، ومن لا ذوا بها من الأعراب ، وسير منه إلى البادية ، وأمر بتوزيعه على أحياء العرب جميعاً ، قال الزُّبير بن العوّام : قال لي عمر في عام الرَّمادة . وقد حمّل قافلةً من الإبل بالدَّقِيق والشَّحْم والزَّيْت لنجدة أهل البادية . : اخرج في أوّل هذه العير ، فاستقبل بها نجداً ، فاحمل إليّ أهل كلِّ بيتٍ ما قدرت أن تحملهم إليّ ، ومَنْ لم تستطع حمله ، فمر لكلِّ أهل بيتٍ ببعيرٍ بما عليه من المتاع ، ومُرهم فليلبسوا كساءين ، واحداً للشتاء ، والآخر للصَّيف ، ولينحروا البعير ، فليحفظوا شحمه ، وليقدِّدوا لحمه .. ثمَّ ليأخذوا شحماً ، ودقيقاً ، فيطبخوه ، ويأكلوا حتّى يأتيهم الله برزقه [(١١٦٣)] ، وجعل عمر يرسل إلى النَّاس مؤونة شهرٍ بشهرٍ ، ممَّا يصله من الأمصار من الطَّعام ، والكساء .

واستمرَّت القدور العمريَّة الضَّخمة ، يقوم عليها عمالٌ مهرةٌ ، يطبخون من بعد الفجر ، ثمَّ يوزعون الطَّعام على النَّاس ، وأعلن عمر : إن يرفع الله الجذب ؛ فسأجعل مع أهل كلِّ بيتٍ مثلهم ، وسنطعم ما وجدنا أن نطعمهم ، فإن أعوزنا ؛ جعلنا مع أهل كلِّ بيتٍ ممَّن يجد عدَّتهم ممَّن لا يجد ، إلى أن يأتي الله بالحيا (المطر) [(١١٦٤)] .

وقد جاء في روايةٍ قوله : لو امتدَّت المجاعة ؛ لوزعت كلَّ جائعٍ على بيت من بيوت المسلمين ، فإنَّ الناس لا يهلكون على أنصاف بطونهم [(١١٦٥)] .

وكان الفاروق يقوم بتوزيع الطَّعام ، والزَّاد على كثيرٍ من القبائل في أماكنهم من خلال لجانٍ شكَّلتها ، فعندما وصلت إبل عمرو بن العاص إلى أفواه الشَّام ؛ أرسل عمر من يشرف على توزيعها مع دخولها جزيرة العرب ، فعدلوا بها يميناً ، وشمالاً ينحرون الجزر ، ويطعمون الدَّقِيق ، ويكسون العباء ، وبعث الفاروق رجلاً بالطَّعام الَّذي أرسله عمرو من مصر في البحر ، فحمله إلى أهل تھامة يُطعمونه [(١١٦٦)] .

٤ . الاستغاثة بالله ، وصلاة الاستسقاء :

عن سليمان بن يسارٍ ، قال : خطب عمر النَّاس في زمان الرَّمادة ، فقال : أيُّها الناس ! اتَّقوا الله في أنفسكم ، وفيما غاب عن النَّاس من أمركم ، فقد ابتليت بكم ، وابتليت بي ، فما أدري السَّخطة عليّ

دونكم ، أو عليكم دوني ، أو قد عمّنتني ، وعمّتكم ، فهلثوا ؛ فلندعُ الله يصلح قلوبنا ، وأن يرحمنا ، وأن يرفع عنا المحلّ ، فرئي عمر يومئذٍ رافعاً يديه ، يدعو الله ، ودعا للنّاس ، وبكى ، وبكى النّاس ملياً ، ثم نزل [(١١٦٧)] . وعن أسلم قال : سمعت عمر يقول : أيّها النّاس ! إني أخشى أن تكون سخطة عمّتنا جميعاً ، فأعتبوا ربكم ، وانزعوا ، وتوبوا إلى ربكم وأحدثوا خيراً [(١١٦٨)] .

وعن عبد الله بن ساعدة ، قال : رأيت عمر إذا صلى المغرب ؛ نادى أيّها النّاس ! استغفروا ربكم ، ثمّ توبوا إليه ، وسلوه من فضله ، واستسقوا سقياً رحمةً ، لا سقياً عذاب . فلم يزل كذلك ؛ حتّى فرّج الله [(١١٦٩)] ذلك . وعن الشّعبيّ : أنّ عمر - رضي الله تعالى عنه - خرج يستسقي فقام على المنبر ، فقرأ هذه الايات { فقلت استغفروا ربكم إنّهُ كان عفّاراً * يرسل السّماء عليكم مدرّاراً * } [نوح: ١٠] . [١١] ، ويقول: استغفروا ربكم ، ثمّ توبوا إليه . ثمّ نزل . فقيل له : ما يمنعك من أن تستسقي؟ فقال : طلبت المطر بمجاديح [(١١٧٠)] السّماء التي ينزل بها المطر [(١١٧١)] ، ولما أجمع عمر على أن يستسقي ، ويخرج بالنّاس ، كتب إلى عمّاله أن يخرجوا يوم كذا ، وأن يتضرّعوا إلى ربهم ، ويطلبوا أن يرفع هذا المحلّ [(١١٧٢)] عنهم ، وخرج عمر لذلك اليوم ، وعليه بردٌ رسول الله (ص) ، حتّى انتهى إلى المصلّى ، فخطب النّاس فتضرّع ، وجعل النّساء يلحّون ، فما كان أكثر دعائه إلا استغفاراً ؛ حتّى إذا قرب أن ينصرف ؛ رفع يديه مدّاً ، وحول رداءه ، فجعل اليمين على اليسار ، ثمّ اليسار على اليمين ، ثمّ مدّ يديه ، وجعل يلحّ في الدّعاء ، ويكي بكاءً طويلاً حتّى اخضلت لحيته [(١١٧٣)] .

وقد جاء في صحيح البخاريّ عن أنسٍ : أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا ؛ استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب فقال : اللّهُمَّ إنّنا كنا نتوسل إليك بنينا (ص) ، فتسقيننا [(١١٧٤)] ، وإنّا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا ! قال : فيسقون [(١١٧٥)] ، وروي : أنّ عمر لما استسقى عام الرّمادة قال في اخر كلامه : اللّهُمَّ إني قد عجزت ، وما عندك أوسع لهم ! ثمّ أخذ بيد العبّاس ، فقال : نتقرّب إليك بعمّ نبيّك ، وبقية اباؤه ، وكبار رجاله ، فإنّك تقول ، وقولك الحقُّ : { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا } [الكهف: ٨٢] فحفظتهما لصلاح أبيهما ؛ فاحفظ اللّهُمَّ نبيّك في عمّه ! فقال العبّاس ؛ وعينه تنضحان : اللّهُمَّ إنّهُ لا ينزل بلائاً إلا بذنبٍ ، ولا يكشف إلا بتوبة ، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيّك (ص) وهذه أيدينا مبسوطةٌ إليك بالدُّنوب ، ونواصينا بالتّوبة ، فاسقنا الغيث ، ولا تجعلنا من القانطين يا أرحم الراحمين ! اللّهُمَّ أنت الرّاعي لا تهمل

الضَّالَّة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة ، فقد ضرع الصَّغِير ، وفرق الكبير ، وارتفعت الشَّكوى ، وأنت تعلم السِّرَّ ، وأخفى ! اللَّهُمَّ أغثهم بغيائك قبل أن يقنطوا ، فيهلكوا ، فإنَّه لا يئأس من رَوْحِكَ إِلَّا القوم الكافرون [(١١٧٦)] ! فنشأت طريرةً من سحابٍ ، فقال الناس : ترون ، ثمَّ التأمت ، ومشت فيها ريحٌ ، ثمَّ هدأت ، ودرَّت فوالله ما نرحوا حتى اعتنقوا الجدار ، وقلصوا المازر ، فطفق النَّاس بالعبَّاس يقولون: هنيئاً لك يا سقي الحرمين! فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

بِعَمِّي سَقَى اللهُ الحِجَارَ وَأَهْلَهُ عَشِيَّةً يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الجُدْبِ رَاغِباً
إِلَيْهِ فَمَا رَامَ حَتَّى أَتَى المَطْرُومَنَا رَسُولَ اللهِ فِينَا تُرَائُهُ فَهَلْ فَوْقَ هَذَا
لِلْمُفَاخِرِ مُفْتَحِرٌ وَقَالَ حَسَّانُ بنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه :

سَأَلَ الإِمَامَ وَقَدْ تَتَابَعَ جَدُّنَا فَسَقِيَ العَمَامَ بِعُرَّةِ العَبَّاسِ النَّبِيِّ وَصِنُو وَالدِّهِ الَّذِي
وَرِثَ النَّبِيُّ بِذَلِكَ دُونَ النَّسَاحِيَا الإِلَهِ بِهِ البِلَادَ فَأَصْبَحَتْ مُحْضَرَّةَ الأَجْنَابِ بَعْدَ
الْيَاسِ [(١١٧٧)] وقد جاء في روايةٍ صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة : اللَّهُمَّ إِنَّهُ لم ينزل بلاءً إِلَّا
بذنبٍ ، ولم يُكشَفْ إِلَّا بتوبةٍ ، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا بالذنوب ،
ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث ! فأرخت السَّماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض ، وعاش
النَّاس [(١١٧٨)] .

٥ . وَقَفُّ إِقَامَةِ الحَدِّ عامِ المِجَاعَةِ :

وقد قام عمر . رضي الله عنه . بوقف حدِّ السَّرقة في عام الرَّمادة ، وهذا ليس تعطيلاً لهذا الحدِّ ، كما
يكتب البعض ، بل لأنَّ شروط تنفيذ الحدِّ لم تكن متوافرةً ، فأوقف تنفيذ حدِّ السَّرقة لهذا السَّبب ،
فالذي يأكل ما يكون ملكاً لغيره بسبب شدَّة الجوع ، وعجزه عن الحصول على الطَّعام يكون غير
مختارٍ ، فلا يقصد السَّرقة ، ولهذا لم يقطع عمر يد الرَّقِيق الَّذين أخذوا ناقةً ، وذبحوها ، وأمر سيِّدهم
حاطب بدفع ثمن النَّاقة [(١١٧٩)] ، وقد قال عمر رضي الله عنه : (لا يُقَطعُ فِي عَدَقِ [(١١٨٠)] ،
ولا عامِ السَّنَةِ [(١١٨١)]) [(١١٨٢)] .

وقد تأثرت المذاهب الفقهيَّة بفقهِ عمر . رضي الله عنه . فقد جاء في المغني : قال أحمد : لا قطع في
المِجَاعَةِ ، يعني : أنَّ المحتاج إذا سرق ما يأكله ؛ فلا قطع عليه ؛ لأنه كالمضطر .

وروى الجوزجاني عن عمر : أنَّه قال : لا قطع في عامِ السَّنَةِ ، وقال : سألت أحمد عنه ، فقلت : تقول
به ؟ قال : إي لعمرى ! لا أقطعه إذا حملته الحاجة والنَّاس في شدَّةٍ ، ومِجَاعَةٍ [(١١٨٣)] .

وهذا فهمٌ عمريٌّ عميقٌ لمقاصد الشريعة ، فقد نظر عمر إلى جوهر الموضوع ، ولم يكتب بالظواهر ، نظر إلى السبب الدافع إلى السرقة ، فوجد : أنه في الحالتين الجوع الذي يعتبر من الضرورات التي تبيح المحظورات ، كما يدلُّ على ذلك قول عمر في قصة غلمان حاطب : إنكم تستعملونهم ، وتجيعونهم ، حتى إنَّ أحدهم لو أكل ما حرم عليه ؛ حلَّ له [(١١٨٤)] .

٦ . تأخير دفع الزكاة في عام الرمادة :

أوقف عمر - رضي الله عنه - إلزام النَّاس بالزكاة في عام الرمادة ، ولما انتهت المجاعة ، وخصبت الأرض جمع الزكاة عن عام الرمادة ، أي اعتبرها ديناً على القادرين حتى يسدَّ العجز لدى الأفراد المحتاجين ، وليبقي في بيت المال رصيماً بعد أن أنفقه كلُّه [(١١٨٥)] .

فغن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطبٍ : أنَّ عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أحرَّ الصدقة عام الرمادة ، فلم يبعث السُّعاة ، فلمَّا كان قابل ، ورفع الله ذلك الجذب ؛ أمرهم أن يُخرجوا ؛ فأخذوا عقالين [(١١٨٦)] ، فأمرهم أن يقسموا عقالاً ويقدموا عليه بعقالٍ ، أي : صدقة سنة [(١١٨٧)] .
ثالثاً : الطَّاعون :

في العام الثامن عشر من الهجرة [(١١٨٨)] وقع شيءٌ فظيغٌ مروغٌ ، هو ما تذكره المصادر باسم (طاعون عمَّواس) وقد سُمِّي بطاعون عمَّواس نسبة إلى بلدةٍ صغيرة ، يقال لها : عمَّواس ، وهي : بين القدس ، والرَّملة ؛ لأنَّها كان أول ما نجم الداء بها ، ثمَّ انتشر في الشَّام منها ، فنسب إليها [(١١٨٩)] ، وأفضل من ذكر صفة هذا الداء على حسب علمي القاصر ابن حجر حيث قال بعد أن ذكر الأقوال في الطاعون : فهذا ما بلغنا من كلام أهل اللُّغة ، وأهل الفقه ، والأطباء في تعريفه ، والحاصل : أنَّ حقيقته ورمٌ ينشأ عن هيجان الدَّم ، أو انصباب الدَّم إلى عضوٍ فيفسده ، وأنَّ غير ذلك من الأمراض العامَّة الناشئة عن فساد الهواء يسمَّى طاعوناً بطريق المجاز ، لاشتراكهما في عموم المرض به ، أو كثرة الموت [(١١٩٠)] .

والغرض من هذا التَّفريق بين الوباء والطَّاعون التَّدليل على صحَّة الحديث النَّبويِّ الذي يخبر : أنَّ الطاعون لا يدخل المدينة النَّبويَّة ، أمَّا الوباء ؛ فقد يدخلها ، وقد دخلها في القرون التي خلت [(١١٩١)] .

وكان حصول الطَّاعون في ذلك الوقت بعد المعارك الطَّاحنة بين المسلمين ، والروم ، وكثرة القتلى ، وتعثُّن الجو ، وفساده بتلك الجثث أمراً طبيعياً ، قدَّره الله لحكمةٍ أرادها [(١١٩٢)] .

١ - رجوع عمر من سَرَغ على حدود الحجاز والشَّام :

ففي سنة ١٧هـ أراد عمر - رضي الله عنه - أن يزور الشَّام للمرَّة الثانية ، فخرج إليها ، ومعه المهاجرون ، والأنصار حتَّى نزل بِسَرَغٍ على حدود الحجاز والشَّام ، فلقية أمراء الأجناد ، فأخبروه : أنَّ الأرض سقيمةٌ ، وكان الطَّاعون بالشَّام ، فشاور عمر - رضي الله عنه - واستقرَّ رأيه على الرجوع [(١١٣)] .
وبعد انصراف عمر - رضي الله عنه - حصل الطَّاعون الجارف المعروف بطاعون عِمَواس وكانت شدَّته بالشَّام ، فهلك به خلقٌ كثيرٌ ، منهم : أبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمير النَّاس ، ومعاذ بن جبل ، ويزيد بن أبي سفيان ، والحارث بن هشام ، وقيل : استشهد باليرموك ، وسهيل بن عمرو ، وعتبة بن سهيل ، وأشرف النَّاس ، ولم يرتفع عنهم الوباء إلا بعد أن وليهم عمرو بن العاص ، فخطب النَّاس ، وقال لهم : أيُّها الناس ! إنَّ هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النَّار ، فتجنَّبوا منه في الجبال ، فخرج ، وخرج النَّاس ، ففرقوا حتَّى رفعه الله عنهم ، فبلغ عمر ما فعله عمرو ، فما كرهه [(١١٤)] .

٢ - وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه :

لما فشا الطَّاعون ، وبلغ ذلك عمر كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه : سلامٌ عليك ، أمَّا بعد : فإنَّه قد عرضت إليَّ حاجة أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتَّى تقبل إليَّ . فعرف أبو عبيدة : أنَّه إمَّا أراد أن يستخرجه من الوباء إشفاقاً عليه ، وضناً به ، فقال : يغفر الله لأمرير المؤمنين ! ثم كتب إليه : يا أمير المؤمنين ! إني قد عرفت حاجتك إليَّ ، وإني في جندٍ من المسلمين لا أجد بنفسي رغبةً عنهم ، فلست أريد فراقهم حتَّى يقضي الله فيَّ ، وفيهم أمره ، وقضاه ، فحللني من عزمتك يا أمير المؤمنين ! ودعني في جندي . فلمَّا قرأ عمر الكتاب ؛ بكى ، فقال النَّاس : يا أمير المؤمنين ! أمات أبو عبيدة؟ قال : وكأن قد قال ، ثمَّ كتب إليه : سلامٌ عليك ، أمَّا بعد : فإنَّك أنزلت النَّاس أرضاً عميقةً فارفعهم إلى أرضٍ مرتفعةٍ زهيةٍ . فلمَّا أتى كتابه دعا أبا موسى ، فقال : يا أبا موسى ! إنَّ كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى فاخرج ، فارتدَّ للنَّاس منزلاً حتَّى أتبعك بهم . فرجع أبو موسى

إلى منزله ، فوجد زوجته قد أصيبت ، فرجع إليه فأخبره الخبر ، فأمر ببعيره ، فرحلَّ له ، فلمَّا وضع رجله في غرزه ؛ طعن ، فقال : والله لقد أُصبت [(١١٥)] .

وعن عروة قال : إن وجع عِمَواس كان معافي منه أبو عبيدة ، وأهله ، فقال : اللَّهُمَّ نصيبك في ال أبي عبيدة ! فخرجت منه بثرةٌ ، فجعل ينظر إليها ، فقيل : إنَّها ليست بشيءٍ ، فقال : إني لأرجو أن

يبارك الله فيها [(١١٩٦)] . وقد قام قبل أن يصاب في النَّاسِ خطيباً ، فقال : أيها الناس ! إِنَّ هذا الوجع رحمةُ رَبِّكُمْ ، ودعوةُ نبيِّكم مُحَمَّد (ص) ، وموت الصَّالِحِينَ قبلكم ، وَإِنَّ أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظَّهُ [(١١٩٧)] .

ولما طُعِنَ . رحمه الله . دعا المسلمين ، فدخلوا عليه ، فقال لهم : إِنِّي موصيكم بوصيةٍ ، فَإِنْ قبلتموها ؛ لم تزالوا بخيرٍ ما بقيتم ، وبعدمها تهلكون : أقيموا الصَّلَاةَ ، واتوا الزَّكَاةَ ، وصوموا ، وتصدَّقوا ، وحجُّوا واعتَمروا ، وتواصلوا وتحابُّوا ، واصدقوا أمراءكم ، ولا تغشَوْهم ، ولا تلهكم الدُّنيا ، فَإِنَّ أماً لو عَمَّر ألف حول ما كان له بدُّ من أن يصير إلى مثل مصرعي هذا الَّذي ترون . إِنَّ الله قد كتب الموت على بني آدم ، فهم ميِّتون ، فأكيسهم أطوعهم لرَبِّه ، وأعملهم لمعاده ، ثمَّ قال لمعاذ بن جبل : يا معاذ ! صلِّ بالنَّاسِ . فصلَّى معاذ بهم ، ومات أبو عبيدة . رحمة الله عليه ، ومغفرته ، ورضوانه [(١١٩٨)] . فقام معاذ في الناس : يا أيُّها الناس ! توبوا إلى الله توبةً نصوحاً ، فَإِنَّ عبداً إِنْ يلقى الله تائباً من ذنبه ؛ كان حقاً على الله أن يغفر له ذنوبه ، ومن كان عليه دينٌ فليقضه ، فَإِنَّ العبد مرتَهَنٌ بدينه ، ومن أصبح منكم مصارماً مسلماً ؛ فليلقه ، فيصالحه إذا لقيه ، وليصافحه ، فَإِنَّه لا ينبغي لمسلم أن يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام ، والدَّنب في ذلك عظيمٌ عند الله ، وَإِنَّكم أيُّها المسلمون ! قد فجعتم برجلٍ ، والله ما أزعم أَيُّ رأيت منكم عبداً من عباد الله . قطُّ . أقلَّ غمراً ، ولا أبرأ صدراً ، ولا أبعد من الغائلة ، ولا أنصح للعامة ، ولا أشد عليهم تحنُّناً ، وشفقةً منه ! فترحموا عليه ، ثم احضروا الصَّلَاةَ عليه ، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخر ، والله لا يلي عليكم مثله أبداً !

فاجتمع النَّاسُ ، وأخرج أبو عبيدة ، فتقدَّم معاذُ فصلَّى عليه ، حتَّى إذا أُتِيَ به إلى قبره ؛ دخل قبره معاذُ ، وعمرو بن العاص ، والضَّحَّاك بن قيس ، فلمَّا سَفَوْا عليه التُّراب ؛ قال معاذ : رحمك الله أبا عبيدة ! فوالله لأُثَبِّتَنَّ عليك بما علمت ! والله لا أقولها باطلاً ، وأخاف أن يلحقني من الله مقت ! كنت والله ما علمت من الدَّاكرين الله كثيراً ، ومن الذين يمشون على

الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، ومن الذين يبیتون لرَبِّهم سجداً وقياماً ، ومن الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ! وكنت والله ما علمت من المخبتين المتواضعين ، ومن الذين يرحمون اليتيم ، والمسكين ، ويغضون الجفأة المتكبرين [(١١٩٩)] ! ولم يكن أحدٌ من النَّاسِ أشدَّ جزعاً على فقد أبي عبيدة من معاذٍ ، ولا أطول حزناً عليه منه [(١٢٠٠)] .

وكتب معاذٌ إلى عمر - رضي الله عنهما - بوفاة أبي عبيدة ، فجاء في الرسالة : أمّا بعد ، فاحتسب امرأً كان لله أميناً ، وكان الله في نفسه عظيماً ، وكان علينا ، وعليك يا أمير المؤمنين عزيزاً أبا عبيدة بن الجراح ، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخّر ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله نحتسبه ، وبالله نتق له . كتبت إليك وقد فشا الموت ، وهذا الوباء في الناس ، ولن يخطأى أحداً أجله ، ومن لم يمت ، فسيموت ، جعل الله ما عنده خيراً له من الدنيا ، وإن أبقانا ، أو أهلكنا ؛ فجزاك الله عن جماعة المسلمين ، وعن خاصّتنا ، وعامّتنا رحمته ، ومغفرته ، ورضوانه ، وجنته ، والسّلام عليك ، ورحمة الله ، وبركاته [(١٢٠١)] .

فلما وصل الكتاب إلى عمر ، فقرأه ، بكى بكاءً شديداً ، ونعى أبا عبيدة إلى جلسائه [(١٢٠٢)] ، فبكى القوم ، وحزنوا حزناً شديداً مع التّسليم بالقضاء ، والقدر .

٣ - وفاة معاذ بن جبل رضي الله عنه :

بعد وفاة أبي عبيدة - رضي الله عنه - صلّى معاذٌ بالنّاس أياماً ، واشتدّ الطّاعون ، وكثر الموت في النّاس ، فقام خطيباً ، فقال : أيّها النّاس ! إن هذا الوباء رحمة ربّكم ، ودعوة نبيّكم ، وموت الصّالحين من قبلكم ، وإنّ معاذاً يسأل الله أن يقسم لال معاذٍ منه حظّهم . فطعن ابنه عبد الرّحمن بن معاذ [(١٢٠٣)] ، فلمّا راه ؛ قال ابنه : { الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * } [البقرة: ١٤٧] قال : يا بنيّ ! { سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * } [الصفّات: ١٠٢] فلم يلبث إلا قليلاً حتّى مات - يرحمه الله - وصلّى عليه معاذ ، ودفنه فلمّا رجع معاذ إلى بيته ؛ طعن ، فاشتدّ به وجعه ، وجعل أصحابه يختلفون إليه فإذا أتوه ؛ أقبل عليهم ، فقال لهم : اعملوا وأنتم في مهلةٍ ، وحياةٍ ، وفي بقيّة من اجالكم ، من قبل أن تمنوا العمل فلا تجدوا إليه سبيلاً ، وأنفقوا ممّا عندكم من قبل أن تهلكوا ، وتدعوا ذلك ميراثاً لمن بعدكم ، واعلموا أنّه ليس لكم من

أموالكم إلا ما أكلتم ، وشربتم ، ولبستم ، وأنفقتم ، فأعطيتهم ، وأمضيتهم ، وما سوى ذلك فللوارثين ، فلمّا اشتد به وجعه ؛ جعل يقول : رب اخنقني خنقك [(١٢٠٤)] ، فأشهد أنّك تعلم أيّ أحبّك [(١٢٠٥)] !

ولما حضرته الوفاة ؛ قال : مرحباً بالموت ، مرحباً بزائرٍ جاء على فاقَةٍ ، لا أفلح منّ ندم ، اللهمّ إنّك تعلم أيّ لم أكن أحبّ البقاء في الدنيا لجري الأنهار ، ولا لغرس الأشجار ، ولكنني كنت أحبّ البقاء

لمكابدة الليل الطويل ، وطول الساعات في النهار ، ولظماً الهواجر في الحرِّ الشديد ، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلقِ الذِّكر [(١٢٠٦)] !

وكان عمره عند وفاته ٣٨ عاماً [(١٢٠٧)] ، واستخلف بعده عمرو بن العاص ، فصلى عليه عمرو ، ودخل قبره ، فوضعه في لحده ، ودخل معه رجالاً من المسلمين ، فلمَّا خرج عمرو من قبره ، قال : رحمك الله يا معاذ ! فقد كنت ما علمناك من نصحاء المسلمين ، ومن خيارهم ، وكنت مؤدِّباً للجاهل ، شديداً على الفاجر ، رحيماً بالمؤمنين [(١٢٠٨)] .

وتولَّى قيادة الجيوش بعد موت أبي عبيدة ومعاذ بن جبل . رضي الله عنهما . عمرو بن العاص ، فقام في النَّاس خطيباً : أيُّها النَّاس ! إنَّ هذا الوجع إذا وقع فإمَّا يشتعل اشتعال النَّار فتجبلُّوا منه في الجبل ، ثمَّ خرج ، وخرج النَّاس ، فتفرَّقوا ، ورفع الله عنهم [(١٢٠٩)] ، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنهما . فقال له : سلامٌ عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أمَّا بعد : فإنَّ معاذ بن جبل . رحمه الله . مات ، وقد فشا الموت في المسلمين ، وقد استأذنوني في التَّنحِّي إلى البرِّ ، وقد علمت أنَّ إقامة المقيم لا تقرِّبه من أجله ، وإنَّ هروب الهارب منه لا يباعده من أجله ، ولا يدفع به قدره ، والسَّلام عليك ، ورحمة الله ، وبركاته [(١٢١٠)] .

ولما وصل كتاب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين ينعى فيه معاذاً ، وكانت وفاة معاذ على أثر أبي عبيدة . رضي الله عنهم . فجزع عليه جزعاً شديداً ، وبكى عمر ، والمسلمون ، وحزنوا عليه حزناً عظيماً ، وقال عمر . رضي الله عنه . : رحم الله معاذاً ! والله لقد رفع الله لهلاكه من هذه الأُمَّة علماً جمًّا ، ولربَّ مشورةٍ له صالحة قد قبلناها منه ، ورأيناها أدَّت إلى خيرٍ وبركةٍ ، وربَّ علمٍ أفادناه ، وخيرٍ دلَّنا عليه ، جزاه الله جزاء الصَّالحين [(١٢١١)] !

وأما ثالث القادة المشهورين الذين أصيبوا بالطَّاعون ، وكان أفضل بني سفيان ، ويقال له : يزيد الخير ، فهو يزيد بن أبي سفيان . ومن القادة العظام الذين استشهدوا بطاعون عمواس شرحبيل بن حسنة [(١٢١٢)] .

٤ . خروج الفاروق إلى الشَّام ، وترتيبه للأُمور :

تأثَّر الفاروق وحزن حزناً عظيماً لموت قاداته العظام ، وجنوده البواسل بسبب الطَّاعون في الشَّام ، وجاءته رسائل الأمراء من الشَّام تتساءل عن الميراث الذي تركه الأموات خلفهم ، وعن أمورٍ عديدةٍ ، فجمع النَّاس ، واستشارهم فيما جدَّ من أمورٍ ، وعزم على أن يطوف على المسلمين في بلادهم ، لينظِّم

لهم أمورهم ، واستقر رأي عمر بعد تبادل وجهات النظر مع مجلس الشورى أن يبدأ بالشام ، فقد قال : إن مواريث أهل الشام قد ضاعت ، فأبدأ بالشام فأقسم المواريث ، وأقيم لهم ما في نفسي ، ثم أرجع فأتقلب في البلاد ، وأبدي لهم أمري ، فسار عن المدينة واستخلف علي بن أبي طالب . رضي الله عنه [(١٢١٣)] . فلما قدم الشام ، قسم الأرزاق ، وسمى الشواتي [(١٢١٤)] ، والصوائف [(١٢١٥)] ، وسد فروج الشام ، ومسالحها [(١٢١٦)] ، وولى الولاة ، فعين عبد الله بن قيس على السواحل من كل كورة ، واستعمل معاوية على دمشق ، ورتب أمور الجند ، والقادة والناس ، ووثر الأحياء من الأموات [(١٢١٧)] ، ولما حضرت الصلاة قال له الناس : لو أمرت بلالاً فأذن ! فأذن فما بقي أحد أدرك النبي (ص) وبلال يؤذن إلا وبكى ، حتى بل لحيته ، وعمر أشدهم بكاءً ، وبكى من لم يدركه بيكائهم ، ولذكرهم رسول الله (ص) [(١٢١٨)] ، وقبل أن يرجع إلى المدينة خطب في الناس : ألا وإني قد وليت عليكم ، وقضيت الذي علي في الذي ولاني الله من أمركم إن شاء الله ، فبسطنا بينكم فيئكم ومنازلكم ، ومغازيكم ، وأبلغناكم ما لدينا ، فجنّدنا لكم الجنود ، وهيأنا لكم الفروج ، ويؤأنا لكم ، ووسّعنا عليكم ما بلغ فيئكم ، وما قلم عليه من شامكم ، وسمّينا لكم أطعماتكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم وأرزاقكم ، ومغانمكم ، فمن علم شيئاً ينبغي العمل به ، فليعلمنا ؛ نعمل به إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله [(١٢١٩)] . وكانت هذه الخطبة قبل الصلاة المذكورة .

لقد كان طاعون عمواس عظيم الخطر على المسلمين وأفنى منهم أكثر من عشرين ألفاً ، وهو عدد يوازي نصفهم بالشام وربما تخوف من ذلك المسلمون يومئذ ، واستشعروا الخطر من قبل الروم ، وفي الحقيقة لو تنبه الروم لهذا النقص الذي أصاب جيش المسلمين بالشام يومئذ ، وهاجموا البلاد ؛ لصعب على الجيوش المرابطة دفعهم ، ولكن ربما كان اليأس تمكّن من نفوس الروم ، فأقعدهم عن مهاجمة المسلمين خصوصاً إذا كان أهل البلاد راضين بسلطة المسلمين مرتاحي القلوب إلى سلطانهم العادل ، وسيرتهم الطيبة الحسنة ، وبدون الاستعانة بهم لا يتيسر للروم مهاجمة الشام لا سيما إذا أضفنا إلى هذا ملل القوم من الحرب ، وإخلادهم إلى الراحة من عناء المقاومة لقوم أصبح النصر حليفهم في كل مكان ، ودبّ الرعب من سطوتهم في قلب كل إنسان [(١٢٢٠)] .

٥ . حكم الدخول ، والخروج في الأرض التي نزل بها الطاعون :

قال رسول الله (ص) : «إذا سمعتم به بأرض ؛ فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض ؛ وأنتم بها ؛ فلا تخرجوا فراراً منه » [(١٢٢١)] ، وقد اختلف الصحابة في مفهوم النهي عن الخروج ، والدخول ، فمنهم

من عمل به على ظاهره ، ومنهم من تأوَّله ، والَّذين تأوَّلوا النَّهْيَ أباحوا خروج من وقع في أرضه الطَّاعون ، وقد مرَّ علينا حرص الفاروق على إخراج أبي عبيدة من الأرض الَّتِي وقع فيها الطَّاعون إلا أنَّ أبا عبيدة اعتذر . رضي الله عنه . كما أنَّ الفاروق طلب من أبي عبيدة أن يرتحل بالمسلمين من الأرض الغمقة الَّتِي تكثر فيها المياه ، والمستنقعات إلى أرضٍ نزهةٍ عالية ، ففعل أبو عبيدة ، وكانت كتابة عمر إلى أبي عبيدة بعد أن التقيا في سَرَخٍ ، وسمعا حديث عبد الرَّحمن بن عوف بالنَّهْيِ عن الخروج ، والقدوم إلى أرض الوباء ، ورجع عمر إلى المدينة ، ويظهر : أنَّ الوباء كان في بدايته ، ولم يكن قد استشرى ، واشتعل لهيبه ، فلمَّا رجع عمر إلى المدينة ؛ وصلته أخبارٌ بكثرة الموت في هذا الطَّاعون .

ومفهوم عمر . رضي الله عنه . بجواز الخروج من أرض الطَّاعون نُقل أيضاً عن بعض الصَّحابة ؛ الَّذين عاصروا أبا عبيدة في الشَّام ، وعاشوا محنة المرض ، كعمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعريِّ . رضي الله عنهم . والخلاف جارٍ في مسألة الخروج من أرض الطَّاعون ، لا في الدُّخول إلى أرض الطَّاعون . فبعضهم أباح الخروج على ألا يكون الخروج فراراً من قدر الله ، والاعتقاد بأنَّ فراره هو الَّذي سلَّمه من الموت ، أمَّا مَنْ خرج حاجةً متمخِّضةً ، فهو جائزٌ ، ومن خرج للتداوي فهو جائزٌ ، فإنَّ تَرَكَ الأرض الوبئة ، والرَّحيل إلى الأرض النَّزهة مندوبٌ إليه ، ومطلوبٌ .

وأما تعليل أبي عبيدة . رضي الله عنه . بقاءه واعتذاره للفاروق عن الخروج ، فراجع إلى أسبابٍ صحَّيةٍ ، واجتماعيةٍ ، وسياسيةٍ ، وقياديةٍ ينظمها الدِّين في نظامه ، وتعدُّ مثلاً أعلى للقيادة الأمانة ، وأبو عبيدة أمين هذه الأمة ، حيث قال معللاً سبب ثباته : إني في جند المسلمين ، ولا أجد بنفسي رغبة عنهم . وقد أصاب بعض العلماء المفصل عندما ذكر في حكمة النَّهْيِ عن الخروج فراراً من الطاعون : أنَّ النَّاس لو تواردوا على الخروج ، لصار مَنْ عجز عنه . بالمرض المذكور أو غيره . ضائع المصلحة ، لفقد من يتعهده حيّاً وميتاً ، ولو أنَّه شُرع الخروج ، فخرج الأقوياء ؛ لكان في ذلك كسر قلوب الضُّعفاء . وقد قالوا : إنَّ حكمة الوعيد من الفرار من الرَّحْف ؛ لما فيه من كسر قلب مَنْ لم يفرَّ ، وإدخال الرَّعب فيه بخذلانه .

والخلاصة : أنَّ البقاء رخصةً ، والخروج رخصةً ، فمن كان في الوباء ، وأصيب ، فلا فائدة من خروجه ، وهو بخروجه ينقل المرض إلى النَّاسِ الأصحَّاء ، ومن لم يُصَبْ فإنَّه يَرَحِّصُ له في الخروج من باب التَّدَاوي على ألا يخرج النَّاسَ جميعاً ، فلا بدُّ أن يبقى من يعتني بالمرضى [(١٢٢٢)] .

الفصل الرَّابِع

المؤسَّسة الماليَّة والقضائيَّة

وتطويرها في عهد عمر رضي الله عنه

المبحث الأوَّل

المؤسَّسة الماليَّة

أولاً : مصادر دخل الدَّولة في عهد عمر رضي الله عنه :

نظر المسلمون في العصر الرَّاشدي إلى المال بكلِّ أشكاله ، وأنواعه بأنَّه مال الله ، وبأنَّ الإنسان مستخلفٌ فيه ، يتصرَّف فيه بالشُّروط التي وضعها المولى عزَّ وجلَّ ، والقران الكريم يوكِّد هذه الحقيقة في كلِّ أمرٍ يتعلَّق بالمال ، وإنفاقه ، فيقول : { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ } ، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ } ، وقوله تعالى يتحدَّث عن البرِّ ، وهو جماع الخير : وإيتاء المال اعترافٌ من المسلم { وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ } ابتداءً . بأنَّ المال الذي في يده هو رزق الله له : لأنَّه خلقه هو ، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرِّزق انبثق البرُّ بعباد الله

وعلى هذا الأساس الإيمانيّ نظر الفاروق إلى مال الدَّولة التي توسَّعت مواردها في عصره ، حيث فتحت الدَّولة بلداناً واسعةً ، وخضعت لحكمها شعوبٌ كثيرةٌ ، فنظَّم علاقة الدَّولة مع هذه الشُّعوب ، فمنهم من دخل في حكم الدَّولة صلحاً ، ومنهم من دخل في حكمها كرهاً ، وتبعاً للفتح التي إليها أراضٍ غلبت عليها عنوةً (بقوة السلاح) ، وأراضٍ صالح أصحابها ، وأراضٍ جلا عنها مالكوها ، أو كانت

ملكاً لحكام البلاد السابقين، ورجاهم، ومن شعوب هذه البلاد كتابيون (أهل كتاب، كاليهود، والنصارى) نظم الفاروق طريق التعامل معهم وفق شرع الله المحكم .

وقد قام - رضي الله عنه - بتطوير النظام المالي في دولته سواءً في الموارد ، أو الإنفاقات ، أو ترتيب حقوق الناس من خلال نظام الدواوين ، وقد أخذت موارد الدولة تزداد في عصر عمر - رضي الله عنه - وشرع في تطويرها ، ورُتب لها عمالاً للإشراف عليها ، فكانت أهم مصادر الثروة في عهده : الزكاة ، والغنائم ، والفيء ، والجزية ، والخراج ، وعشور التجار . فعمل الفاروق على تطوير هذه المصادر ، واجتهد في القضايا وفق مقاصد الشريعة التي وضعت لمصالح العباد ، فقد أخذت الدولة تستجد فيها ظروف لم تكن موجودة في عهد رسول الله (ص) [(١٢٢٣)] ، وكان عمر - رضي الله عنه - منقذاً للكتاب والسنة تنفيذاً عبقرياً ، لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ، ولا يستبد بال رأي في شأن من الشؤون ، فإذا نزل به أمر ؛ جمع المسلمين يستشيرهم ، ويعمل بارائهم [(١٢٢٤)] .

وأما أهم مصادر الثروة في عهد الفاروق فهو الآتي :

١ . الزكاة :

هي الركن الاجتماعي البارز في أركان الإسلام ، وأول تشريع سماوي إسلامي فرض في أموال أغنياء المسلمين ، لتؤخذ منهم ، وتُرد إلى الفقراء ، بحسب أنصبتها المعروفة في : الزروع ، والثمار ، والذهب ، والفضة ، وعروض التجارة ، والماشية ، ليكون هناك نوع من التضامن ، والتكافل الاجتماعي ، والمحبة ، والألفة بين الأغنياء ، والفقراء ، فالزكاة تكليف يتصل بالمال ، والمال - كما يقولون - عصب الحياة ، فمن الناس سعيد بالمال ، ومنهم شقي به ، وهذه سنة الله في خلقه { وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * } [الأحزاب: ٦٢] .

ونظراً لما للمال من أثر في حياة الناس ؛ فقد عني الإسلام بأمره أشد العناية ، واهتم بالزكاة غاية الاهتمام ، ووضع لها نظاماً دقيقاً ، حكيماً ، رحيماً ، يؤلف بين القلوب [(١٢٢٥)] . ولذلك سار الفاروق على نهج رسول الله (ص) ، وأبي بكر ، فقام بتنظيم مؤسسة الزكاة ، وتطويرها ، فأرسل المصدقين لجمع الزكاة في أرجاء الدولة الإسلامية بعد أن أسلم الكثير من سكان البلاد المفتوحة، وكان العدل في جباية الأموال صفة الخلافة الراشدة دون الإخلال بحقوق بيت المال .

وقد أنكر الفاروق على عاملٍ من عمال الزكاة أخذه لشاةٍ كثيرة اللبن ذات ضرعٍ عظيمٍ قائلاً : ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون ، لا تفتنوا الناس [(١٢٢٦)] ! وقد جاء ناسٌ من أهل الشام إلى عمر ، فقالوا : إننا قد أصبنا أموالاً ، وخيلاً ، ورقيقاً نحبُّ أن يكون لنا فيها زكاةً ، وطهوراً . قال

عمر : ما فعله صاحباي قبلي ، فأفعله ، واستشار أصحاب رسول الله (ص) ، وفيهم عليٌّ ، فقال عليٌّ : هو حسنٌ ، إن لم يكن جزيةً راتباً يؤخذون بها من بعدك [(١٢٢٧)] .

وقد ذكر الدكتور أكرم ضياء العمري : أن الصحابة اقترحوا على عمر فرض الزكاة على الرقيق ، والخيل بعد ما توسعت ملكية الرقيق ، والخيل في أيدي المسلمين ، فعَدَّ عمر الرقيق ، والخيل من أموال التجار ، وفرض على الرقيق الصبيان والكبار ديناراً (عشرة دراهم) وعلى الخيل العربية عشرة دراهم ، وعلى البراذين (الخيل غير العربية) خمسة دراهم ، ويفهم : أنه لم يفرض الزكاة في رقيق الخدمة ، والخيل المعدة للجهاد ؛ لأنها ليست من عروض التجارة ، بل إنه عَوَّض من يدفع زكاتها كلَّ شهرين جريين (حوالي ٢٠٩ كيلوجرامات من القمح) وهو أكثر قيمةً من الزكاة ، وذلك لحديث رسول الله (ص) : « ليس على المسلم في فرسه ، ولا في عبده صدقةٌ » [(١٢٢٨)] .

وقد أخذ من الرِّكاز (المال المدفون) . إذا عثر عليه . الخمسُ ، وحرص على تداول الأموال ، وتشغيلها لئلا تذهب بها الزكاة مع تعاقب الأعوام [(١٢٢٩)] ، فكان عنده مالٌ ليتيمٍ ، فأعطاه للحكم بن العاص التَّقفيّ ليتجر به [(١٢٣٠)] ؛ إذ لم يجد عمر وقتاً للتجارة ؛ لانشغاله بأمر الخلافة ، وعندما صار الرِّبح وثيراً من عشرة الاف درهم إلى مئة ألف شكَّ عمر في طريقة الكسب ، ولما علم : أنَّ التاجر استغلَّ صلة اليتيم بعمر ؛ رفض جميع الرِّبح ، واستردَّ رأس المال حيث اعتبر الرِّبح خبيثاً [(١٢٣١)] ، فهو يعمل بمبدأ فرضه على ولاته ، وهو رفض استغلال مواقع المسؤولية في الدولة ، ومن هنا قاسم الولاة ثروتهم ؛ إذا نمت بالتجارة [(١٢٣٢)] . وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الولاة بإذن الله تعالى .

وقد أخذ عمر في زكاة الزُّروع العشر فيما سقته الأمطار ، والأَنْهار ، ونصف العشر فيما سقي بالالة [(١٢٣٣)] ، وهو الموافق للسُّنة ، وكان يوصي بالرِّفق بأصحاب البساتين عند تقدير الحاصل من الثَّمَر [(١٢٣٤)] .

وأخذ زكاةً عشريَّةً من العسل ؛ إذا حمت الدولة وادي النَّحل لمستثمره [(١٢٣٥)] .

وقد كثرت الحنطة في خلافته ، فسمح بإخراج زكاة الفطر من الحنطة بنصف وزن ما كانوا يؤدونه قبل خلافته من الشعير ، أو التمر ، أو الزبيب [(١٢٣٦)] .

وهذا فيه تيسيرٌ على الناس ، وقبولٌ للمال الأنفس في الزكاة ؛ وإن تفاوت الجنس [(١٢٣٧)] ، وأما بخصوص مقادير أموال الزكاة التي كانت تُجبي كلَّ عام فأمراً غير معروف ، والإشارات التي تذكر بعض الأرقام إشاراتٌ جزئيةٌ ، وغير دقيقةٍ ، ولا تنفع في إعطاء تقديرٍ كليٍّ . وقد قيل : إنَّ عمر بن الخطاب حمى أرض الرَبْدَةَ لِنَعَمِ الصَّدَقَةِ ، وكان يحمل عليها في سبيل الله ، وكان مقدار ما يحمل عليه كلَّ عامٍ في سبيل الله أربعين ألفاً من الظَّهر [(١٢٣٨)] ، وأما الموظفون الذين أشرفوا على هذه المؤسسة ، فقد ذكرت المصادر أسماءً عددٍ منهم في خلافة عمر - رضي الله عنه - وهم : أنس بن مالكٍ ، وسعيد بن أبي الدُّباب على السَّراة ، وحارث بن مضرب العبديُّ ، وعبد الله بن السَّاعديِّ ، وسهل بن أبي حثمة ، ومسلمة بن مخلد الأنصاريُّ ، ومعاذ بن جبلٍ على بني كلاب ، وسعد الأعرج على اليمن ، وسفيان بن عبد الله الثَّقفيُّ كان والياً على الطَّائف ، فكان يجبي زكاتها [(١٢٣٩)] .

٢ - الجزية :

هي الضريبة التي تفرض على رؤوس من دخل ذمَّة المسلمين من أهل الكتاب [(١٢٤٠)] . وقيل : هي الخراج المحمول على رؤوس الكفار إذلالاً لهم (وصغاراً) [(١٢٤١)] لقوله تعالى : { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ * } [التوبة : ٢٩] .

وتؤخذ الجزية من أهل الكتاب : وهم اليهود ، والنصارى ؛ وهو إجماعٌ لا خلاف فيه ، ومن لهم شبهة كتاب : وهم المجوس ، وقد حار عمر - رضي الله عنه - في أمرهم في أول الأمر ، أيأخذ منهم الجزية ؟ أو لا يأخذها ؟ حتى قطع عبد الرحمن بن عوفٍ حيرته حين

حدَّته : أن رسول الله (ص) أخذها من مجوس هجر [(١٢٤٢)] ، فقد روى ابن أبي شيبة ، وغيره : أنَّ عمر كان بين القبر ، والمنبر ، فقال : ما أدري ما أصنع بالمجوس ، وليسوا بأهل كتاب ! فقال عبد الرحمن بن عوف : سمعت رسول الله (ص) يقول : « سنوا بهم سنَّة أهل الكتاب » [(١٢٤٣)] . وفي حديثٍ آخر : أنَّ عمر لم يرد أن يأخذ الجزية من المجوس ؛ حتى شهد عبد الرحمن بن عوفٍ : أن رسول الله (ص) أخذها من مجوس هجر [(١٢٤٤)] .

وقد علل العلماء أخذها من المجوس بأنهم كانوا في الأصل أهل كتاب ، وإنما طرأت عليهم عبادة التَّار بعد ذلك ، وعندئذٍ أخذها من أهل السَّواد [(١٢٤٥)] وأخذها من مجوس فارس، وكتب لجزء بن معاوية: انظر مجوس مَنْ قَبَلَكَ، فخذ منهم الجزية، فإنَّ عبد الرحمن بن عوف أخبرني : أنَّ رسول الله (ص) أخذها من مجوس هجر [(١٢٤٦)] .

وهي تجب على الرِّجال الأحرار العقلاء ، ولا تجب على امرأةٍ ، ولا صبيٍّ ، ولا مجنونٍ ، ولا عبدٍ ؛ لأنَّهم أتباعٌ ، وذراري ، كما أنَّ الجزية لا تؤخذ من المسكين الذي يُتصدَّق عليه ، ولا من مقعدٍ ، والمقعد ، والرَّمن إذا كان لهما يسارٌ ؛ أخذت منهما ، وكذلك الأعمى وكذلك المترهبون الذين في الدِّيارات إذا كان لهم يسارٌ ؛ أخذ منهم ، وإن كانوا مساكين يتصدَّق عليهم أهل اليسار ؛ لم يؤخذ منهم [(١٢٤٧)] ، وتسقط الجزية بالموت ، فإذا مات مَنْ تجب عليه الجزية ؛ سقطت الجزية ؛ لأن الجزية واجبةٌ على الرُّؤوس ، فإذا فاتت الرُّؤوس بالموت سقطت ، وبالإسلام ، فإذا أسلم من فُرِضت عليه الجزية ؛ سقطت عنه بإسلامه ، فقد أسلم رجلان من أهل أُلَيْس ، فرفع عنهما جزيتهما [(١٢٤٨)] ، وأسلم الرَّقيل دَهْقان النَّهْرين ، ففرض له عمر في ألفين ، ووضع عن رأسه الجزية [(١٢٤٩)] .

ومن الجدير بالدِّكر : أنَّ الجزية تسقط عن العام الذي أسلم فيه الذمِّيُّ ، سواء كان إسلامه في أوَّلِهِ ، أو في وسطه ، أو في آخره . قال عمر : إنَّ أخذ الجزية الجابي بكفِّهِ ، ثُمَّ أسلم صاحبها ؛ رَدَّها عليه [(١٢٥٠)] .

وتسقط بالافتقار ، فإذا افتقر الذمِّيُّ بعد غنىٍ ، وأصبح غير قادرٍ على دفع الجزية سقطت عنه الجزية ، وقد أسقطها عمر عن الشَّيخ الكبير الضَّرير البصر عندما راه يسأل النَّاس [(١٢٥١)] ، وفرض له ما يعوله من بيت المال .

وتسقط عند عجز الدَّولة عن حماية الدِّمِّيِّين ؛ لأنَّ الجزية ما هي إلا ضريبة على الأشخاص القاطنين في أقاليم الدَّولة الإسلاميَّة ، وتدفع هذه الضريبة في مقابل انتفاعهم بالخدمات العامَّة للدَّولة ، علاوةً على أنَّها نظير حمايتهم ، والمحافظة عليهم ، وبدلُ عدم قيامهم بواجب الدِّفاع عن الدَّولة ، ومواطنيها [(١٢٥٢)] .

ومن الأدلَّة على أنَّ الجزية في مقابل الحماية ما قام به أبو عبيدة بن الجراح ، حينما حشد الرُّوم جمعهم على حدود البلاد الإسلاميَّة الشماليَّة ، فكتب أبو عبيدة إلى كلِّ والٍ مَنَّ خلفه في المدن التي صالح

أهلها يأمرهم أن يردُّوا عليهم ما جبي منهم من الجزية ، والخراج ، وكتب إليهم أن يقولوا لهم : إنا رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جُبع لنا من الجموع وأنكم اشتدتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لا نقدر على ذلك ، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن على الشَّروط ، وما كتبنا بيننا وبينكم ؛ إن نصرنا الله عليهم . فلما قالوا ذلك لهم وردُّوا عليهم أموالهم التي جبيت منهم ، قالوا : ردكم الله علينا ، ونصركم عليهم (أي : الرُّوم) ، فلو كانوا هم ؛ ما ردُّوا علينا شيئاً ، وأخذوا كلَّ شيءٍ بقي لنا حتى لا يدعوا لنا شيئاً [(١٢٥٣)] .

كما تسقط إذا قاموا هم بعبء الدِّفاع بتكليف من الدَّولة ، كما حدث في العهد الذي وقَّعه سراقه بن عمرو مع أهل طبرستان بعد أن وافقه عمر على ذلك [(١٢٥٤)] .

وأما قيمتها فقد كانت غير محدَّدة واختلفت من إقليمٍ لآخر بحسب قدرة النَّاس ، وظروف الإقليم ، فقد وضع على أهل السَّواد ثمانين ، وأربعين درهماً ، وأربعة وعشرين درهماً ، بحسب حال كلِّ واحدٍ من اليسار ، يؤخذ ذلك منهم كلَّ سنةٍ ، وإن جاؤوا بعرضٍ قبل منهم مثل الدَّواب ، والمتاع ، وغير ذلك ، ويؤخذ منهم بالقيمة [(١٢٥٥)] ، وجعل على أهل الشام أربعة دنانير ، وأرزاق المسلمين من الحنطة مُدَّين ، وثلاثة أقساط من زيت لكلِّ فردٍ ، وعلى أهل الفضة أربعين درهماً وخمسة عشر صاعاً لكلِّ إنسان ، وعلى أهل مصر دينارين لكلِّ حالمٍ إلا أن

يكون فقيراً [(١٢٥٦)] ، وأما أهل اليمن فقد خضعت للإسلام في عهد النَّبوة ، وفرضت الجزية على كلِّ رجل دينارٌ ، أو عدله معافر ، وتشير رواياتٌ ضعيفةٌ إلى بقاء هذه الجزية على أهل اليمن دون تعيُّر في خلافة عمر ، ورغم ضعفها فإنها تتفق مع سياسة عمر في مراعاة أحوال الرِّعيَّة ، وعدم تغيير الإجراءات النَّبويَّة [(١٢٥٧)] .

فالجزية كانت تختلف بحسب يسار النَّاس ، وبحسب غنى الإقليم كذلك ، وكانت تخضع للاجتهاد بما يكون من طاقة أهل الدِّمة بلا حملٍ عليهم ، ولا إضرار [(١٢٥٨)] .

وكان عمر يأمر جباة الجزية بأن يرفقوا بالنَّاس في جبايتها ، وعندما أُتي عمر بمالٍ كثير ، فقال : إني لأظنُّكم قد أهلكتم النَّاس ، قالوا : لا والله ! ما أخذنا إلا عفواً صفوفاً . قال : بلا سوطٍ ، ولا نوطٍ ؟ قالوا : نعم . قال : الحمد لله الذي لم يجعل ذلك على يدي ، ولا في سلطاني [(١٢٥٩)] .

ومن أشهر الموظفين في هذه المؤسَّسة : عثمان بن حنيف ، وسعيد بن حذيم ، وولادة الأمصار كعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وغيرهم .

وقد نُظِّمَت الجزية بمجموعةٍ من الأحكام والقوانين استمدَّها الفقهاء ، والمشرِّعون من نصوص القرآن ، والسُنَّة ، وعمل الخلفاء الرَّاشدين ، ودلَّت تلك الأحكام على أنَّ مؤسسة الجزية من مصادر الدَّولة الإسلاميَّة ، كما أنَّ لها صفةً سياسيَّةً ، فدَفَعُ أهل الذِّمَّة للدولة دليلٌ على إخلاصهم لها ، وخضوعهم لأحكامها ، وقوانينها ، والوفاء بما عاهدوا عليه [(١٢٦٠)] ، ويذهب الأستاذ حسن الممِّي بأنَّ مؤسَّسة الجزية لها صبغةٌ سياسيَّةٌ أكثر منها صبغةٌ ماليَّةٌ [(١٢٦١)] . والحقيقة : أنَّ هذه المؤسَّسة جمعت بين الصِّبغتين ، وهي من مصادر الثَّروة في الدَّولة الإسلاميَّة .

.أخذُ عمر الصَّدقة مضاعفةً من نصارى تغلب :

كان بعض عرب الجزيرة من النَّصارى قد رفضوا دفع الجزية ؛ لكونهم يرونها منقَّصةً ، ومذمَّةً ، فبعث الوليد برؤساء النَّصارى ، وعلمائهم إلى أمير المؤمنين ، فقال لهم : أدُّوا الجزية ! فقالوا لعمر : أبلغنا مأمنا ، والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخل أرضاً ، والله لتفضحنا من بين العرب ! فقال لهم : أنتم فضحتم أنفسكم ، وخالفتم أمَّتكم فيمن خالف ،

وافترض من عرب الضَّاحية ، والله لتؤدَّنه وأنتم صغرةٌ قماةٌ (يعني : حقيرين) ولئن هربتم إلى الرُّوم لأكتبن فيكم ، ثمَّ لأسببنكم ! قالوا : فخذ منا شيئاً ، ولا تسبِّه جزاء ، فقال : أما نحن فنسمِّيه جزاءً ، وسؤوه أنتم ما شئتم . فقال له عليُّ بن أبي طالبٍ : يا أمير المؤمنين ! ألم يضعف عليهم سعد بن مالك الصَّدقة ؟ قال : بلى ! وأصغى إليه ، فرضي به منهم جزاءً ، فرجعوا على ذلك [(١٢٦٢)] .

ومن هذا الخبر نأخذ درساً في معاملة المتكبرين من الأعداء ، الَّذِينَ يخاطبون المسلمين بعزَّةٍ ، وأنفةٍ ، ويهدِّدون باللجوء إلى دول الكفر ، فنجد أمير المؤمنين خاطبهم بعنفٍ ، وحقَّروهم ، وهددَّهم إذا لجؤوا إلى الكفار بالسَّعي في إحضارهم ، ومعاملتهم كمعاملة الحربيين من سبي ذراريهم ، ونسائهم ، وهذا أشدُّ عليهم كثيراً من دفع الجزية . فهذا الجواب القويُّ أزال ما في رؤوسهم من الكبرياء ، والتَّعاضم ، فرجعوا متواضعين يطلبون من أمير المؤمنين أن يوافق على أخذ ما يريد من غير أن يسمِّي ذلك جزيةً ، وهنا تدخَّل عليُّ رضي الله عنه ، وكان لرأيه مكانةٌ عند عمر لفقَّهه في الدِّين ، فأشار عليه بأن يضعف الصَّدقة كما فعل سعد بن أبي وقَّاص بأمثالهم ، فقبل ذلك أمير المؤمنين تألفاً لهم ، ومنعاً من محاولة اللجوء إلى دول الكفر . وقد أصبح هذا الرُّأي مقبولاً حينما وقع موقعه ، وذلك بعد ما أزال أمير المؤمنين ما في نفوسهم من العزَّة ، والكبرياء ، فأما لو قبِل ذلك منهم في بداية العرض ، فإنَّهم سيعودون بكبريائهم ، ولا يؤمَّن منهم بعد ذلك أن ينقُضوا العهد ، ويسبِّعوا إلى المسلمين [(١٢٦٣)] .

وقد جاء في رواية عن قصة بني تغلب ، بأنهم دعوا إلى الإسلام فأبوا ، ثم إلى الجزية فلم يطمئنوا إليها ، وولوا هارين يريدون اللحاق بأرض الروم ، فقال النعمان ابن زرة لعمر : يا أمير المؤمنين ! إن بني تغلب قومٌ عرب ، يأنفون من الجزية ، وليست لهم أموال ، إنما هم أصحاب حروث ، ومواشي ، ولهم نكايةٌ في العدو ، فلا تُعِنْ عدوك بهم ! قال : فصالحهم عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . على أن ضاعف عليهم الصدقة [(١٢٦٤)] . . وقال : هي جزيةٌ ، وسُموها ما شئتم [(١٢٦٥)] ، فقال بنو تغلب : أمّا إذا لم تكن جزيةً كجزية الأعرج ؛ فإننا نرضى ، ونحفظ ديننا [(١٢٦٦)] .

والسِّرُّ في قبول الخليفة عمر . رضي الله عنه . الصدقة من بني تغلب ، وهل تعدُّ صدقةً ، أم جزيةً ؟ يرجع إلى أن الاختلاف في التسمية أمرٌ قد تسوَّه فيه ، ورضي الخليفة به ما دام في ذلك المصلحة العامة ، والذي دفعه إلى ذلك خشية انضمام بني تغلب إلى الروم ، وما كان يرجوه من إسلامهم ليكونوا عوناً للمسلمين على أعدائهم ، ولأن هؤلاء قومٌ من العرب لهم من العزة ، والأنفة ما يبزر حفظ كرامتهم ، وأن ما يرد إلى بيت المال من أموالهم خيرٌ للمسلمين ، وأجدى على خزانة الدولة من هربهم ، وانضمامهم إلى صفوف الروم [(١٢٦٧)] ، أمّا من ناحية : هل هي صدقة ، أم جزية ؟ فهي جزية ؛ لأنها تصرف في مصارف الخراج ، ولأن الصدقة لا تجب على غير المسلمين ، ولأن الجزية في نظير الحماية وكان بنو تغلب في حماية المسلمين ، وفي الوقت نفسه يمكننا أن نقول : إنها ليست بجزية عملياً ؛ لأن ما فرض على نصارى بني تغلب كان على الأموال التي تفرض عليها الزكاة ، فكلُّ شيء على المسلمين فيه زكاة ، كالزروع ، والثمار ، والماشية ، والنقدين . . فهو عليهم مضاعفٌ يؤخذ من النساء كما يؤخذ من الرجال ، ولم يكن على الأشخاص ، وهذا ينافي معنى الجزية عرفاً [(١٢٦٨)] ، والمهم في كلتا الحالتين باعتبارها صدقةً ، أو جزيةً ، فهي ضريبةٌ بيّنت مدى خضوعهم لسلطة الإسلام [(١٢٦٩)] .

هذا وقد كانت هنالك حقوقٌ ، والتزاماتٌ كثيرةٌ للعرب على البلاد المفتوحة عدا الجزية ، وقد تنوّعت هذه الحقوق ، وتطوّرت أيام الخليفة عمر . رضي الله عنه . فمن ذلك ضيافة الحاكم إذا وفد ، والرُّسل ، والسُّفراء ، ومن نزل من المسلمين بأهل البلاد ، وقد حُدِّدت مدّة الضيافة في خلافة عمر . رضي الله عنه . بثلاثة أيام ، ممّا يأكلون ، ولا يكلفون بذبح شاةٍ ، ولا دجاجةٍ ، ولا ممّا لا طاقة لهم به [(١٢٧٠)] ، وقد مرّ معنا عند حديثنا عن التطوير العمراني في عهد عمر : أن بعض الاتفاقيات في عهد الخليفة عمر . رضي الله عنه . اشتملت على إصلاح الطُّرق ، وإنشاء الجسور ، وبناء القناطر ،

وقد تطوّر نظام الجزية في عهد عمر - رضي الله عنه - فأحصى السُّكَّان ، وميَّز بين الغني ، والفقير ، ومتوسط الحال ، واستحدث كثيراً من الشُّروط ، والالتزامات في نصوص المعاهدات ممَّا لم يعرف من قبل ، وذلك لانتِباع العمران ، وبسط السُّلطان على مصر ، والشَّام ، والعراق ، ومخالطة المسلمين لأهل البلاد ، واتِّصالهم الدَّائم بحضارتها ، ممَّا مكَّنهم من سياسة الدَّولة وشؤون العمران ، وما تتطلبه طبيعة التَّدْرُج والنُّمُو ، فأوجدوا ما لم يكن موجوداً من إصلاح الطُّرق ، والعمران ، وبناء القناطر ، والجسور التي هي عون الأمم المتحضِّرة ، ومن هنا انتظمت الأمور ، واتَّسعت البلاد ، ورسخت قواعد النُّظم الماليَّة ، وغيرها [(١٢٧١)] .

. شروط عقد الجزية ، ووقت أدائها :

وقد استنبط الفقهاء من خلال عصر الخلفاء الرَّاشدين مجموعةً من الشروط :

— خ ألا يذكروا كتاب الله تعالى بطعنٍ فيه ، ولا تحريف له .

— خ ألا يذكروا رسول الله (ص) بتكذيبٍ ، ولا ازدراء .

— خ ألا يذكروا دين الإسلام بذيِّمٍ له ، ولا قدحٍ فيه .

— خ ألا يصيبوا مسلمة بزنى ولا باسم نكاحٍ .

— خ ألا يفتنوا مسلماً عن دينه ، ولا يتعرَّضوا لماله ، ولا دينه .

— خ ألا يعينوا أهل الحرب ، ولا يودوا أغنياءهم [(١٢٧٢)] .

وأما وقت أدائها فقد حدَّد الخليفة عمر - رضي الله عنه - وقت أداء الجزية في آخر الحول ومرادنا به آخر العام الزَّراعي ، ويرجع هذا التَّغيير في وقت أداء الجزية في عهد الخليفة عمر - رضي الله عنه - إلى حالة الاستقرار ، والاستقرار يدعو إلى التَّنظيم ، وتعيين الأوقات المناسبة للدَّولة ، والمكلفين بدفع الجزية ، كما أنَّ تحصيلها وقت إتيان الغلات - وهو ما يعبر عنه المؤرخون بآخر العام - فيه دفعٌ للمشقة ، وتسهيلٌ على المكلفين ، وراحةٌ للدَّافعين [(١٢٧٣)] .

٣ . الخراج :

الخراج له معنيان : عامٌّ ، وهو كلُّ إيرادٍ وصل إلى بيت مال المسلمين من غير الصَّدقات ، فهو يدخل في المعنى العامِّ للفيء ، ويدخل فيه إيراد الجزية ، وإيراد العشور ، وغير ذلك ، وله معنىٌ خاصٌّ : وهو إيراد الأراضي التي افتتحها المسلمون عنوةً ، وأوقفها الإمام لمصالح المسلمين على الدَّوام ، كما فعل

عمر بأرض السّواد من العراق ، والشّام [(١٢٧٤)] . والخراج . كما قال ابن رجب الحنبلي . لا يُقاس بإجارةٍ، ولا ثمنٍ، بل هو أصلٌ ثابتٌ بنفسه لا يُقاس بغيره [(١٢٧٥)] .

عندما قويت شوكة الإسلام بالفتوحات العظيمة وبالذّات بعد القضاء على القوّتين العظيمنتين الفرس ، والروم ؛ تعدّدت موارد المال في الدّولة الإسلاميّة ، وكثرت مصارفه ، وللمحافظة على كيان هذه الدّولة المترامية الأطراف وصون عرّها وسلطانها ، وضمنان مصالح العامّة ، والخاصّة كان لا بدّ من سياسةٍ ماليّةٍ حكيمةٍ ، ورشيديّةٍ ، ففكر لها عمر . رضي الله عنه . ألا وهي إيجاد موردٍ ماليٍّ ثابتٍ ، ودائمٍ للقيام بهذه المهامّ ، وهذا المورد هو : الخراج ، فقد أراد الفاتحون أن تقسم عليهم الغنائم من أموالٍ وأراضٍ وفقاً لما جاء في القرآن الكريم خاصّاً بالغنائم { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْصِي الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [الأنفال: ٤١] .

وقد أراد عمر . رضي الله عنه . في بداية الأمر تقسيم الأرض بعدد الفاتحين ، لكن عليّ بن أبي طالب . رضي الله عنه . رأى عدم التّقسيم ، وشاركه الرأي معاذ بن جبل ، وحدّر عمر من ذلك [(١٢٧٦)] ، وقد روى أبو عبيد قائلاً : قدم عمر الجابية ، فأراد قسم الأراضي بين المسلمين ، فقال معاذ : والله إذاً ليكون ما تكره ، إنك إن قسمتها صار الرّبع العظيم في أيدي القوم ، ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرّجل الواحد ، أو المرأة ، ثم يأتي من بعدهم قومٌ يسدّون من الإسلام مسدّاً ، وهم لا يجدون شيئاً فانظر أمراً يسع أولهم ، واخرهم [(١٢٧٧)] .

لقد نبّه معاذ بن جبل . رضي الله عنه . أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . إلى أمرٍ عظيم ، جعل عمر يتتبع آيات القرآن الكريم ، ويتأملها مفكراً في معنى كلّ كلمة يقرؤها حتّى توقف عند آيات تقسيم الفيء في سورة الحشر ، فتبيّن له : أنّها تشير إلى الفيء للمسلمين في الوقت الحاضر ، ولمن يأتي بعدهم ، فعزم على تنفيذ رأي معاذٍ . رضي الله عنه . فانتشر خبر ذلك بين النّاس ووقع خلاف بينه وبين بعض الصّحابة . رضوان الله عليهم . فكان عمر ، ومؤيدوه لا يرون تقسيم الأراضي التي فتحت ، وكان بعض الصّحابة ، ومنهم بلال بن رباح ، والزّبير بن العوّام يرون تقسيمها ، وكما تقسم غنيمة العسكر ، كما قسم النبي (ص) خيبر ، فأبى عمر . رضي الله عنه . التقسيم وتلا عليهم الآيات الخمس من سورة الحشر من قوله تعالى : { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [الحشر: ٦] حتى فرغ من شأن بني النّضير .

ثمَّ قال : { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * } [الحشر: ٧] فهذه عامَّة في القرى كلِّها .

ثمَّ قال : { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * } [الحشر: ٨] .

ثمَّ لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ، قال : { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَخِّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * } [الحشر: ٩] فهذا في الأنصار خاصَّة ، ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم ، فقال : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * } [الحشر: ١٠] ، فكانت هذه عامَّة لمن جاء بعدهم ، فما من أحدٍ من المسلمين إلا له في هذا الفيء حقٌّ .

قال عمر : فلئن بقيت ليلغنَّ الرَّاعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ؛ ودمه في وجهه [(١٢٧٨)] ، وفي روايةٍ أخرى جاء فيها : قال عمر : فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها قد اقتسمت ، وورثت عن الآباء وحيزت ، ما هذا برأيي ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : فما الرأي ؟ ما الأرض والعلوج إلا مما أفاء الله عليهم ، فقال عمر : ما هو إلا كما تقول ، ولست أرى ذلك ، والله لا يفتح بعدي بلدٌ فيكون فيه كبير نيلٍ بل عسى أن يكون كلاً على المسلمين ، فإذا قسمت أرض العراق بعلوجها ، وأرض الشام بعلوجها ، فما يسدُّ به الثُّغور ؟ وما يكون للذريَّة ، والأرامل لهذا البلد ، وبغيره من أراضي الشَّام ، والعراق ؟ فأكثرنا على عمر ، وقالوا : تقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قومٍ لم يحضروا ، ولم يشهدوا ، ولأبناء القوم ، وأبناء آبائهم ، ولم يحضروا ! فكان عمر . رضي الله عنه . لا يزيد على أن يقول : هذا رأيي . قالوا : فاستشر ، فأرسل إلى عشرة من الأنصار من كبراء الأوس ، والخزرج ، وأشرافهم ، فخطبهم ، وكان ممَّا قال لهم : إني واحدٌ كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرُّون بالحق ، خالفني من خالفني ، ووافقني من وافقني ، ولست أريد أن تتَّبِعُوا هذا الذي هواي . ثمَّ قال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا : أنني أظلمهم حقوقهم ، ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد غنمنا الله أموالهم ، وأرضهم ، وعلوجهم ، فقسمت ما غنموا من أموالٍ بين أهله ، وأخرجت الخمس فوجَّهته على وجهه ، وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها واضعاً عليهم فيها الخراج ، وفي رقابهم

الجزية ، يؤدونها فتكون فيناً للمسلمين ، المقاتلة والذرية ، ولمن يأتي من بعدهم ، رأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ، رأيتم هذه المدن

العظام لا بد لها من أن تشحن بالجيوش ، وإدراار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قُسمت الأرض ، والعلوج ؟ فقالوا جميعاً : الرأي رأيك فنعم ما قلت ، ورأيت ، إن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ، وتجري عليهم ما يتقوون به ؛ رجع أهل الكفر إلى مدتهم [(١٢٧٩)] .

وقد قال عمر فيما قاله : لو قسمتها بينهم لصارت دولةً بين الأغنياء منكم ، ولم يكن لمن جاء بعدهم من المسلمين شيءٌ ، وقد جعل الله لهم فيها الحقَّ بقوله تعالى : { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ } [الحشر: ١٠] ثم قال : فاستوعبت الآية الناس إلى يوم القيامة . وبعد ذلك استقر رأي عمر ، وكبار الصحابة . رضي الله عنهم . على عدم قسمة الأرض [(١٢٨٠)] .

وفي حوار مع الصحابة يظهر أسلوب الفاروق في الجدل ، وكيف جمع فيه قوة الدليل ، وروعة الصورة ، واستمالة الخصم ، في مقالته التي قال للأنصار عند المناقشة في أمر أرض السواد ، ولو أن رئيساً ناشئاً في السياسية ، متمرساً بأساليب الخطب البرلمانية أراد أن يخاطب الثواب (لينال موافقتهم) على مشروع من المشروعات لم يجأى بأرق من هذا المدخل ، أو أعجب من هذا الأسلوب . وامتاز عمر فوق ذلك بأنه كان صادقاً فيما يقول ، ولم يكن فيه سياسياً مخادعاً ، وأنه جاء به في نمط من البيان يسمو على الأشباه والأمثال [(١٢٨١)] .

. هل كان الفاروق مخالفاً للنبي (ص) في حكم أرض الخراج ؟

من قال : إنَّ الفاروق خالف الرسول (ص) بفعله في عدم تقسيم أرض الخراج ؛ لأن النبي (ص) قسم خيبر ، وقال : إنَّ الإمام إذا حبس الأرض المفتوحة عنوةً ؛ نُقض حكمه لأجل مخالفة السنة ، فهذا القول خطأً ، وجرأةً على الخلفاء الراشدين . إذا فعلوا هذا الفعل . فإنَّ فعل النبي (ص) في خيبر إنما يدلُّ على جواز ما فعله ، ولا يدلُّ على وجوبه ، فلو لم يكن معنا دليلٌ على عدم وجوب ذلك ؛ لكان فعل الخلفاء الراشدين : عمر ، وعثمان ، وعليٍّ . رضي الله عنهم . دليلاً على عدم الوجوب ، فكيف وقد ثبت : أنه فتح مكة عنوةً ، كما استفاضت به الأحاديث الصحيحة ، بل تواتر ذلك عند أهل المغازي ، والسير ؟! فإنه قدم حين نقضوا العهد ، ونزل بمر الظهران ، ولم يأت أحدٌ منهم يصالحه ، ولا أرسل إليهم أحداً يصالحهم ، بل خرج أبو سفيان يتجسس الأخبار ، فأخذه العباس ، وقدم به كالأسير ، وغايته أن يكون العباس آمنه ، فصار مستأمناً ، ثم أسلم ، فصار من المسلمين ، فكيف يتصور أن

يعقد صلح الكفار . بعد إسلامه . بغير إذنٍ منهم ؟ مما بيّن ذلك : أنّ النَّبِيَّ (ص) علّق الأمان بأسبابٍ

،

كقوله : « من دخل دار أبي سفيان فهو امن ، ومن دخل المسجد فهو امن ، ومن أغلق بابه فهو امن » [(١٢٨٢)] ، فأمن من لم يقاتله ، فلو كانوا معاهدين ؛ لم يحتاجوا إلى ذلك . وأيضاً : سَمَّاهم النَّبِيُّ (ص) طلقاءً ؛ لأنّه أطلقهم من الأسر كثمّامة بن أثال وغيره . وأيضاً : فإنّه أذن في قتل جماعةٍ منهم من الرّجال والنِّساء ، وأيضاً : فقد ثبت عنه في الصحاح : أنّه قال في خطبته : « إن مكّة لم تحل لأحدٍ قبلي ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي ، وإمّا أحلّت لي ساعةً » [(١٢٨٣)] .

ودخل مكة وعلى رأسه المغفر ، ولم يدخلها بإحرامٍ ، فلو كانوا صالحوه ؛ لم يكن قد أحلّ له شيء ، كما لو صالح مدينةً من مدائن الحلّ ؛ لم تكن قد أحلّت ، فكيف يحلُّ له البلد الحرام ، وأهله مسالمون له ، صلحٌ معه ؟! وأيضاً فقد قاتلوا خالداً ، وقتل طائفةً من المسلمين طائفةً من الكفار .

وفي الجملة فإنّ من تدبّر الآثار المنقولة ، علم بالاضطرار : أنّ مكّة فتحت عنوةً ، ومع هذا فالنَّبِيُّ (ص) لم يقسم أرضها ، كما لم يسترق رجالها ، ففتح خير عنوةً وقسمها ، وفتح مكّة عنوةً ولم يقسمها ، فعلم جواز الأمرين [(١٢٨٤)] ، وبذلك لم يكن الفاروق مخالفاً للهدى النبويّ في عدم تقسيمه للأراضي المفتوحة ، وقد كان سنده فيما فعل أموراً منها :

١ . اية الفيء في سورة الحشر .

٢ . عمل النَّبِيِّ (ص) حينما فتح مكة عنوةً، فتركها لأهلها، ولم يضع عليها خراجاً.

٣ . قرار مجلس الشورى الذي عقده عمر لهذه المسألة بعد الحوار، والمجادلة ، وقد أصبح سنّةً متّبعةً في أرضٍ يظهر عليها المسلمون ، ويقرّون أهلها عليها ، وبهذا يظهر : أنّ عمر حينما ميّز بين الغنائم المنقولة وبين الأراضي كان متمسكاً بدلائل النُّصوص ، وجمع بينها ، وأنزل كلاً منها منزلته التي يرشد إليها النّظر الجامع السّديد ، يضاف إلى ذلك : أنّ عمر كان يقصد أن تبقى لأهل البلاد ثرواتهم ، وأن يعصم الجند الإسلامي من فتن النّزاع على الأرض ، والعقار ، ومن فتن الدّعة ، والانشغال بالثّراء ، والحطام [(١٢٨٥)] .

إنّ الفاروق . رضي الله عنه . كان يلجأ إلى القرآن الكريم يلتمس منه الحلول ، ويطوف بين مختلف آياته ، ويتعمّق في فهم منطوقها ، ومفهومها ، ويجمع بينها ، ويخصّص بعضها ببعضٍ حتّى يصل إلى نتائج

تحقق المصالح المرجوة منها ، مستلهماً روح الشريعة ، غير واقفٍ مع ظواهر النصوص ، وقد أسعفه في قطع هذه المراحل إدراكه الدقيق لمقاصد الشريعة بتلكم

النصوص ، وهي عملية مركبة ومعقدة لا يحسن الخوض فيها إلا من تمرس على الاجتهاد ، وأعطى فهماً سديداً ، وجرأةً على الإقدام حيث يحسن الإقدام ، حتى حُيِّلَ للبعض : أن عمر كان يضرب بالنصوص عرض الحائط في بعض الأحيان ، وحاشا أن يفعل عمر ذلك ، لكنه كان مجتهداً ممتازاً ، اكتسب حاسةً تشريعيةً لا تُضاهى ، حتى كان يرى الرأى فينزل القرآن على وفقه .

والنتيجة التي نخرج بها من هذه القضية هي : أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، ومثله في السنة ، فعلى المجتهد وهو يبحث عن الحكم الشرعي أن يستعرض جميع النصوص التي تساعد على الحل دون الاقتصار على بعضها ، وإلا عدَّ مقصراً في اجتهاده ، ويكون ما توصل إليه لاغياً [(١٢٨٦)] .

كيف تم تنفيذ مشروع الخراج في عهد الفاروق ؟

لما انتهى كبار الصحابة ، ورجال الحل ، والعقد إلى إقرار رأي الخليفة عمر . رضي الله عنه . بتحسيس الأرض على أهلها ، وتقسيم الأموال المنقولة على الفاتحين ؛ انتدب شخصيتين كبيرتين هما : عثمان بن حنيف ، وحذيفة بن اليمان ، وذلك لمسح أرض سواد العراق ، وحين بعثهما لهذه المهمة زودهما الخليفة بنصائحه ، وتوجيهاته الثاقبة ، وأمرهما بأن يلاحظا ثروة الأفراد ، وخصوبة الأرض ، وجدبها ، ونوع النباتات والشجر ، والرفق بالرعي ، فلا تحمل الأرض ما يتحمله المكلفون ، بل يتركا لهم ما يجبرون به النوائب ، والحوادث ، ولكي ينطلق قرار عمر . رضي الله عنه . على أساس عادل ، رغب أن يعرف الحالة التي كان عليها أهل العراق قبل الفتح ، وطلب من الصحابيَّين : عثمان بن حنيف ، وحذيفة بن اليمان أن يرسلوا إليه وفداً من كبار رجال السواد ، فبعثا إليه وفداً من دهاقنة السواد ، فسألهم عمر . رضي الله عنه . : كم كنتم تؤدُّون إلى الأعاجم في أرضهم ؟ قالوا : سبعة وعشرين درهماً ، فقال عمر . رضي الله عنه . : لا أرضى بهذا منكم [(١٢٨٧)] .

وهذا يدلُّ على أن الفتح الإسلامي كان عدلاً على الناس الذين فتحت بلادهم ، وكان عمر يرى : أن فرض خراج على مساحة الأرض أصلح لأهل الخراج ، وأحسن رداً ، وزيادةً في الفيء من غير أن يحملهم ما لا يطيقون ، فقام عثمان بن حنيف ، وحذيفة بن اليمان بما وكل إليهما خير قيام ، فبلغت مساحة السواد (٣٦٠٠٠ ، ٠٠٠) ستة وثلاثين ألف ألف [(١٢٨٨)] ، ووضعوا على جريب العنب

عشرة دراهم ، وعلى جريب النَّخل ثمانية دراهم ، وعلى جريب القصب ستَّة دراهم ، وعلى جريب الحنطة أربع دراهم ، وعلى جريب الشَّعير درهين [(١٢٨٩)] ، وكتبا إلى

عمر بن الخطَّاب بذلك ، فأمضاه ، وقد حرص عمر . رضي الله عنه . على العناية بأهل تلك الأرض والبلاد ، وما يوفِّر العدل ، ويحقِّقه خوفاً أن يكون عثمان ، وحذيفة . رضي الله عنهما . حملاً النَّاس والأرض ما لا يطيقون أداءه من خراج ، فسألها : كيف وضعتما على الأرض ، لعلكما كلَّفتما أهل عملكما ما لا يطيقون ؟ فقال حذيفة : لقد تركت فضلاً ، وقال عثمان : لقد تركت الضَّعف ، ولو شئت ؛ لأخذته . فقال عمر . رضي الله عنه . عند ذلك : أما والله لئن بقيت لأرامل أهل العراق ، لأدعنَّهم لا يفتقرون إلى أميرٍ بعدي [(١٢٩٠)] !

وهذه الطَّريقة الَّتِي نُقِدت في سواد العراق هي ذاتها الَّتِي نُقِدت في الأراضي المصريَّة ، لكن الذي تولاهما هو عمرو بن العاص ، وكانت وحدة المساحة الَّتِي ربط على أساسها الخراج الفدَّان [(١٢٩١)] . وكذلك فعل عمر . رضي الله عنه . بأرض الشَّام ، كما فعل بأرض السَّواد ، ولم يذكر المؤرخون معلوماتٍ صريحةً واضحةً عن المساحة ، ونوع الزُّروع ، والتِّمار الَّتِي فرض عليها الخراج ، ولا مَنْ قام بعملية مسح أراضي الشَّام [(١٢٩٢)] ، وكان الخليفة عمر . رضي الله عنه . بهذا الصَّدد عمل إحصاءٍ دقيقاً لثروة الولاية قبل الولاية عليها ، ثمَّ إلزام الولاية عند اعتزلهم أعمالهم بمصادرة بعض الأموال الَّتِي جمعوها لأنفسهم في أثناء ولايتهم ؛ إذ تبين له : أنَّ أعطياتهم لا تسمح لهم بإدِّخار هذه الأموال كلِّها [(١٢٩٣)] ، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الولاية .

وقد كثرت الممتلكات الخاصَّة للدولة التي اصطفاهما عمر . رضي الله عنه . لبيت المال في العراق ، والشَّام ، ومصر ، فكانت هذه الأملاك تدُرُّ دخلاً عظيماً ، ووفيراً على خزانة الدولة ، خاصَّةً في مصر لا تتسع الأراضي الزراعيَّة الَّتِي يملكها النَّاج في العصور القديمة [(١٢٩٤)] .

. ما القيم والمصالح الأمنيَّة في عدم تقسيم أراضي الخراج ؟

هناك جملةٌ من المصالح الأمنيَّة الَّتِي استند إليها الخليفة ، والذين وافقوه على رأيه في اتخاذ هذا القرار يمكنني تصنيفها إلى صنفين :

أولهما : المصالح الدَّاخلية ، وأهمُّها سدُّ الطَّريق على الخلاف والقتال بين المسلمين ، وضمانُ توافر مصادر ثابتةٍ لمعايش البلاد ، والعباد ، وتوفير الحاجات الماديَّة اللازمة للأجيال اللاحقة من المسلمين .

وثانيهما : المصالح الخارجِيَّة ، الَّتِي يتمثَّل أهمُّها في توفير ما يسدُّ ثغور المسلمين ،

ويسد حاجتها من الرجال والمؤن ، والقدرة على تجهيز الجيوش ، بما يستلزمه ذلك من كفالة الرّواتب ، وإدراك العطاء ، وتمويل الإنفاق على العتاد والسّلاح ، وترك بعض الأطراف لتتولّى مهامّ الدفاع عن حدود الدّولة ، وأراضيها اعتماداً على ما لديها من خراج .

والذي يجب ملاحظته في هذه المصالح : أنّ الخليفة أراد أن يضع بقراره دعائم ثابتة لأمن المجتمع السّياسي ، ليس في عصره فقط ، بل وفيما يليه من عصور بعده ، وعبارته من مثل : (فكيف بمن يأتي من المسلمين) ، و(كرهت أن يُترك المسلمون) التي توحى بنظرته المستقبلية لهذا الأمن الشّامل تشهد على ذلك ، وقد أثبت تطور الأحداث السّياسية في عصر الخليفة الثّاني صواب ، وصدق ما قرّره .

. إنّ تعدّد أطوار اتّخاذ القرار بعدم تقسيم الأراضي قد أكّد أمرين :

أولهما : أنّ بعض القرارات المهمّة التي تمسّ المصالح الجوهرية للمسلمين قد تأخذ من الجهد والوقت الكثير ، كما أنّها قد تتطلّب قدرًا من الأناة في تبادل الحجج والبراهين ، دون أن يتيح ذلك مجالاً للخلاف ، وتعميق هوة الانقسام أحياناً ، أو يفوّت باباً من أبواب تحقيق بعض المصالح الخاصّة بأمن الأُمّة في حاضرها، ومستقبلها .

والأمر الثّاني : أنّ بعض القرارات المهمّة التي قد تخرج بعد عسر النّقاش ، والحوار ، والبداية المتعرّبة لها ، يفرض على الحاكم الشّرعيّ أن يكون أوّل المسلمين واخرهم جهداً في السّعي إلى تضيق هوة الخلاف ، والتّقريب بين وجهات النّظر المتعارضة لكي يصل بالمسلمين إلى الحكم الشّرعيّ فيما هو متنازع بشأنه [(١٢٩٥)] .

. إنّ تبادل الرّأي والاجتهاد بين الخليفة ، والصّحابة ؛ الذين لم يوافقوه على رأيه ، واستناد الكلّ في ذلك إلى النّصوص المنزّلة في الاجتهاد يثبت : أنّ الفيصل في إبداء الاراء في القرارات السّياسية عامّة ، والتي تمسّ مصالح المسلمين بصفة مباشرة خاصّة، وهو أن تجيء هذه الاراء مستندةً إلى النّصوص المنزّلة، أو ما ينبغي أن يتفرّع عنها من مصادر أخرى ، لا تخرج عن أحكامها في محتواها ، ومبرراتها .

. إنّ لجوء الخليفة إلى استشارة أهل السّابقة من كبار الصّحابة العلماء في فقه الأحكام ، ومصادر الشّرع ، واستجابتهم بإخلاص النّصح له ، يؤكّد : أنّ أهل الشورى لهم مواصفات خاصّة تميّزهم ، فالذين يُستشارون هم أهل الفقه ، والفهم ، والورع ، والدراية ، والواعون لدورهم ، إنهم - بعبارة أدقّ - الذين لا

إِئْتِيَّةً فِي أرائهم ، ومن دأبهم توطين أنفسهم على قول الحقِّ ، وفعله ، غير خائفين في ذلك لومة لائم من حاكمٍ ، أو غيره .

. ثمَّ يبقى القول : إنَّ ما حدث بصدور قرار عدم تقسيم الأراضي يظلُّ نموذجاً عالياً سار عليه الصَّحابة في كيفية التَّعامل وفق آداب الحوار ، وأخلاقيَّات مناقشة القضايا ، وتقليب أوجهها المختلفة ابتداءً بمرحلة التَّفكير في اتخاذ القرار بعدم تقسيم الأراضي . بصفةٍ مباشرةٍ ، أو غير مباشرةٍ . وعلى رأسهم الخليفة ؛ الَّذي لم يخرج عن هذه الآداب رغم اختلاف اجتهاداتهم بشأنه [(١٢٩٦)] .

بل إنَّ الفاروق . رضي الله عنه . بيَّن بأنَّ الحاكم مجرَّد فردٍ في هيئة الشُّورى ، وأعلن التَّثقة في مجلس شورى الأُمَّة ، خالفته ، أو وافقته ، والردُّ إلى كتاب الله ، فقد قال رضي الله عنه : إِيَّ واحدٍ منكم ، كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرُّون بالحق ، خالفني مَنْ خالفني ، ووافقني مَنْ وافقني ، ومعكم من الله كتابٌ ينطق بالحقِّ [(١٢٩٧)] .

. أهمُّ الآثار الدَّعويَّة في هذا القرار :

من أهمِّ هذه الآثار : القضاء نهائياً على نظام الإقطاع ، فقد ألغى عمر . رضي الله عنه . كلَّ الأوضاع الإقطاعيَّة الظَّالمة ؛ الَّتِي احتكرت كلَّ الأرض لصالحها ، واستعبدت الفلاحين لزراعتها مجاناً ، فقد ترك عمر . رضي الله عنه . أرض السَّواد في أيدي فلاحها ، يزرعونها مقابل خراج عادلٍ يطيقونه ، يدفعونه كلَّ عامٍ ، وقد اغتبط الفلاحون بقرار عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . بتملكهم الأرض الزراعيَّة ، يزرعونها مقابل دفع الخراج ؛ الَّذي يستطيعونه ممَّا يجعلهم يشعرون لأوَّل مرَّة في حياتهم : أهمُّ أصحاب الأرض الزراعيَّة لا ملك للإقطاعيِّين من الطبقة الحاكمة ، وكان الفلاحون مجرد أجراء يزرعونها بدون مقابل ، وكان تعبهم ، وكُدُّهم يذهب إلى جيوب الطبقة الإقطاعيَّة ، طبقة ملاك الأرض ، ولا يتكون لهم إلا الفتات [(١٢٩٨)] .

. قطع الطريق على عودة جيوش الرُّوم ، والفرس بعد طردهم :

لقد أدَّت سياسة عمر . رضي الله عنه . في تملك الأرض لفلاحي الأمصار المفتوحة عنوةً إلى شعورهم بالرِّضا التَّامِّ ، كما تقدَّم ، وهذا ممَّا جعلهم ييغضون حكامهم من الفرس ، والرُّوم ، ولا يقَدِّمون لهم أيَّة مساعداتٍ ، بل كانوا على العكس من ذلك يقَدِّمون المساعدات للمسلمين ضدَّهم ، حتَّى إنَّ رستم القائد الفارسي دعا أهل الحيرة ، فقال : يا أعداء الله فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم علينا ، وفوَّيتموهم بالأموال [(١٢٩٩)] .

. مسارعة أهل الأمصار المفتوحة إلى الدُخول في الإسلام :

فقد ترتب على ما تقدّم من تملك الأرض للفلاحين أن سارعوا إلى الدُخول في الإسلام ؛ الذي انتشر بينهم بسرعةٍ مدهشةٍ ، لم يسبق لها مثيلٌ ، فقد لمسوا العدل ، وتبيّن لهم الحقُّ ، وأحسُّوا بكرامتهم الإنسانيّة من معاملة المسلمين لهم [(١٣٠٠)].

. تدبير الأمور لحماية الثُغور :

فقد امتدّت الدّولة الإسلاميّة صوب جهاتها الأربع ، وانتقلت أسماء الثُغور إلى ما وراء حدود الدّولة في عصورها الأولى ، من أهم هذه الثُغور ، ما كان يعرف بالثُغور الفراتيّة ، والتي كانت تمتد على طول خطِّ استراتيجيّ يفصل ما بين الدّولة الإسلاميّة ، والامبراطورية البيزنطيّة ، وغيرها من الثُغور .

وقد اتخذ عمر في كل مصرٍ على قدره خيولاً ، وقد وصلت قوّات الفرسان المرابطين في الأمصار إلى أكثر من ثلاثين ألف فارسٍ ، وهذا بخلاف قوّات المشاة ، وأيّ قوّاتٍ أخرى كالجمّالة ، وخلافه ، وهذه خصّصها عمر كجيشٍ منظمٍ لحماية ثغور المسلمين ، وكفل أرزاقهم ، وصرفهم عن الاشتغال بأيّ شيءٍ إلا بالجهاد في سبيل نشر الدّعوة الإسلاميّة ، فكان الخراج من الأسباب التي ساقها المولى عزّ وجلّ لتجهيز هذه القوّات ، وكفالة أرزاق أجنادها [(١٣٠١)].

إنّ الفاروق - رضي الله عنه - وضع قواعد نظام الخراج ، باعتباره مورداً من الموارد الماليّة الهامّة لخزينة الدّولة ، وكان يهدف من ورائه إلى أن يكون بيت المال قائماً بما يجب عليه من تحقيق المصالح العامّة للأمة ، وحفظ ثغورها ، وتأمين طرقها ، ولا يتأتّى ذلك إلا بإبقاء أصحاب الأرض التي تملكها المسلمون عنوةً لقاء نسبةٍ معيّنةٍ ممّا تنتجه الأرض ، وهذا أمرٌ شأنه أن يزيدهم حماساً في العمل ، ورغبةً في الاستغلال ، والاستثمار ، ومقارنة ذلك بما كانوا يرهقون به من الصّرائب من طرف أولياء أمورهم قبل وصول المسلمين [(١٣٠٢)].

٤ . العشور :

هي الأموال التي يتمُّ تحصيلها على التّجارة التي تمرُّ عبر حدود الدّولة الإسلاميّة سواءً داخله أو خارجه من أراضي الدّولة ، وهي أشبه ما تكون بالرسوم الجمركيّة في العصر الحاضر ، ويقوم بتحصيلها موظفٌ يقال له : (العاشر) أي : الذي يأخذ العشور [(١٣٠٣)] ، ولم يكن لهذه الصّريبة وجودٌ في عهد النّبِيِّ (ص) ، وخليفته الأوّل أبي بكرٍ الصّديق - رضي الله عنه - لأنّ تلك الفترة

كانت فترة دعوةٍ إلى الإسلام ، والجهاد في سبيل نشره ، وبناء الدولة الإسلامية ، فلمَّا اتَّسعت الدولة في عهد الخليفة عمر . رضي الله عنه . وامتدَّت حدودها شرقاً ، وغرباً ، وصار التَّبادل التجاري مع الدول المجاورة ضرورةً تملّيحها المصلحة العامّة ؛ رأى الخليفة عمر . رضي الله عنه . أن يفرض تلك الضَّريبة على الواردين إلى دار الإسلام ، كما كان أهل الحرب يأخذونها من تجّار المسلمين القادمين إلى بلادهم ، معاملةً بالمثل .

وقد أجمع المؤرِّخون [(١٣٠٤)] : أنّ أوَّل من وضع العشر في الإسلام عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . وذلك عندما كتب إليه أهل منبج ومَنْ وراء بحر عدن يعرضون عليه أن يدخلوا بتجارهم أرض العرب ، وله منها العشر ، فشاور عمر في ذلك أصحاب النَّبيِّ (ص) ، فأجمعوا على ذلك ، فهو أوَّل من أخذ منهم العشر ، ولكن عمر أراد أن يتأكَّد من مقدار ما تأخذه الدول الأخرى من تجّار المسلمين إذا اجتازوا حدودهم ، فسأل المسلمين كيف يصنع بكم الحبشة إذا دخلتم أرضهم ؟ قالوا : يأخذون عشر ما معنا ، قال : فخذوا منهم مثل ما يأخذون منكم [(١٣٠٥)] ، وسأل أيضاً عثمان بن حنيف : كم يأخذ منكم أهل الحرب إذا أتيتم دارهم ؟ قال : العشر ، قال عمر : فكذلك فخذوا منهم [(١٣٠٦)] .

وروي : أنّ أبا موسى الأشعري كتب إلى الخليفة عمر . رضي الله عنه . : إنّ تجّاراً من المسلمين يأتون أرض الحرب ، فيأخذون منهم العشر . فكتب إليه الخليفة عمر . رضي الله عنه . : خذ أنت منهم كما يأخذون من تجّار المسلمين ، وخذ من أهل الدِّمة نصف العشر ، ومن المسلمين من كلّ أربعين درهماً درهماً ، وليس فيما دون المئتين شيء ، فإذا كانت مئتين ففيها خمسة دراهم ، وما زاد فبحسابه [(١٣٠٧)] ، وقد ساهم هذا التَّشريع الجديد في تنظيم العلاقات التجاريّة بين الدول .

وقد حقّقت التجارة الإسلاميّة مكاسب كبيرةً في عالم التجارة ، حيث فتحت أبواب الدولة الإسلاميّة للتجارة ، وجلبت البضائع ، والسِّلَع إلى الدولة الإسلاميّة من كلّ أنحاء العالم . وهذا بطبيعة الحال شجّع التَّاجر المسلم ، والأجنبي على زيادة نشاطهم في التَّصدير ، والاستيراد من جميع أنحاء العالم ، وبذلك نشطت المراكز التجاريّة داخل بلاد الدولة الإسلاميّة ، بما فيها الجزيرة ، وزادت حركة القوافل التجاريّة القادمة ، والذَّاهبة من أقاليم الجزيرة إلى الأقاليم الإسلاميّة الأخرى ، كما استقبلت موانئ بلاد الإسلام السُّفن الكبيرة التي

تصل إليها من الهند ، والصين ، وشرقي إفريقيا محملة بأغلى ، وأنفس البضائع ، وظهر ذلك جلياً في العصر الراشدي ، والدولة الأموية [(١٣٠٨)] .

وقد كان في عهد عمر عشّارون يأخذون زكاة ما يمرُّ بهم من أموال التُّجار ، ويعتبرون التَّصاب ، والحول . قال أنس بن مالكٍ : بعثني عمر بن الخطَّاب على جباية العراق ، وقال : إذا بلغ مال المسلم مئتي درهم ؛ فخذ منها خمسة دراهم ، وما زاد على المئتين ؛ ففي كلِّ أربعين درهماً درهم [(١٣٠٩)] .

وذكر الشَّيباني : أنَّ عمر بن الخطَّاب بعث زياد بن جرير ، وقيل : زياد بن حدير مصدِّقاً إلى عين التَّمر ، وأمره بأن يأخذ من أموالهم ربع العشر ، ومن أهل الدِّمَّة إذا اختلفوا بها للتَّجارة نصف العشر ، ومن أموال أهل الحرب العشر ، وجعل عمر بن الخطَّاب نفقة العاشر . أي : المصدِّق . من المال الَّذي يأخذه [(١٣١٠)] .

إنَّ مَنْ يفكِّر في ذلك التَّحديد الَّذي رسمه الخليفة عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . قد يصل إلى أنَّه فرض العشر على الحربيين لمعاملتهم المسلمين كذلك ، فهذا مبدأ المعاملة بالمثل ، وأنَّه فرض نصف العشر على أهل الدِّمَّة تمييزاً لهم عن المسلمين ، وتطبيقاً لما سبق : إنَّ فرضه على نصارى بني تغلب الَّذين قبلوا أن تُؤخذ منهم الجزية ضعف ما يؤخذ من المسلمين من الصدقة ، وإنَّ ما قرره على المسلمين هو بمثابة زكاةٍ ، ومعروفٍ نصاب الزكاة لعروض التَّجارة ، وهو الَّذي جعله حدّاً أدنى لأخذها ، ومنع من تكرار أخذها من المسلمين ، وأهل الدِّمَّة ، ما دام رأس المال ثابتاً ، والبضاعة الواردة لم تزد قيمتها عنه ، ولو تكرَّر مراتٍ دخولها إلا بعد الحول ، وتمثيلاً لمبدأ المعاملة بالمثل ، فإنَّه حينما يرفع أهل الحرب ما يأخذونه من المسلمين من ضريبةٍ ، فيحقُّ للمسلمين رفع الضريبة على ما يرد منهم إلى دار الإسلام بنفس النسبة ، وكذلك الحال عند إسقاطهم لها ، فعلى المسلمين إسقاطها عنهم ، وهذا ما تسير عليه الدُّول حديثاً ، ويسمَّى برفع الحواجز الجمركية [(١٣١١)] ، وعندما يكون المسلمون في حاجةٍ إلى بعض البضائع ، والمنتجات الواردة إليهم ، فإنَّهم يخيِّضون ، أو يعفون التُّجار من ضريبتها تشجيعاً لتوريدها ، والإكثار منها ، وقد فعل الخليفة عمر . رضي الله عنه . ذلك حين أمر عمَّاله أن يأخذوا نصف العشر من الحربيين حين دخولهم الحجاز بالزَّيت ، والحبوب ، كما أمر بإعفائهم أحياناً أخرى ، فعن الزُّهريِّ عن سالم ، عن أبيه ، عن عمر . رضي الله عنه . : أنَّه كان

يأخذ من النَّبط من القطنية العشر ، ومن الحنطة والزَّبيب نصف العشر ؛ ليكثر الحمل إلى المدينة [(١٣١٢)] .

وقد كان لهذه التّظيمات الماليّة التي وجدت أيّام الخليفة عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . النّفع الكبير في سهوله التّبادل التّجاريّ بين المسلمين ، وجيرانهم ، وورود أصنافٍ متعدّدةٍ من متطلّبات النّاس واحتياجاتهم ، فهو لم يقتصر على تنظيم الموادّ الاتية إلى بيت المال ، بل نظّم الطرق التي بواسطتها ، وبسببها يزداد دخل بيت المال ، وتنعم البلاد بالرّخاء ، ورغد العيش ، ومن ذلك اهتمامه بالتّجارة الخارجيّة ، وحسن معاملته لأهلها ، وتتبعه العمال ، والأمرء ، والكتابة إليهم بذلك ، وحرصه على استيفاء حقوق الدّولة من غير تعسّفٍ في جبايتها [(١٣١٣)] .

٥ . الفيء ، والغنائم :

أمّا الفيء فهو كلُّ مالٍ وصل المسلمين من المشركين من غير قتالٍ ، ولا بإيجافٍ خيّلٍ ولا ركابٍ ، ويوزّع خمس الفيء على أهل الخمس [(١٣١٤)] الذين بيّهم الله سبحانه في كتابه الكريم : { مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } [الحشر: ٧] . وأمّا الغنائم : فهي ما غلب عليه المسلمون من مال أهل الحرب حتّى يأخذه عنوةً [(١٣١٥)] ، قال تعالى : { وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [الأنفال: ٤١] .

ففي خلافة عمر . رضي الله عنه . زادت الغنائم زيادةً كبيرةً لاتساع المناطق المفتوحة ، ولما كانت تتمتع به من ازدهارٍ اقتصاديّ كبيرٍ ، وكان القادة الفرس ، والرّوم يخرجون إلى الميدان بكامل أجهتهم ، فيقع سلبهم للمسلم ، وأحياناً يبلغ ١٥ ، ٠٠٠ درهم ، و ٣٠ ، ٠٠٠ درهم [(١٣١٦)] .

وقد فتحت المدن العظيمة كالمدائن ، وجلولاء ، وهمدان ، والرّبيّ وأصطخر ، وغيرها ، فحاز المسلمون أموالاً عظيمةً مثل بساط كسرى ، وهو ٣٦٠٠ ذراعٍ مربعةٍ ، أرضه مفروشةٌ بالدّهب ، وموشى بالفصوص ، وفيه رسوم ثمارٍ بالجواهر ، وورقها بالحريز ، وفيه

رسومٌ للماء الجاري بالدّهب ، وقد بيعت بعشرين ألف درهم (٢٠ ، ٠٠٠ درهم) وحاز المسلمون الدّهب ، والفضّة والمجوهرات العظيمة من غنائم جلولاء ونهاوند حيث بلغ خمس جلولاء ستة ملايين درهم [(١٣١٧)] ، وأعظم الغنائم هي أرض السّواد ؛ التي وقفها عمر . رضي الله عنه . للدّولة ، وأراضي الصّوافي ؛ التي قتل أصحابها ، أو فرّوا عنها ، وأملاك كسرى ، وأهله ، حيث جعلت غلتها للدّولة ، فكانت بإدارتها لصالح بيت المال ، ويقال : إن غلتها . فيما بعد . بلغت سبعة ملايين درهم ، فقد

كانت الغنائم عظيمة القدر ، وأثَّما أغنت المسلمين أفراداً ، ودولةً ، وارتفعت بمستوى المعيشة ، وظهرت اثارها أكثرَ جلاءً في خلافة عثمان رضي الله عنه [(١٣١٨)] .

هذه هي أهم مصادر الدولة في عهد الفاروق رضي الله عنه .

ثانياً : بيت مال المسلمين ، وتدوين الدواوين :

بيت المال : هو المكان الذي ترد إليه جميع موارد الدولة ، وهو كذلك : المكان الذي تصرف منه جميع مصروفاتها من أعطيات الخلفاء ، والجيش ، والقضاة ، والعمَّال ، والمرافق العامَّة ، والخاصَّة للدولة ، وهكذا [(١٣١٩)] ، وأمَّا الدواوين ؛ فهي : السجلات ، والدفاتر التي تُسجَّل فيها أمور الدولة . وقد أطلقت كلمة ديوان على المكان الذي يجتمع فيه الكُتَّاب ، والموظَّفون العاملون بتلك السجلات عند الفرس [(١٣٢٠)] .

وفي بداية الدولة الإسلاميَّة لم يكن هناك بيت مالٍ بالمعنى الذي عرف به فيما بعد ، فقد كانت سياسة الرسول (ص) تقوم على أن لا يؤخَّر تقسيم الأموال ، أو إنفاقها ، وقد سار أبو بكر على نهج النَّبيِّ (ص) ، ونهج الفاروق طريق صاحبيه في أوَّل خلافته حتَّى اتَّسع سلطان الدولة شرقاً ، وغرباً ، فبدأ بالتَّفكير في طريقةٍ يدبِّر فيها ما تجمَّع لدى الخليفة من أموال الفتوحات ، وغنائمها ، وإيرادات الجزية ، والخراج ، والصَّدقات ، فكثرت الجيوش ، واحتاجت إلى ضبط احتياجاتها ، وأسماء رجالها خوفاً من ترك أحدهم دون عطاءٍ ، أو تكرار العطاء للآخرين ، وتوالى حملات الفتح ، وانتصاراتها ، فكثرت الأموال بشكلٍ لم يكن معروفاً لدى المسلمين من قبل ، فرأى أمير المؤمنين عمر ألا طاقة للخليفة ، وأمرائه بضبطها ، وأنَّه ليس من الحكمة الاقتصادية أن يترك زمام الأمور الماليَّة بيد العمال والولاة دون أن يضبطها عدداً ، أو يحصيها حساباً ، فكان نتيجة ذلك التَّفكير ملياً في وضع قواعد ثابتة لهذه الأموال ، ومن هنا نشأ

الديوان ، وكان عمر - رضي الله عنه - هو أوَّل من وضع الديوان في الدولة الإسلاميَّة [(١٣٢١)] .

وقصَّة ذلك كما تناقلها المؤرِّخون : أنَّ أبا هريرة ، قال : قدمت من البحرين بخمسمئة ألف درهم ، فأتيت عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - فسألني عن النَّاس ، فأخبرته ، ثمَّ قال لي : ماذا جمعت به ؟ قال : قلت : جمعت بخمسمئة ألفٍ ، قال : ويحك ! هل تدري ما تقول ؟ قلت : نعم مئة ألف ، ومئة ألف ، ومئة ألف ، ومئة ألف . قال : إنَّك ناعس ، ارجع إلى أهلِكَ ، فثم ، فإذا أصبحت فأتني ! فلمَّا أصبحت أتيتَه ، فقال : ماذا جمعت به ؟ قلت : جمعت بخمسمئة ألف ، قال :

ويحك ! هل تدري ما تقول؟! قلت : نعم ، مئة ألف ، حتَّى عدَّها خمس مرات ، يعدُّها بأصابعه الخمس ، قال : أطيب ؟ قلت : لا أعلم إلا ذلك . قال : فصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثمَّ قال : أيُّها الناس ! إنَّه قد جاءنا مالٌ كثير ، فإن شئتم أن نكيلكم كَيْلاً ، وإن شئتم أن نعدَّكم عدَّاً ، فقام إليه رجلٌ ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنِّي قد رأيت هؤلاء الأعاجم يدوِّنون ديواناً لهم [(١٣٢٢)] ، فاشتتهى عمر ذلك [(١٣٢٣)] .

وقد استشار عمر المسلمين في تدوين الدَّواوين ، فأشار بعضهم بما يراه إلا أن الوليد بن هشام بن المغيرة قال : جئت الشَّام ، فرأيت ملوكها قد دَوَّنوا ديواناً ، وجنَّدوا جنداً . فدَوَّن ديواناً ، وجنَّد جنداً . وفي بعض الرِّوايات أنَّ الذي قال ذلك هو خالد بن الوليد [(١٣٢٤)] ، وذكر بعض المؤرِّخين : أنَّه كان بالمدينة بعض مرازبة الفرس ، فلمَّا رأى حيرة عمر ؛ قال له : يا أمير المؤمنين ! إنَّ للأكاسرة شيئاً يسمُّونه ديواناً ، جميع دخلهم ، وخرجهم مضبوطةً فيه ، لا يشدُّ منه شيءٌ ، وأهل العطاء مرتَّبون فيه مراتب لا يتطرَّق عليها خللٌ ، فتنبَّه عمر ، وقال : صفه لي . فوصفه المرزبان ، فدَوَّن الدَّواوين ، وفرض العطاء [(١٣٢٥)] ، وقد حبَّذ عثمان التَّدوين ، فأشار برأيه : أرى مالاً كثيراً يسع النَّاس ، وإن لم يحصوا حتَّى يُعرف من أخذ ممَّن لم يأخذ ، خشية أن ينتشر الأمر [(١٣٢٦)] .

هذه بعض الرِّوايات التي حدثت بناء على استشارة عمر - رضي الله عنه - في مرَّاتٍ متعدِّدة لمن يحضرون عنده ، وهناك اختلافٌ بين المؤرِّخين في السَّنة التي تم فيها التَّدوين ، فمن قائل : إنَّ ذلك في السنة الخامسة عشرة للهجرة كالتَّطبري ، وعنه أخذ ابن الأثير ، وغيرهم . وقال آخرون : إنَّ ذلك كان في شهر محرَّم من سنة عشرين هجرية كالبلاذري ، والواقدي ، والماوردي ، وابن خلدون [(١٣٢٧)] وغيرهم . والأرجح أن يكون تمَّ في سنة عشرين هجرية ؛ لأنَّه في سنة خمس عشرة كانت القادسيَّة ، ولم يستكمل فتح العراق ، والشَّام ، ومصر إلا بعدها [(١٣٢٨)] .

وقد سار عمر في تقسيم الأموال على خلاف ما سار عليه أبو بكر حيث كان الصِّدِّيق يقسم الأموال بين النَّاس بالسَّوية ، في حين قسم عمر أعطياتهم على حسب السَّابقة في الإسلام ، والفضل في الجهاد ، ونصرة رسول الله (ص) [(١٣٢٩)] ، وقد كان رأي الفاروق هذا من زمن الصِّدِّيق ، وقال لأبي بكرٍ لما راه سوَّى بين النَّاس ، قال له : أتسوِّي بين من هاجر الهجرتين ، وصلَّى إلى القبلتين ، وبين من أسلم عام الفتح خوف السَّيف ؟ فقال له أبو بكر : إنَّما عملوا لله ، وإنَّما أجورهم على الله ، وإنَّما الدُّنيا

دار بلاغٍ للزَّكَب . فقال له عمر : لا أجعل مَنْ قاتل رسول الله كمن قاتل معه [(١٣٣٠)] ، ولذلك قسم الفاروق النَّاس في العطاء إلى أنواعٍ ، هي :
- ذوو السَّوابق الَّذِينَ بسابقتهم حصل المال .

- مَنْ يغني المسلمين في جلب المنافع لهم ، كولاة الأمور ، والعلماء الَّذِينَ يجلبون لهم منافع الدِّين ، والدُّنيا .

- من يُبلي بلاءً حسناً في دفع الضَّرر عنهم كالمجاهدين في سبيل الله من الجنود ، والعيون ، والنَّاصحين نحوهم .

- ذوو الحاجات [(١٣٣١)] .

هذه سياسته في التَّقسيم تضمَّنها قوله : ليس أحدٌ أحقُّ بهذا المال من أحدٍ إمَّا هو الرَّجل وسابقته ، والرَّجل وغناؤه ، والرَّجل وحاجته [(١٣٣٢)] .

وقد دعا الفاروق عقيل بن أبي طالبٍ ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم ، وكانوا من شَبان قريش ، وقال : اكتبوا للنَّاس على منازلهم ، فبدؤوا ببني هاشمٍ ، فكتبوهم ، ثمَّ أتبعوهم أبا بكرٍ ، وقومه ، ثمَّ عمر وقومه ، وكتبوا القبائل ، ووضعوها على الخلافة ، ثمَّ رفعه إلى عمر ، فلمَّا نظر فيه ؛ قال : لا ، ما وددت أنَّه كان هكذا ، ولكن ابدؤوا بقرابة النَّبيِّ (ص)

الأقرب ، فالأقرب حتَّى تضعوا عمر حيث وضعه الله ، فجاءت بنو عديٍّ إلى الخليفة عمر . رضي الله عنه . وقالوا : إنَّك خليفة رسول الله (ص) ، وخليفة أبي بكرٍ . رضي الله عنه . وأبو بكر خليفة رسول الله (ص) فلو جعلت نفسك حيث جعلك هؤلاء القوم الَّذِينَ كتبوا ! فقال : بخٍ بخٍ يا بني عديٍّ ! أردتم الأكل على ظهري ، وأن أهب حسناتي لكم ، لا ، ولكنكم حتَّى تأتیکم الدَّعوة ، وأن ينطبق عليكم الدفتر . يعني : ولو تكتبون اخر النَّاس . إنَّ لي صاحبين سلكا طريقاً ، فإنَّ خالفتهما ؛ خولف بي ، ولكنَّه والله ما أدركنا الفضل في الدُّنيا ، ولا نرجو الثَّواب عند الله تعالى على عملنا إلاَّ بمحمَّدٍ (ص) ، فهو شرفنا ، وقومه أشراف العرب ، ثمَّ الأقرب ، فالأقرب . ووالله لئن جاءت الأعاجم بعملٍ ، وجئنا بغير عملٍ ؛ لهم أولى بمحمَّد (ص) منَّا يوم القيامة ! فإنَّ مَنْ قصَّر به عمله لم يسرع به نسبه [(١٣٣٣)] .

وبدأ عمر . رضي الله عنه . تسجيله بديوان سجل فيه أصحاب الأعطيات ، ومقدار أعطياتهم ، وسمِّي ديوان الجند على أساس أنَّ جميع العرب المسلمين جنودٌ للجهاد في سبيل الله ، فبدأ سجَّله للجيش ببني

هاشم الأقرَب ، فالأقرب من رسول الله ، ثم بمن بعدهم طبقةً بعد طبقةً ، وجعل لكلٍ واحدٍ من المسلمين مبلغاً محدداً وفرض لزوجات النبي (ص) ، وسراريه ، وسائر المسلمين من الرجال ، والنساء ، والأطفال منذ الولادة ، والعبيد بمقادير مختلفة [(١٣٣٤)] ، وبإخراج هذا الديوان أظهر عمر اهتمامه بأمر الجهاد في سبيل الله ، واعتنى بأمر المجاهدين حفظاً لحقوقهم ، وعمل سجل الجند باللُّغة العربية بالمدينة المنورة على يد نفرٍ من نوابغ قريش ، وعلماء الأنساب منهم ، ثم أمر بعمل الدواوين في أقاليم الدولة الإسلامية ، فدوّنت بلغة البلاد المفتوحة ، ولم يتمّ تعريبها إلا في خلافة عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ، وبعد تدوين الدواوين صار عمر يجمع المال مدّة سنة ، ثم يقسمه بين الناس ؛ لأنه يرى أنّ جمعه أعظم للبركة ، فكان جمع المال يستلزم أن يكون له أمناء ، فكان زيد بن أرقم على بيت المال في عهد عمر [(١٣٣٥)] .

وروى أبو عبيد بسنده عن عبد القاري من قبيلة القارة ، قال : كنت على بيت المال زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه [(١٣٣٦)] .
ثالثاً : مصارف الدولة في عهد عمر :

تنقسم مصارف بيت المال إلى ثلاثة أقسام ، هي : مصارف الزكاة وما يتصل بها ، ومصارف الجزية ، والخراج ، والعشور وما يتصل بها ، ومصارف الغنائم وما يتصل بها ، وقد بين القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وعمل الصحابة رضوان الله عليهم مصارف هذه الأبواب [(١٣٣٧)] .
١ . مصارف الزكاة :

ذكر المولى عز وجل ثمانية أصناف ممن تجب لهم الزكاة ، قال تعالى : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * } [التوبة : ٦٠] .

وقد كان الفقراء ، والمساكين في عهد عمر . رضي الله عنه . يُعطون من هذه الأموال ما يبعدهم عن المسكنة ، والفقير ، ويخرجهم من الفاقة ، والعوز ، ويقربهم إلى أدنى مراتب الغنى ، واليسار [(١٣٣٨)] ، وقد كان عمر . رضي الله عنه . يقول : إذا أعطيتهم ؛ فأغنوا [(١٣٣٩)] .

وهذه هي السياسة العمرية الرائدة ، وهي إعطاء ما يكفي ، وزيادة النسبة للعجز المؤقت ، أمّا العجز المزمّن من مرضٍ ، ونحوه ، فإنّ الزكاة بالنسبة لهذا الصنف من الناس معونة دائمة منتظمة حتى يزول الفقر بالغنى ، ويزول العجز بالقدرة ، والبطالة بالكسب ، وتعدّى هذه السياسة العمرية المسلمين ،

فتشمل مساكين أهل الكتاب بعد إسقاط الجزية عنهم [(١٣٤٠)] ، كما أنّ من نفقات الزكاة العاملين عليها ، فهم لهم وظائف شتى ، وأعمالاً متشعبة ، كلّها تتصل بتنظيم الزكاة ، وبإحصاء من تجب عليه ، وفيما تجب ، ومقدار ما يجب ، ومعرفة من تجب له ، وكم عددهم ، ومبلغ حاجتهم ، وقدر كفايتهم إلى غير ذلك من الشؤون التي تحتاج إلى جهازٍ كاملٍ من الخبراء ، وأهل الاختصاص ، ومن يعاونهم [(١٣٤١)] ، وأما المؤلفة قلوبهم فقد أسقط عمر سهمهم ، وذلك لأنّ الإسلام كان قوي الجانب في خلافته فلا حاجة للإنفاق من أموال الزكاة على هذا الصنف من الأصناف الثمانية ، التي نصّت عليها الآية [(١٣٤٢)] .

وأما في عصرنا الحاضر ؛ فلا يزال التّأليف موجوداً بصورةٍ ، أو أخرى ، ويوجد من تنطبق عليه شروط المؤلفة قلوبهم [(١٣٤٣)] .

وقد استغلّ بعض خصوم الإسلام ، ودعاة الجمود من المسلمين إسقاط نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة في عهد عمر ، فكتبوا عن هذه القصة ، وأدّعوا : أنّ عمر - رضي الله عنه - بهذا أوقف نصّاً من نصوص القرآن الكريم ، وهذا الادّعاء ليس بصحيح ، كما أنّه لا يتفق مع الحقيقة ، فالواقع : أنّ الخليفة عمر - رضي الله عنه - أوقف نصيب المؤلفة قلوبهم لسببٍ ، وحكمةٍ ، وهي : أنّ الإسلام أصبح عزيزاً قوياً بعد أن كان ضعيفاً في عهده الأوّل ، ورأى رضي الله عنه : أنّه لا داعي لتأليف هؤلاء ، وهؤلاء بعد العزة والنصرة ، والقوة [(١٣٤٤)] .

وقد وافق الصحابة على قرار الفاروق ، ولم تأت هذه الموافقة اعتباطاً وإنما نتيجة الاقتناع بالمبررات التي دفع بها لإيقاف إعطاء المؤلفة قلوبهم ، من حيث إنّ الإسلام قد غدا في قوّة ، ومكنته تجعلانه في غنى عن عددٍ قليلٍ لا وزن له بعد دخول أممٍ كثيرةٍ في الإسلام ، كما أنّه ليس ثمة خوفٌ من هؤلاء الذين يطلبون التّأليف ، بل كان الخوف عليهم أن يظّلوا على نزعتهم التّواكليّة ، ثمّ إنّ حقّ هؤلاء ليس حقّاً موروثاً يتوارثونه جيلاً بعد جيلٍ [(١٣٤٥)] .

إنّ عمر لم يقف جامداً أمام هذا النصّ فيما يتّصل بسهم المؤلفة قلوبهم ، فهو قد فهم : أنّ المقصود من النصّ هو إعزاز الإسلام بدخول أشرف العرب فيه ، وتثبيت من أسلم منهم على الإسلام ، فقد نظر إلى علّة النصّ لا إلى ظاهره ، وحيث أعزّ الله الإسلام ، وكثر أهله ، فقد أصبح الإعطاء حينئذٍ - في نظر عمر - ذلّةً ، وخنوعاً ، وزالت العلّة التي من أجلها جعل الله للمؤلفة قلوبهم نصيباً من الزكاة ، وبناء على ذلك أوقف عمر هذا السهم ، ولم يعطه لهم ، وبناءً على هذا الفهم الصّحيح لا يجوز أن نقول :

إِنَّ عمر ألقى العمل بالنَّصِّ القراني المتعلِّق بإعطاء المؤلِّفة قلوبهم نصيباً من الزَّكاة ؛ لأنَّ ذلك من قبيل النَّسخ ، ولا نسخ إلا من طرف صاحب الشَّرْع نفسه ، وعليه فلا نسخ بعد وفاة الرَّسول (ص) [(١٣٤٦)].

لقد كان عمر - رضي الله عنه - يراعي تغيُّر الظُّروف ، والعلل التي بنيت عليها نصوص الأحكام ، ولم يكن يقف مع ظواهرها ، كما سبق القول [(١٣٤٧)] ، كما كان الإنفاق في الرِّقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله وابن السبيل ، وقد اعتنى القرآن الكريم بابن السبيل أيما اعتناء ، فقد جعل له سهماً من الزَّكاة ، ونصيباً من الفياء ومن خمس الغنائم ، وعناية الإسلام بالمسافرين الغرباء ، والمنقطعين عنايةً فداءً ، لم يعرف لها نظيراً في نظام من الأنظمة ، أو شريعة من الشرائع ، ويؤكد هذه العناية هدي النَّبيِّ (ص) والصِّديق .

كما أنَّ عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - اتخذ في عهده داراً خاصَّةً أطلق عليها (دار الدَّقيق) ، وذلك : أنه جعل فيها الدَّقيق ، والسَّويق ، والتَّمْر ، والرَّيب ، وما يحتاج إليه ، يعين به المنقطع به ، والضَّيف ، ومن ينزل بعمر ، ووضع عمر في طريق السُّبل ما بين مكَّة والمدينة ما يصلح من ينقطع به ، ويحمل من ماء إلى ماء [(١٣٤٨)].

إِنَّ هذا التَّحديد للأصناف الثَّمانية يوجب على الدَّولة حصرهم ، وتبُّع حالتهم ، وأن يكون هناك سجلات في كلِّ بلدٍ ، ثمَّ في المقرِّ الرَّئيسي للدَّولة ، وقد كان للصدقة ديوانٌ خاصٌّ بها في دار الخلافة ، له فروعٌ في سائر الولايات ، وقد كان ذلك في عهد الخليفة عمر - رضي الله عنه - بعد تدوين الدَّواوين [(١٣٤٩)].

إِنَّ نظرةً إلى تلك الأصناف الثَّمانية الذين ذكرتهم الآية نلاحظ : أنَّها قد شملت المصالح الدِّينية ، والسِّياسية ، والاجتماعية من دعوة للجهاد في سبيل الله ، وتكوين الجيوش ، والعمل على القضاء على الفقر ، وسداد الدَّين ، ودفع الحاجة عن ذوي الحاجة ، أي : أنَّها تشمل كلَّ متطلبات المجتمع ، وإيجاد الأمن ، والمحبة ، والتالف بين أفرادهم [(١٣٥٠)].

٢ - مصارف الجزية ، والخراج ، والعشور :

تُصرف في أعطيات الخلفاء ، والعمَّال ، والجند ، والبيت ، وزوجات المجاهدين ، وغيرها من أوجه الخير .

. أعطيات الخليفة :

وقد فُرض للخليفة عمر - رضي الله عنه - من الأَعْطِيَاتِ خَمْسَةَ أَلْفٍ ، أو سِتَّةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ عَلَى رِوَايَةٍ أُخْرَى .

. أَعْطِيَاتِ الْعَمَالِ :

أَي : وِلَاةِ الْأَقْلِيمِ ، فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَيَّنَ الْفَارُوقُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ ، وَالْيَأْ حَازِمًا عَادِلًا لِحُكْمِهَا وَإِدَارَتِهَا ، وَزَوَّدَهُ بَعْدَ مِنْ الْأَعْوَانِ ، وَالْمُسَاعِدِينَ ، وَالْجَبَاةَ ، وَالْقَضَاةَ ، وَالْكَتَّابَ ، وَعَمَالَ الْخَرَاجِ ، وَالصَّدَقَاتِ ، وَغَيْرِهِمْ ، فَكَانَ لِلصَّلَاةِ ، وَالْحَرْبِ عَامِلٌ - وَهُوَ الْأَمِيرُ - وَلِتَحْصِيلِ الْأَمْوَالِ عَامِلٌ آخَرَ ، وَمِلْسَاةِ الْأَرْضِي ، وَتَقْدِيرِ الضَّرَائِبِ ،

وَإِحْصَاءِ النَّاسِ عَمَّالٌ لَهُمْ خَبْرَةٌ وَدِرَايَةٌ ، وَقَدْ أُجْرِيَ لَهُمُ الْأَعْطِيَاتُ بِمَا يَنْتَاسِبُ مَعَ مَنْصَبِ كُلِّ مِنْهُمْ ، وَمَا تَتَطَلَّبُهُ أَعْمَالُهُ ، مِرَاعِيًا فِي ذَلِكَ حَالَةَ الْإِقْلِيمِ مِنْ قَرْبٍ ، وَبَعْدٍ ، وَتَوْفُرُ خَيْرَاتٍ ، وَرُخْصٍ ، وَغَلَاةٍ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَصَرْفِهَا مَوْعِدًا ثَابِتًا لَا يَتَخَلَّفُ [(١٣٥١)] ، وَسَيَأْتِي الْحَدِيثُ عَنِ الْعَمَالِ بِالتَّفْصِيلِ - بِإِذْنِ اللَّهِ - عِنْدَ حَدِيثِنَا عَنْ مَوْسَسَةِ الْعَمَّالِ .

. أَعْطِيَاتِ الْجَنْدِ :

اهْتَمَّ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بِأَمْرِ الْجَنْدِ ، فَظَمَّ دِيْوَانَ الْجَيْشِ ، وَسَارَ فِي تَقْسِيمِ الْأَرْزَاقِ فِيهِ عَلَى أَسَاسِ الْقُرْبَى مِنَ النَّسَبِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ ، وَالسَّابِقَةِ لِلْإِسْلَامِ [(١٣٥٢)] ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ فِي مَقْدِمَةِ أَصْحَابِ الْمَعَاشَاتِ أَلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَهُمْ بَنُو هَاشِمٍ ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ يَتَسَلَّمُهَا ، وَيُوزَعُهَا عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ (ص) ، وَتَخْتَصُّ كُلُّ وَاحِدَةٍ بِمَعَاشٍ مُسْتَقِلٍّ عَنِ أَلِ الْبَيْتِ ، أَمَّا بَقِيَّةُ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَقَدْ قُسِّمُوا إِلَى طَبَقَاتٍ حَسَبَ تَرْتِيبِ اشْتِرَاكِهِمْ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَبَدَأَ بِأَهْلِ بَدْرٍ ، ثُمَّ مَنْ حَارَبُوا بَعْدَ بَدْرٍ إِلَى الْحُدَيْبِيَّةِ ، ثُمَّ مَنْ حَارَبُوا مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ إِلَى آخِرِ حُرُوبِ الرَّدَّةِ ، ثُمَّ مَنْ تَلَاهَمُ مَنْ شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ ، وَالْيَرْمُوكَ ، وَهَكَذَا ، كَمَا أَنَّهُ جَعَلَ مَخَصَّصَاتٍ لَزَوْجَاتِ الْمُحَارِبِينَ ، وَأَطْفَالِهِمْ مِنْذُ الْوِلَادَةِ ، وَلَمْ يَغْفَلَ أَمْرَ الْغُلَمَانِ ، وَاللُّقَطَاءِ ، بَلْ خَصَّصَ لَهُمْ أَعْطِيَاتٍ سَنَوِيَّةً ، أَدْنَاهَا مِئَةٌ دِرْهَمٍ تَتَزَايِدُ عِنْدَ بُلُوغِهِمْ [(١٣٥٣)] ، كَمَا فُرِضَ لِلْمَوَالِي مِنْ أَلْفٍ إِلَى أَلْفٍ [(١٣٥٤)] .

وَقَدْ وَرَدَتْ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ تَتَّفَقُ فِيهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَرْقَامِ الْمَقْرَرَاتِ الَّتِي قَرَّرَهَا الْخَلِيفَةُ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَعْطِيَاتٍ لِلْجَنْدِ ، وَتَخْتَلَفُ بَعْضُ الْاِخْتِلَافَاتِ فِي تِلْكَ الْمَقَادِيرِ [(١٣٥٥)] ، وَأَمَّا مَا صَحَّ مِنْ مَقَادِيرِ الْعَطَاءِ ، فَإِنَّ عَطَاءَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ (ص) كَانَ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ (١٠٠٠٠ دِرْهَمٍ) كُلِّ سَنَةٍ إِلَّا جَوَابِيَّةً ، وَصَفِيَّةً ، وَمِيمُونَةَ فَقَدْ فُرِضَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ ، ثُمَّ زَادَ عَطَاءَهُنَّ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفٍ دِرْهَمٍ (

١٢٠٠٠ درهم) إلا صفية ، وجويرية كان عطاؤهن ستة الاف درهم (٦٠٠٠ درهم) ، وقد طالبت عائشة بالمساواة بين أمهات المؤمنين ، فوافق عمر على مساواتهن .

وكان عطاء المهاجرين ، والأنصار أربعة الاف درهم (٤٠٠٠ درهم) لكل واحد سنوياً سوى عبد الله بن عمر بن الخطاب فإنه فرض له ثلاثة الاف وخمسمئة درهم (٣٥٠٠ درهم) معللاً ذلك بأنه هاجر به أبوه ؛ أي : ليس كمن هاجر بنفسه [(١٣٥٦)] ، وكان عبد الله صبيّاً حين الهجرة ، ثمّ زاد المهاجرين ألفاً ، فصار عطاؤهم خمسة الاف درهم (٥٠٠٠ درهم) كلّ

سنة [(١٣٥٧)] ، ويبدو : أنّ هذا العطاء للبدرين فقط من المهاجرين ، والأنصار [(١٣٥٨)] ، وأمّا من شهد صلح الحديبية ؛ فكان عطاؤه ثلاثة الاف درهم (٣٠٠٠ درهم) كلّ سنة [(١٣٥٩)] ، وفرض لكل مولود مئة درهم (١٠٠ درهم) وكان يفرض للفطيم ، ثمّ فرض للمولود حين ولادته خوفاً من تعجيل فطامه . وأمّا الموالي ؛ فقد فرض لأشرافهم كاهرمزان حينما أسلم ألفي درهم (٢٠٠٠ درهم) وغير ذلك من الأعطيات .

وإضافة إلى العطاء السنوي فإنّ عمر - رضي الله عنه - كان يورّع عطايا متفرقة [(١٣٦٠)] ، وإلى جانب ما خصّص لكل فرد ممّن سبق ذكرهم وزيادةً على عطائه السابق طعاماً من الخنطة كلّ شهر [(١٣٦١)] ، وقد قال الخليفة عمر - رضي الله عنه - في اخر عهده : لئن كثر المال لأفرضنّ لكل رجل أربعة الاف درهم ، ألفاً لسفره ، وألفاً لسلاحه ، وألفاً يخلفها لأهله ، وألفاً لفرسه ، وبغله [(١٣٦٢)] .

وقد روى الخليفة عمر - رضي الله عنه - : أنّ لكل مسلم حقّاً في بيت المال ، منذ أن يولد حتّى يموت ، ولقد أعلن هذا المبدأ بقوله : والله الذي لا إله إلا هو ! - ثلاثاً . ما من أحدٍ إلا له في هذا المال حقٌّ أعطيه ، أو مُنِعَه ، وما أحدٌ بأحقّ به من أحدٍ إلا عبدٌ مملوكٌ ، وما أنا فيه إلا كأحدكم ، ولكنّا على منازلنا من كتاب الله ، وقسمنا من رسول الله ، فالرجل وبلاؤه في الإسلام ، والرجل وقدمه في الإسلام ، والرجل وغناؤه في الإسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت ليأتينّ الرّاعي بجبل صنعاء حطّه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمرّ وجهه [(١٣٦٣)] !

ومن المهمّ أن نتبيّن وجهة نظر عمر - رضي الله عنه - في عدم المساواة بين المسلمين في العطاء ، ودعمه الواضح لقراية الرسول (ص) ، وكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ، واعتباره للسابقة في الإسلام والبلاء في الجهاد ، فلا شكّ : أنّ الفئة التي حازت الأموال الوفيرة في خلافته هي التي أقامت على

أكتافها صرح الدولة الإسلامية ؛ كما أنّها أكثر فقهاً ، والتزاماً بالشّرع ، ومقاصده ، وأكثر ورعاً وصلاًحاً في التّعامل مع المال ، وتذليله لتحقيق المقاصد الاجتماعيّة عن طريق الإنفاق ، ودعم هذه الفئة اقتصادياً يقوّي نفوذها في المجتمع ، ويجعلها أقدر على القيام بالأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر .

ويلاحظ : أنّ عمر - رضي الله عنه - عزم على تبديل سياسة التّفصيل في العطاء إلى المساواة ، وقد صرح بذلك في آخر خلافته قائلاً : لئن بقيت إلى قابلٍ لألحقنّ آخر الناس بأؤلّهم ، ولأجعلنّهم بيّناً واحداً [(١٣٦٤)] . أي : سواء . وأمّا عن نظرة عمر إلى الأموال العامّة فقد عبر عنها بقوله : إنّ الله جعلني خازناً لهذا المال ، وقاسماً له ، ثمّ قال : بل الله يقسمه [(١٣٦٥)] .

وقد بكى عندما رأى عظمة الأموال التي جلبت إلى بيت المال في فتوح فارس ، فلمّا ذكره عبد الرحمن بن عوف بأنّه يوم شكرٍ ، وسرورٍ ، وفرحٍ ؛ قال عمر : كلا إنّ هذا لم يُعطه قومٌ إلا ألقى بينهم العداوة ، والبغضاء [(١٣٦٦)] ، ونظر إلى أموال فتح جلولاء ، فقرأ الآية : { رُزِينَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ } [آل عمران : ١٤] وقال : اللّهُمَّ لا نستطيع إلا أن نفرح بما رزيت لنا ! اللّهُمَّ فاجعلي أنفقه في حقّه ، وأعوذ بك من شره [(١٣٦٧)] !

٣ . مصارف الغنائم :

أمّا توزيع الغنائم ، فقد قسمها الله تعالى ورسوله (ص) كما جاء في الآية الكريمة ، قال تعالى : { وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ } [الأنفال : ٤١] . وأمّا أربعة أخماس الغنيمة الباقية ؛ فكانت توزع بين الغانمين ، للفارس ثلاثة أسهم : سهمان لفارسه ، وسهم له . وللرّاجل سهم [(١٣٦٨)] ، وقد كان للرّسول (ص) سهم في حياته ينفقه على نفسه ، وأزواجه ، وما بقي من هذه الأسهم كان يجعله في المصالح العامة ، أو ينفقه على أهل الفاقة ، والاحتياج ، وكان لذوي قري الرّسول (ص) السّهم الثاني ، وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، الذين خضعوا للإسلام ، وشملتهم دعوته عليه الصّلاة ، والسّلام ، وقد اختلف النّاس بعد وفاة الرّسول (ص) في هذين السّهمين ، سهم الرّسول (ص) ، وسهم ذوي القربى ، فقال قوم : سهم الرّسول للخليفة من بعده .

وقال آخرون : سهم ذوي القربى لقراية الرّسول عليه الصّلاة والسّلام . وقالت طائفة : سهم ذوي القربى لقراية الخليفة من بعده ، فأجمعوا على أن جعلوا هذين السّهمين في الكراع ،

والسِّلاح [(١٣٦٩)] ، وبذلك أصبحت مخصّصات السّهمين تصرف في مصالح المسلمين العامّة ، كتجهيز الجيوش ، وسد الثُّغور ، والعمل على تقوية الدّولة ، وتمكينها في عهد الخليفة الثاني أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . وأمّا مخصّصات الفقراء والمساكين ، وأبناء السَّبيل ؛ فقد بقيت كما كانت على أيّام الرّسول (ص) ولم يطرأ عليها أيُّ تغيير ، أو تعديل في أيام الخليفة الثّاني رضي الله عنه [(١٣٧٠)] .

هذه بعض المعالم الواضحة على المؤسّسة الماليّة في زمن الفاروق ، وكيف عمل على تطويرها ، وقد كان رضي الله عنه شديد الورع في المال العامّ ، ويظهر ذلك في قوله : أنا أخبركم بما أستحلُّ من مال الله ، حلّة الشّتاء ، والقيظ ، وما أحج عليه ، وأعتمر من الظّهر ، وقوت أهلي كرجلٍ من قريش ، ليس بأغناهم ، ولا بأفقرهم ، أنا رجلٌ من المسلمين ، يصيبني ما يصيبهم [(١٣٧١)] . وكان يقول : اللّهُمَّ إِنَّكَ تعلم أنّي لا أكل إلاّ وجبتي ، ولا ألبس إلاّ حلّتي ، ولا اخذ إلاّ حقّي [(١٣٧٢)] ! وكان يقول : إني أنزلت مال الله مّيّ بمنزلة مال اليتيم { وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } [النساء : ٦] .

٤ . أمورٌ متعلّقةٌ بالتطوّر الاقتصادي في الدّولة :

- إصدار النّقود الإسلاميّة :

تعتبر النّقود من المعادن الثّمينة ، كالذهب ، والفضّة ، وهي وسيلةٌ ضروريّةٌ للحياة الاجتماعيّة الخاصّة ، والعامّة ، لا سيّما في التّعامل بين الأمم والدّول ، وما يعيننا من هذا الموضوع . وقد أصبح للإسلام دولةٌ فيها مسلمون ، وغيرهم من النّاس ، ويجاورها أممٌ ودولٌ ذات نظمٍ ، وحضاراتٍ ، ظلّت تتعامل مع الدّولة الإسلاميّة في عهد عمر ، وغيره من خلفاء وأمرء المسلمين . هو النّاحية التّنظيمية ، والإداريّة التي سلكها عمر بشأن النّقود ، سواءً أكان في داخل الدّولة الإسلاميّة أم في دور الحرب الأخرى [(١٣٧٣)] .

فالمعلومات التّاريخيّة تشير إلى أنّ عمر بن الخطّاب قد أبقى على تداول النّقود ، والعملّة التي كانت متداولة قبل الإسلام ، وفي عهد الرّسول (ص) ، وأبي بكر بما كان عليها من نقوشٍ هرقليةٍ عليها نقوشٌ مسيحيّةٌ ، أو كسرويّةٌ رُسم فيها بيت النّار ، بيد : أنّه أقرّها على معيارها الرّسمي المعروف على عهد النّبّي (ص) ، وأبي بكرٍ ، مضيفاً إليها كلمة جائر ، لتميزها من

البهارج الزائفات [١٣٧٤] ، فالذي ضرب النُقود المسكوكة في الخارج ، وأقرّ التعامل بها ، وقرر الدرهم الشرعي في الإسلام هو الفاروق . رضي الله عنه . يقول الماوردي : إنّ عمر بن الخطاب هو الذي حدّد مقدار الدرهم الشرعي [١٣٧٥] .

ويقول المقرئزي : وأوّل من ضرب النُقود في الإسلام عمر بن الخطاب سنة ثمانٍ عشرة من الهجرة على نقش الكسروية ، وزاد فيها : الحمد لله . وفي بعضها : لا إله إلا الله ، وعلى جزءٍ منها اسم الخليفة عمر [١٣٧٦] ، وعليه : فإنّ الفاروق . رضي الله عنه . قد وضع تنظيمًا خاصًا لوسيلةٍ من وسائل الحياة الضرورية للمسلمين ، وغيرهم أثناء حكمه ، وقد تبعه الخلفاء الراشدون ، وغيرهم ممّن طوّروا هذا الأمر مع تطوّر وتقدّم المدنيّة ، والحضارة [١٣٧٧] .

. الإقطاع :

مضى أبو بكر . رضي الله عنه . في تطبيق السّياسة النّبويّة في إقطاع الأراضي للنّاس طلباً لاستصلاحها ، فقد أقطع الزّبير بن العوّام أرضاً مواتاً ما بين الجرف ، وقناة [١٣٧٨] ، وأقطع مجّاعة بن مرارة الحنفي الخضرمة (قرية كانت باليمامة) وأراد إقطاع عيننة بن حصن الفزاري ، والأقرع بن حابس التّميمي أرضاً سبخةً . ليس فيها كلاً ، ولا منفعةً . أرادا استصلاحها ، ثمّ عدل عن ذلك أخذاً برأي عمر . رضي الله عنه . في عدم الحاجة لتأليفهما على الإسلام ، فقد قال لهما عمر . رضي الله عنه . : إنّ رسول الله (ص) كان يتألّفكما ، والإسلام يومئذٍ ذليلٌ ، وإنّ الله . عزّ ، وجلّ . قد أعزّ الإسلام ، فاذهبا ، فأجهدا جهدكما [١٣٧٩] .

ومن الواضح : أنّ اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي بل على أشخاص بعينهم لا يرى تأليفهم على الإسلام ، وقد توسّع عمر . رضي الله عنه . في إقطاع الأراضي لغرض استصلاحها جرياً على السّياسة النّبويّة ، فقد أعلن : يا أيّها النّاس من أحيا أرضاً ميتةً ؛ فهي له [١٣٨٠] ، وتعتضد اثارٌ ضعيفةٌ لتؤكد انتزاع عمر . رضي الله عنه . ملكية الأرض المقتطعة إذا لم يتمّ استصلاحها ، وتحّد روايةٌ ضعيفةٌ لذلك ثلاث سنوات من تاريخ الإقطاع ، وقد ثبت إقطاع عمر . رضي الله عنه . لخوّات بن جبير أرضاً مواتاً [١٣٨١] ، وللزّبير بن العوّام أرض

العقيق جميعها ، ولعليّ بن أبي طالب أرض ينبع ، فتدقّق فيها الماء الغزير ، فأوقفها عليّ . رضي الله عنه . صدقةً على الفقراء ، وتوجد اثارٌ ضعيفةٌ لإقطاعه عدداً من الصّحابة الاخرين [١٣٨٢] .

المبحث الثاني

المؤسسة القضائية

عندما انتشر الإسلام ، واتسعت رقعة الدولة في عهد عمر ، وارتبط المسلمون بغيرهم من الأمم ؛ دعت حالة المدينة الجديدة إلى تطوير مؤسسة القضاء ، فقد كثرت مشاغل الخليفة ، وتشعبت أعمال الولاية في الأمصار ، وزاد النزاع والتشاجر ، فرأى عمر - رضي الله عنه - أن يفصل الولايات بعضها عن بعض ، وأن يجعل سلطة القضاء مستقلة ، حتى يتفرغ الوالي لإدارة شؤون ولايته ، فأصبح للمؤسسة القضائية قضاءً مستقلاً عن الولايات الأخرى ، كولاية الحكم ، والإدارة ، فكان عمر بهذا أول من جعل للقضاء ولاية خاصة ، فعين القضاة في الأمصار الإسلامية : في الكوفة ، والبصرة ، والشام ، ومصر ، وجعل القضاء سلطة تابعة له مباشرة ، سواء كان التعيين من الخليفة ، أو كان بتفويض أحد ولاته بذلك نيابة عنه ، وهذا يدل على أن القيادة الإسلامية متمثلة في شخصية الفاروق ، لم تكن عاجزة عن وضع قواعد أصليّة ، في تنظيم الدولة ، وترتيب شؤونها ، وتحديد سلطاتها .

وإذا كانت أوربا قد اكتشفت هذه القاعدة بصورة نظريّة في القرن الثامن عشر ، واعتبرتها فتحاً جديداً في تنظيم الدولة ، وفي رعاية حقوق المواطنين ، يوم تحدث عنها (مونتسكيو) في كتابه روح الشرائع ، ولكن لم يكتب لهذه القاعدة التطبيق العملي إلا في أوائل القرن التاسع عشر ؛ أي : بعد الثورة الفرنسيّة ، فإنّ الإسلام قد أقرها قبل أربعة عشر قرناً ، واعتبرها أصلاً من أصول نظامه ، وقد كان هذا الأصل من زمن الرسول (ص) حين أرسل معاذاً إلى اليمن ، وسأله رسول الله (ص) بم تقضي يا معاذ ؟ فبين معاذ : أنه يقضي بكتاب الله ، فإن لم يجد ؛ فبسنة رسول الله ، فإن لم يجد ؛ يجتهد رأيه ، ولا يألو . فأقرّه الرسول (ص) على ذلك [(١٣٨٣)] .

وأما الفاروق ؛ فقد قام بتطوير المؤسسة القضائية وما يتعلّق بها من أمور ، وأصبح في عهده مبدأ فصل القضاء عن غيره من السلطات واضحاً في حياة الناس ، ولم يكن استقلال ولاية القضاء مانعاً لعمر - رضي الله عنه - من أن يفصل في بعض القضايا ، وربما ترك بعض ولاته يمارسون القضاء مع السلطة التنفيذية ، ويراسلهم في الشؤون القضائية ، فقد راسل المغيرة بن شعبة في أمر القضاء ، وكان واليه على البصرة ، ثم الكوفة ، وراسل معاوية واليه على الشام في النزاع القضائي ، وراسل أبا موسى الأشعري في

شأن بعض القضايا ، وكان القاضي يعيّن للولاية كلّها ، سواءً أكان تعيينه من قبل الخليفة ، أم كان من قبل الوالي بأمر الخليفة ، وكان مقرّ القاضي

حاضرة الولاية ، وإليه ترجع السُّلطة القضائيّة في ولايته [(١٣٨٤)] .

وقد تمّ فصل السُّلطة القضائيّة في الولايات الكبيرة على الغالب ، مثل : الكوفة ، ومصر ، وقد جمع لبعض ولاته بين الولاية ، والقضاء ؛ إذا كان القضاء لا يشغلهم عن شؤون الولاية ، وراسلهم بهذا الوصف في شؤون القضاء ، وأنّه كان يقوم بالقضاء في بعض الأحيان مع وجود قضاة له بالمدينة [(١٣٨٥)] ، ومن القضاة الذين قصرهم الفاروق في خلافته على القضاء وحده :

. عبد الله بن مسعودٍ : ولاة عمر قضاء الكوفة ، فقد روى قتادة عن مجلز : أنّ عمر بن الخطّاب بعث عمّار بن ياسر على صلاة أهل الكوفة ، وبعث عبد الله بن مسعود على بيت المال ، والقضاء [(١٣٨٦)] .

. سلمان بن ربيعة : ولاة عمر القضاء على البصرة ، ثمّ القادسيّة .

. قيس بن أبي العاص القرشي تولى قضاء مصر .

وأما الذين جمعوا بين الولاية ، والقضاء ، فمنهم :

. نافع الخزاعي والي مكّة ، ذكر ابن عبد البر : أنّ عمر بن الخطّاب استعمله على مكّة وفيهم سادة

قريش ، ثمّ عزله ، وولّى خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي [(١٣٨٧)] .

. يعلى بن أميّة والي صنعاء .

. سفيان بن عبد الله الثَّقفي والي الطائف .

. المغيرة بن شعبة والي الكوفة .

. معاوية بن أبي سفيان والي الشام .

. عثمان بن أبي العاص الثَّقفي والي البحرين ، وعمان .

. أبو موسى الأشعري والي البصرة .

. عمير بن سعد والي حمص .

ومن هؤلاء من أبقاه الفاروق على القضاء مع الولاية ، كما فعل مع معاوية ، ومنهم من فصل القضاء عن سلطته ، وقصره على الولاية ، كما فعل مع المغيرة ، وأبي موسى الأشعري ، ومن قضاة الفاروق بالمدينة :

. علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

. زيد بن ثابت . رضي الله عنه . فقد روي عن نافع : أن عمر استعمل زيد بن ثابت على القضاء ،
وفرض له رزقاً [(١٣٨٨)] .

. السائب بن أبي يزيد [(١٣٨٩)] رضي الله عنه .

أولاً : من أهم رسائل عمر إلى القضاة :

إنَّ الفاروق . رضي الله عنه . وضع دستوراً قوياً في نظام القضاء ، والتَّقاضي ، وقد اهتمَّ كثيرٌ من أعلام
الفقه الإسلامي بشرح هذا الدستور ، والتعليق عليه ، ونجد الدستور العمري في القضاء في رسالته لأبي
موسى الأشعري ، وهذا نصُّ الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس [(١٣٩٠)] ،
سلامٌ عليك ، أمّا بعد : فإنَّ القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم إذا أدلي إليك ، فإنه لا ينفع
تكلمٌ بحقٍ لا نفاذ له ، اس [(١٣٩١)] بين الناس في وجهك ، وعدلك ، ومجلسك حتى لا يطمع
شريفٌ في حيفك [(١٣٩٢)] ، ولا ييأس ضعيفٌ في عدلك . البينة على من ادعى ، واليمين على من
أنكر ، والصُّلح جائزٌ بين المسلمين إلا صلحاً أحلَّ حراماً ، أو حرَّم حلالاً ، لا يمنحك قضاءً قضيته
بالأمس ، فراجعت فيه عقلك ، وهُديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحقِّ ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ ، ومراجعة
الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل . الفهم ، الفهم فيما تلجلج في صدرك ممَّا ليس في كتابٍ ، ولا سنةٍ
، ثمَّ اعرف الأشباه ، والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحقِّ ،
واجعل لمن ادعى حقاً غائباً ، أو بيّنة أمدأ ينتهي إليه ، فإنَّ أحضر بيّنته ؛ أخذت له بحقه ، وإلا
استحللت [(١٣٩٣)] ، عليه القضية ، فإنه أنفى للشكِّ ، وأجلى للعمى . المسلمون
عدول [(١٣٩٤)] ، بعضهم على بعضٍ إلا مجلوداً في حدِّ ، أو مجرباً عليه شهادة زور ، أو ظنيناً في
ولاء ، أو نسبٍ ، فإنَّ الله تولى منكم السرائر ، ودرأ [(١٣٩٥)] بالبيّنات ، والأيمان .

وإيّاك والغلق [(١٣٩٦)] ، والضجر ، والتأدي للخصوم ، والتَّنكر عند الخصومات ، فإنَّ القضاء
في مواطن الحقِّ يعظم الله به الأجر ، ويحسن به الدُّخر ، فمن صحَّت نيّته ، وأقبل على نفسه ؛ كفاه
الله ما بينه وبين النَّاس ، ومن تخلَّق للنَّاس بما يعلم الله : أنه ليس من نفسه ؛ شانه الله ، فما ظنُّك
بثواب الله . عزَّ ، وجلَّ . في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته ، والسَّلام [(١٣٩٧)] .

وقد جمعت هذه الرسالة العجيبة اداب القاضي ، وأصول المحاكمة ، وقد شغلت العلماء بشرحها ، والتعليق عليها هذه القرون الطويلة ، ولا تزال موضع دهشة ، وإكبارٍ لكلٍ من يطلع عليها ، ولو لم يكن لعمر من الاثار غيرها ؛ لعدَّ بها من كبار المفكرين ، والمشرِّعين ، ولو كتبها رئيس دولة في هذه الأيام ؛ التي انتشرت فيها قوانين أصول المحاكمات ، وصار البحث فيها ممَّا يقرؤه الأولاد في المدارس ؛ لكانت كبيرةً منه ، فكيف وقد كتبها عمر منذ نحو أربعة عشر قرناً ، ولم ينقلها من كتابٍ ، ولا استمدَّها من أحدٍ ، بل جاء بها في ذهنه ثمرةً واحدةً من الاف الثمرات للغرسة المباركة التي غرسها في قلبه محمد (ص) ، حين دخل عليه في دار الأرقم ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله [(١٣٩٨)] .

ومن الرسائل المهمة في هذا الباب رسالة الفاروق إلى أبي عبيدة . رضي الله عنه .: أمَّا بعد فإنِّي كتبت إليك بكتابٍ لم الك ونفسي خيراً ، الزم خمس خصالٍ يسلم لك دينك ، وتأخذ بأفضل حظِّك : إذا حضر الخصمان ؛ فعليك بالبيِّنات العدول ، والأيمان القاطعة ، ثمَّ أدن الضَّعيف حتَّى تبسط لسانه ، ويجترأ قلبه ، وتعهدَّ الغريب ، فإنَّه إذا طال حبسه ؛ ترك حاجته ، وانصرف إلى أهله ، وإنَّ الذي أبطل حقَّه من لم يرفع به رأساً . واحرص على الصُّلح ما لم يستبن لك القضاء ، والسَّلام [(١٣٩٩)] .

وكتب رضي الله عنه إلى معاوية بن أبي سفيان . رضي الله عنهما . في القضاء : أمَّا بعد : فإنِّي كتبت إليك بكتابٍ في القضاء لم الك ونفسي فيه خيراً : الزم خمس خصالٍ يسلم لك دينك ، وتأخذ فيه بأفضل حظِّك : إذا تقدم إليك خصمان ؛ فعليك بالبيِّنة العادلة ، أو اليمين القاطعة ، وأدن الضَّعيف حتَّى يشتدَّ قلبه ، وينبسط لسانه ، وتعهدَّ الغريب ، فإنَّك إن لم تتعهده ؛ ترك حقَّه ، ورجع إلى أهله ، وإمَّا ضيِّع حقَّه من لم يرفق به ، واس بينهم في لحظك ، وطرفك ، وعليك بالصُّلح بين النَّاس ما لم يستبن لك فصل القضاء [(١٤٠٠)] .

وكتب إلى القاضي شريحٍ عن الاجتهاد : إذا أتاك أمرٌ ؛ فاقض فيه بما في كتاب الله ، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ، فاقض بما سنَّ فيه رسول الله ، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله ، ولم يسنَّه رسول الله ، ولم يتكلَّم فيه أحدٌ فأبىَّ الأمرين شئت ؛ فخذ به . وفي روايةٍ أخرى : فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدِّم ، وإن شئت أن تتأخَّر فتأخَّر ، وما أرى التَّأخَّر إلا خيراً لك [(١٤٠١)] .

ويمكن للباحث من خلال رسائل الفاروق وحياته في زمن خلافته أن يستخرج ما يتعلّق بالمؤسّسة القضائية في الأرزاق ، والعزل ، وأنواع القضاة ، وصفاتهم ، وما يجب عليهم ، ومصادر أحكامهم ، وخضوع الخليفة نفسه للقضاء ، وغير ذلك من المسائل المتعلّقة بهذه المؤسّسة .

ثانياً : تعيين القضاة ، ورزقهم ، واختصاصهم القضائي :

١ . تعيين القضاة :

يصدر تعيين القضاة من الخليفة رأساً ، فقد عيّن عمر بن الخطّاب شُريحاً بالكوفة . أو يكون التّعيين من الوالي بتفويض من الخليفة ، كما عين عمرو بن العاص والي مصر عثمان بن قيس بن أبي العاص قاضياً بها ، فحقّ تعيين القاضي إلى الخليفة ، إن شاء عيّنه بنفسه ، وإن شاء فوّضه إلى واليه ، ولم يكن تعيين القضاء مانعاً من أن يتولّى الخليفة القضاء بنفسه ؛ لأنّ القضاء من سلطاته ، وهو الذي يعهد بالقضاء إلى غيره ، فالحقّ الأول في القضاء إليه ، ولا يكتسب القاضي الصّفة القضائيّة إلا إذا عيّنه الخليفة بنفسه ، أو بواسطة واليه [(١٤٠٢)] . ويجوز للخليفة أن يعزل القاضي لسببٍ من الأسباب الدّاعية إلى ذلك ، كما إذا زالت أهلية القاضي ، وصلاحيته للحكم ، أو ثبت عليه ما يخلّ بواجب القضاء ، وإن لم يجد سبباً للعزل ، فالأولى ألا يعزله ؛ لأنّ القاضي معيّن لمصلحة المسلمين فيبقى ما دامت المصلحة محقّقة [(١٤٠٣)] .

وقد عزل عمر . رضي الله عنه . بعض القضاة ، وولّى غيرهم [(١٤٠٤)] ، مثلما عزل أبا مريم الحنفي ، فقد وجد فيه ضعفاً ، فعزله .

٢ . رزق القضاة :

كان عمر . رضي الله عنه . يوصي الولاة باختيار الصّالحين للقضاء ، وبإعطائهم المرتّبات التي تكفيهم [(١٤٠٥)] ، فقد كتب إلى أبي عبيدة ، ومعاذ : انظروا رجالاً صالحين ، فاستعملوهم على القضاء ، وارزقوهم [(١٤٠٦)] .

وقد ذكر الدّكتور العمري مرتّبات بعض القضاة في عهد عمر . رضي الله عنه . وهي كالآتي : سلمان بن ربيعة الباهلي (الكوفة) ٥٠٠ درهم كلّ شهرٍ ، شريح القاضي (الكوفة) ١٠٠ درهم كلّ شهرٍ ، عبد الله بن مسعود الهذلي (الكوفة) ١٠٠ درهم كلّ شهرٍ وربع شاة كلّ يوم ، وعثمان بن قيس بن أبي العاص (مصر) ٢٠٠ دينار ، وقيس بن أبي العاص السّهمي (مصر) ٢٠٠ دينار لضيافته [(١٤٠٧)] .

٣ . الاختصاص القضائي :

كان القاضي في عصر الخلافة الراشدة يقضي في الخصومات كلها ، أياً كان نوعها ، في المعاضات المالية ، وفي شؤون الأسرة ، وفي الحدود ، والقصاص ، وسائر ما يكون فيه الشجار ، وليس هناك ما يشير إلى ما يعرف اليوم بالاختصاص القضائي سوى ما جاء في تولية السائب بن يزيد بن أخت النمر من قول عمر بن الخطاب له : ردَّ عني الناس في الدرهم ، والدرهمين [(١٤٠٨)] .

ويجوز أن يعهد الخليفة إلى القاضي أن يقضي في قضية بعينها ، وينتهي اختصاصه بالنظر فيها ، وكان القضاة يقضون في الحقوق المدنية ، والأحوال الشخصية ، أمّا القصاص ، والحدود فكان الحكم فيها للخلفاء ، وأمراء الأمصار ، فلا بدَّ من موافقتهم على الحكم ، ثمَّ انحصرت الموافقة على تنفيذ حدِّ القتل بالخليفة وحده ، وبقي للولاة حقُّ المصادقة على أحكام القصاص دون القتل ، ولم يكن للقضاء مكانٌ مخصَّصٌ ، بل يقضي القاضي في البيت ، والمسجد . والشائع جلوسهم في المسجد [(١٤٠٩)] . ولم تكن الأفضية تسجل لقلتها ، وسهولة حفظها ، وكان بإمكان القاضي حبس المتهم للتأنيب ، واستيفاء الحقوق ، وقد فعل ذلك عمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، فكانت الدولة تهتأى السُّجون في مراكز المدن ، وكان القصاص ينفَّذ خارج المساجد [(١٤١٠)] .

ثالثاً : صفات القاضي ، وما يجب عليه :

. صفات القاضي :

من خلال سيرة عمر - رضي الله عنه - استنبط العلماء أهمَّ صفات القاضي المراد تعيينه :

- ١ . العلم بالأحكام الشرعية ؛ لأنه سيطبِّقها على الحوادث ، ويستحيل عليه تطبيقها مع الجهل بها .
- ٢ . التقوى : فقد كتب عمر إلى معاذ بن جبل ، وأبي عبيدة بن الجراح أن انظرا رجالاً من صالح من قبلكم فاستعملاهم على القضاء [(١٤١١)] .
- ٣ . الترفع عمًا في أيدي الناس : فقد قال عمر - رضي الله عنه - : لا يقيم أمر الله إلا من لا يصانع ، ولا يضارع [(١٤١٢)] ، ولا يتبع المطامع [(١٤١٣)] .
- ٤ . الفطنة والدكاء : ويشترط في القاضي أن يكون فطناً ذكياً ، ينتبه إلى دقائق الأمور . فعن الشعبي : أن كعب بن سور كان جالساً عند عمر ، فجاءته امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ما رأيت رجلاً قطُّ أفضل من زوجي ، والله إنَّه ليبيت ليله قائماً ، ويظلُّ نهاره صائماً في اليوم الحرِّ ما يفطر ! فاستغفر لها ، وأثنى عليها ، وقال : مثلك أثنى بالخير . قال : فاستحيت المرأة ، فقامت راجعةً ، فقال كعب : يا

أمير المؤمنين ! هلا أعديت المرأة على زوجها ؟ قال : وما شكت ؟ قال : شكت زوجها أشدَّ الشكايه ، قال : أو ذاك أرادت ؟ قال : نعم ، قال : ردُّوا عليَّ المرأة ، فقال : لا بأس بالحقِّ أن تقوليه ، إنَّ هذا زعم أنَّك تشكين زوجك ، إنَّه يجنب فراشك . قالت : أجل ! إنِّي امرأة شابَّة ، وإنِّي لأبتغي ما تبغي النِّساء ! فأرسل إليَّ زوجها ، فجاء ، فقال لكعب : اقض بينهما ، قال : أمير المؤمنين أحقُّ أن يقضي بينهما ، قال : عزمت عليك لتقضيَّ بينهما ! فإنَّك فهمت من أمرهما ما لم أفهمه ، قال : إنِّي أرى كأنَّها عليها ثلاثة نسوة هي رابعتهن ، فأقضي له بثلاثة أيَّامٍ لباليهنَّ يتعبَّد فيهن ، ولها يومٌ وليلة . فقال عمر : والله ما رأيك الأوَّل أعجب إليَّ من الآخر ! اذهب ، فأنت قاضٍ على البصرة [(١٤١٤)] .

٥ . الشدَّة في غير عنفٍ ، واللِّين من غير ضعفٍ . قال عمر : لا ينبغي أن يلي هذا الأمر إلا رجلٌ فيه أربع خصالٍ : اللِّين في غير ضعفٍ ، والشدَّة في غير عنفٍ ، والإمساك في غير بخلٍ ، والسَّماحة في غير سرفٍ [(١٤١٥)] ، وقال : لا يقيم أمر الله إلا رجلٌ يتكلَّم بلسانه كلمةً لا ينقُص غرْبُه ، ولا يطمع في الحقِّ على حدِّته [(١٤١٦)] .

٦ . قوَّة الشَّخصيَّة : قال عمر : لأعزلنَّ أبا مريم ، وأولَّين رجلاً إذا راه الفاجر ؛ فرقه . فعزله عن قضاء البصرة ، وولَّى كعب بن سور مكانه [(١٤١٧)] .

٧ . أن يكون ذا مالٍ وحسبٍ : فقد كتب عمر إلى بعض عماله : لا تستقضيَّ إلا ذا مالٍ ، وذا حسبٍ ؛ فإنَّ ذا المال لا يرغب في أموال النَّاس ، وإنَّ ذا الحسب لا يخشى العواقب بين النَّاس [(١٤١٨)] .

ما يجب على القاضي :

هناك أمورٌ بيَّنها الفاروق لا بدَّ للقاضي من مراعاتها لإقامة صرح العدالة ، منها :

١ . الإخلاص لله في العمل ، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعريِّ : إنَّ القضاء في مواطن الحقِّ يوجب الله له الأجر ، ويحسن به الدُّخر ، فمن خلُصت نيَّته في الحقِّ ، ولو كان على نفسه ؛ كفاه الله ما بينه وبين النَّاس ، ومن تزَيَّن بما ليس في قلبه ؛ شأنه الله ، فإنَّ الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصاً ، وما ظنُّك بثواب غير الله في عاجل رزقه ، وخزائن رحمته [(١٤١٩)] .

٢ . فهم القضية فهماً دقيقاً : ودراستها دراسةً واعيةً قبل النُّطق بالحكم ، ولا يجوز له النُّطق بالحكم قبل أن يتبيَّن له الحقُّ ، فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعريِّ : افهم إذا أدلي إليك . وقال أبو موسى مرَّةً :

لا ينبغي لقاضي أن يقضي حتى يتبين له الحق كما يتبين له الليل ، والنهار ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فقال : صدق أبو موسى [(١٤٢٠)] .

٣ . الحكم بالشريعة الإسلامية : سواء كان الخصوم من المسلمين أم من غير المسلمين . فعن زيد بن أسلم أن يهودية جاءت إلى عمر بن الخطاب ، فقالت : إن ابني هلك ، فزعمت اليهود : أنه لا حق لي في ميراثه ، فدعاهم عمر ، فقال : ألا تعطون هذه حقها ؟ فقالوا : لا نجد لها حقاً في كتابنا ! فقال : أفي التوراة ؟ قالوا : بل في المشناة ، قال : وما المشناة ؟ قالوا : كتاب كتبه أقوام علماء ، وحكماء . فسبهم عمر ، وقال : اذهبوا ، فأعطوها حقها [(١٤٢١)] .

٤ . الاستشارة فيما أشكل عليه من الأمور ؛ فقد كتب عمر إلى أحد القضاة : واستشر في دينك الذين يخشون الله عزّ ، وجلّ [(١٤٢٢)] . وكتب إلى شريح : وإن شئت أن تؤامرنى ، ولا أرى مؤامرتك إيتاي إلا أسلم لك [(١٤٢٣)] . وكان عمر كثير الاستشارة ، حتى قال الشعبي : من سرّه أن يأخذ بالوثيقة من القضاء ؛ فليأخذ بقضاء عمر ، فإنه كان يستشير [(١٤٢٤)] .

٥ . المساواة بين المتخاصمين ، وقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : سو بين الناس في وجهك ، ومجلسك ، وعدلك ، حتى لا يطمع شريف في حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك . وكتب أيضاً : اجعلوا الناس عندكم في الحق سواءً ، قريهم كبعيدهم ، وبعيدهم كقريهم . وعندما ادعى أبي بن كعب على عمر دعوى . في حائط . فلم يعرفها عمر ، فجعلها بينهما زيد بن ثابت ، فأتيها في منزله ، فلمّا دخلا عليه ؛ قال له عمر : جئناكم لتقضي بيننا . وفي بيته يؤتى الحكم . قال : فتنحى له عن صدر فراشه . وفي رواية : فأخرج له زيد وسادةً ، فألقاها إليه . وقال : ها هنا يا أمير المؤمنين ! فقال عمر : جرت يا زيد في أول قضائك ، ولكن أجلسني مع خصمي ! فجلسا بين يديه [(١٤٢٥)] .

٦ . تشجيع الضعيف : حتى يذهب عنه الخوف ، ويجترأ على الكلام ، فقد كتب عمر إلى معاوية : أدن الضعيف حتى يجترأ قلبه ، وينسط لسانه [(١٤٢٦)] .

٧ . سرعة البت في دعوى الغريب ، أو تعهده بالرعاية ، والنفقة : وقد كتب عمر إلى أبي عبيدة : تعاهد الغريب فإنه إن طال حبسه . أي : طال إقامته ، وبعده عن أهله من أجل هذه الدعوى . ترك حقه وانطلق إلى أهله ، وإنما أبطل حقه من لم يرفع به رأساً [(١٤٢٧)] .

٨ . سعة الصدر : فقد كتب عمر إلى أبي موسى : إياكم والضجر ، والغضب ، والقلق ، والتأذي بالناس عند الخصومة ، فإذا رأى القاضي من نفسه شيئاً من هذا ، فلا يجوز له النطق بالحكم حتى

يذهب عنه ذلك ، لئلا يكون الدافع إلى الحكم حالة نفسية معينة ، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : ولا تحكم وأنت غضبان [(١٤٢٨)] . وعن شريح ، قال : شرط عليّ عمر حين ولاي القضاء ألا أقضي وأنا غضبان [(١٤٢٩)] ، ومما يؤدي إلى ضيق الصدر ويدفع أحياناً إلى الاستعجال المخجل في البت في بعض القضايا الجوع ، والعطش ، ونحو ذلك ، ولذلك قال عمر : لا يقضي القاضي إلا وهو شعبان ، ريان [(١٤٣٠)] .

٩ . تجنب كل ما من شأنه التأثير على القاضي : كالرشوة ، وتساهل التجار معه في البيع ، والشراء ، والهدايا ، ونحو ذلك ، ولذلك منع عمر القضاة من العمل بالتجارة ، والصفق بالأسواق ، وقبول الهدايا ، والرشاوى ، فكتب إلى أبي موسى الأشعري : لا تبيعن ، ولا تبتاعن ، ولا تضاربن ، ولا ترتش في الحكم . وقال شريح : شرط عليّ عمر حين ولاي القضاء ألا أبيع ، ولا أبتاع ، ولا أرشى . وقال عمر : إيّاكم والرشا ، والحكم بالهوى [(١٤٣١)] .

١٠ . الأخذ بالأدلة الظاهرة دون البحث عن التوايا: فقد خطب عمر بالناس فكان ممّا قال : إنّنا كنّا نعرفكم ورسول الله فينا ، والوحي ينزل ، وينبئنا بأخباركم ، وأمّا اليوم فإنّنا نعرفكم بأقوالكم ، فمن أعلن لنا خيراً؛ ظننا به خيراً، وأحببناه عليه، ومن أعلن لنا شراً؛ ظننا به شراً ، وأبغضناه عليه ، وسرأتركم فيما بينكم وبين الله [(١٤٣٢)] .

١١ . الحرص على الصلح بين المتخاصمين : قال عمر : ردّوا الخصوم حتّى يصطلحوا ، فإنّ فصل القضاء يورث الصغائن بين الناس ، فإن عادوا بصلح يتفق مع شرع الله أمضاه القاضي ، وإن كان صلحهم لا يتفق مع أحكام الشريعة نقضه القاضي . قال عمر : الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً ، أو حرّم حلالاً [(١٤٣٣)] ، وعلى القاضي أن يحرص على الصلح خاصّة بين المتخاصمين ؛ إذا لم يتبيّن له الحق ، فقد كتب عمر إلى معاوية : احرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء ، أو كانت بينهم قرابة ، فإنّ فصل القضاء يورث الشنآن [(١٤٣٤)] .

١٢ . العودة إلى الحق : إذا أصدر القاضي حكماً في قضية من القضايا ثمّ تعيّر اجتهاده في الحكم فيها ؛ فلا يجوز له أن يجعل للاجتهاد الجديد أثراً رجعيّاً ، فينقض به الحكم الذي أصدره قبل تعيّر اجتهاده ، كما لا يجوز لقاضٍ بعده أن ينقض الحكم الصادر . فعن سالم بن أبي الجعد ، قال : لو كان عليّ طاعناً على عمر يوماً من الدهر ؛ لطن عليه يوم أتاه أهل نجران ، وكان عليّ كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبيّ (ص) ، فكثروا على عهد عمر حتّى خافهم على الناس ، فوقع بينهم الاختلاف ، فأتوا

عمر ، فسألوه البدل ، فأبدلهم ، ثم ندموا ، ووقع بينهم شيءٌ ، فأتوه ، فاستقالوه ، فأبى أن يقلبهم ، فلماً وُلِّيَ عليٌّ ؛ أتوه ، فقالوا : يا أمير

المؤمنين ! شفاعتك بلسانك ، وخطك بيمينك . فقال عليٌّ : ويحكم ! إنَّ عمر كان رشيد الأمر [(١٤٣٥)] . فعمر - رضي الله عنه - رفض نقض القضاء الأوَّل الذي قضاه فيهم ، ورفض عليٌّ - من بعد عمر - نقض القضاء الذي قضاه عمر فيهم [(١٤٣٦)] .

وقد حدث كثيرٌ من التعيُّر في اجتهاد عمر في قضايا كثيرة ، منها الحكم في الجِدِّ مع الإخوة ، واشتراك الإخوة لأبٍ وأمٍّ مع الإخوة لأُمٍّ في الثلث عندما لم يبق للإخوة لأبٍ وأمٍّ من الميراث شيءٌ ، ولم ينقل : أنَّه عاد إلى قضائه الأوَّل ، فنقضه ، ولكنَّه يعمل باجتهاده الجديد في القضايا المستقبلية ، ولا يمنعه حكمه القديم من اتِّباع الحقِّ إذا لاح له ، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعريِّ : ولا يمنعك قضاءٌ قضيت به اليوم ، فراجعت فيه رأيك ، وهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحقَّ ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ ، ولا يبطله شيءٌ ، ومراجعة الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل [(١٤٣٧)] ، وبناءً على ذلك فقد قضى عمر بن الخطَّاب في الجِدِّ بقضايا مختلفة ، وقضى في امرأةٍ توفيت ، وتركت زوجها ، وأمَّها ، وأخويها لأبيها وأمَّها ، وأخويها لأُمِّها ، فأشرك عمر بين الإخوة للأُمِّ والأب والأخوة لأُمٍّ في الثلث ، فقال له رجل : إنك لم تشرك بينهم عام كذا ، وكذا . قال عمر : تلك على ما قضينا يومئذٍ ، وهذه على ما قضينا اليوم [(١٤٣٨)] .

١٣ - تقرير البراءة للمُتهم حتى تثبت إدانته : فعن عبد الله بن عامر ، قال : انطلقتُ في ركبٍ ؛ حتى إذا جئنا ذا المروة ؛ سُرقت عبيبةٌ لي ، ومعنا رجلٌ منهم ، فقال له أصحابي : يا فلان ! اردد عليه عبيته ، فقال : ما أخذتها ! فرجعت إلى عمر بن الخطَّاب ، فأخبرته . فقال : من أنتم ؟ فعددتهم ، فقال : أظنُّه صاحبها . لِلَّذِي أَتُّم . فقلت : لقد أردت يا أمير المؤمنين اتى به مصفوداً ! قال عمر : أتأتى به مصفوداً بغير بيِّنة [(١٤٣٩)] .

١٤ - لا اجتهاد في مورد النَّصِّ : قال عمر : ثمَّ الفهمَ الفهمَ فيما أُدلي إليك ممَّا ورد عليك ممَّا ليس في قرآنٍ ، ولا سنَّةٍ ، ثمَّ قايِسِ الأمور [(١٤٤٠)] . هذا أهم ما يجب على القاضي أن يلتزم به .

١٥ - إخضاع القضاة أنفسهم لأحكام القضاء :

كان عمر - رضي الله عنه - أوَّل من يخضع للقضاة ، وهو في ذروة الخلافة خضوعاً يزيِّته الرِّضا القلبي بالحكم ، ويتوجَّه بالإعجاب الواضح إذا ما أصاب ، والثَّناء الصادق على القاضي

حتى ولو صدر الحكم ضده [١٤٤١]، وهذا مثال على ذلك، فقد ساوم عمر أعرابياً على فرسٍ ، فركبه ليجرِّبه ، فعطِبَ الفرسُ ، فقال عمر : خذ فرسك . قال الرَّجُلُ : لا . قال عمر : فاجعل بيني وبينك حكماً ، قال الرَّجُلُ : شريح . فتحاكما إليه ، فلمَّا سمع ، قال : يا أمير المؤمنين ! خذ ما اشتريت، أو ردِّ كما أخذت. فقال عمر: وهل القضاء إلا هكذا ؟ فبعثه إلى الكوفة قاضياً [١٤٤٢]

رابعاً : مصادر الأحكام القضائية :

اعتمد القضاء في العهد الرَّاشدي على المصادر نفسها التي اعتمدها رسول الله (ص) ، وقضاته ، وهي : الكتاب ، والسُّنَّة ، والاجتهاد ، ولكن ظهر في العهد الرَّاشدي أمران :

. تطوُّر معنى الاجتهاد ، والعمل به ، وما نتج عنه من مقدِّماتٍ ، ووسائلٍ ، وغاياتٍ ، فظهرت المشاورة ، والشُّورى ، والإجماع ، والرأي ، والقياس .

. ظهور مصادر جديدة لم تكن في العهد النَّبويِّ ، وهي السَّوابق القضائية التي صدرت عن الصَّحابة من عهد خليفةٍ إلى خليفةٍ آخر ، فصارت مصادر القضاء في العهد الرَّاشدي هي : الكتاب ، والسُّنَّة ، والاجتهاد ، والإجماع ، والقياس ، والسَّوابق القضائية ، ويظلل ذلك كله الشُّورى ، والمشاورة في المسائل ، والقضايا ، والأحكام ، وقد وردت نصوصٌ كثيرةٌ ، ورواياتٌ عديدةٌ تؤكد هذه المصادر السَّابقة ، ونقتطف جانباً منها [١٤٤٣] :

١ . قال الشَّعْبِيُّ عن شُرَيْحٍ : قال لي عمر : اقض بما استبان لك من كتاب الله ، فإن لم تعلم كلَّ كتاب الله ؛ فاقض بما استبان لك من قضاء رسول الله (ص) ، فإن لم تعلم كلَّ أفضية رسول الله ؛ فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين ، فإن لم تعلم كلَّ ما قضى به أئمة المهتدين ؛ فاجتهد رأيك ، واستشر أهل العلم ، والصَّلاح [١٤٤٤] .

٢ . وعن ابن شهابِ الزُّهريِّ : أنَّ عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . قال ؛ وهو على المنبر : يا أيها النَّاس ! إنَّ الرأيَ إمَّا كان من رسول الله (ص) مصيباً أنَّ الله كان يُريه ، وإمَّا هو ممَّا الظُّنُّ ، والتكُّلف [١٤٤٥] . وروي عنه : أنَّه قال : هذا رأي عمر ، فإن يكن صواباً ؛ فمن الله ، وإن يكن خطأ ؛ فمن عمر [١٤٤٦] .

٣ . قال ابن القِيَمِ : فلمَّا استخلف عمر ؛ قال : إنِّي لأستحيي من الله أن أَرَدَّ شيئاً قاله أبو بكر [١٤٤٧] . وأكَّد ذلك عمر أيضاً في كتابٍ آخر إلى شُرَيْحٍ ، قال فيه : أن اقض بما في كتاب

الله ، فإن لم يكن في كتاب الله ؛ فبسنة رسول الله ، فإن لم يكن في سنة رسول الله ؛ فاقض بما قضى به الصالحون [(١٤٤٨)] .

٤ . وأما الإجماع ؛ فإن لم يجد القاضي نصاً في القرآن ، والسنة ؛ رجع إلى العلماء ، واستشار الصحابة ، والفقهاء ، وعرض عليهم المسألة ، وبحثوا فيها ، واجتهدوا ، فإن وصل اجتهادهم إلى رأي واحد ؛ فهو الإجماع ، وهو اتفاق مجتهدي عصر من أمة محمد (ص) على أمر شرعي ، وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي باتفاق العلماء ، وظهر لأول مرة في العهد الراشدي ، ووردت فيه نصوص كثيرة ، وبحوث طويلة في كتاب الفقه ، وأصول الفقه ، وتاريخ التشريع ، ولكن القضايا والمسائل التي حصل فيها الإجماع قليلة ، وإن إمكانيتها محصورة في المدينة المنورة عاصمة الخلافة ، ومجمع الصحابة ، والعلماء ، والفقهاء ، وهذا يندر في الأمصار الأخرى [(١٤٤٩)] ، فمن ذلك ما روي : أن ابن عباس قال لعثمان . رضي الله عنهم . : الأخوان في لسان قومك ليسا إخوة ، فلم تحجب بهما الأم من الثلث إلى الشدس في قوله تعالى : { فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ الشُّدُسُ } [النساء : ١١] ؛ فقال : لا أستطيع أن أنقض ما كان قبلي ، ومضى في البلدان ، وتوارث به الناس . وهذا معناه : أنه إجماع تم قبل مخالفة ابن عباس ، ولا يعتد بمخالفته . والإجماع يتضمن ثلاثة عناصر رئيسية : المشاورة ، والاجتهاد ، والاتفاق ، فإن فقد عنصر منها ؛ لجأ القاضي إلى المصدر التالي .

٥ . السوابق القضائية : التي قضى بها السابقون من الخلفاء ، والصالحين ، وكبار الصحابة . رضي الله عنهم . وهذا ما عبر عنه صراحة عمر . رضي الله عنه . في سوابق أبي بكر ، وما أمر به قضاة ، وولاته ، كما سبق [(١٤٥٠)] ، وهذا ما بينه صراحة ابن القيم تحت عنوان (رأي الصحابة خير من رأينا لأنفسنا) وقال : وحقيق بمن كانت ارواهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيراً من رأينا لأنفسنا ، وكيف لا؟! وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نوراً ، وإيماناً ، وعلماً ، ومعرفةً ، وفهماً عن الله ورسوله ، ونصيحةً للأمة ، وقلوبهم على قلب نبيهم ، ولا واسطة بينهم وبينه ، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضاً طرياً ، لم يشبهه

إشكال ، ولم يشبهه خلاف ، ولم تدنسه معارضة ، فقياس رأي غيرهم بارائهم من أفسد القياس [(١٤٥١)] .

٦ . القياس : لكن السوابق القضائية قليلة أيضاً ، فإن لم يجد القاضي نصاً ، ولا إجماعاً ، ولا سابقة قضائية اعتمد على الاجتهاد ، كما جاء في حديث معاذ ، ويأتي في أوليات الاجتهاد قياس مسألة لم

يرد فيها نصٌّ بمسألةٍ ورد فيها نصٌّ ، وهو المصدر الرَّابِع للتَّشريع ، والفقه ، والأحكام ، وهذا ما جاء في رسالة عمر . رضي الله عنه . لأبي موسى الأشعري ، قال : ثمَّ قايِس الأمور عند ذلك ، واعرف الأمثال ، ثمَّ اعمد فيما ترى إلى أحبِّها إلى الله ، وأشبهها بالحقِّ [(١٤٥٢)] .

٧ . الرَّأي : فإن لم يكن للمسألة ، والقضية أصلٌ من النُّصوص لتقاس عليها ؛ اعتمد القاضي على الاجتهاد بالرَّأي فيما هو أقرب إلى الحقِّ ، والعدل ، والصَّواب وقواعد الشَّرْع ، ومقاصد الشَّرِيعَة ، وهو ما تكرر في النُّقول السَّابقة ، في رسائل عمر لشريح ، وغيره [(١٤٥٣)] وكانت المشاورة ، والشُّورى من أهمِّ الوسائل التي يستعين بها القضاة ، كما ورد في الرِّوايات ، والكتب ، والرَّسائل السَّابقة ، هو ما أكَّده عمر . رضي الله عنه . قولاً ، وفعلاً ، لكثرة محبَّته للشُّورى مع فقهه ، وقَلَمًا يُقَدِّم على أمرٍ إلا بعد استشارة كبار الصَّحابة ، وفقهائهم [(١٤٥٤)] . وعن الشَّعبي ، قال : كانت القضية ترفع إلى عمر . رضي الله عنه . فربَّما يتأَمَّل في ذلك شهراً ، ويستشير أصحابه [(١٤٥٥)] .

خامساً : الأدلَّة التي يعتمد عليها القاضي :

إنَّ الأدلَّة التي يعتمد عليها القاضي في إصدار الحكم هي :

١ . الإقرار ، وتعتبر الكتابة نوعاً من الإقرار .

٢ . الشَّهادة : وعلى القاضي أن يتحقَّق من صلاحية الشُّهود لأداء الشَّهادة ، فإن لم يعرفهم هو ؛ طلب منهم أن يأتوا بمن يعرفهم ، فقد شهد رجل عند عمر بشهادةٍ ، فقال له : لست أعرفك ، ولا يضرك أن لا أعرفك ، أت بمن يعرفك ، فقال رجلٌ من القوم : أنا أعرفه . فقال : بأيِّ شيءٍ تعرفه ؟ قال : بالعدالة ، والفضل ، قال : فهو جازك الأدنى الذي تعرف ليله ونهاره ، ومدخله ومخرجه ؟ قال : لا . قال : فهل عاملك بالدينار والدِّرهم اللذين بهما

يُستدلُّ على الورع ؟ قال : لا . قال : فريقك في السَّفَر الذي يُستدلُّ به على مكارم الأخلاق ؟ قال : لا . قال : لست تعرفه [(١٤٥٦)] .

والشَّهادة مقدَّمة على اليمين سواءً أقامها صاحبها قبل أن يحلف خصمه اليمين ، أو بعد أن يحلف اليمين ، فإذا استُحلف المدَّعي عليه على دعواه ، فحلفه القاضي على ذلك ، ثمَّ أتى المدَّعي بالبينة بعد ذلك على تلك الدَّعوى ، قبلت بيئته ، وردَّت اليمين ، قال عمر : اليمين الفاجرة أحقُّ أن تردَّ من البيئَة العادلة [(١٤٥٧)] ، والمطالب بالشَّهادة هو المدَّعي ، فقد كتب عمر إلى أبي موسى فيما كتب : البيئَة على المدَّعي ، واليمين على من أنكر [(١٤٥٨)] ، فإن لم يتوفر عند المدَّعي إلا شاهدٌ واحد

اعتبر بشهادته ، وحلف معها المدعي اليمين ، فقد كان عمر يقضي في المال باليمين مع الشاهد الواحد [(١٤٥٩)] .

٣ . اليمين : ولا يلجأ القاضي إلى تحليف اليمين إلا عند عجز المدعي عن إقامة البينة ومطالبة المدعي باليمين ، فإن حلف قضي بيمينه ، وقد قضى عمر على وادعة بالقسامة فحلفوا ، فأبرأهم من الدّم ، وقد تحاكم عمر ، وأبي بن كعب إلى زيد بن ثابت في نخلٍ ادّعاه أبيّ ، فتوجّهت اليمين على عمر ، فقال زيد : اعف أمير المؤمنين . قال عمر : ولم يعف أمير المؤمنين ؟ إن عرفت شيئاً استحقته بيميني ، وإلا تركته ، والذي لا إله إلا هو إن النخل لنخلي ، وما لأبيّ فيه حقٌّ ! فلمّا خرجا ؛ وهب النخل لأبيّ . فقيل له : يا أمير المؤمنين ! هلا كان هذا قبل اليمين ؟ فقال : خفت ألا أحلف فلا يحلف الناس على حقوقهم بعدي ، فتكون سنّة [(١٤٦٠)] .

ولا يجوز لمن استحقّت عليه اليمين أن يمتنع عنها ورعاً ، وقد رأينا فيما تقدّم كيف أنّ عمر حلف ، فلمّا استحقّ الحقّ ؛ تنازل عنه .

وكان عمر - رضي الله عنه - يغلظ الأيمان على بعض المتخاصمين بتحليفهم إيّاه في مكان يوقع الرّهبة في نفوسهم ، فلا يجروون على الكذب فيها ، فقد حلّف جماعة مرّة في الحجر ، واستحلف آخر بين الركن ، والمقام [(١٤٦١)] .

٤ . القيافة في قضايا إثبات النسب : وهي من القرائن القويّة التي يُحكم بمقتضاها ، دلّ على ذلك سنّة رسول الله (ص) ، وعمل الخلفاء الرّاشدين ، والصّحابة ، وقد أثبت الحكم بالقيافة عمر بن الخطّاب ، وابن عباس ، وغيرهم [(١٤٦٢)] .

٥ . والقرائن بابٌ واسعٌ يتفنّن القضاة في استنباطها ، ويعتبر من القرائن القويّة قرينة الحبل للمرأة التي لم يسبق لها زواجٌ ، فهو يعتبر دليلاً على الرّزق ، ومثله الولادة لمُدّة أقل من مدّة الحمل ، ومنها وجود ميتين أحدهما فوق الآخر ، فإنّ هذا الوضع قرينة قويّة على أنّ الذي مات أولاً هو الأسفل ، وأنّ الذي مات آخراً هو الأعلى ، ولذلك فقد كان عمر في طاعون عمواس إن كانت يد أحد الميتين ، أو رجله على الآخر ؛ ورث الأعلى من الأسفل ولم يورث الأسفل من الأعلى ، ومن القرائن القويّة على شرب الخمر وجودها في القيء ، وقد أقام عمر حدّ الشُّرب على مَنْ وجدها في قيئه [(١٤٦٣)] .

٦ . علم القاضي : لا يعتبر علم القاضي في الحدود دليلاً يحوّل له إصدار الحكم على المتهم ، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري ألا يأخذ الإمام بعلمه ، ولا ظنّه ، ولا بشبهته [(١٤٦٤)] ، وقال لعبد

الرحمن بن عوف : رأيت لو رأيت رجلاً قتل ، أو سرق ، أو زنى ، قال : أرى شهادتك شهادة رجلٍ من المسلمين ، قال عمر : أصبت [(١٤٦٥)] ، وأما في غير الحدود ؛ فقد اختلفت الرواية عن عمر في اعتبار علم القاضي حجةً تحوّل القاضي الاعتماد في الحكم إن لم يتوقّر من الأدلة غيرها [(١٤٦٦)] .

هذا وقد كان عمر - رضي الله عنه - حريصاً على عدم تشجيع الناس على الاعتراف بخطاياهم ، بل يريد لهم السّتر والتّوبة فيما بينهم وبين الله تعالى ، فلمّا خطب شرحبيل بن السّمط الكندي ، وكان يتولّى مسلحةً [(١٤٦٧)] دون المدائن ، فقال : أيها الناس ! إنكم في أرض الشّراب فيها فاشٍ ، والنّساء فيها كثيرٌ ، فمن أصاب منكم حدّاً ، فليأتنا فلنقم عليه الحدّ ، فإنّه طهوره ، فبلغ ذلك عمر ، فكتب إليه : « لا أحلُّ لك أن تأمر النّاس أن يهتكوا ستر الله ؛ الذي سترهم » [(١٤٦٨)] . ولكن إذا رفع النّاس الأمر إلى القضاء ، فإنّ الدّولة كانت تقيم الحدود دون هواده [(١٤٦٩)] .

وكان رضي الله عنه عندما يريد أن يحكم بين خصمين يدعو بهذا الدّعاء : اللّهم إن كنت تعلم أبيّ أبالي إذا قعد الخصمان على من كان الحقُّ من قريبٍ ، أو بعيدٍ فلا تمهلي طرفه عين [(١٤٧٠)] !

سادساً : من أحكام الفاروق ، وعقوباته في بعض الجرائم ، والجنايات :

١- تزوير الخاتم الرّسمي للدّولة :

حدث في عهد الفاروق - رضي الله عنه - أمرٌ خطيرٌ لم يحدث من قبل ، ذلك أن معن بن زائدة استطاع أن يزور خاتم الدّولة بنقشه مثله ، وأخذ به مالاً من بيت مال المسلمين ، ورفّع أمره إلى عمر - رضي الله عنه - فضربه عمر مئةً وحبسه ، فكلم فيه فضربه مئةً أخرى ، فكلم فيه من بعد فضربه مئةً ، ونفاه [(١٤٧١)] .

٢- رجل سرق من بيت المال بالكوفة :

لم يقطع عمر من سرق من بيت المال ، فقد سأل ابن مسعود عمر عمّن سرق من بيت المال ، فقال : أرسله فما من أحدٍ إلا وله في هذا المال حقٌّ [(١٤٧٢)] ، وجلده تعزيراً [(١٤٧٣)] .

٣- السرقة في عام الرمادة :

سرق غلمان حاطب بن أبي بلتعة في عام الرّمادة ناقةً لرجلٍ من بنيّ ، فنحروها ، وأكلوها ورفع الأمر إلى الفاروق ، فطلب الغلمان ، فاعترفوا : أنّهم سرقوها من حرزٍ ، والذين سرقوا عقلاء مكلفون ، ولم يدعوا ضرورةً ملجئةً للسرقة ، فأمر كثير ابن الصّلت أن يقطع أيديهم ، ولكنّه - وهو يعيش عام الرّمادة ،

ويرى حال الناس - التمس لهم عذراً، فقال لمولاهم: إني أراك تجيعهم؟ واكتفى بذلك، وأوقف القطع، وأمر للمزني بثمن ناقته مضاعفةً [(١٤٧٤)] (٨٠٠ درهم)، فقد ذرأ الحدَّ عنهم للضرورة [(١٤٧٥)].
٤. مجنونة زنت :

أتي عمر بمجنونةٍ قد زنت ، فاستشار النَّاس ، فأمر بها عمر أن ترجم ، فمرَّ بها عليُّ بن أبي طالبٍ ، فقال : ارجعوا بها ، ثمَّ أتاه ، فقال : أما علمت أنَّ القلم قد رفع ، فذكر الحديث ، وفي اخره قال : بلى ! قال : فما بال هذه ترجم ؟ فأرسلها [(١٤٧٦)] ، وجعل عمر يكبِّر [(١٤٧٧)].

٥. ذمِّي استكره مسلمة على الزَّنى :

حدث ذلك في خلافة عمر - رضي الله عنه - فصلبه؛ لأنَّه خالف شروط العهد [(١٤٧٨)].

٦. إكراه نساءٍ على الزَّنى :

أتي عمر بإماءٍ من إماء الإمارة ، استكرههنَّ غلمان من غلمان الإمارة ، فضرب الغلمان ، ولم يضرب الإماء [(١٤٧٩)] ، وأُتي عمر بامرأةٍ زنت ، فقالت : إني كنت نائمةً فلم أستيقظ إلا برجلٍ قد جثم عليّ . فخلَّى سبيلها ، ولم يضربها [(١٤٨٠)] ، فهذه شبهة ، والحدود تدرأ بالشُّبهات ، ولا فرق بين الإكراه بالإلجاء ، وهو أن يغلبها على نفسها ، وبين الإكراه بالتهديد بالقتل ، فقد حدث في عهد عمر : أنَّ امرأةً استسقت راعياً فأبى أن يسقيها إلا أن تمكِّنه من نفسها ، ففعلت ، فرفع ذلك إلى عمر ، فقال لعلِّي : ما ترى فيها ؟ قال : إنَّها مضطَّرةٌ ، فأعطاها عمر شيئاً ، وتركها .

٧. حكم من جهل تحريم الزَّنى :

عن سعيد بن المسيَّب : أنَّ عاملاً لعمر بن الخطَّاب كتب إلى عمر يخبره : أنَّ رجلاً اعترف عنده بالزَّنى ؛ فكتب إليه عمر ، أن سله : هل كان يعلم : أنَّه حرام ؟ فإن قال : نعم ؛ فأقم عليه الحدَّ ، وإن قال : لا ، فأعلمه : أنَّه حرام ، فإن عاد ؛ فاحدده [(١٤٨١)] .

٨. تزوّجت في عدَّتْها ، وهي وزوجها لا يعلمان التَّحريم :

تزوَّجت امرأةٌ في عدَّتْها ، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطَّاب ، فضربها دون الحدِّ ، وفرق بينهما [(١٤٨٢)] ، وجلد الزَّوج تعزيراً [(١٤٨٣)] .

٩. امرأةٌ تزوّجت ، ولها زوجٌ كتمته :

رجمها عمر ، وجلد الزَّوج مئة سوط ، ولم يُرجم للجهالة [(١٤٨٤)] .

١٠. اتَّهام المغيرة بن شعبه بالزَّنى :

فشهد عليه ثلاثةٌ ، وتراجع الرَّابع ، فقال عمر : الحمد لله الذي لم يشمَّ الشَّيطان بأصحاب محمَّدٍ (ص) [(١٤٨٥)] ، وأقام حدَّ القذف على الشُّهود الثلاثة ؛ لأنَّ الشَّهادة لم تكتمل بالثلاثة [(١٤٨٦)] .

١١. حكم مَنْ تسرَّت بغلامها :

تزوَّجت امرأةٌ عبدها ، فقيل لها ، فقالت : أليس الله يقول : { وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } ؟ [النساء : ٣٦] فهذا ملكٌ يمينٍ ، ورفع الأمر إلى عمر . رضي الله عنه . فقال لها : لا يحلُّ لك ملكٌ يمينك [(١٤٨٧)] . وفي روايةٍ : وفرَّق بينهما ، وجلدها مئةً تعزيراً لا حدّاً ، وقد أسقط عمر عنها الحدَّ لجهلها بالتَّحريم [(١٤٨٨)] .

١٢. امرأةٌ اتَّهمت زوجها بجاريتهما :

اتَّهمت امرأةٌ زوجها بجاريتهما ، ثم اعترفت بأنَّها وهبتها له ، فحكم عمر . رضي الله عنه . بإقامة حدِّ القذف على المرأة ثمانين جلدةً [(١٤٨٩)] .

١٣. إقامة حدِّ القذف بالتَّعريض :

حدث في عهد الفاروق أن عرَّض أحد الأشخاص باخر ، فقال له : ما أبي بزاني ، ولا أمِّي بزانيةٍ ، فاستشار عمر في ذلك ، فقال قائل : مدح أباه ، وأمّه ، وقال اخرون : كان لأبيه ، وأمّه مكانٌ غير هذا ، نرى أن تجلده الحدَّ . فجلده عمر الحدَّ ثمانين جلدةً [(١٤٩٠)] . فعمر . رضي الله عنه . قد جلد الحدَّ بالتعريض ؛ لأنَّ القرينة كانت واضحةً ، فقد كان الرَّجل يعرض بصاحبه ، لأنَّ الحال تبيَّن ذلك ، فهو ما قال إلا بعد سبِّ ، ومخاصمةٍ . وفعل عمر . رضي الله عنه . يعتبر سياسةً أراد بها تأديب السُّفهاء وحفظ أعراض الأبرياء ، وهي سياسةٌ حكيمةٌ لا تخالف نصّاً من كتابٍ ، ولا سنةً بل إنَّها عملٌ بروح الشَّريعة الغراء [(١٤٩١)] .

١٤. إهداره دم اليهودي المعتدي على العرض :

كان شابان صالحان متاخين في عهد عمر . رضي الله عنه . فأعزَّي أحدهما ، فأوصى أخاه بأهله ، فانطلق ذات ليلةٍ إلى أهل أخيه يتعهدهم ، فإذا سراجٌ في البيت يزهر ، وإذا يهوديٌّ في البيت مع أهل أخيه ، وهو يقول :

وَأَشَعَتْ غَرَّةَ الْإِسْلَامِ مِنِّي خَلَوْتُ بِعَرْسِهِ لَيْلَ التَّمَامِ [(١٤٩٢)] أَيْبْتُ عَلَى تَرَائِبِهَا وَمُتْسِي

عَلَى جَرْدَاءَ لَا حِقَّةَ الْحِزَامِ [(١٤٩٣)] كَأَنَّ مَجَامِعَ الرِّبَالَتِ [(١٤٩٤)] مِنْهَا

فَقَامَ يَنْهَضُونَ إِلَى فِقَامِ [(١٤٩٥)] فَرَجَعَ الشَّابُّ إِلَى أَهْلِهِ ، فَاشْتَمَلَ عَلَى السَّيْفِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَهْلِ أَخِيهِ ، فَقَتَلَ الْيَهُودِيَّ ، ثُمَّ جَرَّدَهُ ، فَأَلْقَاهُ فِي الطَّرِيقِ ، فَأَصْبَحَ الْيَهُودُ وَصَاحِبَهُمْ قَتِيلًا لَا يَدْرُونَ مَنْ قَتَلَهُ ، فَأَتَوْا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ ، فَنادَى عُمَرَ فِي النَّاسِ الصَّلَاةَ جَامِعَةً ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَصَعِدَ الْمَنْبِرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْشَدَ اللَّهُ رَجُلًا عِلْمَ مَنْ هَذَا الْقَتِيلِ عِلْمًا إِلَّا أَخْبَرَنِي بِهِ ، فَقَامَ الشَّابُّ ، فَأَنْشَدَ عُمَرَ الشِّعْرَ ، وَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ عُمَرَ : لَا يَقْطَعُ اللَّهُ يَدَيْكَ ! وَأَهْدِرَ دَمَهُ [(١٤٩٦)] .

١٥- قَتِيلَ اللَّهِ لَا يُوْدَى أَبَدًا :

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي مَصْنَفِهِ ، وَابِيهَيْقِي فِي سُنَنِهِ : أَنَّ رَجُلًا اسْتَضَافَ نَاسًا مِنْ هَذِيلَ ، فَأَرْسَلُوا جَارِيَةً تَحْتَطِبُ لَهُمْ ، فَأَعْجَبَتْ الْمُضَيِّفَ فَتَبِعَهَا ، فَأَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا ، فَامْتَنَعَتْ ، فَعَارَكَهَا سَاعَةً ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ انْفِلَاتَةً فَرَمَتْهُ بِحَجَرٍ ، فَفَضَّتْ كَبِدَهُ ، فَمَاتَ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى أَهْلِهَا ، فَأَخْبَرَتْهُمْ ، فَذَهَبَ أَهْلُهَا إِلَى عُمَرَ ، فَأَخْبَرُوهُ ، فَأَرْسَلَ عُمَرَ ، فَوَجَدَ اثَارَهُمَا ، فَقَالَ : قَتِيلَ اللَّهِ لَا يُوْدَى أَبَدًا . فَهُوَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَهْدَرَ دَمَ ذَلِكَ الْمُعْتَدِي ، فَلَا قِصَاصَ ، وَلَا دِيَةَ ، وَلَا كَفَّارَةَ .

١٦- لَوْ اشْتَرَكَ فِيهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتَهُمْ :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ غُلَامًا قُتِلَ غِيلَةً ، فَقَالَ عُمَرَ : لَوْ اشْتَرَكَ فِيهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ ؛ لَقَتَلْتَهُمْ . وَفِي رِوَايَةٍ : إِنَّ أَرْبَعَةَ قَتَلُوا صَبِيًّا ، فَقَالَ عُمَرَ : لَوْ اشْتَرَكَ فِيهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ ؛ لَقَتَلْتَهُمْ [(١٤٩٧)] .

وَهَذَا الْحُكْمُ لَمْ يَوْجَدْ فِيهِ نَصٌّ مِنْ كِتَابٍ ، وَلَا سُنَّةٍ ، وَلَمْ يَوْجَدْ أَثَرٌ عَنِ الصِّدِّيقِ : أَنَّهُ قَضَى بِمِثْلِهِ ، وَإِنَّمَا بَنَى حُكْمَهُ عَلَى فَهْمِهِ لِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَالَّتِي جَاءَتْ لِحِفْظِ أَمْنِ الْمَجْتَمَعِ ، وَاسْتِقْرَارِهِ ؛ إِذْ إِنَّ الدِّمَاءَ لَيْسَتْ أَمْرًا هِينًا ، وَلِذَلِكَ يَقْتَضِي الْعَدْلَ ، وَمَصْلِحَةَ الْأُمَّةِ ، وَمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ الْقِصَاصِ إِذَا ثَبَتَ : أَنَّ الْجَمِيعَ تَوَاطَؤُوا عَلَى قَتْلِهِ ، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، وَسَعِيدُ ابْنِ الْمُسَيَّبِ ، وَالْحَسَنُ ، وَأَبِي سَلْمَةَ ، وَعَطَاءُ ، وَقَتَادَةُ ، وَالثَّوْرِيُّ ، وَالْأَوْزَاعِيُّ ، وَغَيْرِهِمْ [(١٤٩٨)] ، وَهَذَا الرَّأْيُ هُوَ الْأَرْجَحُ ، وَالْأَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ ، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ الدَّلِيلِ فِي فِعْلِ عُمَرَ ، وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ حِكْمَةٍ فِي رَدِّهِ ، وَزَجْرِ النَّاسِ ، وَحِفْظِ النُّفُوسِ فِي الْمَجْتَمَعِ [(١٤٩٩)] .

١٧. عقوبة السّاحر القتل :

كتب عمر - رضي الله عنه - إلى عمّاله أن اقتلوا كلّ ساحرٍ ، وساحرةٍ [(١٥٠٠)] . ويُقَدِّد ذلك ، وكان إجماعاً من الصّحابة [(١٥٠١)] .

١٨. ما حكم مَنْ قتل ولده متعمداً ؟ وما حكم المسلم الذي يقتل ذميّاً ؟

حكم عمر - رضي الله عنه - فيمن قتل ولده بدفع الدّية [(١٥٠٢)] . وأمّا المسلم الذي يقتل ذميّاً فحكمه القتل قصاصاً ، وهذا حدث في عهد عمر حيث قتل مسلمٌ ذميّاً بالشّام ، فقتل قصاصاً [(١٥٠٣)] .

١٩. الجمع بين الدّية ، والقسامة :

القسامة : هي الأيمان المكرّرة في دعوى القتل من أولياء القتيل ، أو المدّعي عليهم [(١٥٠٤)] ، وقد أخرج عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، والبيهقي عن الشّعبي : أنّ قتيلاً وجد بين وادعة ، وشاكر [(١٥٠٥)] ، فأمرهم عمر بن الخطّاب أن يقيسوا ما بينهما فوجدوه إلى وادعة أقرب فأحلفهم خمسين يمينا ، كلُّ رجل : ما قتلته ، ولا علمت قاتله ، ثمّ أغرمهم الدّية ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ! لا إيماننا دفعت عن أموالنا ، ولا أموالنا دفعت عن إيماننا . فقال عمر : كذلك الحقُّ [(١٥٠٦)] .

٢٠. اللّهمّ لم أشهد ، ولم امر ، ولم أرض ، ولم أُسرّ إذ بلغني :

لما أتى عمر بفتح (تستر) قال : هل كان شيء ؟ قالوا : نعم رجل ارتدّ عن الإسلام . قال : فما صنعتم به ، قالوا : قتلناه . قال : فهلا أدخلتموه بيتنا ، وأغلقتم عليه ، وأطعمتموه كلّ يوم رغيفاً ، فاستبتموه ، فإن تاب ؛ وإلا قتلتموه . ثمّ قال : اللّهمّ لم أشهد ، ولم امر ، ولم أرض ، ولم أُسرّ إذ بلغني [(١٥٠٧)] .

٢١. جعل حد الخمر ثمانين جلدةً :

لما تولى الفاروق الخلافة ، وكثرت الفتوحات الإسلاميّة ، وتحسّنت أحوال النّاس ، وتباعدت الدّيار ، ودخل كثيرٌ من النّاس الإسلام ، ولم يأخذوا التّربية الإسلاميّة الكافية والتّفقّه في الدّين كمن سبقهم من المسلمين ، فكثرت في النّاس شرب الخمر ، وكانت مشكلةً أمام عمر ، فجمع كبار الصّحابة ، وشاورهم في الأمر ، فاتّفقوا على أن يبلغ هذا الحدّ ثمانين ، وهو أدنى الحدود ، فعمل به ، ولم يخالفه أحدٌ من الصّحابة في عهده [(١٥٠٨)] ، فقد ذكر ابن القيم : أنّ خالد بن الوليد بعث وبرة الصّليّتي من الشّام إلى عمر ، قال : فأتيته ، وعنده طلحة ، والزّبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عوف متّكئون في المسجد

، فقلت له : إن خالد بن الوليد يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : إن الناس قد انبسطوا في الخمر ، وتحاقروا العقوبة ، فما ترى ؟ فقال عمر : هم هؤلاء عندك . قال : فقال عليّ : أراه إذا سكر هذى ، وإذا هذى افتري ، وعلى المفتري ثمانون . فأجمعوا على ذلك ، فقال عمر : يبلغ صاحبك ما قالوا ، فضرب خالد ثمانين ، وضرب عمر ثمانين [(١٥٠٩)] .

٢٢- إحراق حانوت الخمر :

عن يحيى بن سعيد بن عبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : وجد عمر في بيت رجلٍ من ثقيف شراباً ، فأمر به فأحرق ، وكان يقال له رويشد ، فقال : أنت فويسق [(١٥١٠)] . وقال ابن الجوزي : وأحرق - يعني : عمر - بيت رويشد الثَّقَفي ، وكان حانوتاً . يعني : نَبَّأدًا [(١٥١١)] . وقال ابن القيم : وحرق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حانوت الخمر بما فيه ، وحرق قرية تباع فيها الخمر [(١٥١٢)] .

٢٣- أنكحها نكاح العفيفة المسلمة :

أتى عمر - رضي الله عنه - رجلٌ ، فقال : إنَّ ابنةً لي كنت وأدتها في الجاهلية فاستخرجناها قبل أن تموت ، فأدرکت معنى الإسلام ، فأسلمت ، ثمَّ أصابها حدٌّ من حدود الله ، فأخذت الشَّفرة ؛ لتذبح نفسها ، وأدركنها ، وقد قطعت بعض أوداجها [(١٥١٣)] ، فداويتها حتَّى برأت ، ثمَّ أقبلت بعد توبةٍ حسنةٍ ، وهي تخطب إلى قومٍ ، فأخبرهم بالذي كان ؟ فقال عمر - رضي الله عنه - : أتعمد إلى ما ستره الله فتبديه ، والله لئن أخبرت بشأنها أحداً لأجعلنَّ نكالاَ لأهل الأمصار ، أنكحها نكاح العفيفة المسلمة [(١٥١٤)] .

٢٤- من طلق زوجته ليمنعها من الميراث :

عن سالم عن أبيه : أنَّ غيلان الثَّقَفي أسلم ، وتحتة عشر نسوةً ، فقال النبيُّ (ص) : اختر منهنَّ أربعاً : فلمَّا كان في عهد عمر - رضي الله عنه - طلق نساءه ، وقسم ماله بين بنيه ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فأرسل إليه عمر ، فقدم عليه ، فقال له : إني أظهر أنَّ الشَّيطان فيما يسترق السَّمع سمع بموتك ، فقذف في قلبك أنك تموت ، فحملك مبادرة ذلك على ما صنعت ، وإني والله لأظنُّك لا تلبث بعد أن تقوم عن حضري هذا حتى تموت ، وإيم الله لئن متَّ قبل أن تراجع نساءك ، وتُرجع مالك ؛ لأورثنَّ نساءك من مالك ! ثمَّ لأرجمنَّ قبرك ؛ حتَّى أجعل عليه مثل ما على قبر أبي رغال ،

فراجع نساءه . ولم يكن بتَّ طلاقهنَّ . وارتجع ماله ؛ الذي قسم بين بنيه ، ثمَّ ما لبث أن مات [(١٥١٥)] .

٢٥. أقل مدة الحمل وأكثره :

رُفعت إلى عمر امرأةٌ ولدت لستَّة أشهر ، فأراد عمر أن يرحمها ، فجاءت أختها إلى عليٍّ ، فقالت : إنَّ عمر همَّ برجم أختي ، فأنشدك الله إن كنت تعلم لها عذراً لما أخبرني به ، فقال عليٌّ : إنَّ لها عذراً ، فكبرَّت تكبيراً ، سمعها عمر ، ومنَّ عنده ، فانطلقت إلى عمر ، فقالت : إن علياً زعم أن لأختي عذراً ، فأرسل عمر إلى عليٍّ : ما عذرها ؟ فقال : إنَّ الله يقول : { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } [البقرة: ٢٣٣] وقال : { وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا } [الأحقاف: ١٥] فالحمل ستة أشهر ، والفصال أربعة وعشرون شهراً . فخلَّى عمر سبيلها .

وقد يبقى الحمل في بطن أمه أكثر من تسعة أشهر ، فقد رُفعت لعمر امرأةٌ غاب عنها زوجها سنتين ، فجاء وهي حبلى ، فهم عمر برجمها ، فقال له معاذ بن جبل : يا أمير المؤمنين ! إن يك لك السبيل عليها ، فليس لك السبيل على ما في بطنها ، فتركها عمر حتَّى ولدت غلاماً قد نبتت ثناياه ، فعرف زوجها شبهه به ، قال عمر : عجز النساء أن يلدن مثل معاذ ، لولا معاذ ؛ هلك عمر [(١٥١٦)] .

ويظهر : أنَّ عمر كان يرى أنَّ أكثر مدة الحمل أربع سنوات ، لأنَّه قضى في امرأة المفقود أنَّها تتربص أربع سنين ، ثمَّ تعدد عدَّة الوفاة ، قال ابن قدامة حاكياً مذهب عمر في ذلك : المفقود تتربص زوجته أربع سنين أكثر مدَّة الحمل ، ثمَّ تعدد للوفاة أربعة أشهر ، وعشرًا وتحلَّ للأزواج [(١٥١٧)] .

سابعاً : فرض القيود على المملكيَّة حتَّى لا يقع تعسُّفٌ في استعمالها :

ومن اجتهادات عمر التي سبق بها زمانه ، والتي تدلُّ على تغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، وتفرض قيوداً على المملكيَّة حتَّى لا يقع تعسُّفٌ في استعمالها ما رواه مالكٌ في الموطأ : عن عمرو بن يحيى المازني عن أبيه : أنَّ الضَّحَّاك بن خليفة ساق خليجاً له من العريض ، فأراد أن يمرَّ به في أرض محمَّد بن مسلمة ، فأبى محمَّد ، فقال له الضَّحَّاك : لم تمنعني ، وهو لك منفعَةٌ تشرب به ، أولاً ، وآخرًا ، ولا يضركُ؟! فأبى محمَّد ، فكلم فيه الضَّحَّاك عمر بن الخطاب ، فدعا عمر بن الخطاب محمَّد بن مسلمة ، فأمره أن يخلِّي سبيله ، فقال محمَّد : لا ! فقال عمر : لم تمنع أخاك ما ينفعه ، وهو لك نافعٌ تسقي به أولاً وآخرًا ، وهو لا يضركُ؟! فقال محمَّد : لا والله ! فقال عمر : والله ليمرنَّ به ، ولو على بطنك . فأمره عمر أن يمرَّ به ، ففعل الضَّحَّاك [(١٥١٨)] .

وكان هذا قياساً من عمر على حديث أبي هريرة الذي قال فيه : إِنَّ النَّبِيَّ (ص) قَالَ : « لَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ جَارَهُ خَشْبَةَ يَغْرُزُهَا فِي جِدَارِهِ » ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا لِي أَرَاكُمْ مَعْرُضِينَ وَاللَّهِ لِأُرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتافِكُمْ [(١٥١٩)] !

ويظهر لنا : أَنَّ ما فعله عمر هو قياسٌ أولى ، لِأَنَّ نَهْيَ النَّبِيِّ (ص) الْجَارَ أَنْ يَمْنَعَ جَارَهُ غَرَزَ خَشْبَةٍ فِي جِدَارِهِ ، هَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ لَا تَضُرُّ الْجَارَ فَإِنَّهَا فِي ذَاتِ الْوَقْتِ لَا تَنْفَعُ هَذَا الْجَارَ ، فِي حِينِ أَنَّ مَرُورَ الْمَاءِ اجْتَمَعَ فِيهِ الْأَمْرَانِ مَعاً ، نَفْعُ الْجَارِ ، وَعَدَمُ الْإِحْطَاءِ الضَّرَرِ بِهِ ، فَهُوَ قِيَاسٌ أَوْلَى ، وَإِذَا كَانَ أَحْمَدُ إِبْرَاهِيمَ يَرَى أَنَّ عُمَرَ قَضَى فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ بِمَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ بِقَوَاعِدِ الْعَدَالَةِ [(١٥٢٠)] ، فَإِنَّ عَبْدِ السَّلَامَ السُّلَيْمَانِيَّ يَرَى : أَنَّهَا تَدْخُلُ فِيْمَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ فِي الْفِقْهِ الْغَرِبِيِّ بِنَظَرِيَّةِ التَّعَسُّفِ فِي اسْتِعْمَالِ الْحَقِّ ، هَذِهِ النَّظَرِيَّةُ الَّتِي سَبَقَ إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ الْفُقَهَاءُ الْغَرِبِيُّ بَعْدَ قُرُونٍ ، وَقَدْ اسْتَمِدَّتْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ سَالِفِ الذِّكْرِ ، الَّذِي عَمَّمَهُ عُمَرُ فِي كُلِّ مَا يَحْتَاجُ الْجَارَ إِلَى الْإِنْتِفَاعِ بِهِ مِنْ دَارِ جَارِهِ ، وَأَرْضِهِ ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِ جَارِهِ [(١٥٢١)] .

ويلاحظ على هذه النَّازِلَةِ عِدَّةُ أُمُورٍ ، وَهِيَ :

١. أَنَّ هَذِهِ النَّازِلَةَ تَدْخُلُ فِي الْاجْتِهَادِ الْقَضَائِيِّ لِعُمَرِ ؛ لِأَنَّهُ قَضَى فِيهَا بِنَاءً عَلَى شَكْوَى تَقَدَّمَ بِهَا الضَّحَّاكُ إِلَى عُمَرَ بَعْدَ أَنْ امْتَنَعَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مِنَ الْاسْتِجَابَةِ لِمَا طَلَبَ مِنْهُ بِصِفَةِ وَدِّيَّةٍ ، وَبَعْدَ أَنْ دُعِيَ هَذَا الْآخِرُ لِلْحُضُورِ فِي مَجْلِسِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

٢. أَنَّ عُمَرَ لَمْ يَحْكَمْ فِي هَذِهِ النَّازِلَةِ جَزَافاً ، بَلْ إِنَّهُ تَثَبَّتَ فِي الْأَمْرِ ، وَاطَّلَعَ عَلَى مَلَابَسَاتِ الْقَضِيَّةِ ، وَتَأَكَّدَ مِنْ إِضْرَارِ الْخِصْمِ عَلَى مَوْقِفِهِ الرَّافِضِ لِمَرُورِ الْمَاءِ فِي أَرْضِهِ ، وَهُوَ مَوْقِفٌ لَا مَبَرِّرَ لَهُ ؛ لِأَنَّ مَرُورَ الْمَاءِ لَمْ يَكُنْ يَشْكَلُ أَيَّ ضَرَرٍ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ كَانَ سَيَعُودُ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ الْمَحْضِ ، وَيَحْقِيقُ الْمَصْلَحَةَ الْمَشْتَرَكَةَ لِلطَّرْفَيْنِ مَعاً ، وَمَا دَامَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَإِنَّ الْإِمْتِنَاعَ عَنْهُ يَشْكَلُ حَائِلاً أَمَامَ تَحْقِيقِ مَصْلَحَةٍ عَامَّةٍ ، وَيَدْخُلُ فِي نِطَاقِ التَّعَسُّفِ فِي اسْتِعْمَالِ الْحَقِّ ، وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ لِيَتَهَاوَنَ فِي تَحْقِيقِ الصَّالِحِ الْعَامِّ لِكُلِّ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ .

٣. لَا يَنْ سَيِّدُنَا عُمَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَهُوَ يَخَاطِبُهُ مَذْكَراً إِيَّاهُ بِأَخُوَّةِ الْإِسْلَامِ مُحَاوِلاً إِقْنَاعَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى جَادَّةِ الصَّوَابِ ، لِمَا قَبِلَ هَذَا اللَّيْنُ بِالرَّفْضِ الْبَاتِ الْمَشْفُوعِ بِالْقَسَمِ ، وَهُوَ مَوْقِفٌ أَبَانَ عَنْ تَحَدُّ لِأَمْرِ الْخَلِيفَةِ ، وَامْتِنَاعٍ عَنِ الْإِنْصِياعِ لِحُكْمِهِ ، فَجَاءَ رُدُّ فِعْلِ عُمَرَ عَنِفياً وَفِي مَسْتَوَى

مسؤوليته صوناً لهيئة الخلافة ، التي لم يكن يستعملها إلا لتحقيق الصالح العام لجماعة المسلمين ، وصيانة الحقوق [(١٥٢٢)].

ثامناً : إمضاؤه الطلاق الثلاث بلفظ واحد :

عن ابن عباس ، قال : كان الطلاق على عهد رسول الله (ص) ، وأبي بكر ، وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب : إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيها عليهم ، فأمضاهم [(١٥٢٣)] . وعن أبي الصهباء قال لابن عباس : أتعلم أمّا كانت الثلاثة تُجعل واحدة على عهد النبي (ص) ، وأبي بكر ، وثلاثاً من إمارة عمر ؟ فقال ابن عباس : نعم [(١٥٢٤)] .

في هذين الأثرين قضى عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . بإيقاع الطلاق الثلاث ثلاثاً ، على خلاف ما كان عليه في عهد رسول الله (ص) ، وعهد أبي بكر الصديق ، حيث كان الطلاق ثلاثاً بلفظ واحد ، أو مجلس واحد يوقع طلاقاً واحدة . ووجهة نظر عمر في إيقاع هذه العقوبة ، والتعزير : أن الناس أكثروا من إحداث طلاق الثلاث ، فأراد أن يردّهم إلى الطلاق السني الذي شرعه الله ، وهو إيقاع طلاقاً واحدة ، ثم يتركها حتى تنتهي عدتها ، فإن كان له رغبة في عودة وشائج الزوجية ؛ راجعها قبل انتهاء العدة ، وهكذا حتى ينتهي عدد الطلاق الثلاث [(١٥٢٥)] .

وهذا التصرف من عمر بن الخطاب اعتبره بعض الناس مخالفةً للنصوص ، ومنهم الدكتور عطية مصطفى مشرفة ، حيث قال : وكان عمر جريئاً في العمل بالرأي ، ولو خالف ذلك بعض النصوص ، والقواعد التي كانت معروفة ، ومعمولاً بها من قبل ، ليكون الحكم ملائماً لأحوال المجتمع الإسلامي الجديد [(١٥٢٦)] ، وذكر من الأمثال التي ضربها إيقاع الطلاق بلفظ الثلاث ثلاثاً [(١٥٢٧)] .

والحق : أن عمر بهذا التصرف لم يخالف النصوص القطعية ، وإنما اجتهد في فهم النصوص ؛ إذ له سند منها :

١. روى مالك عن أشهب ، عن القاسم بن عبد الله : أن يحيى بن سعيد حدثه : أن ابن

شهاب حدثه : أن ابن المسيب حدثه : أن رجلاً من أسلم طلق امرأته على عهد رسول الله (ص) ثلاث تطليقات ، فقال له بعض الصحابة : إن لك عليها رجعة ، فانطلقت امرأته حتى وقفت على رسول الله (ص) ، فقالت : إن زوجي طلقني ثلاث تطليقات في كلمة واحدة ، فقال لها رسول الله

(ص) : قد بُنِت منه : ولا ميراث بينكما [(١٥٢٨)] . ففي هذا الحديث أمضى رسول الله (ص) الطَّلَاق بكلمةٍ واحدةٍ ثلاثاً .

٢. روى النَّسَائِيُّ بسنده : أنَّ رسول الله (ص) أخبر عن رجل طَلَّق امرأته ثلاث تطليقاتٍ جميعاً ، فقام غضبان ، ثمَّ قال : أيلعب بكتاب الله ، وأنا بين أظهركم ؟ ! حتَّى قام رجلاً ، وقال : يا رسول الله ! ألا أقتله [(١٥٢٩)] . ففي هذا الحديث غضب رسول الله (ص) على من طَلَّق امرأته ثلاثاً بلفظٍ واحدٍ ، وأنكر عليه ، ممَّا يدلُّ على وقوعها ؛ إذ لو لم تقع الثلاث بلفظٍ واحدٍ ثلاثاً ؛ لبين ذلك رسول الله (ص) ؛ لأنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة مع إمكانه غير جائز [(١٥٣٠)] .

٣. وعن نافع بن عمير بن عبد يزيد بن ركانة : أنَّ ركانة بن عبد يزيد طَلَّق امرأته سهيمةَ ألبتةً ، فأخبر النبي (ص) بذلك ، وقال : والله ما أردت إلا واحدة ! فقال رسول الله (ص) : والله ما أردت إلا واحدةً ؟! فقال ركانة : والله ما أردتُ إلا واحدةً ! فردَّها إليه رسول الله (ص) فطلَّقها الثَّانية في زمان عمر ، والثَّالثة في زمان عثمان [(١٥٣١)] .

ففي هذا الحديث لما طَلَّق ركانة زوجته ألبتةً ، وادَّعى : أنَّه لم يرد إلا طَلقةً واحدةً ، استحلفه الرَّسول (ص) على أنَّه ما يريد إلا طَلقةً واحدةً ، فحلف ، فردَّها إليه ، ممَّا يدلُّ على أنَّه لو قصد بطلاقه البتة الطَّلَاق الثلاث ؛ لوقعن ، وإلا فلم يكن لتحليفه معنى . وبعد سياق ما تقدَّم نجد : أنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . استند إلى دليلٍ من سنَّة رسول الله (ص) ، وأنَّه بإمضائه الثلاث بلفظٍ واحدٍ ثلاثاً لم يكن بدعاً من عند نفسه ، كما أنَّ كثيراً من الصحابة . رضوان الله عليهم . وافقه فيما ذهب إليه ، كعثمان بن عفَّان ، وعليِّ بن أبي طالب ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، ولهم أكثر من روايةٍ ، وعمران بن حصين ، وعلى هذا ففضيَّة

إيقاع الطَّلَاق ثلاثاً بكلمةٍ واحدةٍ ، أو كلماتٍ مثل أن يقول : أنت طالق ثلاثاً . أو أنت طالق ، وطاق ، وطاق . أو أنت طالق ، ثمَّ طالق ، ثمَّ طالق . أو يقول : أنت طالق ثمَّ ثلاثاً ، أو عشر طلاقاتٍ ، أو مئة طَلقةٍ ، أو ألف طَلقةٍ ، أو نحو ذلك من العبارات مسألةً اجتهاديَّةً للحاكم بحسب ما يرى من المصلحة في الزَّمان ، والمكان أن يوقعها ثلاثاً ، أو طَلقةً واحدةً رجعيَّةً [(١٥٣٢)] .

وقال ابن القيم . رحمه الله . : لم يخالف عمر إجماع مَنْ تقدَّمه ، بل رأى إلزامهم بالثلاث عقوبةً لهم ؛ لما علموا : أنَّه حرام وتتابعوا فيه ، ولا ريب : أنَّ هذا سائغٌ للأئمة أن يلزموا النَّاس بما ضيقوا به على أنفسهم ، ولم يقبلوا فيه رخصةً الله عزَّ وجل ، وتسهيله [(١٥٣٣)] .

تاسعاً : تحريم نكاح المتعة :

رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . إِثَارٌ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ ، وَالتَّشْدِيدِ فِي ذَلِكَ ، وَاعْتِبَارِهِ زِنَى يُعَاقَبُ عَلَيْهِ بِالرَّجْمِ بِالْحِجَارَةِ لِمَنْ أَحْصَنَ ، وَقَدْ ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ : أَنَّ الْمَحْرَمَ لِنِكَاحِ الْمُتْعَةِ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، فَعَنْ أَبِي نُضْرَةَ ، قَالَ : كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَأْمُرُ بِالْمُتْعَةِ ، وَكَانَ ابْنُ الزُّبَيْرِ يَنْهَى عَنْهَا ، قَالَ : فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ : عَلَى يَدَيِ دَارِ الْحَدِيثِ ، تَمَتَّنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، فَلَمَّا قَامَ عُمَرُ ، قَالَ : إِنَّ اللَّهَ كَانَ يُحِلُّ لِرَسُولِهِ مَا شَاءَ بِمَا شَاءَ ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ قَدْ نَزَلَ مِنْ مَنَازِلِهِ ، فَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ ، وَأَبْتُوا نِكَاحَ هَذِهِ النِّسَاءِ ، فَلَنْ أُوتِيَ بِرَجُلٍ نَكَحَ امْرَأَةً إِلَى أَجْلِ إِلَّا رَجَمْتَهُ بِالْحِجَارَةِ [(١٥٣٤)] .

فهذا الأثر يفيد : أَنَّ الْمُتْعَةَ كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَأَنَّ الَّذِي حَرَّمَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . وَالْإِثَارُ الَّتِي تَفِيدُ : أَنَّ الْمُتْعَةَ كَانَتْ حَلَالًا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَلَمْ يَحْرَمْهَا ، وَكَذَلِكَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ ، وَإِنَّمَا الَّذِي حَرَّمَ الْمُتْعَةَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ حَلَالًا هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْفَارُوقُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَكَرَتْ عِنْدَ مُسْلِمٍ ، وَمُصَنَّفِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ .

وَفِي الْحَقِيقَةِ : أَنَّ الَّذِي حَرَّمَ الْمُتْعَةَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، وَأَنَّ الَّذِينَ نُقِلَ عَنْهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَرُونَ جَوَازَ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ لَمْ يَبْلُغْهُمْ النَّهْيُ الْقَاطِعُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَكَذَلِكَ مِنْ نَسَبِ تَحْرِيمِ الْمُتْعَةِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ سَنَدٌ مِنَ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ، أَمْثَالِ أَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ [(١٥٣٥)] ، وَرَفِيقِ الْعَظَمِ [(١٥٣٦)] ؛ فَقَدْ جَهِلَ أَدَلَّةَ ذَلِكَ مِنْ سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ، وَالَّتِي كَانَتْ سَنَدًا لِلْفَارُوقِ فِي تَحْرِيمِهِ لِلْمُتْعَةِ ، وَإِلَيْكَ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَتْ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ، وَالَّتِي تَفِيدُ : أَنَّهُ حَرَّمَ نِكَاحَ الْمُتْعَةِ ، وَالَّتِي مِنْهَا :

١- رَوَى مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ سَلْمَةَ ، قَالَ : رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَامَ أُوطَاسٍ [(١٥٣٧)] فِي الْمُتْعَةِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ نَهَى عَنْهَا [(١٥٣٨)] .

٢- وَرَوَى مُسْلِمٌ بِسَنَدِهِ عَنْ سَبْرَةَ : أَنَّهُ قَالَ : أَدْنَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) بِالْمُتْعَةِ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَامِرٍ ، كَأَنَّهَا بَكْرَةٌ عَيْطَاءُ [(١٥٣٩)] ، فَعَرَضْنَا عَلَيْهَا أَنْفُسَنَا ، فَقَالَتْ : مَا تَعْطِي ؟ فَقُلْتُ : رِدَائِي ، وَقَالَ صَاحِبِي : رِدَائِي ، وَكَانَ رِدَاءُ صَاحِبِي أَجُودَ مِنْ رِدَائِي ، وَكَانَتْ أَشَبَّ مِنْهُ [(١٥٤٠)] ، فِإِذَا نَظَرْتُ إِلَى رِدَاءِ صَاحِبِي أَعْجَبْتُهَا ، وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيَّ أَعْجَبْتَهَا ، ثُمَّ قَالَتْ : أَنْتَ

وردأوك يكفيني ، فمكثت معها ثلاثاً ، ثم إن رسول الله (ص) قال : من كان عنده شيءٌ من هذه النساء التي يتمتّع ، فليخلّ سبيلها [(١٥٤١)] .

٣. وروى مسلمٌ بسنده عن سبرة الجهنيّ : أنّه كان مع رسول الله (ص) ، فقال : يا أيها النّاس ! إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإنّ الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده شيءٌ فليخلّ سبيله ، ولا تأخذوا مما اتيموهن شيئاً [(١٥٤٢)] .

٤. وروى مسلمٌ بسنده عن عليّ بن أبي طالبٍ : أنّه سمع ابن عبّاس يُلّين في متعة النساء فقال : مهلاً يا ابن عباس ! فإنّ رسول الله (ص) نهى عنها يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الإنسيّة [(١٥٤٣)] .
إنّ الفاروق - رضي الله عنه - لم يبتدع تحريم نكاح المتعة من عند نفسه ، بل كان متّبِعاً لرسول الله (ص) ، حيث حرّمها (ص) عام الفتح في السنّة الثامنة من الهجرة تحريماً مؤبّداً ، بعد أن حرّمها في خير سنة ستّ من الهجرة ، ثمّ أحلها عام الفتح ، فمكث النّاس خمسة عشرة يوماً ، وهم يستمتعون ، ثمّ حرّمها (ص) إلى يوم القيامة [(١٥٤٤)] .

عاشراً : من اختيارات عمر - رضي الله عنه - الفقهيّة :

أثر عمر - رضي الله عنه - في المؤسّسة القضائية باجتهاده في مجال القصاص ، والحدود ، والجنایات ، والتّعزير ، كما أنّه - رضي الله عنه - ساهم في تطوير المدارس الفقهيّة الإسلاميّة باجتهاداته الدّالة على سعة اطلاعه ، وغزارة علمه ، وعمق فقهه ، وفهمه ، واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء ، وله مسائل كثيرة في الفقه الإسلاميّ اختارها ، ومال إليها ، وإليك بعضها :

١. اختيار عمر - رضي الله عنه - : أنّ جلد الميتة يطهر بالدّباغ إذا كانت طاهرة في حال الحياة .
٢. اختيار عمر - رضي الله عنه - كراهة الصّلاة في جلود الثّعالب .
٣. اختيار عمر - رضي الله عنه - لا يكره السيّواك للصّائم بعد الزّوال بل يستحبّ .
٤. اختيار عمر - رضي الله عنه - : أنّ المسح على الخفّين ، وما أشبههما مؤقّتٌ بيومٍ وليلةٍ للمقيم ، وثلاثة أيامٍ ولياليهنّ للمسافر .
٥. اختيار عمر - رضي الله عنه - ابتداء مدّة المسح على الخفّين بعد الحدث .
٦. اختياره : أنّ وقت الجمعة إذا زالت الشّمس .
٧. اختيار عمر : أنّ مس الذكر ينقض الوضوء .
٨. اختيار عمر : أنّ التّكبير في العيد من الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيّام التّشريق .

٩. اختيار أبي بكرٍ ، وعمر المشي أمام الجنازة أفضل .
١٠. اختياره : تجب الزكاة على الصبي ، والمجنون .
١١. اختيار عمر : القول بإثبات خيار الفسخ ، وإنَّ لكل واحدٍ الخيار ما دام في المجلس .
١٢. اختياره : لا يصحُّ السَّلم في الحيوان .
١٣. اختياره : أنَّه إذا شرط : أنَّه متى حلَّ الحقُّ ، ولم يوفَّ ، فالرهن بالدين ، فهو مبيعٌ بالدين الذي عليك ، فهو شرطٌ فاسدٌ .
١٤. اختيار عمر : إذا وجد الغريم عين ماله عند المفلس ؛ فهو أحقُّ بها .
١٥. اختيار عمر : أنَّ الجارية لا تدفع إليها مالها بعد بلوغها حتَّى تتزوَّج ، وتلد ، أو تمضي عليها سنةً في بيت الزَّوج .
١٦. اختيار عمر : أنَّ عين الدابة تضمن برقع قيمتها .
١٧. اختيار عمر : أنَّ الشفعة لا تكون إلا في المشاع غير المقسوم ، فأما الجار ، فلا شفعة له .
١٨. اختياره : تجوز المساقاة في جميع الشجر .
١٩. اختيار أبي بكر ، وعمر : جواز استئجار الأجير بكسوته .
٢٠. اختياره : لا تلزم الهبة إلا بالقبض .
٢١. اختياره : من وهب لغير ذي رحمٍ ؛ فله الرجوع ما لم يُتَّب عليها ، ومن وهب لذي رحمٍ ؛ فليس له الرجوع .
٢٢. اختياره : أنَّ مدَّة تعريف اللقطة سنة .
٢٣. اختياره : يجوز أخذ اليسير من اللقطة ، والانتفاع به من غير تعريفٍ .
٢٤. اختيار عمر : أنَّ اللقطة إذا عرَّفها المدَّة المعتبرة ، فلم يعرف مالکها ؛ صارت كسائر أمواله غنيَّةً كان ، أو فقيراً .
٢٥. اختيار عمر : أنَّ لقطة الحلِّ والحرم سواء .
٢٦. اختياره : اللَّقيط يُقرُّ بيد مَنْ وجدته ؛ إن كان أميناً .
٢٧. اختياره : جواز الرجوع في الوصية ، وقال : يغيِّر الرَّجل ما شاء من وصيته .
٢٨. اختيار عمر : أنَّ الكلاله اسمٌ للميت ؛ الَّذي لا ولد له ، ولا والد .
٢٩. اختياره : أنَّ الأخوات مع البنات عصبةٌ ، لهنَّ ما فضل .

٣٠. اختياره : إذا كان زوج ، وأم ، وإخوة من أم وإخوة من أب وأم فهذه المسألة في علم المواريث اختلف العلماء فيها قديماً وحديثاً ، فيروى عن عمر ، وعثمان ، وزيد بن ثابت . رضي الله عنهم . أنهم شَرَكُوا بين ولد الأبوين وولد الأم في الثلث ، فقسموه بينهم بالسوية للذكر مثل حظ الأنثيين ، ويروى : أن عمر كان أسقط ولد الأبوين ، فقال بعضهم : يا أمير المؤمنين ! هب أن أبانا كان حماراً أليست أمنا واحدة ! فشرَك بينهم ، وهذه المسألة تسمى : المشرَكة ، وتسمى : الحمارية ؛ لما تقدّم .

٣١. اختياره : أن للجدّات وإن كثرت السُّدس ، وهو قول أبي بكرٍ .

٣٢. اختيار عمر : في أم ، وأخت ، وجدٍ ؛ للأخت النصف ، وللأم ثلث ما بقي ، وما بقي للجدِّ .

٣٣. اختيار عمر : إذا كان زوج ، وأبوان ؛ أعطى الزوج النصف ، والأمُّ ثلث ما بقي ، وما بقي فلأب ، وإذا كانت زوجة ، وأبوان ؛ أعطيت الزوجة الربع ، والأم ثلث ما بقي ، وما بقي فلأب ، وهاتان المسألتان تسميان بالعمريّتين ؛ لأنَّ عمر . رضي الله عنه . قضى فيهما بهذا .

٣٤. اختيار توريث ذوي الأرحام إذا لم يكن ذوي فرضٍ ، ولا عصبه [(١٥٤٥)] .

هذه بعض الاختيارات العمريّة في مجال الفقه ، وهي تستحقُّ البحث ، والتأصيل ، وإنما ذكرتها من باب الإشارة .

* * *

الفصل الخامس

فقه عمر . رضي الله عنه . في التَّعامل مع الولاية

لما اتَّسعت رقعة الدَّولة الإسلاميّة في عهد عمر ؛ قسم الدَّولة أقساماً إداريّة كبيرةً ؛ ليسهل حكمها والإشراف على مواردها ، وقد كانت الفتوحات سبباً رئيسياً في تطوير عُمرَ لمؤسسات الدَّولة ، ومن بينها مؤسَّسة الولاية .

المبحث الأول

أقاليم الدَّولة

يعتبر تقسيم الولايات في عهد عمر امتداداً في بعض نواحيه لما كانت عليه في عهد أبي بكرٍ إقليمياً ، مع وجود تعيُّراتٍ في المناصب القياديَّة لهذه الولايات في كثيرٍ من الأحيان . وإليك نبذةً مختصرةً عن هذه الولايات .

أولاً : مكَّة المكرَّمة :

تولَّى ولاية مكَّة في عهد عمر . رضي الله عنه . مُحَرَّرُ بن حارثة بن ربيعة بن عبد شمس ، ثُمَّ وَلِيَ مكَّة لعمر : فُنُفذ بن عمير بن جُدعان التميمي ، وشأنه شأن من سبقه ؛ فلم تذكر أخبارٌ عن مدَّة ولايته لمكَّة ، أو أحداثها ، وبعده تولَّى مكَّة لعمر : (نافع بن الحارث الخزاعي) وقد توفي عمر . رضي الله عنه . وهو على مكَّة ، وذكرت المصادر بعض الأحداث عن ولايته مكَّة ، منها : شراؤه داراً من صفوان بن أميَّة بغرض جعلها سجناً ، وذلك فيما رواه البخاريُّ [(١٥٤٦)] .

وقد ورد أيضاً : أنَّ نافعاً لقي عمر بـ (عسفان) أثناء قدومه للحجِّ ، فقال له عمر : من استعملت على الوادي ؛ يعني : مكَّة ؟ قال نافع : ابن (أبزي) قال : ومن ابن أبزي ؟ قال : مولى من مولينا ، فقال استعملت عليهم مولى ؟ فقال : إنَّه قارأى لكتاب الله ، عالم بالفرائض . قال عمر : أما إنَّ نبيِّكم قال : « إنَّ الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ، ويضع به آخرين » [(١٥٤٧)] . وفي

عهد عمر كانت أبرز الأعمال لولاية مكَّة هي توسعة الحرم المكيِّ ، حيث قام عمر بشراء بعض الدُّور المجاورة للحرم ، وأمر بهدمها ، وإدخالها ضمن حرم المسجد ، وبنى حوله جدراناً قصيرةً .

وكانت مكَّة ملتقى الأمراء ، والولاة في مختلف الأصقاع بالخليفة عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . في موسم الحجِّ ، وبالتالي كان لمكَّة دورٌ أساسيٌّ كبيرٌ كإحدى الولايات الرئسيَّة للدولة الإسلاميَّة في عهد عمر رضي الله عنه .

ثانياً : المدينة النَّبويَّة :

يعتبر الخليفة هو الوالي المباشر للمدينة ، نظراً لأنَّه كان يقيم فيها ، وبالتالي كان يتولَّى شؤونها ويسوس أمورها ، وخلال غياب الخليفة عمر عن المدينة كان يولِّي عليها من يقوم مقامه في إدارة شؤون المدينة المختلفة ، فكان عمر أحياناً يولِّي على المدينة خلال بعض أسفاره ، أو حجَّه (زيد بن ثابت رضي الله عنه) [(١٥٤٨)] كما ولَّى عمر عليَّ بن أبي طالبٍ على المدينة عدَّة مرَّات أثناء غيابه [(١٥٤٩)] .

وهكذا فإنَّ عمر . رضي الله عنه . سار على سياسة الرِّسول (ص) ، وأبي بكرٍ في الاستخلاف على المدينة في حال غيابه ، وتكتسب ولاية المدينة المنورة أهميَّةً سياسيَّةً متميِّزةً بين الولايات المختلفة في تلك

الأيام لعدّة أسباب ، على رأسها : أنّها مقرُّ الخليفة عمر ، ومصدر الأوامر إلى مختلف الأقاليم الإسلاميّة ، ومنها تنطلق الجيوش المجاهدة ، يضاف لذلك : أنّها مقرُّ إقامة الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم ، والذين كان عمر يمنعهم من الانتشار في الأمصار [(١٥٥٠)] ، ولذلك كان يفد إليها الكثير من طلاب العلم ؛ الذين يريدون أن يأخذوا القرآن ، وسنة الرسول (ص) ، وفقههما من أفواه الصحابة رضوان الله عليهم [(١٥٥١)] .

ثالثًا : الطائف :

تعتبر الطائف إحدى أهم المدن الإسلاميّة في عهد عمر . رضي الله عنه . وكانت تمدُّ حركة الجهاد بالمقاتلين الأشداء ، وكان واليها منذ عهد الرسول (ص) عثمان بن أبي العاص ، وأقرّه أبو بكر على ما كان عليه ، واستمرت ولايته على الطائف لمدة سنتين من خلافة عمر ، وقد تآقت نفس عثمان بن أبي العاص إلى الجهاد ، فكتب إلى عمر يستأذنه في الغزو ، فقال له عمر : أمّا أنا فلا أعزلك ، ولكن استخلف من شئت ، فاستخلف رجلاً من أهل الطائف مكانه ، وعيّن عمر عثمان على عُمان ، والبحرين [(١٥٥٢)] .

وقد ورد : أنّ والي عمر على الطائف حين وفاته هو (سفيان بن عبد الله التَّقْفِي) [(١٥٥٣)] ، وقد كان بينه وبين عمر بن الخطاب مكاتبات تتعلّق بأخذ الزكاة من الخضار ، والفواكه ، أو من العسل [(١٥٥٤)] ، وكلها تدلُّ على كثرة المزارع ، ووفرة الإنتاج الزراعي في الطائف أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد ظلّت مدينة الطائف وما جاورها تنعم بالاستقرار في عهد عمر رضي الله عنه . وقد كانت لأهل مكّة متنفساً يقدمون إليه في الصيف [(١٥٥٥)] ، واعتُبرت الطائف أحد الأمصار الرئيسيّة التابعة للدولة الإسلاميّة في عهد عمر [(١٥٥٦)] .

رابعًا : اليمن :

عندما تولى عمر . رضي الله عنه . الخلافة كانت اليمن تنعم بالاستقرار ، وقد ضُبطت أمورها عن طريق ولاية مؤرّعين في أنحاء اليمن ، وقد أقرَّ عمر عمّال أبي بكر على اليمن [(١٥٥٧)] ، وكان يعلى بن أميّة أحد ولاية أبي بكر على اليمن ، وقد لمع اسمه في خلافة عمر بن الخطاب ، وذكر المؤرخون : أنّه وليّ بعد ذلك على أنّه والي عمر على اليمن ، واشتهر بذلك حتّى وفاة عمر رضي الله عنه [(١٥٥٨)] .

وقد أوردت المصادر العديد من الحوادث التي وقعت لوالي اليمن (يعلى بن أميّة) مع بعض الأهالي من اليمن ، إضافة إلى حديثها عن بعض القضايا التي قدّم أصحابها شكاوى ضدّ يعلى أمام عمر بن

الخطاب ، ممَّا استلزم استدعاء يعلى إلى المدينة المنورة عدَّة مرَّات حتَّى خلاها عمر معه في هذه القضايا [١٥٥٩] ، وفي أثناء غياب يعلى كان عمر أحياناً يعيِّن مكانه من يقوم بعمله ، وقد كانت بين يعلى وعمر عدَّة مكاتبات تتعلَّق بقضايا الزَّكاة [١٥٦٠] ، كما ذكر يعلى نفسه ضمن الولاية الذين قاسمهم عمر أموالهم في أواخر خلافته [١٥٦١] ، وقد ذُكر من ولاية اليمن لعمر عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزومي ، ولعلَّه كان على منطقة محدَّدة من اليمن ، وهي (الجند) كما صرح بذلك الطَّبري ، حيث ذكره ضمن ولاته حين وفاته ؛ إذ كان والياً لعمر على الجند بجانب ذكره ليعلى كوالٍ لليمن [١٥٦٢] .

وقد لعب أهلُ اليمن دوراً رئيسياً في حركة الفتوح أيَّام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فاشتركوا في فتوح الشَّام ، وفي فتوح العراق ، ومصر [١٥٦٣] ، وعندما اختطَّت الأمصار الإسلاميَّة الجديدة في العراق كالبصرة ، والكوفة نزلتها الكثير من القبائل اليمنيَّة ، وعلى رأسها كندة التي نزلت الكوفة [١٥٦٤] ، كما استقرَّت أعدادُ أخرى من القبائل اليمنيَّة بالشَّام ، وكان لهم دورٌ كبيرٌ في فتوحاتها ، كما سكنت مجموعةٌ منهم في مصر بعد إنشاء الفسطاط [١٥٦٥] .

ولا شكَّ أنَّ هذه الهجرات المنظَّمة من القبائل اليمنيَّة في عهد عمر قد حُطِّط لها ، وقد يكون لأمراء البلدان على اليمن دورٌ كبيرٌ في هذا التَّخطيط ، وفي عمليَّة توزيع القبائل على الأمصار ، ومن هنا كانت اليمن من أهم الولايات الإسلاميَّة على عهد عمر ، وكان دورها وتأثيرها واضحاً بالنسبة لمختلف الولايات [١٥٦٦] .

خامساً : البحرين :

عندما تولَّى عمر أمر المسلمين كان العلاء بن الحضرمي والياً على البحرين ، فأقرَّه عمر في بداية خلافته والياً عليها ، واستمرَّ عليها حتَّى سنة أربع عشرة على أرجح الأقوال [١٥٦٧] ، وقد اشترك العلاء - رضي الله عنه - في الجهاد المبكِّر في نواحي بلاد الفرس ، وكان له دور رئيسيٌّ فيه ، وفي أواخر فترة ولاية العلاء على البحرين أصدر عمر - رضي الله عنه - قراراً بعزل العلاء عن الولاية ، ونقله إلى ولاية البصرة ، وقد كره العلاء ذلك ، فتوفي قبل أن يصل البصرة ، ودفن في البحرين ، وقد قيل في سبب عزله : إنَّه غزا فارس عن طريق البحرين دون إذنٍ من عمر ، وكان عمر يكره أن يحمل المسلمين في البحر ، وبعد وفاة العلاء تولَّى على البحرين عثمان بن أبي العاص ، فأخذ يجاهد ما يليه من نواحي بلاد فارس ،

حتى وصل في بعض فتوحه إلى نواحي السند ، وقد صدرت أوامر عمر - رضي الله عنه - إلى عثمان ابن أبي العاص تأمره بالتعاون في

فتوحه مع والي البصرة أبي موسى الأشعري ، فأصبحت جيوشهما تتعاون في غزو فارس عن طريق البصرة [(١٥٦٨)] .

وقد اشتهر عن عثمان بن أبي العاص ورعُه ، وبُعدهُ عن الوقوع في الحرام [(١٥٦٩)] ، وقد تولَّى عثمان ولاية البحرين لعمر مرتين على الأقل ؛ إذ إنَّه ولاه للمرة الأولى في السنة الخامسة عشرة ثم احتاج إليه لقيادة بعض الجيوش في نواحي البصرة ، ليشترك في فتوحاتها ، وقد تولَّى (عياش بن أبي ثور) [(١٥٧٠)] البحرين بعد عثمان بن أبي العاص ، ويبدو : أنَّ فترته لم تطل ، ثمَّ ولى عمر على البحرين (قُدامة بن مضعون) رضي الله عنه ؛ الَّذي صحبه أبو هريرة ، وولى له أمر القضاء في البحرين بالإضافة إلى بعض المهام الأخرى ، وخلال فترة ولاية قُدامة للبحرين امتدحه النَّاس ، إلا أنَّه حدث في آخر ولايته أن أتهم - رضي الله عنه - بشرب الخمر ، وبعد التَّحقيق ثبتت التُّهمة ، فأقام الفاروق عليه الحدَّ، وقُدامة بن مضعون خال أولاد عمر بن الخطاب، عبد الله، وأم المؤمنين حفصة [(١٥٧١)] ، وقد غضب قُدامة على عمر إلا أنَّ عمر أصرَّ على إرضائه ، وكان يقول : إني رأيت رؤيا: أنَّه قد أتاني ات في منامي، فقال لي: صالح قُدامة، فإنَّه أخوك [(١٥٧٢)]، وقيل: إنَّ عزل قُدامة عن ولاية البحرين كان في سنة عشرين [(١٥٧٣)] للهجرة ، وقد تولَّى على البحرين بعد قُدامة الصَّحابيُّ المعروف (أبو هريرة) رضي الله عنه ، وقد كان أبو هريرة يتولَّى المسؤوليات في البحرين أثناء ولاية قُدامة بن مضعون السَّابقة ، وكان ضمن الشُّهود ؛ الَّذين شهدوا على قُدامة في الخمر .

وقد أصدر عمر - رضي الله عنه - أمراً بتولية أبي هريرة على البحرين بعد عزله لقُدامة [(١٥٧٤)] ، وقد ولي البحرين لعمر فيما بعد عثمان بن أبي العاص الثَّقفي مرَّةً أخرى ، واستمرَّ والياً عليها حتى توفي عمر [(١٥٧٥)] ، وقد وردت في كثيرٍ من النُّصوص ولاية البحرين مضافةً إليها عُمان ، ووردت روايات عن تولية عثمان بن أبي العاص : أنَّه ولى البحرين ، واليَمامة [(١٥٧٦)] .

وهذه الرِّوايات تعطينا دلالةً قويَّةً على مدى ارتباط البحرين بكلِّ من عمان ، واليَمامة ، وأن هذين القسمين ربما اعتبرا جزءاً من ولاية البحرين خلال عصر عمر ابن الخطَّاب رضي الله عنه .

ولا يخفى مدى الارتباط الجغرافي ، والبشري بين هذين الإقليمين وبين البحرين ، وقد يفيد تعبير البحرين وما والاها الَّذي يرَدُّه المؤرِّخون ، ووجود توابع للبحرين ربَّما كان المقصود بها عُمان ، واليَمامة

، وقد كانت البحرين مصدراً رئيسياً للخراج والجزية ، وهذا يدلُّ على ثراء هذه الولاية في تلك الأيام ، وقد شاركت قبائل البحرين المسلمة ، وأمرؤها في فتح بلاد فارس ، والمشرق ، وكان لهم دورٌ مهمٌّ في تلك الفتوح [(١٥٧٧)] .

سادساً : مصر :

كان عمرو بن العاص - رضي الله عنه - هو الذي تولى فتح مصر ، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات ، وأقرَّه عمر والياً عليها ، واستمرَّ في ولايته حتى توفي عمر بن الخطَّاب رغم اختلافه مع عمر في بعض الأحيان . ممَّا كان يدفع عمر إلى التَّهديد بتأديبه ، وكان عمرو هو والي مصر الرَّئيسي . ممَّا كان يرُدُّ من وجود بعض الولاة الصِّغار الآخرين في مصر مثل ما ورد عن ولاية عبد الله بن أبي السَّرح على الصَّعيد إبان وفاة الخليفة عمر [(١٥٧٨)] ، ومن الملاحظ في فترة ولاية عمرو ابن العاص لمصر في عصر عمر كثرة تدخُّل الخليفة عمر في شؤون الولاية المختلفة [(١٥٧٩)] ، وقد استفاد عمرو بن العاص من خبرة الأقباط في قضايا الخراج ، والجزية ، فاستخدمهم في هذا العمل [(١٥٨٠)] .

وقد اشتهر عن عمرو منعه لجنوده من الرِّزاعة ، والاشتغال بها ، ومعاقبة من يخالف ذلك بناءً على أوامر عمر بن الخطَّاب [(١٥٨١)] ، وكان هذا بالطبع لتفريغ الجنود لأموال الجهاد ، وعدم الرُّكون إلى الدَّعة ، أو الارتباط بالأرض ، وقد كان للجنود من الأرزاق التي تصرف من بيت المال ما يغنيهم عن ذلك ، وقد استطاع عمرو بن العاص بمتابعة من الخليفة عمر تنظيم أمورها في سنواتٍ قليلةٍ ؛ حتى أخذت مكانتها كولاية كبرى من ولايات الدَّولة ، وجرى فيها من الأحداث ممَّا يدلُّ على استقرار أوضاع الولاية ، بالرَّغم من المخاطر التي كانت تحدق بها من جرَّاء محاولة الرُّوم المستمرَّة استعادتها عن طريق غزو الإسكندرية من ناحية البحر ، وقد كانت هذه الولاية أرضاً خصبةً لانتشار الإسلام فيها في عهد الخليفة عمر نظراً لما ظهر فيها من عدلٍ بين

النَّاس ، ورحمةٍ لم يعهدهما أهلها من قبلُ بالإضافة إلى اقتناعهم بحقائق الإسلام ، وتعاليمه السَّمحة ، فأصبحوا جنداً من جنوده .

وكانت الأمور الإداريَّة في مصر تمضي بطريقةٍ بسيطةٍ ؛ إذ كان عمرو هو الوالي ، وهو المسؤول عن الخراج ، ولا يمنع هذا من استعانة عمرو ببعض الولاة على مناطق أخرى تابعة له ، كما مرَّ ، ولكنَّ

الوالي الرئيسي والمسؤول أمام الخليفة هو عمرو بن العاص طوال فترة حكم عمر بن الخطاب ، وقد استفاد عمرو من بعض أهل البلاد في ترتيب أمور الخراج ، وتنظيم شؤونها المالية [(١٥٨٢)] .
سابعاً : ولايات الشام :

حينما توفي أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - كان المسؤول عن جيوش الشام ، وبلادها هو خالد بن الوليد - رضي الله عنه - ولما تولى عمر - رضي الله عنه - الخلافة أصدر أمراً بعزل خالد بن الوليد عن ولاية الشام وتعيين أبي عبيدة بن الجراح مكانه أميراً للأمراء الشام ، ومسؤولاً مباشراً عنهم ، ووالياً على الجماعة فيها [(١٥٨٣)] .

وحينما تولى أبو عبيدة على الشام أخذ ينظم أمورها ، ويعين الأمراء من قبله على المناطق المختلفة فيها ، وأخذ يعيد تنظيمها حيث كان على بعضها أمراء سابقون فمنهم من أقره أبو عبيدة ، ومنهم من عزله ، يقول خليفة بن خياط : فولّى أبو عبيدة حين فتح الشامات يزيد بن أبي سفيان على فلسطين ، وناحيتها ، وشرحبيل ابن حسنة على الأردن ، وخالد بن الوليد على دمشق ، وحبيب بن مسلمة على حمص ، ثم عزله ، وولّى عبد الله بن قُوط التُّمالي [(١٥٨٤)] ، ثم عزله ، وولّى عبادة بن الصّامت ، ثم عزله ، وردّ عبد الله بن قُوط [(١٥٨٥)] ، وكان يبعث أحياناً بعض أصحابه لتولي مناطق من الشام لفترة معينة ، ذلك : أنّ أبا عبيدة بعث معاذ بن جبل على الأردن [(١٥٨٦)] ، ومن ذلك إنابته لبعض الناس مكانه حين كان يسافر للجهاد ، فقد أناب سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل [(١٥٨٧)] على دمشق حين خروجه إلى بيت المقدس ، وكان أبو عبيدة - رحمه الله - طوال فترة ولايته على الشام مثلاً للرجل الصّالح ، الورع ؛ الذي يقتدي به بقيّة أمرائه ، ويقتدي به العامّة ، وقد استشهد كما مرّ معنا في طاعون عمواس ، ثم تولى بعده معاذ ، فاستشهد بعده

بأيّام ، وحينما علم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بوفاة أبي عبيدة ، ووفاة معاذ من بعده عين على أجناد الشام يزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وفرّق أمراء آخرين على الشام ، وقد كان يزيد صاحب خبرة في إمارة الأجناد ؛ إذ كان على رأس أحد الجيوش التي بعثها أبو بكر إلى الشام للفتح ، كما أنّ أبا عبيدة قد استخلفه عدّة مرّات على دمشق أثناء غزواته [(١٥٨٨)] .

وقد ذكر المؤرّخون : أنّ عمر حينما ولي يزيد على أجناد الشام حدّد أمراء آخرين ، وزعّمهم على المناطق ، واختصّ يزيد بفلسطين ، والأردن [(١٥٨٩)] ، وتعتبر فترة يزيد على الشام قصيرة ، لذلك يقلّ الحديث عنها في المصادر التاريخية ، وقد توفي يزيد في السنّة الثامنة عشرة ، وقبيل وفاته استخلف أخاه

معاوية بن أبي سفيان على ما كان يتولاه ، وكتب إلى عمر كتاباً في ذلك ، وكانت مدّة ولاية يزيد قريباً من السنّة [١٥٩٠] ، وأقرّ عمر . رضي الله عنه . ولاية معاوية ، وأجرى تعديلاتٍ في إدارة الشّام بعد وفاة يزيد ، وقد حدّد لمعاوية جند دمشق ، وخراجها ، وحدّد من سلطات معاوية في القضاء ، والصّلاة حيث بعث إليه برجلين من أصحاب رسول الله (ص) ، وجعلهما على القضاء ، والصّلاة [١٥٩١] ، وهذا فيه تحديّد لسلطات معاوية خصوصاً : أن الصّلاة وُكِّلت إلى غيره ، وكان الأمير في العادة هو أمير الصّلاة .

ولعلّ هناك أسباباً دفعت عمر إلى هذه السّياسة الجديدة ؛ التي بدأت تظهر في الأقاليم الأخرى ، وبالأسلوب نفسه الذي نجحه مع معاوية تقريباً ، وقد اشتهر معاوية بالحلم ، والبذل ممّا جعل مجموعاتٍ من النّاس تلحق بولايته من العراق ، وغيرها [١٥٩٢] ، وقد قام عمر بتعيين بعض الأمراء في الشّام ، وجعل ولايتهم من قبل معاوية ، وخلال ولاية معاوية على بلاد الشّام كان في بعض الأحيان يقوم ببعض الغزوات ضدّ الرّوم في شمال الشّام ، وهي ما عرفت بالصّوائف [١٥٩٣] .

وقد استمرّ معاوية والياً على الشّام بقيّة عصر عمر حتّى وفاته . رضي الله عنه . مع وجود أمراء آخرين في مناطق معيّنة من الشّام لهم اتّصالهم المباشر بالخليفة في المدينة المنوّرة ، إلا أنّ معاوية يُعتبر أشهرهم ، حيث كان والياً على البلقاء ، والأردن ، وفلسطين ، وأنطاكية ، وقلقىلية ، ومعرةً مصريين ، وغيرها من مدن الشّام [١٥٩٤] ، وقد سمّاه بعض المؤرّخين : والي الشام

بينما تحفّظ بعضهم ، فقالوا حين ذكروا ولاة عمر : ومعاوية بن أبي سفيان [١٥٩٥] على بعض الشام ، ولكن بعضهم ذكر : أنه قبل موت عمر جمع الشام كلّها لمعاوية بن أبي سفيان . ولا بدّ من التنبيه على أنّ الولايات كانت تجري فيها تغييراتٍ مستمرةً تبعاً للظروف العسكرية والظروف العامة للدولة في تلك الأيام ، فكانت الأردن أحياناً تستقل وأحياناً تضم لها أقاليم وأحياناً تنزع منها أقاليم وتضم إلى الشام أو إلى فلسطين إلى غير ذلك ممّا لا يتسع المقام لذكره [١٥٩٦] .

ثامناً : ولايات العراق وفارس :

كانت الفتوحات قد بدأت في العراق أيام أبي بكر رضي الله عنه ، وكانت في البداية تحت إمارة المثنّى بن حارثة الشّيباني إلى أن قدم خالد بن الوليد إلى العراق ، فجعل الولاية له ، فلمّا أمره بالمسير إلى الشام أعاد أبو بكر الولاية مرّةً أخرى إلى المثنّى بن حارثة ، وحينما تولّى الخلافة عمر بن الخطّاب عزل المثنّى وعيّن أبا عبيد بن مسعود الثّقفي ، وكان عزل المثنّى في الوقت نفسه الذي عزل فيه خالدًا ، ممّا

أثار استغراب الناس فقال عمر : إني لم أعزلهما في ريبة ولكن الناس عظموها فخشيت أن يوكلوا إليهما [(١٥٩٧)] ، ومع عزل المثني فقد كان جندياً مخلصاً اشترك مع أبي عبيدة في معظم معاركه ، وأبلى بلاءً حسناً [(١٥٩٨)] .

وبعد استشهاد أبي عبيد عاد المثني إلى القيادة ، ثم تولى قيادة جيوش العراق سعد بن أبي وقاص ، وقد انتقضت على المثني جراحه ؛ التي أصابته يوم الجسر ، فمرض منها ، ومات قبل أن يصل سعد بن أبي وقاص إلى العراق [(١٥٩٩)] ، فقد كانت البصرة قد بدأت بالظهور على مسرح الأحداث كولاية قبيل معركة القادسيّة ، إلا أنّ انتصار القادسيّة ، وسقوط المدائن في يد المسلمين يعتبر بداية مرحلة جديدة ، وقويّة في بلاد العراق ، بدأ فيها تنظيم الولايات يأخذ شكلاً معيّنًا ، وبارزاً تتضح فيه الملامح العامّة سواءً في ولاية البصرة ، أو ولاية الكوفة ، وما ألحق بكلّ منهما من المدن والقرى ؛ التي كانت تتبع كلاً منهما من أقاليم فارس ، والعراق ، أو ما استقلّ عنهما من الولايات في بلاد فارس [(١٦٠٠)] .

ولاية البصرة :

وجّه عمر بن الخطاب إلى نواحي البصرة قبل إنشائها شريح بن عامر ، أحد بني سعد بن بكر مدداً لقطبة بن قتادة ، ثمّ ولاه عمر في نواحي البصرة ، وقُتل في إحدى المعارك [(١٦٠١)] ، ثمّ قام عمر بن الخطاب بإرسال عتبة بن غزوان إلى نواحي البصرة مع مجموعة من الجند ، وولاه عليها ، وذلك في السنة الرابعة عشرة ، وليس في السادسة عشرة كما يرحّج ذلك صالح أحمد العلي ؛ إذ يقول : ويزعم بعض المؤرّخين : أنّ عتبة أرسل سنة ١٦ هـ بعد معركة القادسيّة أو جلولاء ، ولكنّ الأغلبية المطلقة من المؤرّخين يؤكّدون : أنّه أرسل سنة ١٤ هـ ممّا يجعلنا نرجح روايتهم [(١٦٠٢)] .

وقد كانت مرحلة ولاية عتبة على البصرة مرحلة تأسيسيّة وهامّة في حياة هذه الولاية ، فقد كانت حافلةً بالعديد من الأعمال الجليلة ، ومنها مجموعة من الفتوح قام بها في بلاد الفرس القريبة منه على ضفتي دجلة والفرات [(١٦٠٣)] ، وقد استعفى عتبة من عمر ، فأبى عمر أن يعفيه وكان ذلك في موسم الحجّ ، وعزم عليه عمر ليرجعنّ إلى عمله ، ثمّ انصرف ، فمات في الطريق إلى البصرة ، فلمّا بلغ عمر موته ؛ قال : أنا قتلته ؛ لولا أنّه أجلّ معلوم ، وأثنى عليه خيراً ، وكانت وفاته في السنة السابعة عشرة [(١٦٠٤)] .

ثمّ تولى من بعده المغيرة بن شعبة ، وهو أوّل من وضع ديوان البصرة ، واستمرّ والياً على البصرة إلى أن عزله عمر . رضي الله عنه . في السنة السابعة عشرة من الهجرة بعد التّهمة الموجهة إلى المغيرة بالزّنى ، وقد

قام عمر بالتحقيق ، وثبتت براءة المغيرة ، وجلد الشهود الثلاثة وقام عمر بعزل المغيرة ، من باب الاحتياط ، والمصلحة ، وولاه عمر فيما بعد على أماكن أخرى [(١٦٠٥)] ، وبعد عزل المغيرة بن شعبة ولّى عمر على البصرة أبا موسى الأشعري رضي الله عنه . ويعتبر أبو موسى . بحقٍ . أشهر ولاية أيام عمر بن الخطاب ، فقد فُتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس ، فكان يجاهد بنفسه ، ويرسل القوّاد للجهات المختلفة من البصرة ، ففي أيامه تمكّن البصريّون من فتح الأهواز وما حولها وفتحوا العديد من المواضع المهمّة ، وكانت فترة ولايته حافلةً بالجهاد .

وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثيرٍ من الحروب ، والفتوحات ، وقد قام بجهودٍ كبيرةٍ لتنظيم المناطق المفتوحة ، وتعيين العمّال عليها ، وتأمينها ، وترتيب مختلف شؤونها ، وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى ، وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا ، منها : توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للنّاس في مجلس الإمارة ، ومنها : نصيحته لأبي موسى بالورع ، ومحاولة إسعاد الرعيّة ، وهي قيّمةٌ ، قال فيها عمر : أمّا بعد : فإنّ أسعد النّاس من سعدت به رعيّته ، وإنّ أشقى النّاس من شقيت به رعيّته ، إيّاك أن ترتع ، فترتع عمّالك ، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض ، فترتعت فيها ، تبغي السّمن ، وإمّا حتفها في سمنها [(١٦٠٦)] .

وهناك العديد من الرّسائل بين عمر ، وأبي موسى تدلّ على نواحٍ إداريةٍ ، وتنفيذيةٍ مختلفةٍ كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر ، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمّد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسيّة [(١٦٠٧)] .

وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات ؛ حتّى لقد عبّر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد ، وهو الحسن البصريُّ . رحمه الله . فقال : ما قدمها راكبٌ خيرٌ لأهلها من أبي موسى [(١٦٠٨)] ؛ إذ أنّ أبا موسى . رحمه الله . كان بالإضافة إلى إمارته خير معلّم لأهلها ، حيث علّمهم القرآن ، وأمور الدّين المختلفة [(١٦٠٩)] .

وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس ، والتي فتحت في زمنه تخضع للبصرة ، وتدار من قبل والي البصرة الذي يعيّن عليها العمّال من قبله ، ويرتبطون به ارتباطاً مباشراً ، وهكذا ، واعتُبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولايته ، وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم [(١٦١٠)] .

ولاية الكوفة :

يعدُّ سعد بن أبي وقَّاصٍ أوَّل ولاة الكوفة بعد إنشائها ، بل إنَّه هو الَّذي أنشأها بأمر عمر ، وكان له الولاية عليها ، وعلى المناطق المجاورة لها قبل بناء الكوفة ، وقد استمرَّ سعد والياً على الكوفة ، وقام بدوره على أكمل وجه ، وكانت لسعد فتوحاتٌ عظيمةٌ بعد استقراره بالكوفة في

نواحي بلاد فارس [(١٦١١)] ، كما كان لسعدٍ مجموعةٌ من الإصلاحات الزراعيَّة في ولايته ، منها : أنَّ مجموعةً من الدهاقين سألوا سعداً أن يحفر لهم نهراً لصالح المزارعين في مناطقهم ، فكتب سعد إلى عامله في المنطقة يأمره بحفر النهر لهم ، فجمع العمال ، وحفر النهر .

وقد كان سعد ينظِّم أمور المناطق التَّابعة للكوفة ، ويعيِّن عليها الولاة من قبله بعد التَّشاور مع عمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما . وقد أعجب عقلاء أهل الكوفة بسعد بن أبي وقَّاص ، وامتدحوه ، فحين سأل عمر بن الخطَّاب أحد مشاهير الكوفة عن سعدٍ أجاب : إنَّه متواضعٌ في جبايته ، عربيٌّ في نمرته ، أسدٌ في تأمُّره ، يعدل في القضيَّة ، ويقسم بالسَّويَّة ، ويبعد بالسَّريَّة ، ويعطف عليها عطف البرَّة ، وينقلُ علينا خفياً نقل الدَّرة [(١٦١٢)] .

كما سأل عمر جرير بن عبد الله عن سعد بن أبي وقَّاص ، وولايته ، فقال جرير : تركته في ولايته أكرم النَّاس مقدرةً ، وأقلَّهم قسوةً ، هو لهم كالأمِّ البرَّة ، يجمع لهم كما تجمع الدَّرة ، أشدُّ النَّاس عند البأس ، وأحبُّ قريشٍ إلى النَّاس [(١٦١٣)] .

ومع اقتناع خيار أهل الكوفة ، وعقلائها بسعدٍ ، وامتداحهم له ؛ فقد وقعت بعض الشُّكاوى ضدَّه من قبل بعض عوامِّ النَّاس فتمَّ عزله ، وسيتم بإذن الله بيان ذلك عند حديثنا عن الشُّكاوى ضدَّ الولاة . وبعد عزل سعد بن أبي وقَّاص عن الكوفة أصدر عمر قراراً بتعيين عمَّار بن ياسر على صلاة الكوفة ، ويلاحظ : أنَّ عمَّاراً رضي الله عنه . كان ضمن القادة الَّذين كانوا في الكوفة ، وكان سعد بن أبي وقَّاص يستعين بهم أثناء ولايته على الكوفة ، ولذلك كانت لدى عمَّار خبرةٌ سابقةٌ وشبه كاملةٌ عن الولاية قبل أن يتولَّى عليها ، وتختلف ولاية عمار هذه عن ولاية سعد ؛ إذ إنَّ عمر جعل مع عمَّار أناساً آخرين يشتركون معه في المسؤوليَّة ويتقاسمون المهامَّ ، فكان عمَّار على الصَّلَاة ، وابن مسعود على بيت المال ، وعثمان بن حنيف على مساحة الأرض ، لذلك اختلف الوضع إلى حدِّ ما في الولاية في هذه المرحلة عمَّاً كانت عليه أيام سعدٍ ، ولا يمكننا تجاهل هذا التَّوزُّع الجديد للمسؤوليَّة في الولاية ، وقد قام كلُّ منهم بما نيظ به من أمورٍ ، فكان عمَّار يقوم بالصَّلَاة ، وينظِّم أمور الولاية ، وشؤونها ويقود الجيوش ، فقام ببعض الفتوح ، واشترك أهل الكوفة في أيَّامه في عددٍ من المعارك ضدَّ الفرس ؛ الَّذين

جمعوا الجموع ضدَّ المسلمين، فكان عمَّار يدبر ولايته بمقتضى تلك الظروف الحربيَّة حسب توجيهات عمر بن الخطَّاب ، وقد استمرَّ عمَّار يؤدِّي مهمَّته في ولاية الكوفة مع ابن مسعودٍ إضافةً إلى قيامه بالشؤون

الماليَّة للولاية ، يقوم بتعليم النَّاس القران ، وأمور الدِّين [(١٦١٤)] ، وكانت ولاية عمَّار لأهل الكوفة قرابة سنةٍ وتسعة أشهرٍ ، وعزله عمر بناءً على عدَّة شكاوى من أهل الكوفة ضدَّه ، وقد قال عمر لعمار : أساءك العزل ؟ فقال عمَّار : ما سرَّني حين استُعملت ، ولقد ساءني حين عُزِلْتُ . وقيل : إنَّه قال : ما فرحت حين وليتني ، ولا حزنت حين عزلتني [(١٦١٥)] .

كما ذُكر: أنَّه استعفى عمر حين أحس بكرامية أهل الكوفة له، فأعفاه عمر، ولم يعزله [(١٦١٦)]. ثمَّ عيَّن عمر جبير بن مطعم على الكوفة ، ثمَّ عزله قبل أن يتَّجه إلى الكوفة ، نظراً لأنَّ عمر أمره بكتمان خبر التَّعيين ، ولكن الخبر انتشر بين النَّاس ، فغضب عمر ، وعزله ، ثمَّ تولَّى ولاية الكوفة المغيرة بن شعبة ، واستمرَّ يؤدِّي واجبه والياً للكوفة إلى أن توفي عمر بن الخطَّاب [(١٦١٧)] .
المدائن :

كانت المدائن عاصمة كسرى ، قد تمَّ فتحها من قبل سعد بن أبي وقَّاص ، واستقرَّ بها سعدٌ فترةً من الوقت ، ثمَّ انتقل منها إلى الكوفة بعد تمصيرها ، وقد كان ضمن جيش سعدٍ سلمان الفارسيُّ رضي الله عنه . وهو الَّذي اشترك في العديد من المعارك ضدَّ الفرس ، وكان له دورٌ كبيرٌ في دعوتهم إلى الإسلام قبل القتال ، وقد ولاه عمر بن الخطَّاب على المدائن ، فسار في أهلها سيرةً حسنةً ، فقد كان مثلاً حياً لتطبيق تعاليم الإسلام ، وقد ذكر أنَّه كان يرفض الولاية ؛ لولا أنَّ عمر أجبره على قبولها ، فكان يكتب إلى عمر يطلب الإعفاء ، فيرفض عمر ذلك ، وقد اشتهر عن سلمان . رضي الله عنه . زهده ، فكان يلبس الصُّوف ، ويركب الحمار ببردعته بغير إكافٍ ، ويأكل خبز الشعير . وكان ناسكاً زاهداً [(١٦١٨)] .

وقد استمرَّ سلمان يعيش في المدائن إلى أن توفي على أرجح الأقوال سنة ٣٢ هـ في خلافة عثمان بن عفَّان ، ويبدو : أنَّ سلمان لم يكن والي المدائن في أواخر أيام عمر رضي الله عنه ؛ إذ إنَّ عمر قد عين حذيفة بن اليمان على المدائن ، ولم يذكر المؤرِّخون عزل عمر لسلمان ، فلعلَّه استعفى عمر ، فوافقه بعد أن كان يمانع في إعفائه ، وولَّى بعده حذيفة بن اليمان .

وقد ورد العديد من الأخبار عن ولاية حذيفة على المدائن ، منها : كتاب عمر إلى أهل

المدائن بتعيين حذيفة والياً عليهم ، وأمر عمر أهل المدائن بالسَّمع ، والطَّاعة لحذيفة . وقد استمرَّ حذيفة والياً على المدائن بقيَّة أيام عمر ، وكذلك طيلة خلافة عثمان [(١٦١٩)] .
أذربيجان :

كان حذيفة بن اليمان أوَّل الولاة على أذربيجان ، ثمَّ تولى بعدما نقل إلى المدائن عتبة بن فرقد السَّلَمي ، وفي أثناء ولايته حدثت بينه وبين عمر العديد من المراسلات ، من ذلك : أنَّ عتبة بن فرقد حين جاء إلى أذربيجان وجد عندهم نوعاً من الحلوى الطَّيبة تسمى (الخبيص) ففكَّر أن يصنع منها لعمر بن الخطَّاب ، وبالفعل وضع منها ، وغلَّفها بما يحفظها من الجلود ، وغيرها ، وبعث بها إلى عمر بن الخطَّاب في المدينة ، فلمَّا تسلَّمها ؛ ذاق الخبيص فأعجبه ، فقال عمر : أكلُّ المهاجرين أكل منه شبعه ؟ قال الرسول : لا إمَّا هو شيءٌ خصَّك به ، فأمر عمر برِّدَها على عتبة في أذربيجان ، وكتب إليه : يا عتبة ! إنَّه ليس من كدِّك ، ولا كدِّ أبيك ، فأشبع المسلمين في رحالهم ممَّا تشبع في رحلك ، وإيَّاك والتَّنعُّم وزِيَّ أهل الشِّرك ، ولبوس الحرير ، فإنَّ رسول الله (ص) نهى عن لبوس الحرير [(١٦٢٠)] .
وقد رويت الحادثة برواياتٍ مختلفةٍ يؤكِّد بعضها بعضاً ، وقد استمرَّ عتبة والياً على أذربيجان بقيَّة خلافة عمر . رضي الله عنه . وجزءاً من خلافة عثمان .

وقد وجد العديد من ولاة عمر في مناطقٍ مختلفةٍ في العراق ، وفارس . منهم من كان مستقلاً بولايته ، ومنهم من كانت ولايته مرتبطةً بإحدى الولايتين الكبيرتين في العراق اللتين هما محورا الإدارة ، والقيادة لبلاد العراق ، وفارس : الكوفة ، أو البصرة ، ومن هذه البلدان التي اختُصَّت بولاةٍ : الموصل ، حلوان ، كسكر [(١٦٢١)] .

* * *

المبحث الثَّاني

تعيين الولاة في عهد عمر

سار الفاروق . رضي الله عنه . على المنهج النبوي الشريف في اختيار الولاية ، فكان لا يوليّ إلا الأكفء ، والأمناء ، والأصلح من غيرهم على القيام بالأعمال ، ويتحرّى في الاختيار ، والمفاضلة غاية جهده ، ولا يستعمل مَنْ يطلب الولاية ، وكان يرى : أنّ اختيار الولاية من باب أداء الأمانات ، بحيث يجب عليه أن يعيّن على كلّ عملٍ أصلح مَنْ يجده ، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره مع عدم وجود ما يبرّر ذلك ؛ يكون قد خان الله ، ورسوله ، والمؤمنين [(١٦٢٢)] .

ومن أقواله في هذا الشأن : وأنا مسؤولٌ عن أمانتي ، وما أنا فيه ، ومطلّعٌ على ما يحضرنى بنفسي إن شاء الله ، لا أكله إلى أحدٍ ، ولا أستطيع ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصّح منكم للعامّة ، ولست أجعل أمانتي إلى أحدٍ سواهم [(١٦٢٣)] .

وقال رضي الله عنه : من قلّد رجلاً على عصابةٍ وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى الله منه ، فقد خان الله ، وخان رسوله ، وخان المؤمنين [(١٦٢٤)] .

وقال أيضاً : من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودّةٍ ، أو قرابةٍ بينهما ؛ فقد خان الله ، ورسوله ، والمسلمين [(١٦٢٥)] .

أولاً : أهمُّ قواعد عمر في تعيين الولاية ، وشروطه عليهم :

١ . القوّة والأمانة :

وقد طبّق الفاروق . رضي الله عنه . هذه القاعدة ، ورجّح الأقوى من الرّجال على القويّ ، قد عزل عمر شرحبيل بن حسنة وعيّن بدله معاوية . فقال له شرحبيل : أعن سخطةٍ عزلتني يا أمير المؤمنين ؟! قال : لا ! إنك لكما أحبُّ ، ولكيّي أريد رجلاً أقوى من رجلٍ [(١٦٢٦)] . ومن أجمل ما أثار عن عمر في هذا المعنى قوله : اللّهُمَّ إني أشكو إليك جلدَ الفاجر ، وعجز النّقة [(١٦٢٧)] !

٢ . مقام العلم في التّولية :

وقد جرى عمر الفاروق على سنة رسول الله (ص) في تولية أمراء الجيوش خاصّةً . قال الطّبري : إنّ أمير المؤمنين كان إذا اجتمع إليه جيشٌ من أهل الإيمان ؛ أمّر عليهم رجلاً من أهل الفقه ، والعلم [(١٦٢٨)] .

٣ . البصر بالعمل :

كان عمر بن الخطّاب يستعمل قوماً ، ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل [(١٦٢٩)] ، والتّفصيل هنا إنّما يعني : أن أولئك الذين تركهم عمر ، كانوا أفضل ديناً ، وأكثر ورعاً ، وأكثر أخلاقاً ، ولكنّ خبرتهم في

تصريف الأمور أقلُّ من غيرهم، فليس من الضَّروري أن يجتمع الأمران كلاهما معاً ، وهذه القاعدة التي وضعها عمر ما زالت متبَعَةً حتَّى اليوم في أرقى الدُّول ، ذلك بأنَّ المتديّن ، الورع ، الخلق إذا لم تكن له بصيرةٌ في شؤون الحكم قد يكون عرضةً لخديعة أصحاب الأهواء ، والمضللين ، أمّا المحنَّك المجرب ؛ فإنَّه يعرف من النَّظرة السَّريعة معاني الألفاظ ، وما وراء معاني الألفاظ ، وهذا السَّبب نفسه هو الذي دعا عمر بن الخطاب أيضاً لاستبعاد رجلٍ لا يعرف الشَّرَّ ، فلقد سأل عن رجلٍ أراد أن يولِّيه عملاً ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ! إنَّه لا يعرف الشَّرَّ . قال عمر لمخاطبه : ويحك ! ذلك أدنى أن يقع فيه [(١٦٣٠)] .

وهذا لا يعني أن يكون العامل غير متَّصفٍ بالقوَّة، والأمانة، والعلم، والكفاية، وغيرها من الصِّفات التي يستلزمها منطق الإدارة ، والحكم ، وإمَّا يقع التَّفاضل بين هذه الصِّفات ، ويكون الرُّجحان لما سمَّاه عمر بن الخطَّاب : البصر بالعمل [(١٦٣١)] .

٤ . أهل الوبر ، وأهل المدر :

وكان عمر ينظر حين تعيينه أحد عمَّاله إلى بعض الخصائص ، والطِّباع ، والعادات ، والأعراف ، فلقد عرف : أنَّهُ كان ينهى عن استعمال رجلٍ من أهل الوبر على أهل المدر [(١٦٣٢)] . وأهل الوبر : هم ساكنو الخيام ، وأهل المدر : هم ساكنو المدن ، وهذه نظرةٌ اجتماعيَّةٌ سلوكيَّةٌ في انِّ معاً في اختيار الموظَّفين ، فلكلِّ من أهل الوبر ، والمدر طبائعٌ ، وخصائص ، وأخلاق ، وعادات ، وأعراف مختلفة ، ومن الطَّبيعي أن يكون الوالي عارفاً بنفسية الرعيَّة ، وليس من العدل أن يتولَّى أمرها رجلٌ جاهلٌ بها ، فقد يرى العرف نكراً ، وقد يرى الطَّبيعي غريباً ، فيؤدِّي ذلك إلى غير ما يتوخَّاه المجتمع من أهدافٍ يسعى إلى تحقيقها [(١٦٣٣)] .

٥ . الرِّحمة ، والشَّفقة على الرعيَّة :

كان عمر - رضي الله عنه - يتوخَّى في ولاته الرِّحمة ، والشَّفقة على الرعيَّة ، وكم من مرَّةٍ أمر قادته في الجهاد ألا يعزَّروا بالمسلمين ، ولا ينزلوهم منزل هلكةٍ . وكتب عمر لرجلٍ من بني أسلم كتاباً يستعمله به ، فدخل الرِّجل على عمر ، وبعض أولاد عمر في حجر أبيهم يقبِّلهم ، فقال الرِّجل : تفعل هذا يا أمير المؤمنين ؟! فوالله ما قبَّلت ولدًا لي قطُّ ! فقال عمر : فأنت والله بالنَّاس أقلُّ رحمةً ! لا تعمل لي عملاً ، وردَّه عمر ! فلم يستعمله [(١٦٣٤)] .

وغزت بعض جيوشه بلاد فارس حتى انتهت إلى نهرٍ ليس عليه جسرٌ ، فأمر أمير الجيش أحد جنوده أن ينزل في يومٍ شديد البرد لينظر للجيش مخاضةً يعبر منها ، فقال الرجل : إني أخاف إن دخلت الماء أن أموت ، فأكرهه القائد على ذلك ، فدخل الرجل الماء وهو يصرخ : يا عمراه ! يا عمراه ! ولم يلبث أن هلك ، فبلغ ذلك عمر ، وهو في سوق المدينة . فقال : يا لبيكاه ! يا لبيكاه ! وبعث إلى أمير ذلك الجيش ، فنزعه ، وقال : لولا أن تكون سنّةً ؛ لأقدت منك ، لا تعمل لي على عملٍ أبداً [(١٦٣٥)] .

وخطب عمر ولاته ، فقال : اعلموا : أنه لا حلم أحبُّ إلى الله تعالى ، ولا أعمُّ من حلمٍ إمام ، ورفقه . وأنه ليس أبغض إلى الله ، ولا أعمُّ من جهلٍ إمام ، وخرّقه ، واعلموا : أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهرانيه ؛ يرزق العافية ممن هو دونه [(١٦٣٦)] .

٦ . لا يوليّ أحداً من أقاربه :

كان عمر حريصاً على ألا يوليّ أحداً من أقاربه رغم كفاية بعضهم ، وسبّقه إلى الإسلام ، مثل سعيد بن زيد ابن عمّه ، وعبد الله بن عمر ابنه ، وقد سمعه رجلاً من أصحابه يشكو إعضال أهل الكوفة به في أمر ولاتهم . وقول عمر : لوددت أني وجدت رجلاً قوياً ، أميناً ، مسلماً أستعمله عليهم . فقال الرجل : أنا والله أدلك عليه ! عبد الله بن عمر . فقال عمر : قاتلك الله ! والله ما أردت الله بهذا [(١٦٣٧)] !

وكان يقول : من استعمل رجلاً لمودّةٍ ، أو لقربةٍ لا يشغله إلا لذلك ؛ فقد خان الله ، ورسوله [(١٦٣٨)] .

٧ . لا يعطي الولاية من يطلبها :

كان لا يوليّ عمالاً لرجلٍ يطلبه ، وكان يقول في ذلك : من طلب هذا الأمر ؛ لم يُعَنَ عليه ، وقد سار على هذا النهج اقتداءً بسنّة الرسول (ص) .

٨ . منع العمال من مزاولة التجارة :

كان عمر يمنع عمّاله ، وولاته من الدخول في الصفقات العامّة سواءً أكانوا بائعين ، أو مشترين [(١٦٣٩)] ، روي : أنّ عاملاً لعمر بن الخطّاب اسمه الحارث بن كعب بن وهب ، ظهر عليه الثراء ، فسأله عمر عن مصدر ثرائه ، فأجاب : خرجت بنفقةٍ معي ، فأجّرت بها . فقال عمر : أما والله ما بعثناكم لتتجروا ، وأخذ منه ما حصل عليه من ربحٍ [(١٦٤٠)] .

٩ . إحصاء ثروة العمّال عند تعيينهم :

كان عمر يحصي أموال العمّال ، والولادة قبل الولاية ، ليحاسبهم على ما زادوه بعد الولاية ممّا لا يدخل في عداد الزيادة المعقولة ، وَمَنْ تَعَلَّلَ مِنْهُمْ بِالتَّجَارَةِ لم يقبل منه دعواه ، وكان يقول لهم : إِنَّمَا بَعَثْنَاكُمْ وَلَا ، ولم نبعثكم تجاراً [(١٦٤١)] .

١٠ . شروط عمر على عماله :

كان عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . إذا استعمل عاملاً ؛ كتب عليه كتاباً ، وأشهد عليه رهطاً من الأنصار : ألا يركب بردوناً [(١٦٤٢)] ، ولا يأكل نقيّاً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ، ثم يقول : اللّهُمَّ فاشهدْ [(١٦٤٣)] .

وهذه الشُّروط تعني : الالتزام بحياة الزُّهد ، والتّواضع للناس ، وهي خطوةٌ أولى في إصلاح الأُمَّة بحملها على التوسُّط في المعيشة ، واللبّاس ، والمراكب ، وبهذه الحياة التي تقوم في الاعتدال تستقيم أمورها ، وهي خُطّةٌ حكيمةٌ ، فإنَّ عمر لا يستطيع أن يلزم جميع أفراد الأُمَّة بأمرٍ لا يعتبر واجباً في الإسلام ، ولكنه يستطيع أن يلزم بذلك الولاة والقادة ، وإذا التزموا فإنَّهم القدوة الأولى في المجتمع ، وهي خُطّةٌ ناجحةٌ في إصلاح المجتمع ، وحمایته من أسباب الانهيار [(١٦٤٤)] .

١١ . المشورة في اختيار الولاة :

كان اختيار الولاة يتمُّ بعد مشاورة الخليفة لكبار الصّحابة [(١٦٤٥)] ، فقد قال رضي الله عنه لأصحابه يوماً : دلُّوني على رجلٍ إذا كان في القوم أميراً ؛ فكأنه ليس بأميرٍ ، وإذا لم يكن بأميرٍ فكأنه أمير [(١٦٤٦)] . فأشاروا إلى الرّبيع بن زياد [(١٦٤٧)] .

وقد استشار عمر . رضي الله عنه . الصّحابة فيمن يوليّ على أهل الكوفة ، فقال لهم : من يعذرني من أهل الكوفة ، ومن تجنّبهم على أمرائهم ، إن استعملت عليهم عفيفاً ؛ استضعفوه ، وإن استعملت عليهم قوياً فجروه . ثمَّ قال : أيها النّاس ! ما تقولون في رجلٍ ضعيفٍ غير أنّه مسلمٌ نقيٌّ ، واخر قويٌّ مشدّدٌ أيُّهما الأصلح للإمارة ؟ فتكلّم المغيرة بن شعبة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إن الضّعيف المسلم إسلامه لنفسه ، وضعفه عليك ، وعلى المسلمين ، والقويُّ المشدّد فشداه على نفسه ، وقوّته لك ، وللمسلمين ، فأعمل في ذلك رأيك . فقال عمر : صدقت يا مغيرة ! ثم ولاه الكوفة ، وقال له : انظر أن تكون ممن يأمنه الأبرار ، ويخافه الفجّار ، فقال المغيرة : أفعَل ذلك يا أمير المؤمنين [(١٦٤٨)] !

١٢ . اختبار العمال قبل التّولية :

كان عمر - رضي الله عنه - يختبر عمّاله قبل أن يوّليهم ، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال : قدمت على عمر بن الخطّاب - رضوان الله عليه - فاحتبسني عنده حولاً ، فقال : يا أحنف ! قد بلوثك ، وخبرتكَ ، فرأيت أنّ علانيتك حسنةٌ ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وإِنَّا كُنَّا نتحدّث : إِنَّمَا يهلك هذه الأُمَّة كلُّ منافقٍ عليهم . ثمَّ قال له عمر : أتدري لم احتبستك ؟ وبَيَّن له : أنّه أراد اختباره ، ثم ولاه [(١٦٤٩)] .

ومن نصائح عمر للأحنف: يا أحنف! من كثر ضحكك ؛ قلت هيبته، ومن مزح ؛ استخفَّ به، ومن أكثر من شيء ؛ عُرف به، ومن كثر كلامه ؛ كثر سقطه، ومن كثر سقطه ، قل حياؤه ؛ ومن قلَّ حياؤه ، قل ورعه ، ومن قلَّ ورعه ؛ مات قلبه [(١٦٥٠)] .

١٣ . جعل الوالي من القوم :

من الملاحظ : أنّ عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - كان في كثيرٍ من الأحيان يوّلي بعض النَّاس على قومهم إذا رأى في ذلك مصلحةً ، ورأى الرَّجل جديراً بالولاية ، ومن ذلك توليته « جرير بن عبد الله البجلي » على قومه بجيلة [(١٦٥١)] ، حينما وجَّههم إلى العراق ، وكذلك تولية سلمان الفارسي على المدائن ، وتولية نافع بن الحارث على مكّة ، وعثمان بن أبي العاص على الطائف ، ولعلَّه كان يرمي من وراء ذلك إلى أهدافٍ معيَّنة يستطيع تحقيقها ذلك الشَّخص أكثر من غيره [(١٦٥٢)] .

١٤ . المرسوم الخلافي :

وقد اشتهر عن عمر - رضي الله عنه - : أنّه حينما كان ينتهي من اختيار الوالي ، واستشارة المستشارين ؛ يكتب للوالي كتاباً يسمّى عهد التَّعيين ، أو الاستعمال عند كثيرٍ من المؤرخين ، ويمكننا أن نسوِّيه مجازاً (المرسوم الخلافي في تعيين العامل ، أو الأمير) وقد وردت العديد من نصوص التَّعيين لعمّال عمر [(١٦٥٣)] .

ولكنَّ المؤرِّخين يكادون يتفقون على أنّ عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - كان إذا استعمل عاملاً ؛ كتب له كتاباً ، وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين ، والأنصار ، واشترط عليه شروطاً في الكتاب [(١٦٥٤)] ، كما قد يكون الشَّخص المرشَّح للولاية غائباً ، فيكتب له عمر عهداً يأمره فيه بالتوجُّه إلى ولايته ، ومثال ذلك كتابه إلى العلاء الحضرمي عامله على البحرين ، أمره بالتوجُّه إلى البصرة لولايتها بعد عتبة بن غزوان ، كما أنّه في حال عزل أميرٍ وتعيين آخر مكانه فإنَّ الوالي الجديد كان يحمل خطاباً يتضمَّن عزل الأول ، وتعيينه مكانه ، وذلك مثل كتاب عمر مع

أبي موسى الأشعري حين عزل المغيرة بن شعبة عن ولاية البصرة ، وعيّن أبا موسى مكانه [١٦٥٥] .
١٥ . لا يستعين بنصرانيّ على أمور المسلمين :

قدم على عمر فتح من الشام ، فقال لأبي موسى : ادع كاتبك يقرأه على الناس في المسجد . قال أبو موسى : إنّه لا يدخل المسجد . قال عمر : لم ؟ أجنب هو ؟ قال : لا ، ولكنه نصرانيّ ، فانتهره عمر ، وقال : لا تدنوهم ؛ وقد أقصاهم الله ، ولا تكرموهم ؛ وقد أهانهم الله ، ولا تأمنوهم ، وقد خوّنهم الله ، وقد هيتكم عن استعمال أهل الكتاب ، فإنّهم يستحلون الرّشوة [١٦٥٦] . وعن أسق [١٦٥٧] قال : كنت عبداً نصرانيّاً لعمر ، فقال : أسلم حتّى نستعين بك على بعض أمور المسلمين ؛ لأنّه لا ينبغي لنا أن نستعين على أمورهم بمن ليس منهم ، فأعتقني لما حضرته الوفاة ، وقال : اذهب حيث شئت [١٦٥٨] .

ثانياً : أهمّ صفات ولاية عمر :

من أهمّ صفات ولاية عمر : سلامة المعتقد ، والعلم الشرعيّ ، والثّقة بالله ، والقُدوة ، والصّدق ، والكفاءة ، والشّجاعة ، والمروءة ، والرّهد ، وحب التّضحية ، والتّواضع ، وقبول النّصيحة ، والحلم ، والصّبر ، وعلو الهمة ، والحزم ، والإرادة القويّة ، والعدل ، والقدرة على حلّ المشكلات ، وغير ذلك من الصّفات ، وأما أهمّها ؛ فهي :

١ . الرّهد :

فممنّ ولاه عمر والذّين اشتهروا بزهدهم : سعيد بن عامر بن حذيم ، وعمير بن سعد ، وسلمان الفارسي ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وأبو موسى الأشعري . رضي الله عنهم . وكان نساء بعض الولاية يقدّمن الشكاوى إلى عمر نتيجة زهد أزواجهنّ ، فقد اشتكت امرأة معاذ بن جبل . رضي الله عنه . وذلك : أنّ عمر بعث معاذاً ساعياً على بعض القبائل ، فقسم فيهم حتّى لم يدع شيئاً ، حتّى جاء مجلسه الذي خرج به على رقبته . فقالت امرأته : أين ما جئت به ممّا يأتي به العمّال من عراضة أهلهم ؟ فقال : كان معي ضاغط [١٦٥٩] ، فقالت : قد كنت أميناً عند رسول الله (ص) ، وعند أبي بكر ، أفبعث عمر معك ضاغطاً ؟ فقامت بذلك في نساءها ، واشتكت عمر ، فبلغ ذلك عمر ، فدعا معاذاً ، فقال : أنا بعثت معك ضاغطاً ؟ ! فقال : لم أجد شيئاً

أعتذر به إليها إلا ذلك . قال : فضحك عمر ، وأعطاه شيئاً ، وقال : أرضها به [١٦٦٠] .

٢ . التّواضع :

اشتهر الولاية في عهد عمر بتواضعهم الشديد حتى إنَّ القادمين إلى بلادهم لا يميِّزون بينهم وبين عامَّة الناس ، فهم في لباسهم ، وبيوتهم ، ومراكبهم كعامَّة الناس ، لا يميِّزون أنفسهم بشيء .
ومن أمثلة ذلك : قصَّة أبي عبيدة بن الجراح . رضي الله عنه . فقد بعث إليه الرُّوم رجلاً ؛ ليفاوضه : فأقبل حتى أتى أبا عبيدة ، فلمَّا دنا من المسلمين ؛ لم يعرف أبا عبيدة من أصحابه ، ولم يدر : أفيهم هو أم لا ؟ ولم يرهبه مكانُ أمير ، فقال لهم : يا معشر العرب ! أين أميركم ؟ فقالوا : ها هو ذا . فنظر فإذا هو بأبي عبيدة جالس على الأرض ، وهو مُتَنَكِّب القوس ، وفي يده أسهم ، وهو يقلِّبها . فقال له الرَّسول : أنت أمير هؤلاء ؟ قال : نعم . قال : فما يجلسك على الأرض ؟ رأيت لو كنت جالساً على وسادةٍ ، أو كان ذلك وضعك عند الله ، أو مانعك من الإحسان ؟ قال أبو عبيدة : إنَّ الله لا يستحي من الحقِّ ، ولأصدقنَّ عمًّا قلت ، ما أصبحت أملك ديناراً ، ولا درهماً ، وما أملك إلا فرسي ، وسلاحي ، وسيفي ، لقد احتجت أمس إلى نفقة فلم يكن عندي حتى استقرضت من أخي هذا نفقةً كانت عنده . يعني : معاذ . فأقرضنيها ، ولو كان عندي أيضاً بساطاً ، أو وسادةً ما كنت لأجلس عليه دون إخواني ، وأصحابي ، وأجلس أخي المسلم الذي لا أدري لعلَّه عند الله خير منِّي على الأرض ، ونحن عباد الله نمشي على الأرض ، ونجلس على الأرض ، ونأكل على الأرض ، ونضطَّجع على الأرض ، وليس ذلك ينقصنا عند الله شيئاً ، بل يعظم الله به أجورنا ، ويرفع درجاتنا ، ونتواضع بذلك لرَبِّنا [(١٦٦١)] .

٣ . الورع :

حرص العديد من الولاية أن يعفوا من الأعمال الموكلة إليهم ، فقد استعفى عتبة بن غزوان عمر من ولاية البصرة فلم يعفه [(١٦٦٢)] ، كما أنَّ (النُّعْمان بن مُقَرِّن) كان والياً على كسكر ، فطلب من عمر أن يعفيه من الولاية ، ويسمح له بالجهاد رغبةً في الشَّهادة [(١٦٦٣)] ، كما رفض بعض الصَّحابة الولاية حينما طلب منهم عمر أن يعملوا في الولايات ، فقد رفض الزُّبير بن العوّام ولاية مصر حينما عرض عليه ذلك قائلاً : يا أبا عبد الله ! هل لك في ولاية مصر ؟ فقال : لا حاجة لي فيها ، ولكن أخرج مجاهداً ، وللمسلمين معاوناً [(١٦٦٤)] ، كما رفض ابن عبَّاس ولاية حمص حينما عرض عليه عمر أن يولِّيه إيَّها بعد وفاة أميرها [(١٦٦٥)] .

٤ . احترام الولاية لمن سبقهم من الولاية :

امتاز الولاية على البلدان باحترام مَنْ سبقهم من الولاية ، وتقديرهم ، وهذا يلاحظ في معظم الولاية في العصر الرَّاشدي ، حيث نجد مثلاً : أنَّ خالد بن الوليد حينما قدم إلى الشَّام أميراً على أبي عبيدة بن الجراح ، وغيره رفض أن يتقدَّم على أبي عبيدة في الصَّلَاة ، وحينما قام عمر بعزل خالد بن الوليد عن ولاية أجناد الشَّام وتعيين أبي عبيدة مكانه أخفى أبو عبيدة الخبر عن خالدٍ ، ولم يخبره به حتَّى ورد كتابٌ اخر من عمر ، فعلم خالد بالخبر ، فعاتب أبا عبيدة على عدم تبليغه [(١٦٦٦)] .

يقول الدكتور عبد العزيز العمري : ولم أجد من خلال البحث : أن أحداً من الولاية عمل على إذلال مَنْ سبقه ، أو التَّيل منه ، بل إنَّهم في الغالب يعملون على مدحهم في أوَّل خطبةٍ يلقونها ويُننون عليهم [(١٦٦٧)] .

ثالثاً : حقوق الولاية :

مما لا ريب فيه : أنَّ للولاية على البلدان حقوقاً مختلفةً ، يتَّصل بعضها بالرعيَّة ، وبعضها بالخليفة ، وبالإضافة إلى حقوق أخرى متعلِّقة ببيت المال ، وكلُّ هذه الحقوق الأدبيَّة ، أو المادِّيَّة تهدف بالدرجة الأولى إلى إعانة الولاية على القيام بواجباتهم وخدمة دين الإسلام ، وهذه أهمُّ حقوقهم :

١ . الطَّاعة في غير معصية :

وواجب الطَّاعة من الرعيَّة للأمرء ، والولاية قرَّرت الشريعة ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * ﴾ [النساء : ٥٩] .

وهذه الآية تنصُّ على وجوب طاعة أولي الأمر ، ومنهم الأمرء المنفَّذون لأوامر الله سبحانه وتعالى [(١٦٦٨)] ، ولا شكَّ : أنَّ طاعة الأمرء ، والخلفاء مقيِّدَةٌ بطاعة الله ، وأنَّهم متى عصوا الله ، فلا طاعة لهم [(١٦٦٩)] .

٢ . بذل النصيحة للولاية :

جاء رجل إلى عمر بن الخطَّاب ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! لا أبالي في الله لومة لائمٍ خيرٌ لي ، أم أقبل على نفسي ؟ فقال : أمَّا من ولي من أمر المؤمنين شيئاً فلا يخف في الله لومة لائم ، ومن كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسه ، ولينصح لوليِّ أمره [(١٦٧٠)] .

٣ . إيصال الأخبار للولاية :

يجب على الرعية للوالي إيصال الأخبار الصحيحة إليه ، والصّدق في ذلك ، سواءً ما يخصُّ أحوال العامة ، أو ما يخصُّ أخبار الأعداء ، أو ما كان متعلّقاً بعمّال الوالي ، وموظّفيه ، والعجلة في ذلك قدر المستطاع خصوصاً ما كان متعلّقاً بالأمور الحربيّة ، وأخبار الأعداء ، وما يتعلّق بخيانات العمّال ، وغير ذلك من منطلق الاشتراك في المسؤوليّة مع الوالي في مراعاة المصلحة العامّة للأمة [(١٦٧١)] .

٤ . مؤازرة الوالي في موقفه :

إذا كان موقفه للمصلحة العامّة ، وتلزم المعاونة بالدرجة الأولى من قبل الخليفة ، فقد كان عمر - رضي الله عنه - حريصاً على هذا المعنى كلّ الحرص ، حيث كان يولي عنايةً خاصّةً لاحترام النّاس لولاّتهم ، وتقديرهم لهم ، ويبدل في ذلك مختلف الأسباب (فكان عمر على شدّة ما فيه مع عماله إذا أحسنّ باعتدائهم ، أو شبه اعتدائهم وقع على أحدهم ؛ يشتدُّ على المعتدين في تلك النّاحية ، ليبقى للعامل هيبته توقّره في الصّدور ومهابةً يلجم بها العامّة والخاصّة) [(١٦٧٢)] .

٥ . حقُّ الأمير في الاجتهاد :

من حقِّ الأمير الاجتهاد برأيه في الأمور التي يكون مجال الاجتهاد فيها مفتوحاً ، خصوصاً في الأمور التي لم يحددها الشّرع بدقّة ، وفي الأمور الأخرى ؛ التي لم يأت فيها تفويضٌ من الخليفة للتصرّف في حدودٍ معيّنة ، فقد اجتهد أحد ولاة عمر في الشّام في قسمة الأسهم بين الرّاجلة والفرسان ، فأجاز عمر اجتهاده ، وقد اشتهر عن ابن مسعود . وكان احد ولاة عمر رضي الله عنه : . أنه خالف عمر في أكثر من مئة مسألة اجتهادية [(١٦٧٣)] .

٦ . احترامهم بعد عزلهم :

من حقوق الولاية احترامهم بعد عزلهم ، فعندما عزل عمر - رضي الله عنه - شرحبيل بن حسنة عن ولاية الأردن ؛ بيّن للنّاس سبب عزله ، وقال لشرحبيل عندما سأله : أعن سخطةً عزلتني يا أمير المؤمنين؟! قال : لا ، إنك لكما أحبُّ ، ولكي أريد رجلاً أقوى من رجلٍ [(١٦٧٤)] . وعزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة ، ولعلّه رأى : أنّ احترامه يقضي بإبعاده عن أناس كانوا يعيبونه في صلّاته ، مع أنّ سعداً كان أشبه النّاس صلّاة برسول الله (ص) لعلمه التّام بصفة صلاة النّبّي (ص) ، فعزله عمر احتراماً له أن يقع في مثل هؤلاء الجهّال [(١٦٧٥)] .

٧ . حقوقهم الماديّة :

أما من الناحية المادية فقد كان للولاد حقوق، وعلى رأسها مرتباتهم التي يعيشون عليها، ولا شك: أن الصحابة - رضي الله عنهم - وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون قد أحسوا بأهمية الأرزاق بالنسبة للعمّال، وأنها حق من حقوقهم إضافة إلى استغنائهم بها عن الناس، وبالتالي عدم التأثير عليهم، أو محاولة رشوتهم [(١٦٧٦)]، وقد كان عمر بن الخطّاب حريصاً على نزاهة عمّله وعقّنتهم عن أموال الرعيّة، واستغنائهم بأموالهم عن أموال الغير، ولعلّ عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - قد أحسّ بهذه القضية الخطيرة، وأحسّ: أنّه لكي يضمن نزاهة عمّاله، فلا بدّ أن يغيثهم عن الحاجة إلى أموال الناس، وقد دار حوار بينه وبين أبي عبيدة؛ مفهومه: أنّ أبا عبيدة قال لعمر بن الخطّاب: دنست أصحاب رسول الله (ص) - يعني: باستعمالهم - فقال له عمر: يا أبا عبيدة! إذا لم أستعن بأهل الدّين على سلامة ديني؛ فبمن أستعين؟ قال أبو عبيدة: أما إن فعلت فأغنهم بالعمالة عن الخيانة [(١٦٧٧)]، يعني: إذا استعملتهم في شيء فأجزل لهم في العطاء والرّزق، حتى لا يحتاجوا إلى الخيانة، أو إلى الناس.

وقد كان عمر يصرف لأمراء الجيش، والقرى، وجميع العمّال من العطاء ما يكفيهم بالمعروف نظير عملهم (على قدر ما يصلحهم من الطّعام وما يقومون به من الأمور) [(١٦٧٨)]، وكان عمر يحرص على نزاهة العمّال عمّا بأيديهم من الأموال العامّة، فيقول لعمّاله: قد أنزلتكم من هذا المال، ونفسي منزلة وصيّ اليتيم، [(١٦٧٣)] { وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ } [النساء: ٦].

وقد فرض عمر لجميع عماله تقريباً مرتباتٍ محدّدة، وثابتة سواءً يومية، أو شهرية، أو سنوية، وقد ورد ذكر بعضها في المصادر التاريخية، منها ما كان طعاماً، ومنها ما كان نقوداً محدّدة [(١٦٧٤)]. وقد ورد: أنّ عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - استعمل عبد الله بن مسعود على القضاء، وبيت المال، وعثمان بن حنيف على ما سقى الفرات، وعمّار بن ياسر على الصّلاة، والجند، ورزقهم كلّ يوم شاةً، فجعل نصفها، وسقطها، وأكارعها لعمّار بن ياسر؛ لأنّه كان في الصّلاة، والجند، وجعل ربعها لعبد الله بن مسعود، والرّبع الآخر لعثمان بن حنيف. كما ورد: أنّ عمر بن الخطّاب فرض لعمر بن العاص أثناء ولايته على مصر مئتي دينار [(١٦٧٥)]، وكان عطاء سلمان الفارسي - رضي الله عنه - وهو على ثلاثين ألفاً من الناس في المدائن خمسة الاف درهم، ولزهده كان يأكل من عمل يده من الخوص، ويتصدّق بعطائه [(١٦٧٦)].

وقد وردت رواياتٌ أخرى متفاوتهٌ في أرزاقِ عمر لولاته ، ولا شكَّ : أنَّ هذا الاختلاف في الروايات مردهُ إلى تطوُّر الأحوال ، وتغيُّرها خلال عهدِ عمر ، فلا يعقل أن تبقى الأرزاق والمرتبَّات على ما هي عليه من أوَّل عهده إلى نهايته ، نظراً لتغيُّر الظروف ، والأحوال ، واختلاف الأسعار ، وتطور الحاجات نتيجة اتِّساع الفتوح ، وزيادة الدَّخْل في بيت المال [(١٦٧٧)] .

وقد ورد : أنَّ عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . رزق معاوية على عمله بالشَّام عشرة آلاف دينار في كلِّ سنة ، كما ذكر : أنَّ عمر كان يفرض لأمرء الجيوش والقرى في العطاء ما بين تسعة آلاف ، وثمانية آلاف ، وسبعة آلاف على قدر ما يصلهم من الطَّعام ، وما يقومون به من الأمور [(١٦٧٨)] . وقد كره بعض العمال أخذ الأرزاق نتيجة قيامه بأعمال الإمارة ، والولاية للمسلمين إلا أنَّ الفاروق كان يوجِّههم إلى أخذها ، فقد قال عمر . رضي الله عنه . لأحد ولاته : ألم أحدِّثك :

أنتك تلي من أعمال المسلمين أعمالاً ، فإذا أعطيت العمالة ؛ كرهتها ؟ فقال : بلى ! فقال عمر : ما تريد إلى ذلك ؟ قال : إنَّ لي أفراساً ، وأعبداً ، وأنا بخير ، وأريد أن تكون عمالتي صدقةً على المسلمين ، فقال : عمر : لا تفعل ، فإنِّي كنت أردتُ الذي أردتَ ، وكان رسول الله (ص) يعطيني العطاء ، فأقول : أعطه أفقر إليه مِنِّي ، فقال النبي (ص) : «خذه ، فتموِّله ، وتصدِّق به ، فما جاءك من هذا المال من غير مسألةٍ ، ولا إشرافٍ ؛ فخذهُ ، وما لا ؛ فلا تتبعه نفسك» [(١٦٧٩)] .

وعلى كلِّ حالٍ فإنَّ مبدأ إعطاء الأرزاق للعمَّال وإغنائهم عن النَّاس كان مبدأً إسلامياً فرضه الرَّسول (ص) ، وسار عليه الخلفاء الرَّاشدون من بعده ، حتَّى أغنوا العمَّال عن أموال النَّاس ، وفرَّغوهم للعمل ، ولمصلحة الدَّولة الإسلاميَّة [(١٦٨٠)] .

٨ . معالجة العمال إذا مرضوا :

مرض معيقب ، وكان خازن عمر على بيت المال ، فكان يطلب له الطِّبَّ من كلِّ مَنْ يسمع عنده بطبِّ ، حتَّى قدم عليه رجلان من أهل اليمن ، فقال : هل عندكم من طبِّ لهذا الرجل الصَّالح ، فإنَّ هذا الوجع قد أسرع فيه . قالوا : أمَّا شيءٌ يذهبهُ ؛ فإنَّنا لا نقدر عليه ، ولكنَّا نداويه بدواءٍ يقفه ، فلا يزيد . قال عمر : عافية عظيمةٌ أن يقف ، فلا يزيد ! قالوا : هل ينبت في أرضك هذا الحنظل . قال : نعم . قالوا : فاجمع لنا فيه ، فأمر عمر ، فجمع له منه مكتلان عظيمان ، فعمدا إلى كلِّ حنظلة ، قطعها باثنين ، ثمَّ أضجعا معيقياً ، فأخذ كلُّ واحد منهما بإحدى قدميه ، ثمَّ جعلاً يدلكان بطون

قدميه بالحنظل ، حتى إذا انحقت ؛ أخذ أخرى . ثم أرسله ، فقال عمر : لا يزد وجعه هذا أبداً . قال الراوي : فوالله ما زال معيقب بعدها متمسكاً ما يزيد وجعه حتى مات [(١٦٨١)] .

رابعاً : واجبات الولاية :

إنَّ الولاية بما يؤهم الله من مكانةٍ قد ألقى على كاهلهم أعباءً ثقالاً ، وواجباتٍ جساماً ، أثر منها عن عمر بن الخطاب ما يلي :

١ . إقامة أمور الدين :

كنشر الدين الإسلامي بين الناس ، وإقامة الصلاة ، وحفظ الدين وأصوله ، وبناء المساجد ، وتيسير أمور الحج ، وإقامة الحدود الشرعية :

— خ نشر الدين الإسلامي :

حيث اختص ذلك العصر بفتوحاتٍ عظيمةٍ اقتضت من الولاية العمل على نشر الدين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصحابة [(١٦٨٢)] ، وفي زمن عمر كتب إليه يزيد بن أبي سفيان . وكان والياً على الشام . : إنَّ أهل الشام قد كثروا ، وملؤوا المدائن ، واحتاجوا إلى مَنْ يُعلِّمهم القرآن ، ويفقههم ، فأعني برجالٍ يعلمونهم ، فأرسل إليه عمر خمسةً من فقهاء الصحابة [(١٦٨٣)] .

وقد اشتهر عن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . أنه كان يرِدُّ : ألا إنِّي والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ! ولكن أرسلهم إليكم ؛ ليعلموكم أمر دينكم ، وسنة نبيكم [(١٦٨٤)] . وكان عمر يقول لولاته : إنَّ لا نوليكم على أشعار المسلمين ، ولا على أبشارهم ، وإنما نوليكم ؛ لتقيموا الصلاة ، وتعلموهم القرآن [(١٦٨٥)] .

وقد أرسل عمر . رضي الله عنه . مجموعةً من المعلمين إلى الأمصار الإسلامية ، حيث أسسوا المدارس العلمية المشهورة ، كما مرَّ معنا .

— خ إقامة الصلاة :

كان عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . يكتب لولاته : إنَّ أهمَّ أمركم عندي الصلاة ، فمن حفظها ، وحافظ عليها ؛ حفظ دينه ، ومن ضيعها ؛ فهو لما سواها أشدُّ إضاعاً [(١٦٨٦)] . كما كان عمر يؤكِّد لولاته أهمية إقامة الصلاة في الناس بقوله : وإنما نوليكم ؛ لتقيموا الصلاة ، وتعلموهم العلم ، والقرآن [(١٦٨٧)] .

وكان عمر - رضي الله عنه - ينصُّ في قرار التَّعيين : أنَّ فلاناً أمير الصَّلَاة ، والحرب ، كالقرار الَّذي عيَّن فيه عمَّار بن ياسر على الصَّلَاة ، والحرب ، وعبد الله بن مسعودٍ على القضاء ، وبيت المال [(١٦٨٨)] ، وقد تحدَّث الفقهاء الَّذين كتبوا في السياسة الشَّرعيَّة عن أهمِّيَّة الصَّلَاة بالنسبة للأمير ، وما يتضمَّنه ذلك الأمر من معانٍ عظيمةٍ دنيويَّةٍ ، وأخرويَّةٍ [(١٦٨٩)] .

— خ حفظ الدِّين وأصوله :

حرص الفاروق على حفظ الدِّين على أصوله الصَّحيحة الَّتِي نزلت على رسول الله (ص) ، وكان يعمل جاهداً على إحياء سنَّة الرِّسول (ص) ، والقضاء على البدع ، والعمل على احترام دين الله ، وإحياء سنَّة رسول الله (ص) ، فقد أمر بطرد رجلٍ ، وتغريبه نتيجة كثرة إثارته لمواضيع من المتشابهة في القرآن [(١٦٩٠)] ، كما مرَّ معنا ، وأمر رضي الله عنه بالقيام في رمضان ، وتعميم ذلك على الأمصار [(١٦٩١)] .

وقد كتب إلى أبي موسى الأشعري : إنَّه بلغني : أنَّ ناساً من قبلك قد دعوا بدعوى الجاهلية يا ال ضبَّة ! فإذا أتاك كتابي هذا فانكهم عقوبة في أموالهم ، وأجسامهم حتَّى يفرقوا إذا لم يفقهوا [(١٦٩٢)] .

— خ تخطيط وبناء المساجد :

وتذكر بعض الإحصائيات : أنَّه أنشأ في عهد عمر ٤٠٠٠ مسجدٍ في بلاد العرب وحدها ، وقد اشتهر الولاية بنشر المساجد ، وتأسيسها في مختلف مناطق حكمهم ، مثل عياض بن غنم الَّذي أنشأ مجموعةً من المساجد في النواحي المختلفة من الجزيرة [(١٦٩٣)] .

— خ تيسير أمور الحج :

كان الولاية في عهد الخلافة الرَّاشدة مسؤولين عن تيسير أمور الحجِّ في ولاياتهم ، وتأمين سلامة الحجَّاج منها ، فقد كان الولاية يعيِّنون الأمراء على قوافل الحجِّ ، ويجدِّدون لهم أوقات السَّفَر حيث لا يغادر الحجَّاج بلادهم إلا بإذن الوالي ، وقد أكَّد الفقهاء بعد ذلك على أن تسيير الحجَّاج عملٌ من مهامِّ الوالي على بلده . يقول الماورديُّ : أمَّا تسيير الحجَّاج من عمله فداخلةٌ في أحكام إمارته ؛ لأنه من جملة المعونات الَّتِي تنسب لها [(١٦٩٤)] .

— خ إقامة الحدود الشَّرعيَّة :

أقام عمرو بن العاص الحدَّ على أحد أبناء عمر بن الخطَّاب في مصر ، ثمَّ عاقبه عمر نفسه بالجلد ، وقيل : إنَّه توفي بعد ذلك في أثر هذا الجلد [(١٦٩٥)] ، وقد كان الولاية يقومون بالقصاص في

القتل دون إذن الخليفة إلى أن كتب إليهم عمر : ألا تقتلوا أحداً إلا بإذني [(١٦٩٦)] ، فأصبحوا يستأذنون عمر في القتل قبل تنفيذه ، وإقامة الحدود من الأمور الدنيوية ، والدنيوية التي كان ينظر إليها الخلفاء وولاتهم نظرة جادة ، ويهتمون بها كما يهتمون بشعائر الدين المختلفة [(١٦٩٧)] .

٢ . تأمين الناس في بلادهم :

إنَّ المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالي ، وفي سبيل تحقيق ذلك فإنه يقوم بالعديد من الأمور ، أهمها إقامة الحدود على العصاة ، والفساق ، مما يجتنب من الجرائم التي تهدد حياة الناس ، وممتلكاتهم [(١٦٩٨)] .

وقد كتب عمر - رضي الله عنه - إلى أبي موسى الأشعري : أخيفوا الفساق ، واجعلوهم يداً يداً ، ورجلاً رجلاً [(١٦٩٩)] .

كما أن إقامة فريضة الجهاد ضد الأعداء كان لها دور كبير في تأمين البلاد الإسلامية ، وأمصارها [(١٧٠٠)] .

٣ . الجهاد في سبيل الله :

إذا استعرضنا أسماء الأمراء منذ بداية خلافة أبي بكر إلى خلافة عمر ؛ لوجدنا لهم باعاً طويلاً في الفتوحات ، بل إنهم كانوا يوجهون أمراء إلى بلدان لم تفتح بعد ، فيعملون على فتحها ، ومن ثم تنظيمها ، كأمرء الشام : أبي عبيدة ، وعمرو بن العاص ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة . وأمراء العراق : كالمثنى بن حارثة ، وخالد بن الوليد ، وعياض بن غنم ، وغيرهم [(١٧٠١)] .

وقد كان الولاة في عهد الخلفاء الراشدين مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحي العدو ، ولم يمنعهم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم ، وقد تحدت المصادر التاريخية عن أهم أعمال الولاة في دعم حركة الجهاد ، والتي من أهمها :

- إرسال المتطوعين إلى الجهاد .

- الدفاع عن الولاية ضد الأعداء : فقد قال عمر : ولكم علي أن أسد ثغوركم .

- تحصين البلاد : فقد أمر الفاروق ببناء حصون لمن نزل الجيزة في مصر من قبائل الفتح ، خوفاً عليهم من الإغارات المفاجئة [(١٧٠٢)] .

- تتبع أخبار الأعداء : فقد اشتهر عن أبي عبيدة - رضي الله عنه - متابعته الدقيقة لتجمعات الروم في بلاد الشام ، فكان يقوم ببعض العمليات الانسحابية التمويهية بناء على هذه الأخبار [(١٧٠٣)] .

. إمداد الأمصار بالخيال : وضع عمر . رضي الله عنه . سياسةً عامَّةً في الدولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصار الإسلاميَّة حسب حاجتها ، فأقطع أناساً من البصرة أراضي كي يعملوا فيها على إنتاج الخيل ، وتربيتها [(١٧٠٤)] ، كما أعطى عمر أناساً من المسلمين في دمشق أرضاً للعناية بالخيال ، فزرعوها ، فانزعها منهم ، وأغرمهم لمخالفتهم الهدف من إعطائهم الأراضي ، وهو المساعدة في إنتاج الخيل ، وقد كان لعمر أربعة الاف فرسٍ في الكوفة ، وكان قيِّمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفرٍ من أهل الكوفة يصنع سوابقها ، ويجريها في كلِّ يومٍ ، وبالبصرة نحوُ منها ، وأيضاً في كلِّ مصر من الأمصار الثمانية عددٌ قريب من العدد السَّابق [(١٧٠٥)] وكانت هذه الخيول مجهَّزةً للدِّفاع الفوري عن الدَّولة الإسلاميَّة [(١٧٠٦)] .

. تعليم الغلمان وإعدادهم للجهاد :

فقد كان عمر . رضي الله عنه . يكتب إلى أهل الأمصار يأمرهم بتعليم أولادهم الفروسيَّة ، والسِّباحة ، والرَّمي ، وقد أصيب أحد الغلمان أثناء التَّعليم في الشام ، ومات ، فكتبوا إلى عمر في ذلك فلم يثنه عن أمره بتعليم الأولاد الرَّمي [(١٧٠٧)] .

. متابعة دواوين الجند :

اهتمَّ الفاروق . رضي الله عنه . اهتماماً خاصّاً بدواوين الأمصار نظراً لاعتقاده : أنَّ أهل الأمصار أحوج النَّاس للضَّبَط خصوصاً القريبة من الأعداء ، وهي الأمصار التي تحتاج إلى الجنود باستمرارٍ [(١٧٠٨)] ، وقد كان الولاة على البلدان مسؤولين مباشرةً عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظفين الاخرين الذين يتولَّون مهمَّتها ، ولكن باعتبار أنَّ هؤلاء الولاة هم أمراء

الحرب ، فقد كانت مسؤوليَّتهم عن الدَّواوين في بلدانهم كمسؤوليَّة الخليفة باعتبارهم نواباً [(١٧٠٩)] .

. تنفيذ المعاهدات :

وقد جرت بعض المعاهدات بين أبي عبيدة بن الجراح وبعض مدن الشَّام ، وكذلك الحال بالنسبة لأمراء العراق ، كسعد بن أبي وقاص ، وأبي موسى الأشعري ، وغيرهم من الولاة ، وقد كان الولاة إضافةً إلى ذلك يحرصون على حماية حقوق الدِّميِّين والمعاهدات الشَّخصية ، والعامَّة ، وينقِّدون المعاهدات انطلاقاً من الأوامر الشَّرعيَّة برعاية العهد [(١٧١٠)] .

وقد أوصى الفاروق بأهل الذمَّة ، فقال : أوصيكم بدمَّة الله ، ودمَّة رسوله خيراً أن يُقاتل مَنْ وراءهم ، وألا يُكلَّفوا فوق طاقتهم [(١٧١١)] .

٤ . بذل الجهد في تأمين الأرزاق للناس :

فقد قال عمر : إن سلّمني الله ؛ لأدعنّ أرامل العراق وهنّ لا يحتجنّ إلى أحدٍ بعدي ! ونحن لا ننسى موقف عمر عام الرّمادة ، حين حلّ الجوع بالنّاس ، فإنّه وضع جميع إمكانيات الدّولة لحلّ الأزمة ، وإشباع البطون الجائعة ، فقد روى البيهقي في سننه : أنّ عمر أنفق على أهل الرّمادة حتّى وقع المطر ، فترخّلوا ، فخرج إليهم عمر راكباً فرساً ، فنظر إليهم وهم يترخّلون بظعائهم ، فدمعت عيناه ، فقال رجل من بني محارب بن خصفة : أشهد أنّها انحسرت عنك ، ولست بابن أمةٍ . يمتدح عمر . فقال له عمر : ويلك ! ذلك لو أنفقت من مالي ، أو من مال الخطّاب ، إنّما أنفقت من مال الله [(١٧١٢)] . وقد قال رضي الله عنه : ولكم عليّ ألا أجتني شيئاً من خراجكم ، ولا ممّا أفاء الله عليكم إلا من وجهه ، ولكم عليّ إذا وقع في يدي ألا يخرج منيّ إلا في حقّه ، ولكم عليّ أن أزيد أعطياتكم ، وأرزاقكم إن شاء الله [(١٧١٣)] .

وقد أخذ توزيع الأعطيات في عهد عمر شكلاً دورياً منتظماً ، ولم يكن ذلك خاصّاً بسكّان البلدان ، بل إنّ القبائل في البادية شملتها الأعطيات ، فقد كان عمر ابن الخطّاب يدور في القبائل القريبة من المدينة ، ويوزّع عليهم أعطياتهم بنفسه ، وكان يكتب إلى بعض ولاياته : أن أعط النّاس أعطياتهم ، وأرزاقهم . وكان يقول : إنّهُ فيئهم الذي أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ، ولا ال عمر ، اقسمة بينهم [(١٧١٤)] .

ولم يكتف عمر بتأمين الأموال للنّاس ، بل إنّهُ عمل على تأمين الطّعام ، ففي إحدى زيارته للشّام قام إليه بلال بن رباح ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّ أمراء أجنادك بالشّام والله ما يأكلون إلا لحوم الطّيّر ، والخبز النّقي ! وما يجد ذلك عامّة المسلمين ، فقال لهم عمر . رضي الله عنه . : ما يقول بلال ؟ فقال له يزيد بن أبي سفيان : يا أمير المؤمنين ! إن سحر بلادنا رخيصٌ ، وإنا نصيب هذا الذي ذكر بلال هنا بمثل ما كنا نقوت عيالاتنا بالحجاز . فقال عمر . رضي الله عنه . : لا والله لا أبرح حتّى تضمنوا لي أرزاق المسلمين في كلّ شهر ! ثم قال : انظروا كم يكفي الرّجل ما يشتهيهِ ؟ قالوا : جريبان مع ما يصلحه من الرّيت ، والخلّ عند رأس كلّ هلالٍ . فضمنوا له ذلك ، ثمّ قال : يا معشر المسلمين ! هذا لكم سوى أعطياتكم ، فإن وثّي لكم أمراؤكم بهذا الذي فرضت لكم عليهم ، وأعطوكموه في كلّ شهرٍ ؛ فذلك أحبُّ ، وإن هم لم يفعلوا ؛ فأعلموني حتّى أعزّهم ، وأوليّ غيرهم [(١٧١٥)] .

وقد كان عمر يحرص على توفير الطَّعام في البلدان ، ويتابع الأسواق ، ويمنع الاحتكار ، وكذلك كان ولايته يقومون بمهمَّتهم في مراقبة الأسواق ، كما كان يأمر التجار بالمسير في الافاق والجلب على المسلمين وإغناء أسواقهم [(١٧١٦)] ، ولم يكتف الفاروق وولايته بتأمين الطَّعام ، ومراقبة الأسواق فقط ، بل إنَّ السَّكن ، وتوزيعه كان من المهامِّ الموكله لأمرء البلدان ، فعند إنشاء الأمصار ، وتخطيطها ؛ وزعت الأراضي على الناس لسكنها في الكوفة ، والبصرة [(١٧١٧)] والفسطاط ، كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة ، كحمص ، ودمشق ، والإسكندرية ، وغيرها [(١٧١٨)] .

٥ . تعيين العمال والموظفين :

كان تعيين العمَّال، والموظَّفين في الوظائف التَّابعة للولاية في كثيرٍ من الأحيان من مهامِّ الوالي، حيث إنَّ الولايات في الغالب تتكوَّن من بلدٍ رئيسيٍّ إضافةً إلى بلدانٍ، وأقاليمٍ أخرى تابعة للولاية ، وهي بحاجةٍ إلى تنظيم أمورها ، فكان الولاة يعيِّنون من قبلهم عمَّالاً وموظَّفين في تلك المناطق ، سواءً كانوا في مستوى أمراء ، أو عمَّال خراج ، وفي الغالب فإنَّ هذا التَّعيين يتمُّ بالاتِّفاق بين الخليفة ، والوالي [(١٧١٩)] .

٦ . رعاية أهل الذمة :

كانت رعاية أهل الذمَّة ، واحترام عهودهم ، والقيام بحقوقهم الشرعية ، ومطالبتهم بما عليهم للمسلمين من واجباتٍ ، وتتبع أحوالهم ، وأخذ حقوقهم ممَّن يظلمهم انطلاقاً من الأوامر الشرعية في هذا الجانب من واجبات الوالي ، وقد كان الخلفاء يشترطون على الذمِّيِّين في كثيرٍ من الأحيان شروطاً معيَّنة قبل مصالحتهم ، وبالتالي يوفون لهم بحقوقهم ويطالبون بما عليهم من شروط [(١٧٢٠)] .

٧ . مشاورة أهل الرأْي في ولايته ، وإكرام وجوه النَّاس :

شدَّد عمر على الولاة في استشارة أهل الرأْي في بلادهم ، وكان الولاة يطبِّقون ذلك، ويعقدون مجالس للنَّاس لأخذ آرائهم، وكان يأمر ولايته باستمرار بمشاورة أهل الرأْي [(١٧٢١)] ، وطلب من ولايته إنزال النَّاس منازلهم ، فقد كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري : بلغني : أنَّك تأذن للنَّاس جمًّا غفيراً ، فإذا جاءك كتابي هذا فأئذِّن لأهل الشَّرَف ، وأهل القران ، والتَّقوى ، والدين ، فإذا أخذوا مجالسهم فأئذِّن للعامة . وكتب إليه أيضاً : لم يزل للنَّاس وجوه يرفعون حوائج النَّاس ، فأكرموا وجوه النَّاس ، فإنَّه بحسب المسلم الضَّعيف أن ينتصف في الحكم ، والقِسْمَة [(١٧٢٢)] .

٨ . النَّظَرُ إِلَى حَاجَةِ الْوَلَايَةِ الْعِمْرَانِيَّةِ :

فقد قام سعد بن أبي وقاص بحفر نهرٍ في ولايته بناءً على طلب بعض كبار الفرس لصالح المزارعين في المنطقة [(١٧٢٣)] ، كما كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ، يأمره بحفر نهرٍ لأهل البصرة ، وقام أبو موسى بحفر نهرٍ طوله أربعة فراسخ ، حتَّى تمكَّن من جلب المياه لسكَّان البصرة [(١٧٢٤)] . كما اعتنى ولاية عمر . رضي الله عنه . عند تأسيسهم للأمصار المشهورة : الكوفة ، والبصرة ، والفسطاط بتخطيط الشوارع ، وتوزيع الأراضي ، وبناء المساجد ، وتأمين المياه ، وغير ذلك من المصالح العامَّة لهذه المدن ، كما اهتمَّ الولاية بتوطين السكَّان في المناطق غير المرغوب فيها ؛ لقرَّبها من العدوِّ ، أو غير ذلك من الأسباب ، فقد قدَّموا لهم الإغراءات ، وأقطعوهم الأراضي تشجيعاً لهم على البقاء فيها ، وقد فعل ذلك عمر ، وعثمان في إنطاكية ، وفي بعض بلاد الجزيرة .

٩ . مراعاة الأحوال الاجتماعيَّة لسكَّان الولاية :

كان الوفد إذا قدموا على عمر . رضي الله عنه . سألهم عن أميرهم ، فيقولون خيراً ، فيقول : هل يعود مرضاكم ؟ فيقولون : نعم . فيقول : هل يعود العبد ؟ فيقولون : نعم . فيقول : كيف صنيعه بالضَّعيف ؛ هل يجلس على بابهِ ؟ فإن قالوا لخصلةٍ منها : لا ؛ عزله [(١٧٢٥)] . وكان عمر يقوم بعزل العامل إذا بلغه أنَّه لا يعود المريض ، ولا يُدخل عليه الضَّعيف [(١٧٢٦)] .

كما حرص عمر بن الخطاب على أن يظهر عمَّاله بالمظهر المتواضع أمام النَّاس ؛ حتَّى يشعر النَّاس بأنَّ ولائهم منهم ، ولا يتميِّزون عنهم ، فكان عمر يشترط على عمَّاله مركباً ، وملبساً مماثلاً للنَّاس ، وينهاهم عن اتِّخاذ الأبواب ، والحجَّاب [(١٧٢٧)] .

١٠ . عدم التَّفريق بين العربيِّ ، وغيره :

يجب على الولاية أن يقوموا بالمساواة بين النَّاس وأن لا يفرِّقوا بين العربيِّ وغيره من المسلمين ، فقد قدم قومٌ على عاملٍ لعمر بن الخطاب ، فأعطى العرب ، وترك الموالي ، فكتب إليه عمر : أمَّا بعد : فبحسب المرء من الشرِّ أن يحقر أخاه المسلم . وفي روايةٍ : كتب إليه : ألا سوَّيت بينهم [(١٧٢٨)] . كما أنَّ هناك العديد من الواجبات الأخلاقيَّة الأخرى التي أمر الإسلام بالتزامها مثل : الوفاء بالعهد ، وإخلاص المرء في عمله ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى في كل ما يعمل ، واستعداده للتَّعاون مع سائر الجماعة في كلِّ أعمال البرِّ ، والتقوى ، ووجوب النَّصح لله ، ورسوله ، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم . فإنَّ

هذا ولا شكَّ يُوَدِّي إلى إصلاح حال الجماعة [(١٧٢٩)] ، وكان على الوالي . فضلاً عن الالتزام بهذه المعاني . نشرها بين النَّاس في ولايته ، وذلك من خلال خطبه ، وكتبه ، ومواعظه ، وتصرفاته ، وقد كان الولاة في عصر الرَّاشدين . بصفةٍ إجماليةٍ . نموذجاً صالحاً لهذه الأخلاقيَّات ، والواجبات ، سواءً في أشخاصهم ، وخصوصياتهم ، أم في سلوكهم العام مع الرِّعية [(١٧٣٠)] .

خامساً : التَّرجمة في الولايات وأوقات العمل عند الولاة :

١ . التَّرجمة في الولايات :

إنَّ عملية التَّرجمة تعتبر من الوظائف المساعدة لولاة البلدان في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، والحاجة ماسةٌ إليها في كثيرٍ من الأحيان ، وقد طلب عمر من ولاته في العراق أن يبعثوا إليه في المدينة بدهاقين من فارس ؛ ليتفاهم معهم حول قضايا الخراج ، فبعثوا إليه بالدهاقين ، وبترجمان معهم [(١٧٣١)] . وقد ذكر عن المغيرة بن شعبة : أنَّه كان يجيد شيئاً من اللُّغة الفارسيَّة وقام بالتَّرجمة بين عمر ، والهرمزان في المدينة [(١٧٣٢)] .

إنَّ معرفة التَّرجمة أمرٌ معروفٌ في الدَّولة الإسلاميَّة عموماً في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، وقبل ذلك ، وإذا علمنا أنَّ دواوين الخراج كانت بغير اللُّغة العربيَّة ، فإنَّنا ندرك مدى الحاجة إلى وجود مترجمين في الولايات يتولَّون التَّرجمة في قضايا الخراج ، وغيرها ، خصوصاً : أنَّ العمال الرَّئيسيين على الخراج كانوا بالدرجة الأولى من العجم ، كما أنَّ انتشار الموالي والدَّاخِلين الجدد في الإسلام في البلدان الإسلاميَّة المختلفة جعل الحاجة إلى التَّرجمة مهمَّةً جدًّا في كثيرٍ من الأمور المتَّصلة بالقضاء وغيره ، كما أنَّ المفاوضات بين القوَّاد الفاتحين . وهم في الغالب من الولاة . وبين أهل البلاد المفتوحة يحتاج إلى وجود المترجمين [(١٧٣٣)] .

٢ . أوقات عمل الولاة :

لم يكن هناك تنظيمٌ دقيقٌ لوقت العمل في عهد الفاروق ، فقد كان الخليفة ، والولاة يعملون في جميع الأوقات ، وليس عليهم حجابٌ ، حتَّى إنَّ بعضهم يقوم بالتجوُّل ليلاً ، وقدوثهم في ذلك عمر بن الخطَّاب ؛ الذي اشتهر بالمشي ليلاً ، وتفقُّد المدينة ، وقد كان الناس يدخلون على الولاة في مختلف الأوقات ، ويقضون حاجاتهم دون أن يجد النَّاس من يمنعهم من الدُّخول على الولاة بحجَّة : أنَّ ذلك

الوقت ليس وقت عمل ، وقد اشتهر الولاة بحرصهم على إنجاز الأعمال أولاً بأول ، وعدم تأخيرها ، وقد كتب عمر بن الخطاب في هذا المجال إلى أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قائلاً : لا تؤخّر عمل اليوم إلى الغد فتدال عليك الأعمال ، فتضيع ، وأنّ للناس لَنُفْرَةً عن سلطانهم أعوذ بالله أن تدركني ! وإيّاكم وضغائن محمولةً ، ودنيا مؤثرةً ، وأهواء متبّعة [(١٧٣٤)] .

* * *

المبحث الثالث

متابعة الولاة ومحاسبة عمر لهم

أولاً : متابعة الولاة :

لم يكن عمر يرضى بأنّه يهتمّ بحسن اختيار عمّاله ، بل كان يبذل أقصى الجهد لمتابعتهم بعد أن يتولّوا أعمالهم ؛ ليطمئنّ على حسن سيرتهم ، ومخافة أن تنحرف بهم نفوسهم ، وكان شعاره لهم : خيرٌ لي أن أعزل كلّ يومٍ والياً من أن أبقى ظالماً ساعةً من نهار [(١٧٣٥)] ، وقال : أيّما عاملٍ لي ظلم أحداً ، فبلغني مظلّمته ، فلم أغيّرها ؛ فأنا ظلمته [(١٧٣٦)] ، وقال يوماً لمن حوله : رأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ، ثمّ أمرته بالعدل ، أكنت قضيت ما عليّ ؟ فقالوا : نعم . قال : لا ، حتّى أنظر في عمله ، أعمل بما أمرته ، أم لا [(١٧٣٧)] ؟

وقد سار رضي الله عنه بحزم في رقابته الإدارية لعمّاله ، وتابعهم بدقّة ، وكانت طريقة عمر في الإدارة إطلاق الحرّيّة للعامل في الشُّؤون المحليّة ، وتقييده في المسائل العامّة ، ومراقبته في سلوكه ، وتصرفاته ، وكان له جهازٌ سرّي مربوطٌ به لمراقبة أحوال الولاة والرّعوية ، وقد بينت لنا المصادر التّاريخية أنّ ما يشبه اليوم (المخابرات) كان موجوداً عند عمر فقد كان علمه بمن نأى عنه من عمّاله بمن بات معه في مهادٍ واحدٍ ، وعلى وسادٍ واحدٍ ، فلم يكن في قطرٍ من الأقطار ، ولا ناحيةٍ من النّواحي عاملٌ ، أو أميرٌ جيشٍ إلا وعليه عينٌ لا يفارقه ، فكانت ألفاظ منّ بالمشرق ، والمغرب عنده في كلّ ممسٍ ومصبحٍ ،

وأنت ترى ذلك في كتبه إلى عمّاله حتّى كان العامل منهم ليّتهم أقرب النَّاس إليه ، وأخصّتهم [(١٧٣٨)] ، وكانت وسائل عمر في متابعته لعمّاله متعددة ، منها :
١ . طلب من الولاة دخول المدينة نهاراً :

كان رضي الله عنه يطلب من ولاته . القادمين إلى المدينة . أن يدخلوها نهاراً ، ولا يدخلوها ليلاً حتّى يظهر ما يكون قد جاؤوا به من أموال ، ومغانم ، فيسهل السُّؤال ، والحساب [(١٧٣٩)] .

٢ . طلب الوفود من الولاة :

كان عمر . رضي الله عنه . يطلب من الولاة أن يرسلوا وفداً من أهل البلاد ليسألهم عن بلادهم ، وعن الخراج المفروض عليهم ؛ ليتأكّد بذلك من عدم ظلمهم ، ويطلب شهادتهم ، فكان يخرج إليه مع خراج الكوفة عشرةً من أهلها ، ومع خراج البصرة مثلهم ، فإذا حضروا أمامه شهدوا بالله : أنّه مالٌ طيّبٌ ، ما فيه ظلمٌ مسلمٍ ، ولا معاهدٍ [(١٧٤٠)] .

وكان هذا الإجراء كفيلاً بمنع الولاة من ظلم النَّاس ؛ إذ لو حدث هذا ؛ لرفعه هؤلاء الموفدون إلى أمير المؤمنين ، وأخبروه به ، كما أنّ عمر في الغالب كان يقوم بمناقشة هؤلاء الموفدين ، وسؤالهم عن بلادهم ، وعن ولايتهم ، وسلوكهم معهم [(١٧٤١)] .

٣ . رسائل البريد :

كان عمر . رضي الله عنه . يرسل البريد إلى الولاة في الأمصار ، فقد كان يأمر عامل البريد عندما يريد العودة إلى المدينة أن ينادي في النَّاس من الذي يريد إرسال رسالةٍ إلى أمير المؤمنين ؟ حتّى يحملها إليه دون تدخّلٍ من والي البلد ، وكان صاحب البريد نفسه لا يعلم شيئاً من هذه الرّسائل ، وبالتالي يكون المجال مفتوحاً أمام النَّاس لرفع أيّ شكوى ، أو مظلمةٍ إلى عمر نفسه دون أن يعلم الوالي أو رجاله بذلك ، وحينما يصل حامل الرّسائل إلى عمر ينثر ما معه من صحفٍ ويقرؤها عمر ، ويرى ما فيها [(١٧٤٢)] .

٤ . المفتش العامُّ (محمد بن مسلمة) :

كان محمّد بن مسلمة الأنصاريّ يستعين به الفاروق في متابعة الولاة ، ومحاسبتهم ، والتأكّد من الشكاوى التي تأتي ضدّهم ، فكان موقع محمّد بن مسلمة كالمفتش العام في دولة الخلافة ، فكان يتحرّى على حقائق أداء الولاة لأعمالهم ، ومحاسبة المقصّرين منهم ، فقد أرسله عمر لمراقبة ، ومحاسبة

كبار الولاية [(١٧٤٣)] ، والتَّحقيق في الشكايات ، ومقابلة النَّاس ، والسَّماع منهم ، ونقل آرائهم عن ولاتهم إلى عمر مباشرةً ، وكان مع محمَّد بن مسلمة أعوانٌ .

٥ . موسم الحج :

كان موسم الحجِّ فرصةً لعمر ليستقي أخبار رعيته ، وولاته ، فجعله موسماً للمراجعة ، والمحاسبة ، واستطلاع الآراء في شتَّى الأنحاء ؛ فيجتمع فيه أصحاب الشكايات ، والمظالم ، ويفد فيه الرُّقباء الذين كان عمر يبيِّتهم في أرجاء دولته لمراقبة العمال ، والولاية ، ويأتي العمَّال أنفسهم لتقديم كشف الحساب عن أعمالهم ، فكان موسم الحجِّ « جمعيةً عموميَّةً » كأرقى ما تكون الجمعيات العموميَّة في عصرٍ من العصور [(١٧٤٤)] .

وكان عمر يخصِّص في موسم الحجِّ واجبات عمَّاله أمام الرِّعية ، ثمَّ يقول : فمن فُعل به غير ذلك فليقم . فما قام من أهل الموسم . انذاك . أحدٌ إلا رجلاً واحدٌ . ممَّا يدلُّ على عدالة هؤلاء الولاية ، ورضا الرِّعية عنهم . فقال ذلك الرَّجل : إنَّ عاملك فلاناً ضربني مئة سوطٍ ، فسأل عمر العامل فلم يجد عنده جواباً ، فقال للرَّجل : قم فاقتصَّ منه . فقام عمرو بن العاص ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنَّك إن فعلت هذا ، ويكثُر ، ويكون سنَّةً يؤخذ بها بعدك ، فقال عمر : أنا لا أقيد . أي : اقتص . وقد رأيت رسول الله (ص) يقيد من نفسه ؟ فقال عمرو : فدعنا فلنرضه ، فقال : دونكم ، فارضوه ، فافتدى العامل من الرَّجل بمئتي دينار ، كلُّ سوط بدينارين [(١٧٤٥)] .

٦ . جولة تفتيشية على الأقاليم :

كان تفكير عمر قبل مقتله أن يجول على الولايات شخصياً لمراقبة العمَّال ، وتفقد أحوال الرِّعية ، والاطمئنان على أمور الدَّولة المترامية ، وقال عمر : لئن عشت . إن شاء الله . لأسيرنَّ في الرِّعية حولاً ، فإني أعلم أنَّ للنَّاس حوائج تُقطع دوبي ، أمَّا عمالهم ؛ فلا يدفعونها إليَّ ، وأمَّا هم ؛ فلا يصلون إليَّ ، فأسير إلى الشَّام ، فأقيم بها شهرين ، ثمَّ أسير إلى الجزيرة ، فأقيم بها شهرين ، ثمَّ أسير إلى الكوفة ، فأقيم بها شهرين ، ثمَّ أسير إلى البصرة فأقيم بها شهرين ، ثمَّ والله لنعم الحول هذا [(١٧٤٦)] !

وقد طبَّق عمر شيئاً من هذا خصوصاً في ولاية الشَّام حيث سار إليها عدَّة مرَّاتٍ ، وتفقد أحوالها ، ودخل بيوت ولاتها ، وأمرائها [(١٧٤٧)] ، ليعرف أحوالهم عن كثبٍ ، فقد دخل دار أبي عبيدة ، وشاهد حالته ، وتقصَّفه ، ودار بينه وبين امرأة أبي عبيدة حواراً شديداً أَلقت فيه اللَّوم على عمر نتيجة ما يعيشون فيه من تقشُّفٍ . كما زار دار خالد بن الوليد ، ولم يجد عنده شيئاً يلفت النَّظر سوى

أسلحته التي كان منشغلاً بإصلاحها ، وقد كان عمر أثناء دخوله على هؤلاء يدخل فجأة ؛ إذ يصحبه رجلٌ فيطرق الباب على الوالي ، فيتكلم الرجل ، ويطلب الإذن بالدخول له ، ولمن معه دون أن يعلموا : أنه عمر ، وحينما يدخل عمر إلى الدار يقوم بالتمحيص فيها ، والاطِّلاع على ما فيها من أثاثٍ [(١٧٤٨)] .

وقد سمع عمر - رضي الله عنه - أن يزيد بن أبي سفيان يتوَّع في طعامه ، فانتظر حتى إذا حان وقت عشاء يزيد ؛ استأذن عليه عمر ، فلمَّا رأى طعامه ؛ نهاه عن الإسراف في الطعام [(١٧٤٩)] . ولم يكتف عمر بالمراقبة عن طريق هذه الزيارات بل عمد إلى طريقةٍ أخرى ، وهي إرسال كميات من الأموال إلى الولاة ، وإرسال من يراقبهم حتى يعرف كيف تصرفوا فيها ، فأرسل إلى أبي عبيدة بخمسمئة دينارٍ ، فعمد إليها أبو عبيدة ، فقسمها كلها ، فكانت امرأته تقول : والله لقد كان ضرر دخول الدنانير علينا أكثر من نفعها ! ثم إنَّ أبا عبيدة عمد إلى خَلْقِ ثوبٍ كَثَّ نِصْلِي فيه ، فيشققه ، ثمَّ جعل يصبر فيه من تلك الدنانير الذهب ويبعث بها إلى مساكين ، فقسمها عليهم حتى فويت [(١٧٥٠)] . وعمل عمر الشَّيء نفسه مع ولاة آخرين في سفرته تلك إلى الشَّام .

ولم يكتف عمر بمراقبته للعَمَّال أثناء سفره ، بل كان يستقدمهم إلى المدينة ، ثم يوكِّل من يراقبهم في أكلهم ، وشربهم ، ولباسهم ، ويفعل ذلك بنفسه أيضاً [(١٧٥١)] .

٧ . الأرشيف أو الملقَّات الخاصَّة بأعمال الخلافة :

كان عمر - رضي الله عنه - حريصاً كلَّ الحرص على حفظ الأوراق الخاصَّة بالولايات ، وبالخلافة عموماً ، وكان أكثر حرصه على حفظ المعاهدات ؛ التي يجريها الولاة مع أهل البلاد المفتوحة منعاً لظلم أحدٍ ، فقد ورد : أنه كان هناك تابوت لعمر بن الخطاب فيه كلُّ عهدٍ كان بينه وبين أحدٍ ممن عاهدته ، ويمكننا أن نطلق على هذا التابوت (الأرشيف) أو الملقَّات الخاصَّة بأعمال الخلافة ، ولعلَّ الولاة أيضاً كانوا يحتفظون بأوراقهم ، ومكاتباتهم للعودة إليها عند الحاجة ، وحتى لا تلتبس عليهم الأمور [(١٧٥٢)] .

ثانياً : شكاوى من الرعيَّة في الولاة :

كان عمر - رضي الله عنه - يحقِّق بنفسه في شكاوى الرعيَّة ضدَّ ولائهم وكان يحرص على استيضاح الأمر ، والتَّحقيق الدَّقِيق ، واستشارة أصحاب الرأي والشُّورى الذين كانوا من حوله ، ثمَّ كانت تأتي أوامره في تنفيذ الجزاء والعقوبة على من يستحقُّ سواءً أكان عاملاً ، أم من

الرَّعِيَّةِ [١٧٥٣] ، وهذه بعض الشكاوى ضدَّ الولاة ، وكيف تعامل عمر معها رضي الله عنه :

١ . شكاوى أهل الكوفة في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

اجتمع نفرٌ من أهل الكوفة بزعامة الجراح بن سنان الأسديّ ، فشكوا أميرهم سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . إلى أمير المؤمنين عمر ، وذلك في حال اجتماع الجوس في نهاوند لغزو المسلمين ، فلم يشغلهم ما داهم المسلمين في ذلك ، ولقد كان سعد عادلاً ، رحيماً بالرَّعِيَّةِ ، قوياً ، حازماً على أهل الباطل ، والشِّقاق ، عطوفاً على أهل الحقِّ ، والطَّاعة ، ومع ذلك شغب عليه هؤلاء القوم ممن لا يطبقون حكم الحقِّ ، ويريدون أن يحقِّقوا شيئاً من أهوائهم ، وقد وقَّتوا لشكواهم وقتاً رأوا : أنَّه أدعى لسماع أمير المؤمنين منهم ، حيث كان المسلمون مقبلين على معركة مصيريَّة تستدعي اتِّفاق كلمة المسلمين ، وتضافر جهودهم في مواجهتها ، وحيث كانوا يعلمون اهتمام عمر الشَّديد باجتماع كلمة المسلمين دائماً ، وخاصَّةً في مثل تلك الطُّروف ، فرجوا أن يفوزوا ببغيتهم ، وقد استجاب أمير المؤمنين لطلبهم في التَّحقيق في أمر شكواهم ، مع علمه بأنَّهم أهل هوىٍّ وشرٍّ ، ولم يكتفهم اعتقاده فيهم ، بل صرَّح لهم بذلك ، وبَيَّن لهم : أنَّ اعتقاده بظلمهم لواليتهم ، وتزويرهم الحقائق لا يمنعه من التَّحقيق في أمرهم ، واستدلَّ على سوء مقصدهم بتوقيتهم السيِّئ ، حيث قال لهم : إِنَّ الدَّلِيلَ على ما عندكم من الشَّرِّ نھوضكم في هذا الأمر وقد استعدَّ لكم من استعدُّوا .. وإيم الله ! لا يمنعني ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم [١٧٥٤] ، فبعث عمر محمَّد بن مسلمة والنَّاس في الاستعداد للأعاجم ، والأعاجم في الاجتماع ، وكان محمَّد بن مسلمة هو صاحب العمَّال الَّذي يقتصُّ اثار مَنْ شكى زمان عمر ، فقدم محمَّد على سعدٍ ليطوف به في أهل الكوفة ، والبعوث تضرب على أهل الأمصار إلى نهاوند ، فطوَّف به على مساجد أهل الكوفة ، لا يتعرَّض للمسألة عنه في السيِّر ، وليست المسألة في السيِّر من شأنهم إذ ذاك [١٧٥٥] .

وفي هذا بيانٌ لمنهج الصَّحابة . رضي الله عنهم . في التَّحقيق في قضايا الخلاف الَّتِي تجري بين المسؤولين ومَنْ تحت ولايتهم ، فالتَّحقيق يتمُّ في العلن ، وذلك بحضور المسؤول والَّذين هو مسؤول عنهم ، وكان لا يقف على مسجدٍ فيسألهم عن سعدٍ إلا قالوا : لا نعلم إلا خيراً ، ولا نشتهي به بدلاً ، ولا نقول فيه ، ولا نعين عليه ، إلا مَنْ مالاً الجراح بن سنان ، وأصحابه ، فإنَّهم كانوا يسكتون لا يقولون سوءاً ، ولا يسوغ لهم ، ويتعمَّدون ترك الثناء حتَّى

انتهوا إلى بني عبسٍ . فقال محمدٌ : أنشد بالله رجلاً يعلم حقاً إلا قال ، قال أسامة بن قتادة : اللَّهُمَّ إِن نَشَدْتَنَا ! فَإِنَّهُ لَا يَقْسَمُ بِالسَّوِيَّةِ ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الرَّعِيَةِ ، وَلَا يَغْزُو فِي السَّرِيَّةِ . فقال سعد : اللَّهُمَّ إِن كَانَ قَالِهَا كَذِباً ، وَرِثَاءً ، وَسَمْعَةً فَأَعْمِ بَصْرَهُ ، وَأَكْثِرْ عِيَالَهُ ، وَعَرِّضْهُ لِمُضَلَّاتِ الْفِتَنِ ، فَعَمِي ، وَاجْتَمَعَ عِنْدَهُ عَشْرُ بَنَاتٍ ، وَكَانَ يَسْمَعُ بِخَيْرِ الْمَرْأَةِ ، فَيَأْتِيهَا حَتَّى يَجْبِسَهَا ، فَإِذَا عَثَرَ عَلَيْهِ ؛ قَالَ : دَعْوَةُ سَعْدِ الرَّجُلِ الْمُبَارِكِ . قَالَ : ثُمَّ أَقْبَلَ - يَعْنِي : سَعْدٌ - عَلَى الدُّعَاءِ عَلَى النَّفْرِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِن كَانُوا خَرَجُوا أَشْرَاءً ، وَبَطْرًا ، وَكَذِبًا فَاجْهَدْ بِلَاءَهُمْ ! فَجْهَدْ بِلَاؤَهُمْ ، فَقَطَّعَ الْجِرَاحَ بِالسُّيُوفِ يَوْمَ تَاوَرَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ لِيُغْتَالَ بِسَابِطٍ ، وَشُدَّخَ قُبَيْصَةَ بِالْحِجَارَةِ ، وَقَتَلَ أَرْبَدَ بِالْوَجْءِ - يَعْنِي : الضَّرْبَ - وَبِنَعَالِ السُّيُوفِ - يَعْنِي : بِأَعْقَابِهَا .

هذا وإنَّ في هذا الخبر نموذجاً من معية الله تعالى لأوليائه المتقين ، حيث استجاب الله تعالى دعوة سعدٍ على مَنْ ظلموه ، فأصيبوا جميعاً بما دعا عليهم ، وإنَّ في استجابة الله تعالى دعاء سعد ، وأمثاله لونا من العناية الإلهية بأوليائه الله المتقين ، فكم خاف المبطلون من هذا السلاح الخفي ؛ الذي لا يملكون بكلِّ وسائلهم الماديَّة مقاومة ، ولا الحدَّ منه ، وكون هؤلاء الذين دعا عليهم سعدٌ ختم لهم بالخاتمة السيئة دليلٌ على تمكُّن الهوى ، والشَّرِّ من نفوسهم ، حتَّى أدَّى بهم ذلك إلى المصير السيِّئ ، وقد دافع سعد عن نفسه ، فقال : إني لأول رجل أهرق دماً من المشركين ، ولقد جمع لي رسول الله أبويه ، وما جمعهما لأحدٍ قبلي - يعني : حينما قال له يوم أحد : « ارم فداك أبي ، وأمي ! » - ولقد رأيتني خمس الإسلام ، وبنو أسدٍ تزعم أبي لا أحسن أن أصلي ، وأن الصَّيد يلهيني . وخرج محمد بن مسلمة به وبهم إلى عمر حتَّى قدموا عليه ، فأخبره الخبر ، فقال : يا سعد ! ويحك كيف تصلي ؟ قال : أطيل الأولين ، وأحذف الآخرين ، فقال : هكذا الظنُّ بك .

ثمَّ قال عمر - رضي الله عنه - : لولا الاحتياط ؛ لكان سبيلهم بيناً . ثمَّ قال : مَنْ خليفتك يا سعد على الكوفة؟! فقال : عبد الله بن عبد الله بن عتبان ، فأقره ، واستعمله [(١٧٥٦)] ، وقول عمر - رضي الله عنه - : لولا الاحتياط ؛ لكان سبيلهم بيناً يعني : قد اتَّضح أمرهم ، وأنَّهم ظالمون جاهلون ، وظهرت براءة سعدٍ ممَّا نسبوه إليه ، ولكنَّ الاحتياط لأمر الأمة يقتضي درء الفتن ، وإماتتها وهي في مهدها قبل أن تستفحل ، فتسبب الشِّقاق ، والفرقة ، وربما القتال ، وإذا كان المسؤول المدَّعى عليه بريئاً ممَّا نسب إليه ؛ فإنَّ ذلك لا يضرُّه بشيءٍ ، وقد برئت ساحتها ممَّا نسب إليه من التُّهمة .

وقد كانوا يفهمون الولاية مغرماً ، لا مغنماً ، وتكليفاً يرجون به ثواب الله تعالى ، فالولاية

على أمرٍ من أمور المسلمين نوعٌ من الأعمال الصَّالحة لمن اتَّقَى الله تعالى ، وأراد رضوانه ، والدَّار الآخرة ، فإذا تحوَّل هذا العمل إلى مصدرٍ للفتنة فإنَّ الحكمة تقتضي عدم الاستمرار فيه ، كما هو الحال في هذه الواقعة ، ولكلِّ حادثٍ حديثٌ ، وهذا هو ما أقدم عليه عمر حينما أعفى سعداً من العمل ، وكلف نائبه ؛ الذي هو موضعُ ثقة سعد [(١٧٥٧)] .

هذا وقد استبقى عمر سعداً . رضي الله عنهما في المدينة . وأقرَّ من استخلفه سعدٌ على الكوفة بعده ، وصار سعد من مستشاري عمر في المدينة [(١٧٥٨)] ، ثمَّ جعله من السبِّة المرشَّحين للخلافة حين طعن ، ثم أوصى الخليفة من بعده بأن يستعمل سعداً : « فإيَّي لم أعزله عن سوء ، وقد خشيت أن يلحقه من ذلك » [(١٧٥٩)] .

٢ . شكاوى ضدَّ عمرو بن العاص والي مصر :

كانت مراقبة عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . لعمرو بن العاص صارمةً ، وحازمةً ، وكان الخليفة الفاروق يتدخَّل في شؤون الولاية المختلفة وحتىَّ عندما اتَّخذ عمرو بن العاص منبراً ؛ كتب إليه : أمَّا بعد : فقد بلغني أنَّك اتَّخذت منبراً ترزقي به على رقاب المسلمين ، أو ما يكفيك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك ؟ فعزمت عليك إلا ما كسرت [(١٧٦٠)] ، وكان عمرو بن العاص يخشى مراقبة عمر بن الخطَّاب ، ويعلم مدى حرصه على إقامة العدل بين الناس ، وعلى إقامة الحدود الشرعية ، فكان يبذل جهده حتى لا يصل إلى عمر من الأخبار إلا ما يسره ، ومن ذلك : أنَّ عبد الرحمن بن عمر بن الخطَّاب ، ورجلاً آخر شربا شراباً دون أن يعلما : أنَّه مسكَّر ، فسكرا ، ثمَّ إنَّهما جاءا إلى عمرو بن العاص يطلبان منه أن يقيم عليهما الحدَّ فزجرهما عمرو ، وطردهما ، فقال له عبد الرحمن : إن لم تفعل أخبرت أبي . قال عمرو : فعلت : أيَّي إن لم أقم عليهما الحدَّ غضب عمر ، وعزلي ، ثمَّ إنَّ عمراً جلدتهما أمام الناس ، وحلق رأسيهما داخل بيته ، وكان الأصل العقاب بالحلِق مع الجلد في وقتٍ واحدٍ أمام النَّاس ، فجاءه كتابٌ من عمر يعنِّفه على عدم حلِّقه أمام الناس ، وكان فيه : تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك ، وقد عرفت : أنَّ هذا يخالفني ، إمَّا عبد الرحمن رجلٌ من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، ولكن قلتَ هو ولد أمير المؤمنين ، وقد عرفتَ أن لا هوادة لأحدٍ من النَّاس عندي في حقِّ يجب لله عليه [(١٧٦١)] .

وقد وجَّهت ضدَّ عمرو بن العاص بعض الشكاوى أثناء ولايته ، بعضها من جنوده المسلمين ، وبعضها من أهل البلاد من الأقباط ، ممَّا دعا عمر رضي الله عنه إلى استدعاء عمرو بن العاص عدَّة مرَّات ؛

لمعاتبته ، بل وأحياناً لمعاتبته على ما بدر منه ، ومن ذلك ما تقدّم به أحد المصريين ضدّ ابن عمرو بن العاص ضربه بالسّوط ، ممّا جعل عمر بن الخطّاب يستدعي عمراً ، وابنه ثمّ يأمر المصريّ بالقصاص من ابن عمرو بن العاص ، ويقول له : لو ضربت أباه عمراً لما حلنا بينك وبين ذلك ، والتفت عمر إلى عمرو بن العاص ، وقال قولته المشهورة : متى استعبدتم النّاس وقد ولدتمهم أمّهاتهم أحراراً [(١٧٦٢)] . كذلك يدخل في هذا الباب ما تقدّم به أحد الجنود من أنّ عمرو بن العاص أمّمه بالتّفاق ، وكتب معه عمر إلى عمرو بن العاص أمراً بأن يجلس عمرو أمام النّاس فيجلده إذا ثبت صدق ما ادّعاه بشهادة شهود ، وقد ثبت بالشّهادة أن عمراً رماه بالتّفاق ، فحاول بعض الناس أن يمنع الرّجل من ضرب عمرو ، وأن يدفع له الأرض مقابل الضّرب ، ولكنّه رفض ذلك ، وعندما قام على رأس عمرو ليضربه سأله : هل يمنعني أحدٌ من ضربك ؟ فقال عمرو : لا .. فامض لما أمرت به . قال : فإني قد عفوت عنك [(١٧٦٣)] .

٣. شكاوى ضدّ أبي موسى الأشعري والي البصرة :

عن جرير بن عبد الله البجلي : أنّ رجلاً كان مع أبي موسى الأشعري ، وكان ذا صوتٍ ، ونكايّة في العدو ، فغنموا مغنماً فأعطاه أبو موسى بعض سهمه ، فأبى أن يقبله إلاّ جميعاً ، فجلده أبو موسى عشرين سوطاً ، وحلقه ، فجمع الرّجل شعره ، ثمّ ترخّل إلى عمر بن الخطّاب حتّى قدم عليه ، فدخل على عمر بن الخطّاب ، قال جرير : وأنا أقرب النّاس من عمر ، فأدخل يده فاستخرج شعره ، ثمّ ضرب به صدر عمر ، ثمّ قال : أما والله لولا النّار ! فقال : عمر : صدق والله لولا النار ! فقال : يا أمير المؤمنين إنّي كنت ذا صوتٍ ، ونكايّة ، فأخبره بأمره ، وقال : ضربني أبو موسى عشرين سوطاً ، وحلق رأسي ، وهو يرى أنّه لا يقتصّ منه .

فقال عمر - رضي الله عنه - : لأن يكون النّاس كلّهم على صرامة هذا ؛ فأحبّ إليّ من جميع ما أفاء الله علينا . فكتب عمر إلى أبي موسى : السّلام عليك ، أمّا بعد : فإنّ فلاناً أخبرني بكذا ، وكذا ، فإن كنت فعلت ذلك في ملأ من النّاس ، فعزمت عليك لما قعدت له في ملأ من النّاس ، حتّى يقتصّ منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلاءٍ من النّاس ، فاقعد له في خلاءٍ من النّاس ، حتّى يقتصّ منك . فقدم الرّجل ، فقال له النّاس : اعف عنه ! فقال : لا والله لا أدعه

لأحدٍ من الناس ! فلما قعد له أبو موسى ليقصّ منه ، رفع الرّجل رأسه إلى السّماء ، ثمّ قال : اللّهمّ إنّي قد عفوت عنه [(١٧٦٤)] !

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كنا مع عمر في مسيرٍ ، فأبصر رجلاً يسرع في سيره . فقال : إنَّ هذا الرَّجل يريدنا ، فأناخ ثمَّ ذهب لحاجته ، فجاء الرَّجل ، فبكى ، وبكى عمر - رضي الله عنه - وقال : ما شأنك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! إنِّي شربت الخمر ، فضربني أبو موسى ، وسوَّد وجهي ، وطاف بي ، ونهى النَّاس أن يجالسوني ، فهمت أن اخذ سيفي ، فأضرب به أبا موسى ، أو اتيك فتحولني إلى بلدٍ لا أعرفُ فيه ، أو ألحق بأرض الشِّرك ، فبكى عمر - رضي الله عنه - وقال : ما يسرُّني أنَّك لحقت بأرض الشِّرك ، وأنَّ لي كذا وكذا ، وقال : إن كنت ممَّن شرب الخمر ، فلقد شرب النَّاس الخمر في الجاهلية ، ثم كتب إلى أبي موسى : إنَّ فلاناً أتاني ، فذكر كذا ، وكذا ، فإذا أتاك كتابي هذا فأؤمِّر النَّاس أن يجالسوه ، وأن يخالطوه ، وإن تاب ؛ فاقبل شهادته . وكساه ، وأمر له بمئتي درهم [(١٧٦٥)] .

وجاء في روايةٍ : إنَّ فلاناً بن فلان التَّميمي أخبرني بكذا ، وكذا ، وايم الله ! لعن عدت لأسودنَّ وجهك ، وليطاف بك في النَّاس ، فإن أردت أن تعلم أحقُّ ما أقول ؛ فعد ، وأؤمر النَّاس فليؤاكلوه ، وليجالسوه ، وإن تاب ؛ فاقبلوا شهادته ، وكساه عمر - رضي الله عنه - حلَّةً ، وحمله ، وأعطاه مئتي درهم [(١٧٦٦)] ، وهذه القصَّة فيها حرص الفاروق على ألا يتعدَّى أحدٌ من عمَّاله العقوبات الشرعية عند معاينة العاصين [(١٧٦٧)] .

٤. شكاوى أهل حمص ضدَّ سعيد بن عامر :

قال خالد بن معدان : استعمل علينا عمر بن الخطَّاب بجمص سعيد بن عامر الجمحي ، فلمَّا قدم حمص ؛ قال : يا أهل حمص ! كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه ، وكان يقال لأهل حمص : الكوفة الصُّغرى لشكايتهم العمَّال ، قالوا : نشكوه أربعاً ، لا يخرج إلينا حتى يتعالى النَّهار ، قال : أعظم بها ! وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليلاً ، قال : وعظيمة ! وماذا ؟ قالوا : وله يوم في الشَّهر لا يخرج فيه إلينا ! قال : عظيمة ! وماذا ؟ قالوا : يغطُّ الغطَّة بين الأيَّام (أي : يغمى عليه ، ويغيب عن حسِّه) فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهمَّ لا تقيِّل رأبي فيه اليوم ، وافتتح المحاكمة ، فقال لهم أمامه : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النَّهار . قال : ما تقول ؟ قال : والله إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلي خادم ، فأعجن

عجيني ، ثم أجلس حتى يختمر ثمَّ أخبز خبزي ، ثمَّ أتوضأ ، ثم أخرج إليهم . فقال : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليلاً . قال : ما تقول ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره ، إنِّي جعلت النَّهار لهم ،

وجعلت اللّيل لله عزّ وجلّ . قال : وما تشكون منه ؟ قالوا : إنّ له يوماً في الشّهر لا يخرج إلينا فيه . قال : ما تقول ؟ قال : ليس لي خادمٌ يغسل ثيابي ، ولا لي ثياب أبدلها ، فأجلس حتّى تجفّ ، ثمّ أدلكها ، ثمّ أخرج إليهم اخر التّهار ، قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : يغطّ الغطّة بين الأيام . قال : ما تقول ؟ قال : شهدت مصرع خبيب الأنصاريّ بمكّة ، وقد بضعت قريش لحمه ، ثمّ حملوه على جذعة ، فقالوا : أتحبّ أنّ محمّداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحبّ أيّ في أهلي ، وولدي ، وأنّ محمّداً (ص) يشاك شوكةً ، ثمّ نادى يا محمد ! فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرّك لا أوّمن بالله العظيم إلا ظننت : أنّ الله عزّ وجلّ لا يغفر لي بذلك الذّنْب أبداً فتصيّني تلك الغطّة . فقال عمر : الحمد لله الذي لم يفيل فراستي ، فبعث إليه بألف دينارٍ ، وقال : استعن بها على أمرك . ففرّقها [(١٧٦٨)] .

٥. عزل من استهزأ بأحد أفراد الرّعية :

قال قيس بن أبي حازم . رحمه الله . : استعمل عمر . رضي الله عنه . رجلاً من الأنصار ، فنزل بعظيم أهل الحيرة عمرو بن حيّان بن بقليلة ، فأمال عليه بالطّعام ، والشّراب ما دعا به ، فاحتبس الهزل [(١٧٦٩)] ، فدعا الرّجل ، فمسح بلحيته ، فركب إلى عمر . رضي الله عنه . فقال : يا أمير المؤمنين ! قد خدمت كسرى ، وقيصر ، فما أتى إليّ ما أتى في ملكك ! قال : وما ذاك ؟ قال : نزل بي عاملك فلانٌ ، فأملنا عليه بالطّعام ، والشّراب ما دعا به ، فاحتبس الهزل ، فدعاني فمسح بلحيّتي . فأرسل إليه عمر . رضي الله عنه . فقال : هيه !؟ أمال عليك بالطّعام والشّراب ما دعوت به ، ثمّ مسحت بلحيّته ؟ والله لولا أن تكون سنّة ما تركت في لحيتك طاقةً إلا نتفتها ! ولكن اذهب فوالله لا تلي لي عملاً أبداً [(١٧٧٠)] ! .

ثالثاً : العقوبات الّتي نزلت بالولادة في عهد عمر رضي الله عنه :

نتيجة لمراقبة الفاروق لولاته لاحظ وجود بعض الأخطاء الّتي وقع فيها الولاية ، فقام بتأديبهم ، ومعاقتهم على هذه الأخطاء الّتي وقعوا فيها ، وقد اختلفت طرق تأديب الولاية حسب اختلاف الأحداث ، وحسب ما يراه الخليفة . ومن أهم أساليب عقوبات الولاية :

١. القود من الأمراء ، والاقتصاص منهم لو أخطؤوا :

وقد كان عمر يقول : ألا وإيّي لم أرسل عمالي ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ،

ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنة نبيكم ، فمن فعل به سوى ذلك ؛ فليرفعه إليّ ، فوالذي نفسي بيده ! إذن لأقصنه [(١٧٧١)] . ولم يكتف عمر بالبيانات الرسمية التي تهدد الولاة ، وتمنعهم من الاعتداء على الناس بل إنه طبّق ذلك عملياً ، كما مرّ معنا فيمن اشتكى من أبي موسى الأشعري ، واشتكى من عمرو ابن العاص رضي الله عنهم [(١٧٧٢)] .

٢. عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ :

وقد قام الفاروق . رضي الله عنه . بعزل الولاة نتيجة وقوعهم في أخطاء لا يرتضيها ، فقد عزل رضي الله عنه أحد الأمراء نتيجة تدخّله فيما لا يعنيه في شؤون أجناده ؛ حيث بعثه على جيش ، فلمّا نزل بهم ؛ قال : عزمت عليكم لما أخبرتموني بكلّ ذنبٍ أذنبتموه ، فجعلوا يعترفون بذنوبهم ، فبلغ ذلك عمر ، فقال : ما له لا أمّ له ! يعمد إلى سترٍ ستره الله ، فيهتكه ؟ والله لا يعمل ليأبداً [(١٧٧٣)] ! كما غضب عمر من أحد الولاة حينما بلغه بعض شعره ، وهو يتمثّل فيها بالخمير ، فعزله [(١٧٧٤)] .

٣. إتلاف شيءٍ من مساكن الولاة :

وهو ما يقع فيه المخالفة ، فقد كان عمر . رضي الله عنه . يحرص على أن تكون بيوت الولاة بدون أبواب ، وبدون حجّاب ، فلمّا بلغه عن سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . : أنّه قد وضع باباً لداره ؛ بعث إليه محمّد بن مسلمة ، وأمره بإحراق ذلك الباب [(١٧٧٥)] ، وكان سبب ذلك قرب الأسواق من داره ، وكانت الأصوات مرتفعةً بالسُّوق تؤذي سعداً ، فوضع باباً يحجز عنه أصوات الناس بالسُّوق ، وبلغ ذلك أسمع عمر عن دار سعدٍ ، وبابه ، وأنّ الناس يسمّونه قصر سعد ، فدعا محمّد بن مسلمة ، وأرسله إلى الكوفة ، وقال : اعمد إلى القصر حتّى تحرق بابه ، ثمّ ارجع عودك على بدئك . فخرج حتّى قدم الكوفة ، فاشترى حطباً ثمّ أتى به القصر ، فأحرق الباب [(١٧٧٦)] .

وروى ابن شبة : أنّ عمر استعمل مجاشع بن مسعود على عملٍ ، فبلغه : أنّ امرأته تجدد بيوتها ، فكتب إليه عمر : من عبد الله أمير المؤمنين إلى مجاشع بن مسعود ، سلام عليك ، أما بعد : فقد بلغني : أنّ الخضيراء تحدّث بيوتها ، فإذا أتاك كتابي هذا فعزمت عليك ألا تضعه من يدك حتى

تتمت ستورها . قال : فأتاه الكتاب والقوم عنده جلوس ، فنظر في الكتاب ، فعرف القوم : أنّه قد أتاه بشيءٍ يكرهه ، فأمسك الكتاب بيده ثمّ قال للقوم : انهضوا ، فنهضوا ، والله ما يدرون إلى ما ينهضهم ، فانطلق بهم حتّى أتى باب داره ، فدخل فلقيته امرأته ، فعرفت الشرّ في وجهه ، فقالت له : مالك ؟ فقال : إليك عنيّ قد أرمقتني [(١٧٧٧)] ، فذهبت المرأة ، وقال للقوم : ادخلوا ، فدخل القوم ، فقال :

فليأخذ كل رجل منكم ما يليه من هذا النَّحو ، واهتكوا ، قال : فهتكوا جميعاً حتَّى ألقوها إلى الأرض والكتاب في يده ، لم يضعه بعد . وفي أثناء زيارة عمر إلى الشَّام دعاه يزيد بن أبي سفيان إلى الطَّعام ، فلما دخل عمر البيت وجد فيه بعض السِّتائر ، فأخذ عمر يقطِّعها ، ويقول : ويحك ! أتلبس الحيطان ما لو ألبسته قوماً من النَّاس ؛ لسترهم من الحرِّ ، والبرد [(١٧٧٨)] .

٤. التأديب بالضرب :

فقد استعمله عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . حيث اشتهر عنه حمل الدِّرَّة ، وضربه بها ، وقد ضرب بعض الولاة ، بسبب حوادث اقترفوها ، ففي أثناء زيارة عمر إلى الشَّام دخل على بعض ولاته ، فوجد عندهم بعض المتاع الزَّائد ، فغضب عمر ، وأخذ يضربهم بالدِّرَّة [(١٧٧٩)] .

وفي أثناء زيارة عمر إلى الشَّام لقيه الأمراء ، فكان أول من لقيه يزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيدة ، ثمَّ خالدٌ على الخيول ، عليهم ثياب فاخرة ، لا تليق بالمجاهدين ، فنزل ، وأخذ الحجارة ، ورماهم بها ، قال : ما أسرع ما رجعتم عن رأيكم ، إيَّاي تستقبلون في هذا الزَّيِّ ، وإنَّما شبعتم منذ سنتين ، وبالله ولو فعلتم هذا على رأس المتئين لاستبدلت بكم غيركم ! فقالوا : يا أمير المؤمنين ! إنَّها لياقة وإن علينا السِّلاح ، قال : فنعم إذا [(١٧٨٠)] .

٥. خفض الرُّتبة من وإل إلى راعي غنم :

وقد استعملها عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . مع أحد ولاته ، وروى ابن شَبَّه : أنَّ عمر . رضي الله عنه . استعمل عياض بن غنم على الشَّام ، فبلغه أنَّه اتخذ حَمَّاماً ، واتخذ نُوباً [(١٧٨١)] ، فكتب إليه يقدم عليه ، فقدم ، فحجبه ثلاثاً ، ثمَّ أذن له ، ودعا بجبَّة صوفٍ ، فقال : البس هذه ، وأعطاه كنف الرَّاعي وثلاثمئة شاة ، وقال : انعق بها ، فنعق بها فلمَّا جازه هنيهةً ، قال : أقبل ، فأقبل يسعى حتَّى أتاه ، فقال : اصنع بكذا ، وكذا ، اذهب . فذهب ، حتَّى إذا تباعد

ناداه : يا عياض ! أقبل ، فلم يزل يردِّده حتَّى عرَّقه في جبينه ، قال : أوردتها عليَّ يوم كذا ، وكذا ، فأوردتها لذلك اليوم ، فخرج عمر رضي الله عنه ، فقال : انزع عليها . فاستقى حتَّى ملأ الحوض ، فسقاها ، ثمَّ قال : انعق بها ، فإذا كان يوم كذا ، فأوردتها فلم يزل يعمل به حتَّى مضى شهران ، أو ثلاثة ، ثمَّ دعاه فقال : هيه ! اتخذت نُوباً ، واتَّخذت حَمَّاماً أتعود ؟ قال : لا ، قال : ارجع إلى عملك [(١٧٨٢)] .

وقد كانت نتيجة هذه العقوبة التأديبية أن أصبح عياضٌ بعد ذلك من أفضل عمال عمر رضي الله عنه [(١٧٨٣)].

٦. مقاسمة الولاية أموالهم :

وكان تطبيق هذا النظام أمراً احتياطياً في زمن عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . حيث شعر عمر بنمو الأموال لدى بعض الولاة ، فخشي أن يكون الولاة قد اكتسبوا شيئاً من هذه الأموال بسبب ولايتهم [(١٧٨٤)] ، وقد علّق ابن تيمية على فعل عمر هذا ، فقال : وكذلك محاباة الولاة في المعاملة من المبايعه ، والمؤاجرة ، والمضاربة ، والمساقاة ، والمزارعة ، ونحو ذلك هو من نوع الهدية ، ولهذا شاطر عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . من عماله من كان له فضلٌ ، ودينٌ ، لا يُتَّهم بخيانهٍ ، وإنما شاطرهم لما كانوا حُصُوبا به لأجل الولاية من محاباةٍ ، وغيرها ، وكان الأمر يقتضي ذلك ، لأنّه كان إمام عدلٍ ، يقسم بالسّوية [(١٧٨٥)] . وقد قام عمر . رضي الله عنه . بمشاطرة أموال عمّاله ، منهم : سعد بن أبي وقاص ، وأبو هريرة ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم .

وكان رضي الله عنه يكتب أموال عماله ؛ إذا ولاهم ، ثمّ يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربما أخذه منهم [(١٧٨٦)] ، وقد قام أيضاً بمشاطرة بعض أقارب الولاة لأموالهم ، إذا ما رأى مبرراً لذلك ، فقد أخذ من أبي بكره نصف ماله ، فاعترض أبو بكره قائلاً : إني لم ال لك عملاً ! فقال عمر : ولكنّ أخاك على بيت المال ، وعشور الأبله ، فهو يقرضك المال تتجر به [(١٧٨٧)] .

٧. التّويخ الشّفوي والكتابي :

وقد قام عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . على معاتبة الأمراء على تصرّفاتهم أثناء اجتماعهم به ، حيث إنّه عاتب عمرو بن العاص مرّاتٍ ، كما عاتب عياض بن غنم ، وخالد بن الوليد ، وأبا موسى الأشعري ، وغيرهم من الأمراء [(١٧٨٨)] . وأمّا المعاتبة الكتابيّة في خلافة عمر ؛ فهي كثيرة ، منها : أنّه كتب إلى أحد الولاة ، وكان قدم عليه قومٌ فأعطى العرب ، وترك الموالي : أمّا بعد : فبحسب المرء من الشّرّ أن يحقر أخاه المسلم ، والسّلام [(١٧٨٩)] .

ومن هذا كلّه نجد : أن الولاة لم يكونوا بمنأى عن المحاسبة والتّأديب بصورٍ مختلفةٍ ، ولم تشهد البشريّة مثيلاً لها في عدلها ، وجرأتها ، ممّا جعل هذا العصر الرّاشدي بحقٍ نموذجاً رفيعاً للحضارة الإسلاميّة بعد عصر الرّسالة ، على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام [(١٧٩٠)] . هذا وقد كانت حرّيّة النّقاش وبحث المشاكل بين الخليفة ، وولاته مكفولةً إلى أقصى ما يمكن تصوّره من حرّيّة النّقاش ، لا يرهب الوالي

سلطان الخليفة ، وهذا مثال على ذلك : عندما قدم عمر على الشَّام تلقَّاه معاوية في موكبٍ عظيمٍ ، فلمَّا رأى معاوية عمر ؛ نزل من على صهوة جواده ، ومشى إليه ؛ وقال : السَّلَام على أمير المؤمنين ، فمضى عمر ، ولم يردَّ عليه سلامه ، ومعاوية يسرع خلف جمل عمر ، وكان معاوية سميئاً ، فلهث . فقال عبد الرَّحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين ! أتعبت الرَّجل ، فلو كَلَّمته ، فالتفت إليه عمر ، وقال : يا معاوية ! أنت صاحب الموكب الَّذي أرى . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ! قال عمر : مع شدَّة احتجابك ، ووقوف ذوي الحاجات ببابك ؟ قال معاوية : نعم يا أمير المؤمنين ! قال : لم ويحك ؟! قال معاوية : لأنَّنا ببلادٍ كثير بها جواسيس العدوِّ ، فإن لم نتخذ العدَّة ، والعدد ؛ استخفَّ بنا ، وهجم علينا ! وأمَّا الحَجَّاب ؛ فإنَّنا نخاف من الابتدال ، وجرأة الرَّعية ، وأنا بعدُ عاملك ، إن استوقفتني ؛ وقفت ، وإن نهيتني ؛ انتهيت يا أمير المؤمنين ! قال عمر : ما سألتك عن شيءٍ إلا خرجت منه ، إن كنت صادقاً ؛ فإنه رأي لبيب ، وإن كنت كاذباً فإنَّها خدعة أريب ، لا امرك ، ولا أنْهاك . وانصرف عنه [(١٧٩١)] .

ورغم شدَّة عمر على ولاته ، ودقَّته في محاسبتهم ، وإقدامه على عزل مَنْ تحوم حوله شبهةً ، أو تنور في حقِّه شكايَّة ذات أثرٍ ، فإن رابطةً قويَّةً من الحبِّ ، والولاء كانت تربطه بولاته الَّذين كانوا يثقون ثقةً مطلقةً في إخلاص خليفتهم ، وسلامة مقاصده ، وسياسته ، وتجرُّده ، وعدله ، لقد كان عمر إذا غابت عنه أخبار بعض قاداته في ساحات الجهاد يكاد يقتله القلق ، ويستبدُّ به الخوف ، والشَّفقة عليهم ، وكان في بعض الحروب الكبرى يخرج بنفسه يتنطَّس الأخبار ، ويتحسَّس الأنباء ، علَّه يطمئن عليهم . وفي حالات أخرى كان يلتقي بهم ، فنجد أمارات الحبِّ العميق بينهم ، فلمَّا سار عمر لفتح بيت المقدس ، وانتهى إلى الجابية ؛ لقيه قائده عمرو بن العاص ، وشرحبيل بن حسنة ، فوافقا عمر راكباً ، فقبَّلا ركبته ، وضَمَّ عمر كلَّ واحدٍ منهما محتضنهما [(١٧٩٢)] .

رابعاً : قصَّة عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه :

وجد أعداء الإسلام في سعة خيالهم ، وشدَّة حقدهم مجالاً واسعاً لتصيُّد الروايات الَّتِي تظهر صحابة رسول الله في مظهرٍ مشين ، فإذا لم يجدوا شفاء نفوسهم ؛ اختلقوا ما ظنُّوه يجوز على عقول القارئ ، لكي يصبح أساساً ثابتاً لما يتناقله الرُّواة ، وتسطرَّه كتب المؤلِّفين . قد تعرَّض كلُّ من عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد . رضي الله عنهما . لمفتريات أعداء الإسلام ؛ الَّذين حاولوا تشويه صفحات تاريخهما

المجيد ، ووقفوا كثيراً عند أسباب عزل عمر لخالد بن الوليد . رضي الله عنهما . وألصقوا التُّهم الباطلة بالرجلين العظيمين ، وأتوا برواياتٍ لا تقوم على أساسٍ عند المناقشة ، ولا تقوم على البرهان أمام التَّحقيق العلميِّ النَّزيه [(١٧٩٣)] . وإليك قصَّة عزل خالد بن الوليد على حقيقتها بدون لفٍّ ، أو تزويرٍ للحقائق ، فقد مرَّ عزل خالد بن الوليد بمرحلتين ، وكان لهذا العزل أسباب موضوعيَّة .

١. العزل الأوَّل :

عزل عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . خالد بن الوليد في المرَّة الأولى عن القيادة العامَّة ، وإمارة الأمراء بالشَّام ، وكانت هذه المرَّة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة غداة تولِّي عمر الخلافة بعد وفاة أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، وسبب هذا العزل اختلاف منهج الصِّدِّيق عن الفاروق في التَّعامل مع الأمراء ، والولادة ، فالصِّدِّيق كان من سنَّته مع عمَّاله ، وأمراء عمله أن يترك لهم حرِّيَّة التَّصرُّف كاملةً في حدود النَّظام العامِّ للدَّولة ، مشروطاً ذلك بتحقيق العدل كاملاً بين الأفراد والجماعات ، ثمَّ لا يبالي أن يكون لواء العدل منشوراً بيده ، أو بيد عمَّاله ، وولاته ، فللوالى حقُّ يستمدُّه من سلطان الخلافة في تدبير أمر ولايته دون رجوعٍ في الجزئيَّات إلى أمر الخليفة . وكان أبو بكر لا يرى أن يكسر على الولاة سلطانهم في مالٍ ، أو غيره ما دام قائماً في رعيَّتهم [(١٧٩٤)] .

وكان الفاروق قد أشار على الصِّدِّيق بأن يكتب لخالدٍ . رضي الله عنهم جميعاً .: ألا يعطي شاةً ، ولا بعيراً إلا بأمره ، فكتب أبو بكر إلى خالدٍ بذلك ، فكتب إليه خالد : إما أن تدعني وعملي ، وإلا فشانئك، وعملك، فأشار عليه بعزله [(١٧٩٥)] ، ولكنَّ الصِّدِّيق أقرَّ خالداً على عمله [(١٧٩٦)] .

ولما تولَّى الفاروق الخلافة ؛ كان يرى أنَّه يجب على الخليفة أن يحدِّد لأمرائه ، وولاته طريقة سيرهم في حكم ولاياتهم ، ويحتِّم عليهم أن يردُّوا إليه ما يحدث حتَّى يكون هو الَّذي ينظر فيه ، ثمَّ يأمرهم بأمره ، وعليهم التَّنفيذ ؛ لأنَّه يرى : أنَّ الخليفة مسؤولٌ عن عمله ، وعن عمل ولايته في الرِّعية مسؤوليَّة لا يرفعها عنه أنَّه اجتهد في اختيار الوالي . فلمَّا تولَّى الخلافة ؛ خطب النَّاس ، فقال : إنَّ الله ابتلاكم بي، وابتلاني بكم، وأبقاني بعد صاحبي، فوالله لا يحضرنى شيءٌ من أمركم فيلبي أحدٌ دوني ، ولا يتغيَّب عني ، فالوا فيه عن الجزاء ، والأمانة ، ولئن أحسن الولاة ؛ لأحسننَّ إليهم ، ولئن أساؤوا لأنكلنَّ بهم [(١٧٩٧)] ، وكان يقول : رأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلم ، ثمَّ أمرته بالعدل ، أكنت قضيت ما عليّ ؟ قالوا : نعم . قال : لا ! حتَّى أنظر في عمله ، أعمل بما أمرته ، أم لا ؟ [(١٧٩٨)]

، فعندما تولى الفاروق الخلافة أراد أن يعدل بولاية أبي بكرٍ - رضي الله عنه - إلى منهجه ، وسيرته، فرضي بعضهم، وأبى الآرون، وكان ممن أبى عليه ذلك خالد بن الوليد [(١٧٩٩)]. فعن مالك بن أنس : أن عمر لما ولي الخلافة كتب إلى خالد : ألا تعطي شاةً ، ولا بعيراً إلا بأمرى . فكتب إليه خالد : إِمَّا أَنْ تدعني وعملي ، وإلا فشأنك بعملك . فقال عمر : ما صدقتُ الله إن كنت أشرت على أبي بكرٍ بأمرٍ ، فلم أنفذه . فعزله [(١٨٠٠)]. ثمَّ كان يدعوهُ إلى العمل، فيأبى إلا أن يخلِّيه يفعل ما يشاء، فيأبى عليه [(١٨٠١)].

فعزل عمر خالداً من وجهة سياسة الحكم ، وحقُّ الحاكم في تصريف شؤون الدولة ومسؤوليته عنها ، وطبيعيُّ أن يقع كلُّ يومٍ مثله في الحياة ، ولا يبدو فيه شيءٌ غريبٌ يحتاج إلى بيان أسباب تتجاذبها رواياتٌ ، واءاء ، وميولٌ ، وأهواءٌ ، ونزعاتٌ ، فعمر بن الخطَّاب خليفة المسلمين في عصرٍ كان الناس فيه ناساً لا يزالون يستروحون روح النُبوة ، له من الحقوق الأُوليَّة أن يختار من الولاة والقادة من ينسجم معه في سياسته ، ومذهبه في الحكم ، ليعمل في سلطانه ما دامت الأُمَّة غنيةً بالكفايات الرَّاجحة ، فليس لعاملٍ ، ولا قائدٍ أن يتأبَّد في منصبه ، ولا سيِّما إذا اختلفت مناهج السِّياسة بين الحاكم والولاة ما كان هناك مَنْ يغني غناؤه ، ويجزي عنه ، وقد أثبت الواقع التاريخي : أنَّ عمر - رضي الله عنه - كان موفقاً أتمَّ التَّوفيق وقد نجح في سياسته هذه

نجاحاً منقطع النُّظير ، فعزل ، وولى ، فلم يكن من ولاءه أقلَّ كفايةً ممَّن عزله ، ومردُّ ذلك لروح التَّربية الإسلاميَّة التي قامت على أن تضمن دائماً للأُمَّة رصيِّداً مذخوراً من البطولة ، والكفاية السِّياسية الفاضلة [(١٨٠٢)]. وقد استقبل خالدٌ هذا العزل بدون اعتراضٍ ، وظلَّ رضي الله عنه تحت قيادة أبي عبيدة رضي الله عنه حتَّى فتح الله عليه فنَّسرين ، فولاه أبو عبيدة عليها ، وكتب إلى أمير المؤمنين يصف له الفتح ، وبلاء خالد فيه ، فقال عمر قولته المشهورة : أمر خالد نفسه ، رحم الله أبا بكر ! هو كان أعلم بالرجال ممَّنِي [(١٨٠٣)].

ويعني عمر بمقولته هذه : أنَّ خالداً فيما أتى به من أفانين الشَّجاعة ، وضروب البطولة قد وضع نفسه في موضعها الذي ألفتة في المواقع الخطيرة من الإقدام والمخاطرة ، وكأثماً يعني عمر بذلك : أنَّ استمساك أبي بكرٍ بخالدٍ ، وعدم موافقته على عزله برغم الإلحاح عليه إِمَّا كان عن يقين في مقدرة خالدٍ ، وعبقريَّته العسكريَّة ، التي لا يغني غناؤه فيها إلا احاد الأفضاذ من أبطال الأُمم [(١٨٠٤)].

هذا وقد عمل خالد تحت إمرة أبي عبيدة نحواً من أربع سنوات ، فلم يعرف عنه : أنه اختلف عليه مرّةً واحدةً ، ولا ينكر فضل أبي عبيدة ، وسمو أخلاقه في تحقيق وقع الحادث على خالدٍ ، فقد كان لحفاوته به ، وعرفانه لقدره ، وملازمته صحبته ، والأخذ بمشورته ، وإعظامه لارائه ، وتقديمه في الوقائع التي حدثت بعد إمارته الجديدة أحسن الأثر في صفاء قلبه ، صفاءً جعله يصنع البطولات العسكرية النادرة ، وعمله في فتح دمشق ، وقتسرين ، وفحل شاهدٌ صدقٍ على روحه السامية التي قابل بها حادث العزل ، وكان في حاله سيف الله خالد بن الوليد [(١٨٠٥)] ، ويحفظ لنا التاريخ ما قاله أبو عبيدة في مواساة خالد عند عزله : .. وما سلطان الدنيا أريد ، وما للدنيا أعمل ، وإنّ ما ترى سيصير إلى زوالٍ وانقطاعٍ ، وإمّا نحن أخوان ، وفؤامٌ بأمر الله عزّ وجل ، وما يضير الرّجل أن يلي عليه أخوه في دينه ، ودنياه ، بل يعلم الوالي : أنّه يكاد يكون أدناهما إلى الفتنة ، وأوقعهما في الخطيئة لما تعرض من الهلكة إلا من عصم الله عزّ وجل ، وقليل ما هم [(١٨٠٦)] .

وعندما طلب أبو عبيدة من خالدٍ أن ينفذ مهمّة قتاليّةً تحت إمرته ؛ أجابه خالد قائلاً : أنا لها . إن شاء الله تعالى . وما كنت أنتظر إلا أن تأمرني ! فقال أبو عبيدة : استحييت منك يا أبا سليمان ! فقال خالد : والله لو أمر عليّ طفلٌ صغيرٌ لأطيعنّ له ، فكيف أخالفك وأنت أقدم مميّ إيماناً ، وأسبق إسلاماً ، سبقت بإسلامك مع السّابقين ، وأسرت بإيمانك مع المسارعين ، وسّمك رسول الله (ص) بالأمين ، فكيف ألحقك ، وأنال درجتك ، والان أشهدك أنّي قد جعلت نفسي حساباً في سبيل الله تعالى ، ولا أخالفك أبداً ، ولا وليتُ إمارةً بعدها أبداً . ولم يكتف خالد بذلك فحسب بل أتبع قوله بالفعل ، وقام على الفور بتنفيذ المهمّة المطلوبة منه [(١٨٠٧)] .

ويظهر بوضوحٍ من قول خالد ، وتصرفه هذا : أنّ الوازع الدّيني والأخلاقي كان مهيمناً على تصرّفات خالدٍ ، وأبي عبيدة رضي الله عنهما . وقد بقي خالدٌ محافظاً على مبدأ طاعة الخليفة ، والوالي بالرغم من أنّ حالته الشّخصيّة قد تغيّرت من حاكمٍ إلى محكومٍ بسبب عزله عن قيادة الجيوش [(١٨٠٨)] . إنّ عزل خالد هذه المرّة (الأولى) ، لم يكن عن شكٍ من الخليفة ، ولا عن ضغائن جاهليّة ، ولا عن اتّهامه بانتهاك حرّمات الشريعة ، ولا عن طعنٍ في تقوى ، وعدل خالدٍ ، ولكن كان هناك منهجان لرجلين عظيمين ، وشخصيّتين قويّتين ، كان يرى كلٌّ منهما ضرورة تطبيق منهجه ، فإذا كان لا بدّ لأحدهما أن يتنحّى ؛ فلا بدّ أن يتنحّى أمير الجيوش لأمر المؤمنين من غير عنادٍ ، ولا حقدٍ ، ولا ضغينةٍ [(١٨٠٩)] .

إنَّ من توفيق الله للفاروق تولية أبي عبيدة - رضي الله عنه - لجيوش الشام ، فذلك الميدان بعد معركة اليرموك كان يحتاج إلى المسالمة ، واستلال الأحقاد ، وتضميد الجراح ، وتقريب القلوب ، فأبو عبيدة - رضي الله عنه - يسرع إلى المسالمة إذا فتحت أبوابها ، ولا يبطأى عن الحرب إذا وجبت عليه أسبابها ، فإن كانت بالمسالمة جدوى ؛ فذاك وإلا فالاستعداد للقتال على أهبته ، وقد كان أبناء الأمصار الشَّاميَّة يتسامعون بحلم أبي عبيدة ، فيقبلون على التَّسليم إليه ، ويؤثرون خطابهم له على غيره ، فولاية أبي عبيدة سنَّة عمریَّةٌ ، وكانت ولايته للشَّام في تلك المرحلة أصلح الولايات لها [(١٨١٠)] .

٢. العزل الثاني :

وفي (قنبرين) جاء العزل الثاني لخالدٍ ، وذلك في السنَّة السَّابعة عشرة [(١٨١١)] ، فقد بلغ أمير المؤمنين : أنَّ خالدًا وعياض بن غنم أدربا في بلاد الروم ، وتوغَّلا في دروبهما ، ورجعا بغنائم عظيمةٍ ، وأنَّ رجالاً من أهل الافاق قصدوا خالدًا المعروفه ، منهم الأشعثُ بن قيس الكندي ، فأجازه خالدٌ بعشرة الاف ، وكان عمر لا يخفى عليه شيءٌ في عمله [(١٨١٢)] ، فكتب عمر إلى قائده العامِّ أبي عبيدة يأمره بالتحقيق مع خالد في مصدر المال الَّذي أجاز منه الأشعث تلك الإجازة العامرة ، وعزله عن العمل في الجيش إطلاقاً ، واستقدمه المدينة ، وتم استجواب خالد ، وقد تمَّ استجواب خالد بحضور أبي عبيدة ، وترك بريد الخلافة يتولَّى التحقيق ، وترك إلى مولى أبي بكر يقوم بالتَّنفيذ ، وانتهى الأمر ببراءة خالدٍ أن يكون مدَّ يده إلى غنائم المسلمين ، فأجاز منها بعشرة الاف [(١٨١٣)] ولما علم خالد بعزله ، ودَّع أهل الشَّام ، فكان أقصى ما سمحت به نفسه من إظهار أسفه على هذا العزل الَّذي فرَّق بين القائد وجنوده أن قال للنَّاس : إن أمير المؤمنين استعملني على الشَّام حتَّى إذا كانت بثينةً [(١٨١٤)] ، وعسلاً ؛ عزلني . فقام إليه رجلٌ فقام : اصبر أيها الأمير ! فإنَّها الفتنة . فقال خالد : أما وابن الخطَّاب حيٌّ ، فلا [(١٨١٥)] .

وهذا لون من الإيمان القاهر الغلاب ، لم يرزقه إلا المصطفون من أخصَّاء أصحاب محمَّد (ص) ، فأية قوَّة روحیَّة سيطرت على أعصاب خالد في الموقف الخطير ؟ وأيُّ إلهامٍ ألقى على لسان خالدٍ ذلك الردَّ الهادئ الحكيم [(١٨١٦)] .

سكن الناس ، وهدأت نفوسهم بعد أن سمعوا كلمة خالد في توطيد قواعد الخلافة العمریَّة ، وعرفوا : أنَّ قائدهم المعزول ليس من طراز الرِّجال الَّذين يبنون عروش عظمتهم على أشلاء الفتن ، والثَّورات الهدَّامة

، وإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَوْلَئِكَ الرِّجَالِ الذِّينَ خَلَقُوا لِلبِنَاءِ ، وَالتَّشْيِيدِ ، فَإِنِ أَرَادْتَهُمُ الحَيَاةَ عَلَى هَدْمِ مَا بَنَوْا ؛ تَسَامَوْا بِأَنفُسِهِمْ أَنْ يَذَّهَبَ الغُرُورُ المَفْتُونِ [(١٨١٧)] .

ورحل خالد إلى المدينة ، فقدمها حتى لقي أمير المؤمنين ، فقال عمر متمثلاً :

صَنَعْتَ فَلَمْ يَصْنَعْ كُصْنَعِكَ صَانِعٍ وَمَا يَصْنَعُ الأَقْوَامُ فَاللهُ يَصْنَعُ [(١٨١٨)] وقال خالدٌ

لعمر : لقد شكوتك إلى المسلمين ، وباللَّهِ إِنَّكَ فِي أَمْرِي غَيْرُ مُجْمَلٍ يَا عُمَرُ ! فقال عمر : من أين هذا

الثَّراءُ ؟ قال : من الأَنْفَالِ ، والسُّهُمَانِ ، ما زاد على السِّتِّينَ أَلْفًا فلكَ ، فقَوِّمَ عمرَ عرُوضَهُ فخرجت

إليه عشرون ألفًا ، فأدخلها بين المال . ثمَّ قال : يا خالد ! والله إِنَّكَ

عَلِيٌّ لِكَرِيمٍ ، وَإِنَّكَ إِلِيٌّ لِحَبِيبٍ ، وَلَنْ تَعَاتِبَنِي بَعْدَ اليَوْمِ عَلَى شَيْءٍ [(١٨١٩)] . وكتب عمر إلى

الأَمْصَارِ : إِلَيَّ لَمْ أَعْزَلْ خَالِدًا عَنِ سَخَطِهِ ، وَلَا خِيَانَةٍ ، وَلَكِنَّ النَّاسَ فُتِنُوا بِهِ ، فَخَفْتُ أَنْ يُوَكَّلُوا إِلَيْهِ ،

وَيَتَلَّوْا بِهِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمُوا : أَنَّ اللهَ هُوَ الصَّانِعُ ، وَأَلَّا يَكُونُوا بَعْرَضَ فِتْنَةٍ [(١٨٢٠)] .

٣. مجمل أسباب العزل ، وبعض الفوائد :

ومن خلال سيرة الفاروق يمكننا أن نجمل أسباب عزل خالدٍ . رضي الله عنه . في الأمور التالية :

. حماية التَّوْحِيدِ : ففي قول عمر . رضي الله عنه . : وَلَكِنَّ النَّاسَ فُتِنُوا بِهِ ، فَخَفْتُ أَنْ يُوَكَّلُوا إِلَيْهِ ،

وَيَتَلَّوْا بِهِ ، يظهر خشية عمر من فتنة النَّاسِ بِخَالِدٍ ، وَظَنَّهُمْ أَنَّ النَّصْرَ يَسِيرُ فِي رِكَابِ خَالِدٍ ، فيضعف

اليقين بأنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، سواءً كان خالدٌ على رأس الجيوش ، أم لا ، وهذا الوازع يَتَّفِقُ مع

حرص عمر على صبغ إدارته للدَّولةِ العَقَائِدِيَّةِ الخالصة ، بِخَاصَّةٍ وَهِيَ تَحَارِبُ أَعْدَاءَهَا حَرْبًا ضَرْوسًا

متطاولَةً بِاسْمِ العَقِيدَةِ ، وَقَوَّتَهَا ، وَقَدِ يَقُودُ الاِفْتِتَانَ بِقَائِدٍ كَبِيرٍ مِثْلَ خَالِدِ خَالِدًا نَفْسَهُ إِلَى الاِفْتِتَانِ

بِالرَّعِيَةِ ، وَأَنْ يَرَى نَفْسَهُ يَوْمًا فِي مَرْكَزِ قُوَّةٍ لَا يَرْتَقِي إِلَيْهَا أَحَدٌ ، بِخَاصَّةٍ : أَنَّهُ عَبْقَرِيَّةٌ حَرْبٍ ، وَمَنْفَعٌ

أَمْوَالٍ ، فَيَجْرُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى الدَّولةِ أَمْرٌ خَسِرٍ ، وَهُوَ إِنْ كَانَ اِحْتِمَالًا بَعِيدًا فِي ظِلِّ اِرْتِبَاطِ النَّاسِ

بِخَلِيفَتِهِمْ عُمَرَ ، وَإِعْجَابِهِمْ بِهِ ، وَفِي ظِلِّ انضباط خالدٍ العسكِرِيِّ وَتَقْوَاهُ ، فَقَدْ يَحْدِثُ يَوْمًا بَعْدَ عُمَرَ ،

وَمَعَ قَائِدٍ كَخَالِدٍ ، مِمَّا يَسْتَدْعِي التَّأْصِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ العَصْرِ ، وَمَعَ أَمْثَالِ هؤُلاءِ الرِّجَالِ [(١٨٢١)] ،

وَالخَوْفِ فِي هَذَا الأَمْرِ مِنَ القَائِدِ الكَفءِ أَعْظَمُ مِنَ الخَوْفِ مِنْ قَائِدٍ صَغِيرٍ لَمْ يَبْلُغْ أَحْسَنَ البَلَاءِ ، وَلَمْ

تتساير بذكره الأَنْبَاءُ [(١٨٢٢)] .

وقد أشار شاعر النَّبِيلِ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ . رَحِمَهُ اللهُ . إِلَى تَخَوُّفِ عُمَرَ ، فَقَالَ فِي عَمْرِيَّتِهِ فِي الدِّيَوَانِ :

وَقِيلَ خَالَفتَ يَا فَارُوقُ صَاحِبَنَا فِيهِ وَقَدْ كَانَ أَعْطَى الْقَوْسَ بَارِيهَا فَقَالَ خِفْتُ افْتِنَانَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ وَفِتْنَةَ النَّفْسِ أَعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا [(١٨٢٣)]. اختلاف النظر في صرف المال :
كان عمر يرى أنّ فترة تأليف القلوب ، وإغراء ضعفاء العقيدة بالمال ، والعطاء قد انتهت ، وصار الإسلام في غير حاجةٍ إلى هؤلاء ، وأنّه يجب أن يوكل الناس إلى إيمانهم ، وضمايرهم ، حتّى تؤدّي التربية الإسلاميّة رسالتها في تخرّيج نماذج كاملةٍ لمدى تغلغل الإيمان في القلوب ، بينما يرى خالدٌ : أنّ مَن معه من ذوي البأس ، والمجاهدين في ميدانه من لم تخلص نيّتهم لمحض ثواب الله ، وأنّ أمثال هؤلاء في حاجةٍ إلى من يقوّي عزيمتهم ، ويثير حماسهم من هذا المال [(١٨٢٤)] ، كما أنّ عمر يرى : أنّ ضعفة المهاجرين أحقُّ بالمال من غيرهم ، فعندما اعتذر إلى الناس بالجباية من عزل خالدٍ ، قال : أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس [(١٨٢٥)] ، ولا شكّ : أن عمر ، وخالدًا مجتهدان فيما ذهبا إليه ، ولكن عمر أدرك أموراً لم يدركها خالدٌ رضي الله عنهما [(١٨٢٦)] .

. اختلاف منهج عمر عن منهج خالدٍ في السياسة العامّة :

فقد كان عمر يصرُّ على أن يستأذن الولاة منه في كلّ صغيرةٍ ، وكبيرةٍ ، بينما يرى خالدٌ : أنّ من حقه أن يُعطى الحرّيّة كاملةً من غير الرُّجوع لأحدٍ في الميدان الجهادي ، وتطلق يده في كلّ التصرُّفات إيماناً منه بأنّ الشّاهد يرى ما لا يراه الغائب [(١٨٢٧)] .

ولعلّ من الأسباب أيضاً : إفساح المجال لطلّاع جديدة من القيادات حتّى تتوافر في المسلمين نماذج كثيرةٌ من أمثال خالد ، والمثنّى ، وعمرو بن العاص ، ثمّ ليدرك الناس : أنّ النّصر ليس رهناً برجلٍ واحدٍ [(١٨٢٨)] ، مهما كان هذا الرّجل .

. موقف المجتمع الإسلاميّ من قرار العزل :

تلقّى المجتمع الإسلاميّ قرار العزل بالتّسليم لحقّ الخليفة في التّولية ، والعزل ، فلم يخرج أحدٌ عن مقتضى النّظام ، والطّاعة ، والإقرار للخلافة بحقّها في التّولية ، والعزل ، وقد روي : أنّ عمر خرج في جوف اللّيل ، فلقي علقمة بن علاثة الكلابي ، وكان عمر يشبه خالدًا إلى حدٍّ عجيب ، فحسبه علقمة خالدًا ، فقال : يا خالد ! عزلك هذا الرّجل ، لقد أبي إلا شحاً حتّى لقد جئت إليه وابن عمّ لي نسأله شيئاً ، فأما إذ فعل ؛ فلن نسأله شيئاً . فقال له عمر يستدرجه ليعلم ما يخفيه : هيه ! فما عندك ؟ قال : هم قومٌ لهم علينا حقٌّ فنؤدّي لهم حقّهم ، وأجرنا على الله ، فلمّا أصبحوا ؛ قال عمر لخالدٍ ، وعلقمة

مشاهدٌ لهما : ماذا قال لك علقمة منذ الليلة ؟ قال خالدٌ : والله ما قال شيئاً ، قال عمر : وتحلف أيضاً ؟ فاستثار ذلك علقمة وهو يظنُّ أنَّه ما كلم البارحة إلاً خالداً ، فظلَّ يقول : مه يا خالد ! فأجاز عمر علقمة ، وقضى

حاجته ، وقال : لأن يكون من ورائي على مثل رأيك . يعني : حرصه على الطَّاعة لولي الأمر وإن خالفه . أحبُّ إليَّ من كذا ، وكذا [(١٨٢٩)] .

وهذا وقد جاء اعتراضُ من أبي عمرو بن حفص بن المغيرة ابن عمِّ خالد بن الوليد بالجابية ، فعندما قال عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . للناس : وإيَّيَّ اعتذر إليكم من خالد بن الوليد ، إيَّيَّ أمرته أن يجبس هذا المال على ضعفة المهاجرين ، فأعطاه ذا البأس ، وذا الشرف ، وذا اللسان ، فنزعته ، وأمرت أبا عبيدة بن الجراح . فقال أبو عمرو بن حفص بن المغيرة : والله ما أعتذرت يا عمر بن الخطاب ! لقد نزعت عاملاً استعمله رسول الله (ص) ، وغمدت سيفاً سلَّه رسول الله (ص) ، ووضعت لواءً نصبه رسول الله (ص) ، ولقد قطعت الرِّحم ، وحسدت ابن العمِّ ! فقال عمر بن الخطاب : إنَّك قريب القرابة ، حديث السنِّ ، مغضبٌ في ابن عمِّك [(١٨٣٠)] . وهكذا اتسع صدر الفاروق لابن عمِّ خالد بن الوليد ، وهو يذبُّ عن خالدٍ حتَّى وصل دفاعه إلى دعوى اتهامه للفاروق بالحسد ، ومع ذلك ظلَّ الفاروق حليماً [(١٨٣١)] .

٤. وفاة خالد بن الوليد وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت :

دخل أبو الدرداء على خالد في مرض موته ، فقال له خالد : يا أبا الدرداء ! لئن مات عمر ؛ لترينَّ أموراً تنكرها . فقال أبو الدرداء : وأنا والله أرى ذلك ! فقال خالد : قد وجدت عليه في نفسي في أمورٍ ، لما تدبَّرتها في مرضي هذا ، وحضرتني من الله حاضرٌ ؛ عرفت : أنَّ عمر كان يريد الله بكلِّ ما فعل ، كنت وجدت عليه في نفسي حين بعث من يقاسمني مالي ، حتَّى أخذ فرد نعلٍ وأخذت فرد نعلٍ ، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السَّابقة ، ومُنَّ شهد بدرًا ، وكان يغلظ عليَّ ، وكانت غلظته على غيري نحواً من غلظته عليَّ ، وكنت أدلُّ عليه بقرابته ، فرأيته لا يبالي قريباً ، ولا لوم لائم في غير الله ، فذلك الذي ذهب عني ما كنت أجد عليه ، وكان يكثر عليَّ عنده ، وما كان ذلك إلاً على النَّظر : فقد كنت في حربٍ ، ومكابدةٍ ، وكنت شاهداً ، وكان غائباً ، فكنت أعطي على ذلك ، فخالفه ذلك في أمري [(١٨٣٢)] .

ولما حضرته الوفاة ، وأدرك ذلك ؛ بكى ، وقال : ما من عملٍ أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلةٍ شديدة الجليد في سريةٍ من المهاجرين ، بثُّها وأنا متترسٌ والسَّماء تنهلُّ عليَّ ، وأنا أنتظر الصُّبح حتَّى أُغير على الكفَّار . فعليكم بالجهاد ، لقد شهدت كذا ، وكذا زحفاً ، وما في جسدي موضع شبرٍ إلا وفيه ضربةٌ بسيفٍ ، أو رميةٌ بسهمٍ ، أو طعنةٌ برمحٍ ، وها أنذا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ! لقد طلبت القتل في مظانِّه ، فلم يُقدَّر لي إلا أن أموت على فراشي [(١٨٣٣)] .

وأوصى خالدٌ أن يقوم عمر على وصيته ، وقد جاء فيها : وقد جعلتُ وصيتي ، وتركتي ، وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطَّاب ، فبكى عمر - رضي الله عنه - فقال له طلحة بن عبيد الله : إنَّك وإيَّاه كما قال الشاعر :

لَا أَلْفَيْتُكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبِي وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدَنِي زَادِي [(١٨٣٤)] فقد حزن عليه الفاروق حزناً شديداً ، وبكته بنات عمِّه ، فقيل لعمر أن ينهأهنَّ ، فقال : دعهنَّ يبكين على أبي سليمان ما لم يكن نقعٌ ، أو لقلعةٌ ، على مثل أبي سليمان تبكي البواكي [(١٨٣٥)] .

وقال عنه : قد ثلَّم في الإسلام ثلثة لا ترتق ، وليته بقي ما بقي في الحمى حجر ، كان والله سداداً لنحور العدوِّ ، ميمون النَّقيبة [(١٨٣٦)] . وعندما دخل على الفاروق هشام بن البخترى في ناسٍ من بني مخزوم ، وكان هشام شاعراً ، فقال له عمر : أنشدني ما قلت في خالد ، فلمَّا أنشده ؛ قال له : قصَّرت في الثناء على أبي سليمان - رحمه الله - إن كان ليحبُّ أن يذلَّ الشُّرك وأهلُه ، وإن كان الشَّامت به لمعتراضاً لمقت الله ، ثمَّ تمثَّل بقول الشَّاعر :

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلافَ الَّذِي مَضَى تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلَهَا فَكَأَنَّ قَدِيمًا عَيْشُ مَنْ قَدْ عَاشَ بَعْدِي بِنَافِعِي وَلَا مَوْتُ مَنْ قَدْ مَاتَ بَعْدِي بِمُخْلِدِي ثُمَّ قَالَ : رحم الله أبا سليمان ! ما عند الله خيرٌ له ممَّا كان فيه ، ولقد مات فقيداً ، وعاش حميداً [(١٨٣٧)] ، ولقد رأيت الدَّهر ليس بقائلٍ [(١٨٣٨)] . هذا وقد توفِّي ، ودفن بجمص ببلاد الشَّام عام ٢١ هـ [(١٨٣٩)] ، رحمه الله رحمةً واسعةً ، وأعلى ذكره في المصلحين .

الفصل السادس

فتوحات العراق والمشرق

في عهد عمر رضي الله عنه

المبحث الأول

المرحلة الثانية من فتوحات العراق ، والمشرق

تمثل الفتوحات في عهد الصِّدِّيق - رضي الله عنه - في العراق بقيادة خالد بن الوليد المرحلة الأولى من الفتوحات الإسلامية التي انطلقت نحو المشرق ، وقد تمَّ تفصيلها في كتابي : أبو بكر الصِّدِّيق - رضي الله عنه - شخصيته ، وعصره . وفي عهد عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - استكملت الخطة على مراحل ، هذه إحداها :

أولاً : تأمير أبي عبيد الثقفي على حرب العراق :

لما مات الصِّدِّيق ودفن ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ؛ أصبح عمر ، فندب النَّاس ، وحثَّهم على قتال أهل العراق ، وحرَّضهم ، ورغَّبهم في الثَّواب على ذلك ، فلم يقم أحدٌ لأنَّ النَّاس كانوا يكرهون قتال الفرس لقوَّة سطوتهم ، وشدَّة قتالهم ، ثمَّ ندبهم في اليوم الثاني ، والثَّالث ، فلم يقم أحدٌ ، وتكلَّم المثني بن حارثة ، فأحسن ، وأخبرهم بما فتح الله تعالى على يدي خالدٍ من معظم أرض العراق ، وما لهم هناك من الأموال ، والأملآك ، والأمتعة والرَّاد ، فلم يقم أحدٌ في اليوم الثالث ، فلمَّا كان اليوم الرَّابع ؛ كان أوَّل من انتدب من المسلمين أبو عبيد بن مسعود الثقفي ، ثمَّ تتابع النَّاس في الإجابة [(١٨٤٠)] .

وكان سليط بن قيس الأنصاري قد استجاب لنداء عمر بعد أبي عبيد الثقفي وقال : يا أمير المؤمنين ! إنّما كان عن هؤلاء الفرس إلى وقتنا هذا شقشقةٌ من شقاشق الشَّيطان، ألا وإيِّ قد وهبت نفسي لله أنا ، ومن أجابني من بني عمِّي ، ومن أتبعني [(١٨٤١)] ، فكان لكلام سليط هذا أثرٌ قويٌّ في تشجيع النَّاس ، ورفع معنوياتهم ، وزيادة رغبتهم في جهاد الفرس ، وطالبوا الخليفة أن

يوليَّ عليهم رجلاً من المهاجرين ، أو الأنصار ، فقال عمر : والله ما أجد لها أحقَّ من الذين ندب النَّاس بدءاً ، ولولا أنّ سليطاً عجولٌ في الحرب ؛ لأمرته عليكم ، ولكن أبو عبيد هو الأمير ، وسليط هو الوزير ، فقال النَّاس : سمعاً ، وطاعة [(١٨٤٢)] .

وجاء في رواية : وأمر على الجميع أبا عبيد ، ولم يكن صحابياً ، ف قيل لعمر : هل أمرت عليهم رجلاً من الصحابة ؟ فقال : إنما أُؤمِّرُ أوَّل من استجاب ، إنكم إنما سبقتم النَّاس بنصرة هذا الدِّين ، وإنَّ هذا هو الَّذي استجاب قبلكم . ثمَّ دعاه ، فوصَّاه في خاصَّة نفسه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيراً ، وأمره أن يستشير أصحاب رسول الله (ص) ، وأن يستشير سُلَيْط بن قيس فإنَّه رجل باشر الحروب [(١٨٤٣)] .

وقد جاء في وصايا عمر - رضي الله عنه - لأبي عبيد التَّفصي ما يأتي : اسمع من أصحاب رسول الله (ص) ، وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد مسرعاً ، بل اتَّعد ، فإنَّها الحرب لا يصلحها إلا الرَّجل المكيث [(١٨٤٤)] ؛ الَّذي يعرف الفرصة ، ولا ينعني أن أوْمِر سليطاً إلاَّ سرعته إلى الحرب ، والسُّرعة إلى الحرب إلا عن بيان ضياع ، والله لولا سرعته لأمرته [(١٨٤٥)] ! ثمَّ قال : إنَّك تقدم على أرض المكر ، والخديعة ، والخيانة ، والجبريَّة ، تقدم على قوم تجرؤوا على الشُّرِّ ، فعملوه ، وتناسوا الخير ، فجعلوه ، فانظر كيف تكون ؟ واحرز لسانك ، ولا تفشينَّ سرك ، فإنَّ صاحب السِّرِّ ما يضبطه متحصِّنٌ لا يؤتى من وجه يكره ، وإذا لم يضبطه ؛ كان بمضيعة [(١٨٤٦)] . ثمَّ أمر المثنى بن حارثة أن يتقدَّم إلى أن يلحقه الجيش ، وأمره أن يستنفر [(١٨٤٧)] من حَسنت توبته من المرتدِّين ، فسار مسرعاً حتَّى وصل الحيرة .

وكان عمر - رضي الله عنه - يتابع جبهات العراق ، والفرس ، والشَّام ، ويمدُّ الجيوش بالإمدادات ، ويرسل لهم التَّعليمات ، والأوامر ، ويضع الخطط للمعارك ، ويشرف بنفسه على تنفيذها . سار المسلمون إلى أرض العراق ، وهم سبعة الاف رجلٍ ، وكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يرسل من كان بالعراق ممَّن قدم مع خالد إلى العراق ، فجَهَّز عشرة الاف عليهم هاشم بن عتبة ، وأرسل عمر ، جرير بن عبد الله البجلي في أربعة الاف إلى العراق ، فقدم الكوفة ، فلمَّا وصل النَّاس إلى العراق ؛ وجدوا الفرس مضطربين في ملكهم ، واخر ما استقرَّ عليه أمرهم أن ملَّكوا عليهم بوران بنت كسرى ، بعدما قتلوا التي كانت قبلها أزميدخت ، وفوضت بوران أمر الملك عشر سنين إلى رجلٍ منهم يقال له : رستم بن فرخزاد على أن يقوم بأمر الحرب ، ثمَّ يصير الملك إلى ال كسرى ، فقبل ذلك ، وكان رستم هذا منجماً يعرف النُّجوم ، وعلمها جيِّداً ، ف قيل له : ما حملك على هذا ؟ يعنون : وأنت تعلم أن هذا الأمر لا يتمُّ لك ، فقال : الطَّمع ، وحبُّ الشُّرف [(١٨٤٨)] .

ثانياً : وقعة النَّمارق ، ومعركة السَّقَاطية بكسركر ، ومعركة باروسما :

١. وقعة النمارق ١٣ هـ :

وقد كانت هذه المعركة عقب وصول أبي عبيد ، وتوليّه قيادة الجيوش من العراق ، وكأما أراد منها الفرس أن يُرهبوا أبا عبيد أوّل من انتدب ، حتّى يقهروا في نفسه إرادة الظفر ، ورغبة النصر ، فأعدّوا لها القوى الدّاخلية ، وعبّؤوا الجند ، ولقوا فيها المسلمين من خلفهم ، ومن بين أيديهم ، ومن أمامهم ، وكتبوا إلى دهاقين السّودان أن يثوروا بالمسلمين ، ودسّوا في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعثوا جابان إلى البهقباذ الأسفل ، ونزّسوا إلى كسكر ، وجنداً ليواقعوا المثنى .. وبلغ المثنى ذلك ، فضمّ إليه مساحه ، وحذّر ، وخرج الدّهاقين ، وتوالوا على الخروج ، وثار أهل الرّسّاتيق وتتابعوا على الثّورة ، ونزل أبو عبيد ، والمثنى بحقّان ، وتعيّ ثمّ كان اللّقاء في النّمارق .. وكان قتالاً شديداً هزم الله فيه أهل فارس ، وأسر جابان القائد ومردانشاه ، وكان على الميجّبة ، وكانا معاً هما اللّذين تولّيا أمر الثّورة [١٨٤٩]

وكان الذي أسر جابان مطر بن فضّة التّميمي ، وهو لا يعرفه ، فخدعه جابان حتّى تفلّت منه بشيء فخلى عنه ، فأخذه المسلمون ، فأتوا به أبا عبيد ، وأخبروه : أنّه قائد الفرس ، وأشاروا عليه بقتله ، فقال : إني أخاف الله أن أقتله ، وقد آمنه رجلٌ مسلمٌ ، والمسلمون في التّوادّ والتّناصر كالجسد ما لزم بعضهم ، فقد لزمهم كلّهم ، فقالوا : إنّهُ الملك - يعني : القائد . قال : وإن كان ، لا أغدر ، فتركه [١٨٥٠].

—خ وهذا الموقف من أبي عبيد التّففي يعتبر مثلاً على سماحة المسلمين ، ووفائهم ، بالعهود وإن أبرمها بعض أفرادها ، ولا شكّ : أن هذه الأخلاق العالية كان لها أثرٌ كبيرٌ في اجتذاب النّاس إلى الدّخول في الإسلام ، فحينما يتسامع النّاس : أنّ المسلمين أطلقوا أحد قادة الفرس ؛ الذين كانوا أسرع النّاس في عدائهم لمجرّد : أنّه اتفق مع أحد المسلمين على الفداء ، فإنّهم ينجذبون إلى أهل هذا الدّين ؛ الذي أخرج هؤلاء الرّجال .

—خ ولا ننسى موقف المثنى بن حارثة الرّائع حيث سلّم الإمارة لأبي عبيد مع أنّه يقدم العراق لأوّل مرّة ؛ لأن أمير المؤمنين أمره عليه ، فكان نعم القائد ، ونعم الجندي ، وهذه من سجايا المثنى ، فقد فعل ذلك مع خالد بن الوليد من قبل ، ولم يختلف عطاؤه للإسلام في حالي القيادة والجنديّة، وهكذا يكون عظماء الرّجال [١٨٥١].

٢. معركة السّقاطيّة بكسكر :

ثم ركب أبو عبيد في اثار من انهزم وقد لجؤوا إلى مدينة كسكر [(١٨٥٢)] ، وهي لابن خالة كسرى ، واسمه نرسي ، فوازرهم نرسي على قتال أبي عبيد ، فلقبهم أبو عبيد في السَّقَاطِيَّة [(١٨٥٣)] ، فقهرهم ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ، وأطعماتٍ كثيرةً جداً [(١٨٥٤)] ، وهرب نرسي وغلب المسلمون على عسكره ، وأرضه ، ووجدوا في خزائنه شيئاً عظيماً ، ولم يكونوا بشيءٍ أفرح منهم بشجر النرسيان ، لأنَّ (نرسي) كان يحميه ، ويمالئه عليهم ملوكهم ، فاقتسموه ، فجعلوا يطعمونه الفلاحين ، وبعثوا بخمسة إلى عمر ، وكتبوا إليه : إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يجمونها ، وأحببنا أن تروها ، ولتذكروا إنعام الله ، وإفضاله [(١٨٥٥)] .

وفي هذا الخبر إشارة إلى نوع من الأخلاق الرّفِيعَة لدى المسلمين ، حيث رفعوا من شأن الفلاحين المحرومين ، فأطعموهم من طعام ملوكهم ، الذي كان محرّماً عليهم ، فكأنهم بهذا يقولون لهم : تعالوا إلى هذا الدّين العظيم ؛ الذي يرفع شأنكم ، ويردُّ عليكم كرامتكم الإنسانيَّة [(١٨٥٦)] .

وأقام أبو عبيد بكسكر ، وبعث قوَّاتٍ لمطاردة الفرس ، وتأديب أهل القرى المجاورة الذين نقضوا العهد ، ومالؤوا الفرس ، ورجحت كِفَّةَ المسلمين في المنطقة . بعد هذا الانتصار جاء بعض الولاة يطلبون الصُّلح ، وقَدَّم واليان منهم طعاماً خاصاً لأبي عبيد من فاخر أطعمتهم ، فقالوا : هذه كرامةٌ أكرمناك بها ، وقِرئٌ لك ، قال : أأكرمتم الجند ، وقريتموهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسَّر ، ونحن فاعلون ، فقال أبو عبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، وهابوا ، وخافوا على أنفسهم ، فقال أبو عبيد : ألم أعلمكم أيُّ لست اكلأ إلا ما يسع من معي ممَّن أُصبتُم

بهم ، قالوا : لم يبق أحدٌ إلا وقد أُتِيَ بشبعه من هذا في رحالهم وأفضل ، فلما علم ؛ قبل منهم ، وأكل ، وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافاً عليه يدعوهم إلى الطَّعام ، وقد أصابوا من نُزُل فارس ، ولم يروا : أنهم أتوا أبا عبيد بشيءٍ ، فظنُّوا أنهم يُدعون إلى مثل ما كانوا يُدعون إليه من غليظ عيش أبي عبيد ، وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك ، فقالوا له : قل للأمير : إننا لا نشتهي شيئاً مع شيءٍ أتتنا به الدَّهاقين ، فأرسل إليهم : إنَّه طعامٌ كثير من أطعمة الأعاجم ، لتنظروا أين هو ممَّا أتيتم به [(١٨٥٧)] .

وهكذا أكل هذا الأمير الكريم المتواضع بعد ما ردَّ طعام الأعاجم مرّتين لما علم في الثَّالثة : أنهم أطعموا جميع الجند مثلما أطعموه ، وأفضل ، ومع هذا لم يرض أن يأكل وحده حتى دعا أضيافه ، وألحَّ عليهم ، حتَّى بعد أن علم : أنهم أصابوا من طعام الفرس ، وعدَّد لهم أصناف هذا الطَّعام ؛ ليرغبهم في

مشاركته ، وهذا لونٌ من الكرم الرّفيع ، والكرم من أهم عناصر الرّعاة ، وإنّ هذه المواقف ترشدنا إلى مقدار ما بلغ إليه الصّحابة . رضي الله عنهم . والتّابعون لهم بإحسانٍ من الرّقيّ الأخلاقي ، والتّقدّم الحضاريّ [(١٨٥٨)] .

٣. معركة باروسما سنة ١٣ هـ :

ثمّ التقوا بمكانٍ بين كَسْكَر والسَّقَاطِيّة ، يقال له : باروسما ، وعلى ميمنة نرسي وميسرته ابنا خاله ، بندويه ، وبيرويه ، وكان رستم قد جهز الجيوش مع الجالينوس ، فلمّا بلغ أبا عبيد ذلك ؛ أعجل نرسي بالقتال قبل وصولهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت الفرس ، وهرب نرسي ، فبعث أبو عبيد المثني بن حارثة ، وسرايا آخر إلى متاخم تلك النّاحية ، كنهـر جور ، ونحوها ، ففتحتها صلحاً ، وقهراً ، وضربوا الجزية ، والخراج ، وغنموا الأموال الجزيلة ، والله الحمد ، وكسروا الجالينوس الذي جاء لنصرة جابان ، وغنموا جيشه ، وأمواله ، وفرّ هارباً إلى قومه حقيراً ذليلاً [(١٨٥٩)] .

وهكذا تمّ القضاء على ثلاثة جيوشٍ للفرس في مدّةٍ وجيزةٍ ، وكان بإمكان الفرس أن يوحّدوا هذه الجيوش ، وأن يأتوا المسلمين من أمامهم ، وخلفهم ، وعن يمينهم ، وشمالهم ؛ لكثرة عددهم ، ولكنّ الله أعمى بصائرهم ، وكانوا لشدّة خوفهم من المسلمين يتمنّى كلُّ قائدٍ أن يكفيه الاخر مهمةً المواجهة ، وإضعاف المسلمين ؛ ليظفر بالنّصر عليهم بعد ذلك ، وقد أفاد المسلمين سرعة تحركهم ، وبطء حركة جيوش الأعداء [(١٨٦٠)] .

ثالثاً : وقعة جسر أبي عبيد ١٣ هـ :

لما رجع الجالينوس هارباً ممّا لقي من المسلمين ؛ تدامرت [(١٨٦١)] الفرس بينهم ، واجتمعوا على رستم ، فأرسل جيشاً كثيفاً ، عليهم ذا الحاجب بـهـمـن جاذويه ، وأعطاه راية كسرى ، وتسمّى درفش كايان (الراية العظمى) وكانت الفرس تتيمّن بها ، وكانت من جلود الثّمور ، وعرضها ثماني أذرع في طول اثني عشر ذراعاً ، فوصلوا إلى المسلمين ، وبينهم النّهر ، وعليه جسر ، فأرسلوا : إمّا أن تعبروا إلينا ، وإمّا أن نعبـر إليكم ، فقال المسلمون لأميرهم أبي عبيد : مرهم فليعبروا هم إلينا ، فقال : ما هم بأجرأ على الموت ممّنّا ، ثمّ اقتحم إليهم ، فاجتمعوا في مكانٍ ضيق هنالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يُعهد مثله ، والمسلمون في نحو عشرة الاف .

وقد جاءت الفرس معهم بأفيلةٍ كثيرةٍ عليها الجلاجل [(١٨٦٢)] لتدعـر خيول المسلمين ، فجعلوا كلّما حملوا على المسلمين فرّت خيولهم من الفيلة وممّا تسمع من الجلاجل التي عليها ، ولا يثبت منها إلا

القليل على قَسْرٍ ، وإذا حمل المسلمون عليهم لا تقدم خيولهم على الفيلة ، رشقتهم الفرس بالتَّبَل ، فنالوا منهم خلقاً كثيراً ، وقتل المسلمون منهم مع ذلك ستَّة الاف [١٨٦٣] ، وقد جفلت خيول المسلمين من أصوات الأجراس المعلقة بالفيلة ، وصار المسلمون لا يستطيعون الوصول إليهم ، والفيلة تجوس خلاهم ، فترجَّل أبو عبيد ، وترجل النَّاس معه ، وتصافحوا معهم بالسُّيوف ، وفقد المسلمون خيلهم ، فأصبحوا رجَّالة يقاومون سلاح الفيلة ، والفرسان ، والمشاة من الفرس ، إلى جانب الرُّماة الذين أضروا بالمسلمين وهم يدفعون بخيولهم نحوهم ، فلا تندفع ، فكان موقفاً صعباً ، أظهر المسلمون فيه من البسالة والتَّضحية ما يندر أن يوجد له مثيلٌ في التَّاريخ ، وصمدوا للفرس رغم تفوُّقهم عليهم في كلِّ وسائل القتال ، وكانت الفيلة أشدَّ سلاحٍ واجهه المسلمون ، فقد كانت تهدُّ صفوفهم ، فناداهم أبو عبيد بأن يجتمعوا على الفيلة ، ويقطعوا أحزمتها ، ويقلبوا عنها أهلها ، وبدأ هو بالفيل الأبيض ، فتعلَّق بجزامه ، وقطعه ، ووقع الذين عليه ، وفعل المسلمون مثل ذلك ، فما تركوا فيلاً إلا حطُّوا رحله ، وقتلوا أصحابه ، ولكن الفيلة استمرَّت في الهجوم لأَنَّها كانت مدربةً ، فرأى أبو عبيد أن يتخلَّص منها ، فسأل عن مقاتلتها ، فقيل له : إنَّها إذا قطعت مشافرها ؛ تموت ، فهجم على الفيل الأبيض ، ونفح خرطومَه بالسِّيف ، فاتَّقاه الفيل بيده وأطاح به ، ثمَّ

داسه بأقدامه ، وأخذ الرَّاية أخوه الحكم بن مسعود ، فقاتل الفيل حتى أزاحه عن أبي عبيد ، ولكن وقع له ما وقع لأبي عبيد ، فقد أراد الفيل قتله ، فألقاه بيده ، ثمَّ داسه بأقدامه ، وانتقلت راية المسلمين إلى الذين سماهم أبو عبيد ، ومنهم أبناؤه الثَّلاثة : وهب ، ومالك ، وجبر ، إلى أن قتلوا جميعاً فانقلبت القيادة للمثنَّى بن حارثة مع آخر النَّهار ، وكان بعض المسلمين قد عبروا الجسر منسحبين ، واستمرَّ الانسحاب من الميدان ، فلمَّا رأى ذلك عبد الله بن مرثد التَّقفي ؛ بادر ، وقطع الجسر ، وقال : موتوا على ما مات عليه أمراؤكم ، أو تظفروا ، وحاول منع النَّاس من العبور ، فأتوا به إلى المثنَّى ، فضربه من شدَّة غضبه من صنيعه ، وقال : ما حملك على الذي صنعت ؟ قال : ليقاتلوا ، وقد كان اجتهاده في غير موضعه ؛ لأنَّ قطع الجسر أدَّى إلى وقوع بعض المسلمين في النَّهر ، وغرقوا بسبب شدَّة الضَّغط من الفرس ، فكانت الفكرة المناسبة أن يحافظ المسلمون على بقيَّتِهِم بالانسحاب إن استطاعوا ذلك ، وهذا هو ما قام به المثنَّى حيث أمر بعقد الجسر ، ووقف هو ومن معه من أبطال المسلمين ، فحموا ظهور المسلمين حتَّى عبروا ، وقال المثنَّى : أيها النَّاس ! إنا دونكم فاعبروا على هينتكم . يعني : على

مهلكم . ولا تدهشوا فإِنَّ لَن نَزَائِلَ حَتَّى نَرَاكُم مِّن ذَلِكِ الْجَانِبِ ، وَلَا تَغْرَقُوا أَنْفُسَكُم ، وَكَانَ الْمُتَنَّى وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَبْطَالِ مِنْ أَمْثَالِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو ، وَالْكَلْجِ الضَّيِّيِّ هُمْ آخِر مَنْ عَبَرَ .

وقد كان بھمن جاذویہ حاول أن یجهز علی بقیة المسلمین ولكنہ لم یستطع ، وفوت علیہ هذه الفرصة المتئی حينما تولی قيادة هذا الانسحاب المنظم ، ولا شك أن هؤلاء الأبطال الذین حموا ظهور المسلمین حتی انسحبوا قد بذلوا جهوداً جبارةً فی الصمود أمام الأعداء ، لقد انسحب خمسة الاف من المسلمین ، وخلفوا وراءهم أربعة الاف من الشهداء منهم عدد كبير من الصحابة . رضي الله عنهم . خاصة الذین رافقوا أبا عبید من المدينة ، وقد عاد ألمان ممن انسحبوا إلى المدينة وغيرها ، ولم یبق مع المتئی غیر ثلاثة الاف ، أمّا الفرس فقد قتل منهم ستة الاف بالرغم من الوضع السيئ؛ الذي كان فيه المسلمون، ممّا يدلُّ علی بسالتهم، وقوة احتمالهم [(١٨٦٤)] .

أهمُّ الدُّروس ، والعبير ، والفوائد من معركة جسر أبي عبید :
أ. رؤية صادقة :

كانت دومة امرأة أبي عبید قد رأت رؤيا : أن رجلاً نزل من السماء بإناءٍ فيه شرابٌ ، فشرب أبو عبید وابنه جبر في ناسٍ من أهله ، فأخبرت بها أبا عبید ، فقال : هذه الشَّهادة ، وعهد أبو عبید إلى النَّاسِ ، فقال : إن قتلت ؛ فعلى النَّاسِ فلان ، حتى عدَّ سبعةً من ثقیف من أقاربه ؛ الذین ذكرتهم امرأته فی الرؤيا ، فإن قتل اخرهم ؛ فالقيادة للمتئی به حارثة [(١٨٦٥)] .
ب . غلطان سببتا الهزيمة :

— مخالفة أبي عبید لمن معه من أركان الجيش ، ووجهه ، لقد نهوه عن العبور ، فلم ينته ، واستقلَّ برأيه ، لقد عبر أبو عبید الجسر بشجاعةٍ ، وإقدامٍ وحبٍّ للشَّهادة ، لكنَّه لم یحسب للمعركة حسابها الكامل ، ولم یدرس أرض المعركة ، بشكلٍ كافٍ [(١٨٦٦)] .

ولقد أفلت من يد أبي عبید عنصر الأمن بانحصاره في مكانٍ ضيقٍ المخرج ، وكأنَّه وضع جيشه في مصيدةٍ دون عذرٍ مقبول ، وأفلت من يده عنصر التَّعاون بين الأسلحة المختلفة بخروج سلاح الفرسان من المعركة ، فصارت قوَّاته مشاةً دون فرسان ، وكان علیهم أن یواجهوا مشاة الفرس ، وفرسانهم ، وأفيالهم ، وفقدت المعركة كفاءة القيادة ، حتى تولاهما المتئی أخيراً بعد سبعةٍ سبقوه ، وكما فقد ذلك ؛ فقد أيضاً عنصر الحشد بسبب ضيق المكان ؛ إذ لا فائدة من أعداد الجند ؛ إذا لم تسعفها طوبوغرافية

الأرض ، كما أنه فقد حسن اختيار الهدف وما يتفرّع عنه من اختيار الأرض ، واختيار طريق الوصول إليه ، وطريق ضربه ، وما إلى ذلك ، فوّته على نفسه ، بل أتاح لعدوّه أن يفرضه عليه [(١٨٦٧)] .
—خ والذي زاد غلطة أبي عبيد فداحةً غلطةً زادت الغلطة الأولى أثراً ، وخسارةً ، وفاجعةً ، إنّها غلطة عبد الله بن مرثد الثَّقفي عندما قطع الجسر ، كي لا يرتدّ أحدٌ من المسلمين ، ولولا الله ، ثم ثبات المثنيّ بن حارثة ، ومن معه ؛ هلك المسلمون عن اخرهم [(١٨٦٨)] .

ج قيمة القيادة الميدانيّة :

إنّ معركة الجسر أثبتت أهميّة القيادة الميدانيّة المتمثّلة في المثنيّ ، وأركان قيادته الذين معه ، فعندما تنزل الحن بالجيوش يخرج القادة الذين يستطيعون أن يخرجوا بجيوشهم من تلك الحن [(١٨٦٩)] ، فقد تولى المثنيّ مع مساعديه من الأبطال حماية الجيش الإسلامي ، فكان اخرَ مَنْ عبر الجسر ، وهذا لونه رفيعٌ من ألوان التّضحية ، والفداء [(١٨٧٠)] .

د . المثنيّ يقوم برفع الرُّوح المعنويّة لجيشه :

انسحب المثنيّ بأربعة الاف جنديٍّ من أصل عشرة الاف ، وقام بمطاردته قائدان فارسيان ، هما : (جaban) و(مردنشاہ) باتجاه أليس (السّماوة) ، وجرّهما المثني وراءه مسافةً حتّى توغّلا ، ولم يشأ أن يبدأ حملةً مضادةً إلا بعد مرحلة من الانسحاب ، وعند بلوغه السّماوة ؛ شنّ هجوماً صاعقاً بالخيالة التي قادها ، بنفسه ، فأنزل بهما هزيمةً عجيبةً ، ويبدو : أنّ هول المفاجأة ، وعدم تصوّرهما : أنّ إنساناً قد أبيض معظم جيشه ، يمكن أن يكون له مثل هذا العزم الذي يفلّ الحديد ، ومن شدّة ذهول القطعات الفارسيّة ؛ أنزلت بها خسائر كبيرة ، بحيث تمكّن المثنيّ من أسر القائدين : جaban ، ومردنشاہ ، وأعدمهما المثنيّ ، فكان لهذا النّصر أثرٌ كبير في تقوية معنويات البقيّة الباقية من الجيش ، ورفعت الموقعة معنويات سكّان المنطقة ، ورفعت قيمة المثنيّ في نظر جنوده ، والقبايل المجاورة [(١٨٧١)] .

هـ كلّما وقع المسلمون الصّادقون في مأزقٍ حرجٍ ؛ قيّض الله لهم الأسباب ؛ التي تخرجهم من ذلك الحرج :

بقي المثنيّ في العراق في عددٍ قليل لا يكفي حتّى للاحتفاظ بالممالك التي استولى عليها المسلمون ، ولقد كان بإمكان الفرس أن يلاحقوا بقيّة الجيش الإسلامي حتّى يخرجوهم من العراق ، وسيجدون ممّن بقي على الولاء لهم من العرب من يتولّى مطاردتهم في الصّحراء ، ولكن الله تعالى مع هذه الفئة المؤمنة ، ومع المؤمنين في كلّ مكان ، فكّلما وقع المسلمون الصّادقون في مأزقٍ حرجٍ ؛ قيّض الله لهم الأسباب

للخروج منه ، فقد قيَّض المولى . عزَّ وجلَّ . أمراً صدَّهم عن المسلمين ، حيث انقسموا إلى قسمين ، قسم مع رستم ، وقسم مع فيرزان ، وأتى الخبر إلى قائد الفرس بهممن جاذويه ، فأسرع بالعودة إلى المدائن ، وكان ممن ينظر إليه في أمور سياستهم ، وهكذا كفى الله المؤمنين القتال ، وأنقذهم من هذا المأزق الحرج ، وأخذوا فرصة كافية لتلقي الجيوش القادمة من دار الخلافة ، حتى تقوَّوا ، وتكوَّن لديهم جيشٌ كبيرٌ [(١٨٧٢)] .

و. موقف عمر . رضي الله عنه . عندما تلقى خبر الهزيمة :

بعث المثني بن حارثة بأخبار المعركة إلى الخليفة عمر . رضي الله عنه . مع عبد الله بن زيد الأنصاري ، فقدم على عمر ، وهو على المنبر ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد ؟! قال : أتاك الخبر يا أمير المؤمنين ! فلما انتهى إليه أخبره خبر الناس سرّاً [(١٨٧٣)] ، فما سمع لرجلٍ حضر أمراً تحدَّث عنه أثبت خبراً منه [(١٨٧٤)] .

وقد تأثر عمر ومن حوله من الصحابة لمصاب الجيش الإسلامي في هذه المعركة، وقال : اللَّهُمَّ كُلِّ مسلمٍ في حلٍّ مِنِّي ! أنا فئة كلِّ مسلمٍ . من لقي العدوَّ ففضَّع بشيءٍ من أمره ، فأنا له فئةٌ ، يرحم الله أبا عبيد ! لو كان انحاز إليَّ ؛ لكنت له فئةٌ [(١٨٧٥)] . وهذا الموقف يدلُّ على أنَّ عمر وهو الرَّجل القويُّ الحازم يلين ، ويواسي في مقام الرَّحمة ، والعطف [(١٨٧٦)] .

رابعاً : وقعة البويب ١٣ هـ :

قام الفاروق بحشد النَّاس ، واستنفارهم ، وبذلك أرسل الإمدادات إلى جيش الإسلام في العراق ، فكان منهم جرير بن عبد الله البجلي في قومه ، وحنظلة بن الربيع ، وأرسل هلال بن علقمة مع طائفة الرِّباب ، ومجموعة من قبائل خنعم بقيادة عبد الله بن ذي السَّهمين ، فأرسلهما أيضاً إلى العراق مدد جند الإسلام ، وجاء كلُّ من عمر بن ربيعي بن حنظلة في قومه ، وربيعي بن عامر بن خالد إلى الخليفة فأمدَّ بهم كذلك جند العراق ، وهكذا أخذت أرتال الدَّعم والإمداد تسير نحو العراق بدون انقطاع ، وفي الوقت ذاته أرسل المثني بن حارثة الشَّيباني إلى من في العراق من أمراء المسلمين يستحثُّهم ، فبعثوا إليه بالإمداد حتى كثر جيشه [(١٨٧٧)] .

ولما علم قادة الفرس باجتماع جيش كبير عند المثني ، بعثوا مهران الهمداني بجيش من الفرسان لمواجهة جيش المثني ، ولما علم المثني بذلك ؛ كتب إلى من يصل إليه من الإمداد أن يوافوه بالبويب ، وعلى

رأس هؤلاء جرير بن عبد الله حيث كتب إليه المثنى يقول : إِنَّا جَاءَنَا أَمْرٌ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ الْمَقَامَ حَتَّى تَقْدُمُوا عَلَيْنَا ، فَعَجَّلُوا اللَّحَاقَ بِنَا ، وَمَوْعِدَكُمْ الْبُيُوبَ ، فَاجْتَمَعُوا بِالْبُيُوبِ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جَيْشِ الْفَرَسِ إِلَّا النَّهْرُ ، فَأَقَامَ الْمَثْنَى حَتَّى كَتَبَ لَهُ مَهْرَانُ : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا أَوْ أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ ، فَقَالَ الْمَثْنَى : اعْبُرُوا ، فَعَبَرَ مَهْرَانُ بِجَيْشِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنَ الْعَامِ الثَّلَاثِ عَشَرَ لِلْهَجْرَةِ ، فَقَامَ الْمَثْنَى خَطِيباً ، وَقَالَ لِلْمُسْلِمِينَ : إِنَّكُمْ صَوَّامٌ ، وَالصَّوْمُ مَرْقَّةٌ ، وَمُضْعَفَةٌ ، وَإِنِّي أَرَى مِنَ الرَّأْيِ أَنْ تُفْطَرُوا ثُمَّ تَقْوُوا بِالطَّعَامِ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ . قَالُوا : نَعَمْ ! فَأَفْطَرُوا .

وَكَانَ الْمَثْنَى قَدْ عَبَّأَ جَيْشَهُ ، وَسَارَ فِيهِمْ يَحْتَمُّ عَلَى الْقِتَالِ ، وَيَقُولُ لِأَهْلِ كُلِّ رَايَةٍ : إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ لَا تَوْتِيَ الْعَرَبُ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَاللَّهِ مَا يَسْرُنِي الْيَوْمَ لِنَفْسِي شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يَسْرُنِي لِعَامَّتِكُمْ . قَالَ الرَّوَاةُ : وَأَنْصَفَهُمُ الْمَثْنَى فِي الْقَوْلِ ، وَالْفِعْلِ ، وَخَلَطَ النَّاسَ فِي الْمَكْرُوهِ ، وَالْمُحْبُوبِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَعْيبَ لَهُ قَوْلًا ، وَلَا عَمَلًا [(١٨٧٨)] .

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى حَسَنِ قِيَادَتِهِ وَسَعَةِ حِكْمَتِهِ ، حَتَّى أَصْبَحَ أَفْرَادَ الْجَيْشِ مَطِيعِينَ لَهُ عَنِ حَبِّ ، وَقِنَاعَةٍ ، وَلَمَّا رَضِيَ الْمَثْنَى عَنِ اسْتِعْدَادِ جَيْشِهِ ؛ قَالَ : إِنِّي مَكْبَرٌ ثَلَاثًا فَتَهَيَّؤُوا ، ثُمَّ احْمَلُوا مَعَ الرَّابِعَةِ . فَلَمَّا كَبَّرَ أَوَّلَ تَكْبِيرَةٍ أَعْجَلَهُمْ أَهْلُ فَارِسَ ، وَعَاجَلُوهُمْ ، فَخَالَطُوهُمْ مَعَ أَوَّلِ تَكْبِيرَةٍ ، وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْفَرَسِ هَذَا الْإِنْدِفَاعُ ، وَلَكِنْ لَعَلَّ مَا حَصَلُوا عَلَيْهِ فِي مَعْرَكَةِ الْجَسْرِ مِنْ إِصَابَةِ الْمُسْلِمِينَ خَفَّفَ مِمَّا وَقَرَ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ هَيْبَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالرُّعْبِ مِنْهُمْ ، وَهَكَذَا بَدَأَ الْفَرَسُ بِالْمُحْجَمِ وَقَدْ صَمَدَ لَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَاسْتَمْرُوا مَعَهُمْ فِي صِرَاعٍ شَدِيدٍ ، وَالْمَثْنَى إِلَى جَانِبِ اشْتِرَاكِهِ فِي الْقِتَالِ يَرِاقِبُ جَيْشَهُ بِدَقَّةٍ حَتَّى إِنَّهُ رَأَى خِلَالَ فِي بَعْضِ صُفُوفِهِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا ، وَقَالَ : إِنَّ الْأَمِيرَ يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَقُولُ : لَا تَفْضَحُوا الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ ، فَقَالُوا : نَعَمْ ، وَاعْتَدَلُوا [(١٨٧٩)] ، فَلَمَّا طَالَ الْقِتَالُ ، وَاشْتَدَّ ؛ قَالَ الْمَثْنَى لِأَنْسِ بْنِ هَلَالٍ : يَا أَنْسُ ! إِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ حَمَلْتُ عَلَى مَهْرَانَ ؛ فَاحْمَلْ مَعِي ، وَقَالَ لَابْنُ مَرْدِي الْفَهْرُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَأَجَابَهُ ، ثُمَّ حَمَلَ الْمَثْنَى عَلَى مَهْرَانَ ، فَأَزَالَهُ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي مَيْمَنَتِهِ ، وَاسْتَمْرَ الْمَثْنَى يَضْغَطُ عَلَى عَدُوِّهِ ، فَخَالَطُوهُمْ ، وَاجْتَمَعَ الْقَلْبَانَ ، وَارْتَفَعَ الْغُبَارُ ، وَالْمُجَنَّبَاتُ تَقْتَتِلُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْرَغُوا لِنَصْرِ أَمِيرِهِمْ لَا الْمَشْرُوكُونَ ، وَلَا الْمُسْلِمُونَ ، وَقَالَ مَسْعُودُ بْنُ حَارِثَةَ قَائِدُ مَشَاةِ الْمُسْلِمِينَ لَجُنْدِهِ : إِنْ رَأَيْتُمُونَا أَصْبْنَا ؛ فَلَا تَدْعُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ ، فَإِنَّ الْجَيْشَ يَنْكَشِفُ ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ ، الزَّمُوا مَصَاقِفَكُمْ ، وَأَغْنُوا غَنَاءَ مَنْ يَلِيكُمْ [(١٨٨٠)] ، وَأَصِيبُ مَسْعُودٌ ، وَقَوَّادٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَرَأَى مَسْعُودٌ تَضَعُضُعَ مِنْ مَعِهِ لِإِصَابَتِهِ ، وَهُوَ ضَعِيفٌ قَدْ ثَقُلَ مِنَ الْجِرَاحِ ، فَقَالَ : يَا مَعْسُكِرُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ! ارْفَعُوا رَايَاتِكُمْ ؛ رَفَعَكُمْ اللَّهُ ! لَا يَهْوِلَنَّكُمْ مَعْصِرِي .

ويدرك المثنى مصرع أخيه ، فيخاطب الناس بقوله : يا معشر المسلمين ! لا يرعكم مصرع أخي ، فإنَّ مصارع خياركم هكذا ، وقاتل أنس بن هلال النَّميري حتى أصيب ، فحمله المثنى ، وحمل أخاه مسعوداً ، وضمهما إليه ، والقتال محتدمٌ على طول الجبهة ، ولكن القلب بدأ ينبعج في غير صالح الفرس ، وأوجع قلب المسلمين في قلب المجوس ، وقد دقَّ فيه المثنى إسفينه .

وكان فيمن تقدّم في القلب جرير بن عبد الله ، ومعه بجير ، وابن الهوبر ، والمندر بن حسّان فيمن معهما من ضبّة ، وقاتل قرط بن جماح العبدي حتى تكسّرت في يده رماحٌ ، وتكسّرت أسيافٌ ، وقُتل شهر براز من دهاقين الفرس ، وقائد فرسانهم في المعركة ، واستمرّ القتال حتى أفنى المسلمون قلب المشركين ، وأوغلوا فيه [(١٨٨١)] ، ووقف المثنى عند ارتفاع الغبار حتى أسفر الغبار ، وقد فني قلب المشركين ، وقتل قائدهم مهران ، والمجنّبات قد هز بعضها بعضاً ، فلمّا راه المسلمون ، وقد أزال القلب ، وأفنى أهله ؛ قويت مجنّباتهم على المشركين ، وجعلوا يردّون الأعاجم على أديبارهم ، وجعل المثنى ، والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ، وأرسل إليهم من يقول لهم : عاداتكم في أمثالكم ، انصروا الله ؛ ينصركم ، حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنى إلى الجسر ، فسبقهم ، وقطعه ، وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطيء الفرات ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم ، ثمّ جعلوا جثثهم أكواماً من كثرتها ، حتى ذكر بعض الرّواة : أنّ قتلهم بلغوا مئة ألف [(١٨٨٢)] .

١. مؤتمر حربي بعد المعركة :

سكن القتال ، ونظر المثنى والمسلمون إلى عشرات الألوّف من الجثث ، وقد غطّت الأرض دماؤها ، وأشلاؤها ، ثمّ جلس مع الجيش يحدّثهم ، ويحدّثونه ، ويسألهم عمّا فعلوا ، وكلّما جاء رجل ؛ قال له المثنى : أخبرني عنك ، فيروون له أحاديث تصوّر لقطاتٍ من المعركة ، وقد قال المثنى : قد قاتلت العرب ، والعجم في الجاهلية ، والإسلام ، والله لمئة من العجم في الجاهليّة كانوا أشدّ عليّ من ألفٍ من العرب ! ولمئة اليوم من العرب أشدّ عليّ من ألفٍ من العجم . إنّ الله أذهب مصدوقتهم ، ووهن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ترونه . يعني : هيئتكم . ولا سواد . يعني : كثرتهم . ولا قسي فُحج . يعني : قد باتت أوتارها . ولا نبال طوال فإنهم إذا أعجلوا عنها ، أو فقدوها كالبهائم ، أينما وجهتموها ؛ انجّحت [(١٨٨٣)] .

وإنّ هذا القول في ذلك الوقت مناسبٌ تماماً ، حيث عرض المثنى خبرته الجيّدة في حربه مع الفرس في الوقت الذي دخل في حروب العراق أعداداً كبيرة من المسلمين ، يشاركون في حرب الفرس لأوّل مرّة ،

فجمع المثنى لهم بذلك بين المشاهدة في معركة من المعارك ، وبين وصف تجاربه في كلِّ المعارك التي خاضها معهم قبل ذلك [(١٨٨٤)] .

٢. ندم المثنى في قطعه خطَّ الرَّجعة على الفرس :

وقد ندم المثنى على قطعه خطَّ الرَّجعة على الفرس ، وأخذه بالجسر من خلفهم ، فقال : لقد عجزت عجزاً وقى الله شرَّها لمسابقتي إيَّها إلى الجسر ، وقطعه حتَّى أخرجهم ، فإيَّيَّ عائد ، فلا تعودوا ، ولا تقتدوا بي أيُّها النَّاس ، فإنَّها كانت مِنِّي زلَّةً لا ينبغي إحراج أحدٍ إلا من لا يقوى على امتناع [(١٨٨٥)] . فقد أبان المثنى في اخر هذا الكلام وجه الخطأ في هذه الخطَّة حيث قد لاحظ بصيرته الحريَّة النَّافذة أنَّ في منع الأعداء من الفرار إلجاءً لهم إلى الاستماتة في القتال دفاعاً عن أنفسهم ، فإنَّه حينما يشعر الإنسان بأنَّه مقتولٌ يبذل كلَّ طاقته في الدِّفاع عن نفسه ، وهذا يكلف الجيش المقابل جهوداً ضخمةً في محاولة القضاء عليه ، ولكنَّ الله تعالى وقى المسلمين شرَّ هذه الخطَّة كما ذكر المثنى ، حيث ثبَّت المسلمين ، فكانت قوتهم أعلى بكثيرٍ من احتمال الأعداء ، وطاقتهم ، وألقى الله تعالى الرُّعب في قلوب الأعداء ، حتَّى فقدوا الطَّاقة ، والمقدرة على الدِّفاع عن النَّفس [(١٨٨٦)] ، وإن في اعتراف المثنى بهذا الخطأ ، وهو الرَّجل الَّذي بلغ في هذه المعركة أوج النَّصر ، والشُّهرة لدليلاً على قوَّة إيمانه ، وتجرُّده من حظِّ النَّفس ، وإيثاره مصلحة الجماعة ، وهكذا يكون العظماء [(١٨٨٧)] .

٣. علم النَّفس العسكري عند المثنى :

إلى جانب ما ظهر لنا من عبقریات المثنى فقد شملت عبقريته عمقاً اخر يتَّصل بالحرب ، وهو علم النَّفس العسكري ، والتَّعامل مع إخوان الجهاد ، وزملاء السِّلاح ، إنَّنا لنجد روحاً من المحبَّة فياضةً تربط المثنى بمن معه ، تشير إلى جانبٍ عاطفيٍّ نحوهم ، ويبرز هذا في أحاديثه لهم ، وفي كلامهم عنه ، نرى هذا في طوافه بفرسه الشَّموس على راياتهم رايةً رايةً ، يحمّسهم ، ويعطيهم توجيهاته ، ويحرِّك مشاعرهم بأحسن ما فيهم ، ويقول لهم : والله ما يسرني اليوم لنفسي شيءٌ إلا وهو يسرني لعامتكم [(١٨٨٨)] !

فيجيئونه بمثل ذلك ، يقول الرُّواة : فلم يستطع أحدٌ أن يعيب له قولاً ، ولا عملاً [(١٨٨٩)] .
وعندما رأى صفوف العجم تهجم ، وقد علت صيحاتهم ، يدرك ما لهذا من أثرٍ في قتال الالتحام ، لا سيَّما وذكرى معركة جسر أبي عبيد ماثلةً في الأذهان ، فقال كلمةً هادئةً تساعد على الثَّبات ، وتدخل على النفوس ؛ لتبطل أثر تلك الهيعات ، فقال في هدوءٍ يدعو إلى الإعجاب :

إِنَّ الذي تسمعون فشلٌ ، فالزموا الصَّمت واثمروا همساً [(١٨٩٠)] .

وعندما أصيب أخوه مسعودٌ إصابةً قاتلةً ؛ قال مقالةً تستحق أن تكتب بماء الذهب ، وبحروفٍ من نور : يا معشر المسلمين ! لا يرفعكم مصرع أخي ، فإنَّ مصارع خياركم هكذا [(١٨٩١)] ، ولا يقلُّ عن هذا قول أخيه نفسه وهو يجود بالنَّفس مستبشراً بالشَّهادة : ارفعوا راياتكم رفعكم الله ! لا يهولنكم مصرعي ! وعندما قام المثنى بالصَّلَاة على أخيه ، وبعض الشُّهداء ؛ قال : والله إنَّه ليهوِّن عليَّ وجدي أن شهدوا البويب ، أقدموا ، وصبروا ، ولم يجزعوا ، ولم ينكلوا ، وإن كان في الشَّهادة كفارةً لتجوز الذُّنوب [(١٨٩٢)] .

وكما كان المثنى محبباً لجنده ، عطوفاً عليهم ، متفقيداً لجميع أحوالهم ، فقد كان في نفس الوقت حازماً ، حاسماً ، اخذاً بما يُطلق عليه العسكريُّون المحدثون (الضَّبْط والرِّبْط) [(١٨٩٣)] ، فعندما أبصر رجلاً في الصَّفِّ يستوفز [(١٨٩٤)] ، ويستنتل [(١٨٩٥)] من الصَّفِّ ، فقال المثنى : ما بال هذا ؟ قالوا : هو ممَّن فرَّ من الرِّحف يوم الجسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرُّمح ، وقال : لا أبالك ! الزم موقفك ، فإذا أتاك قرنك فأغنه عن صاحبك ، ولا تستقتل ! قال : إيَّيَّ بذلك لجدير ، فاستقرَّ ، ولزم الصَّفِّ [(١٨٩٦)] ، وكما كان المثنى متعاطفاً مع جيشه ؛ فلقد كان الشُّعور متبادلاً تماماً ، ونرى ذلك جلياً في شعر المعركة الذي جرى على ألسنة جنودها ، فهذا الأعور الشَّيبي يقول :

هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ أَحْزَانَا وَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ حَفَانَا وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
إِذْ بِالنُّخَيْلَةِ قَتَلَى جُنْدٍ مَهْرَانًا زَمَانَ سَارَ الْمَثْنَى بِالْخَيْوَلِ لَهُمْ فَقُتِلَ الزَّحْفُ مِنْ فَرَسٍ
وَجَيْلَانَا [(١٨٩٧)] سَمَا لِمَهْرَانَ وَالْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ حَتَّى أَبَادَهُمْ مَثْنَى وَوُحْدَانَا مَا أَنْ رَأَيْنَا أَمِيرًا
بِالْعِرَاقِ مَضَى مِثْلَ الْمَثْنَى الَّذِي مِنْ آلِ شَيْبَانَ

إِنَّ المثنى الأَمِيرَ الْقِرْمَ لَا كَذِبٌ فِي الْحَرْبِ أَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بَحْفَانَا [(١٨٩٨)] فصاحب هذه الأبيات يفضِّل المثنى صراحةً على خالد بن الوليد ، وعلى أبي عبيد التَّقفي ، ولقد كان الأعور من عبد قيسٍ ، فهو لم يكن من بني شيبان ، ولا من بكر بن وائل حتَّى يقال : إنَّه متعصبٌ لقومه [(١٨٩٩)] .

إِنَّ المثنى بن حارثة كان قائداً عميقاً في علم النَّفس العسكري ، قبل أن يخطَّ أيُّ أستاذٍ متخصصٍ حرفاً في هذا العلم بقرون [(١٩٠٠)] .

إنَّ من المواقف التي ينبغي الإشارة إليها ما كان من نساء المسلمين لما أرسل إليهم قادة المسلمين بعض ما أصابوا من الطَّعام ، وقد أرسلوه مع أحد زعماء النَّصارى من العرب ، وهو عمرو بن عبد المسيح بن بقبيلة في رجالٍ معه ، فلمَّا رأتهنَّ النساء تصايجن ، وحسبها غارةً ، فقممن دون الصَّبيان بالحجارة ، والعمد ، فقال عمرو بن عبد المسيح : هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش ، وبشروهنَّ بالفتح [(١٩٠١)] . وإنَّ هذا الموقف ليدلُّ على حسن التَّربية الإسلاميَّة ، وإبراز شخصيَّة المسلم حتَّى لدى النساء ، فإنَّهنَّ قد تدرَّبن على حماية الموقف فيما إذا خلا من الرِّجال .

هذا وقد أطلق هذا النَّصر الحاسم يد المسلمين في العراق فيما بين النَّهرين ، وأرسل المثنى قوَّاده يخضعون البلاد لسلاطان المسلمين ، ويتقوَّون بما يفِيء الله عليهم من الغنائم على جهاد عدوِّهم [(١٩٠٢)] .

٥ . مطاردة فلول المنهزمين :

لم يقعد إغراء النَّصر بالمتنَّى عن غايته ، فقد ندب النَّاس إثر المعركة وراء الجيش المنهزم ، وسألهم أن يتَّبعوهم إلى السَّيب ، فخرج المسلمون خلف فلول المنهزمين ، وكان من ضمنهم من حضر معركة جسر أبي عبيد ، فأصابوا غنماً كثيراً ، وأغاروا حتَّى بلغوا سبابط ، ثم انكفؤوا راجعين إلى المثنى ، وتبدو قيمة معركة البويب لا في استصلاح الأثر النَّفسيِّ الَّذي كان بعد هزيمة الجسر ، بل إنَّ المسلمين أضحوا قادرين على السَّواد كلِّه ، فقد كانوا يحاربون من قبله لا يجتازون الفرات ، ثمَّ حاربوا فيما بين الفرات ودجلة ، أمَّا بعد البويب ؛ فقد استمكنوا من كلِّ هذه المنطقة ؛ التي تمتدُّ بين الفرات ودجلة ، فمخروها لا يخافون كيداً ، ولا يلقون فيها مانعاً [(١٩٠٣)] ، وكانت غزوة البويب نظير اليرموك بالشَّام [(١٩٠٤)] .

خامساً : عمليات الأسواق :

استقام الأمر للمسلمين بعد معركة البويب ، وانقاد لهم السَّواد ، وأخذ المثنى يجول هنا ، وهناك ؛ ورزَّع القواد ، وأذكى المسالِح ، وأغار على تجمُّعات الفرس ، والعرب ، وكان من هذه الغارات غارته على الحنافس ، وهي سوقٌ يتوافى إليها النَّاس ، ويجتمع بها ربيعة ، ومضر يخفرونهم ، فأغار عليها ، وانتسف السُّوق وما فيها ، وسلب الخضرء [(١٩٠٥)] ، ثمَّ سار مسرعاً حتَّى طرق دهاقين الأنبار في أوَّل النَّهار من نفس اليوم ، وهو يقول :

صَبَحْنَا بِالْحَنَافِسِ جَمْعَ بَكْرٍ وَحَيًّا مِنْ قُضَاعَةَ غَيْرِ مِيلِفِثِيَانِ الْوَعَى مِنْ كُلِّ حَيٍّ
تُبَارِي فِي الْحَوَادِثِ كُلِّ جَيْلًا بَحْنَا دَارَهُمْ وَالْحَيْلُ تُرْذِي بَكْلٍ سَمَيْدِعِ سَامِي التَّلِيلِنَسْفَنَا

سُوَقَهُمْ وَالْحَيْلُ رُودٌ مِنْ التَّطَوُّافِ وَالشَّرِّ الْبَخِيلِ [(١٩٠٦)] واستعان بدهاقين الأنبار ، وأخذ منهم أدلاء ، ورَتَّبَ خَطَّةً لكسح سوقبغداد ، وعبر دجلة ، وطلع على بغداد ، وسوقها مع أوَّل ضوء النَّهار ، فوضع فيهم السَّيْف ، وقتل منهم وأخذ أصحابه ما شاؤوا ، وكان أمر المثلهم : لا تأخذوا إِلَّا الذَّهَبَ ، والفضَّةَ ، ولا تأخذوا من المتاع إِلَّا ما يقدر الرَّجُلُ منكم على حمله على دابَّته [(١٩٠٧)] ، وهرب أهل الأسواق ، وملاً المسلمون أيديهم من الذَّهَبِ ، والفضَّةِ ، والحَرِّ من كلِّ شيءٍ ، ثمَّ كَرُّوا راجعين حتَّى إذا كانوا بنهرالسَّبلحين [(١٩٠٨)] ، وعلى حوالي خمسةٍ وثلاثين كيلو متراً من بغداد نزل ، وقال : أَيُّهَا النَّاسُ ! انزلوا ، وقضُّوا أوطاركم ، وتأهبُّوا للسَّير ، واحمدوا الله ، وسلوه العافية ، ثم انكشفوا قبيضاً [(١٩٠٩)] . ففعلوا ، لقد قطعوا نحواً من ستين كيلو متراً على ظهور الخيل تخلَّها غارةٌ ، كلُّ ذلك في مرحلةٍ واحدةٍ منذ قاموا في اخر الليل إلى بغداد حتَّى عادوا ، ورأى المثنى : أنَّهم في حاجةٍ إلى استراحةٍ ، وكذلك خيلهم ، وكان

المسلمون يدركون عمق ما أوغلوا ، وبينما المثنى يجرُّ بينهم ؛ إذ سمع همساً ، قال قائل منهم : ما أسرع القوم في طلبنا ، فقال المثنى : تناجوا بالبرِّ والتَّقوى ، ولا تتناجوا بالإثمِّ والعدوان .. انظروا في الأمور وقدِّروها (احسبوها) ثمَّ تكلموا .. إنَّه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ، ولو بلغهم لحال الرُّعب بينهم وبين طلبكم ، إنَّ للغارات روعات تنتشر عليها يوماً إلى اللَّيل ، ولو طلبكم المحامون من رأي العين ، ما أدركوكم ؛ وأنتم على الجياد الغراب (الخيل الأصبيلة) وهم على المقاريف [(١٩١٠)] البطاء حتَّى تنتهوا إلى عسكريكم ، وجماعتكم ، ولو أدركوكم ؛ لقاتلتهم لاثنتين ، التماس الأجر ، ورجاء النَّصر ، فنقوا بالله ، وأحسنوا به الظَّنَّ ، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، وهم أعدُّ منكم (أكثر عدداً) وسأخبركم عني ، وعن انكماشني [(١٩١١)] ، والذي أريد بذلك : إنَّ خليفة رسول الله (ص) أبا بكر أوصانا أن نقلل العُرجة (الإقامة) ونسرع الكرَّة في الغارات ، ونسرع في غير ذلك الأوبة (الإياب) [(١٩١٢)] .

هذا فهم المثنى للحروب والقتال ، فقد كان يتحرَّك على حسابٍ محسوبٍ ، وتخطيطٍ مرسومٍ ، وإيمانٍ عميقٍ ، فكلُّ معركةٍ تضيف إليه درايةً ، وتجربةً ، وعلماً ، ومعرفةً ، وهي تكشف لنا عن عبقرية الصِّدِّيقِ الحريَّةِ النَّادرةِ الَّتِي تتلمذ المثنى عليها ، وأفاد منها ، رغم أنَّه لم يلقه إِلَّا أقلَّ من القليل [(١٩١٣)] .

نَحَضَ الْمُثَنَّى ، وَأَمْرَهُم بِالرُّكُوبِ ، وَأَقْبَلَ بِهِمْ ، وَمَعَهُمْ أَدْلَاؤُهُمْ يَقْطَعُونَ بِهِمِ الصَّحَارَى ، وَالْأَنْهَارَ حَتَّى
انْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْأَنْبَارِ ، فَاسْتَقْبَلَهُم الدَّهَاقِينَ بِالْإِكْرَامِ ، وَاسْتَبَشَرُوا بِسَلَامَتِهِ ، وَكَانَ وَعْدُهُم الْإِحْسَانَ
إِلَيْهِمْ ؛ إِذَا اسْتَقَامَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ مَا يُحِبُّونَ ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ :

وَلِلْمُثَنَّى بِالْعَالِ مَعْرَكَةٌ شَاهِدَهَا مِنْ قَبِيلَةِ بَشْرُكَيْنِيَّةٍ أَفْزَعَتْ بِوَفْعَتِهَا كِشْرَى وَكَادَ

الْإِيوَانُ يَنْفَطِرُ وَشَجَعَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ حَذَرُوا وَفِي صُرُوفِ التَّجَارِبِ الْعَبْرَسَهْلِ نَهَجَ السَّيْلُ فَاقْتَفَرُوا

اثاره والأُمُورُ تُفْتَفَرُ [(١٩١٤)] وَوَسَّعَ الْمُثَنَّى غَارَتَهُ عَلَى شِمَالِ الْعِرَاقِ ، حَتَّى شَمَلَ مِنْ

أَقْصَى شِمَالِهِ إِلَى أَقْصَى جَنُوبِهِ ، فَأَرْسَلَ غَارَتَهُ عَلَى الْكِبَاثِ ، وَكَانَ أَهْلُهُ كُلُّهُمْ مِنْ بَنِي تَغْلِبِ ، فَأَخْلَوْهُ ،
وَارْفَضُوا عَنْهُ ، وَتَبِعَهُمْ

الْمُسْلِمُونَ يَرْكَبُونَ آثَارَهُمْ ، وَأَدْرَكُوا آخِرِيَاتَهُمْ ، وَقَتَلُوا ، وَأَكْثَرُوا ، وَأَرْسَلَ غَارَةً عَلَى أَحْيَاءِ مِنْ تَغْلِبِ ،
وَالنَّمْرَ بِصَفِيِّينَ [(١٩١٥)] .

وَكَانَ الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ سَيِّدَ هَذِهِ الْغَارَاتِ كُلِّهَا بَعْدَ الْبُؤَيْبِ ، وَكَانَ عَلَى مَقْدَمَتِهِ حَذِيفَةُ بْنُ مَحْصَنِ
الْغُلْفَانِيِّ ، وَعَلَى مَجْنَبَتِهِ النُّعْمَانُ بْنُ عَوْفِ بْنِ النُّعْمَانِ ، وَمَطَرُ الشَّيْبَانِيِّانِ ، وَقَدْ حَدَثَ فِي إِحْدَى
غَارَاتِ الْمُثَنَّى أَنْ أَدْرَكَتْ قُوَّاتُهُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَعْدَاءِ بِتَكْرِيتٍ يَخُوضُونَ الْمَاءَ ، فَأَصَابُوا مَا شَاؤُوا مِنَ النَّعْمِ ،
حَتَّى أَصَابَ الرَّجُلَ خَمْسًا مِنَ النَّعْمِ ، وَخَمْسًا مِنَ السَّبْيِ ، وَخَمْسَ الْمَالِ ، وَجَادَ بِهِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى النَّاسِ
بِالْأَنْبَارِ ، وَعَادَ الْمُثَنَّى إِلَى الْأَنْبَارِ ، فَبَعَثَ فِرَاتَ بْنَ حَيَّانَ ، وَعَتَيْبَةَ بْنَ النَّهَّاسِ إِلَى صَفِيِّينَ وَأَمْرَهُمْ بِالْغَارَةِ
عَلَى أَحْيَاءِ الْعَرَبِ مِنْ تَغْلِبِ ، وَالنَّمْرِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ عَلَى الْأَنْبَارِ . وَالَّتِي أَخَذَهَا قَاعِدَةٌ مُتَقَدِّمَةٌ . عَمْرُو
بْنُ أَبِي سُلَيْمَى الْهَجِيمِيِّ ، وَاتَّبَعَهُمَا ، فَلَمَّا اقْتَرَبُوا مِنْ صَفِيِّينَ ؛ افترق الْمُثَنَّى عَنْ فِرَاتِ ، وَعَتَيْبَةَ ، وَفَرَّ أَهْلُ
صَفِيِّينَ ، فَعَبَرُوا الْفِرَاتَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، وَتَحَصَّنُوا بِهَا ، وَكَانُوا مِنْ قِبَائِلِ النَّمْرِ ، وَتَغْلِبِ مُتَسَانِدِينَ ، فَاتَّبَعَهُمْ
فِرَاتُ ، وَعَتَيْبَةُ حَتَّى رَمَوْا بِطَائِفَةٍ مِنْهُمْ فِي الْمَاءِ ، فَكَانُوا يَنَادُونَهُمْ (الْغَرَقُ ، الْغَرَقُ) وَكَانَ عَتَيْبَةُ ، وَفِرَاتُ
يَحْضَنَانِ النَّاسِ ، وَيَجْرِضَانَهُمْ ، وَيَقُولَانِ : (تَغْرِيقٌ بِتَحْرِيقٍ) يَذَكِّرَانَهُمْ يَوْمًا مِنْ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ أَحْرَقُوا فِيهِ
قَوْمًا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ فِي غَيْضَةٍ مِنَ الْغِيَاضِ ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمُثَنَّى ، وَقَدْ أَغْرَقُوهُمْ فِي الْفِرَاتِ ، وَبَلَغَ خَبْرُ
ذَلِكَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْمَدِينَةِ ، فَقَدْ كَانَتْ لَهُ عِيُونٌَ فِي كُلِّ جَيْشٍ تَكْتُبُ لَهُ ، فَطَلَبَ فِرَاتَ بْنَ حَيَّانَ ، وَعَتَيْبَةَ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَجْرَى مَعَهُمَا تَحْقِيقًا فِي هَذَا ، فَأَخْبَرَاهُ أَنَّهُمَا قَالَا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ : أَنَّهُ مِثْلٌ ، وَلَمْ يَفْعَلَاهُ
عَلَى وَجْهِ طَلَبِ ثَأْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَاسْتَحْلَفَهُمَا ، فَحَلَفَا : أَنَّهُمَا مَا أَرَادَا بِذَلِكَ إِلَّا الْمِثْلَ ، وَإِعْزَازَ الْإِسْلَامِ

، فصدَّقهما عمر ، وردَّهما إلى العراق ، فرجعا إليه مع حملة سعد بن أبي وقاص [(١٩١٦)] ، فقد كان الفاروق حريصاً على صيانة أخلاق الرعيَّة ، وحياطتها من تسرُّب الفساد إليها [(١٩١٧)] .

لقد استغلَّ المثني النَّصر الرَّاع الذي أحرزه المسلمون يوم البويب ، وشنَّ غاراتٍ منظمَةً على أسواق شمال العراق ، فطبَّق مبدأ مطاردة الأعداء ، وقد استطاع بعد توفيق الله ، ثمَّ بما أعطاه الله من صفات القائد العسكري أن ينقِّده في قوَّة ، وعمقٍ بلغ حوالي أربعمئة كيلو متراً ، أو يزيد شمالاً ، خلاف ما تحببوا به شرقاً ، وجنوباً ، وغرباً على امتداد ذلك الخطِّ [(١٩١٨)] ، وقد طبَّق المثني استراتيجية ، وتكتيكات الحرب الخاطفة في عملياته تلك ، ولا شكَّ : أنَّ هذه العمليات قد وجهت إلى السُّلطة الفارسيَّة الحاكمة في المدائن أكبر إهانةٍ أمام شعبها ، وأضعفت الثِّقة في قدرتها على القيام بالدِّفاع ضدَّ هجمات قومٍ كان الفرس حتَّى وقتها ينظرون إليهم نظرةً ملؤها الإهانة ، والازدراء [(١٩١٩)] .

سادساً : ردُّ فعل الفرس :

لم تكن أحداثٌ كالتّي وقعت لتمرَّ دون أن يكون لها ردُّ فعلٍ في الدوائر الحاكمة في فارس ، واجتمع ساداتهم ، وقالوا لرستم ، ولفيرزان : أين يذهب بكما الاختلاف حتَّى وهنتما أهل فارس ، وأطمعتما فيهم عدوِّهم ، والله ما جرَّ هذا الوهن علينا غيركم يا معشر القوَّاد ! لقد فرَّقتم بين أهل فارس ، وثبَّطموهم عن عدوِّهم ، إنَّه لم يبلغ من خطركما أن تفرَّكما فارسٌ على هذا الرُّأي ، وأن تعرِّضاها للهلكة ، ما تنظرون والله إلا أن ينزل بنا ونهلك ! ما بعد بغداد ، وتكريت إلا المدائن . والله لتجتمعان ، أو لنبدأنَّ بكما قبل أن يشمت بنا شامت ! والله لولا أنَّ في قتلكم هلاكنا لعجَّلنا لكم القتل السَّاعة ! ولئن لم تنتهوا لنهلكنَّكم ، ثمَّ نهلك وقد اشتفينا منكم [(١٩٢٠)] .

وبعد ذلك ذهب رستم ، وفيرزان إلى بوران ، فقالا لها : اكتبي إلى نساء كسرى ، وسراريه ، ونساء ال كسرى ، وسراريهم ، ففعلت ، وأخرجت لهم ذلك في كتابٍ ، فأرسلوا في طلبهنَّ ، فأتوا بهنَّ جميعاً ، فسلموهنَّ إلى رجالٍ يعذبوهنَّ ، ويستدلُّوهنَّ على دكِّرٍ من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهنَّ منهم أحد ، ولكنَّ إحداهنَّ ذكرت : إنَّه لم يبق إلا غلامٌ يدعى : يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى ، وأمُّه من أهل بادوريا ، فأرسلوا إليها ، وأخذوها به يطلبونه منها ، وكانت حين جمعهنَّ عنهُ شيرويه في القصر الأبيض ، وقتل ذكور ال كسرى هم وإخوته السَّبعة عشر حتَّى لا ينافسه أحدٌ على عرش فارس قد هرَّبته ، وأخفته عند أخواله في إصطخر ، وكان شيرويه قد قتل فيمن قتل أخاه شهريار بن كسرى برويز

من زوجته المفضلة شيرين ، وهو والد يزيدجرد هذا ، فضغطوا على أم يزيدجرد ، فدلّتهم عليه ، فأرسلوا إليه ، فجاؤوا به باعتباره الذكر الوحيد الباقي من بني ساسان ، فملكوه ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأن جميع الفرس لذلك ، فتباروا في طاعته ، ومعونته ، ورأوا في ذلك مخرجاً مما كانوا فيه [(١٩٢١)] ، وبدأ يزيدجرد الثالث يزاول سلطانه بمعونة رستم ، وفيرزان ، فجدد المسالـح ، والثغور التي كانت لكسرى ، وخصّص جنداً لكلّ مسلحة فسّمى جند الحيرة ، والأنبار ، وجند الأبله [(١٩٢٢)] .

سابعاً : توجيهات الفاروق للمثني :

بلغت المثني أخبار تحركات يزيدجرد الثالث ، وكانت عيونه تأتيه بتفاصيلها ، فكتب بها ، وبما يتوقّع من هجوم مضادّ قويّ إلى عمر . رضي الله عنه . وصدق تقدير المثني ، فلم يصل كتابه إلى عمر حتى كفر أهل السّواد ، وانتقضوا ، وتنگرّوا للمسلمين ، من كان له منهم عهدٌ ، ومن لم يكن له ، وعاجلهم الفرس ، فزاحفهم مع ثورة أهل الذّمة ، فلما رأى المثني ذلك كان يدرك : أنّه أحرز من التقدّم ، والاكـتـسـاح أكثر مما تسمح قوّته بالاحتفاظ به ، ومن شأن هذا ألا يدوم ، فخرج في حاميته حتى نزل بذي قارٍ ، وتنزل الناس بالطّف في عسكرٍ واحدٍ ، وكان عمر . رضي الله عنه . أكثر حذراً ، فجاءهم كتابه : أما بعد : فخرجوا من بين ظهرائي الأعاجم ، وتنحّوا إلى البرّ ، وتفترّقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم ، وأرضهم ، ولا تدعوا في ربيعة أحداً ، ولا مضر ، ولا حلفائهم أحداً من أهل النّجدات ، ولا فارساً إلا اجتلبتموه ، فإن جاء طائعاً ، وإلا حشرتموه ، احملوا العرب على الجديّ ؛ إذا جدّ العجم ، فلتلقوا جدّهم بجدّكم ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك ، وأرضهم حتى يأتيك أمري [(١٩٢٣)] .

ونزل المثني بذي قار ، ووَزَع المسلمين بالجلّ ، وشراف إلى عُضي [(١٩٢٤)] ، وفرّق القوّات في المياه من أوّل صحراء العراق إلى اخرها ، من عُضي إلى القطقطانة مسالـح ينظر بعضهم إلى بعض ، ويغيث بعضهم بعضاً ؛ إن حدث شيءٌ ، في حالة ترقّبٍ ، وانتظارٍ لحشدٍ جديد ، بينما عادت مسالـح كسرى ، وثغوره ، واستقرّ أمر فارس ، وهم منهيبون ، مشفقون ، والمسلمون متدفّقون في ضراوة كالأسد يـنـازـع فريسته ، ثم يعاود الكرّ ، وأمرؤه يكفكفونهم عملاً بكتاب عمر ، وانتظاراً للمدد ، كان ذلك في أواخر ذي القعدة ١٣هـ يناير ٦٣٥م [(١٩٢٥)] .

وقال عمر : والله لأضربنَّ ملوك العجم بملوك العرب ، ثمَّ كان أوَّل ما عمل أن كتب إلى عمَّاله على الكور ، والقبائل ، وذلك في ذي الحجَّة مع مخرج الحجَّاج إلى الحجِّ ، فجاءته أوائل القبائل التي طرقها على مكَّة ، والمدينة ومن كان على طريق العراق ، وهو إلى المدينة أقرب ، توافوا إليه بالمدينة مع رجوع الحجِّ ، وأخبروه عمَّن وراءهم أنهم يجيئون أثرهم ، أمَّا من كان إلى العراب أقرب ؛ فقد لحقوا بالمشيِّ ، فلم يدع عمر رئيساً ، ولا ذا رأي ، ولا ذا شرفٍ ، ولا ذا سطوةٍ ولا خطيباً ، ولا شاعراً إلا رماهم به ، فرماهم بوجوه النَّاس ، وغرهم [(١٩٢٦)] .

المبحث الثاني

معركة القادسيَّة

لما علم الفاروق : أنَّ الفرس يعدُّون العدة ، ويتجمَّعون لاستئصال القوَّة القليلة من المسلمين المتبقيَّة في العراق ؛ أمر بالتَّجنيد الإجباري ؛ ذلك : أنَّ الحالة تقتضي ذلك ، ولذلك أمر المشيِّ أن ينظر فيما حوله من القبائل ممَّن يصلح للقتال ، ويقدر عليه ، فيأتي به طائعاً ، أو غير طائعٍ ، وهذا هو التَّجنيد الإجباري ؛ الذي راه عمر ، وكان أوَّل من عمل به في الإسلام ، وبهذا يسقط ما قاله محمَّد فرج : صاحب كتاب (العسكرية الإسلاميَّة) من أنَّ التَّجنيد الإجباري ظهر في الدَّولة الأمويَّة ، فهذا هو عمر الفاروق قد أمر به ، ونُقِدَّ الأمر ، فما وصل كتاب أمير المؤمنين للمشيِّ إلا وبدأ بتنفيذ ما فيه على الفور ، وطبق الخطة التي رسمها له في تحركاته ، وأرسل الفاروق إلى عمَّاله ألا يدعوا أحداً له سلاحٌ ، أو فرسٌ ، أو نجدةٌ ، أو رأي إلا أرسلوه إليه ، يأمرهم بالتَّجنيد الإجباري ، ويطلب منهم أن يرسلوا المجندين الجدد إليه ؛ ليرسلهم إلى العراق [(١٩٢٧)] ، لقد تغيَّر الموقف في بلاد فارس مع مجيء يزيدجرد للحكم فقد تغيَّر موقف الفرس كالآتي :

—خ استقرارٌ داخليٌّ تمثَّل في تنصيب يزيدجرد ، واجتماعهم عليه ، واطمأنَّت فارس ، واستوثقوا ، وتبارى الرُّؤساء في طاعته ، ومعونته .

—خ تجنيدٌ عامٌّ شمل كلَّ ما استطاع الفرس أن يجنِّدوه ، وتوزيع الفرق في كلِّ أنحاء الأراضي التي فتحها المسلمون .

—خ وأخيراً إثارة الشُّكَّان ، وتأليبهم على المسلمين ، حتَّى نقضوا عهدهم ، وكفروا بدمتِّهم ، وثاورا بهم] (١٩٢٨) .

وتغيَّر موقف المسلمين ، وأصبح كالتَّالي :

—خ الانسحاب : خروج المثنَّى ، والقوَّاد الاخرين على حاميتهم من الأرض التي فتحوها من بين ظهراي العجم .

—خ التَّراجع : والتفرُّق في المياه التي تلي الأعاجم على حدود الأرض العربيَّة ، والأرض الفارسيَّة ، وقد نزل المثنَّى في ذي قار ، ونزل النَّاس الطَّفَّ ، فشكَّلوا في العراق مسالِح ينظر بعضهم إلى بعض ، ويغيث بعضهم بعضاً عند الحاجة .

—خ مقابلة التَّجنيد الإِجباري عند الفرس بالتَّجنيد الإِجباري لدى المسلمين] (١٩٢٩) .

أولاً : تأمير سعد بن أبي وقاص على العراق :

وهذه المرحلة الثَّالثة في فتوحات العراق تبدأ بتأمير سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . على الجهاد في العراق سنة ١٤ هـ ، فقد استهلَّت هذه السَّنَّة الرَّابِعة عشرة وعمر . رضي الله عنه . يحثُّ النَّاس ، ويحزِّضهم على جهاد الفرس ، وركب . رضي الله عنه . أوَّل يومٍ من المحرمِّ في هذه السَّنَّة في الجيوش من المدينة ، فنزل على ماءٍ يقال له : صِرار] (١٩٣٠) ، فعسكر به عازماً على غزو العراق بنفسه ، واستخلف على المدينة عليَّ بن أبي طالب ، واستصحب معه عثمان بن عفَّان ، وسادات الصَّحابة ، ثمَّ عقد مجلساً لاستشارة الصَّحابة فيما عزم عليه ، ونودي : الصَّلَاة جامعة ، وقد أرسل إلى عليٍّ ، فقدم من المدينة ، ثمَّ استشارهم ، فكلُّهم وافقوه على الدَّهاب إلى العراق إلا عبد الرحمن بن عوف ، فإنَّه قال له : إني أخشى إن كُسرت أن يضعف المسلمون في سائر أقطار الأرض ، وإني أرى أن تبعث رجلاً ، وترجع أنت إلى المدينة ، فاستصوب عمرُ والنَّاسُ عند ذلك رأي ابن عوف . فقال عمر : فمن ترى أن نبعث إلى العراق ؟ فقال : قد وجدته . قال : ومن هو ؟ قال : الأسد في برائه ، سعد بن مالك الزُّهري ، فاستجاد قوله ، وأرسل إلى سعدٍ ، فأمره على العراق] (١٩٣١) .

١ . وصيَّة من عمر لسعدٍ رضي الله عنهما :

لما قدم سعد إلى المدينة أمره عمر . رضي الله عنهما . على حرب العراق ، وقال له : يا سعد بني وُهيِّب ! لا يغرِّتك من الله أن قيل : خال رسول الله (ص) ، وصاحب رسول الله (ص) ، فإنَّ الله - عزَّ ، وجلَّ - لا يمحو السَّيِّئَ بالسَّيِّئِ ، ولكنَّه يمحو السَّيِّئَ بالحسن ، فإنَّ الله تعالى ليس بينه وبين أحدٍ نسبٌ .

إلا طاعته ، فالتَّاس شريفهم ، ووضعهم في ذات الله سواءً ، الله رُبُّهم ، وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطَّاعة ، فانظر الأمر الَّذِي رَأَيْتَ النَّبِيَّ (ص) عليه منذ بُعثَ إلى أن فارقتنا ؛ فالزمه ؛ فَإِنَّهُ الأمر . هذه عظمتي إِيَّاكَ إن تركتها ، ورجبت عنها ؛ حبط عملك ، وكنت من الخاسرين [(١٩٣٢)] .

وإنَّها لموعظةٌ بليغةٌ من خليفةٍ راشدٍ عظيمٍ ، فقد أدرك عمر . رضي الله عنه . جانب الضَّعْف ؛ الذي يمكن أن يؤتى سعد من قبله ، وهو أن يُدلي بقربته من النَّبِيِّ (ص) ، فيحمله ذلك على شيءٍ من الترفُّع على المسلمين ، بالمبدأ الإسلامي العامِّ ؛ الذي يعتبر مقياساً لكرامة المسلم في هذه الحياة ، حيث قال : الله رُبُّهم ، وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ؛ ويدركون ما عنده بالطَّاعة . فقوله : يتفاضلون بالعافية : يعني : بالثِّفاء من أمراض النَّفوس ، فكأنَّه يقول : يتفاضلون بالبعد عن المعاصي ، والإقبال على طاعة الله تعالى . وهذه هي التَّقوى الَّتِي جعلها الله سبحانه ميزاناً للكرامة بقوله : { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } ، وهو ميزانٌ عادلٌ رحيمٌ بإمكان كلِّ مسلمٍ بلوغه إذا جَدَّ في طلب رضوان الله تعالى ، والسَّعادة الأخروية ، ثمَّ ذكَّره عمر في اخر الموعظة بلزوم الأمر الَّذِي كان عليه رسول الله (ص) ، وهذا يشمل الالتزام بالدين كَلِّه ، وتطبيقه على النَّاس [(١٩٣٣)] .

٢ . وصيةٌ أخرى :

ثمَّ إنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . أوصى سعد بن أبي وقَّاص مرَّةً أخرى لما أراد أن يبعثه بقوله : إِيَّيْ قَدْ وُلِّيتُكَ حربَ العراق ، فاحفظ وصيَّتي ، فَإِنَّكَ تقدم على أمرٍ شديدٍ كرهه لا يخلص منه إلا الحقُّ ، فعوِّد نفسك ، ومن معك الخير ، واستفتح به ، واعلم : أنَّ لكلِّ عادةٍ عتاداً ، فعتاد الخير الصَّبْر ، فالصَّبْر على ما أصابك ، أو نابك ، تجتمع لك خشيةُ الله ، واعلم : أنَّ خشيةُ الله تجتمع في أمرين : في طاعته ، واجتناب معصيته ، وإِنَّمَا أطاعه من أطاعه بيبغض الدُّنيا ، وحبِّ الآخرة ، وعصاه من عصاه بحبِّ الدُّنيا ، وبغض الآخرة ، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ، منها السِّرُّ ، ومنها العلانية ، فأما العلانية ؛ فأَنْ يكون حامده ، وذامُّه في الحقِّ سواءً ، وأما السِّرُّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبَّة النَّاس ، فلا ترهد في التَّجَبُّب ، فَإِنَّ النَّبِيَّينَ قد سألوا محبَّتَهم ، وإنَّ الله إذا أحبَّ عبداً حبَّبه ، وإذا أبغض عبداً بَغَّضه ، فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند النَّاس ، ممَّن يشرع معك في أمرك [(١٩٣٤)] .

وفي هذا النَّصِّ عبرٌ نافعةٌ ، منها :

. إِنَّ لَزُومَ الْحَقِّ يَخْلُصُ الْمُسْلِمَ مِنَ الشَّدَائِدِ ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ لَزَمِ الْحَقَّ كَانَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَنْ كَانَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ؛ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ . جَلَّ ، وَعَلَا . بِنَصْرِهِ ، وَتَأْيِيدِهِ ، وَإِنَّ هَذَا الشُّعُورَ لِيُعْطِيَ الْمُسْلِمَ دَفْعَاتٍ قَوِيَّةً نَحْوَ مُضَاعَفَةِ الْعَمَلِ ، وَمُوَاجَهَةِ الصِّعَابِ ، وَالْمَازِقِ ، إِضَافَةً إِلَى الطَّمَأْنِينَةِ

النَّفْسِيَّةَ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا مِنْ لَزُومِ الْحَقِّ قَوْلًا وَعَمَلًا ، بِخِلَافِ مَنْ حَادَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ، فَإِنَّهُ يَشْعُرُ بِالْقَلْقِ ، وَالْإِلَامِ الْمُتَعَدِّدَةِ ؛ الَّتِي مِنْهَا تَأْنِيبُ الضَّمِيرِ ، وَالْخَوْفُ مِنْ مَحَاسِبَةِ النَّاسِ ، وَالذُّخُولُ فِي مَجَاهِيلِ الْمُسْتَقْبَلِ ؛ الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَى الْإِنْخِرَافِ .

. وَذَكَرَ عُمَرُ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَنَّ عِدَّةَ الْخَيْرِ الصَّبْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّ طَرِيقَ الْخَيْرِ لَيْسَ مَفْرُوشًا بِالْخُمَائِلِ ، بَلْ هُوَ طَرِيقٌ شَاقٌّ شَاتِكٌ ، يَتَطَلَّبُ عُبُورَهُ جِهَادًا طَوِيلًا ، فَلَا بَدَّ لِسَالِكِهِ مِنَ الْإِعْتِدَادِ بِالصَّبْرِ ، وَإِلَّا انْقَطَعَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ .

. وَذَكَرَ : أَنَّ خَشْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى تَكُونُ فِي طَاعَتِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ ، ثُمَّ بَيَّنَّ الدَّفَاعَ الْأَكْبَرَ الَّذِي يَدْفَعُ إِلَى طَاعَتِهِ ، أَلَا وَهُوَ : بَغْضُ الدُّنْيَا ، وَحُبُّ الْآخِرَةِ ، وَالدَّفَاعَ الْأَكْبَرَ الَّذِي يَدْفَعُ إِلَى مَعْصِيَتِهِ هُوَ حُبُّ الدُّنْيَا ، وَبَغْضُ الْآخِرَةِ .

. ثُمَّ ذَكَرَ : أَنَّ لِلْقُلُوبِ حَقَائِقَ ، مِنْهَا : الْعِلَاقِيَّةُ ، وَمِثْلُهَا بِالْمُعَامَلَةِ مَعَ النَّاسِ بِالْحَقِّ فِي حَالِي الْغَضَبِ ، وَالرِّضَا ، وَأَلَا يَحْمِلُ الْإِنْسَانُ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ عَلَى مَدَارَاتِهِمْ فِي التُّكُولِ عَنْ تَطْبِيقِ الْحَقِّ ، وَلَا يَحْمِلُهُ ذَمُّهُمْ إِيَّاهُ عَلَى ظَلْمِهِمْ ، وَمَجَانِبَةِ الْحَقِّ مَعَهُمْ .

. وَذَكَرَ مِنْ حَقَائِقِ الْقُلُوبِ السِّرِّ ، وَجَعَلَ عِلَامَتَهُ ظُهُورَ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِ الْمُسْلِمِ عَلَى لِسَانِهِ ، وَأَنَّ يَكُونُ مَحْبُوبًا بَيْنَ إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ مَرْتَبَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ الْمُسْلِمِينَ لَهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ [(١٩٣٥)] . فَإِذَا كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ الْمَشْهُودَ لَهُ بِالْجَنَّةِ بِحَاجَةِ إِلَى هَذِهِ الْوَصِيَّةِ ؛ فَكَيْفَ بَنَّا ، وَأَمْثَلْنَا ، وَنَحْنُ نَبْقِصُنَا الْكَثِيرَ مِنْ فَهْمِ الْإِسْلَامِ ، وَتَطْبِيقِهِ [(١٩٣٦)] .

٣ . خُطْبَةُ لَعْمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

وَسَارَ سَعْدٌ إِلَى الْعِرَاقِ وَمَعَهُ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ مُجَاهِدٍ ، وَقِيلَ : فِي سِتَّةِ أَلْفٍ ، وَشَيَّعَهُمْ عُمَرُ مِنْ صِرَارٍ إِلَى الْأَعْوَصِ [(١٩٣٧)] ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ ، وَصَرَّفَ لَكُمْ الْقَوْلَ ؛ لِيَحْيِيَ بِهِ الْقُلُوبَ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَيِّتَةٌ فِي صُدُورِهَا حَتَّى يَحْيِيهَا اللَّهُ ، مَنْ عِلْمٌ شَيْئًا ؛ فَلْيَنْتَفِعْ بِهِ ، وَإِنَّ لِلْعَدْلِ أَمَارَاتٍ وَتَبَاشِيرَ ، فَأَمَّا الْأَمَارَاتُ ؛ فَالْحَيَاءُ ، وَالسَّخَاءُ ، وَالْهَيْبَةُ ، وَاللَّيْنُ ، وَأَمَّا التَّبَاشِيرُ ؛ فَالرَّحْمَةُ ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ أَمْرٍ بَابًا ، وَيَسَّرَ لِكُلِّ بَابٍ مَفْتَا حًا ، فَبَابُ الْعَدْلِ الْإِعْتِبَارُ ، وَمَفْتَا حُهُ

الزُّهد ، والاعتبار ذكر الموت بتذكُّر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزُّهد أخذ الحقِّ من كلِّ أحدٍ قبله حقُّ ، وتأدية الحقِّ إلى كلِّ أحدٍ له حقُّ ، ولا تصانع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيك من الكفاف ، فإنَّ من لم يكفه الكفاف لم يغنه شيءٌ ، إني بينكم وبين الله ، وليس بيني وبينه أحدٌ ، وإنَّ الله قد ألزمني دفع الدُّعاء عنه ، فأهوا شكاتكم إلينا ، فمن لم يستطع ؛ فإلى مَنْ يبلغناها ؛ نأخذ له الحقَّ غير متعتعٍ [(١٩٣٨)] .

٤ . وصول سعد إلى العراق ، ووفاة المثنى :

سار سعد بجيشه حتَّى نزل بمكانٍ ، يقال له : « زرود » [(١٩٣٩)] ، من بلاد نجد ، وأمدّه أمير المؤمنين بأربعة الاف ، واستطاع سعد أن يحشد سبعة الاف اخرين من بلاد نجد ، وكان المثنى بن حارثة الشيباني ينتظره في العراق ومعه اثنا عشر ألفاً .

وأقام سعد بزود استعداداً للمعركة الفاصلة مع الفرس ، وانتظاراً لأمر أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنهم أجمعين . وقد كان عمر عظيم الاهتمام بهذه المعركة ، لم يدع رئيساً ، ولا ذا رأيٍ ، ولا ذا شرفٍ ، ولا ذا سلطةٍ ، ولا خطيباً ، ولا شاعراً إلا رماهم به ، فرماهم بوجوه النَّاس وغرهم [(١٩٤٠)] ، وبينما كان سعد مقيماً بجيشه في زرود مرض المثنى مرضاً خطيراً ، يقول الرُّواة : إنَّ الجراحة الَّتِي جرحها يوم الجسر انتقضت عليه ، واستشعر دنو أجله ، واشتدَّ وجعه ، واستخلف على مَنْ معه بشير بن الخصاصية ، وطلب المثنى أخاه المعنى ، وأفضى إليه بوصيته ، وأمره أن يعجل به إلى سعد ، ثمَّ أسلم المثنى الرُّوح إلى بارئها ، فانطفأ السِّراج المضيء ، وأفلت هذه الشَّمس المشرقة الَّتِي ملأت فتوح العراق نوراً ، ودفناً [(١٩٤١)] .

وقد جاء في وصيته لسعدٍ : ألا يقاتل عدوّه ، وعدوهم . يعني : المسلمين . إذا استجمع أمرهم ، وملؤهم في عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجرٍ من أرض العرب ، وأدنى مردةٍ من أرض العجم ، فإن يظهر الله المسلمين عليهم ؛ فلهم ما وراءهم ، وإن تكن الأخرى ؛ فأؤوا إلى فتحةٍ ، ثمَّ يكونون أعلم بسبيلهم ، وأجرأ على أرضهم ، إلى أن يرث الله الكرة عليهم [(١٩٤٢)] .

فما أشبه لحظات المثنى الأخيرة باللحظات الأخيرة للخليفة أبي بكرٍ . رضي الله عنهما . كلاهما ترك الدُّنيا وهو يفكر للمسلمين في هذه الفتوح ، ويوصي لها . توفِّي أبو بكر وهو يوصي خليفته عمر

بندب النَّاس ، وبعثهم لفتح العراق ، وتوفيَّ المثنَّى وهو يورث القائد الجديد لحرب العراق سعد بن أبي وقاص تجاربه الحربيَّة ضدَّ الفرس ، فهو يجود بنفسه ، وهو يفكر ، ويدبر ، ويوصي سعداً [(١٩٤٣)] ، ولما انتهى إلى سعدٍ رأي المثنَّى ، ووصيته ؛ ترخَّم عليه ، وأمر المثنَّى بن حارثة على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً [(١٩٤٤)] .

ومَّا يلفت النَّظر في هذا الخبر : أنَّ المثنَّى قد أوصى بزوجه سلمى بنت خصفة التيميَّة إلى سعد بن أبي وقاص ، وحملها معه المثنَّى ، ثمَّ خطبها سعد بعد انتهاء عدتها ، وتزوجها ، فهل أراد المثنَّى أن يبرِّ زوجته بعد رحيله بضمِّها إلى بطلٍ عظيمٍ من أبطال الإسلام ، شهد له رسول الله بالجنة ؟ إنَّه نوعٌ من الوفاء نادر المثال ، أم أنَّها كانت ذكيَّةً ، وعاقلةً ، وقد تكون لديها خبرةٌ من حروب زوجها ، فأراد أن ينتفع المسلمون بها ؟ كلُّ ذلك محتملٌ ، وهو غيضٌ من فيضٍ مما تحلَّى به ذلك الجيل الرَّاشد من الفضائل ، وعظائم الأمور [(١٩٤٥)] .

ومَّا ينبغي الإشادة به ، والإشارة إليه ، موقفٌ قام به المثنَّى قبل إبلاغ هذه الوصيَّة ، وذلك أنَّه علم بأنَّ أحد أمراء الفرس وهو الازدمرد بعث قابوس بن المنذر إلى القادسيَّة ، وقال له : ادع العرب ، فأنت على من أجابك ، وكن كما كان أبائك . يعني : المناذرة الذين كانوا ولاية الفرس . فنزل القادسيَّة ، وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النُّعمان يكتبهم به مقاربةً ، ووعيداً ، فلمَّا انتهى إلى المثنَّى خبره ، أسرى المثنَّى من «ذي قار» حتَّى بيَّته ، فأنامه ، ومن معه ، ثمَّ رجع إلى ذي قار [(١٩٤٦)] .

٥ . مسيرة سعد إلى العراق ، ووصيَّة عمر رضي الله عنهما :

جاء الأمر من عمر أمير المؤمنين إلى سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنهما . بالرحيل من « زرود » إلى العراق استعداداً لخوض المعركة الفاصلة مع الفرس ، وأوصاه بالوصيَّة التالية : أمَّا بعد فإنِّي امرئٌ ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كلِّ حالٍ ، فإنَّ تقوى الله - عزَّ وجلَّ - أفضلُ العدة على العدو ، وأقوى العدة في الحرب ، وامرئٌ ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي منكم من عدوِّكم ، فإنَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوِّهم ، وإنَّما ينصر المسلمون بمعصية عدوِّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوَّة ؛ لأنَّ عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإذا استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإنَّا لا نُنصر عليهم بفضلنا ، ولم نغلبهم بقوَّتنا .

واعلموا : أنَّ عليكم في سيركم حفظاً من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله ، وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : إنَّ عدونا شرُّ منا ، ولن يسلِّط علينا

وإن أسأنا ، فربَّ قومٍ سُلِّطَ عليهم شرُّ منهم ، كما سُلِّطَ على بني إسرائيل . لما عملوا بمساخط الله .
كفرة الجوس ، فجاسوا خلال الدِّيار ، وكان وعداً مفعولاً .

واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النَّصر على عدوِّكم ، أسأل الله ذلك لنا ، ولكم ، وترفق بالمسلمين في مسيرتهم ، ولا تجشِّمهم مسيراً يتعبهم ، ولا تقصِّر بهم عن منزلٍ يرفق بهم حتَّى يبلغوا عدوَّهم والسَّفر لم ينقص قوَّتهم ، فإنَّهم سائرون إلى عدوِّ مقيمٍ ، جامِّ الأنفس ، والكراع [(١٩٤٧)] ، وأقم بمن معك كلَّ جمعة يوماً وليلاً حتَّى تكون لهم راحةٌ ، يجمعون فيها أنفسهم ، ويُرْمون أسلحتهم ، وأمتعتهم ، ونحَّ منازلهم عن قرى أهل الصُّلح ، والذِّمَّة ، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه ، ولا ترزأ أحداً من أهلها شيئاً ، فإنَّ لهم حرمةً ، وذمَّةً ، ابتليت بالوفاء بها ، كما ابتلوا بالصَّبْر عليها ، فما صبروا لكم ؛ فوفُّوا لهم ، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصُّلح ، وإذا وطئت أدنى أرض العدوِّ ؛ فأذِّك العيون بينك وبينهم ، ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئنُّ إلى نصحه ، وصدقه ، فإنَّ الكذوب لا ينفعك خبره ، وإن صدق في بعضٍ ، والغاشَّ عينٌ عليك ، وليس عيناً لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدوِّ أن تكثر الطَّلَّاع ، وتبثَّ السَّرايا بينك وبينهم ، فتقطع السَّرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطَّلَّاع عوراتهم ، وانتق الطَّلَّاع من أهل الرأى ، والبأس من أصحابك ، وتخيِّر لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدواً ؛ كان أوَّل مَنْ تلقاهم القوَّة من رأيك ، واجعل أمر السَّرايا إلى أهل الجهاد ، والصَّبْر على الجلال ، ولا تخصَّ أحداً بهوى ، فيضيع من رأيك وأمرك أكثر ممَّا حابيت به أهل خاصَّتكَ ، ولا تبعث طليعةً ، ولا سريةً في وجهٍ تتخوَّف فيه صنيعةً ونكايةً ، فإذا عاينت العدوَّ فاضمم إليك أقاصيك ، وطلائعك ، وسراياك ، واجمع إليك مكيدتك ، وقوَّتكَ ، ثمَّ لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتالٌ ، حتَّى تبصر عورة عدوِّك ، ومقاتله ، وتعرِّف الأرض كلَّها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوِّك كصنيعته بك ، ثمَّ أذك حراسك على عساكرك ، وتحفِّظ من البيات جهديك ، ولا تؤتى بأسيرٍ ليس له عهدٌ إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدوِّك ، وعدوَّ الله ، والله ولي أمرك ومن معك ، وولي النَّصر لكم على عدوِّكم ، والله المستعان [(١٩٤٨)] .

فهذا خطابٌ عظيمٌ يشتمل على وصايا نافعةٍ ، يوضِّح لنا جانباً مهماً من عظمة عمر . رضي الله عنه . وهو خبرته العالية في التَّخطيط الحربيِّ ، وقد كان التَّوفيق الإلهي واضحاً في كلِّ توجيهاته ،

ووصاياه [١٩٤٩] ، ويمكننا أن نستخلص بعض المبادئ الهامة التي اشتملت عليها تلك الوصية ، منها :

. أمر الجيش بطاعة الله ، وتقواه في كلّ الأحوال ، باعتبار : أنّ هذا هو السّلاح الأوّل ، والتّنبه أنّ العدوّ الأوّل هو الذّنوب ، ثمّ المحاربون الكفّار ، ولفت النّظر إلى أنّ ثمة رقابةً دقيقةً ، ودائمةً من الملائكة على أفراد الجيش الإسلاميّ ، والإشارة إلى ضرورة الاستحياء من المعاصي ؛ إذ لا يعقل أن يعصي المرء وهو في ساحة الجهاد في سبيل الله ، والتّأكيد على أنّه من المجاني للصّواب اتّخاذ سلوكيّات العدوّ معياراً لتبرير سلوكيّات الجيش الإسلاميّ ، واستحضار الحاجة الدّائمة إلى معونة الله .

. أمّا المبدأ الثاني ؛ الذي أكّدت عليه رسالة عمر إلى سعدٍ ؛ فهو : رعاية الطّرف الأوّل في العلاقة محلّ البحث ضدّ أيّ خطرٍ ، وتأكيد حرمة قرى أهل الصّلح ، وتلمّس أسباب تأمينها ، وتأمين الصّورة الإسلاميّة من أيّة اثارٍ عكسيّةٍ تؤثّر على نجاح عملية الاتّصال بين المسلمين وغير المسلمين من جرّاء سلوكيّاتٍ غير مستقيمةٍ من جانب بعض العناصر الإسلاميّة ، وسعيّاً لتحقيق متطلبات هذا المبدأ أمر عمر أميره بمراعاة أسباب الحفاظ على معنويّات الجيش ، وإيصاله إلى أرض العدوّ وهو قادرٌ على المواجهة ، فقال : ترفّق بالمسلمين في سيرهم .. إلى أن قال : يكون ذلك لهم راحةً يجمعون بها أنفسهم ، ويصلحون أسلحتهم ، وأمتعتهم . وبعد التّأكيد على أسباب صيانة ، وسلامة الأنفس والعتاد الحربيّ الإسلاميّ نبه عمر إلى أنّ الوقاية خيرٌ من العلاج ، وأنّ من أهمّ أسلحة الجيش الظهور بسلوكيّاتٍ إسلاميّةٍ ، يوافق فيها القول بالعمل ، فأمر عمر . كإجراء احتياطيّ . بإبعاد منازل الجيش عن قرى الصّلح درءاً لإمكانية وقوع أيّة تجاوزات ، تعود بالسّلب على العلاقة المراد إقامتها ، وعدم السّماح إلا لأهل الثّقة بدخول قرى الصّلح ، والتّأكيد على حرمة أهل الصّلح ، ولزوم الوفاء لهم .

. ونصّت رسالة عمر على مبدأٍ ثالثٍ ، وهو : التّنوع في أسلوب المعاملة حسب نوعيّة شريك الدّور ، والرّفق بأهل الصّلح ، وعدم تحميلهم فوق طاقتهم ، فلقد طلب عمر من أميره ، ألا يظلم أهل الصّلح بغية النّصر على أهل الحرب ، وأن يستعين بمن يثق به من أهل المناطق الجارية فتحها ، على أن تكون دواعي الثّقة المطلقة بمعنى : التحرّز فيها ؛ كيلا يؤتى من قبيل الإفراط في حسن الظّنّ .

. أمّا المبدأ الرّابع ؛ فهو ضرورة جمع معلوماتٍ كافيةٍ عن العدوّ ، فلقد نبه عمر إلى ضرورة إسناد أمر جمع المعلومات إلى طلائع استطلاعٍ من أفضل عناصر الجيش مع تسليحها بأفضل ما بحوزة الجيش من أسلحة ، ذلك أنّ العدو قد يكشف بعضها ، فيكرهها على الدخول في قتالٍ ، ويجب بالتّالي أن تكون

من القوّة بحيث تحدث الأثر النفسي المطلوب في العدوّ بإشعاره بقوّة الجيش ، وتبتلّس أسباب الكفّ عن استخدام القوّة .

. أما المبدأ الخامس والأخير في رسالة عمر ؛ فهو : وضعه الرّجل المناسب في المكان المناسب، واعتبار: أنّ الغرض من جمع المعلومات عن العدوّ ليس التمكن من محاربته، بقدر ما هو التّحرّز من استكراه الطّرف الثّاني للمسلمين على القتال، ولذا يجب على المسلمين الكفّ بعد الأخذ بالأسباب، والتأهّب ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً مع أخذ الحيطة، والحذر البالغين [(١٩٥٠)] .

٦ . الاستعانة بمن تاب من المرتدّين :

إنّ أبا بكر الصّدّيق - رضي الله عنه - لم يستعن في حروب الرّدّة ، ولا في حركة الفتوحات بمرتدّ ، وأمّا عمر - رضي الله عنه - فقد استنفرهم بعد أن تابوا ، وصلح حالهم ، وأخذوا قسطاً من التّربية الإسلاميّة ، إلاّ أنّه لم يولّ منهم أحداً [(١٩٥١)] ، وقد جاء في رواية : أنه قال لسعد بن أبي وقاصّ في شأن طليحة بن خويلد الأسدي ، وعمرو بن معدي كرب الرّبيدي : استعن بهما ، ولا تولينهما على مئة [(١٩٥٢)] ، فنستفيد من سنة الخليفين الرّاشدين : أبي بكرٍ ، وعمر اللّذين قال عنهما رسول الله (ص) : « اقتدوا باللّذين من بعدي أبي بكرٍ ، وعمر » [(١٩٥٣)] نستفيد من سنّتهما هذه : أنّ من ارتدّد عن الإسلام ، ثمّ تاب ، ورجع إليه ، فإنّ توبته مقبولة ، ويكون معصوم الدّم ، والمال ، وله ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم ، غير أنّه لا يُولّى شيئاً من أمور المسلمين المهمّة ، وخاصّة الأعمال القياديّة ، وذلك لاحتمال أن تكون توبته نفاقاً ، وإذا كانت كذلك ، وتولّى قيادة المسلمين ، فإنّه يفسد في الأرض ، ويقلب موازين الحياة ، فيقرّب أمثاله من المنافقين ويبعد المؤمنين الصّادقين ، ويحوّل المجتمع الإسلامي إلى مجتمعٍ تسوده مظاهر الجاهليّة ، فكانت هذه السّنّة الرّاشدة من الخليفين الرّاشدين لحماية المجتمع الإسلاميّ من تسلّل المفسدين إلى قيادته ، وتوجيهه ، ولعلّ من حكم هذه السّنّة أيضاً ملاحظة عقوبة المرتدّين بنقيض قصدهم ، فالّذين يرتدّدون من أجل الحصول على الرّعامات ، والقيادات إذا أظهروا التّوبة ، وعادوا إلى الإسلام ، يجرمون من هذه القيادات عقوبةً لهم ، وردعاً لكلّ من تسوّّل له نفسه أن يخرج عن الخطّ الإسلامي ، ويبحث عن الرّعامات في معاداة الإسلام ، وموالاته أعدائه [(١٩٥٤)] .

٧ . كتاب من أمير المؤمنين إلى سعد بن أبي وقاصّ :

وصل إلى سعد بن أبي وقاص كتاباً من أمير المؤمنين وهو نازلٌ في شرافٍ على حدود العراق يأمره فيه بالمسير نحو فارس ، وقد جاء في هذا الكتاب : أمّا بعد : فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ، وتوكل على الله ، واستعن به على أمرك كَلِّه ، واعلم فيما لديك : أنّك تقدم على أمةٍ عددهم كثير ، وعدّتهم فاضلة ، وبأسهم شديدٌ ، وعلى بلدٍ منيعٍ . وإن كان سهلاً . كؤودٍ لبحوره ، وفيوضه ، ودادته [(١٩٥٥)] ، إلا أن توافقوا غيضاً من فيضٍ ، وإذا لقيتم القوم ، أو أحداً منهم ؛ فابدؤوهم الشدّد ، والضرب ، وإيّاكم والمناظرة . لجموعهم . يعني الانتظار بعد المواجهة . ولا يخذعنكم ، فإنهم خدعةٌ مكرّةٌ ، أمرهم غير أمركم ، إلا أن تجادوهم . يعني : تأخذوهم بالجدّ . وإذا انتهيت إلى القادسية [(١٩٥٦)] ، فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحجر ، والمدر [(١٩٥٧)] ، على حافات الحجر ، وحافات المدر ، والجراخ بينها [(١٩٥٨)] ، ثمّ الزم مكانك ، فلا تبرحه ، فإنهم إن أحسّوك أنغضتهم ؛ رموك بجمعهم ، الذي يأتي على خيلهم ، ورجلهم ، وحدهم ، وجدّهم ، فإن أنتم صبرتم لعدوّكم ، واحتسبتم لقتاله ، ونويتم الأمانة ؛ رجوت أن تنصروا عليهم ، ثمّ لا يجتمع لكم مثلهم أبداً ، إلا أن يجتمعوا ، وليست معهم قلوبهم ، وإن تك الأخرى كان الحجر في أديباركم ، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجرٍ من أرضكم ، ثمّ كنتم عليها أجراً ، وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن ، وبها أجهل ، حتّى يأتي الله بالفتح عليهم ، ويردّ لكم الكرّة [(١٩٥٩)] .

وهذه الوصيّة في اختيار المكان الذي يستقرُّ فيه الجيش تشبه وصية المثنى لسعدٍ حيث أنّفق رأي عمر ، والمثنى في اختيار المكان ، وكانت تلك الوصيّة من المثنى نتيجة خبرة أكثر من ثلاث سنوات في حرب الفرس ، وهذا دليلٌ على براعة عمر . رضي الله عنه . في التخطيط الحربيّ ، مع أنّه لم تطأ قدماه أرض العراق . رضي الله عنهم أجمعين . وتتضمّن هذه الوصيّة إبقاء الجيش بعيداً عن متناول الأعداء ، ثمّ رميهم بالسرايا التي تنعّص عليهم حياتهم ، وتثير عليهم أتباعهم ، حتّى يضطر المسلمون إلى منازلتهم في المكان الذي تمّ اختياره [(١٩٦٠)] .

٨ . من أسباب النّصر المعنوية في رأي عمر رضي الله عنه :

كتب عمر . رضي الله عنه . إلى سعد يذكره بأسباب النّصر المعنويّة ، وهي التي تأتي في المقام الأوّل ، وقد جاء في كتابه : أمّا بعد : فتعاهد قلبك ، وحادث جندك بالموعظة ، والنّية ، والحسبة ، ومن غفل فليحدثهما ، والصبر ، والصبر ، فإنّ المعونة تأتي من الله على قدر

النَّيَّة ، والأجر على قدر الحِسْبَة ، والحذر ، والحذر على ما أنت عليه ، وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثروا من قول : « لا حول ، ولا قوة إلا بالله » واكتب إليَّ أين بلغ جمعكم ، ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم ؟ فإنه قد منعي من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه ، والذي استقر عليه أمر عدوكم ، فصف لنا منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر إليها ، واجعلي من أمركم على الجليَّة ، وخف الله ، وارجه ، ولا تُدَلَّ بشيءٍ ، واعلم : أن الله قد وعدكم ، وتوكل لهذا الأمر بما لا تُخلف له ، فاحذر أن تصرفه عنك ، ويستبدل بكم غيركم [(١٩٦١)]

ففي هذا الكتاب يوصي عمر . رضي الله عنه . بتعاهد القلوب ، فإنَّ القلب هو المحرِّك لجميع أعضاء الجسم ، والحاكم عليها ، فإذا صلح ؛ صلح الجسم كُلُّهُ ، ثمَّ يوصيه بموعظة جنده ، وتذكيرهم بالإخلاص لله تعالى ، واحتساب الأجر عنده ، وبيِّن : أنَّ نصر الله مترتبٌ على ذلك ، ويحذِّره من التفرُّط في المسؤولية التي تحمَّلها ، وما يستقبله من الفتوح ، ويذكِّرهم بوجوب ارتباطهم بالله تعالى ، وأنَّ قوَّتهم من قوَّته ، ويوصي قائد المسلمين بأنَّ يكون بين مقام الخوف من الله تعالى ، والرَّجاء لما عنده ، وهو مقامٌ عظيمٌ من مقامات التَّوحيد ، وينهاه عن الإدلال على الله بشيءٍ من العمل ، أو ثناء النَّاس ، ويذكِّره بما سبق من وعد الله تعالى بانتصار الإسلام ، وزوال ممالك الكفر ، ويحذِّره من التَّهاون في تحقيق شيءٍ من أسباب النَّصر ، فيتخلَّف النَّصر عنهم ليتَّمَّ على يد غيرهم ممَّن يختارهم الله تعالى [(١٩٦٢)] .

٩ . سعد . رضي الله عنه . يصف موقع القادسيَّة لعمر . رضي الله عنه . وردُّ عمر عليه : كتب سعد إلى عمر . رضي الله عنهما . يصف له البلدان التي يتوقَّع أن تكون ميداناً للمعركة الفاصلة ، إلى أن قال : وأنَّ جميع ممَّن صالح المسلمين من أهل السَّواد قبلي إلبُّ لأهل فارس ، قد خفُّوا لهم ، واستعدُّوا لنا ، وإنَّ الذي أعدُّوا لمصادمتنا رستم في أمثالٍ له منهم ، فهم يحاولون إنغاضنا ، وإقحامنا ، ونحن نحاول إنغاضهم ، وإبرازهم ، وأمر الله بعدُ ماضٍ ، وقضاؤه مسلمٌ إلى ما قدِّر لنا ، وعلينا ، فنسأل الله خير القضاء ، وخير القدر في عافية [(١٩٦٣)] ! فكتب إليه عمر : قد جاءني كتابك ، وفهمته ، فأقم بمكانك حتَّى ينغض الله لك عدوَّك ، واعلم : أنَّ لها ما بعدها ، فإنَّ منحك الله أديبارهم ؛ فلا تنزع عنهم حتَّى تفتحم عليهم المدائن فإنَّه خرابها إن شاء الله [(١٩٦٤)] . ومن خلال رسالة عمر يتبيَّن : أنه اتخذ القرار المناسب ، وهو :

. أن يثبت سعد في مواقعه ، فلا يبارحها .

. ألا يبادر العدو بالقتال ، بل يترك له أمر هذه المبادرة .

. أن يعمد إلى استثمار النَّصر ، ويطارد العدو حَتَّى المدائن ، فيفتحها عليه [(١٩٦٥)] ، ومع الأخذ
بالأسباب المادِّيَّة التي لا بدَّ منها في إحراز النَّصر لم يترك الفاروق الجوانب المعنويَّة ، وشنَّ حربٍ نفسيَّةٍ
على الخصوم في عقر دارهم ، وعزَّ ملكهم ، وقوَّة سطوتهم ، فأرسل إلى سعد : إني ألقى في روعي :
أنكم إذا لقيتم العدو ؛ غلبتموهم ، فمتى لاعب أحدٌ منكم أحداً من العجم بأمانٍ ، وإشارةً ، أو لسانٍ
كان عندهم أماناً ، فأجروا له ذلك مجرى الأمان ، وإيَّاكم والضَّحك ! والوفاء ، الوفاء ! فإنَّ الخطأ
بالوفاء بقيَّة ، وإنَّ الخطأ بالغدر هلكةٌ ، وفيها وهنكم ، وقوَّة عدوكم [(١٩٦٦)] .

لقد كان عمر . رضي الله عنه . يعيش مع الجيش الإسلامي بكلِّ مشاعره ، وأحاسيسه ، ولقد تكاثفت
عليه الهموم حَتَّى أصبح لا يهناً بعيشٍ ، ولا يقرَّ له قرارٌ حَتَّى يسمع أخبارهم ، وإنَّ في مثل هذا الإلهام
من الله تعالى تخفيفاً من العبء الكبير ؛ الذي تحمَّله عمر ، وتثبيتاً للمسلمين وتقويةً لقلوبهم ، ونلاحظ
: أنَّ الفاروق . رضي الله عنه . ذكَّر المسلمين بشيءٍ من عوامل النَّصر المعنوية ، حيث حثَّهم على
الالتزام بشرف الكلمة ، والصدِّق في القول ، والوفاء بالعهود ، ولو كان من التزم بذلك أحد أفراد
المسلمين ، أو كان هناك خطأ في الفهم ، فلم يقصد المسلم الأمان ، وفهمه العدو أماناً [(١٩٦٧)] .

ثانياً : الفاروق يطلب من سعدٍ أن يرسل وفداً لمناظرة ملك الفرس :

وقال عمر لسعد في رسائله : لا يكرهنَّك ما يأتينك عنهم ، ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله ، وتوكَّل
عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل النَّظر ، والرَّأي ، والجلد يدعونه فإنَّ الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ،
وفلجاً [(١٩٦٨)] عليهم . وطلب الفاروق من سعدٍ أن يكتب له كلَّ يومٍ [(١٩٦٩)] ، وشرع في جمع
رجالٍ من أهل النَّظر ، والرَّأي ، والجلد ، فكان الذين وقع عليهم الاختيار من أهل الاجتهاد ، والاراء
، والأحساب :

١ . النُّعمان بن مُقرِّن المزني .

٢ . بُسر بن أبي رُهم الجهني .

٣ . حملة بن جُويَّة الكناني .

٤ . حنظلة بن الرِّبيع التَّميمي .

٥ . فرات بن حيَّان العجلي .

٦ . عدي بن سهيل .

٧ . المغيرة بن زرارة بن النبّاش بن حبيب [(١٩٧٠)] .

واختار سعد نفرأ عليهم مهابةً ، ولهم منظرٌ لأجسامهم ، ولهم اراء نافذة .

١ . عطارد بن حاجب التميمي .

٢ . الأشعث بن قيس الكندي .

٣ . الحارث بن حسّان الذهلي .

٤ . عاصم بن عمرو التميمي .

٥ . عمرو بن معدي كرب الزبيدي .

٦ . المغيرة بن شعبة التَّقفي .

٧ . المعنّى بن حارثة الشيباني [(١٩٧١)] .

فهم أربعة عشر داعيةً ، بعثهم سعد دعاءً إلى ملك الفرس بأمر عمر . رضي الله عنه . وهم من سادات القوم ، كما أرادهم عمر . رضي الله عنه . كي يستطيعوا دعوة يزيدجرد بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ، ولعلّ الله يهديه هو وجنده للإيمان ، وتحقن دماء الطرفين . لقد كان هذا الوفد المنتقى على درجةٍ عاليةٍ من الكفاية ، والقدرة لما أوفد له ، فبالإضافة إلى ما يتمتّعون به من جسامه ، وقوّة ، ومهابةٍ ، وحسن رأيٍ ، فلهم أيضاً سبق معرفة بالفرس ، فقد كان منهم من عاركهم ، وعركهم ، ومارس معهم الحروب في حملاتٍ سابقةٍ ، ومنهم من وفد في الجاهلية على ملوك الفرس ، ومنهم من يعرف اللّغة الفارسيّة ، فكأنّ سعد اختارهم لهذه الوفادة بعد أن اجتاز كلُّ منهم كشفاً فنيّاً من حيث كفاءته ، وحسن رأيه ، وكشفاً طبيّاً من حيث قوّته ، وضعفه ، وكشف هيئة من حيث لياقته وجسامته [(١٩٧٢)] . لقد كان الوفد يتمتّع بميزتي الرّغبة ، والرّهبة التي تتوفّر في جسامتهم ، ومهابتهم ، وجلدهم ، وشدّة ذكائهم [(١٩٧٣)] .

وتحرّك هذا الوفد الميمون بقيادة النّعمان بن مقرن ، فوصلوا المدائن ، وأدخلوا على ملك الفرس يزيدجرد ، فسألهم بواسطة ترجمانه : ما جاء بكم ، ودعاكم إلى غزونا والولوج ببلادنا ؟ أمن أجل أنّنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟

فقال النّعمان بن مقرن لأصحابه ، إن شئتم تكلمت عنكم ، ومن شاء اثرته ، فقالوا : بل تكلم ، فقال : (إنّ الله رحمننا ، فأرسل إلينا رسولاً يأمرنا بالخير ، وينهانا عن الشرِّ ، وواعدنا على إجابته خيري

الدُّنيا والآخره ، فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقةً ، وتباعد منه منها فرقةً ، ثمَّ أمر أن نبتدأى بمن خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجهين مكرهً عليه ، فاغتنب [(١٩٧٤)] ، وطائِعُ فازداد ، فتعرَّفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كُنَّا عليه من العداوة ، والضَّيق ، ثمَّ أمرنا أن نبتدأى بمن جاورنا من الأمم ، فندعوهم إلى الإنصاف . فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن ، وقَبَّح القبيح كَلِّه ، فإنَّ أبيتهم ؛ فأمرٌ من الشرِّ هو أهون من آخر شرِّ منه : الجزية ، فإنَّ أبيتهم ؛ فالمناجزة ، فإنَّ أجبتم إلى ديننا خلَّفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم ، وشأنكم وبلادكم ، وإنَّ بذلتكم الجزاء ؛ قَبَلنا ، ومنعناكم ، وإلا قاتلناكم) .

فقال ملك الفرس يزيدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمةً كانت أشقى ، ولا أقلَّ عدداً ، ولا أسوأ ذات بين منكم ، فقد كنا نوكل بكم قرى الضَّواحي ، فيكفوننا أمركم ، ولا تطمعون أن تقوموا لفارس ، فإنَّ كان غررٌ لحقكم ؛ فلا يغرثكم منا ، وإنَّ كان الجهد [(١٩٧٥)] ، فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم ، وأكرمنا وجوهكم ، وكسوناكم وملَّكنا عليكم ملكاً يرفُق بكم .

فقام المغيرة بن زرارة ، فقال : أمَّا ما ذكرت من سوء الحال ؛ فكما وصفت ، وأشدُّ . ودكّر من سوء عيش العرب ورحمة الله بهم بإرسال النَّبي (ص) .. مثل مقالة النُّعمان .. ثمَّ قال : « اختر إماماً الجزية عن يدٍ وأنت صاغرٌ ، أو السَّيف ، وإلا فنحِّ نفسك بالإسلام » .

فقال يزيدجرد : لولا أنَّ الرسل لا تقتل لقتلت لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ثمَّ استدعى بوقر [(١٩٧٦)] من ترابٍ ، وقال لقومه : احمِلوه على أشرف هؤلاء ، ثمَّ سوقوه حتَّى يخرج من باب المدائن ، فقام عاصم بن عمرو ، وقال : أنا أشرفهم ، وأخذ التراب فحملة ، وخرج إلى راحلته ، فركبها ، ولما وصل إلى سعدٍ قال له : (أبشر ، فوالله لقد أعطانا الله أقاليد [(١٩٧٧)] ملكهم !) [(١٩٧٨)] .

ثمَّ إنَّ رستم خرج بجيشه الهائل ، مئة ألف ، أو يزيدون من ساباط ، فلَمَّا مرَّ على كوثى . قرية بين المدائن وبابل . لقيه رجلٌ من العرب ، فقال له رستم : ما جاء بكم ، وماذا تطلبون

منَّا ؟ قال : جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم ، وأبنائكم ؛ إنَّ أبيتهم أن تسلموا ، قال رستم : فإنَّ قتلتم قبل ذلك ؟ قال : من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقي أنجزه الله وعده ، فنحن على يقينٍ ، قال رستم : قد وُضعنا إذاً في أيديكم ؟ قال العربيُّ : أعمالكم وضعتمكم ، فأسلمكم الله بها ، فلا يغرثك ما ترى حولك ، فإنَّك لست تجادل [(١٩٧٩)] الإنس ، وإنما تجادل القدر !

فغضب منه رستم ، وقتله ، فلمّا مرّ بجيشه على البرس . قرية بين الكوفة والحلّة . غصبوا أبناء أهله ، وأمواهم ، وشربوا الخمر ، ووقعوا على النساء ! فشكا أهل البرس إلى رستم ، فقال لقومه : « والله لقد صدق العربيّ ! والله ما أسلمنا إلا أعمالنا ! والله إنّ العرب مع هؤلاء وهم لهم حربٌ أحسن سيرةً منكم » [(١٩٨٠)] !

ولما علم سعد أمير جيش المسلمين خبر رستم ، أرسل عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، وطليحة بن خويلد الأسدي يستكشفان خبر الجيش مع عشرة رجالٍ ، فلم يسيروا إلا قليلاً حتى رأوا سرح العدو منتشرًا على الطُفوف [(١٩٨١)] ، فرجعوا إلى طليحة ، فإنه ظل سائرًا حتى دخل جيش العدو ، وعلم ما فيه ، فرجع إلى سعدٍ ، وأخبره خبره ، وكان طليحة هذا من زعماء الردّة .

وقد سمح الفاروق لمن ارتدّ ، وتاب من العرب بالاشتراك في الجهاد ، وكان الصّديق . رضي الله عنه . يمنع ذلك ، وكان الفاروق يمنع مَنْ خرج من زعماء أهل الردّة بعد توبته إلى الجهاد أن يتولّى إمارةً ، ولم يولّ منهم أحداً ، وحرص على أن يتربّوا على معاني الإيمان ، والتّقوى ، وأتاح لهم فرصةً ثمينةً ليعبروا فيها عن صدق إيمانهم ، وتقواهم ، وكان لطليحة الأسدي ، وعمرو الزبيدي مواقف مشهودة في حروب العراق ، والفرس .

ثالثاً : سعد بن أبي وقاص يرسل وفوداً لدعوة رستم :

وسار رستم بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق . جسر القادسيّة . أمام عسكر المسلمين ، يحول بينهم النّهر ، ومع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلاً ، ولما نزل أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً نكلّمه .

فأرسل إليه ربعي بن عامرٍ ، فجاءه وقد جلس على سرير من ذهبٍ ، وبُسط التّمارق والوسائد منسوجةً بالذهب ! فأقبل ربعي على فرسه ، وسيفه في خِرْقَةٍ [(١٩٨٢)] ، ورحمه مشدودٌ بعصب [(١٩٨٣)] ، فلما انتهى إلى البساط وطأه بفرسه ، ثمّ نزل ، وربطها بوسادتين شقّهما ، وجعل الحبل فيهما ، ثمّ أخذ عباءة بعيره فاشتملها ، فأشاروا عليه بوضع سلاحه ؛ فقال : لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم ، وإنما دعوتوني ، ثمّ أقبل يتوكأ على رحله ، ويُقارب خطوه حتى أفسد ما مرّ عليه من البُسط ، ثمّ دنا من رستم ، وجلس على الأرض ، ورَكَز رحله على البساط ، وقال : إنّنا لا نقعد على زينتك . فقال له رستم : ما جاء بكم ؟ قال : الله جاء بنا ، وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدُّنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسل لنا

رسوله بدينه إلى خلقه ، فمن قبله ؛ قبلنا منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه ، ومن أبي ؛ قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة ، أو الظفر [(١٩٨٤)] .

فقال رستم : قد سمعنا قولكم ، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه ؟ فقال : نعم ، وإنَّ ممَّا سَنَّ لنا رسول الله (ص) ألا نمكن الأعداء أكثر من ثلاثٍ ، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً ، فانظر في أمرك ، واختر واحدةً من ثلاثٍ بعد الأجل : الإسلام ، وندعك وأرضك ، أو الجزاء فنقبل ، ونكفُّ عنك ، وإن احتجت إلينا نصرناك ، أو المنابذة [(١٩٨٥)] في اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا ، وأنا كفييل عن أصحابي .

فقال رستم : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعضٍ ، يجيز أدناهم على أعلاهم . ثم انصرف .

فخلا رستم بأصحابه ، وقال : رأيتم كلاماً قطُّ مثل كلام هذا الرَّجل ؟ فأروه الاستخفاف بشأنه . فقال رستم : ويلكم وإنما أنظر إلى الرأي ، والكلام ، والسيرة ، والعرب تستخفُّ اللباس ، وتصون الأحساب .

فلمَّا كان اليوم الثاني من نزوله ؛ أرسل إلى سعدٍ أن ابعث إلينا هذا الرَّجل . فأرسل إليه حذيفة بن محسن الغلفاني ، فلم يختلف عن ربي في العمل ، والإجابة ، ولا غرابة ، فهما مستقيان من إناءٍ واحدٍ ، وهو دين الإسلام .

فقال له رستم : ما قعد بالأوَّل عنا ؟ قال : (أميرنا يعدل بيننا في الشدَّة والرِّخاء ، وهذه نوبتي) . فقال رستم : والمواعدة إلى متى ؟ قال : إلى ثلاثٍ ، من أمس .

وفي اليوم الثالث أرسل إلى سعدٍ أن ابعث إلينا رجلاً . فأرسل إليه المغيرة بن شعبة فتوجَّه إليه ، ولما كان بحضرته جلس معه على سريره ، فأقبلت إليه الأعوان يجذبونه ! فقال لهم : قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أرى قوماً أسفه منكم ، إنَّا معشر العرب لا يستعبد بعضنا

بعضاً ، إلا أن يكون محارباً لصاحبه . فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى ، وكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أنَّ بعضكم أرباب بعضٍ ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ، وإني لم اتكم ولكنكم دعوتوني ، اليوم علمت أنكم مغلوبون ، وأنَّ ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول .

فقالَت السُّوقَة : صدقَ اللهُ العَرَبِي ! وقالَت الدَّهَاقِين . زعماءُ الفلاحِين . : لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا تنزع إليه ، قاتل الله سابقينا حيث كانوا يصغرون أمر هذه الأمة . ثمَّ تكلم رستم بكلام صَعَّرَ فيه شأنَ العَرَب ، وضخَّم أمرَ الفرس ، وذكر ما كانوا عليه من سوء الحال ، وضيق العيش [(١٩٨٦)] . فقال المغيرة : أمَّا الذي وصفنا به من سوء الحال ، والضَّيِّق ، والاختلاف ، فنعرفه ولا ننكره ، والدُّنيا دُوْلٌ ، والشَّدَّة بعدَها الرِّخاء ، ولو شكرتم ما اتاكم اللهُ ؛ لكان شكركم قليلاً على ما أوتيتم ، وقد أسلمكم ضعفُ الشُّكر إلى تغيُّرِ الحال ، وإنَّ اللهُ بعثَ فينا رسولاً ، ثمَّ ذكر مثل ما تقدَّم ، وختم كلامه بالتَّخيير بين الإسلام ، أو الجزية ، أو المنابذة [(١٩٨٧)] ، ثمَّ رجع .

فخلاً رستم بأهل فارس ، وقال : أين هؤلاء منكم ؟ ألم يأتكم الأوَّلان فجسراكم [(١٩٨٨)] واستخرجاكم [(١٩٨٩)] ، ثمَّ جاءكم هذا فلم يَختلِفوا ، وسلَكوا طريقاً واحداً ، ولزَموا أمراً واحداً ، هؤلاء والله الرِّجال ! صادقين كانوا أم كاذبين ، والله لئن بلغ من أدبهم ، وصونهم لسرِّهم ألا يَختلِفوا ؛ فما قومٌ أبلغ فيما أرادوا منهم ، لئن كانوا صادقين ؛ فما يقوم هؤلاء شيء . فلجُّوا [(١٩٩٠)] . رابعاً : الاستعداد للمعركة :

لم ينتفع الفرس بدعوة الوفود ، وتمادوا في غيِّهم ؛ ليقضي اللهُ أمراً كان مفعولاً ، فأجمع الفرس على القتال ، واستعدَّ المسلمون لذلك وعبر الفرس نهر العتيق ، وعيَّن رستم جيشه العرمرم على الشَّكل التالي :

- في القلب : ذو الحاجب (ومعه ١٨ فيلاً) عليها الصَّناديق والرِّجال .

- في الميمنة ممَّا يلي القلب : الجالينوس .

- في الميمنة : الهرمزان (ومعه ٧ ، أو ٨ أفيال) عليها الصَّناديق والرِّجال .

- في الميسرة ممَّا يلي القلب : البيرزان .

- في الميسرة : مهرا (ومعه ٧ أو ٨ أفيال) عليها الصَّناديق والرِّجال ، وأرسل رستم فرقةً من خياله إلى القنطرة لتمنع المسلمين من عبورها نحو جيشه ، فأصبحت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين وخيول المشركين ، وكان ترتيب الصُّفوف على الشَّكل التالي :

- الخيَّالة في الصفوف الأولى ، يليها الفيلة ، ثمَّ المشاة ، ونُصب لرستم مظلةً كبيرةً استظلَّ بها على سريره ، وجلس يراقب سير المعركة [(١٩٩١)] ، وكان المسلمون على أهبة الاستعداد ، وعلى أحسن تعبئة ، للقتال ، فقد عبأ سعد بن أبي وقاص جيشه مبكِّراً ، وأمر الأمراء ، وعرَّف على كل عشيرة عريفاً ،

وجعل على الرّيات رجالاً من أهل السّابقة أيضاً ، ورثب المقدمة ، والسّاقّة ، والمجنّبات ، والطلائع ، وقد وصل القادسية على تعبئةٍ ، وقد عبأ جيشه على الشّكل التّالي :

- ١ . على المقدمة : زهرة بن الحويّة .
- ٢ . وعلى الميمنة : عبد الله بن المعتم .
- ٣ . وعلى الميسرة : شرحبيل بن السّمط الكندي ، وخليفته خالد بن عرفطة .
- ٤ . وعلى السّاقّة : عاصم بن عمرو .
- ٥ . وعلى الطلائع : سواد بن مالك .
- ٦ . وعلى المجردة : سلمان بن ربيعة الباهلي .
- ٧ . وعلى الرّجالة : حمّال بن مالك الأسدي .
- ٨ . وعلى الرّكبان : عبد الله بن ذي السّهمين الحنفي .
- ٩ . وعلى القضاء بينهم : عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي .
- ١٠ . وكاتب الجيش : زياد بن أبي سفيان .

١١ . ورائده ، وداعيه : سلمان الفارسي . وكلُّ ذلك بأمرٍ من عمر [(١٩٩٢)] .

هذا وقد خطب سعد بن أبي وقاص في النّاس ، وتلا قول الله تعالى : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } * [الأنبياء : ١٠٥] . وأمر القراء أن يشرعوا في سورة الأنفال ، فقرئت ، ولما أتموا قراءتها هسّت [(١٩٩٣)] قلوب النّاس ، وعيونهم ، ونزلت السّكينة ، وصلى النّاس الظّهر ، وأمر سعد جيشه أن يزحفوا بعد التكبيرة الرّابعة وأن يقولوا : لا حول ، ولا قوة إلا بالله ، واستمرت المعركة أربعة أيام .

وقد كان سعد . رضي الله عنه مريضاً . بعرق النّسا ، وبه دامل لا يستطيع الرّكوب ، ولا الجلوس ، فكان مكباً على صدره ، وتحتة وسادة ويشرف على الميدان من قصر قديس الذي كان في القادسية ، وقد أناب عنه في تبليغ أوامره خالد بن عرفطة ، وقد أمر بأن ينادى في الجيش : ألا إن الحسد لا يحلُّ إلا على الجهاد في أمر الله ، أيها النّاس فتحاسدوا ، وتغايروا على الجهاد [(١٩٩٤)] .

وقبل بدء القتال حصل اختلافٌ على خالد بن عرفطة نائب سعد ، فقال سعد : احمولوني ، وأشرفوا بي على النّاس . فارتقوا به ، فأكبَّ مُطَّلِعاً عليهم ، والصفُّ في أصل حائط قصر قديسٍ يأمر خالداً ، فيأمر خالد النّاس ، وكان ممّن شغب عليه بعض وجوه النّاس فهمم بهم سعد ، وشتمهم ، وقال : أما

والله لولا أن عدوكم بحضرتكم ؛ لجعلتكم نكالا لغيركم ، فحبسهم ، ومنهم أبو محجن الثقفي ، وقيدهم في القصر ، وقال جرير بن عبد الله مؤيداً طاعة الأمير : أما إني بايعت رسول الله (ص) على أن أسمع ، وأطيع لمن ولاه الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً . وقال سعد : والله لا يعود أحد بعدها يجبس المسلمين عن عدوهم ويشاغلهم وهم بإزائهم إلا سُنَّتْ به سنةٌ يؤخذ بها من بعدي [(١٩٩٥)] . وقد قام فيهم سعد بن أبي وقاص بعد هذه الحادثة خطيباً ، فقال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَلِكِ ، وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ خَلْفٌ ، قَالَ اللَّهُ جَل تَنَاوُهُ : { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * } [الأنبياء: ١٠٥] .

إِنَّ هَذَا مِيرَاثِكُمْ ، وَمَوْعُودِ رَبِّكُمْ ، وَقَدْ أَبَاحَهَا لَكُمْ مِنْذُ ثَلَاثِ حُجَجٍ ، فَأَنْتُمْ تَطْعَمُونَ مِنْهَا ، وَتَأْكُلُونَ مِنْهَا ، وَتَقْتُلُونَ أَهْلَهَا ، وَتُحِبُّونَهُمْ ، وَتَسْبُونَهُمْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ بِمَا نَالَ مِنْهُمْ أَصْحَابُ الْأَيَّامِ مِنْكُمْ ، وَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْهُمْ هَذَا الْجَمْعُ ، وَأَنْتُمْ وَجُوهُ الْعَرَبِ ، وَأَعْيَانُهُمْ ، وَخِيَارُ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَعِزٌّ مِنْ وَرَاءِكُمْ ، فَإِنْ تَزْهَدُوا فِي الدُّنْيَا ، وَتَرْغَبُوا فِي الْآخِرَةِ ؛ جَمَعَ اللَّهُ لَكُمْ الدُّنْيَا ، وَالْآخِرَةَ ، وَلَا يَقْرَبُ ذَلِكَ أَحَدًا إِلَى أَجَلِهِ ، وَإِنْ تَفْشَلُوا ، وَتَهْنَأُوا ، وَتَضَعُفُوا ؛ تَذْهَبُ رِيحُكُمْ ، وَتَتَوَبَّقُوا اخْرَجْتُمْ [(١٩٩٦)] .

وكتب سعد إلى الرّايات : إني قد استخلفت فيكم خالد بن عرفطة ، وليس يميني أن أكون مكانه إلا وجعي الذي يعودني وما بي من الحبوب [(١٩٩٧)] ، فإني مكبٌ على وجهي وشخصي لكم بادٍ ، فاسمعوا له ، وأطيعوا ، فَإِنَّهُ إِمَّا يَأْمُرُكُمْ بِأَمْرٍ ، وَيَعْمَلُ بِرَأْيِي ، فَقَرَأَى عَلَى النَّاسِ فزادهم خيراً ، وانتهوا إلى رأيه ، وقبلوا منه ، وتحاثوا على السَّمْعِ ، وَالطَّاعَةِ ، وَأَجْمَعُوا عَلَى عِذْرِ سَعْدِ ، وَالرِّضَا بِمَا صَنَعَ [(١٩٩٨)] ، وقد بقي سعد بن أبي وقاص فوق القصر ، وأصبح مشرفاً على ساحة المعركة ، ولم يكن القصر محصناً ، وهذا يدلُّ على شجاعة سعدٍ رضي الله عنه ، فعن عثمان بن رجاء السَّعدي ، قال : كان سعد بن مالك أجراً النَّاسِ ، وَأَشْجَعَهُمْ ، إِنَّهُ نَزَلَ قَصْرًا غَيْرَ حَصِينٍ بَيْنَ الصَّقِينِ ، فَأَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ وَلَوْ أَعْرَاهُ الصَّفُّ فَوَاقٍ نَاقَةً أَخَذَ بِرَقْمَتِهِ [(١٩٩٩)] ، فوالله ما أكرته هول تلك الأيام ، ولا أقلقه [(٢٠٠٠)] .

. فرع رستم من الأذان :

لما نزل رستم النَّجْفَ بعث منها عيناً إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسيَّة كبعض من ندِّ منهم ، فراهم يستأكون عند كلِّ صلاةٍ ، ثُمَّ يَصَلُّونَ ، فيفتقون إلى موقفهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتَّى سأله : ما طعامهم ؟ فقال : مكثت فيهم ليلة ، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل

شيئاً إلا أن يمصوا عيداناً لهم حين يمسون ، وحين ينامون ، وقبيل أن يصبحوا ، فلما سار فنزل بين الحصن ، والعتيق [(٢٠٠١)] وافقهم وقد أذن مؤذن سعدٍ الغداة ، فراهم يتحششون (يتهيؤون للنهوض) ، فنادى في أهل فارس أن يركبوا ، فقيل له : ولم ؟ قال : أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم ، فتحششوا [(٢٠٠٢)] لكم ، قال عينه ذلك : إنما تحششهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسيّة ، وهذا تفسيره بالعربيّة : أتاني صوت عند الغداة ، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب ، فيعلمهم العقل [(٢٠٠٣)] . فلما عبروا ، توافقوا ، وأذن مؤذن سعد للصلاة يعني : صلاة الظهر ، فصلّى سعد ، وقال رستم : أكل عمر كبدي [(٢٠٠٤)] .

. رفع الرّوح المعنويّة بين أفراد الجيش الإسلاميّ :

جمع سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - وجهاء المسلمين ، وقادته في بداية اليوم الأوّل من المعركة ، وقال لهم : انطلقوا ، فقوموا في النّاس بما يحقّ عليكم ، ويحقّ لهم عند مواطن البأس ، فإنّكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب ، وخطبائهم ، وذوو رأيهم ، ونجدتهم ، وسادتهم ، فسيروا في النّاس ، فذكّروهم ، وحرّضوهم على القتال . فساروا فيهم [(٢٠٠٥)] .

. فقال قيس بن هبيرة الأسديّ: أيّها النّاس احمداوا الله على ما هداكم له ، وأبلاكم ؛ يزدكم ، واذكروا الله ، وارغبوا إليه في عاداته ، فإنّ الجنّة ، أو الغنيمة أمامكم ، وإنّه ليس وراء هذا القصر إلا العراء ، والأرض القفر ، والظّراب الحُشن ، والفلوات التي لا تقطعها الأدلّة .

. وقال غالب بن عبد الله الليثي : أيّها النّاس ! احمداوا الله على ما أبلاكم ، وسلوه ؛ يزدكم ، وادعوه ؛ يجبكم ، يا معشر معدّ ! ما علّتكم اليوم وأنتم في حصونكم - يعني : الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعني : الشّيوّف . ؟ اذكروا حديث النّاس في غدٍ ، فإنّه بكم غداً يُبدأ عنده ، وبمن بعدكم يُثني .

. وقال ابن الهذيل الأسديّ : يا معشر معدّ ! اجعلوا حصونكم الشّيوّف ، وكونوا عليهم كالأسود الأجم ، وتربّدوا لهم تربّد النّمور ، وادّرعوا العجاج ، وثقوا بالله ، وعُضُّوا الأبصار ، فإذا كلّت الشّيوّف ؛ فإنّها مأمورة ، فأرسلوا عليهم الجنادل ، فإنّها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه .

. وقال بُسر أبي رهم الجهنيّ : احمداوا الله ، وصدّقوا قولكم بفعلٍ ، فقد حمدتم الله على ما هداكم له ، ووحدتموه ، ولا إله غيره ، وكبرتموه ، وامنتم بنبيّه ، ورسله ، فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون ، ولا يكوننّ شيءٌ بأهون عليكم من الدّنيا ، فإنّها تأتي منّ تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم ، انصروا الله ينصركم .

. وقال عاصم بن عمرو : يا معاشر العرب ! إنكم أعيان العرب ، وقد صمدتم لأعيان من العجم ، وإنما تخاطرون بالجنة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا يكوننَّ على دنياهم أحوط منكم على اخرتكم ، لا تحدثوا اليوم أمراً تكونون بها شيئاً على العرب غداً .

. وقال ربيع بن البلاد السَّعدي : يا معاشر العرب ! قاتلوا للدِّين ، والدُّنيا { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * } [آل عمران : ١٣٣] . وَإِنَّ عَظَمَ الشَّيْطَانِ عَلَيْكُمْ الْأَمْرَ ؛ فَادْكُرُوا الْأَخْبَارَ عَنْكُمْ بِالْمَوَاسِمِ مَا دَامَ لِلْأَخْبَارِ أَهْلٌ [(٢٠٠٦)] .

. وقال ربيعي بن عامر : إِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ ، وَجَمَعَكُمْ بِهِ ، وَأَرَاكُمْ الزِّيَادَةَ ، وَفِي الصَّبْرِ الرَّاحَةَ ، فَعَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ الصَّبْرَ ؛ تَعْتَادُوهُ ، وَلَا تَعَوِّدُوهَا الْجَزَعَ ؛ فَتَعْتَادُوهُ . وَقَدْ قَامَ كُلُّهُمْ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ، وَتَوَاتَقَ النَّاسُ ، وَتَعَاهَدُوا ، وَاهْتَاجُوا لِكُلِّ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ [(٢٠٠٧)] .

١ . يوم أرمات :

يطلق يوم أرمات على اليوم الأوَّل من أَيَّام القادسيَّة ، وقد وجَّه سعد . رضي الله عنه . بيانه إلى الجيش قائلاً : الزموا مواقفكم ، لا تحركوا شيئاً حتَّى تصلُّوا الظُّهر ، فإذا صليتُم الظُّهر ؛ فإيَّ مَكْبَرٍ تكبيرةً ، فكبروا ، واستعدُّوا ، واعلموا : أَنَّ التَّكْبِيرَ لم يعطه أحدٌ قبلكم ، واعلموا : أمَّا أعطيتموه تأييداً لكم ، ثمَّ إذا سمعتم الثانية ؛ فكبروا ، ولتستتم عدَّتكم ، ثمَّ إذا كبرت ؛ الثالثة فكبروا ، ولينشيط فرسانكم النَّاس ؛ ليزروا ، وليطاردوا ، فإذا كبرت الرَّابعة ؛ فازحفوا جميعاً حتَّى تخالطوا عدوَّكم ، وقولوا : لا حول ، ولا قوة إلا بالله [(٢٠٠٨)] !

ولما صلَّى سعدُ الظُّهر ، أمر الغلام الَّذي كان ألزمه عمر إِيَّاه ، وكان من القراء أن يقرأ سورة الجهاد (يعني : الأنفال) فقرأ على الكتيبة التي تليه سورة الجهاد ، فقرئت في كلِّ كتيبة ، فهشَّت قلوب النَّاس ، وعيونهم ، وعرفوا السَّكينة مع قراءتها [(٢٠٠٩)] ، ولما فرغ القراء ؛ كبر سعد ، فكبر الذين يلونه بتكبيره ، وكبر بعض النَّاس بتكبير بعض ، فتحشش النَّاس (يعني : تحركوا) ثمَّ ثبَّت ، فاستتمَّ النَّاس ، ثمَّ ثلث فبرز أهلُ النَّجدات ، فأنشبو القتال ، وخرج من أهل فارس أمثالهم ، فاعتوروا الطَّعن ، والضَّرب [(٢٠١٠)] .

وكان لأبطال المسلمين من أمثال غالب بن عبد الله الأسدي ، وعاصم بن عمرو التَّميمي ، وعمرو بن معدي كرب الزَّبيدي ، وطليحة بن خويلد الأسدي أثرٌ ظاهرٌ في التَّكايه بالعدوِّ حيث قتلوا ، وأسروا عدداً من أبطالهم ، ولم يقتل من المسلمين أحدٌ فيما ذكر أثناء المبارزة ، والمبارزة فنُّ عسيرٌ من فنون

الحرب ، لا يتقنه إلا الأبطال من الرجال ، وهي ترفع من شأن المنتصرين ، وتزيد من حماسهم ، وتخفض من شأن المنهزمين ، وتحطُّ من معنوياتهم ، والمسلمون الأوائل متفوّقون في هذا الفنِّ على غيرهم دائماً ، ولذلك هم المستفيدون من المبارزة [(٢٠١١)] ، وبينما الناس ينتظرون التَّكْبيرة الرَّابِعة ؛ إذ قام صاحب رجالة بني نهد قيس بن حذيم بن جرثومة ، فقال : يا بني نهد ! انهذوا إنّما سمّيتم نهداً ؛ لتفعلوا : فبعث إليه خالد بن

عرفطة : والله لتكفنّ ، أو لأولّين عمّلك غيرك ! فكفّ [(٢٠١٢)] .

. رستم يأمر جانباً من قوّاته بالهجوم :

ولما رأى رستم تفوّق المسلمين في مجالي المبارزة ، والمطاردة ؛ لم يمهلهم حتّى يكملوا خطّة قائدهم في المزيد من حرب المطاردة ، والمبارزة ، بل أمر جانباً من قوّاته بأن تهجم هجوماً عاماً على جانب جيش المسلمين الذي فيه قبيلة بجيلة ، ومن لفّ معهم ، وكان الهجوم لافتاً للنظر ؛ لأنّ الفرس وجّهوا ما يقرب من نصف الجيش إلى قطاع لا يمثّل إلا نسبةً قليلة من الجيش الإسلاميّ ، وهذا يدلُّ على محاولتهم المستميتة لقطع حرب المبارزة ، والمطاردة التي فشلوا فيها ، وهكذا هجم الفرس على أحد جناحي جيش المسلمين بثلاثة عشر فيلاً ، وكلُّ فيل يصحبه حسب تنظيم جيشهم أربعة الاف مقاتل من المشاة ، والفرسان ، وفترقت الفيلة بين كتائب المسلمين ، وكان الهجوم مركزاً على بُجيلة ومنّ حولهم ، وثبت المشاة من أهل المواقع لهجوم الفرس .

أ . سعد يأمر بني أسد بالذّبِّ عن بجيلة :

أبصر سعد . رضي الله عنه . الموقف الذي وقعت فيه بُجيلة ، فأرسل إلى بني أسد يقول : ذببوا عن بُجيلة ومن لافها من النَّاس ، فخرج طليحة بن خويلد ، وحمّال بن مالك ، وغالب بن عبد الله ، والرّيّيل بن عمرو في كتائبهم ، يقول المعرور بن سويد ، وشقيق : فشدوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ، ويضربونهم حتّى حبسنا الفيلة عنهم ، فأحّرت ، وخرج إلى طليحة عظيمٌ منهم ، فبارزه ، فما لبث طليحة أن قتله ، ولما رأت فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة أسدٍ ؛ رموهم بحدّهم ، وبدر المسلمين الشّدة عليهم ذو الحاجب ، والجالينوس ، وهما قائدان من قادة الفرس ، والمسلمون ينتظرون التَّكْبيرة الرَّابِعة من سعد ، فاجتمعت حلبة فارس على أسدٍ ، ومعهم تلك الفيلة ، وقد ثبتوا لهم ، وقد كَبَّر سعد الرَّابِعة ، فزحف إليهم المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد ، وحملت الفيلة من الميمنة والميسرة على خيول

المسلمين ، فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد ، وتلحُّ فرسانهم على المشاة ؛ ليدفعوا بالخيول ؛ لتقدم على الفيلة .

ب . سعد يطلب من بني تميم حيلة للفيلة :

أرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميمي ، فقال : يا معشر تميم ! أستم أصحاب الإبل والخيول ؟ أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة ؟ قالوا : بلى والله ، ثم نادى في رجالٍ من قومه رماةً ، وآخرين لهم ثقافةٌ . يعني : حذق ، وحركة . فقال لهم : يا معشر الرماة ! ذبوا ركبنا الفيلة عنهم بالنبل ، وقال : يا معشر أهل الثقافة ! استدبروا الفيلة فاقطعوا وضنها . يعني : أحزمتها .

لتسقط توابعها التي تحمل المقاتلين ، وخرج يحميهم ، والرَّحى تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة ، والميسرة غير بعيد ، وأقبل أصحاب عاصم على الفيلة ، فأخذوا بأذنانها وذباذب توابعها . يعني ما يعلق بها . فقطعوا وضنها ، وارتفع عواء الفيلة ، فما بقي لهم يومئذٍ فيلٌ إلا أعري ، وقتل أصحابها ، وتقابل النَّاس ، ونفَس عن أسدٍ ، وردُّوا فارس عنهم إلى مواقعهم ، فاقتتلوا حتى غربت الشمس ، ثم حتى ذهبت هداةٌ من الليل ، ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ، وأصيب من أسد تلك العشيّة خمسمئةٌ ، وكانوا رداءً للنَّاس ، وكان عاصم يُعنى ، وبنو تميم عادية الناس ، وحمائيتهم ، وهذا يومها الأوَّل وهو يوم أرمات [(٢٠١٣)] .

ج . موقف بطولي لطليحة بن خويلد :

كان لأمر سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . تأثيرٌ على بني أسد ، فقد قال طليحة بن خويلد يومئذٍ : يا عشيرتاه ! إنَّ المنوّه باسمه ، الموثوق به ، وإنَّ هذا لو علم أنَّ أحداً أحقُّ بإغاثة هؤلاء منكم ؛ استغاثهم ، ابتدئوهم الشدَّة ، وأقدموا عليهم إقدام اللبوث الحربة ، فإنَّما سميت أسداً ؛ لتفعلوا فعله ، شدُّوا ، ولا تصدُّوا ، وكروا ، ولا نفرُوا ، لله دُرُّ ربيعة أيِّ فري يفرون ، وأي قرن يغنون ! هل يوصل إلى مواقعهم ، فأغنوا عن مواقعكم أغناكم الله ، شدُّوا عليهم باسم الله [(٢٠١٤)] . وقد كان لهذا الكلام مفعولٌ عجيبٌ في نفوس قومه ، حيث تحوَّلوا إلى طاقاتٍ فعَّالة ، وتحمَّلوا وحدهم رحى المعركة إلى أن ساندتهم بنو تميم ، وقدموا في هذا اليوم خمسمئة شهيد [(٢٠١٥)] ، وقد تأثرت القبائل من بطولة بني أسد ، فقال الأشعث بن قيس الكندي : يا معشر كندة ! لله دُرُّ بني أسد أيِّ فري يفرون ، وأيِّ هدِّ يهدُّون عن موقفهم ؟! فتحوَّل موقف كنده من الدِّفاع إلى الهجوم ، فأزالوا مَنْ أمامهم من الجوس ، وردُّوهم إلى الوراء [(٢٠١٦)] .

د . ما قيل من شعر في ذلك اليوم :

قال عمرو بن شأس الأسدي :

لَقَدْ عَلِمْتُ بَنُو أَسَدٍ بَانًا أُولُوا الْأَحْلَامِ إِذْ ذَكَرُوا الْحُلُومَا [(٢٠١٧)] وَإِنَّا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَعْرٍ
وَلَوْ لَمْ نُلْفِهِ [(٢٠١٨)] إِلَّا هَشِيمًا تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مَسَوَّمَاتٍ مَعَ الْأَبْطَالِ
يَعْلُكُنَ الشَّكِيمَا

تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مُجَلَّبَاتٍ تُنْهِنُهُ عَن فَوَارِسِهَا الْخُصُومَا [(٢٠١٩)] بِجَمْعٍ مِثْلِ سَلِيمٍ مُكْفَهَرٍ
تُشَبِّهُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا قُرُومًا [(٢٠٢٠)] بِمِثْلِهِمْ تُلَاقِي يَوْمَ هَيْجٍ إِذَا لَاقَيْتِ
بَأْسًا أَوْ خُصُومًا نَفِينَا فَارِسًا عَمَّا أَرَادَتْ وَكَانَتْ لَا تُحَاوِلُ أَنْ تَرِيْمَا هِ مَسْتَشْفَى الْحَرْبِ :

كان موقع مستشفى الحرب في العذيب حيث تقيم نساء المجاهدين الصَّابرات ، فيتلقَّين الجرحى ، ويتولَّين علاجهم وتمريضهم إلى أن يتمَّ قضاء الله فيهم ، ومع ذلك فإنَّ لهنَّ مهمةً أعجب من ذلك يشترك معهنَّ فيها الصَّبيان ، ألا وهي حفر قبور الشهداء ، ولئن كان تطيب الجرحى ، وتمريضهم من المهَّمات القريبة المنال للنساء ، فإن حفر الأرض من المهَّمات الخشنة ، ولكن الرِّجال كانوا مشغولين بالجهاد ، فلتقم النساء بمهمتهم عند الضَّرورة ، وهنَّ أهلٌ لذلك لما يتَّصفن به من الإيمان ، والصَّبر [(٢٠٢١)] ، وقد تمَّ نقل الشهداء إلى وادي مَشْرِفٍ بين العذيب وعين الشَّمس في جانبه جميعاً [(٢٠٢٢)] ، وكان التَّحاجز بين المسلمين وأعدائهم تلك الليلة فرصةً لزيارة بعض المجاهدين لأهلهم في العذيب [(٢٠٢٣)] .

و . الخنساء بنت عمرو تحرض بنيتها على القتال ليلة الهدأة :

في مضارب نساء المسلمين بالعذيب جلست الخنساء بنت عمرو شاعرة بني سليم المخضرمة ، ومعها بنوها ، أربعة رجالٍ تعظهم ، وتحرضهم على القتال ، فقالت : إِنَّكُمْ أَسَلِمْتُمْ طَائِعِينَ ، وَهَاجَرْتُمْ مَخْتَارِينَ ، وَقَدْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي حَرْبِ الْكَافِرِينَ ، وَاعْلَمُوا : أَنَّ الدَّارَ الْبَاقِيَةَ خَيْرٌ مِنَ الدَّارِ الْفَانِيَةِ ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } * [آل عمران : ٢٠٠] . فَإِنْ أَصْبَحْتُمْ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ سَالِمِينَ ، فَاغْدُوا إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ مُسْتَبْصِرِينَ ، وَبِاللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِ مُسْتَنْصِرِينَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ الْحَرْبَ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا ، وَاضْطَرَمَتْ لَطَى عَلَى سَاقِهَا ، وَحَلَلَتْ . تَفَجَّرَتْ . نَارٌ عَلَى أَرْوَاقِهَا . جَوَانِبُهَا . فَتِيَّمُوا وَطَيْسَهَا . وَسَطَهَا . وَجَالَدُوا

رئيسها عند احتدام خميسها . جيشها . تظفروا بالغنم ، والكرامة في دار الخلد والمقامة . فخرج بنوها قابلين لئصحها ، عازمين على قولها ، فلما أضاء الصُّبح ؛ باكروا مراكزهم [(٢٠٢٤)] .

ز . امرأة من النَّخع تشجع بنيتها على القتال :

كانت امرأة من النَّخع لها بنون أربعة شهدوا القتال ذلك اليوم ، فلما بدأ الصباح ينبلع ؛ قالت لهم : إِنَّكُمْ أَسَلِمْتُمْ فَلَمْ تَبَدِّلُوا ، وهاجرتم فلم تَتَرَبَّوْا [(٢٠٢٥)] ، ولم تُنَبِّ [(٢٠٢٦)] بكم البلاد تفحملكم السنة [(٢٠٢٧)] ، ثمَّ جئتم بأممكم عجوز كبيرة ، فوضعتموها بين يدي أهل فارس ، والله إِنَّكُمْ لَبَنُو رَجُلٍ وَاحِدٍ! كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ، انطلقوا ، فاشهدوا أوَّل القتال ، واخره . فانصرفوا عنها مسرعين يشتدون ، فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السَّماء وهي تقول : اللَّهُمَّ ادفع عن بني ! فرجعوا إليها بعد ذلك ، وقد أحسنوا القتال ما جرح منهم رجلٌ جرحاً [(٢٠٢٨)] .

فهذا حال بعض النساء العجائز في اليوم الأول من القادسيّة .

٢ . يوم أغواث :

كان يوم أغواث هو اليوم الثاني من أيام القادسيّة ، وفي ليلة هذا اليوم قدمت طليعة جيش الشَّام يقودهم القعقاع بن عمرو التَّميمي ، وقد كان أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . قد أمر أمير الشام أبا عبيدة بإعادة جيش خالد بن الوليد إلى العراق مدداً للمسلمين في القادسية ، فأعادهم ، وأبقى خالداً عنده لحاجته إليه ، وولّى على هذا الجيش هاشم بن عتبة بن أبي وقَّاص ابن أخي سعدٍ ، وكان هذا الجيش تسعة الاف حين قدم من العراق إلى الشَّام بقيادة خالد بن الوليد ، وعاد منهم إلى العراق ستة الاف ، وقد ولى هاشم بن عتبة القعقاع بن عمرو على المقدِّمة ، وعددهم ألف مجاهد [(٢٠٢٩)] .

أ . مواقف بطوليّة للقعقاع بن عمرو :

أسرع القعقاع بمقدِّمته حتّى قدم بهم على جيش القادسيّة صبيحة يوم أغواث ، وكان أثناء قدومه قد فكَّر بعملٍ يرفع به من معنويّة المسلمين ، فقسم جيشه إلى مئة قسمٍ ، كلُّ قسمٍ مكون من عشرة ، وأمرهم بأن يقدموا تبعاً كلّما غاب منهم عشرة عن مدى إدراك البصر ؛ سرحوا خلفهم عشرة ، قدم هو في العشرة الأوائل ، وصاروا يقدمون تبعاً ، كلّما سرح القعقاع بصره في الأفق ، فأبصر طائفةً منهم كبرّ ، فكبرّ المسلمون ، ونشطوا في قتال أعدائهم ، وهذه خطّة

حربيّة ناجحة لرفع معنوية المقاتلين ، فإنّ وصول ألفٍ لا يعني مدداً كبيراً لجيش يبلغ ثلاثين ألفاً ، ولكن هذا الابتكار الذي هدى الله القعقاع إليه قد عوّض نقص هذا المدد بما قوّى به عزيمة المسلمين ، وقد بشرهم بقدم الجنود بقوله : يا أيّها النّاس إيّي قد جئتم في قوم ، والله إن لو كانوا بمكانكم ثمّ أحسّوكم ؛ حسدوكم حُظوتها ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع ، فتقدّم ، ثمّ نادى : من يبارز ؟ فقالوا فيه بقول أبي بكرٍ : لا يهزم جيش فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه ، فخرج إليه ذو الحاجب [(٢٠٣٠)] ، فقال له القعقاع : من أنت [(٢٠٣١)] ؟ فقال : أنا بهمن جاذويه . وهنا تذكّر القعقاع مصيبة المسلمين الكبرى يوم الجسر على يد هذا القائد ، فأخذته حميّه الإسلاميّة ، فنادى ، وقال : يا لثارات أبي عبيد ، وسليط ، وأصحاب الجسر ! ولا بدّ : أنّ هذا القائد الفارسي بالرغم ممّا اشتهر به من الشّجاعة قد انخلع قلبه من هذا النّداء ، فلقد قال أبو بكرٍ . رضي الله عنه . عن القعقاع : لصوت القعقاع في الجيش خيرٌ من ألف رجلٍ [(٢٠٣٢)] ، فكيف سيثبت له رجلٌ مهما كان في الشّجاعة ، وثبات القلب ؟ ولذلك لم يمهل القعقاع أن أوقعه أمام جنده قتيلاً ، فكان لقتله بهذه الصّورة أثرٌ كبير في زعزعة الفرس ، ورفع معنوية المسلمين ؛ لأنّه كان قائداً لعشرين ألف مقاتل من الفرس . ثمّ نادى القعقاع مرّة أخرى من يبارز ؟ فخرج إليه رجلان أحدهم البيزان ، والآخر البندوان ، فانضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان بن الحارث أخو بني تيم اللّات ، فبارز القعقاع بيززان [(٢٠٣٣)] ، فقتله القعقاع ، وبارز ابن ظبيان بندوان وهو من أبطال الفرس فقلته ابن ظبيان . وهكذا قضى القعقاع ، في أول النّهار على قائدين من قادة الفرس الخمسة ، ولا شكّ : أنّ ذلك أوقع الفرس في الحيرة ، والاضطراب ، وساهم ذلك في تدمير معنويات أفراد الجيش الفارسي ، والتحم الفُرسان من الفريقين ، وجعل القعقاع يقول : يا معشر المسلمين ! باشروهم بالسُّيوف فإنّه يحصد بها ، فتواصى النّاس بها ، وأسرعوا إليهم بذلك ، فاجتلدوا بها حتى المساء ، وذكر الرّواة : أنّ القعقاع حمل يومئذٍ ثلاثين حملة ، كلّما طلعت قطعةٌ ؛ حمل حملةً ، وأصاب فيها ، وجعل يقول :

أُزْعِجُهُمْ عَمْدًا بِهَا إِرْعَاجًا أَطْعُنُ طَعْنًا صَائِبًا تُجَاجَا أَرْجُو بِهِ مِنْ جَنَّةِ أَفْوَاجَا وَكَانَ آخِرُ

من قتل بزرجمهر الهمداني وقال في ذلك القعقاع :

حَبَوْتُهُ جَيَاشَةً بِالنَّفْسِ هَدَارَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمِ أَعْوَاتِ قَلِيلِ الْفُرسِ أَنْحُسُ

في القَوْمِ أَشَدَّ النَّحْسِ حَتَّى تَفِيضَ مَعْشَرِي وَنَفْسِي ب . علباء بن جحش العجليّ .. انتشرت أمعاؤه في المعركة :

وبرز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى : مَنْ يبارز ؟ فخرج له علباء بن جحش العجلي ، فنفحه [(٢٠٣٤)] علباء في صدره وشق رثته ، ونفحه الآخر فأصابه في بطنه وانتشرت أمعاؤه ، وسقطا معاً إلى الأرض ، أمّا المجوسي ؛ فمات من ساعته ، وأمّا علباء فلم يستطع القيام ، وحاول أن يعيد أمعاؤه إلى مكانها ، فلم يتأت له ، ومرّ به رجلٌ من المسلمين ، فقال له علباء : يا هذا ! أعني على بطني ، فأدخل له أمعاؤه فأخذ بصفاقيه ، ثمّ زحف نحو صفّ العجم دون أن يتلقّت إلى المسلمين ورائه ، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعاً من مصرعه ، وهو يقول :

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبِّنا ثَوَاباً قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ أَحْسَنَ الضَّرَابِ جِ الأعراف بن الأعلم العقيلي :

خرج رجلٌ من أهل فارس ينادي : من يبارز ؟ فبرز له الأعراف بن الأعلم العقيلي ، فقتله ، ثمّ برز له آخر ، فقتله ، وأحاطت به فوارس منهم ، فصرعوه ، وندر سلاحه عنه ، فأخذوه ، فغبرّ في وجوههم بالثراب حتّى رجع إلى أصحابه [(٢٠٣٥)] .

د . مواقف فدائية لأبناء الخنساء الأربعة :

كان لأبناء الخنساء الأربعة مواقف فدائية في ذلك اليوم ، قد اندفعوا إلى القتال بحماسٍ ، وقال كل واحدٍ منهم شعراً حماسياً يقوّي به نفسه ، وإخوانه ، فقال أولهم :

يَا إِخْوَتِي إِنَّ الْعَجُوزَ النَّاصِحَةَ قَدْ نَصَحْتَنَا إِذْ دَعَتْنَا الْبَارِحَهُمْ قَالَةَ ذَاتَ بَيَانٍ وَاضِحَةَ

فَبَاكِرُوا الْحَرْبَ الضَّرُوسَ الْكَالِحَهُوَأَيُّهَا تَلْقَوْنَ عِنْدَ الصَّائِحَةَ مِنْ آلِ سَاسَانَ
الْكِلَابَ النَّاجِحَهُ قَدْ أَيُّنُوا مِنْكُمْ بِوَقَعِ الْجَائِحَةَ وَأَنْتُمْ بَيْنَ حَيَاةٍ وَحَيَاةٍ صَالِحَةٍ وَتَقَدَّمَ ، فقاتل حتّى قُتل . فحمل الثاني وهو يقول :

إِنَّ الْعَجُوزَ ذَاتَ حَزْمٍ وَجَلَدٍ وَالنَّظَرَ الْأَوْفِقَ وَالرَّأْيَ السَّدَدَ قَدْ أَمَرْتَنَا بِالسَّدَادِ وَالرَّشْدِ

نَصِيحَةَ مِنْهَا وَبِرّاً بِالْوَلَدِ فَبَاكِرُوا الْحَرْبَ حُمَاءَ فِي الْعَدَدِ إِمَّا لِقَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبِدِ أَوْ
مَيْتَةٍ تُورِثُكُمْ عَزَّ الْأَبَدِ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرَّعْدِ وَقَاتِلْ حَتَّى اسْتَشْهَدَ . وحمل الثالث وهو يقول :

وَاللَّهِ لَا نَعْصِي الْعَجُوزَ حَرْفًا قَدْ أَمَرْتَنَا حَدَباً وَعَطْفَانُصْحاً وَبِرّاً صَادِقاً وَلُطْفًا فَبَادِرُوا

الْحَرْبَ الضَّرُوسَ رَحْفًا حَتَّى تَلْقُوا آلَ كِسْرَى لَقَا أَوْ يَكْشِفُوكُمْ عَنْ جَمَاكُمْ كَشْفَانًا نَرَى التَّقْصِيرَ
عَنْكُمْ ضَعْفًا وَالْقَتْلَ فَيَنْكُمُ نَجْدَةً وَزُلْفَى وَقَاتِلْ حَتَّى اسْتَشْهَدَ . وحمل الرابع وهو يقول :

لَسْتُ لِحَنَسَاءَ وَلَا لِلْأَحْرَمِ وَلَا لِعَمْرٍو ذِي السَّنَاءِ الْأَقْدَمِإِنْ لَمْ أَرِدْ فِي الْجَيْشِ جَيْشِ الْأَعْجَمِ
مَاضٍ عَلَى الْهَوْلِ خِضَمٍّ خَضْرُمًاإِمَّا لِفَوْزٍ عَاجِلٍ وَمَعْنَمٍ أَوْ لِفَوَاقَةٍ فِي السَّبِيلِ
الْأَكْرَمِ فَقَاتَلَ حَتَّى اسْتَشْهَدَ [(٢٠٣٦)] ، وبلغ الخنساء خبر بنيتها الأربعة ، فقالت : الحمد لله الذي
شَرَّفَنِي بِقَتْلِهِمْ ، وَأَرْجُو مِنْ رَبِّي أَنْ يَجْمَعَنِي بِهِمْ فِي مَسْتَقَرِّ رَحْمَتِهِ [(٢٠٣٧)] !
هـ مكيدة قعقاعية بالغة التأثير على الفرس :

في هذا اليوم يوم أغواث قام القعقاع بن عمرو وبنو عمه من تميم بمكيدة قعقاعية بالغة التأثير على
الفرس ، وذلك : أَنَّهُ لَمَّا عَلِمَ بِمَا فَعَلْتَهُ الْفَيْلَةُ بِخَيْوَلِ الْمُسْلِمِينَ قَامَ هُوَ وَقَوْمُهُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى بِتَهْيِئَةِ
الْإِبِلِ لِتَظْهَرُ فِي مَظْهَرٍ مَخِيفٍ يُنْقِرُ الْخَيْوَلِ ، فَالْبَسُوها ، وَجَلَّلُوها ، وَوَضَعُوا لَهَا الْبِرَاقِعَ فِي وَجُوهِها ،
وَحَمَلُوا عَلَيْها الْمَشَاةَ ، وَأَحَاطُوا بِالْخَيْوَلِ لِحَمَايَتِها ، وَهَجَمُوا بِها عَلَى خَيْوَلِ الْفَرَسِ ، فَفَعَلُوا بِهِمْ يَوْمَ
أَغَوَاثَ كَمَا فَعَلُوا بِالْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أَرْمَاثَ ، فَجَعَلَتْ تِلْكَ الْإِبِلُ لَا تَصْمَدُ لِقَلِيلٍ ، وَلَا لِكَثِيرٍ إِلَّا نَفَرَتْ بِهِمْ
خَيْلُهُمْ ، وَرَكِبْتُهُمْ خَيْوَلُ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ النَّاسُ اسْتَنُّوا بِهِمْ ، فَلَقِيَ الْفَرَسُ مِنَ الْإِبِلِ يَوْمَ
أَغَوَاثَ أَعْظَمَ مِمَّا لَقِيَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْفَيْلَةِ يَوْمَ أَرْمَاثَ [(٢٠٣٨)] .

وهكذا نجد أنَّ المسلمين الأوائل يتفوقون على أعدائهم في الابتكار الحربي ، فالفرس أنهكوا المسلمين في
اليوم الأول بسبب استخدام الفيلة ، وما دام المسلمون لا يملكون الفيلة ؛ فليخترعوا مما يملكون من
الإبل ما يكيدون به الأعداء ، فكانت هذه الحيلة الحربية الممتازة التي أخافت خيول الأعداء ، فنفرت
بمن عليها من الفرسان ، وهكذا يجب أن يكون المسلمون متفوقين في مجال الإعداد المادي بعد تفوقهم
في الإعداد الروحي .

و . أبو محجن الثقفي في قلب المعركة :

استمرَّ القتال يوم أغواث إلى منتصف الليل ، وسميت تلك الليلة ليلة السواد ، ثم وقف القتال بعد أن
تجاز الفريقان ، وكان لوقف القتال منفعة كبيرة للمسلمين ، حيث كانوا ينقلون شهداءهم إلى مقرّ
دفنهم في وادي مُشَرِّقٍ ، وينقلون الجرحى إلى العُدَيْبِ حيث تقوم النساء بتريضهم ، ولقد شارك في
القتال في هذه الليلة لأوّل مرّة أبو محجن الثقفي [(٢٠٣٩)] ، وكان أبو محجن قد حُبس وقُيد ، فهو
في القصر ، فصعد حين أمسى إلى سعدٍ يستعفيه ، ويستقبله ، فزبره ، وردّه ، فنزل ، فأتى سلمى بنت
حَصَفَةَ ، فقال : يا سلمى ! يا بنت ال حَصَفَةَ ! هل لك إلى خير ؟ قالت : وما ذاك ؟ قال : تخلّين

عَيِّي ، وتُعيريني البلقاء ، فله عليَّ إن سلَّمني الله ؛ أن أرجع إليك حتَّى أضع رجلي في قَيْدي . فقالت : وما أنا وذاك ! فرجع يرسف في قيوده ، ويقول :

كَمْي حَزَنًا أَنْ تَرْدِي الْخَيْلُ بِالْقَنَا [(٢٠٤٠)] وَأُتْرِكَ مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيًا إِذَا قُمْتُ عَنَّا

الحديد ، وأُغْلِقْتُ مَصَارِعَ دُونِي قَدْ تُصِمُّ الْمِنَادِيَا وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةَ

فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أَخَا لِيَا وَاللَّهِ عَهْدٌ لَا أَخِيْسُ بِعَهْدِهِ لَئِنْ فُرِجَتْ أَلَا أَزُورَ الْحَوَانِيَا

فقالت سلمى : إني استخرت الله ، ورضيت بعهدك ، فأطلقته ، وقالت : أمَّا الفرس ؛ فلا أعيرها ،

وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِهَا ، فَاقْتَادَهَا ، فَأَخْرَجَهَا مِنْ بَابِ الْقَصْرِ الَّذِي يَلِي الْخَنْدَقَ فَرَكَبَهَا ، ثُمَّ دَبَّ عَلَيْهَا ،

حَتَّى إِذَا كَانَ بِحِيَالِ الْمِيْمَنَةِ كَبَّرَ ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَيْسِرَةِ الْقَوْمِ يَلْعَبُ بِرِمْحِهِ ، وَسِلَاحَهُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ ، فَقَالُوا

: بِسَرَجِهَا ، وَقَالَ سَعِيدٌ ، وَالْقَاسِمُ : عُرْيَا ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ خَلْفِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَيْسِرَةِ فَكَبَّرَ ، وَحَمَلَ عَلَى

مَيْمَنَةِ الْقَوْمِ يَلْعَبُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ بِرِمْحِهِ وَسِلَاحِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ مِنْ خَلْفِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْقَلْبِ ، فَنَذَرَ أَمَامَ

النَّاسِ ، فَحَمَلَ عَلَى الْقَوْمِ يَلْعَبُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ بِرِمْحِهِ ، وَسِلَاحِهِ ، وَكَانَ يَقِصِفُ النَّاسَ لِيَلْتَمِذَ قِصْفًا مَنكَرًا

، وَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْهُ ، وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ وَلَمْ

يُرَوْهُ مِنَ النَّهَارِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَوَائِلُ أَصْحَابِ هَاشِمٍ أَوْ هَاشِمِ نَفْسِهِ ، وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ وَهُوَ

مَشْرَفٌ عَلَى النَّاسِ مُكَبِّبٌ مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ : وَاللَّهِ لَوْلَا مَحْبَسُ أَبِي مَحْجَنٍ ؛ لَقُلْتُ : هَذَا أَبُو مَحْجَنٍ ،

وَهَذِهِ الْبَلْقَاءُ ، وَتَعَدَّدَتِ الْأَقْوَالُ ، فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ حَاجَزَ أَهْلُ فَارِسَ ، وَتَرَاجَعَ الْمُسْلِمُونَ ، وَأَقْبَلَ أَبُو

مَحْجَنٍ حَتَّى دَخَلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ ، وَأَعَادَ رِجْلَيْهِ فِي قَيْدِيهِ ، وَقَالَ :

لَقَدْ عَلِمْتُ تَقِيْفُ عَيْرٍ فَخْرٍ بَأَنَّا نَحْنُ أَكْرَمُهُمْ سِيُوفًا وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَابِغَاتٍ

وَأَصْبَرَهُمْ إِذَا كَرِهُوا الْوُفُوفًا وَأَنَا وَفْدُهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ فَإِنْ عَمِيُوا فَسَلِّ بِهِمُ عَرِيْفًا وَائِلَةَ قَادِسٍ

لَمْ يَشْعُرُوا بِي وَلَمْ أَشْعُرْ بِمَخْرَجِي الزُّخُوفًا فَإِنْ أَحْبَسَ فَذَلِكُمْ بَلَائِي وَإِنْ أَتْرَكَ

أَذِيْقُهُمُ الْخُتُوفًا فَقَالَتْ لَهُ سَلْمَى : يَا أَبَا مَحْجَنٍ ! فِي أَيِّ شَيْءٍ حَبَسَكَ هَذَا الرَّجُلُ ؟ قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ مَا

حَبَسَنِي بِحَرَامٍ أَكَلْتَهُ ، وَلَا شَرِبْتَهُ ! وَلَكِنِّي كُنْتُ صَاحِبَ شَرَابٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَنَا امْرُؤٌ شَاعِرٌ يَدْبُ

الشَّعْرَ عَلَى لِسَانِي ، يَبِيعْتُهُ عَلَى شَفْطِي أَحْيَانًا ، فَيَسَاءَ لَذَلِكَ ثَنَائِي ، وَلِذَلِكَ حَبَسَنِي ، قُلْتُ :

إِذَا مِتُّ فَادْفِنِي إِلَى أَصْلِ كَرْمَةٍ تُرَوِّي عِظَامِي بَعْدَ مَوْتِي عُرُوفَهَا وَلَا تَدْفِنِي بِالْفَلَاةِ فَإِنِّي

أَخَافُ إِذَا مَا مِتُّ أَلَا أَذُوقَهَا وَتُرَوِّي بِخَمْرِ الْحِصِّ لِحْدِي فَإِنِّي أَسِيرُ لَهَا مِنْ بَعْدِ مَا

قَدْ أَسُوقَهَا فَلَمَّا أَصْبَحَتْ سَلْمَى أَخْبَرَتْ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ خَبَرِهَا ، وَخَبَرَ أَبِي مَحْجَنٍ ، فَدَعَا بِهِ ،

فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيءٍ تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم لا أجيب لساني إلى صفة قبيحٍ أبدأً [(٢٠٤١)] .

ز . خطة قعقاعية في النصف الأخير من ليلة السواد :

من أبرز ما جرى من نصف ليلة السواد الأخير : أن القعقاع بن عمرو اغتتم الفرصة في التخطيط لخطة يرفع بها من معنويات المسلمين في يومهم القادم ، فلقد أمر أتباعه بأن يتسللوا سرّاً ثمّ يقدمون في النهار تباعاً على فرقي ، كل فرقة مئة مقاتل ، وقال لهم : إذا طلعت لكم الشمس ؛ فأقبلوا مئة مئة ، كلما توارى عنكم مئة ؛ فليتبعتها مئة ، فإن جاء هاشم فذاك ، وإلا جدّتم للناس رجاءً وجداً ، فلما ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل ، وطلعت نواصيها كبر ، وكبرّ الناس ، وقالوا : جاء المدد ، وقد تأسّى به أخوه عاصم بن عمرو ، فأمر قومه أن يصنعوا مثل ذلك ، فأقبلوا من جهة (خفان) ، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم

هاشم بن عتبة في سبعمئة من جيش الشام ، فأخبروه برأي القعقاع ، وما صنع في يوميه ، فعبّ أصحابه سبعين سبعين ، فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه [(٢٠٤٢)] .

وهنا يلاحظ الباحث تواضع هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، فلقد قبل الأخذ بالرأي الأمثل في التخطيط الحربي ، فصنع بتفريق جيشه كما صنع القعقاع بن عمرو ، ولم يمنعه اعتبار النفس ، والمنصب من أن يأخذ برأي قائدٍ من قوّاده ، بل كان رجلاً من الرجال الذين تحرّجوا في مدرسة التربية النبوية ، فأصبحوا يُلغون ذواتهم ومصالحهم الخاصة في سبيل مصلحة الإسلام ، ومصلحة المسلمين العامة ، وهذا من أهم أسباب نجاحهم في إقامة الدولة الإسلامية الكبرى ، والقضاء على قوى العالم انذاك [(٢٠٤٣)] .

٣ . يوم عمّاس :

هذا اليوم الثالث ، يوم عمّاس ، فقد قدّم الفرس فيه فيلتهم بتخطيطٍ جديدٍ تلافوا به ما كان في اليوم الأوّل من قطع حبالهم ، فجعلوا مع كل فيل رجلاً يحمونه ، ومع الرجال فرساناً يحمونهم ، وظلّ المسلمون يقاتلون الفيلة ومن فوقها وحوها ، ولقوا منها عنتاً شديداً ، ولما رأى سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . ما يلاقي المسلمون منها أرسل إلى مسلمي الفرس الذين كانوا مع جيش المسلمين سألهم عن الفيلة : هل لها مقاتل ؟ فقالوا : نعم المشافر ، والعيون ، لا ينتفع بها بعدها ، فأرسل إلى القعقاع وعاصم بني عمرو ، وقال لهما : اكفياي الفيل الأبيض ، وكانت كلّها الفة له ، وكان بإزائهما ، وأرسل

إلى حمّال بن مالك ، والرّيبيل بن عمرو الأسديين ، فقال : اكفياني الفيل الأجر ، وكانت الفة له كلّها ، وكان بإزائهما ، فأخذ القعقاع ، وعاصم رعيهما ودبّا إليه في كتيبة من الفرسان والرّجال ، فقلا لمن معهما : اكنفوه لتحيرّوه ، فأصبح الفيل ينظر يمنة ويسرة متحيراً ممّن حوله ، ودنا منه القعقاع ، وعاصم فحملا عليه وهو متشاغلٌ بمن حوله فوضعا رعيهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، ونفض رأسه فطرح سائسه ، ودلّى مشفره ، فنفحه القعقاع بسيفه فرمى به ، ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه . وحمل حمّال بن مالك وقال للرّيبيل بن عمرو : اختر إمّا أن تضرب المشفر ، وأطعن في عينه ، أو تطعن في عينه وأضرب مشفره ، فاختر الضرب ، فحمل عليه حمّال ، وهو متشاغلٌ بملاحظة من اكتنفته لا يخاف سائسه إلا على بطانه ، وذلك لأنّ المسلمين قطعوا ذلك منها في اليوم الأوّل ، فانفرد به أولئك ، فطعنه حمّال في عينه ، فألقى على خلفه ، ثمّ استوى ، ونفحه الرّيبيل بن عمرو ، فأبان مشفره ، وبصّر به سائسه ، فضرب جبينه ، وأنفه بحديدة كانت معه ، وأفلت منها الرّيبيل وحمّال وصاح الفيلان صياح الخنزير ، وكانت الفيلة تابعةً لهما ، فرجعت

على الفرس ، ورجعت معها الفيلة تطأ جيش الفرس حتّى قطعت نهر العتيق ، وولّت نحو المدائن ، وهلك من كان عليها [(٢٠٤٤)] .

ولما خلا الميدان من الفيلة ؛ زحف النّاس بعضهم على بعض ، واشتدّ القتال بينهم ، وكان لدى الفرس جيشٌ احتياطيٌّ من أهل النّجدات ، والبأس ، فكلّموا وقع خللٌ في جيشهم ؛ أبلغوا (يزدجرد) فأرسل لهم من هؤلاء . وقد انتهى ذلك اليوم والمسلمون وأعداؤهم على السّواء [(٢٠٤٥)] .
أ . بطولة عمرو بن معدي كرب :

قال عمرو بن معدي كرب : إني حاملٌ على الفيل وممّن حوله . لفيل بإزائهم . فلا تدعوني أكثر من جزر جزورٍ (يعني : نحر النّاقة) فإن تأخّرتم عني ؛ فقدتم أبا ثور ، فأنتي لكم مثل أبي ثور ، فإن أدركتموني ؛ وجدتموني وفي يدي السّيف . فحمل ، فما اثنتي حتّى ضرب فيهم ، وستره الغبار ، فقال أصحابه : ما تنظرون ؟ ما أنتم بخلقاء أن تدركوه ، وإن فقدتموه ؛ فقد المسلمون فارسهم ، فحملوا حملةً فأفرج المشركون عنه بعدما صرعوه ، وطعنوه ، وإنّ سيفه لفي يده يضاربهم ، وقد طعن فرسه ، فلمّا رأى أصحابه ، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرسٍ من أهل فارس ، فحرّكه الفارسي ، فاضطرب الفرس ، فالتفت الفارسي إلى عمرو ، فهمّ به ، وأبصره المسلمون ، فغشوه ، فنزل عنه الفارسي ، وحاضر . يعني أسرع إلى أصحابه . فقال عمرو : أمكنوني من لجامه ، فأمكنوه منه ، فركبه [(٢٠٤٦)] .

ب . طليحة بن خويلد الأسدي :

استمرَّ القتال في اليوم الثالث إلى الليل ، ثمَّ حجز بينهم صوت طليحة بن خويلد الأسدي ، وكان قد التفَّ وراء جيش الفرس ، ففرع لذلك الفرس ، وتعجَّب المسلمون ، فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك ، وكان سعد . رضي الله عنه . قد بعثه مع أناسٍ لحراسة مكانٍ يحتمل منه الخطر على المسلمين ، فتجاوز مهمَّته ، ودار من خلف الفرس ، وكبَّر ثلاث تكبيراتٍ [(٢٠٤٧)] ، ولقد أفادت حركته هذه ، حيث توقَّفت الحرب ، وكان هناك فرصةٌ لإعادة الصُّفوف ، والاستعداد لقتال الليل .

ج . قيس بن المكشوح :

لما قدم من الشام مع هاشم بن عتبة ؛ قام فيمن يليه ، فقال لهم : يا معاشر العرب ! إنَّ الله قد منَّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمَّد (ص) ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً ، دعوتكم واحدةً ، وأمركم واحدٌ ، بعد إذ أنتم يعدُّو بعضهم على بعضٍ عدُّو الأسد ، ويختطف بعضهم بعضاً اختطاف الذئب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجزوا من الله فتح فارس ، فإنَّ إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام ، وانتشال [(٢٠٤٨)] القصور الحمر ، والحصون الحمر [(٢٠٤٩)] .

د . ما قيل من شعر في ذلك اليوم :

قال القعقاع بن عمرو :

حَضَّضَ قَوْمِي مَضْرَحِيُّ بْنُ يَعْمُرٍ فَلِلَّهِ قَوْمِي حِينَ هَزُّوا الْعَوَالِيَا وَمَا حَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ
جُمُوعُنَا لِأَهْلِ قُدَيْسٍ يَمْنَعُونَ الْمَوَالِيَا فَإِنْ كُنْتُ قَاتَلْتُ الْعَدُوَّ فَلَلْتُهُ فَإِنِّي لِأَلْقَى فِي
الْحُرُوبِ الدَّوَاهِيَا فَيُولَا أَرَاهَا كَالْبُيُوتِ مُغَيَّرَةً أُسْمِلُ أَعْيَانًا هَا وَمَاقِيَا [(٢٠٥٠)] وقال آخر :
أَنَا ابْنُ حَرْبٍ وَمَعِي مِخْرَاقِي أَضْرِبُهُمْ بِصَارِمٍ رَقْرَاقٍ إِذْ كَرِهَ الْمَوْتَ أَبُو إِسْحَاقِ
وَجَاشَتْ النَّفْسُ عَلَى التَّرَاقِي هـ ليلة الهرير :

بدأ القتال ليلة الهرير في اليوم الرَّابِع ، وقد غيَّر الفرس هذه الليلة طريقتهم في القتال ، فقد أدرك رستم : أنَّ جيشه لا يصل إلى مستوى فرسان المسلمين في المطاردة ، ولا يقاربهم ، فعزم على أن يكون القتال زحفاً بجميع الجيش حتى يتفادى الانتكاسات السابقة التي تسببت في تحطيم معنويات جيشه ، فلم يخرج أحدٌ من الفرس للمبارزة ، والمطاردة بعدما انبعث لذلك أبطال المسلمين ، وجعل رستم جيشه ثلاثة عشر صفّاً في القلب ، والمجبتين ، وبدأ القعقاع بن عمرو القتال ، وتبعه أهل النَّجدة ، والشَّجاعة قبل أن يكبِّر سعد ، فسمح لهم بذلك ، واستغفر لهم ، فلمَّا كبر ثلاثاً ؛ زحف القادة ، وسائر الجيش ،

وكانوا ثلاثة صفوف صفّاً فيه الرُّمّة ، وصفّاً فيه الفرسان ، وصفّاً فيه المشاة ، وكان القتال في تلك اللّيلة عنيفاً ، وقد اجتلدوا من أوّل الليل حتّى الصّباح لا ينطقون ، كلامهم الهرير ، فسَمّيت ليلة الهرير ، وقد أوصى المسلمون بعضهم بعضاً على بذل الجهد في القتال ؛ لما يتوقَّعون من عنف الصِّراع ، وممّا روي من الأقوال في ذلك [(٢٠٥١)] ما قاله كلٌّ من :

دريد بن كعب النّخعي ، قال لقومه : إنّ المسلمين تهيؤوا للمزاحفة ، فاسبقوا المسلمين اللّيلة إلى الله ، والجهد ، فإنّه لا يسبق اللّيلة أحدٌ إلا كان ثوابه على قدر سبقه ، نافسوه في الشّهادة ، وطيبوا بالموت نفساً ، فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة ، وإلا فالآخرة ما أردتم .
وقال الأشعث بن قيس : يا معشر العرب ! إنّه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجراً على الموت ، ولا أسخى أنفساً عن الدُّنيا ، تنافسوا الأزواج ، والأولاد ، ولا تجزعوا من القتل ، فإنّه أمان الكرام ، ومنايا الشُّهداء [(٢٠٥٢)] .

وكان بإزاء قبيلة (جُعى) ليلة الهرير كتيبة من كتائب العجم عليهم السِّلّاح التّامُّ ، فازدلفوا لهم ، فجالدوهم بالسُّيوف ، فرأوا : أنّ السُّيوف لا تعمل مع الحديد ، فارتدعوا ، فقال لهم حميضة بن النُّعمان البارقى : ما لكم ؟ قالوا : لا يجوز فيهم السِّلّاح ، قال : كما أنتم حتّى أريكم ، انظروا ، فحمل على رجلٍ منهم ، فاستدار خلفه ، فدقّ ظهره بالرُّمح ، ثمّ التفت إلى أصحابه ، فقال : ما أراهم إلا يموتون دونكم ! فحملوا عليهم ، وأزالوهم إلى صقّهم [(٢٠٥٣)] .

وكان بإزاء قبيلة كندة ، تُرك الطّبري (أحد قادة الفرس) فقال الأشعث بن قيس الكندي : يا قوم ! ازحفوا لهم ، فزحف لهم في سبعمئةٍ فأزاهم ، وقتل قائدهم تُرك ، وكان القتال في تلك اللّيلة شديداً متواصلاً ، وقام زعماء القبائل يحنّون قبائلهم على الثّبات والصّبر ، وممّا بيّن عنف القتال في تلك اللّيلة ، ما أخرجه الطّبري عن أنس بن الحليس قال : شهدت ليلة الهرير ، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتّى الصّباح ، أفرغ عليهم الصّبر إفراغاً ، وبات سعدٌ بلبلةٍ لم يبت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قطُّ ، وانقطعت الأصوات ، والأخبار عن رستم ، وسعدٍ ، وأقبل سعدٌ على الدُّعاء حتّى إذا كان نصف الليل الباقي ؛ سمع القعقاع بن عمرو وهو يقول :

نَحْنُ قَتَلْنَا مَعْشَرًا وَزَائِدًا أَرْبَعَةً وَخَمْسَةَ وَوَاحِدًا نَحْسَبُ فَوْقَ اللَّيْلِ الْأَسَاوِدَا [(٢٠٥٤)]

حَتَّى إِذَا مَا نُوْنَا دَعَوْتُ جَاهِدَا اللَّهُ رَبِّي وَاحْتَرَزْتُ عَامِدَا [(٢٠٥٥)] فاستدلّ سعد بذلك على

الفتح ، وهكذا بات سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه . يدعو الله

تعالى تلك الليلة ويستنزل نصره ، ومَّا ينبغي الإشارة إليه : أنَّ سعداً كان مستجاب الدعوة [٢٠٥٦].

٤ . يوم القادسيَّة :

أصبح المسلمون في اليوم الرَّابع وهم يقاتلون ، فسار القعقاع بن عمرو في النَّاس ، فقال : إِنَّ الدَّيْرَةَ بعد ساعةٍ لمن بدأ القوم ، فاصبروا ساعةً ، واحملوا ، فَإِنَّ النَّصْرَ مع الصَّبْرِ ، فاثروا الصَّبْرَ على الجَزَعِ ، فاجتمع إليه جماعة من الرُّؤساء ، وصمدوا لرستم حتَّى خالطوا الَّذِينَ دونه مع الصُّبْحِ ، لما رأت ذلك القبائل قام فيهم رجالٌ ، فقام قيس بن عبد يغوث ، والأشعث بن قيس ، وعمرو بن معدي كرب ، وابن ذي السَّهْمين الخنعمي ، وابن ذي البردين الهلالي ، فقالوا : لا يكوننَّ هؤلاء (يعني : أهل فارس) أجزاً على الموت منكم ، ولا أسخى أنفساً عن الدُّنيا ، وقام في ربيعة رجالٌ ، فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس ، وأجرؤهم عليهم فيما مضى ، فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجزاً ممَّا كنتم؟! [٢٠٥٧]. وهكذا يضيف القعقاع بن عمرو ماثرةً جديدةً في ماثره الكثيرة ؛ فقد جمع الله له بين الشَّجاعة النَّادرة ، والرَّأي السَّديد ، وقوَّة الإيمان ، فسحَّر ذلك كلَّه لنصرة الإسلام والمسلمين ، وكان قدومه في هذه المعركة فتحاً للمسلمين ، لقد أدرك القعقاع : أنَّ الأعداء قد نفذ صبرهم بعد قتال استمر يوماً وليلاً دون انقطاع ، وقبل ذلك لمُدَّة يومين مع راحةٍ قليلة ، وعرف بثاقب فكره ، وطول تجربته . بعد توفيق الله له . : أنَّ عاقبة المعركة مع من صبر بعد هذا الإجهاد الطَّويل [٢٠٥٨] ، واستطاع القعقاع ومَنْ معه من الأبطال أن يفتحوا ثغرةً عميقةً في قلب الجيش الفارسي حتَّى وصلوا قريباً من رستم مع الظَّهيرة ، وهنا تنزَّل نصر الله تعالى ، وأمدَّ أوليائه بجنودٍ من عنده ، فهبَّت ريحٌ عاصفٌ ، وهي الدَّبور ، فاقتلعت طيارة رستم عن سريه، وألقته في نهر العتيق، ومال الغبار على الفرس، فعاقهم عن الدِّفاع [٢٠٥٩].

أ . مقتل رستم قائد الفرس :

وتقدَّم القعقاع ومن معه حتى عثروا على سرير رستم ، وهم لا يرونه من الغبار ، وكان رستم قد تركه ، واستظلَّ ببغلٍ من البغال المحمَّلة ، وضرب هلال بن عُلفَةَ أحد عدلي البغل فوقع على رستم ، وهو لا يشعر به ، فأزال من ظهره فقاراً ، وهرب رستم نحو نهر العتيق لينجو بنفسه ، ولكنَّ هلالاً أدركه ، فأمسك برجله ، وسحبه ثمَّ قتله ، وصعد السَّرير ، ثمَّ نادى :

قتلت رستم وربَّ الكعبة ! إِلِيَّ ! فأطافوا به ، وما يرون السَّرير ، وكبَّروا ، وتنادوا ، وانهمز قلب الفرس .

أما بقية قادة المسلمين ؛ فإنهم تقدّموا أيضاً فيمن يقابلهم ، وتقهقر الفرس أمامهم ، ولما علم الجالينوس بمقتل رستم ؛ قام على الرّدم المقام على النّهر ، ونادى أهل فارس إلى العبور فراراً من القتل ، فعبروا ، أمّا المقترنون بالسّلاسل ، وعددهم ثلاثون ألفاً ؛ فإنهم تهافتوا في نهر العتيق ، فوخزهم المسلمون برماحهم ، فما أفلت منهم أحدٌ [(٢٠٦٠)] .

ب . نهاية المعركة :

انتهت المعركة بتوفيق الله تعالى ، ثمّ بجهود أبطال المسلمين ، وحكمة قائدهم سعد بن أبي وقاص ، وكانت معركةً عنيفةً قاسيةً ثبت فيها الأعداء للمسلمين ثلاثة أيّام حتّى هزمهم الله في اليوم الرّابع ، بينما كان المسلمون يهزمون أعداءهم غالباً في يومٍ واحدٍ ، وكان من أسباب هذا الثّبات : أنّ الفرس كانوا يعتبرون هذه المعركة معركة مصير ، فإنّما أن تبقى دولتهم مع الانتصار ، وإنّما أن تزول دولتهم مع الهزيمة ، والانحدار ، ولا تقوم لهم قائمة ، كما أنّ من أسباب ثباتهم وجود أكبر قادتهم رستم على رأس القيادة ، وهو قائدٌ له تاريخٌ حافلٌ بالانتصارات على أعدائه ، إضافةً إلى تفوّق الفرس في العدد ، والعدد ، حيث كان عدد الفرس عشرين ومئة ألف من المقاتلين من غير الأتباع ، مع من كان يبعثهم يزدجرد مدداً كلّ يومٍ ، بينما كان عدد المسلمين بضعةً وثلاثين ألفاً [(٢٠٦١)] ، ومع هذا كله انتصر المسلمون عليهم بعد أن قدّموا ثمانية آلاف وخمسمئة من الشّهداء [(٢٠٦٢)] ، وهذا العدد من الشّهداء هو أكبر عدد قدّمه المسلمون في معاركهم في الفتوح الإسلاميّة الأولى ، وكونهم قدّموا هذا العدد من الشّهداء دليلٌ على عنف المعركة ، وعلى استبسال المسلمين ، وتعرّضهم للشّهادة رضي الله عنهم أجمعين [(٢٠٦٣)] .

ج . مطاردة فلول المنهزمين :

أمر سعد . رضي الله عنه . بمطاردة فلول المنهزمين ، فوكلّ القعقاع بن عمرو ، وشرحبيل بن السّمط الكندي بمطاردة المنهزمين يميناً ، وشمالاً دون نهر العتيق ، وأمر زهرة بن الحويّة بمطاردة الذين عبروا النّهر مع قادتهم ، وكان الفرس قد بثقوا النّهر في الرّدم حتّى لا يستطيع المسلمون متابعتهم ، فاستطاع زهرة وثلاثمئة فارس أن يتجاوزوا بحيوهم ، وأمر من لم يستطع بموافاتهم من طريق القنطرة ، وكان أبعد قليلاً ، ثمّ أدركوا القوم ، وكان الجالينوس

وهو أحد قادتهم الكبار يسير في ساقّة القوم يحميهم ، فأدركه زهرة ، فنازله ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زهرة ، وأخذ سلبه ، وطاردوا الفرس ، وقتلوا منهم ، ثمّ أمسوا في القادسيّة مع المسلمين [(٢٠٦٤)] .

د . بشائر النَّصر تصل إلى عمر رضي الله عنه :

وكتب سعد إلى أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . يخبره بالفتح مع سعد بن عُميلة الفزاري ، وجاء في كتابه : أمّا بعد : فإنَّ الله نصرنا على أهل فارس ، ومنحهم سنن من كانوا قبلهم من أهل دينهم بعد قتالٍ طويلٍ ، وزلزالٍ شديدٍ ، وقد لقوا المسلمين بَعْدَةَ لم ير الرَّاؤون مثل زهائها (يعني : مقدارها) فلم ينفَعهم الله بذلك ، بل سَلَبَهُمُوهُ ، ونقله عنهم إلى المسلمين ، وأتبعهم المسلمون على الأنهار ، وعلى طفوف الاجام ، وفي الفجاج ، وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارأى ، وفلان ، وفلان ، ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله بهم عالم ، كانوا يُدوون بالقران إذا جنَّ عليهم اللَّيل دويَّ النَّحل ، وهم اساد النَّاس لا يشبههم الأسود، ولم يفضَّل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشَّهادة؛ إذ لم تكتب لهم [(٢٠٦٥)].

وفي هذه الرسالة دروسٌ ، وعبرٌ ، منها :

—خ ما تحلَّى به سعدٌ . رضي الله عنه . من توحيد الله تعالى ، وتعظيمه ، والبراءة من حول النَّفوس وقوَّتْها ، فالنَّصر على الأعداء إنما هو من الله تعالى وحده ، وليس بقوة المسلمين ، بالرَّغم ممَّا بذلوه من الجهاد المضني ، والتَّضحية العالية .

—خ وقوة الأعداء الضَّخمة ، ليس بقاؤها ، أو سلبها للبشر ، بل ذلك كلُّه لله تعالى ، فهو الذي حرم الأعداء من الانتفاع بقوَّتْهم ، وهو الذي منحها للمسلمين ، وإمَّا البشر مجرَّد وسائط ، يُجري الله النَّفع ، والضَّرر على أيديهم ، وهو وحده الَّذي يستطيع دفع الضَّرر ، وجلب المنفعة سبحانه وتعالى ، وهكذا فهم سعد . رضي الله عنه . معنى التَّوحيد ، وحقَّقه مع جنوده في حياته .

—خ ونلاحظ سعداً في رسالته يصف الصَّحابة . رضي الله عنهم . ومن معهم من التَّابعين بالتفوق في العبادة ، والشَّجاعة ، فهم عبَّادٌ في اللَّيل ، لهم أصواتٌ مدويَّةٌ بالقران كأصوات النَّحل ، لا تكلُّ ، ولا تملُّ ، وفرسانٌ في النَّهار ، لا تصل الأسود الضَّارية إلى مستواهم في الإقدام ، والثَّبات [(٢٠٦٦)] ، وكان عمر . رضي الله عنه . يستخبر الرُّكبان عن أهل القادسيَّة من حيث يصبح إلى انتصاف النَّهار ، ثمَّ يرجع إلى أهله ، ومنزله ، فلمَّا لقي البشير ؛ سأله : من أين ؟

فأخبره ، قال : يا عبد الله ! حدِّثني . قال : هزم الله العدوَّ ، وعمر يخبُّ معه . يعني : يسرع . ويستخبره ، والاخر على ناقته ، ولا يعرفه ، حتَّى دخل المدينة فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين ، فقال : فهلا أخبرتني . رحمك الله ! . : أنك أمير المؤمنين ، وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخي [(٢٠٦٧)] !

وفي هذا الخبر دروسٌ ، وعبرٌ منها :

. الاهتمام الكبير من عمر - رضي الله عنه - الَّذِي دفعه إلى أن يخرج إلى البرية كلَّ يومٍ لعلَّه يجد الرُّكبان القادمين من العراق ، فيسألهم عن خبر المسلمين مع أعدائهم ، وقد كان بإمكانه أن يوكل بهذه المهمة غيره ممَّن يأتيه بالخبر ، ولكنَّ الهمَّ الكبير الَّذِي كان يحمله للمسلمين لا يتيح له أن يفعل ذلك ، وهنا منتهى الرَّحمة والشُّعور بالمسؤولية .

. التواضع الجُمُّ من عمر - رضي الله عنه - فقد ظلَّ يسير ماشياً مع الرَّاكب ، ويطلب منه خبر المعركة ، وذلك الرَّسول لا يريد أن يخبره بالتفاصيل حتَّى يصل إلى أمير المؤمنين ، ولا يدري : أنَّه الَّذِي يخاطبه ، ويعدو معه ، حتَّى عرف ذلك من النَّاس في المدينة ، وهذه أخلاقٌ رفيعةٌ يحقُّ للمسلمين أن يفاخروا بها العالم في تاريخهم الطَّويل ، وأن يستدلُّوا بها على عظمة هذا الدِّين ؛ الَّذِي أنجب رجالاً مثل عمر في عدله ، ورحمته ، وحزمه ، وتواضعه [(٢٠٦٨)] .

خامساً : دروسٌ ، وعبرٌ ، وفوائد :

١ - تاريخ المعركة ، وأثرها في حركة الفتوحات :

اختلف المؤرِّخون في تحديد تاريخ المعركة ، وللأستاذ أحمد عادل كمال تحقيقٌ جيِّدٌ توصل فيه إلى أنَّها في شهر شعبان من العام الخامس عشر [(٢٠٦٩)] ، وهذا القول أميل إليه ، ولا شك : أنَّ القادسية تقع على قَمَّة المَعارك الحاسمة في تاريخ العالم ، فهي تبين أنواعاً من التَّمكين الربَّاني لأهل الإيمان الصَّحيح ، فقد انفتحت على اثارها أبواب العراق ، ومن وراء العراق فارس كُلُّها ، وهي التي من عندها استطرد نصر المسلمين ، فاستطرد معه السُّقوط السَّاساني من الناحيتين الحربيَّة والسِّياسية ، والسُّقوط المجوسي من النَّاحية الدِّينية العقائدية ، ومن هنا انساح دين الإسلام في بلاد فارس ، وما وراءها ، ففي القادسية كسر المسلمون شوكة المجوس كسرةً لم ينجر شأهم بعدها أبداً ، وبهذا استحقت القادسية مكانها على قَمَّة المَعارك الحاسمة في تاريخ البشر [(٢٠٧٠)] .

٢ - خطبةٌ عمريةٌ بعد فتح القادسية :

لما أتى عمر - رضي الله عنه - خبرُ الفتح ؛ قام في النَّاس ، فقرأ عليهم الفتح ، وقال : إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سدَّتها ما اتسع بعضنا لبعضٍ ، فإذا عجز ذلك منَّا ؛ تأسينا في عيشنا حتَّى نستوي في الكفاف ، ولوددت أنَّكم علمتم من نفسي مثل الَّذِي وقع فيها لكم ، ولست معلِّمكم إلا بالعمل ، إني والله ما أنا بملكٍ ، فأستعبدكم ، وإمَّا أنا عبد الله ، عُرض عليَّ الأمانة ، فإنَّ أبيتها (يعني :

أعفت نفسي من أموال الرعية (ورددتها عليكم ، واتبعتكم حتى تشبعوا في بيوتكم ، وترووا ؛ سعدت ، وإن أنا حملتها ، واستتبعتها إلى بيتي ؛ شقيت ، وفرحت قليلاً ، وحزنت طويلاً ، وبقيت لا أقال ، ولا أردد ، فأستعتب [(٢٠٧١)] .

٣ . الوفاء عند المسلمين ، والعدل لا رخصة فيه :

كتب سعدٌ . رضي الله عنه . إلى أمير المؤمنين . رضي الله عنهما . كتاباً اخر ، يطلب فيه أمره في أهل الذمة من عرب العراق الذين نقضوا عهدهم في حال ضعف المسلمين ، فقام عمر . رضي الله عنه . في الناس ، فقال : إنه من يعمل بالهوى ، والمعصية ؛ يسقط حظُّه ، ولا يضُرُّ إلا نفسه ، ومن يتبع السنَّة ، وينته إلى الشرائع ، ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة ؛ أصاب أمره ، وظفر بحظِّه ، وذلك بأنَّ الله . عزَّ وجل . يقول : { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ لَكُمْ أَحَدًا * } [الكهف: ٤٩] ، وقد ظفر أهل الأيام والقوادم بما يليهم ، وجلا أهلهم ، وأتاهم من أقام على عهدهم ، فما رأيكم فيمن زعم : أنه استُكره ، وحُشر ، وفيمن لم يدع ذلك ، ولم يُقم ، وجلا ، وفيمن أقام ، ولم يدع شيئاً ، ولم يجلِّ ، وفيمن استسلم ؟ فاجتمعوا على أنَّ الوفاء لمن أقام ، وكفَّ لم يزد غلبه إلا خيراً ، وأنَّ من ادَّعى فضدِّق ، أو وفى ؛ فبمنزلتهم ، وإنَّ كُدِّب نبد إليهم ، وأعادوا صلحهم ، وأنَّ يُجعل أمر من جلا إليهم فإنَّ شأؤوا ، وادَّعوهم ، وكانوا لهم ذمَّة ، وإنَّ شأؤوا تمَّوا على منعهم من أرضهم ، ولم يعطوهم إلا القتال ، وأنَّ يجيروا من أقام ، واستسلم الجزاء ، أو الجلاء ، وكذلك الفلاحين [(٢٠٧٢)] .

وفي هذه الخطبة دروسٌ ، وعبرٌ منها :

. تطبيق عمر . رضي الله عنه . مبدأ الشورى حيث كان يستشير أهل الرأي في كلِّ أموره المهمَّة ، بالرغم ممَّا عرف عنه من غزارة العلم ، وسداد الرأي ، وإنَّ هذا السلوك الرفيع كان من أسباب نجاحه الكبير في سياسة الأُمَّة .

. الاستفادة من هذه المقدمَّة التي قدَّمها عمر . رضي الله عنه . بين يدي استشارته حيث ذكَّر الصحابة .

رضي الله عنهم . بلزوم التَّجرد من الهوى ، وإخلاص النِّيَّة لله عزَّ وجلَّ ، والاستقامة

على المنهج القويم ؛ الذي سنَّه رسول الله (ص) ، فمن فعل ذلك عصم من الزَّلل في الحكم ، وأصاب الحقَّ ، وظفر بثواب الله تعالى [(٢٠٧٣)] .

وقد لخصَّ عمر . رضي الله عنه . هذه المشورة بخطاب وجهه إلى سعد بن أبي وقاص . رضي الله عنه .

جاء فيه : أمَّا بعد : فإنَّ الله . جلَّ ، وعلا . أنزل في كلِّ شيءٍ رخصةً في بعض الحالات إلا في أمرين :

العدل في السيِّرة ، والدِّكر ، فأَمَّا الدِّكر ؛ فلا رخصة فيه في حالة ، ولم يرض منه إلا بالكثير ، وأَمَّا العدل ؛ فلا رخصة فيه في قريبٍ ، ولا بعيدٍ ، ولا في شدَّةٍ ، ولا رخاءٍ ، والعدل وإن رُئي لِنِيناً ؛ فهو أقوى ، وأطفأ للجور ، وأقمع للباطل من الجور ، وإن رُئي شديداً ؛ فهو أنكس للفكر ، فمن تمَّ على عهده من أهل السَّواد . يعني : عرب العراق . ولم يعن عليكم بشيءٍ ؛ فلهم الدِّمَّة ، وعليهم الجزية ، وأَمَّا من ادَّعى : أَنَّهُ استكره مَن لم يخالفهم إليكم ، أو يذهب في الأرض ؛ فلا تصدِّقوهم بذلك إلا أن تشاؤوا ، وإن لم تشاؤوا ؛ فانبدوا إليهم ، وأبلغوهم مأمَنهم [(٢٠٧٤)] .

وفي هذا الرِّدِّ دروسٌ وعبر ، منها :

أَنَّ العدل في الحكم هو الدَّعامة الكبرى لبقاء حكم الإسلام ، وسيادته ، وانتشار الأمن والرخاء في بلاد المسلمين ، هذا في الدُّنيا ، وأَمَّا في الآخرة ؛ فلا مفرَّ من العقاب للظَّالمين ؛ لأنَّ حقوق الله تعالى قد يغفرها لعبده ، ويتجاوز عنه ، أَمَّا حقوق النَّاس فإنَّ الله تعالى يوقف الظَّالمين ، والمظلومين يوم القيامة ، فيقتصُّ بعضهم من بعضٍ .

وأَمَّا ذكر الله تعالى فلا بد أن يسود حياة المسلم في قلبه ، ولسانه ، وجوارحه ، فيكون تفكيره خالصاً لله تعالى ، ومنطقه فيما يرضيه ، وعمله من أجله ، ويكون هُمُّه الأكبر إقامة ذكر الله . جلَّ ، وعلا . في الأرض قولاً ، وعملاً ، واعتقاداً ، فإذا كان كذلك ؛ عصمه الله سبحانه من فتنة الشُّبهات ، والشَّهوات .

وقد أخذ سعد ، ومن معه من المسلمين بتوجيهات أمير المؤمنين ، فعرضوا على من حولهم مَن جلا عن بلاده أن يرجعوا ، ولهم الدِّمَّة ، وعليهم الجزية ، وهكذا نجد أمامنا نموذجاً من نماذج الرِّحمة ، وتأليف القلوب ، وقد أثَّرت هذه المعاملة الكريمة ، وحَبَّبَت المسلمين والإسلام لهؤلاء النَّاكثين ، فدخلوا بعد ذلك على مراحل في الإسلام ، وصاروا من أتباعه المخلصين [(٢٠٧٥)] .

٤ . عمر يرد الخمس في القادسيَّة على المقاتلين ، وحسن مكافأته للبارزين :

أمر عمر . رضي الله عنه . في القادسيَّة برِّد الخمس على المقاتلين ، ونقذ سعد أمر الخليفة ، وكان اجتهاد عمر هنا بارعاً كبراعة اجتهاده في ترك أراضي السَّواد بيد أصحابها ، فقد رأى تمثيلاً مع المصلحة العليا للدولة أن يوزَّع الخمس على المجاهدين تشجيعاً لهم ، وتوسعةً عليهم ، واعترافاً بجهودهم [(٢٠٧٦)] .

وقد أرسل عمر إلى سعدٍ أربعة أسياف ، وأربعة أفراس يعطيها مكافأةً لمن انتهى إليه البلاء في حرب العراق ، فقلد الأسياف الأربعة ؛ ثلاثة من بني أسد ، وهم : حمّال بن مالك ، والرّيبيل بن عمرو بن ربيعة الوالين ، وطليحة بن خويلد ، والرّابع لعاصم بن عمرو التّميمي ، وأعطى الأفراس : واحداً للقعقاع بن عمرو التّميمي ، والثلاثة لليربوعيين مكافأةً لهم على واقعة عشية أغواث [(٢٠٧٧)] ، وهذه من الوسائل العمريّة في تفجير طاقات المجاهدين ، وتحفيز همم المسلمين نحو المعالي والأهداف السّامية ، والمقاصد النّبيلة .

٥ . عمر يرُدُّ اعتبار زهرة بن الحويّية :

عاد زهرة من مطارده لفلول الفرس ، وبعد أن قتل جالينوس أحد قادة الفرس ، فأخذ زهرة سلبه ، وتدرّع بما كان على جالينوس ، فعرفه الأسرى الذين كانوا عند سعد ، وقالوا : هذا سلب جالينوس . فقال له سعد : هل أعانك عليه أحدٌ ؟ قال : نعم . قال : من ؟ قال : الله . وكان زهرة يومئذٍ شابّاً له ذؤابةٌ ، وقد سُود في الجاهليّة ، وحسن بلاؤه في الإسلام ، وغضب سعدٌ أن تسرع زهرة ، فلبس ما كان على جالينوس ، واستكثره عليه ، فزعه عنه ، وقال : ألا انتظرت إذني ؟ [(٢٠٧٨)] . ووصل الخبر إلى عمر ، فأرسل إلى سعد : تعمد إلى مثل زهرة ، وقد صلّي بمثل ما صلّي به ، وقد بقي عليك من حريك ما بقي تكسر قرنه ، وتفسد قلبه ؛ أمض له سلْبُهُ ، وفضّله على أصحابه عند العطاء بخمسمئة ، وإني قد نقلت كلّ من قتل رجلاً سلبه . فدفعه إليه ، فباعه بسبعين ألفاً [(٢٠٧٩)] . وبهذا ردَّ عمر إلى زهرة اعتباره [(٢٠٨٠)] .

٦ . استشهاد المؤدّن ، وتنافس المسلمين على الأذان :

في نهاية معركة القادسيّة حدث أمرٌ عجيب ، يدلُّ على مقدار اهتمام المسلمين الأوائل بأمور دينهم ، وما يقربهم إلى الله تعالى ، فقد قتل مؤدّن المسلمين في ذلك اليوم ، وحضر وقت الصلّاة ، فتنافس المسلمون على الأذان ، حتى كادوا أن يقتتلوا بالسُّيوف ، فأقرع بينهم سعدٌ ، فخرج سهم رجلٍ فأذّن [(٢٠٨١)] .

وإنّ التّنافس على هذا العمل الصّالح ليدلُّ على قوّة الإيمان ، فإنّ الأذان ليس من ورائه مكاسبٌ دنيويّةٌ ، ولا جاهٌ ، ولا شهرةٌ ، وإمّا دفعهم إلى التّنافس عليه تدكّر ما أعدّه الله تعالى للمؤدّنين يوم القيامة من أجرٍ عظيم . وإنّ قوماً تنافسوا على الأذان سيتنافسون بطريق الأولى على ما هو أعظم من ذلك ، وهذا من أسرار نجاحهم في الجهاد في سبيل الله تعالى ، والدّعوة إلى الإسلام [(٢٠٨٢)] .

٧ . التكتيك العسكري الإسلامي في المعركة :

كانت القادسية نموذجاً مميّزاً من نماذج التكتيك العسكري الإسلامي ، حيث برع المسلمون فيها بإتقان المناورة التكتيكية التي تتلاءم مع كلِّ حالةٍ قتاليّةٍ من حالات المعركة ، فقد ظهر على مسرح الأحداث قدرة الفاروق على التعبئة العامّة ، أو التجنيد الإلزامي . والحشد الأقصى للوسائل ؛ إذ حشد الخليفة لهذه المعركة أقصى ما يمكن حشده من الرّجال ، كما حشد لها الفئة المختارة من رجال المسلمين ، فقد كتب إلى سعدٍ أن ينتخب أهل الخيل ، والسّلاح ممّن له رأيٌ ، ونجدةٌ ، فاجتمع لسعدٍ في هذه المعركة بضعةٌ وسبعون ممّن حضروا بداراً ، وثلاثمئةٍ وبضعة عشر ممّن صحبوا النّبِيَّ (ص) بعد بيعة الرّضوان ، وثلاثمئةٍ ممّن شهدوا فتح مكّة ، وسبعمئةٍ من أبناء الصّحابة ، ثمّ إنّّه لم يدع رئيساً ، ولا ذا رأي ، ولا ذا شرفٍ ، ولا خطيباً ، ولا شاعراً إلا رماهم به ، فرماهم بوجوه النّاس ، وغرّهم ، وهذا هو الحشد الأقصى للوسائل المادّيّة ، والمعنويّة للمعركة ، ونجد : أنّ في التّعبئة لهذه المعركة تجديداً لم نعهده عند المسلمين من قبل ؛ إذ لم ينتظر سعد في (صرار) حتّى يكتمل جيشه ، ثم ينطلق به إلى العراق ، بل انطلق في أربعة الاف ، ووصل إلى مكان المعركة بالقادسيّة في سبعة عشر ألفاً .

وهذه طريقة مبتكرةٌ في تعبئة الجيوش لم يعتمدها المسلمون قبل عمر ، وحدّد الخليفة في رسائله إلى كلِّ من المثنيّ، وسعد مكان المعركة الحاسمة، وهو القادسيّة.

وكان الفاروق أوّل قائدٍ مسلمٍ يعتمد (الرّسالة الخارطة) في دراسته لأرض المعركة ، وبيئتها ؛ إذ طلب من سعدٍ أن يصف له في رسالةٍ مفصّلةٍ ، منازل المسلمين . أي : مواقعهم . كأنّه ينظر إليها ، وأن يجعله من أمرهم . أي : المسلمين . على جليّةٍ ، فكتب إليه سعد رسالةً

يشرح له فيها بالتّفصيل جغرافية القادسيّة (بين الخندق ، والعتيق) وما يقع على يمينها ، ويسارها ، ثمّ يشرح له أوضاع البيئة التي تحيط بأرض المعركة ، فينبّه : أنّ أهلها معادون للمسلمين ، ويتّخذ الخليفة بناءً على ذلك ، قراره التكتيكيّ ، والاستراتيجي [(٢٠٨٣)] .

واستخدم المسلمون أسلوب الغارات التّموينية ، واستنزاف العدوّ منذ وصولهم إلى أرض العدو ، وتمركزهم فيها ، وقد أفادت تلك الغارات التّموينية في سدِّ احتياجات الجيش من المؤن ، فكان يوم الأباقر ، ويوم الحيتان ، وغيرها من الأيام ، والغارات ، وقد اتّخذت هذه الغارات بالإضافة إلى وجهها التّموينيّ وجهاً آخر مهمّاً ، هو استنزاف طاقات العدو ، وقدرة الأهالي على حمل اثار الحرب ، ومعاناتها ، واستعمل المسلمون أسلوب الكمائن في مناوشتهم مع الفرس قبل القادسيّة ، وفي استنزافهم

لطافات العدو ، ومعنوياتهم ، فقد كمن بكير بن عبد الله الليثي بفرقة من خيالة المسلمين في أجمه من النخيل ، وعلى الطريق إلى (الصنّين) لقافلة تضم أخت أزد مرد بن أزاذبه مرزبان الحيرة ، وهي تزف إلى صاحب (الصنّين) من أشرف العجم ، وما أن وصلت القافلة إلى مكان الكمين حتى انقض المسلمون عليها ، فقصم بكير صلب (شيرزاد بن أزاذبه) أخي العروس ، وكان على رأس الخيل التي تتقدم القافلة ، ونفرت الخيل تعدو بمن على ظهورها من رجال ، وأخذ المسلمون الأثقال ، وابنة أزاذبه في ثلاثين امرأة من الدهاقين ، ومئة من التوابع ، وما معها لا يدري قيمته [(٢٠٨٤)] .

واستعمل المسلمون في هذه المعركة أسلوب التكتيك المتغير وفقاً لكل حالة من حالات القتال، وظرف من ظروفه، فبينما نراهم في اليوم الأول من المعركة يحتالون على الفيلة المهاجمة، فيقطعون وضنها بعد أن يرموها بنباهم ، فنفر من ميدان القتال ريثما يصل إليهم المدد القادم من الشام ، كما يعمدون إلى إيصال هذا المدد إلى ساحة القتال تبعاً ، وزمرة زمرة بغية إيهام العدو بكثرته ، ثم يعمدون إلى حيلة تكتيكية بارعة ، وذلك بأن يجلبوا إبلهم ، ويرقعوها تشبهاً بالفيلة ، ثم يطلقوها في صفوف العدو فتجفل خيلهم ، وتولي هاربة لا تلوي على شيء، ويعمد المسلمون في اليوم الثالث إلى مواجهة فيلة الفرس المحمية بخيالتهم ، ومشاتهم ، بأن يهاجموا أكبرها وأضخمها فيفقؤوا عيونها ، ويقطعوا مشافرها ، فنفر الفيلة هاربة ، ويتساوى الفرس والمسلمون في ساحة القتال ، بعد أن يخسر الفرس فيلتهم ، أي : مدرعاتهم ، ولما رأى المسلمون أن أمد القتال يمكن أن يطول ؛ قرروا الهجوم العام ، فعبؤوا صفوفهم ، وزحفوا زحفة واحدة ، وما أن تخلخلت صفوف العدو ، وانكشف قلبه ، حتى كان رستم قائد جيش العدو هدفهم، وما أن قضى على رستم حتى انهزم جيش الفرس هزيمة ساحقة .

وهكذا نرى : أن الأسلوب الذي اتبعه المسلمون في هذه المعركة ، لم يتقيد بالأساليب التقليدية التي كانت متبعة في القتال ، بل إنه لبس لكل حالة لبوسها ، فانتقل من الأساليب البدائية (المبارزة) إلى الحيل التكتيكية (الإبل المبرقة ، وقطع وضم الفيلة ، وفقء عيونها ، وقطع مشافرها) إلى القتال الكلاسيكي التقليدي (الهجوم العام ، واستهداف القائد) وتميزت هذه المعركة بالتعبئة ذات الطابع القبلي ، وميزة هذا الأسلوب : أنه يوجد بين القبائل تنافساً فريداً في الحماسة ، والاندفاع في القتال [(٢٠٨٥)] . هذه بعض الأساليب العسكرية في النظام الإسلامي التي مارسها المجاهدون في القادسية .

ومأ قاله قيس بن المكشوح المرادي يتحدث عن فروسيته ، مفتخراً لما كان منه ، ومن المجاهدين الاخرين في مناهضة قادة الفرس ، فيقول :

جَلَبْتُ الحَيْلَ مِنْ صَنْعَاءِ تُرْدِي بِكُلِّ مُدَجِّجٍ كَاللَيْثِ سَامِي [(٢٠٨٦)] إِلَى وَادِي القُرَى فَدِيَارِ
كَلْبٍ إِلَى الِيزْمُوكِ فَالْبَلَدِ الشَّامِي وَجَمْنَا القَادِسِيَّةَ بَعْدَ شَهْرٍ مُسَوِّمَةً دَوَابِرَهَا
دَوَامِيَفَنَا هَضُنًا هُنَالِكَ جَمَعَ كَسْرَى وَأَبْنَاءَ المَرَاذِيَةِ الكِرَامِ [(٢٠٨٧)] فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ الحَيْلَ
جَالَتْ قَصَدْتُ لِمَوْقِفِ المَلِكِ الهَمَامِ فَضْرِبُ رَأْسِهِ فَهَوَى صَرِيحاً بِسَيْفٍ لَا أَقْلَ وَلَا
كَهَامِ [(٢٠٨٨)] وَقَدْ أَبْلَى الإِلَهُ هُنَاكَ حَيْراً وَفَعَلُ الحَيْرِ عِنْدَ اللهِ نَامِي [(٢٠٨٩)] وَقَالَ
بشر بن ربيع الخنعمي في القادسيّة :

تَذَكَّرْ . هَذَاكَ اللهُ . وَقَعَ سِيُوفِنَا بَابَ قُدَيْسٍ وَالمَكْرُ عَسِيرُ عَشِيَّةٍ وَدَّ القَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ
يُعَارُ جَنَاحِي طَائِرٍ فَيَطِيرُ إِذَا مَا فَرَعْنَا مِنْ قِرَاعِ كَيْبَةِ دَلَفْنَا لِأُخْرَى كَالجِبَالِ
تَسِيرَتَرَى القَوْمَ فِيهَا وَاجْمِينَ كَأَنَّهُمْ جِمَالٌ بِأَحْمَالٍ لَهَنَّ زَفِيرٌ [(٢٠٩٠)]
وقال بعض الشعراء :

وَحَيْتِكَ عَيَّ عُصْبَةٌ نَحْيَةٌ حِسَانُ الوُجُوهِ امْنُوا بِمَحْمَدٍ أَقَامُوا لِكَسْرَى يَضْرِبُونَ جُنُودَهُ
بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي أَنَاخُوا بِكُلِّكَلٍ مِنَ المَوْتِ مُسَوِّدِ
الغِيَاطِيلِ [(٢٠٩١)] أَجْرَدٍ وَقَالَ بعضُ الشعراء :

وَجَدْنَا الأَكْرَمِينَ بَنِي تَمِيمٍ عَدَاةَ الرُّوعِ أَكْثَرَهُمْ رِجَالَهُمُ سَارُوا بِأَرْعَنٍ مُكْفَهَرٍ [(٢٠٩٢)]
إِلَى لَجِبِ يَزْوَنُهُمْ رِعَالًا [(٢٠٩٣)] بُحُورٌ لِلأَكَاسِرِ مِنْ رِجَالِ كَأَسَدِ العَابِ تَحْسَبُهُمْ
جِبَالًا تَرَكْنَ لَهُمُ بِقَادِسٍ عَزَّ فَحْرٌ وَبِالحَيْقَيْنِ أَيَّاماً طَوَالاً مُقَطَّعَةً أَكْفُهُمْ وَسُوقٌ بِمُرْدٍ
حَيْثُ قَابَلَتِ الرِّجَالُ [(٢٠٩٤)] وَمَأْ قَالَه النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ ، وَهُوَ يَصَوِّرُ بِشَعْرِهِ مَا دَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ ،
وقد جزعت بسبب ذهابه في فتوح فارس ، فقال :

بَاتَتْ تُدَكِّرُنِي بِاللهِ قَاعِدَةً وَالدَّمْعُ يَنْهَلُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا سُبُلَايَا بِنْتُ عَمِّي كِتَابُ اللهِ
أَخْرَجَنِي كُرْهًا ، وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللهُ مَا بَدَلَا فَإِنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ النَّاسِ أَرْجَعَنِي وَإِنْ لِحِقْتُ
بِرَبِّي فَابْتَعَنِي بَدَلَا مَا كُنْتُ أَعْرَجُ أَوْ أَعْمَى فَيَعْدُرُنِي أَوْ ضَارِعاً مِنْ ضَنَى لَمْ يَسْتَطِعْ
حَوْلًا [(٢٠٩٥)] سَادِساً : فَتَحَ المَدَائِنَ :

أقام سعد بالقادسيّة شهرين ينتظر أمر عمر ، حتّى جاءه بالتّوجّه لفتح المدائن ، وتخليف النّساء ، والعيال بالعتيق مع جنديّ كثيرٍ يحوطهم ، وعهد إليه أن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم ، ففعل ، وسار بالجيش لأيّامٍ بقين من شوال ، وكان فلّ المنهزمين لحق بابل ، وفيهم بقايا الرّؤساء مصمّمين على المدافعة ، وبدأت مدن ، وقرى الفرس تسقط واحدةً بعد واحدةٍ ، ففتح المسلمون البرس ، ثمّ بابل ، بعد أن عبروا نهر الفرات ثمّ كوثى ، ثمّ ساباط بعضها عنوةً ، والبعض الآخر صلحاً [(٢٠٩٦)] .

واستمرّت حملات المسلمين المنظّمة حتّى وصلوا إلى المدائن ، وأمر عمر سعداً بأن يحسن إلى الفلاحين ، وأن يوفّي لهم عهدهم ، ودخلت جموعٌ هائلةٌ من الفلاحين في ذمّة المسلمين ، وتأثّر الفلاحون بأخلاق جيش المسلمين ، وبعدهم ، ومساواتهم المنبثقة من دينهم العظيم ، فأميرهم كأصغر الرّعية أمام الحقّ الأكبر ، ولا ظلم ، ولا فساد في الأرض ، خفّت عنهم وطأة الكبرياء ، والعبودية التي كانوا يسامونها ، فصاروا عباداً لله وحده .

وقد توجّه سعد نحو المدائن بعد أمر أمير المؤمنين ، فبعث مقدمة الجيش بقيادة زهرة بن الحويّة ، وأتبعه بعبد الله بن المعتمّ في طائفة من الجيش ، ثمّ بشرحيل بن السّمط في طائفةٍ أخرى ، ثمّ بهاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، وقد جعله على خلافته بدلاً من خالد بن عرفطة ، ثمّ لحق سعد بهم بقيّة الجيش وقد جعل على المؤخّرة خالد بن عرفطة [(٢٠٩٧)] ، وقد توجّه زهرة قائد المقدّمات إلى المدائن ، والمدائن هي عاصمة دولة الفرس ، وتقع شرق نهر دجلة ، وغربه ، فالجزء الذي يقع غربه يسمّى « بهرسير » والذي يقع شرقه يسمّى « أسبانير » و« طيسفون » وقد وصل زهرة إلى بهرسير ، وبدأ حصار المدينة ، ثمّ سار سعد بن أبي وقّاص بالجيش الإسلاميّ ومعه قائد قوّاته ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص إلى المدائن الغربيّة « بهرسير » وفيها ملك الفرس (يزيدجرد) ، فحاصرها المسلمون شهرين ، وكان الفرس يخرجون أحياناً لقتال المسلمين ، ولكنهم لا يثبتون لهم .

وقد أصيب زهرة بن الحويّة بسهم ، وذلك : أنّه كان عليه درعٌ مفصومة ، فقتل له : لو أمرت بهذا الفصم فسرد (حتّى لا تبقى فيها فتحةٌ تصل منها السّهام) فقال : ولم ؟ قالوا : نخاف عليك منه ، قال : إنّي لكريم على الله إن ترك سهم فارس الجنديّ كلّهُ ثمّ أتاني من هذا الفصم حتى يثبت فيّ ، وكان كريماً على الله كما أمّل ، فكان أوّل رجلٍ من المسلمين أصيب يومئذٍ بسهم ، فثبت فيه من ذلك الفصم ، فقال : بعضهم : انزعوها منه ، فقال : دعوني فإن نفسي معي ما دامت فيّ ، لعلي أن أصيب

منهم بطعنة ، أو ضربة ، أو خطوة ، فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهريار من أهل اصطخر ، فقتله [(٢٠٩٨)] .

وقد بقي المسلمون في حصار بخرسير شهرين ، استعملوا خلالها المجانيق ، وقد صنع لهم الفرس الموالبون لهم عشرين منجنيقاً شغلوا بها الفرس ، وأخافوهم [(٢٠٩٩)] وفي هذا دلالة على أنّ الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا لا يهتمون بتحصيل أسباب النصر الماديّة إذا قدروا عليها ، وأنهم كانوا على ذكر تامّ لقول الله تعالى : { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } [الأنفال: ٦٠] ، إلى جانب تفوقهم في أسباب النصر المعنويّة؛ التي انفردوا بأهمّها وأبرزها ، وهو الاعتماد على الله ، وذكره ، ودعاؤه [(٢١٠٠)] .

١ . معيّة الله تعالى لأوليائه المؤمنين بالنصر ، والتأييد :

عن أنس بن الخليل قال : بينما نحن محاصرون « بخرسير » بعد زحفهم ، وهزيمتهم أشرف علينا رسول ، فقال : إنّ الملك يقول لكم : هل لكم إلى المصالحة على أن لنا ما يلينا من دجلة وجبلنا ، ولكم ما يليكم من دجلة إلى جبلكم ؟ أما شبعتم ؟ لا أشبع الله بطونكم ! فبدر الناس أبو مُفَرِّر الأسود بن قطبة ، وقد أنطقه الله بما لا يدري ما هو ، ولا نحن ، فرجع الرجل ، ورأيناهم يقطعون إلى المدائن . يعني يعبرون النهر إلى شرق المدائن . فقلنا : يا أبا مُفَرِّر ! ما قلت له ؟ قال : لا والذي بعث محمداً بالحق ما أدري ما هو إلا أنّ عليّ سكينه ، وأنا أرجو أن أكون أنطق بالذي هو خير ، وانتاب الناس يسألونه حتّى سمع بذلك سعد ، فجاءنا ، فقال : يا أبا مُفَرِّر ! ما قلت ؟ فوالله إنهم هُرَّاب ! فحدّثه بمثل حديثه إيانا ، فنادى الناس ، ثمّ هُدَّ بهم ، وإنّ مجانيقنا لتخطر عليهم ، فما ظهر على المدينة أحد ، ولا خرج إلينا إلا رجل نادى بالأمان ، فأمنناه ، فقال : إنّ بقي فيها أحد ، فما يمنعكم ؟! (يعني : لم يبق فيها أحد) فتسوّرها الرجال ، وافتتحناها ، فما وجدنا فيها شيئاً ، ولا أحداً ، إلا أسارى أسرناهم خارجاً منها ، فسألناهم ، وذلك الرجل : لأيّ شيء هربوا ؟ فقالوا : بعث الملك إليكم يعرض عليكم الصلح ، فأجبتموه بأنّه لا يكون بيننا وبينكم صلح أبداً حتّى نأكل عسل أفريدين بأترج كوثي ، فقال الملك : واويله ! ألا إنّ الملائكة تكلم على ألسنتهم ، تردّ علينا ، وتجيّب عن العرب ، والله لئن لم يكن كذلك ما هذا إلا شيء ألقى على في هذا الرجل لنتهي ، فأنزروا [(٢١٠١)] إلى المدينة القصوى [(٢١٠٢)] .

٢ . الايات التي قرأها سعد لما نزل مظلم سابط :

نزل سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - في (مظلم ساباط) ، بعد أن قدم هاشماً ، ومن معه نحو بهرسير وهي الجزء الغربي من المدائن ، ولما نزل سعد ذلك المكان ؛ قرأ قول الله تعالى : { وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ * } [إبراهيم: ٤٤] . وإنما تلا هذه الآية ؛ لأن في ذلك المكان كتاب لكسرى تُدعى : بوران ، وكانوا يحلفون بالله كل يوم ، لا يزول ملك فارس ما عشنا [(٢١٠٣)] ، وقد هزمهم ، وفرقهم زهرة بن الحوية قبل استشهاده [(٢١٠٤)] .

ولما دخل المسلمون « بهرسير » وذلك في جوف الليل ؛ لاح لهم الأبيض ؛ وهو قصر الأكاسرة ، فقال ضرار بن الخطاب : الله أكبر أبيض كسرى ! هذا ما وعد الله ورسوله ، وتابعوا التكبير حتى أصبحوا [(٢١٠٥)] .

٣ - مشورة بين سعد وجنوده في عبور النهر :

ولما علم سعد أن كسرى قد عبر بالسفن إلى المدائن الشرقية وضمَّ السفن كلها إليه ؛ وقع في حيرة من أمره ، فالعدو أمامهم ، وليس بينهم إلا النهر ولا سبيل إلى عبوره لعدم توافر السفن ، وهو يخشى أن يرتحل عدوه فيصعب القضاء عليه ، وقد أتى سعداً بعض أهل فارس فدلوه على مخاضة يمكن اجتيازها مع المخاطرة ، فأبى سعد ، وتردد عن ذلك ، ثم فاجأهم النهر بمدٍ عظيم حتى اسودَّ ماء النهر ، وقذف بالزبد من سرعة جريانه ، وفي أثناء ذلك رأى سعد رؤيا صالحة ، مفادها : أن خيول المسلمين قد عبرت النهر ، فعزم لتأويل رؤياه على العبور ، وجمع الناس فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه ، وهم يخلصون إليكم إذا شأوا فبينا وشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، قد كفاكموهم أهل الأيام [(٢١٠٦)] ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذاتهم [(٢١٠٧)] ، وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد عدوكم بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا ، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ، فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل [(٢١٠٨)] .

وفي هذا الخبر درسٌ وعبرٌ ، وفوائد ، منها :

- تذكر معية الله - جل ، وعلا - لأولياءه المؤمنين بالنصر ، والتأييد ، فهذه الرؤيا الصداقة التي راها سعد - رضي الله عنه - من الله جل وعلا لتثبيت قلبه ليقدم على هذا الأمر المجهول العاقبة .

. أَنَّ الله تعالى يُجْري الأمور لصالح المؤمنين ، فالنَّهْر جرى بكثافةٍ مفاجئةٍ على غير المعتاد ، وظاهر هذا : أَنَّهُ لصالح الفرس ، حيث إِنَّه سيمنع أيَّ محاولةٍ لعبور المسلمين ، ولكن حقيقته : أَنَّهُ لصالح المسلمين ، حيث أعطى ذلك الكفَّار طمأنينةً ، فلم يستعدُّوا لقدم المسلمين المفاجئ لهم ، ولم يستطيعوا أن يحملوا معهم كلَّ ما يريدون حمله في حال الفرار .

. أَنَّ الصَّحابة . رضي الله عنهم . كانوا يتفاءلون خيراً بالرُّؤيا من الرَّجل الصَّالح ، ويعتبرونها مُرَجِّحاً للإقدام على العمل ، وكانوا . رضي الله عنهم . يحسنون الظَّنَّ بالله تعالى ، ويعتبرون : أَنَّ رؤى الخير تثبيتٌ ، وتأييدٌ منه تعالى .

. أَنَّ قادة المسلمين في ذلك العهد الرَّاشدي كانوا يتَّصفون غالباً بالحزم ، واغتنام الفرص لاستنفاد طاقة الجنود ، وهم في حماسهم ، وقوَّة إيمانهم ، فهذا سعدٌ . رضي الله عنه . يأمر جيشه بأن يعبروا إلى الأعداء بسلاح الإخلاص والتَّقوى ، وقد كان مطمئناً إلى مستوى جيشه الإيماني ، فأقدم على ما أقدم عليه مستعيناً بعد الله تعالى بذلك المستوى الرَّفيع .

. اتَّصاف الصَّحابة . رضي الله عنهم . ومن معهم من التَّابعين بالطَّاعة النائمة لقادتهم ، وكانوا يعتبرون هذه الطَّاعة واجباً شرعياً ، وعملاً صالحاً يتقرَّبون به إلى الله تعالى [(٢١٠٩)] .

٤ . عبور النَّهْر ، وفتح المدائن :

نذب سعدُ النَّاس إلى العبور ، وقال : من يبدأ ، ويحمي لنا الفِراض [(٢١١٠)] حتَّى تتلاحق به النَّاس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟ فانتدب له عاصم بن عمرو التَّميمي ، وكان من أصحاب البأس ، والقوَّة ، وانتدب بعده ستمئةٍ من أهل النَّجدات ، فأمر عليهم سعد عاصماً ، فسار فيهم حتى وقف على شاطئ دجلة ، وقال : من ينتدب معي لنحمي الفِراض من عدوِّكم ، ولنحميكم حتَّى تعبروا ؟ فانتدب له ستون من أصحاب البأس والنَّجدة ، ثمَّ اقتحموا دجلة ، واقتحم بقيَّة الستمئة على إثرهم ، وهكذا تكوَّنت من جيش المسلمين فرقةٌ من الفدائيين عددهم ستمئةٍ وقد سميت كتيبة الأهوال ، واستخلص عاصم منهم ستين تحت قيادته ؛ ليكونوا مقدِّمةً لهذه الفرقة ، وهذا تخطيط محكمٍ من سعدٍ أولاً ، ثمَّ من عاصمٍ ، وذلك : أَنَّ مواجهة الأهوال ، والمغامرات لا تكون بالعدد الكبير ، وإنما تكون بأصحاب البأس الشَّديد ، والقدرة القتالية العالية ، وإن كانوا قلائل ، وذلك أَنَّهُ إذا انضم لهذه الفرقة من هم أقلُّ كفاءةً وشجاعةً ، ثمَّ ارتدُّوا عند هجوم الأعداء يسبِّون انهمازم الفرقة كلِّها [(٢١١١)] .

وقد اقتحم عاصم النَّهر بالسِّتِّين على الخيول ، وقد ذُكر من طليعتهم الَّذِينَ سبقوا إلى الشَّاطِئِ الآخر أصمُّ بنى ولاد التَّيمي ، والكَلَج الضَّبِّي ، وأبو مَفزَّر الأسود بن قطبة ، وشرحبيل بن السَّمط الكندي ، وحجل العجلي ، ومالك بن كعب الهمداني ، وغلّام من بني الحارث بن كعب ، فلمَّا راهم الأعاجم ؛ أعدُّوا لهم فرساناً فالتقوا بهم في النَّهر قرب الشَّاطِئِ الشَّرقي ، فقال عاصم : الرِّمَّاح ، الرِّمَّاح ، أشرعوها ، وتوخَّوا العيون ، فالتقوا ، فاطَّعنوا وتوخَّى المسلمون عيونهم ، فولَّوا نحو الشَّاطِئِ والمسلمون ينخسون خيولهم بالرِّمَّاح لتسرَّع في الهروب ، فصارت تسرَّع وأصحابها لا يملكون منعها ، ولحق بهم المسلمون ، فقتلوا عامَّتهم ، ونجا من نجا منهم عوراناً ، ولحق بقيَّة السِّتِّمَّة بإخوانهم فاستولوا على الشَّاطِئِ الشَّرقي [(٢١١٢)] .

٥ . المسلمون يقتحمون النَّهر :

لمَّا رأى سعد عاصماً على الفراض قد منعها ؛ أذن للنَّاس في الاقتحام ، وقال : قولوا : نستعين بالله ، ونتوكل عليه ، حسبنا الله ، ونعم الوكيل ، لا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم . وتلاحق معظم الجند ، فركبوا اللُّجَّة ، وإنَّ دجلة لترمي بالزَّبد ، وإنَّها لمُسوَّدة ، وإنَّ النَّاس ليتحدَّثون في عومهم ، وقد اقتربوا ما يكثرثون كما يتحدَّثون في مسيرهم على الأرض [(٢١١٣)] ، وكان الَّذي يساير سعداً في الماء سلمان الفارسي ، فعامت بهم الخيل ، وسعدٌ يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، والله لينصرنَّ الله وليه ، وليظهرنَّ الله دينه ، وليهزمنَّ الله عدوّه إن لم يكن في الجيش بَعْثٌ ، أو ذنوبٌ تغلب الحسنات [(٢١١٤)] ، فقال له سلمان : الإسلام جديدٌ ، ذلَّلت لهم والله البحور كما ذلَّلت لهم البرُّ [(٢١١٥)] ! أما الَّذي نفس سلمان بيده ليخرُجنَّ منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً [(٢١١٦)] ! وقول سلمان . رضي الله عنه . : الإسلام جديدٌ ، يعني : لا يزال حيّاً ، وأتباعه أقوياء الإيمان معتزُّون به ، وقد جعلوه قضيتهم التي من أجلها يحيون ، ومن أجلها يموتون ، وإليها يدعون ، وعنهما يدافعون ، أمَّا حينما ، يتقادم العهد ؛ فإنَّه تأتي أجيالٌ ترث هذا الدِّين وراثته لا اختياراً ، ولا تجعله القضية التي تأخذ على أفرادها مشاعرهم ، واهتماماتهم ، بل يجعلون همَّهم الأكبر هو العلوُّ في الدُّنيا والتَّمتع بمتاعها ، ويصبح الدِّين أمراً ثانويّاً في قاموس حياتهم ، فعند ذلك يخرجون منه أفواجاً كما دخلوه أفواجاً [(٢١١٧)] .

هذا وقد تمّ عبور المسلمين جميعاً سالمين لم يصب أحدٌ منهم بأذى ، ولم يقع منهم في النَّهر إلا رجلٌ من بارقٍ يُدعى « غرقدة » زال عن ظهر فرسٍ شقراء ، فثنى القعقاع بن عمرو عنان فرسه إليه ، فأخذ بيده فجزّه حتى عبر ، فقال البارقيُّ . وكان من أشدِّ النَّاسِ . :

أعجزت الأخوات أن يلدن مثلك يا قعقاع ! وكان للقعقاع فيهم خؤولة [(٢١١٨)] .

لقد دُهِشَ الفُرسُ من عبور المسلمين ، وهرب يزدجرد قاصداً حلوان ، ودخل المسلمون من غير معارض ، ونزل سعدُ القصر الأبيض ، واتَّخذه مصلىً ، وقرأ قوله تعالى : { كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ * } [سورة الدُّخان : ٢٥ - ٢٧] ، وصلى ثمانين ركعاتٍ ، صلاةَ الفتح ، وكان أوَّل من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثمَّ كتيبة الخرساء [(٢١١٩)] ، وكان الَّذي يقود كتيبة الأهوال : عاصم ابن عمرو التَّميمي ، وأمَّا الكتيبة الخرساء فكان يقودها القعقاع بن عمرو [(٢١٢٠)] .

٦ . مواقف من أمانة المسلمين :

أ . أحمد الله وأرضى بثوابه : لما هبط المسلمون المدائن ، وجمعوا الأقباض ؛ أقبل رجلٌ بِحُجٍّ معه ، فدفعه إلى صاحب الأقباض ، فقال والَّذي معه : ما رأينا مثل هذا قطُّ ، ما يعدله ما عندنا ، ولا يقاربه ، فقالوا : هل أخذت منه شيئاً؟ فقال : أما والله لولا الله ما أتيتكم به ! فعرفوا : أنَّ للرجل شأنًا ، فقالوا : من أنت؟ فقال : لا والله لا أخبركم لتحمدوني ؛ ولا غيركم ليقرّظوني ، ولكيِّي أحمد الله ، وأرضى بثوابه ، فأتبعوه رجلاً حتى انتهى إلى أصحابه ، فسأل عنه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس [(٢١٢١)] .

ب . قال عصمة بن الحارث الضَّبِّي : خرجت فيمن خرج يطلب ، فأخذت طريقاً مسلوفاً ، وإذا عليه حمار ، فلمَّا راني حنَّه ، فلحق باخر قدامه ، فمالا ، وحنَّا حماريهما ، فانتھيا إلى جدول قد كُسر جسره فثبتا حتى أتيتهما ، ثمَّ تفرَّقا ، ورماني أحدهما فألظظت به (يعني : تبعته) فقتلته ، وأفلت الآخر ، ورجعت إلى الحمارين ، فأتيت بهما صاحب الأقباض ، فنظر فيما على أحدهما ، فإذا سَقَطان في أحدهما فرسٌ من ذهب مسرج بسرجٍ من فضَّة على ثفره [(٢١٢٢)] ، ولبَّبه الياقوت والرُّمُّد ، منظومٌ على الفضَّة ، ولجامٌ كذلك ، وفارس من فضَّة مكلَّل بالجواهر ، وإذا في الآخر ناقَةٌ من فضَّة عليها شليلٌ [(٢١٢٣)] من ذهب ، وبطانٌ من ذهب ، ولها زمامٌ

من ذهب ، وكلُّ ذلك منظومٌ بالياقوت ، وإذا عليها رجلٌ من ذهب مكلَّلٌ بالجواهر ، كان كسرى يضعها إلى إسطوانتي النَّاج [(٢١٢٤)] .

ج. خبر القعقاع بن عمرو :

لحق القعقاع بفارسيّ يحمي النَّاسَ فاقتتلا ، وإذا معه غلافان ، وإذا في أحد الغلافين خمسة أسيافٍ ، وفي الآخر سِنَّةٌ ، وهي من أسياف الملوك من الفرس ومن الملوك الذين جرت بينهم وبين الفرس حروبٌ ، وفيها سيف كسرى ، وسيف هرقل ، وإذا في العيبتين أدراعٌ من أدراع الملوك ، وفيها درع كسرى ، ودرع هرقل ، فجاء بها إلى سعد ، فقال اختر أحد هذه الأسياف ، فاختار سيف هرقل ، وأعطاه درع بهرام ، وأما سائرهما فنفلها كتيبة الخرساء التي هي بقيادة القعقاع ، إلا سيف كسرى ، والنُّعْمان ، فقد رأى أن يبعثهما إلى أمير المؤمنين ؛ لتسمع بذلك العرب ، لمعرفتهم بهما [(٢١٢٥)] .

د. ثناء الصَّحابة على أفراد الجيش :

أثنى أكابر الصَّحابة . رضي الله عنهم . على ذلك الجيش ، ومن ذلك قول سعد ابن أبي وقَّاص : والله إنَّ الجيش لذو أمانة ! ولولا ما سبق لأهل بدرٍ ؛ لقلت على فضل أهل بدرٍ [(٢١٢٦)] ، وقال جابر بن عبد الله : والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحدٍ من أهل القادسيَّة : أنه يريد الدُّنيا مع الآخرة ، ولقد أئمننا ثلاثة نفرٍ ، فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم ، وزهدهم : طليحة بن خويلد ، وعمرو بن معد يكرب ، وقيس بن المكشوح ، وأكبر من ذلك ثناء أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . لما رأى خمس تلك الغنائم ، وكان معها سيف كسرى ، ومنطقته ، وزبرجده فقال : إنَّ قوماً أدَّوا هذه لذوو أمانة ، فقال عليٌّ . رضي الله عنه . : إنك عفت ، فعفَّت الرَّعيَّةُ ، ولو رتعت ؛ لرتعت [(٢١٢٧)] .

هـ . موقف عمر . رضي الله عنه . من نوادر الغنائم :

بعث سعد بن أبي وقَّاص أيام القادسيَّة إلى عمر بقاء كسرى ، وسيفه ، ومنطقته ، وسواريه ، وسراويله ، وقميصه ، وتاجه ، وخفيه ، وقد كانت غالبية الثَّمَن كالحريز ، والدَّهَب ، والجواهر ، فنظر عمر في وجوه القوم ، وكان أجسمهم وأبدنهم قاماً سراقاً بن مالك بن خثعم ، فقال : يا سراقاً ! قم فالبس ، قال سراقاً : فطمعت فيه ، فقمتم ، فلبست ، فقال : أدبر ، فأدبرت ، ثمَّ قال : أقبل ، فأقبلت ، ثمَّ قال : بخٍ بخٍ أعرابيُّ من مدلج عليه قباء

كسرى ، وسراويله ، وسيفه ، ومنطقته ، وتاجه ، وخفاه ، ربَّ يومٍ يا سراقاً بن مالكٍ لو كان عليك فيه هذا من متاع كسرى ، وال كسرى كان شرفاً لك ، ولقومك ، انزع ، فنزعت ، فقال : اللّهُمَّ إنَّك منعت هذا رسولك ، ونبيك ، وكان أحبَّ إليك مِنِّي ، وأكرم عليك مِنِّي ، ومنعته أبا بكرٍ ، وكان

أحبَّ إليك مَيِّ ، وأكرم عليك مَيِّ ، وأعطيتنيه ، فأعوذ بك أن تكون أعطيتنيه لتمكر بي ، ثمَّ بكى حتَّى رحمه من كان عنده ، ثمَّ قال لعبد الرحمن بن عوف : أقسمت عليك لما بعته ، ثمَّ قسمته قبل أن تمسي [(٢١٢٨)] .

سابعاً : موقعة جلولاء :

اجتمع الفرس على مفترق الطُّرق إلى مدائنهم في جلولاء ، فنذا مروا ، وقالوا : إن افترقتم ؛ لم تجتمعوا أبداً ، وهذا مكانٌ يفرِّق بيننا ، فلنجتمع للعرب به ، ولنقاتلهم ، فإذا كانت لنا ؛ فهو الَّذي نريد ، وإن كانت الأخرى ؛ كنا قد قضينا الَّذي علينا ، وأبلىنا عذراً . واجتمعوا على قيادة مهرازي ، وحفروا خندقاً حول مدينتهم ، وأحاطوا به الحسك من الخشب إلا الطُّرق التي يعبرون منها . وقد كتب سعد بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بذلك ، فكتب إلى سعد يأمره ببعث هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى جلولاء في اثني عشر ألفاً وأن يجعل على مقدِّمته القعقاع بن عمرو التَّميمي ، وعلى ميمنته مسعر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالك بن عتبة ، وعلى ساقته عمرو بن مرَّة الجهني . وسار إليهم هاشم بجيشه ، فحاصرهم ، وطاولهم أهل فارس فكانوا لا يخرجون لهم إلا إذا أرادوا ، وزاحفهم المسلمون ثمانين زحفاً ، كل ذلك يعطي الله المسلمين عليهم الظَّفَر ، وغلبوا المشركين على حسك الخشب التي اتَّخذوها لإعاقة المسلمين ، فاتَّخذ الأعداء حسك الحديد ، وجعل هاشم يقوم في النَّاس ، ويقول : إنَّ هذا المنزل منزل له ما بعده ، وجعل سعد يمدُّه بالفرسان ، حتَّى إذا طال الأمر ، وضاق الأعداء من صبر المسلمين ؛ اهتمُّوا بهم ، فخرجوا لقتالهم ، فقال : ابلوا الله بلاءً حسناً يتمَّ لكم عليه الأجر ، والمغنم ، واعملوا لله . فالتقوا ، فاقتتلوا ، وبعث الله عليهم رجلاً أظلمت عليهم البلاد فلم يستطيعوا إلا المحاجزة ، فتهافت فرسانهم في الخندق ، فلم يجدوا بُدّاً من أن يردموا الخندق ممَّا يليهم ؛ لتصعد منه خيلهم ، فأفسدوا حصنهم [(٢١٢٩)] .

فلمَّا بلغ المسلمين ما قام به الأعداء من ردم الخندق ؛ قالوا : أنهض إليهم ثانيةً ، فدخله عليهم ، أو نموت دونه ؟ فلما نهض المسلمون لقتالهم ؛ خرجوا ، فرموا حول الخندق ممَّا يلي المسلمين بحسك الحديد لكيلا تقدم عليهم الخيل ، وتركوا مكاناً يخرجون منه على المسلمين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثله إلا ليلة الهيرير ، وهي من ليالي القادسيَّة ؛ إلا أنَّه كان أقصر ، وأعجل .

وانتهى القعقاع بن عمرو في الوجه الَّذي زاحف فيه إلى باب خندقهم ، فأخذ به ، وأمر منادياً ، فنادى : يا معشر المسلمين ! هذا أميركم قد دخل خندق القوم ، وأخذ به ، فأقبلوا إليه ، ولا يمنعنكم

مَنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مِنْ دَخُولِهِ . وَإِنَّمَا أَمْرٌ بِذَلِكَ لِيُقَوِّيَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ . فَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ ؛ وَهُمْ لَا يَشْكُونَ فِي أَنْ هَاشِمًا فِيهِ ، فَلَمْ يَقُمْ لِحَمَلَتِهِمْ شَيْءٌ حَتَّىٰ انْتَهَوْا إِلَىٰ بَابِ الْخَنْدَقِ فَإِذَا هُمْ بِالْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو وَقَدْ أَخَذَ بِهِ ، وَأَخَذَ الْمَشْرُكُونَ فِي هَزِيمَةٍ يَمْنَةً وَيَسْرَةً عَنِ الْمَجَالِ الَّذِي بِحِيَالِ خَنْدَقِهِمْ ، فَهَلَكُوا فِيمَا أَعَدُّوا لِلْمُسْلِمِينَ ، فَعَقَرَتْ دَوَائِهِمْ . يَعْنِي : بِسَبَبِ حَسَكِ الْحَدِيدِ الَّتِي أَعَدُّوْهَا لِلْمُسْلِمِينَ . وَعَادُوا رَجَالَةً ، وَأَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَا يَعُدُّ ، وَقَتَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ مِئَةَ أَلْفٍ ، فَجَلَّلَتِ الْقَتْلَى الْمَجَالَ ، وَمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَا خَلْفَهُ ، فَسَمِّيَتْ جُلُولَاءَ بِمَا جَلَّلَهَا مِنْ قِتْلَاهُمْ ، فَهُوَ جُلُولَاءُ الْوَقِيعَةِ [(٢١٣٠)] .

أ . إِنَّ جُنْدَنَا أَطْلَقُوا بِالْفِعَالِ لِسَانًا :

وَبَعَثَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ زِيَادَ بْنَ أَبِيهِ بِالْحِسَابَاتِ الْمَالِيَّةِ إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ زِيَادٌ هُوَ الَّذِي يَكْتُبُ لِلنَّاسِ ، وَيَدَوِّنُهُمْ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَىٰ عَمْرٍو كَلَّمَهُ فِيمَا جَاءَ لَهُ ، وَوَصَفَ لَهُ ، فَقَالَ عَمْرٍو : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ فِي النَّاسِ بِمِثْلِ الَّذِي كَلَّمْتَنِي بِهِ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ شَخْصٌ أَهْيَبُ فِي صَدْرِي مِنْكَ ! كَيْفَ لَا أَقْوَى عَلَىٰ هَذَا مِنْ غَيْرِكَ ؟ ! فَقَامَ فِي النَّاسِ بِمَا أَصَابُوا ، وَبِمَا صَنَعُوا ، وَرَبَّمَا يَسْتَأْذِنُونَ فِيهِ مِنَ الْإِنْسِيَاكِ فِي الْبِلَادِ ، فَقَالَ عَمْرٍو : هَذَا الْخَطِيبُ الْمِصْفَعُ ، فَقَالَ زِيَادٌ : إِنَّ جُنْدَنَا أَطْلَقُوا بِالْفِعَالِ لِسَانًا [(٢١٣١)] .

ب . مَوْقِفَ عَمْرٍو مِنْ غَنَائِمِ جُلُولَاءَ :

انْتَهَتْ مَعْرَكَةُ جُلُولَاءَ بَانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ غَنِمُوا فِيهَا مَغَانِمَ عَظِيمَةً ، أَرْسَلُوا بِأَخْمَاسِهَا إِلَىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍو . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَقَالَ حِينَ رَأَاهُ : وَاللَّهِ لَا يُجْنُهُ سَقْفُ بَيْتٍ حَتَّىٰ أَقْسَمَهُ ، فَبَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ أَرْقَمٍ يَحْرَسَانَهُ فِي صَحْنِ الْمَسْجِدِ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ فِي النَّاسِ فَكَشَفَ عَنْ جَلَابِيئِهِ . وَهِيَ الْأَنْطَاعُ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَىٰ يَاقُوتِهِ ، وَزَبْرَجَدِهِ ، وَجَوْهَرِهِ ؛ بَكَى ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : مَا يَبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فَوَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِمَوْطِنِ شُكْرٍ ! فَقَالَ عَمْرٍو : وَاللَّهِ مَا ذَاكَ يَبْكِيكَ ، وَاللَّهِ مَا أَعْطَى اللَّهُ هَذَا قَوْمًا إِلَّا تَحَاسَدُوا ، وَتَبَاغَضُوا ! وَلَا تَحَاسَدُوا إِلَّا أُلْقِيَ بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ [(٢١٣٢)] .

وهذا لون من حساسية الإيمان المرهفة ، حيث يدرك المؤمن الراسخ من نتائج الأمور

المستقبلية ما لا يخطر على بال غيره ، فيحمله الإشفاق على المؤمنين من أن يكدر صفو علاقاتهم الإيمانية شائبة من شوائب الدنيا ؛ التي تباعد بين القلوب ، يحمله ذلك على التأثر العميق ؛ الذي يصل إلى تحدر دموعه أمام الناس ، وإنه لعجيب أن تهطل الدموع من عيني رجل بلغ من القوة حدًا يخشاه أهل الأرض قاطبة ، مسلمهم ، وكافرهم ، ومنافقهم ، ولكنها الرحمة التي حلّى بها الله . جل ،

وعلا . قلوب المؤمنين ، فأصبحوا كما وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا * } [سورة الفتح : ٢٩] .

ثامناً : فتح رامهرمز :

كان الفرس قد بدؤوا بالتَّجْمُعِ مرَّةً أخرى بتحريض من ملكهم يزيدجرد ، فاجتمعوا في رامهرمز بقيادة الهرمزان ، وقد كان سعد بن أبي وقاص أخير أمير المؤمنين بخبر اجتماعهم ، فأمره أن يجهز إليهم جيشاً من أهل الكوفة بقيادة النُّعْمان بن مقرن ، وأمر أبا موسى الأشعريَّ بأن يجهز جيشاً من البصرة بقيادة سهل بن عديٍّ ، وإذا اجتمع الجيشان ؛ فعليهم جميعاً أبو سبرة بن أبي رهم ، وكلُّ من أتاه فهو مددٌ له ، وخرج النُّعْمان بن مقرن في أهل الكوفة ، ثمَّ سار نحو « الهرمزان » والهرمزان يومئذٍ برامهرمز . ولما سمع الهرمزان بمسير النُّعْمان إليه ؛ بادره الشَّدَّة ، ورجا أن يقطعها ، وقد طمع الهرمزان في نصر أهل فارس ، وقد أقبلوا نحوه ، ونزلت أوائل أمدادهم بتستر ، فالتقى النُّعْمان ، والهرمزان بأربك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثمَّ إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - هزم الهرمزان للنُّعْمان ، وأخلى رامهرمز ، ولحق بتستر ، وأمَّا سهل ابن عديٍّ فإنَّه سار بأهل البصرة يريد رامهرمز ، فأنتهم المعركة وهو بسوق الأهواز ، وأتاهم الخبر بأنَّ الهرمزان قد لحق بتستر ، فمالوا إلى تستر ، ومال إليها النُّعْمان بأهل الكوفة [(٢١٣٣)] .

تاسعاً : فتح تستر :

وصل جيش النُّعْمان بن مقرن ، وجيش سهل بن عديٍّ إلى تستر ، واجتمعا تحت قيادة أبي سبرة بن أبي رهم ، وقد استمدَّ أبو سبرة أمير المؤمنين فأمدَّهم بأبي موسى الأشعري فأصبح قائد جيش البصرة ، وظلَّ أبو سبرة قائد الجيش كلَّه ، وقد بقي المسلمون في حصار تستر عدَّة شهور ، قابلوا فيها جيش الأعداء في ثمانين معركة ، وظهرت بطولة الأبطال بالمبارزة ، فاشتهر منهم عددٌ بقتل مئة مبارز سوى من قتلوا في أثناء المعارك ، وقد ذكر منهم : البراء بن مالك ،

ومجزأة بن ثور ، وكعب بن سور ، وأبو تيممة ، وهم من أهل البصرة ، وفي الكوفيِّين مثل ذلك ذكر منهم : حبيب بن قرَّة ، وربيعي بن عامر ، وعامر بن عبد الله الأسود [(٢١٣٤)] .

ولما كان اخر لقاء بين المسلمين وأعدائهم ، واشتدَّ القتال نادى المسلمون البراء بن مالك ، وقالوا : يا براء ! أقسم على ربِّك ليهزمنَّهم لنا ، فقال : اللهمَّ اهزمهم لنا ، واستشهدني ! وقد باشر المسلمون القتال ، وهزموا أعداءهم حتَّى أدخلوهم خنادقهم ، ثمَّ اقتحموها عليهم ، وأتته لما ضاق الأمر على الفرس ، واشتدَّ عليهم الحصار اتَّصل اثنان منهم في جهتين مختلفتين بالمسلمين ، وأخبراهم بأنَّ فتح المدينة يكون من مخرج الماء ، وقد وصل الخبر إلى الثُّعمان بن مقرِّن ، فندب أصحابه إلى ذلك المكان ، ووصل الخبر إلى أبي موسى الأشعري فندب أصحابه كذلك ، فالتقى الأبطال من أهل الكوفة والبصرة في ذلك المكان ليلاً ، ودخلوا منه بساحةٍ إلى المدينة ، فكبَّروا ، وكبَّر مَنْ وقفوا في الخارج ، وفتحوا الأبواب ، فأبادوا من حولها بعد شيءٍ من المقاومة [(٢١٣٥)] .

وقد استشهد في هذه المعركة البراء بن مالك ، ومجزأة بن ثور ، حيث رماهما الهرمزان ، وكان استشهادهما بعد انتصار المسلمين في المعركة ، ولجأ الهرمزان قائد الفرس إلى القلعة ، وأطاف به المسلمون الذين دخلوا من مخرج الماء ، فلمَّا عاينوه وأقبلوا قبَّله ؛ قال لهم : ما شئتم ، قد ترون ضيق ما أنا فيه وأنتم ، ومعني في جمعتي مئة نَشَّابة ، ووالله ما تصلون إليَّ ما دام معي نَشَّابة ! وما يقع لي سهمٌ ، وما خير إيساري إذا أصبت منكم مئة بين قتيل وجريح ، قالوا : فتريد ماذا ؟ قال : أن أضع يدي في أيديكم على حكم عمر يصنع بي ما شاء . قالوا : فلك ذلك ، فرمى بقوسه ، وأمكنهم من نفسه ، فشدُّوا وثاقه ، وأرصدوه . أي : راقبوه . ليعثوا إلى أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . ثمَّ تسلَّموا ما في البلد من الأموال والحواصل ، فاققسموا أربعة أخماسه ، فنال كلُّ فارسٍ ثلاثة الاف ، وكلُّ راجلٍ ألف درهم [(٢١٣٦)] وفي غزوة تستر دروسٌ ، وعبرٌ ، منها :

١ . ما يسرُّني بتلك الصَّلَاة الدُّنيا وما عليها :

قال أنس بن مالك أخو البراء: شهدت مناهضة حصن تستر عند إضاءة الفجر، واشتدَّ اشتعال القتال، فلم يقدرُوا على الصَّلَاة، فلم نصل إلا بعد ارتفاع النَّهار، فصليناها ونحن مع أبي موسى، ففتح الله لنا، قال أنس بن مالك الأنصاري: ما يسرُّني بتلك الصَّلَاة الدُّنيا، وما عليها [(٢١٣٧)] .

٢ . وسام من أوسمة الشَّرَف ناله البراء بن مالك :

علَّق النَّبِيُّ (ص) على صدر البراء بن مالك وساماً عظيماً من أوسمة الشَّرَف ، وذلك بقوله : « كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله ؛ لأبَّره ، منهم البراء بن مالك » [(٢١٣٨)] ، فقد كان البراء مستجاب الدَّعوة ، وعرف النَّاس عنه ذلك بموجب هذا الحديث ، ولذلك طلبوا منه في

هذه المعركة أن يدعو الله ؛ ليهزم عدوهم ، ومع هذا الثناء العظيم من رسول الله (ص) على البراء ؛ فإنه لم يبطر ، ولم يتكبر ، بل ظلَّ الرَّجُل المتواضع ؛ الَّذِي يقتحم الأهوال ، ويأتي بأعظم النتائج ، من غير أن تكون له إمرةٌ ، أو قيادةٌ ، وإذا كان قد سأل الله تعالى النَّصر للمسلمين ، وهو عزُّ لهم ، وللإسلام فإنه لم يُعفل نفسه أن يسأل الله تعالى أعلى ما يتمناه المؤمن القويُّ الإيمان ، حيث سأل الله تعالى الشَّهادة ، وقد استجاب الله تعالى دعاءه ، فهزم الأعداء ، ورزقه الشَّهادة في ذلك اليوم [(٢١٣٩)] .

٣ . خبر أمير المؤمنين عمر مع الهرمزان :

وأوفد أبو سبرة بن أبي رُهم قائد المسلمين في تلك المعارك وفدأ إلى أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . وأرسل معهم الهرمزان ، حتَّى إذا دخلوا المدينة هيَّؤوا الهرمزان في هيئته ، فألبسوه كسوته من الدِّياج الَّذِي فيه الذهب ، ووضعوا على رأسه تاجاً يُدعى : الاذنين مكللاً بالياقوت ، وعليه حلّيته ، كيما يراه عمر ، والمسلمون في هيئته ، ثمَّ خرجوا به على النَّاس يريدون عمر في منزله ، فلم يجدوه ، فسألوا عنه فقيل لهم : جلس في المسجد لوفدٍ قدموا عليه من الكوفة ، فانطلقوا يطلبونه في المسجد ، فلم يرؤهُ ، فلمَّا انصرفوا مرُّوا بغلمان من أهل المدينة يلعبون ، فقالوا لهم : ما تلذدكم [(٢١٤٠)] ؟ أتريدون أمير المؤمنين ؟ فإنه نائم في ميمنة المسجد ، متوسِّداً برنسه . وكان عمر قد جلس لوفد أهل الكوفة في برنس . فلمَّا فرغ من كلامهم ، وارتفعوا عنه ، وأخلوه ؛ نزع برنسه ، ثمَّ توسَّده ، فنام ، فانطلقوا ومعهم النَّظارة حتَّى إذا رأوه ، جلسوا دونه ، وليس في المسجد نائم ، ولا يقظان غيره ، والدِّرة في يده معلقةٌ ، فقال الهرمزان : أين عمر ؟ فقالوا : هو ذا ، وجعل الوفد يشيرون إلى النَّاس أن اسكتوا عنه ، وأصغى الهرمزان إلى الوفد ، فقال : أين حرسه ، وحجَّابه عنه؟ قالوا : ليس له حارسٌ ، ولا حاجبٌ ، ولا كاتبٌ ، ولا ديوانٌ ! قال : فينبغي له أن يكون نبياً . فقالوا : بل يعمل عمل الأنبياء ، وكثر النَّاس فاستيقظ عمر بالجلبة ، فاستوى جالساً ، ثمَّ نظر إلى الهرمزان ، فقال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم ، فتأمَّله ، وتأمَّل ما عليه ، وقال : أعوذ بالله من النَّار ؟ وأستعين الله ، وقال : الحمد لله الَّذِي أذلَّ

بالإسلام هذا وأشياعه ، يا معشر المسلمين ! تمسَّكوا بهذا الدِّين ، واهتدوا بهدي نبيِّكم (ص) ، ولا تبطرنكم الدنيا ، فإنَّها غرارةٌ . فقال الوفد : هذا ملك الأهواز فكلمه ، فقال : لا ، حتَّى لا يبقى عليه من حلّيته شيءٌ ! فرمى عنه بكلِّ شيءٍ عليه إلا شيئاً يستره ، وألبسوه ثوباً صفيقاً ، فقال عمر : هيه يا هرمزان ! كيف رأيت وبال الغدر ، وعاقبة أمر الله ؟ فقال : يا عمر ! إنَّا وإيَّاكم في الجاهليَّة كان الله قد خلَّى بيننا وبينكم ، فغلبناكم إذ لم يكن معنا ولا معكم ، فلمَّا كان معكم غلبتمونا . فقال عمر :

إِنَّمَا غلبتمونا في الجاهليَّة باجتماعكم وتفترقنا ، ثمَّ قال عمر : ما عذرک ، وما حجَّتک في انتفاضک مرَّةً بعد مرَّةٍ ؟ فقال : أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرک ، قال : لا تخف ذلك ، واستسقى ماءً ، فأُتي به في قدحٍ غليظٍ ، فقال : لو متُّ عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا ، فأُتي به في إناءٍ يرضاه ، فجعلت يده ترتجف ، وقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء ، فقال عمر : لا بأس عليك حتَّى تشربه ، فأكفأه ، فقال عمر : أعيديوا عليه ، ولا تجمعوا عليه القتل والعطش ، فقال : لا حاجة لي في الماء ، إِنَّمَا أردت أن أستأمن به ، فقال له عمر : إني قاتلك ، قال : قد أمَّنتني ، فقال : كذبت ! فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين ! قد أمَّنته ، قال : ويحك يا أنس ! أنا أوَّمن قاتل مجزأة ، والبراء ! والله لتأتينَّ بمخرج ، أو لأعاقبنك ! قال : قلت له : لا بأس عليك حتَّى تخبرني ، وقلت : لا بأس عليك حتَّى تشربه ، وقال له من حوله مثل ذلك ، فأقبل على الهرمزان ، وقال : خدعتني ، والله لا أنخدع إلا لمسلم ! فأسلم ، وفرض له على ألفين ، وأنزله المدينة [(٢١٤١)] .

عاشراً : فتح مدينة جُنْدَي سابور :

لما فرغ أبو سبرة بن أبي رهم من فتح بلاد السُّوس ؛ خرج في جنده حتَّى نزل على « جُنْدَي سابور » وكان زُرُّ بن عبد الله بن كليب محاصرهم ، وأقاموا عليها يغادونهم ، ويراوحونهم القتال ، فما زالوا مقيمين عليها حتَّى رُمي إليهم بالأمان من المسلمين ، وكان فتحها ، وفتح نهاوند في مقدار شهرين ، فلم يفاجأ المسلمون إلا وأبوابها تفتح ، ثمَّ خرج السَّرح ، وخرجت الأسواق ، وانبثَّ أهلها ، فأرسل المسلمون أن مالكم ؟ قالوا : رميتم لنا بالأمان ، فقبلناه ، وأقررنا لكم بالجزء على أن تمنعونا ، فقالوا : ما فعلنا ! فقالوا : ما كذبنا ! فتساءل المسلمون فيما بينهم ، فإذا عبداً يدعى مكناً كان أصله منها ، هو الَّذي كتب لهم . فقالوا : إِنَّمَا هو عبداً ، فقالوا : لا نعرف حرَّكم من عبدكم ، قد جاء أمانٌ فنحن عليه قد قبلناه ، ولم نبذل ، فإن شئتم فاغدروا ! فأمسكوا عنهم ، وكتبوا بذلك إلى عمر ، فكتب إليهم : إنَّ الله تعالى عظم الوفاء ، فلا تكونون أوفياء حتَّى تفوا ، ما دمتم في شكٍّ ؛ أجزوهم ، ووفوا لهم . فوفوا لهم ، وانصرفوا [(٢١٤٢)] .

وهذا مثالٌ يدلُّ على تفوُّق المسلمين السَّاسع في مجال مكارم الأخلاق على جميع أعدائهم من الكفَّار ، ولا شكَّ أنَّ هذا التَّفوُّق الأخلاقي كان من الدَّوافع الأساسيَّة لدخول الكفَّار في الإسلام بتلك الكثافة والسُّرعة المذهلة [(٢١٤٣)] .

—خ النُّعمان بن مقرِّن ومدينة كسكر :

كان النعمان بن مقرن والياً على كسكر ، فكتب إلى عمر . رضي الله عنه . : مثلي ، ومثل كسكر كمثل رجلٍ شابٍ وإلى جانبه مومسةٌ تلون له ، وتعطر ، فأشددك الله لما عزلتني عن كسكر ، وبعثتني إلى جيش من جيوش المسلمين ! فكتب إليه عمر : أن اتت الناس بنهاوند ، فأنت عليهم [(٢١٤٤)]

المبحث الثالث

معركة نهاوند (فتح الفتوح) المرحلة الرابعة ٢١ هـ

كان المسلمون قد انتصروا على جيوش الفرس في معارك عديدة متتالية ، وأضحوا يطاردون فلول تلك الجيوش دون أن يتركوا لها فرصةً لالتقاط أنفاسها ، فمنذ انتصارهم السَّاحق في معركة القادسية بالعراق حتى المعركة الحاسمة في نهاوند ، مرَّت أربع سنوات كان المسلمون ينتقلون خلالها من نصرٍ إلى نصرٍ ، وكانت تلك الجيوش تتابع تقدُّمها ؛ لكي تقضي على ما تبقى من فلول جيوش الإمبراطورية الهرمية ، لولا أن أوامر الخليفة عمر . رضي الله عنه . كانت تقضي بالتَّوقُّف أمام جبال زغروس ، وعدم تجاوزها ، وذلك بغية إعادة تنظيم الجيوش المنهكة من القتال المستمرِّ ، وتنظيم إدارة الأقاليم المفتوحة [(٢١٤٥)]

ولقد أثارت الهزائم المتتالية التي ألحقها المسلمون بالفرس بعد القادسية خاصةً حفيظتهم ، وحنقهم ، ولم تكن كافيةً على ما يبدو للقضاء نهائيًّا على مقاومتهم ، فكتب أمراؤهم ، وقادتهم إلى مليكهم (يزيدجرد) ، يستنهضونه للقتال من جديد ، فعزم عليه ، وأخذ يعدُّ العدة للعودة إلى قتال المسلمين فيما تبقى له في بلاده من معاقل ، ومعتصمات ، فكتب إلى أهل الجبال من الباب إلى سجستان ، فخراسان أن يتحرَّكوا للقاء المسلمين ، وواعدهم جميعاً نهاوند ، وكان قد وقع عليها الاختيار كمركزٍ أخيرٍ للمقاومة ، وكميدانٍ للمعركة الحاسمة ، فهي مدينةٌ منيعةٌ تحيط بها الجبال من كلِّ جانب ، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر مسالكٍ وعرةٍ صعبةٍ ، وقد تحشَّد الفرس في هذه المدينة ، واجتمع ليزدجرد فيها مئةٌ وخمسون

ألف مقاتل : ثلاثون ألفاً من الباب إلى حلوان ، وستون ألفاً من خراسان إلى حلوان ، ومثلها من سجستان إلى حلوان ، فجعل يزدجرد عليهم الفيرزان قائداً [(٢١٤٦)] .

كان سعد بن أبي وقاص في الكوفة حين علم بخبر الحشود الفارسيّة ، فكتب إلى الخليفة عمر ينبئه بذلك ، ويستأمره ، شارحاً له الوضع من مختلف جوانبه ، فجمع عمر في المدينة أهل الرّأي والمشورة من المسلمين ، واستشارهم في الأمر ، ثمّ قرّر بعدها إرسال جيش لقتال الفرس في معقلهم الأخير « نهاوند » وكان النُّعمان ابن مقرّن المزني يومئذٍ عاملاً على كسكر ، وكان قد

كتب إلى الخليفة كتاباً يقول له فيه : (مثلي ومثل كسكر كمثل رجلٍ شابٍّ إلى جنبه مومسةٌ تلوّن له ، وتعطرُ ، فأنتدك الله لما عزلتني عن كسكر ، وبعثتني إلى جيشٍ من جيوش المسلمين !) [(٢١٤٧)] .

واستشار عمر مجلس شورا، وتقرّر أن يتولّى قيادة جيوش المسلمين في نهاوند النُّعمان بن مقرّن ، ووضع الخليفة خطةً لتعبئة جيش المسلمين على الشّكل التّالي :

. النُّعمان بن مقرّن المزني (والي كسكر) قائداً عامّاً للجيش .

. حذيفة بن اليمان قائداً لفرقة تعباً من أهل الكوفة .

. أبو موسى الأشعري (والي البصرة) قائداً لفرقة تعباً من أهل البصرة .

. عبد الله بن عمر (بن الخطاب) : قائداً لفرقة تعباً من المهاجرين ، والأنصار .

. سلمى بن القين ، وحرملة بن مريطة ، وزر بن كليب ، والأسود بن ربيعة ، وسواهم من قادة المسلمين في الأهواز وباقي بلاد فارس : احتياط ، ومشاغلة للأعداء .

وكتب عمر إلى الولاة والقادة بتعليماته ، واستطاع الفاروق أن يحشد جيشاً مقداره ثلاثين ألف مقاتل [(٢١٤٨)] . وتحرك جيش الإسلام بقيادة النُّعمان بن مقرّن إلى نهاوند .

ووجدتها محصّنة تحصيناً قوياً ، وحوها خندق عميقٌ ، وأمام الخندق حسكٌ شائكٌ مرّبع الأضلاع ، يثبت منه ضلعٌ في الأرض ، وتظلُّ الأضلاع الثّلاثة الباقية ، أو اثنان منها على الأقل فوق سطحها ؛ لتعيق تقدّم المهاجمين ، أو تؤذي خيالتهم بإحداث ثقوب في حوافر جيادهم ممّا يمنعها من متابعة الجري ، أمّا جيش الفرس داخل سور المدينة فكان على تعبئة ، وقد انضمَّ إليه بنهاوند « كلُّ من غاب عن القادسيّة » ، وقد ركز الفيرزان رماته باتجاه محاور التّقدّم المحتملة للمسلمين كي يطالوا جندهم بنباهم إذا ما حاولوا التّقدّم [(٢١٤٩)] .

لقد اصطدمت خيول المسلمين بالحسك الشائك ثم بالخندق فلم يستطيعوا اجتيازها ، بينما تولَّى رماة الفرس رمي جند المسلمين الذين تمكَّنوا من الاقتراب من السُّور ، واستمرَّ الأمر كذلك لمدة يومين ، ورأى الثُّعمان أن يجمع أركان الجيش الإسلامي لتدارس الوضع معه ، وخرجوا بنتيجة الاجتماع بالخطة التالية ، وكان صاحبها طليحة بن خويلد الأسدي :

١ . تخرج خيول المسلمين ، فتنشب القتال مع الفرس ، وتستنزفهم حتى تخرجهم من أسوارهم .
٢ . إذا خرجوا تفهقرت خيول المسلمين أمامهم يعتقدون تراجعها ضعفاً ، ويطمعون بالنصر ، فيلحقوا بها وهي تجري أمامهم .

٣ . تستدرج خيول المسلمين المتظاهرة بالهزيمة ، الفرس إلى خارج أسوارهم ومواقعهم .

٤ . يفاجئ المسلمون الذين يكونون قد كمنوا في أماكن محدَّدة ، وممَّوهة الفرس المتدفقين خلف خيول المسلمين ، ويطبِّقون عليهم ، وهم بعيدون عن مراكزهم ، وخذادتهم ، وأسوارهم (٢١٥٠) . وشرع الثُّعمان لتنفيذ هذه الخطة ، ووزع قواته فرقا على الشكل التالي :

. الفرقة الأولى : خيالة بقيادة القعقاع بن عمرو ، ومهمتها تنفيذ عملية التَّضليل وفقاً للخطة المرسومة انفاً ، واقتحام أسوار العدو ، والاشتباك معه .

. الفرقة الثانية : مشاة بقيادته هو ، ومهمتها : التَّمركز في مواقع ثابتة ، وممَّوهة بانتظار وصول الفرس إليها حيث تنشب القتال معها في معركة جبهية .

. الفرقة الثالثة : خيالة ، وهي القوة الضَّاربة في الجيش ، ومهمتها : التَّمركز في مواقع ثابتة ، وممَّوهة ، ثمَّ الهجوم على قوَّات العدو من الجانبين .

. وأمر الثُّعمان المسلمين في كمائنهم (أن يلزموا الأرض ، ولا يقاتلوهم حتى يأذن لهم) (٢١٥١) ، والتزم المسلمون بالأمر ينتظرون إشارة الثُّعمان بالهجوم .

وشرع القعقاع في تنفيذ الخطة ، ونجح نجاحاً رائعاً ، وكانت مفاجأة الفرس مذهلة عندما وجدوا أنفسهم ، في اخر المطاف محاصرين بين قوات المسلمين التي شرعت سيوفهم في حصد رقاب المشركين ، ولأذ المشركون بالفرار ليتحصَّنوا بخنادقهم ، وحصونهم إلا أنَّهم وقعوا في خنادقهم ، وفي الحسك الشائك ، واستمرَّ المسلمون يطاردونهم ، ويعملون سيوفهم في ظهورهم ، وأقفيتهم ، حتى سقط من الفرس ألوف في الخندق ، واستطاع القعقاع أن يطارد الفيرزان فلحقه ، وقضى عليه ، ودخل المسلمون بعد هذه المعركة « نھاوند » ثمَّ همذان ، ثمَّ انطلقوا بعد ذلك يستكملون فتح ما تبقى من بلاد فارس دون مقاومة تذكر

، ولم يكن للفرس بعد نهاوند اجتماع ، وملك المسلمون بلادهم ، لذلك سميت معركة نهاوند بفتح الفتوح [(٢١٥٢)] .

لقد ظهر فقه الفاروق في معركة نهاوند في عدّة أمورٍ منها :

١ . التّحشّد ومنع العدو من التّحشّد :

حيث لم يكتفِ الخليفة عمر - رضي الله عنه - بأن أمر عمّاله في الكوفة ، والبصرة ، والمسلمين في الجزيرة بالتّحشّد لقتال الفرس ، بل أمر قاداته في الأهواز ، وباقي بلاد فارس أن يمنعوا العدو من التّحشّد ، فكلف سلمى بن القين ، وحرملة بن مريطة ، وزر بن كليب ،

والأسود بن ربيعة ، وسواهم أن يقيموا على حدود ما بين فارس ، والأهواز ، وأن يمنعوا الفرس من الانضمام إلى الجيش المتحشّد في نهاوند ، وهكذا فقد أقام هؤلاء القادة في تخوم أصبهان ، وفارس ، وقطعوا الإمداد عن نهاوند [(٢١٥٣)] .

٢ . تعيين القادة إن مات قائد الجيوش :

كما فعل النّبِيُّ (ص) يوم مؤتة - (٨ هـ / ٦٢٩ م) عندما أمّر على المسلمين زيد بن حارثة ، فإن أصيب ، فجعفر بن أبي طالب على النّاس ، فإن أصيب جعفر ؛ فعبد الله بن رواحة على النّاس ، كذلك فعل عمر الفاروق يوم نهاوند عندما أمّر النّعمان على المسلمين ، فإن حدث بالنّعمان حدث ، فعلى النّاس حذيفة بن اليمان ، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى النّاس نعيم بن مقرن . وتميّز النّعمان بقيادته الرّفيعة ، والتي ظهرت في عدّة أمورٍ :

أ . الاستطلاع قبل السّير للقتال :

كلف النّعمان قبل السّير بجيشه نحو نهاوند . وكان على بُعد « بضعة وعشرين فرسخاً » منها . كلاً من طليحة بن خويلد الأسدي ، وعمرو بن أبي سلمى العنزي ، وعمرو بن معد يكرب الزّبيدي بالتّقدّم نحوها ، واستطلاع الطّريق الموصلة إليها ، ومعرفة ما إذا كان من عدوّ بينه وبينها ، فسار الثلاثة مقدار يومٍ وليلةٍ ، ثمّ عادوا ليبلّغوا القائد العامّ : أنّ ليس بينه وبين نهاوند شيءٌ يكرهه ، ولا أحد ، فكانت هذه البعثة أشبه بما يعرف في عصرنا بالطّليعة « أو المفرزة المتقدّمة » التي تسبق أيّ جيشٍ لاستطلاع الطّريق له قبل تقدّمه ، ومع ذلك أخذ النّعمان كلّ الاحتياطات الّلازمة عند تحرّكه بجيشه ، فسار « على تعبئةٍ » كما يفترض أن يسير .

ب . عمليّة التّضليل :

وكانت « عملية التّضليل » التي نفّذها المسلمون في نهاوند من أروع المناورات العسكريّة التي يمكن أن ينفذها جيش في التّاريخ القديم ، والحديث ، فعندما عجز المسلمون عن اقتحام أسوار المدينة المحصّنة ، والمحميّة بالخندق المحيط بها ، وبالحسك الشّائك ، وبالرّماة المهرة ، وقَدروا : أنّ الحصار سوف يستمرّ طويلاً دون جدوى ، طالما : أنّ لدى الفرس المحاصرين داخل أسوار المدينة من الدّخائر ، والمؤن ما يكفيهم للمقاومة مدّةً طويلةً ؛ رأوا أن يعمدوا إلى الحيلة في استدراج العدوِّ ، وإخراجه من « جحوره » ومواقعه ، لكي يقاتلوه خارج تلك الأسوار ، فيكونون قد فرضوا عليه ميدان القتال الذي اختاروه بأنفسهم ، وقد تمّ ما قدّره المسلمون تماماً ، فاستدرج العدوُّ إلى مواقع حدّدها المسلمون للقتال حيث كمنوا له ، ثمّ نالوه في تلك المواقع جبهياً ، ومن كلّ جانب ، ففوجيء ، ثمّ ذعر ، فأسقط في يده ، وانهزم ،

وليس هناك من حيلةٍ أخرى يمكن أن يلجأ إليها خصمٌ لإخراج خصمه ، وإخراجه ، والتّغلب عليه أفضل من هذه الحيلة [(٢١٥٤)] .

ج . اختيار ساعة الهجوم :

وقد تكلمت كتب التّاريخ عن صبر النّعمان بن مقرّن ، وحنكته المتميّزة المتناهية في اختيار ساعة الهجوم ، التي كان رسول الله (ص) يحبّها عند الزوال ، وتفيؤ الأفياء ، وهبوب الرّيح .

لقد نال النّعمان بن مقرن الشّهادة في تلك المعركة الحاسمة ، ووصل خبر النّعمان إلى أمير المؤمنين ، فقال : « إنّنا لله وإنا إليه راجعون » وبكى ، ونشج ، واشتدّ حزنه ، وسأل عن الشّهداء ، فسَمّي له أسماء لا يعرفها ، فقال : أولئك المستضعفون من المسلمين ، ولكنّ الذي أكرمهم بالشّهادة يعرف وجوههم ، وأنسابهم ، وما يصنع أولئك بمعرفة عمر [(٢١٥٥)] ؟ !

ومما يستحقّ الدّكر : أنّ المسلمين عثروا في غنائم نهاوند على سفطين [(٢١٥٦)] مملوءين جوهراً نفيساً من ذخائر كسرى فأرسلهما حذيفة أمير الجيش إلى عمر مع السّائب بن الأقرع ، فلمّا أوصلهما له ؛ قال : « ضعها في بيت المال ، والحقّ بجندك » .

فركب راحلته ، ورجع ، فأرسل عمر وراءه رسولاً يخبّ السّير في أثره حتّى لحقه بالكوفة فأرجعه [(٢١٥٧)] .

فلما راه عمر قال : ما لي وللسائب ، ما هو إلا أن نمت الليلة التي خرجت فيها ، فباتت الملائكة تسحبني إلى السّفطين يشتعلان ناراً؟ يتوعّدوني بالكبيّ إن لم أقسمها ، فخذها عتيّ ، وبعهما في أرزاق المسلمين . فبيعا بسوق الكوفة .

فرضي الله عنك يا عمر ! لقد سرت بسيرة نبيّك ، فعزّزت ، وأعززت الإسلام ، والمسلمين ، اللهمّ ألهمنا الاتّباع ، واكفنا شرّ الابتداع [(٢١٥٨)] !

وبعد معركة نهاوند تسارع زعماء الفرس من همدان ، وطبرستان ، وأصبهان ، وطلبوا الصّلح ، وتمّ لهم ذلك على التّوالي [(٢١٥٩)] .

المبحث الرابع

الانسياح في بلاد العجم « المرحلة الخامسة »

بعد انتصار المسلمين في وقعة نهاوند لم يبق للفرس أمر ، وانساح المسلمون في بلاد العجم ، وأذن لهم عمر في ذلك ، فافتتح المسلمون بعد نهاوند مدينة جي . وهي مدينة أصبهان [(٢١٦٠)] . بعد قتالٍ كثيرٍ ، وأمورٍ طويلةٍ ، فصالحوا المسلمين ، وكتب لهم عبد الله بن عبد الله كتاب أمانٍ ، وصلحٍ ، وفرّ منهم ثلاثون نفرًا إلى كرمان ، لم يصلحوا المسلمين ، وفي سنة إحدى وعشرين افتتح أبو موسى قم ، وقاشان [(٢١٦١)] ، وافتتح سهيل بن عديّ مدينة كرمان .

أولاً : فتح همدان ثانية ٢٢ هـ :

تقدّم : أنّ المسلمين لما فرغوا من نهاوند فتحوا حلوان ، وهمدان ، ثمّ إنّ أهل همدان نقضوا عهدهم ؛ الذي صالحهم عليه القعقاع بن عمرو ، فكتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يسير إلى همدان ، فسار حتّى نزل على ثنية العسل ، ثمّ تحدّر على همدان ، واستولى على بلادها ، وحاصرها ، فسألوه الصّلح ، فصالحهم ، ودخلها ، فبينما هو فيها ومعه اثنا عشر ألفاً من المسلمين ، إذ تكاتب الدّيلم ، وأهل الرّيّ ، وأهل أذربيجان ، واجتمعوا على حرب نعيم بن مقرن في جمعٍ كثيرٍ ، فخرج إليهم بمن معه من المسلمين حتّى التقوا بمكانٍ يقال له : واج الرواد [(٢١٦٢)] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكانت وقعةً عظيمةً تعدل نهاوند ، ولم تك دونها ، فقتلوا من المشركين جمّاً غفيراً لا يحصون كثرةً ، وقتل ملك الدّيلم

، وتمزق ثملهم ، وانهمزوا بأجمعهم بعد من قتل بالمعركة منهم ، فكان نعيم بن مقرن أول من قاتل الديلم [(٢١٦٣)] من المسلمين .

وقد كان نعيم كتب إلى عمر يعلمه باجتماعهم ، فهمه ذلك ، واغتم له ، فلم يفاجئه إلا البريد بالبشارة ، فقال : أبشير ؟ فقال : بل عروة ، فلما ثنى عليه : أبشير ؟ فطن ، فقال : بشير ، فقال عمر : رسول نعيم ، وسماك بن عبيد ؟ قال : رسول نعيم ، قال : الخبر ؟ قال :

البشرى بالفتح ، والنصر ، وأخبره الخبر ، فحمد الله ، وأمر بالكتاب ، فقرىء على الناس ، فحمدوا الله ، ثم قدم سماك بن مخزومة ، وسماك بن عبيد ، وسماك بن خرشة في وفود الكوفة بالأخماس على عمر ، فنسبهم ، فانتسب له سماك ، وسماك ، وسماك ، فقال : بارك الله فيكم ، اللهم أسمك بهم الإسلام ، وأيدهم بالإسلام [(٢١٦٤)] !

ثانياً : فتح الرّي سنة ٢٢ هـ :

استخلف نعيم بن مقرن على همدان يزيد بن قيس الهمداني ، وسار هو بالجيش حتى لحق بالرّي [(٢١٦٥)] ، فلقي هناك جمعاً كثيراً من المشركين ، فاقتتلوا عند سفح جبل الرّي ، فصبروا صبراً عظيماً ، ثم انهمزوا ، وقتل منهم نعيم بن مقرن مقتلة عظيمة بحيث عدوا بالقصب ، وغنموا منهم غنيمة عظيمة ، قريباً مما غنم المسلمون من المدائن ، وصالح أبو الفرخان الملقب بالزيني على الرّي ، وكتب له أماناً بذلك ، ثم كتب نعيم إلى عمر بالفتح ، ثم بالأخماس ، والله الحمد والمنة [(٢١٦٦)] .

ثالثاً : فتح قوميس وجرجان سنة ٢٢ هـ :

ولما ورد البشير بفتح الرّي وأخماسها ؛ كتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث أخاه سويد بن مقرن إلى قوميس [(٢١٦٧)] ، فسار إليها سويد ، فلم يبق له شيء حتى أخذها مسلماً ، وعسكر بها ، وكتب لأهلها كتاب أمان ، وصلح ، ولما عسكر سويد بقوميس ؛ بعث إليه أهل بلدان شتى منها : جرجان [(٢١٦٨)] وطبرستان [(٢١٦٩)] ، وغيرها يسألونه الصلح على الجزية ، فصالح الجميع ، وكتب لأهل كل بلدة كتاب أمان ، وصلح [(٢١٧٠)] .

رابعاً : فتح أذربيجان سنة ٢٢ هـ :

ولما افتتح نعيم بن مقرن همدان ثانية ، ثم الرّي ، بعث بين يديه بكير بن عبد الله من همدان إلى أذربيجان [(٢١٧١)] وأردفه بسماك بن خرشة ، وذلك عن أمر عمر بن الخطاب ، وليس بأبي دجاجة [(٢١٧٢)] فلقي أسفندياز بن الفرخزاد بكير وأصحابه ، قبل أن يقدم عليهم سماك ، فاقتتلوا ،

فهزم الله المشركين ، وأسر بكير اسفندياز ، فقال له : الصُّلح أحبُّ إليك أم الحرب ؟ فقال : بل الصُّلح . فقال : فأمسكني عندك ، فأمسكه ثمَّ جعل يفتح أذربيجان بلداً بلداً ، وعتبة بن فرقد في مقابله في الجانب الاخر من أذربيجان يفتحها بلداً بلداً ، ثمَّ جاء كتاب عمر بأن يتقدَّم بكير إلى الباب ، وجعل سماكاً موضعه . نائباً لعتبة بن فرقد . وجمع عمر أذربيجان كلَّها لعتبة بن فرقد ، وسلَّم إليه بكير اسفندياز .

وقد كان اعترض بهرام بن فرخزاد لعتبة بن فرقد ، فهزمه عتبة ، وهرب بهرام ، فلمَّا بلغ ذلك اسفندياز ؛ قال : الان تمَّ الصُّلح ، وطفئت الحرب ، فصالحه ، وعادت أذربيجان مسلماً ، وكتب بذلك عتبة ، وبكير إلى عمر ، وبعثوا بالأخماس إليه ، وكتب عتبة حين انتهت إليه إمرة أذربيجان كتاب أمانٍ ، وصلح لأهلها [(٢١٧٣)] .

خامساً : فتح الباب سنة ٢٢ هـ :

كتب عمر بن الخطَّاب كتاباً بالإمرة على هذه الغزوة لسراقة بن عمرو . الملَّقب بذي النور . فسار كما أمر عمر ، وهو على تعبته ، فلمَّا انتهى مقدم العساكر . وهو عبد الرحمن بن ربيعة . إلى الملك الَّذي هناك عند الباب [(٢١٧٤)] وهو شهربراز ، ملك أرمينية وهو من بيت الملك الَّذي قتل بني إسرائيل ، وغزا الشَّام في قديم الزَّمان ، فكتب شهربراز لعبد الرحمن ، واستأمنه ، فأمنه عبد الرحمن بن ربيعة ، فقدم عليه الملك ، فأخفى إليه أنَّ صَغُوه [(٢١٧٥)] إلى المسلمين ، وأنَّه مناصحٌ للمسلمين ، فقال له : إنَّ فوقي رجلاً فاذهب إليه ، فبعثه إلى سراقة بن عمرو أمير الجيش ، فسأل من سراقة الأمان ، فكتب كتاباً بذلك ثمَّ بعث سراقة بكير بن عبد الله اللِّثي ، وحبیبان مسلمة ، وحذيفة بن أسيد ، وسلمان بن ربيعة إلى أهل تلك الجبال : المحيطة بأرمينية جبال : اللان ، تفليس ، وموقان ، فافتتح بكير موقان ، وكتب لهم كتاب أمانٍ ، ومات في غضون ذلك أمير المسلمين هناك سراقة بن عمرو ، واستخلف بعده عبد الرحمن بن ربيعة ، فلمَّا بلغ عمر ذلك ؛ أقَرَّه ، وأمره بغزو التُّرك [(٢١٧٦)] .

سادساً : أوَّل غزو التُّرك :

لما جاء كتاب عمر إلى عبد الرحمن بن ربيعة يأمره بأن يغزو التُّرك ، سار حتَّى قطع الباب قاصداً لما أمره عمر ، فقال له شهربراز : أين تريد ؟ قال : أريد ملك التُّرك بلنجر ، فقال له شهربراز : إنَّا لنرضى منهم بالموادعة ، نحن من وراء الباب ، فقال عبد الرحمن : إنَّ الله بعث

إلينا رسولاً ، ووعدنا على لسانه بالنَّصر ، والظَّفَر ونحن لا نزال منصورين ، فقاتل التُّرك ، وسار في بلاد بلنجر مئتي فرسخ وغزا مرَّاتٍ متعدِّدة ، ثمَّ كانت له وقائع هائلة في زمن عثمان . رضي الله عنه [(٢١٧٧)] . .

سابعاً : غزو خراسان سنة ٢٢ هـ :

كان الأحنف بن قيس قد أشار على عمر بأن يتوسَّع المسلمون بالفتوحات في بلاد العجم ، ويضيقوا على كسرى يزدجرد ، فإنَّه هو الَّذي يحثُّ الفرس ، والجنود على قتال المسلمين ، فأذن عمر بن الخطاب في ذلك عن رأيه ، ورأي الأحنف ، وأمره بغزو بلاد خراسان ، فركب الأحنف في جيشٍ كثيفٍ إلى خراسان قاصداً حرب يزدجرد ، فدخل خراسان ، فافتتح هراة عنوةً ، واستخلف عليه صحار بن فلان العبدي ، ثمَّ سار إلى مرو الشَّاهجان [(٢١٧٨)] وفيها يزدجرد وبعث الأحنف بين يديه مطرّف بن عبد الله بن الشَّخير إلى نيسابور [(٢١٧٩)] ، والحارث بن حسان إلى سرخس [(٢١٨٠)] ولما اقترب الأحنف من مرو الشَّاهجان ؛ ترخَّل منها يزدجرد إلى مرو الرُّوذ [(٢١٨١)] ، فافتتح الأحنف مرو الشَّاهجان ، فنزلها ، وكتب يزدجرد حين نزل مرو الرُّوذ إلى خاقان ملك التُّرك يستمده ، وكتب إلى ملك الصَّغد يستمده ، وكتب إلى ملك الصِّين يستعينه ، وقصده الأحنف بن قيس إلى مرو الرُّوذ وقد استخلف على مرو الشَّاهجان حارثة بن النُّعمان .

وقد وفدت إلى الأحنف إمداداتٌ من أهل الكوفة مع أربعة أمراء ، فلمَّا بلغ ذلك يزدجرد ، ترخَّل إلى بلخ [(٢١٨٢)] ، فالتقى معه ببلخ ، فهزمه الله . عزَّ ، وجلَّ . وهرب هو ، ومن بقي معه من جيشه ، فعبر النَّهر ، واستوثق ملك خراسان على يدي الأحنف بن قيس ، واستخلف في كلِّ بلدةٍ أميراً ، ورجع الأحنف فنزل مرو الرُّوذ ، وكتب إلى عمر بما فتح الله عليه من بلاد خراسان بكاملها ، وكتب عمر إلى الأحنف ينهاه عن العبور إلى ما وراء النَّهر . وقال : احفظ ما بيدك من بلاد خراسان ، ولما وصل رسول يزدجرد إلى اللَّذين استنجد بهما ؛ لم يحتفلا بأمره ، فلمَّا عبر يزدجرد النَّهر ، ودخل في بلادهما ؛ تعيَّن عليهما إنجازهما في شرع الملوك ، فسار معه خاقان ، فوصل إلى بلخ حتَّى نزلوا على الأحنف بمرو الرُّوذ ، فتبرَّز الأحنف بمن معه من أهل البصرة ، وأهل الكوفة ، والجميع عشرون ألفاً ، فسمع رجلاً يقول لآخر : إن كان الأمير ذا رأيٍ فإنَّه يقف

دون هذا الجبل يجعله وراء ظهره ، ويبقى هذا النَّهر خندقاً حوله ، فلا يأتيه العدوُّ إلا من جهةٍ واحدةٍ ، فلمَّا أصبح الأحنف ، أمر المسلمين فوقفوا في ذلك الموقف بعينه ، وكان أمانة النَّصر ، والرُّشد ،

وجاءت الأتراك ، والفرس في جمعٍ عظيمٍ هائلٍ مزعجٍ ، فقام الأحنف في النَّاسِ خطيباً ، فقال : إِنَّكُمْ قَلِيلٌ ، وعدوكم كثيرٌ ، فلا يهولنكم { كَمِ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * } [سورة البقرة : ٢٤٩] .

فكان التُّرك يقاتلون بالنَّهار ، ولا يدري أين يذهبون في اللَّيْلِ ، فسار ليلةً مع طليعةٍ من أصحابه نحو خاقان ، فلمَّا كان قريب الصُّبح خرج فارس من التُّرك طليعةً ، وعليه طوقٌ ، وضرب بطبله ، فتقدَّم إليه الأحنف ، فاختلفا طعنتين ، فطعنه الأحنف ، فقتله ، وهو يرتجز :

إِنَّ عَلَى كُلِّ رَيْسٍ حَقًّا أَنْ يَخْضِبَ الصَّعْدَةَ أَوْ تَنْدَقَانِ لَهَا شَيْخًا بِهَا مُلْقَى سَيْفٌ
أَبِي حَفْصِ الَّذِي تَبَقَّى ثُمَّ اسْتَلَبَ التُّرْكِيُّ طَوْقَهُ ، ووقف موضعه ، فخرج اخر عليه طوقٌ ، ومعه طبلٌ ،
فجعل يضرب بطبله ، فتقدَّم إليه الأحنف ، فقتله أيضاً ، واستلبه طوقه ، ووقف موضعه ، فخرج ثالث
فقتله ، وأخذ طوقه ، ثمَّ أسرع الأحنف الرَّجوعَ إلى جيشه ، ولا يعلم بذلك أحدٌ من التُّرك بالكلِّية ،
وكان من عادة التُّرك : أَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ حَتَّى تَخْرُجَ ثَلَاثَةٌ مِنْ كَهُولِهِمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ يَضْرِبُ الْأَوَّلُ بِطَبْلِهِ ، ثُمَّ
الثَّانِي ، ثُمَّ الثَّلَاثُ .

فلمَّا خرجت التُّرك ، فأتوا على فرسانهم مقتولين ، تشاءم بذلك الملك خاقان ، وتطَيَّر ، وقال لعسكره :
قد طال مقامنا ، وقد أصيب هؤلاء القوم بمكانٍ لم نصب بمنله ، ما لنا في قتال هؤلاء القوم من خيرٍ
، فانصرفوا بنا ، فرجعوا إلى بلادهم [٢١٨٣] ، وقد قال المسلمون للأحنف : ما ترى في اتِّباعهم ؟
فقال : أقيموا بمكانكم ، ودعوهم . وقد أصاب الأحنف في ذلك ، فقد جاء في الحديث : « اتركوا
التُّرك ما تركوكم [٢١٨٤] » . { وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ } [سورة الأحزاب : ٢٥] .

ورجع كسرى خاسر الصَّفقة ، لم يشف له غليلٌ ، ولا حصل على خيرٍ ، ولا انتصر كما كان في زعمه ،
بل تخلَّى عنه من كان يرجو النَّصر منه ، وتنحَّى عنه ، وتبرَّأ منه أحوج ما كان إليه ، وبقي مذذباً لا إلى
هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء ، { وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا * } [سورة النساء : ٨٨] .

وتخيَّر في أمره ماذا يصنع ؟ وإلى أين يذهب ؟ ثمَّ بعث إلى ملك الصِّين يستغيث به ، ويستنجده ،
فجعل ملك الصِّين يسأل الرَّسول عن صفة هؤلاء القوم الَّذِينَ قد فتحوا البلاد ،

وقهروا رقاب العباد ، فجعل يخبره عن صفتهم ، وكيف يركبون الخيل ، والإبل ، وماذا يصنعون ، وكيف
يصلُّون . فكتب معه إلى يزيد جرد : إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أُبْعَثَ إِلَيْكَ بِجَيْشٍ أَوَّلَهُ بِمَرٍ ، واخره بالصِّين الجهالة

بما يحقُّ عليّ ، ولكنَّ هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهُدوها ، ولو جئت لنصرك أزالوني ما داموا على ما وصف لي رسولك ، فسالمهم ، وارض منهم بالمسألة . فأقام كسرى ، وال كسرى في بعض البلاد مقهورين ، ولم يزل ذلك دأبه حتى قتل في إمارة عثمان [(٢١٨٥)] .

ولما بعث الأحنف بكتاب الفتح ، وما أفاء الله عليهم من أموال التُّرك ، ومن كان معهم ، وأنهم قتلوا منهم مع ذلك مقتلةً عظيمةً ، ثمَّ ردَّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً ، فقام عمر على المنبر ، وقُرئء الكتاب بين يديه ، ثمَّ قال عمر : إِنَّ الله بعث محمّداً بالهدى ، ووعد أتباعه من عاجل الثَّواب واجله خير الدُّنيا ، والاخرة ، فقال : {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ*} [سورة التوبة : ٣٣] .

فالحمد لله الذي أنجز وعده ، ونصر جنده ، ألا وإنَّ الله قد أهلك مُلك الجوسية ، وفرَّق شملهم ، فليس يملكون من بلادهم شيراً يضير بمسلمٍ ، ألا وإنَّ الله قد أورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأبناءهم لينظر كيف تعملون ، فقوموا في أمره على وجلٍ ؛ يوف لكم بعهده ، ويؤتكم وعده ، ولا تغيروا؛ فيستبدل قوماً غيركم، فإنني لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى إلا من قبلكم [(٢١٨٦)] .

ثامناً : فتح اصطخر سنة ٢٣ هـ :

افتتح المسلمون اصطخر . للمرة الثانية . في سنة ثلاث وعشرين ، وكان أهلها قد نقضوا العهد بعدما كان جند العلاء بن الحضرمي افتتحوها حين جاز في البحر . في أرض البحرين . والتقوا هم ، والفرس في مكانٍ يقال له : طاووس ، ثمَّ صالحه الهريذة على الجزية ، وأن يضرب لهم الدِّمَّة ، ثمَّ إنَّ شريك خلع العهد ، ونقض الدِّمَّة ونشط الفرس ، فنقضوا العهد ، فبعث إليهم عثمان بن أبي العاص ابنه ، وأخاه الحكم ، فاقتتلوا مع الفرس فهزم الله جيوش المشركين ، وقتل الحكم ابن أبي العاص شريك [(٢١٨٧)] .

تاسعاً : فتح فساودارا بجرد سنة ٢٣ هـ :

قصد سارية بن زُينم فساودارا بجرد ، فاجتمع له جموعٌ من الفرس ، والأكراد عظيمةً ، ودهم المسلمين منهم أمرٌ عظيمٌ ، رأى عمر في تلك اللَّيلة فيما يرى النَّائم معركتهم ، وعددهم في وقتٍ من النَّهار ، وأنهم في صحراء ، وهناك جبلٍ إنَّ أسندوا إليه ؛ لم يؤتوا إلا من وجهه

واحدٍ ، فنادى في الغد : الصَّلَاة جامعة حتى إذا كانت السَّاعة التي رأى : أنهم اجتمعوا فيها . خرج إلى النَّاس ، وصعد المنبر . فخطب النَّاس ، وأخبرهم بصفة ما رأى ، ثمَّ قال : يا سارية الجبل ! ثمَّ أقبل

عليهم ، وقال : إِنَّ لَهِ جُنُوداً ، وَلَعَلَّ بَعْضُهَا أَنْ يَبْلُغَهُمْ . قال : ففعلوا ما قال عمر ، فنصرهم الله على عدوهم ، وفتحوا البلد [(٢١٨٨)] .

عاشراً : فتح كرمان ، وسجستان سنة ٢٣ هـ :

قام سهيل بن عديّ في سنة ٢٣ هـ بفتح كرمان [(٢١٨٩)] ، وقيل : فتحت على يدي عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي [(٢١٩٠)] ، وذكر بعض المؤرخين فتح سجستان على يدي عاصم بن عمرو بعد قتالٍ شديدٍ ، وكانت ثغورها متسعةً ، وبلادها متناثيةً ما بين السدِّ إلى نهر بلخ ، وكانوا يقاتلون القندهار والترك من ثغورها وفروجها [(٢١٩١)] .

الحادي عشر : فتح مكران سنة ٢٣ هـ :

في السنة ٢٣ هـ فتحت مكران على يدي الحكم بن عمرو ، وأمدّه شهاب بن المخارق ، ولحق به سهيل بن عديّ ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبان ، واقتتلوا مع ملك السند ، فهزم الله جموع السند ، وغنم المسلمون منهم غنيمةً كثيرةً ، وكتب الحكم بن عمرو بالفتح ، وبعث بالأخماس مع صحار العديّ ، فلما قدم على عمر سأله عن أرض مكران فقال : يا أمير المؤمنين ! أرض سهلها جبلٌ ، ومائها وشلٌّ [(٢١٩٢)] ، وتمرها دقلٌ [(٢١٩٣)] ، وعدوها بطلٌ ، وخيرها قليلٌ ، وشرها طويلٌ ، والكثير بها قليلٌ ، والقليل بها ضائعٌ ، وما وراءها شرٌّ منها . فقال عمر : أسجّاعُ أنت أم مخبّرٌ ؟ فقال : لا ، بل مخبّرٌ ، فكتب عمر إلى الحكم بن عمرو ، ألا يجوزوا مكران ، وليقصرُوا على ما دون النهر [(٢١٩٤)] .

الثاني عشر : غزو الأكراد :

ذكر ابن جرير بسنده عن سيفٍ ، عن شيوخه : أنّ جماعةً من الأكراد ، والتفّ إليهم طائفةً من الفرس ، اجتمعوا ، فلقبهم أبو موسى بمكان من أرض بيروذ قريب من نهر تيري [(٢١٩٥)] ، ثمّ سار عنهم أبو موسى إلى أصبهان ، وقد استخلف على حربهم الرّبيع بن زياد بعد مقتل أخيه المهاجر بن زياد ، فتسلّم الحرب ، وخنق عليهم ، فهزم الله العدو ، وله الحمد والمنّة ، كما هي عادته المستمرة ، وسنته المستقرّة ، في عباده المؤمنين ، وحزبه المفلحين من أتباع سيّد المرسلين ، ثمّ خمّست الغنيمة ، وبعث بالفتح ، والخمس إلى عمر - رضي الله عنه [(٢١٩٦)] . .

وهكذا تمّ فتح العراق ، وبلاد إيران في عهد عمر - رضي الله عنه . وأقام المسلمون المسالِح في شتّى أرجائها متوقّعين انتفاض الفرس في هذه الدّيار . لقد كانت فتوح المشرق عنيفةً اقتضت من المسلمين

تضحياتٍ جسيمةً بسبب اختلاف الدّم، فسكان إيران فرسٌ لا تربطهم بالعرب لغةً، ولا جنسٌ، ولا ثقافةً، وكان الشّعور القومي عند الإيرانيين يذكّيه التّاريخ الطّويل، والثّقافة المتأصّلة، كما أنّ القتال كان يدور في صميم الوطن الإيراني، ويشترك رجال الدّين المجوس في تأليب السّكّان على المقاومة، يضاف إلى ذلك بُعد هذه المناطق عن مراكز الجيش في البصرة، والكوفة، وطبيعة الأرض الجبلية التي تمكّن السّكّان من المقاومة، ولذلك فقد انتقضت معظم هذه المراكز، وأعيد فتحها في عهد الفاروق، أو في خلافة عثمان رضي الله عنهما [(٢١٩٧)].

المبحث الخامس

أهمّ الدُّروس، والعبر، والفوائد من فتوحات العراق والمشرق

أولاً: أثر الايات والأحاديث في نفوس المجاهدين:

كان للايات والأحاديث التي تتحدّث عن فضل الجهاد أثرها في نفوس المجاهدين، فقد بيّن المولى . عزّ وجلّ . أنّ حركات المجاهدين كلّها يثاب عليها، قال تعالى: { مَا كَانَ لِإِهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * } [سورة التوبة: ١٢٠، ١٢١].

وقد أيقن المسلمون الأوائل: أنّ الجهاد تجارة رابحة، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ * } [سورة الصّف: ١٠، ١٣]

وقد تعلموا : أنَّ الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام ، وسقاية الحجّاج فيه ، قال تعالى : { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * } [التوبة : ١٩ - ٢٢] .

اعتقدوا : أنَّ الجهاد فوزٌ على كلّ حالٍ ، قال تعالى : { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ * } [التوبة : ٥٢] .

وأنَّ الشَّهيد لا تنقطع حياته بل هو حيٌّ ؛ قال تعالى : { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ * } [ال عمران : ١٦٩ - ١٧١] .

وكانوا يشعرون بسموّ هدفهم الَّذي يقاتلون من أجله ، قال تعالى : { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا * } [النساء : ٧٤ - ٧٦] .

وقد بيّن الرسول (ص) للمسلمين فضل الجهاد ، فألهبت تلك الأحاديث مشاعرهم ، وفجّرت طاقتهم ، ومن هذه الأحاديث ما ورد عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . قال : قيل : يا رسول الله ، أيُّ النَّاسِ أفضل؟ فقال رسول الله (ص) : « مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله » [٢١٩٨] ، وقد بيّن رسول الله (ص) درجات المجاهدين ، قال (ص) : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ ، أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرّجتين كما بين السّماء والأرض ، فإذا سألتم الله ؛ فاسألوه الفردوس ، فإنّه أوسط الجنّة ، وأعلى الجنّة » [٢١٩٩] .

وقد وضَّح (ص) فضل الشهداء وكرامتهم ، فقال : « انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيماناً بي ، وتصديقاً برسلي أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشقَّ على أمّتي ما قعدت خلف سريةٍ ، ولوددتُ أنّي أقتل في سبيل الله ، ثمّ أحيأ ، ثمّ أقتل ، ثمّ أحيأ ، ثمّ أقتل » [(٢٢٠٠)] ، وقال (ص) : « ما أحدٌ يدخل الجنة يحبُّ أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيءٍ إلا الشَّهيد ، يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا ، فيقتل عشر مرّاتٍ ؛ لما يرى من الكرامة » [(٢٢٠١)] . وغير ذلك من الأحاديث .

وقد تأثّر المسلمون الأوائل ، ومن سار على نهجهم بهذه الايات ، والأحاديث ، فكان كبار الصّحابة . رضي الله عنهم . يغزون ، وقد شاخوا ، فيشفق عليهم النّاس ، وينصحونهم بالعود عن الغزو ؛ لأنهم معذورون ، فيجيبونهم : أنّ سورة التّوبة تأتي عليهم القعود ، ويخافون على أنفسهم من النّفاق ؛ إذا ما تحلّفوا عن الغزو [(٢٢٠٢)] .

ثانياً : من ثمرات الجهاد في سبيل الله :

كان الصّحابة ، والتّابعون بإحسانٍ في العهد الرّاشديّ يرون : أنّ الجهاد في سبيل الله ضرورةٌ من ضرورات بقاء الأُمّة الإسلاميّة ، فقاموا بهذه الفريضة في فتوحات العراق ، وبلاد المشرق ، والشّام ، ومصر ، والشّمال الأفريقي ، وترتّب على قيامهم لهذه الفريضة ثمراتٌ كثيرةٌ منها : تأهيل الأُمّة الإسلاميّة لقيادة البشريّة ، القضاء على شوكة الكفّار ، وإذلالهم ، وإنزال الرُّعب في قلوبهم ، ظهور صدق الدّعوة للنّاس ، الأمر الذي جعلهم يدخلون في دين الله أفواجاً ، فيزداد المسلمون بذلك عزّاً ، والكفار ذلّاً ، وتوحّدت صفوف المسلمين ضدّ أعدائهم ، وأسعدوا النّاس بنور الإسلام ، وعدله ، ورحمته [(٢٢٠٣)] .

ثالثاً : من سنن الله في فتوحات العراق ، وبلاد المشرق :

يلاحظ الباحث في دراسته لفتوحات العراق ، وبلاد المشرق بعض سنن الله في المجتمعات ، والشّعوب ، والدُّول ، ومن هذه السنن :

١ . سنّة الأخذ بالأسباب :

قال تعالى : { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ * } [الأنفال : ٦٠] .

وقد طبّق الفاروق - رضي الله عنه - في عهده هذه الاية ، وأخذ بالأسباب الماديّة ، والمعنويّة ، كما مرّ معنا .

٢ . سنّة التّدافع :

قال تعالى : { وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ * } [البقرة : ٢٥١] .

وقد تحقّقت هذه السنّة في حركة الفتوحات عموماً ، وسنّة التّدافع من أهم سنن الله تعالى في كونه ، وخلقه ، وهي من أهم السنن المتعلّقة بالتّمكين للأمة الإسلاميّة ، وقد استوعب المسلمون الأوائل هذه السنّة ، وعملوا بها ، وعلموا : أنّ الحقّ يحتاج إلى عزائم تنهض به ، وسواعد تمضي به ، وقلوب تحنو عليه ، وأعصاب ترتبط به ، إنّه يحتاج إلى جهد بشريّ ؛ لأنّ هذه سنّة الله في الحياة الدّنيا ، وهي ماضيّة [٢٢٠٤] .

٣ . سنّة الابتلاء :

قال تعالى : { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ * } [البقرة : ٢١٤] .

وقد وقع البلاء في فتوحات العراق في معركة جسر أبي عبيد على الخصوص حيث قتل الالاف من المسلمين ، وهزم جيشهم ، ثمّ أعادوا صفوفهم ، وحقّقوا انتصاراتٍ عظيمةً على الفرس ، وقد قال تعالى : { لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ } [ال عمران : ١٨٦] .

ومن الملاحظ من خلال الايات الكريمة : أنّ تقرير سنّة الابتلاء على الأمة الإسلاميّة جاء في أقوى صورةٍ من الجزم ، والتأكيد [٢٢٠٥] ، وهذه سنّة الله تعالى في العقائد ، والدّعوات لا بدّ من بلاءٍ ، ولا بدّ من أذىٍ في الأموال ، والأنفس ، ولا بدّ من صبرٍ ، ومقاومةٍ ، واعتزامٍ [٢٢٠٦] .

٤ . سنّة الله في الظلم ، والظالمين :

قال تعالى : { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَى نَفْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * } [هود : ١٠٠ - ١٠٢] ،

وسنة الله مطردة في هلاك الأمم الظالمة ، وقد مارست الدولة الفارسية الظلم على رعاياها، تمردت على منهج الله، فمضت فيها سنة الله، وسلط الله عليها المسلمين، فأزالوها من الوجود [(٢٢٠٧)].

٥ . سنة الله في المترفين :

قال تعالى : { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا * } [الإسراء : ١٦] .

وجاء في تفسيرها : وإذا دنا وقت هلاكها أمرنا بالطاعة مترفيها . أي : متنعميها ، وجباريها ، وملوكها . ففسقوا فيها ، فحق عليها القول ، فأهلكناها . وإنما خص الله تعالى المترفين بالذكر مع توجه الأمر بالطاعة إلى الجميع ؛ لأنهم أئمة الفسق ، ورؤساء الضلال ، وما وقع من سواهم إنما وقع باتباعهم ، وإغوائهم ، فكان توجه الأمر إليهم أكد [(٢٢٠٨)] ، وقد مضت هذه السنة في زعماء الفرس ، وأئمتهم .

٦ . سنة الله في الطغيان ، والطغاة :

قال تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِْمْرَصَادٍ * } [الفجر : ١٤] ، والاية وعيد للعصاة مطلقاً . وقيل : وعيد للكفرة . وقيل : وعيد للعصاة ، ووعيد لغيرهم [(٢٢٠٩)] .

وفي تفسير القرطبي : أي : يرصد كل إنسان حتى يجازيه به [(٢٢١٠)] .

وواضح من أقوال المفسرين في الايات التي ذكرناها في الفقرة السابقة : أن سنة الله في الطغاة إنزال العقاب بهم في الدنيا ، فهي سنة ماضية لا تتخلف ، جرت على الطغاة السابقين ، وستجري على الحاضرين ، والقادمين ، فلن يفلت أحد منهم من عقاب الله في الدنيا ، كما لا يفلت أحد منهم من عقاب الآخرة [(٢٢١١)] .

وسنة الله في الطغاة ، وما ينزله الله بهم من عقاب في الدنيا إنما يعتبر بها من يخشى الله جل جلاله ، ويخاف عقابه ، ويعلم : أن سنة الله قانون ثابت لا يجابي أحداً ، قال تعالى في بيان المعتبرين بسنته في الطغاة بعد أن ذكر ما حل بفرعون من سوء العقاب : { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى * } [النازعات : ٢٥ ، ٢٦] ، فهؤلاء الطغاة من زعماء الفرس مضت فيهم سنة الله

٧ . سنة التدرج :

خضعت فتوح العراق ، وبلاد المشرق لسنة التدرُّج ، فكانت المرحلة الأولى في عهد الصِّدِّيق ، حيث تم فتح الحيرة بقيادة خالد بن الوليد ، وأمَّا المرحلة الثانية ؛ فتبدأ من تولي أبي عبيد الثقفي قيادة جيوش العراق حتى معركة البويب ، وأمَّا المرحلة الثالثة ؛ فتبدأ منذ تأمير سعد بن أبي وقاص على الجهاد في العراق إلى ما قبل وقعة نهاوند ، وتبدأ المرحلة الرابعة من وقعة نهاوند . وأمَّا المرحلة الخامسة ؛ فهي مرحلة الانسحاب في بلاد الأعاجم .

إنَّ حركة الفتوحات يتعلَّم منها أبناء المسلمين أهميَّة مراعاة سنة التدرُّج في العمل للتمكين لدين الله ، ومنطلق هذه السنة : أنَّ الطَّريق طويلٌ ، ولذلك لا بدَّ من فهم ، واستيعاب هذه السنة بالنسبة للعاملين في مجال الدَّعوة الإسلاميَّة ، فالتمكين لدين الله في العراق ، وبلاد المشرق لم يتحقَّق بين عشيةٍ وضحاها ، ولكنَّه خضع بإرادة الله لهذه السنة .

٨ . سنة تغيير النفوس :

قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } [الرَّعد : ١١] .

وقد قام الصَّحابة الكرام . رضوان الله عليهم . في فتوحات العراق ، وبلاد المشرق بالعمل بهذه السنة الرِّبَّائيَّة مع الشُّعوب التي أرادت أن تدخل في دين الله ، فشرعوا في تربية النَّاس على كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) ، فغرسوا في نفوسهم العقائد الصَّحيحة ، والأفكار السَّليمة ، والأخلاق الرِّفيعة .

٩ . سنة الله في الذُّنوب ، والسَّيِّئات :

قال تعالى : { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * } [الأنعام : ٦] .

وقد أهلك الله تعالى أمة الفرس بسبب ذنوبهم التي اقترفوها ، والتي من أعظمها الكفر ، والشِّرك بالله ، وفي هذه الاية حقيقة ثابتة ، وسنة مطَّردة : أنَّ الذُّنوب تهلك أصحابها ، وأنَّ الله تعالى هو الذي يهلك المذنبين بذنوبهم [(٢٢١٢)] ، وقد سلَّط الله أمة الإسلام على الفرس عندما حققت شروط التمكين ، وعملت بسننه ، وأخذت بأسبابه .

رابعاً : الأحنف بن قيس يغيِّر مجرى التاريخ :

كان عمر متمسِكاً برأيه في الاقتصار على ما فتح من فارس ، ومنع جيوشه من التَّوغُّل في المشرق ، ولا سيَّما بعد أن انكسر الهرمزان ، وفتح المسلمون الأهواز .

فقال عمر : حسبنا لأهل البصرة سوادهم ، والأهواز ، ووددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نارٍ ، لا يصلون إلينا ، ولا نصل إليهم ، وقال لأهل الكوفة : وددت : أن بينهم وبين الجبل جبلاً من نارٍ ، لا يصلون إلينا ، ولا نصل إليهم .

وفاوض عمر الوفد في هذا الأمر ، فقال له الأحنف : يا أمير المؤمنين ! أخبرك : إنك نهيتمنا عن الانسياح في البلاد ، وأمرتنا بالاعتصار على ما في أيدينا ، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم ، وإهم لا يزالون يساحلوننا ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان فاتفقا . أي : التقيا . حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت : أننا لم نأخذ شيئاً إلا بانبعاثهم ، وإن ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم ؛ حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نزيله عن فارس ، ونخرجه من مملكته ، وغرامته ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس ، ويضربون جأشاً [(٢٢١٣)] .

فقال عمر للأحنف : صدقتني والله ، وشرحت لي الأمر على حقه .
وأذن عمر بالانسياح في بلاد فارس ، وانتهى في ذلك إلى رأي الأحنف ، وعرف فضله ، وصدقه ، فساحوا في تلك البلاد ، ودفع لواء خراسان إلى الأحنف ، ووزع بقية الألوية إلى الأبطال من قادة المجاهدين ، ورسم لهم خطة الحرب ، والتقدم ، ثم جعل يمدهم بالجيوش من ورائهم [(٢٢١٤)] .

* * *

الفصل السابع

فتوحات الشام ، ومصر ، وليبيا

المبحث الأول

فتوحات الشام

كان أول خطاب وصل إلى الشام من الخليفة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . يحمل نبأ وفاة أبي بكر الصديق . رضي الله عنه . وتولية أبي عبيدة على الشام ، وقد جاء فيه : أمّا بعد ، فإنّ أبا بكر الصديق خليفة رسول الله (ص) قد توفّي ، فإنّا لله ، وإنّا إليه راجعون ، ورحمة الله وبركاته على أبي بكر الصديق العامل بالحق ، والاخذ بالعرف ، اللين ، السّير ، الوداع ، السهل ، القريب ، الحكيم ، ونحتسب مصيبتنا فيه ، ومصيبة المسلمين عامّة عند الله تعالى ، وأرغب إلى الله في العصمة بالتقى في مرحمته ،

والعمل بطاعته ما أحيانا ، والحلول في جنته إذا توفّقنا ، فإنّه على كلّ شيءٍ قديرٌ وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق ، وقد وليتكم جماعة المسلمين ، فابث سرايك في نواحي أهل حمص ، ودمشق ، وما سواها من أرض الشّام ، وانظر في ذلك برأيك ، ومن حضرك من المسلمين ، ولا يحملتك قولي هذا على أن تعري عسكرك ، فيطمع فيك عدوّك ، ولكن من استغنيت عنه ؛ فسيّره ، ومن احتجت إليه في حصارك ؛ فاحتبسّه ، وليكن فيمن تحتبس خالد بن الوليد فإنّه لا غنى بك عنه [(٢٢١٥)] .

وعند وصول الكتاب دعا أبو عبيدة معاذ بن جبل ، فأقرأه الكتاب ، وقال حامل الرّسالة : يا أبا عبيدة ! إنّ عمر يقول لك : أخبرني عن حال النّاس ، وعن خالد بن الوليد ، أيّ رجل هو ؟ وأخبرني عن يزيد بن أبي سفيان ، وعن عمرو بن العاص ، وكيف هما في حالهما ، وهيتهما ، ونصحهما للمسلمين .

وأجاب أبو عبيدة رسول عمر ، وكتب أبو عبيدة ، ومعاذ بن جبل كتاباً واحداً إلى عمر ، جاء فيه : من أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطّاب ، سلامٌ عليكم ، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد : فإنّا عهدناك وأمر نفسك لك مهمّ ، وإنّك يا عمر !

أصبحت وقد وليت أمر أمة محمّد : أحمرها ، وأسودها ، يقعد بين يديك العدو والصّديق ، والشّريف والوضيع ، والشّديد والضعيف ، ولكلّ عليك حقّ ، وحقّه من العدل ، فانظر كيف تكون يا عمر ! وإنّا نذكرك يوماً تُبلى فيه السّرائر ، وتكشف فيه العورات ، وتظهر فيه المخبّات ، وتعنو فيه الوجوه لملكٍ قاهرٍ ، قهرهم بجزوته ، والنّاس له داخرون ، ينتظرون قضاءه ، ويخافون عقابه ، ويرجون رحمته ، وإنّه بلغنا أنّه يكون في هذه الأمة رجالٌ إخوان العلانيّة ، أعداء السّريّة ، وإنّا نعوذ بالله من ذلك ، فلا ينزل كتابنا من قلبك بغير المنزلة التي أنزلناها من أنفسنا ، والسّلام عليك ، ورحمة الله [(٢٢١٦)] .

— خ حوارٌ بين خالدٍ ، وأبي عبيدة رضي الله عنهما :

علم خالد بأمر عزله ، فأقبل حتّى دخل على أبي عبيدة ، فقال : يغفر الله لك ! أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية ، فلم تعلمني وأنت تصلّي خلفي ، والسّلطان سلطانك ؟ فقال أبو عبيدة : وأنت يغفر الله لك ! ما كنت لأعلمك ذلك حتّى تعلمه من عند غيري ، وما كنت لأكسر عليك حربك حتّى ينقضي ذلك كلّهُ ، ثمّ قد كنت أعلمك . إن شاء الله . وما سلطان الدّنيا أريد ، وما للدّنيا أعمل ، وإنّ ما ترى سيصير إلى زوالٍ ، وانقطاعٍ ، وإمّا نحن إخوانٌ ، وقوّامٌ بأمر الله عزّ وجلّ ، وما يضُرُّ الرّجل أن يلي عليه أخوه في دينه ، ولا دنياه ، بل يعلم الوالي : أنّه يكاد أن يكون أدناهما إلى الفتنة ، وأوقعهما

في الخطيئة ؛ لما يعرض له من الهلكة ، إلا من عصم الله - عزَّ ، وجلَّ - وقليلٌ ما هم . ودفع أبو عبيدة كتاب عمر إلى خالد [(٢٢١٧)] .

—خ عمر - رضي الله عنه - يردُّ على رسالة أبي عبيدة ، ومعاذ رضي الله عنهما :
عندما وصل كتاب أبي عبيدة ومعاذ بواسطة شدَّاد بن أوس بن ثابت بن أخي حسَّان بن ثابت الأنصاري ردَّ عمر - رضي الله عنه - على كتابهما ، وجاء فيه : . . فإني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو ، أمَّا بعد : فإني أوصيكما بتقوى الله ، فإنه رضاء ربكما ، وحظُّ أنفسكما ، وغنيمة الأكياس [(٢٢١٨)] لأنفسهم عند تفريط العجزة ، وقد بلغني كتابكما ، تذكران : أنكما عهدتماي وأمر نفسي لي مهمُّ ، فما يدريكما ؟ وهذه تزكية منكما لي ، وتذكران : أبي وُلِّيت أمر هذه الأمة ، يقعد بين يدي الشَّريف والوضيع ، والعدوِّ والصَّديق ، والقويِّ والضعيف ، ولكلِّ حصَّته من العدل ، وتسألاني كيف أنا عند ذلك ، وإنه لا حول ، ولا قوَّة إلا بالله ، وكتبتما تخوِّفاني يوماً هو ات ، وذلك باختلاف اللَّيل والنَّهار ، فإنهما يبليان كلَّ جديدٍ ، ويقربان كلَّ بعيدٍ ، ويأتیان بكلِّ موعودٍ، حتَّى يأتيا بيوم القيامة، يوم تُبلى السَّرائر، وتُكشف العورات، وتعنو

فيه الوجوه لعزَّة ملكٍ قهرهم بجبروته، فالنَّاس له داخرون، يخافون عقابه، وينتظرون قضاءه ، ويرجون رحمته . وذكرتما أنه بلغكما : أنه يكون في هذه الأمة رجالٌ يكونون إخوان العلانيَّة ، أعداء السَّريرة، فليس هذا بزمانٍ ذلك، فإنَّ ذلك يكون في اخر الزَّمان إذا كانت الرَّغبة، والرَّهبة، رغبة النَّاس ، ورهبتهم بعضهم إلى بعضٍ . والله - عزَّ وجلَّ - قد ولاي أمركم ، وإني أسأل الله أن يعينني عليه ، وأن يحرسني عنه كما حرسني عن غيره ، وإني امرؤ مسلِّمٌ ، وعبدٌ ضعيفٌ إلا ما أعان الله - عزَّ وجلَّ - ولن يغيِّر الذي وُلِّيت من خلافتكم من حُلُقي شيئاً إن شاء الله .

وإنما العظمة لله عزَّ ، وجلَّ ، وليس للعباد منها شيءٌ ، فلا يقولنَّ أحدٌ منكم : إن عمر قد تغيَّر منذ وليّ، وإني أعقل الحقَّ من نفسي، وأتقدِّم، وأبين لكم أمري، فأئماً رجلٍ كانت له حاجةٌ، أو ظلم مظلمةٌ ، ليس بيني وبين أحدٍ من المسلمين هوداةٌ ، وأنا حبيبٌ إليَّ صلاحكم ، عزيزٌ عليَّ عتبكم ، وأنا مسؤولٌ عن أمانتي ، وما أنا فيه ، ومطلَّعٌ على ما يضيرني بنفسي إن شاء الله لا أكُلُّه إلى أحدٍ، ولا أستطيع ما بعد ذلك إلا بالأمناء، وأهل النَّصح منكم للعاقبة، ولست أجعل أمانتي إلى أحدٍ سواهم، إن شاء الله، وأمَّا سلطان الدنيا وإمارتها؛ فإنَّ كلَّ ما تريان يصير إلى زوالٍ، وإنما نحنُ إخوان، فأئناً أمَّ أخاه،

أو كان عليه أميراً؛ لم يضره ذلك في دينه، ولا في دنياه، بل لعلّ الوالي أن يكون أقربهما إلى الفتنة، وأوقعهما بالخطيئة إلا من عصم الله، وقليل ما هم [(٢٢١٩)].

أولاً : فتح دمشق :

تمثل الفتوحات في بلاد الشام في عهد عمر بن الخطاب المرحلة الثانية من الفتوحات في هذه الجبهة بعد الفتح في عهد الصديق ، فبعد أن انتهت معركة اليرموك ، وانحزمت جموع الروم ؛ استخلف أبو عبيدة بن الجراح على اليرموك بشير بن كعب الحميري ، وأتاه الخبر : أنّ المنهزمين من الروم اجتمعوا بفحل ، وأنّ المدد قد أتى أهل دمشق من حمص ، فأصبح لا يدري أدمشق يبدأ ، أم بفحل في بلاد الأردن ؟ فكتب القائد أبو عبيدة بن الجراح إلى الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . يستأمره ، فأجابته : أمّا بعد ، فابدؤوا بدمشق ، فآخذوا لها ، فآتاهم حصن الشام ، وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بإزائهم في نحورهم ، وأهل فلسطين ، وأهل حمص ، فإن فتحها الله قبل دمشق ؛ فذاك الذي نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ؛ فليزل في دمشق من يمك بها ، ودعوها ، وانطلق أنت ، وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فإن تم فتحها ؛ فانصرف أنت ، وخالد إلى حمص ، وأمير كل بلد على جنده حتى يخرجوا من إمارته [(٢٢٢٠)] .

ومن خلال أوامر الفاروق نلاحظ : أنّه حدّد مسؤوليّة قيادة العمليّات ، وبموجبه تمّ تطبيق مبدأ الاقتصاد بالجهد ، فضلاً عن المرونة في التصرف إزاء الأهداف المطلوبة ، كما يستنتج من هذه الأوامر : بأنّ الهدف الرئيس الأوّل هو دمشق مع توجيه قوّة صغيرة لفحل ، والهدف الرئيس الثاني هو فحل ، لتوجيه الجيش كلّهُ لفتحها ، والهدف الثالث مدينة حمص ، واستناداً إلى هذه التوجيهات أرسل أبو عبيدة بن الجراح وحدات قتاليّة إلى فحل ، وعلى قيادتها : أبو الأعور السلمي عامر بن حتمة ، وعمرو بن كليب ، وعبد عمر بن يزيد بن عامر ، وعمارة ابن الصّعق بن كعب ، وصفي بن عليّة بن شامل ، وعمر بن الحبيب ابن عمر ، ولبدة بن عامر ، وبشير بن عصمة ، وعمارة بن مخشن وهو القائد لهذه المجموعات ، وتوجّهت إلى فحل [(٢٢٢١)] .

وانطلق أبو عبيدة نحو دمشق ، ولم يلق أيّة مقاومة ذات أهميّة تذكر ؛ إذ أنّ الروم قد اعتمدوا على أهل البلاد في المنطقة قبل دمشق لإعاقة تقدّم قوّات المسلمين ، إلا أنّ هؤلاء لم تكن لهم الحماسة والاستماتة للدفاع ، ويعود ذلك لسوء معاملة الروم لهم ، خاصّةً لأهل القرى الصّغيرة [(٢٢٢٢)] ، ووصلت قوّات المسلمين إلى (غوطة دمشق) التي فيها قصور الروم ومنازلهم ، وشاهدوها خالية ؛ لأنّ

أهلها هجروها إلى دمشق ، وأرسل هرقل قوَّةً من حمص لإمداد دمشق ، وكانت تقدَّر بـ (٥٠٠)
خمس مئة مقاتل [(٢٢٢٣)] ، وهي قوَّةٌ قليلةٌ مقارنةً بما يتطلبه الموقف ، إلا أنَّ القوَّةَ الإسلاميَّةَ التي
وضعها أبو عبيدة بن الجراح شمال دمشق بقيادة (ذي الكلاع) تصدَّت لها ، وجرى قتالٌ عنيفٌ بين
الجانبيين ، انهزم فيه الرُّومُ [(٢٢٢٤)] ، وناشد أهلَ دمشق هرقل الخِلاصَ ، فأرسل إليهم كتاباً يدعوهم
إلى التَّباتِ ، ويحرِّضهم على القتالِ ، والمقاومةِ ، ويعددهم بالمددِ ، فتقوَّت عزائمهم ، وجعلهم ذلك
يصمدون للحصارِ ، وحركاتِ القوَّاتِ الإسلاميَّةِ [(٢٢٢٥)] .

١ . قوَّاتِ الطَّرْفينِ :

— خ القوَّاتِ الرُّوميَّةِ :

. القائد العامُّ : هرقل .

. أمير دمشق : نسطاس بن بسطورس .

. قائد قوَّاتِ دمشق : باهان الَّذي اشترك باليرموك ، وهرب منها ، واسمه : ورديان .

. القوَّاتِ العموميَّةِ للقوَّاتِ الرُّوميَّةِ في دمشق (٦٠٠٠٠) ستون ألف مقاتلٍ ، مع احتمال

وصول تعزيزاتٍ إضافيَّةٍ من حمص (٢٠٠٠٠) عشرين ألف مقاتلٍ لخطِّ الدِّفاعِ و (٤٠٠٠٠)
أربعين ألف مقاتلٍ للتَّعرُّضِ ، فالرُّومُ أقاموا في دمشق للاستفادة من الأبنية ، وحصونها ، وسورها ، وربما
كانوا ينتظرون المددَ ؛ ليقوموا بالتَّعرُّضِ .

. القوَّةُ الرُّوميَّةُ في (فحل) تتألَّف من حاميَّتها ، ومن فلول جيش اليرموك الَّذي أثَّرت على معنويَّاتهم
معركتها ، وفشلهم ، وهروبهم منها ، فهم في فزعٍ اخذٍ بنفوسهم .

— خ قوَّاتِ المسلمين :

. القائد العامُّ للقوَّاتِ الإسلاميَّةِ : عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه .

. قائد مسارح العمليَّاتِ في بلاد الشَّام : أبو عبيدة بن الجراح .

. بعث القائد أبو عبيدة بن الجراح بعشرةٍ من قوَّاده وفي مقدِّمتهم أبو الأعور السِّلمي مع حجمٍ مناسبٍ
من القوَّاتِ الإسلاميَّةِ . لم تذكر المصادر تعداد هذه القوَّةِ . للسيطرة على طريق دمشق ، وحتَّى بيسان ،
ومحلُّها معروفٌ اليوم بخرية فحل [(٢٢٢٦)] .

. أرسل أبو عبيدة بن الجراح قوَّاتٍ بقيادة (علقمة بن حكيم ، ومسروق) كلُّ واحدٍ بمحلٍّ الاخرِ باتجاه
فلسطين ، فأمن محور الحركاتِ من الغرب ، والجنوب [(٢٢٢٧)] .

. أرسل أبو عبيدة بن الجراح قوّة بقيادة (ذي الكلاع) إلى شمال دمشق ليرابط على الطريق الذي يربطها مع حصص لحماية هذا الاتجاه ، ومنع وصول التعزيزات الروميّة إلى دمشق [(٢٢٢٨)] .
. كان حجم القوّات الإسلاميّة بعد اليرموك بحدود (٤٠٠٠٠) أربعين ألف مقاتل ، وهذه القوّات متماسكة التنظيم ، وتمتاز بالرّوح المعنويّة العالية بعد النّصر في اليرموك [(٢٢٢٩)] .
. بلغ حجم القوّات الإسلاميّة التي ضربت الحصار على دمشق بحدود (٢٠٠٠٠) عشرين ألف مقاتل ، وباقي القوّات أرسلت إلى فحل لتثبيت الجبهة هناك ، وبالإمكان عند الضّرورة سحبها من فحل ؛ لتعزّز قوّة الحصار [(٢٢٣٠)] .

٢ - وصف مدينة دمشق :

كانت دمشق مدينةً عظيمةً سمّيت باسم بانيتها (دمشق بن كنعان) وقد خضعت لحكم مصر الأسرة الثامنة عشرة ، فهي أقدم المدن في التّاريخ ، وكانت مركز عبادة الأوثان ، ولما دخلت المسيحيّة جعلت من معبدها الوثني كنيسةً لا يضاهيها بجمالها ، وجلالها إلا كنيسة إنطاكية ، وفي جنوب دمشق تقع أراضي البلقاء ، وشمالها . أي : شمال البلقاء . الجولان ، وهي أرضٌ جبليّةٌ ، وأراضيها كلّها زروغٌ ، وغدران مياه ، وهي مركزٌ تجاريٌّ مهمٌّ ، يسكنها العرب ، وكان المسلمون يعرفونها لأهمّ يتاجرون معها .

وقد كانت مدينة دمشق مدينةً محصّنةً ، تمتاز بالمناعة ، فلها سورٌ يحيطها مبنيٌّ من الحجارة ، وارتفاعه ستّة أمتار ، وفيه أبوابٌ منيعةٌ ، وعرض المبنى ثلاثة أمتار ، وقد زاد هرقل من مناعته بعد الغزو الفارسي لها ، والأبواب يحكم إغلاقها ، ويحيط بالسور خندقٌ عرضه ثلاثة أمتار ، ونهر بردى يؤثر على الخندق بمياهه وطينه ، فأصبحت دمشق قلعةً حصينةً ليس من السهل اقتحامها [(٢٢٣١)] ، وبذلك تظهر لنا الدّفاعات الروميّة ذات المتانة ، والقوّة لحماية مدينة دمشق ؛ إذ إنّ هذه الاستحكامات تعطينا الدلائل الاتية :

. لم تنشأ الدّفاعات الميدانيّة حول دمشق على عجلٍ ، فهي دفاعاتٌ كانت مهيةً منذ مدّة ليست بالقصيرة ؛ لما لدمشق من أهميّة استراتيجيّة ، وخوف الرّوم من فقدانها ، واستيلاء الفرس عليها ، وهذا يعني : أنّ الجهد الهندسيّ الميدانيّ الرّوميّ قد عمل في ترتيب ، وتنظيم هذه الدّفاعات بحريّة مطلقة ، وبموارد هندسيّة مناسبة غير مطلوبةٍ بأجّاهاتٍ أخرى فضلاً عن تيسّر الإمكانات الهندسيّة لدى جيش الرّوم في هذا المجال .

. برزت الإبداعات الهندسيّة الرُّوميّة من خلال الموانع حول مدينة دمشق ، فقد استفادت عناصر الهندسة العسكريّة من طبيعة الأرض في إنشاء هذه المنظومة ، وعلى الأخصّ توظيف نهر بردى بما يخدم ملء الخندق الّذي يحيط بالمدينة ، فضلاً عن الاستفادة الأخرى منه بجعله مانعاً طبيعياً يعوق حركة القطعات المهاجمة على المدينة من اتّجاهها الشّمالي ، والشّمالي الشرقي .

. كانت ثقة القيادة الرُّوميّة بتحصينات مدينة دمشق كبيرةً جداً ، الأمر الّذي جعلها تجمع قوّاتها هناك ، وتتخذ الدِّفاع الموضوعي فيها ، ريثما تتمكّن القوّات الرُّوميّة في حمص من جمع شتات أمرها ، والتّعرض لجيش المسلمين ، وهذا يعني : أنّ الدِّفاعات الهندسيّة الميدانيّة قد تدخّلت في إجبار القيادة الرُّوميّة على اتّخاذ هذا الموقف الدِّفاعي ، وبذلك أصبحت السّبب المباشر في صنع القرار ، وهذا مهمٌّ جداً في التّعرّف على مدى أهميّة الهندسة العسكريّة في الميدان .

. وعلى عكسه أجبرت الدِّفاعات الهندسيّة الميدانيّة جيش المسلمين على عدم التّعرض لمدينة دمشق ، واقتحامها ؛ إذ وقفت منظومة الموانع الرُّوميّة عائقاً بوجههم ، فصارت خطة الجيش الإسلامي تقتضي فرض الحصار على المدينة .

. تقول المصادر التّاريخيّة : أنّ مدّة حصار دمشق استمرّت (٧٠) ليلةً ، وكان الحصار شديداً ، استخدمت فيه أسلحة الحصار الثّقيلة ، كالمجانيق ، والدّبابات [(٢٢٣٢)] .

٣ . سير المعركة :

سار أبو عبيدة بن الجراح قاصداً دمشق متّخذاً تشكيل المسير الاتي :

. القلب : خالد بن الوليد .

. المجنّبات : عمرو بن العاص ، وأبو عبيدة .

. الخيل : عياض بن غنم .

. الرجّالة : شرحبيل بن حسنة .

ولما كان لسور دمشق أبواب لا يمكن الخروج والدُّخول للبلدة إلا بواسطتها ، فقد نظم المسلمون قوّة الحصار على الشكل الاتي :

. قطاع الباب الشرقيّ بقيادة خالد بن الوليد .

. قطاع باب الجابية بقيادة أبي عبيدة بن الجراح .

. قطاع باب توما بقيادة عمرو بن العاص .

. قطاع باب الفراديس بقيادة شرحبيل بن حسنة .

. قطاع الباب الصَّغير بقيادة يزيد بن أبي سفيان .

وقد ظنَّ الرُّوم بأنَّ المسلمين لا يستطيعون أن يصمدوا أمام طول الحصار وخاصَّةً في أيَّام الشِّتاء ، إلاَّ أنَّ المسلمين أصحاب العقيدة الراسخة ، والصَّبر الجميل صمدوا أمام تعيُّرات الطَّقس ، فقد عمل قادة المسلمين على إشغال الكنائس المتروكة بالغطوة ، والمنازل الخالية من أهلها ليرتاح فيها المجاهدون ، على وفق أسلوبٍ أسبوعيٍّ تتبادل قوَّات الجبهة الَّتِي على الأبواب ، مع قوَّات من الخلف وبهذا التَّنظيم يستمرُّ الحصار مهماً طال الرِّمن [(٢٢٣٣)] .

ولم يقف المسلمون عند هذا الحدِّ ، وإنما استمرَّت استطلاعاتهم الميدانيَّة والهندسيَّة لمنظومة الموانع المعادية ، وتمكَّن خالد بن الوليد من انتخاب منطقة عبور ملائمة في هذه المنظومة ، يمكن من خلالها اقتحام مدينة دمشق ، فوقع الاختيار على أحسن مكانٍ يحيط بدمشق ، وأكثره ماءً ، وأشدهُ مدخلاً [(٢٢٣٤)] ، كما جهَّز حبالاً كهيئة السَّلام توضع على الجدران لتساعد على تسلُّق الأسوار ، وقد علم خالد بن الوليد : أنَّ بطريق دمشق قد رزق بولدٍ ، وجمع النَّاس في وليمةٍ ، فانشغل أفراد الرُّوم بالأكل ، والشُّرب ، وأهملوا واجباتهم ، ومن ضمنها مراقبة الجبهة ، والأبواب ، فلمَّا أمسى ذلك اليوم نهض خالد بن الوليد هو ومن معه من جنده

الَّذين قدم عليهم ، وتقدَّم هو ، والقعقاع بن عمرو ، ومدعور بن عدي ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيراً على السُّور فارقوا إلينا ، واقصدوا الباب [(٢٢٣٥)] ، وعبر خالد وجماعته الأولى الخندق المائيَّ على عائمتين من القرب [(٢٢٣٦)] ، ووصلوا السُّور ، ورموا عليه الحبال الَّتِي هي بهيئة السَّلام ، فلمَّا ثبت لهم وهقان [(٢٢٣٧)] ؛ تسلَّق فيها القعقاع ، ومدعور ، ثمَّ لم يدعوا أحبولةً إلاَّ أثبتاها ، والأوهاق الشُّرف حتَّى إذا ارتفعوا ؛ نظموا السَّلام لتستفيد منها الجماعة الثَّانية ، ثمَّ انحدرت الجماعة الأولى من السُّور ، ونزلوا قرب الباب ، فكثرت الأفراد الالَّذين مع خالد ، فكبَّر أولاً من أعلى السُّور ، فتسلَّقت الجماعة الثَّانية السُّور ، وتقدَّموا نحو الباب ، فاقتحموه بسيوفهم ، وهكذا دخلت على هذا النَّحو قوَّات المسلمين إلى مدينة دمشق [(٢٢٣٨)] .

— خ أهمُّ الفوائد والدُّروس والعبر :

. هل كان الفتح صلحاً ، أو عنوةً ؟

اختلف العلماء في دمشق هل فتحت صلحاً ، أو عنوةً ؟ فأكثر العلماء على أنه استقرَّ أمرها على الصُّلح ؛ لأنَّهم شكُّوا في المتقدِّم على الآخر ، أفتحت عنوةً ، ثمَّ عدل الرُّوم إلى المصالحة ؟ أو فتحت صلحاً ، أو اتَّفَق الاستيلاء من الجانب الآخر قسراً ؟ فلمَّا شكُّوا في ذلك ؛ جعلوها صلحاً احتياطاً . وقيل : بل جعل نصفها صلحاً ، ونصفها عنوةً ، وهذا القول قد يظهر من صنع الصَّحابة في الكنيسة العظمى التي كانت أكبر معابدهم حين أخذوا نصفها ، وتركوا نصفها [(٢٢٣٩)] . والله أعلم .
تاريخ فتحها :

قال ابن كثير : وظاهر سياق سيف بن عمر ، يقتضي : أنَّ فتح دمشق وقع في سنة ثلاث عشرة ، ولكنَّ نصَّ سيف على ما نصَّ عليه الجمهور من أنَّها وقعت في نصف رجب سنة أربع عشرة [(٢٢٤٠)] ، وقد ذكر خليفة بن خيَّاط : أنَّ أبا عبيدة حاصر الرُّوم بدمشق في رجب ، وشعبان ، ورمضان ، وشوَّال ، وتمَّ الصُّلح في ذي القعدة [(٢٢٤١)] . والمهمُّ : أنَّ فتحها كان بعد معركة اليرموك [(٢٢٤٢)] .

تطبيقات لبعض مبادئ الحرب :

لم يخلُ فتح دمشق من تطبيقات مبادئ الحرب عند المسلمين ، فاشتملت على المباغتة ، والمبادأة ، وانتهاز الفرص ، وإبداعات القادة الميدانيين ، وقد رأينا ما قام به خالد بن الوليد من استطلاع ، ومن انتخاب منطقة العبور الملائمة كيف تغيَّر الموقف ، وانقلب من عمليَّة حصار إلى عملية اقتحام ، وإذا ما قارنَّا بين ما فعله خالد بن الوليد باستخدامه الحبال على هيئة سلام ، والاستفادة منها بتسلُّقه على سور دمشق ، وبين ما فعله الجيش المصري في حرب تشرين عام ١٩٧٣ م على الجبهة المصريَّة عند عبوره خط بارليف الإسرائيلي ، واستخدامه الحبال على هيئة سلام أيضاً للوصول إلى المواضع الدفاعيَّة المعادية ، نجد : أنَّه قد تمَّ بالصِّيغة ، والأسلوب ، والأداة نفسها ، والتي توضح لنا عبقرية المسلمين إبَّان الفتوحات الإسلاميَّة ، وما معاركنا الحديثة إلا امتدادٌ لهذا الإبداع ، والعبقرية [(٢٢٤٣)] .

بعض ما قيل من الشُّعر في فتح دمشق :

قال القعقاع بن عمرو :

أَقَمْنَا عَلَى دَارِي سُلَيْمَانَ أَشْهُرًا مُجَالِدُ رُومًا قَدْ حَمَوْا بِالصَّوَارِمِ [(٢٢٤٤)] فَضَضْنَا بِهَا الْبَابَ
الْعِرَاقِيَّ عَنُودًا فَدَانَ لَنَا مُسْتَسْلِمًا كُلُّ قَائِمٍ [(٢٢٤٥)] أَقُولُ وَقَدْ دَارَتْ رَحَانًا بِدَارِهِمْ

أَقِيمُوا لَهُمْ حُرَّ الْوَرَى بِالْعَلَاصِمِ [(٢٢٤٦)] فَلَمَّا زَادْنَا فِي دِمَشْقَ حُجُورَهُمْ وَتَدَمَّرَ عَضُوبًا مِنْهُمَا بِالْأَبَائِهِمْ [(٢٢٤٧)] — خ تمهيد الفتح بعد دمشق :

بعد فتح دمشق أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى البقاع [(٢٢٤٨)] ، ففتح بالسيف ، وبعث سرية ، فالتقوا مع الروم بعين ميسنون ، وعلى الروم رجل ، يقال له (سنان) تحدر على المسلمين من عقبة بيروت ، فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء ، فكانوا يسمون عين ميسنون عين الشهداء ، واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان ، وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر ليمهدوا أمرها ، وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البنية ، وحوران ،

فصالح أهلها ، وافتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما خلا طبرية فإن أهلها صالحوه ، وغلب خالد على أرض البقاع ، وصالحه أهل بعلبك ، وكتب لهم كتاباً .

ثانياً : وقعة فحل :

تحركت القوات المكلفة بمهاجمة مدينة (فحل) نحو الجنوب ، وعندما وصلت مشارفها كانت قوة جيش الروم تقارب المئة ألف ، تسلل أكثرهم من حمص ، وانضمت إليهم القرى التي هزمت في معارك سابقة . وعندما وصلت القوة المكلفة بمحاصرة فحل من جيش المسلمين بقيادة عمارة بن مخش بن جابهها جيش الروم بشق الترع من بحيرة طبرية وسلطوا مياهها على الأطيان المحيطة بفحل بقصد إعاقة جيش الإسلام وخاصة الفرسان ، وهذا ما استخدم في وقتنا الحاضر ضد الدروع ، وبذلك أعاقوا حركة فرسان المسلمين ، لقد جعل الرومان من هذه الأحوال خطأً دفاعياً منيعاً عن فحل ، رغم أنها تقع في سهل منبسطة ، ولو كان هذا السهل يابساً ؛ لتمكّن المسلمون بسهولة من اقتحام المدينة ؛ لأنهم أقدر الناس على مباشرة حرب الصحراء ، وتوقف عمارة بن مخش ، ووزع قواته لحصار فحل ، ولم يقتحمها ، وذلك للفارق العددي الكبير في القوة ، ولصعوبة التقدم ، وعدم التمكن من اجتياز هذا المانع المائي الذي عمله الرومان .

واقصر المسلمون على فرض الحصار على مدينة فحل التي يعتصم بها الروم إلى أن فرغ أبو عبيدة من فتح دمشق العاصمة ، وضم جيشه إلى جيش أبي الأعور السلمي ، وأعاد أبو عبيدة تنظيم قواته على النحو التالي :

. المقدمة بقيادة خالد بن الوليد .

. الميمنة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح .

. الميسرة بقيادة عمرو بن العاص .

. الفرسان بقيادة ضرار بن الأزور .

. قيادة مجموعات المشاة عياض بن غنم .

. القيادة العامّة لشرحبيل بن حسنة ، وذلك لأنّ موقع المعركة هو في حدود المنطقة التّابعة له ، وتسلم القيادة لشرحبيل بن حسنة ، ثمّ نظّم إقامة القوّات وإمدادها ، ووضع مخطّطاً لاستنفار القوّات ، وبقاء القوّة جاهزةً باستمرارٍ لمواجهة الطّوارئ ، وكان شرحبيل لا يبيت ، ولا يصبح إلاّ على تعبئة [(٢٢٤٩)] ، وطال حصار المسلمين لمدينة فحل ، وظنّ الرّوم : أنّ باستطاعتهم تحقيق المباغثة ، والقيام بهجوم ليليّ حاسم ، وعلى الرّوم سقلاب بن مخراق ،

فهجموا على المسلمين ، فنهضوا عليهم نخضة رجلٍ واحدٍ ؛ لأنّهم كانوا على أهبةٍ دائمةٍ .

ودارت معركةٌ حتّى الصّباح ، وذلك اليوم بكامله إلى اللّيل ؛ فلمّا أظلم اللّيل ، فرّ الرّوم ، وقتل أميرهم ، وركب المسلمون أكتافهم ، وأسلمتهم هزيمتهم إلى ذلك الوحل المانع الذي أعدّوه للمسلمين ونتيجة للإجراءات الأمنيّة ، والاستعداد الذي قام به شرحبيل على قوّاته ، حدثت الفوضى في جيش الرّومان المهاجم ، والتّفرّع للهجوم المضادّ الذي شنّه المسلمون ، فوقع الرّومان لدى انهزامهم في المانع المائيّ ، الذي صنعوه بأيديهم حول فحل ، فركب المسلمون أكتافهم ، ولم ينبج منهم إلاّ الشريد ، ولقد تمّت تصفية القوّة المحاصرة في فحل ، وعندها توجّه المسلمون نحو أهدافهم لمتابعة خطّة العمليّات الأساسيّة ، فتمّ توجيهه :

. شرحبيل بن حسنة إلى الأردن .

. عمرو بن العاص إلى فلسطين .

انطلق أبو عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد إلى حمص ، وعند وصولهما إلى مرج الرّوم دارت معركةٌ طاحنةٌ حتّى غطّت جثث الموتى السّهل ، وفي هذه المعركة تمكّن المسلمون من تطبيق مبدأ مهمّ من مبادئ الحرب ، والعمليّات التّعريضيّة حيث اصطدمت مقدّمة الرّوم بمقدّمة المسلمين ، فعندما شعر (تودرا) باصطدام مقدّمة جيشه بجيش المسلمين ؛ قام بحركة استدارة ، وانطلق في اتجاه دمشق ، وعلم المسلمون بالأمر ، ودرسوا الموقف فقرّر أبو عبيدة توجيه قوّة بقيادة خالد بن الوليد لمطاردة (تودرا) والانقضاض عليه من الخلف وأبو عبيدة يبقى في مواجهة ، ومشاغلة جيش الرّوم ، وفي الوقت نفسه استطاعت استخبارات المسلمين من معرفة حركة ، واتّجاه تقدّم تودرا ، فتقدّم جيش يزيد بن أبي سفيان

للقائه ، واشتبك معه ، وما أن تمّ الاصطدام بين توذرا وجيش يزيد حتى باغت خالد بن الوليد الرّوم بضرهم من الخلف وتمتّ تصفية توذرا تصفيةً كاملةً تقريباً [(٢٢٥٠)] .

. ممّا قاله القعقاع بن عمرو في يوم فحل :

وَعَدَاةَ فِحْلٍ قَدْ رَأَوْنِي مَعْلَمًا وَالْحَيْلُ تَنْحِطُ وَالْبَلَاءُ أَطَوَّازُ مَا زَالَتْ الْحَيْلُ الْعِرَابُ تَدُوسُهُمْ
فِي يَوْمِ فِحْلٍ وَالْقَنَا مَوَّارٍ [(٢٢٥١)] حَتَّى رَمَيْنَ سَرَاتَهُمْ عَنَ أَسْرِهِمْ فِي رِدَّةٍ مَا
بَعْدَهَا اسْتِمْرَارٍ [(٢٢٥٢)] يَوْمَ الرِّدَاغِ فَعِنْدَ فِحْلٍ سَاعَةٌ خَرُّ الرِّمَاحِ عَلَيْهِمْ مَدَارٌ
وَلَقَدْ أَبَدْنَا فِي الرِّدَاغِ جُمُوعَهُمْ طَرًّا وَنَحْوِي تَبَسُّمُ الْأَبْصَارِ وَقَالَ أَيْضًا :
وَعَدَاةَ فِحْلٍ قَدْ شَهِدْنَا مَا قِطًّا يَنْسَى الْكَمِيَّ سِلَاحَهُ فِي الدَّارِ [(٢٢٥٣)] مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ
بِقُرْحَةٍ كَامِلٍ كَرَّ الْمَيْيْحِ رِيَانَةَ الْإِبْسَارِ [(٢٢٥٤)] حَتَّى فَضَضْنَا جَمْعَهُمْ بِتُرْسٍ يَنْفِي
الْعَدُوَّ إِذَا سَمَا جَرَّارٍ [(٢٢٥٥)] نَحْنُ الْأَوْلَى جَسُوا الْعِرَاقَ بِتَرْدُسٍ وَالشَّامَ جَسًّا فِي دُرَى
الْأَسْفَارِ [(٢٢٥٦)] ثَالِثًا : فَتَحَ بَيْسَانَ ، وَطَبْرِيَّةَ :

انصرف أبو عبيدة ، وخالد بن معهما من الجيوش نحو حمص ، كما أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، واستخلف أبو عبيدة على الأردن شرحبيل بن حسنة ، فسار شرحبيل ومعه عمرو بن العاص ، فحاصر بيسان ، فخرجوا إليه ، فقتل منهم مقتلةً عظيمةً ، ثمّ صالحوه على مثل ما صالحت عليه دمشق ، وضرب عليهم الجزية ، والخراج على أراضيهم ، وكذلك فعل أبو الأعور السلمي بأهل طبرية سواءً [(٢٢٥٧)] .

رابعاً : وقعة حمص سنة ١٥ هـ :

واصل أبو عبيدة تتبّعهُ للرّوم المنهزمين إلى حمص ، ونزل حولها يحاصرها ، ولحقه خالد ابن الوليد ، فحاصروها حصاراً شديداً ، وذلك في زمن البرد الشّديد ، وصابر أهلُ البلد رجاء أن يصرف المسلمين عن المدينة شدّة البرد ، وصبر الصّحابة صبراً عظيماً بحيث إنّهُ ذكر غير واحدٍ : أنّ من الرّوم من كان يرجع ، وقد سقطت رجله ، وهي في الخفّ ، والصّحابة ليس في أرجلهم شيءٌ سوى النّعال ، ومع هذا لم يصب منهم قدمٌ ، ولا إصبع ، ولم يزالوا كذلك حتى انسلخ فصل الشّتاء ، فاشتدّ الحصار ، وأشار بعض كبار أهل حمص عليهم بالمصالحة ، فأبوا عليه ذلك ، وقالوا : أنصالح والملك منّا قريبٌ ؟ فيقال : إنّ الصّحابة كبروا في بعض الأيام تكبيراً ارتجّت منها المدينة ، ووقعت زلزلةٌ تفتّرت منها بعض الجدران ، ثمّ تكبيراً أخرى ، فسقطت بعض الدّور ، فجاءت عامّتهم إلى خاصّتهم ، فقالوا : ألا تنظرون إلى ما

نزل بنا، وما نحن فيه ؟ ألا تصالحون القوم عنا ؟ قال : فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق ، على نصف المنازل ، وضرب الخراج على الأراضي ، وأخذ الجزية على الرقاب ، بحسب الغنى ، والفقر ، وبعث أبو عبيدة بالأخماس ، والبشارة إلى عمر مع عبد الله بن مسعود .

وأُنزل أبو عبيدة بمحصر جيشاً كثيفاً يكون بها مع جماعةٍ من الأمراء منهم بلال ، والمقداد ، وكتب أبو عبيدة إلى عمر يخبره بأن هرقل قد قطع الماء [(٢٢٥٨)] عن الجزيرة وأنه يظهر تارةً ، ويخفى أخرى ، فبعث إليه عمر يأمره بالمقام ببلده [(٢٢٥٩)] .

خامساً : وقعة قنسرين سنة ١٥ هـ :

بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى قنسرين [(٢٢٦٠)] ، فلما جاءها ، ثار إليه أهلها ، ومن عندهم من نصارى العرب ، فقاتلهم خالد فيها قتالاً شديداً ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، فأما من هناك من الروم ، فأبادهم ، وقتل أميرهم ميناس ، وأما الأعراب ، فإنهم اعتذروا إليه بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا ، فقبل منهم خالدٌ ، وكف عنهم ، ثم خلى إلى البلد ، فتحصنوا فيه ، فقال لهم خالد : إنكم لو كنتم في السحاب ؛ لحملنا الله إليكم ، أو لأنزلكم إلينا ، ولم يزل بها حتى فتحها الله عليه ، فلما بلغ عمر ما صنع خالد في هذه الموقعة ؛ قال :

يرحم الله أبا بكرٍ ، كان أعلم بالرجال مني ، والله إنني لم أعزله عن ربيبة ! ولكن خشيت أن يوكل الناس إليه [(٢٢٦١)] .

سادساً : وقعة قيسارية سنة ١٥ هـ :

وفي هذه السنة أمر عمر معاوية بن أبي سفيان على قيسارية [(٢٢٦٢)] ، وكتب إليه : أمّا بعد : فقد وليت قيسارية فسر إليها ، واستنصر الله عليهم ، وأكثر من قول : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الله ربنا ، وثقتنا ، ورجاؤنا ، ومولانا ، فنعم المولى ، ونعم النصير ، فسار إليها ، فحاصرها ، وزاحفه أهلها مرّاتٍ عديدةً ، وكان آخرها وقعةً أن قاتلوا قتالاً عظيماً ، وصمّم عليهم معاوية ، واجتهد في القتال حتى فتح الله عليه ، فما انفصل الحال حتى قتل منهم نحواً من ثمانين ألفاً ، وكمل المئة ألف من الذين انهزموا عن المعركة ، وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه [(٢٢٦٣)] .

هذا ؛ ويرى الدكتور عبد الرحمن الشجاع : أن مدن الشام تساقطت تحت ضربات المجاهدين الواحدة تلو الأخرى ؛ لأن الروم كانوا من الهزيمة بمكانٍ لا تجعلهم يفكّرون في

المقاومة ، فتساقطت مدن بيروت ، وصيدا ، ونابلس ، واللّد ، وحلب ، وإنطاكية ، وكانت قيساريّة اخر مدن الشّام فتحاً على يد معاوية بن أبي سفيان ، وكان ذلك بعد فتح القدس [(٢٢٦٤)] .

سابعاً : فتح القدس ١٦ هـ :

كان على فلسطين قائدٌ رومانيٌّ يدعى: (الأرطوبون) أي: القائد الكبير الذي يلي الإمبراطور، وكان هذا أدهى الرّوم ، وأبعدهم غوراً ، وأنكاهم فعلاً ، وكان قد وضع بالرّملة جنداً عظيماً ، وإيلياء جنداً عظيماً [(٢٢٦٥)] ، وكتب عمرو بن العاص إلى عمر - رضي الله عنهما - يخبره بذلك ، ويستشيريه ، ويستأمره ، فقال عمر كلمته الشهيرة : قد رمينا أرطوبون الرّوم بأرطوبون العرب ، فانظروا عمّا تنفج [(٢٢٦٦)] وكان يقصد بذلك أنّ كلا القائدين أدهى الرّجال في قومهما ، وكانت معركة أجنادين الثّانية (١٥ هـ) التي انتصر فيها عمرو على الرّوم قد مهّدت الطّريق إلى فلسطين [(٢٢٦٧)] .

وقد بدأت معركة القدس عملياً ، قبل معركة أجنادين الثّانية (١٥ هـ) ذلك : أنّ أرطوبون الرّوم كان قد ورّع (جنداً عظيماً) له في كلّ من إيلياء ، والرّملة - كما سبق أن قدّمنا - وبين الرّملة ، وإيلياء - أي : القدس - ثمانية عشر ميلاً ، وذلك تحسّباً لأي هجوم من قبل المسلمين بقيادة عمرو بن العاص على المدينتين اللّتين كانتا أهمّ مدن (كورة فلسطين) إذ كانت الرّملة (قصبه فلسطين) وكانت إيلياء أكبر مدنها [(٢٢٦٨)] ، وكان على الرّوم في إيلياء حاكمها الأرطوبون ، وهو الأرطوبون نفسه الذي كان قد لجأ وفلول جيشه إليها بعد هزيمتهم في أجنادين ، وكان عليهم في الرّملة التّدارق [(٢٢٦٩)] .
وهذه أهمّ المراحل ؛ التي مرّ بها المسلمون عند فتحهم للقدس :

١ . المشاغلة :

كانت خطّة الخليفة عمر أن يشغل الرّوم عن عمرو في فلسطين ريثما يتمّ الانتصار على حشودهم في أجنادين ، حتّى يتفرّغ المسلمون بعدها لفتح القدس ، وما تبقي من بلاد الشّام ، فأمر معاوية أن يتوجّه بجيله إلى قيساريّة ليشغل حاميتها عن عمرو ، وأمّا عمرو فكان قد اعتمد الخطّة نفسها ؛ التي اعتمدها الخليفة ، فأرسل كلاً من علقمة بن حكيم الفراسي ، ومسروق بن فلان المكيّ على رأس قوّة لمشاغلة حامية الرّوم في إيلياء ، فصاروا بإزاء أهل إيلياء ، فشغلوهم

عن عمرو [(٢٢٧٠)] ، ثمّ أرسل أبا أيوب المالكيّ على رأس قوّة أخرى لمشاغلة حاميتهم في الرّملة ، وما إن وصلت الإمدادات إلى عمرو حتّى أرسل محمّد بن عمرو مع مددٍ لقوّاته المرابطة في مواجهة

حامية إيلياء ، كما أرسل عمارة بن عمرو بن أمية الضمري مع مدد لقواته المرابطة في مواجهة حامية الرملة ، أمّا هو ؛ فأقام في أجنادين بانتظار المعركة الحاسمة مع الأربطون .

وفي هذه الأثناء كانت حامية إيلياء تصدّ المسلمين عن أسوارها ، وكان القتال يستعزّ حول المدينة المقدّسة بينما كان المسلمون ، والرّوم يحتشدون للقتال في أجنادين ، وكانت معركة أجنادين عنيفة^[٢٢٧١] ؛ إذ يقول الطّبري فيها : اقتتلوا . أي : المسلمون ، والرّوم . قتالاً شديداً كقتال اليرموك ؛ حتّى كثرت القتلى بينهم^[٢٢٧٢] ، فقد نازل أربطون العرب أربطون الرّوم في أجنادين فهزّمه ، وارتدّ أربطون الرّوم ، وجنده ليحتموا بأسوار المدينة المقدّسة ، فأفرج له المسلمون حتّى دخلها^[٢٢٧٣] ، ويذكر الطّبري أنّ كلاً من علقمة ، ومسروق ، ومحمّد بن عمرو ، وأبي أيّوب التحقوا بعمرو في أجنادين ، وسار عمرو بجيشه جميعاً نحو إيلياء لمحاصرتها^[٢٢٧٤] .

اجتمع المسلمون بقيادة عمرو بن العاص حول إيلياء ، وضرب عمرو على المدينة حصاراً شديداً ، وكانت المدينة حصينة ، ومنيعاً ، ويصف الواقدي أسوار المدينة بأنّها كانت محصّنةً بالمجانيق ، والطّوارق ، والسّيوف ، والدّرق ، والجواشن ، والرّزد الفاخرة ، ويذكر : أنّ القتال بدأ بعد ثلاثة أيّام من الحصار ، حيث تقدّم المسلمون نحو أسوار المدينة ، فأمطرتهم حاميتها بوابلٍ من السّهام ، والنّبال ؛ الّتي كان المسلمون يتلقّونها (بدرقهم) وكان القتال يمتدّ من الصّباح إلى غروب الشّمس ، واستمرّ على هذا المنوال عدّة أيّام ، حتّى كان اليوم الحادي عشر ؛ إذ أقبل أبو عبيدة على المسلمين ومعه خالد ، وعبد الرّحمن بن أبي بكر ، ومعهم فرسان المسلمين ، وأبطال الموحّدين^[٢٢٧٥] ممّا ألقى الجزع في قلوب أهل إيلياء ، واستمرّ الحصار أربعة أشهر ما من يومٍ إلاّ وجرى فيه قتالٌ شديداً ، والمسلمون صابرون على البرد ، والثّلج ، والمطر^[٢٢٧٦] إلى أن يئس الرّوم من مقاومة حصار المسلمين لمدينتهم ، فقرّر بطريقهم (البطريق صفرونيوس) القيام بمحاولة أخيرة ، وكتب إلى عمرو بن العاص ، قائد جيش المسلمين رسالة يغريه فيها بفكّ الحصار لاستحالة احتلال المدينة^[٢٢٧٧] .

٣ . الاستسلام :

كتب أربطون الرّوم إلى عمرو بن العاص يقول له : إنّك صديقي ، ونظيري ، أنت في قومك مثلي في قومي ، والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ! فارجع ، ولا تُعزّ ، فنلقى ما لقي الذين قبلك من الهزيمة^[٢٢٧٨] . فكتب إليه عمرو كتاباً يقول فيه : إنّّه (صاحب فتح هذه البلاد) ؛ وأرسل الكتاب مع رسولٍ ، وأمره أن ينقل إليه ردّ الأربطون ، فلمّا قرأ الأربطون كتاب عمر ؛ ضحك ممّا جاء

فيه ، وقال : إِنَّ صاحب فتح بيت المقدس هو رجلٌ اسمه : « عمر » ، ونقل الرَّسولُ إلى عمرو ما سمعه من الأربطون ، فعرف عمرو : أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يعنيه الأربطون هو الخليفة [(٢٢٧٩)] ، فكتب إلى الخليفة يخبره بما جاء على لسان الأربطون : أَنَّهُ لا يفتح المدينة إلا هو ، ويستمدُّه ، ويستشيرهُ قائلاً : إِنِّي أعالج حرباً كؤوداً صدوماً ، وبلاداً أدخرت لك ، فأريك [(٢٢٨٠)] ، فخرج الخليفة . بعد الاستشارة . في مددٍ من الجند إلى الشَّام بعد أن استخلف على المدينة عليُّ بن أبي طالبٍ . رضي الله عنه . ونزل بالجابية ، فجاءه أهل إيلياء (فصالحوه على الجزية ، وفتحوها له [(٢٢٨١)]) .

٤ . اختلاف الروايات فيمن حاصر القدس ، والتَّحقيق فيها :

روى الطَّبْرِيُّ أكثر من روايةٍ في حصار القدس ، وقد ذكرت : أَنَّ الَّذِي حاصرها هو عمرو بن العاص ، وذكر روايةً أخرى قال فيها : كان سبب قدوم عمر إلى الشَّام : أَنَّ أبا عبيدة حضر بيت المقدس ، فطلبت أهلها منه أن يصلحهم على صلح مدن أهل الشَّام ، وأن يكون المتولِّي للعقد عمر بن الخطَّاب ، فكتب إليه ذلك ، فسار عن المدينة بعد أن استخلف عليها (عليّاً) ، وخرج (ممدّاً لهم) أي : لعسكر الشَّام .

ويروي ابن الأثير روايتين مماثلتين لروايته الطَّبْرِيُّ ، بل متشابهتين في النَّصِّ إلى حدِّ كبيرٍ [(٢٢٨٢)] ، وينسب الواقديُّ حصار القدس ، وما جرى خلاله من تشاورٍ مع الخليفة عمر . رضي الله عنه . ومن تفاوض مع حاميتها الرُّوميَّة إلى أبي عبيدة ، فيذكر : أَنَّ أبا عبيدة سَرَّحَ إلى بيت المقدس خمسة وثلاثين ألف مقاتل بقيادة سبعة قادة مع كلِّ خمسة الاف ، وهم : خالد بن الوليد ، ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، والمرقال بن هاشم بن أبي وقَّاص ، والمسيب بن نجية الفزاري ، وقيس بن هبيرة المرادي ، وعروة بن المهمل بن يزيد ، سَرَّحهم في سبعة أيَّام

كلَّ يومٍ قائد ، ثمَّ لحق بهم بعد أن نشب القتال عدَّة أيَّامٍ بينهم وبين حامية المدينة [(٢٢٨٣)] . ويستطرد الواقديُّ : فيقول : إِنَّ أهل إيلياء جاؤوا إلى أبي عبيدة يعرضون عليه دخول المدينة صلحاً على أن يتمَّ الصُّلح على يدي خليفة المسلمين عمر ، ثمَّ يذكر روايةً مشابهاً لتلك التي رواها كلُّ من الطَّبْرِيُّ ، وابن الأثير ، وبضيف : أَنَّ أبا عبيدة كتب إلى الخليفة يخبره بما جرى ، فسار الخليفة إلى بيت المقدس ونزل عند أسوار المدينة ، فخرج إليه بِطَرِيقُهَا ، وتعرَّف إليه ، وقال : هذا والله الَّذي نجد صفته ، ونعته في كتبنا ، ومن يكون فتح بلادنا على يديه [(٢٢٨٤)] .

ثمَّ عاد إلى قومه يخبرهم ، فخرجوا مسرعين ، وكانوا قد ضاقت أنفسهم من الحصار ، ففتحوا الباب ، وخرجوا إلى عمر بن الخطَّاب يسألونه العهد ، والميثاق ، والدمِّمة ، ويقرُّون له بالجزية [(٢٢٨٥)] ، ونحن نستبعد رواية الواقدي هذه ؛ لاعتقادنا أنَّه بينما كان عمرو بن العاص ، يحاصر القدس ، كان رفاقه من قادة المسلمين بعد اليرموك ، ودمشق ، وفحل ، يجوبون أنحاء بلاد الشَّام غانمين منتصرين ، فيحتلُّ أبو عبيدة ومعه خالد بن الوليد ، حمص ، وحماة ، وقنَّسرين ، وحلب ، ثمَّ يسلك طريق السَّاحل الشَّامي جنوباً فيستولي على إنطاكية ، واللاذقية ، وعرقه ، ويحتلُّ يزيد بن أبي سفيان السَّاحل جنوباً من بيروت إلى صيدا ، وشمالاً من عسقلان إلى صور [(٢٢٨٦)] ، ولكنَّ البلاذري يذكر في رواية له : أنَّ عمرو بن العاص هو الَّذي حاصر القدس بعد أن فتح رفح ، وأنَّ أبا عبيدة قدم عليه . . بعد أن فتح قنَّسرين ، ونواحيها ، وذلك في سنة ١٦ هـ وهو محاصر إيلياء ، وإيلياء مدينة بيت المقدس [(٢٢٨٧)] ، وأنَّ أهل إيلياء طلبوا من أبي عبيدة (الأمان ، والصُّلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشَّام) على أن يتولَّى العقد لهم عمر بن الخطَّاب نفسه ، وقد كتب أبو عبيدة إلى الخليفة بذلك ، فقدم عمر فنزل الجابية من دمشق ، ثمَّ صار إلى إيلياء ، فأنفذ صلح أهلها ، وكتب به ، وكان فتح إيلياء في سنة ١٧ هـ ويضيف البلاذري بعد ذلك : وقد روي في فتح إيلياء وجهٌ آخر [(٢٢٨٨)] .

ومع أنَّنا نرجِّح الرواية الأولى التي أوردتها الطُّبري ، وهي أنَّ حصار القدس تمَّ على يد عمرو ابن العاص ، وليس على يد أبي عبيدة ، فنحن نرى : أنَّه لم يكن صعباً على أبي عبيدة أن يلتحق بالخليفة عمر في الجابية للتَّشاور معه حول أمور الفتح باعتباره القائد العامَّ لجيوش المسلمين في الشَّام ، وخصوصاً عندما نعلم : أنَّ أبا عبيدة كان ثاني من لقي بعد الخليفة يزيد حين وصوله إلى

الجابية واستدعائه لسائر أمراء الأجناد في الشَّام [(٢٢٨٩)] للتَّشاور ، وأنَّ أبا عبيدة حضر مع يزيد ، وشرحبيل ، وكبار قادة المسلمين في الشَّام عقد الصُّلح ، والأمان ، وتسليم المدينة [(٢٢٩٠)] . إلاَّ أنَّه لم يشهد على هذا العقد ، كما شهد عليه كلُّ من عمرو بن العاص ، وعبد الرَّحمن ابن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، كما يستدلُّ من نصِّ المعاهدة نفسها ، وليس لدينا أيُّ تفسير لذلك سوى : أنَّ أبا عبيدة لم يكن قائد الجيش الَّذي حاصر المدينة المستسلمة ، بل هو عمرو [(٢٢٩١)] .

٥ . نصُّ المعاهدة :

وفيما يلي نصُّ المعاهدة ، كما أوردتها الطُّبري :

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم ، وأموالهم ، ولكنائسهم ، وصلبانهم ، وسقيمها ، وبريئها وسائر ملتها : أنه لا تُسكن كنائسهم ، ولا تخدم ، ولا ينتقض منها ، ولا من حيّزها ، ولا من صلبهم ، ولا من شيءٍ من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضارَّ أحدٌ منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحدٌ من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يُخرجوا منها الرُّوم واللُّصوت (اللُّصوص) فمن خرج منهم فإنَّه امن على نفسه ، وماله حتَّى يبلغوا مأمَنهم ، ومن أقام منهم ؛ فهو امن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحبَّ من أهل إيلياء أن يسير بنفسه ، وماله مع الرُّوم ، ويخلي بيعهم وصلبهم ، فإنَّهم امنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتَّى يبلغوا مأمَنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ؛ فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الرُّوم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنَّه لا يؤخذ منهم شيءٌ حتَّى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمَّة رسوله ، وذمَّة الخلفاء ، وذمَّة المؤمنين إذا أعطوا الَّذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرَّحْمَنِ بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب ، وحضر سنة خمس عشرة [(٢٢٩٢)] .

أهمُّ الدُّروس ، والعبر ، والفوائد :

أ . موقفٌ فدائيٌّ لوائلة بن الأسقع رضي الله عنه :

قال وائلة : فأسمع صرير باب الجابية . وهو واحدٌ من أبواب دمشق . فمكثت فإذا بجيِّلٍ عظيمةٍ فأمهلتها ، ثمَّ حملت عليهم ، وكبَّرت ، فظنُّوا أنَّهم أحيط بهم ، فانهمزوا إلى البلد ، وأسلموا عظيمهم . يعني : قائدهم . فدعسته بالرُّمَح ، وألقيته على بردونه ، وضربت يدي على عنان البردون ، وركضت ، فالتفتوا فلمَّا رأوني وحدي ، تبعوني فدعست فارساً بالرُّمَح فقتلته ، ثمَّ دنا آخر ، فقتلته ، ثمَّ جئت خالد بن الوليد ، فأخبرته ، وإذا عنده عظيمٌ من الرُّوم يلتمس الأمان لأهل دمشق [(٢٢٩٣)] .

ب . سفارة معاذ بن جبلٍ إلى الرُّوم قبيل (موقعة فحل) :

بعد مناوشاتٍ بين المسلمين والرُّوم قبيل موقعة فحل أرسل الرُّوم إلى المسلمين : أن ابعثوا إلينا رجلاً نسأله عمَّا تريدون ، وما تسألونه ، وما تدعون إليه ، ونخبره بما نريد . فأرسل إليهم أبو عبيدة معاذ بن جبل الأنصاريّ مفوضاً ، وسفيراً عن المسلمين ، فاستعدَّ الرُّوم لاستقباله ، وأظهروا أجمل ما عندهم من

الزينة ، وأنفذ ما عندهم من الأسلحة ، وفرشوا الأرض بأثمن البسط ، والنمارق التي تكاد تخطف الأبصار ، ليفتنوا معاذاً عمّا جاء له ، أو يرهبوه ، ويفتؤوا في عضده ، ففاجأهم بتعاليه عن زينتهم ، ورفضه لكل أشكال المغريات ، وبشدة تواضعه ، وزهده ، بل اغتتم ذلك الموقف لاستخدامه سلاحاً ضدّ الرُوم ، فأمسك بعنان فرسه ، وأبى أن يعطيه لغلامٍ من الرُوم ، وأبى الجلوس على ما أعدّوه لاستقباله ، وقال لهم: لا أجلس على هذه النمارق التي استأثرت بها على ضعفائكم ، وجلس على الأرض .. وقال : **إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَجْلَسُ عَلَى بَسَاطِ اللَّهِ ، وَلَا أُسْتَأْثِرُ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَلَى إِخْوَانِي** [(٢٢٩٤)] ، ودار بينهم حوارٌ ، سأله فيه عن الإسلام ، فأجابهم ، وسأله عن نبيّ الله عيسى عليه السّلام ، فقرأ عليهم قوله تعالى : **{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * }** [آل عمران: ٥٩] وأوضح لهم ما يريده منهم المسلمون ، وقرأ عليهم قوله تعالى : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً }** [التوبة : ١٢٣] ، وقالوا له : **إِنَّ سَبَبَ انْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْفَرَسِ هُوَ مَوْتُ مَلِكِهِمْ ، وَإِنَّ مَلِكَ الرُّومِ حَيٌّ ، وَجُنُودُهُ لَا تَحْصَى .** فقال لهم : **إِنْ كَانَ مَلِكُكُمْ هَرَقْلَ فَإِنَّ مَلِكَنَا اللَّهُ ، وَأَمِيرَنَا رَجُلٌ مَنَا ، إِنْ عَمِلَ فِينَا بِكِتَابِ اللَّهِ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ؛ أَقْرَبْنَا ، وَإِنْ غَيْرَ ؛ عَزَلْنَا ، وَلَا يَحْتَجِبُ عَنَّا وَلَا يَتَكَبَّرُ ، وَلَا يَسْتَأْثِرُ عَلَيْنَا** [(٢٢٩٥)] .

وأما عن كثرتهم ؛ فقد قرأ عليهم قوله تعالى : **{ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * }** [سورة البقرة : ٢٤٩] .

ولما فشل الرُوم في التأثير على معاذ ، أو النيل منه فيما أعدّوه من بهارج ، وخيلاء ؛ عادوا إلى الواقع يعرضون عليه الصلح ، وأن يعطوا المسلمين البلقاء ، وما والاها ، فأعلمهم معاذ : **أَنَّهُ لَيْسَ أَمَامَهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامُ ، أَوْ الْجَزِيَّةُ ، أَوْ الْحَرْبُ ، فَغَضِبُوا ، وَقَالُوا : اذْهَبْ إِلَى أَصْحَابِكَ ، إِنَّا لَنَرَجُو أَنْ نَقْرَنَكُم فِي الْحَبَالِ .** فقال معاذ : **أَمَّا الْحَبَالُ ؛ فَلَا ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَتَقْتَلَنَّا عَنْ آخِرِنَا ، أَوْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْهَا أَذَلَّةً وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ !** ثمّ انصرف [(٢٢٩٦)] .

وهكذا ظهر معاذ في هذه السّفارة شخصية سياسية عسكريّة ، وداعيةً إلى الإسلام ، يواجه حجج خصومه ، ويوجّه إليهم التّفدّ اللاذع ، مظهرًا عيوبهم ، واستثارتهم على رعيّتهم ، ويدكّرهم بتعاليم دينهم ، ويدعوهم إلى الإسلام ، أمّا تهويلهم ، وحرهم التّفسيّة ، فيردّ عليها بالواقع ، لا بالتّهويل ، والتّخويف ، ثمّ يعود إلى قيادته التي أقرّت كل ما قام به ، وما قاله للرُوم [(٢٢٩٧)] . وقد كان المسلمون يدعون خصومهم للإسلام قبل القتال .

ج موقف عبادة بن الصّامت في فتح قيساريّة :

كان عبادة بن الصّامت على ميمنة جيش المسلمين في حصار قيساريّة ، فقام رضي الله عنه بوعظ جنده ، ودعاهم إلى تفقّد أنفسهم ، والحيلة من المعاصي ، ثمّ قاد هجوماً قتل فيه كثيراً من الرّوم ، لكنّه لم يتمكّن من تحقيق هدفه ، فعاد إلى موقعه الذي انطلق منه ، فحرّض أصحابه على القتال ، وأبدى لهم استغرابه الشّديد لعدم تحقيق أهداف ذلك الهجوم ، فقال : يا أهل الإسلام ! إني كنت من أحدث النّبء سنّاً ، وأبعدهم أجلاً ، وقد قضى الله أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم . . والذي نفسي بيده ! ما حملت قطّ في جماعة من المؤمنين على جماعة من المشركين إلا خلّوا لنا السّاحة ، وأعطانا الله عليهم الظّفر ، فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم [(٢٢٩٨)] ؟ ثمّ بيّن لهم ما يخشاه منهم ، فقال : إني والله لخائفٌ عليكم خصلتين : أن تكونوا قد غلّتم ، أو لم تناصحوا الله في حملتكم عليهم [(٢٢٩٩)] ، وحثّ أصحابه على طلب الشّهادة بصدق ، وأعلمهم : أنّه سيكون في مقدّماتهم ، وأنّه لن يعود إلى مكانه إلا أن يفتح الله عليه ، أو يرزقه الشّهادة [(٢٣٠٠)] !

فلمّا التحم المسلمون ، والرّوم ترجّل عبادة عن جواده ، وأخذ راجلاً فلمّا راه عمير بن سعد الأنصاري ؛ نادى المسلمين يعلمهم بما فعل أميرهم ، ويدعوهم إلى الاقتداء به ، فقاتلوا الرّوم حتى هزموهم (وأحجروهم في حصنهم [(٢٣٠١)]) .

د . أم حكيم بنت الحارث بن هشام في معركة مرج الصّففر :

كانت أم حكيم بنت الحارث بن هشام تحت عكرمة بن أبي جهل ، فقتل عنها في معارك الشّام [(٢٣٠٢)] ، فاعتدّت أربعة أشهر وعشرّاً ، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها ، وكان خالد بن سعيد يرسل إليها يعرّض لها في خطبتها ، فخطبها خالد بن سعيد فتزوّجها ، فلمّا نزل المسلمون مرج صفر ، وكان خالد قد شهد أجنادين ، وفحل ، ومرج الصّففر . أراد أن يعرّس بأمّ حكيم ، فجعلت تقول : لو أحرّت الدّخول حتى يفضّ الله هذه الجموع ! فقال خالد : إنّ نفسي تحدّثني أنّي أصاب في جموعهم . قالت : فدونك . فأعرس بها عند القنطرة التي بالصّففر ، فبها سمّيت قنطرة أمّ حكيم ، وأولم عليها ، فدعا أصحابه إلى طعام ، فما فرغوا من الطّعام حتى صفت الرّوم صفوفها ، وبرز خالد بن سعيد ، فقاتل ، فقتل ، وشدّت أمّ حكيم عليها ثيابها ، وتبدّت ، وإنّ عليها أثر الخلق ، فاقتتلوا أشدّ القتال على النّهر ، وصبر الفريقان جميعاً ، وأخذ السّيوف بعضها بعضاً ، وقتلت أمّ حكيم يومئذٍ سبعة بعمود الفسطاط الذي بات فيه خالدٌ معرّساً بها [(٢٣٠٣)] .

هـ قيصر الرُّوم يودِّع الشَّام :

في السَّنَةِ الخامسة عشرة تفهقه هرقل بجنوده ، وارتحل عن الشَّام إلى بلاد الرُّوم [(٢٣٠٤)] وقيل : في سنة ستَّ عشرة [(٢٣٠٥)] ، وكان هرقل كلِّما حجَّ إلى بيت المقدس ، وخرج منها يقول : عليك السَّلَام يا سورية ! تسليم مودِّع لم يقض منك وطراً وهو عائدٌ ؛ فلمَّا عزم على الرَّحيل من الشَّام وبلغ الرَّهَّا [(٢٣٠٦)] ؛ طلب من أهلها أن يصحبوه إلى الرُّوم ، فقالوا : إنَّ بقاءنا ها هنا أنفع لك من رحيلنا معك ، فتركهم ؛ فلمَّا وصل إلى شمشاط [(٢٣٠٧)] وعلا على شرفٍ هنالك ؛ التفت إلى نحو بيت المقدس ، وقال : عليك السَّلَام يا سورية ! سلاماً لا اجتماع بعده [(٢٣٠٨)] .

ثمَّ سار هرقل حتَّى نزل القسطنطينية ، واستقرَّ بها ملكه ، وقد سأل رجلاً ممَّن أتبعه ، كان قد أسر مع المسلمين ، فقال : أخبرني عن هؤلاء القوم . فقال : أخبرك كأنك تنظر إليهم : هم فرسانٌ بالنَّهار، ورهبانٌ بالليل، ما يأكلون في ذمَّتهم إلا بئس، ولا يدخلون إلا بسلامٍ، يقضون على من حاربوه حتَّى يأتوا عليه . فقال : لئن كنت صدقتني ؛ ليملكنَّ موضع قدميَّ هاتين [(٢٣٠٩)] .

و . إنَّ الله أعزَّكم بالإسلام :

لما قدم عمر رضي الله عنه الشَّام راكباً على حماره ، ورجلاه من جانبٍ ؛ فقال له أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين ! الان يتلقَّك عظماء النَّاس ! فقال عمر . رضي الله عنه . : إنَّ الله أعزَّكم بالإسلام ، فمهما طلبتم العزَّ في غيره أذلَّكم [(٢٣١٠)] .

ز . من خطبته بالجابية لما وصل الشَّام :

خطب عمر . رضي الله عنه . بالجابية ، فقال : إنَّ رسول الله (ص) قام في مثل مقامي هذا فقال : « أحسنوا إلى أصحابي ، ثمَّ الَّذِينَ يلوئهم ، ثمَّ الَّذِينَ يلوئهم ، ثمَّ يجيء قومٌ يحلف أحدهم عن اليمين قبل أن يستحلف عليها ، ويشهد على الشَّهادة قبل أن يستشهد ، فمن أحبَّ منكم أن ينال بمجوحة الجنَّة ؛ فليلزم الجماعة ، فإنَّ الشَّيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلوَّ رجلٌ بامرأة ؛ فإنَّ ثالثهما الشَّيطان ، ومن كان منكم تسرُّه حسنته ، وتسوءه سيَّئته فهو مؤمن » [(٢٣١١)] .

ح . غيرتنا الدُّنيا كلَّنا غيرك يا أبا عبيدة !

لما قدم عمر الشَّام ؛ قال لأبي عبيدة . رضي الله عنه . : اذهب بنا إلى منزلك ، قال : وما تصنع عندي؟ ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليّ . قال: فدخل، فلم يرَ شيئاً، قال: أين متاعك ؟ لا أرى إلا لبدأً وصحفةً ، وشنأاً [(٢٣١٢)] ، وأنت أميرٌ ، أعندك طعامٌ ؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة [(٢٣١٣)] ،

فأخذ منها كسيراتٍ ، فبكى عمر ، فقال له أبو عبيدة : قد قلت لك : إنَّك ستعصر عينيك عليَّ يا أمير المؤمنين! يكفيك ما يبلِّغك المقييل، قال عمر: غيَّرتنا الدُّنيا كلَّنا غيرك يا أبا عبيدة [(٢٣١٤)] ! .
وعلَّق الذهبى على هذه الحادثة ، فقال : وهذا والله هو الزُّهد الخالص لا زهد من كان فقيراً معدماً [(٢٣١٥)]. وجاء في روايةٍ عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : قدم عمر - رضي الله عنه - الشَّام فتلقَّاه أمراء الأجناد، وعظماء أهل الأرض، فقال عمر : أين أخي ؟ قالوا : من ؟ قال : أبو عبيدة بن الجراح ، قالوا : يأتيك الان ، فجاء على ناقَةٍ مخطومةٍ بجبلٍ ، فسلمَّ عليه ، فسأله ، ثمَّ قال للنَّاس : انصرفوا عنَّا ، فسار معه حتَّى أتى منزله ، فنزل عليه ، فلم يرَ في بيته إلا سيفه ، وترسه ، ورحله [(٢٣١٦)] .

ط - تعليق على نصِّ معاهدة أهل بيت المقدس :

إنَّ كتاب الصُّلح الَّذي أبرمه عمر - رضي الله عنه - يشهد شهادة حقِّ بأنَّ الإسلام دين تسامحٍ ، وليس دين إكراهٍ ، وهو شاهدٌ عدلٍ بأنَّ المسلمين عاملوا النَّصارى الموجودين في القدس معاملةً لم تخطر على بالهم . إنَّ عمر ، وهو الفاتح كان يستطيع أن يفرض عليهم ما يشاء ، وأن يجبرهم على ما يريد ، ولكنَّه لم يفعل ؛ لأنَّه كان يمثِّل الإسلام ، والإسلام لا يكره أحداً على الدُّخول فيه ، ولا يقبل من أحدٍ إيماناً إلا عن طواعيةٍ ، وإذعانٍ ، إنَّ الإيمانَ ليس شيئاً يجبر عليه النَّاس ؛ لأنَّه من عمل القلوب ، والقلوب لا يعلم مخباتها إلا الله سبحانه ، فقد يريك الإنسان : أنه مؤمنٌ ، وليس كذلك ، وتكون مضرَّته لأهل الإيمان أكثر ممَّن يجاهرون بالكفر والإلحاد ، ولهذا اثار المسلمون أن يعطوا النَّاس حريَّة العبادة ، ويؤمَّنون على كلِّ عزيزٍ لديهم على أن يعيشوا في كنف المسلمين ، ويؤدُّوا الجزية مقابل حمايتهم ، والدُّود عنهم ، وفي ظلال الحياة الهادئة الوديعه ، وفي رحاب الصِّلوات ، والجوار ، وفي كنف المسلمين ، وعدالتهم سيرى غير المسلمين عن قربٍ جمال الإسلام ، وسماحته ، وإنصافه ، وعدالته ، وسيرون فيه الحقائق التي قد عميت عليهم ؛ لبعدهم عنه ، وعندئذٍ يدخلون في دين الله أفواجاً ، كما حدث في كلِّ البلاد التي فتحتها المسلمون ، وأعطوا أهلها مثل هذا الأمان [(٢٣١٧)] .

ي - عمر - رضي الله عنه - يصلي في المسجد الأقصى :

قال أبو سلمة : حدَّثني أبو سنان عن عبيد بن ادم ، قال : سمعت عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - يقول لكعب : أين ترى أن أصلي ؟ فقال : إن أخذت عني ؛ صليت خلف الصَّخرة ، فكانت القدس كلُّها بين يديك ، فقال عمر : ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله (ص) .

فتقدّم إلى القبلة فصلّى ، ثمّ جاء ، فبسط رداءه ، فكنس الكناسة في رداءه ، وكنس النَّاسِ [(٢٣١٨)]

وقال ابن تيميّة : المسجد الأقصى اسم لجميع المسجد ... وقد صار بعض النَّاسِ يسمّي الأقصى المصلّى الذي بناه عمر بن الخطّاب في مقدمه ، والصّلاة في هذا المصلّى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصّلاة في سائر المسجد ، فإنّ عمر ابن الخطّاب لما فتح بيت المقدس ، وكان على الصّخرة زبالة عظيمة؛ لأنّ النّصارى كانوا يقصدون إهانتها ، مقابلةً لليهود الذين يصلّون إليها ، فأمر عمر بإزالة النّجاسة عنها ، وقال لكعب : أين ترى أن نبي مصلّى للمسلمين ؛ فقال : خلف الصّخرة ، فقال: يابن اليهوديّة، خالطت اليهوديّة ، بل أبنيه أمامها فإنّ لنا صدور المساجد [(٢٣١٩)].

وهذا موقفٌ اخر جليلٌ وعظيمٌ من مواقف أمير المؤمنين التي لا تحصى ، والتي برهن فيها عملياً على أنّ الإسلام يحترم جميع الأديان السّماويّة ، ويجعل كلّ المقدّسات محترمةً ، ولا يختصر شيئاً منها ، إنّ هذه الصّخرة التي أزال عنها عمر التّراب ، والأوساخ بيده ، وحملها في قبائه لينفيها عنها هي قبلة اليهود ، والصّخرة المعظمة عندهم التي كلّّم الله عليها يعقوب عليه السّلام ، كما يعتقدون ، فكما كان موقف عمر من النّصارى رائعاً ، وجليلاً حين منحهم حرّيّة الاعتقاد ، وأمنّهم على صلبانهم ، وكنائسهم لم يضرّ على اليهود مع ما ارتكبهوه في حقّ المسلمين من الجرائم بمثل هذا الموقف الرّائع الجليل ، حيث رفع التّراب عن الصّخرة ، وأظهر عنايته بها ، وحرصه على احترامها [(٢٣٢٠)].

محاولة الرّومان احتلال حمص من جديد :

قدمت عيون أبي عبيدة ، فأخبروه بجمع الرّوم ؛ وخطاب هرقل فيهم ، وسيرهم إليه ، ورأى أبو عبيدة ألا يكتّم جنوده الخبر ، فدعا رؤوس المسلمين ، وذوي الهيئة ، والصّلاح منهم ليستشيرهم ، ويسمع رأي جماعتهم [(٢٣٢١)] ، فكان رأي معاذ بن جبل الأنصاري عدم الانسحاب ، وقال : هل يلتمس الرّوم من عدوّهم أمراً أسرّ لهم ممّا تريدون بأنفسكم ، تخلون لهم عن أرضٍ قد فتحها الله عليكم ، وقتل فيها صناديدهم ، وأهلك جنودهم . . أما والله لئن أردتم دخولها بعد الخروج منها لثكابدنّ من ذلك مشقّةً ! فقال أبو عبيدة : صدق والله ، وبرّ [(٢٣٢٢)] ، ولكنّ الأحداث سارت على غير هذا الاتجاه ، فأعاد المسلمون ما جبوه من أهل حمص ، فقد أمر أبو عبيدة حبيب بن مسلمة ، وقال له : اردد على القوم الذين كنّا صالحناهم من أهل البلد ، ما كنّا أخذنا منهم ، فإنّه لا ينبغي لنا إذ لم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئاً ، وقال لهم : نحن على ما كنّا عليه فيما بيننا وبينكم من الصّلح لا نرجع فيه إلا أن

ترجعوا عنه ، وإِثْمًا رددنا عليكم أموالكم أئنا كرهنا أن نأخذ بأموالكم ولا نمنع بلادكم ، ولكننا نتنحى إلى بعض الأراضى ونبعث إلى إخواننا، فيقدموا علينا، ثم نلقى عدونا، فنقاتلهم ، فإن أظفرنا الله بهم ؛ وفينا لكم بعهدكم إلا ألا تطلبوا ذلك ، وأصبح الصَّبَاح ، فأمر أبو عبيدة ، برحيل جيش المسلمين إلى دمشق ، واستدعى حبيب بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذ منهم الجزية فردَّ عليهم ما لهم ، وأخبرهم بما قال أبو عبيدة ، وأخذ أهل حمص يقولون : ردَّكم الله إلينا ، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الرُّوم ، ولكن والله لو كانوا هم ما ردُّوا علينا ، بل غصبونا ، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالنا ، لولايتكم ، وعدلكم أحبُّ إلينا ممَّا كنَّا فيه من الظُّلم ، والغشم [(٢٣٢٣)] .

وأرسل أبو عبيدة سفيان بن عوف إلى عمر ليلة غدا من حمص إلى دمشق ، وقال : ائت أمير المؤمنين ، فأبلغه عني السَّلَام ، وأخبره بما قد رأيت ، وعانيت ، وبما قد جاءتنا به العيون ، وبما استقرَّ عندك من كثرة العدوِّ ، وبألذي رأى المسلمون من التَّنحِّي عنهم ، وكتب معه :
أما بعد : فإنَّ عيوني قدمت عليَّ من أرض عدونا ، من القرية التي فيها ملك الرُّوم ، فحدثوني بأنَّ الرُّوم قد توجَّهوا إلينا ، وجمعوا لنا من الجموع ما لم يجمعوه لأمة قطُّ كانت قبلنا ، وقد دعوت المسلمين ، وأخبرتهم الخبر ، واستشرتهم في الرأى ، فأجمع رأيهم على أن يتنحَّوا عنهم ؛ حتَّى يأتينا رأيك ، وقد بعثت إليك رجلاً عنده علم ما قبلنا ، فسله عمَّا بدا لك ، فإنَّه بذلك عليمٌ ، وهو عندنا أمينٌ ، ونستعين بالله العزيز العليم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل [(٢٣٢٤)] .

الخطة الحربيَّة البديعة التي رسمها عمر لنجدة أبي عبيدة . رضي الله عنهما . :
لما بلغ الخبر عمر . رضي الله عنه . كتب إلى سعد بن أبي وقَّاص . رضي الله عنه . : أن اندب النَّاس مع القعقاع بن عمرو ، وسرَّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي إلى حمص ، فإنَّ أبا عبيدة قد أحيط به ! وكان عمر قد أعدَّ خيولاً احتياطيةً في كلِّ بلدٍ استعداداً للحروب المفاجئة ، فكان في الكوفة أربعة الاف فرس ، فجهَّز سعد عليها الجيش الذي أرسله إلى الشَّام .

وكتب عمر أيضاً إلى سعدٍ : أن سرَّح سهيل بن عدي إلى الجزيرة في الجند ، وليأت (الرِّقَّة) فإنَّ أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الرُّوم على أهل حمص ، وإنَّ أهل (قرقيسياء) لهم سلفٌ ، وسير عبد الله بن عبد الله بن عتبان إلى (نصيبين) فإنَّ أهل قرقيسياء لهم سلفٌ ثمَّ لينفضا [(٢٣٢٥)] حرَّان ، والرَّها ، وسرَّح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة ، وتنوخ ، وسرَّح عياضاً ، فإن كان قتال ؛ فقد جعلت أمرهم جميعاً إلى عياض بن غنم . فمضى القعقاع في أربعة الاف من يومهم الذي أتاهم فيه

الكتاب نحو حمص ، وخرج عياض بن غنم ، وأمراء الجزيرة ، فأخذوا طريقهم نحو الأهداف التي وُجِّهوا إليها ، وخرج أمير المؤمنين عمر من المدينة مغيباً لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل الجابية ، وعلم أهل الجزيرة الذين اشتركوا مع الروم في حصار أهل حمص بخروج الجيوش من العراق ، ولا يدرون هل مقصدهم حمص ، أم بلادهم في الجزيرة، فتنفّروا إلى بلادهم، وإخوانهم، وتركوا الروم يواجهون المعركة وحدهم.

ولما رأى أبو عبيدة : أنّ أنصار الروم من أهل الجزيرة قد انفضّوا عنهم ، استشار خالداً في الخروج إليهم ، وقتالهم ، فأشار عليه بذلك ، فخرجوا إليهم ، وقتلوهم ، وفتح الله عليهم ، وقدم القعقاع بن عمرو ومن معه من أهل الكوفة بعد ثلاثة أيّامٍ من المعركة ، وقدم أمير المؤمنين بالجابية ، فكتبوا إليه بالفتح وبقدوم المدد عليهم بعد ثلاثة أيّامٍ من الفتح ، وبالحكم في ذلك ، فكتب إليهم أن شرّكوهم ، فإنّهم قد نفروا لكم ، وقد تفرّق لهم عدوكم [(٢٣٢٦)] ، وقال : جزى الله أهل الكوفة خيراً يكفون حوزتهم ، ويمدّون أهل الأمصار [(٢٣٢٧)] .

حينما نتأمّل هذه الخطة الحربيّة البديعة التي رسمها عمر - رضي الله عنه - لإرباك الأعداء ، وتفريقهم ؛ نرى عبقرية الفاروق العسكريّة ، فقد أمر ببعث جيشٍ سريعٍ من الكوفة إلى حمص ليقوم بعملية الإنقاذ ، وخرج هو بجيشٍ من المدينة ، وهذا كلّهُ يبدو أمراً معتاداً ، ولكنّ الأمر الذي يثير الإعجاب هو ما قام به من الأمر ببعث الجيوش إلى بلاد المحاربين ليضطّروهم إلى ترك ميدان القتال ، والتفرّق إلى بلادهم لحمايتها ، وقد نجحت هذه الخطة حيث تفرّقوا ، فهان على المسلمين القضاء على الروم [(٢٣٢٨)] .

— خ فتح الجزيرة ١٧ هـ :

تقدّم لنا : أنّ الروم ، وأهل بلاد الجزيرة أغاروا على مدينة حمص ، وحصروا فيها أبا عبيدة - رضي الله عنه - والمسلمين ، وأنّ عمر - رضي الله عنه - أرسل إلى سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - يأمره بإمداد أهل حمص بجيشٍ يخرج من الكوفة إلى حمص ، وجيوش تخرج إلى الجزيرة ، وقد أرسل سعد جيشاً من الكوفة بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي ، وأرسل جيوشاً إلى الجزيرة ، وكلّها تحت قيادة عياض بن غنم - رضي الله عنه - فخرجت هذه الجيوش إلى الجزيرة فسلك سهيل بن عديّ ، وجنده طريق الفراض حتى انتهى إلى الرقة ، فحاصروهم ، فنظروا إلى أنفسهم بين قوتين للمسلمين في العراق ، والشام ، فصالحوهم ، وسلك عبد الله بن عبد الله بن عتبان طريق دجلة حتى انتهى إلى نصيبين ، فلقه أهلها بالصّلح ، كما صنع أهل الرقة ولما أعطى أهل الرقة ونصيبين الطّاعة ؛ ضمّ عياض سهيلاً ، وعبد الله إليه ، وسار

بالتَّاسِ إِلَى حَرَآنَ فَأَخَذَ مَا دُونَهَا ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ ؛ انْتَقَوْهُ بِالْإِجَابَةِ إِلَى الْجَزِيَةِ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ سَرَحَ عَبْدَ اللَّهِ ، وَسَهِيلاً إِلَى الرَّهَى ، فَاتَّقَوْهُمَا بِالْإِجَابَةِ إِلَى الْجَزِيَةِ ، وَهَكَذَا فَتَحَتْ الْجَزِيرَةَ كُلُّهَا عَلَى سَعْتِهَا صَلْحاً ، فَكَانَتْ أَسْهَلَ الْبُلْدَانَ أَمراً [(٢٣٢٩)] .

* * *

المبحث الثاني

فتوحات مصر ، وليبيا

كانت دوافع فتح مصر عند المسلمين قويَّةً ، فهناك العقيدة التي يريدون التَّمَكِين لها في كلِّ مكانٍ ، ومصر تتَّصل بفلسطين ، فمن الطَّبيعي بعد فتح فلسطين أن يتَّجه المسلمون إلى مصر ، وقد قسم المسلمون : الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة إلى قسمين لا يصل بينهما سوى البحر ، وذلك باستيلائهم على الشَّام ، وفي مصر ، وشمال أفريقية جيوشٍ ومسالح روميَّة، ولبيزنطة أسطولٌ قويٌّ في البحر، ولم يأمن المسلمون في الشَّام ، ومصر تحت النُّفوذ الرُّوماني ، ومصر غنيَّة ، وهي مصدر لتموين القسطنطينيَّة ، فإذا فتحها المسلمون ؛ ضعف نفوذ بيزنطة كثيراً ، وأمن المسلمون في الشَّام ، والحجاز ، وحيث يسهل اتِّصال الرُّوم بالحجاز عن طريق مصر [(٢٣٣٠)] .

ومن العوامل أيضاً : أنَّ (القبط) أنفسهم يعانون من اضطهاد الرُّوم ، وأنَّ هؤلاء لا يعيشون في مصر إلا بمثابة حاميات عسكريَّة ، فلماذا لا تنتهز هذه الفرصة خاصَّةً : أنَّ عدل المسلمين لا بدَّ أن يكون قد سبقهم إلى مصر [(٢٣٣١)] ، أمَّا الحامية نفسها فإنَّ الرُّعب [(٢٣٣٢)] لا بدَّ أن يكون قد تملَّكها حينما رأت ملكها هرقل يترك بلاد الشَّام لتصير جزءاً من الدَّولة الإسلاميَّة ، كلُّ هذا كان يدركه عمرو بن العاص وخلص إلى نتيجة ، وهي : أنَّ الرُّوم في مصر سيكونون عاجزين عن الوقوف في وجه المسلمين ، بينما لو تركت مصر دون فتح ، فستظلُّ مصدر تهديدٍ لهم ، وهذا ما صرَّح به عمرو بن العاص نفسه [(٢٣٣٣)] .

وبالرَّغم من تعدُّد الروايات حول أوَّل مَنْ فكَّر في فتح مصر : عمرو بن العاص ، أم الخليفة نفسه دون تدخلٍ من عمرو ، أم أنَّ الخليفة وافق تحت إلحاح عمرو [(٢٣٣٤)] ، بالرَّغم من ذلك الاختلاف فإنَّ

العوامل السابقة كلّها تنفي أن تكون خطة فتح مصر هي مجردّ خاطرة من عمرو ، وأنّ الخليفة غير راضٍ عن ذلك ، أو أنّهم لم يكن لديهم التّصوّر الكامل عن مصر ، وأرضها ، وحجم قوّة أعدائهم فيها . وقد جاءت الروايات التّاريخيّة تؤيّد ما ذهبْتُ إليه ، فقد بيّن ابن عبد

الحكم : أنّ عمر بن الخطّاب كتب إلى عمرو بن العاص بعد فتح الشّام أن اندب النّاس إلى المسير معك إلى مصر ، فمن خفّ معك ؛ فسر به [(٢٣٣٥)] .

وجاء في الطّبري : .. أقام عمر بإيلياء بعدما صالح أهلها ، ودخلها أيّاماً ، فأمضى عمرو ابن العاص إلى مصر ، وأمره عليها ؛ إن فتح الله عليه ، وبعث في إثره الرّبير بن العوام مدداً له ، ويؤكّد هذا تلك الإمدادات الّتي أرسلها عمر إلى مصر ، ووصل عددها إلى اثني عشر ألفاً ، وكذلك أمره بفتح الإسكندريّة دون خلافٍ في ذلك [(٢٣٣٦)] ، فهل من الممكن أن يتوغّل عمرو في مصر دون رضا من الخليفة ؟ ونحن نعرف المسلمين قادةً وجنوداً كانوا غايةً في السّمع ، والطّاعة ، والالتزام ، ومن ثمّ نكرّر : أنّ فتح مصر لم يكن إلاّ استجابةً لخطةٍ مرسومةٍ سلفاً عند الخليفة ، وقوّاده ، ولم تكن استجابةً لرغبةٍ عابرةٍ [(٢٣٣٧)] .

أولاً : مسير الفتح الإسلامي لمصر :

يعتبر فتح مصر المرحلة الثّالثة من الفتوحات بالنّسبة لمحور الدّولة البيزنطيّة ، ولقد كانت مسيرة عمرو من فلسطين إلى مصر محاذياً البحر فسار من رفح إلى العريش إلى القرّما ، واستمرّ فتحه للقاهرة ، فالإسكندريّة ، وهذا يدلّنا على موهبة عمرو العسكريّة ، حيث سار في هذا الخطّ ربّما لأنّه لم يكن للرّوم ثقلٌ عسكريٌّ في هذا الخطّ كما كان في بلاد الشّام ، وربّما لأنّ الدّرب كان معروفاً لعمرو بن العاص ، فكان تسلسل الفتح كما هو مرّتّب فيما يلي مع بيان أوجه الاختلاف والاضطراب حيث لم يخل سير الفتح من اختلافٍ كما حدث في فتح بلاد الشّام [(٢٣٣٨)] .

١ . فتح القرّما :

تقدّم عمرو غرباً ، ولم يلاق جيشاً رومانياً إلا في (القرّما) أمّا قبل ذلك ؛ فقد قابله المصريّون بالترحاب ، والتّهلل ، فكان أوّل موضع قوتل فيه كان في (القرّما) فقد تحصّن الرّوم في المدينة لمواجهة المسلمين ، واثقين من قدراتهم على الدّود عنها ، وردّ المسلمين بعد أن علموا : أنّ المسلمين الّذين جاؤوا مع عمرو قلةً في العدد، والعدّة، وليس معهم عدّةٌ للحصار، عرف عمرو عدد الرّوم، واستعداداتهم، وأنّهم يزيدون على جنده أضعافاً ، فكانت خطّته في الاستيلاء على القرّما هي المهاجمة ،

وفتح الأبواب ، أو الصَّبْر عليها إلى أن يضطرَّ الجوع أهلها ، فينزِلوا إليها، واشتدَّ حصار المسلمين للمدينة ، واشتدَّ عناد الرُّوم ، ودام

الحصار شهوراً ، وكانت بعض القوَّات الرُّومانيَّة تنزل إلى المسلمين بين الحين والآخر لقتالهم فيجهز عليهم المسلمون ، وكان عمرو يشدُّ أزر المسلمين بكلماته القويَّة ، فَمِنْ قوله لهم : يا أهل الإسلام والإيمان ! يا حملة القرآن ! يا أصحاب محمَّد (ص) ! اصبروا صبر الرِّجال ، واثبتوا بأقدامكم ، ولا تزيلوا صفوفكم ، وأشرعوا الرِّماح ، واستتروا بالدُّرق، والزموا الصَّمت إلا من ذكر الله، ولا تحدثوا حدثاً حتَّى امركم [(٢٣٣٩)].

وذات يومٍ خرجت فرقةٌ من الرُّومان من القرية إلى المسلمين ليقاتلوهم، وكانت الغلبة للمسلمين، والدائرة على الرُّوم فلاذوا بالفرار إلى القرية، وتبعهم المسلمون، وكانوا أسرع منهم، فملكوا الباب قبل أن يفتحهم الرُّومان ، وكان أوَّل من اقتحم المدينة من المسلمين هو (أسميقع) فكان الفتح المبين، وممَّا هو جديرٌ بالذِّكر: أنَّ أقباط مصر الذين كانوا بالقرى عاونوا المسلمين ، ودلُّوهم على مناطق الضَّعف، وتلقَّوا المسلمين في (أتميدة) بالترحاب ، وبعد تمام احتلال الفَرما قام المسلمون بهدم أسوارها وحصونها حتَّى لا يستفيد منها الرُّوم لو رجعوا إليها لا قدر الله .

ثمَّ خطب عمرو في الجيش قائلاً: أيُّها النَّاس! حمداً لله الذي جعل لجيش المسلمين الغلبة، والظَّفَر ، والله عظيمٌ حمى بالإسلام ظهورنا ، وتكفَّل به طريق رجوعنا ، ولكن إيَّاكم أن تظنُّوا أنَّ كل ما نرغب فيه قد تحقَّق، وأن تخذعوا بهذا النَّصر، فلا يزال الطَّريق أماناً وعرّاً شاقّاً، والمهمَّة الَّتِي وكَّلها لنا أمير المؤمنين بعيدة المنال، وعليكم بالصَّبْر، والطَّاعة لرؤسائكم، فسيعلم القوم هنا أنَّنا جنود السَّلام، لا نبغي فساداً في الأرض، بل نصلحها وكونوا خير قدوة للرَّسول (ص) [(٢٣٤٠)].

اطمأنَّ عمرو إلى أنَّ المدينة لم تعد صالحةً لحماية جيشٍ يأوي إليها ، وتفقد جيشه ، وما فقده في المعركة ، وتألَّم لفقد رجالٍ كانوا حريصين على فتح مصر ، فعاجلتهم المنية ، وخشي إن استمرَّت المعارك على هذا النَّحو مع وقوع الخسائر في الجيش القليل العدد ألا يستطيع مواصلة الرِّحف ، ولا يتمكَّن من بلوغ الغاية ، ولكنَّ الله تعالى قد عوَّضه عمَّن فقده ، فانضمَّ إلى جيشه كثيرٌ من رجال القبائل العربيَّة من راشدة ، ولحم ، وكانوا يقيمون بجبل الحلال [(٢٣٤١)] ، ومضى عمرو بجيشه لا يلقي شيئاً من المقاومة متَّجهاً غرباً حتَّى وصل القواصر (القصاصين) ومن هناك انبجَّ نحو الجنوب حتَّى أصبح في

وادي الطّبلان بالقرب من التّلال الكبير ، ثمّ أبحه إلى الجنوب حتّى نزل بلبس . قال صاحب النّجوم الزّاهرة : فتقدّم عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف حتّى أتى بلبس [(٢٣٤٢)] .

٢ . فتح بلبس :

وعند بلبس برز الرّوم في قوّة كبيرة قاصدين صدّ عمرو عن التّوجّه نحو حصن بابلون ، وأرادوا منازلة المسلمين ، فقال لهم عمرو . رضي الله عنه . : لا تعجلونا حتّى نعذر إليكم ، وليبرز إليّ أبو مريم ، وأبو مريام ، وعندئذٍ كفّوا عن القتال ، وخرج إليه الرّجلان ، فدعاهما إلى الإسلام ، أو الجزية ، وأخبرهما بوصيّة النّبّي (ص) بأهل مصر ، بسبب هاجر أمّ إسماعيل .

روى مسلمٌ في صحيحه : أنّ رسول الله (ص) قال : « إنّكم ستفتحون مصر ، وهي أرضٌ يُسمّى فيها القيراط » [(٢٣٤٣)] ، فإذا فتحتموها ؛ فأحسنوا إلى أهلها ، فإنّ لهم ذمّةً ، ورحماً ؛ أو قال : ذمّةً ، وصهرًا » [(٢٣٤٤)] . فقال : قرابةٌ بعيدةٌ لا يصل مثلها إلا الأنبياء ، أمّنّا حتّى نرجع إليك . فقال عمرو : مثلي لا يُخدع ، ولكيّ أوّجلكما ثلاثاً لتنتظرا ، فقالا : زدنا ، فزادها يوماً ، فرجعا إلى المقوقس عظيم القبط [(٢٣٤٥)] ، وأرطبون الوالي من قبّل الرّوم ، فأخبرها خبر المسلمين ، فأمّا أرطبون فأبى ، وعزم على الحرب ، وبيّت المسلمين ، فهزموه هو وجنده إلى الإسكندرية [(٢٣٤٦)] ، وممّا هو جديراً بالذّكر ، ما يدلُّ على شهامة المسلمين ، ومروءتهم : أنّه لما فتح الله على المسلمين (بلبس) وجدوا فيها ابنة المقوقس ، واسمها (أرمانوسة) وكانت مقرّبةً من أبيها ، وكانت في زيارةً لمدينة بلبس مع خادماتها (بربارة) هرباً من زواجها من قسطنطين بن هرقل (وهو فيما بعد والد قنسطنتر) صاحب موقعة ذات الصّواري ، وكانت غير راغبة في الزّواج منه ، ولما تمكّنت مجموعةٌ من الجيش الإسلاميّ من أسر أرمانوسة جمع عمرو بن العاص الصّحابة ، وذكرهم بقوله تعالى : { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * } [سورة الرّحمن : ٦٠] . ثمّ قال : لقد أرسل المقوقس هديّةً إلى نبيّنا ، وأرى أن نبعث إليه بابنته وجميع من أسرناهم من جواربها ، وأتباعها ، وما أخذنا من أموالهم . فاستصوبوا رأيه [(٢٣٤٧)] ، فأرسلها عمرو إلى أبيها معزّرةً مكّرمَةً ، ومعها كلّ مجوهراتها ، وجواربها ، ومماليكها ، وقالت لها خادماتها (بربارة) أثناء سفرهما : يا مولاتي ! إنّ العرب يحيطون بنا من كلّ جانبٍ . فقالت أرمانوسة : إيّ امن على نفسي ، وعرضي في خيمة العربيّ ، ولا امن على نفسي في قصر أبي [(٢٣٤٨)] . ولما وصلت إلى أبيها سرّ بها ، وبتصرّف المسلمين معها [(٢٣٤٩)] .

٣ . معركة أمّ دنين :

ذكر ابن عبد الحكم في روايته : أنّ عمراً مضى بجيشه حتى فتح « بلبيس » بعد قتالٍ دام نحواً من شهرٍ ، ثمّ مضى حتى أتى « أمّ دنين » وتسمّى المقسس ، وهي واقعةٌ على النيل ، فقاتل المسلمون حولها قتالاً شديداً ، وأرسل عمرو إلى أمير المؤمنين يستمده فأمده أمير المؤمنين بأربعة الاف رجلٍ ، على كلّ ألفٍ منهم رجلٌ يقوم مقام الألف ، وهم الزبير بن العوّام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصّامت ، ومسلمة بن مخلد ، وقيل : الرّابع : خارجة بن حذافة .

وقال عمر في كتابه له : أعلم : أنّ معك اثني عشر ألفاً ، ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلةٍ [(٢٣٥٠)] .

وقد خرج الرّوم مع الأقباط لمواجهة المسلمين ، وجرت بينهم معركةٌ حاميةٌ استعمل فيها عمرو بن العاص دهاءه الحربي ، كما صنع خالد بن الوليد في حروب العراق ، وذلك : أنّه جعل جيشه ثلاثة أقسام ، حيث أقام كميناً للأعداء في الجبل الأحمر ، وأقام كميناً آخر على النيل قريباً من أمّ دنين ، وقابل أعداءه ببقية الجيش ، ولما نشب القتال بين الفريقين خرج الكمين الذي في الجبل الأحمر ، وانقضّ على الرّوم ، فاختلّ نظامهم ، وانهمزوا ، إلى أمّ دنين ، فقابلهم الكمين الذي بقربها ، فأصبحوا بين جيوش المسلمين الثلاثة ، وانهمزوا وتفرّق جيشهم ، ولجأ بعضهم إلى حصن بابلين الحصين [(٢٣٥١)] ، وهكذا كسب المسلمون هذه المعركة ، ووقاهم الله شرّ أعدائهم بفضلته تعالى ، وذلك بتوفيق قائدهم المحنك إلى هذه الخطة المحكّمة ؛ التي شتّت بها قوّات الأعداء [(٢٣٥٢)] .

٤ . معركة حصن بابلين :

تقدّم عمر وجيشه إلى حصن بابلين ، وحاصروه حصاراً محكماً ، ودام الحصار سبعة أشهر ، وأرسل المقوقس خلال ذلك رسله إلى عمرو بن العاص للمصالحة ، فاستجاب عمرو بن العاص على الشّروط : الإسلام ، أو الجزية ، أو الحرب ، فاختر المقوقس الجزية ، وكتب المقوقس إلى هرقل يستأذنه في ذلك ، فلم يقبل منه ، بل حنق عليه ، ولامه لوماً شديداً ، واستدعاه إلى القسطنطينية ، ثمّ نفاه ، ولما أبطأ فتح حصن بابلين ؛ قال الزبير بن العوّام : إنّني أهب نفسي لله ، وأرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين [(٢٣٥٣)] .

وراح عمرو بن العاص يحاصر حصن بابلين ، ثمّ تسوّروا الحصن في اللّيل ، واشتبكوا مع

الجنود في قتالٍ عنيفٍ ، وكان أول من تسوّر الحصن الزبير بن العوّام ، فوضع سلماً من ناحية سوق الحمام ، ثمّ صعد ، وأمر المسلمين إذا سمعوا تكبيره ، أن يقتحموا الحصن ، فما شعروا إلا والزبير بن العوام على رأس الحصن يكبر ومعه السيف ، فكبر تكبيراً ، فأجابه المسلمون من خارج الحصن ، ولم يشكّ أهل الحصن : أنّ المسلمين قد اقتحموا جميعاً الحصن ، فهربوا ، فعمد حوارئى رسول الله بأصحابه إلى باب حصن بابلين ، ففتحوه ، واقتحم المسلمون الحصن ، وفتحوه عنوةً ، ولكن عمرو بن العاص أمضى الصلح على أن يخرج جند الرّوم ما يلزمهم من القوت لبضعة أيّام ، أمّا حصن بابلين وما فيه من الذخائر ، والات الحرب ، فتبقى غنيمةً للمسلمين ، ثمّ خرب أبو عبد الله أبراج الحصن ، وأسواره [(٢٣٥٤)] .

ثانياً : فتح الإسكندرية :

رابط عمرو بن العاص ورجاله عدّة أشهر في حصن بابلين ليستجّم الجنود ، ويصله الإذن من أمير المؤمنين عمر بالسّير لفتح الإسكندرية ، فلمّا تحقّق ذلك ؛ ترك عمرو في الحصن مسلحةً قويّةً من المسلمين ، وفصل بجنوده من بابلين في مايو سنة ٦٤١ م ، الموافق جمادى الآخرة سنة ٢١ هـ ، وخرج معه جماعةً من رؤساء القبط الذين اطمأنوا إلى أنّ مصلحتهم باتت في مساندة القوّة الإسلاميّة المظفّرة ، وقد أصلحوا لهم الطّرق ، وأقاموا لهم الجسور ، والأسواق ، وصار لهم القبط أعواناً على ما أرادوا من قتال الرّوم [(٢٣٥٥)] ، وقد اثر عمرو السّير على الضّفة اليسرى للنيل حيث محافظة البحيرة ؛ لتتيح له الصّحراء مجالاً واسعاً لحركة خيله وجنوده ، وكى يتجنّب ما كان سيعترضه من التّرع الكثيرة لو سار في دلتا النيل ، ولم يلق عمرو إلا قتالاً يسيراً عند مرفوط ، أو (الطرانة) كما يسمّيها المؤرّخون العرب [(٢٣٥٦)] ، ثمّ عبر النّهر إلى الضّفة الشّرقية حيث تقع مدينة نقيوس الحصينة [(٢٣٥٧)] ، وكانت ذات حصنٍ منيعٍ ، فتخوّف عمرو أن يتركها على جانبه ، ويسير عنها ، ولكنّ الرّوم بدل أن يتحصّنوا من المسلمين في حصنهم ركبوا سفنهم ليحاربوا المسلمين فيها ، ويمنعوهم من الاقتراب من مدينتهم ، فرماهم المسلمون بالنّبال ، والسّهام ، وطاردوهم في المياه ، فولّوا الأدبار في سفنهم نحو الإسكندرية ، وسرعان ما استسلم من بقي في الحصن ، ودخله المسلمون ظافرين ، وأمضوا عدّة أيّام يستبرئون ما حوله من أعدائهم [(٢٣٥٨)] .

وأرسل عمرو قائده شريك بن سمي ليتعقب الرّوم الفارين ، فالتقى بهم ، وليس معه إلا قوّة معدودة ، فطمع فيه الرّوم ، وأحاطوا به ، فاعتصم بهم في نهرٍ من الأرض عرف فيما بعد بكوم شريك ، فأرسل

إلى عمرو يطلب الأمداد ، وما إن علم الروم : أن المدد في الطريق إلى المسلمين حتى لاذوا بالفرار [(٢٣٥٩)] ، وعند سلطيس على ستة أميال جنوبي دمنهور كان اللقاء التالي بين عمرو ، والروم ، وجرى قتال شديد انهزموا فيه ، وولوا الأدبار [(٢٣٦٠)] ، ومما يؤسف له : أن هذه المعارك التي خاضها المسلمون بقواتهم المحدودة ضد قوات تفوقهم عدّة أضعافٍ من الروم عدداً وعدّة ، والتي استمرّ بعضها عدّة أيام لم تظفر من مؤرّخي المسلمين سوى بأسطرٍ قليلة ، أو كلماتٍ معدودة ، في حين أفرد بعضهم عشرات الصفحات للحديث عن القادسيّة ، أو اليرموك ، أو نهاوند [(٢٣٦١)] .

ومن هذه المعارك الكبرى التي لا تشفي فيها مصادرنا العربيّة غليلاً معركة كريون وهي اخر تلك السلسلة من الحصون التي تمتد بين بابلين ، والإسكندريّة ، وقد تحصّن بها تيودرو قائد الجيش الرومي ودار قتال شديد استمرّ بضعة عشر يوماً ، ورغم ذلك فلم يظفر من ابن عبد الحكم سوى بهذه الكلمات : ثمّ التقوا بكريون ، فاقتتلوا بها بضعة عشر يوماً ، وكان عبد الله بن عمرو على المقدّمة ، وحامل اللواء يومئذٍ وردان مولى عمرو ، وصلى (عمرو) يومئذٍ صلاة الخوف ، ثمّ فتح الله للمسلمين ، وقتل منهم المسلمون مقتلة عظيمة ، واتبعوهم حتى بلغوا الإسكندريّة .

وفي أثناء ذلك أورد قصّة عن بطولة عبد الله بن عمرو ، ووردان مولى أبيه [(٢٣٦٢)] . وقد كانت الإسكندريّة عند فتح المسلمين لها عاصمة البلاد ، وثانية حواضر الإمبراطوريّة البيزنطيّة بعد القسطنطينيّة ، وأوّل مدينة تجاريّة في العالم ، وكان البيزنطيّون يدركون خطورة استيلاء المسلمين عليها ، ويحملون همّ ذلك ، حتى قال هرقل : لئن ظهر العرب على الإسكندريّة؛ فإنّ ذلك انقطاع ملك الروم، وهلاكهم [(٢٣٦٣)] .

وقد زعم الرواة : أنّه تجهّز ليخرج إلى الإسكندريّة بنفسه لياشر قتال المسلمين بها ، فلمّا فرغ من جهازه ، صرعه الله فأماته ، وكفى الله المسلمين مؤنّته [(٢٣٦٤)] ، واضطربت أمور الدّولة البيزنطيّة بعد موت هرقل ؛ إذ تولّى الحكم ابناه قسطنطين ، وهرقل الثّاني (هرقليانوس) وشاركتهما الإمبراطورة مارتينة أمّ هرقليانوس ، لكنّ قسطنطين سرعان ما وافته منيّه بعد مئة يومٍ من وفاة أبيه ، ممّا جعل أصابع الاتّهام تتّجه إلى الإمبراطورة التي كانت ترغب في أن ينفرد ولدها بالحكم ، فاشتعلت الثّورة ضدّها ، واستمرّت الفتن ضاربةً في البلاد عدّة أشهرٍ ، حتى تولّى كونستانس بن قسطنطين الحكم شريكاً لعمّه هرقليانوس [(٢٣٦٥)] .

وكانت الإسكندريةً فضلاً عن متانة أسوارها ، وضخامة ، ووفرة حمايتها تمتاز بموقعها الدفاعي المميز . فكان البحر يحميها من شمالها ؛ حيث السَّيطرة انذاك للرُّوم ، وكانت بحيرة مريوط تحميها من جنوبها ، وكان اجتيازها عسيراً ، بل غير مستطاع ، وكانت إحدى تفرعات النيل قديماً ، واسمها ترعة الثُّعبان تدور حولها من الغرب ، وبذلك لم يبقَ إلا طريق واحدٌ من الشَّرْق يصل إليها ؛ وهو الطَّرِيق الواصل بينها وبين كريبون [(٢٣٦٦)] .

وطال الحصار عدَّة أشهرٍ ممَّا أثار مخاوف عمرو من ملل جنوده ، أو شعورهم بالعجز أمام عدوِّهم ، فقرَّر أن يبثَّ كتابه تجوس خلال بلاد الدَّلْتا ، وقرى الصَّعيد ، غير أنَّ طول حصار الإسكندريةً أثار حفيظة الخليفة عمر ، وأثار في نفسه الهواجس والظُّنون حول استعداد جنوده للتَّضحية ، والمبادأة ، ورأى : أنَّ ذلك ما كان إلا لما أحدثوا [(٢٣٦٧)] ، وشرح ذلك في رسالةٍ إلى عمرو بن العاص يقول فيها : « أمَّا بعد ، فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، إنَّكم تقاتلوهم منذ سنتين ، وما ذلك إلا لما أحدثتم ، وأحببتهم من الدُّنيا ما أحبَّ عدوِّكم ، وإنَّ الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نبيَّاتهم ، وقد كنت وجَّهت إليك أربعة نفر ، (يعني : الزَّبير ، وصحبه) ، وأعلمتكَ : أنَّ الرِّجل منهم مقام ألف رجلٍ على ما كنت أعرف ، إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم ، فإذا أتاك كتابي هذا ؛ فاخطب النَّاس ، وحضِّهم على قتال عدوِّهم ، ورغِّبهم في الصَّبر ، والبيَّة ، وقدم أولئك الأربعة في صدور النَّاس ، ومُر النَّاس جميعاً أن يكون لهم صدمةٌ كصدمة رجلٍ واحدٍ ، وليكن ذلك عند الزَّوال يوم الجمعة ، فإنَّها ساعة تنزل فيها الرَّحمة ، ووقت الإجابة ، وليعجَّ النَّاس إلى الله ، ويسألوه النَّصر على عدوِّهم .

فلمَّا أتى عمرو الكتاب ، جمع النَّاس ، وقرأه عليهم ، ثمَّ دعا أولئك النَّفر ، فقدمهم أمام النَّاس . وأمر النَّاس أن يتطهَّروا ، ويصلُّوا ركعتين ، ثمَّ يرغبوا إلى الله ، ويسألوه النَّصر ، ففعلوا ، ففتح الله عليهم [(٢٣٦٨)] . ويروى : أنَّ عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد

الأنصاري ، فقال : أشر عليَّ في قتال هؤلاء . فقال مسلمة : أرى أن تنظر إلى رجلٍ له معرفةٌ وتجارب من أصحاب النَّبي (ص) فتعقد له على النَّاس ، فيكون هو الَّذي يباشر القتال ، ويكفيه ، فقال عمرو : ومن ذلك؟ قال : عبادة بن الصَّامت . فدعاه عمرو إليه ، فلمَّا دنا منه؛ أراد النُّزول عن جواده ؛ فقال له عمرو : عزمت عليك إن نزلت ! ناولني سنان رحلك ، فناوله إيَّاه ، فنزع عمامته عن رأسه ، وعقد له وولاه قتال الرُّوم ، ففتح الله على يديه الإسكندريةً في يومهم ذاك [(٢٣٦٩)] .

وقد جاء في رواية: إني فكرت في هذا الأمر فإذا هو لا يصلح آخره إلا من أصلح أوله . يريد الأنصار . فدعا عبادة بن الصّامت ، فعقد له ، ففتح الله على يديه [(٢٣٧٠)] . ويروي ابن عبد الحكم : أن حصار الإسكندرية استمرّ تسعة أشهر ، وأنها فتحت في مستهلّ المحرم سنة عشرين للهجرة [(٢٣٧١)] ، وهي ما يوافق ٢١ ديسمبر سنة ٦٤٠ م ، بينما انتهى بتلر في دراسته عن فتح مصر إلى أن حصار المدينة قد بدأ في أواخر يونيو ٦٤٠ م . وأنها استسلمت في ٨ نوفمبر سنة ٦٤١ م وهو ما يوافق ٧ ذي الحجة سنة ٢١ هـ ، وقد يرجح هذا القول ما ورد في رسالة عمر الفاروق إلى عمرو ابن العاص : إنكم تقاتلونهم منذ سنتين ، فما بين وصول عمرو إلى العريش في ديسمبر سنة ٦٣٩ م وتسليم الإسكندرية في نوفمبر ٦٤١ م ما يعادل سنتين هلاليتين .

واستبقى عمرو أهل الإسكندرية ، فلم يقتل ، ولم يسب ، وجعلهم أهل ذمة كأهل بابلون ... ثم ترك في الإسكندرية حامية من قوّاته بعد أن اطمأن إليها ، ونشر بقية كتائبه ؛ لفتح بقية حصون الرّوم ، وجيوبهم في مصر ، فاستكمل فتح ساحل البحر المتوسط ، ومدنه الكبرى ، مثل : رشيد ، ودمياط ، وغيرها : وكذلك بسط سيطرته على كلّ دلتا مصر ، وصعيدها [(٢٣٧٢)] .

ثالثاً : فتح برقة ، وطرابلس :

وسار عمرو بعد أن استقرّ له فتح مصر ليؤمن فتوحه من ناحية الغرب ؛ إذ كانت للرّوم قوّات في برقة ، وطرابلس تتحصّن هناك ، وربما لو واتها الفرصة ؛ ساقها الإغراء إلى مهاجمة المسلمين بمصر ، فأجّه في قوّاته إلى برقة سنة ٢٢ هـ وكان الطّريق بينها وبين الإسكندرية انذاك مترعاً بالخضرة ، والعمران ، فلم يلق كيداً في طريقه إليها ، فلماً وصلها صالحه أهلها على أداء الجزية .

وكان أهل برقة بعد فتحها يبعثون بخراجهم إلى والي مصر من غير أن يأتيهم حاثٌ ، أو مستحثٌ ، فكانوا أخصب قوم بالمغرب ، ولم يدخلها فتنةٌ ، ثمّ سار عمرو إثر ذلك إلى طرابلس ذات الحصون المنيعة ، وبها جيشٌ روميٌّ كبيرٌ ، فأغلقت أبوابها ، وصبرت على الحصار الذي استمرّ شهراً لا يقدر المسلمون منها على شيءٍ ، وكان البحر من ورائها لاصقاً ببيوت المدينة ، ولم يكن بين المدينة والبحر سورٌ ، فاستبانت جماعةٌ من قوّات المسلمين الأمر ، فتسلّلت إلى المدينة من جهة البحر ، وكبّروا ؛ فلم يكن للرّوم مفرجٌ إلا سفنهم ؛ إذ هاجمهم عمرو في قوّاته أيضاً ، فلم يفلت منهم إلا ما خفت بهم مراكبهم ، وغنم المسلمون ما بالمدينة ، وبث عمرو قوّاته فيما حولها ، وأراد عمرو أن يستكمل فتوحه في الغرب ، ويسير إلى تونس ، وأراضي إفريقية ليفتحها ، فكتب بذلك إلى عمر بن الخطّاب ، غير أن

الخليفة كان يخشى على جيوش المسلمين من الانسحاب في جبهة جديدة ، ولم يطمئن بعد إلى ما فتحت في زحفها السريع من الشام إلى طرابلس ، فأمر القوّات الإسلاميّة بالتّوقّف عند طرابلس ، وبذلك امتدّت دولة الإسلام في عصر عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لتشمل مساحةً شاسعةً من الأرض يحدّها من الشّرق نهر جيحون والبيّند ، ومن الغرب بلاد إفريقية وصحراؤها ، ومن الشّمال جبال اسيا الصّغرى ، وأراضي أرمينية ، ومن الجنوب المحيط الهادي وبلاد التّوبة في دولة عالميّة واحدة متعدّدة الأجناس ، والدّيانات ، والنّحل ، والعادات ، عاش أهلها في عدل الإسلام ، ورحمته ، ذلك الدّين الّذي احتفظ لهم بحفّهم في الحياة الكريمة ، وإن اختلفوا معه في عقائدهم ؛ ومع أهله في عاداتهم ، وأعرافهم [(٢٣٧٣)] .

* * *

المبحث الثالث

أهمّ الدّروس ، والعبر ، والفوائد في فتح مصر

أولاً : سفارة عبادة بن الصّامت الأنصاري إلى المقوقس :

حاصر عمرو بن العاص حصن بابلين ، فأرسل المقوقس إلى عمرو الرّسالة التّالية : إنّكم قد ولجتم في بلادنا ، وألحتم على قتالنا ، وطال مقامكم في أرضنا ، وإنّما أنتم عصبهٌ يسيرةٌ ، وقد أظلتكم الرّوم ، وجهزوا إليكم ، ومعهم من العدّة ، والسّلاح ، وقد أحاط بكم هذا التّيل ، وإنّما أنتم أسارى في أيدينا ، فأرسلوا إلينا رجالاً منكم نسمع من كلامهم ، فلعله أن يأتي الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبّون ، ونحبّ ، وينقطع عنّا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الرّوم فلا ينفعا الكلام ، ولا يقدر عليه . ولعلّكم أن تندموا إن كان الأمر مخالفاً لمطلبكم ، ورجائكم ، فابعثوا إلينا رجالاً من أصحابكم ، نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شيءٍ . فلمّا أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين ، وليلتين ، حتّى خاف عليهم المقوقس ، فقال لأصحابه : أترون أنّهم يقتلون الرّسل ، ويجبسونهم ، ويستحلّون ذلك في دينهم ! وإنّما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين . فردّ عليهم عمرو مع رسلهم : إنّه ليس بيني وبينك إلا إحدى خصال ثلاث : إمّا إن دخلتم في الإسلام ؛ فكنتم إخواننا ،

وكان لكم ما لنا ، وإن أبيتم ؛ أعطيتم الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون ، وإمّا إن جاهدناكم بالصبر ، والقتال ، حتّى يحكم الله بيننا ، وهو خير الحاكمين [(٢٣٧٤)] .

فلَمّا جاءت رسل المقوقس إليه ؛ قال : كيف رأيتموهم ؟ قالوا : رأينا قوماً الموت أحبُّ إليهم من الحياة ، والتّواضع أحبُّ إليهم من الرّفعة ، ليس لأحدهم في الدُّنيا رغبةٌ ، ولا نهمَةٌ ، وإمّا جلوسهم على الثُّراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحدٍ منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيّد فيهم من العبد ، وإذا حضرت الصلّاة لم يتخلّف عنها منها أحدٌ ، يغسلون أطرافهم بالماء ، ويتخشعون في صلاتهم . فقال عند ذلك المقوقس : والذي يحلف به ! لو أنّ هؤلاء استقبلوا الجبال ؛ لأزالوها ، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحدٌ ، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم ، وهم محصورون بهذا النّيل ، لم يجيبونا بعد اليوم ؛ إذا أمكنتهم الأرض ، وقووا على الخروج من موضعهم . فردّ إليهم المقوقس رسله ، وقال : ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ، ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاحٌ لنا ، ولكم . فبعث عمرو بن

العاص عشرة نفرٍ ، وأحدهم عبادة بن الصّامت ، وكان طوله عشرة أشبار ، وأمره عمرو أن يكون متكلم القوم ، وألا يجيبهم إلى شيءٍ دعوه إلا إحدى هذه الثّلاث الخصال [(٢٣٧٥)] ؛ فإنّ أمير المؤمنين قد تقدّم في ذلك إليّ ، وأمرني ألا أقبل شيئاً سوى خصلةٍ من هذه الثّلاث الخصال . وكان عبادة بن الصّامت أسود ، فلمّا ركبوا السّفن إلى المقوقس ، ودخلوا عليه ، تقدّم عبادة ، فهابه المقوقس لسواده ، فقال : نَحُوا عَنِّي هذا الأسود ، وقَدِّموا غيره يكلمني . فقالوا : إنّ هذا الأسود أفضلنا رأياً ، وعلماً ، وهو سيّدنا ، وخيرنا ، والمقدّم علينا ، وإنّا نرجع جميعاً إلى قوله ، ورأيه ، وقد أمره الأمير دوننا بما أمره به ، وأمرنا ألا نخالف رأيه ، وقوله . فقال المقوقس للوفد : وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم ، وإمّا ينبغي أن يكون دونكم ؟ قالوا : كلا ، إنّه وإن كان أسود كما ترى ، فإنّه من أفضلنا موضعاً ، وأفضلنا سابقاً ، وعقلاً ، ورأياً ، وليس ينكر السّواد فينا .

فقال المقوقس لعبادة : تقدّم يا أسود ! وكلمني برفقٍ ، فإنّي أهاب سوادك ، وإن اشتدّ عليّ كلامك ؛ ازددت هيبَةً . فتقدّم إليه عبادة ، فقال : قد سمعتُ مقاتلتك ، وإنّ فيمن خلّفت من أصحابي ألف رجلٍ أسود ، كلُّهم مثلي ، وأشدُّ سواداً منّي ، وأفزع منظرًا ، ولو رأيتمهم ؛ لكنت أهيب لهم منّي ، وأنا قد وليت ، وأدبر شبّابي ، وإنيّ مع ذلك بحمد الله ما أهاب مئة رجلٍ من عدوّي لو استقبلوني جميعاً ، وكذلك أصحابي ، وذلك إمّا رغبتنا ، وبغيتنا الجهاد في سبيل الله تعالى ، واتباع رضوان الله ، وليس

غزونا عدوًّا ممن حارب الله لرغبة الدنيا ، ولا طلباً للاستكثار منها ؛ إلا أن الله عزَّ وجلَّ قد أحلَّ ذلك لنا ، وجعل ما غنمنا من ذلك حلالاً ، وما يبالي أحدنا أكان له قنطارٌ من ذهبٍ ، أم كان لا يملك إلا درهماً ، لأنَّ غاية أحدنا من الدنيا أكله يأكلها ، يسدُّ بها جوعته ، وشملةٌ يلتحفها ، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك ؛ كفاه ، وإن كان له قنطارٌ من ذهبٍ ؛ أنفقه في طاعة الله تعالى ، واقتصر على هذا الذي بيده ؛ لأنَّ نعيم الدنيا ليس بنعيمٍ ، ورخاءها ليس برخاءٍ ، إنما النعيم ، والرخاء في الآخرة ، وبذلك أمرنا ربُّنا ، وأمرنا به نبينا ، وعهد إلينا ألا تكون همَّةُ أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جوعته ، ويستر عورته ، وتكون همَّته وشغله في رضا ربِّه وجهاد عدوِّه .

فلما سمع المقوقس ذلك منه ، قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرَّجل قطُّ ، لقد هبت منظره؛ وإنَّ قوله لأهيب عندي من منظره، إنَّ هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظنُّ ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلِّها. ثمَّ أقبل المقوقس على عبادة ، فقال : أيُّها الرَّجل ! قد سمعت مقاتلتك ، وما ذكرت عنك وعن أصحابك ، ولعمري ما بلغتم إلا بما ذكرت ، ولا ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبِّهم الدنيا ، ورغبتهم فيها ، وقد توجَّه إلينا

لقتالكم من جمع الرُّوم ممَّا لا يحصى عدده ، قومٌ معروفون بالنَّجدة والشَّدَّة ممَّن لا يبالي أحدهم من لقي ، ولا من قاتل ، وإنَّا لنعلم أنكم لن تقبوا عليهم ، ولن تطيقوهم لضعفكم ، وقتلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا أشهراً ، وأنتم في ضيقٍ ، وشدَّةٍ في معاشكم ، وحالككم ، ونحن نرقُّ عليكم لضعفكم ، وقتتكم ، وقلة ما بأيديكم ، ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحككم على أن نفرض لكلِّ رجلٍ منكم دينارين دينارين ، ولأميركم مئة دينارٍ ، ولخليفتم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوَّة لكم به .

فقال عبادة بن الصَّامت . رضي الله عنه . : يا هذا ! لا تغرَّن نفسك ، ولا أصحابك ، أمَّا ما تخوِّفنا به من جمع الرُّوم ، وعددهم ، وكثرتهم ، وأنَّا لا نقوى عليهم ، فلعمري ما هذا الذي تخوِّفنا به ! ولا بالذي يكسرنا عمَّا نحن فيه ، إن كان ما قلتم حقًّا ؛ فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم ، وأشدُّ لحرصنا عليهم ؛ لأنَّ ذلك أعذر لنا عند ربِّنا إذا قدمنا عليه ، وإن قُتلنا عن آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه ، وجنته ، وما من شيءٍ أقرُّ لأعيننا ، ولا أحبُّ إلينا من ذلك ، وإنَّا منكم حينئذٍ على إحدى الحسينين ؛ إمَّا أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ؛ إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة ؛ إن ظفرتم بنا ، وإمَّا لأحبُّ

الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا ، وإنَّ الله تعالى قال لنا في كتابه : { كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * } [البقرة : ٢٤٩] .

وما منا رجلٌ إلا وهو يدعو ربَّه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشَّهادة ، وألا يُرَدَّ إلى بلده ، ولا إلى أهله ، وولده ، وليس لأحدٍ منا همٌّ فيما خلفه ، وقد استودع كلُّ واحدٍ منا ربَّه أهله وولده ، وإمَّا همُّنا ما أمامنا . وأمَّا قولك : إنَّا في ضيقٍ ، وشدَّةٍ من معاشنا ، وحالنا ، فنحن في أوسع السَّعة ، لو كانت الدُّنيا كلُّها لنا ؛ ما أردنا لأنفسنا منها أكثر ممَّا نحن فيه ، فانظر الَّذي تريد ، فبيَّنه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلةٌ نقبلها منكم ، ولا نجبيكم إليها إلا خصلةً من ثلاث ، فاختر أيُّها شئت ، ولا تطمع نفسك في الباطل ، بذلك أمرني الأمير ، وبه أمره أمير المؤمنين ؛ وهو عهد رسول الله (ص) من قبل إلينا : إمَّا إن أحببتم إلى الإسلام الَّذي هو الدِّين الَّذي لا يقبل الله غيره ، وهو دين أنبيائه ، ورسله ، وملائكته ، أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ، ورغب عنه حتَّى يدخل فيه ، فإن فعل كان له ما لنا ، وعليه ما علينا ، وكان أخانا في دين الله ، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك ؛ فقد سعدتم في الدُّنيا ، والآخره ، ورجعنا عن قتالكم ، ولم نستحلَّ أذاكم ، ولا التَّعريض لكم . وإن أبيتم إلا الجزية ، فأدُّوا إلينا الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون ، نعاملكم على شيءٍ نرضى به نحن وأنتم في كلِّ عامٍ أبداً ما بقينا ، وبقيتهم ، ونقاتل عنكم من ناوأكم ، ونحمي كلَّ شيءٍ من أرضكم ، ودمائكم ، وأموالكم ، ونقوم بذلك عنكم ؛ إذا كنتم في ذمَّتنا ، وكان لكم به عهد الله علينا ، وإن أبيتم ؛ فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسَّيف حتَّى نموت عن

أخرنا ، أو نصيب ما نريد منكم ، هذا ديننا الَّذي ندين الله تعالى به ، ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينكم غيره ، فانظروا لأنفسكم !

فقال المقوقس : هذا ممَّا لا يكون أبداً ، ما تريدون إلا أن تتَّخذونا عبيداً ما كانت الدُّنيا ! فقال له عبادة : هو ذاك ، فاختر ما شئت . فقال المقوقس : أفلا تجيبونا إلى خصلةٍ غير هذه الخصال الثلاثة ؟ فرفع عبادة يديه ، وقال : لا ، وربِّ السَّماء ، وربِّ هذه الأرض ، وربِّ كلِّ شيءٍ ، ما لكم عندنا خصلةٌ غيرها ، فاختروا لأنفسكم ! فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه ، وقال : قد فرغ القول ممَّا ترون ؟ فقالوا : أو يرضى أحدٌ بهذا الدُّلِّ ؟ أمَّا ما أرادوا من دخولنا في دينهم ؛ فهذا لا يكون أبداً ، ولا نترك دين المسيح ابن مريم ، وندخل في دينٍ لا نعرفه ، وأمَّا ما أرادوا من أن يسبوننا ، ويجعلونا عبيداً أبداً ؛ فلموت أيسر من ذلك ؛ لو رضوا ممَّا أن نُضعف لهم ما أعطيناهم مراراً ؛ كان أهون علينا . فقال

المقوقس لعبادة : قد أبى القوم ، فما ترى ؟ فارجع إلى صاحبكم على أن نعطيكم في مَرَّتكم هذه ما تمنيتم ، وتنصرفون ، فقام عبادة وأصحابه . فقال المقوقس لمن حوله عند ذلك : أطيعوني ، وأجيبوا القوم إلى خصلةٍ واحدةٍ من هذه الثلاث ، فوالله ما لكم بهم طاقةٌ ! وإن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم منها كارهين . فقالوا : أيُّ خصلةٍ نجيبهم إليها ؟ قال : إذا أخبركم . . أمّا دخولكم في غير ديننا ؛ فلا امركم به ، وأمّا قتالهم ؛ فأنا أعلم أأنكم لن تقدرُوا عليهم ، ولن تصبرُوا صبرهم ، ولا بدُّ من الثالثة . قالوا : فنكون لهم عبيداً أبداً ؟ قال : نعم تكونون عبيداً مسلّطين في بلادكم امنين على أنفسكم ، وأموالكم ، وذراريكم خيرٌ لكم من أن تموتوا عن اخركم ، وتكونوا عبيداً ، وتباعوا ، وتمزّقوا في البلاد مستعبدين أبداً أنتم ، وأهلوكم ، وذراريكم . قالوا : فالموت أهون علينا ، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط ، والجزيرة ، وبالقصر من جمع القبط والرُّوم كثيرٌ [(٢٣٧٦)] .

ومن الحوار الذي دار بين عبادة والمقوقس ، ظهرت نباهة عبادة ، وإدراكه لمرامي خصمه ، فلم يتأثر بتلك الأساليب التي استخدمها للتأثير في نتائج المحادثات تلك ، كما ظهر عبادة واضحاً في تصوُّراته ، وأهدافه ، ولم ينس في خضم ذلك أن يدعو إلى الإسلام ، ويرغب فيه ، ويظهر انفتاح المسلمين على غيرهم من الأمم ، والأديان ممّا ترك أثراً طيباً في نفس المقوقس الذي اختار الصلح مع المسلمين [(٢٣٧٧)] .

ثانياً : من فنون القتال في فتوح مصر :

مارس عمرو بن العاص - رضي الله عنه - في فتح مصر فنوناً عدّة في القتال، منها :

١ . الحرب النفسية :

عندما أمر المقوقس النساء أن يقمن على سور بابلين مقبلاتٍ بوجههنّ إلى داخله ، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجههم إلى المسلمين ليرهبوهم بذلك ، فأرسل إليه عمرو : . . إنّنا قد رأينا ما صنعت ، وما بالكثرة غلبنا من علينا ، فقد لقينا ملككم ، فكان من أمره ما كان ، فقال المقوقس لأصحابه : صدق هؤلاء القوم ، أخرجوا ملكنا من دار مملكته ، حتّى أدخلوه القسطنطينية ، فنحن أولى بالإذعان [(٢٣٧٨)] ، فقد كان عمرو من القادة الذين يستخدمون الحرب النفسية لإرهاب عدوّه وإحباط روح القتال لديه ، وكان يعتمد في الحرب على الله ، ثمّ على العقل ، والسيف لتحقيق هدفٍ واحدٍ هو تحقيق النصر الحاسم في نهاية المعركة [(٢٣٧٩)] .

٢ . أسلوب المباغنة بالكمائن :

مارس عمرو أسلوب المباغته بالكمان في وقعة عين شمس ، فقد أعدّ هذه الكمان إعداداً محكماً ، ممّا يسّر له سبل النّجاح الكامل ، فهو قد أرسلها لالتّخاذ مواقع معيّنة من اللّيل ، فأحسن اختيار تلك المواقع ، وعيّن ساعة انطلاق كلّ منها في وقت يكون العدو منشغلاً بمجاهته ، فباغته تلك الكمان في ميمنته ، وميسرته ، فأحسن بذلك اختيار التّوقيت ، وساعة الصّفر ونقاط الصّدام مع العدو . وهكذا تعتبر عملية عمرو (المباغته بالكمان) في هذه الوقعة من أكثر عمليّات المباغته نجاحاً ، وإتقاناً [(٢٣٨٠)] .

٣ . أسلوب المباغته في أثناء الحصار :

وأثقت عمرو كذلك أسلوب المباغته في أثناء حصار بابلين . فبينما كان الرّوم المحاصرون في هذا الحصن مطمئنين إلى أنّ المسلمين لن يستطيعوا التّيل منهم ، بفضل مناعة حصونهم ، وأسوارهم ، وما لديهم من ذخائر ، ومؤن ، ومعدّات حربيّة ، وبسبب ما وضعوه من عوائق من الحسك الشّائك على أبواب الحصن ، وفي الخندق الذي جفّت مياهه بعد هبوط مياه النّيل إذا بهم يفاجؤون في ليلة مظلمة بالزّبير بن العوّام ، ومجموعة من رجال المقاتلين يعتلون السّور مكّبرين ، ويباغثونهم ، فيعملون السّيف فيهم ، ويهزم من في الحصن من المدافعين ، فيطلبون الصّلح ، والأمان ، ويدخل المسلمون الحصن فاتحين [(٢٣٨١)] .

٤ . أسلوب النّفس الطّويل في الحصار :

اعتمد عمرو في حصار « كريون » و « الإسكندريّة » النّفس الطّويل ؛ فهو عندما أيقن صعوبة الانتصار على الرّوم المتمركزين في مواقع منيعّة ، ومحصّنة في كريون ؛ بدأ بمناوشتهم محاولاً مرّة واحدة فقط شنّ هجوم على الحصن ، إلا أنّه فشل ، فاستمرّ في المناوشة تاركاً للرّوم ، والإرهاق ، ونفاد الدّخيرة ، والمؤونة وصبر الرّجال أن يفعل فعله ، وهكذا كان ، وما أن استمرّ حصار كريون بضعة عشر يوماً ؛ حتّى أيقن الرّوم عزم المسلمين على الاستمرار في هذا الحصار ، فلم يجدوا بُدّاً من الاستسلام ، وتسليم الحصن للمهاجمين ، وحدث الشّيء نفسه في حصار الإسكندريّة ، إلا أنّ هذا الأخير استمرّ مدّة أطول (ثلاثة أشهر) وذلك لأنّ الرّوم كانوا يدركون إدراكاً تامّاً : أنّ هذه هي الفرصة الأخيرة لجيشهم ؛ بل ولهم جميعاً ، فإن سقطوا في الإسكندريّة ؛ سقطوا في مصر ، وفي إفريقية بأسرها . وهذا ما حصل تماماً [(٢٣٨٢)] .

ثالثاً : بشارة الفتح إلى أمير المؤمنين :

بعث عمرو بن العاص معاوية بن حُديجٍ وافتدأ إلى عمر بن الخطاب بشيراً بالفتح ، فقال له معاوية : ألا تكتب معي ؟ فقال له عمرو : وما أصنع بالكتاب ، أأست رجلاً عربياً تبلغ الرسالة ، وما رأيت حضرت [(٢٣٨٣)] ، فلما قدم على (عمر) أخبره بفتح الإسكندرية فخرَّ عمر ساجداً ، وقال : الحمد لله ! وترك معاوية بن حُديجٍ يحدِّثنا عن قصَّته في إبلاغ أمير المؤمنين ببشارة الفتح :

لما بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب ، وصلت المسجد فبينما أنا قاعدٌ فيه ؛ إذ خرجت جاريةً من منزل (عمر بن الخطاب) ، فرأيتني شاحباً على ثياب السفر ، فأتتني ، فقالت : من أنت ؟ قال : فقلت : أنا معاوية بن حُديجٍ ، رسول عمرو بن العاص ، فانصرفت عني ، ثمَّ أقبلت تشتدُّ أسمع حفيف إزارها على ساقها ، أو على ساقها حتى دنت مني ، فقالت : قم ، فأجب أمير المؤمنين يدعوك ، فتتبعُها ، فلما دخلت فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه ، ويشدُّ إزاره بالأخرى ، فقال : ما عندك ؟ فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ! فتح الله الإسكندرية ! فخرج معي إلى المسجد ، فقال للمؤدِّن : أذن في الناس (الصلاة جامعة) ، فاجتمع النَّاس ، ثمَّ قال لي : قم ، فأخبر أصحابك ، فقمْتُ ، فأخبرتهم ، ثمَّ صلَّى ، ودخل منزله ، واستقبل القبلة ، فدعا بدعواتٍ ، ثمَّ جلس ، فقال : يا جارية ! هل من طعامٍ ؟ فأنت بخبزٍ ، وزيتٍ ، فقال : كل ، فأكلت على حياءٍ . ثمَّ قال : كُلْهُ فَإِنَّ المسافر يحبُّ الطَّعام ، فلو كنت اكلاً ؛ لأكلت معك . فأصبت على حياءٍ ، ثمَّ قال : ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد ؟ قال : قلت لعلَّ أمير المؤمنين قائلٌ . نوم القيلولة . قال :

بئس ما قلت ، أو بئس ما ظننت ! لئن نمت النَّهار لأضيعنَّ الرَّعية ، ولئن نمت اللَّيل لأضيعنَّ نفسي ، فكيف بالنَّوم مع هذين يا معاوية [(٢٣٨٤)] !

ومن هذا الخبر نستنتج : أنَّ المسجد في عصر الإسلام الأوَّل كان يمثِّل أهمَّ وسائل الإعلام ، حيث يجتمع المسلمون فيه ببناء « الصلاة جامعة » وهذا النِّداء يعني : أنَّ هناك أمراً مهماً سيتمُّ إبلاغه لعموم المسلمين ، فإذا اجتمعوا ؛ ألقيت عليهم البيانات العسكرية ، والأمور السياسيَّة ، والاجتماعيَّة ، وغير ذلك ، كما نستفيد من هذا الخبر وصفاً لحياة عمر . رضي الله عنه . وهو خليفة المسلمين ، حيث يقول لمعاوية بن حُديجٍ : لئن نمت النَّهار ؛ لأضيعنَّ الرَّعيَّة ، ولئن نمت اللَّيل ؛ لأضيعنَّ نفسي ، فكيف بالنَّوم مع هذين يا معاوية ! وهذا يدلُّ على كمال اليقظة لحقِّ النَّفس ، وحقوق الآخرين ، وإذا استطاع المسلم أن يجمع بين مراعاة ذلك كلِّه ؛ فإنه يكون من المتّقين المحسنين [(٢٣٨٥)] .

رابعاً : حرص الفاروق على الوفاء بالعهود :

ذكر ابن الأثير : أنَّ المسلمين لما أنْهوا إلى بلهيب ، وقد بلغت سباياهم إلى اليمن ؛ أرسل صاحبهم إلى عمرو بن العاص : إنني كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إلي منكم : فارس ، والرُّوم ، فإن أحببت الجزية على أن تردَّ ما سبيتم من أرضي ؛ فعلت .

فكتب عمرو إلى عمر يستأذنه في ذلك ، ورفعوا الحرب إلى أن يرد كتاب عمر . فورد الجواب من عمر : لعمري جزية قائمة أحبُّ إليَّ من غنيمة تقسم ، ثمَّ كأنَّها لم تكن ، وأما السَّبي ؛ فإن أعطاك ملكهم الجزية على أن تحيروا مَنْ في أيديكم منهم بين الإسلام ودين قومه ، فمن اختار الإسلام ؛ فهو من المسلمين ، ومن اختار دين قومه ؛ فضع عليه الجزية ، وأما مَنْ تفرَّق في البلدان فإنَّ لا نقدر على ردِّهم . فعرض عمرو ذلك على صاحب الإسكندرية ، فأجاب إليه ، فجمعوا السَّبي ، واجتمعت النَّصارى ، وخيروهم واحداً واحداً ، فمن اختار المسلمين ؛ كبروا ، ومن اختار النَّصارى ؛ نَحروا ، وصار عليه جزية ، حتى فرغوا [(٢٣٨٦)] .

إنَّ هذا يعتبر شاهد صدقٍ على ما كان عليه الصَّحابة . رضي الله عنهم . من العزوف عن الدنيا ، والإقبال على الآخرة ، والرَّغبة الصادقة في هداية العالمين إلى الإسلام ، فإنَّ دخول الأسرى في الإسلام لا يفيد المسلمين شيئاً من الدنيا ، وبقاؤهم على دينهم يتضمَّن فائدةً دنيويَّةً لهم حيث يلزمون بدفع الجزية للمسلمين ، ومع ذلك نجد عمر . رضي الله عنه . يأمر بتخيير

الأسرى بين الإسلام ، أو دفع الجزية ، وحينما تمَّ تطبيق ذلك ؛ كان الصَّحابة ومن معهم يكبرون تكبيراً أشدَّ من تكبير الفتح حينما يختار أولئك النَّصارى دين الإسلام ، ويجزعون جزعاً شديداً حينما يختارون البقاء على دينهم حتى كأنَّ أولئك الأسرى من ضمن جماعة المسلمين ، وخرجوا عن دين الإسلام ، وممَّا يلفت النَّظر في هذا الخبر حرص الصَّحابة على خلق الوفاء ، ويتَّضح ذلك من قول عمر . رضي الله عنه . في كتابه : وأما مَنْ تفرَّق في البلدان فإنَّ لا نقدر على ردِّهم .

وجاء في رواية : ... ولا نحبُّ أن نصالحه على أمرٍ لا نفي له به [(٢٣٨٧)] .
فعمر . رضي الله عنه . ينظر إلى الوفاء بالعهد قبل إبرام الاتِّفاق مع الأعداء ، حتى لا يكون المسلمون في وضعٍ لا يستطيعون فيه الوفاء ، وهذا الخلق يعتبر مرحلةً عاليةً من الوفاء . وهو من أخلاق النَّصر . لأنَّ من يبرم اتِّفاقيةً على أمرٍ ، ثمَّ لا يستطيع الوفاء به يكون معذوراً ، ولكن حينما يفكِّر بعمل الاحتياطات اللازمة لموضوع الوفاء بالعهد حتى لا يجد نفسه بعد ذلك عاجزاً عن الوفاء ؛ فهذا نهاية التدبير ، وغاية النَّظر الثَّاقب [(٢٣٨٨)] .

خامساً : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم :

توجّه عمرو بجيشه نحو الإسكندرية ، وفي طريقه إليها جرت بينه وبين أهل تلك البلاد حروبٌ كان النصر فيها حليف المسلمين ، ومن المواقف التي تذكر في ذلك : أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص أصيب بجراحاتٍ كثيرةٍ في معركته مع أهل الكريون ، فجاءه رسول أبيه يسأله عن جراحه ، فقال عبد الله :

أَقُولُ إِذَا مَا جَاشَتِ النَّفْسُ أَصْبِرِي
فَعَمَّا قَلِيلٍ تُحْمَدِي أَوْ تُلَامِي فَرَجِعِ الرَّسُولَ إِلَى
عمرو، فأخبره بما قال، فقال عمرو: هو ابني حقاً [(٢٣٨٩)]، وهذا موقف من مواقف الصبر والتحمل يذكر لعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - الذي اشتهر بالعلم ، والعبادة ، فجمع إلى ذلك الشجاعة ، والصبر على الشدائد [(٢٣٩٠)] .

سادساً : دار بنيت لأمر المؤمنين بمصر :

بعث عمرو بن العاص إلى الفاروق بقوله : إنّنا قد اختططنا لك داراً عند المسجد الجامع . فكتب عمر : أتى لرجلٍ بالحجاز تكون له دارٌ بمصر ! وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين [(٢٣٩١)] .

وهذا دليلٌ على كمال ورع أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - وزهده في مظاهر الحياة الدنيا ، وإذا كان الكبار ، والزعماء هم الذين يترفعون عن أحوال الدنيا ، ومتاعها الرائل ، فإنّ مَنْ دونهم من باب أولى أن يترفعوا عن ذلك [(٢٣٩٢)] .

سابعاً : دعوى حرق المسلمين مكتبة الإسكندرية :

يقول الدكتور عبد الرحيم محمد عبد الحميد : لم نعثر على نصٍّ ، أو إشارةٍ إلى أنّ عمرو بن العاص حرق مكتبة الإسكندرية ، وجلُّ ما في الأمر أنّنا قرأنا نصّاً لابن القفطي ينقله ابن العبري (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) قائلاً : اشتهر بين الإسلاميين يحيى النحوي وكان إسكندرانياً ، وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية ، ودخل على عمرو ، وقد عرف موضعه من العلوم ، فأكرمه ، وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها أنسة .

ونرى ابن القفطي (ت ٦٤٦ هـ / ١٢٦٧ م) يكمل القصة قائلاً : فقال له عمرو : وما الذي تريده إليه ؟ قال : كتب الحكمة في الخزائن الملوكية . . أربعة وخمسون ألفاً ومئة وعشرون كتاباً .. فاستكثر عمرو ما ذكره يحيى ، وقال : لا يمكنني أن امر بأمرٍ إلا بعد استئذان أمير المؤمنين ، وكتب إلى عمر ، وعرفه قول يحيى ، فورد كتاب عمر يقول : أمّا الكتب التي ذكرتها فإنّ كان فيها ما يوافق كتاب الله ؛

ففي كتاب الله عنها غني ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ؛ فلا حاجة إليها ، فتقدّم بإعدامها ، فشرع عمرو بن العاص في توزيعها على حمّامات الإسكندريّة ، وإحراقها في مواقد ، وذكر لي عدّة الحمامات يومئذٍ ، وأنسيتهما ، فذكروا : أنّها استنفدت في ستّة أشهرٍ فاسمع ما جرى ، واعجب [(٢٣٩٣)] .

إلا أنّ قصّة الحرق هذه وردت قبل ابن القفطي ، وقبل ابن العبري فهذا عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٣١ م) قال : وأنّه دار العلم الذي بناه الإسكندر حيث بنى مدينته ، وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بإذن عمر بن الخطّاب . رضي الله عنهما . [(٢٣٩٤)] . وعند دراسة هذه الروايات نرى : أنّه لا بدّ من إبداء الملاحظات التّالية :

١ . لا يوجد ترابط بين تلك الروايات التّلاث ، ولا صلة في التّقل التّاريخي تربط من ألفوها فضلاً عن أنّهم عاشوا في فترةٍ زمنيّةٍ متقاربةٍ .

٢ . لا يوجد أيّ إسنادٍ يرجع إليه في هذه الروايات ، وإمّا هي افتراضاتٌ افترضها أصحابها .

٣ . أنّها وجدت في فترةٍ بعيدةٍ عن زمن فتح مصر ، وعمرو بن العاص ، ويمكن القول بكلّ ثقةٍ : أنّ هذه القصّة مختلفةٌ اختلاقاً واضحاً ، يمكن الطّعن فيها من النّواحي التّالية :

. لم يذكر قصّة حرق مكتبة الإسكندريّة من أرخ لتاريخ مصر ، وفتحها ممّن عاش قبل من ذكروا هذه القصّة بعدة قرونٍ .

. لم تذكر هذه القصّة عند الواقدي ، ولا الطّبري ، ولم يتفق عليها ابن الأثير ، ولا ذكرها ابن خلدون ، فضلاً عن ابن عبد الحكم ، ولم يصفها ياقوت الحموي عند وصف الإسكندريّة .

. يمكن إرجاع هذه القصّة إلى فترة الحروب الصّليبيّة ، من جهة البغدادي ، وربّما وضعها تحت ضغطٍ معيّنٍ ، أو ربّما انتحلت عليه فيما بعد .

. إذا وجدت هذه المكتبة المزعومة ، فيمكن القول : إنّ الرّوم الذين غادروا الإسكندريّة كان بإمكانهم إخراجها معهم ، أو ربّما فعلوا ذلك .

. لقد كان بإمكان عمرو إلحاقها في البحر في فترةٍ قصيرةٍ بدلاً من حرقها الذي استغرق ستّة أشهرٍ ، ممّا يدلّ على القصد في تزييف هذه القصّة ، وتأليفها ، ويمكن القول بلا وجلٍ : إنّ عمر بن الخطّاب ، وعمرو بن العاص . رضي الله عنهما . بريثان ممّا نسب إليهما في هذه القصّة المصطنعة ، التي كانت من تحيّلات أناسٍ أحبّوا التّهويل ، فتخيّلوا وجود ما لم يكن موجوداً [(٢٣٩٥)] .

ثامناً : لقاء عمرو بن العاص والبابا بنيامين :

يقول المؤرّخ ابن عبد الحكم : كان بالإسكندريّة أسقف للقبط يقال له أبو بنيامين ، وكان هارباً في الصحراء بسبب الاضطهاد المذهبي الذي تعرّض له الأقباط على أيدي الرُّومان المسيحيين ، فلمّا بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر ؛ كتب إلى القبط يعلمهم أنّه لا تكون للرُّوم دولةٌ ، وأنّ ملكهم قد انقطع ، ويأمرهم بتلقّي عمرو ، فيقال : إنّ القبط الذين كانوا بالقرّما صاروا يومئذٍ لعمرو أعواناً [(٢٣٩٦)] . وقد جاء في رواية المؤرّخ القبطي ساويرس بن المقنّع : أنّ سانوتيوس أحد رؤساء القبط وقتئذٍ ، والذي كان يتولّى إدارة شؤون الكنيسة مدّة اختفاء البطريق بنيامين ، قد روى لعمرو موضوع الأب المجاهد بنيامين البطريق ، وأنّه هاربٌ من الرُّوم خوفاً منهم ، فكتب عمرو بن العاص إلى عمّال مصر كتاباً يقول فيه : الموضع الذي فيه بنيامين بطريق النصارى القبط له العهد ، والأمان ، والسّلامة من الله ، فليحضر امناً مطمئناً ، ويدبّر حال بيعته ، وسياسة طائفته .

فلمّا سمع القديس بنيامين هذا ، عاد إلى الإسكندريّة بفرحٍ عظيمٍ بعد غيبة ثلاث عشرة سنة ، فلمّا ظهر ؛ فرح الشعب ، وكلُّ المدينة بمجيئه ، ولما علم عمرو بوصوله أمر بإحضاره بكرامةٍ ، وإعزازٍ ، ومحبةٍ ، فلمّا راه ؛ أكرمه ، وقال لأصحابه : إنّ في جميع الكور التي ملكناها إلى الان ما رأيت رجلاً يشبه هذا ، وكان الأب بنيامين حسن المنظر جدّاً ، وجيّد الكلام بسكونٍ ، ووقارٍ ، ثمّ التفت عمرو إليه ، وقال له : جميع بيعتك ، ورجالك اضبطهم ، ودبّر أحوالهم ، وانصرف من عنده مكرماً مبجّلاً . وعلّق الأستاذ الشرقاوي على هذا اللقاء ، فقال : وقرب عمرو إليه البطريق بنيامين ، حتّى لقد أصبح من أعزّ أصدقائه عليه ، واطمأنّ العرب الفاتحون في مصر ، وخطبهم أميرهم عمرو بن العاص في أوّل جمعةٍ صلاها بجامعه بالفسطاط فقال : . استوصوا بمن جاوركم من القبط ، فإنّ لكم فيهم ذمّةٌ وصهراً ، فكفّوا أيديكم ، وعفّوا ، وغضوا أبصاركم [(٢٣٩٧)] .

* * *

المبحث الرّابع

أهمُّ الدُّروس ، والعبر ، والفوائد في فتوحات الفاروق :

أولاً : طبيعة الفتح الإسلامي :

حاول بعض المؤرخين من النصارى والمستشرقين تشويه الفتح الإسلامي في العصر الراشدي ، وزعموا : أن الفتوحات كانت حروباً دينية ، وقالوا : إن المسلمين أصحاب عقيدة ، ولكنهم توسلوا بالتعصب الأعمى ، وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر ، والإرغام ، وخاضوا إلى ذلك بحار الدّم ، والقسوة ، وأنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم ، والسيف باليد الأخرى [(٢٣٩٨)] .

ومن ركز منهم على هذه الفكرة (سيديو) و (ميور) و (نيور) ؛ إذ ينقل (ميور) عن نيور قوله : وكان من الضروري لدوام الإسلام أن يستمر في خطته العدوانية ، وأن ينفذ بحدّ السيف ما يطالب به من دخول الناس في الإسلام كافةً ، أو بسط سيطرته العالمية على الأقل ، غير أنه لا مناص لأبي من الأديان أن يجنح أتباعه للحرب في إحدى مراحل حياته ، وكذلك كان الحال في الإسلام ، ولكنّ الرّغم : أن المسلمين هدفوا إلى بثّ الدعوة بالقوة ، أو أنهم أكثر عدواناً من غيرهم ، زعم يجب إنكاره إنكاراً تاماً [(٢٣٩٩)] .

وقد ردّ بعض المستشرقين على هذه التّهم ، ووصفوا الفتح الإسلامي بالمثل العالية ، والأخلاق الكريمة ، فهذا فون كيرمر يقول : وكان العرب المسلمون في حروبهم مثال الخلق الكريم ، فحرّم عليهم الرّسول [(٢٤٠٠)] قتل الرّهبان ، والنساء ، والأطفال ، والمكفوفين ، كما حرّم عليهم تدمير المزارع ، وقطع الأشجار ، وقد أتبع المسلمون في حروبهم هذه الأوامر بدقة متناهية ، فلم ينتهكوا الحرمات ، ولا أفسدوا الزروع ، وبينما كان الرّوم يرمونهم بالسّهام المسمومة ، فإنهم لم يبادلوا أعداءهم جرماً بجرم ، وكان نهب القرى ، وإشعال النّار قد درجت عليها الجيوش الرّومانية في تقدّمها وتراجعها ، أمّا المسلمون ؛ فقد احتفظوا بأخلاقهم المثلى ، فلم يحاولوا من هذا شيئاً [(٢٤٠١)] .

وقال روزنتال : وقد نمت المدينة الإسلامية بالتّوسّع لا بالتعمّق داعية إلى العقيدة ، مناقشة لتلك الحركات الفكرية الموجودة . وفوق كلّ ذلك تقدّم الإسلام فتهافت الحواجز القديمة من اللّغة ، والعادات ، وتوفّرت فرصة نادرة لجميع الشعوب والمدنّيات لتبدأ حياةً فكريةً جديدةً على أساس المساواة المطلقة ، وبروح المنافسة الحرّة [(٢٤٠٢)] .

إنّ الحقيقة التاريخية تقول بأنّ المسلمين لم يكرهوا أحداً على اعتناق الإسلام ؛ لأنهم قد التزموا بقول الله تعالى : { لا إكراه في الدين قد تبين الرّشد من الغي فمن يكفر بالطّاعوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميعٌ عليمٌ * } [سورة البقرة : ٢٥٦] .

وأما إقبال الشعوب على الإسلام ؛ فكان بسبب ما لمسوه في الإسلام نفسه ، فهو النعمة العظيمة ، ولما لمسوه في المسلمين من التخلق بأخلاق الإسلام ، والالتزام بأحكامه ، وأوامره ، ونواهيته ، ولما لمسوه في القادة ، والجند الذين كانوا يقومون بالدعوة بالتطبيق العملي ، فتميّزت مواقفهم بأنبال المواقف التي عرفها التاريخ العالمي ، فقد كان الخلفاء ، والقادة يوصون جندهم بالاستعانة بالله ، والتقوى ، وإيثار أمر الآخرة على الدنيا ، والإخلاص في الجهاد ، وإرادة الله في العمل ، والابتعاد عن الذنوب ، فكانت فيهم الرغبة الأكيدة الملحة لإنقاذ الأمم ، والأفراد من عبادة العباد إلى عبادة ربّ العباد ، ونقلهم من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، فكان قادة المسلمين على رأس جندهم يتلقّون الصدمات الأولى في معارك الجهاد ، واستشهد عددٌ كبيرٌ منهم ، وقد كان القادة يسيرون خلف جندهم في وقت الأمن ، والعودة يرفقون بهم ، ويحملون الكلّ ، ويعينون الضعيف ، وكان القادة دعاةً في المقام الأوّل ، طبّقوا مبادئ الحرب الإسلاميّة تماماً ، والحقُّ : أنّ المسلمين كانوا يخوضون جهاداً في سبيل الله ، وليس حرباً كما كانت تفعل الدول الأخرى [(٢٤٠٣)] .

ثانياً : الطريفة العمرية في اختيار قادة الجيوش :

كانت للفاروق طريقة متميّزة في اختيار قادة الفتح ، فقد وضع عدّة شروط ، وضوابط لاختيار قادة جنده ، وهي كالآتي :

١ . أن يكون تقياً ، ورعاً عالماً بأحكام الشريعة :

وكان يقول، ويردّد: من استعمل فاجراً ، وهو يعلم : أنّه فاجرٌ ؛ فهو مثله [(٢٤٠٤)] ، ولما أرسل إلى سعيد بن عامر ليستعمله على بعض الشّام ، فأبى عليه ، فقال عمر : كلا والذي نفسي بيده

لا تجعلونها في عنقي ، وتجلسون في بيوتكم [(٢٤٠٥)] !

٢ . أن يشتهر بالتأني والثروي :

لما وليّ عمر . رضي الله عنه . أبا عبيد الثقفى قال له : إنّهُ لم يمنعني أن أوّمر سليطاً إلاّ سرعته إلى الحرب ، وفي التّسرّع إلى الحرب ضياعٌ إلاّ عن بيانٍ ، والله لولا سرعته ؛ لأمرته ! ولكن الحرب لا يصلحها إلاّ المكث [(٢٤٠٦)] .

٣ . أن يكون جريئاً ، وشجاعاً ، ورامياً :

ولما أراد عمر أن يوليّ قائداً لجيوش المسلمين لفتح نهاوند [(٢٤٠٧)] واستشار الناس فقالوا : يا أمير المؤمنين ! أنت أعلم بأهل العراق ، وجندك قد وفدوا عليك ، ورأيتهم ، وكلمتهم . فقال : أما والله

لأوليين أمرهم رجلاً ليكوننَّ أولَ الأسنَّةِ [(٢٤٠٨)] إذا لقيها غداً ! فقيل : من يا أمير المؤمنين ؟ ! قال :
الثُّعْمان بن مُقَرِّنِ المزيُّيُّ ، فقالوا : هُوَ لها [(٢٤٠٩)] .

٤ . أن يكون ذا دهاءٍ ، وفطنةٍ ، وحنكةٍ :

قال عمر . رضي الله عنه . : ولكم عليّ ألا ألقىكم في المهالك ، ولا أحجزكم في ثغوركم [(٢٤١٠)] .
ولما نزل عمرو بن العاص وجنده على الرُّوم بموقعة أجنادين لفتحها ، وكان قائد الرُّوم الأربطون ، وهو
أدهى الرُّوم ، وأبعدها غوراً ، وأنكاها فعلاً ، ووضع جنداً عظيماً بإيلياء ، والرَّملة ، وكتب عمرو إلى
عمر بالخبر ، فلمَّا جاءه كتاب عمر ؛ قال : رمينا أربطون الرُّوم بأربطون العرب ، فانظروا عمَّا
تنفج [(٢٤١١)] ! ولما أراد أن يجمع المعلومات عن الأربطون وجيشه ، وحثَّى يضع خطَّته الحكيمة
لمهاجمته ، والانتصار عليه ؛ دخل ابن العاص معسكر قائد الرُّوم وكاد أن يُقتل إلا أنَّ الله نجَّاه ، وخذع
عمرو بن العاص أربطون الرُّوم ، ولما وصل الأمر إلى عمر بن الخطَّاب . قال : غلبه عمرُّو ، لله
عمرُّو [(٢٤١٢)] !

٥ . أن يكون القائد لبقاً ، حاذقاً ، له رأيٌ ، وبصيرٌ بالحروب :

يقول صاحب المغني (ابن قدامة الحنبلي) في كلامه عن أمير الحرب : . . . ويكون ممَّن
له رأيٌ ، وعقلٌ ، ونجدةٌ ، وبصيرٌ بالحرب ومكايدةٌ للعدوِّ ، ويكون فيه أمانةٌ ، ورفقٌ ، ونصحٌ
للمسلمين [(٢٤١٣)] . ولذلك اختار الفاروق سعد بن أبي وقَّاص لقيادة حرب العراق بعد أن استشار
النَّاس .

٦ . الرَّغبة في العمل :

كان من خطَّة عمر . رضي الله عنه . ألا يويِّي رجلاً عملاً لا رغبة له فيه ، ولا قناعةٍ إلا إذا اضطرَّ إلى
ذلك ليكون العمل أكثر إتقاناً ، فقد ندب النَّاس مرَّةً ، وحثَّهم على قتال الفرس بالعراق ، فلم يبق
أحدٌ ، ثمَّ ندبهم اليوم الثَّاني فلم يبق أحدٌ ، ثمَّ ندبهم اليوم الثَّالث ، وهكذا ثلاثة أيَّامٍ ، فلمَّا كان في
اليوم الرَّابع ؛ كان أوَّل من انتدب أبو عبيد بن مسعود الثَّقفي ، ثمَّ تتابع النَّاس ، فأمر على الجميع أبا
عبيد . وهو لذلك أهلٌ . ولم يكن صحابياً ، فقيل لعمر : هلا أمرت عليهم رجلاً من الصَّحابة ؟ فقال :
إنَّما أوَّمر عليهم من استجاب [(٢٤١٤)] . وقد تجسَّدت هذه الصِّفات في كلِّ من سعد بن أبي وقَّاص
، وأبي عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن العاص . رضي الله عنهم . وغيرهم كثيرٌ .

ثالثاً : حقوق الله ، والقادة ، والجند من خلال رسائل الفاروق :

— خ حقوق الله : كان الفاروق . رضي الله عنه . يرشد قاداته ، وجنوده من خلال رسائله ووصاياه إلى أهية التزامهم بحقوق الله ، والتي من أهمها :

١ . مصابرة العدو : قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ } [آل عمران : ٢٠٠] ، وكان ممًا قاله عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . في الصبر لسعد بن أبي وقاص حين بعث به إلى العراق : واعلم : أن لكل عدّة عتاداً ، فعتاد الخير الصبر ، فاصبر على ما أصابك ، أو نابك ؛ يجتمع لك خشية الله [٢٤١٥] . كما كتب إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو بالشام قائلاً : لقد أثنى الله على قومٍ بصبرهم . فقال : { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِثْيُونًا كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [آل عمران : ١٤٦ - ١٤٨] . فأما ثواب الدنيا ؛ فالغنيمة ، والفتح ، وأما ثواب الآخرة ؛ فالمغفرة والجنة ، وقرأ كتابي هذا على

الناس ، ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله ، وليصبروا ؛ كيما يؤتيهم ثواب الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة [٢٤١٦] .

٢ . أن يقصدوا بقتالهم نصره دين الله : فقد استوعب الفاروق . رضي الله عنه . قول رسول الله (ص) : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ؛ فهو في سبيل الله » [٢٤١٧] ، فوجد حياته ، وتوصياته ، ورسائله يهيمن عليها هذا المعنى العظيم .

٣ . أداء الأمانة : قال تعالى : { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * } [آل عمران : ١٦١] . فمن وصايا الفاروق . رضي الله عنه . للقادة والعسكر في عدم الغلول قوله : (إذا لقيتم العدو ؛ فلا تفرّوا ، وإذا غنمتم ؛ فلا تغلّوا) [٢٤١٨] .

٤ . عدم الممالة والمحابة في نصره دين الله : ومن مشهور قول عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . في المحابة ، والمودة : من استعمل رجلاً لمودة ، أو قرابة لا يستعمله إلا لذلك ؛ فقد خان الله ورسوله ، ومن استعمل فاجراً ، وهو يعلم : أنه فاجر ؛ فهو مثله [٢٤١٩] .

— خ حقوق القائد : وبين الفاروق في رسائله ، وتوجيهاته حقوق القائد ، والتي منها .

١ . التزام طاعته : فحين بعث الفاروق بأبي عبيد بن مسعود الثقفي على رأس جيش نحو العراق ؛ أرسل برفقته سلمة بن أسلم الخزرجي ، وسليط بن قيس الأنصاري . رضي الله عنهما . وأمره ألا يقطع أمراً دونهما ، وأعلمه : أنهما من أهل بدر ، ثم إن أبا عبيد حارب الفرس بموقعة الجسر ، وقد أشار

عليه سليط ألا يقطع الجسر ، ولا يعبر إليهم ، فلم يسمع له ، ممَّا أدَّى إلى هزيمة عسكر المسلمين ، فقال سليط في بعض قوله : لولا أنّي أكره خلاف الطّاعة ؛ لا نخرت بالنّاس ولكيّي أسمع ، وأطيع ، وإن كنت قد أخطأت ، وأشركني عمر معك [(٢٤٢٠)] .

٢ . أن يفوّضوا أمرهم إلى رأيه ، قال تعالى : { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدْعَاؤُهُ } [النساء : ٨٣] . جعل الله تفويض الرّعيّة الأمر إلى وليّ الأمر سبباً لحصول العلم ، وسداد الرّأي ، فإن ظهر لهم صوابٌ خفي عليه ؛ بيّنه له ، وأشاروا

به عليه ، ولذلك ندب إلى المشاورة ليرجع بها إلى الصّواب [(٢٤٢١)] ، وقد جعل عمر . رضي الله عنه . للعسكر أميراً واحداً ، يفوّضون أمرهم إلى رأيه ، ويكلونه إلى تدييره حتّى لا تختلف أراؤهم ، فتختلف كلمتهم [(٢٤٢٢)] ، ففي السنّة التي بعث فيها الفاروق بجيوش المسلمين إلى نهاوند ، وأمرهم بالتّجّمع هنالك كان الجيش يتألّف من جند أهل المدينة المنوّرة من المهاجرين ، والأنصار ، وفيهم عبد الله بن عمر بن الخطّاب . رضي الله عنهما . وجند أهل البصرة بقيادة أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . وجند أهل الكوفة بقيادة حذيفة بن اليمان . رضي الله عنه . وبعد تجّمعهم كتب إليهم الفاروق . رضي الله عنه . : إذا التقيتم ؛ فأمركم النّعمان بن مُقرّن المزني [(٢٤٢٣)] .

٣ . المسارعة إلى امتثال أمره : وفي خلافة عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . كان أوّل عملٍ قام به هو ندب النّاس إلى فارس ، حيث أخذ يدعوهم لمُدّة ثلاثة أيّام ، ولم يستجب أحدٌ ، وفي اليوم الرّابع كان أوّل منتدبٍ أبو عبيد بن مسعود الثّقفي ممَّا أدّى بعمر . رضي الله عنه . أن يولّيه ذلك البعث بالرّغم من وجود صحابة رسول الله (ص) ؛ لأنّه سارع إلى تلبية النّداء [(٢٤٢٤)] . وعندما وجّه الفاروق عتبة بن غزوان إلى البصرة ؛ قال ناصحاً إيّاه ، ومذكراً له بقوله : اتّق الله فيما وُلّيت ، وإيّاك أن تنازعك نفسك إلى كبرٍ يفسد عليك إخوتك ، وقد صحبت رسول الله (ص) ، فعزّزت به بعد الدّلة ، وقويت به بعد ضعفٍ حتّى صرت أميراً مسلطاً ، وملكاً مطاعاً ، تقول ، فيسمع منك ، وتأمّر ، وأمرك ، فيا لها من نعمةٍ إن لم ترفعك فوق قدرك ، وتبترك عمّن دونك [(٢٤٢٥)] .

٤ . عدم منازعته في شيءٍ من قسمة الغنائم : وممّا قاله عمر بن الخطّاب حول قسمة الغنائم : اللّهُمَّ إني أشهدك على أمراء الأمصار فإني إنّما بعثتهم ليعلموا النّاس دينهم ، وسنة نبيّهم ، ويقسموا فيهم ، ويعدلوا عليهم ، فمن أشكل عليه شيء ، رفعه إليّ [(٢٤٢٦)] . فمن ذلك في فتح الأبله [(٢٤٢٧)] عندما تمّ تقسيم الغنائم بين الجند كان نصيب أحدهم قدراً من نحاسٍ فلمّا صار بيده تبين : أنّه من

ذهب ، وعرف ذلك الجند ، فشكوا إلى أمير الجند [(٢٤٢٨)] ، فأشكل ذلك عليه ، فكتب بدوره إلى عمر - رضي الله عنه - يخبره بذلك ، فأتاه الردُّ بقوله : أصرَّ على يمينه بأنَّه لم يعلم : أنَّها ذهب إلا بعد أن صارت إليه ، فإن حلف ؛ فادفعها إليه ، وإن أبي ؛ فاقسمها بين المسلمين . فحلف ، فدفعها إليه [(٢٤٢٩)] .

وعندما جمعت الغنائم في معركة جلولاء ذكر جرير بن عبد الله البجلي : أنَّ له ربع ذلك كِلِّه هو وقومه ، فكتب سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - بذلك إلى عمر بن الخطَّاب ، فقال عمر : صدق جرير ، قد قلت له ، فإن شاء أن يكون قاتل هو وقومه على جُعل المؤلِّفة قلوبهم ؛ فأعطهم جعلهم ، وإن كانوا إمَّا ما قاتلوا إلا لله ، ولدينه ، واحتسبوا ما عنده فهم من المسلمين ، لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ، فلمَّا قدم الكتاب على سعد أخبر جريراً بذلك ، فقال جرير : صدق أمير المؤمنين ، وبرَّ ، لا حاجة لنا إلى الرُّبع بل نحن من المسلمين [(٢٤٣٠)] .

— خ حقوق الجند : وقد بيَّن الفاروق في رسائله ، ووصاياه حقوق الجند ، والتي منها :

١ - استعراضهم ، وتفقد أحوالهم : فقد روى عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - في إدارته : أنَّه قال : إنِّي لأجهِّز جيشي وأنا في الصَّلَاة . فذاك لأنَّ عمر كان مأموراً بالجهاد ، وهو أمير المؤمنين ، فهو أمير الجهاد ، فصار بذلك من بعض الوجوه بمنزلة المصلِّي الذي يصلي صلاة الخوف حال معاينة العدو [(٢٤٣١)] ، وكان - رضي الله عنه - عندما يعقد الأولوية لقادته ، وقبل سيرهم للغزو يستعرضهم ، ويوصيهم ، فممَّا كان يقول لهم : اتزروا ، وارتدوا ، وانتعلوا ، واحتفوا ، وارموا الأغراض واثلفوا الركب ، وانزوا على الخيل ، وعليكم بالمعدية . أو قال : العريبة - ودعوا التَّنعُّم ، وزيّ العجم ، ولن تخور قواكم ما نزوتم ، ونزعتم على ظهور الخيل ، ونزعتم بالقسي [(٢٤٣٢)] .

وهذا يظهر لنا مدى حرص الفاروق - رضي الله عنه - في الاستعداد ، وإظهار القوَّة ، واحتذى قاداته حذوه في صفِّ ، واستعراض العسكر ، وإبراز القوَّة للعدوِّ سواءً في المعارك الحربيَّة ، أو أثناء الاستعداد لها ، فكان عمرو بن العاص - رضي الله عنه - يخطب الجند بمصر في صلاة الجمعة ، ويحثُّهم على إسمان دوائهم ، ويتوعدهم إن لم يفعلوا ذلك بحطِّ الفريضة عنهم يوم الفرض ، فمن قوله : ولا أعلمنَّ ما أتى رجلٌ قد أسمن جسمه ، وأهزل فرسه ، واعلموا : أيُّ معرض الخيل كاعتراض الرِّجال ، فمن أهزل فرسه من غير علَّةٍ حططت من فريضته قدر ذلك [(٢٤٣٣)] ، وعندما لقي معاوية عمر - رضي الله عنهما -

عند قدومه الشّام وجد أجمّة الملك ، وزيّه من العدد والعدّة ، فاستنكر عليه ذلك ، وقال له : أكسروية يا معاوية ؟ ! قال :

يا أمير المؤمنين ! إنّنا في ثغر تجاه العدو ، وبنا إلى مباحاتهم بزينة الحرب ، والجهاد حاجة . فسكت ، ولم يخطئه لما اجتمع عليه بمقصدٍ من مقاصد الحقّ ، والدّين [(٢٤٣٤)] .

٢ . الرّفق بالجند في السّير : وقد كتب الفاروق إلى سعد بن أبي وقّاص . رضي الله عنهما . قائلاً : وترفّق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشّمهم مسيراً يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتّى يبلغوا عدوّهم والسّفر لم ينقص قوّتهم ، فإنّهم سائرون إلى عدوّ مقيمٍ حامي الأنفس والكراع ، وأقم بمن معك في كلّ جمعة يوماً ، وليلة حتّى تكون لهم راحةٌ يجيئون فيها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم ، وأمتعتهم ، ونحّ منازلهم عن قرى أهل الصّلح [(٢٤٣٥)] .

وحيث بعث الخليفة عمر . رضي الله عنه . بمددٍ إلى جند الشّام حمل ضعيفهم ، وزوّدهم ، وأمر عليهم سعيد بن عامر ، وعندما همّ بالمسير ؛ قال عمر : على رسلك حتّى أوصيك ، ثمّ سار عمر نحو الجيش راجلاً وقال له : يا سعيد ! وليتّك هذا الجيش ، ولست بخير رجلٍ فيهم إلا أن تتقي الله ، فإذا سرت ؛ فارق بهم ما استطعت ، ولا تشتم أعراضهم ، ولا تحتقر صغيرهم ، ولا تؤثر قوئهم ، ولا تتبّع سواك ، ولا تسلك بهم المغاور ، واقطع بهم السّهل ، ولا ترقد بهم على جادّة [(٢٤٣٦)] الطّريق ، والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين [(٢٤٣٧)] .

٣ . أن يتصفّحهم عند مسيرهم : فقد كان الفاروق يتصفّح الجيوش عند مسيرهم ، ويوصيهم بالأخلاق الرّفيعة ، والقيم العظيمة ، فقد أمر سعد بن أبي وقّاص . رضي الله عنه . بالوفاء مع الأعداء حين طلبهم للأمان ، وأن لا يغدروا ، وبين له : أنّ الخطأ في الغدر هلكةٌ ، ووهنٌ له ، وقوّةٌ للأعداء ، وحذرّه أن يكون شيئاً على المسلمين ، وسبباً لتوهينهم [(٢٤٣٨)] .

٤ . عدم التّعريض عند اللّقاء لمن خالفه منهم ؛ لئلا يحصل افتراق الكلمة ، والفسل : ومن وصايا عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . لأمرائه وقادته في هذا الباب قوله : لا يجلدنّ أمير جيشٍ ، ولا سرّيّة ، أحداً الحدّ حتّى يطلع الدّرب ؛ لئلا يحمله الشّيطان أن يلحق بالكفّار [(٢٤٣٩)] . وعندما بعث عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . بالقائد سلمان بن ربيعة الباهلي على رأس جيشٍ كان برفقته عمرو بن معدي كرب ، وطليحة بن خويلد الأسدي وحدثت بين عمرو بين

معدى كرب ، وسلمان بن ربيعة أمورٌ بلغت عمر . رضي الله عنه . فكتب إليه عمر قائلاً : أمّا بعد : فقد بلغني صنيعك بعمرو ، وإنّك لم تحسن بذلك ، ولم تحمل فيه ، فإذا كنت بمثل مكانك في دار الحرب ؛ فانظر عمراً ، وطليحة وقرّبهما منك ، واسمع منهما ، فإنّ لهما بالحرب علماً ، وتجربةً ، وإذا وصلت إلى دار السّلم ؛ فأنزلهما منزلتهما التي أنزلا أنفسهما بها ، وقرّب أهل الفقه ، والقران [(٢٤٤٠)] .

وكتب إلى عمرو بن معدى كرب : أمّا بعد : فقد بلغني إفحامك لأميرك ، وشتمك له ، وإنّ لك لسيفاً تسمّيه الصمصامة ، وإنّ لي سيفاً أسمّيه المصمم ، وإيّ أحلف بالله لو قد وضعته على هامتك لا أرفعه حتّى أقدّك به ! فلمّا جاء الكتاب لعمرو قال : والله إن همّ ليفعلنّ [(٢٤٤١)] ! يتجلّى من النّصين السّابقين فقه الفاروق فيما ينبغي أن يتحلّى به القائد في دار الحرب من الائتلاف للقلوب ، وخاصّةً وهم بإزاء العدو ، وأنّ على القائد أن يستشير من له خبرةً بالحرب ، وهذا لا يعني انقطاع العلاقة ، والمودّة بينهما حين عودة العسكر إلى دار السّلام .

وفي فتح الرّها [(٢٤٤٢)] على يد عياض بن غنم قدم عليه مددٌ من الشّام بقيادة بسر بن أبي أرطاة العامري ، وجّه به يزيد بن أبي سفيان بأمرٍ من عمر . رضي الله عنه . وحدث بينهما خلافٌ وهم في دار الحرب ، وكان عياض مستغنياً عن المدد ، فطلب إليه الرّجوع إلى الشّام ، فكتب عمر . رضي الله عنه . إلى عياض طالباً منه أن يوضّح له سبب إرجاعهم ، وخاصّةً وهم ما قدموا إلا لمساندتك ، ولإعلام العدو : أنّ الأمداد متواترةٌ إليك ، فتتكسر قلوبهم ، ويسارعوا إلى طاعتك . فأجابه عياض قائلاً : خشيت أن يحصل شيءٌ من التّمرد وتختلف قلوب العساكر ولما كنت غنياً من مدده ؛ اعتذرت إليه ، وأمرته بالعودة . هذا هو السّبب في إعادته [(٢٤٤٣)] . عندها صوّبه عمر . رضي الله عنه . ودعا له خاصّةً وهم بإزاء العدو حتّى لا تتفرّق الكلمة ، ويتناحروا فيما بينهم ، ويحصل الفشل [(٢٤٤٤)] .

٥ . حراستهم من غرّة يظفر بها العدو في مقامهم ، ومسيرهم :

اهتمّ الفاروق بأمر الحراسة ، ولذلك أمر قاداته بالحرص ، والحذر من بيات العدو ، وأخذهم على غرّة ، وطلب منهم إقامة الحرس في حلّهم ، وترحالهم ، فمن ذلك قوله لسعد بن أبي وقاصّ : أذك حراسك على عسكريك ، وتيقّظ ، من البيات جهدك ، ولا تؤتني بأسيرٍ ليس له

عقدٌ إلا ضربت عنقه لترهب بذلك عدوّ الله ، وعدوّك [(٢٤٤٥)] ، وكان . رضي الله عنه . يوصي قاداته بأنّخاذ العيون ، وبثّ الطّلائع عند بلوغ أرض العدو حتّى يكونوا على علمٍ ودرايةٍ بحالهم وبنواياهم

، فمما كتبه إلى سعد بن أبي وقاصٍ قوله : وإذا وطئت أرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم ، ولا يخفى عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب ، أو من أهل الأرض من تثق به ، وتطمئن إلى نصحه وصدقه ، فإن الكذوب لا ينفعلك خبره ؛ وإن صدقك في بعضه ، والغاش عينٌ عليك ليس عيناً لك ، وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبت السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ، ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم ، وانتق للطلائع أهل الرأي ، والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل ، فإن لقوا عدوً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك [(٢٤٤٦)] .

ويتضح لنا من هذه الوصية القيّمة : أنّ الخليفة عمر - رضي الله عنه - لم تقتصر عنايته بالتحاذ العيون على الأعداء ، بل اتخذها أيضاً في الجيوش الإسلامية في الرقابة الإدارية على الولاة ، والعمّال ، والقادة ، والجنود ليتعرّف أحوالهم ، وسيرتهم ، ومعاملتهم ، وسير أعمالهم العسكرية ، فقد كانت له عيون في كل جيش ، ومعسكر ترفع إليه تقريراً عمّا يدور فيه [(٢٤٤٧)] .

وعندما شكّا عمير بن سعد الأنصاري إلى الخليفة عمر حين قدم عليه ، وكان على طائفة من أهل الشام قائلاً : يا أمير المؤمنين ! إنّ بيننا وبين الروم مدينة يقال لها : عرب سوس [(٢٤٤٨)] ، وإيّهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئاً ، ولا يظهروننا على عوراتهم . فقال له عمر : فإذا قدمت ؛ فخيرهم بين أن تعطيهام مكان كل شاة شاتين ، ومكان كل بعير بعيرين ، ومكان كل شيء شيئين ، فإن رضوا بذلك ؛ فأعطهم ، وخربها ، فإن أبوا ؛ فأنب إليهم ، وأجلهم سنة ، ثم خربها [(٢٤٤٩)] . ثم لما قدم عليهم عمير بن سعد ؛ عرض عليهم ذلك ، فأبوا فأجلهم سنة ، ثم خربها [(٢٤٥٠)] .

٦ . اختيار موضع نزولهم لمحاربة العدو : فقد كان الفاروق يوصي سعد بن أبي وقاص بأن لا يقاتل حتى يتعرّف على طبيعة أرض المعركة كلّها مداخلها ، ومخارجها ، ووفرة الماء والكلأ

بها ، وما يجري مجرى ذلك [(٢٤٥١)] ، كما كتب إليه قبل القادسية بأن يكون أدنى حجرٍ من أرضهم ؛ لأنهم أعرف بمسالكها من عدوهم ، فمتى كانت الهزيمة ؛ استطاع التمكن من الانسحاب بالجنود ، فينجوا من القتل ، فلا يستطيع العدو اللحاق بهم لجنه من أتباعهم ، وعدم معرفته بطرقها [(٢٤٥٢)] ، وبالإضافة إلى ذلك فقد ولى الفاروق سعد بن أبي وقاص ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ، قيادة الجيش في اختيار موقع ، وموضع نزوله ، وإقامته ، فقد قام الفاروق بتوزيع المهام الإدارية بين القادة [(٢٤٥٣)] ، وكان الفاروق يشترط في إدارته العسكرية على قادته عند اختيارهم لموضع نزولهم ، وإقامة معسكراتهم الحربية ألا يفصلهم عن مقر القيادة العسكرية العليا ماءً ، وذلك لما لها من مركزية في

التخطيط ، ولتسهيل الإمداد ، والتّموين [(٢٤٥٤)] ، كما كتب عمر . رضي الله عنه . إلى أبي عبيدة بن الجراح قائلاً : ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده لهم ، وتعلم كيف مأتاه [(٢٤٥٥)] .

٧ . إعداد ما يحتاج إليه الجند من زاد ، وعلوفة : كان عمر . رضي الله عنه . يبعث لجند المسلمين بالعراق من المدينة المنورة بالتّموين من الغنم ، والجزور [(٢٤٥٦)] ، وحمى النّقيع والرّبذة [(٢٤٥٧)] للنّعم التي يحمل عليها في سبيل الله ، كما اتّخذ في كلّ مصرٍ على قدره خيولاً من فضول أموال المسلمين عدّة لما يعرض ، فكان من ذلك بالكوفة أربعة الاف فرسٍ ، وبالْبصرة نحو منها ، وفي كلّ مصرٍ من الأمصار على قدره [(٢٤٥٨)] ، ثمّ حين قدم عمر بن الخطّاب . رضي الله عنه . الشّام لمصالحة أهل بيت المقدس ؛ أنشأ إدارةً لتموين الجيش عُرفت باسم الأهراء [(٢٤٥٩)] ، وكان عمرو بن عبسة أوّل موظّف عُيّن لإدارة تموين الجيش [(٢٤٦٠)] .

٨ . تحريضهم على القتال : كتب الفاروق إلى أبي عبيدة يحرّضه على الجهاد قائلاً : بسم الله الرّحمن الرّحيم ، من عبد الله عمر بن الخطّاب أمير المؤمنين إلى أمين الأُمّة أبي عبيدة عامر بن الجراح سلام عليك ، فإنّي أحمد الله . عزّ ، وجلّ . سرّاً وعلانيةً ، وأحدركم من معصية الله

. عزّ ، وجلّ . وأحدركم ، وأنهاكم أن تكونوا ممّن قال الله في حقّهم : { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَبِصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * } [التّوبة : ٢٤] ، وصلى الله على خاتم النّبیین وإمام المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين [(٢٤٦١)] .

فلما وصل الكتاب إلى أبي عبيدة ؛ قرأه على المسلمين ، فعلموا أنّ أمير المؤمنين يحرّضهم على القتال ، ولم يبق أحدٌ من المسلمين إلا بكى من كتاب عمر بن الخطّاب ، كما كتب إلى سعد بن أبي وقّاص بالعراق ومن معه من الأجناد يحرّضهم على القتال ، ويمنيهم ، ويأمرهم بالالتزام بالفضائل ، ويحدّثهم من ارتكاب المعاصي [(٢٤٦٢)] ، هذا وكان من مهامّ أمراء الأعشار في إدارة الفاروق . رضي الله عنه . التحريض في القتال [(٢٤٦٣)] .

٩ . أن يذكّرهم بثواب الله ، وفضل الشّهادة : ففي عصر الفاروق قام سعد بن أبي وقّاص في القادسيّة يذكّر جنده بثواب الله تعالى ، وما أعدّ لهم في الآخرة من النّعيم ، ورغبهم في الجهاد ، وأعلمهم ما وعد الله نبيّه من النّصر ، وإظهار الدّين ، وبيّن لهم ما سوف يكون بأيديهم من النّفل ، والغنائم ، والبلاد ، وأمر القراء أن يقرؤوا سورة الجهاد (الأنفال [(٢٤٦٤)]) ، كما قام أبو عبيدة بن الجراح في جند الشّام

خطيباً ، ومدكراً إياهم بثواب الله تعالى ، ونعيمه ، ومخبراً إياهم : أنَّ الجهاد خيرٌ لهم من الدنيا وما فيها [(٢٤٦٥)] ، كما اشتهر عن عمرو بن العاص قوله لجند فلسطين : من قُتل كان شهيداً ، ومن عاش كان سعيداً ، وأمر الجند أن يقرؤوا القرآن ، وحثَّهم على الصَّبر ، ورغبهم في ثواب الله ، وجنته [(٢٤٦٦)] .

١٠ . أن يلزمهم بما أوجبه الله من حقوق : فقد كتب عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . إلى سعد بن أبي وقاص ، ومن معه من الأجناد يوصيه بقوله : أمَّا بعد : فإنِّي امرئ ، ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كلِّ حالٍ ، فإنَّ تقوى الله أفضل العُدَّة على العدوِّ ، وأقوى المكيِّدة في الحرب ، وامرئ ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من المعاصي من احتراسكم من عدوِّكم ،

فإنَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوِّهم ، وإمَّا ينصر المسلمون بمعصية عدوِّهم لله [(٢٤٦٧)] . .

١١ . أن ينهاهم عن الاشتغال بتجارةٍ وزراعةٍ ، ونحوهما : فقد أمر عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . مناديه أن يخرج إلى أمراء الأجناد في أن يبلِّغوا العسكر : أنَّ عطاءهم قائمٌ ، وأنَّ رزق عيالهم سائلٌ ، وأن ينهوه عن الزِّراعة حتَّى إنَّه عاقب من لم يمتثل ذلك [(٢٤٦٨)] ، كلُّ ذلك حرصاً من الفاروق . رضي الله عنه . بتفريغ الجند للجهاد ، ونشر الإسلام ، ولئلا يلتصقوا بالأرض حين يزرعون ، فيركنون إلى ذلك ، ويصبح قلبهم منشغلاً ، ولذلك استطاع عمر . رضي الله عنه . أن يوجد جنداً متفرِّغاً للقتال ، جاهزاً لوقت الحاجة والطلب ، وضمن عدم انتشارهم لجني الثَّمار ، والزِّراعة ، وما يتبعها من حصادٍ ، وحرثٍ ، وتسويقٍ [(٢٤٦٩)] .

رابعاً : اهتمامه بحدود الدَّولة :

كان عمر . رضي الله عنه . من خوفه على المسلمين وحدود الدَّولة الإسلاميَّة لا تيساعها ، وكرهه لقتال الرُّوم يقول إذا ذكر الرُّوم : والله لوددت : أنَّ الدَّرب جمرَةٌ بيننا وبينهم لنا ما دونه ، وللرُّوم ما وراءه [(٢٤٧٠)] . وقال الشَّيء نفسه حول حدود الدَّولة الإسلاميَّة نحو الفُرس : لوددت أنَّ بين السَّواد ، وبين الجبل سدّاً لا يخلصون إلينا ، ولا نخلص إليهم ، حسبنا من الرِّيف السَّواد ، وإيَّ أوثر سلامة المسلمين على الأنفال [(٢٤٧١)] ، فأمر بإقامة قواعد عسكريَّة إسلاميَّة لها عدَّة وظائف ، ومهامٍ ، والتي سبق ، وأشرنا إلى بعضٍ منها ، بالإضافة إلى كونها مراكز حربيَّة في مواقع استراتيجيَّة متقدِّمة على الحدود بينها وبين البلاد المفتوحة لتردَّ أيَّ عدوانٍ خارجيٍّ ، وكمراكز تجمُّع للجند ، ولنشر

الإسلام ، وكان في طليعتها مدينتا البصرة والكوفة في مجاورة الدولة الفارسيّة ، والفسطاط بمصر [(٢٤٧٢)] ، وثور أخرى بسواحلها ، وسواحل الشام لردّ هجمات الروم من البحر ، وجند أربعة أجنادٍ فيما بعد ، فيقال : جند حمص ، وجند دمشق ، وجند الأردن ، وجند فلسطين ، حيث كانت لاختصاصهم ، حتّى عرفوا بها ، وصارت لهم علامةً زائدةً على النسب يتميّزون بها عند أمرائهم لتسهيل عمليّة إدارتهم في المهمّات العسكريّة ،

ولرعاية شؤونهم ، والتي كانت منها العطاء [(٢٤٧٣)] .

هذا إلى جانب المعسكرات ، والتحصينات التي بالثغور ، والتي سبق إجلاء العدو عنها ، واستولى عليها المسلمون ، واتخذوها قواعد عسكريّة لهم ، وأسكنوا بها جندهم لحماية حدود الدولة الإسلاميّة [(٢٤٧٤)] .

ثمّ صار المسلمون كلّما تقدّموا في الفتح ؛ أقاموا في نهاية توسّعهم ثغراً يحرس الحدود ، يشحن بالجنود المرابطين ، ويتولّى أمره قائدٌ من أكفأ القوّاد [(٢٤٧٥)] ، ومن أهمّ تلك الإجراءات التي اتخذها الفاروق . رضي الله عنه . بإقليم العراق ، والمشرق المسالحي التي أقيمت بين المسلمين ، والفرس ، فحينما بلغ اجتماع الفرس على يزيدجرد للقائد المثنى بن حارثة ، والمسلمين ؛ كتبوا إلى الخليفة عمر بذلك ، فجاءهم الرّدّ بقوله : أمّا بعد : فاخرجوا من بين ظهراي الأعاجم ، وتفرّقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم ، وأرضهم . . . فنفّذ المثنى الأمر [(٢٤٧٦)] ، كما أوصى الخليفة عمر . رضي الله عنه . سعداً قبل القادسيّة بقوله : وإذا انتهيت إلى القادسيّة ؛ فتكون مسالحك على أنقابها [(٢٤٧٧)] .

وفي جلولاء كتب عمر . رضي الله عنه . إلى سعد : إن هزم الله الجندين : جند مهران وجند الأنطاق ؛ فقدم القعقاع بن عمرو بثغر حلوان بجنود المسلمين لحماية المنطقة ، والحفاظ عليها من تقدّم الأعداء ، وحتّى يكون رداءً لإخوانه من جند المسلمين الغازي منهم ، والمقيم [(٢٤٧٨)] .

لذا كان القائد سعد بن أبي وقّاص . رضي الله عنه . بالعراق يطلب من الجنود ، ويحثّهم على التّقدّم نحو الفرس مخبراً إيّاهم : أنّ الثغور ، والفروج قد سدّت بقوله : ليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه ، كفاكموهم أهل الأيّام ، وعطّلوا ثغورهم ، وأفنوا ذاتهم [(٢٤٧٩)] . والملاحظ : أنّ هذه المسالحي في عهد الفاروق لا تنشأ إلاّ بأمرٍ من القيادة العليا المركزيّة للإدارة العسكريّة ، وذلك في قول الخليفة عمر

لقادة المسالځ : أشغلو فارس عن إخوانكم ، وحوطوا بذلك أمّتكم ، وأرضكم ، وأقيموا على حدود ما بين فارس ، والأهواز حتّى يأتىكم أمرى [(٢٤٨٠)] .

وقد بلغت ثغور الكوفة وحدها فى عهد الفاروق أربعة ثغور ، هى : ثغر حلوان ، وعليه القعقاع بن عمرو التميمى ، وثر ماسبذان ، وعليه ضرار بن الخطّاب الفهرى ، وثر قرقيسيا [(٢٤٨١)] وعليه عمر بن مالك الزهري ، وثر الموصل ، وعليه عبد الله بن المعتم العبسى . وكان لكلّ قائدٍ من هؤلاء من ينوب عنه فى ثغره لإدارته إذا توجه مهمّة ما .

ومن الجدير بالذكر : أنّ جند المسلمين لا بينون الثغور حصناً ، ولا يمضّون مدينةً إلا وأقاموا المسجد فى المقدّمة ؛ لما له من دورٍ دعويّ ، وتربويّ ، وجهاديّ ، كما هو معروف [(٢٤٨٢)] ، وأمّا فيما يتعلّق بحماية الحدود بين الرّوم والمسلمين فى الجبهة الشّاميّة فى عهد عمر . رضى الله عنه . فقد بدأت عنايته بها أيضاً منذ الفتح الإسلامى لبلاد الشّام ، حيث اتّخذ لذلك إجراءاتٍ دفاعيّةً كثيرةً ، ومتعدّدةً لحماية المنطقة ، منها بناء المناظر ، وإقامة الحرس ، واتّخاذ المسالځ بها ، وتحصين المدن السّاحليّة إلى جانب الرّباطات الدّائمة بالإضافة إلى الحصون المفتوحة ، وترتيب المقاتلة فيها ، أى : الجند الغازى ، وسياسة التّهجير ، أو التّواقل ، وجمعه السّاحل الشّامى كلّه تحت إدارةٍ عسكريّةٍ موحّدة ، وفى السّنة الّتى سار فيها عمر بنفسه إلى بلاد الشّام لتوقيع الصّلح مع أهل بيت المقدس نفقّد بعض الثغور الشّاميّة ، ووضع بها الحاميات ، والمسالځ ، ورّتب بها أمراء الأجناد ، والقادة ، وسدّ فروجها ، ومسالحها ، وأخذ يدور بها ليرى احتياجاتها الدّفاعيّة [(٢٤٨٣)] ، ثمّ رجع إلى المدينة ، وخطب النّاس قبل رجوعه قائلاً : ألا قد وُليت عليكم ، وقضيت الّذى عليّ فى الّذى ولائى الله من أمركم ، إن شاء الله قسطنا بينكم فينكم ، ومنازلكم ، ومغازيكم ، وأبلغنا ما لديكم ، فجنّدنا لكم الجنود ، وهياًنا لكم الفروج ، وبؤأنا لكم ، ووسّعنا عليكم ما بلغ فينكم ، وما قاتلتم عليه من شامكم ، وسمّينا لكم أطعامكم ، وأمرنا لكم بأعطياتكم ، وأرزاقكم ، ومغانمكم ، فمن علّم علّم شيءٍ ينبغى العمل به فبلغنا ؛ نعمل به إن شاء الله ، ولا قوّة إلا بالله [(٢٤٨٤)] .

وعندما فتح أبو عبيدة بن الجراح ثغر إنطاكية بالحدود الشّاميّة الشّماليّة ؛ كتب إليه الخليفة عمر . رضى الله عنه . قائلاً : أن رّتب بإنطاكية جماعةً من المسلمين أهل نياتٍ ، وحسبّةٍ ، واجعلهم بها مرابطةً ، ولا تحبس عنهم العطاء [(٢٤٨٥)] .

فنقل أبو عبيدة قوماً من أهل حمص ، وبعلبك مرابطةً بها لحماية حدود المنطقة من أيّ عدوانٍ خارجيّ ، وعيّن على الثغر حبيب بن مسلمة الفهري الذي اتخذ من ثغر إنطاكية قاعدةً ، لانطلاقه لغزو ما خلف الحدود الإسلاميّة ، فمنها كان يأتي المدد للخطوط الأماميّة في الجبهة الرُوميّة ، وكان منها غزوه للجرجومة [(٢٤٨٦)] التي صالح أهلها على أن يكونوا أعواناً للمسلمين ، وعيوناً ، ومسالح في جبل اللّكام ضدّ الرُوم [(٢٤٨٧)] ، وكذلك عندما سار أبو عبيدة إلى ثغر بالس [(٢٤٨٨)] رتبّ به جماعة من المقاتلين ، وأسكنه قوماً من عرب الشّام الذين أسلموا بعد قدوم المسلمين لحفظ الثغر ، وضبطه من هجمات الرُوم [(٢٤٨٩)] .

ومن التّحصينات ، والوسائل الدّفاعيّة التي اتخذها الوالي معاوية بن أبي سفيان لحماية الحدود الإسلاميّة لسواحل الشّام في نهاية عهد عمر بن الخطّاب ، وبداية عهد الخليفة عثمان بن عفّان . رضي الله عنهما . هو قيامه ببناء عدّة حصونٍ مثل طرسوس [(٢٤٩٠)] ، ومرقية [(٢٤٩١)] ، وبلنياس [(٢٤٩٢)] ، وبيت سليمة ، بالإضافة إلى قيامه بتطوير الحصون التي استولى عليها الجند المسلمون بسواحل الشّام ، وشحنها جميعاً بالجند المقاتلة ، وأقطعهم القطائع بها ، وبنى المناظر ، ووضع بها الحرس لمراقبة اقتراب العدو ، فتقوم كلُّ منظرٍ بإشعال النّار لإخبار الأخرى التي تليها إلى أن يصل الخبر إلى المدينة ، والثغر ، والمسلحة في زمنٍ قليلٍ ، فيسرعون نحو الجبهة التي أقبل منها العدو للتصدّي له ، ومنعه من التّسلّل [(٢٤٩٣)] .

وفيما يتعلّق بحماية الحدود بين المسلمين والرُوم في الجبهة المصريّة لإدارة عمر . رضي الله عنه . فقد شملتها الرّعاية ، والعناية كمثيلاتها من الجبهات الأخرى ، فقد أمر عمرو بن العاص ببناء الفسطاط كقاعدةٍ عسكريّةٍ أولى لإيواء جند المسلمين بالمنطقة ، وجعل لكلّ قبيلةٍ محرساً ، وعريفاً ، فمنها كان المنطلق في الفتوحات الإسلاميّة لشمال أفريقيا ، بالإضافة إلى كونها إحدى الحاميات الدّفاعيّة للثغر المصري إلى ما هنالك من مهام تضطلع بها ، واشترط عمر . رضي الله عنه . في موقعها ، كما اشترط في مواقع القواعد السّابقة ، بأن لا يفصل بينها وبين القيادة العليا المركزيّة بالمدينة ماءً حتّى يكون الاتّصال بينهما مستمرّاً ، وميسراً [(٢٤٩٤)] .

وكان عمرو بن العاص يذكّر جنوده بأنّ مقامهم بمصر عبارة عن رباط ، وذلك في قوله : اعلموا أنّكم في رباطٍ إلى يوم القيامة ؛ لكثرة الأعداء حولكم ، وتشوّق قلوبهم إليكم ، وإلى داركم معدن الرّزع ، والمال ، والخير الواسع ، والبركة التّامة . وفي الفترة التي استولى فيها جند المسلمين على الحصون ،

والمساحح التي بالثغر المصري قاموا بتجديدها ، وترميمها ، والاستفادة منها في مرابطتهم ، حيث شحنوها بالجنود ، وكان العريش أول مساحح مصر ، وأعمالها [(٢٤٩٥)] ، وقد أمر الفاروق بإقامة المساحح على سواحل مصر كلها [(٢٤٩٦)] .

وحيثما فتح عمرو بن العاص ثغر الإسكندرية ؛ جعل به ألف رجل من أصحابه مسلحةً به ، لحفظه ، وحمايته ، وكان عددهم لا يفي بالغرض المطلوب مما جعل الروم يعودون إليهم من البحر ، فقتلوا من قتلوا من أصحاب المسلحة ، وهرب من هرب ، فرجع إليهم عمرو بن العاص مرةً أخرى ، وفتح الثغر وجعل من أصحابه لرباط الإسكندرية ربع الجيش ، كما جعل في السواحل الربع الآخر ، وأبقى معه بالفسطاط النصف الآخر [(٢٤٩٧)] ، وكان الفاروق يبعث في كل سنة غزيرةً من أهل المدينة المنورة ترابط بثغر الإسكندرية ويكاتب الولاة بأن لا تغفل عنها ، وأن تكثف رابطةها ، إضافةً إلى من جعل بها عمرو بن العاص من المرابطين [(٢٤٩٨)] ، وبذلك استكمل عمر . رضي الله عنه . فقهه البعيد في حماية الحدود البرية ، وتحصينها في الجبهات الثلاث العراقية ، والشامية ، والمصرية [(٢٤٩٩)] ، ولم يقتصر الأمر على هذه الوسائل الدفاعية لحماية الحدود الإسلامية بل أنشأ عمر . رضي الله عنه . نظام الصوائف ، والشواتي ، وهي الحملات التي كانت تخرج بانتظام سنوياً كالدوريات المنظمة في فصل الصيف ، وفي فصل الشتاء [(٢٥٠٠)] ، ولم تقتصر حملات الشواتي ، والصوائف على ثغور بلاد الشام ، بل شملت جميع حدود الدولة الإسلامية حينئذٍ ، وكان يتولاها كبار القادة أمثال أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والنعمان بن مقرن ، وغيرهم كثير [(٢٥٠١)] .

وكان الفاروق يزيد في الأرزاق ، والأعطيات للجنود الذين يبعثون إلى الثغور للمرابطة بها ، حتى تعينهم إلى تحمّل بعدهم ، ويقطعهم القطائع بها [(٢٥٠٢)] ، ونرى قادة الفاروق . رضي الله

عنه . في إدارتهم العسكرية للمعارك يقسمون لأهل المساحح من الفياء مثل الذي يقسم لهم ؛ لأنهم كانوا رداءً للمسلمين ؛ لئلا يؤتوا من وجه من الوجوه [(٢٥٠٣)] ، وحين حضرت الخليفة عمر . رضي الله عنه . الوفاة ؛ قال موصياً الخليفة من بعده : وأوصي الخليفة من بعدي بأهل الأمصار خيراً ، فإنهم رداء الإسلام ، وجباة المال ، وغيظ العدو ، وألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم [(٢٥٠٤)] .

خامساً : علاقة عمر مع الملوك :

كانت علاقة الفاروق مع ملك الفرس حربيةً ، فقد توفي وجيوشه تطارد يزدجرد في بلاده ، وتدوّخ ملكه ، وأما علاقته مع ملك الروم فقد استقرّ الصلح بين الدولتين منذ أتمّ عمر . رضي الله عنه . فتح

الشَّام ، والجزيرة ، وجرت بينه وبين ملك الرُّوم المكاتبات ، وذكر مؤرِّخو العرب : أنَّ هذه المكاتبات كانت مع هرقل ، ولكن لم يذكروا هل كانت مع هرقل الأوَّل الَّذي انتزع منه عمر بلاد الشَّام ، أم مع ابنه هرقل الثَّاني المعروف بـ هرقل قسطنطين ؛ لأنَّ هرقل الأوَّل توفِّي سنة (٦٤١ م) الموافقة سنة (٢١ هـ) وتولَّى الملك ابنه المذكور في هذه السنَّة ؛ أي : قبل وفاة عمر . رضي الله عنه . بسنتين ، وسواءً كانت المكاتبات ، والمراسلة مع هرقل الأوَّل ، أو الثَّاني ، فقد كانت الرُّسل تتردَّد بينهما بالمكاتبات ، وأنَّ أمَّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . وزوج عمر بن الخطَّاب أرسلت مرَّةً مع رسولٍ جاء المدينة من قبل ملك الرُّوم هديَّةً من أَلطاف المدينة إلى إمبراطورة الرُّوم امرأة هرقل ، وأرسلت لها هذه في نظيرها عقداً نفيساً من الجواهر ، فأخذه منها عمر ، وردَّه إلى بيت المال ، وقد جاء في كتب التَّاريخ : أنَّ أمَّ كلثوم أرسلت تلك الهدية مع بريد عمر [(٢٥٠٥)] .

سادساً : من نتائج الفتوحات العمرية :

١ . إزالة الدَّولة الفارسيَّة (السَّاسانيَّة) من الوجود ، وفي الجانب المقابل حجَّمت الدَّولة الرُّوميَّة (البيزنطية) ، ومن ثمَّ انتهى ذلك الصِّراع الجاهلي الَّذي كان ناشباً بين الفرس ، والرُّوم ، والَّذي جرَّ شعوب المنطقة إلى حروبٍ داميةٍ ، أنهكت الدَّولتين معاً ، لا لشيءٍ إلا للمحافظة على مصلحة الرِّعاعات في كلتا الدَّولتين .

٢ . وجود قيادةٍ عالميةٍ واحدةٍ للمنطقة التي تقع في وسط الكرة الأرضية كلِّها الممتدة من حدود الصِّين شرقاً إلى المغرب غرباً ، ومن بحر العرب جنوباً حتَّى اسيا الصُّغرى شمالاً ، قيادةٍ جديدةٍ بموهلاتٍ لم تعهدها البشريَّة ، فهي محكومة مثلها مثل بقية أبناء شعوب المنطقة بقيمٍ ، ومثلٍ ، ونظامٍ .

٣ . هيمنة المنهج الرِّباني على جميع النَّاس ، دون ضغطٍ عليهم في تغيير معتقداتهم ، وديانتهم ، ودون تفریقٍ بين الأسود ، والأحمر ، والأبيض ، والأصفر ، بل النَّاس كلُّهم أمام شرع الله سواء ، ولا تفاضلٍ بينهم إلا بالتَّقوى ، ولمس النَّاس ثمار تطبيق شرع الله في حياتهم من الأمن ، والتَّمكين ، والبركات ، والسَّعة في الأرزاق ، وغيرها .

٤ . ظهر في دنيا النَّاس أمة الإسلام التي جمعت بين أفرادها عقيدة التَّوحيد ، وشريعة المولى . عزَّ ، وجلَّ . وترقَّعت عن اصرة الأعراق ، والأنساب ، والاعتبارات الأرضية الأخرى ، وبرز في هذه الأُمَّة قياداتٌ من كلِّ الأجناس العرقية ، فكان لها المكانة العالية في وسط هذه الأُمَّة ، ولم يوجد ما يشينها ، أو يغيِّر

من مكانتها في الأمة ، ولهذا كانوا يقولون لمن يقاتلوهم : فإن أحببتم إلى ديننا ؛ خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم بلادكم [(٢٥٠٦)] .

٥ . برزت حضارة ربّانيّة متكاملة ، ومتوازنة ، ومتناسقة ضمّت بين أرجائها تفاعلات الأمم ، والشُعوب المدرجة تحت شرع الله تعالى ، وقبلت في عضويتها العالم بأسره ، أسوده ، وأصفره ، وأبيضه وفق المنهج الرّبّانيّ ، وأحكامه ، وأصبح الفاروق نموذجاً في قيادته الحضاريّة للبشريّة في زمانه يعطينا صورة مشرقة للإنسان القويّ المؤمن العالم ، الذي يسجّر كلّ إمكانات دولته ، وجنوده ، وأتباعه ، وعلومه ، ووسائله ، وأسبابه لتعزيز شرع الله ، وتمكين دينه ، وخدمة الإنسانيّة ، وإعلاء كلمة الله ، وإخراج النّاس من الظُّلمات إلى النُّور ، ومن عبادة النّاس والمادّة إلى عبادة الله ، ونقذ قول الله تعالى : { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * } [الحج : ٤١] .

لقد أنتجت الفتوحات الإسلاميّة حضارة إنسانيّة رفيعة في ظلّ دين الإسلام ، وبذلك نستطيع أن نعرّف الحضارة الرّبّانيّة بأنّها : تفاعل الأنشطة الإنسانيّة للجماعة الواحدة لخلافة الله في الأرض عبر الزّمن ، وضمن المفاهيم الإسلاميّة عن الحياة ، والكون ، والإنسان [(٢٥٠٧)] .

* * *

المبحث الخامس

الأيّام الأخيرة في حياة الفاروق

كان أمير المؤمنين الفاروق . رضي الله عنه . مثلاً للخليفة العادل ، المؤمن ، المجاهد ، التّقي ، الورع ، القويّ الأمين ، الحصن المنيع للأمة وعقيدتها ، قضى . رضي الله عنه . خلافته كلّها في خدمة دينه ، وعقيدته ، وأمّته التي تولّى أمر قيادتها ، فكان القائد الأعلى للجيش ، والفقير المجتهد ؛ الذي يرجع الجميع إلى رأيه ، والقاضي العادل النّزيه ، والأب الحنون الرّحيم بالرّعيّة ، صغيرها ، وكبيرها ، ضعيفها ، وقويّها ، فقيرها ، وغنيّها ، الصّادق ، المؤمن بالله ورسوله ، السّيّاسي المحنّك المجرب ، والإداري الحكيم الحازم ، أحكم بقيادته صرح الأمة ، وتوطّدت في عهده دعائم الدولة الإسلاميّة ، وتحققت بقيادته

أعظم الانتصارات على الفرس في معارك الفتوح ، فكانت القادسيّة ، والمدائن ، وجلولاء ، ونهاوند ، وتم فتح بلاد الشّام ، ومصر من سيطرة الرّوم البيزنطيّين [(٢٥٠٨)] .

ودخل الإسلام في معظم البلاد المحيطة بالجزيرة العربيّة ، وكانت خلافته سداً منيعاً أمام الفتن ، وكان عمر نفسه باباً مغلقاً ، لا يقدر أصحاب الفتن الدّخول إلى المسلمين في حياته ، ولا تقدر الفتن أن تطلّ برأسها في عهده [(٢٥٠٩)] .

أولاً : حوارٌ بين عمر وحذيفة حول الفتن (واقتراب كسر الباب) :

قال حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - : كنّا عند ابن الخطّاب - رضي الله عنه - فقال : أيّكم يحفظ حديث رسول الله في الفتنة ؟ فقلت : أنا أحفظه كما قال ! قال : هات ، لله أبوك ، إنك لجريء ! قلت : سمعت رسول الله (ص) يقول : « فتنة الرّجل في أهله ، وماله ، ونفسه ، وولده ، وجاره ، يكفرها الصّيام ، والصّلاة ، والصّدقة ، والأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر » . قال عمر : ليس هذا أريد ، إنّما أريد الفتنة التي تموج كموج البحر ! قلت : ما لك ولها يا أمير المؤمنين ؟ ! إنّ بينك وبينها باباً مغلقاً ! ! قال : فيكسر الباب ، أو يفتح ؟ قلت : لا ، بل يُكسر ! ! قال : ذاك أحرى ألا يغلق أبداً ، حتّى قيام السّاعة ! !

قال أبو وائل الرّاوي عن حذيفة : هل كان عمر يعلم من الباب ؟ قال حذيفة : نعم كما يعلم أنّ دون غدٍ اللّيلة ! ! إنّني حدّثته حديثاً ليس بالأغاليط . قال أبو وائل : فهبنا أن نسأل حذيفة : من الباب ؟ فقلنا لمسروق : سل حذيفة من الباب ؟ فقال مسروق لحذيفة : من الباب ؟ قال حذيفة : هو عمر [(٢٥١٠)] ! ! !

إنّ حذيفة قدّم العلم لعمر - رضي الله عنهم - بأنّ الباب المنيع هو الذي يمنع تدفّق الفتن على المسلمين ، ويحجزها عنهم ، إنّ هذا سيُكسر كسراً ، وسيحتطم تحطيماً ، وهذا معناه : أنّه لن يغلق بعد هذا حتّى قيام السّاعة ، وهذا ما فهمه عمر ، أي : أنّ الفتن ستبقى منتشرة ذائعة بين المسلمين ، ولن يتمكّنوا من إزالتها ، أو توقّفها ، أو القضاء عليها ، وحذيفة - رضي الله عنه - لا يقرّر هذا من عنده ، ولا يتوقّعه توقّعاً ، فهو لا يعلم الغيب ، وإنّما سمع هذا من رسول الله (ص) ، ووعاه ، وحفظه ، كما سمعه ، ولهذا يعلّق على كلامه لعمر قائلاً : إنّني حدّثته حديثاً ليس بالأغاليط ، أي : حدّثته حديثاً صحيحاً صادقاً ، لا أغاليط ، ولا أكاذيب فيه ، لأنّني سمعته من رسول الله (ص) .

ثمَّ إِنَّ عمر - رضي الله عنه - يعلم الحقيقة التي أخبره بها حذيفة ، فهو يعلم : أنَّ خلافته بابٌ منيعٌ يمنع تدفُّقَ الفتن على المسلمين ، وأنَّ الفتن لن تغزو المسلمين أثناء خلافته ، وعهده ، وحياته [(٢٥١١)] ، وكان عمر - رضي الله عنه - يعلم من رسول الله (ص) ، أنَّه سيقتل قتلاً ، وسيلقى الله شهيداً ، قال أنس بن مالك - رضي الله عنه - : صعد رسول الله (ص) جبل أحد ، ومعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فرجف الجبل بهم ، فضربه رسول الله (ص) برجله ، وقال له : اثبت أحد : فإِنَّمَا عليك نبيٌّ ، وصديقٌ ، وشهيدان [(٢٥١٢)] .

١ . دعاء عمر في اخر حجَّة له سنة ٢٣ هـ :

عن سعيد بن المسيب : أنَّ عمر - رضي الله عنه - لما نفر من منى أناخ بالأبطح ، فكوم كومة من بطحاء ، فألقى عليها طرف ثوبه ، ثمَّ استلقى عليها ، ورفع يديه إلى السماء ، فقال : اللَّهُمَّ كبرت سنِّي ، وضعفت قوَّتِي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني غير مضيعٍ ، ولا مفرطٍ ! ثمَّ قدم المدينة [(٢٥١٣)] .

٢ . طلب الفاروق للشَّهادة :

عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، عن حفصة - زوج النبي (ص) - : أنَّها سمعت أباها يقول : اللَّهُمَّ ارزقني شهادةً في سبيلك ، واجعل موتي في بلد نبيِّك ! وجاء في رواية : اللَّهُمَّ ارزقني قتلاً في سبيلك ، ووفاءً في بلد نبيِّك ! قالت : وأني يكون ذلك ؟ قال : يأتي به الله إذا شاء [(٢٥١٤)] . وقد علَّق الشيخ يوسف بن الحسن بن عبد الهادي على طلب عمر للشَّهادة ، فقال : وتميَّ الشَّهادة مستحبٌّ ، وهو مخالفٌ لتميَّ الموت . فإن قيل : ما الفرق بينهما ؟ قيل : تمَّيَّ الموت ، طلب تعجيل الموت قبل وقته ، ولا يزيد الإنسان عمره إلا خيراً ، وتميَّ الشَّهادة هو أن يطلب أن يموت عند انتهاء أجله شهيداً ، فليس فيه طلب تقديم الموت عن وقته ، وإمَّا فيه طلب فضيلةٍ فيه [(٢٥١٥)] .

٣ . رؤيا عوف بن مالك الأشجعي :

قال عوف بن مالك الأشجعي : رأيت سبباً [(٢٥١٦)] تدلُّ من السماء ، وذلك في إمارة أبي بكرٍ - رضي الله عنه - . وأنَّ النَّاس تطاولوا له ، وأنَّ عمر فضلهم بثلاثة أذرع ، قلت : وما ذاك ؟ قال : لأنَّه خليفة من خلفاء الله تعالى في الأرض ، وأنَّه لا يخاف لومة لائمٍ ، وأنَّه يقتل شهيداً ، قال : فغدوت على أبي بكرٍ ، فقصصتها عليه ، فقال : يا غلام ! انطلق إلى أبي حفص فادعه لي ، فلمَّا جاء ؛ قال : يا عوف ! اقصصها عليه كما رأيتهما ، فلمَّا أتيت أنَّه خليفة من خلفاء الله تعالى ؛ قال عمر : أكلُّ

هذا يرى النَّائم؟ قال : فقصَّها [(٢٥١٧)] عليه ، فلمَّا ولي عمر أتى الجابية ، وإنَّه ليخطب ، فدعاني ، فأجلسني ، فلمَّا فرغ من الخطبة ، قال : قصَّ عليَّ رؤياك . فقلت له : أأست قد جهتني [(٢٥١٨)] عنها؟ قال : قد خدعتك أيُّها الرَّجل [(٢٥١٩)] .

وجاء في روايةٍ : قال : أو لم تكذب بها؟ قال : لا ، ولكني استحييتُ من أبي بكرٍ ، فقصَّها عليَّ [(٢٥٢٠)] . فلمَّا قصصتها ، قال : أمَّا الخلافة فقد أوتيتُ ما ترى ، وأمَّا ألا أخاف في الله لومة لائم ، فإنِّي أرجو أن يكون قد علم ذلك منِّي ، وأمَّا أن أقتل شهيداً ، فأنت لي بالشَّهادة وأنا في جزيرة العرب [(٢٥٢١)] .

رؤيا أبي موسى الأشعري حول وفاة عمر :

قال أبو موسى الأشعري : رأيت كأني أخذت جواداً كثيراً ، فجعلت تضمحلُّ حتى بقيت واحدةً ، فأخذتها ، فانتهيت إلى جبلٍ زلِقٍ ، فإذا رسول الله (ص) إلى جنبه أبو بكر ، وإذا هو يومئذٍ إلى عمر أن تعال ، فقلت : ألا تكتب بها إلى عمر؟ فقال : ما كنت لأنعمي له نفسه [(٢٥٢٢)] .

٥ . اخر خطبة جمعةٍ لعمر في المدينة :

وقد ذكر عبد الرَّحمن بن عوف . رضي الله عنه . بعض ما قاله عمر في خطبة الجمعة ٢١ ذي الحجَّة ٢٣ هـ ، وهي اخر خطبةٍ له ، وقد ذكرت ما قاله عبد الرَّحمن ابن عوف من الخطبة عند حديثي عن كيفية استخلاف أبي بكرٍ الصِّديق في كتابي : الانشراح ورفع الصِّيق بسيرة أبي بكرٍ الصِّديق ، وقد أخبر عمر نفسه المسلمين عن رؤيا رآها ، وعبرها لهم ، قال في نفس الخطبة : إنِّي رأيت رؤيا ، لا أراها إلا حضور أجلي . رأيت كأنَّ ديكاً نقرني نقرتين !!! وإنَّ قوماً يأمروني أن أستخلف ، وأعين الخليفة من بعدي !!! وإنَّ الله لم يكن ليضيع دينه ، ولا خلافته ، ولا الذي بعث به نبيِّه ، فإن عجل بي أمرٌ ؛ فالخلافة شورى بين هؤلاء السِّتَّة الذين توفي رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ [(٢٥٢٣)] !

٦ . اجتماع عمر مع حذيفة قبل طعنه :

قبل استشهاد الفاروق بأربعة أيَّام أي يوم الأحد ٢٣ ذي الحجَّة قابل الصَّحَّابين : حذيفة بن اليمان ، وسهل بن حنيف . رضي الله عنهما . وكان قد وظَّف حذيفة ليقدرَّ خراج الأرض التي تسقى بماء نهر دجلة ، ووظَّف سهل بن حنيف ليقدرَّ خراج الأرض التي تسقى بماء نهر الفرات ، وقال لهما : كيف فعلتما؟ أخاف أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق ! قالوا : حملناها أمراً هي له مطيقةٌ . فقال

عمر : لئن سلّمني الله ؛ لأدعنّ أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجلٍ بعدي أبداً . ولكنّه طعن في اليوم الرابع من هذه المحاورة بينه وبينهما [(٢٥٢٤)] .

٧ . منع الفاروق للسّبايا من الإقامة في المدينة :

كان عمر . رضي الله عنه . لا يأذن للسّبايا في الأقطار المفتوحة بدخول المدينة المنوّرة ، عاصمة دولة الخلافة ، فكان يمنع مجوس العراق ، وفارس ، ونصارى الشّام ، ومصر من الإقامة في المدينة إلا إذا أسلموا ، ودخلوا في هذا الدّين ، وهذا الموقف يدلُّ على حكمته ، ويُعد نظره ؛ لأنّ هؤلاء القوم المغلوبين المنهزمين حاقدون على الإسلام ، مبغضون له ، مهَيَّوون للتّامر والكيد ضدّ الإسلام والمسلمين ، ولذلك منعهم من الإقامة فيها لدفع الشّرِّ عن المسلمين ، ولكنّ بعض الصّحابة . رضي الله عنهم . كان لهم عبيدٌ ، ورقيقٌ من هؤلاء السّبايا النّصارى ، أو المجوس ، وكان بعضهم يلحُّ على عمر أن يأذن لبعض عبيده ، ورفيقه من هؤلاء

المغلوبين بالإقامة في المدينة ، ليستعين بهم في أموره وأعماله ، فأذن عمر لبعضهم بالإقامة في المدينة ، على كرهٍ منه ، ووقع ما توفّعه عمر ، وما كان حدّره منه [(٢٥٢٥)] .

ثانياً : مقتل عمر وقصّة الشُّورى :

١ . مقتل عمر رضي الله عنه :

قال عمرو بن ميمون : إنّي لقائم [(٢٥٢٦)] ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عبّاس غداة أصيب ، وكان إذا مرّ بين الصّفّين ، قال : استووا ؛ تقدّم ، فكبرّ ، وربّما قرأ سورة يوسف ، أو النّحل ، أو نحو ذلك في الرّكعة الأولى ، حتّى يجتمع النّاس فما هو إلا أن كبرّ ، فسمعتة يقول : قتلي . أو أكلني . الكلب ، حين طعنه ، فطار العليج بسكين ذات طرفين ، لا يمرُّ على أحدٍ يميناً ، ولا شمالاً إلا طعنه ، حتّى طعن ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم سبعة ، فلمّا رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرنساً [(٢٥٢٧)] ، فلمّا ظنّ العليج : أنّه مأخوذٌ نحر نفسه ، وتناول عمر يد عبد الرّحمن بن عوف فقدمه للصّلاة بالنّاس ، فمَن يلي عمر فقد رأى الَّذي أرى ، وأمّا نواحي المسجد فإنّهم لا يدرون ، غير أنّهم قد فقدوا صوت عمر ، وهم يقولون : سبحان الله ، فصلّى بهم عبد الرّحمن صلاةً خفيفةً ، فلمّا انصرفوا ؛ قال عمر : يا بن عبّاس ! انظر من قتلي . فجال ساعةً ، ثمّ جاء ، فقال : غلام المغيرة ، قال : الصّنع [(٢٥٢٨)] ؟ قال : نعم . قال : قاتله الله ! لقد أمرت به معروفاً ، الحمد لله الَّذي لم يجعل منيّتي بيد رجلٍ يدّعي الإسلام ، قد كنت أنت ، وأبوك . يريد العبّاس ، وابنه عبد الله . تحبّبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان

العبّاس أكثرهم رقيقاً ، فقال عبد الله : إن شئت فعلت ، أي : إن شئت قَتَلنا . قال : كذبت . أي : أخطأت . بعدما تكلموا بلسانكم ، وصلّوا قبلتكم ، وحجّوا حجّكم . فاحتُمِل إلى بيته ، فانطلقنا معه ، وكانَّ النَّاس لم تصبهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ ، فأتي بنبيذٍ [(٢٥٢٩)] فشربه ، فخرج من جوفه ، ثمَّ أتى بلبنٍ ، فشربه فخرج من جُرْحِه ، فعلموا : أنَّه ميّتٌ ، فدخلنا عليه ، وجاء النَّاس ، فجعلوا يثنون عليه . وقال : يا عبد الله بن عمر ! انظر ما عليّ من الدَّين ، فحسبوه ؛ فوجدوه سِتَّةً وثمانين ألفاً ، أو نحوه ، قال : إنَّ وقيّ له مال ال عمر ؛ فأدّه من أموالهم ، وإلاّ فسل في بني عدي بن كعب ، فإنَّ لم تفرِّ أموالهم ، فسل في قريش ، ولا تعدّهم إلى غيرهم ، فأدّ عيّي هذا المال ، وانطلق إلى عائشة أمِّ المؤمنين فقل : يقرأ عليك عمر السَّلَام ، ولا تقل أمير المؤمنين ،

فإيَّي لستُ اليوم للمؤمنين أميراً ، وقل : يستأذن عمر بن الخطَّاب أن يبقَى مع صاحبيه . . فسلمَّ عبد الله بن عمر ، واستأذن ثمَّ دخل عليها ، فوجدها قاعدةً تبكي ، فقال : يقرأ عليك عمر بن الخطَّاب السَّلَام ، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده نفسي ، ولأوثرته به اليوم على نفسي ! فلما أقبل ، قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء ، قال : ارفعوني ، فأسنده رجلٌ إليه ، فقال : ما لديك ؟ قال : الَّذي تحبُّ يا أمير المؤمنين ! أذنت ، قال : الحمد لله ، ما كان من شيءٍ أهمَّ إليّ من ذلك . . فإذا أنا قضيت فاحملي ، ثمَّ سلِّم ، فقل : يستأذن عمر بن الخطَّاب ، فإنَّ أذنت لي ، فأدخلوني ، وإن رَدَّتني ؛ رُدُّوني إلى مقابر المسلمين ، قال : فلما قبض ؛ خرجنا به ، فانطلقنا نمشي ، فسلمَّ عبد الله بن عمر ، قال : يستأذن عمر بن الخطَّاب ، قالت عائشة : أدخلوه ، فأدخل ، فوضع هنالك مع صاحبيه [(٢٥٣٠)] .

وجاءت رواياتٌ أخرى فصلّت بعض الأحداث الَّتِي لم تذكرها رواية عمرو بن ميمون . قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنَّ عمر - رضي الله عنه - طعن في السَّحر ، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وكان مجوسياً [(٢٥٣١)] .

وقال أبو رافع - رضي الله عنه - : كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة بن شعبة ، وكان يصنع الأرحاء [(٢٥٣٢)] ، وكان المغيرة يستغله كلَّ يومٍ أربعة دراهم ، فلقي أبو لؤلؤة عمر ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنَّ المغيرة قد أثقل عليّ غلتي ، فكلمه أن يخفِّف عني ! فقال عمر : اتَّقِ الله ، وأحسنْ إلى مولاك ، ومن نيّة عمر أن يلقى المغيرة ، فيكلمه يخفِّف عنه ، فغضب العبد ، وقال : وسع كلُّهم عدله غيري ؟ ! فأضمر على قتله ، فاصطنع خنجراً له رأسان ، وشحذه ، وسَمّه ، ثمَّ أتى به الهرمزان ، فقال : كيف ترى هذا ؟ قال

: أرى أنك لا تضرب به أحداً إلا قتلته . قال : فتحين أبو لؤلؤة عمر ، فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر ، وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يتكلم يقول : أقيموا صفوفكم ، فقال كما كان يقول : فلما كبر ؛ وجأه [(٢٥٣٣)] أبو لؤلؤة وجأه في كتفه ، ووجأه في خاصرته ، فسقط عمر [(٢٥٣٤)] ، قال عمرو بن ميمون . رحمه الله .: سمعته لما طعن يقول : { وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا * } [الأحزاب: ٣٨] .

٢ . ابتكاره طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده :

استمرَّ اهتمام الفاروق عمر . رضي الله عنه . بوحدة الأمة ، ومستقبلها ، حتى اللحظات الأخيرة من حياته ، رغم ما كان يعانيه من الام جراحاته البالغة ، وهي بلا شك لحظات خالدة ، تجلّى فيها إيمان الفاروق العميق ، وإخلاصه ، وإيثاره [(٢٥٣٥)] ، وقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد ، وكانت دليلاً ملموساً ، ومعلماً واضحاً على فقهه في سياسة الدولة الإسلامية ، لقد مضى قبله الرسول (ص) ، ولم يستخلف بعده أحداً بنص صريح .

ولقد مضى أبو بكر الصديق واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة ، ولما طُلب من الفاروق أن يستخلف ، وهو على فراش الموت ؛ فكّر في الأمر ملياً ، وقرّر أن يسلك مسلكاً اخر يتناسب مع المقام ؛ فرسول الله (ص) ترك الناس ، وكلهم مقرّ بأفضليّة أبي بكر ، وأسبقيتهم عليهم ، فاحتمال الخلاف كان نادراً ، وخصوصاً : أنّ النبيّ (ص) وجّه الأمة قولاً ، وفعلاً إلى أنّ أبا بكرٍ أولى بالأمر من بعده ، والصديق لما استخلف عمر كان يعلم أنّ عند الصحابة أجمعين قناعة بأنّ عمر أقوى ، وأفضل من يحمل المسؤولية بعده ، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة ، ولم يخالف رأيه أحدٌ منهم ، وحصل الإجماع على بيعة عمر [(٢٥٣٦)] .

وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد فتعتمد على جعل الشورى في عددٍ محصورٍ ، فقد حصر ستّة من صحابة رسول الله (ص) ، كلُّهم بدرئون ، وكلُّهم توفيّ رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ ، وكلُّهم يصلحون لتويّ الأمر ، ولو أنّهم يتفاوتون ، وحدّد لهم طريقة الانتخاب ، ومدّته ، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة ، وحدّد الحكم في المجلس ، والمرجّح إن تعادلت الأصوات ، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس ، وعقاب من يخالف أمر الجماعة ، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحدٍ أن يدخل ، أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحلّ ، والعقد [(٢٥٣٧)] .

وهذا بيانٌ ما أجمل في الفقرات السابقة :

أ . العدد الذي حدده للشورى ، وأسمائهم :

أمّا العدد ؛ فهو ستّة ، وهم : عليّ بن أبي طالب ، وعثمان بن عفّان ، وعبد الرّحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص ، والزّبير بن العوّام ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً . وترك سعيد بن زيد بن نفييل ، وهو من العشرة المبشّرين بالجنّة ؛ لأنّه من قبيلته بني عدّيّ [(٢٥٣٨)] .

ب . طريقة انتخاب الخليفة :

أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ، ويتشاوروا ، وفيهم عبد الله بن عمر ، يحضرهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء، ويصلّي بالنّاس أثناء التّشاور صهيب الرّومي، وأمر المقداد بن الأسود، وأبا طلحة الأنصاري أن يرقبا سير الانتخابات [(٢٥٣٩)] .

ج . مدّة الانتخابات ، أو المشاورة :

حدّدها الفاروق . رضي الله عنه . بثلاثة أيّام وهي فترة كافية ، وإن زادوا عليها ؛ فمعنى ذلك : أنّ شقّة الخلاف ستّسع ، ولذلك قال لهم : لا يأتي اليوم الرّابع إلا وعليكم أميرٌ [(٢٥٤٠)] .

د . عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة :

لقد أمرهم بالاجتماع ، والتّشاور وحدّد لهم : أنّه إذا اجتمع خمسة منهم على رجلٍ ، وأبى أحدهم ؛ فليضرب رأسه بالسّيف ، وإن اجتمع أربعة ، فرضوا رجلاً منهم ، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما [(٢٥٤١)] .

وهذه من الرّوايات التي لا تصحّ سنداً فهي من الغرائب التي ساقها أبو مخنف مخالفاً فيها النّصوص الصّحيحة ، وما عرف من سير الصّحابة . رضي الله عنهم . فما ذكره أبو مخنف من قول عمر لصهيب : وقم على رؤوسهم . أي : أهل الشورى . فإن اجتمع خمسة ، ورضوا رجلاً ، وأبى واحد ؛ فاشدخ رأسه بالسّيف ، وإن اتّفق أربعة ، فرضوا رجلاً منهم ، وأبى اثنان ؛ فاضرب رؤوسهما [(٢٥٤٢)] : فهذا قولٌ منكّرٌ ، وكيف يقول عمر . رضي الله عنه . هذا وهو يعلم أنّهم هم الصّفوة من أصحاب رسول الله (ص) ، وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم ، وقدرهم [(٢٥٤٣)] .

وقد ورد عن ابن سعدٍ : أنّ عمر قال للأَنْصار : أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيّام فإن استقاموا ؛ وإلا فادخلوا عليهم ، فاضربوا أعناقهم [(٢٥٤٤)] ، وهذه الرّواية منقطعة ، وفي إسنادها (سماك بن حرب) وهو ضعيفٌ ، وقد تغيّر باخرة [(٢٥٤٥)] .

والصَّحِيح فِي هَذَا مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ بِإِسْنَادٍ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ : أَنَّ عُمَرَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ لَصْهَبٍ : صَلَّى بِالنَّاسِ ثَلَاثًا ، وَلِيَخْلُ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ فِي بَيْتٍ ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ فَمَنْ خَالَفَهُمْ فَاضْرِبُوا رَأْسَهُ [(٢٥٤٦)] .

فَعُمَرَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . أَمَرَ بِقَتْلِ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَخَالَفَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ ، وَيَشْتَقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ ، وَيَفْرِقَ بَيْنَهُمْ ، عَمَلًا بِقَوْلِهِ (ص) : « مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرَكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، يَرِيدُ أَنْ يَشْتَقَّ عَصَاكُمْ ، أَوْ يَفْرِقَ جَمَاعَتَكُمْ ، فَاقْتُلُوهُ » [(٢٥٤٧)] .

هَذَا الْحُكْمُ فِي حَالِ الْاِخْتِلَافِ :

لَقَدْ أَوْصَى عُمَرَ بِأَنْ يُحْضَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَعَهُمْ فِي الْمَجْلِسِ ، وَأَنْ لَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ، وَلَكِنْ قَالَ لَهُمْ : فَإِنْ رَضِيَ ثَلَاثَةٌ رِجَالًا مِنْهُمْ ، وَثَلَاثَةٌ رِجَالًا مِنْهُمْ ؛ فَحَكِّمُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ حَكَمَ لَهُ ؛ فَلِيخْتَارُوا رِجَالًا مِنْهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَرْضُوا بِحُكْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ، وَوَصَفَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَنَّهُ مَسَدَّدٌ رَشِيدٌ ، فَقَالَ عَنْهُ . وَنَعَمْ ذُو الرَّأْيِ . : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ مَسَدَّدٌ رَشِيدٌ ، لَهُ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ، فَاسْمَعُوا مِنْهُ [(٢٥٤٨)] !

و . جَمَاعَةٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ تَرَاقِبُ الْاِتِّخَابَاتِ ، وَتَمْنَعُ الْفَوْضَى :

طَلَبَ عُمَرَ أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا طَلْحَةَ ! إِنَّ اللَّهَ . عَزَّ ، وَجَلَّ . أَعَزَّ الْإِسْلَامَ بِكُمْ ، فَاخْتَرِ خَمْسِينَ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَاسْتَحِثَّ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ حَتَّى يَخْتَارُوا رِجَالًا مِنْهُمْ [(٢٥٤٩)] . وَقَالَ لِلْمَقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ : إِذَا وَضَعْتُمُونِي فِي حَفْرَتِي ، فَاجْمَعْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ فِي بَيْتٍ حَتَّى يَخْتَارُوا رِجَالًا مِنْهُمْ [(٢٥٥٠)] .

هَكَذَا خَتَمَ حَيَاتِهِ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَلَمْ يَشْغَلْهُ مَا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ ، وَلَا سَكَرَاتُ الْمَوْتِ عَنْ تَدْبِيرِ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَرَسَى نِظَامًا صَالِحًا لِلشُّورَى لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَشْكُ أَنْ أَصَلَ الشُّورَى مُقَرَّرٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ ، وَقَدْ عَمِلَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ (ص) ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَلَمْ يَكُنْ عُمَرَ مُبْتَدِعًا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَصْلِ ، وَلَكِنَّ الَّذِي عَمَلَهُ عُمَرَ هُوَ تَعْيِينُ الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَخْتَارُ بِهَا الْخَلِيفَةُ ، وَحَصْرُ عَدَدٍ مُعَيَّنٍ جَعَلَهَا فِيهِمْ ، وَهَذَا لَمْ يَفْعَلْهُ الرَّسُولُ (ص) وَلَا الصِّدِّيقُ . رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ . بَلْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عُمَرَ ، وَنَعَمْ مَا فَعَلَ ! فَقَدْ كَانَتْ أَفْضَلُ الطَّرِيقِ الْمُنَاسِبَةِ لِحَالِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ [(٢٥٥١)] .

ثَالِثًا . وَصِيَّةُ عُمَرَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . لِلْخَلِيفَةِ الَّذِي بَعْدَهُ :

أوصى الفاروق عمر . رضي الله عنه . الخليفة الذي سيخلفه في قيادة الأمة بوصية مهمة ، قال فيها :
أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وأوصيك بالمهاجرين الأوّلين خيراً ؛ أن تعرف لهم سابقتهم ،
وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ،
فإنهم رءء العدو ، وجباة الفياء ، لا تحمل منهم إلا عن فضلٍ منهم ، وأوصيك بأهل البادية خيراً ،
فإنهم أصل العرب ، ومادّة الإسلام ، وأن يؤخذ من حواشي أموالهم فيردّ على فقرائهم ، وأوصيك بأهل
الديمة خيراً ، أن تقاتل من وراءهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن
يدٍ وهم صاغرون ، وأوصيك بتقوى الله ، والحذر منه ، ومخافة مقتته أن يطلع منك على ربيّة ، وأوصيك
أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله ، وأوصيك بالعدل في الرعيّة ، والتفرغ لحوائجهم
وثغورك ، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم ، فإنّ في ذلك بإذن الله سلامة قلبك ، وخطأ لوزرك ، وخيراً في
عاقبة أمرك حتّى تفضي في ذلك إلى من يعرف سريرتك ، ويجول بينك وبين قلبك ، وامرك أن تشتدّ في
أمر الله ، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس ، وبعيدهم ، ثمّ لا تأخذك في أحد الرأفة ، حتّى
تنتهك منه مثل جرمه ، واجعل الناس عندك سواءً ، لا تبال على من وجب الحقّ ، ولا تأخذك في الله
لومة لائم .

وإيّاك والمحاباة فيما ولاك الله ممّا أفاء على المؤمنين ، فتجور ، وتظلم ، وتحرك نفسك من ذلك ما قد
وسعه الله عليك ، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والاخرة ، فإن اقترفت لدنياك عدلاً ، وعقّة عمّا
بسط لك ؛ اقترفت به إيماناً ، ورضواناً ، وإن غلبك الهوى ؛ اقترفت به غضب الله ، وأوصيك ألا
ترخص لنفسك ، ولا لغيرك في ظلم أهل الديمة ، وقد أوصيتك ، وخصصتك ، ونصحتك فابتغ بذلك
وجه الله ، والدّار الاخرة ، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي ، وولدي ، فإن عملت
بالذي وعظمتك ، وانتهيت إلى الذي أمرتك ؛ أخذت منه نصيباً وافراً ، وخطأً وافياً ، وإن لم تقبل ذلك
، ولم يهّمك ، ولم تترك معاظم الأمور عند الذي يرضى به الله عنك ؛ يكن ذلك انتقاصاً ، ورأيك فيه
مدخولاً ؛ لأنّ الأهواء مشتركة ، ورأس الخطيئة إبليس داعٍ إلى كلّ مهلكة ، وقد أضلّ القرون السالفة
قبلك ، فأوردتهم النار ، وبئس الورد المورود ! وبئس الثمن أن يكون حظّ امرئٍ موالاةً لعدوّ الله ،
الدّاعي إلى معاصيه .

ثمّ اركب الحقّ ، وحضّ إليه الغمرات ، وكن واعظاً لنفسك ، وأناشدك الله إلا ترخمت

على جماعة المسلمين ، وأجلت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقرت عالمهم ، ولا تضرهم ؛ فيدُلُّوا ، ولا تستأثر عليهم بالفيء ، فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلِّها ، فتفقرهم ، ولا تجرهم في البعوث ، فينقطع نسلهم ، ولا يجعل المال دُولة بين الأغنياء منهم ، ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قوتهم ضعيفهم ، هذه وصيِّي إليك ، وأشهد الله عليك ، وأقرأ عليك السَّلام [(٢٥٥٢)] .

هذه الوصيَّة تدلُّ على بعد نظر عمر في مسائل الحكم ، والإدارة ، وتفصح عن نهج ونظام حكم ، وإدارة متكاملٍ [(٢٥٥٣)] ، فقد تضمَّنت الوصيَّة أموراً غايةً في الأهميَّة ، فحقُّ أن تكون وثيقةً نفيسةً ؛ لما احتوته من قواعد ، ومبادئ أساسيةً للحكم متكاملة الجوانب الدنيَّة ، والسياسيَّة ، والعسكريَّة ، والاقتصاديَّة ، والاجتماعيَّة ، يأتي في مقدِّمتها :

١ . النَّاحِيَةُ الدِّينِيَّةُ : وتضمَّنت :

أ . الوصيَّة بالحرص الشَّديد على تقوى الله ، والخشية منه في السِّرِّ والعلن ، في القول والعمل ؛ لأنَّ من اتَّقَى الله ؛ وقاه ، ومن خشيه ؛ صانه ، وحماه (أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له) (وأوصيك بتقوى الله والحذر منه . . وأوصيك أن تحشى الله) .

ب . إقامة حدود الله على القريب ، والبعيد (لا تبال على من وجب الحقُّ) (ولا تأخذك في الله لومة لائم) لأنَّ حدود الله نصَّت عليها الشَّرِيعَةُ فهي من الدِّين ، ولأنَّ الشَّرِيعَةَ حجَّةٌ على النَّاسِ ، وأعمالهم وأفعالهم تقاس بمقتضاها ، وأنَّ التَّغافل عنها إفسادٌ للدِّين ، والمجتمع .

ج . الاستقامة { وَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ } [الشُّورى : ٤٢] وهي من الضَّرورات الدِّينيَّة ، والدُّنيويَّة التي يجب على الحاكم التَّحلِّي بها قولاً ، وعملاً أولاً ، ثمَّ الرِّعيَّة (كن واعظاً لنفسك) (وابتغ بذلك وجه الله والدَّار الآخرة) .

٢ . النَّاحِيَةُ السِّيَاسِيَّةُ : وتضمَّنت :

أ . الالتزام بالعدل ؛ لأنَّه أساس الحكم ، وإنَّ إقامته بين الرِّعيَّة تُحقِّق للحكم قوَّةً ، وهيبَةً ، ومتانةً سياسيَّةً ، واجتماعيَّةً ، وتزيد من هيبه ، واحترام الحاكم في نفوس النَّاسِ (وأوصيك بالعدل) (واجعل النَّاسَ عندك سواء) .

ب . العناية بالمسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار لسابقتهم في الإسلام ، ولأنَّ

العقيدة ، وما أفرزته من نظامٍ سياسيٍّ قام على أكتافهم ، فهم أهله ، وحملته ، وحماته (وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً ، أن تعرف لهم سابقتهم ، وأوصيك بالأنصار خيراً ، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن سيئهم) .

٣ . الناحية العسكرية : وتضمّنت :

أ . الاهتمام بالجيش ، وإعداده إعداداً يتناسب وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه لضمان أمن الدولة ، وسلامتها ، والعناية بسدِّ حاجات المقاتلين (التفرُّغ لحوائجهم ، وثورهم) .

ب . تجنُّب إبقاء المقاتلين لمُدَّةٍ طويلةٍ في الثُّغور بعيداً عن عوائلهم ، وتلافياً لما قد يسبِّب ذلك من مللٍ ، وقلقٍ ، وهبوطٍ في المعنويَّات ، فمن الضَّروري منحهم إجازاتٍ معلومةً في أوقاتٍ معلومةٍ ، يستريحون فيها ، ويجددون نشاطهم خلالها من جهةٍ ، ويعودون إلى عوائلهم لكي لا ينقطع نسلهم من جهةٍ ثانيةٍ (ولا تجرِّهم في الثُّغور ، فينقطع نسلهم) (وأوصيك بأهل الأمصار خيراً ، فإنَّهم درء العدوِّ) .

ج . إعطاء كلِّ مقاتلٍ ما يستحقُّه من فيءٍ ، وعطاءٍ ، وذلك لضمان مورِدٍ ثابتٍ له ، ولعائلته يدفعه إلى الجهاد ، ويصرف عنه التَّفكير في شؤونه الماليَّة (ولا تستأثر عليهم بالفِيء ؛ فتغضبهم ، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلِّها ؛ فتفقرهم) .

٤ . الناحية الاقتصادية والماليَّة : وتضمّنت :

أ . العناية بتوزيع الأموال بين النَّاس بالعدل ، والقسطاس المستقيم ، وتلافي كل ما من شأنه تجميع الأموال عند طبقةٍ منهم دون أخرى (ولا تجعل الأموال دُولَةً بين الأغنياء منهم) .

ب . عدم تكليف أهل الدِّمَّة فوق طاقتهم ؛ إن هم أدَّوا ما عليهم من التزاماتٍ ماليَّةٍ للدولة (ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدَّوا ما عليهم للمؤمنين) .

ج . ضمان الحقوق الماليَّة للنَّاس ، وعدم التَّفريط بها ، وتجنُّب فرض ما لا طاقة لهم به (ولا تحمل منهم إلا عن فضلٍ منهم) (أن يؤخذ من حواشي أموالهم فيُرَدَّ على فقرائهم] (٢٥٥٤)) .

٥ . الناحية الاجتماعيَّة : وتضمّنت :

أ . الاهتمام بالرَّعيَّة ، والعمل على تفقُّد أمورهم ، وسدِّ احتياجاتهم ، وإعطائهم حقوقهم من فيءٍ وعطاءٍ (ولا تحرمهم عطاياهم عند محلِّها) .

ب . اجتناب الأثرة ، والمحاباة ، وإتباع الهوى ، لما فيها من مخاطر تقود إلى انحراف

الرَّاعِي ، وتؤدي إلى فساد المجتمع ، واضطراب علاقاته الإنسانية (وإيّاك والأثرة ، والمحاباة فيما ولأك الله) (ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم) .

ج . احترام الرعيّة ، وتوقيرها ، والتواضع لها ، صغيرها ، وكبيرها ؛ لما في ذلك من سموّ في العلاقات الاجتماعية ، تؤدي إلى زيادة تلاحم الرعيّة بقائدها ، وحبّها له (وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين ، وأجللت كبيرهم ، ورحمت صغيرهم ، ووقّرت عالمهم) .

د . الانفتاح على الرعيّة ، وذلك بسماع شكواهم ، وإنصاف بعضهم من بعض ، وبعكسه تضطرب العلاقات بينهم ، ويعمُّ الارتباك في المجتمع (ولا تغلق بابك دونهم ، فيأكل قوئهم ضعيفهم) .

هـ . اتّباع الحقّ ، والحرص على تحقيقه في المجتمع ، وفي كلّ الظروف والأحوال، لكونه ضرورةً اجتماعيّةً لا بدّ من تحقيقها بين النّاس، (ثمّ اركب الحقّ، وحضّ إليه الغمرات) (واجعل النّاس عندك سواءً، لا تبال على من وجب الحقّ) .

و . اجتناب الظلم بكلّ صوره ، وأشكاله خاصّةً مع أهل الدّمة ؛ لأنّ العدل مطلوبٌ إقامته بين جميع رعايا الدّولة مسلمين ، وذمّيين ، لينعم الجميع بعدل الإسلام (وأوصيك ألا ترخص لنفسك ، ولا لغيرك في ظلم أهل الدّمة) .

ز . الاهتمام بأهل البادية ، ورعايتهم والعناية بهم (وأوصيك بأهل البادية خيراً فإنّهم أصل العرب ، ومادّة الإسلام) ([٢٥٥٥]) .

ح . وكان من ضمن وصيّة عمر لمن بعده : ألا يقرّ لي عاملٌ أكثر من سنة ، وأقرّوا الأشعريّ أربع سنين [٢٥٥٦] .

رابعاً : اللّحظات الأخيرة :

هذا ابن عبّاسٍ . رضي الله عنه . يصف لنا اللّحظات الأخيرة في حياة الفاروق ، حيث يقول : دخلت على عمر حين طعن ، فقلت : أبشر بالجنة يا أمير المؤمنين ! أسلمت حين كفر النّاس ، وجاهدت مع رسول الله (ص) حين خذله النّاس ، وقبض رسول الله (ص) وهو عنك راضٍ ، ولم يختلف في خلافتك اثنان ، وقتلت شهيداً . فقال عمر : أعد عليّ . فأعدت عليه ، فقال :

والله الَّذي لا إله إلا هو ! لو أنّ لي ما في الأرض من صفراء ، وبيضاء ؛ لافتديت به من هول المطلع [٢٥٥٧] .

وجاء في رواية البخاريّ ، أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله (ص) ورضاه ؛ فإنّ ذلك من الله . جلّ ذكره . منّ به عليّ ، وأمّا ما ترى من جزعي ؛ فهو من أجلك ، وأجل أصحابك ، والله ! لو أنّ طلاع الأرض ذهباً ؛ لافتديت به من عذاب الله . عزّ ، وجلّ . قبل أن أراه [(٢٥٥٨)] .

لقد كان عمر . رضي الله عنه . يخاف هذا الخوف العظيم من عذاب الله تعالى مع أنّ النبيّ (ص) شهد له بالجنّة ، ومع ما كان يبذل من جهدٍ كبيرٍ في إقامة حكم الله ، والعدل ، والرّهد ، والجهاد ، وغير ذلك من الأعمال الصّالحة ، وإنّ في هذا درساً بليغاً للمسلمين عامّةً في تدكّر عذاب الله الشّديد ، وأهوال يوم القيامة [(٢٥٥٩)] .

وهذا عثمان . رضي الله عنه . يحدّثنا عن اللّحظات الأخيرة في حياة الفاروق ، فيقول : أنا اخركم عهداً بعمر ، دخلت عليه ، ورأسه في حجر ابنه عبد الله بن عمر ، فقال له : ضع خدي بالأرض ، قال : فهل فخذني والأرض إلا سواء ؟ قال : ضع : خدي بالأرض لا أمّ لك ! . في الثّانية ، أو في الثّالثة . ثمّ شبّك بين رجليه ، فسمعته يقول : ويلي ، وويل أمّي إن لم يغفر الله لي ! حتّى فاضت [(٢٥٦٠)] روحه .

فهذا مثلٌ ممّا كان يتّصف به أمير المؤمنين عمر . رضي الله عنه . من خشية الله تعالى ، حتّى كان اخر كلامه الدّعاء على نفسه بالويل ؛ إن لم يغفر الله جلّ ، وعلا له ، مع أنّه أحد العشرة المبشّرين بالجنّة ، ولكن منّ كان بالله أعرف ؛ كان من الله أخوف ، وإصراره على أن يضع ابنه خده على الأرض من باب إذلال النّفس في سبيل تعظيم الله . عزّ ، وجلّ . ليكون ذلك أقرب لاستجابة دعائه ، وهذه صورةٌ تبين لنا قوّة حضور قلبه مع الله جلّ ، وعلا [(٢٥٦١)] .

١ . تاريخ موته ، ومبلغ سنّه :

قال الدّهبي : استشهد يوم الأربعاء لأربعٍ أو ثلاثٍ بقين من ذي الحجّة ، سنة ثلاثٍ وعشرين من الهجرة ، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنةً على الصّحيح [(٢٥٦٢)] ، وكانت خلافته عشر سنين ، ونصفاً وأياماً [(٢٥٦٣)] ، وجاء في تاريخ أبي زرعة عن جرير البجلي ، قال : كنت عند معاوية ، فقال : توفّي رسول الله (ص) وهو ابن ثلاثٍ وستين ، وتوفّي أبو بكر . رضي الله عنه . وهو ابن ثلاثٍ وستين ، وقتل عمر . رضي الله عنه . وهو ابن ثلاثٍ وستين [(٢٥٦٤)] .

٢ . غسله ، والصّلاه عليه ، ودفنه :

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنه - أنه غُسِّلَ ، وَكُفِّنَ ، وَصَلِّيَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ شَهِيداً [(٢٥٦٥)] . وقد اختلف العلماء فيمن قتل مظلوماً : هل هو كالشَّهِيد لا يَغْسَلُ ، أم لا ؟ على قولين : أحدهما : أنه يَغْسَلُ ، وهذا حِجَّةٌ لأصحاب هذا القول [(٢٥٦٦)] .

والثَّانِي : لا يُغْسَلُ ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ . والجواب من قِصَّةِ عمر : أنَّ عمر عاش بعد أن ضُرب وأقام مدَّةً ، والشَّهِيد - حتَّى شهيد المعركة - لو عاش بعد أن ضرب حتَّى أكل ، وشرب ، أو طال مقامه ؛ فَإِنَّهُ يُغْسَلُ ، وَيُصَلَّى عَلَيْهِ ، وعمر طال مقامه حتَّى شرب الماء ، وما أعطاه الطَّيِّبُ ، فلهذا غُسِّلَ ، وَصَلِّيَ عَلَيْهِ ، رضي الله عنه [(٢٥٦٧)] .

٣ . مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ؟

قال الدَّهْبِيُّ : صَلَّى عَلَيْهِ صَهِيبُ بْنُ سَنَانَ [(٢٥٦٨)] . وقال ابن سعد : وسأل عليُّ بن الحسين سعيد بن المسيب : من صَلَّى على عمر ؟ قال : صَهِيبُ ، قال : كم كَبَّرَ عَلَيْهِ ؟ قال : أربعاً ، وقال : أين صَلَّى عَلَيْهِ ؟ قال : بين القبر ، والمنبر [(٢٥٦٩)] .

وقال ابن المسيب : نظر المسلمون فإذا صَهِيبٌ يُصَلِّي لَهُمُ الْمَكْتُوبَاتُ بِأَمْرِ عُمَرَ . رضي الله عنه . فَقَدَّمُوهُ ، فَصَلَّى عَلَى عُمَرَ [(٢٥٧٠)] ، ولم يقدِّم عمر - رضي الله عنه - أحداً من السِّتَّةِ المرشَّحين للخِلافةِ حتَّى لا يظنَّ تقديمه للصَّلَاةِ ترشيحاً له من عمر ، كما أنَّ صَهِيباً كانت له مكاتته الكبيرة عند عمر ، والصَّحَابَةُ رضي الله عنهم ، وقد قال في حِقِّهِ الْفَارُوقُ : نعم العبد صَهِيبٌ ، لو لم يخف الله ؛ لم يعصه [(٢٥٧١)] .

٤ . دفنه رضي الله عنه :

قال الدَّهْبِيُّ : دُفِنَ فِي الْحِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ [(٢٥٧٢)] . وذكر ابن الجوزي عن جابرٍ قال : نزل في قبر عمر عثمان ، وسعيدُ بن زيدٍ ، وصَهِيبٌ ، وعبد الله بن عمر [(٢٥٧٣)] . وعن هشام بن عروة ، قال : لما سقط عنهم - يعني : قبر النَّبِيِّ (ص) وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما - في زمن الوليد بن عبد الملك [(٢٥٧٤)] أخذوا في بنائه ، فبدت لهم قدمٌ ، ففزعوا ، وظنُّوا : أنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ (ص) فما وجدوا أحداً يعلم ذلك ، حتَّى قال لهم عروة : لا والله ما هي قدم النَّبِيِّ (ص) ! ما هي إلا قدم عمر - رضي الله عنه [(٢٥٧٥)] . وقد مرَّ معنا : أنَّ عمر أرسل إلى عائشة - رضي الله عنهما - ائذني لي أن أدفن مع صاحبي ، فقالت : (أي والله !) وقال هشام بن عروة بن الزُّبَيْرِ : وكان الرَّجُلُ إِذَا أُرْسِلَ إِلَيْهَا - أي : عائشة - من الصَّحَابَةِ ؛ قالت : لا والله لا أوترهم بأحدٍ أبداً [(٢٥٧٦)] .

ولا خلاف بين أهل العلم : أَنَّ النَّبِيَّ (ص) ، وأبا بكرٍ وعمر . رضي الله عنهما . في هذا المكان من المسجد النبويِّ على صاحبه أفضل الصَّلَاة والسَّلَام [(٢٥٧٧)] .

٥ . ما قاله عليُّ بن أبي طالبٍ . رضي الله عنه . في الفاروق :

قال ابن عَبَّاسٍ : وُضِعَ عمر على سريره ، فتكَنَّفَهُ النَّاسُ يدعون ، ويصلُّون قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجلًا اخذُ منكبي ، فإذا عليُّ بن أبي طالبٍ ، فترحَّم على عمر ، وقال : ما خَلَفْتُ أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وأيم الله ! إن كنت لأظنُّ أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وحسبت أتيُّ كنت كثيرًا أسمع النَّبِيَّ (ص) يقول : « ذهبنا أنا ، وأبو بكرٍ ، وعمر ، ودخلت أنا ، وأبو بكرٍ ، وعمر ، وخرجت أنا ، وأبو بكرٍ ، وعمر » [(٢٥٧٨)] .

٦ . أثر مقتله على المسلمين :

كان هول الفاجعة عظيمًا على المسلمين ، فلم تكن الحادثة بعد مرضٍ ألمَّ بعمر ، كما كان يزيد من هولها كونها في المسجد ، وعمر يؤمُّ النَّاسَ لصلاة الصُّبح . ومعرفة حال المسلمين بعد وقوع الحدث يطلعنا على أثر الحادث في نفوسهم ، يقول عمرو بن ميمون : . . . وكأَنَّ النَّاسَ لم تصبهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ . ويذهب ابن عَبَّاسٍ ليستطلع الخبر بعد مقتل عمر ليقول له : إِنَّهُ ما مرَّ بمثلٍ إلا وهم يبكون ، وكأَنَّهم فقدوا أباكراً أولادهم [(٢٥٧٩)] .

لقد كان عمر . رضي الله عنه . معلماً من معالم الهدى ، وفارقاً بين الحقِّ والباطل ، فكان من الطَّيِّبِ أن يتأثر النَّاسُ لفقده [(٢٥٨٠)] ، وهذا الأثر يوضِّح شدَّة تأثر النَّاسِ عليه ، فعن الأحنف بن قيس : قال : فلمَّا طعن عمر أمر صُهيبياً أن يصلِّي بالنَّاسِ ، ويطعمهم ثلاثة أيَّامٍ حتَّى يجتمعوا على رجلٍ ، فلمَّا وضعت الموائد كفَّ النَّاسُ عن الطَّعام ، فقال العبَّاسُ : يا أيُّها النَّاسُ ! إنَّ رسولَ الله (ص) قد مات ، فأكلنا بعده ، وشربنا ، ومات أبو بكرٍ . رضي الله عنه . فأكلنا ، وإنَّه لا بدَّ للنَّاسِ من الأكل ، والشُّرب ، فمدَّ يده ، فأكل النَّاسُ [(٢٥٨١)] .

وكان عبد الله بن مسعود . رضي الله عنه . عندما يُذكر له عمر ؛ يبكي حتَّى تبتلَّ الحصى من دموعه ، ثمَّ يقول : إنَّ عمر كان حصناً للإسلام ، يدخلون فيه ، ولا يخرجون منه ، فلمَّا مات انثلم الحصن ، فالنَّاسُ يخرجون من الإسلام [(٢٥٨٢)] .

وأما أبو عبيدة بن الجراح ، فقد كان يقول قبل أن يُقتل عمر : إن مات عمر ؛ رِقَّ الإسلام ، ما أحبُّ أن لي ما تطلع عليه الشَّمس ، أو تغرب وأن أبقى بعد عمر ، فقيل له : لم ؟ قال : سترون ما أقول إن

بقيتم ، وأما هو فإن وُلِّيَ وإلِ بعدُ ، فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به ؛ لم يطع له النَّاسُ بذلك ، ولم يحملوه ، وإن ضعف عنهم ؛ قتلوه [(٢٥٨٣)] .

خامساً : أهمُّ الفوائد ، والدُّروس ، والعِبَر :

١ . التَّنبيه على الحقد الَّذي انطوت عليه قلوب الكافرين ضدَّ المؤمنين :

ويدلُّ على ذلك قتل المجوسي أبي لؤلؤة لعمر . رضي الله عنه . وتلك هي طبيعة الكفَّار في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، قلوبٌ لا تضرُّ للمسلمين إلا الحقد ، والحسد ، والبغضاء ، ونفوسٌ لا تكتفُ للمؤمنين إلا الشَّرَّ ، والهلاك ، والتلف ، ولا يتمنَّون شيئاً أكثر من ردَّة المسلمين عن دينهم ، وكفرهم بعد إسلامهم [(٢٥٨٤)] ، وإنَّ الَّذي ينظر جيِّداً في قصَّة مقتل عمر . رضي الله عنه . وما فعله المجوسيُّ الحاقِد أبو لؤلؤة ؛ يستنبط منها أمرين مهمَّين ، يكشفان الحقد الَّذي أضمره هذا الكافر في قلبه تجاه عمر ، وتجاه المسلمين ، وهما :

أ . أنَّه قد ثبت في الطَّبقات الكبرى لابن سعدٍ بسندٍ صحيحٍ إلى الزُّهري [(٢٥٨٥)] : أنَّ عمر . رضي الله عنه . قال لهذا المجوسيِّ ذات يومٍ : ألم أحدث أنَّك تقول : لو أشاء لصنعت رحىً تطحن بالريح ، فالتفت إليه المجوسيُّ عابساً وقال : لأصنعنَّ لك رحىً يتحدَّث النَّاسُ بها . فأقبل عمر على مَنْ معه ، فقال : توعدني العبد .

ب . الأمر الثَّاني الَّذي يدلُّ على الحقد الَّذي امتلأ به صدر هذا المجوسي : أنَّه لما طعن عمر . رضي الله عنه . طعن معه ثلاثة عشر صحابياً استشهد منهم سبعة . . جاء في رواية الإمام البخاريِّ قوله : فطار العُجج [(٢٥٨٦)] بسكِّينٍ ذات طرفين لا يمرُّ على أحدٍ يميناً ولا شمالاً إلا طعنه ، حتَّى طعن ثلاثة عشر رجلاً ، مات منهم سبعة [(٢٥٨٧)] ، ولو كان عمر . رضي الله عنه . ظالماً له ، فما ذنب بقيَّة الصَّحابة الَّذين اعتدى عليهم ؟ ! ، ومعاذ الله تعالى أن يكون عمر ظالماً له ! إذ قد ثبت في رواية البخاري : أنَّه لما طعن . رضي الله عنه . قال : يابن عبَّاس ! انظر من قتلي ، فجال ساعةً ، ثمَّ جاء ، فقال : غلام المغيرة ، قال : الصَّنَع ؟ . أي : الصَّانِع . قال : نعم ، قال : قاتله الله ! لقد أمرت به معروفاً ، الحمد لله الَّذي لم يجعل منِّي بيد رجلٍ يدَّعي الإسلام [(٢٥٨٨)] .

وهذا المجوسيُّ أبو لؤلؤة قام أحبابه أعداء الإسلام ببناء مشهدٍ تذكاريٍّ له على غرار الجندي المجهول في إيران ، يقول السيِّد حسين الموسوي من علماء النجف : واعلم أنَّ في مدينة كاشان الإيرانيَّة ، في منطقة تسمَّى (باغي فين) مشهداً على غرار الجندي المجهول ، فيه قبرٌ وهميٌّ لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي

المجوسي ، قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطَّاب ، حيث أطلقوا عليه ما معناه بالعربيَّة (مرقد بابا شجاع الدين) ، وبابا شجاع الدين هو لقب أطلقوه على أبي لؤلؤة لقتله عمر بن الخطَّاب ، وقد كتب على جدران هذا المشهد بالفارسي : (مرك بر أبو بكر ، مرك بر عمر ، مرك بر عثمان) ومعناه بالعربيَّة : الموت لأبي بكر ، الموت لعمر ، الموت لعثمان ، وهذا المشهد يزار من قبل الشيعة الإيرانيين ، وتلقى فيه الأموال ، والتبرُّعات ، وقد رأيت هذا المشهد بنفسي ، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانيَّة قد باشرت بتوسيعه ، وتحديدته ، وفوق ذلك قاموا بطبع صورة على المشهد على كارتاتٍ ، تستخدم لإرسال الرِّسائل ، والمكاتب [(٢٥٨٩)] .

٢ . بيان الانكسار ، والخشية ، والخوف التي تميَّز بها عمر رضي الله عنه :
 ومَّا يدلُّ على هذا الخوف الذي سيطر على قلب عمر . رضي الله عنه . قبيل استشهاده قوله لما علم :
 أَنَّ الَّذِي طَعَنَهُ هُوَ الْمَجُوسِيُّ أَبُو لَوْلُؤَةَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِنْ يَدِي يَدَ رَجُلٍ يَدَّعِي
 الْإِسْلَامَ [(٢٥٩٠)] ، فَإِنَّهُ رَغِمَ الْعَدْلُ الَّذِي أَنْصَفَ بِهِ عَمْرٌ . رضي الله عنه . وَالَّذِي اعْتَرَفَ بِهِ الْقَاصِي ،
 وَالذَّانِي ، وَالْعَرَبِي ، وَالْعَجَمِي ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَائِفًا أَن يَكُونَ قَدْ ظَلَمَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَانْتَقَمَ مِنْهُ
 بِقَتْلِهِ ، فَيَحَاجُّهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ، كَمَا تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ رِوَايَةُ ابْنِ شَهَابٍ : أَنَّ عَمْرًا قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 لَمْ يَجْعَلْ قَاتِلِي يَحَاجُّنِي عِنْدَ اللَّهِ بِسَجْدَةٍ سَجَدَهَا لَهُ قَطُّ ! وَكَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ كَذَلِكَ رِوَايَةُ مَبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ
 : يَحَاجُّنِي بِقَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [(٢٥٩١)] ، وَهَذِهِ عَجِيبَةٌ مِنْ عَجَائِبِ هَذَا الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ ، يَنْبَغِي أَنْ
 يَتَرَبَّى عَلَيْهَا الدُّعَاةُ ، وَالْمُصَلِّحُونَ ، وَأَنْ يَكُونَ الْإِنْكَسَارُ عِلْمًا مِنْ أَكْبَرِ عِلْمَاتِهِمْ ، حَتَّى يَنْفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 بِهِمْ ، كَمَا نَفَعَ بِأَسْلَافِهِمْ كَعَمْرٍ . رضي الله عنه . وليكن مقال الجميع قول القائل :

وَاحْسَرَّتِي ، وَأَشْفَوْتِي مِنْ يَوْمٍ نَشَرِ كِتَابِيهِ وَأَطْوَلَ حُزْنِي إِنْ أَكُنْتُ أَوْتَيْتُهُ بِشِمَالِيهِوَ إِذَا
 سُئِلْتُ عَنِ الْخَطَا مَاذَا يَكُونُ جَوَابِيهِ؟ وَاحْرَ قَلْبِي أَنْ يَكُونَ مَعَ الْقُلُوبِ
 عَمَلًا لِيَوْمِ حِسَابِيهِبَلْ إِنِّي لَشَقَاوَتِي وَقَسَاوَتِي
 وَعَدَايِيهِبَارَزْتُ بِالزَّلَاتِ فِي أَيَّامِ دَهْرِ خَالِيهِمَنْ لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مِنْ قُبْحِ الْمَعَاصِي

خَافِيَةً [(٢٥٩٢)] ٣ . التواضع الكبير عند الفاروق ، والإيثار العظيم عند السيِّدة عائشة :

أ . التواضع الكبير عند الفاروق رضي الله عنه :

وقد دلَّ عليه من قصة استشهاده قوله لابنه عبد الله : انطلق إلى عائشة أم المؤمنين ، فقل : يقرأ عليك عمر السَّلام ، ولا تقل : أمير المؤمنين ، فإنِّي لست اليوم للمؤمنين أميراً [(٢٥٩٣)] . ويدلُّ عليه كذلك قوله لابنه لما أذنت عائشة بدفنه إلى جنب صاحبيه : فإذا أنا قضيت ، فاحملوني ، ثمَّ سلِّم ، فقل : يستأذن عمر بن الخطَّاب ، فإن أذنت لي فأدخلوني ، وإن ردَّتي ، فردُّوني إلى مقابر المسلمين [(٢٥٩٤)] ، فرحم الله عمر ! - رضي الله عنه . ، ورزقنا حُلُقاً من حُلُقه ، وتواضعاً من تواضعه ، وجزاه خير ما يجزي به الأتقياء المتواضعين ، إنَّ ربِّي قريبٌ مجيبٌ [(٢٥٩٥)] .

ب . الإيثار العظيم عند السيِّدة عائشة رضي الله عنها :

ومَّا يدلُّ على الإيثار عند السيِّدة عائشة : أمَّا رضي الله عنها كانت تتمنَّى أن تدفن بجوار زوجها (ص) ، وأبيها أبي بكر ، فلمَّا استأذنها عمر لذلك ؛ أذنت ، واثرتة على نفسها ، وقالت : كنت أريده نفسي ، ولأوثرته اليوم على نفسي [(٢٥٩٦)] .

٤ . الأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر ، وهو على فراش الموت :

إنَّ اهتمام الفاروق بالأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر لم يتخلَّ عنه حتَّى وهو يواجه الموت بكلِّ الامه وشدائده ، ذلك : أنَّ شابًّا دخل عليه لما طعن ، فواساه ، وقال : أبشر يا أمير المؤمنين يبشرى الله لك ! من صحبة رسول الله (ص) ، وقدم في الإسلام ما قد علمت ، ثمَّ وُلِّيت ، فعدلت ، ثمَّ شهادة ! قال . أي : عمر . : وددتُ أنَّ ذلك كفافٌ ، لا عليَّ ، ولا لي ، فلمَّا أدبر ؛ إذا إزاره يمَسُّ الأرض ، قال : ردُّوا عليَّ الغلام ، قال : يا بن أخي ارفع ثوبك فإنَّه أنقى لثوبك ، واتقى لربِّك [(٢٥٩٧)] .

وهكذا لم يمنعه . رضي الله عنه . ما هو فيه من الموت عن الأمر بالمعروف ، ولذا قال ابن مسعود . رضي الله عنه . فيما رواه عمر بن شَبَّه : يرحم الله عمر ! لم يمنعه ما كان فيه من قول الحقِّ [(٢٥٩٨)] . ومن عنايته الفائقة في الأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر في هذه الحالة أيضاً ، لما دخلت عليه حفصة . رضي الله عنها . فقالت : يا صاحب رسول الله ! ويا صهر رسول الله ! ويا أمير المؤمنين ! فقال عمر لابن عمر . رضي الله عنهما . : يا عبد الله ! أجلسني فلا صبر لي على ما أسمع ، فأسنده إلى صدره ، فقال لها : إنِّي أُحَرِّجُ عليك [(٢٥٩٩)] بما لي عليك من الحقِّ أن تندبيني [(٢٦٠٠)] بعد مجلسك هذا ! فأما عينك ؛ فلن أملكها [(٢٦٠١)] .

وعن أنس بن مالكٍ ، قال : لما طعن عمر ؛ صرخت حفصة ، فقال عمر : يا حفصة ! أما

سمعت رسول الله (ص) يقول : « إِنَّ الْمُعْوَلِ عَلَيْهِ [(٢٦٠٢)] يُعَذَّبُ » ؟ وجاء صهيبٌ ، فقال :
واعمره ! فقال : ويلك يا صهيب ! أما بلغك : أَنَّ الْمُعْوَلِ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ [(٢٦٠٣)] .

ومن شدَّته في الحقِّ - رضي الله عنه - حتَّى بعد طعنه وسيلان الدَّم منه ، فعندما قال له رجل : استخلف
عبد الله بن عمر ، قال : والله ما أردتَ الله بهذا [(٢٦٠٤)] !
٥ - جواز الثَّنَاءِ عَلَى الرَّجُلِ بِمَا فِيهِ إِذَا لَمْ تُحْشَ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ :

كما هو الحال هنا مع عمر - رضي الله عنه - إذ أتني عليه من قبل بعض الصَّحَابَةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْلَمُونَ :
أَنَّ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ لَا يَفْتِنُهُ . قال ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - وهو العالم الرَّبَّانِيُّ ، والفقيه الكبير : أليس قد
دعا رسول الله (ص) أن يعزَّز بك الدِّينَ والمسلمين ؛ إذ يخافون بمكَّةَ ، فلمَّا أسلمت كان إسلامك عزًّا ،
وظهر بك الإسلام . . . ، وأدخل الله بك على كلِّ أهل بيتٍ من توسعتهم في دينهم ، وتوسعتهم في
أرزاقهم ، ثمَّ ختم لك بالشَّهادة ، فهنيئاً لك ! وهكذا لم تؤثر هذه الكلمات في قلب عمر شيئاً ، ولم
يفرح بها ، ولذا ردَّ على ابن عَبَّاسٍ قائلاً : والله إِنَّ المغرور من تغرُّونه [(٢٦٠٥)] !

٦ - حقيقة موقف كعب الأخبار من مقتل عمر رضي الله عنه :

كعب الأخبار هو كعب بن مانع الحميري ، كنيته أبو إسحاق ، واشتهر بكعب الأخبار ، أدرك النَّبِيَّ
(ص) وهو رجلٌ كافرٌ ، وأسلم في خلافة عمر ، سنة اثنتي عشرة [(٢٦٠٦)] ، وقد اشتهر قبل إسلامه
بأنَّه من كبار علماء اليهود في اليمن ، وبعد إسلامه أخذ عن الصَّحَابَةِ الكِتَابَ ، والسُّنَّةَ ، وأخذوا
وغيرهم عنه أخبار الأمم الغابرة ، خرج إلى الشَّام ، وسكن حمص ، وتوفيَّ فيها [(٢٦٠٧)] .

وقد اتَّهم كعب الأخبار في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ، فقد جاءت روايةٌ في الطَّبْرِيِّ عن
المسور بن مخزومة - رضي الله عنه - تشير إلى اتِّهامه في مقتل عمر جاء في تلك الرَّوَاية : . . ثمَّ انصرف
عمر إلى منزله ، فلمَّا كان من الغد جاءه كعب الأخبار ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! اعهد فإنَّك ميِّتٌ
في ثلاثة أيَّامٍ . قال : وما يدريك ؟ قال : أجده في كتاب الله عزَّ وجلَّ التَّوراة ، قال عمر : الله إنَّك
لتجد عمر بن الخطَّاب في التَّوراة ؟ ! قال : اللَّهُمَّ لَا ،

ولكِنِّي أجد صفتك ، وحليتك ، وأنَّه قد فني أجلك ، قال : وعمر لا يحسُّ وجعاً ، ولا ألماً فلمَّا كان
من الغد جاءه كعب ، فقال : يا أمير المؤمنين ذهب يومٌ ، وبقي يومٌ ، وليلةٌ ؛ وهي لك إلى صبيحتها
، قال : فلمَّا كان الصُّبْحُ ، خرج إلى الصَّلَاةِ ، وكان يوكل بالصُّفوفِ رجالاً ، فإذا استوت ؛ جاء هو

فكبر ، قال : ودخل أبو لؤلؤة في الناس ، في يده خنجرٌ له رأسان نصابه في وسطه ، فضرب عمر ستَّ ضرباتٍ ، إحداهنَّ تحت سرِّته ، وهي التي قتلتها [(٢٦٠٨)] .

وقد بنى بعضُ المفكرين المحدثين على هذه الرواية نتيجةً ، مفادها : اشتراك كعب الأخبار في مؤامرة قتل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . مثل د . جميل عبد الله المصري في كتابه : أثر أهل الكتاب في الفتن ، والحروب الأهلية في القرن الأوَّل الهجري ، وعبد الوهَّاب النَّجار في كتابه : الخلفاء الرَّاشدون ، والأستاذ غازي محمَّد فريج في كتابه : النشاط السِّري اليهودي في الفكر ، والممارسة [(٢٦٠٩)] ، وقد ردَّ الدكتور أحمد بن عبد الله بن إبراهيم الرُّغَيْبِي على الاتِّهام الموجه لكعب الأخبار ، فقال : والذي أراه في هذه القصة المعقَّدة : أنَّ تلك الرواية ؛ التي رواها الإمام الطُّبري . رحمه الله تعالى . غير صحيحة ، لأُمورٍ كثيرةٍ من أهمِّها :

أ . أنَّ هذه القصة لو صحَّت لكان من المنتظر من عمر . رضي الله عنه . أن لا يكتفي بقول (كعب) ، ولكن لجمع طائفةٍ ممَّن أسلم من اليهود وله إحاطةٌ بـ (التَّوراة) مثل عبد الله بن سلام ، ويسألهم عن هذه القصة ، وهو لو فعل لافتضح أمر (كعب) ، وظهر للناس كذبه ، ولتبين لعمر . رضي الله عنه . أنَّه شريكٌ في مؤامرةٍ دبرت لقتله ، أو أنَّه على علمٍ بها ، وحينئذٍ يعمل عمر . رضي الله عنه . على الكشف عنها بشئى الوسائل ، وينكِّل بمدبريها ، ومنهم كعب ، هذا هو المنتظر من أيِّ حاكمٍ ، فضلاً عن عمر . رضي الله عنه . المعروف بكمال الفطنة ، وحدة الدِّهن ، وتمحيص الأخبار ، لكن شيئاً من ذلك لم يحصل ، فكان ذلك دليلاً على اختلاقها [(٢٦١٠)] .

ب . أنَّ هذه القصة لو كانت في التَّوراة ، لما اختصَّ بعلمها كعبٌ . رحمه الله تعالى . وحده ، ولشاركه العلم بها كلُّ من له علمٌ بـ (التَّوراة) من أمثال عبد الله بن سلام رضي الله عنه [(٢٦١١)] .

ج . أنَّ هذه القصة لو صحَّت أيضاً ؛ لكان معناها : أنَّ كعباً له يدٌ في المؤامرة ، وأنَّه يكشف عن نفسه بنفسه ، وذلك باطلٌ لمخالفته طباع النَّاس ؛ إذ المعروف أنَّه من اشترك في مؤامرةٍ ، يبالغ في كتمانها بعد وقوعها ، تفادياً من تحمُّل تبعاتها ، فالكشف عنها قبل وقوعها لا يكون إلا من مغفَّلٍ أبله ، وهذا خلاف ما كان عليه كعب ، من حدة الدِّهن ، ووفرة الذِّكاء [(٢٦١٢)] .

د . ثمَّ ما لـ (التَّوراة) وتحديد أعمار النَّاس ؟ إنَّ الله تعالى إنَّما أنزل كتبه هدىً للنَّاس ، لا لمثل هذه الأخبار التي لا تعدو أصحابها [(٢٦١٣)] .

هـ ثم أيضاً هذه التّوراة بين أيدينا ليس فيها شيءٌ من ذلك مطلقاً . وبعد أن أورد الشيخ محمد محمد أبو زهو [(٢٦١٤)] تلك الاعتراضات الأربعة الأولى ، عقّب عليها ، بقوله : ومن ذلك كلّه ، يتبيّن لك : أنّ هذه القصة مفترأة بدون أدنى اشتباه ، وأنّ رمي كعب بالكيد للإسلام في شخص عمر ، والكذب في النّقل عن التّوراة اتهامٌ باطلٌ ، لا يستند على دليلٍ ، أو برهانٍ [(٢٦١٥)] .

ويقول الدكتور محمد السيّد حسين الذهبي . رحمه الله . : ورواية ابن جرير الطّبري للقصة لا تدلّ على صحّتها ؛ لأنّ ابن جرير كما هو معروف عنه لم يلتزم الصحّة في كلّ ما يرويه ، والذي ينظر في تفسيره يجد فيه ممّا لا يصحّ شيئاً كثيراً [(٢٦١٦)] ، كما أنّ ما يرويه في تاريخه لا يعدو أن يكون من قبل الأخبار التي تحتمل الصدق ، والكذب ، ولم يقل أحدٌ بأنّ كلّ ما يُروى في كتب التّاريخ [(٢٦١٧)] ثابتٌ ، وصحيحٌ [(٢٦١٨)] ، ثمّ يتابع قائلاً : ثمّ إنّ ما يعرف عن كعب الأخبار من دينه ، وخلقه ، وأمانته ، وتوثيق أكثر أصحاب الصّحاح [(٢٦١٩)] له ؛ يجعلنا نحكم بأنّ هذه القصة موضوعة عليه ، ونحن ننزه كعباً عن أن يكون شريكاً في قتل عمر ، أو يعلم من يدبر أمر قتله ، ثمّ لا يكشف لعمر عنه ، كما ننزهه أن يكون كذاباً وضاعاً ، يحنّ على تأكيد ما يخبر به من مقتل عمر نسبه إلى التّوراة ، وصوغه في قالبٍ إسرائيليٍّ [(٢٦٢٠)] . إلى أن يقول : اللهمّ إنّ كعباً مظلوماً من متّهميه ! ولا أقول عنه : إلاّ أنّه مأمونٌ ، وعالمٌ استغلّ اسمه ، فنسب إليه رواياتٍ معظمها

خرافاتٌ وأباطيل ، لتروج بذلك على العامّة ، ويتقبّلها الأعمار من الجهلة [(٢٦٢١)] .

وأما الدكتور محمد السيّد الوكيل ، فيقول : إنّ أوّل ما يواجه الباحث هذا هو موقف عبید الله بن عمر الذي لم يكذب يسمع بما حدث لأبيه حتّى يحمل سيفه ، ويهيج كالسبع الحرب ، ويقتل الهرمزان ، وجفينة ، وابنة صغيرة لأبي لؤلؤة ؛ أفترى عبید الله هذا يترك كعب الأخبار والشّبهة تحوم حوله ، ويقتل ابنة أبي لؤلؤة الصّغيرة ؟ إنّ أحداً يبحث الموضوع بحثاً علمياً لا يمكن أن يقبل ذلك ، ويضاف إلى ذلك : أنّ جمهور المؤرّخين لم يذكروا القصة ، بل لم يشيروا إليها ، فابن سعد في الطبقات وقد فصلّ الحادث تفصيلاً دقيقاً لم يُشر قطُّ إلى الحادثة ، بل كلّ ما ذكر عن كعب الأخبار : أنّه كان واقفاً بباب عمر بيكي ، ويقول : والله لو أنّ أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخّره ؛ لأخّره [(٢٦٢٢)] ! وأنّه دخل على عمر بعد أن أخبره الطّبيب بدتوّ أجله ، فقال : ألم أقل لك إنّك لا تموت إلاّ شهيداً ، وأنت تقول : من أين ، وأنا في جزيرة العرب [(٢٦٢٣)] . ويأتي بعد ابن سعد ابن عبد البرّ في الاستيعاب ، فلا يذكر شيئاً قطُّ عن قصة كعب الأخبار [(٢٦٢٤)] .

وأما ابن كثير ، فيقول : إنَّ وعيد أبي لؤلؤة كان عشية يوم الثلاثاء ، وأنه طعنه صبيحة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة [(٢٦٢٥)] ، لم يكن إذًا بين التهديد والتنفيذ سوى ساعاتٍ معدوداتٍ ، فكيف ذهب كعب الأخبار إلى عمر ، وقال له ما قال : اعهد فإنك ميتٌ في ثلاثة أيامٍ ، ثم يقول : مضى يومٌ ، وبقي يومان ، ثم مضى يومان ، وبقي يومٌ وليلة ، من أين لكعب هذه الأيام الثلاثة إذا كان التهديد في الليل والتنفيذ صبيحة اليوم التالي ؟ ويتوالى المؤرِّخون ، فيأتي السُّيوطي في تاريخ الخلفاء ، والعصامي في سمط النجوم العوالي ، والشَّيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب ، وابنه عبد الله في كتابيهما مختصر سيرة الرِّسول ، وحسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام السِّياسي ، وغيرهم ، فلا نجد واحداً منهم يذكر القصة من قريبٍ ، أو بعيدٍ ، أليس هذا دليلاً على أنَّ القصة لم تثبت بصورةٍ تجعل المحقِّق يطمئنُّ إلى ذكرها ؛ هذا إذا لم تكن منتحلةً مصنوعةً ، كاد بها بعض النَّاس لكعب لينقروا منه المسلمين ، وهذا ما تطمئنُّ إليه النَّفس ، ويميل إليه القلب ، وبخاصَّةٍ بعدما عرفنا : أنَّ كعباً كان حسن الإسلام ، وكان محلَّ ثقة كثيرٍ من الصَّحابة ؛ حتَّى روَّوا عنه حديث رسول الله (ص) [(٢٦٢٦)] .

٧ . ثناء الصَّحابة ، والسَّلف على الفاروق :

أ . في تعظيم عائشة . رضي الله عنها . له بعد دفنه :

عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : كنت أدخل بيتي الَّذي فيه رسول الله (ص) ، وأبي ، فلمَّا دفن عمر معهما فوالله ما دخلته إلا وأنا مشدودةٌ عليَّ ثيابي حياءً من عمر [(٢٦٢٧)] . وعن القاسم بن محمَّد عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : من رأى ابن الخطَّاب ؛ علم أنَّه خلق غناءً للإسلام ، كان والله أحوذياً [(٢٦٢٨)] ! نسيح وحده ، قد أعدَّ للأمر أقرانها [(٢٦٢٩)] . وعن عروة عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : إذا ذكرتم عمر ؛ طاب المجلس [(٢٦٣٠)] .

ب . سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه :

روي عن سعيد بن زيدٍ : أنَّه بكى عند موت عمر ، فقيل له : ما يبكيك ؟ ! فقال : على الإسلام ، إنَّ موت عمر ثلم الإسلام ثلماً لا تُرتق إلى يوم القيامة [(٢٦٣١)] .

ج . عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

قال عبد الله بن مسعودٍ : لو أنَّ علم عمر بن الخطَّاب وضع في كفة الميزان ، ووضع علم الأرض في كفةٍ ؛ لرجح علم عمر [(٢٦٣٢)] ، وقال أيضاً : إنِّي لأحسب عمر قد ذهب بتسعة أعشار العلم [(٢٦٣٣)] .

وقال عبد الله بن مسعود : كان إسلام عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمارته رحمةً [(٢٦٣٤)] .

د . قال أبو طلحة الأنصاري : والله ما من أهل بيتٍ من المسلمين إلا وقد دخل عليهم في موت عمر نقصٌ في دينهم ، وفي دنياهم [(٢٦٣٥)] !

هـ قال حذيفة بن اليمان : إنما كان مثل الإسلام أيام عمر مثل مقبلٍ ، لم يزل في إقبالٍ ، فلمَّا قتل ؛ أدبر ، فلم يزل في إدبارٍ [(٢٦٣٦)] .

و . عبد الله بن سلام : جاء عبد الله بن سلام . رضي الله عنه . بعدما صُلِّي على عمر . رضي الله عنه . فقال : إن كنتم سبقتُموني بالصَّلَاة عليه ، فلن تسبقوني بالثناء عليه ، ثمَّ قال : نعم أخو الإسلام كنت يا عمر ! جواداً بالحقِّ ، بخيلاً بالباطل ، ترضى من الرِّضا ، وتسخط من السُّخط ، لم تكن مدَّاحاً ، ولا معياباً ، طيب العرف [(٢٦٣٧)] ، عفيف الطرف [(٢٦٣٨)] .

ز . العبَّاس بن عبد المطلب : قال العبَّاس بن عبد المطلب : كنتُ جاراً لعمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . فما رأيتُ أحداً من النَّاس كان أفضل من عمر ، إنَّ ليله صلاةٌ ، ونهاره صيامٌ ، وفي حاجات النَّاس ، فلمَّا توفِّي عمر سألت الله تعالى أن يرينيه في النَّوم ، فرأيتُه في النَّوم مقبلاً متَّشحاً من سوق المدينة ، فسلمت عليه ، وسلَّم عليَّ ، ثمَّ قلت له : كيف أنت ؟ قال : بخيرٍ . قلت له : ما وجدت ؟ قال : الان حين فرغت من الحساب ، ولقد كاد عرشي يهوي لولا أنَّي وجدت ربّاً رحيماً [(٢٦٣٩)] .

ح . معاوية بن أبي سفيان : قال معاوية : أمَّا أبو بكرٍ ؛ فلم يرد الدُّنيا ، ولم ترده . وأمَّا عمر فأرادته الدُّنيا ، ولم يردها ، وأمَّا نحن فتمرَّغنا فيها ظهراً لبطنٍ [(٢٦٤٠)] .

ط . علي بن الحسين : عن ابن أبي حازم ، عن أبيه قال : سئل عليُّ بن الحسين عن أبي بكرٍ ، وعمر . رضي الله عنهما . ومنزلتهما من رسول الله ، قال : كمنزلتهما اليوم ، وهما ضجيعاه [(٢٦٤١)] .

ي . قبيصة بن جابر : عن الشَّعبي ، قال : سمعت قبيصة بن جابر يقول : صحبت عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . فما رأيت أقرأ لكتاب الله ، ولا أفقه في دين الله ، ولا أحسن مدارساً منه [(٢٦٤٢)] !

ك . الحسن البصري : قال الحسن البصري : إذا أردتم أن يطيب المجلس ؛ فأفيضوا في

ذكر عمر [(٢٦٤٣)] ، وقال أيضاً : أيُّ أهل بيتٍ لم يجدوا فقداه ؛ فهم أهل بيت سوءٍ [(٢٦٤٤)] .

ل . علي بن عبد الله بن عبَّاس : قال : دخلت في يومٍ شديد البرد على عبد الملك بن مروان ، فإذا هو في قبة باطنها فُوهيٌّ [(٢٦٤٥)] معصفَرٌ ، وظاهرها خزاعيز [(٢٦٤٦)] ، وحوله أربعة

كوانين]](٢٦٤٧)] ، قال : فرأى البرد في تقففي]](٢٦٤٨)] ، فقال : ما أظنُّ يومنا هذا إلا بارداً . قلت : أصلح الله الأمير ! ما يظنُّ أهل الشَّام : أنه أتى عليهم يومٌ أبرد منه ، فذكر الدُّنيا ، وذمَّها ، ونال منها ، وقال : هذا معاوية عاش أربعين سنة أميراً ، وعشرين خليفةً ، لله درُّ ابن حنتمة ما كان أعلمه بالدُّنيا ! يعني : عمر رضي الله عنه]](٢٦٤٩)] .

٨ . اراء بعض العلماء والكتّاب المعاصرين :

أ . قال الدكتور محمَّد محمَّد الفحَّام شيخ الأزهر السَّابق : لقد كشفت أعمال عمر عن تفوّقه السِّياسي ، ويّنت مواهبه العديدة الّتي ملكها ، وعن عبقريته الخالدة ، الّتي لا تزال تضيء أمامنا الطَّرِيق في العديد من مشكلات الحياة المختلفة في معالجة القضايا والمشاكل الّتي واجهته أثناء خلافته]](٢٦٥٠)] .

ب . قال عبّاس محمود العقّاد : إنّ هذا الرّجل العظيم أصعب من عرفت من عظماء الرّجال نقداً ، ومؤاخذاً ، ومن مزيد مزاياه : أنّ فرط التّمحيص ، وفرط الإعجاب في الحكم له أو عليه يلتقيان ، وكتابي عبقرية عمر ليس بسيرة لعمر ، ولا بتاريخٍ لعصره على نمط التّواريخ الّتي تقصد بها الحوادث ، والأنباء ، ولكنّه وصفٌ له ، ودراسةٌ لأطواره ، ودلالةٌ على خصائص عظمته ، واستفادةٌ من هذه الخصائص لعلم النّفس ، وعلم الأخلاق ، وحقائق الحياة .

وعمر يعدُّ رجل المناسبة الحاضرة في العصر الّذي نحن فيه ؛ لأنّه العصر الّذي شاعت فيه عبادة القوّة الطّاغية ، وزعم الهاتفون بدينها : أنّ البأس ، والحقّ نقيضان ؛ فإذا فهمنا عظيماً واحداً كعمر بن الخطّاب ، فقد هدمنا دين القوّة الطّاغية على أساسه ؛ لأننا سنفهم رجلاً كان غايةً في البأس ، وغايةً في العدل ، وغايةً في الرّحمة .. وهذا الفهم تريق داء العصر ، يشفى به من ليس بميئوس الشّفاء]](٢٦٥١)] .

ج . قال الدكتور أحمد شلبي : . . وكان الاجتهاد من أبرز الجوانب في حياة عمر خلال حقبة خلافته الحافلة بالأحداث ، فحفظ الدّين ، ورفع راية الجهاد ، وفتح البلاد ، ونشر العدل بين العباد ، وأنشأ أوّل وزارةٍ ماليّةٍ في الإسلام ، وكوّن جيشاً نظامياً للدِّفاع ، وحماية الحدود ، ونظّم المرتبات ، والأرزاق ، ودوّن الدّواوين ، وعيّن الولاة ، والعمّال ، والقضاة ، وأقرّ النُّقود للتداول الحياتي ، ورَتب البريد ، وأنشأ نظام الحِسبة ، وثبّت التّاريخ الهجري ، وأبقى الأرض المفتوحة دون قسمة ، وخطّط المدن الإسلاميّة ، وبنّاها ، فهو بحقّ أمير المؤمنين وباني الدّولة الإسلاميّة]](٢٦٥٢)] .

د . قال المستشار علي منصور : إنَّ رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري قبل أربعة عشر قرناً من الزَّمن دستورٌ للقضاء ، والمتقاضين ، وهي أكمل ما وصلت إليه قوانين المرافعات الوضعيَّة ، وقوانين استقلال القضاء [(٢٦٥٣)] .

هـ . قال اللِّواء الرُّكن محمود شيت خطَّاب : وإذا كانت أسباب الفتح الإسلامي كثيرةً ؛ فإنَّ على رأس تلك الأسباب ما كان يتمتَّع به عمر بن الخطَّاب من سجايا قياديَّة فذَّة ، لا تتكرَّر في غيره على مرِّ السِّنين ، والعصور إلا نادراً [(٢٦٥٤)] .

و . وقال الدكتور صبحي الحمصاني : بانقضاء عهد الخليفة الرَّاشد عمر ، ينقضي عهد مؤسس الدَّولة الإسلاميَّة التي وسَّع رقاعها ، وثبَّت دعائمها ، فكان مثال القائد الموحِّه ، والأمير الحازم الحكيم ، والرَّاعي المسؤول ، والحاكم القويِّ العادل ، والرَّفيق الرَّؤوف ، ثمَّ مات ضحيَّة الواجب ، وشهيد الصِّدق والصِّلاح ، فكان مع الصِّديقيين ، والصَّالحين من أولياء الله تعالى ، وسيبقى اسم عمر بن الخطَّاب مخلِّداً ، ولا معاً في تاريخ الحضارة ، والفقهِ [(٢٦٥٥)] .

ز . وقال الشَّيخ علي الطَّنطاوي : أنا كلِّما ازددت اطلِّعاً على أخبار عمر ؛ زاد إكباري وإعجابي به ، ولقد قرأت سير الاف العظماء من المسلمين ، وغير المسلمين ، فوجدت فيهم من هو عظيمٌ بفكره ، ومن هو عظيمٌ ببيانه ، ومن هو عظيمٌ بخلِّقه ، ومن هو عظيمٌ باثاره ، ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها ، فكان عظيم الفكر ، والخلِّق ، والبيان ، فإذا

أحصيت عظماء الفقهاء ، والعلماء ؛ ألفت عمر في الطَّلعة ، فلو لم يكن له إلا فقهِه ؛ لكان به عظيماً ، وإن عددت الخطباء ، والبلغاء ؛ كان اسم عمر من أوائل الأسماء ، وإن ذكرت عباقرة المشرِّعين ، أو نوابغ القوَّاد العسكريين ، أو كبار الإداريِّين الناجحين ، وجدت عمر إماماً في كلِّ جماعةٍ ، وعظيماً في كلِّ طائفةٍ ، وإن استقرت العظماء الذين بنوا دولاً ، وتركوا في الأرض أثراً ، لم تكذب تجد فيهم أجلاً من عمر . وهو فوق ذلك عظيمٌ في أخلاقه ، عظيمٌ في نفسه [(٢٦٥٦)] .

٩ . اراء بعض المستشرقين في عمر رضي الله عنه :

أ . قال موير في كتابه « الخلافة » : كانت البساطة ، والقيام بالواجب من أهمِّ مبادئ عمر ، وأظهر ما اتَّصفت به إدارته عدم التَّحيز والتَّعبد ، وكان يقدر المسؤوليَّة حقَّ قدرها ، وكان شعوره بالعدل قوياً ، ولم يحاب أحداً في اختيار عمَّاله ، ومع أنَّه كان يحمل عصاه ، ويعاقب المذنب في الحال حتَّى قيل : إنَّ

دِرَّةَ عمر أشدُّ من سيف غيره ، إلا أنَّه كان رقيق القلب ، وكانت له أعمالٌ سجَّلت له شفقتَه ، ومن ذلك شفقتَه على الأراذل ، والأيتام [(٢٦٥٧)] .

ب . وقالت عنه دائرة المعارف البريطانيَّة : كان عمر حاكماً عاقلاً ، بعيد النَّظر ، وقد أدَّى للإسلام خدمةً عظيمةً [(٢٦٥٨)] .

ج . وقال الأستاذ واشنجتون إبرفنج في كتابه « محمد وخلفاؤه » : إنَّ حياة عمر من أوَّلها إلى آخرها تدلُّ على أنَّه كان رجلاً ذا مواهب عقليَّةٍ عظيمةٍ ، وكان شديد التَّمسُّك بالاستقامة ، والعدالة ، وهو الَّذي وضع أساس الدولة الإسلاميَّة ، ونقَّذ رغبات النَّبيِّ (ص) وثبَّتْها ، وازر بها أبا بكرٍ بنصائحه في أثناء خلافته القصيرة ، ووضع قواعد متينةً للإدارة الحازمة في جميع البلدان الَّتِي فتحتها المسلمون ، وإنَّ اليد القويَّة الَّتِي وضعها على أعظم قوَّاده المحبوبين لدى الجيش في البلاد النَّائية وقت انتصاراتهم لأكبر دليلٍ على كفاءته الخارقة لإدارة الحكم ، وكان ببساطة أخلاقه ، واحتقاره للأبَّهة ، والتَّرف مقتدياً بالنَّبِيِّ (ص) وأبي بكرٍ ، وقد سار على أثرهما في كتبه ، وتعليماته للقوَّاد [(٢٦٥٩)] .

د . وقال الدُّكتور مايكل هارت : إنَّ مآثر عمر مؤثِّرةٌ حقّاً ، فقد كان الشَّخصيَّة الرِّئيسيَّة في انتشار الإسلام بعد محمدٍ (ص) [(٢٦٦٠)] وبدون فتوحاته السَّريعة من المشكوك به أن ينتشر الإسلام بهذا الشَّكل الَّذي هو عليه الآن ، زد على ذلك أنَّ معظم الأراضِي الَّتِي فتحتها في زمنه بقيت عربيَّةً [(٢٦٦١)] منذ ذلك العهد حتَّى الآن ، ومن الواضح أنَّ محمدًا (ص) له الفضل الأكبر في هذا المضمار ، ولكن من الخطأ الفادح أن تتجاهل دور عمر ، وقيادته الواعية [(٢٦٦٢)] .

١٠ . ما قيل من الشُّعر في رثاء الفاروق رضي الله عنه :

قالت عاتكة بنت زيد بن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنها :

فَجَعَنِي فَيَرُوزُ لَا دَرَّ دَرُّهُ بِأَبْيَضِ نَالٍ لِلْكِتَابِ مُنِيرُورُوفٍ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظِ عَلَى الْعِدَا
أَخِي ثِقَّةٍ فِي النَّائِبَاتِ مُجِيْمَتِي مَا يُقْلُ لَا يَكْذِبُ الْقَوْلَ فِعْلُهُ سَرِيْعٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ غَيْرُ
قَطُوبٍ [(٢٦٦٣)] وقالت أيضاً :

عَيْنُ جُوْدِي بَعْرَةٌ وَنَحِيْبُ لَا تَمَلِّي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيْبِ فَجَعَنِي الْمُنُونُ بِالْفَارِسِ

المعلمُ يَوْمَ الْهِيَاجِ وَالتَّلْيِبِ [(٢٦٦٤)] عِصْمَةُ النَّاسِ وَالْمُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ وَعَيْتُ الْمُنْتَابِ
والمخزومِبُّقْلُ لِأَهْلِ السَّرَّاءِ وَالْبُؤْسِ مُوْتُوا قَدْ سَقَنَهُ الْمُنُونُ كَأْسَ شَعُوبٍ [(٢٦٦٥)] هذا وقد
طويت بوفاة الخليفة الرَّاشد العادل عمر بن الخطَّاب . رضي الله عنه . صفحةً من أنصع صفحات

التاريخ ، وأنها ، فقد عرف فيه التاريخ رجلاً فذاً من طرازٍ فريدٍ ، لم يكن همُّه جمع المال ، ولم تستهوه زخرفة السُّلطان ، ولم تمل به عن جادة الحقِّ سطوة الحكم ، ولم يحمل أقراره ، ولا أبناءه على رقاب النَّاس ، بل كان كلُّ همِّه انتصار الإسلام ، وأعظم أمانيه سيادة الشريعة ، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته ، وقد حقَّق ذلك كلُّه بعون الله - عزَّ ، وجلَّ - في تلك الفترة الوجيزة التي لا تعدُّ في عمر الدُّول شيئاً مذكوراً [(٢٦٦٦)] .

إنَّ دراسة هذه السيرة العطرة تمدُّ أبناء الجيل بالعزائم العمريَّة التي تعيد إلى الحياة روعة الأيَّام الجميلة الماضية ، وبهجتها ، وبهاءها ، وترشد الأجيال بأنَّه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله ، وتساعد الدُّعاة ، والعلماء على الاقتداء بذلك العصر الرَّاشدي ، ومعرفة معامله ، وصفاته ، ومنهجه في السَّير في دنيا النَّاس ، وذلك يساعد أبناء الأُمَّة على إعادة دورها الحضاري من جديد .

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم الأربعاء السَّاعة السَّابعة وخمس دقائق صباحاً بتاريخ ١٣ من رمضان ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ٢٠٠١ م ، والفضل لله من قبلُ ومن بعدُ ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبَّل هذا العمل ، ويشرح صدور العباد للانتفاع به ويبارك فيه بمنَّه ، وكرمه ، وجوده ، قال تعالى : { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * } [فاطر : ٢] .

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلبي خاشعٍ منيبٍ بين يدي الله - عزَّ ، وجلَّ - معترفاً بفضله ، وكرمه ، وجوده ، فهو المتفضِّل ، وهو المكرم ، وهو المعين ، وهو الموقِّق ، فله الحمد عل ما منَّ به عليَّ أوَّلاً ، وآخرأ ، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً ، ولعباده نافعاً ، وأن يثيبني على كلِّ حرفٍ كتبتُه ، ويجعله في ميزان حسناتي ، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكلِّ ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع ، ونرجو من كلِّ مسلمٍ يطَّلِع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربِّه ، ومغفرته ، ورحمته ، ورضوانه من دعائه . قال تعالى : { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * } [النمل : ١٩] .

سبحانك اللهمَّ وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، و آخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

الفقير إلى عفو ربّه ، ومغفرته ، ورحمته ورضوانه

علي محمّد محمّد الصّلابي

المراجع

- ١ . أباطيل يجب أن تمحى من التّاريخ ، إبراهيم شعوط ، المكتب الإسلامي ، الطّبعة السّادسة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .
- ٢ . أبو بكر رجل الدّولة ، مجدي حمدي ، دار طيبة الرّياض ، الطّبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
- ٣ . أبو عبيدة عامر بن الجراح ، محمّد شرّاب ، دار القلم ، الطّبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ٤ . أبو موسى الأشعري الصّحابي العالم المجاهد ، عبد الحميد محمود طهماز ، دار القلم ، دمشق ، الطّبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
- ٥ . إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمّد الخضري ، دار المعرفة بيروت ، الطّبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ٦ . أخبار القضاة لو كيع ، وكيع محمّد بن خلف بن حيّان ، الطّبعة الأولى ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م .
- ٧ . أخبار عمر ، وأخبار عبد الله بن عمر ، تأليف علي الطّنطاوي ، ناجي الطّنطاوي ، المكتب الإسلامي ، الطّبعة الثّامنة ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ٨ . أدب الإماء والاستملاء لأبي سعيد عبد الكريم بن محمّد السّمعاني ، دار الكتب العلميّة - بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٨١ م .
- ٩ . أدب صدر الإسلام د . واضح العمدة .
- ١٠ . أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسّياسة ، رفيق العظم ، دار الرّائد العربي بيروت ، لبنان ، الطّبعة السّادسة ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ١١ . أصحاب الرّسول (ص) ، محمود المصري ، مكتبة أبي حذيفة السّلفي ، الطّبعة الأولى ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م .
- ١٢ . أصول التّربية للتّحلاوي .

- ١٣ . إعلام الموقّعين عن ربِّ العالمين لشمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر بن القيّم ، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، المكتبة العصريّة صيدا . بيروت ، طبعة ١٤٠٧ هـ .
- ١٤ . أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب ، الخليفة المجتهد للعمري ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ، طبعة من اللّجنة المشتركة لنشر إحياء التّراث .
- ١٥ . أنس بن مالك الخادم الأمين والمحبُّ العظيم ، عبد الحميد طهماز ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الرّابعة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ١٦ . أهل الدّيمة في الحضارة الإسلاميّة ، حسن الميّي ، دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨ م الطبعة الأولى .
- ١٧ . أهل الفسطاط ، د . صالح أحمد العلي ، شركة المطبوعات للتّوزيع ، والنّشر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
- ١٨ . أوّلّيّات الفاروق د . غالب عبد الكافي القرشي ، المكتب الإسلامي بيروت ، مكتبة الحرمين الرّياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ١٩ . استخلاف أبو بكر الصّدّيق ، جمال عبد الهادي ، الدّكتورة وفاء محمّد رفعت جمعة ، دار الوفاء المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ٢٠ . اقتصاديّات الحرب في الإسلام . د . غازي ، مكتبة الرّشد الرّياض ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
- ٢١ . الأبعاد السّياسيّة لمفهوم الأمن في الإسلام ، مصطفى منجود ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- ٢٢ . الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدّين عبد الرحمن السّيوطي ، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ٢٣ . الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، علاء الدّين علي بن بلبان الفارسي ، مؤسّسة الرّسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .
- ٢٤ . الأحوال السّخصيّة لأبي زهرة .
- ٢٥ . الإدارة العسكريّة في الدّولة الإسلاميّة نشأتها ، وتطوّرها حتّى منتصف القرن الثّالث الهجري ، د . سليمان بن صالح بن سليمان ال كمال ، منشورات جامعة أمّ القرى .

- ٢٦ . الإدارة العسكرية في عهد عمر بن الخطّاب ، د . فاروق مجدلاوي ، روائع مجدلاوي ، الأردن ، لبنان ، قطر ، الطّبعة الثّانية ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ٢٧ . الأدب في الإسلام في عهد النّبوة ، وخلافة الرّاشدين ، د . نايف معروف ، دار النّفائس ، الطّبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .
- ٢٨ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر بن عبد البرّ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٢٩ . الإسرائيليّات في التّفسير والحديث ، محمّد حسين الدّهبي . دار الإيمان دمشق ، الطّبعة الثّانية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٥ م .
- ٣٠ . الإسلام والحضارة ، النّدوة العالميّة للشّباب ، أبحاث وقائع اللّقاء الرّابع للنّدوة العالميّة للشّباب الإسلامي المنعقد في الرّياض ٢٧ ربيع الثّاني ١٣٩٩ هـ ، النّاشر شركة دار العلم للطّباعة بالسّعوديّة . الطّبعة الثّانية .
- ٣١ . الإسلام وحركة التّاريخ ، أنور الجندي ، دار الكتاب المصري . الطّبعة الأولى ١٩٨٠ م .
- ٣٢ . الإصاغة في تمييز الصّحابة ، أحمد بن علي بن حجر ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، الطّبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .
- ٣٣ . الأعلام للزّركلي ، دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . الطّبعة السّادسة ١٩٨٤ م (تراجم . حديث) .
- ٣٤ . الأغاني للأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين ، دار الثّقافة بيروت ١٩٦٠ م / ١٣٨٠ هـ .
- ٣٥ . الإمامة والرّد على الرّافضة ، لأبي نعيم الأصبهاني ، مكتبة العلوم ، والحكم ط . أولى ١٤٠٧ هـ .
- ٣٦ . الأموال لأبي عبيد قاسم بن سلام ، تحقيق : محمّد خليل هرّاس ، دار الفكر بيروت ، الطّبعة الثّانية ١٣٩٥ هـ .
- ٣٧ . الأنصار في العصر الرّاشدي ، للدّكتور / حامد محمّد الخليفة ، رسالة علميّة لم تطبع بعد .
- ٣٨ . الأيّام الأخيرة في حياة الخلفاء ، د . إيلي منيف شهلة ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، القاهرة . الطّبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ٣٩ . الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ، ومستقبله ، عبد السّلام السّليمان ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة المغربيّة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

- ٤٠ . الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، الناشر نشاط اباد ، فيصل اباد ، باكستان .
- ٤١ . الاكتفاء لما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، لأبي الربيع سليمان الكلاعي الأندلسي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- ٤٢ . البحرية في مصر الإسلامية واثارها الباقية ، سعاد ماهر ، دار المجمع العلمي ، جدة ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .
- ٤٣ . البداية والنهاية ، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، دار الریان ، القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٨ م .
- ٤٤ . البيان والتبيين ، للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، دار الخانجي بمصر ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .
- ٤٥ . التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، د . عبد العزيز عبد الله الحميدي ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ٤٦ . التاريخ الإسلامي العام ، علي حسن إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .
- ٤٧ . التبيان في اداب حملة القران ، للنووي ، دار القران الكريم ، بيروت .
- ٤٨ . التجارة ، وطرقها في الجزيرة العربية ، د . محمد العمادي ، مؤسسة حمادة ، الأردن .
- ٤٩ . التربية القيادية ، منير الغضبان ، دار الوفاء المنصورة ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ٥٠ . التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القران الكريم ، محمد السيد محمد يوسف ، دار السلام ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ٥١ . التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، صالح أحمد العلي ، الطبعة الثانية ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .
- ٥٢ . الجامع لأحكام القران ، القرطبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م ، الطبعة الثالثة .
- ٥٣ . الجهاد في سبيل الله ، عبد الله القادري ، دار المنارة جدة ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .
- ٥٤ . الحديث والمحدثون ، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة ، د . محمد أبو زهو ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
- ٥٥ . الحرب النفسية د . أحمد نوفل ، دار الفرقان ، عمان ، طبعة عام ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

٥٦ . الحسبة في العصر النبوي ، وعصر الخلفاء الراشدين ، د . منهل إلهي ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩ م .

٥٧ . الحضارة الإسلامية عوامل الازدهار ، وتداعيات الانهيار ، دار غريب ، القاهرة .

٥٨ . الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد القحطاني ، مؤسسة الجريسي ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .

٥٩ . الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، د . محمد بطاينة ، دار طارق ، دار الكندي ، الأردن .

٦٠ . الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

٦١ . الخلافة الراشدة ، والدولة الأموية من فتح الباري ، د . يحيى إبراهيم يحيى ، دار الهجرة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

٦٢ . الخلافة والخلفاء الراشدون بين الشورى ، والديمقراطية ، سالم البهنساوي ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

٦٣ . الخلفاء الراشدون ، حسن أيوب ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

٦٤ . الخلفاء الراشدون ، عبد الوهّاب النّجّار ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

٦٥ . الخليفة الفاروق عمر بن الخطّاب ، عبد الرّحمن عبد الكريم العاني ، د . حسن فاضل زعين ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، طبعة ١٩٨٩ م .

٦٦ . الخنساء أمّ الشهداء ، عبد المنعم الهاشمي ، دار مكتبة الهلال ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ٢٠٠٠ م .

٦٧ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرّحمن الشّيوطي ، الناشر ، محمد أمين دمج ، بيروت ، لبنان .

٦٨ . الدعوة الإسلامية في عهد عمر بن الخطّاب ، حسني محمد إبراهيم غيطاس ، المكتب الإسلامي .

٦٩ . الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ، السيّد عمر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٧٠. الدّولة الإسلاميّة في عصر الخلفاء الرّاشدين ، حمدي شاهين ، دار القاهرة بدون تاريخ الطّبعة .
٧١. الدّولة العبّاسيّة ، محمّد الحضري بك ، مؤسّسة دار الكتاب الحديث بيروت ، لبنان ١٩٨٩ م .
٧٢. الرّقائق لمحمّد أحمد الرّاشد .
٧٣. الرّقابة الماليّة في الإسلام د . عوف الكفروي .
٧٤. الرّقة والبكاء ، موفق الدّين عبد الله أحمد بن قدامة ، دار القلم دمشق ، الدّار الشّاميّة بيروت ، الطّبعة الثّانية ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .
٧٥. الرّياض النّضرة في مناقب العشرة ، لأبي جعفر أحمد الشّهير بالمحبّ الطّبري ، المكتبة القيّمة ، القاهرة .
٧٦. الرّهد لو كيع ، وكيع بن الجراح ، تحقيق عبد الرّحمن عبد الجبّار ، مكتبة الدّار ، المدينة المنوّرة ، الطّبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
٧٧. السّلطة التّنفيذيّة ، د . محمّد الدّهلوي ، دار المعراج الدّوليّة الرّياض ، الطّبعة الأولى ١٤١٢ هـ ٢٠٠٠ م .
٧٨. السّنن الإلهيّة في الأمم ، والجماعات ، والأفراد ، عبد الكريم زيدان ، مؤسّسة الرّسالة ، الطّبعة الثّانية ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .
٧٩. السّنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن حسين بن علي البيهقي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
٨٠. السّياسة الشّرعية د . إسماعيل بدوي ، مكتبة المنار ، الكويت ، الطّبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م .
٨١. السّيرة النّبويّة الصّحيحة ، د . أكرم العمري ، الطّبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنوّرة .
٨٢. السّيرة النّبويّة عرض وقائع وتحليل أحداث ، علي محمّد الصّلاحي ، دار التّوزيع والنّشر الإسلاميّة ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .
٨٣. السّيرة النّبويّة في ضوء القرآن والسّننة ، د . محمّد محمّد أبو شهبه ، دار القلم ، دمشق ، الطّبعة الثّانية ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
٨٤. السّيرة النّبويّة لابن هشام ، دار إحياء الثّراث ، الطّبعة الثّانية ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
٨٥. الشّعرا ، والشّعراء لابن قتيبة ، دار الحديث ، القاهرة .

- ٨٦ . الشَّيْخَان أَبُو بَكْر ، وَعَمْرُ بَرَايَةَ الْبَلَاذِرِيِّ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ ، تَحْقِيقُ د . إِحْسَانُ صَدَقِي الْعَمَدِ ، الْمُؤْتَمَنُ لِلنَّشْرِ ، السُّعُودِيَّةُ . الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ٨٧ . الصَّحِيحُ الْجَامِعُ الصَّغِيرُ وَزِيَادَتُهُ ، مُحَمَّدُ نَاصِرُ الدِّينِ الْأَلْبَانِي ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ ، بَيْرُوتُ ، لُبْنَانُ .
- ٨٨ . الصِّفَاتُ الشَّخْصِيَّةُ ، وَسَمَاتُ السُّلُوكِ الْقِيَادِيِّ عِنْدَ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ ، د . مُحَمَّدُ النَّوْفَلَةُ ، دَارُ مَجْدَلَاوِي ، الْأُرْدُنُ .
- ٨٩ . الطَّائِفُ فِي الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ وَصَدْرُ الْإِسْلَامِ ، نَادِيَةُ حَسِينِ صَقْرٍ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، دَارُ الشُّرُوقِ ، جَدَّةُ ١٤٠١ هـ .
- ٩٠ . الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى ، لِابْنِ سَعْدٍ ، دَارُ صَادِرِ بَيْرُوتِ .
- ٩١ . الطَّرِيقُ إِلَى الْمَدَائِنِ ، أَحْمَدُ عَادِلُ كَمَالٍ ، دَارُ النَّفَائِسِ ، الطَّبْعَةُ السَّادِسَةُ ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ٩٢ . الطَّرِيقُ إِلَى دِمَشْقَ ، أَحْمَدُ عَادِلُ كَمَالٍ ، دَارُ النَّفَائِسِ ، الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
- ٩٣ . الْعَشْرَةُ الْمُبَشَّرُونَ بِالْجَنَّةِ ، مُحَمَّدُ صَالِحُ عَوْضٍ ، مَوْسَسَةُ الْمُخْتَارِ ، الْقَاهِرَةُ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .
- ٩٤ . الْعَقِيدَةُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْرِيطِ ، د . سَلِيمَانُ بْنُ رَجَاءِ السُّحَيْمِيِّ ، مَكْتَبَةُ الْإِمَامِ الْبَخَارِيِّ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .
- ٩٥ . الْعُلَلُ وَمَعْرِفَةُ الرِّجَالِ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، تَحْقِيقُ وَصِيِّ اللَّهِ عَبَّاسٍ ، الْمَكْتَبُ الْإِسْلَامِيُّ .
- ٩٦ . الْعُلُوُّ لِلْعَلِيِّ الْغَفَّارِ ، مُحَمَّدُ أَحْمَدُ الذَّهَبِيُّ .
- ٩٧ . الْعَمْدَةُ ، لِأَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ رَشِيقِ الْقَيْرَوَانِيِّ ، تَحْقِيقُ : مُحَمَّدُ مَحْيِيِّ الدِّينِ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، الْقَاهِرَةُ ، ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م .
- ٩٨ . الْعَمَلِيَّاتُ التَّعْرُضِيَّةُ الدِّفَاعِيَّةُ ، نَهَادُ عَبَّاسٍ ، دَارُ الْحَرِّيَّةِ بِبَغْدَادِ .
- ٩٩ . الْعَنْصَرِيَّةُ الْيَهُودِيَّةُ وَآثَارُهَا فِي الْمَجْتَمَعِ ، الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّغَيْبِيُّ ، مَكْتَبَةُ الْعَبِيكَانِ ، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ١٠٠ . الْفَارُوقُ الْقَائِدُ ، مُحَمَّدُ شَيْتِ الْخَطَّابِ ، دَارُ الْفِكْرِ ، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ ، ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م .
- ١٠١ . الْفَارُوقُ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، مُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا ، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ ، بَيْرُوتُ ، لُبْنَانُ ، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

- ١٠٢ . الفاروق عمر ، عبد الرَّحْمَنِ الشَّرْقَاوِي ، دار الكتاب العربي ، الطَّبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .
- ١٠٣ . الفاروق مع النَّبِيِّ د . عاطف لماضة ، دار الصَّحابة بطنطا ، الطَّبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ١٠٤ . الفتوح ، ابن أكثم الكوفي ، الطَّبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، الهند ١٣٨٨ هـ ١٩٨٦ م .
- ١٠٥ . الفتوحات الإسلامية ، د . عبد العزيز الشَّنَّأوي ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، الطَّبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .
- ١٠٦ . الفصل في الملل والأهواء والنَّحل ، لأبي محمَّد بن حزم الظَّاهري ، مكتبة الخانجي ، مصر .
- ١٠٧ . الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزائري .
- ١٠٨ . الفنُّ الحربيُّ في صدر الإسلام ، عبد الرَّؤُوف عون ، دار المعارف مصر ، طبعة ١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .
- ١٠٩ . الفنُّ العسكريُّ الإسلاميُّ ، د . ياسين سويد ، شركة المطبوعات للتوزيع والنَّشر ، لبنان ، الطَّبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م .
- ١١٠ . القادسية، أحمد عادل كمال، دار النَّفائس، الطَّبعة التاسعة، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .
- ١١١ . القضاء في الإسلام ، عطية مصطفى مشرفة . شركة الشَّرْق الأوسط ، الطَّبعة الثانية ، سنة ١٩٦٦ م .
- ١١٢ . القضاء في عهد عمر بن الخطَّاب ، د . ناصر الطَّرِيفي ، مكتبة التَّوبة ، الرِّياض ، الطَّبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ١١٣ . القضاء ونظامه في الكتاب والسُّنة ، د . عبد الرحمن الحميضي ، منشورات جامعة أمِّ القرى ، الطَّبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .
- ١١٤ . القلم لأبي خيثمة ، تحقيق الألباني ، دار الأرقم ، الكويت .
- ١١٥ . القيادة العسكريَّة في عهد الرسول (ص) ، دار القلم ، الطَّبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .
- ١١٦ . القيادة والتَّغيير ، بشير شكيب الجابري ، دار حافظ ، جدَّة ، الطَّبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

- ١١٧ . القيادة الواردة على سلطة الدولة ، د . عبد الله الكيلاني ، دار البشير ، عمّان ، مؤسّسة الرّسالة ، الطّبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ١١٨ . الكامل في التّاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشّيباني المعروف بابن الأثير ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، الطّبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ١٩٨٩ م .
- ١١٩ . الكامل في اللّغة والأدب ، لأبي العبّاس محمّد بن يزيد ، البابي الحلبي ، مصر ، طبعة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٩ م ، مؤسّسة الرّسالة ، بيروت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ١٢٠ . الكفاءة الإداريّة ، د . عبد الله قادري ، دار المجتمع ، جدّة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ١٢١ . المئة الأوائل ، ترجمة خالد عيسى ، وأحمد سبانو ، للدكتور مايكل هارت ، دار ابن قتيبة ، الطّبعة الثّامنة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
- ١٢٢ . المبسوط لمحمّد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمّة السرخسي . دار المعرفة بيروت .
- ١٢٣ . المجتمع الإسلامي دعائه ، وادابه ، د . محمّد أبو عجوه ، النّاشر : مكتبة مدبولي ، الطّبعة الأولى ، نوفمبر ١٩٩٩ م .
- ١٢٤ . المحلّي بالاثار ، للإمام أبي محمّد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان .
- ١٢٥ . المدوّنة الكبرى للإمام مالك بن أنس الأصبحي؛ رواية الإمام سحنون ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨ هـ .
- ١٢٦ . المدينة النبويّة فجر الإسلام والعصر الرّاشدي . محمّد حسن شرّاب . دار القلم بيروت ، الدّار الشّاميّة ، بيروت ، الطّبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .
- ١٢٧ . المرتضى ، سيرة أمير المؤمنين ، لأبي الحسن التّدوي ، دار القلم ، دمشق ، الطّبعة الثّانية ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
- ١٢٨ . المستدرك على الصّحّاحين ، للإمام أبي عبد الله التّيسابوري بذيله التّخليص للذهبي طبعة سنة ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م ، دار الفكر .
- ١٢٩ . المصنّف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصّنعاني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطّبعة الثّانية ١٤٠٣ هـ .

١٣٠. المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ، د . محمد الديك ، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م ، دار الفرقان للنشر ، والتوزيع .
١٣١. المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، طبعة أولى ١٤٠٠ هـ ، الدار العربي للطباعة ، بغداد .
١٣٢. المعرفة والتاريخ للفسوي ، لأبي يوسف الفسوي ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٣٩٤ هـ .
١٣٣. المغني للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي ، دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .
١٣٤. الموارد المالية ، د . يوسف عبد الغفور .
١٣٥. الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد بن حنبل ، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة ، والإرشاد بالسعودية ، مؤسسه الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
١٣٦. الموطأ للإمام مالك بن أنس الأصبحي ، صححه ، ورقمه ، وخرّج أحاديثه ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب ، عيسى الحلبي وشركاه .
١٣٧. النجوم الزاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري الأتابكي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، والترجمة ، والطباعة ، والنشر .
١٣٨. النظام السياسي في الإسلام ، محمد أبو فارس ، دار الفرقان عمان الأردن ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م .
١٣٩. النظام القضائي في العهد النبوي ، والخلافة الراشدة ، مناع القطان ، مكتبة وهبة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .
١٤٠. النظم الإسلامية ، صبحي الصالح ، الطبعة الخامسة ، دار العلم للملايين بيروت ، مايو ١٩٨٠ م .
١٤١. الهندسة العسكرية في الفتوحات الإسلامية ، د . قصي عبد الرؤوف ، دار الشؤون الثقافية العامة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م .
١٤٢. الوسطية في القرآن الكريم ، علي محمد الصلابي ، دار النفائس ، دار البيارق ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .

- ١٤٣ . الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ، د . عبد العزيز بن إبراهيم العمري .
- ١٤٤ . اليرموك ، وتحرير ديار الشام ، شاعر محمود رامز ، المطابع العسكرية ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٨٦ م .
- ١٤٥ . اليمن في ظل الإسلام ، د . عصام الدين .
- ١٤٦ . تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء ، محمد أحمد الذهبي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ١٤٧ . تاريخ الأمم والملوك ، لأبي جعفر الطبري ، دار الفكر بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ١٤٨ . تاريخ التمدن ، جرجي زيدان بن حبيب ، دار مكتبة الحياة - بيروت ، لبنان .
- ١٤٩ . تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- ١٥٠ . تاريخ الدعوة الإسلامية في زمن الرسول (ص) والخلفاء الراشدين - د . جميل عبد الله المصري ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ١٥١ . تاريخ القضاء في الإسلام ، د . محمد الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .
- ١٥٢ . تاريخ القضاة ، كتاب عيون المعارف ، وفنون أخبار الخلائق للقاضي محمد بن سلامة ابن جعفر الشافعي ، دراسة ، وتحقيق د . جميل عبد الله المصري ، منشورات جامعة أم القرى ، ١٤١٥ هـ .
- ١٥٣ . تاريخ المدينة ، عمر بن شبة النميري ، تحقيق فهد محمد شلتون ، دار الأصفهاني ، جدة ، بدون تاريخ .
- ١٥٤ . تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن يعقوب بن جعفر ، دار صادر بيروت - لبنان .
- ١٥٥ . تاريخ بغداد ، أو مدينة السلام ، للحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي .
- ١٥٦ . تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مطبعة الاداب ، النجف ١٩٦٧ م .
- ١٥٧ . تاريخ دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر ، تحقيق مطاع الطرايشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق .

- ١٥٨ . تبصير المؤمنين بفقهِ النَّصر ، والتَّمكين ، د . علي محمد الصَّلَابي . مكتبة الصَّحابة ، الطَّبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .
- ١٥٩ . تدريب الرَّوي في شرح تقريب النَّواوي ، للشُّيوطي ، تحقيق عبد الوهَّاب عبد اللطيف ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطَّبعة الثَّانية ١٣٨٥ هـ .
- ١٦٠ . تذكرة الحَقَّاط للذَّهبي ، لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي ، طبعة دار إحياء الثُّراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ١٦١ . تراث الخلفاء الرَّاشدين في الفقه ، والقضاء ، الدكتور صبحي محمصاني ، دار العلم للملايين ، الطَّبعة الأولى ١٩٨٤ م .
- ١٦٢ . ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ، خلافة عمر ، د . محمد بن صامل السَّلَمي ، دار الوطن ، الطَّبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ١٦٣ . تطوُّر تاريخ العرب السِّياسي ، والحضاري ، د . فاطمة الشَّامي .
- ١٦٤ . تفسير ابن كثير ، ابن كثير القرشي ، دار الفكر ، ودار القلم بيروت ، لبنان الطَّبعة الثَّانية .
- ١٦٥ . تفسير الرَّازي ، فخر الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عمر ، دار إحياء الثُّراث العربي ، بيروت ، الطَّبعة الثَّانية .
- ١٦٦ . تهذيب الأسماء ، واللُّغات ، للنَّووي ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، عن الطَّبعة المنيريَّة .
- ١٦٧ . تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال ، للمزِّي ، تحقيق د . بشار عوَّاد معروف ، مؤسَّسة الرِّسالة بيروت .
- ١٦٨ . تهذيب تاريخ ابن عساكر ، دار إحياء الثُّراث العربي ، بيروت ، الطَّبعة الثَّالثة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ١٦٩ . جامع الأصول في أحاديث الرِّسول ، أبو السَّعادات المبارك بن محمَّد الجزري .
- ١٧٠ . جامع بيان العلم ، وفضله لابن عبد البرِّ ، تصوير دار الكتب العلميَّة ١٣٩٨ هـ ، بيروت .
- ١٧١ . جولة تاريخيَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، محمَّد السَّيد الوكيل ، دار المجتمع ، الطَّبعة الخامسة ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .
- ١٧٢ . حذيفة بن اليمان ، أمين سرِّ الرِّسول ، إبراهيم محمَّد العلي ، دار القلم ، الطَّبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

١٧٣. حركة الفتح الإسلامي ، شكري فيصل ، دار العلم للملايين . الطبعة السادسة ١٩٨٢ م .
١٧٤. حروب الإسلام في الشام في عهود الخلفاء الراشدين ، محمد أحمد باشميل ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م .
١٧٥. حروب الردّة وبناء الدولة الإسلاميّة ، أحمد سعيد بن سالم ، دار المنار ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .
١٧٦. حروب القدس في التاريخ الإسلامي والعربي . د . ياسين سويد ، دار الملتقى ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ م .
١٧٧. حلية الأولياء ، وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، دار الكتب العلميّة ، بيروت .
١٧٨. خالد بن الوليد، صادق عرجون، الدار السُعوديّة، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
١٧٩. خلاصة تاريخ ابن كثير ، محمد كنعان ، مؤسّسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
١٨٠. خلافة الصّديق ، والفاروق ، عبد العزيز الثّعالبي ، دار ابن كثير ، دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
١٨١. دراسات في الحضارة الإسلاميّة ، أحمد إبراهيم الشّريف ، دار الفكر العربي .
١٨٢. دراسات في عهد النّبوة والخلافة الراشدة ، د . عبد الرّحمن الشّجاع ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .
١٨٣. دراسة في تاريخ المدن العربيّة . د . عبد الجبّار ناجي ، شركة المطبوعات للتّوزيع والنّشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .
١٨٤. دور الحجاز في الحياة السّياسيّة العامّة في القرنين الأول ، والثّاني للهجرة ، د . أحمد إبراهيم الشّريف ، دار الفكر العربي . الطبعة الثّانية ١٩٧٧ م .
١٨٥. دور المرأة السّياسية في عهد النّبويّ ، والخلفاء الراشدين ، أسماء محمّد ، دار السّلام ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م .
١٨٦. روضة الطّالبيين ، وعمدة المفتين لأبي زكريّا يحيى بن شرف النّووي . المكتب الإسلامي . بيروت ، لبنان . الطبعة الثّانية ١٤٠٥ هـ .

- ١٨٧ . زاد المعاد في هدي خير العباد ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيس الجوزية ، حققه : شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ ، دار الرسالة .
- ١٨٨ . سراج الملوك ، أبو بكر الطرطوش ، المطبعة الوطنية ، الإسكندرية ، ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م .
- ١٨٩ . سلسلة الأحاديث الصحيحة ، للألباني ، المكتب الإسلامي .
- ١٩٠ . سنن أبي داود : الإمام أبو داود سليمان السجستاني ، تحقيق وتعليق عزت الدعاس ١٣٩١ هـ ، سوريا .
- ١٩١ . سنن ابن ماجه ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني ، دار الفكر .
- ١٩٢ . سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، دار الفكر ١٣٩٨ هـ .
- ١٩٣ . سنن النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي بشرح جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م ، دار الفكر ، بيروت .
- ١٩٤ . سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب ، عبد الله جمعان السعدي ، الناشر : مكتبة المدارس ، الدوحة ، قطر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ١٩٥ . سير أعلام النبلاء ، محمد أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .
- ١٩٦ . سير السلف لأبي القاسم الأصفهاني ، دار الرية ، الرياض . الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ١٩٧ . سير الشهداء ، دروس ، وعبر ، عبد الحميد عبد الرحمن السحيباني ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .
- ١٩٨ . شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي ، تحقيق د . أحمد بن سعد حمدان الغامدي ، دار طيبة ، الرياض ، السعودية .
- ١٩٩ . شرح العقيدة الطحاوية ، محمد بن علي بن محمد الأذرعي ، خرّج أحاديثها ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - بيروت .
- ٢٠٠ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، عز الدين عبد الحميد المدائني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط . الباي الحلبي ، القاهرة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .

- ٢٠١ . صباح الأعشى في قوانين الإنشا ، لأحمد بن علي القلقشندي . وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ١٣١٨ هـ ، مكتبة الحلواني ، سوريا ، عام ١٣٩٢ هـ .
- ٢٠٢ . صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
- ٢٠٣ . صحيح التوثيق في سيرة وحياء الفاروق عمر بن الخطاب ، مجدي فتحي السيد ، دار الصحابة للتراث بطنطا ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ٢٠٤ . صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم صالح العلي ، دار النفائس ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ٢٠٥ . صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م .
- ٢٠٦ . صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .
- ٢٠٧ . صفة الصفوة ، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ، دار المعرفة ، بيروت .
- ٢٠٨ . صلاح الأمة في علو الهمة ، الدكتور سيد بن حسين العفاني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- ٢٠٩ . صلح الحديبية ، محمد أحمد باشميل ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ م . ١٣٩٣ هـ .
- ٢١٠ . طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .
- ٢١١ . عبادة بن الصامت صحابي كبير ، وفاتح مجاهد ، الدكتور / وهبة الزحيلي ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .
- ٢١٢ . عبقرية الإسلام في أصول الحكم ، منير العجلاني ، دار النفائس ، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م .
- ٢١٣ . عبقرية خالد ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية . بيروت .
- ٢١٤ . عبقرية عمر ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية ، بيروت .
- ٢١٥ . عصر الخلافة الراشدة . د . أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .

- ٢١٦ . عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، د . ناصر بن علي حسن الشيخ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .
- ٢١٧ . عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، إسماعيل الصابوني ، إدارة الطباعة المنيرية ، نشر محمد أمين دمج ، بيروت . ١٩٧٠ م .
- ٢١٨ . علم أصول الفقه ، وتاريخ التشريع ، أحمد إبراهيم بك ، المطبعة الفيتية ، القاهرة .
- ٢١٩ . علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، فرانز روزنتال ، مؤسسه الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ٢٢٠ . علي بن أبي طالب مستشار أمين الخلفاء الراشدين ، د . محمد عمر الحاجي ، دار الحافظ ، الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .
- ٢٢١ . عمر بن الخطاب ، د . محمد أحمد أبو النصر ، دار الجيل . بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
- ٢٢٢ . عمر بن الخطاب ، حياته ، علمه ، أدبه ، د . علي أحمد الخطيب ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ٢٢٣ . عمر بن الخطاب ، صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله ، دار القاسم ، الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ٢٢٤ . عمرو بن العاص القائد والسياسي ، د . عبد الرحيم محمد عبد الحميد علي ، دار زهران للنشر ، عمان ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
- ٢٢٥ . عوامل النصر والهزيمة ، شوقي أبو خليل ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ٢٢٦ . عون المعبود شرح سنن أبي داود ، محمد شمس الحق العظيم ابادي ، ضبط ، وتحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- ٢٢٧ . عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ٢٢٨ . غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، يحيى بن الحسين .
- ٢٢٩ . فتح الباري ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ .

٢٣٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : محمد علي الشوكاني ، دار الفكر .
٢٣١. فتح مصر بين الرؤية الإسلامية والرؤية النصرانية . د . إبراهيم المتناوي ، دار البشير طنطا ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م .
٢٣٢. فتح مصر ، صبحي ندا ، دار البشير . طنطا ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .
٢٣٣. فتوح البلدان للبلاذري ، لأبي العباس أحمد بن يحيى البلاذري ، مؤسسه المعارف ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
٢٣٤. فتوح مصر لابن عبد الحكم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، نسخة عن طبعة لندن (١٢٣٩ هـ ١٩٢٠ م) ، نشر مكتبة المثنى ، بغداد .
٢٣٥. فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، قاسم عاشور ، دار طويق السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
٢٣٦. فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، محمد صالح الغرسي ، دار السلام ، مصر ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .
٢٣٧. فضائل الصحابة لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
٢٣٨. فقه الأولويات دراسة في الضوابط ، محمد الوكيل ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٦ هـ ١٩٩٧ م .
٢٣٩. فقه الائتلاف ، محمود محمد الخزندار ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ .
٢٤٠. فقه التمكن في القرآن الكريم ، علي محمد الصلابي ، دار البيارق ، عمان ، الطبعة الأولى ١٩٩٩ م .
٢٤١. فقه الزكاة ، يوسف القرضاوي ، الطبعة الرابعة . ١٩٨٠ م . مؤسسه الرسالة ، بيروت ، لبنان .
٢٤٢. فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، الطبعة الحادية عشرة ١٩٩١ م ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا .
٢٤٣. فن الحكم في الإسلام ، مصطفى أبو زيد فهمي ، المكتب المصري الحديث .
٢٤٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ ١٩٧٢ م .

٢٤٥ . لقاء المؤمنين ، عدنان النحوي ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٢٤٦ . لله ثم للتاريخ ، كشف أسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ، السيد حسين الموسوي ، دار اليقين .

٢٤٧ . لوامع الأنوار البهية ، شرح الدرّة المضية في عقيدة الفرقة الرضية لمحمد بن أحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي ، مكتب أسامة .

٢٤٨ . مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، للقلقشندي ، تحقيق عبد الستار أحمد الفرج ، عالم الكتب ، بيروت .

٢٤٩ . مبادئ النظام الاقتصادي الإسلامي ، د . سعاد إبراهيم صالح ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

٢٥٠ . مجلة البحوث العلمية، تصدر عن الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية ، والإفتاء، والدعوة ، والإرشاد ، الرياض ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ١٤٠٣ م .

٢٥١ . مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان القاهرة ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢٥٢ . مجموعة الفتاوى ، تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني ، دار الوفاء بالمنصورة ، مكتبة العبيكان بالرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

٢٥٣ . مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي ، والخلافة الراشدة ، محمد حميد الله ، دار النفائس ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٢٥٤ . محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، للإمام يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الصالح الحنبلي ، دار أضواء السلف ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .

٢٥٥ . مدارج السالكين بين منازل {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ*} لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٢ هـ .

٢٥٦ . مروج الذهب ، ومعادن الجوهر ، أبو الحسن علي بن حسين بن علي المسعودي ، دار المعرفة ، بيروت .

- ٢٥٧ . مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، عصر الخلافة الراشدة ، د . يحيى إبراهيم يحيى ، دار العاصمة بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ .
- ٢٥٨ . مسند أحمد ، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- ٢٥٩ . مسند الشافعي ، ترتيب محمد عابد السندي ، دار الكتب العلمية .
- ٢٦٠ . مصنف ابن أبي شيبة للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ، دار القرآن والعلوم الإنسانية . كراتشي باكستان ١٤٠٦ هـ .
- ٢٦١ . مع الرّعيّل الأوّل ، محبّ الدّين الخطيب ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م .
- ٢٦٢ . معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، إدوار غالي الذهبي ، مكتبة غريب ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .
- ٢٦٣ . معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت .
- ٢٦٤ . مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٢٦٥ . مقدّمة ابن خلدون .
- ٢٦٦ . من أخلاق النّصر في جيل الصّحابة ، الدّكتور السيّد محمّد نوح ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .
- ٢٦٧ . من معين السيرة ، صالح أحمد الشّامي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .
- ٢٦٨ . مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب لأبي الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي ، دار الكتاب العربي ، بيروت . الطبعة الرّابعة ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .
- ٢٦٩ . منهاج السنّة النبويّة ، أحمد بن عبد الحليم بن تيميّة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، لبنان .
- ٢٧٠ . منهج التّربية الإسلاميّة ، محمّد قطب ، دار الشّروق ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ٢٧١ . منهج الرّسول في غرس الرّوح الجهاديّة في نفوس أصحابه ، السيّد محمّد نوح ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م نشرته جامعة الإمارات العربيّة المتّحدة .

٢٧٢ . موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، د . محمّد قلعجي ، دار النَّفائس . الطّبعة الرَّابعة ١٤٠٩ هـ
١٩٨٩ م .

٢٧٣ . نسب قريش : أبو عبد الله مصعب بن عبد الله بن الرُّبيريّ ، دار المعارف ، القاهرة .

٢٧٤ . نصب الرّاية لأحاديث الهداية لعبد الله بن يوسف الحنفي الرّيلعي ، الطّبعة الثّانية ١٣٩٣ م .
٢٧٥ . نظام الحكم في الشّريعة والتّاريخ الإسلامي ، ظافر القاسمي ، دار النَّفائس ، بيروت ، الطّبعة
الثّالثة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

٢٧٦ . نظام الحكومة الإسلاميّة : للكتّاني ، المسمّى : التّراتيب الإداريّة ، محمّد عبد الحي الكتّاني
الإدريسي الحسني ، الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت .
٢٧٧ . نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب النُّوري ، مطبعة كوتسا
توماسي بالقاهرة .

٢٧٨ . نونية القحطاني لأبي محمّد عبد الله بن محمّد الأندلسي القحطاني ، دار السّوادي ، السّعوديّة ،
الطّبعة الثّالثة ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م .

٢٧٩ . وسطية أهل السنّة بين الفرق ، محمّد باكرم محمّد باعبد الله ، دار الرّاية ، الرّياض ، السّعوديّة ،
الطّبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .

٢٨٠ . وقائع ندوة النُّظم الإسلاميّة ، أبو ظبي ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م .

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الإهداء ٤

مقدّمة ٥

الفصل الأوّل : عمر . رضي الله عنه . بمكّة ١٤

المبحث الأوّل : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وصفته ، وأسرته ، وحياته في الجاهليّة ١٤

أولاً : اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وألقابه ١٤

ثانياً : مولده ، وصفته الخلقية ١٤

ثالثاً : أسرته ١٥

رابعاً : حياته في الجاهلية ١٦

المبحث الثاني : إسلامه وهجرته ٢٠

أولاً : إسلامه ٢٠

١ . عزمه على قتل رسول الله ٢١

٢ . مداهمة عمر بيت أخته ، وثبات فاطمة بنت الخطاب أمام أخيها ٢٢

٣ . ذهابه لرسول الله ، وإعلان إسلامه ٢٣

٤ . حرص عمر على الصدع بالدعوة ، وتحمله الصعاب في سبيلها ٢٤

٥ . أثر إسلامه على الدعوة ٢٥

٦ . تاريخ إسلامه ، وعدد المسلمين يوم أسلم ٢٦

ثانياً : هجرته ٢٦

الفصل الثاني : التربية القرآنية والنبوية لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣١

المبحث الأول : حياة الفاروق مع القرآن الكريم ٣١

أولاً : تصوّره عن الله ، والكون ، والحياة ، والجنة ، والنار ، والقضاء ، والقدر ٣١

ثانياً : موافقات عمر للقرآن الكريم ، وإمامه بأسباب النزول ، وتفسيره لبعض الايات ٣٥

١ . موافقات عمر للقرآن الكريم ٣٥

٢ . موافقته في ترك الصلاة على المنافقين ٣٥

٣ . موافقته في أسرى بدر ٣٦

٤ . موافقته في الاستئذان ٣٦

٥ . عمر ودعاؤه في تحريم الخمر ٣٧

٦ . إمامه بأسباب النزول ٣٧

٧ . سؤاله لرسول الله (ص) عن بعض الايات ٣٨

٨ . تفسير عمر لبعض الايات ، وبعض تعليقاته ٣٩

- المبحث الثاني : ملازمته لرسول الله (ص) ٤١
- أولاً : عمر رضي الله عنه في ميادين الجهاد مع رسول الله (ص) ٤٤
- ١ . غزوة بدر ٤٤
 - ٢ . غزوة أحد ، وبني المصطلق ، والخذق ٤٧
 - ٣ . صلح الحديبية ، وسرية إلى هوازن ، وغزوة خيبر ٤٩
 - ٤ . فتح مكة ، وغزوة حنين ، وتبوك ٥٢
- ثانياً : من مواقفه في المجتمع المدني ٥٦
- ١ . رسول الله (ص) يسأل عمر عن السائل ٥٧
 - ٢ . إصابة رأيه رأي رسول الله (ص) ٥٨
 - ٣ . حرص رسول الله (ص) على توحيد مصدر تلقي الصحابة ٥٨
 - ٤ . رسول الله (ص) يتحدث عن بدء الخلق ٥٩
 - ٥ . نهي رسول الله (ص) عن الحلف بالاباء ، وحثه على التوكل على الله ٥٩
 - ٦ . رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ، ديناً ، وبمحمد نبياً ، ورسولاً ٥٩
 - ٧ . لا ونعمة عين بل للناس عامة ٦٠
 - ٨ . حكم العائد في صدقته ٦٠
 - ٩ . من صدقاته ، ووقفه ٦٠
 - ١٠ . هدية نبوية لعمر بن الخطاب ، وأخرى لابنه ٦١
 - ١١ . تشجيعه لابنه ، وبشرى لابن مسعود ٦١
 - ١٢ . حذره من الابتداع ٦٢
 - ١٣ . خذ ما جاءك من هذا المال ، وأنت غير مشرفٍ ولا سائل ٦٢
 - ١٤ . دعاء رسول الله (ص) لعمر رضي الله عنه ٦٢
 - ١٥ . لقد علمت حين مشى فيها رسول الله (ص) ليباركنَّ فيها ٦٣
 - ١٦ . زواج حفصة بنت عمر . رضي الله عنهما . من رسول الله (ص) ٦٤
- ثالثاً : موقف عمر . رضي الله عنه . من خلاف رسول الله (ص) مع أزواجه ٦٣
- رابعاً : شيء من فضائله ، ومناقبه ٦٥

- ١ . إيمانه ، وعلمه ، ودينه ٦٥
- ٢ . هيبة عمر ، وخوف الشيطان منه ٦٦
- ٣ . ملهم هذه الأمة ٦٧
- ٤ . لم أر عبقرياً يفري فريه ٦٨
- ٥ . غيرة عمر . رضي الله عنه . وبشرى رسول الله (ص) له بقصرٍ في الجنة ٦٨
- ٦ . أحبُّ أصحاب رسول الله (ص) إليه بعد أبي بكرٍ ٦٩
- ٧ . بشرى لعمر بالجنة ٦٩
- خامساً : موقف عمر في مرض رسول الله (ص) ووفاته ٦٩
 - ١ . في مرض رسول الله (ص) ٦٩
 - ٢ . موقفه يوم قبض الرسول (ص) ٧١
- المبحث الثالث : عمر . رضي الله عنه . في خلافة الصديق ٧٣
 - أولاً : مقامه في سقيفة بني ساعدة ، ومبايعته الصديق ٧٣
 - ثانياً : مراجعته لأبي بكرٍ في محاربة مانعي الزكاة ، وإرسال جيش أسامة ٧٤
 - ثالثاً : عمر ، ورجوع معاذ من اليمن ، وفراسة صادقة في أبي مسلم الخولاني ، ورأيه في تعيين أبان بن سعيد على البحرين ٧٥
 - ١ . عمر ورجوع معاذٍ من اليمن ٧٥
 - ٢ . فراسة صادقة في أبي مسلم الخولاني ٧٥
 - ٣ . رأيه في تعيين أبان بن سعيد على البحرين ٧٦
 - رابعاً : رأي عمر في عدم قبول دية قتلى المسلمين ، واعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ٧٦
 - ١ . رأي عمر في عدم قبول دية قتلى المسلمين في حروب الردة ٧٦
 - ٢ . اعتراضه على إقطاع الصديق للأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن ٧٧
 - خامساً : جمع القرآن الكريم ٧٨
- الفصل الثالث : استخلاف الصديق للفاروق وقواعد نظام حكمه ، وحياته في المجتمع ٨٠
- المبحث الأول : استخلاف الصديق للفاروق ، وقواعد نظام حكمه ٨٠

أولاً : استخلاف الصِّدِّيقِ للفاروق ٨٠

ثانياً : انعقاد الإجماع على خلافته رضي الله عنه ٨٤

ثالثاً : خطبة الفاروق لما تولَّى الخلافة ٨٦

رابعاً : الشُّورى ٩٠

خامساً : العدل ، والمساواة ٩٤

سادساً : الحرِّيات ١٠١

١ . حرِّية العقيدة الدِّينية ١٠٢

٢ . حرِّية التَّنقُّل ، أو حرِّية الغدوِّ ، والرَّواح ١٠٤

٣ . حقُّ الأمن ، وحرمة المسكن ، وحرِّية الملكية ١٠٦

٤ . حرِّية الرأْي ١٠٨

٥ . رأْي عمر من الرِّواج بالكتايبات ١١١

سابعاً : نفقات الخليفة ، والبدء بالتَّاريخ الهجري ، ولقب أمير المؤمنين ١١٤

١ . نفقات الخليفة ١١٤

٢ . بدء التَّاريخ ١١٦

٣ . لقب أمير المؤمنين ١١٧

المبحث الثاني : صفات الفاروق ، وحياته مع أسرته ، واحترامه لأهل البيت ١١٩

أولاً : أهمُّ صفات الفاروق ١١٩

١ . شدَّة خوفه من الله تعالى بحاسبته لنفسه ١١٩

٢ . زهده ١٢٢

٣ . ورعه ١٢٥

٤ . تواضعه ١٢٦

٥ . حلمه ١٢٨

ثانياً : حياته مع أسرته ١٢٩

١ . المرافق العامَّة ١٢٩

٢ . محاسبته لابنه عبد الله لما اشترى فيء جلولاء ١٣٠

- ٣ . منع جرّ المنافع بسبب صلة القرى به ١٣٠
- ٤ . تفضيل أسامة بن زيدٍ على عبد الله بن عمر . رضي الله عنهم . في العطاء ١٣١
- ٥ . أنفقت عليك شهراً ١٣١
- ٦ . خذه يا معيقب ، فاجعله في بيت المال ١٣١
- ٧ . عاتكة زوجة عمر ، والمسك ١٣١
- ٨ . رفضه هديّة لزوجته ١٣٢
- ٩ . هديّة ملكة الرّوم لزوجته أمّ كلثوم ١٣٢
- ١٠ . أمّ سليطٍ أحقُّ به ١٣٣
- ١١ . غششت أباك ، ونصحت أقباءك ١٣٣
- ١٢ . أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً ؟ ١٣٣
- ثالثاً : احترامه ، ومحبّته لأهل البيت ١٣٤
- ١ . معاملته لأزواج النّبي (ص) ١٣٥
- ٢ . عليّ بن أبي طالب . رضي الله عنه . وأولاده ١٣٦
- ٣ . الخلاف بين العباس ، وعليّ . رضي الله عنهما . في فيء رسول الله (ص) من بني النّضير ١٣٨
- ٤ . احترام عمر للعبّاس ، وابنه عبد الله . رضي الله عنهم . ١٣٩
- المبحث الثالث : حياة عمر في المجتمع ، واهتمامه بنظام الحسبة ١٤١
- أولاً : حياة عمر في المجتمع ١٤١
- ١ . عمر . رضي الله عنه . ورعايته لنساء المجتمع ١٤١
- . ثكلتك أمك . . عثرات عمر تتبّع ١٤١
- . هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ١٤١
- . مرحباً بنسبٍ قريبٍ ١٤٢
- . خطبته لأمّ كلثوم بنت الصّديق ١٤٣
- . رجلٌ يكلم امرأةً في الطّريق ١٤٤
- . امرأةٌ تشتكي إلى عمر من زوجها ١٤٤

- ١٤٥ . لم تطلّقها ؟ قال : لا أحبّها ١٤٥ .
- ١٤٥ . رزق أولاد الخنساء ١٤٥ .
- ١٤٥ . هند بنت عتبة تقترض من بيت المال ، وتتاجر ١٤٥ .
- ٢ . حفظ سوابق الخير للرعيّة ١٤٦ .
- ١٤٧ . امنّت إذ كفروا ، وأقبلت إذ أدبروا ، ووقّيت إذ غدروا ١٤٧ .
- ١٤٧ . حقّ على كلّ مسلمٍ أن يُقبِلَ رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ ١٤٧ .
- ١٤٨ . أفيكم أويس بن عامر ؟ ١٤٨ .
- ١٤٨ . عمر . رضي الله عنه . ومجاهدٌ بارٌّ بأمّه ١٤٨ .
- ١٤٩ . رجلٌ ضرب ضربةً في سبيل الله حفرت في وجهه ١٤٩ .
- ١٤٩ . أمنيّةٌ عمريّةٌ ١٤٩ .
- ١٥٠ . العمل عنده هو معيار التفاضل بين النّاس ١٥٠ .
- ١٥٠ . عمر . رضي الله عنه . يشهد للجنّاة ١٥٠ .
- ١٥٠ . عمر . رضي الله عنه . وعطاء حكيم بن حزام رضي الله عنه ١٥٠ .
- ١٥١ . عمر يُقبِلُ رأس عليّ رضي الله عنهما ١٥١ .
- ١٥١ . جرير البجلي ينصح عمر ١٥١ .
- ١٥١ . رجلٌ من الموالي يخطب من قريش ١٥١ .
- ٣ . مهابته في وسط المجتمع ، وحرصه على قضاء حوائج النّاس ١٥١ .
- ١٥١ . مهابته في وسط المجتمع ١٥١ .
- ١٥٣ . حرصه على قضاء حوائج النّاس ١٥٣ .
- ٤ . تربيته لبعض زعماء المجتمع ١٥٤ .
- ١٥٤ . أبو سفيان . رضي الله عنه . وداره بمكّة ١٥٤ .
- ١٥٥ . عيينة بن حصن ، ومالك بن أبي زفر ١٥٥ .
- ١٥٥ . الجارود وأبيّ بن كعبٍ رضي الله عنهم ١٥٥ .
- ٥ . إنكاره لبعض التّصرّفات في المجتمع ١٥٥ .

- . مجزرة الزبير بن العوام رضي الله عنه ١٥٥
- . الان سل ما بدا لك ١٥٥
- . دع هذه المشية ١٥٦
- . لا تمت علينا ديننا ١٥٦
- . اهتمامه بصحة الرعية ١٥٦
- . نصيحة عمرية لمن وقع في شرب الخمر ١٥٧
- . رأي عمر في المجالس الخاصة ١٥٨
- ثانياً : اهتمامه بالحسبة (الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر) ١٥٨
- ١ . حماية جانب التوحيد ، ومحاربة الزيغ ، والبدع ١٥٩
- . عروس النيل ١٥٩
- . إنك حجر لا تنفع ، ولا تضر ١٦٠
- . قطع شجرة الرضوان ١٦١
- . قبر دانيال ١٦١
- . أتريدون أن تتخذوا اثار أنبيائكم مساجد ؟ ١٦١
- . فأحببت أن يعلموا : أن الله هو الصانع ١٦١
- . إنما المتوكل من يلقى حبه في الأرض ١٦٢
- . ألا وإنا نفتدي ، ولا نبتدي ، ونبتع ، ولا نبتدع ١٦٢
- ٢ . اهتمامه بأمر العبادات ١٦٣
- . الصلاة ١٦٣
- . التراويح ١٦٦
- . الزكاة ، والحج ، ورمضان ١٦٧
- ٣ . اهتمامه بالأسواق ، والتجارة ١٦٨
- . إلزام التجار بمعرفة الحلال والحرام في البيوع ١٧١
- . أمره الناس بالسعي ، وحثهم على التكسب ١٧٢
- . خشية عمر من ترك أعيان المسلمين للتجارة ١٧٣

٤ . الدَّورِيَّاتُ العَمْرِيَّةُ اللَّيْلِيَّةُ (العسس) ١٧٣

. النَّهْيُ عَنِ تَعْجِيلِ فَطَامِ الصَّبِيَّانِ ١٧٤

. تَحْدِيدُ مَدَّةِ غِيَابِ الجُنُودِ عَنِ زَوْجَاتِهِمْ ١٧٤

. حِمَايَةُ أَعْرَاضِ المَجَاهِدِينَ ١٧٥

. أَأَنْتِ تَحْمَلِينَ عَنِّي وَزُرِي يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ ١٧٧

. يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ بِشَّرِّ صَاحِبِكَ بِغَلَامِ ١٧٨

. وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَطِيعَهُ فِي المَلَأِ ، وَأَعْصِيهِ فِي الخَلَا ١٧٩

٥ . رَأْفَتُهُ ، وَرَحْمَتُهُ بِالبِهَائِمِ ١٨٠

. أَتَحْمَلُ عَلَيَّ بِعَيْرِكَ مَا لَا يَطِيقُ ؟ ١٨٠

. أَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّ لَهَا عَلَيْكُمْ حَقًّا ؟ ١٨٠

. يَدَاوِي إِبِلَ الصَّدَقَةِ ١٨٠

. عَذِبَتْ بِهَيْمَةَ مِنَ البِهَائِمِ فِي شَهْوَةِ عَمْرِ ١٨١

. إِنِّي لِخَائِفٌ أَنْ أَسْأَلَ عَنْكَ ١٨١

٦ . زَلْزَلَةُ الأَرْضِ فِي عَهْدِ الفَارُوقِ ١٨١

المَبْحَثُ الرَّابِعُ : اِهْتِمَامُ الفَارُوقِ بِالعِلْمِ ، وَالدُّعَاةُ ، وَالعِلْمَاءُ ١٨٢

أَوَّلًا : اِهْتِمَامُ الفَارُوقِ بِالعِلْمِ ١٨٢

١ . اِحْتِيَاطُهُ فِي أَخْذِ الحَدِيثِ ، وَمَذَكَرَاتُهُ لِلْعِلْمِ ، وَسُؤَالُهُ عَمَّا يَجْهَلُ ١٨٣

. اِحْتِيَاطُهُ فِي أَخْذِ الحَدِيثِ ، وَطَلْبُهُ لِلتَّثْبُتِ ١٨٣

. مَذَاكِرَةُ عَمْرِ لِلْعِلْمِ وَسُؤَالُهُ عَمَّا يَجْهَلُ ١٨٣

٢ . مِنْ أَقْوَالِهِ فِي الحَدِيثِ عَلَى العِلْمِ ١٨٤

٣ . تَتَبُّعُهُ لِلرَّعِيَّةِ بِالتَّوْجِيهِ ، وَالتَّعْلِيمِ فِي المَدِينَةِ ١٨٥

— خ حَكْمٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الخُطْبَةِ ١٨٦

. أَخَذَ النَّاسَ بِظَاهِرِهِمْ ، وَتَرَكَ سِرَائِرَهُمْ ١٨٦

. بَعْضُ الشُّحِّ شَعْبَةٌ مِنَ التَّفَاقِ ١٨٦

. وَلَوَدِدْتُ أَنْ أُنْجُو كَفَافًا لِأَيِّ وَلا عَلَيَّ ١٨٧

- ٤ . من حكمه التي سارت بين الناس ١٨٧
- من كتم سرّه كانت الخيرة في يديه ١٨٧
- ومن عرّض نفسه للثّمة فلا يلومنّ من أساء به الظنّ ١٨٧
- ولا تظننّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير مدخلاً ١٨٨
- ولا تكثر الحلف فيهينك الله ١٨٨
- وما كافات من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ١٨٨

- وعليك ياخوان الصّدق ١٨٨

ثانياً : جعله المدينة داراً للفتوى ، والفقهاء ١٨٩

١ . المدرسة المكيّة ١٩٣

٢ . المدرسة المدنيّة ١٩٥

٣ . المدرسة البصريّة ١٩٦

٤ . المدرسة الكوفيّة ٢٠٠

٥ . المدرسة الشّاميّة ٢٠٢

٦ . المدرسة المصريّة ٢٠٧

ثالثاً : الفاروق والشّعر ، والشّعراء ٢١٠

١ . عمر والشّعر ٢١١

٢ . الفاروق والحطيئة ، والزّبرقان بن بدر ٢١٤

٣ . الشّعر يحول حزم عمر إلى لين ، وشفقة ٢١٦

٤ . نزعة النّقد الأدبيّ عند عمر ٢١٩

- سلامة العربيّة ٢٢١

- أنس الألفاظ ، والبعد عن المعاضلة ، والتّعقيد ٢٢١

- الوضوح والإناابة ٢٢١

- أن تكون الألفاظ بقدر المعاني ٢٢٢

- جمال اللفظة في موقعها ٢٢٢

- حسن التّقسيم ٢٢٢

المبحث الخامس : التطوير العمراني ، وإدارة الأزمات في عهد عمر ٢٢٥

أولاً : التطوير العمراني ٢٢٥

١ . الاهتمام بالطرق ووسائل النقل البري ، والبحري ٢٢٦

٢ . إنشاء الثُغور ، والأمصار ، كقواعد عسكرية ، ومراكز إشعاع حضاري ٢٢٧

. مدينة البصرة ٢٢٩

. مدينة الكوفة ٢٣١

. خشية عمر على المسلمين من الدُخول في حياة الترف ، والتَّعيم ٢٣٢

. قول عمر : ما لا يقربكم من السرف ، ولا يخرجكم من القصد ٢٣٤

. قوله : الزموا السُّنة تلمزمكم الدولة ٢٣٤

. مدينة الفسطاط ٢٣٦

. مدينة سرت بليبيا ٢٣٧

. الحاميات المقامة في المدن المفتوحة ٢٣٧

ثانياً : الأزمة الاقتصادية (عام الرَّمادة) ٢٣٨

١ . ضرب من نفسه للناس قذوة ٢٣٩

٢ . معسكرات اللاجئين عام الرَّمادة ٢٤٠

٣ . الاستعانة بأهل الأمصار ٢٤٢

٤ . الاستغاثة بالله وصلاة الاستسقاء ٢٤٤

٥ . وقف إقامة الحدِّ عام المجاعة ٢٤٦

٦ . تأخير دفع الرِّكاة في عام الرَّمادة ٢٤٧

ثالثاً : الطَّاعون ٢٤٧

١ . رجوع عمر من سَرَغ على حدود الحجاز والشَّام ٢٤٨

٢ . وفاة أبي عبيدة رضي الله عنه ٢٤٨

٣ . وفاة معاذ بن جبل رضي الله عنه ٢٥٠

٤ . خروج الفاروق إلى الشَّام ، وترتيبه للأُمور ٢٥٢

٥ . حكم الدُخول والخروج في الأرض التي بها الطَّاعون ٢٥٣

الفصل الرَّابِع : المؤسَّسة الماليَّة ، والقضائيَّة ، وتطويرها في عهد عمر ٢٥٥

المبحث الأول : المؤسَّسة الماليَّة ٢٥٥

أولاً : مصادر دخل الدَّولة في عهد عمر رضي الله عنه ٢٥٥

١ . الزَّكاة ٢٥٦

٢ . الجزية ٢٥٨

. أخذ عمر الصَّدقة مضاعفةً من نصارى تغلب ٢٦١

. شروط عقد الجزية ، ووقت أدائها ٢٦٤

٣ . الخراج ٢٦٤

. هل كان الفاروق مخالفاً للنَّبِيِّ (ص) في حكم أرض الخراج ؟ ٢٦٧

. كيف تمَّ تنفيذ مشروع الخراج في عهد الفاروق ؟ ٢٦٩

. ما القيم والمصالح الأمنيَّة في عدم تقسيم أراضي الخراج ؟ ٢٧٠

. أهم الآثار الدَّعويَّة من هذا القرار ٢٧٢

٤ . العشور ٢٧٣

٥ . الفياء ، والغنائم ٢٧٦

ثانياً : بيت مال المسلمين ، وتدوين الدَّواوين ٢٧٧

ثالثاً : مصارف الدَّولة في عهد عمر ٢٨٠

١ . مصارف الزَّكاة ٢٨١

٢ . مصارف الجزية ، والخراج ، والعشور ٢٨٣

. أعطيات الخليفة ٢٨٣

. أعطيات العمَّال ٢٨٣

. أعطيات الجند ٢٨٤

٣ . مصارف الغنائم ٢٨٦

٤ . أمورٌ متعلِّقةٌ بالتَّطوير الاقتصادي في الدَّولة ٢٨٧

. إصدار النُّقود الإسلاميَّة ٢٨٧

. الإقطاع ٢٨٨

المبحث الثاني : المؤسسة القضائية ٢٩٠

أولاً : من أهم رسائل عمر إلى القضاة ٢٩٢

ثانياً : تعيين القضاة ، ورزقهم ، واختصاصهم القضائي ٢٩٤

١ . تعيين القضاة ٢٩٤

٢ . رزق القضاة ٢٩٤

٣ . الاختصاص القضائي ٢٩٥

ثالثاً : صفات القاضي ، وما يجب عليه ٢٩٥

١ . العلم بالأحكام الشرعية ٢٩٦

٢ . التقوى ٢٩٦

٣ . الترفع عما في أيدي الناس ٢٩٦

٤ . الفطنة والذكاء ٢٩٦

٥ . الشدّة في غير عنفٍ ، واللين في غير ضعفٍ ٢٩٦

٦ . قوّة الشخصية ٢٩٦

٧ . أن يكون ذا مالٍ ، وحسبٍ ٢٩٧

ما يجب على القاضي ٢٩٧

١ . الإخلاص لله في العمل ٢٩٧

٢ . فهم القضية فهماً دقيقاً ٢٩٧

٣ . الحكم بالشرعية الإسلامية ٢٩٧

٤ . الاستشارة فيما أشكل عليه من الأمور ٢٩٧

٥ . المساواة بين المتخاصمين ٢٩٨

٦ . تشجيع الضعيف ٢٩٨

٧ . سرعة البتّ في دعوى الغريب ، أو تعهده بالرعاية ، والنفقة ٢٩٨

٨ . سعة الصدر ٢٩٨

٩ . تجنب كل ما من شأنه التأثير على القاضي ٢٩٩

١٠ . الأخذ بالأدلة الظاهرة دون البحث عن التّوايا ٢٩٩

- ١١ . الحرص على الصُّلح بين المتخاصمين ٢٩٩
- ١٢ . العودة إلى الحقِّ ٢٩٩
- ١٣ . تقرير البراءة للمتَّهم حتى تثبت إدانته ٣٠٠
- ١٤ . لا اجتهاد في مورد النَّص ٣٠٠
- ١٥ . إخضاع القضاة أنفسهم لأحكام القضاء ٣٠٠
- رابعاً : مصادر الأحكام القضائية ٣٠١
- خامساً : الأدلَّة التي يعتمد عليها القاضي ٣٠٣
- سادساً : من أحكام الفاروق ، وعقوباته في بعض الجرائم والجنائيات ٣٠٦
- ١ . تزوير الخاتم الرِّسمي للدولة ٣٠٦
- ٢ . رجلٌ سرق من بيت المال بالكوفة ٣٠٦
- ٣ . السَّرقة في عام الرَّمادة ٣٠٦
- ٤ . مجنونٌ زنت ٣٠٦
- ٥ . ذمِّي استكره مسلمةً على الزَّنى ٣٠٧
- ٦ . إكراه نساءٍ على الزَّنى ٣٠٧
- ٧ . حكم من جهل تحريم الزَّنى ٣٠٧
- ٨ . تزوّجت في عدَّتْها وهي زوجها لا يعلمان التَّحريم ٣٠٧
- ٩ . امرأةٌ تزوّجت ولها زوجٌ كتمته ٣٠٧
- ١٠ . اتَّهام المغيرة بن شعبة بالزَّنى ٣٠٨
- ١١ . حكم من تسرَّت بغلامها ٣٠٨
- ١٢ . امرأةٌ اتَّهمت زوجها بجارتها ٣٠٨
- ١٣ . إقامة حدِّ القذف بالتَّعريض ٣٠٨
- ١٤ . إهداره دم اليهوديِّ المعتدي على العرض ٣٠٩
- ١٥ . قتل الله لا يودى أبداً ٣٠٩
- ١٦ . لو اشترك فيه أهل صنعاء ، لقتلتهم ٣٠٩
- ١٧ . عقوبة السَّاحر القتل ٣١٠

١٨ . ما حكم من قتل ولده متعمداً ؟ وما حكم المسلم الذي يقتل ذمياً ؟ ٣١٠

١٩ . الجمع بين الدية والقسامة ٣١٠

٢٠ . اللهم لم أشهد ، ولم امر ، ولم أرض ، ولم أسر إذ بلغني ٣١١

٢١ . جعل حد الخمر ثمانين جلدة ٣١١

٢٢ . إحراق حانوت الخمر ٣١١

٢٣ . أنكحها نكاح العفيفة المسلمة ٣١٢

٢٤ . من طلق زوجته ليمنعها من الميراث ٣١٢

٢٥ . أقل مدة الحمل ، وأكثره ٣١٢

سابعاً : فرض القيود على الملكية حتى لا يقع تعسف في استعمالها ٣١٣

ثامناً : إمضاءه الطلاق الثلاث بلفظ واحد ٣١٥

تاسعاً : تحريم نكاح المنعة ٣١٧

عاشراً : من اختيارات عمر . رضي الله عنه . الفقهيّة ٣١٨

الفصل الخامس : فقه عمر . رضي الله عنه . في التعامل مع الولاية ٣٢١

المبحث الأول : أقاليم الدولة ٣٢١

أولاً : مكة المكرمة ٣٢١

ثانياً : المدينة النبوية ٣٢٢

ثالثاً : الطائف ٣٢٢

رابعاً : اليمن ٣٢٣

خامساً : البحرين ٣٢٤

سادساً : مصر ٣٢٦

سابعاً : ولايات الشام ٣٢٧

ثامناً : ولايات العراق ، وفارس ٣٢٩

المبحث الثاني : تعيين الولاية في عهد عمر ٣٣٥

أولاً : أهم قواعد عمر في تعيين الولاية ، وشروطه عليهم ٣٣٥

- ١ . القوَّة ، والأمانة ٣٣٥
 - ٢ . مقام العلم في التَّولية ٣٣٦
 - ٣ . البصر بالعمل ٣٣٦
 - ٤ . أهل الوبر ، وأهل المدر ٣٣٦
 - ٥ . الرِّحمة ، والشَّفقة على الرِّعيَّة ٣٣٧
 - ٦ . لا يوليُّ أحداً من أقاربه ٣٣٧
 - ٧ . لا يعطي الولاية مَنْ يطلبها ٣٣٨
 - ٨ . منع العمَّال من مزاولة التِّجارة ٣٣٨
 - ٩ . إحصاء ثروة العمال عند تعيينهم ٣٣٨
 - ١٠ . شروط عمر على عمَّاله ٣٣٨
 - ١١ . المشورة في اختيار الولاية ٣٣٩
 - ١٢ . اختبار العمَّال قبل التَّولية ٣٣٩
 - ١٣ . جعل الوالي من القوم ٣٤٠
 - ١٤ . المرسوم الخلافي ٣٤٠
 - ١٥ . لا يستعين بنصراني على أمور المسلمين ٣٤١
- ثانياً : أهم صفات ولاية عمر ٣٤١
- ١ . الزُّهد ٣٤١
 - ٢ . التَّواضع ٣٤٢
 - ٣ . الورع ٣٤٢
 - ٤ . احترام الولاية لمن سبقهم من الولاية ٣٤٣
- ثالثاً : حقوق الولاية ٣٤٣
- ١ . الطَّاعة في غير معصية ٣٤٣
 - ٢ . بذل النَّصيحة للولاية ٣٤٤
 - ٣ . إيصال الأخبار للولاية ٣٤٤

- ٤ . مؤازرة الوالي في موقفه ٣٤٤
- ٥ . حقُّ الأمير في الاجتهاد ٣٤٤
- ٦ . احترامهم بعد عزلهم ٣٤٥
- ٧ . حقوقهم الماديَّة ٣٤٥
- ٨ . معالجة العمَّال إذا مرضوا ٣٤٧
- رابعاً : واجبات الولاية ٣٤٧
- ١ . إقامة أمور الدِّين ٣٤٧
- . نشر الدِّين الإسلامي ٣٤٨
- . إقامة الصَّلَاة ٣٤٨
- . حفظ الدِّين وأصوله ٣٤٩
- . تخطيط وبناء المساجد ٣٤٩
- . تيسير أمور الحجِّ ٣٤٩
- . إقامة الحدود الشرعيَّة ٣٤٩
- ٢ . تأمين النَّاس في بلادهم ٣٥٠
- ٣ . الجهاد في سبيل الله ٣٥٠
- ٤ . بذل الجهد في تأمين الأرزاق للنَّاس ٣٥٢
- ٥ . تعيين العمَّال والموظَّفين ٣٥٣
- ٦ . رعاية أهل الذِّمَّة ٣٥٤
- ٧ . مشاوره أهل الرِّأي في ولايته ، وإكرام وجوه النَّاس ٣٥٤
- ٨ . النَّظر إلى حاجة الولاية العمرانيَّة ٣٥٤
- ٩ . مراعاة الأحوال الاجتماعيَّة لسكَّان الولاية ٣٥٥
- ١٠ . عدم التَّفريق بين العربي ، وغيره ٣٥٥
- خامساً : التَّرجمة في الولايات ، وأوقات العمل عند الولاية ٣٥٦
- ١ . التَّرجمة في الولايات ٣٥٦

- ٢ . أوقات عمل الولاية ٣٥٦
- المبحث الثالث : متابعة الولاية ، ومحاسبة عمر لهم ٣٥٨
- أولاً : متابعة الولاية : ٣٥٨
- ١ . طلب من الولاية دخول المدينة نهاراً ٣٥٨
- ٢ . طلب الوفود من الولاية ٣٥٩
- ٣ . رسائل البريد ٣٥٩
- ٤ . المفتش العام (محمد بن مسلمة) ٣٥٩
- ٥ . موسم الحج ٣٥٩
- ٦ . جولة تفتيشية على الأقاليم ٣٦٠
- ٧ . الأرشيف ، أو الملقّات الخاصة بأعمال الخلافة ٣٦١
- ثانياً : شكاوى من الرعية في الولاية ٣٦١
- ١ . شكاوى أهل الكوفة في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٣٦٢
- ٢ . شكاوى ضد عمرو بن العاص والي مصر ٣٦٤
- ٣ . شكاوى ضدّ أبي موسى الأشعري والي البصرة ٣٦٥
- ٤ . شكاوى أهل حمص ضدّ سعيد بن عامر ٣٦٦
- ٥ . عزل من استهزأ بأحد أفراد الرعية ٣٦٧
- ثالثاً : العقوبات التي نزلت بالولاية في عهد عمر رضي الله عنه ٣٦٧
- ١ . القود من الأمراء ، والاقتصاص منهم لو أخطؤوا ٣٦٧
- ٢ . عزل الوالي نتيجة وقوعه في الخطأ ٣٦٨
- ٣ . إتلاف شيء من مساكن الولاية ٣٦٨
- ٤ . التأديب بالضرب ٣٦٩
- ٥ . خفض الرتبة من والٍ إلى راعي غنم ٣٦٩
- ٦ . مقاسمة الولاية أموالهم ٣٧٠
- ٧ . التوبيخ الشفوي والكتابي ٣٧٠
- رابعاً : قصة عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه ٣٧٢

- ١ . العزل الأول ٣٧٢
- ٢ . العزل الثاني ٣٧٥
- ٣ . مجمل أسباب العزل وبعض الفوائد ٣٧٧
- . حماية التوحيد ٣٧٧
- . اختلاف النظر في صرف المال ٣٧٧
- . اختلاف منهج عمر عن منهج خالد في السياسة العامة ٣٧٨
- . موقف المجتمع الإسلامي من قرار العزل ٣٧٨
- ٤ . وفاة خالد بن الوليد وماذا قال عن الفاروق وهو على فراش الموت ٣٧٩
- الفصل السادس : فتوحات العراق ، والمشرق في عهد عمر رضي الله عنه ٣٨١
- المبحث الأول : المرحلة الثانية من فتوحات العراق ، والمشرق ٣٨١
- أولاً : تأمير أبي عبيد الثقفي على حرب العراق ٣٨١
- ثانياً : وقعة النمارق ، ومعركة السقّاطيّة بكسنگر ، ومعركة باروسما ٣٨٣
- ١ . وقعة النمارق ١٣ هـ ٣٨٣
- ٢ . وقعة السقّاطيّة بكسنگر ٣٨٤
- ٣ . معركة باروسما سنة ١٣ هـ ٣٨٥
- ثالثاً : وقعة جسر أبي عبيد ١٣ هـ ٣٨٦
- أهمّ الدروس ، والعبء ، والفوائد من معركة جسر أبي عبيد ٣٨٧
- رابعاً : وقعة البويب ١٣ هـ ٣٩٠
- ١ . مؤتمر حربيّ بعد المعركة ٣٩٢
- ٢ . ندم المثنى في قطعه خطّ الرجعة على الفرس ٣٩٣
- ٣ . علم النفس العسكري عند المثنى ٣٩٣
- ٤ . موقف نساء المجاهدين ٣٩٥
- ٥ . مطاردة فلول المنهزمين ٣٩٥
- خامساً : عمليّات الأسواق ٣٩٦
- سادساً : ردّ فعل الفرس ٣٩٩

سابعاً : توجيهات الفاروق للمثنى ٤٠٠

المبحث الثاني : معركة القادسيّة ٤٠١

أولاً : تأمير سعد بن أبي وقاص على العراق ٤٠٢

١ . وصيّة من عمر لسعد رضي الله عنهما ٤٠٢

٢ . وصيّة أخرى ٤٠٣

٣ . خطبة لعمر رضي الله عنهما ٤٠٤

٤ . وصول سعد إلى العراق ، ووفاة المثنى ٤٠٥

٥ . مسيرة سعد إلى العراق ، ووصيّة عمر رضي الله عنه ٤٠٦

٦ . الاستعانة بمن تاب من المرتدّين ٤٠٩

٧ . كتاب من أمير المؤمنين إلى سعد بن أبي وقاص ٤٠٩

٨ . من أسباب النصر المعنويّة في رأي عمر رضي الله عنهما ٤١٠

٩ . سعد رضي الله عنه . يصف موقع القادسيّة لعمر رضي الله عنه ٤١١

ثانياً : الفاروق يطلب من سعد أن يرسل وفداً لمناظرة ملك الفرس ٤١٢

ثالثاً : سعد بن أبي وقاص يرسل وفوداً لدعوة رستم ٤١٥

رابعاً : الاستعداد للمعركة ٤١٧

. فرغ رستم من الأذان ٤٢٠

. رفع الرّوح المعنويّة بين أفراد الجيش الإسلامي ٤٢٠

١ . يوم أرمات ٤٢٢

. رستم يأمر جانباً من قوّاته بالهجوم ٤٢٣

أ . سعد يأمر بني أسد بالدّب عن بجيلة ٤٢٣

ب . سعد يطلب من بني تميم حيلةً للفيلة ٤٢٣

ج . موقف بطوليّ لطليحة بن خويلد ٤٢٤

د . ما قيل من شعرٍ في ذلك اليوم ٤٢٤

هـ . مستشفى الحرب ٤٢٥

و . الخنساء بنت عمرو تحرّض بنيتها على القتال ليلة الهدأة ٤٢٥

- ز . امرأة من النخع تشجع بنيتها على القتال ٤٢٦
- ٢ . يوم أغواث : ٤٢٦
- أ . مواقف بطوليّة للقعقاع بن عمرو ٤٢٦
- ب . علباء بن جحش العجلي . . انتشرت أمعاؤه في المعركة ٤٢٨
- ج . الأعراف بن الأعلم العقيلي ٤٢٨
- د . مواقف فدائيّة لأبناء الخنساء الأربعة ٤٢٨
- هـ . مكيدة قعقاعيّة بالغة التأثير على الفرس ٤٢٩
- و . أبو محجن الثقفي في قلب المعركة ٤٣٠
- ز . خطة قعقاعيّة في النصف الأخير من ليلة السواد ٤٣١
- ٣ . يوم عماس : ٤٣٢
- أ . بطولة عمرو بن معدي كرب ٤٣٣
- ب . طليحة بن خويلد الأسدي ٤٣٣
- ج . قيس بن المكشوح ٤٣٣
- د . ما قيل من الشعر في ذلك اليوم ٤٣٤
- هـ . ليلة الهرير ٤٣٤
- ٤ . يوم القادسيّة ٤٣٦
- أ . مقتل رستم قائد الفرس ٤٣٦
- ب . نهاية المعركة ٤٣٧
- ج . مطاردة فلول المنهزمين ٤٣٧
- د . بشائر النصر تصل إلى عمر رضي الله عنه ٤٣٨
- خامساً : دروس ، وعبر ، وفوائد ٤٣٩
- سادساً : فتح المدائن ٤٤٦
- ١ . معية الله تعالى لأوليائه المؤمنين بالنصر ، والتأييد ٤٤٨
- ٢ . الايات التي قرأها سعد لما نزل مظلماً سابطاً ٤٤٨
- ٣ . مشورة بين سعد وجنوده في عبور النهر ٤٤٩

- ٤ . عبور النَّهر وفتح المدائن ٤٥٠
- ٥ . المسلمون يقتحمون النَّهر ٤٥١
- ٦ . مواقف من أمانة المسلمين ٤٥٢

سابعاً : موقعة جلولاء ٤٥٤

أ . إنَّ جنودنا أطلقوا بالفعال لساننا ٤٥٥

ب . موقف عمر من غنائم جلولاء ٤٥٥

ثامناً : فتح رامهرمز ٤٥٦

تاسعاً : فتح تستر ٤٥٦

١ . ما يسرُّني بتلك الصَّلَاة الدُّنيا وما عليها ٤٥٧

٢ . وسام من أوسمة الشَّرَف ناله البراء بن مالك ٤٥٨

٣ . خبر أمير المؤمنين عمر مع الهرمزان ٤٥٨

عاشراً : فتح مدينة جُنْدِي سابور ٤٥٩

. النُّعمان بن مقرِّن ومدينة كسكر ٤٦٠

المبحث الثالث : معركة نهاوند (فتح الفتوح) ٤٦١

المرحلة الرَّابِعة ٢١ هـ ٤٦١

أ . الاستطلاع قبل السَّير للقتال ٤٦٤

ب . عمليَّة التَّضليل ٤٦٤

ج . اختيار ساعة الهجوم ٤٦٥

المبحث الرَّابع : الانسياح في بلاد العجم ٤٦٦

المرحلة الخامسة ٤٦٦

أولاً : فتح همذان ثانيةً سنة ٢٢ هـ ٤٦٦

ثانياً : فتح الرِّي سنة ٢٢ هـ ٤٦٧

ثالثاً : فتح قوميس ، وجرجان سنة ٢٢ هـ ٤٦٧

رابعاً : فتح أذربيجان سنة ٢٢ هـ ٤٦٧

خامساً : فتح الباب سنة ٢٢ هـ ٤٦٨

سادساً : أوّل غزو التُّرك ٤٦٨
سابعاً : غزو خراسان سنة ٢٢ هـ ٤٦٩
ثامناً : فتح اصطخر سنة ٢٣ هـ ٤٧١
تاسعاً : فتح فساودارا بمجرد سنة ٢٣ هـ ٤٧١
عاشراً : فتح كرمان ، وسجستان سنة ٢٣ هـ ٤٧٢
الحادي عشر : فتح مُكران سنة ٢٣ هـ ٤٧٢
الثاني عشر : غزو الأكراد ٤٧٢
المبحث الخامس : أهمُّ الدُّروس ، والعبر ، والفوائد من فتوحات العراق ، والمشرق ٤٧٤

الفصل السَّابع : فتوحات الشَّام ، ومصر ، وليبيا ٤٨٠
المبحث الأوّل : فتوحات الشَّام ٤٨٠
- حوارٌ بين خالدٍ ، وأبي عبيدة رضي الله عنهما ٤٨٠
- عمر - رضي الله عنه - يرُدُّ على رسالة أبي عبيدة ، ومعاذ رضي الله عنهما ٤٨١
أوَّلاً : فتح دمشق ٤٨٢
ثانياً : وقعة فحل ٤٨٩
ثالثاً : فتح بيسان ، وطبرية ٤٩١
رابعاً : وقعة حمص سنة ١٥ هـ ٤٩١
خامساً : وقعة قنسرين سنة ١٥ هـ ٤٩٢
سادساً : وقعة قيسارية سنة ١٥ هـ ٤٩٢
سابعاً : فتح القدس سنة ١٦ هـ ٤٩٣
المبحث الثاني : فتوحات مصر ، وليبيا ٥٠٦
أوَّلاً : مسير الفتح الإسلامي لمصر ٥٠٧
١ - فتح الفرما ٥٠٧
٢ - فتح بليس ٥٠٩
٣ - معركة أم دنين ٥١٠
٤ - معركة حصن بابليون ٥١٠

- ثانياً : فتح الإسكندرية ٥١١
- ثالثاً : فتح برقة ، وطرابلس ٥١٤
- المبحث الثالث : أهمُّ الدُّروس ، والعبر ، والفوائد في فتح مصر ٥١٦
- أولاً : سفارة عبادة بن الصَّامت الأنصاري إلى المقوقس ٥١٦
- ثانياً : من فنون القتال في فتح مصر ٥١٩
- ١ . الحرب النَّفسِيَّة ٥٢٠
- ٢ . أسلوب المباغته بالكمان ٥٢٠
- ٣ . أسلوب المباغته في أثناء الحصار ٥٢٠
- ٤ . أسلوب النَّفس الطَّويل في الحصار ٥٢٠
- ثالثاً : بشارة الفتح إلى أمير المؤمنين ٥٢١
- رابعاً : حرص الفاروق على الوفاء بالعهد ٥٢٢
- خامساً : عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ٥٢٣
- سادساً : دار بنيت لأمير المؤمنين بمصر ٥٢٣
- سابعاً : دعوى حرق المسلمين مكتبة الإسكندرية ٥٢٤
- ثامناً : لقاء عمرو بن العاص والبابا بنيامين ٥٢٥
- المبحث الرَّابع : أهمُّ الدُّروس ، والعبر ، والفوائد في فتوحات الفاروق ٥٢٧
- أولاً : طبيعة الفتح الإسلامي ٥٢٧
- ثانياً : الطَّريقة العمريَّة في اختيار قادة الجيوش ٥٢٨
- ثالثاً : حقوق الله ، والقادة ، والجند من خلال رسائل الفاروق ٥٣٠
- رابعاً : اهتمامه بحدود الدَّولة ٥٣٩
- خامساً : علاقة عمر مع الملوك ٥٤٤
- سادساً : من نتائج الفتوحات العمريَّة ٥٤٤
- المبحث الخامس : الأيَّام الأخيرة في حياة الفاروق ٥٤٦
- أولاً : حوار بين عمر ، وحذيفة حول الفتن (واقتراب كسر الباب) ٥٤٦
- ١ . دعاء عمر في اخر حجَّة له سنة ٢٣ هـ ٥٤٧

- ٢ . طلب الفاروق للشَّهادة ٥٤٧
- ٣ . رؤيا عوف بن مالك الأشجعي ٥٤٨
- ٤ . رؤيا أبي موسى الأشعري حول وفاة عمر ٥٤٨
- ٥ . اخر خطبة جمعةٍ لعمر في المدينة ٥٤٩
- ٦ . اجتماع عمر مع حذيفة قبل طعنه ٥٤٩
- ٧ . منع الفاروق للسَّبايا من الإقامة في المدينة ٥٤٩
- ثانياً : مقتل عمر وقصة الشُّورى ٥٥٠
- ١ . مقتل عمر رضي الله عنه ٥٥٠
- ٢ . ابتكاره طريقةً جديدةً في اختيار الخليفة من بعده ٥٥١
- ثالثاً : وصية عمر . رضي الله عنه . للخليفة الذي بعده ٥٥٥
- رابعاً : اللِّحظات الأخيرة ٥٥٨
- ١ . تاريخ موته ، ومبلغ سنِّه ٥٥٩
- ٢ . غسله ، والصَّلَاة عليه ، ودفنه ٥٦٠
- ٣ . مَنْ صَلَّى عليه ؟ ٥٦٠
- ٤ . دفنه رضي الله عنه ٥٦١
- ٥ . ما قاله عليُّ بن أبي طالب . رضي الله عنه . في الفاروق ٥٦١
- ٦ . أثر مقتله على المسلمين ٥٦١
- خامساً : أهمُّ الفوائد ، والدُّروس ، والعبر ٥٦٢
- ١ . التَّنبيه على الحقد الذي انطوت عليه قلوب الكافرين ضدَّ المؤمنين ٥٦٢
- ٢ . بيان الانكسار ، والخشية ، والخوف التي تميَّز بها عمر رضي الله عنه ٥٦٤
- ٣ . التَّواضع الكبير عند الفاروق ، والإيثار العظيم عند السيِّدة عائشة ٥٦٤
- ٤ . الأمر بالمعروف ، والنَّهي عن المنكر وهو على فراش الموت ٥٦٥
- ٥ . جواز التَّناء على الرَّجل بما فيه إذا لم تُحشَّ عليه الفتنة ٥٦٦
- ٦ . حقيقة موقف كعب الأحمار من مقتل عمر رضي الله عنه ٥٦٦
- ٧ . ثناء الصَّحابة والسَّلف على الفاروق ٥٧٠

- ٨ . اراء بعض العلماء والكتّاب المعاصرين ٥٧٢
٩ . اراء بعض المستشرقين في عمر رضي الله عنه ٥٧٤
١٠ . ما قيل من الشّعْر في رثاء الفاروق رضي الله عنه ٥٧٥
فهرس المراجع ٥٧٧
فهرس الكتاب ٥٩٦

المؤلف في سطور

علي محمّد محمّد الصّلابي

- * ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
* حصل على درجة الإجازة العالية (اليسانس) من كلية الدّعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة بتقديرٍ ممتازٍ ، وكان الأول على دفعته عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .
* نال درجة الماجستير من جامعة أم درمان الإسلاميّة كلية أصول الدّين قسم التّفسير وعلوم القرآن عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .
* نال درجة الدّكتوراه في الدّراسات الإسلاميّة .
* صدرت له عدّة كتب :
١ . من عقيدة المسلمين في صفات ربّ العالمين .
٢ . الوسطية في القرآن الكريم .
سلسلة (صفحات من التاريخ الإسلامي في الشّمال الإفريقي) .
٣ . صفحات من تاريخ ليبيا الإسلاميّ والشمال الإفريقي .
٤ . عصر الدّولتين الأمويّة ، والعباسيّة ، وظهور فكر الخوارج .
٥ . الدّولة العبيديّة (الفاطمية) الرّافضية .
٦ . فقه التّمكين عند دولة المرابطين .
٧ . دولة الموحدّين .
٨ . الدّولة العثمانية ، عوامل التّهوض ، وأسباب السّقوط .
٩ . الحركة السنوسية في ليبيا .
(أ) الإمام محمد بن علي السنوسي ، ومنهجه في التّأسيس .

- (ب) محمّد المهدي السنوسي ، وأحمد الشريف .
(ج) إدريس السنوسي ، وعمر المختار .
١٠ . فقه التّمكين في القرآن الكريم .
١١ . السّيرة النبوية ، عرض وقائع ، وتحليل أحداث .

[١] مسلمٌ (١٩٦٣/٤ ، ١٩٦٤) .

[٢] شرح السّنة للبغوي (٢١٤/١ ، ٣١٥) .

[٣] سنن أبي داود (٢٠١/٤) ، التّرمذي (٤٤/٥) حسنٌ صحيح .

[٤] صحيح سنن التّرمذي للألباني (٢٠٠/٣) .

[٥] البخاري ، رقم (٣٦٨٩) ، مسلمٌ (٢٣٩٨) .

[٦] القليب : البئر غير المطوية .

[٧] والله يغفر له : هذه عبارة ليس فيها تنقيص لأبي بكر ، وإنها كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم .

[٨] مسلمٌ ، رقم (٢٣٩٣) .

[٩] الإحسان في تقريب صحيح ابن حَبَّان (٣٠٩/١٥) .

[١٠] المسالِح: (ج) المسلحة، وهو موضع مخافةٍ، يقف فيه الجند بالسِّلاح للمراقبة والحفظ.

[١١] الطّبقات الكبرى لابن سعد (٢٦٥/٣) ، محض الصّواب لابن عبد الهادي (١٣١/١) .

[١٢] محض الصّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١٣١/١) .

[١٣] المصدر السّابق نفسه .

[١٤] صحيح التّوثيق في سيرة وحيّة الفاروق عمر بن الخطّاب ص (١٥) .

[١٥] المصدر السّابق نفسه .

- [١٦] المصدر السابق نفسه .
- [١٧] تاريخ الخلفاء للشُّيوطي ص (١٣٣) .
- [١٨] الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني ص (١٥) .
- [١٩] السبلة : طرف الشَّارب . وكان إذا غضب ، أو حزبه أمر ؛ يمسك بها ، ويفتلها .
- [٢٠] تهذيب الأسماء (١٤/٢) للتَّووي ، أوليات الفاروق للقرشي ص (٢٤) .
- [٢١] نسب قريش للزبير ص (٣٤٧) .
- [٢٢] أوليات الفاروق السياسيَّة ص (٢٢) .
- [٢٣] المصدر السابق نفسه .
- [٢٤] البداية والنهاية (١٤٤/٧) .
- [٢٥] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦] ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ، خلافة عمر للسُّلمي ص (٧) .
- [٢٧] المصدر السابق نفسه .
- [٢٨] الكامل في التَّاريخ (٢١٢/٢) .
- [٢٩] تاريخ الأمم والملوك للطَّبري (١٩١/٥) .
- [٣٠] المصدر السابق نفسه (١٩٢ /٥) .
- [٣١] البداية والنهاية (١٤٤/٧) .
- [٣٢] الشَّيخان أبو بكرٍ ، وعمر برواية البلاذري تحقيق الدُّكتور إحسان صدقي ص (٢٢٧) .
- [٣٣] فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، قاسم عاشور ص (١١٢) .
- [٣٤] الإدارة الإسلاميَّة في عهد عمر بن الخطاب ، فاروق مجدلاوي ص (٩٠) .
- [٣٥] ضجنان : جبل على مسيرة بريد من مكَّة ، وقيل : على مسافة ٢٥ كم .
- [٣٦] أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٢٦٨/٥٢) ، طبقات ابن سعد (٢٦٦/٣) ، وقال الدُّكتور عاطف لماضة : صحيح الإسناد .
- [٣٧] الفاروق مع النَّبي ، د . عاطف لماضة ص (٥) ، نقله عن ابن عساكر (٢٦٩/٥٢) .

- [٣٨] الطَّبَقَاتُ الكُبْرَى لابن سعد (٢٩٣/٣) وله شواهد تقويّه .
- [٣٩] الفاروق مع النبي ص (٦) .
- [٤٠] التَّارِيخُ الإِسْلَامِي العام ، علي حسن إبراهيم ص (٢٢٦) ، الإدارة الإسلاميّة في عهد عمر بن الخطاب ص (٩٠) .
- [٤١] عمر بن الخطاب ، حياته ، علمه ، أدبه ، د . علي أحمد الخطيب ص (١٥٣) .
- [٤٢] عمر بن الخطاب ، د . محمد أحمد أبو النَّصْر ص (١٧) .
- [٤٣] الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ، د . العاني ص (١٦) .
- [٤٤] تاريخ خليفة بن خياط (٧/١) نقلاً عن د . العاني ص (١٦) .
- [٤٥] الخليفة الفاروق ، د . العاني ص (١٦) .
- [٤٦] المصدر السابق نفسه .
- [٤٧] مناقب عمر ص (١١) .
- [٤٨] الفاروق عمر ، عبد الرَّحْمَنِ الشَّرْقَاوِي ص (٨) .
- [٤٩] المصدر السابق نفسه .
- [٥٠] الفتاوى (٣٦/١٥) ، فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١٤٤) .
- [٥١] أخبار عمر ، الطَّنْطَاوِيَّان ص (١٢) .
- [٥٢] سيرة ابن هشام (٢١٦/١) ، فضائل الصَّحَابَةِ للإمام أحمد (٣٤١/١) إسناده حسن .
- [٥٣] الفاروق عمر ص (٩) .
- [٥٤] التِّرْمِذِيُّ (٣٦٨٢) المناقب ، وصحَّحه الألباني ، صحيح التِّرْمِذِي (٢٩٠٧) .
- [٥٥] إبلاسها : المراد به اليأس ضدَّ الرَّجَاءِ .
- [٥٦] الإنكاس : الانقلاب .
- [٥٧] القلاص : جمع قُلُص ، وهي الفتية من النِّبْيَاق ، والأحلاس : ما يوضع على ظهور الإبل .
- [٥٨] يا جليح : معناه الوقح المكافح بالعداوة .

[٥٩] فما نشبنا : أي : لم نتعلّق بشيءٍ من الأشياء حتّى سمعنا : أنّ النّبِيَّ قد خرج .

[٦٠] البخاري رقم (٣٨٦٦) .

[٦١] صحيح التّوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص (٢٣) ، وقد ذكر الرّوايات التي ذكر منها إسلام عمر

، وخرّجها ، وحكم على أسانيدھا .

[٦٢] سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) فيه انقطاع الطّبقات لابن سعد (٢٦٧/٣) عن القاسم بن عثمان

البصري عن أنس ، والقاسم ضعيفٌ ، وقد حقّق الرّوايات الدكتور وصيُّ الله محمّد عبّاس في تحقيقه

لكتاب فضائل الصّحابة للإمام أحمد بن حنبل (٣٤٢/١) .

[٦٣] فضائل الصّحابة للإمام أحمد (٣٤٤/١) .

[٦٤] سبق تخريجه ، عمر بن الخطاب ، الطّنطاويان ص (١١٧) .

[٦٥] أخبار عمر ، الطّنطاويان ص (١٨) .

[٦٦] حجز الإنسان : معقد السّراويل والإزار ، لسان العرب (٣٣٢/٥) .

[٦٧] فضائل الصّحابة للإمام أحمد (٣٤٤/١) .

[٦٨] الكديد : التّراب النّاعم ، فإذا وُطئ ؛ ثار غباره .

[٦٩] حلية الأولياء (٤٠/١) ، صفة الصّفوة (١٠٣/١ ، ١٠٤) .

[٧٠] الخليفة الفاروق عمر بن الخطّاب ص (٢٦ ، ٢٧) .

[٧١] الرّياض النّضرة (٢٥٧/١) للمحبّ الطّبري .

[٧٢] شرح المواهب (٣٢٠/١) ، أخبار عمر ، الطّنطاويان ص (١٩) .

[٧٣] الرّياض النّضرة ص (٣١٩) .

[٧٤] فضائل الصّحابة للإمام أحمد (٣٤٦/١) إسناده حسن .

[٧٥] فضائل الصّحابة (٣٤٤/١) إسناده حسن .

[٧٦] الشّيخان أبو بكرٍ ، وعمر برواية البلاذري ص (١٤١) .

[٧٧] الطّبقات الكبرى (٢٦٩/٣) ، صفة الصّفوة (٢٧٤/١) .

- [٧٨] نونية القحطاني ص (٢٢) .
- [٧٩] تاريخ الخلفاء ص (١٣٧) .
- [٨٠] أخبار عمر ، الطَّنطاويَّان ص (٢٢) .
- [٨١] المصدر السابق نفسه .
- [٨٢] عنزته : العنزة عصا في قدر نصف الرُّمَح ، وهي أطول من العصا ، وأقصر من الرُّمَح .
- [٨٣] المعاطس : الأنوف .
- [٨٤] خيرٌ لا بأس به . انظر صحيح التَّوثيق في سيرة الفاروق ص (٣٠) .
- [٨٥] فتح الباري (٢٦١/٧) نقلاً عن صحيح التَّوثيق ص (٣١) .
- [٨٦] البخاريُّ رقم (٣٩٢٥) .
- [٨٧] صحيح التَّوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطَّاب ص (٣١) .
- [٨٨] التناضب : جمع تنضيب ، وهو شجر .
- [٨٩] الأضاءة : على عشرة أميال من مكَّة .
- [٩٠] سرف : وادٍ متوسط الطُّول من أودية مكَّة .
- [٩١] الهجرة النَّبويَّة المباركة ، عبد الرحمن عبد البر ص (١٢٩) .
- [٩٢] الدَّلُول : أذَّها العمل ، فصارت سهلة الرُّكوب ، والانقياد .
- [٩٣] تُعقبني : تجعني أعقبك عليها لركوبها .
- [٩٤] السَّيرة النَّبويَّة الصَّحيحة (٢٠٥/١) .
- [٩٥] ذو طوى : وادٍ من أودية مكَّة .
- [٩٦] الهجرة النَّبويَّة المباركة ص (١٣١) .
- [٩٧] التَّربية القياديَّة (١٥٩/٢) .
- [٩٨] السَّيرة النَّبويَّة عرض وقائع ، وتحليل أحداثٍ للصَّلابي ص (٥١٢) .
- [٩٩] التربية القياديَّة (١٦٠/٢) .
- [١٠٠] المصدر السابق نفسه .

- [١٠١] مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٣١) .
- [١٠٢] الطبقات لابن سعد (٢٧٢/٣) .
- [١٠٣] مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٣١) .
- [١٠٤] محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١٨٤/١) .
- [١٠٥] السيرة النبوية للصلاحي (١٤٥/١) .
- [١٠٦] منهج الرسول في غرس الروح الجهادية ص (١٠٠-١٦) .
- [١٠٧] الرقة والبكاء ، عبد الله بن أحمد المقدسي ص (١٦٦) .
- [١٠٨] أصول التربية للنحلاوي ص (٣١) .
- [١٠٩] عمر بن الخطاب : علي الخطيب ص ٥١ .
- [١١٠] المصدر السابق نفسه .
- [١١١] المصدر السابق نفسه ص (٥٢) .
- [١١٢] البخاري : كتاب التفسير رقم (٤٤٨٣) .
- [١١٣] الترمذي رقم (٣٠٩٦) أخبار عمر ، الطنطاويان ص (٣٨٠ ، ٣٨١) .
- [١١٤] عقيل بن أبي طالب الهاشمي : أسلم يوم الفتح ، وتوفي في أول خلافة يزيد .
- [١١٥] الرباعية : السس التي بين الشية ، والنا ب .
- [١١٦] البيضة : الخوذة سميت بذلك ؛ لأنها على شكل بيضة النعام .
- [١١٧] مسند أحمد (٢٥٠/١) رقم (٢٢١) وصححه أحمد شاكر ، مسلم بنحوه رقم (١٧٦٣) .
- [١١٨] الرياض النضرة ص (٣٣٢) سنده ضعيف ذكره الواقدي بدون إسناد .
- [١١٩] الفتاوى (١٠/٢٨) .

- [١٢٠]. صحَّحه أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث المسند رقم (٣٧٨) .
- [١٢١]. شهيد المحراب للتلمساني ص (١٠١) .
- [١٢٢]. الإِتقان في علوم القرآن للسُّيوطي (٧٢/١) .
- [١٢٣]. عمر بن الخطَّاب ، د . علي الخطيب ص (٩٠ - ٩٢) .
- [١٢٤]. إسناده صحيحٌ على شرط الشَّيخين ، الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (١٨٨) .
- [١٢٥]. الفتاوى (١٠/٢٨) .
- [١٢٦]. وفي رواية : أمن النَّاس .
- [١٢٧]. إسناده صحيحٌ على شرط مسلم ، مسند أحمد رقم (١٧٤) الموسوعة الحديثية .
- [١٢٨]. صحيحٌ لغيره ، مسند أحمد رقم (٣١١) الموسوعة الحديثية .
- [١٢٩]. تفسير ابن كثير (٢٦٦/٤) .
- [١٣٠]. أخبار عمر بن الخطَّاب ، الطنطاويان ص (٣٠٨) نقلاً عن الرِّياض النَّضرة .
- [١٣١]. فتح الباري (٤٩/٨) .
- [١٣٢]. الخلافة الرَّاشدة ، والدَّولة الأمويَّة : د . يحيى اليجي ص (٣٠٥) .
- [١٣٣]. المستدرک (٢٧٠/٢) .
- [١٣٤]. الخلافة الرَّاشدة والدَّولة الأمويَّة ص (٣٠٥) .
- [١٣٥]. تفسير ابن كثير (٥١٣/٤) .
- [١٣٦]. الفتاوى (٤٤/٧) .
- [١٣٧]. المصدر السابق نفسه (٣٨٢/١١) .
- [١٣٨]. تفسير ابن كثير (٥٣٧/٤) .
- [١٣٩]. المصدر السابق نفسه (٥٢٤/١) .
- [١٤٠]. عمر بن الخطَّاب ، د . محمد أحمد أبو النَّصر ص (٨٧) .
- [١٤١]. المصدر السابق نفسه .

- [١٤٢] عمر بن الخطّاب د . محمد أحمد أبو النّصر ص (٨٨) .
- [١٤٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٤٤] منهج التّربيّة الإسلاميّة ، محمد قطب ص (٣٤ ، ٣٥) .
- [١٤٥] الظّلال (٣٥٦٥/٦) .
- [١٤٦] عمر بن الخطّاب ، د . محمد أبو النّصر ص (٩١) .
- [١٤٧] البخاريّ ، رقم (٨٢) .
- [١٤٨] فتح الباري (٣٦/٧) .
- [١٤٩] عمر بن الخطّاب ، د . محمد أبو النّصر ص (٩٣) .
- [١٥٠] البخاريّ رقم (١٥) .
- [١٥١] البخاريّ رقم (٦٦٣٢) .
- [١٥٢] أبو داود في الصلاة (١٤٩٨) ، والترمذيّ في الدّعوات (٣٥٦٢) . وقال : (هذا حديثٌ حسنٌ صحيح) وابن ماجه في المناسك (٢٨٩٤) كلّهم عن عمر ، وهناك من ضعّفه .
- [١٥٣] المصدر السّابق نفسه .
- [١٥٤] عمر بن الخطّاب ، د . محمد أبو النّصر ص (٩٤) .
- [١٥٥] مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب لابن الجوزي ص (٨٩) .
- [١٥٦] الفاروق مع النّبي ، د . عاطف لماضة ص (٣٢) .
- [١٥٧] الطّبقات لابن سعد (٣٩٢ ، ٣٩١/٣) ضعيفٌ لانقطاعه .
- [١٥٨] السّيرة النّبويّة (٣٨٨/٢) لابن هشام ، صحيح التّوثيق ص (١٨٧) .
- [١٥٩] الخلافة والخلفاء الرّاشدون ، للبهنساوي ص (١٥٤) .
- [١٦٠] ذكرتها في كتابي : السّيرة النّبويّة (عرض وقائع وتحليل أحداثٍ) ج ٢ ، ص (٤٧ - ٥٧) ط ١ .
- [١٦١] البداية والنّهاية (٢٩٨/٣) .
- [١٦٢] المصدر السابق نفسه (٣١١/٣) .
- [١٦٣] التّاريخ الإسلاميّ للحميدي (١٨١/٤) .

[١٦٤] مسند أحمد رقم (١٨٢) الموسوعة الحديثية إسناده صحيح على شرط الشيخين .

[١٦٥] حمالة السيف : ما يربط السيف على الجسم .

[١٦٦] لَبَّه : قَيْدَه .

[١٦٧] انظر صحيح السيرة النبوية للعلي ص (٢٥٩) .

[١٦٨] صحيح السيرة النبوية ص (٢٦٠) .

[١٦٩] السيرة النبوية ، عرض وقائع وتحليل أحداث للصّلاحي ج ٢ ، ص ٦٤ ط (١) دار التوزيع والنشر الإسلامية .

[١٧٠] اعل هبل : ظهر دينك .

[١٧١] البخاري ، المغازي ، رقم (٤٠٤) ، السيرة الصحيحة (٣٩٢/٢) .

[١٧٢] السيرة النبوية الصحيحة (٣٩٢/٢) .

[١٧٣] صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ص (١٨٩) .

[١٧٤] السيرة النبوية الصحيحة (٣٩٢/٢) .

[١٧٥] كسع : ضربه برجله .

[١٧٦] السيرة النبوية الصحيحة (٤٠٩/٢) .

[١٧٧] السيرة النبوية لابن هشام (٣١٩/٣) .

[١٧٨] السيرة النبوية الصحيحة (٤٠٩/٢) .

[١٧٩] التربية القيادية (٤٦٢/٣) .

[١٨٠] المصدر السابق نفسه (٤٦٣/٣) .

[١٨١] بطحان : أحد أودية المدينة .

[١٨٢] البخاري رقم (٥٩٦) .

[١٨٣] السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٨/٢) ، وأخبار عمر ص (٣٤) .

[١٨٤] البخاري ، رقم (٢٧٣٢) .

- [١٨٥] تاريخ الطَّبْرِي (٦٣٤/٢) .
- [١٨٦] السِّيرة النَّبَوِيَّة لابن هشام (٣٤٦/٣) .
- [١٨٧] صلح الحديبية ، باشميل ص (٢٧٠) .
- [١٨٨] القيادة العسكرية في عهد رسول الله ص (٤٩٥) .
- [١٨٩] غزوة الحديبية لأبي فارس ص (١٣٤ ، ١٣٥) .
- [١٩٠] صحيح التَّوْثِيق في سيرة وحياة الفاروق ص (١٩١) .
- [١٩١] مختصر منهاج القاصدين ص (٢٩٣) ، فرائد الكلام للخلفاء ص (١٣٩) .
- [١٩٢] العجز : مؤخر الشَّيء .
- [١٩٣] في الأصل « الفلا » وهو تحريفٌ .
- [١٩٤] تربة : وادٍ يقع شرق الحجاز يصبُّ صوب عالية نجد .
- [١٩٥] هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .
- [١٩٦] الطَّبَقَات لابن سعد (٢٧٢/٣) .
- [١٩٧] السِّيرة النَّبَوِيَّة لابن هشام (٢٢٨/٢) أخبار عمر ص (٣٤) .
- [١٩٨] الفاروق القائد ص (١١٧ ، ١١٨) شيت خطَّاب .
- [١٩٩] اللِّوَاء : العلم ، والرَّاية ، ولا يمسكها إلا صاحب الجيش .
- [٢٠٠] تصدَّر : نصب صدره في الجلوس ، وجلس في صدر المجلس .
- [٢٠١] الرَّمْد : وجع العين وانتفاخها .
- [٢٠٢] البيضة : الخُوذة .
- [٢٠٣] إسنادُه حسن ، رجاله رجال الشَّيخين ، الموسوعة الحديثيَّة ، مسند أحمد رقم (٢٠٣) .
- [٢٠٤] السِّيرة النَّبَوِيَّة لابن هشام (٢٦٥/٢) ، أخبار عمر ص (٣٧) .
- [٢٠٥] البخاريُّ في المغازي ، رقم (٤٢٧٤) .
- [٢٠٦] السِّيرة النَّبَوِيَّة لأبي فارس ص (٤٠٤) .

[٢٠٧] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٧٦/٧ ، ١٧٧) .

[٢٠٨] السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ ص (٥١٨ . ٥٢٠) .

[٢٠٩] الْفَارُوقُ مَعَ النَّبِيِّ ، د . عَاطِفٌ لِمَاضِيَّةٍ ص (٤٢) .

[٢١٠] السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (٢٨٩/٢) ، أَخْبَارُ عَمْرِو ص (٤١) .

[٢١١] الْعَاتِقُ : مَا بَيْنَ الْمَنْكَبِ ، وَالْعَنْقِ .

[٢١٢] الْبُخَارِيُّ رَقْم (٤٣٢١) ، (٤٣٢٢) .

[٢١٣] الْجَعْرَانَةُ : تَقَعُ شِمَالُ مَكَّةَ مَعَ مَيْلٍ إِلَى الشَّرْقِ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ مَيْلًا .

[٢١٤] فِيهِ تَأْوِيلَانِ : أَحَدُهُمَا : مَعْنَاهُ : لَا تَفْقَهُ قُلُوبُهُمْ ، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا تَلَوْا مِنْهُ ، وَلَا لَهُمْ حِطٌّ سِوَى

تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْحَنْجَرَةُ ، وَالثَّانِي : لَا يَصْعَدُ لَهُمْ عَمَلٌ ، وَلَا تِلَاوَةٌ .

[٢١٥] يُخْرَجُونَ مِنَ الدِّينِ خُرُوجَ السَّهْمِ إِذَا نَفَذَ الصَّيْدَ .

[٢١٦] مُسْلِمٌ رَقْم (١٠٦٣) .

[٢١٧] صَحِيحُ التَّوَثِيقِ فِي سِيرَةِ وَحْيَةِ الْفَارُوقِ ص (٢٠٠) .

[٢١٨] مَحْضُ الصَّوَابِ فِي فَضَائِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ (٤٠٨/٢) .

[٢١٩] الصَّمْخُ : لَطَخَ الْجَسَدَ بِالطَّيِّبِ ؛ حَتَّى كَأَنَّهَا يَقْطُرُ .

[٢٢٠] الْغَطُّ : هُوَ الصَّوْتُ الَّذِي يُخْرَجُ مِنْ نَفْسِ النَّائِمِ .

[٢٢١] مُسْلِمٌ ، رَقْم (١١٨٠) .

[٢٢٢] تَبُوكٌ : مَوْضِعٌ بَيْنَ وَادِي الْقُرَى ، وَالشَّامِ .

[٢٢٣] النَّوَاضِحُ مِنَ الْإِبِلِ : الَّتِي يَسْقَى عَلَيْهَا الْمَاءَ .

[٢٢٤] مُسْلِمٌ ، كِتَابُ الْإِيمَانِ رَقْم (٢٧) .

[٢٢٥] الْإِحْسَانُ فِي تَقْرِيبِ صَحِيحِ ابْنِ حَبَّانٍ (٣٠٠/١٥) ، مُسْلِمٌ رَقْم (٨٦٣) .

[٢٢٦] انْظُرْ : عَمْرِو بْنُ الْخَطَّابِ ، د . عَلِيُّ الْخَطِّيبِ ص (١٠٨) .

[٢٢٧] تَارِيخُ الْخُلَفَاءِ لِلشُّيُوطِيِّ ص (١٣٣) .

[٢٢٨] انْظُرْ : عَمْرِو بْنُ الْخَطَّابِ ، د . عَلِيُّ الْخَطِّيبِ ص (١٠٩) .

- [٢٢٩] دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٤٠/١) .
- [٢٣٠] عمر بن الخطاب ، د . علي الخطيب ص (١٠٩) .
- [٢٣١] المصدر السابق نفسه ص (١١٢) .
- [٢٣٢] في طبعة الشيخ أحمد شاکر : رباهن .
- [٢٣٣] إسناده صحيح على شرط الشيخين ، مسند أحمد رقم (١٨٤) .
- [٢٣٤] الحائط : البستان .
- [٢٣٥] الربيع : الساقية ، أو الجدول .
- [٢٣٦] فاحتفرت : تضامت ؛ ليسعني المدخل .
- [٢٣٧] ركني عمر : تبني وجاء على أثري .
- [٢٣٨] محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين (٢٥٨/١) .
- [٢٣٩] مسلم ، كتاب الإيمان رقم (٣١) .
- [٢٤٠] أمتهوكون : التهوك كالتهور ، وهو الوقوع في الأمر بغير روية . رواه أحمد (١٤٧٣٦) .
- [٢٤١] الفتاوى (٢٣٢/١١) ، مسند أحمد (٣٨٧/٣) عن جابر .
- [٢٤٢] البخاري ، كتاب بدء الخلق ، رقم (٣١٩٢) .
- [٢٤٣] إسناده صحيح على شرط البخاري ، مسند أحمد رقم (١١٢) الموسوعة الحديثية .
- [٢٤٤] إسناده قوي ، مسند أحمد رقم (٢٠٥) الموسوعة الحديثية .
- [٢٤٥] سعد بن سالم مولى شيبه بن ربيعة صحابي ، محض الصواب (٧٠٠/٢) .
- [٢٤٦] البخاري ، رقم (٩٢) ، مسلم ، رقم (٢٣٦٠) .
- [٢٤٧] البخاري ، رقم (٩٣) ، مسلم ، رقم (٢٣٥٩) .
- [٢٤٨] الدَّوْلَج : المخدع ، وهو البيت الصَّغِير داخل البيت الكبير .
- [٢٤٩] المغيبة : التي غاب عنها زوجها .
- [٢٥٠] مسند أحمد (٤١/٤) رقم (٢٢٠٦) قال أحمد شاکر : إسناده صحيح .

- [٢٥١] إسناده صحيحٌ على شرط الشيخين ، مسند أحمد رقم (٢٨١) .
- [٢٥٢] البخاري ، كتاب الوصايا رقم (٢٧٧٣) رواية أخرى .
- [٢٥٣] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٤] التَّميمي الدَّارمي .
- [٢٥٥] مسلم ، رقم (٢٠٦٨) .
- [٢٥٦] البخاريُّ ، رقم (٨٨٦) .
- [٢٥٧] صعب : غير منقادٍ ولا ذلولٍ .
- [٢٥٨] البخاريُّ ، كتاب البيوع ، رقم (٢١١٥) .
- [٢٥٩] البخاريُّ ، كتاب العلم ، رقم (١٣١) .
- [٢٦٠] إسناده صحيحٌ ، مسند أحمد ، رقم (١٧٥) الموسوعة الحديثية .
- [٢٦١] الزُّهري له ولأبيه صحبةٌ ، توفي سنة ٦٤ هـ .
- [٢٦٢] ساوره ، مساورة ، وسواراً : واثبه .
- [٢٦٣] لبيه تليبياً : جمع ثيابه عند نحره في الخصومة .
- [٢٦٤] البخاريُّ ، كتاب فضائل القرآن ، رقم (٥٠٤١) ، مسلمٌ ، رقم (٨١٨) .
- [٢٦٥] مسلم ، كتاب الزُّكاة ، رقم (١٠٤٥) .
- [٢٦٦] حسَّنه الألباني في السِّلسلة الصَّحيحة (٣٥٢) ، وهو في الصَّحيح الجامع (١٢٣٤) .
- [٢٦٧] الوسق : ستون صاعاً .
- [٢٦٨] البخاريُّ ، كتاب الاستقراض ، رقم (٢٣٩٦) .
- [٢٦٩] تأيمت : مات عنها زوجها .
- [٢٧٠] البخاريُّ ، كتاب النكاح ، رقم (٥١٢٢) ، عمر بن الخطاب ، محمَّد رشيد ص (٢٣) .
- [٢٧١] أي : فغضبت .
- [٢٧٢] أهب : جمع إهاب ، وهو الجلد قبل الدبغ .

- [٢٧٣] إسناده صحيحٌ على شرط الشيخين ، مسند أحمد رقم (٢٢٢) الموسوعة الحديثية .
- [٢٧٤] قيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، د . ناصر بن علي عائض حسن الشيخ (٢٤٣/١) .
- [٢٧٥] الصحيح المسند في فضائل الصحابة (٦٦) .
- [٢٧٦] البخاري ، كتاب المناقب ، رقم (٣٦٨١) ، مسلم ، رقم (٢٣٩١) .
- [٢٧٧] مسلم ، رقم (٢٣٩٠) .
- [٢٧٨] الفج : الطريق الواسع ، ويطلق على المكان المنخرق بين الجبلين .
- [٢٧٩] البخاري ، رقم (٣٦٨٣) ، مسلم (٢٣٩٦) .
- [٢٨٠] عقيدة أهل السنة والجماعة (٣٤٨/١) .
- [٢٨١] فتح الباري (٤٧/٧ ، ٤٨) ، شرح النووي (١٦٥/١٥ - ١٦٧) .
- [٢٨٢] البخاري ، رقم (٣٦٨٩) ، مسلم ، رقم (٢٣٩٨) .
- [٢٨٣] فتح الباري (٥٠/٧) ، شرح النووي (١٦٦/١٥) .
- [٢٨٤] فتح الباري (٥١/٧) .
- [٢٨٥] عقيدة أهل السنة والجماعة (٢٥١/١) .
- [٢٨٦] مفتاح دار السعادة (٢٥٥/١) .
- [٢٨٧] القلب : البئر غير المطوية .
- [٢٨٨] والله يغفر له : هذه عبارة ليس فيها تنقيص لأبي بكر ، وإنما كلمة كان المسلمون يدعمون بها كلامهم .
- [٢٨٩] البخاري ، رقم (٣٦٨٢) ، مسلم ، رقم (٢٣٩٣) .
- [٢٩٠] شرح النووي (١٦١/١٥ ، ١٦٢) .
- [٢٩١] البخاري برقم (٦٦٢٠) ، (٣٦٧٩) ، (٥٢٢٦) ، (٧٠٢٤) ، مسلم ، رقم (٢٣٩٤) .
- [٢٩٢] البخاري رقم : (٣٦٨٠) ، مسلم ، رقم (٢٣٩٥) .

- [٢٩٣] عقيدة أهل السنة والجماعة (٢٤٥/١) .
- [٢٩٤] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢٠٩/١٥) ، الحديث في مسلم برقم (٢٣٨٤) ،
والبخاري ، باب غزوة ذات السلاسل برقم (٤٣٥٨) .
- [٢٩٥] البخاري ، كتاب الصحابة ، رقم (٣٦٩٣) .
- [٢٩٦] حديث إسناده صحيح ، أخرجه أبو داود رقم (٤٦٦٠) .
- [٢٩٧] البخاري ، كتاب العلم ، رقم (١١٤) . مسلم ، كتاب الوصية ، رقم (١٦٣٧)
- [٢٩٨] صحيح السيرة النبوية ص (٧٥٠) نقلاً عن شرح مسلم (٩٠/١١) .
- [٢٩٩] شرح النووي (٩٠/١١) . فصل الخطاب في مواقف الأصحاب للغرسي ص (٤١) .
- [٣٠٠] أخبار عمر ص (٤٦) .
- [٣٠١] السيرة النبوية لأبي شعبة (٥٩٤/٢) .
- [٣٠٢] البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم (١٢٤٢) .
- [٣٠٣] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٣٦٦٨) .
- [٣٠٤] الحكمة في الدعوة إلى الله ، سعيد القحطاني ص (٢٢٦) .
- [٣٠٥] محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٢٨٠/١) .
- [٣٠٦] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٣٦٦٨) .
- [٣٠٧] البداية والنهاية (٣٠٥/٦ ، ٣٠٦) إسناده صحيح .
- [٣٠٨] الحكمة في الدعوة إلى الله ص (٢٢٧) .
- [٣٠٩] الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار ص (١٢٣) .
- [٣١٠] العناق : هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة .
- [٣١١] البخاري ، كتاب استنابة المرتدين والمعاندين ، رقم (٦٩٢٥) .
- [٣١٢] الكامل لابن الأثير (٢٢٦/٢) .

- [٣١٣] تاريخ الطُّبري (٤٦/٤) .
- [٣١٤] المصدر السَّابق نفسه .
- [٣١٥] شهيد المحراب ص (٦٩) نقلاً عن الاستيعاب (٣٣٨/٣) .
- [٣١٦] عيون الأخبار (١٢٥/١) .
- [٣١٧] سير أعلام النبلاء (٨/٤ ، ٩) ، أصحاب الرِّسول (١٣٧/١) .
- [٣١٨] كنز العمال (٦٢٠/٥) رقم (١٤٠٩٣) .
- [٣١٩] القيود الواردة على سلطة الدَّولة ، عبد الله الكيلاني ص (١٦٩) .
- [٣٢٠] أخبار عمر ص (٣٦٢) نقلاً عن الرِّياض النَّضرة ، نيل الأوطار (٢٢/٨) .
- [٣٢١] هنا الإبل يهنؤها : طلاها بالهناء ، أي : القطران .
- [٣٢٢] محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب (٢٦٢/١) .
- [٣٢٣] استخلاف « أبو بكر الصديق » ، جمال عبد الهادي ص (١٦٦ ، ١٦٧) .
- [٣٢٤] المصدر السابق نفسه ص (١٦٧) .
- [٣٢٥] حروب الرِّدة وبناء الدَّولة الإسلاميَّة ، أحمد سعيد ص (١٤٥) .
- [٣٢٦] يعني واقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذَّاب وإخوانه .
- [٣٢٧] استحرَّ : كثر ، واشتدَّ .
- [٣٢٨] أي في الأماكن الَّتِي يقع فيها القتال مع الكفَّار .
- [٣٢٩] أي : من الأشياء الَّتِي عندي وعند غيرك .
- [٣٣٠] البخاريُّ ، كتاب فضائل القرآن ، رقم (٤٩٨٦) .
- [٣٣١] الاجتهاد في الفقه الإسلاميِّ ، عبد السلام السُّليماني ص (١٢٧) .
- [٣٣٢] البداية والنِّهاية (١٨/٧) ، تاريخ الطُّبري (٢٣٨/٤) .
- [٣٣٣] الكامل لابن الأثير (٧٩/٢) ، التَّاريخ الإسلامي ، محمود شاكر ص (١٠١) .

- [٣٣٤] الكامل لابن الأثير (٧٩/٢) .
- [٣٣٥] تاريخ الإسلام للذهبي، عهد الخلفاء ص (٦٦ - ١١٧) ، أبو بكر رجل دولة ص (٩٩) .
- [٣٣٦] البخاري، كتاب الجزية والموادعة ، رقم (٣١٥٨) .
- [٣٣٧] البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، رقم (٣٦٨٣) .
- [٣٣٨] مجمع الزوائد (٢٦٨/١٠) صحيح الإسناد .
- [٣٣٩] أبو بكر رجل الدولة ص (١٠٠) .
- [٣٤٠] مآثر الإنافة (٤٩/١) .
- [٣٤١] تاريخ الطبري (٢٤٨/٤) .
- [٣٤٢] طبقات ابن سعد (١٩٩/٣) ، تاريخ المدينة لابن شبة (٦٦٥/٢ - ٦٦٩) .
- [٣٤٣] طبقات ابن سعد (٢٠٠/٣) .
- [٣٤٤] دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشُّجاع ص (٢٧٢) .
- [٣٤٥] المصدر السابق نفسه .
- [٣٤٦] صفة الصَّفوة (٢٦٤/١ ، ٢٦٥) .
- [٣٤٧] دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٢٧٢) .
- [٣٤٨] القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص (١٧٢) .
- [٣٤٩] تاريخ الطبري (٢٤٨/٤) .
- [٣٥٠] القيود الواردة على سلطة الدولة في الإسلام ص (١٧٢) .
- [٣٥١] أبو بكر الصِّدِّيق ، علي الطنطاوي ص (٢٣٧) .
- [٣٥٢] دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص (٢٧٢) .
- [٣٥٣] المصدر السابق نفسه .
- [٣٥٤] الاعتقاد للبيهقي ص (١٨٨) .
- [٣٥٥] كتاب الإمامة والردّ على الرافضة ص (٢٧٤) .

- [٣٥٦] عقيدة السلف ، وأصحاب الحديث ضمن مجموعة الرسائل المنبرية (١٢٩/١) .
- [٣٥٧] شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٦/١٢) .
- [٣٥٨] منهاج السنة (١٤٢/١) .
- [٣٥٩] شرح الطحاوية ص (٥٣٩) .
- [٣٦٠] الطبقات لابن سعد (١٩٩/٣) .
- [٣٦١] كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص (٢٧٦) .
- [٣٦٢] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٧٠ ، ١٧١) .
- [٣٦٣] الطبقات (٢٧٥/٣) .
- [٣٦٤] كنز العمال رقم (٤٤٢١٤) نقلاً عن الدولة الإسلامية ، د . حمدي شاهين ص (١٢٠) .
- [٣٦٥] الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، د . حمدي شاهين ص (١٢٠) .
- [٣٦٦] أجمركم : أي : لا أبتقيكم على جبهات القتال بعيداً عن أهليكم مدّة طويلة .
- [٣٦٧] الإدارة العسكرية في عهد الفاروق ص (١٠٦) .
- [٣٦٨] السياسة الشرعية ، د . إسماعيل بدوي ص (١٦٠) نقلاً عن الطبري .
- [٣٦٩] الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص (١٢١) .
- [٣٧٠] الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين (١٢١) ، محض الصواب (٣٨٥/١) .
- [٣٧١] المصدر السابق نفسه (١٢١) .
- [٣٧٢] احتجن المال : جمعه ، واختص نفسه به .
- [٣٧٣] الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ص (١٢٢) .
- [٣٧٤] المصدر السابق نفسه .
- [٣٧٥] الخلفاء الراشدون ص (١٢٣) .
- [٣٧٦] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد ، زيدان ص (٢٨٢) .
- [٣٧٧] الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص (١٠٧) .

- [٣٧٨] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ص (٢٦٠) .
- [٣٧٩] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٢٧٧/١) .
- [٣٨٠] الخلافة والخلفاء الراشدون ص (١٦٠) .
- [٣٨١] جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، د . محمد السيد الوكيل ص (٨٩) .
- [٣٨٢] الحضارة الإسلامية ، د . محمد عادل ص (٣٠) .
- [٣٨٣] الشيخان أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب من رواية البلاذري ص (٢٥٧) .
- [٣٨٤] المصدر السابق نفسه ص (٢٥٦) .
- [٣٨٥] النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس ص (٩) .
- [٣٨٦] الخلفاء الراشدون للتجار ص (٢٤٦) .
- [٣٨٧] سراج الملوك للطرطوشي ص (١٣٢) . «المرار» : المرّة : إحكام الفتل .
- [٣٨٨] الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية ، سليمان ال كمال (٢٧٣/١) .
- [٣٨٩] المصدر السابق نفسه .
- [٣٩٠] الطبري (٤٨١/٣) ، نقلاً عن الإدارة العسكرية .
- [٣٩١] مروج الذهب (٣١٥/٢) .
- [٣٩٢] سير أعلام النبلاء (٣١٧/١) .
- [٣٩٣] نهاية الأرب (١٦٩/٦) .
- [٣٩٤] الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (٢٧٤/١) .
- [٣٩٥] الإصابة (٤٩١/٢) .
- [٣٩٦] الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (٢٧٥/١) .
- [٣٩٧] الخلفاء الراشدون للتجار ص (٢٤٦) .
- [٣٩٨] المصدر السابق نفسه ص (٢٤٧) .
- [٣٩٩] عصر الخلافة الراشدة ص (٩٠) .
- [٤٠٠] المصدر السابق نفسه ص (١٤٧) .

- [٤٠١] المصدر السابق نفسه ص (٩٠) .
- [٤٠٢] المصدر السابق نفسه .
- [٤٠٣] السنن الكبرى للبيهقي (٢٩/٩) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ص (٩٠) .
- [٤٠٤] الخلفاء الراشدون للتجار ص (٢٤٧) .
- [٤٠٥] عصر الخلافة الراشدة ص (٩٠) .
- [٤٠٦] المصدر السابق نفسه ص (٩١) .
- [٤٠٧] الظَّهر : الدَّابة التي تحمل الأثقال ، ويركب عليها .
- [٤٠٨] مسلم ، كتاب السَّلام (١٧٤٠/٤) رقم (٢٢١٩) .
- [٤٠٩] القيود الواردة على سلطة الدَّولة في الإسلام ص (١٦٧ ، ١٦٨) .
- [٤١٠] فقه التَّمكين في القرآن الكريم للصَّلاَّبي ص (٤٥٥) .
- [٤١١] تفسير الرَّازي (١٤١/١٠) .
- [٤١٢] نظام الحكم في عهد الخلفاء الرَّاشدين . حمد محمَّد الصَّمَد ص (١٤٥) .
- [٤١٣] الوسطيَّة في القرآن الكريم للصَّلاَّبي ص (٩٦) .
- [٤١٤] الموطَّأ ، كتاب الأفضية ، باب التَّرجيب في القضاء بالحقِّ ، رقم (٢) .
- [٤١٥] الطَّبقات الكبرى لابن سعد (٢٩٣/٣ ، ٢٩٤) .
- [٤١٦] أقاده : اقتصَّ منه .
- [٤١٧] وسطية أهل السُّنَّة بين الفِرَق ، محمَّد باكريم ص (١٧٠) .
- [٤١٨] السِّياسة الشَّرعية ص (١٠) .
- [٤١٩] فقه التَّمكين في القرآن الكريم ص ٥٠١ .
- [٤٢٠] المصدر السابق نفسه .
- [٤٢١] تاريخ الطَّبَّري (٩٨/٤) نقلاً عن نظام الحكم في الشَّرعية والتَّاريخ الإسلامي (٨٧/١) .
- [٤٢٢] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٠١) .

- [٤٢٣] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٠١) .
- [٤٢٤] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٨٧/١) .
- [٤٢٥] المصدر السابق نفسه (١٨٨/١) .
- [٤٢٦] المصدر السابق نفسه .
- [٤٢٧] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٤٧) .
- [٤٢٨] الخلفاء الراشدون ص (٢٤٣) .
- [٤٢٩] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٨٨/١) .
- [٤٣٠] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (٢٣٥) .
- [٤٣١] الخلافة الراشدة والدولة الأموية ، يحيى اليعقوبي ، ص (٣٤٥) .
- [٤٣٢] فنُّ الحكم في الإسلام ، د . مصطفى أبو زيد ص (٤٧٥ ، ٤٧٦) .
- [٤٣٣] ابن خلدون (٢٨١/٢) نقلاً عن نظام الحكم للقاسمي (٩٠/١) .
- [٤٣٤] فنُّ الحكم في الإسلام ، ص (٤٧٧ ، ٤٧٨) .
- [٤٣٥] فنُّ الحكم في الإسلام ، ص (٤٧٨) .
- [٤٣٦] المجتمع الإسلامي دعائمه وادابه ، د . محمد أبو عجوة ص (١٦٥) .
- [٤٣٧] نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، حمد الصّمد ص (١٥٧ ، ١٥٨) .
- [٤٣٨] معاملة غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، إدوار غالي ص (٤١) .
- [٤٣٩] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٥٨/١) .
- [٤٤٠] تاريخ الطبري (١٥٨/٤) .
- [٤٤١] البداية والنهاية (٩٨/٧) .
- [٤٤٢] السُّلطة التنفيذية ، د . محمّد الدهلوي (٧٢٥/٢) .
- [٤٤٣] المصدر السابق نفسه . وقد فصلَّ المسألة .

- [٤٤٤] حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ص (١١١) .
- [٤٤٥] نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص (١١٧) .
- [٤٤٦] رضخ له : أعطاه شيئاً ليس بالكثير .
- [٤٤٧] الأموال لأبي عبيد ص (٥٧) ، أحكام أهل الذمة لابن القيم (٣٨/١) .
- [٤٤٨] نصب الرّاية للزّيلعي (٤٥٣/٧) .
- [٤٤٩] نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص (١٦٠) .
- [٤٥٠] المرتضى سيرة أمير المؤمنين لأبي الحسن الندوي ص (١٠٩) .
- [٤٥١] المصدر السابق نفسه .
- [٤٥٢] القيود الواردة على سلطة الدولة ص (١٥١) .
- [٤٥٣] السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٨/٩) ، مصنف عبد الرزاق (٥٣/٦) .
- [٤٥٤] الفدغ : عوج في المفاصل ، كأثما قد فارقت مواضعها .
- [٤٥٥] قلوصلك : النّاقة الصّابرة على السّير .
- [٤٥٦] البخاري ، كتاب الشّروط ، رقم (٢٧٣٠) .
- [٤٥٧] أي : يقطعهم من الأرض التي لا زرع فيها ، ولا شجر .
- [٤٥٨] الأموال لأبي عبيد ص (٢٤٥) .
- [٤٥٩] الخراج لأبي يوسف ص (٧٩) .
- [٤٦٠] نظام الحكم في عهد الراشدين ص (١٦٣) .
- [٤٦١] نظام الحكم في عهد الراشدين ص (١٦٤) .
- [٤٦٢] المصدر السّابق نفسه ، ص (١٦٥) .
- [٤٦٣] القضاء ونظامه في الكتاب والسّنة د . عبد الرحمن الحميض ص (٤٨) .
- [٤٦٤] نظام الحكم في عهد الراشدين ص (١٦٥) .
- [٤٦٥] المصدر السّابق نفسه ، ص (١٦٨) .

- [٤٦٦] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (١٨٩) .
- [٤٦٧] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (١٩٠) .
- [٤٦٨] المغني (٥٧٩/٥) ، نظام الأرض ، محمد أبو يحيى ص (٢٠٧) .
- [٤٦٩] نظام الحكم في عهد الخلفاء الرَّاشدين ، حمد الصَّمَد ص (١٩٢) .
- [٤٧٠] السُّلطة التَّنفيذية للدهلوي (٧٣٥/٢) .
- [٤٧١] إعلام الموقعين (٦٥/١) .
- [٤٧٢] السُّلطة التَّنفيذية للدهلوي (٧٣٨/٢) .
- [٤٧٣] أخبار عمر ص (٣٣١ ، ٣٣٢) ، نقلاً عن الرِّياض النَّضرة .
- [٤٧٤] نظام الحكم في عهد الخلفاء الرَّاشدين ص (١٩٧) .
- [٤٧٥] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٤٧٦] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٤٧٧] المصدر السَّابِق نفسه ص (١٩٨) ، والشَّيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري ص (٢٣١) .
- [٤٧٨] المصدر السَّابِق نفسه ص (١٩٨) .
- [٤٧٩] المصدر السَّابِق نفسه ص (٢٠٠) .
- [٤٨٠] عيون الأخبار (٥٥/١) نقلاً عن محض الصَّواب (٥٧٩/٢) .
- [٤٨١] تفسير ابن كثير (٢١٣/٢) عزاه للزُّبير بن بَكَار ، وفيه انقطاعٌ ، أخرجه أبو حاتم في مسنده والبيهقي في السُّنن ، وقال : مرسلٌ جيّدٌ .
- [٤٨٢] قال أبو يعلى : إسناده جيّدٌ ، مجمع الزَّوائد (٢٨٣/٤) .
- [٤٨٣] هو قسطنطين الجاثليق بطريق الشَّام .
- [٤٨٤] الأهواء والفرق والبدع وموقف السُّلف منها ، د . ناصر العقل ص (٢٢٣) .
- [٤٨٥] حسر عن ذراعيه : أي أخرجهما من كَمَّيه .
- [٤٨٦] القتب : إكاف البعير .
- [٤٨٧] هو صبيغ بن عسيل الحنظلي ، سأل عمر عن متشابهه القران ، وأتَّهمه عمر برأي الخوارج .

- [٤٨٨] شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، اللالكائي (٦٣٥ ، ٦٣٤/٣) .
- [٤٨٩] الحطّية : هو جرول بن مالك بن جرول ، لقب بالحطّية لقصره .
- [٤٩٠] الزّبرقان بن بدر التّميمي : صحابيٌّ ولأه رسول الله صدقات قومه .
- [٤٩١] السُّلطة التنفيذية (٧٤٥/٢) .
- [٤٩٢] تفسير القرطبي (١٧٣/١٢ ، ١٧٤) .
- [٤٩٣] الشّعْر والشّعراء لابن قتيبة (٣٢٧/١) ، عمر بن الخطاب ، د . أحمد أبو النصر ص (٢٢٣) .
- [٤٩٤] أصحاب الرسول (١١٠/١) محمود المصري ، محض الصّواب (٣٧٦/١) .
- [٤٩٥] إسناده صحيح ، تفسير ابن كثير (٢٦٥/١) .
- [٤٩٦] الأحوال الشّخصيّة لأبي زهرة ص (١٠٤) .
- [٤٩٧] فقه الأولويّات دراسة في الضوابط ، محمّد الوكيل ص (٧٧) .
- [٤٩٨] الفقه على المذاهب الأربعة ، عبد الرحمن الجزيري ص (٧٧ ، ٧٦/٥) .
- [٤٩٩] فقه الأولويّات ، محمّد الوكيل ص (٧٧) .
- [٥٠٠] فقه الأولويات ، محمّد الوكيل ص (٧٨) .
- [٥٠١] شهيد المحراب ، عمر التّلمساني ص (٢١٤) .
- [٥٠٢] شهيد المحراب ، عمر التّلمساني ص (٢١٤) .
- [٥٠٣] المجتمع الإسلامي د . محمد أبو عجوة ص (٢٤٥) .
- [٥٠٤] السُّلطة التنفيذية (٢١٥/١) .
- [٥٠٥] المبسوط (١٤٧/١٥ - ١٦٦) ، المغني (٤٤٥/٥) .
- [٥٠٦] السُّلطة التّنفيذية (٢١٥/١) .
- [٥٠٧] العمالة - بالضم - : رزق العامل .
- [٥٠٨] السُّلطة التنفيذية (٢١٦/١) .
- [٥٠٩] سعيد بن زيد العدوي : أحد العشرة المبشّرين بالجنّة .

- [٥١٠] سنده صحيح ، الخلافة الراشدة ، د . يحيى يحيى ص (٢٧٠) .
- [٥١١] مصنف عبد الرزاق رقم (٢٠٠٤٦) نقلاً عن السلطة التنفيذية .
- [٥١٢] سنن أبي داود رقم (٢٩٥٠) .
- [٥١٣] محض الصواب (٣٨٣/١) ، الطبقات الكبرى (٢٨٠/٣ ، ٢٨١) .
- [٥١٤] روضة الطالبين (١٣٧/١١) .
- [٥١٥] البداية والنهاية (٢٢٨/١٢ ، ٢٢٩) .
- [٥١٦] الأعلام للزركلي (٢٤٩/٨) .
- [٥١٧] السلطة التنفيذية (٢١٨/١) .
- [٥١٨] المصدر السابق نفسه (٢١٩/١) .
- [٥١٩] شرح مسلم للنووي (١٣٧/٧) .
- [٥٢٠] محض الصواب (٣١٦/١) ، ابن الجوزي ص (٦٩) .
- [٥٢١] ابن أبي رافع : مولى النبي (ص) يروي عن أبيه .
- [٥٢٢] المستدرک (١٤/٣) وصححه ، ووافقه الذهبي .
- [٥٢٣] تاريخ الإسلام للذهبي ص (١٦٣) .
- [٥٢٤] عبد الله بن ذكوان القرشي ، ثقة فقيه ، التقريب ص (٣٠٢) .
- [٥٢٥] محض الصواب (٣١٧/١) .
- [٥٢٦] فتح الباري (٢٦٨/٧) ، الخلافة الراشدة ، يحيى يحيى ص (٢٨٦) .
- [٥٢٧] جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، محمد الوكيل ص (٩٠) .
- [٥٢٨] الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٨١/٣) ، محض الصواب (٣١١/١) .
- [٥٢٩] العدوي المدني ، ثقة ، عارف بالنسب ، من الثالثة ، التقريب ص (٦٠٧) .
- [٥٣٠] الشفاء بنت عبد الله العدوية ، أسلمت قبل الهجرة .
- [٥٣١] محض الصواب (٣١٢/١) .
- [٥٣٢] المستدرک (٨٢ ، ٨١/٣) قال الذهبي : صحيح .

- [٥٣٣] محض الصَّواب (٣١٢/١) .
- [٥٣٤] المصدر السَّابق نفسه (٣١٣/١) .
- [٥٣٥] فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١٥٥) .
- [٥٣٦] تاريخ بغداد (٣١٢/٤) .
- [٥٣٧] التَّاريخ الإسلامي (٤٦/١٩) .
- [٥٣٨] الفاروق للشرقاوي ص (٢٢٢) .
- [٥٣٩] المصدر السَّابق نفسه .
- [٥٤٠] محض الصَّواب (٥٠٣/٢) .
- [٥٤١] ماطه ، وأماطه : نَحَّاه ، ودفعه .
- [٥٤٢] تاريخ الطَّبْرِيّ (٢٤٤/٤) وإِسناده ضعيفٌ .
- [٥٤٣] مختصر منهاج القاصدين ص ٣٧٢ ، فرائد الكلام ص (١٤٣) .
- [٥٤٤] طف : الشَّطَأى .
- [٥٤٥] مناقب عمر ص (١٦٠ ، ١٦١) .
- [٥٤٦] نَدَّ : شرد ، وهرب .
- [٥٤٧] العَنَاق : الأُنثى من المعز ما لم يتمَّ له سنة .
- [٥٤٨] مناقب عمر ص (١٦١) .
- [٥٤٩] مصنَّف عبد الرزاق (٧٥/١ ، ٧٦) وإِسناده حسن ، محض الصواب (٦٢٢/٢) .
- [٥٥٠] مناقب عمر ص (١٦٢) ، محض الصواب (٦٢٣/٢) .
- [٥٥١] المصدر السَّابق نفسه ص (٦٢) .
- [٥٥٢] محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب (٦٢٥/٢) .
- [٥٥٣] التَّرمذِي ، كتاب الزُّهد رقم (٢٣٣٣) وهو حديثٌ صحيحٌ .
- [٥٥٤] المصدر السَّابق نفسه (٢٣٢٠) .

[٥٥٥] المصدر السابق نفسه (٢٣٢٢) حسنٌ غريبٌ قاله الترمذِيُّ .

[٥٥٦] مسلمٌ ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصَّلَاة والخطبة . الحديث رقم (٨٦٧) .

[٥٥٧] من أخلاق النَّصر في جيل الصَّحابة ، د . السَّيِّد مُحَمَّد نوح ص (٤٨ ، ٤٩) .

[٥٥٨] جعفر بن حيان السَّعدي .

[٥٥٩] الزُّهد للإمام أحمد ص (١١٨) .

[٥٦٠] سمط الدَّبِيحة : غمسها في الماء الحار ؛ لإزالة ما على جِلدها من شعرٍ ، أو ريشٍ قبل طبخها

، أو شَيْهًا ، أو دبغ جِلدها ، فالجدي سميَّطٌ ومسموَّطٌ .

[٥٦١] اللَّباب : الخالص من كلِّ شيءٍ .

[٥٦٢] الأَسعان : جمع سَعن ، والسُّعن : قرية تقطع من نصفها ، ويتبذ فيها .

[٥٦٣] اليعقوب : الحجل .

[٥٦٤] الحلية (٥٠/١) وهو ضعيف لانقطاعه ، مناقب عمر لابن الجوزي ص (١٣٧) .

[٥٦٥] الزُّهد للإمام أحمد ص (١٢٤) له طرقٌ تقويه .

[٥٦٦] الطَّبقات الكبرى (٣٢٨/٣) إسناده صحيحٌ .

[٥٦٧] محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب (٥٦٦/٢) .

[٥٦٨] الفسْطاط : بيت من شعرٍ .

[٥٦٩] في الطبقات والمناقب : أو النطع .

[٥٧٠] النَّطع : بساطٌ من الأديم .

[٥٧١] الطَّبقات لابن سعد (٢٧٩/٣) وإسناده صحيحٌ .

[٥٧٢] سأخصمك إلى نفسك : أي سأجعلك حكماً على نفسك .

[٥٧٣] الزُّهد للإمام أحمد ص (١٢٥) ، الطَّبقات (٢٧٧/٣) .

[٥٧٤] الفاروق أمير المؤمنين ، د . لماظة ص (١١) .

[٥٧٥] إسناده جيد : أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٩/٨) في مصنفه ، وابن عساكر (٢٤٤/٥٢) .

[٥٧٦] التَّاريخ الإسلامي (٣٧/١٩) .

- [٥٧٧] تاريخ المدينة المنورة ص (٧٠٢) .
- [٥٧٨] التّاريخ الإسلامي (٢٨/١٩) .
- [٥٧٩] فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١١٣) ، الفاروق للشّرقاوي ص (٢٧٥) .
- [٥٨٠] صفة الصّفوة (٢٨٥/١) .
- [٥٨١] أصحاب الرّسول ، محمود المصري (١٥٧/١) .
- [٥٨٢] صلاح الأُمَّة في علو الهمة ، سيد العفاني (٤٢٥/٥) .
- [٥٨٣] أخبار عمر ص (٣٤٣) ، أصحاب الرّسول ، محمود المصري (١٥٦/١) .
- [٥٨٤] مدارج السّالّكين (٣٣٠/٢) .
- [٥٨٥] مالك في الموطأ (٩٩٢/٢) إسناده صحيح .
- [٥٨٦] الأشجعيّ : صحابيّ مشهور ، من مسلمة الفتح .
- [٥٨٧] مناقب عمر لابن الجوزي ص (١٤) ، محض الصّواب (٥٨٦/٢) .
- [٥٨٨] شهيد المحراب ص (١٤٤) .
- [٥٨٩] المصدر السّابق نفسه ص (١٤٤ ، ١٤٥) .
- [٥٩٠] الحرّ بن قيس الفزاري : صحابيّ أسلم مع وفد بني فزارة .
- [٥٩١] الجزل : الجزيل العظيم . وأجزلت له العطاء أي : أكثرت .
- [٥٩٢] البخاري ، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٤٢) .
- [٥٩٣] شهيد المحراب ص (١٨١) .
- [٥٩٤] المخزومي .
- [٥٩٥] محض الصّواب (٦٠٢/٢) .
- [٥٩٦] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، د . محمد قلّعجي ص (١٤٦) .
- [٥٩٧] محض الصّواب (٨٩٣/٣) .
- [٥٩٨] مناقب عمر لابن الجوزي ص (١٥٧ ، ١٥٨) .

- [٥٩٩] تاريخ الإسلام للذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ص (٢٧٠ ، ٢٧١) .
- [٦٠٠] الخلفاء الراشدون للنجار ص (٢٤٤) .
- [٦٠١] فرائد الكلام للخلفاء الكرام ص (١١٣) .
- [٦٠٢] الطبقات (٢٧٧/٣) إسناده صحيح ، محض الصواب (٤٩١/٢) .
- [٦٠٣] عصر الخلافة الراشدة للعمري ص (٢٣٦) ، والأثر حسن .
- [٦٠٤] التاريخ الإسلامي (٤٠/١٩) .
- [٦٠٥] الزهد للإمام أحمد ص (١١) ، نقلاً عن التاريخ الإسلامي (٣٠/١٩) .
- [٦٠٦] التاريخ الإسلامي (٣٠/١٩) .
- [٦٠٧] نفض الرأس : حركه في ارتحاف .
- [٦٠٨] الشَّيْخَان أبو بكر ، وعمر من رواية البلاذري ص (٢٦٠) .
- [٦٠٩] أخبار عمر ص (٢٩٣) ، الشيخان رواية البلاذري ص (١٨٨) .
- [٦١٠] الخلفاء الراشدون ، د . عبد الوهاب النجار ص (٢٤٥) .
- [٦١١] فتح الباري (٤٢٤/٧) ، (٩٣/٦) ، الخلافة الراشدة (٢٧٣) .
- [٦١٢] الزهد للإمام أحمد ص (١٧) ، فرائد الكلام ص (١٣٩) .
- [٦١٣] تاريخ الإسلام للذهبي ص (٢٧١) .
- [٦١٤] الخلفاء الراشدون للذهبي ص (٢٧١) .
- [٦١٥] القيادة والتغيير ص (١٨٢) .
- [٦١٦] فنُّ الحكم ص (٧٤) .
- [٦١٧] مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم (٢٤٠٨) .
- [٦١٨] العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص (٥٩) .
- [٦١٩] الزهد ، ص (١٦٦) من طريق مالك ، وإسناده صحيح .
- [٦٢٠] خبرٌ حسنٌ أخرجه ابن سعدٍ (١٠٩/٨) ، أخبار عمر ص (١٠٠) .

- [٦٢١] خبرٌ صحيحٌ ، أخرجه ابن سعد (٣٠٣/٣) .
- [٦٢٢] الإدارة في عهد عمر بن الخطّاب ص(١٢٦) ، الفتح (٨٧/٤) .
- [٦٢٣] المرتضى للندوي ص(١١٨) نقلاً عن الإصابة (١٣٣/١) .
- [٦٢٤] المصدر السابق نفسه ص(١١٨) نقلاً عن الإصابة (١٠٦/١) .
- [٦٢٥] المرتضى للندوي ص(١١٩) .
- [٦٢٦] المرتضى للندوي ص(١١٩) .
- [٦٢٧] البداية والنهاية (٣٣١/٧ ، ٣٣٢) .
- [٦٢٨] المرتضى للندوي ص(١١٩) .
- [٦٢٩] عليّ بن أبي طالبٍ مستشارٌ أمينٌ للخلفاء الراشدين ؛ محمد الحاجي ص(٩٩) .
- [٦٣٠] المصدر السابق نفسه ص(١٣٨) .
- [٦٣١] فقه السيرة النبوية ص(٥٢٩) .
- [٦٣٢] متع النهار : ارتفع قبل الزوال .
- [٦٣٣] المراد : أنّه كان السرير قد نسج وجهه بالسّعف ، ولم يكن .
- [٦٣٤] التيد : الرفق ، يقال : تيدك هذا ، أي أتتدّ .
- [٦٣٥] رواه البخاريُّ كتاب فرض الخمس رقم (٣٠٩٤) ، ومسلمٌ ، رقم (١٧٥٧) واللفظ للبخاري .
- [٦٣٦] العقيدة في أهل البيت بين الإفراط ، والتفريط ص(٢١٠) .
- [٦٣٧] البخاريُّ ، رقم (٤٢٩٤) .
- [٦٣٨] العقيدة في أهل البيت بين الإفراط ، والتفريط ص(٢١٠) .
- [٦٣٩] فتح الباري (١٧٠/١) .
- [٦٤٠] البداية والنهاية (٣٠٣/٨) .
- [٦٤١] صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق عمر بن الخطّاب ص(٣٧٣) .

- [٦٤٢] أخبار عمر ص (٣٤٤) ، محض الصَّواب (٣٥٦/١) فيه ضعف لإعضاله .
- [٦٤٣] محض الصَّواب (٧٧٧/٣) ، ضعيف لانقطاعه بين قتادة ، وعمر بن الخطَّاب .
- [٦٤٤] الدَّارمي ، الرُّدُّ على الجهمية ص (٤٥) .
- [٦٤٥] العلُّوُّ للعلِيِّ الغفاريِّ للذهبي ص (٦٣) .
- [٦٤٦] إمام بني غفار ، وخطيبهم ، شهد الحديبية ، توفي في خلافة عمر .
- [٦٤٧] بعيرٌ ظهير : أي قويُّ الظَّهر معدُّ للحاجة .
- [٦٤٨] الغرارة : الجوالق واحدة الغرائر .
- [٦٤٩] لفظ البخاري : ففتحناه .
- [٦٥٠] البخاريُّ : كتاب المغازي رقم (٤١٦١) .
- [٦٥١] أصحاب الرِّسول محمود المصري (١٧٧/١) .
- [٦٥٢] الفاروق عمر للشَّرقاوي ص (٢١٠ ، ٢١١) .
- [٦٥٣] شهيد المحراب ص (٢٠٤) .
- [٦٥٤] المصدر السَّابق نفسه ص (٢٠٥) .
- [٦٥٥] عيون الأخبار (١١/٤) ، فرائد الكلام ص (١٤١) .
- [٦٥٦] أخبار عمر ص (١٩٠) نقلاً عن الرِّياض النَّضرة .
- [٦٥٧] بكيء ، وبكيفة: النَّاقة والشَّاة إذا قل لبناها ، وكأنَّه يعني : أن زوجها لا يستطيع الجماع .
- [٦٥٨] اللَّغَط : الصَّوت والجلبة ، مجمع الرِّوائد (٩١/١٠) رجاله ثقاتٌ .
- [٦٥٩] البيان والتَّبیین (١٠١/٢) ، فرائد الكلام ص (١١٣) .
- [٦٦٠] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة ، د . سليمان ال كمال (٧٦٤/٢) .
- [٦٦١] تاريخ الإسلام : عهد الخلفاء الرَّاشدين ص (٢٩٨ ، ٢٩٩) .
- [٦٦٢] تطوُّر تاريخ العرب السِّياسي والحضاري ، د . فاطمة الشَّامي ص (١٧٥) .
- [٦٦٣] شهيد المحراب ص (٢٠٥) .

- [٦٦٤] أخبار عمر ص (٣٣٩) ، سراج الملوك ص (١٠٩) .
- [٦٦٥] فقه الائتلاف : محمود محمّد الخزندار ص (١٦٤) .
- [٦٦٦] عمر بن الخطّاب : صالح بن عبد الرحمن عبد الله ص (٦٦) .
- [٦٦٧] مسلم رقم (٢٥٢٣) .
- [٦٦٨] مسند أحمد رقم (٣١٦) .
- [٦٦٩] الخلافة الراشدة ، د . يحيى اليحيى ص (٢٩٧) ، فتح الباري (٧٠٦/٧) .
- [٦٧٠] تفسير ابن كثير (٦١٠/٢) .
- [٦٧١] أراد أن يبقى مع البقية المتأخرين لا المتقدمين المشهورين .
- [٦٧٢] مسلم : كتاب فضائل الصحابة رقم (٢٥٤٢) .
- [٦٧٣] الشَّيْخَان أبو بكرٍ ، وعمر . رضي الله عنهما . من رواية البلاذري ص (١٧٤ ، ١٧٥) .
- [٦٧٤] مناقب عمر لابن الجوزي ص (٧٤) ، وإسناده ضعيفٌ لانقطاعه ، محض الصَّواب (٣٦٨/١) .
- [٦٧٥] الحاكم في المستدرك (٢٦٦/٣) ، وصحَّحه الذهبيُّ ، أصحاب الرِّسُول (١٧٤/١) .
- [٦٧٦] تهذيب الكمال للمزيّ (٥٠٥/٥) ، حذيفة بن اليمان ، إبراهيم محمد العلي ص (٦٢) .
- [٦٧٧] مختصر منهاج القاصدين ص (١٠٠) ، فرائد الكلام ص (١٣٩) .
- [٦٧٨] أخبار عمر ص (٣٢١) .
- [٦٧٩] الشَّيْخَان من رواية البلاذري ص (٢٢٥) .
- [٦٨٠] مناقب عمر ص (١٢٩) ، فنُّ الحكم ص (٣٦٧) .
- [٦٨١] في رواية : فوافقتها .
- [٦٨٢] البخاريُّ رقم (٢٦٤٣) ، مسند أحمد رقم (١٣٩) الموسوعة الحديثية .
- [٦٨٣] ما رزأ فلاناً شيئاً : أي ما أصاب من ماله شيئاً ، ولا نقص منه .
- [٦٨٤] البخاريُّ رقم (١٤٧٢ ، ٢٧٥٠ ، ٣١٤٣ ، ٦٤٤١) ، مسلمٌ رقم (١٠٣٥) .

- [٦٨٥] عمر بن الخطّاب : صالح عبد الرحمن ص (٧٩) .
- [٦٨٦] الشَّيْخَان من رواية البلاذري ص (٢١٩) .
- [٦٨٧] المرتضى للتّدوي ص (١٠٦) .
- [٦٨٨] المصدر السّابق نفسه ص (١٠٧) .
- [٦٨٩] المصدر السّابق نفسه .
- [٦٩٠] طفا فلانٌ : مات .
- [٦٩١] يقصد الدِّيّة ، والله أعلم .
- [٦٩٢] مناقب عمر ص (١٣٥) ، مراسيل الحسن ، محض الصّواب (٢٧٣/١) .
- [٦٩٣] الشَّيْخَان من رواية البلاذري ص (٢٢٠) .
- [٦٩٤] الشَّيْخَان : بصريٌّ ، مقبولٌ : من الرّابعة ، التّقريب ص (٤١٧) .
- [٦٩٥] مناقب عمر لابن الجوزي ص (١٣٥) ، محض الصّواب (٢٧٣/١) .
- [٦٩٦] مسلم : كتاب الطلاق ، رقم (١٤٧٩) .
- [٦٩٧] الطّبقات لابن سعدٍ (٢٨٧/٣) منقطع ، مناقب عمر ص (١٣٤) .
- [٦٩٨] مناقب عمر ، ابن الجوزي ص (١٣٤) ، منقطع .
- [٦٩٩] شكا ، شكواً ، وشكوةً ، وشكايَةً .
- [٧٠٠] صَبْرُ المال : أكوام المال .
- [٧٠١] الشَّيْخَان في رواية البلاذري ص (٢٢١) .
- [٧٠٢] المصدر السّابق نفسه ص (٢٢٢) .
- [٧٠٣] الطّبقات الكبرى (٢٨٨/٣) ، الشَّيْخَان من البلاذري ص (٢٢٢) .
- [٧٠٤] تاريخ الدّهبي : عهد الخلفاء الرّاشدين ، ص (٢٧٢) .
- [٧٠٥] محض الصّواب (٩٧٥/٣) .
- [٧٠٦] شهيد المحراب ص (٢٢٢) .

- [٧٠٧] أخبار عمر ص (٣٢١) ، مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٢٨) .
- [٧٠٨] تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (٦٩٠/٢) ، الدور السياسي للصفوة ص (١٩١) .
- [٧٠٩] المصدر السابق نفسه .
- [٧١٠] الدور السياسي للصفوة ص (٢٣١) نقلاً عن مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي .
- [٧١١] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٠١) .
- [٧١٢] أخبار عمر ص (١٧٥) .
- [٧١٣] المصدر السابق نفسه ص (١٩٠) .
- [٧١٤] الشَّيْخَان من رواية البلاذري ص (٢٢٦) .
- [٧١٥] الخليفة الفاروق د . عبد الرحمن العاني ص (١٢٤) .
- [٧١٦] مناقب عمر أمير المؤمنين ص (٢٠٠) .
- [٧١٧] الخليفة الفاروق ص (١٢٤) نقلاً عن الرِّياض النَّضْرَة .
- [٧١٨] المصدر السابق نفسه (١٢٥) .
- [٧١٩] تفسير القرطبي (٢٥٦/١٥) .
- [٧٢٠] شهيد المحراب ص (٢٠٨) .
- [٧٢١] الخلفاء الرَّاشِدون ، حسن أيُّوب ص (١١٥) .
- [٧٢٢] فرائد الكلام ص (١١٦) ، تاريخ الطُّبري (٢٨١/٣) .
- [٧٢٣] الخلفاء الرَّاشِدون ، حسن أيُّوب ص (١١٥) .
- [٧٢٤] أحكام القران (٢٤٦/٣) .
- [٧٢٥] الحِسْبَة في العصر الرَّاشِدي ، د . فضل إلهي ص (١٥) .
- [٧٢٦] الحِسْبَة في الإسلام ص (٦) ، السُّلْطَة التَّنْفِيذِيَّة (٣٠٩/١) .
- [٧٢٧] البداية والنِّهاية (١٠٢/٧ ، ١٠٣) قال علي الطنطاوي: نشرناها لشهرتها، لا لصحتها.
- [٧٢٨] فنُّ الحكم ، ص (٣٤٧) .

- [٧٢٩] البخاري ، رقم (١٥٩٧) .
- [٧٣٠] أصحاب الرّسول (١/١٦١) .
- [٧٣١] فتح الباري (٣/٥٩٠ ، ٥٩١) .
- [٧٣٢] من أخلاق النّصر في جيل الصّحابة ص (٢٣) .
- [٧٣٣] التّاريخ الإسلامي (١٩ ، ٢٠/٢٦٠) ، طبقات ابن سعد (٢/١٠٠) .
- [٧٣٤] المصدر السّابق نفسه (١٩ ، ٢٠/٢٦٠) .
- [٧٣٥] الفتاوى (١٥/٩٠) .
- [٧٣٦] المصدر السّابق نفسه (١٠/٢٣٥) .
- [٧٣٧] البداية والنّهاية (٧/٨٢) .
- [٧٣٨] أصحاب الرّسول ، إسناده صحيح (١/١٦٤) .
- [٧٣٩] درس الشّيء : عفا .
- [٧٤٠] فيه ضعفٌ لانقطاعه ، مناقب عمر لابن الجوزي ص (٢٣) وله طرقٌ تقويّه .
- [٧٤١] الرّمّل : أن يهزّ منكبيه ، ويسرع في المشي .
- [٧٤٢] محض الصّواب (٢/٥٣٢) .
- [٧٤٣] المصدر السّابق نفسه .
- [٧٤٤] هو شقيق بن سلمة .
- [٧٤٥] شبّية بن عثمان بن أبي طلحة القرشي العبدي حاجب الكعبة .
- [٧٤٦] محض الصّواب (٢/٥٣٧) إسناده صحيح .
- [٧٤٧] أشهر مشاهير الإسلام ، رفيق العظم (٢/٢٥٦ ، ٢٥٧) .
- [٧٤٨] فقه التّمكين في القرآن الكريم للصّلاّبي ص (١٨١) .
- [٧٤٩] الفتاوى (١٠/٢٤٩) ، الموطأ مع شرحه أوجز المسالك (١/١٥٤) .
- [٧٥٠] حلية الأولياء (١/٥٢) .

- [٧٥١] الفتاوى (٣٧٤/١٠) .
- [٧٥٢] المصدر السَّابِق نفسه (١٥٤/١٨) .
- [٧٥٣] المصدر السَّابِق نفسه (٦٢/٢٣) .
- [٧٥٤] المصدر السَّابِق نفسه (٩١/٢١) .
- [٧٥٥] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِي ، الحميدي (١٩ ، ٤٢/٢٠) نقلاً عن تاريخ دمشق .
- [٧٥٦] الفتاوى (٩٨/٢١) ، (٢٣/٢٢) .
- [٧٥٧] الفتح (٤١٥/٢ - ٤٣٠) ، الخلافة الرَّاشِدة ص (٢٩٤) د . يحيى اليحيى .
- [٧٥٨] الفتح (٦٦٨/١) .
- [٧٥٩] البخاريُّ، رقم (٨٦٥)، وأحمد رقم (٤٥٢٢) الموسوعة الحديثية واللفظ للإمام أحمد .
- [٧٦٠] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِي (١٩ ، ٤٠/٢٠) .
- [٧٦١] محض الصَّوَاب (٦٣٥/٢) إسناده ضعيفٌ .
- [٧٦٢] الفاروق عمر للشَّرْقَاوِي ص (٢١٤) .
- [٧٦٣] مسلمٌ ، رقم (٧٤٧) .
- [٧٦٤] الشَّيْخَانُ من رواية البلاذري ص (٢٢٥) .
- [٧٦٥] الفتاوى (٢٣٢/١) .
- [٧٦٦] المصدر السَّابِق نفسه (٢٧٥/١٤) .
- [٧٦٧] المصدر السَّابِق نفسه (١١٨/٨) .
- [٧٦٨] المصدر السَّابِق نفسه (٦٠/١٥) .
- [٧٦٩] المصدر السَّابِق نفسه (٥١/١٠) .
- [٧٧٠] الْأَفْكَالُ : الرَّعْدَةُ ، وَأَفْكَالٌ تعني : رعدة .
- [٧٧١] الشَّيْخَانُ من رواية البلاذري ص (٢٣٦) .
- [٧٧٢] أَوْزَاعٌ : جَمَاعَاتٌ ، لا واحد له من لفظه .
- [٧٧٣] البخاريُّ ، رقم (٢٠١٠) .

- [٧٧٤] محض الصَّواب (٣٤٩/١) .
- [٧٧٥] البخاريُّ ، رقم (٢٠٠٩) .
- [٧٧٦] المصدر السَّابق نفسه ، رقم (٢٠١٢) .
- [٧٧٧] الفتاوى (٢٣/٣١) .
- [٧٧٨] السُّلطة التنفيذية (٣٨٢/١) .
- [٧٧٩] المصدر السَّابق نفسه (٣٨٣/١) .
- [٧٨٠] فرائد الكلام ص (١٧٣) .
- [٧٨١] الفتاوى (١٤٦/٢٦ ، ١٤٧) .
- [٧٨٢] المصدر السَّابق نفسه (١٤/٣١) .
- [٧٨٣] الموطأ (٣٠٣/١) نقلاً عن الخلافة الرَّاشدة ص (٣٣٠) .
- [٧٨٤] الفتح (٢٦١/٤) .
- [٧٨٥] محض الصَّواب (٦٣٧/٢) .
- [٧٨٦] تفسير القرطبي (٣٣٦/١٦) ، محض الصَّواب (٦٧٧/٢) .
- [٧٨٧] الرُّهد ، لو كيع (٥١٧/٢) إسناده صحيحٌ .
- [٧٨٨] السُّلطة التنفيذية (٤٠٨/١) .
- [٧٨٩] الرِّقابة الماليَّة في الإسلام د . عوف الكفراوي ص (٦٦) .
- [٧٩٠] الطَّبقات الكبرى (٣٣٠/٣) .
- [٧٩١] تاريخ الإسلام ، عهد الرَّاشدين ص (٢٦٨) .
- [٧٩٢] من يصطرف الدَّراهم : أي من يبيعها بمقابلة الدَّهب .
- [٧٩٣] الوَرِق : المقصود به الفضة .
- [٧٩٤] هاء ، وهاء : خذ هذا ، ويقول صاحبه مثله .
- [٧٩٥] مسلم ، رقم (١٥٨٦) .
- [٧٩٦] الحسبة في الإسلام لابن تيميَّة ص (٦٠) ، الحسبة ، د . فضل إلهي ص (٢٤) .

- [٧٩٧] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، قلعجي ص(٢٨) .
- [٧٩٨] مفردها : ذهب ، أي : أموالهم .
- [٧٩٩] موسوعة فقه عمر ص(٢٨) .
- [٨٠٠] المصدر السابق نفسه ص(٢٩) .
- [٨٠١] المصدر السابق نفسه ص(٢٩) .
- [٨٠٢] تاريخ المدينة المنوّرة (٧٤٩/٢) موسوعة فقه عمر ص(١٧٧) .
- [٨٠٣] نظام الحكومة الإسلاميّة للكتّاني (١٧/٢) .
- [٨٠٤] المصدر السّابق نفسه .
- [٨٠٥] شهيد المحراب ص(٢٠٩) .
- [٨٠٦] المصدر السّابق نفسه .
- [٨٠٧] المصدر السّابق نفسه ص(٢١٠) .
- [٨٠٨] رزمة : تصغير رزمة ، وهي الكارة من الثّياب .
- [٨٠٩] نظام الحكومة النّبويّة (٢٠/٢) .
- [٨١٠] المصدر السّابق نفسه .
- [٨١١] المصدر السّابق نفسه .
- [٨١٢] المصدر السّابق نفسه .
- [٨١٣] فرائد الكلام ص١٢٩ ، تنبيه الغافلين ص(٢١١) للسّمرفندي .
- [٨١٤] نظام الحكومة الإسلاميّة (٢٠/٢) .
- [٨١٥] المصدر السّابق نفسه .
- [٨١٦] المصدر السّابق نفسه .
- [٨١٧] أي : لامهم .
- [٨١٨] نظام الحكومة الإسلاميّة (١٨/٢) .
- [٨١٩] الدّولة الإسلاميّة في عصر الخلفاء الرّاشدين ص(١٦١) .

[٨٢٠] عبقرية الإسلام في أصول الحكم ص (٣٢٢) .

[٨٢١] فنُّ الحكم ص (٢٦٤) .

[٨٢٢] البداية والنهاية (٧/١٤٠) .

[٨٢٣] الأرق : السَّهر .

[٨٢٤] اجتواه : كرهه .

[٨٢٥] محض الصَّواب (١/٣٨٨) سنده فيه انقطاعُ .

[٨٢٦] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (٨٩) .

[٨٢٧] مناقب أمير المؤمنين ص (٨٩) ، أوَّلِيَاتِ الفاروق ص (٢٨٩) .

[٨٢٨] أوَّلِيَاتِ الفاروق ص (٢٨٩) .

[٨٢٩] المصدر السَّابق نفسه ص (١٧٠) .

[٨٣٠] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (٩١) .

[٨٣١] أوَّلِيَاتِ الفاروق ص (٨٢) .

[٨٣٢] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (٩٢) .

[٨٣٣] المصدر السَّابق نفسه ص (٩٢ ، ٩٣) .

[٨٣٤] الشَّيْخَانِ من رواية البلاذري ص (٢١١ ، ٢١٢) .

[٨٣٥] أوَّلِيَاتِ الفاروق ص (٨٣) .

[٨٣٦] الحَرَّةُ : أرضٌ حجارَتها سود بركائِيَّة ، والمدِينة بين حَرَّتَيْنِ .

[٨٣٧] على ثلاثة أميالٍ من المدِينة .

[٨٣٨] أتَّخَذَ لك حَرِيرَةً ، وهي حساءٌ من دقيقٍ ودسم .

[٨٣٩] الكامل في التاريخ (٢/٢١٤) ، الطبري (٥/٢٠٠) .

[٨٤٠] انبطح : نام على وجهه ممتداً على الأرض .

[٨٤١] أذكى النَّارَ : أي : أوقدها .

- [٨٤٢] فوه غاب في فيها : أي فمه غاب في فيّ النَّار ، وهو ينفخها .
- [٨٤٣] الماقي : جمع ماق ، وموق ، وهو طرف العين ممّا يلي الأنف ، وهو مجرى الدَّمع . العشرة المبشرون بالجنّة ، العفيفي ص (١٧٣) .
- [٨٤٤] البداية والتهاية (١٤٠/٧) .
- [٨٤٥] المذيق : كأَمير : اللّبن الممزوج بالماء .
- [٨٤٦] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (٨٩ ، ٩٠) .
- [٨٤٧] محض الصّواب (٣٩١/١) .
- [٨٤٨] شهيد المحراب ص (٢٢٦) .
- [٨٤٩] محض الصّواب (٤٦٩/٢) .
- [٨٥٠] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ (٦٠٥/٢) .
- [٨٥١] أخبار عمر ص (٣٤٣) نقلاً عن ابن الجوزي .
- [٨٥٢] الرّياض النّضرة ص (٤٠٨) .
- [٨٥٣] الطّبقات (٢١٥/٣) .
- [٨٥٤] شهيد المحراب ص (٢٢٨) .
- [٨٥٥] المصدر السّابق نفسه ص (٢٢٩) .
- [٨٥٦] فرائد الكلام ص (١٤٠) نقلاً عن الدّاء والدّواء لابن القيّم ص (٥٣) .
- [٨٥٧] التمكين للأمة الإسلاميّة ص (٦٢) .
- [٨٥٨] مسلم ، رقم (٢٧٢٢) .
- [٨٥٩] المصدر السّابق نفسه ، رقم (٢١٥٣) .
- [٨٦٠] المصدر السّابق نفسه .
- [٨٦١] البخاري ، رقم (٥٩٤٦) .

- [٨٦٢] البخاريُّ رقم (٦٩٠٦) .
- [٨٦٣] النَّسائي في الطَّهارة (٣١٧) .
- [٨٦٤] الفتاوى (١٣٥/٢٠) .
- [٨٦٥] مفتاح دار السَّعادة (١٢٢/١) ، فرائد الكلام ص(١٣٥) .
- [٨٦٦] التبيان في اداب حملة القرآن للتَّووي ص(٦٠) ، فرائد الكلام (١٦٣) .
- [٨٦٧] الزُّهد للإمام أحمد ص(١٧٤) ، فرائد الكلام ص(١٦٨) .
- [٨٦٨] فرائد الكلام ص(١٥٧) ، مفتاح دار السَّعادة (١٢١/١) .
- [٨٦٩] فرائد الكلام ص(١٥٩) ، البيان والتَّبئين للجاحظ (٣٠٣/٢) .
- [٨٧٠] أخبار عمر ص(٢٦٣) ، محض الصَّواب (٦٨٦/٢) .
- [٨٧١] محض الصَّواب (٧١٧/٢) .
- [٨٧٢] الخلافة الرَّاشدة ص(٣٠٠) د . يحيى اليحيى .
- [٨٧٣] فرائد الكلام ص(١٩٠) نقلا عن تاريخ الطَّبَّري .
- [٨٧٤] التَّاريخ الإسلامي (٢٦٦/٢٠) .
- [٨٧٥] المصدر السَّابق نفسه (٢٦٧/٢٠) .
- [٨٧٦] المصدر السَّابق نفسه .
- [٨٧٧] تاريخ دمشق (٣٥٩/٤٤) ، التَّاريخ الإسلامي (٢٧٠/٢٠) .
- [٨٧٨] التَّاريخ الإسلامي (٢٧١/٢٠) .
- [٨٧٩] المصدر السَّابق نفسه .
- [٨٨٠] المصدر السَّابق نفسه (٢٧٢/٢٠) .
- [٨٨١] أخبار عمر ص(٢١٢) . « الخب » : الخداع ، وهو الذي يسعى بين الناس بالفساد .
- [٨٨٢] أدب الدُّنيا والدِّين ص(٣١١) للماوردي ، فرائد الكلام ص(١١١) .

[٨٨٣] المدينة النبوية فجر الإسلام ، محمد شراب (٤٥/٢) .
[٨٨٤] المصدر السابق نفسه .

[٨٨٥] البخاري ، كتاب الحدود ، رقم (٦٨٣٠) .

[٨٨٦] الفتح (١٥٥/١٢) ، المدينة فجر الإسلام (٤٦/٢) .

[٨٨٧] المدينة النبوية فجر الإسلام ، والعصر الراشدي (٤٧/٢) .

[٨٨٨] الفتاوى (١٧٢/٢٠) .

[٨٨٩] المصدر السابق نفسه (١٧٤/٢٠) .

[٨٩٠] المدينة النبوية فجر الإسلام ، والعصر الراشدي (٤٨/٢) .

[٨٩١] المصدر السابق نفسه .

[٨٩٢] الإعلان والتويخ لمن ذم التاريخ ص (٢٩٢) .

[٨٩٣] تفسير التابعين (٣٧١/١) ، د . محمد الخضري .

[٨٩٤] المصدر السابق نفسه (٣٧٤/١ - ٣٩٥) .

[٨٩٥] الحلية (٣١٨/١) ، تفسير التابعين (٣٧٦/١) .

[٨٩٦] المستدرک (٥٣٩/٣) وصحح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبي .

[٨٩٧] تفسير التابعين (٣٧٧/١) .

[٨٩٨] السُّبْحَة : الدُّعَاءُ وَصَلَاةُ التَّطَوُّعِ ، المُرِيدُ : المكان الذي يجعل فيه التَّمْرُ .

[٨٩٩] تفسير الطبري (٢٤٥/٤) ، الدر المنثور (٥٧٨/١) .

[٩٠٠] فضائل الصحابة لأحمد رقم (١٩٤٠) .

[٩٠١] تفسير التابعين (٣٧٩/١) .

[٩٠٢] طبقات ابن سعد (٣٦٩/٢) .

[٩٠٣] تفسير التابعين (٣٧٩/١) ، فضائل الصحابة لأحمد رقم (١٥٥٥) .

[٩٠٤] طبقات ابن سعد (٣٧٠/٢) .

- [٩٠٥] تفسير التابعين (٣٨١/١) .
- [٩٠٦] المصدر السَّابِق نفسه (٥٠٦/١) .
- [٩٠٧] العلل لأحمد (٢٥٩/٣) (٥١٤٥) ، تفسير التابعين (٥٠٦/١) .
- [٩٠٨] تفسير التابعين (٥٠٦/١) .
- [٩٠٩] تهذيب تاريخ دمشق (٤٤٩/٥) ، تفسير التابعين (٥٠٨/١) .
- [٩١٠] سنن الترمذي ، قال الترمذي : حديث حسن صحيح رقم (٣٧٩١) .
- [٩١١] تفسير التَّابِعِينَ (٥١٠/١) .
- [٩١٢] المصدر السَّابِق نفسه (٤٢٢/١) .
- [٩١٣] عد ابن حَبَّان أكثر من خمسين صحابياً من المشاهير الَّذِينَ دخلوا البصرة ، المصدر السَّابِق نفسه .
- [٩١٤] طبقات ابن سعد (٢٦/٧) ، مسلم (٦٥/١) .
- [٩١٥] تفسير التَّابِعِينَ (٤٢٣/١) .
- [٩١٦] تذكرة الحَقَّاط (٢٣/١) .
- [٩١٧] سير أعلام النُّبَلَاء (٣٨٩/٢) .
- [٩١٨] أبو موسى الأشعري الصَّحَابِي العالم المجاهد . محمَّد طهماز ص (١٢١) .
- [٩١٩] الطَّبَقَات (١٠٧/٤) .
- [٩٢٠] سير أعلام النُّبَلَاء (٢٨٩/٢) .
- [٩٢١] أبو موسى الأشعري الصَّحَابِي العالم ص (١٢٥ ، ١٢٦) .
- [٩٢٢] المصدر السَّابِق نفسه ص (١٢٧) .
- [٩٢٣] أي : عاقل فطن .
- [٩٢٤] أبو موسى الأشعري الصَّحَابِي العالم ص (١٢٨) .
- [٩٢٥] المصدر السَّابِق نفسه ص (١٢٩) .
- [٩٢٦] سير أعلام النُّبَلَاء (٣٨١/٢) .

- [٩٢٧] أبو موسى الأشعري الصَّحَابِي العالم المجاهد ص (١٣٢) .
- [٩٢٨] تهذيب الأسماء واللُّغات (١/١٢٧) .
- [٩٢٩] تفسير التَّابِعِينَ (١/٤٢٣) .
- [٩٣٠] مسلمٌ ، رقم (٢٠٢٩) .
- [٩٣١] المصدر السَّابِق نفسه ، رقم (٢٤٨١) .
- [٩٣٢] سير أعلام النُّبَلَاء (٣/٣٩٧) .
- [٩٣٣] المصدر السَّابِق نفسه (٣/٤٠٦) ، تفسير التَّابِعِينَ (١/٤٢٣) .
- [٩٣٤] أنس بن مالك الخادم الأمين ، عبد الحميد طهماز ص (١٣٥) .
- [٩٣٥] المصدر السَّابِق نفسه ص (١٤٩) .
- [٩٣٦] أنس بن مالك ، الخادم الأمين ص ١٤٩ .
- [٩٣٧] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٩٣٨] سير أعلام النُّبَلَاء (٣/٣٩٥) .
- [٩٣٩] الأنصار في العصر الراشدي ص (٢٧١) .
- [٩٤٠] مجمع الزوائد (٩/٢٩١) رجاله رجال الصحيح غير حارثة وهو ثقة .
- [٩٤١] السلطة التنفيذية (١/٢٥٢) .
- [٩٤٢] الفتح (٨/٦٢٥) ، الخلافة الراشدة ، د . يحيى ص (٣٠٩) .
- [٩٤٣] طبقات ابن سعد (٦/٧) ، فقه عمر ، قلعجي ص (٦٥٩) .
- [٩٤٤] تاريخ المدينة (٢/٧٧٠) ، موسوعة فقه عمر ص (٦٥٩) .
- [٩٤٥] الأنصار في العصر الرَّاشِدي ص (٢٦٨) .
- [٩٤٦] المصدر السَّابِق نفسه ص (٢٦٠) .
- [٩٤٧] طبقات ابن سعد (٣/١٥٦) ، الحلية (١/١٢٩) .
- [٩٤٨] تفسير التَّابِعِينَ (١/٤٦٢) .
- [٩٤٩] العلم لأبي حنيفة ص (١٢٣) ، تفسير التَّابِعِينَ (١/٤٦٣) .

- [٩٥٠] البخاريُّ ، رقم (٥٠٠٠) .
- [٩٥١] المصدر السَّابِق نفسه ، رقم (٣٧٥٨) .
- [٩٥٢] المستدرِك (٢٢٧/٢) صحَّحه الحاكم ، ووافقه الذَّهبيُّ .
- [٩٥٣] تفسير التَّابعين (٤٧٢/١ - ٤٨٤) .
- [٩٥٤] الأنصار في العصر الراشدي ص (٢٥٩) .
- [٩٥٥] غاية النِّهاية في طبقات القراء لابن الجزري (٦٠٧/١) .
- [٩٥٦] التَّذكرة (٢٤/١) .
- [٩٥٧] تفسير التَّابعين (٥٢٦/١) .
- [٩٥٨] الأنصار في العصر الرَّاشديِّ ص (٢٥٦) .
- [٩٥٩] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٩٦٠] الطَّبقات (٤٣٠/١) .
- [٩٦١] صفة الصَّفوة (٦٢٨/١) .
- [٩٦٢] سير أعلام النُّبلاء (٣٤٧/٢) .
- [٩٦٣] الطَّبقات (٤٣٠/١) .
- [٩٦٤] الأنصار في العصر الراشدي ص (٢٥٦) .
- [٩٦٥] أصحاب الرَّسول (٢٠٩/٢) .
- [٩٦٦] الأنصار في العصر الرَّاشديِّ ص (٢٥٦) .
- [٩٦٧] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٩٦٨] الاكتفاء للكلاعي (٣١١/٣) .
- [٩٦٩] الأنصار في العصر الرَّاشديِّ ص (١٢٠) .
- [٩٧٠] سير أعلام النُّبلاء (٤٥٠/١) .
- [٩٧١] الأنصار في العصر الرَّاشديِّ ص (٢٨٥) .
- [٩٧٢] تهذيب الكمال (١١٣/٢٨) للمزِّي نقلاً عن الأنصار في العصر الرَّاشديِّ .

[٩٧٣] الطَّبَقَات (٤٢٦/١) .

[٩٧٤] الأنصار في العصر الرَّاشِدي ص (٢٨٥) .

[٩٧٥] سير أعلام الثُّبَلَاء (٤٥٢/١) .

[٩٧٦] الأنصار في العصر الرَّاشِدي ص (٢٨٥) ، سير أعلام الثُّبَلَاء (٢٨٥/١) .

[٩٧٧] الأنصار في العصر الرَّاشِدي ص (٢٨٥) .

[٩٧٨] المصدر السَّابِق نفسه ص (٢٨٥) ، حلية الأولياء (٢٣٩/١) .

[٩٧٩] صفة الصَّفْوَة (٥٠١/١) ، الأنصار في العصر الرَّاشِدي ، ص (٨٤) .

[٩٨٠] صفة الصَّفْوَة (٥٠١/١) .

[٩٨١] عبادة بن الصَّامِت صحابيٌّ كبيرٌ ، وفاتحٌ مجاهد ، د . وهبة الزُّحيلي ، ص (٨٤) .

[٩٨٢] الاكتفاء للكلاعي (٣١٠/٣) .

[٩٨٣] سير أعلام الثُّبَلَاء (١٢٢/٢) ، الأنصار في العصر الرَّاشِدي ، ص (١٢٤) .

[٩٨٤] تفسير التَّابِعِينَ (٥٢٦/١ - ٥٢٨) .

[٩٨٥] المصدر السَّابِق نفسه (٥٤٠ ، ٥٤١) .

[٩٨٦] حسن المحاضرة (٢٩٦/١) .

[٩٨٧] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (٧١٢/٢) .

[٩٨٨] المصدر السَّابِق نفسه .

[٩٨٩] مسلمٌ ، رقم (٥٦٧) .

[٩٩٠] رواه البيهقيُّ (١٢٤/٦) ، السُّلطة التَّنفيذِيَّة (٧٦٦/٢) .

[٩٩١] عصر الخِلافة الرَّاشِدة ، ص (٢٧٣) .

[٩٩٢] المصدر السَّابِق نفسه .

[٩٩٣] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٢٧٥) .

[٩٩٤] نظام الحكومة الإسلاميَّة (٢٦٢/٢) .

- [٩٩٥] السُّلطة التنفيذية (٧٦٨/٢) .
- [٩٩٦] أشهر مشاهير الإسلام (٥٤٠/٢ ، ٥٤١) .
- [٩٩٧] معجم الأدباء (١٩/١) .
- [٩٩٨] البيان والتبيين للجاحظ (٢١٩/٢) .
- [٩٩٩] ألف باء للبلوي (٤٢/١) ، أولويات الفاروق ، ص (٤٥٨) .
- [١٠٠٠] المشق : تطويل الخطِّ بغير إجماع .
- [١٠٠١] تدريب الراوي للشُّيوطي ص (١٥٢) .
- [١٠٠٢] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص (١٥١) .
- [١٠٠٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٠٠٤] أوليات الفاروق ص (٤٥٨) .
- [١٠٠٥] الدُّور السياسي للصفوة ، ص (٤٦٢ ، ٤٦٣) .
- [١٠٠٦] مجمع الزوائد (١٢٦/٨) .
- [١٠٠٧] المدينة النبوية في فجر الإسلام (٩٨/٢) .
- [١٠٠٨] البيان للجاحظ (٢٤١/١) ، الأدب في الإسلام ، د . نايف معروف ، ص (١٦٩) .
- [١٠٠٩] المصدر السابق نفسه .
- [١٠١٠] الأدب في الإسلام ، د . نايف معروف ، ص (١٧٠) .
- [١٠١١] مسند الشافعي ، ص (١٢٢) نقلاً عن عمر بن الخطَّاب ، د . أبو النَّصر ، ص (٢٠٩) .
- [١٠١٢] المصدر السابق نفسه ص (٢٠٩) ، أدب الإملاء للسَّمعاني ، ص (٧١) .
- [١٠١٣] تاريخ الطُّبري (٢١٨/٥) .
- [١٠١٤] عمر بن الخطَّاب ص (٢٠٩) محمَّد أبو النصر .
- [١٠١٥] المصدر السابق نفسه ، ص (٢١٠) .
- [١٠١٦] الكامل في الأدب (٣٠٠/٢) .

- [١٠١٧] أدب الإملاء للسمعاني ، ص (٧١) .
- [١٠١٨] العمدة لأبن رشيق (١٥/١) .
- [١٠١٩] الأدب في الإسلام ، د . نايف معروف ، ص (١٧١) .
- [١٠٢٠] الكامل في الأدب (٢٢٧/١) .
- [١٠٢١] المعجم الكبير للطبراني (١٢٩/٧) ، الأدب الإسلامي ، ص (١٧١) .
- [١٠٢٢] الأدب الإسلامي (١٧١) ، العمدة لابن رشيق (١٧/١) .
- [١٠٢٣] طبقات الشعراء ، ابن سلام (٢٥/١) ، أدب صدر الإسلام ، ص (٨٧) .
- [١٠٢٤] عمر بن الخطاب ، محمد أبو النصر ، ص (٢١٨) .
- [١٠٢٥] المصدر السابق نفسه ص (٢١٩) .
- [١٠٢٦] الإبساس : دعاء الناقة بقولهم : بس ، بس طلباً لإدراكها .
- [١٠٢٧] عمر بن الخطاب ، محمد أبو النصر ، ص (٢٢٠) .
- [١٠٢٨] سلح : تغوُّط ، الأدب في الإسلام ، ص (١٧٢) .
- [١٠٢٩] عبقرية عمر ، ص (٢٤٦) .
- [١٠٣٠] رجالاً : أي راجلةً .
- [١٠٣١] الوجا : الحفا .
- [١٠٣٢] الكامل في الأدب (٧٢٥/٢) .
- [١٠٣٣] الدَّاوية : الفلاة الواسعة .
- [١٠٣٤] الكامل في الأدب (٧٢٥/٢) .
- [١٠٣٥] زهر الاداب للقيرواني (٥٤/١) ، الأدب في الإسلام ، ص (٩٢) .
- [١٠٣٦] أدب صدر الإسلام ، د . واضح الصمد ، ص (٩٢ ، ٩٣) .
- [١٠٣٧] اسم وادٍ بالطائف .
- [١٠٣٨] يطارق : يضرب .

- [١٠٣٩] أَيْتَقاً : جمع ناقة .
- [١٠٤٠] شرباً : ضامرة .
- [١٠٤١] الإِرْقَال : السَّير السَّرِيع .
- [١٠٤٢] عمر بن الخطَّاب ، د . محمد أبو النَّصر ، ص (٢٢٦) .
- [١٠٤٣] جبل عرفات .
- [١٠٤٤] جبلان بمكَّة .
- [١٠٤٥] موضع .
- [١٠٤٦] زواق : أشرف على الموت .
- [١٠٤٧] الأدب الإسلامي ، د . نايف معروف ، ص (١٨٠) .
- [١٠٤٨] عمر بن الخطَّاب ، د . محمد أبو النَّصر ، ص (٢٢٨) .
- [١٠٤٩] تحوب : تأثم .
- [١٠٥٠] الحوبة : الذَّنْب .
- [١٠٥١] أدب صدر الإسلام ، ص (٩٠) .
- [١٠٥٢] عمر بن الخطَّاب ، د . محمَّد أبو النَّصر ، ص (٢٣٠) .
- [١٠٥٣] الأغاني للأصفهاني (١٨٩/١٣) .
- [١٠٥٤] أدب صدر الإسلام ، ص ٩٠ .
- [١٠٥٥] عمر بن الخطَّاب ، د . محمد أبو النَّصر ، ص (٢٤٤) .
- [١٠٥٦] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٢٤٦) .
- [١٠٥٧] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٢٤٧) ، الكامل للمبرد (٣٠٠/٢) .
- [١٠٥٨] المدينة النَّبَوِيَّة فجر الإسلام ، والعصر الرَّاشدي (١٠٦/٢) .
- [١٠٥٩] عمر بن الخطَّاب ، د . محمد أبو النَّصر ، ص (٢٤٨) .
- [١٠٦٠] المصدر السَّابق نفسه .

- [١٠٦١] المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (١٠٢/٢) .
- [١٠٦٢] المصدر السابق نفسه .
- [١٠٦٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٠٦٤] عمر بن الخطاب ، د . محمد أبو النصر ، ص (٢٥٠) .
- [١٠٦٥] مجموعة الوثائق السياسية ، ص (٤١٤) .
- [١٠٦٦] عمر بن الخطاب ، د . محمد أبو النصر ، ص (٢٥١) .
- [١٠٦٧] سنن الدارمي (٩/١) نقلاً عن عمر بن الخطاب ، أبو النصر ، ص (٢٥٢) .
- [١٠٦٨] عمر بن الخطاب ، أبو النصر ، ص (٢٥٢) .
- [١٠٦٩] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١١٢/٣) .
- [١٠٧٠] المدينة النبوية ، شراب (١٠٢/٢) ، عمر بن الخطاب . أبو النصر ، ص (٢٥٣) .
- [١٠٧١] البيان والتبيين (٢٤٠/١) ، المدينة النبوية ، شراب (١٠٥/٢) .
- [١٠٧٢] عمر بن الخطاب ، أبو النصر ، ص (٢٥٤) .
- [١٠٧٣] أدب صدر الإسلام ، ص (٩٦) .
- [١٠٧٤] عمر بن الخطاب ، أبو النصر ، ص (٢٥٥ - ٢٦٢) .
- [١٠٧٥] ميسان : بلدة في العراق كثيرة القرى والنخل ، تقع بين البصرة وواسط .
- [١٠٧٦] عمر بن الخطاب د . محمد أبو النصر ، ص (٢٦٣) .
- [١٠٧٧] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٦٥) .
- [١٠٧٨] عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢٢٧) ، فتح الباري (٩٨/٤) .
- [١٠٧٩] أخبار عمر ، ص (١٢٦) .
- [١٠٨٠] عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢٢٧) ، فتح الباري (١٦٩/٨) .
- [١٠٨١] أخبار عمر ، ص (١٢٦) ، عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢٢٧) .
- [١٠٨٢] أخبار مكة للأزرقي (٢٥٣/١) ، أخبار عمر ، ص (١٢٦) .

[١٠٨٣] عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص (٢٢٨) .

[١٠٨٤] المصدر السَّابق نفسه .

[١٠٨٥] الدَّور السِّياسي للصفوة ص (١٨٩ ، ١٩٠) .

[١٠٨٦] الأحكام السُّلطانية للموردي ص (١٨٧ ، ١٨٨) .

[١٠٨٧] أشهر مشاهير الإسلام (٣٤٢/٢) .

[١٠٨٨] المصدر السَّابق نفسه .

[١٠٨٩] المصدر السَّابق نفسه .

[١٠٩٠] المصدر السَّابق نفسه (٣٤٦/٢) .

[١٠٩١] الفاروق عمر للشَّرقاوي ، ص (٢٥٤ ، ٢٥٥) .

[١٠٩٢] أخبار عمر ، ص (١٢٧) .

[١٠٩٣] عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢٣٠) .

[١٠٩٤] المصدر السَّابق نفسه .

[١٠٩٥] اقتصاديات الحرب في الإسلام ، د . غازي بن سالم ، ص (٢٤٥) .

[١٠٩٦] انظر تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة ، د . جميل المصري ، ص (٣٣ - ٣٤٠) .

[١٠٩٧] اقتصاديات الحرب في الإسلام ، ص (٢٤٥) .

[١٠٩٨] تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة ، د . جميل المصري ، ص (٣٣٣) .

[١٠٩٩] الفاروق عمر بن الخطَّاب ، محمَّد رشيد رضا ، ص (١٧٧) .

[١١٠٠] تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة ، ص (٣٣٣) .

[١١٠١] تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة ، ص (٣٣٤) .

[١١٠٢] المصدر السَّابق نفسه .

[١١٠٣] المصدر السَّابق نفسه .

[١١٠٤] المصدر السَّابق نفسه .

[١١٠٥] فتوح البلدان للبلاذري ، ص (٣٤١) .

[١١٠٦] فتوح البلدان ، ص (٢٧٥) .

[١١٠٧] اقتصاديات الحرب في الإسلام ، ص (٢٤٧) .

[١١٠٨] دراسة في تاريخ المدن العربيّة الإسلاميّة ، د . عبد الجبار ناجي ، ص (١٨٣) .

[١١٠٩] تاريخ الدّعوة الإسلاميّة ، ص (٣٣٥) .

[١١١٠] تاريخ الطّبري (١٧/٥) .

[١١١١] تاريخ الدّعوة ، ص (٣٣٦) .

[١١١٢] المصدر السّابق نفسه .

[١١١٣] المصدر السّابق نفسه ، ص (٣٣٨) .

[١١١٤] الخلفاء الرّاشدون ، ص (١٨٢) .

[١١١٥] العكرش : نبات شوكي ينبت من نزوز الأرض .

[١١١٦] تاريخ الطّبري (١٥/٥) .

المصدر السابق نفسه (١٦/٥) .

التاريخ الإسلامي (١٩ ، ٢٠/٢٢) .

المصدر السابق نفسه .

المصدر السابق نفسه (١٩ ، ٢٠/٢٣) .

[١١١٧] استصفى الشيء : أخذ صفوه .

[١١١٨] رفاغة العيش : سعة العيش ، ومحبوبته .

[١١١٩] استشلاككم : دعاكم ؛ لينفدكم .

[١١٢٠] تاريخ الطّبري (٥/٢١١ - ٢١٣) .

- [١١٢١] فتوح مصر لابن عبد الحكم ، ص (٩١) سُمِّيت فسطاط لأنَّه أقام فسطاطه فيها .
- [١١٢٢] عمرو بن العاص القائد والسِّيَاسي ، ص (١٣٥) .
- [١١٢٣] فتوح مصر ، ص (٩٦ ، ٩٧) .
- [١١٢٤] عمرو بن العاص القائد والسِّيَاسي ، ص (١٣٦) .
- [١١٢٥] فتوح مصر ص (١١٥ - ١٢٩) .
- [١١٢٦] عمرو بن العاص القائد والسِّيَاسي ، ص (١٣٧) .
- [١١٢٧] أهل الفسطاط ، د . صالح أحمد العلي ص (٣٨) .
- [١١٢٨] المصدر السَّابِق نفسه .
- [١١٢٩] تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة ، د . جميل المصري ص (٣٣٩) .
- [١١٣٠] تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة ، ص (٣٤٠) .
- [١١٣١] البداية والنَّهاية (١٣٨/٧) ، تاريخ الدَّعوة ، ص (٣٤١) .
- [١١٣٢] تاريخ الدَّعوة ، ص (٣٤١) .
- [١١٣٣] اقتصاديات الحرب في الإسلام ، ص (٢٥٠) .
- [١١٣٤] فنُّ الحكم (٦٨) ، البداية والنَّهاية (٩٨/٧) ، تاريخ الطَّبري (٧٥/٥) .
- [١١٣٥] الودك : الدَّسم ، والدُّهن . وصفحة الشَّيء : وجهه ، وجانبه .
- [١١٣٦] أغليت بهما : اشتريتهما بسعرٍ غالٍ .
- [١١٣٧] تاريخ الطَّبري (٧٨/٥) .
- [١١٣٨] فنُّ الحكم ص (٧١) .
- [١١٣٩] الطَّبَّقات (٣١٤/٣) .
- [١١٤٠] الطَّبَّقات (٣١٥/٣) ، محض الصَّواب (٣٦٣/١) .
- [١١٤١] محض الصَّواب (٣٦٢/١) .

[١١٤٢] الكراديس : جمع الكردوس ؛ وهو : كل عظمٍ تامِّ ضخم ، وكل عظمين التقيا في مفصل (ج) كراديس .

[١١٤٣] حاجب عمر ، أدرك الجاهلية ، وحجَّ مع عمر في خلافة أبي بكر .

[١١٤٤] موضع مالٍ لعمر وقفه بالمدينة .

[١١٤٥] الطبقات (٣/٣١٢) ، الشَّيْخَان من رواية البلاذري ص (٢٩٤) .

[١١٤٦] الطبقات (٣/٣١٥) ، محض الصَّوَاب (١/٣٦٣) .

[١١٤٧] المحل : انقطاع المطر ، ويس الأرض .

[١١٤٨] فنُّ الحكم ص (٧١) ، الطبقات (٣/٣١٥) .

[١١٤٩] تاريخ الذهب ص (٢٧٤) .

[١١٥٠] الكفاءة الإداريَّة ، د . عبد الله القادري ص (١٠٧) .

[١١٥١] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (١١٥) .

[١١٥٢] المدينة النَّبَوِيَّة فجر الإسلام (٢/٣٧ ، ٣٨) .

[١١٥٣] العكَّة : انية السَّمْن أصغر من القرية .

[١١٥٤] أخبار عمر ص (١١١) ، نقلاً عن الرِّيَاض النَّضْرَة .

[١١٥٥] المصدر السَّابِق نفسه ص (١١١) .

[١١٥٦] أخبار عمر ص (١١٢) ، ابن الجوزي ص (٦١) .

[١١٥٧] المصدر السَّابِق نفسه ص (١١٦) .

[١١٥٨] الحلية (١/٤٨) .

[١١٥٩] أخبار عمر ، ص (١١٥) .

[١١٦٠] المصدر السَّابِق نفسه .

[١١٦١] الفاروق عمر ، ص (٢٦٢) .

[١١٦٢] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٢٦٣) .

[١١٦٣] تاريخ الطَّبري (٥/٨٠) .

- [١١٦٤] الفاروق عمر ، ص (٢٦٢) .
- [١١٦٥] المصدر السابق نفسه .
- [١١٦٦] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٦٣) .
- [١١٦٧] السِّياسة الشَّرعية ، د . إسماعيل بدوي ص (٤٠٣) ، محض الصَّواب (١/٣٦٤) .
- [١١٦٨] أخبار عمر ، ص (١١٠) .
- [١١٦٩] الطَّبقات (٣/٣٢٢) ، الشَّيخان من رواية البلاذري ، ص (٣٢٣) .
- [١١٧٠] الطَّبقات (٣/٣٢٢) ، أخبار عمر ، ص (١١٦) .
- [١١٧١] الشَّيخان من رواية البلاذري ، ص (٣١٩) .
- [١١٧٢] مجاديح السَّماء : أنوؤها ، ويقال : أرسلت السَّماء لمجاديحها .
- [١١٧٣] الشَّيخان من رواية البلاذري ، ص (٣٢٠) .
- [١١٧٤] المخل : انقطاع المطر ، ويس الأرض .
- [١١٧٥] الطَّبقات (٣/٣٢٠ ، ٣٢١) ، تاريخ المدينة المنورة ، ابن شَبَّه (٢/٧٤٢) .
- [١١٧٦] فتسقيننا : أي بدعائه حيّاً ، ولو كان يُتوسَّل به ميتاً ؛ لتوسَّل به عمر ، ولما احتاج لعمّه العباس ليدعو له .
- [١١٧٧] البخاريُّ رقم (١٠١٠) .
- [١١٧٨] الفاروق عمر بن الخطاب ، محمد رضا ، ص (٢١٧) .
- [١١٧٩] المصدر السابق نفسه .
- [١١٨٠] الخلافة الرَّاشدة ، والدَّولة الأمويَّة ، د . يحيى اليحيى ، ص (٣٠٢) .
- [١١٨١] الخلافة ، والخلفاء الرَّاشدون ، سالم البهنساوي ، ص (١٦٥) .
- [١١٨٢] العَدْقُ : النَّخلة ، ولا قطع فيه ؛ لأنَّه ما دام معلقاً في الشَّجرة ؛ فليس في حرز .
- [١١٨٣] السَّنَّة : الجذب ، المصباح المنير ، ص (٢٩٢) .
- [١١٨٤] مصنف عبد الرزاق (١٠/٢٤٢) .
- [١١٨٥] المغني لابن قدامة (٨/٢٧٨) .

- [١١٨٦] أعلام الموقعين (١١/٣) ، الاجتهاد في الفقه الإسلامي ، ص(١٣٦) .
- [١١٨٧] الخلافة والخلفاء الراشدون ، ص(١٦٦) .
- [١١٨٨] العقال : صدقة عام .
- [١١٨٩] الشَّيْخَان من رواية البلاذري ، ص(٣٢٤) .
- [١١٩٠] تاريخ القضاء ص(٢٩٤) .
- [١١٩١] خلاصة تاريخ ابن كثير ، محمّد كنعان ، ص(٢٣٦) .
- [١١٩٢] الفتح (١٨٠/١٠) .
- [١١٩٣] أبو عبيدة عامر بن الجراح ، محمّد شراب ، ص(٢٢٠) .
- [١١٩٤] الخلفاء الراشدون للتجار ، ص(٢٢٤) .
- [١١٩٥] المصدر السابق نفسه ، ص(٢٢٢ ، ٢٢٣) .
- [١١٩٦] الخلفاء الراشدون للتجار ، ص(٢٢٥) ، تاريخ الطبري (٣٦/٥) .
- [١١٩٧] تاريخ الطبري (٣٥/٥) .
- [١١٩٨] تاريخ الذهبي ص(١٧٤) .
- [١١٩٩] تاريخ الطبري (٣٦/٥) .
- [١٢٠٠] الاكتفاء (٣٠٦/٣) .
- [١٢٠١] المصدر السابق نفسه (٣٠٧/٣) .
- [١٢٠٢] المصدر السابق نفسه .
- [١٢٠٣] المصدر السابق نفسه (٣٠٩/٣) .
- [١٢٠٤] المصدر السابق نفسه (٣١٠/٣) .
- [١٢٠٥] تاريخ الطبري (٣٦/٥) .
- [١٢٠٦] الاكتفاء (٣٠٨/٣) ، المقصود : أمتني .
- [١٢٠٧] المصدر السابق نفسه (٣٠٨/٣) .

- [١٢٠٨] حلية الأولياء (١/٢٢٨ - ٢٤٤) .
- [١٢٠٩] المصدر السابق نفسه .
- [١٢١٠] الاكتفاء (٣/٣٠٩) .
- [١٢١١] البداية والنهاية (٧/٩٥) .
- [١٢١٢] مجموعة الوثائق السياسية ، ص (٤٩٠) .
- [١٢١٣] الاكتفاء (٣/٣١٠) .
- [١٢١٤] الكامل في التاريخ (٢/١٧١ ، ١٧٢) ، تاريخ الذهبى ، ص (١٨١) .
- [١٢١٥] الفاروق عمر بن الخطاب ، محمد رضا ، ص (٢٣٠) .
- [١٢١٦] الشّواتي : جمع شاتية ، وهي السّرّيّة الّتي تغزو في الشّتاء .
- [١٢١٧] الصّوائف : جمع صائفة ، وهي التي تغزو في الصيف .
- [١٢١٨] المسالّح : الثُّغور .
- [١٢١٩] الخلفاء الرّاشدون للنّجار ص (٣٢٥) ، الفاروق ، محمّد رشيد ، ص (٢٣٠) .
- [١٢٢٠] خلاصة تاريخ ابن كثير ، الخلافة الرّاشدة ص (٢٣٦) .
- [١٢٢١] البداية والنهاية (٧/٧٩) .
- [١٢٢٢] أشهر المشاهير (٢/٣٦١) .
- [١٢٢٣] مسلم ، كتاب السّلام ، رقم (٢٢١٩) .
- [١٢٢٤] أبو عبيدة عامر بن الجراح ، شرّاب ص (٢٣٢ - ٢٣٧) .
- [١٢٢٥] دراسات في الحضارة الإسلاميّة ، أحمد إبراهيم الشّريف ، ص (٢٥٣) .
- [١٢٢٦] دراسات في الحضارة الإسلاميّة ، الشّريف ، ص (٢٥٤) ، .
- [١٢٢٧] مبادئ النّظام الاقتصادي الإسلامي ، د . سعاد إبراهيم صالح ، ص (٢١٣) .
- [١٢٢٨] سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطّاب ، عبد الله جمعان السّعدي ، ص (٨) .
- [١٢٢٩] الموطأ (١/٢٥٦) ، عصر الخلافة الرّاشدة ، ص (١٩٤) .

- [١٢٣٠] الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (٨٢) ، إسناده صحيح .
- [١٢٣١] البخاري ، رقم (١٤٦٣) ، وأحمد (٧٢٥٣) ، والترمذي ، رقم (٦٢٨) وقال الترمذي :
والعمل عليه عند أهل العلم .
- [١٢٣٢] عصر الخلافة الراشدة ، ص (١٩٤ ، ١٩٥) .
- [١٢٣٣] المصدر السابق نفسه ص (١٩٥) ، الأموال لابن زنجويه (٩٩٠/٣) الأثر صحيح .
- [١٢٣٤] الأموال ، أبو عبيد ، ص (٤٤٥) ، والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ، ص (١٩٥) .
- [١٢٣٥] عصر الخلافة الراشدة ، ص (١٩٥) .
- [١٢٣٦] المصنف (٤/١٣٤ ، ١٣٥) والأثر صحيح نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ، ص (١٩٥) .
- [١٢٣٧] عصر الخلافة الراشدة ، ص (١٩٥) والأثر صحيح .
- [١٢٣٨] المصدر السابق نفسه .
- [١٢٣٩] المصدر السابق نفسه ، ص (١٩٦) والأثر صحيح .
- [١٢٤٠] فتح الباري (٣/٣١٣) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ، ص (١٩٦) .
- [١٢٤١] الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، د . محمد بطاينة ، ص (١٠٤) .
- [١٢٤٢] عصر الخلافة الراشدة ، ص (١٩٦ ، ١٩٧) .
- [١٢٤٣] السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص (١١٣ ، ١١٤) ، المعاهدات في الشريعة ، د . الديك ،
ص (٣١٣) .
- [١٢٤٤] أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ، حسين الميبي ، ص (٣٩) .
- [١٢٤٥] موسوعة فقه عمر بن الخطاب (٢٣٥) .
- [١٢٤٦] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٣٥) نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة (١/١٤١) .
- [١٢٤٧] البخاري ، كتاب الجزية ، والمواذعة ، رقم (٣١٥٧) .
- [١٢٤٨] سواد العراق .
- [١٢٤٩] البخاري ، رقم (٣١٥٧) .
- [١٢٥٠] أهل الذمة في الحضارة الإسلامية ، ص (٤٢) .

- [١٢٥١] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، ص(٢٣٨) .
- [١٢٥٢] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، ص(٢٣٨) نقلاً عن المحلّي (٣٤٥/٧) .
- [١٢٥٣] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ص(٢٣٩) نقلاً عن المغني (٥١١/٨) .
- [١٢٥٤] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، ص(٢٣٩) .
- [١٢٥٥] المعاهدات في الشريعة الإسلامية ، د . الديك ، ص(٣١٤) .
- [١٢٥٦] فتوح البلدان ص(١٤٣) ، الموارد الماليّة ، د . يوسف عبد المقصود ، ص(٢٢٨) .
- [١٢٥٧] تاريخ الدّعوة الإسلاميّة ، د . جميل المصري ، ص(٣٢٧) .
- [١٢٥٨] دور الحجاز في الحياة السّياسيّة ، ص(٢٣٠) .
- [١٢٥٩] المصدر السّابق نفسه .
- [١٢٦٠] عصر الخلافة الرّاشدة ، ص(١٧٣) .
- [١٢٦١] المصدر السّابق نفسه ، ص(١٦٧) .
- [١٢٦٢] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، ص(٢٤٣) .
- [١٢٦٣] أهل الذمّة في الحضارة الإسلاميّة ص(٤٣) .
- [١٢٦٤] المصدر السّابق نفسه .
- [١٢٦٥] تاريخ الطّبري (٣٠/٥) وقد ضعّف الدكتور العمري هذه الرّواية ، انظر عصر الخلافة الرّاشدة ، ص(١٦٧) .
- [١٢٦٦] التاريخ الإسلامي (١٤١/١١ ، ١٤٢) .
- [١٢٦٧] الأموال (٣٧/١) نقلاً عن سياسة المال في الإسلام ، عبد الله جمعان ، ص(٧٢) .
- [١٢٦٨] فتح القدير (٥١٤/١) ، سياسة المال في الإسلام ص(٧٢) .
- [١٢٦٩] فتوح البلدان ص(١٨٦) ، سياسة المال في الإسلام ، ص(٧٢) ، يعتبر كتاب سياسة المال في عهد عمر بن الخطّاب للأستاذ عبد الله جمعان السّعدي هو العمدة في مبحث المؤسّسة الماليّة ؛ فقد قمت بتلخيصه وإضافة بعض الأشياء .
- [١٢٧٠] سياسة المال في الإسلام ، ص(٧٢) .

- [١٢٧١] المصدر السَّابِق نفسه ص(٧٣) ، النَّظَام الإسلامي المقارن ص(٣٩) .
- [١٢٧٢] سياسة المال في الإسلام ، ص(٧٣) .
- [١٢٧٣] الأحكام السُّلْطَانِيَّة ، والولايات الدِّينِيَّة ، ص(١٦٤) .
- [١٢٧٤] سياسة المال في الإسلام في عهد عمر بن الخطَّاب ، ص(١٧٤) .
- [١٢٧٥] سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ، ص(٧٦) .
- [١٢٧٦] المصدر السَّابِق نفسه ص(٦٧) .
- [١٢٧٧] الخراج لأبي يوسف ص(٢٤ ، ٢٥) ، اقتصاديات الحرب ، ص(٢١٥) .
- [١٢٧٨] الاستخراج لأحكام الخراج ، ص(٤٠) ، اقتصاديات الحرب ، ص(٢١٥) .
- [١٢٧٩] سياسة المال في الإسلام ، ص(١٠٣) .
- [١٢٨٠] الأموال لأبي عبيد ص(٧٥) ، سياسة المال ، ص(١٠٣) .
- [١٢٨١] الخراج لأبي يوسف ، ص(٦٧) ، اقتصاديات الحرب ، ص(٢١٧) .
- [١٢٨٢] الخراج لأبي يوسف ص(٦٧) ، اقتصاديات الحرب ، ص(٢١٧) .
- [١٢٨٣] سياسة المال في الإسلام في عهد عمر ، ص(١٠٥) .
- [١٢٨٤] أخبار عمر ، ص(٢١٠) .
- [١٢٨٥] مسلمٌ ، رقم(١٧٨٠) .
- [١٢٨٦] النَّسَائِي فِي الكَبْرِي فِي الحجِّ (٣٨/٢) الفتاوى (٣١٣/٢٠) .
- [١٢٨٧] الفتاوى (٣١٢/١٠ ، ٣١٣) .
- [١٢٨٨] الاجتهاد في الفقه الإسلامي ، ص(١٣١) .
- [١٢٨٩] المصدر السَّابِق نفسه ، ص(١٣١ ، ١٣٢) .
- [١٢٩٠] الخراج لأبي يوسف ، ص(٤٠ ، ٤١) .
- [١٢٩١] المصدر السَّابِق نفسه ؛ ص(٣٨) .

- [١٢٩٢] المصدر السابق نفسه (٣٩) ، سياسة المال في الإسلام ، ص(١٠٨) .
- [١٢٩٣] الخراج لأبي يوسف ، ص(٤٠) ، سياسة المال في الإسلام ، ص(١٠٨) .
- [١٢٩٤] الدّولة العباسيّة للخضري ، ص(١٤٤) ، سياسة المال ، ص(١٠٩) .
- [١٢٩٥] سياسة المال في الإسلام ، ص(١١١) .
- [١٢٩٦] المصدر السابق نفسه ، ص(١١٤) .
- [١٢٩٧] المصدر السابق نفسه ، ص(١١٨) .
- [١٢٩٨] الأبعاد السّياسيّة لمفهوم الأمن في الإسلام ، مصطفى منجود ، ص(٣١٧ ، ٣١٨) .
- [١٢٩٩] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٠٠] الدّور السّياسي للصفوة ، ص(١٨٥) .
- [١٣٠١] الدّعوة الإسلاميّة في عهد عمر بن الخطّاب ، حسني غيطاس ، ص(١٣٠) .
- [١٣٠٢] المصدر السابق نفسه ، ص(١٣١) .
- [١٣٠٣] الدّعوة الإسلاميّة في عهد عمر بن الخطّاب ، ص(١٣٢) .
- [١٣٠٤] المصدر السابق نفسه ، ص(١٣٥) .
- [١٣٠٥] أهل الذمّة في الحضارة الإسلاميّة ، ص(٦٣) .
- [١٣٠٦] الخراج لأبي يوسف ، ص(٢٧١) ، اقتصاديات الحرب ، ص(٢٢٣) .
- [١٣٠٧] سياسة المال في الإسلام ، ص(١٢٨) .
- [١٣٠٨] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، ص(٦٥١) .
- [١٣٠٩] المصدر السابق نفسه .
- [١٣١٠] الخراج لأبي يوسف ، ص(١٤٥ ، ١٤٦) ، سياسة المال ، ص(١٢٨) .
- [١٣١١] التّجارة ، وطرقها في الجزيرة العربية ، د . محمّد العمادي ، ص(٣٣٢) .
- [١٣١٢] الحياة الاقتصادية في العصور الإسلاميّة الأولى ، ص(١٠١) .

- [١٣١٣] شرح السيّر الكبير (٥/٢١٣٣ ، ٢١٣٤) ، الحياة الاقتصادية ، ص(١٠١) .
- [١٣١٤] سياسة المال في الإسلام ، ص(١٣٢) .
- [١٣١٥] المصدر السابق نفسه ، ص(١٣٣) .
- [١٣١٦] المصدر السابق نفسه .
- [١٣١٧] تاريخ الدعوة الإسلامية ، د . جميل عبد الله المصري ، ص(٣٢٢) .
- [١٣١٨] الخراج لأبي يوسف ، ص(١٩) نقلاً عن عصر الخلافة الراشدة ، ص(١٨٣) .
- [١٣١٩] عصر الخلافة الراشدة ، ص(١٨٨) .
- [١٣٢٠] المصدر السابق نفسه ، ص ١٨٩ .
- [١٣٢١] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٢٢] سياسة المال في الإسلام ، ص(١٥٥) .
- [١٣٢٣] مقدّمة ابن خلدون (٢٤٣) ، سياسة المال في الإسلام ، ص(١٥٥) .
- [١٣٢٤] سياسة المال في الإسلام ، ص(١٥٧) .
- [١٣٢٥] الطّبقات لابن سعد (٣/٣٠٠ ، ٣٠١) خبرٌ صحيحٌ .
- [١٣٢٦] مقدّمة ابن خلدون ص(٢٤٤) ، الخراج لأبي يوسف ، ص(٤٨ ، ٤٩) .
- [١٣٢٧] الأحكام السُلطانيّة ص(٢٢٦ ، ٢٢٧) ، فتوح البلدان ، ص(٤٣٦) .
- [١٣٢٨] الأحكام السُلطانيّة ص(٢٢٦) ، تاريخ الإسلام السياسي (١/٤٥٦) .
- [١٣٢٩] الأحكام السُلطانية ص(٢٢٦) ، سياسة المال ، ص(١٥٨) .
- [١٣٣٠] مقدّمة ابن خلدون ص(٢٤٤) ، سياسة المال ص(١٥٩) .
- [١٣٣١] سياسة المال في الإسلام ، ص(١٥٩) .
- [١٣٣٢] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٣٣] الأحكام السُلطانية للماوردي ، ص(٢٠١) .
- [١٣٣٤] السّياسة الشرعية لابن تيميّة ص(٤٨) ، أوليّاات الفاروق ، ص(٣٥٨) .

- [١٣٣٥] جامع الأصول (٧١/٢) ، أخبار عمر ، ص (٩٤) .
- [١٣٣٦] فتوح البلدان ، ص (٤٣٦) ، الأحكام السلطانية ، ص (٢٢٧) .
- [١٣٣٧] سياسة المال في الإسلام ، ص (١٦٠) .
- [١٣٣٨] صبح الأعشى في قوانين الإنشا للقلقشندي (٨٩/١) .
- [١٣٣٩] فقه الزكاة (٣١٨/١) هذا المصدر والذي فوّه من سياسة المال ، ص (١٦٠) .
- [١٣٤٠] سياسة المال في الإسلام ، ص (١٦٩) .
- [١٣٤١] النّظام الإسلاميّ المقارن ص (١١٢) ، سياسة المال ، ص (١٧١) .
- [١٣٤٢] الأموال لأبي عبيد (٦٧٦/٤) ، سياسة المال ، ص (١٧١) .
- [١٣٤٣] سياسة المال في الإسلام ، ص (١٧٢) .
- [١٣٤٤] المصدر السّابق نفسه ص (١٧٣) .
- [١٣٤٥] عصر الخلافة الرّاشدة ص (٢٠٢) .
- [١٣٤٦] سياسة المال في الإسلام ص (١٧٥) .
- [١٣٤٧] المصدر السّابق نفسه ص (١٧٧ ، ١٧٨) .
- [١٣٤٨] الأبعاد السّياسية لمفهوم الأمن في الإسلام ص (٣٠٦) .
- [١٣٤٩] الاجتهاد في الفقه الإسلاميّ ، ص (١٣٢ ، ١٣٣) .
- [١٣٥٠] المصدر السّابق نفسه ، ص (١٣٤) .
- [١٣٥١] الطّبقات (٢٨٣/٣) .
- [١٣٥٢] سياسة المال في الإسلام ، ص (١٨٤) .
- [١٣٥٣] المصدر السّابق نفسه .
- [١٣٥٤] المصدر السّابق نفسه ، ص (١٩٨) .
- [١٣٥٥] الأحكام السلطانية ، ص (٢٢٧) ، سياسة المال ، ص (١١٩) .
- [١٣٥٦] الطّبقات (٣٠١/٣) .

- [١٣٥٧] تاريخ يعقوبي (١٥٣/٢ ، ١٥٤) .
- [١٣٥٨] سياسة المال في الإسلام ، ص (٢٠٠) .
- [١٣٥٩] عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢١٤) .
- [١٣٦٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٦١] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٦٢] المصدر السابق نفسه ، ص (٢١٥) .
- [١٣٦٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٦٤] سياسة المال في الإسلام ، ص (٢٠٢) .
- [١٣٦٥] سياسة المال في الإسلام ، ص (٢٠٣) ، الطَّبَقَات الكبرى (٢٩٨/٣) .
- [١٣٦٦] الطَّبَقَات الكبرى (٢٩٩/٣) كتاب الخراج لأبي يوسف ، ص (٥٠) .
- [١٣٦٧] عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢١٦) ، الأموال ، ابن زنجويه (٥٧٦/٢) . و (بَيَّاناً واحداً) أي : لَأَسْوَيْنَ بينهم في العطاء حتى يكونوا شيئاً واحداً ، لا فضل لأحد على غيره . قال الأزهري : اللفظة هي : بَيَّاناً ، وهي لغةٌ يمانيةٌ ولم تفش ، ولها نفس المعنى السابق (النهاية بتصرف) .
- [١٣٦٨] الأثر صحيحٌ ، عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢١٦) .
- [١٣٦٩] المصدر السابق نفسه ، ص (٢١٧) ، الأثر صحيحٌ .
- [١٣٧٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٧١] الخراج ؛ لأبي يوسف ، ص (٢٢) .
- [١٣٧٢] المصدر السابق نفسه . « الكُرَاع » : اسم لجميع الخيل .
- [١٣٧٣] سياسة المال في الإسلام ، ص (٢٠٥ ، ٢٠٦) .
- [١٣٧٤] تاريخ المدينة ، لابن شَبَّه (٦٩٨/٢) ، عصر الخلافة الراشدة ، ص (٢١٨) .
- [١٣٧٥] الطَّبَقَات (٣١٣/٣) ، عصر الخلافة الراشدة ، ص (٣١٨) .
- [١٣٧٦] الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطَّاب ، ص (٣٦٤) .

- [١٣٧٧] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٣٦٦) .
- [١٣٧٨] الأحكام السُّلْطَانِيَّة ، ص (١٤٧) .
- [١٣٧٩] شذور العقود في ذكر التُّقود ، ص (٣١ - ٣٣) .
- [١٣٨٠] الإدارة العسكرية في عهد عمر ، ص (٣٦٧) .
- [١٣٨١] الطَّبَقَات الكبرى (١٠٤/٣) ، الأثر صحيحٌ ، عصر الخلافة الرَّاشِدة ، ص (٢٢٠) .
- [١٣٨٢] البخاريُّ : التَّارِيخ الصَّغِير (٨١/١) ، عصر الخلافة الرَّاشِدة ، ص (٢٢١) .
- [١٣٨٣] عصر الخلافة الرَّاشِدة ، ص (٢٢١) الأثر صحيحٌ .
- [١٣٨٤] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٢٢١) .
- [١٣٨٥] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٢٢٢) .
- [١٣٨٦] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٥٣/٢) .
- [١٣٨٧] القضاء في الإسلام ، عطية مصطفى ، ص (٧٧) .
- [١٣٨٨] النَّظَام القَضَائِي فِي العَهْد النَّبَوِي والخِلافة الرَّاشِدة ، القَطَّان ، ص (٤٧) .
- [١٣٨٩] أخبار القضاة لوكيع (١٨٨/٢) .
- [١٣٩٠] النَّظَام القَضَائِي فِي العَهْد النَّبَوِي ، ص (٤٩) .
- [١٣٩١] أخبار القضاة لوكيع (١٠٨/١) .
- [١٣٩٢] وقائع ندوة التُّنْظِم الإسلاميَّة فِي أَبِي ظبي (٣٧٥/١) .
- [١٣٩٣] عبد الله بن قيس هو أبو موسى الأشعري .
- [١٣٩٤] اس بينهم : سَوَّ .
- [١٣٩٥] حيفك : ظلمك .
- [١٣٩٦] استحللت : سأله أن يحلَّه له .
- [١٣٩٧] عدول : ج (عدل) وهو المستقيم في أمره .
- [١٣٩٨] درأ الشَّيء : دفعه .

- [١٣٩٩] الغلق : ضيق الصدر ، وقلة الصبر .
- [١٤٠٠] إعلام الموقعين لابن القيم (١/٨٥) .
- [١٤٠١] أخبار عمر ، ص(١٧٤) .
- [١٤٠٢] مجموعة الوثائق السياسية ، ص(٤٣٨) .
- [١٤٠٣] البيان والتبيين (٢/١٥٠) .
- [١٤٠٤] جامع بيان العلم ، وفضله (٢/٧٠) .
- [١٤٠٥] النظام القضائي ، مناع القطان ص(٧٢ ، ٧٣) .
- [١٤٠٦] مغني المحتاج (٤/٣٨٢) ، النظام القضائي ، ص(٧٧) .
- [١٤٠٧] النظام القضائي ، ص(٧٧) .
- [١٤٠٨] عصر الخلافة الراشدة ، ص(١٤٣) .
- [١٤٠٩] النظام القضائي ، ص(٧٦) .
- [١٤١٠] عصر الخلافة الراشدة ، ص(١٥٩) .
- [١٤١١] النظام القضائي ص(٧٤) ، عصر الخلافة الراشدة ، ص(١٤٤) .
- [١٤١٢] عصر الخلافة الراشدة ، ص(١٤٥) .
- [١٤١٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٤١٤] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص(٧٢٣) ، المغني (٩/٣٧) .
- [١٤١٥] يضارع : يرثي .
- [١٤١٦] نظام الحكم في الشريعة ، والتاريخ الإسلامي (٢/١٠٢) .
- [١٤١٧] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص(٧٢٣) .
- [١٤١٨] المصدر السابق نفسه ، ص(٧٢٤) .
- [١٤١٩] المصدر السابق نفسه .
- [١٤٢٠] المصدر السابق نفسه .

- [١٤٢١] المصدر السابق نفسه .
- [١٤٢٢] إعلام الموقعين لابن القيم (٨٥/١) .
- [١٤٢٣] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (٧٢٥) .
- [١٤٢٤] المصدر السابق نفسه .
- [١٤٢٥] المصدر السابق نفسه ، ص (٧٢٥) ، سنن البيهقي (١١٢/١٠) .
- [١٤٢٦] المصدر السابق نفسه ، ص (٧٢٥) ، سنن البيهقي (١١٠/١٠) .
- [١٤٢٧] المصدر السابق نفسه ، ص (٧٢٥) ، سنن البيهقي (١٠٩/١٠) .
- [١٤٢٨] صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ، ص (٢٥٩) .
- [١٤٢٩] مجموعة الوثائق السياسيّة ، ص (٤٣٨) .
- [١٤٣٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٤٣١] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (٧٢٦) .
- [١٤٣٢] المصدر السابق نفسه ، المغني (٧٩/٩) .
- [١٤٣٣] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (٧٢٦) ، سنن البيهقي (١٠٦/١٠) .
- [١٤٣٤] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (٧٢٧) .
- [١٤٣٥] البخاريّ ، رقم (٢٦٤١) ، سنن البيهقي (١٢٥/١٠ - ١٥٠) .
- [١٤٣٦] تاريخ المدينة (٧٦٩/٢) ، موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (٧٢٧) .
- [١٤٣٧] إعلام الموقعين (١٠٨/١) .
- [١٤٣٨] سنن البيهقي (١٢٠/١٠) ، موسوعة فقه عمر ، ص (٨٢٨) .
- [١٤٣٩] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (٨٢٨) .
- [١٤٤٠] إعلام الموقعين (٨٥/١) .
- [١٤٤١] إعلام الموقعين (١١١/١) ، موسوعة فقه عمر ، ص (٧٢٩) .
- [١٤٤٢] موسوعة فقه عمر ، ص (٧٢٩) ، المحلّي (١٣٢/١١) .
- [١٤٤٣] إعلام الموقعين (٨٥/١) ، مجلة البحوث العلميّة (٢٨٧/٧) .

- [١٤٤٤] شهيد المحراب ، ص (٢١١) .
- [١٤٤٥] عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص (١٤٧) ، شهيد المحراب ، ص (٢١١) .
- [١٤٤٦] تاريخ القضاء في الإسلام ، د . محمد الرَّحيلي ، ص (١١٨) .
- [١٤٤٧] إعلام الموقعين (٢٢٤/١) ، تاريخ القضاء في الإسلام ، ص (١١٩) .
- [١٤٤٨] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص (١٢٠) ، إعلام الموقعين (٥٧/١) .
- [١٤٤٩] إعلام الموقعين (٥٨/١) ، تاريخ القضاء في الإسلام ، ص (١٢٠) .
- [١٤٥٠] إعلام الموقعين (٢٢٤/١) .
- [١٤٥١] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص (١٢٠) .
- [١٤٥٢] المصدر السَّابق نفسه ، ص (١١٢) .
- [١٤٥٣] المصدر السَّابق نفسه ، ص (١١٢ ، ١٢٣) .
- [١٤٥٤] إعلام الموقعين (٨٧/١) ، تاريخ القضاء في الإسلام ، ص (١٢٣) .
- [١٤٥٥] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص (١٢٤) .
- [١٤٥٦] إعلام الموقعين (٧٠/١) فما بعدها .
- [١٤٥٧] تاريخ القضاء ، ص (١٢٥) .
- [١٤٥٨] المصدر السَّابق نفسه .
- [١٤٥٩] سنن البيهقي (١٢٥/١٠) ، موسوعة فقه عمر ، ص (٧٣١) .
- [١٤٦٠] موسوعة فقه عمر بن الخطَّاب ، ص (٧٣١) .
- [١٤٦١] سنن البيهقي (١٥٣/١٠ ، ١٥٥) .
- [١٤٦٢] المغني (١٥١/٩) ، موسوعة فقه عمر بن الخطَّاب ، ص (٧٣٢) .
- [١٤٦٣] تاريخ المدينة المنورة (٧٥٥/٢) ، موسوعة فقه عمر ، ص (٧٣٢) .
- [١٤٦٤] موسوعة عمر بن الخطَّاب ، ص (٧٣٣) .
- [١٤٦٥] النِّظام القضائي ، مناع القطان ، ص (٨١ ، ٨٢) .

- [١٤٦٦] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، ص (٧٣٥) .
- [١٤٦٧] المصدر السّابق نفسه ص (٧٣٥) ، مصنف عبد الرزّاق (٤٣٢/٨) .
- [١٤٦٨] سنن البيهقي (١٠/١٤٤) ، موسوعة فقه عمر ، ص (٧٣٥) .
- [١٤٦٩] موسوعة فقه عمر ، ص (٧٣٥) .
- [١٤٧٠] مقاتلون يراقبون العدوّ في الثّغر الذي يسكنونه لئلاً يباغتهم .
- [١٤٧١] القضاء في خلافة عمر ، ناصر الطّريفي (٢/٨٦٢) .
- [١٤٧٢] عصر الخلافة الرّاشدة ، ص (١٤٦) .
- [١٤٧٣] الحلية (٦/١٤٠) ، الطّبقات (٣/٢٩٠) إسناده صحيح .
- [١٤٧٤] أولويات الفاروق ، ص (٤٣٥) .
- [١٤٧٥] المغني (١٢/٣٨٦) في الإرواء (٢٤٢٢) إسناده ضعيف .
- [١٤٧٦] عصر الخلافة الرّاشدة ، ص (١٤٨) .
- [١٤٧٧] المنتقى شرح الموطأ للباجي (٦/٦٣) .
- [١٤٧٨] عصر الخلافة الرّاشدة ، ص (١٤٨) .
- [١٤٧٩] الخلافة الرّاشدة ، د . يحيى اليحيى ص (٣٥١) ، عصر الخلافة الرّاشدة ص (١٤٨) .
- [١٤٨٠] عصر الخلافة ، ص (١٤٨) .
- [١٤٨١] الموطأ (٢/٨٢٧) ، المغني (١٢/٢١٧) ، البخاريّ ، رقم (٢٥٤٨) .
- [١٤٨٢] السّنن الكبرى للبيهقيّ (٨/٣٥) ، المغني (١٢/٢١٧) .
- [١٤٨٣] السّنن الكبرى (٨/٢٣٦) ، المغني (١٢/٢١٨) .
- [١٤٨٤] المحلّي (١٢/١٠٧) رقم (٢١٩٨) .
- [١٤٨٥] المصدر السّابق نفسه (١٢/١٩٢) رقم (٢٢١٥) .
- [١٤٨٦] عصر الخلافة الرّاشدة ، ص (١٤٩) .
- [١٤٨٧] المصدر السابق نفسه .
- [١٤٨٨] المغني (١٢/٢٤٥) .

- [١٤٨٩] عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص (١٤٩) .
- [١٤٩٠] المَحَلِّي (١٩٤/١٢) رقم (٢٢١٦) .
- [١٤٩١] موسوعة فقه عمر بن الخطَّاب ص (٢٠٣) .
- [١٤٩٢] عصر الخلافة الرَّاشدة ص (١٥٠) .
- [١٤٩٣] السنن الكبرى للبيهقي (٢٥٢/٨) .
- [١٤٩٤] أوَّلِيَّات الفاروق ، ص (٤٣٩ ، ٤٤٠) .
- [١٤٩٥] ليل التَّمَام : اللَّيْل الطويل .
- [١٤٩٦] الخزام : حلقة من شعر تُجْعَل في وَتْرَةِ أنْف البعير بعد ثَقْبِهَا ، يُشَدُّ بِهَا الرِّمَام .
- [١٤٩٧] الرِّبَلَات : جمع رِبْلَة ، وهي باطن الفخذ ، وما حول الصَّرْع .
- [١٤٩٨] الفئام : هي الجماعات من الناس .
- [١٤٩٩] أوَّلِيَّات الفاروق ، ص (٤١٤) .
- [١٥٠٠] البخاريُّ ، كتاب الدِّيَات ، رقم (٦٨٩٦) .
- [١٥٠١] المغني لابن قدامة (٣٨٧/١١) .
- [١٥٠٢] أوَّلِيَّات الفاروق السِّيَاسِيَّة ، ص (٤٠٩) .
- [١٥٠٣] المصدر السابق نفسه ، ص (٤٤٧) .
- [١٥٠٤] المصدر السابق نفسه .
- [١٥٠٥] عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص (١٥٣) ، المغني (٤٠٥/١١) .
- [١٥٠٦] عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص (١٥٣) .
- [١٥٠٧] أوَّلِيَّات الفاروق ص (٢٦٤) .
- [١٥٠٨] المصدر السابق نفسه ، ص (٢٦٦) ، وادعة ، وشاكر : قبيلتان باليمن .
- [١٥٠٩] السُّنن الكبرى للبيهقي (١٢٣/٨ ، ١٢٤) ، أوَّلِيَّات الفاروق ، ص (٤٦٦) .
- [١٥١٠] محض الصَّوَاب (٣٧٢/١) .
- [١٥١١] إعلام الموقِّعين (٢١١) .

[١٥١٢] المصدر السابق نفسه .

[١٥١٣] الأموال لأبي عبيد ص (١٢٥) ، رقم (٢٦٧) ، أوليات الفاروق ، ص (٤٣٥) .

[١٥١٤] نباداً : صانع النّبذ .

[١٥١٥] الطرق الحكيمة : ص (١٥ ، ١٦) .

[١٥١٦] الودج : عرق في العنق .

[١٥١٧] محض الصّواب (٧٠٩/٢) إسناده صحيح إلى الشّعبي ولكنّه منقطع بين الشّعبي، وعمر.

[١٥١٨] موسوعة فقه عمر ، ص (٤٧) .

[١٥١٩] موسوعة فقه عمر بن الخطّاب ، ص (٣٧١) .

[١٥٢٠] المصدر السابق نفسه .

[١٥٢١] راجع الموطأ ، وكتاب إسعاف المبطأ برجال الموطأ ، ص (٦٣٨ ، ٦٣٩) ، الموطأ (٧٤٦/٢) .

[١٥٢٢] سبل السّلام شرح بلوغ المرام (٦٠/٣) .

[١٥٢٣] علم أصول الفقه ، وتاريخ التّشريع ، ص (٣٩) .

[١٥٢٤] الاجتهاد في الفقه الإسلامي ، ص (١٤٠ ، ١٤١) .

[١٥٢٥] المصدر السابق نفسه ، ص (١٤١ ، ١٤٢) .

[١٥٢٦] مسلم ، كتاب الطلاق ، رقم (١٤٧٢) .

[١٥٢٧] المصدر السابق نفسه .

[١٥٢٨] القضاء في عهد عمر بن الخطّاب ، د . ناصر الطّريفي (٧٣٣/٢) .

[١٥٢٩] القضاء في الإسلام ، ص (٩٨) .

[١٥٣٠] المصدر السابق نفسه ، ص (٩٩) .

[١٥٣١] المدوّنة الكبرى ، كتاب الطّلاق ، باب طلاق الشّنة (٦٢/٢) وهو مرسلٌ ، ولكن مراسيل

سعيد بن المسيّب كلّها صحاحٌ .

[١٥٣٢] سنن النسائي ، كتاب الطلاق الثلاث المجموعة (٣٤٠١) قال ابن حجر عن هذا الحديث :
أخرجه النسائي ورجاله ثقات ، فتح الباري (٣٦٢/٩) وقال ابن القيم : وإسناده على شرط مسلم ،
زاد المعاد (٢٤١/٥) .

[١٥٣٣] القضاء في عهد عمر بن الخطاب (٧٣٦/٢) .

[١٥٣٤] سنن أبي داود ، كتاب الطلاق ، باب في البتة (٢٢٠٦) قال أبو داود : وهذا أصح من
حديث جريج : إن ركانة طلق امرأته ثلاثاً ؛ لأئهم أهل بيته ، وهم أعلم به ، وقال النووي : وأما الرواية
التي رواها المخالفون : أن ركانة طلق ثلاثاً فجعلها واحدة ؛ فرواية ضعيفة عن قوم مجهولين ، وإنما
الصحيح منها ما قدمناه : أنه طلقها البتة ، ولفظ البتة محتمل للواحدة ، والثلاثة . شرح النووي
(٧١/١٠) .

[١٥٣٥] الفقهاء في عهد عمر بن الخطاب (٧٣٦/٢ - ٧٣٩) .

[١٥٣٦] زاد المعاد (٢٧٠/٥) .

[١٥٣٧] مسلم ، كتاب الحج ، رقم (١٢١٧) .

[١٥٣٨] الأوائل (٢٣٨/١ ، ٢٣٩) .

[١٥٣٩] أشهر مشاهير الإسلام (٤٣٢/٢) ، القضاء في عهد عمر بن الخطاب (٧٥٦/٢) .

[١٥٤٠] أوطاس : واد في الطائف ، ويوم أوطاس ، ويوم فتح مكة في عام واحد ، وهو سنة ثمان من
الهجرة ، شرح النووي لصحيح مسلم (١٨٤/٩) .

[١٥٤١] مسلم ، كتاب النكاح ، باب نكاح المتعة ، وبيان أنه أبيض ، ثم نسخ ، ثم أبيض ، ثم نسخ ،
واستقرّ تحريره إلى يوم القيامة (١٤٠٣) .

[١٥٤٢] البكرة : هي الفتية من الإبل ، أي : الشابة القويّة ، وأما العيطاء ؛ فهي الطويلة العنق في
اعتدال ، وحسن قوام ، شرح النووي لمسلم (١٨٤/٩ ، ١٨٥) .

[١٥٤٣] وفي رواية ثانية لمسلم : وهو قريب من الدمامة .

[١٥٤٤] أي : يتمتع بها ، فحذف بها لدلالة الكلام عليه ، أو أوقع يتمتع موقع يباشر ؛ أي :
يباشرها وحذف المفعول . والحديث رواه مسلم برقم (١٤٠٦) .

[١٥٤٥] مسلم ، كتاب النكاح ، رقم (١٤٠٦) .

- [١٥٤٦] المصدر السابق نفسه ، رقم (١٤٠٧) .
- [١٥٤٧] القضاء في عهد عمر بن الخطّاب (٧٥٦/٢) .
- [١٥٤٨] انظر محض الصّواب (٧٧٤ . ٧٥٤/٣) .
- [١٥٤٩] البخاريّ ، كتاب الخصومات ، باب الربط والحبس ، مسند أحمد رقم (٢٣٢) الموسوعة الحديثيّة إسناده صحيح .
- [١٥٥٠] الولاية على البلدان ، عبد العزيز العمري (٦٧/١) وهذا أهم مرجع في الفصل ، وقد قمت بتلخيص هذا الكتاب .
- [١٥٥١] الولاية على البلدان (٦٨/١) .
- [١٥٥٢] تاريخ اليعقوبي (١٤٧/٢) .
- [١٥٥٣] المصدر السابق نفسه (١٥٧/٢) .
- [١٥٥٤] الولاية على البلدان (٦٨/١) .
- [١٥٥٥] تاريخ خليفة بن خيّاط ص (١٣٤) .
- [١٥٥٦] تاريخ الطّبري (٢٣٩/٥) .
- [١٥٥٧] الطّائف في العصر الجاهلي و صدر الإسلام ، نادية حسين صقر ص (١٩) .
- [١٥٥٨] المصدر السابق نفسه .
- [١٥٥٩] الولاية على البلدان (٦٩/١) .
- [١٥٦٠] غاية الأماي في أخبار القطر اليماني ، يحيى بن الحسين (٨٣/١) .
- [١٥٦١] تاريخ الطّبري (١٥٧/٢) .
- [١٥٦٢] غاية الأماي (٨٣/١) .
- [١٥٦٣] الأموال للقاسم بن سلام ص (٤٣٦) .
- [١٥٦٤] تاريخ اليعقوبي (١٥٧/٢) .
- [١٥٦٥] تاريخ الطّبري (٢٣٩/٥) .

- [١٥٦٦]الولاية على البلدان (٧١/١) .
- [١٥٦٧]اليمن في ظل الإسلام ، د . عصام الدين ، ص (٤٩) .
- [١٥٦٨]فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ، ص (١١٩ . ١٢٣) .
- [١٥٦٩]الولاية على البلدان (٧١/١) .
- [١٥٧٠]المصدر السابق نفسه (٧٥/١) .
- [١٥٧١]الولاية على البلدان (٧٣/١) .
- [١٥٧٢]سير أعلام النبلاء (٣٧٤/٢) .
- [١٥٧٣]الولاية على البلدان (٧٣/١) .
- [١٥٧٤]الطبقات (٥٦٠/٥) ، تاريخ المدينة (٨٤٣/٣) ، الولاية على البلدان (٧٤/١) .
- [١٥٧٥]الولاية على البلدان (٧٤/١) .
- [١٥٧٦]البداية والنهاية (١٠١/٧) .
- [١٥٧٧]الولاية على البلدان (٧٥/١) .
- [١٥٧٨]المصدر السابق نفسه .
- [١٥٧٩]تاريخ الطبري (٢٣٩/٥) .
- [١٥٨٠]الولاية على البلدان (٧٦/١) .
- [١٥٨١]فتوح مصر ، ص (١٧٣) .
- [١٥٨٢]الولاية على البلدان (٧٩/١) .
- [١٥٨٣]فتوح مصر ، وأخبارهم ، ص (٥٢) .
- [١٥٨٤]الولاية على البلدان (٨٢/١) .
- [١٥٨٥]الولاية على البلدان (٨٣/١) .
- [١٥٨٦]تهذيب تاريخ دمشق (١٥٢/١) .
- [١٥٨٧]الأزدي له صحبة ، ورواية ، اشترك في فتوح الشام .
- [١٥٨٨]تاريخ خليفة ، ص (١٥٥) .

- [١٥٨٩] فتوح الشَّام ، ص (٢٤٨) .
- [١٥٩٠] الفتوح ، ابن أعثم الكوفي ، ص (٢٨٩) الولاية على البلدان (١/٩٠) .
- [١٥٩١] فتوح البلدان ، ص (١٣٧) .
- [١٥٩٢] المصدر السابق نفسه ص (١٤٥ ، ١٤٦) .
- [١٥٩٣] الوثائق السياسية للعصر النبوي ، والخلافة الراشدة ، ص (٤٩٣) .
- [١٥٩٤] الولاية على البلدان (١/٩٢) .
- [١٥٩٥] تاريخ الطَّبري (٥/٢٣٩) .
- [١٥٩٦] الولاية على البلدان (٢/٩٢) .
- [١٥٩٧] المصدر السابق نفسه (٢/٩٣) .
- [١٥٩٨] تاريخ خليفة بن خيَّاط (١٥٥) ، سير أعلام النبلاء (٣/٨٨) .
- [١٥٩٩] الولاية على البلدان (١/١٠٢) .
- [١٦٠٠] المصدر السابق نفسه (١/١٠٨) .
- [١٦٠١] البداية والنهاية (٧/٢٨) .
- [١٦٠٢] الولاية على البلدان (١/١١١) .
- [١٦٠٣] الولاية على البلدان (١/١١٣) .
- [١٦٠٤] تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص (١٥٥) .
- [١٦٠٥] التَّنْظِيمَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والاقتصاديَّةِ في البصرة ، ص (٣٦) .
- [١٦٠٦] تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص (١٢٧ ، ١٢٨) .
- [١٦٠٧] الولاية على البلدان (١/١١٥) .
- [١٦٠٨] المصدر السابق نفسه (١/١١٧) .
- [١٦٠٩] مناقب عمر لابن الجوزي ص (١٣٠) .
- [١٦١٠] الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة .

- [١٦١١] سير أعلام النبلاء (٣٨٩/٢) .
- [١٦١٢] الولاية على البلدان (١٢٠/١) .
- [١٦١٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٦١٤] فتوح البلدان ، ص (١٣٩) ، تاريخ يعقوبي (١٥١/٢) .
- [١٦١٥] الولاية على البلدان (١٢٣/١) .
- [١٦١٦] المصدر السابق نفسه .
- [١٦١٧] الطبقات (١٥٧/٣) .
- [١٦١٨] الفتوح ، ابن أعمم (٨٢/٢) .
- [١٦١٩] نهاية الأرب (٣٦٨/١٩) .
- [١٦٢٠] تاريخ خليفة ، ص (١٥٥) ، تاريخ الطبري (٢٣٩/٥) .
- [١٦٢١] مروج الذهب (٣٠٦/٢) ، الولاية على البلدان (١٣١/١) .
- [١٦٢٢] سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٢) .
- [١٦٢٣] الولاية على البلدان (١٣٣/١) .
- [١٦٢٤] المصدر السابق نفسه (١٣٣/١ ، ١٣٤ ، ١٣٥) .
- [١٦٢٥] وقائع ندوة النظم الإسلامية (٢٩٥/١ ، ٢٩٦) .
- [١٦٢٦] دور الحجاز في الحياة السياسية ص (٢٥٥) .
- [١٦٢٧] الفتاوى (٤٢/٢٨) .
- [١٦٢٨] المصدر السابق نفسه (١٣٨/٢٨) .
- [١٦٢٩] تاريخ الطبري (٣٩/٥) .
- [١٦٣٠] الفتاوى (٤٢/٢٨) .
- [١٦٣١] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٤٧٩/١) .
- [١٦٣٢] المدينة النبوية فجر الإسلام (٥٦/٢) .

- [١٦٣٣] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٤٨٢/١) .
- [١٦٣٤] نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي (٤٨٢/١) .
- [١٦٣٥] المصدر السابق نفسه .
- [١٦٣٦] المصدر السابق نفسه (٢٨٣/١) .
- [١٦٣٧] محض الصَّواب (٥١٩/٢) .
- [١٦٣٨] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ، ص (١٥٠) .
- [١٦٣٩] الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص (٣٣٤) .
- [١٦٤٠] مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزي ، ص (١٠٨) ، الولاية على البلدان (١٢٨/١) .
- [١٦٤١] الفتاوى (١٣٨/٢٨) .
- [١٦٤٢] الإدارة الإسلاميَّة في عصر عمر بن الخطَّاب ، ص (٢١٣) .
- [١٦٤٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٦٤٤] المصدر السابق نفسه ، ص (٢١٥) .
- [١٦٤٥] البرذون : الدَّابة ، البراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العرب .
- [١٦٤٦] محض الصَّواب (٥١٠/١) .
- [١٦٤٧] التَّاريخ الإسلامي (١٩ ، ٢٠ ، ٢٦٨) .
- [١٦٤٨] عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص (١١٤) .
- [١٦٤٩] فرائد الكلام ، ص (١٦٥) .
- [١٦٥٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٦٥١] الولاية على البلدان (١٢٨/١) .
- [١٦٥٢] الولاية على البلدان (١٤٢/١) ، مناقب أمير المؤمنين ، ص (١١٧) .
- [١٦٥٣] صفة الصَّفوة (٢٨٧/١) .
- [١٦٥٤] الولاية على البلدان (١٤٢/١) .

- [١٦٥٥] المصدر السابق نفسه .
- [١٦٥٦] الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص (٤٠٧) .
- [١٦٥٧] الولاية على البلدان (١/١٤٤) .
- [١٦٥٨] المصدر السابق نفسه (٢/٤٩) .
- [١٦٥٩] بدائع السالك (٢/٢٧) .
- [١٦٦٠] ذكره ابن حجر في الإصابة .
- [١٦٦١] محض الصواب (٢/٥١٤) ، الطبقات (٦/١٥٨) .
- [١٦٦٢] ضاغط : مراقب .
- [١٦٦٣] الولاية على البلدان (٢/٥٣) .
- [١٦٦٤] فتوح الشام للأزدي ، ص (١٢٢ ، ١٢٣) .
- [١٦٦٥] الولاية على البلدان (٢/٥٤) .
- [١٦٦٦] المصدر السابق نفسه .
- [١٦٦٧] فتوح البلدان للبلاذري ، ص (٢١٤) .
- [١٦٦٨] الخراج لأبي يوسف ، ص (٢٢ ، ٢٣) .
- [١٦٦٩] تاريخ اليعقوبي (٢/١٣٩ ، ١٤٠) .
- [١٦٧٠] الولاية على البلدان (٢/٥٥) .
- [١٦٧١] المصدر السابق نفسه (٢/٥٦) .
- [١٦٧٢] المصدر السابق نفسه .
- [١٦٧٣] الخراج لأبي يوسف ص (١٥) ، الولاية على البلدان (٢/٥٧) .
- [١٦٧٤] الولاية على البلدان (٢/٥٧) .
- [١٦٧٥] المصدر السابق نفسه (١/١٥٢) .

. إعلام الموقعين (٢١٨/٢).

. تاريخ الطبري (٣٩/٥).

. الولاية على البلدان (٥٩/٢).

. المصدر السابق نفسه (٦٠/٢).

. الخراج لأبي يوسف، ص (١٢٢).

. الولاية على البلدان (١٤٩/١).

[١٦٧٦] تاريخ المدينة (٦٩٤/٢) ، الولاية على البلدان (١٤٩/١) .

[١٦٧٧] الولاية على البلدان (١٥٠/١) .

[١٦٧٨] الطبقات الكبرى (٢٦١/٤) .

[١٦٧٩] سير أعلام النبلاء (٥٤٧/١) .

[١٦٨٠] الولاية على البلدان (٦٣/٢) .

[١٦٨١] الخراج لأبي يوسف ، ص (٥٠) ، الولاية على البلدان (٦٣/٢) .

[١٦٨٢] الولاية على البلدان (٦٤/٢) ، الإدارة الإسلامية ، محمد كرد ، ص (٤٨) .

[١٦٨٣] الولاية على البلدان (٦٤/٢) .

[١٦٨٤] أخبار عمر ، الطنطاويان ، ص (٣٤١) .

[١٦٨٥] إعلام الموقعين (٢٤٧/٢) .

[١٦٨٦] سير أعلام النبلاء (٢٤٧/٢) .

[١٦٨٧] السياسة الشرعية ص (١٥٠) .

[١٦٨٨] نصيحة الملوك للماوردي ، ص (٧٢) ، الولاية على البلدان (٦٥/٢) .

[١٦٨٩] الطريقة الحكمية ، ص (٢٤٠) ، الولاية على البلدان (٦٧/٢) .

[١٦٩٠] نصيحة الملوك ، ص (٧٢) .

[١٦٩١] الأحكام السلطانية ، ص (٣٣) .

[١٦٩٢] الولاية على البلدان (٦٧/٢) .

- [١٦٩٣] المصدر السابق نفسه (٦٨/٢) .
- [١٦٩٤] المصدر السابق نفسه .
- [١٦٩٥] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (١٣٣) .
- [١٦٩٦] فتوح البلدان للبلاذري ص (١٨٢) ، الولاية على البلدان (٦٩/٢) .
- [١٦٩٧] الأحكام السُّلْطانية ص (٣٣) .
- [١٦٩٨] مناقب عمر بن الخطَّاب لابن الجوزي ، ص (٢٤٠ - ٢٤٢) .
- [١٦٩٩] الوثائق السِّياسية للعهد النَّبويِّ ، والخلافة الرَّاشدة ، ص (٥٢١) .
- [١٧٠٠] الولاية على البلدان (٧٠/٢) .
- [١٧٠١] المصدر السابق نفسه (٧١/٢) .
- [١٧٠٢] عيون الأخبار (١١/١) .
- [١٧٠٣] الولاية على البلدان (٧١/٢) .
- [١٧٠٤] المصدر السابق نفسه (٧٢/٢) .
- [١٧٠٥] المصدر السابق نفسه (٧٧/١) .
- [١٧٠٦] الفتوح لابن أعثم ، ص (٢١٥) .
- [١٧٠٧] الولاية على البلدان (٧٤/٢) .
- [١٧٠٨] المصدر السابق نفسه .
- [١٧٠٩] المصدر السابق نفسه .
- [١٧١٠] الوثائق السِّياسية للعهد النَّبويِّ ، والخلافة الرَّاشدة ، ص (٤٨٦) .
- [١٧١١] النُّظم الإسلاميَّة ، صبحي الصَّالح ، ص (٤٨٨ ، ٤٩١) .
- [١٧١٢] الولاية على البلدان (٧٧/٢) .
- [١٧١٣] المصدر السابق نفسه .
- [١٧١٤] موسوعة فقه عمر بن الخطاب ، ص (١٣٣) .

- [١٧١٥] سنن البيهقي (٣٥٧/٦) ، موسوعة فقه عمر ، ص(١٣٥) .
- [١٧١٦] موسوعة فقه عمر ، ص(١٣٧) .
- [١٧١٧] الولاية على البلدان (٧٧/٢) .
- [١٧١٨] فتوح الشام للأزدي ص(٢٥٧) ، الولاية على البلدان (٧٨/٢) .
- [١٧١٩] تاريخ المدينة (٧٤٩/٢) .
- [١٧٢٠] الولاية على البلدان (٧٩/٢) .
- [١٧٢١] فتوح البلدان للبلاذري ، ص(١٤٣ - ٢٢٤) .
- [١٧٢٢] الولاية على البلدان (٧٩/٢) .
- [١٧٢٣] المصدر السابق نفسه (٨٠/٢) .
- [١٧٢٤] الولاية على البلدان (٨٠/٢) .
- [١٧٢٥] نصيحة الملوك للماوردي ، ص(٢٠٧) ، موسوعة فقه عمر ، ص(١٣٤) .
- [١٧٢٦] فتوح البلدان للبلاذري ، ص(٢٧٣) ، الولاية على البلدان (٨٧/٢) .
- [١٧٢٧] فتوح البلدان للبلاذري ، ص(٣٥١ ، ٣٥٢) .
- [١٧٢٨] الولاية على البلدان (٨٢/٢) .
- [١٧٢٩] المصدر السابق نفسه .
- [١٧٣٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٧٣١] الوثائق السياسيّة للعهد النبوي والخلافة الرّاشدة ، ص(٥٢٣) .
- [١٧٣٢] النظريات السياسيّة الإسلاميّة ، محمّد ضياء الرّيس ، ص(٣٠٧ ، ٣٠٨) .
- [١٧٣٣] الولاية على البلدان (٨٥/٢) .
- [١٧٣٤] الخراج لأبي يوسف ، ص(٤٠ ، ٤١) ، الولاية على البلدان (١٠٥/٢) .
- [١٧٣٥] الولاية على البلدان (١٠٥/٢) .
- [١٧٣٦] المصدر السابق نفسه (١٠٤/٢) .

- [١٧٣٧] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ، ص(١٢٩) .
- [١٧٣٨] النظم الإسلامية : صبحي الصالح ص(٨٩) ، الإدارة الإسلامية (٢١٥) .
- [١٧٣٩] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ص(٥٦) ، الإدارة الإسلامية (٢١٥) .
- [١٧٤٠] الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب ص(٢١٥) .
- [١٧٤١] التاج في أخلاق الملوك ص(١٦٨) .
- [١٧٤٢] فن الحكم ص(١٧٤) .
- [١٧٤٣] الخراج لأبي يوسف ص(١٢٤) ، الولاية على البلدان (١٥٧/١) .
- [١٧٤٤] الولاية على البلدان (١٥٧/١) .
- [١٧٤٥] تاريخ المدينة (٧٦١/٢) .
- [١٧٤٦] الأنصار في العصر الراشدي ص(١٢٣-١٢٦) .
- [١٧٤٧] عبقرية عمر للعقاد ، ص(٨٢) ، الدولة الإسلامية ، د . حمدي شاهين ، ص(١٣٨) .
- [١٧٤٨] الطبقات لابن سعد (٢٢٢/٣) .
- [١٧٤٩] تاريخ الطبري (١٨/٥) ، الولاية على البلدان (١٦١/١) .
- [١٧٥٠] الولاية على البلدان (١٦١/١) .
- [١٧٥١] تاريخ المدينة (٨٣٧/٣) .
- [١٧٥٢] الولاية على البلدان (١٦٢/١) .
- [١٧٥٣] تاريخ المدينة (٨٣٧/٣) .
- [١٧٥٤] الولاية على البلدان (١٦٢/١) .
- [١٧٥٥] المصدر السابق نفسه (١٦٣/١) .
- [١٧٥٦] الإدارة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب (٢٢٣) .
- [١٧٥٧] تاريخ الطبري (١٠٣/٥) .
- [١٧٥٨] المصدر السابق نفسه .

- [١٧٥٩] تاريخ الطبري (١٠٤/٥) .
- [١٧٦٠] التاريخ الإسلامي للحميدي (٢٢٢/١١) .
- [١٧٦١] دور الحجاز في الحياة السياسيّة ص (٢٥٧) .
- [١٧٦٢] تاريخ الطبري (٢٢٥/٥) .
- [١٧٦٣] فتوح مصر وأخبارها ، ص (٩٢) .
- [١٧٦٤] تاريخ المدينة (٨٤١/٣) .
- [١٧٦٥] الولاية على البلدان (٨١/١) .
- [١٧٦٦] تاريخ المدينة (٨٠٧/٣ ، ٨٠٨) في إسناده انقطاع .
- [١٧٦٧] محض الصواب (٤٦٧/٢) إسناده حسن .
- [١٧٦٨] المصدر السابق نفسه (٥٥٢/٢) إسناده حسن .
- [١٧٦٩] صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ، ص (١٣٤) إسناده حسن .
- [١٧٧٠] المصدر السابق نفسه ص (١٣٣) .
- [١٧٧١] حلية الأولياء (٢٤٥/١) ، أخبار عمر ، ص (١٥٢) .
- [١٧٧٢] أي : أكثر من الهزل .
- [١٧٧٣] تاريخ المدينة (٨١٣/٣) خير صحيح ، الفاروق الحاكم العادل ، ص (١١) .
- [١٧٧٤] الولاية على البلدان (١٢٧/٢) ، الأموال لابن سلام ، ص (٦٣ ، ٦٤) .
- [١٧٧٥] الولاية على البلدان (١٢٦/٢ ، ١٢٧) .
- [١٧٧٦] تاريخ المدينة (٨١٨/٣) .
- [١٧٧٧] السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص (١٠٥) .
- [١٧٧٨] فتوح البلدان ، ص (٧٧) ، نهاية الأرب (٨/١٩) .
- [١٧٧٩] الإدارة الإسلاميّة ، مجدلاوي ، ص (٢١٦) .

- [١٧٨٠] أرمقتني : أوجعتني ، وأغضبتني ، لسان العرب (١٦١/٧) .
- [١٧٨١] تاريخ المدينة (٨٣٢/٣) ، الولاية على البلدان (١٢٨/٢) .
- [١٧٨٢] تاريخ المدينة (٨٣٤/٣) .
- [١٧٨٣] الولاية على البلدان (١٢٩/٢) .
- [١٧٨٤] نواباً : أي جماعة من الناس يختصون بالزيارة ، والمسامرة دون غيرهم .
- [١٧٨٥] تاريخ المدينة (٨١٧/٣ ، ٨١٨) ، الولاية على البلدان (١٣٠/٢) .
- [١٧٨٦] الولاية على البلدان (١٣٠/٢) .
- [١٧٨٧] المصدر السابق نفسه .
- [١٧٨٨] الفتاوى (١٥٧/٢٨) .
- [١٧٨٩] فتوح البلدان ، ص (٢٢٠ ، ٢٢١) ، الولاية على البلدان (١٣١/٢) .
- [١٧٩٠] شهيد المحراب ، ص (٢٥٠) .
- [١٧٩١] الولاية على البلدان (١٣١/٢) .
- [١٧٩٢] فتوح البلدان ، ص (٤٤٣) .
- [١٧٩٣] الولاية على البلدان (١٣٣/٢) .
- [١٧٩٤] الفاروق عمر بن الخطاب للشرقاوي ، ص (٢٨٧) .
- [١٧٩٥] الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص (١٥١) .
- [١٧٩٦] أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، إبراهيم شعوط ، ص (١٢٣) .
- [١٧٩٧] خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٢١ - ٣٣١) .
- [١٧٩٨] البداية والنهاية (١١٥/٧) .
- [١٧٩٩] التاريخ الإسلامي (١٤٦/١١) .
- [١٨٠٠] خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٣١) .
- [١٨٠١] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٣٢) .

- [١٨٠٢] المصدر السابق نفسه .
- [١٨٠٣] البداية والنهاية (١١٥/٧) .
- [١٨٠٤] خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٣٢) .
- [١٨٠٥] خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٣٣ ، ٣٣٢) .
- [١٨٠٦] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٢١) .
- [١٨٠٧] المصدر السابق نفسه .
- [١٨٠٨] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٤٦) .
- [١٨٠٩] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٢٣) .
- [١٨١٠] نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، ص (٨٤) .
- [١٨١١] المصدر السابق نفسه .
- [١٨١٢] أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص (١٣٢) .
- [١٨١٣] عبقرية خالد للعقاد ، ص (١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦) .
- [١٨١٤] تاريخ الطبري (٤١/٥) .
- [١٨١٥] المصدر السابق نفسه (٤٢/٥) .
- [١٨١٦] خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٢٤) .
- [١٨١٧] البثينة : قيل المراد : حنطة منسوبة إلى بلد بالشام ، وقيل : الناعمة من الرملة اللينة .
- [١٨١٨] خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٤٧) ، الكامل في التاريخ (١٥٦/٢) .
- [١٨١٩] خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٤٧) .
- [١٨٢٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٨٢١] تاريخ الطبري (٤٣/٥) .
- [١٨٢٢] المصدر السابق نفسه .
- [١٨٢٣] المصدر السابق نفسه .

- [١٨٢٤]الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، حمدي شاهين ، ص (١٤٩) .
- [١٨٢٥]عبقرية عمر ، ص (١٥٨) .
- [١٨٢٦]حروب الإسلام في الشام ، باشميل ، ص (٥٦٦) .
- [١٨٢٧]أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص (١٣٤) .
- [١٨٢٨]البداية والنهاية (١١٥/٧) .
- [١٨٢٩]التاريخ الإسلامي (١٤٧/١١) .
- [١٨٣٠]الخلافة والخلفاء الراشدون ، سالم البهنساوي ، ص (١٩٦) .
- [١٨٣١]أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص (١٣٤) .
- [١٨٣٢]الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص (١٥١) .
- [١٨٣٣]النسائي (٨٢٨٣) خبر صحيح في سننه الكبرى، محض الصواب (٤٩٦/٢) إسناده صحيح.
- [١٨٣٤]صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ، ص (٢١٩) .
- [١٨٣٥]خالد بن الوليد ، صادق عرجون (٣٤٩) ، الخلافة والخلفاء ، ص (١٩٨) .
- [١٨٣٦]سير أعلام النبلاء (٣٨٢/١) ، الطريق إلى المدائن ، ص (٣٦٧) .
- [١٨٣٧]الفاروق عمر ، ص (٢٨٧) .
- [١٨٣٨]الطريق إلى المدائن ، ص (٣٦٦) .
- [١٨٣٩]خالد بن الوليد ، صادق عرجون ، ص (٣٤٨) .
- [١٨٤٠]تهذيب تاريخ دمشق (١١٦/٥) .
- [١٨٤١]ليس بقائل : أي : ليس بتارك أحدًا يخلد في هذه الدنيا ، فهو من الإقالة في المعنى . صادق عرجون ص (٣٤٨) .
- [١٨٤٢]تاريخ الطبري (١٣٠/٥) ، القيادة العسكرية ص (٥٨٩) .
- [١٨٤٣]تهذيب تاريخ دمشق (١١٦/٥) .
- [١٨٤٤]الفتوح ، ابن أعثم (١٦٤/١) الأنصار في العصر الراشدي ، ص (٢١٦) .

- [١٨٤٥] الأنصار في العصر الرَّاشدي ، ص (٢١٦) .
- [١٨٤٦] البداية والنَّهْيَة (٢٦/٧) .
- [١٨٤٧] المكيث : الرزين المتأبِّي .
- [١٨٤٨] إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، ص (٦٥) ، الجبريَّة : التَّكْبِيرُ .
- [١٨٤٩] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٦٥) .
- [١٨٥٠] أن يستنفر : أن يطلب الإسراع في الخروج لقتال العدو .
- [١٨٥١] البداية والنَّهْيَة (٢٧/٧) .
- [١٨٥٢] حركة الفتح الإسلامي ، شكري فيصل ، ص (٧٢) .
- [١٨٥٣] الكامل في التَّاريخ (٨٧/٢) .
- [١٨٥٤] التَّاريخ الإسلامي (٣٣٤/١٠) .
- [١٨٥٥] كَسْكَر : بالفتح ، ثمَّ الشُّكُون ، وكاف أخرى : كورةٌ بين الكوفة ، والبصرة .
- [١٨٥٦] السَّقَّاطِيَّة : ناحية كسكر من أرض واسط .
- [١٨٥٧] تاريخ الطَّبري (٢٧٢/٤) .
- [١٨٥٨] المصدر السَّابِق نفسه .
- [١٨٥٩] التَّاريخ الإسلامي (٣٣٥/١٠) .
- [١٨٦٠] تاريخ الطَّبري (٢٧٣ ، ٢٧٢/٤) .
- [١٨٦١] التَّاريخ الإسلامي (٣٣٦/١٠) .
- [١٨٦٢] ترتيب وتهذيب البداية والنَّهْيَة ، د . محمد صامل السَّلْمِي ، ص (٨٩) .
- [١٨٦٣] التَّاريخ الإسلامي (٣٣٧/١٠) .
- [١٨٦٤] « تذامرت » : تذا مروا : حضَّ بعضهم بعضاً على القتال .
- [١٨٦٥] « الجلاجل » : جمع الجلجل ، وهو الجرس الصغير .
- [١٨٦٦] ترتيب وتهذيب البداية والنَّهْيَة ، ص (٩٠) .

[١٨٦٧] تاريخ الطُّبري (٢٧٩/٤) ، التَّاريخ الإسلامي (٢٤١/١٠) .

[١٨٦٨] تاريخ الطُّبري (٢٧٧/٤) .

[١٨٦٩] عوامل النَّصر والهزيمة ، ص (٥٥) .

[١٨٧٠] الطُّريق إلى المدائن ، ص (٤١٤) .

[١٨٧١] عوامل النَّصر ، والهزيمة ، ص (٥٥) .

[١٨٧٢] الطُّريق إلى المدائن ، ص (٤١٤) .

[١٨٧٣] التَّاريخ الإسلامي (٣٤٣/١٠) .

[١٨٧٤] الحرب النَّفسية ، د . أحمد نوفل (١٦٧/٢) .

[١٨٧٥] التَّاريخ الإسلامي (٣٤٥/١٠ ، ٣٤٦) .

[١٨٧٦] الأَنْصار في العصر الرَّاشدي ، ص (٢١٧) .

[١٨٧٧] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٢١٨) .

[١٨٧٨] تاريخ الطُّبري (٢٧٩/٤) .

[١٨٧٩] التَّاريخ الإسلامي (٣٤٧/١٠) .

[١٨٨٠] العمليَّات التَّعرضية الدِّفاعية ، نهاد عباس ، ص (١١٥) .

[١٨٨١] تاريخ الطُّبري (٢٨٧/٤) .

[١٨٨٢] المصدر السَّابق نفسه (٢٨٨/٤) .

[١٨٨٣] المصدر السَّابق نفسه .

[١٨٨٤] الطُّريق إلى المدائن ، ص (٤٣٣ ، ٤٣٤) ، الطُّبري (٢٨٩/٤) .

[١٨٨٥] التَّاريخ الإسلامي (٣٤٩/١٠) ، تاريخ الطُّبري (٢٨٩/٤) .

[١٨٨٦] تاريخ الطُّبري (٢٩٠/٤) .

[١٨٨٧] التَّاريخ الإسلامي (٣٥٢/١٠) .

- [١٨٨٨] تاريخ الطَّبري (٢٩١/٤) .
- [١٨٨٩] التاريخ الإسلامي (٣٥٠/١٠) .
- [١٨٩٠] المصدر السَّابق نفسه (٣٥٥/١٠) .
- [١٨٩١] تاريخ الطَّبري (٢٧٨/٤) ، الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص (٤٤٦) .
- [١٨٩٢] تاريخ الطَّبري (٢٨٧/٤) .
- [١٨٩٣] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص (٤٤٦) .
- [١٨٩٤] المصدر السَّابق نفسه .
- [١٨٩٥] تاريخ الطَّبري (٢٩١/٤) .
- [١٨٩٦] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص (٤٤٧) .
- [١٨٩٧] استوفز : تهيأً .
- [١٨٩٨] يستنل : يتقدَّم .
- [١٨٩٩] تاريخ الطبري (٢٨٣/٥) .
- [١٩٠٠] جيلان : اسم لبلاد كثيرة وراء طبرستان .
- [١٩٠١] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص (٤٤٠) ، وبعضها من تاريخ الطبري (٢٩٣/٤) .
- [١٩٠٢] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص (٤٤٧) .
- [١٩٠٣] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٤٤٨) .
- [١٩٠٤] التَّاريخ الإسلامي (٣٥٢/١٠) ، تاريخ الطَّبري (٢٩٢/٤) .
- [١٩٠٥] التَّاريخ الإسلامي (٣٥٢/١٠) .
- [١٩٠٦] تاريخ الطَّبري (٢٩٣/٤) .
- [١٩٠٧] ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ، خلافة عمر ، ص (٩٣) .
- [١٩٠٨] تاريخ الطَّبري (٢٩٦/٤) .
- [١٩٠٩] المراد من البيت : أُنْهَم شُنُوا الغارة على مهلٍ .
- [١٩١٠] تاريخ الطَّبري (٢٩٦/٤) .

- [١٩١١] قال أحمد كمال : أعتقد أنه نهر صرصر ، الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص(٢٥٥) .
- [١٩١٢] القبيض : الإسراع .
- [١٩١٣] المقرف : الذي دخل في الفساد ، والعيث .
- [١٩١٤] الانكماش : الجدُّ في الأمر ، والشَّرعة في طلبه .
- [١٩١٥] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص(٤٥٧) .
- [١٩١٦] حركة الفتح الإسلامي ، شكري فيصل ، ص(٧٨) ، تاريخ الطَّبري (٢٩٩/٤) .
- [١٩١٧] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص(٤٥٧) .
- [١٩١٨] حركة الفتح الإسلامي ، شكري فيصل ، ص(٧٨) ، تاريخ الطَّبري (٢٩٩/٤) .
- [١٩١٩] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص(٤٥٨) ، تاريخ الطَّبري (٣٠٠/٤) .
- [١٩٢٠] الخلفاء الرَّاشدون لِلنَّجار ، ص(١٣٢) .
- [١٩٢١] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ص (٤٦١) .
- [١٩٢٢] المصدر السابق نفسه ، ص (٤٦٧) .
- [١٩٢٣] تاريخ الطَّبري (٣٠٠/٤) .
- [١٩٢٤] تاريخ الطَّبري (٣٠١/٤) الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص(٤٦٧) .
- [١٩٢٥] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن ، ص(٤٦٨) .
- [١٩٢٦] تاريخ الطَّبري (٣٠١/٤) .
- [١٩٢٧] جبال تجاه البصرة .
- [١٩٢٨] الطَّرِيقُ إِلَى المدائن (٤٧٠) .
- [١٩٢٩] المصدر السابق نفسه ، ص(٤٧١) .
- [١٩٣٠] إتمام الوفاء ، ص(٧٠) .
- [١٩٣١] حركة الفتح الإسلامي ، ص(٨٠) .

- [١٩٣٢] حركة الفتح الإسلامي ، ص(٨٠) .
- [١٩٣٣] صرار : موضع على ثلاثة أميال عن المدينة ، معجم البلدان (٣/٣٩٨) .
- [١٩٣٤] ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ، ص(٩٦) .
- [١٩٣٥] تاريخ الطبري (٤/٣٠٦) .
- [١٩٣٦] التاريخ الإسلامي (١٠/٣٦٢) .
- [١٩٣٧] تاريخ الطبري (٤/٣٠٦ ، ٣٠٧) .
- [١٩٣٨] التاريخ الإسلامي (١٠/٣٦٤) .
- [١٩٣٩] المصدر السابق نفسه (١٠/٣٦٥) .
- [١٩٤٠] الأعوص : على طريق العراق ، وهو وادٍ يصبُّ في صدر قناة من الشَّمال ، وفيه مطار المدينة اليوم .
- [١٩٤١] تاريخ الطبري (٤/٣٠٨) .
- [١٩٤٢] زرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية بطريق الحاج من العراق .
- [١٩٤٣] تاريخ الطبري (٤/٣١٠) .
- [١٩٤٤] القادسية ، أحمد عادل كمال ص (٢٩) .
- [١٩٤٥] تاريخ الطبري (٤/٣١٣) .
- [١٩٤٦] القادسية أحمد عادل كمال ، ص(٣٠) .
- [١٩٤٧] تاريخ الطبري (٤/٣١٣) .
- [١٩٤٨] التاريخ الإسلامي (١٠/٣٧٠ ، ٣٧١) .
- [١٩٤٩] تاريخ الطبري (٤/٣١٣) .
- [١٩٥٠] يعني : الخيول .
- [١٩٥١] الفاروق عمر بن الخطَّاب ، لمحمد رشيد رضا ، ص(١١٩ ، ١٢٠) .
- [١٩٥٢] التاريخ الإسلامي (١٠/٣٧٤) .

- [١٩٥٣] الدَّور السِّياسي للصفوة في صدر الإسلام ، ص (٤٢٩) .
- [١٩٥٤] التَّاريخ الإسلامي (١٠/٣٧٥) .
- [١٩٥٥] المصدر السابق نفسه .
- [١٩٥٦] سنن التَّرمذي المناقب باب (٥٢) حديث رقم (٣٧٤٢) .
- [١٩٥٧] التَّاريخ الإسلامي (١٠/٣٧٦) .
- [١٩٥٨] الدَّاء : الفضاء وما اتَّسع من الأودية .
- [١٩٥٩] القادسيَّة : باب فارس في الجاهليَّة .
- [١٩٦٠] الحجر أو المدر : يعني الصَّحراء ، والقرى العامرة .
- [١٩٦١] الجراع بينهما : يعني : الأرض السهلة .
- [١٩٦٢] تاريخ الطَّبري (٤/٣١٤) .
- [١٩٦٣] التَّاريخ الإسلامي (١٠/٣٧٧) .
- [١٩٦٤] تاريخ الطَّبري (٤/٣١٥) .
- [١٩٦٥] التَّاريخ الإسلامي (١٠/٣٧٨ ، ٣٧٩) .
- [١٩٦٦] البداية والنَّهاية (٧/٣٨) .
- [١٩٦٧] المصدر السابق نفسه .
- [١٩٦٨] الفنُّ العسكري الإسلاميُّ ص (٢٥٣) .
- [١٩٦٩] إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، ص (٧٣) .
- [١٩٧٠] التَّاريخ الإسلامي (١٠/٣٨١) .
- [١٩٧١] فلجاً : فوزاً ، ونصراً .
- [١٩٧٢] انظر : البداية والنَّهاية (٧/٣٨) .
- [١٩٧٣] انظر : الدَّعوة الإسلاميَّة في عهد عمر بن الخطَّاب لحسني محمَّد إبراهيم .
- [١٩٧٤] انظر : الكامل في التاريخ (٢/١٠١) .

- [١٩٧٥] انظر : القادسية لأحمد عادل كمال بتصريف ، ص(٧٠) .
- [١٩٧٦] انظر : الدَّعوة الإسلاميَّة في عهد عمر بن الخطَّاب ، ص(٢٤١) .
- [١٩٧٧] اغتبط : فرح بالنعمة .
- [١٩٧٨] الجهد : الضيق ، والشدة .
- [١٩٧٩] الوقر : الحمل الثقيل .
- [١٩٨٠] أقاليد : جمع إقليد : المفتاح .
- [١٩٨١] البداية والنَّهاية (٤٣/٧) .
- [١٩٨٢] تجادل : تخاصم .
- [١٩٨٣] إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ص(٥٧) .
- [١٩٨٤] الطُّفوف : جمع طِفِّ . والطَّف : الجانب ، أو ما أشرف من أرض العرب على الشَّطأى .
- [١٩٨٥] الخرقة : القطعة من الثَّوب الممزَّق .
- [١٩٨٦] العصاب : ما يشد به من خرقة ، أو منديل .
- [١٩٨٧] الكامل في التاريخ (١٠٦/٢) .
- [١٩٨٨] المنابذة : نابذ الحرب : جاهر بها .
- [١٩٨٩] انظر الكامل في التاريخ (١٠٨/٢) .
- [١٩٩٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٩٩١] جسر : مضى و نفذ .
- [١٩٩٢] استخرجاكم : استنبط .
- [١٩٩٣] جُئوا : اختلطت أصواتهم .
- [١٩٩٤] الفن العسكري الإسلامي ، ص(٢٥٥) .
- [١٩٩٥] الفنُّ العسكري الإسلامي ، ص(٢٥٥) .

- [١٩٩٦] هشت : انشرفت صدرهم .
- [١٩٩٧] تاريخ الطبري (٣٥٦/٤) .
- [١٩٩٨] تاريخ الطبري (٣٥٦/٤) .
- [١٩٩٩] المصدر السابق نفسه (٣٥٧/٤) .
- [٢٠٠٠] الجوب : الدامل .
- [٢٠٠١] تاريخ الطبري (٣٥٨/٤) .
- [٢٠٠٢] يعني : لو انخر عنه صف المسلمين ، وانكشف العدو مقدار حلب ناقة ؛ لأخذه الأعداء .
- [٢٠٠٣] التاريخ الإسلامي (٣٤٧/١٠) .
- [٢٠٠٤] تاريخ الطبري (٣٥٨/٤) .
- [٢٠٠٥] التحشش : التحرك للنهوض .
- [٢٠٠٦] تاريخ الطبري (٣٥٨/٤) .
- [٢٠٠٧] المصدر السابق نفسه .
- [٢٠٠٨] المصدر السابق نفسه (٣٥٩/٤) .
- [٢٠٠٩] تاريخ الطبري (٣٥٩/٤) .
- [٢٠١٠] المصدر السابق نفسه (٣٦٠/٤) .
- [٢٠١١] المصدر السابق نفسه (٣٦١/٤) .
- [٢٠١٢] تاريخ الطبري (٣٦٢/٤) .
- [٢٠١٣] المصدر السابق نفسه .
- [٢٠١٤] التاريخ الإسلامي (٤٤٥/١٠) .
- [٢٠١٥] تاريخ الطبري (٣٦٣/٤) .
- [٢٠١٦] تاريخ الطبري (٣٦٥/٤) .
- [٢٠١٧] تاريخ الطبري (٣٦٤/٤) .

- [٢٠١٨] التَّاريخ الإسلامي (٤٤٩/١٠) .
- [٢٠١٩] القادسيّة ، أحمد عادل كمال ، ص(١٣٩) تاريخ الطَّبَّري (٤/٣٦٤) .
- [٢٠٢٠] الحلوم : العقول .
- [٢٠٢١] نلفه : نجده ، أو نتركه ، فهي من الأشداد .
- [٢٠٢٢] مجلجات : هاجمات .
- [٢٠٢٣] سلم مكفهر : سلم ساخن ، كناية عن الاستعداد للمعركة ، القروم : اللّحم المَكوم .
- [٢٠٢٤] التَّاريخ الإسلامي (٤٥١/١٠) .
- [٢٠٢٥] المصدر السَّابق نفسه (٤٥٢/١٠) .
- [٢٠٢٦] المصدر السَّابق نفسه .
- [٢٠٢٧] الاستيعاب ، رقم (٢٨٧) نساء القادسيّة ، ص(١٤٦ ، ١٤٧) .
- [٢٠٢٨] يعني لم تكن هجرتكم إلى يثرب .
- [٢٠٢٩] لم تنب بكم البلاد : لم تلفظكم .
- [٢٠٣٠] السَّنة : القحط ، والجوع .
- [٢٠٣١] تاريخ الطَّبَّري (٤/٣٦٦) .
- [٢٠٣٢] المصدر السَّابق نفسه (٤/٣٦٧) ، التَّاريخ الإسلامي (١٠/٣٦٧) .
- [٢٠٣٣] قائد كبير من قادة الفرس ، وأبطالهم وهو الذي أصاب المسلمين يوم الجسر .
- [٢٠٣٤] سأل القعقاع جادويه : لأنّه كان لا يعرفه ، لأنَّ القعقاع يوم الجسر كان في الشام .
- [٢٠٣٥] التَّاريخ الإسلامي (٤٥٥/١٠) .
- [٢٠٣٦] تاريخ الطَّبَّري (٤/٣٦٨) .
- [٢٠٣٧] النَّفح : الضَّرب إلى خارج اليمين .
- [٢٠٣٨] تاريخ الطَّبَّري (٤/٣٧٠) .
- [٢٠٣٩] القادسيّة ، أحمد عادل كمال ، ص(١٥٤) .

- [٢٠٤٠] الخنساء أمُّ الشهداء ، عبد المنعم الهاشمي ، ص(٩٨) .
- [٢٠٤١] التَّاريخ الإسلامي (٤٦/١٠) .
- [٢٠٤٢] التَّاريخ الإسلامي (٤٦/١٠) .
- [٢٠٤٣] القنا : الرُّمَح .
- [٢٠٤٤] تاريخ الطُّبري (٣٧٤/٤) .
- [٢٠٤٥] المصدر السَّابق نفسه (٣٧٥/٤) .
- [٢٠٤٦] التَّاريخ الإسلامي (٤٦٦/١٠) .
- [٢٠٤٧] المصدر السَّابق نفسه (٤٦٨/١٠) .
- [٢٠٤٨] تاريخ الطُّبري (٣٧٦/٤) .
- [٢٠٤٩] المصدر السَّابق نفسه (٣٧٨/٤) .
- [٢٠٥٠] المصدر السَّابق نفسه (٣٨٢/٤) .
- [٢٠٥١] انتشال : استخراج ، انتزاع .
- [٢٠٥٢] تاريخ الطُّبري (٣٧٨/٤) .
- [٢٠٥٣] المصدر السَّابق نفسه (٣٨١/٤) .
- [٢٠٥٤] التَّاريخ الإسلامي (٤٧٢/١٠) .
- [٢٠٥٥] تاريخ الطُّبري (٣٨٤/٤) .
- [٢٠٥٦] المصدر السَّابق نفسه (٣٨٦/٤) .
- [٢٠٥٧] اللَّبد : سرج الفرس ، والأساود : الحَيَّات .
- [٢٠٥٨] تاريخ الطُّبري (٣٨٦/٤) .
- [٢٠٥٩] التَّاريخ الإسلامي (٤٧٤/٩) .

- [٢٠٦٠] تاريخ الطَّبري (٣٨٧/٤) .
- [٢٠٦١] التَّاريخ الإسلامي (٤٧٦ ، ٤٧٥/١٠) .
- [٢٠٦٢] المصدر السَّابق نفسه .
- [٢٠٦٣] تاريخ الطَّبري (٣٨٨/٤) .
- [٢٠٦٤] المصدر السَّابق نفسه .
- [٢٠٦٥] المصدر السَّابق نفسه .
- [٢٠٦٦] التَّاريخ الإسلامي (٤٧٩ ، ٤٧٨/١٠) .
- [٢٠٦٧] تاريخ الطَّبري (٣٨٩/٤) .
- [٢٠٦٨] المصدر السَّابق نفسه (٤٠٨/٤) .
- [٢٠٦٩] التَّاريخ الإسلامي (٤٨١/١٠) .
- [٢٠٧٠] تاريخ الطَّبري (٤٠٨/٤) .
- [٢٠٧١] التَّاريخ الإسلامي (٤٨٣/١٠) .
- [٢٠٧٢] القادسيَّة (٢٦٦) التَّاريخ الإسلامي (٤٨٨/١٠) .
- [٢٠٧٣] الطَّريق إلى المدائن ، ص (٤٧٤ ، ٤٧٣) .
- [٢٠٧٤] تاريخ الطَّبري (٤٠٩/٤) .
- [٢٠٧٥] المصدر السَّابق نفسه (٤١٠/٤) .
- [٢٠٧٦] التَّاريخ الإسلامي (٤٨٥/١٠) .
- [٢٠٧٧] تاريخ الطَّبري (٤١٠/٤) .
- [٢٠٧٨] التَّاريخ الإسلامي (٤٨٧/١٠) .
- [٢٠٧٩] أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب الخليفة المجتهد للعمري ، ص (١٦٣) .
- [٢٠٨٠] خلافة الصِّديق والفروق للثَّعالبي ، ص (٢٥٣) .

- [٢٠٨١] تاريخ الطَّبري (٣٩١/٤) .
- [٢٠٨٢] تاريخ الطَّبري (٣٩١/٤) .
- [٢٠٨٣] القادسية ، ص (٢٠٤) .
- [٢٠٨٤] تاريخ الطَّبري (٣٩٠/٤) .
- [٢٠٨٥] التَّاريخ الإسلامي (٤٨٠/١٠) .
- [٢٠٨٦] الفن العسكري الإسلامي ص (٤٧٢ ، ٤٧١) .
- [٢٠٨٧] الفنُّ العسكريُّ ، ص (٢٧٣) .
- [٢٠٨٨] الفنُّ العسكري الإسلامي ، ص (٢٧٤ ، ٢٧٥) .
- [٢٠٨٩] تردي الخيل : تُهْلِك .
- [٢٠٩٠] المرازبة : رؤساء الفرس .
- [٢٠٩١] أَفْلٌ : مثلم ، كهام : كليلٌ لا يقطع .
- [٢٠٩٢] الأدب الإسلامي ، د . نايف معروف ص (٢٢٢ ، ٢٢٣) .
- [٢٠٩٣] واجم : من الوجوم ، وهو السُّكوت مع كظم الغيظ ، الأدب الإسلامي ص (٢١٥) .
- [٢٠٩٤] الغيطل : التُّسور .
- [٢٠٩٥] أرعن مكفهر : ظلمة الليل الشَّديدة .
- [٢٠٩٦] رعالاً : التَّعامة .
- [٢٠٩٧] البداية والنَّهاية (٤٨/٧) .
- [٢٠٩٨] الضَّارع : النَّحيل الهزيل ، الأدب الإسلامي ، ص (٢١٤) .
- [٢٠٩٩] إتمام الوفاء ، ص (٨٢) .
- [٢١٠٠] التَّاريخ الإسلامي (١٥٥/١١) .
- [٢١٠١] تاريخ الطَّبري (٤٥٤/٤) .
- [٢١٠٢] المصدر السَّابق نفسه (٤٥٣/٤) .

[٢١٠٣] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٦٣/١١) .

[٢١٠٤] « ائرزوا » : الجؤوا .

[٢١٠٥] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٥٥) .

[٢١٠٦] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٥١) . والتَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٦٠/١١) .

[٢١٠٧] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٦٠/١١) .

[٢١٠٨] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٥١) .

[٢١٠٩] يعني : المجاهدين السَّابِقِينَ .

[٢١١٠] يعني : مادتهم التي يدافعون عنها .

[٢١١١] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٦٥/١١) .

[٢١١٢] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٦٦/١١ ، ١٦٧) .

[٢١١٣] يعني : ساحل البحر الشَّرْقِي .

[٢١١٤] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٦٧/١١ ، ١٦٨) .

[٢١١٥] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٥٦ ، ٤٥٧) .

[٢١١٦] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٦٩/١١) .

[٢١١٧] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٥٩) .

[٢١١٨] المصدر السَّابِقُ نَفْسَهُ .

[٢١١٩] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٧٣/١١ ، ١٧٤) .

[٢١٢٠] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٥٩) .

[٢١٢١] البداية والنهاية (٦٧/٧) .

[٢١٢٢] إتمام الوفاء ، ص (٨٥) .

[٢١٢٣] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٦٨) .

[٢١٢٤] تاريخ الطَّبْرِي (٤/٤٦٨) .

- [٢١٢٥] هو السَّيرُ الَّذِي فِي مَوْخِرَةِ السَّرْحِ .
- [٢١٢٦] هو ما يوضع على عجز البعير .
- [٢١٢٧] المصدر السَّابِقُ نَفْسَهُ (٤٦٧/٤) .
- [٢١٢٨] المصدر نَفْسَهُ (٤٦٧/٤) .
- [٢١٢٩] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٨١/١١) ، تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٤٦٨/٤) .
- [٢١٣٠] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٤٦٨/٤) .
- [٢١٣١] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٤٧٢/٤) ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (٦٨/٧) .
- [٢١٣٢] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٤٧٥/٤) .
- [٢١٣٣] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٤٧٥/٤) .
- [٢١٣٤] المصدر السَّابِقُ نَفْسَهُ (٤٧٩/٤) .
- [٢١٣٥] المصدر نَفْسَهُ (٤٨٠/٤) .
- [٢١٣٦] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٦١/٥ ، ٦٢) .
- [٢١٣٧] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (٢٠٢/١١) .
- [٢١٣٨] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (٢٠٤/١١) .
- [٢١٣٩] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٦٤ ، ٦٣/٥) .
- [٢١٤٠] الْأَنْصَارُ فِي الْعَصْرِ الرَّاشِدِيِّ؛ ص (٢٢٣) .
- [٢١٤١] سَنَنُ التِّرْمِذِيِّ ، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ (٦٥٠/٥) رَقْمُ (٣٨٥٤) .
- [٢١٤٢] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (٢٠٤/١١) .
- [٢١٤٣] يَعْنِي : لِمَاذَا تَلَنَّفَتُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا .
- [٢١٤٤] تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ (٦٦/٥) .

[٢١٤٥] تاريخ الطَّبري (٧٢/٥) .

[٢١٤٦] التَّاريخ الإسلامي (٢١٧/١١) .

[٢١٤٧] تاريخ الطَّبري (١٠٩/٥) .

[٢١٤٨] انظر : الفنُّ العسكريُّ الإسلاميُّ ، ص (٢٨٤) .

[٢١٤٩] المصدر نفسه ، ص (٢٨٥) .

[٢١٥٠] تاريخ الطَّبري (١٠٩/٥) .

[٢١٥١] انظر : الفنُّ العسكريُّ الإسلاميُّ ، ص (٢٨٦) .

[٢١٥٢] المصدر السابق نفسه (٢٨٨) .

[٢١٥٣] انظر : تاريخ الطَّبري (١١٣/٥) .

[٢١٥٤] المصدر السابق نفسه (١١٤/٥) .

[٢١٥٥] انظر : الفنُّ العسكريُّ الإسلاميُّ ، ص (٢٩٤) .

[٢١٥٦] المصدر السَّابق نفسه .

[٢١٥٧] انظر : الفنُّ العسكريُّ الإسلاميُّ ، ص (٢٩٥ ، ٢٩٦) .

[٢١٥٨] انظر : البداية والنَّهاية (١١٣/٧) .

[٢١٥٩] السَّنْفط : وعاءٌ من قضبان الشَّجر .

[٢١٦٠] انظر : البداية والنَّهاية (١١٤/٧) .

[٢١٦١] انظر : إتمام الوفاء ص (٩٨) .

[٢١٦٢] المصدر نفسه (٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١) .

[٢١٦٣] مدينة عظيمة من أعلام المدن في بلاد فارس .

[٢١٦٤] قم، وقاشان : مدن فارسيَّة يذكران جميعاً .

- [٢١٦٥] واج الرّواذ : موضع بين همذان ، وقزوين .
- [٢١٦٦] ترتيب وتهذيب البداية والنهاية ، ص (١٦٠) . ح .
- [٢١٦٧] تاريخ الطّبري (١٣٤/٥) .
- [٢١٦٨] الرّئيّ : مدينة مشهورة تبعد عن قزوين سبعة وعشرين فرسخاً .
- [٢١٦٩] تاريخ الطّبري (١٣٦/٥ ، ١٣٧) .
- [٢١٧٠] قوميس : تقع في نهاية جبال طبرستان ، وهي بين الرّئيّ ، ونيسابور .
- [٢١٧١] جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان ، وخراسان .
- [٢١٧٢] طبرستان : بلد واسع والغالب عليها الجبال ، اشتهرت بالعلماء ، والأدباء .
- [٢١٧٣] تهذيب البداية والنهاية ص (١٦١) .
- [٢١٧٤] أذربيجان : إقليم واسع غالب عليه الجبال ، وتحدها بلاد الدّيلم .
- [٢١٧٥] الصّحابيّ المشهور .
- [٢١٧٦] تاريخ الطّبري (١٤٢ ، ١٤١/٥) .
- [٢١٧٧] الباب : مدينة عظيمة على بحر طبرستان وهو بحر الخزر .
- [٢١٧٨] صغوه : أي ميله .
- [٢١٧٩] تاريخ الطّبري (١٤٥/٥) .
- [٢١٨٠] تاريخ الطّبري (١٤٧ . ١٤٢/٥) .
- [٢١٨١] مرو الشّاهجان : هي مدينة مرو العظمى ، وهي قصبه خراسان .
- [٢١٨٢] نيسابور : مدينة مشهورة في هذا الإقليم .
- [٢١٨٣] سرخس : مدينة بين نيسابور ومرو في وسط الطّريق .
- [٢١٨٤] مرو الرّوذ : تقع على نهر عظيم ولكنها أصغر من مرو الأخرى .
- [٢١٨٥] بلخ : مدينة من أجمل مدن خراسان ، تقع بالقرب من نهر جيحون .
- [٢١٨٦] تاريخ الطّبري (١٩٥/٥) .

- [٢١٨٧] الطَّبْراني الكبير ، قال الألباني : موضوع . سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٤٧) .
- [٢١٨٨] تاريخ الطَّبْرِي (١٦٠/٥) .
- [٢١٨٩] تاريخ الطَّبْرِي (١٦٢/٥ ، ١٦٣) .
- [٢١٩٠] المصدر السابق نفسه (١٦٦/٥) .
- [٢١٩١] المصدر السابق نفسه (١٦٨/٥ ، ١٦٩) وأخرجها اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ، رقم (٢٥٣٧) وحسَّن الشَّيْخ الألباني إسنادها في حاشيته على مشكاة المصابيح (١٦٧٨/٣) رقم (٥٩٥٤) ، انظر تهذيب البداية والنهاية ، ص (١٧٠) .
- [٢١٩٢] تهذيب البداية والنهاية ، ص (١٧١) .
- [٢١٩٣] المصدر السابق نفسه .
- [٢١٩٤] تهذيب البداية والنهاية ص (١٧١) .
- [٢١٩٥] الوشل : القليل .
- [٢١٩٦] الدَّقْل : رديء التَّمْر .
- [٢١٩٧] تاريخ الطَّبْرِي (١٧٢/٥ ، ١٧٣ ، ١٧٤) .
- [٢١٩٨] يبرود ، ونهر تيري بلدان من نواحي الأهواز .
- [٢١٩٩] تهذيب وترتيب البداية والنهاية ، ص (١٧٢) .
- [٢٢٠٠] عصر الخلافة الرَّاشِدة ، ص (٣٣٩ ، ٣٤٠) .
- [٢٢٠١] البخاريُّ ، رقم (٢٧٨٦) .
- [٢٢٠٢] المصدر السابق نفسه ، رقم (٢٧٩٠) .
- [٢٢٠٣] مسلمٌ (١٤٩٧/٣) .
- [٢٢٠٤] البخاريُّ ، رقم (٢٨١٧) .
- [٢٢٠٥] الجهاد في سبيل الله للقادري (١٤٥/١) .
- [٢٢٠٦] المصدر السابق نفسه (٤١١/٢ - ٤٨٢) .

- [٢٢٠٧] لقاء المؤمنين : عدنان النَّحوي (١١٧/٢) .
- [٢٢٠٨] التَّمكين للأُمَّة الإسلاميَّة في ضوء القرآن الكريم ، ص (٢٣٧) .
- [٢٢٠٩] تبصير المؤمنين بفقهِ النَّصر ، والتَّمكين للصَّلاحي ، ص (٤٥٦) .
- [٢٢١٠] السُّنن الإلهيَّة في الأُمم ، والجماعات ، والأفراد ، ص (١١٩ - ١٢١) .
- [٢٢١١] تفسير الآلوسي (٤٢/١٥) .
- [٢٢١٢] السُّنن الإلهيَّة ، ص (١٩٣) .
- [٢٢١٣] المصدر السَّابق نفسه ، ص (١٩٣) نقلاً عن القرطبي من تفسيره .
- [٢٢١٤] السُّنن الإلهيَّة ، ص (١٩٤) .
- [٢٢١٥] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٢١٠) .
- [٢٢١٦] البداية والنَّهاية (١٣٠/٧) .
- [٢٢١٧] مع الرَّعيل الأوَّل ، محبُّ الدِّين الخطيب ، ص (١٤٦) .
- [٢٢١٨] تاريخ دمشق (١٢٥/٢) .
- [٢٢١٩] فتوحات الشَّام ص (٩٩ - ١٠٢) ، التَّاريخ الإسلامي (٢٧٤/٩) .
- [٢٢٢٠] تاريخ دمشق (١٢٦/٢) .
- [٢٢٢١] جمع : كَيْس بتشديد الياء ، وكسرهما ، وهو النَّبيه الفطن .
- [٢٢٢٢] فتوحات الشَّام ، ص (٩٩ - ١٠٢) .
- [٢٢٢٣] الدَّعوة الإسلاميَّة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب ، ص (٢٧٦) ، تهذيب وترتيب البداية والنَّهاية ص (٥٢) .
- [٢٢٢٤] العمليَّات التَّعريضَّة الدِّفاعيَّة عند المسلمين ، ص (١٨٢) .
- [٢٢٢٥] الهندسة العسكريَّة في الفتوحات الإسلاميَّة د . قصي عبد الرَّؤوف ، ص (١٨٨) .
- [٢٢٢٦] البداية والنَّهاية (٢٠/٧) ، الهندسة العسكريَّة (١٨٨) .

- [٢٢٢٧] البداية والنّهاية (٢٠/٧) .
- [٢٢٢٨] الهندسة العسكريّة ، ص (١٨٨) .
- [٢٢٢٩] المصدر السّابق نفسه ، ص (١٨٩) .
- [٢٢٣٠] المصدر السابق نفسه .
- [٢٢٣١] انظر : تاريخ الطّبري (٢٥٨/٤) ، الهندسة العسكريّة ، ص (١٨٩) .
- [٢٢٣٢] اليرموك ، وتحرير ديار الشّام ، شاعر محمود رامز ، ص (١٠٣) .
- [٢٢٣٣] الهندسة العسكريّة ، ص (١٨٩) .
- [٢٢٣٤] المصدر السّابق نفسه ، ص (١٩٠) .
- [٢٢٣٥] الهندسة العسكريّة ، ص (١٩٠ ، ١٩١) .
- [٢٢٣٦] المصدر السّابق نفسه ، ص (١٩٢) .
- [٢٢٣٧] تاريخ الطّبري (٢٥٩/٤) .
- [٢٢٣٨] الهندسة العسكريّة ، ص (١٩٢) ، البداية والنّهاية (٢٠/٧) .
- [٢٢٣٩] الهندسة العسكريّة ، ص (١٩٢ ، ١٩٣) .
- [٢٢٤٠] الأوهاق : جمع وهق ، الحبل في طرفيه الأنشطة .
- [٢٢٤١] الهندسة العسكريّة ، ص (١٩٢) .
- [٢٢٤٢] ترتيب وتهذيب البداية والنّهاية ، ص (٥٦) .
- [٢٢٤٣] المصدر السّابق نفسه ، ص (٥٥) .
- [٢٢٤٤] تاريخ خليفة ، ص (١٢٦) .
- [٢٢٤٥] الهندسة العسكريّة ، ص (١٩٣) .
- [٢٢٤٦] المصدر السابق نفسه ، ص (١٩٥) .
- [٢٢٤٧] داري سليمان؛ تدمر ، ودمشق . كانا دارين لسليمان بن داود .
- [٢٢٤٨] المعنى : توجّهنا إلى الباب الشّرقي الذي يسار منه إلى العراق ، وفتحناه عنوةً .

[٢٢٤٩] الحديث موجّه إلى نساء العدو : أقيموا لهم حر الورى بالغلاصم : اجعلوا لرجالكم المداري به برأس حلوقهم لجبنهم ، أو خوفهم من الحرب .

[٢٢٥٠] :زادنا : أفرعنا .

[٢٢٥١] ترتيب وتهذيب البداية والنّهاية ، ص (٥٨ ، ٥٩) ، وانظر العمليّات التّعرضيّة والدّفاعيّة عند المسلمين ، ص (١٨٥) .

[٢٢٥٢] العمليّات التّعرضيّة والدّفاعيّة عند المسلمين ، ص (١٨٨) .

[٢٢٥٣] المصدر السابق نفسه ، ص (١٨٩) .

[٢٢٥٤] موارد : أي : الرّياح تموج فيهم .

[٢٢٥٥] الرّداغ : الماء ، والطّين ، والوخل الشّديد .

[٢٢٥٦] المآقط : ضيق المواقع في الحرب .

[٢٢٥٧] ريانة: التّمهّل ، والبطء . المبيح : الأسد . الإيسار : من بسر : كلّح وجهه ، وتذمّر .

[٢٢٥٨] العمليّات الدّفاعيّة ، ص (١٩٢) .

[٢٢٥٩] ذرى الأسفار : أعاليها ، وأصعبها .

[٢٢٦٠] ترتيب وتهذيب البداية والنّهاية ، ص (٦١) .

[٢٢٦١] أي : نهر الفرات إلى الجزيرة .

[٢٢٦٢] ترتيب وتهذيب البداية والنّهاية ، ص (٦٢) .

[٢٢٦٣] تاريخ الطّبري (٤٢٧/٤) .

[٢٢٦٤] ترتيب وتهذيب البداية والنّهاية ، ص (٦٣) .

[٢٢٦٥] تاريخ الطّبري (٤٣١/٤) .

[٢٢٦٦] ترتيب وتهذيب البداية والنّهاية ، ص (٦٣ ، ٦٤) .

[٢٢٦٧] دراسات في عهد النّبوة والخلافة الرّاشدة ، ص (٣٥٥) .

[٢٢٦٨] حروب القدس في التّاريخ الإسلامي ، والعربي د . ياسين سويد ، ص (٣٥) .

[٢٢٦٩] تاريخ الطَّبري (٤٣١/٤) .

[٢٢٧٠] حروب القدس في التَّاريخ الإسلامي والعربي ، ص (٣٥) .

[٢٢٧١] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٣٥ ، ٣٦) .

[٢٢٧٢] تاريخ الطَّبري (٤٣٢/٤) .

[٢٢٧٣] حروب القدس ، ص (٣٦) .

[٢٢٧٤] المصدر السَّابق نفسه .

[٢٢٧٥] تاريخ الطَّبري (٤٣٣/٤) .

[٢٢٧٦] المصدر السَّابق نفسه .

[٢٢٧٧] حروب القدس ، ص (٣٧) .

[٢٢٧٨] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٣٨) .

[٢٢٧٩] المصدر السَّابق نفسه .

[٢٢٨٠] المصدر السَّابق نفسه .

[٢٢٨١] تاريخ الطَّبري (٤٣٣/٤) .

[٢٢٨٢] المصدر السَّابق نفسه .

[٢٢٨٣] المصدر السَّابق نفسه .

[٢٢٨٤] المصدر السَّابق نفسه .

[٢٢٨٥] المصدر السَّابق نفسه ، (٤٣٤/٤) .

[٢٢٨٦] حروب القدس ، ص (٤٠) .

[٢٢٨٧] فتوحات الشَّام (٢١٣/١ - ٢١٦) .

[٢٢٨٨] المصدر السَّابق نفسه (٢٢٥/١) .

[٢٢٨٩] حروب القدس ، ص (٤٠) .

[٢٢٩٠] المصدر السَّابق نفسه ، ص (٤١) .

[٢٢٩١] فتوح البلدان (١٨٨/١ ، ١٨٩) .

- [٢٢٩٢] المصدر السَّابِق نفسه (١٨٩/١) .
- [٢٢٩٣] تاريخ الطَّبْرِي (٤٣١/٤ - ٤٣٦) .
- [٢٢٩٤] حروب القدس ، ص (٤١) .
- [٢٢٩٥] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٤٢) .
- [٢٢٩٦] تاريخ الطَّبْرِي (٤٣٦/٤) .
- [٢٢٩٧] سير أعلام النبلاء (٣٨٦/٣ ، ٣٨٧) ، التَّاريخ الإسلاميُّ (٣١٩/١٠) .
- [٢٢٩٨] الاكتفاء للكلاعي (١٩٤/٣) .
- [٢٢٩٩] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٢٣٠٠] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٢٣٠١] الأنصار في العصر الرَّاشدي ، ص (٢٠٧) .
- [٢٣٠٢] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (٢٠٩) .
- [٢٣٠٣] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٢٣٠٤] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٢٣٠٥] قيل : إِنَّه استشهد باليرموك ، وقيل : أجنادين ، وقيل : يوم فحل .
- [٢٣٠٦] الاستيعاب (٤٨٦/٤) ، دور المرأة السِّيَاسِي ، أسماء محمَّد ، ص (٣١٣) .
- [٢٣٠٧] تاريخ الطَّبْرِي (٤٢٩/٤) .
- [٢٣٠٨] المصدر السَّابِق نفسه (٤٢٨/٤) .
- [٢٣٠٩] الرَّها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشَّام .
- [٢٣١٠] مدينة على شطِّ الفرات في طرف أرمينية ، بينها وبين الشَّام .
- [٢٣١١] ترتيب ، وتهذيب البداية والنِّهاية ، ص (٦٦) .
- [٢٣١٢] تاريخ الطَّبْرِي (٤٢٩/٤) .
- [٢٣١٣] محض الصَّواب (٥٩٠/٢) إسناده صحيح .

- [٢٣١٤] مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (١٧٧) حديث صحيح ورجاله ثقات .
- [٢٣١٥] اللُّبْد : السَّرَج ، والشَّن : القرية القديمة .
- [٢٣١٦] الجونَّة : السَّلَّة .
- [٢٣١٧] سير أعلام النبلاء (١٧/١) .
- [٢٣١٨] المصدر السابق نفسه .
- [٢٣١٩] محض الصَّواب (٥٨٩/٢ ، ٥٩٠) إسناده صحيح إلى عروة .
- [٢٣٢٠] جولة في عصر الخلفاء الرَّاشدين : محمَّد سيِّد الوكيل ، ص (٢٠٠ ، ٢٠١) .
- [٢٣٢١] البداية والنهاية (٥٧/٧) هذا إسناده جيد .
- [٢٣٢٢] مجموعة الرَّسائل الكبرى (٥٧/٢ ، ٥٨) .
- [٢٣٢٣] جولة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص (٢٠٣ ، ٢٠٤) .
- [٢٣٢٤] الطَّرِيق إلى دمشق ، ص (٤٠٨ ، ٤٠٩) .
- [٢٣٢٥] الأنصار في العصر الرَّاشدي ، ص (٢٠٧) .
- [٢٣٢٦] الطَّرِيق إلى الشَّام ، ص (٤١٠ ، ٤١١) .
- [٢٣٢٧] المصدر السابق نفسه ، ص (٤١١) ، وتاريخ الطَّبْرِي (٢٣/٤ ، ٢٥) .
- [٢٣٢٨] نفذ البلد : طهَّرها من اللُّصوص ، والأعداء .
- [٢٣٢٩] تاريخ الطَّبْرِي (٢٤/٥ ، ٢٥) .
- [٢٣٣٠] المصدر السابق نفسه (٢٥/٥) .
- [٢٣٣١] التَّاريخ الإسلاميُّ (١٣٧/١١) .
- [٢٣٣٢] تاريخ الطَّبْرِي (٢٦/٥ - ٣٠) .
- [٢٣٣٣] عصر الخلافة الرَّاشدة للعمري ، ص (٣٤٨) .
- [٢٣٣٤] دراسات في عهد النَّبوَّة ، والخلافة الرَّاشدة ، ص (٣٥٧) .
- [٢٣٣٥] فتوح الشَّام للأزدي ص (١١٨) .

- [٢٣٣٦] دراساتٌ في عهد النُّبُوَّةِ والخِلافةِ الرَّاشِدةِ ، ص (٣٥٧) .
- [٢٣٣٧] النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ (٧ - ٤ / ١) .
- [٢٣٣٨] فتوح مصر ، ص (٥٧) .
- [٢٣٣٩] تاريخ الطُّبري (٩٣ - ٨٤ / ٥) .
- [٢٣٤٠] دراساتٌ في عهد النُّبُوَّةِ والخِلافةِ الرَّاشِدةِ ، ص (٣٥٨ ، ٣٥٧) .
- [٢٣٤١] عمرو بن العاص القائد ، والسِّيَاسي ، د . عبد الرَّحِيمِ مُحَمَّد ، ص (٧٩) .
- [٢٣٤٢] فتوح مصر ، صبحي ندا ، ص (٢٠ ، ١٩) .
- [٢٣٤٣] المصدر السَّابِقُ نفسه ، ص (٢٠) .
- [٢٣٤٤] جولة في عصر الخلفاء الرَّاشِدين ، ص (٢١٤) .
- [٢٣٤٥] النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ (٨ ، ٧ / ١) .
- [٢٣٤٦] القيراط : معيارٌ في الوزن ، وفي القياس ، اختلفت مقاديره باختلاف الأزمنة .
- [٢٣٤٧] مسلم ، كتاب فضائل الصَّحابة ، رقم (٢٥٤٣) .
- [٢٣٤٨] البداية والنهاية (١٠٠ / ٧) .
- [٢٣٤٩] فتح مصر ، ص (٢٤) .
- [٢٣٥٠] الدُّورُ السِّيَاسيُّ لِلصَّفوةِ في صدر الإسلام ، ص (٤٣١) .
- [٢٣٥١] فتح مصر ، صبحي ندا ، ص (٢٤) .
- [٢٣٥٢] المصدر السَّابِقُ نفسه .
- [٢٣٥٣] الدَّولةُ الإِسْلامِيَّةُ في عصر الخلفاء الرَّاشِدين ، ص (٢١٨) .
- [٢٣٥٤] المصدر السَّابِقُ نفسه ، ص (٢١٩) .
- [٢٣٥٥] المصدر السَّابِقُ نفسه .
- [٢٣٥٦] الفتوحات الإِسْلامِيَّةُ د . عبد العزيز الشَّناوي ، ص (٩١) .
- [٢٣٥٧] المصدر السَّابِقُ نفسه .

[٢٣٥٨]الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، حمدي شاهين ، ص (٢٢٤) .

[٢٣٥٩]المصدر السابق نفسه .

[٢٣٦٠]المصدر السابق نفسه .

[٢٣٦١]المصدر السابق نفسه ، ص (٢٢٥) .

[٢٣٦٢]المصدر السابق نفسه .

[٢٣٦٣]المصدر السابق نفسه .

[٢٣٦٤]المصدر السابق نفسه .

[٢٣٦٥]المصدر السابق نفسه ، ص (٢٢٦) .

[٢٣٦٦]المصدر السابق نفسه .

[٢٣٦٧]المصدر السابق نفسه ، نقلاً عن ابن عبد الحكم .

[٢٣٦٨]الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين، ص (٢٢٥)، ص (٢٢٧).

[٢٣٦٩]المصدر السابق نفسه ، ص (٢٢٥) .

[٢٣٧٠]المصدر السابق نفسه ، ص (٢٢٧) .

[٢٣٧١]الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص (٢٢٨) نقلاً عن ابن عبد الحكم .

[٢٣٧٢]الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص (٢٢٨) .

[٢٣٧٣]الأَنْصار في العصر الراشدي ، ص (٢١٢) .

[٢٣٧٤]الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص (٢٢٩) .

[٢٣٧٥]المصدر السابق نفسه .

[٢٣٧٦]المصدر السابق نفسه ، ص (٢٣١) .

[٢٣٧٧]عبادة بن الصّامت صحابيٌّ كبيرٌ ، وفتحٌ مجاهدٌ ، ص (٩١) .

[٢٣٧٨]وهي التي تقدّمت : وهي الإسلام ، أو الجزية ، أو القتال .

- [٢٣٧٩] التُّجُومُ الزَّاهِرَةُ ، ملوك مصر والقاهرة (١٠ / ١٦ -) .
- [٢٣٨٠] الأَنْصَارُ فِي الْعَصْرِ الرَّاشِدِيِّ ، ص (٢١١) .
- [٢٣٨١] الْحَرْبُ النَّفْسِيَّةُ ، الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ نُوْفَلٌ ، ص (١٧٤) .
- [٢٣٨٢] الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ .
- [٢٣٨٣] الْفُنُّ الْعَسْكَرِيُّ الْإِسْلَامِيُّ ، ص (٣٢٠) .
- [٢٣٨٤] الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ .
- [٢٣٨٥] الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ .
- [٢٣٨٦] فَتُوحُ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ، ص (١٠٤ ، ١٠٥) .
- [٢٣٨٧] فَتُوحُ مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ، ص (١٠٥) ، فَتْحُ مِصْرَ بَيْنَ الرَّؤْيَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالرَّؤْيَاةِ النَّصْرَانِيَّةِ ، د
إِبْرَاهِيمَ الْمَتَنَاوِي ص (١١٤) .
- [٢٣٨٨] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ لِلْحَمِيدِيِّ (١١ ، ١٢ / ٣٤٨ ، ٣٤٩) .
- [٢٣٨٩] الْكَامِلُ فِي التَّارِيخِ (١٧٧ / ٢) .
- [٢٣٩٠] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١١ / ٣٥١) .
- [٢٣٩١] الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ (١٢ / ٣٥١) .
- [٢٣٩٢] فَتُوحُ مِصْرَ ، ص (٥٧) .
- [٢٣٩٣] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٢ / ٣٣٠) .
- [٢٣٩٤] فَتُوحُ مِصْرَ ، ص (٦٩) .
- [٢٣٩٥] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (١٢ / ٣٥٦) .
- [٢٣٩٦] عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْقَائِدُ وَالسِّيَاسِيُّ ، ص (١٣٣) .
- [٢٣٩٧] الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسَهُ ، ص (١٣٤) .

- [٢٣٩٨] المصدر السابق نفسه .
- [٢٣٩٩] فتوح مصر ، وأخبارها ، ص (٧٣ ، ٧٤) .
- [٢٤٠٠] الفاروق ، ص (٢٤٧) .
- [٢٤٠١] تاريخ العرب العام ، سيديو ، ص (١٣٣) .
- [٢٤٠٢] فتح مصر بين الرؤية الإسلاميّة ، والرؤية النصرانية ، ص (١٢٦) .
- [٢٤٠٣] الرّسول (ص) لا يحرم من تلقاء نفسه بل بالوحي الإلهي .
- [٢٤٠٤] الإسلام ، وحركة التّاريخ ، أنور الجندي ، ص (٨٣) .
- [٢٤٠٥] علم التّاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، ص (٤٦) .
- [٢٤٠٦] فتح مصر ، الدكتور إبراهيم المتناوي ، ص (١٢٧) .
- [٢٤٠٧] موسوعة فقه عمر ، ص (١٠٠) عن سيرة عمر لابن الجوزي ، ص (٦٧) .
- [٢٤٠٨] موسوعة فقه عمر ، ص (١٠٠) عن مصنف عبد الرزّاق (٣٤٨/١١) .
- [٢٤٠٩] تاريخ الطّبري (٢٦٦/٤) . والمكيث : الهادي المتأبّي .
- [٢٤١٠] نھاوند : من بلاد الفرس قرب همذان .
- [٢٤١١] الأسنّة : واحدة السنّان ، أي : سنّ الرّمح .
- [٢٤١٢] تاريخ الطّبري (١٠٩/٥) .
- [٢٤١٣] موسوعة فقه عمر ، ص (١٠٩) .
- [٢٤١٤] تاريخ الطّبري (٤٣١/٤) .
- [٢٤١٥] المصدر السابق نفسه (٤٣٢/٤) .
- [٢٤١٦] المغني لابن قدامة (٣٥٢/٨) .
- [٢٤١٧] البداية والنّهاية (٢٦/٧) .
- [٢٤١٨] تاريخ الطّبري (٣٠٦/٤) .

- [٢٤١٩] تاريخ فتوح الشام ، ص (١٨٣) .
- [٢٤٢٠] البخاري ، رقم (٢٦٥٥) .
- [٢٤٢١] الخراج لأبي يوسف ، ص (٨٥) .
- [٢٤٢٢] الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/٦٦) .
- [٢٤٢٣] مروج الذهب (٢/٣١٥ ، ٣١٦) .
- [٢٤٢٤] الأحكام السلطانية ، ص (٤٨) .
- [٢٤٢٥] الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية ، ونشأتها ، وتطورها (١/١٠٠) .
- [٢٤٢٦] المصدر السابق نفسه .
- [٢٤٢٧] المصدر السابق نفسه (١/١١٣) .
- [٢٤٢٨] المصدر السابق نفسه (١/١١٤) .
- [٢٤٢٩] الخراج لأبي يوسف ، ص (٥٠) .
- [٢٤٣٠] الأبله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج .
- [٢٤٣١] الإدارة العسكرية (١/١٢٠) .
- [٢٤٣٢] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ، ص (١٢٨) .
- [٢٤٣٣] الإدارة العسكرية (١/١٢١) .
- [٢٤٣٤] الفتاوى (٢٢/٦٠٩) .
- [٢٤٣٥] نهاية الأرب (٦/١٦٨) .
- [٢٤٣٦] فتوح مصر لابن عبد الحكم ، ص (١٤١) .
- [٢٤٣٧] الإدارة العسكرية (١/١٣٧) نقلاً عن المقدمة .
- [٢٤٣٨] نهاية الأرب (٦/١٦٩) .
- [٢٤٣٩] المجادة : معظم الطريق ، والجمع جواد .
- [٢٤٤٠] تاريخ فتوح الشام ، ص (١٨٦) للأزدي .
- [٢٤٤١] الإدارة العسكرية (١/١٧٩) .

- [٢٤٤٢] تاريخ الخلفاء للشُّيوطي ، ص (١٣١) .
- [٢٤٤٣] الأوائل للعسكري (٤٥/٢) .
- [٢٤٤٤] المصدر السابق نفسه .
- [٢٤٤٥] الرَّها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشَّام .
- [٢٤٤٦] فتوح الشَّام ، ابن أعثم (٢٥٣/١ - ٢٥٥) .
- [٢٤٤٧] الإدارة العسكريَّة (١٨٨/١) .
- [٢٤٤٨] نهاية الأرب (١٧٠/٦) .
- [٢٤٤٩] المصدر السَّابق نفسه (١٦٩/٦) .
- [٢٤٥٠] الإدارة العسكريَّة (٣٩٦/١) .
- [٢٤٥١] مدينة بالتَّغر من ناحية الحدث .
- [٢٤٥٢] فتوح البلدان للبلاذري (١٨٥/١) .
- [٢٤٥٣] فتوح البلدان للبلاذري (١٨٥/١) ، الإدارة العسكريَّة (٣٩٧/١) .
- [٢٤٥٤] نهاية الأرب (١٧٠/٦) ، الإدارة العسكريَّة (٢٠٥/١) .
- [٢٤٥٥] الإدارة العسكريَّة (٢٠٥/١) .
- [٢٤٥٦] المصدر السابق نفسه (٢٠٦/١) .
- [٢٤٥٧] المصدر السابق نفسه .
- [٢٤٥٨] الإدارة العسكريَّة (٢٠٧/١) نقلاً عن تاريخ الطَّبري .
- [٢٤٥٩] فتوح البلدان للبلاذري (٣١٤/٢) .
- [٢٤٦٠] الرَّبذة : من قرى المدينة على ثلاثة أيَّامٍ قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز .
- [٢٤٦١] الإدارة العسكريَّة (٢١٧/١) .
- [٢٤٦٢] الهُرِّيُّ : بيتٌ كبيرٌ ضخْمٌ يجمع فيه طعام السُّلطان ، والجمع أهراء .
- [٢٤٦٣] الإدارة العسكريَّة (٢١٧/١) .

- [٢٤٦٤] فتوح الشَّام للواقدي (١١٧/١) .
- [٢٤٦٥] الإدارة العسكريَّة (٢٣٩/١) .
- [٢٤٦٦] المصدر السابق نفسه .
- [٢٤٦٧] تاريخ الطَّبري (٣٥٦/٤) .
- [٢٤٦٨] الإدارة العسكريَّة (٢٤٣/١) .
- [٢٤٦٩] فتوح الشَّام (١٨/١ ، ٢٠) .
- [٢٤٧٠] الفاروق عمر بن الخطَّاب ، محمَّد رشيد رضا ، ص (١١٩) .
- [٢٤٧١] الإدارة العسكريَّة (٢٥٦/١) .
- [٢٤٧٢] المصدر السَّابق نفسه (٢٥٧/١) .
- [٢٤٧٣] تاريخ اليعقوبي (١٥٥/٢) .
- [٢٤٧٤] تاريخ الطَّبري نقلاً عن الإدارة العسكريَّة (٣٥٢/١) .
- [٢٤٧٥] الإدارة العسكريَّة (٤٥٢/١) .
- [٢٤٧٦] فتوح البلدان (١٥٦/١) .
- [٢٤٧٧] تاريخ التَّمذُن ، جرجي زيدان (١٧٩/١) .
- [٢٤٧٨] الإدارة العسكريَّة (٤٥٣/١) .
- [٢٤٧٩] المصدر السابق نفسه .
- [٢٤٨٠] الإدارة العسكريَّة (٤٥٤/١) نقلاً عن الطَّبري .
- [٢٤٨١] المصدر السابق نفسه .
- [٢٤٨٢] الإدارة العسكريَّة (٤٥٤/١) .
- [٢٤٨٣] المصدر السَّابق نفسه .
- [٢٤٨٤] بلد على نهر الخابور قرب مالك بن طوق وعندها مصب الخابور في الفرات .
- [٢٤٨٥] الإدارة العسكريَّة (٤٥٤/١) .
- [٢٤٨٦] المصدر السَّابق نفسه (٤٥٥/١) .

- [٢٤٨٧] تاريخ الطُّبري (٤٠/٤) .
- [٢٤٨٨] فتوح البلدان (١٧٥/١) .
- [٢٤٨٩] الجرجومة : يقال لأهلها الجراجمة على جبل اللكام بالثَّغر الشَّامي .
- [٢٤٩٠] معجم البلدان (١٢٣/٢) .
- [٢٤٩١] بالس : بلدة بالشَّام بين حلب والرَّقَّة .
- [٢٤٩٢] فتوح البلدان للبلاذري (٢٢٤/١) .
- [٢٤٩٣] بلدٌ من سواحل بحر الشَّام ، وهي اخر أعمال دمشق من البلاد السَّاحليَّة .
- [٢٤٩٤] مرقية : قلعة حصينة في سواحل حمص .
- [٢٤٩٥] بلنياس : كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر .
- [٢٤٩٦] فتوح البلدان (١٥٨ . ١٥٠/١) .
- [٢٤٩٧] فتوح مصر لابن عبد الحكم ، الإدارة العسكريَّة (٤٦٢/١) .
- [٢٤٩٨] تاريخ اليعقوبي ، ص (٣٣٠) .
- [٢٤٩٩] البداية والنَّهاية (١٠٣/٧) .
- [٢٥٠٠] البحريَّة في مصر الإسلاميَّة؛ واثارها الباقية ، سعاد ماهر ، ص (٧٧) .
- [٢٥٠١] فتوح مصر ، ص (١٩٢) ، الخطط للمقريزي (١٦٧/١) .
- [٢٥٠٢] الإدارة العسكريَّة (٤٦٤/١) .
- [٢٥٠٣] المصدر السَّابق نفسه .
- [٢٥٠٤] فتوح البلدان للبلاذري (١٩٥ ، ١٩٤/١) .
- [٢٥٠٥] الفنُّ الحربيُّ في صدر الإسلام ، عبد الرُّؤف عون ، ص (٢٠١) ، الإدارة العسكريَّة (٤٦٥/١) .
- [٢٥٠٦] الإدارة العسكريَّة (٤٦٥/٢) ، تاريخ الطُّبري (١٣٤/٤) .
- [٢٥٠٧] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ، ص (٢٢٠ ، ٢١٩) .
- [٢٥٠٨] تاريخ الطُّبري (٢٥٩/٥) ، أشهر مشاهير الإسلام (٣٥٩/٢) .

- [٢٥٠٩] دراسات في عهد النبوة للشُّجاع ، ص (٣٧٠) .
- [٢٥١٠] الإسلام والحضارة للنُدوة العالميّة للشَّبَاب ، (٩٠/١) .
- [٢٥١١] الخليفة الفاروق عمر بن الخطَّاب للعاني ، ص (١٥١) .
- [٢٥١٢] الخلفاء الرَّاشدون للخالدي ، ص (٧٧) .
- [٢٥١٣] البخاريُّ ، كتاب الفتن ، رقم (٧٠٩٦) .
- [٢٥١٤] الخلفاء الرَّاشدون للخالدي ، ص (٧٩) .
- [٢٥١٥] البخاريُّ كتاب المناقب ، رقم (٣٦٧٥) .
- [٢٥١٦] تاريخ المدينة ، وإسناده صحيحٌ إلى سعيد بن المسيَّب (٨٧٢/٣) .
- [٢٥١٧] الطَّبقات لابن سعد (٣٣١/٣) إسناده حسنٌ ، تاريخ المدينة (٨٧٢/٣) .
- [٢٥١٨] محض الصَّواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب (٧٩١/٣) .
- [٢٥١٩] سبباً : أي : حبلاً ، النِّهاية (٣٢٩/٢) .
- [٢٥٢٠] محض الصَّواب (٨٦٩/٣) .
- [٢٥٢١] جبهه : كمنعه .
- [٢٥٢٢] تاريخ المدينة (٨٦٩ ، ٨٦٨/٣) ، إسناده حسن ، فيه عبد الرَّحمن بن المسعودي . صدوقٌ
اختلط قبل موته التَّقريب ، رقم (٣٩١٩) .
- [٢٥٢٣] الطَّبقات (٣٣١/٣) ، محض الصَّواب (٨٦٨/٣) .
- [٢٥٢٤] محض الصَّواب (٨٦٩/٣) .
- [٢٥٢٥] الطَّبقات لابن سعد (٣٣٢/٣) إسناده صحيح .
- [٢٥٢٦] الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد رقم (٨٩) إسناده صحيح .
- [٢٥٢٧] الخلفاء الرَّاشدون للخالدي ، ص (٨٢) ، البخاريُّ ، رقم (٣٧٠٠) .
- [٢٥٢٨] الخلفاء الرَّاشدون للخالدي ، ص (٨٣) .

- [٢٥٢٩] إِيَّ لِقَائِهِ : أي : في الصَّفِّ ينتظر صلاة الفجر .
- [٢٥٣٠] البُرْنُس : نوعٌ من الثِّيَاب يشبه الجلباب .
- [٢٥٣١] الصَّنَع : يشير إلى غلام المغيرة بن شعبة ، أبو لؤلؤة ، فيروز .
- [٢٥٣٢] المراد بالتَّبِيد المذكور : تمر نبذ في ماء ، أي : نقع فيه ، كانوا يفعلون ذلك ، لاستعذاب الماء .
- [٢٥٣٣] البخاريُّ ، كتاب المناقب ، رقم (٣٧٠٠) .
- [٢٥٣٤] صحيح التَّوْثِيق في سيرة ، وحياة الفاروق ، ص (٣٦٩) .
- [٢٥٣٥] الأرحاء ، جمع رحا ، وهي التي يطحن بها .
- [٢٥٣٦] وجأه بالسِّكِّين : ضربه .
- [٢٥٣٧] صحيح التَّوْثِيق في سيرة وحياة الفاروق ، ص (٣٧٠) .
- [٢٥٣٨] الخليفة الفاروق عمر بن الخطَّاب للعاني ، ص (١٦١) .
- [٢٥٣٩] أوَّلِيَّات الفاروق ، ص (١٢٢) .
- [٢٥٤٠] المصدر السَّابِق نفسه ، ص (١٢٤) .
- [٢٥٤١] البداية والتهاية (١٤٢/٧) .
- [٢٥٤٢] أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة ، ص (٦٤٨) .
- [٢٥٤٣] الطَّبَقَات لابن سعد (٣٦٤/٣) .
- [٢٥٤٤] تاريخ الطَّبْرِي (٢٢٦/٥) .
- [٢٥٤٥] المصدر السَّابِق نفسه .
- [٢٥٤٦] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطَّبْرِي د . يحيى اليحيى ، ص (١٧٥) .
- [٢٥٤٧] الطَّبَقَات (٣٤٢/٣) .
- [٢٥٤٨] مرويات أبي مخنف من تاريخ الطَّبْرِي ، ص (١٧٦) .
- [٢٥٤٩] الطَّبَقَات (٣٤٢/٣) .

- [٢٥٥٠] رواه مسلم (١٨٥٢) .
- [٢٥٥١] تاريخ الطبري (٢٢٥/٥) .
- [٢٥٥٢] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٥٣] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٥٤] أوَّلِيَّات الفاروق السِّيَاسِيَّة ، ص (١٢٧) .
- [٢٥٥٥] الطَّبَقَات لابن سعد (٣٣٩/٣) ، البيان والتبيين للجاحظ (٤٦/٣) ، جمهرة خطب العرب (٢٦٣/١ - ٢٦٥) ، الكامل في التَّارِيخ (٢١٠/٢) ، الخليفة الفاروق عمر بن الخطَّاب للعاني ، ص (١٧١ ، ١٧٢) .
- [٢٥٥٦] الإِدَارَةُ الإِسْلَامِيَّة فِي عَصْرِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، ص (٣٨١) .
- [٢٥٥٧] الخليفة الفاروق عمر بن الخطَّاب للعاني ، ص (١٧٤ - ١٧٥) .
- [٢٥٥٨] الخليفة الفاروق عمر بن الخطَّاب للعاني ، ص (١٧٣ - ١٧٥) .
- [٢٥٥٩] عَصْرِ الْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ ، ص (١٠٢) .
- [٢٥٦٠] صَحِيح التَّوْثِيق فِي سِيرَةِ وَحْيَةِ الْفَارُوقِ ، ص (٣٨٣) .
- [٢٥٦١] الْبَخَارِيُّ ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، رَقْم (٣٦٩٢) .
- [٢٥٦٢] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (٣٣/١٩) .
- [٢٥٦٣] فَاضَتْ : خَرَجَتْ ، صَحِيح التَّوْثِيق فِي سِيرَةِ وَحْيَةِ الْفَارُوقِ ، ص (٣٨٣) .
- [٢٥٦٤] التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ (٤٤/١٩ ، ٤٥) .
- [٢٥٦٥] فِي التَّهْذِيبِ (ق ١٧٧/ب) نَقْلًا عَنْ مُحَضِّصِ الصَّوَابِ (٨٤٠/٣) .
- [٢٥٦٦] سِيرِ السَّلَفِ لِأَبِي الْقَاسِمِ الْأَصْفَهَانِيِّ (١٦٠/١) .
- [٢٥٦٧] مُسَلَّمٌ ، فَضَائِلُ الصَّحَابَةِ ، رَقْم (٢٣٥٢) ، مُحَضِّصِ الصَّوَابِ (٨٤٣/٣) .
- [٢٥٦٨] الطَّبَقَات (٣٦٦/٣) إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

- [٢٥٦٩] الإِنصاف للمرداوي (٥٠٣/٢) ، محض الصَّواب (٨٤٤/٣) .
- [٢٥٧٠] محض الصَّواب (٨٤٥/٣) .
- [٢٥٧١] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٧٢] الطَّبقات (٣٦٦/٣) في إسناده خالد بن إلياس ، وهو متروك .
- [٢٥٧٣] الطَّبقات (٣٦٧/٣) ؛ محض الصَّواب (٨٤٥/٣) .
- [٢٥٧٤] الفتاوى (١٤٠/١٥) .
- [٢٥٧٥] محض الصَّواب (٨٤٦/٣) .
- [٢٥٧٦] ابن مروان الأموي من خلفاء بني أمية .
- [٢٥٧٧] البخاريُّ ، كتاب الجنائز ، رقم (١٣٢٦) .
- [٢٥٧٨] البخاري ، كتاب الاعتصام ، رقم (٢٦٧١) رقم (٦٨٩٧) .
- [٢٥٧٩] محض الصَّواب (٨٤٧/٣) .
- [٢٥٨٠] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٨١] البخاريُّ ، كتاب المناقب ، رقم (٣٦٨٥) .
- [٢٥٨٢] العشرة المبشَّرون بالجنة ، محمَّد صالح عوض ، ص (٤٤) .
- [٢٥٨٣] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٨٤] محض الصَّواب (٨٥٥/٣) .
- [٢٥٨٥] الطَّبقات الكبرى (٢٨٤/٣) .
- [٢٥٨٦] الطَّبقات الكبرى (٢٨٤/٣) ، العشرة المبشَّرون بالجنة ص (٤٤) .
- [٢٥٨٧] سير الشُّهداء دروسٌ وعبرٌ ، عبد الحميد السَّحيباني ، ص (٣٦) .
- [٢٥٨٨] الطَّبقات (٣٤٥/٣) إسناده صحيحٌ .
- [٢٥٨٩] العالج : الواحد من كَفَّار العجم ، والجمع علوج ، وأعالج ، وهو يعني : أبا لؤلؤة .
- [٢٥٩٠] البخاريُّ ، كتاب مناقب الصَّحابة ، رقم (٣٧٠٠) .
- [٢٥٩١] البخاريُّ ، كتاب المناقب ، رقم (٣٧٠٠) .

- [٢٥٩٢] لله ثم للتاريخ ، كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ، ص (٩٤) .
- [٢٥٩٣] البخاري ، كتاب المناقب ، رقم (٣٧٠٠) .
- [٢٥٩٤] سير الشهداء دروسٌ ، وعبرٌ ، ص (٤٠) .
- [٢٥٩٥] الرقائق لمحمد أحمد الراشد ، ص (١٢١ ، ١٢٢) .
- [٢٥٩٦] البخاري ، كتاب المناقب ، رقم (٣٧٠٠) .
- [٢٥٩٧] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٩٨] سير الشهداء ، ص (٤١) .
- [٢٥٩٩] البخاري ، كتاب المناقب ، رقم (٣٧٠٠) .
- [٢٦٠٠] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦٠١] فتح الباري (٦٥/٧) ، سير الشهداء ، ص (٤٢) .
- [٢٦٠٢] أحرج عليك : حرج الشيء على فلانٍ ؛ أي : حرّمه عليه .
- [٢٦٠٣] تنديني : من الندب : أن تذكر النائحة الميت بأحسن أوصافه .
- [٢٦٠٤] مناقب أمير المؤمنين ، ص (٠٢٣) ، الحسبة د . فضل إلهي ، ص (٢٧) .
- [٢٦٠٥] المعول عليه : أي : الذي يُكى عليه من الموتى بصوتٍ مرتفع .
- [٢٦٠٦] فضائل الصحابة أحمد بن حنبل (٤١٨/١) إسناده صحيح .
- [٢٦٠٧] سير الشهداء ، ص (٤٣) .
- [٢٦٠٨] سير الشهداء دروسٌ وعبرٌ ، ص (٤٥) .
- [٢٦٠٩] جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، محمد السيد الوكيل ، ص (٢٩٤) .
- [٢٦١٠] سير أعلام النبلاء (٤٨٩/٣ - ٤٩٤) .
- [٢٦١١] تاريخ الطبري (١٨٢/٥ ، ١٨٣) .
- [٢٦١٢] العنصرية اليهودية واثارها في المجتمع الإسلامي (٥١٨/٢ ، ٥١٩) .
- [٢٦١٣] الحديث والمحدثون ، أو عناية الأمة الإسلامية بالسنة ، محمد أبو زهو ، ص (١٨٢) .

- [٢٦١٤] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦١٥] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦١٦] العنصرية اليهودية (٥٢٤/٢) .
- [٢٦١٧] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦١٨] الحديث والمحدثون ، ص (١٨٣) .
- [٢٦١٩] العنصرية اليهودية (٥٢٥/٢) .
- [٢٦٢٠] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦٢١] الإسرائيليّات في التفسير ، والحديث ، ص (٩٩) .
- [٢٦٢٢] المصدر السابق نفسه ، ص (٩٦) .
- [٢٦٢٣] المصدر السابق نفسه ، ص (٩٩) .
- [٢٦٢٤] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦٢٥] الطّبقات (٣٦١/٣) .
- [٢٦٢٦] المصدر السابق نفسه (٣٤٠/٣) .
- [٢٦٢٧] جولة في عصر الخلفاء الراشدين ، ص (٢٩٦) .
- [٢٦٢٨] البداية والنهاية (١٣٧/٧) .
- [٢٦٢٩] جولة في عصر الخلفاء الراشدين ص (٢٩٦) .
- [٢٦٣٠] محض الصّواب (٨٥٢/٣) .
- [٢٦٣١] الأحوزي : هو الجاد المنكمش في أموره ، الحسن السيّاق للأمور .
- [٢٦٣٢] محض الصّواب (٨٥٣/٣) رجاله كلّهم ثقاتٌ إلا عبد الواحد بن أبي عوف صدوقٌ يخطيء .
- [٢٦٣٣] محض الصّواب (٨٥٣/٣) نقلاً عن مناقب أمير المؤمنين ، ص (٢٤٩) .
- [٢٦٣٤] الطّبقات (٣٧٢/٣) ، أنساب الأشراف ، الشّيخان ، ص (٣٨٧) .
- [٢٦٣٥] مصنف ابن أبي شيبة (٣٢/١٢) إسناده صحيح .

- [٢٦٣٦] المعجم الكبير للطبراني (١٧٩/٩ ، ١٨٠) إسناده صحيح .
- [٢٦٣٧] المعجم الكبير للطبراني (١٧٨/٩) إسناده ضعيف ، فيه انقطاع .
- [٢٦٣٨] الطبقات (٣٧٤/٣) .
- [٢٦٣٩] الطبقات (٣٧٣/٣) إسناده صحيح .
- [٢٦٤٠] العرف : الرّيح طيبة كانت ، أو خبيثة .
- [٢٦٤١] الطبقات (٣٦٩/٣) .
- [٢٦٤٢] تاريخ المدينة (٣٤٥/٣) فيه انقطاع ، الحلية (٥٤/١) .
- [٢٦٤٣] تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين للذهبي ، ص (٢٦٧) .
- [٢٦٤٤] محض الصّواب (٩٠٨/٣) .
- [٢٦٤٥] المعرفة والتّاريخ للفسوي (٤٥٧/١) في إسناده مجالد بن سعيد تغير آخر عمره .
- [٢٦٤٦] مناقب أمير المؤمنين لابن الجوزي ، ص (٢٥١) ، محض الصّواب (٩٠٩/٣) .
- [٢٦٤٧] الطبقات (٣٧٢/٣) .
- [٢٦٤٨] فوهي : ثياب بيض .
- [٢٦٤٩] « خزاعيز » : مقسّمة مقطّعة .
- [٢٦٥٠] الكانون : الموقد .
- [٢٦٥١] تقفقف : ارتعد من البرد ، وغيره ، أو اضطرب حناكه ، واصطكّت أسنانه (القاموس) ص (١٠٩٤) .
- [٢٦٥٢] محض الصّواب (٩١١/٣) ، ابن الجوزي (٢٥٢) .
- [٢٦٥٣] الإدارة في الإسلام في عهد عمر بن الخطّاب ، ص (٣٩١) .
- [٢٦٥٤] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٩٢) .
- [٢٦٥٥] الإدارة في الإسلام في عهد عمر بن الخطّاب ، ص (٣٩٢) ، التّاريخ الإسلامي ، (٦٠٩/١) .
- [٢٦٥٦] الإدارة في الإسلام في عهد عمر بن الخطّاب ، ص (٣٩٢) .

- [٢٦٥٧] المصدر السابق نفسه ، ص (٣٩٣) .
- [٢٦٥٨] تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء ، ص (٤٦ ، ٤٧) .
- [٢٦٥٩] أخبار عمر ، ص (٥) .
- [٢٦٦٠] الفاروق عمر بن الخطاب ، محمد رشيد رضا ، ص (٥٤ ، ٥٥) .
- [٢٦٦١] المصدر السابق نفسه ، ص (٥٥) .
- [٢٦٦٢] الفاروق عمر بن الخطاب ، ص (٥٥) .
- [٢٦٦٣] بيدو : أنّ المستر مايكل هارت لا يعرف سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- [٢٦٦٤] الأراضي أصبحت ضمن الدولة الإسلامية .
- [٢٦٦٥] من الخطأ الفادح أن نتجاهل دور الصديق وقيادته الواعية بعد وفاة رسول الله (ص) .
- [٢٦٦٦] المئة الأوائل ، ترجمة خالد عيسى ، وأحمد سبانو ، ص (١٦٣) .
- [٢٦٦٧] التلبيب : الأخذ بالصدر ، كناية عن اشتداد المعركة .
- [٢٦٦٨] تاريخ الطبري (٥/٢١٤) ، الأيام الأخيرة في حياة الخلفاء د. إيلي منيف شهلة، ص (٤٠).
- [٢٦٦٩] جولة في عصر الخلفاء الراشدين ، ص (٢٩٧) .

الفصل الرابع

المؤسسة المالية والقضائية في عهد

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

وبعض اجتهاداته الفقهية

المبحث الأول

المؤسسة المالية

في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يحدث تغير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية ، إلا أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رجع إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق في التسوية في العطاء [(١)]؛ فلم يفضل أحداً على أحد ، فأعطى الموالي كما أعطى السادة [(٢)].

وكان الخراج في بعض الأمصار موكولاً إلى الولاية أنفسهم ، ففي مصر كان قيس بن سعد بن عبادة . والوالي العام . مسؤولاً عن الخراج فيها ، وكذلك حينما بعث علي رضي الله عنه الأشتر النخعي على مصر كان خطابه له ما يوحي أنه مع ولايته العامة كان مسؤولاً عن الخراج بما يصلح أهله ، فإن صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله ، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك يدرك بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة ، أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع

شرب ، أو إحالة أرض اغتمرها غرق ، أو أجحف بها عطش ، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم.. فإن العمران محتمل ما حملته ، وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما إعوازا أهلها لإشراف أنفس الولاية على الجمع ، وسوء ظنهم بالبقاء ، وقلة انتفاعهم بالعبور [(٣)] ، فقد كانت نظرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجباية إلى المسألة الاقتصادية برمتها ، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت ، وقد اشتهر عن علي رضي الله عنه تشديده في مراقبة عماله في جميع النواحي ، وكان الخراج والشؤون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم [(٤)].

وقد كان لولاية البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها ، فالولاية الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمال الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عموماً كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية ، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شؤون الجهاد والفتوح؛ من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند ، وغير ذلك من أوجه الجهاد ، كما كان الولاية يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية [(٥)] كافة ، إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء للجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار ، وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم [(٦)]. وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة؛ فإن الولاية بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات ، أو يقوم الولاية بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع ، وتصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين ، وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي . كما عبّر عنها بعض الباحثين [(٧)] . فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاية في كثير من الأحيان ، سواء للجهاد أو التعمير .

ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاية إنفاق الأموال في مصالح المسلمين ، وعدم تجميدها ، إذ إن تجميد الأموال التي أخذت بحققها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها ، فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاية [(٨)].

وقد كانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها ، فكان الولاية لا يعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد ، إلا بعد أن يسددوا حاجة ولاياتهم من النفقات [(٩)].

ولاشك أن ما قام به الخلفاء الراشدون خصوصاً في عهد عمر من تنظيم دقيق للشؤون المالية في الولايات بما فيها من جباية مصادر الدخل أو الواردات العامة للدولة ، إضافة إلى النفقات العامة؛ يعتبر تنظيمًا جديدًا ، ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم؛ حيث استحدثوا الدواوين ، وضبطوا أمورهم المالية في مختلف جوانبها ، وقد تحدثت عن المؤسسة المالية في عهد الفاروق رضي الله عنه بنوع من التفصيل ، فمن أراد المزيد فليرجع إليها في كتابي (فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب).

وقد حاول بعض المستشرقين وفيهم فيليب حتي في موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء الراشدون من تنظيم للأموال في الدولة عموماً ، فقال: والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عمر كثيراً مما أحدثته السنون التي لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة ، وأن ما جاء به الخلفاء وعمال الأمصار الأول في صدد الخراج والجزية ، وأصول جبايتها وسياسة أموال الدولة لم يكن بالشيء الخطير ، فلقد أبقى الإسلام أساس الحكم وأنظمة الإدارة البيزنطية على ما كانت عليه في سورية ومصر ، ولم يفكر أرباب الأمر في الأمصار الفارسية أن يبدلوا أصول الحكومة المحلية ، ولم يأخذ الفاتحون الضرائب إلا طبقاً لطبيعة البلاد ، وبمقتضى الأصول المرعية في العهد المنقرض ، سواء أكان بيزنطياً أو فارسياً ، ولم يعتبروا في ذلك إذا كانت قد دانت لهم صلحاً أو أنهم فتحوها عنوة ، ولا اهتموا بتشريع أوجده عمر [(١٠)].

والكاتب هنا قد تجاهل النصوص التي وردت في استنباط عمر للخراج على الأراضي المفتوحة عنوة ، وكيف أن النظام قد لقي مجادلة ومعارضة من بعض الصحابة إلى أن استقر الأمر عليه ، واتفق الجميع على تنفيذه [(١١)].

وقد تولى محمد ضياء الدين الرئيس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة ، يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة ، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر ، وما أحدثه غيره ، بل ويفصلون تفصيلاً دقيقاً في قضايا الخراج في عهد عمر [(١٢)].

وهذه عادة المستشرقين وأذناهم من الطعن والتنقص في عظماء الإسلام ، ولكن المشكلة أنهم يجدون من الأمة من ينظر لهم بإجلال وتقدير. وبسبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة في عهد علي في مؤسساتها المتعددة ، كالمالية ، والعسكرية ، ومنصب الخلافة؛ مما ساهم في زوال الخلافة الراشدة ، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله.

* * *

المبحث الثاني
المؤسسة القضائية

ولي الخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، واقتربت توليته التي نجمت عن قتل عثمان ، وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين ، وفرقت كلمتهم ، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل ، ولم يكن هذا الصراع الدامي في عهد علي رضي الله عنه مانعاً له من أن يعطي للقضاء نصيباً من الاهتمام به وتنظيمه ، ويدل على هذا رسالته التي [(١٣)] أرسلها إلى الأشر النخعي واليه على مصر ، حين كانت تابعة لحكمه ، وفيها يقول:

ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ، ولا تحكمه الخصوم ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر في الفيء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تستشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه ، أو قفهم في الشبهات ، واخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصوم ، وأصبرهم على كشف الأمور ، وأصرمهم على اتضاح الحكم ، ممن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراء ، وأولئك قليل ، ثم أكثر من تعاهد قضائه ، وأفسح له في البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك [(١٤)].

في هذه الرسالة أيضاً: أنصف الله ، وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ، ومن لك فيه هوى من رعيتك ، فإنك إلا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ، ومن خصمه الله أدحض حجته ، وكان لله حرباً ، حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله ، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم ، فإن الله سميع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد [(١٥)].

ونلاحظ: أن هذا العهد تضمن صفات القاضي ، كما تضمن حقوقه وواجباته ، والذي يتأمل في الذي كتبه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواليه على مصر ، يعجب لهذا العهد الذي كتب عام ٤٠ هـ ، أو حولها ، في وقت لم يكن للعرب فيه أي اتصال بالحضارات الأخرى بعد ، وكيف كان العقل المسلم الذي ينظر بنور الله قادراً على تفتيق المعاني ، ووضع أمور الدولة في نصابها ، على خير ما نرى اليوم في الدساتير والقوانين [(١٦)] ، وهذه النظرات من أمير المؤمنين علي في إنصاف الرعية ، وتجنب ظلمها؛ كانت فيما بعد عماداً في تنظيم ولاية المظالم [(١٧)].

أولاً: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد:

قُصِدَ بهذه الخطة: الطريقة التي سلكها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام وهم يبحثون عن الأحكام الشرعية لما يحدث لهم من وقائع وقضايا في حياتهم العملية ، وهي طريقة هدتهم إليها صحبتهم للرسول الكريم (ص) ، وتدريبهم على يديه ، لذلك كان اتباع هذه الطريقة حقاً على من جاء بعدهم ، لاحظنا من خلال دراستنا لعهد الخلفاء الراشدين في كتبنا عن أبي بكر وعمر وعثمان ، ودراستنا الحالية لعهد علي رضي الله عنهم ، أنهم كانوا كلما عرض لهم حادث ، أو قضاء لجؤوا إلى كتاب الله أولاً ، فإن وجدوا فيه الحكم الشرعي للنازلة حسم الأمر ، وإلا رجعوا إلى سنة رسول الله (ص) ، حتى إذا لم يجدوا فيها حلاً انتقلوا إلى الرأي بمعناه الواسع ، وقد لاحظنا أن هذا الرأي كان في أول الأمر جماعياً في غالب الأحيان ، خصوصاً إذا انصبَّ موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة.

وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا ما زالوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم وأخذ رأيهم ، وقد انبثق عن رأيهم الجماعي ما اصطح على تسميته فيما بعد (الإجماع) ، وقد كانوا يستعملون القياس ، والمصلحة هي مناط التشريع ، وخير دليل على هذه الخطة

ما قاله ميمون بن مهران؛ حيث قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به ، وإن لم يكن في الكتاب ، وعلم من رسول الله (ص) في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه أن يجد فيها سنة عن رسول الله (ص) ؛ جمع رؤوس الناس وخيرهم ، فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك؛ فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر: هل كان فيه لأبي بكر قضاء ، فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به ، وإلا دعا رؤوس المسلمين ، فإن أجمعوا على شيء قضى به [(١٨)].

وعن ابن مسعود قال: فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله ، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه (ص) ؛ فليقض بما قضى به الصالحون ، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه (ص) ولا قضى به الصالحون؛ فليجتهد رأيه ، ولا يقل: إني أرى وإني أخاف ، فإن الحلال بيّن ، والحرام بيّن ، وبين ذلك مشتبهات؛ فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك [(١٩)].

وقد بينا في حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حرصه على السير على نفس المنهج.

ويتبين من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون في خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأي بمعناه الواسع [(٢٠)].

ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

١ . اتفاق الصحابة حول هذه الخطة؛ إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهادهم وفقههم مبتدئين بكتاب الله أولاً ، ثم الانتقال إلى سنة رسول الله (ص) قبل استخدام الرأي الجماعي ، ثم القياس .

٢ . كان للسابقة القضائية دور هام في هذه الخطة ، وهو دور جعلها تلي النصوص مباشرة .

٣ . ومما يلفت النظر في هذه الخطة: أن أبا بكر وعمر على الخصوص ، لم يكونا

يستشيران إلا من كان موجوداً من الصحابة بالمدينة ، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائباً من الصحابة قصد استشارته في أمر من الأمور الاجتهادية ، مما يدل على أن الإجماع كان ينعقد باتفاق من حضر من الصحابة بصرف النظر عن رأي من كان غائباً [(٢١)].

ويُتضح لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفاء الراشدين والصحابة في التشريع والقضاء: أنهم كانوا كلما حزبهم أمر ، أو عرضت عليهم قضية بادروا إلى القران أولاً ، حتى إذا لم يجدوا فيه حلاً رجعوا إلى السنة ، فإذا لم يجدوا الحل ، استعملوا الرأي بمعناه الواسع ، سواء كان جماعياً أو فردياً ، وقد انبثق عن آرائهم الجماعية ما سمي بالإجماع ، وهو مصدر طارأى لم يكن له وجود في عصر الرسالة ، وقد صُنّف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة .

وبما أنه لم يكن من الميسور دائماً جمع الصحابة بقصد التشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيرة ، فقد لجأ الصحابة لأستعمال الرأي بصورة فردية في الفتوى والقضاء ، وقد اعتمدوا الكتاب والسنة في آرائهم الفردية والجماعية ، وعلى الفهم العميق لمقاصد الشريعة الهادفة إلى دفع المفسد وجلب المصالح ، واستوحوا الأحكام للحوادث التي لا نص فيها من روح النصوص ، ولم يقضوا مع ظواهرها .

وقد استعملوا القياس منذ عهد الرسول (ص) ؛ وهو المصدر الرابع من مصادر التشريع يأتي بعد الإجماع في المرتبة ، وإن كان سابقاً عليه في الوجود [(٢٢)].

وهذه هي المصادر التي اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام:

١ . القران الكريم: وهو العمدة والأساس ، وينبوع الحكمة ، واية الرسالة ، ونور الأبصار والبصائر ، وإنه لا طريق إلى الله سواه .

٢ . السنة: وتطلق على ما جاء منقولاً عن النبي (ص) بطرق صحيحة .

٣ . الإجماع: ولا بد أن يكون مستنداً إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس .

٤ . القياس .

وكان الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام يشجعون أحكاماً لحوادث بناء على المصلحة الواجب مراعاتها ، أو دفع المفسدة ، فكان اجتهادهم فيما لا نص فيه فسيحاً مجاله ، يتسع لحاجات الناس ومصالحهم [(٢٣)].

ثانياً: ميزات القضاء في العهد الراشدي:

إن القضاء في العهد الراشدي يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء في العهد النبوي الذي يمثل الجذور والأساس ، وجاء القضاء في العهد الراشدي يمثل البناء الكامل ، والتنظيم الشامل من جهة ، ويعطي الصورة البراقة للقضاء الإسلامي من جهة ثانية ، ويعتبر نموذجاً ومثلاً وقدوة ، وتحت محط الأنظار طوال العهود التالية.

ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء في العهد الراشدي ، وهي:

١ . كان القضاء في العهد الراشدي امتداداً لصورة القضاء في العهد النبوي ، بالالتزام به ، والتأسي بمنهجه ، وانتشار التربية الدينية ، والارتباط بالإيمان والعقيدة ، والاعتماد على الوازع الديني ، والبساطة في سير الدعوى ، واختصار الإجراءات القضائية ، وقلة الدعاوى والخصومات إذا قورنت باتساع الدولة ، وتعدد الشعوب والأمصار ، وحسن اختيار القضاة ، وتوفير الشروط الكاملة فيهم.

٢ . يعتبر القضاء في العهد الراشدي صورة صحيحة وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامي ، ولذلك صار موئل الباحثين ، ومحط الأنظار للفقهاء ، وصارت الأحكام القضائية والتنظيم القضائي في العهد الراشدي مصدراً للأحكام الشرعية ، والاجتهادات القضائية ، والآراء الفقهية في مختلف العصور ، وهذا بالاتفاق ولو أديباً ، عند جميع العلماء والمذاهب ، مع وجود الاختلاف في التدقيق والجزئيات والتفاصيل ، ومن ذلك اختلاف الأئمة في حجية قول الصحابي وعدم حجيته ، كما هو مقرر في علم أصول الفقه ، وعلم مصطلح الحديث ، وتاريخ التشريع ، وسيأتي الحديث عن ذلك بإذن الله.

٣ . مارس الخلفاء الراشدون وبعض ولاة الأمصار ، النظر في المنازعات وتولي القضاء بجانب الولاية ، كما أولوا الاهتمام الكامل لتولي قضاء المظالم وقضاء الحسبة [(٢٤)].

٤ . عين الخلفاء الراشدون في أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضاء خاصة ، دون بقية السلطات ، وظهر بشكل مبدئي . ولأول مرة . فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات ، وأن الولاية لا سلطان لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تم فيها تعيين القضاة بجانب

الولاية ، بينما يتولى الولاية في بقية المدن والأمصار القضاء والولاية معاً ، وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

٥ . كان القضاء في العهد الراشدي مجتهدين ، فينظرون في نصوص القران والسنة مباشرة ، ويعملون فيها بما يؤدي إليه اجتهادهم ، فإن لم يجدوا فيها حكم الواقعة اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم ، واستشارة العلماء المعاصرين لهم ، ثم أصدروا الحكم الذي وصل إليه اجتهادهم.

٦ . ظهرت مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي نتيجة للمنهج السابق الذي التزموه ، وصارت الأحكام القضائية هي: القران ، والسنة الشريفة ، الإجماع ، القياس ، السوابق القضائية ، الرأي الاجتهادي ، مع المشورة.

٧ . تم التنظيم الإداري الدقيق للقضاء في العهد الراشدي ، وأرسل عمر وعلي رضي الله عنهما الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاية ، لتنظيم شؤون القضاء ، وبيان الدستور والمنهج ، وتبع ذلك متابعة الخلفاء للقضاة ، ومراقبتهم ، وتبادل الرأي معهم ، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم ، وطلب مراجعتهم في القضايا المهمة والمعضلة والخطيرة ، وكانت هذه الميزة في أوجها في عهد عمر رضي الله عنه ، وخفّت قليلاً في عهد عثمان ، وضعفت في عهد علي لاضطراب الأمور ، وكثرة الفتن ، ونشوب الحروب الداخلية ، وظهور بذرة الاستقلال الذاتي في الشام وما يتبعها مع تعدد السلطة.

٨ . كانت اختصاصات القاضي في الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع ، وكانت صلاحية القاضي واسعة ، وله الحرية الكاملة في الإجراءات ولكن ظهر في هذا العهد نواة الاختصاص الموضوعي والنوعي للقضاة ، وتم تعيين قضاة للنظر في القضايا الصغيرة والبسيطة ، كما تم تعيين قضاة للأحداث الجسيمة والوقائع الكبيرة ، وبقي معظم الخلفاء ـ غالباً ـ يتولون النظر في الجنايات والحدود ، وقام بهذا الشأن بعض الولاية أيضاً ، كما ظهر في هذا العهد تعدد القضاء في وقت واحد في المدن الكبرى والأقطار الواسعة كالمدينة المنورة ، والكوفة ، والبصرة ، واليمن ، كما ظهر قاضٍ للعسكر لأول مرة.

٩ . تأكد في هذا العهد ما كان في العهد النبوي من مراقبة الأحكام القضائية ، وإقرار ما وافق القران والسنة ، وما صدر عن الرأي والاجتهاد ، لأن الاجتهاد لا ينقض بمثله ، وينقض ما خالف القران والسنة [٢٥].

١٠ . استحدث في العهد الراشدي رواتب القضاة بشكل منظم ، مع التوسعة على القضاة ، وأقيمت دار للقضاء ، وأنشأى السجن للحبس ، كما ظهر لأول مرة امتناع كبار الصحابة عن القضاء ، كابن

عمر الذي طلبه عثمان فامتنع ، وكعب بن يسار بن ضنّة الذي طلبه عمر لتوليته القضاء بمصر فأبى أن يقبل ، وقيل: قبله أياماً ، ثم اعتزل [(٢٦)].

١١ . كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدي بسيطة وسهلة وقليلة ، بدءاً من سماع الدعوى ، إلى إقامة البينة والإثبات والحجج ، إلى إصدار الحكم فيها ، إلى التنفيذ ، وكانت آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف ، ونصرة المظلوم ، والمساواة بين الخصوم ، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس ، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي ، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام ، إن لم ينفذها الأطراف طوعاً واختياراً ، وكان التنفيذ عقب صدور الحكم فوراً ، ولكن ظهرت في العهد الراشدي أمور تنظيمية جديدة ، فوجد كاتب للقاضي في عهد عمر ، وظهرت الشرطة والأعوان لمساعدة القاضي والوالي في عهد عثمان ، وتطور التحقيق الجنائي على عهد سيدنا علي رضي الله عنه ، وفرق بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع حتى صار مضرب المثل [(٢٧)].

ثالثاً: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أقرّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم ، وكانوا على القضاء قبله ، وعين قضاة وولاية آخرين [(٢٨)] ؛ منهم:

١ . شريح بن الحارث: الذي كان على قضاء الكوفة ، وأقره علي عليها ، وكان يرزقه كل شهر خمسمئة درهم [(٢٩)].

٢ . أبو موسى الأشعري: الذي ولاه عثمان القضاء بالكوفة، فأقره علي ، ثم عزله [(٣٠)].

٣ . عبید الله بن مسعود: الوالي والقاضي باليمن.

٤ . عثمان بن حنيف: على البصرة.

٥ . قيس بن سعد: على مصر ، وكان شهد فتح مصر ، واختطّ بها داراً ، ووليها لعلي ، ثم عزله بمحمد بن أبي بكر [(٣١)].

٦ . عمارة بن شهاب: على الكوفة.

٧ . قثم بن العباس: على المدينة المنورة، سنة ٣٧ هـ على مكة والطائف [(٣٢)].

٨ . جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خليلد بن قرّة اليربوعي: على خراسان [(٣٣)].

٩ . عبد الله بن عباس: كان والياً لعلي على البصرة ، وكان أبو الأسود الدؤلي على قضائها ، وفي قول: ولّى عبد الله بن عباس على القضاء في البصرة عبد الرحمن بن يزيد الخُدّاني ، وكان أخا المهلب بن أبي

صفرة لأمه ، وبقي قاضياً عليها أيام علي بن أبي طالب ، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله [(٣٤)] ، وقال أبو عبيدة: كان ابن عباس يفتي الناس ويحكم بينهم [(٣٥)] ، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود ، فكان هو المفتي ، والقاضي يومئذ يدعى المفتي ، فلم يزل كذلك حتى قتل علي سنة أربعين ، ونقل عن أبي الأسود أقضية طريفة ، لما خرج أمير المؤمنين علي من المدينة إلى البصرة ولّى عليها عبد الله بن عباس [(٣٦)] .

١٠ . سعيد بن نمران الهمداني: الذي عينه علي لما قدم الكوفة ، ثم عزله ، ثم استقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة ، فقضى ثلاث سنوات ، ثم عين ابن الزبير عبد الله بن عتبة بن مسعود [(٣٧)] .

١١ . عبيدة السلماني: محمد بن حمزة الذي عينه علي على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمداني ، وقال له: اقضوا كما كنتم تقضون ، ثم عزله وعين شريحاً ، وقال الشعبي: كان شريح أعلم الناس بالقضاء ، وكان عبيدة يوازي شريحاً في القضاء ، وله أقضية طريفة ، وكان من علماء الكوفة المشهورين ، وكان شريح يستشيريه ويرجع إليه [(٣٨)] .

١٢ . محمد بن يزيد بن خليفة الشيباني: عينه علي قاضياً على الكوفة ، وله أقضية فيها [(٣٩)] . وقد كان قضاة علي في الأمصار هم ولاته على البلدان المختلفة؛ لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقضاء وجباية الصدقات وغيرها [(٤٠)] ، وكان علي رضي الله عنه يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة ، مما يدل على أنه خوّل لهم تعيين القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم ، مع أن الولاية . في الغالب . هم قضاة الأمصار التي يقيمون فيها ، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار في عهد علي كما مر معنا ، ويبدو أن ولاية الأمصار كان لهم الحق في النظر في المظالم التي يرفعها الناس ضد أحكام القضاء ، وبالدرجة الأولى التي حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة ، كما كان لهم النظر في المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان المعينين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم [(٤١)] ، إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة في مثل هذه القضايا ، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأ بالشكوى؛ سواء كانت الشكوى ضد الولاية أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم [(٤٢)] .

رابعاً: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي ، ونظرتة للأحكام الصادرة قبله ، والمؤهلين للقضاء ، ومكانة ومجانبة الحصول على الحكم:

١ . إبقاؤه على أسلوب القضاء:

يظهر أن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه كان ينوي إدخال بعض التعديلات في أسلوب القضاء وأصول المحاكمات بما يتناسب مع التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تستقر الأمور، فقد أثر عنه أنه رضي الله عنه قال: اقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف [(٤٣)].

٢ . عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله:

وحرصاً على استقرار الأمور؛ فإن أمير المؤمنين كان يرى بأنه لا يحق للقاضي أن ينقض حكماً أصدره قاض آخر ، وقد كان هو رضي الله عنه كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبي (ص) ، فكثروا في عهد عمر حتى خافهم على الناس ، فوقع بينهم الاختلاف ، فأتوا عمر ، فسألوه البدل ، فأبدلهم ، ثم ندموا ، ووضع عليهم شيئاً فأبوه ، فاستقالوه ، فأبى أن يقلبهم ، فلما ولي علي أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين! شفاعتك بلسانك ، وخطك بيمينك ، فقال علي: وَيُحْكَمُ إن عمر كان رشيد الأمر [(٤٤)] ، ولن أرد قضاءً قضى به عمر [(٤٥)].

٣ . الأهلية للقضاء:

القضاء من الولايات العامة ، ولذلك يشترط في القاضي ما يشترط فيمن تكون له ولاية عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسلام ، ويشترط في القاضي أن يكون عفيفاً عما في أيدي الناس ، حليماً لا تثيره الكلمة ، ولا يغضبه التصرف النابي ، عالماً بأحكام الشريعة ، وبناسخها ومنسوخها ، فقد قال علي بن أبي طالب لقاضٍ: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا ، قال: هلكت وأهلكت [(٤٦)] ، وإنما سأله علي عن الناسخ والمنسوخ لأن معرفته ليس بالأمر السهل في ذلك العصر ، ويشترط فيه أن يكون عالماً بما قضى به القضاة السابقون ، حتى لا يخرج عن خطهم في القضاء ، حسماً لفوضى الأحكام ، وأن يكون متواضعاً لا يرى غضاضة في استشارة ذوي العلم والعقل الراجح ، لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ في الأحكام، وأن يكون جريئاً في الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به ولو أغضب ذوي السلطان، وقد جمع ذلك كله قول علي رضي الله عنه: لا ينبغي أن يكون القاضي قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف ، حليم ، عالم بما كان قبله ، يستشير ذوي الألباب ، لا يخاف في الله لومة لائم [(٤٧)].

٤ . مكان القضاء:

على القاضي أن يختار مكان جلوسه بين المتخاصمين في وسط المدينة؛ بحيث

لا يشق على أحد الوصول إليه ، ولذلك كان علي رضي الله عنه يأمر شريحاً القاضي بالجلوس في المسجد الأعظم [(٤٨)] ، لتيسر الوصول إليه [(٤٩)].

٥ . مجانية الحصول على الحكم:

لما كان إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامية ، فإن الفقه الإسلامي يقضي بأن لا يقام أي حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه ، ولذلك فإن المتقاضين لا يدفعان للقاضي ولا للدولة شيئاً من المال للحصول على الحكم الذي يفصم الخلاف بينهما ، بل الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بنفقات الحاكم والمحكمة ، وقد كان علي رضي الله عنه يعطي شريحاً على القضاء رزقاً ، وقد رزقه حين ولاه القضاء في الكوفة كل شهر خمسمئة درهم [(٥٠)].

٦ . بذور المحاماة:

في العهد الراشدي ظهرت بذور المحاماة ، فكان علي رضي الله عنه يوكل أخاه عقيلاً في المخاصمة ، ولما أسن عقيل ، وكلّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إمام القضاء ، وكان يقول: ما قضي لوكيلني فلي ، وما قضي علي وكيلي فعلي [(٥١)].

خامساً: ما يجب على القاضي:

لكي يحقق القاضي العدل في الأحكام لا بد له من مراعاة ما يلي:

١ . دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية: ولا يجوز له أن يتسرع في إصدار الحكم قبل الانتهاء من الدراسة، والاطمئنان إلى الحكم، ولذلك قال علي لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده، فانظر ما تقضي وفيم تقضي وكيف تقضي [(٥٢)].

٢ . المساواة بين الخصوم: فقد نزل على علي رضي الله عنه أياماً ، فأتى في خصومة ، فقال له علي: أخصم أنت؟ قال: نعم ، قال: فارتحل عنا ، فإننا نهيئنا أن ننزل خصماً إلا مع خصمه [(٥٣)].

٣ . عدم الصياح بالمتخاصمين: ولّى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي القضاء ، ثم عزله ، فقال: لم عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلامك على الخصمين [(٥٤)].

٤ . الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس: سواء كانت هذه المؤثرات قرابة ، أو مالاً ، أو بغضاً ، أو ... فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين ، يأتيك الرجلان أنت أحب إلي أحدهما من نفسه ، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا؟ قال: فلمزه علي وقال: هذا شيء لو كان لي لفعلت ، ولكن إنما ذلك شيء لله [(٥٥)].

٥ . الشورى: وعلى القاضي أن يستشير ذوي العلم والرأي لئلا يفلت منه حق ، وقد كان علي رضي الله عنه أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة ، فقد روى الخصاص في أدب القاضي أن عثمان بن عفان كان إذا جاءه الخصمان قال لهذا: ادع علياً ، وقال لهذا: ادع طلحة والزبير ونفراً من أصحاب رسول الله ، فإذا جاؤوا إليه قال لهما: تكلما ، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قوله قضى عليهما ولا ينظرهم بعد [٥٦].

المبحث الثالث

من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أولاً: في العبادات:

لم يأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جهداً في بيان أحكام العبادات للناس ، لما يتمتع به من غزارة في العلم وفقه في الدين ، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سفر ضخم [٥٧] ، ولكن نشير إلى مجموعة في الأحكام في هذا الكتاب على النحو التالي:

أحكام في الطهارة:

١ . يغسل بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يغسل من بول الجارية ، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم» [(٥٨)]. والدليل على ذلك: لما بال الحسين بن علي في حجر النبي (ص) ، قالت لبابة بنت الحارث: يا رسول الله! أعطني ثوبك ، والبس ثوباً غيره. فقال: إنما ينضح من بول الذكر ، ويغسل من بول الأنثى [(٥٩)].

٢ . نوم الجالس وحكمه في نقض الوضوء:

أخرج عبد الرزاق في مصنفه بسنده: أن علياً ، وابن مسعود ، والشعبي قالوا في الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء [(٦٠)]. ودل على ذلك حديث رسول الله (ص) : «العين وكاء السه ، فمن نام فليتوضأ» [(٦١)].

٣ . غسل المذي والوضوء منه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كنت رجلاً مذاء فأمرت رجلاً [(٦٢)] ، أن يسأل النبي (ص) لكان ابنته فسأله ، فقال: «توضأ ، واغسل ذكرك» [(٦٣)].

٤ . قراءة القرآن من دون مسّ المصحف على كل حال ما لم يكن جنباً:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله (ص) يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنباً [(٦٤)] ، وعن عامر الشعبي قال: سمعت أبا الغريف الهمداني يقول: شهدت علي بن أبي طالب بال ثم قال: اقرؤوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنباً ، فإذا كان جنباً فلا ، ولا حرفاً واحداً [(٦٥)].

٥ . وطء الحائض: سأل عمر رضي الله عنه علياً: ما ترى في رجل وقع على امرأته وهي حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا أنه يتوب [(٦٦)] ، وقد أجمعت الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف [(٦٧)] ، لقوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٢٢].

٦ . مباشرة الحائض: فقد سئل علي رضي الله عنه: مالك من امرأتك إذا كانت حائضاً؟ قال: ما فوق الإزار [(٦٨)] ، ودليله في ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضاً أمرها رسول الله (ص) فتأتزر بإزار ، ثم يباشرها [(٦٩)].

أحكام في الصلاة:

١ . لا يقرأ القرآن راعياً أو ساجداً:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: نهاني رسول الله (ص) عن قراءة القرآن وأنا راكع أو ساجد [(٧٠)].

٢ - من لم يصل فهو كافر:

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين! ما ترى في امرأة لا تصلي؟ قال: من لم يصل فهو كافر [(٧١)]. قال عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله (ص) يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة ، ولأنها عبادة يدخل بها في الإسلام ، فيخرج بتركها منه كالشهادة [(٧٢)] ، ويؤيد هذا الحكم، قول رسول الله (ص) : «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» [(٧٣)].

قال الإمام النووي: تارك الصلاة إن كان منكراً لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين ، خارج من ملة الإسلام ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعتقاد وجوبها . كما هو حال كثير من الناس . فقد اختلف العلماء فيه ، فذهب مالك والشافعي (رحمهما الله) والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر ، بل يفسق ، ويستتاب ، فإن تاب وإلا قتلناه حداً ، كالزاني المحسن ، ولكنه يقتل بالسيف ، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر ، وهو مروى عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل (رحمه الله) ، وبه قال عبد الله بن المبارك ، وإسحاق بن راهويه ، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي ، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة ، والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل ، بل يعزر ، ويجبس حتى يصلي [(٧٤)].

٣ - إعادة الصلاة في الوقت:

إذا أعاد المصلي صلاته في الوقت لفضيلة الجماعة؛ فإن [(٧٥)] الأولى فرضه ، والمعادة نافلة عند علي ، نقل ذلك عن ابن قدامة ، وعن الحارث عن علي في الذي يصلي وحده ثم يصلي في الجماعة ، قال: صلاته الأولى [(٧٦)] ، أي: الثانية نافلة له ، ودليله: ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لي رسول الله (ص) : «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميئون الصلاة أو يؤخرون الصلاة عن وقتها ، فإن أدركتها معهم فصلٍ فإنها لك نافلة» [(٧٧)] ، وجه الدلالة: أنه سمى التي يصليها جماعة نافلة [(٧٨)] ، وإذا أعاد المغرب شفعها بركعة عند علي ، فعن الحارث عن علي إذا أعاد المغرب شفع بركعة [(٧٩)].

٤ - قضاء الفوائت:

من فاتته صلاة فيجب عليه قضاؤها ، ويستحبُّ أن يقضيها على الفور عند علي ، وقد قال علي : إذا نام الرجل عن صلاة أو نسي فليصل إذا استيقظ أو ذكر [(٨٠)] ، وعلى هذا إجماع المسلمين دون خلاف [(٨١)] ، والدليل على ذلك قول رسول الله (ص) : إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها ، فإن الله يقول : أقم الصلاة لذكري [(٨٢)] .

٥ . صلاة التراويح :

عن أبي عبد الرحمن السلمي : أن علياً قام بهم في رمضان [(٨٣)] ، وعن إسماعيل بن زياد قال : مرَّ علي على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان ، فقال : نور الله على عمر قبره ، كما نور علينا مساجدنا [(٨٤)] . وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة [(٨٥)] .

والحجة في ذلك : ما رواه أبو هريرة : أن النبي (ص) قال : «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [(٨٦)] . وجه الدلالة : أن التراويح من القيام فهو سنة [(٨٧)] ، والجماعة في التراويح أفضل عند علي ، وكان هو يصليها جماعة [(٨٨)] ، ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً ، فعن عرفجة الثقفي قال : كان علي بن أبي طالب يأمر الناس بقيام شهر رمضان ، ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً ، قال عرفجة : فكنت أنا إمام النساء [(٨٩)] ، وصلاة التراويح لها دليل في أصلها من هدي النبي (ص) ، فعن عروة بن الزبير : أن عائشة رضي الله عنها أخبرته : أن رسول الله (ص) خرج ذات ليلة من جوف الليل ، فصلى في المسجد ، وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون ، فاجتمع أكثر منهم ، فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله (ص) فصلى الناس بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح ، فقال : «إنه لم يُخَفَ علي مكانكم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها» ، فتوفى رسول الله (ص) والأمر على ذلك [(٩٠)] .

٦ . صلاة العيد في المسجد بالشيخ والضعفاء :

لما تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة وصار بالكوفة ، وكان الخلق بها كثيراً ، قالوا : يا أمير المؤمنين ، إن بالمدينة شيوخاً وضعفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء ، فاستخلف علي بن أبي طالب رجلاً يصلي بالناس العيد في المسجد ، وهو يصلي بالناس خارج الصحراء ، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك ، وعلي من الخلفاء الراشدين ، وقد قال النبي (ص) : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» [(٩١)] ، فمن تمسك بسنة الخلفاء الراشدين فقد أطاع الله ورسوله [(٩٢)] .

٧ . تغسيل الرجل زوجته:

يجوز للرجل أن يغسل جنازة زوجته عند علي؛ إذ إنه غسل زوجته فاطمة رضي الله عنهما [(٩٣)]. وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصت فاطمة إذا ماتت ألا يغسلها إلا أنا وعلي ، قالت: فغسلتها أنا وعلي [(٩٤)] ، وحكي إجماع الصحابة على ذلك؛ لأن ذلك اشتهر فيهم ولم ينكروه [(٩٥)] ، وبه قال جمهور العلماء ، والحجة لهم: لقول رسول الله (ص) لعائشة: «ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك» [(٩٦)].

٨ . الكفن من مال الميت:

يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند علي [(٩٧)] ، فعن عبد الله بن ضمرة ، عن أبيه ، عن جده ، عن علي رضي الله عنه أنه قال: الكفن من رأس المال [(٩٨)]. والحجة في ذلك: أن مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمر ، فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه ، وإذا وضعناها على رجله خرج رأسه ، فقال رسول الله (ص) : «ضعوها مما يلي رأسه ، واجعلوا على رجله الأذخر» [(٩٩)]. وجه الدلالة: أنه لو كان واجباً على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه [(١٠٠)].

٩ . كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه:

يسن أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب ، والمرأة في خمسة أثواب ، عند علي ، نقل ذلك عنه الكاساني وغيره [(١٠١)] ، ويكره المغالاة في الكفن؛ وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند علي [(١٠٢)] ، فقد قال أمير المؤمنين علي: كفن المرأة خمسة أثواب، وكفن الرجل ثلاثة، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين [(١٠٣)].

١٠ . غسل الشهيد وكفنه:

لا يغسل الشهيد ولا يكفن عند علي ، فقد نقل ذلك عنه الكاساني وغيره [(١٠٤)] ، وروي عنه: أنه لم يغسل من قتل معه في قتال مع مخالفه ولم يأمر بتكفينهم ، بل دفن عماراً ولم يغسله [(١٠٥)] ، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصري وسعيد بن المسيب لقولهما: إن الميت يجنب [(١٠٦)].
أحكام متعلقة بالزكاة:

١ . لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول:

بين أمير المؤمنين علي أن حولان الحول شرط في وجوب الزكاة ، لما ورد عنه رضي الله عنه قال: ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول [(١٠٧)]. والحول شرط لوجوب الزكاة في النقود والمواشي ، وأموال التجارة ، وليس بشرط في الزرع ، وذلك إجماع لا خلاف فيه [(١٠٨)].

٢ . نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما:

بيّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نصاب الذهب عشرون مثقالاً ، وليس فيما دونه زكاة، وما زاد فبحسابه، حيث يقول: ليس فيما دون عشرين ديناراً شيء ، وفي عشرين نصف دينار ، وفي أربعين دينار ، فما زاد بالحساب [(١٠٩)]. وقال عن نصاب الفضة: ليس في أقل من مئتي درهم زكاة [(١١٠)]. وقال: فإذا بلغ مئتي درهم ففيه خمسة دراهم ، وإن نقص من المئتين فليس فيه شيء ، وإن زاد على المئتين فبحسابه [(١١١)].

٣ . نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في خمس من الإبل شاة إلى تسع ، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة ، فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى تسع عشرة ، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين ، فإن زادت واحدة ففيها خمس شياه [(١١٢)] ، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون (ذكر أكبر منها بعام) إلى خمس وثلاثين ، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين ، فإن زادت واحدة ففيها حقة (طروقة الفحل) إلى ستين ، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين ، فإذا كثرت الإبل ففي كل خمسين من الإبل حقة ، ولا يجمع بين مفترق ، ولا يفرق بين مجتمع [(١١٣)].

٤ . الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع:

الأصناف التي تجب فيها الزكاة عند علي؛ هي: الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره [(١١٤)]. وقد قال علي: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر ، فإن لم يكن تمر فزبيب ، فإن لم يكن زبيب فشعير [(١١٥)].

٥ . عدم الزكاة في الخضراوات والفواكه والعسل:

قال أمير المؤمنين علي: ليس في الخضر صدقة [(١١٦)] ، وفي رواية: ليس في الخضر والبقول صدقة [(١١٧)] ، وهو قول جمهور العلماء [(١١٨)] ، ولا زكاة في الفواكه عند علي ؛ فعن أبي

إسحاق عن علي قال: ليس في التفاح وما أشبهه صدقة [(١١٩)]. وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: ليس في الخضر صدقة؛ البقل والتفاح والقثاء [(١٢٠)]. وهو قول كل من قال باقتصار وجوب الزكاة على الأصناف الأربعة ، والحجة لهم: لدخولها تحت حكم الخضروات لاشتراكها معها في عدم البقاء والادِّخار [(١٢١)] ، وأما زكاة العسل فهي غير واجبة عند علي حيث قال: ليس في العسل زكاة [(١٢٢)].

٦ . صرف الزكاة لصنف واحد:

يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية ، أو لشخص واحد يغنون بها عند علي ، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقة في صنف واحد [(١٢٣)] ، وروى عنه: أنه أتى بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد [(١٢٤)].

٧ . إعطاء الزكاة للأصول والفروع:

قال أمير المؤمنين علي: ليس لولد ولا لوالد حق في صدقة مفروضة ، ومن كان له ولد أو والد فلم يصله فهو عاق [(١٢٥)]. وحكي إجماع العلماء على هذا ، وحمل من خالفه على صدقة التطوع ، والحجة لهم: لأن منفعتها تعود على دافع الزكاة لأنها تغنيهم عن النفقة فلا يدفعها إليهم ، وقد يتخذ ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة ، ثم إن الزكاة والنفقة واجبان مستقلان لا يحل أحدهما مكان الآخر ، كالصلاة والصوم ، وأن الزكاة حق لله تعالى فهي عبادة ، وأما النفقة فهي حق العباد ، وهي صلة القرابة [(١٢٦)].

أحكام متعلقة بالصيام:

١ . ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل:

يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخبر الواحد العدل ، ويلزم الناس بصيامه ، فعن فاطمة بنت الحسين أن رجلاً شهد عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على رؤية هلال رمضان فصام ، وأحسبه قال: وأمر الناس

بالصيام [(١٢٧)]. وهذا الحكم مبني على ما ثبت عن رسول الله (ص) : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غُمِّي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً» [(١٢٨)] ، قال النووي: المراد رؤية بعض المسلمين ، ولا يشترط رؤية كل إنسان ، بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين ، وكذا عدل على الأصح ،

وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء ، إلا أبا ثور فجوزه بعدل [(١٢٩)].

٢ . صيام الجنب:

يجوز أن يصوم الجنب؛ أي: يؤخر الغسل حتى يصبح ثم يغتسل ويتم صومه عند علي ، نقل ذلك عنه ابن قدامة. وعن الحارث عن علي قال: إذا أصبح الرجل وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء [(١٣٠)]. والدليل على ذلك: ما ورد عن عائشة وأم سلمة: أن رسول الله (ص) كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم [(١٣١)].

٣ . الإفطار للشيخ الكبير:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في تفسيره قول الله تعالى: قال: الشيخ الكبير الذي {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ} يستطيع الصوم يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكيناً [(١٣٢)].

٤ . مكان الاعتكاف:

عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال: لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة [(١٣٣)]. وفي لفظ: لا اعتكاف إلا في مصر جامع [(١٣٤)] ، ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لا يقام إلا في مسجد المصر الجامع الذي تقام فيه الجمعة [(١٣٥)].

٥ . ما يجوز للمعتكف:

قال علي: إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة ، وليعد المريض ، وليشهد الجنازة ، وليأتي أهله ، وليأمرهم بالحاجة وهو قائم [(١٣٦)].

من أحكام الحج:

١ . تقبيل المحرم امرأته:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: من قبّل امرأته وهو محرم فليهرق دماً [(١٣٧)].

٢ . قتل المحرم للحيوان الصائل:

عن مجاهد عن علي؛ في الضبع إذا عدا على المحرم: فليقتله؛ فإن قتله قبل أن يعدو عليه فعليه شاة [(١٣٨)] ، ودليل ذلك قوله تعالى: {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة:

١٧٣]؛ لأنه إن لم يقتله فقتله فيتحقق منه الاضطرار ، ثم أنه انقلب بذلك حيواناً شريراً ، فيلحق

بالمؤذيات التي يجوز قتلها [(١٣٩)].

٣ . قتل الغراب :

يجوز للمحرم قتل الغراب عند علي ، فقد قال: يقتل المحرم الغراب [(١٤٠)] ، ودليل ذلك: قول رسول الله (ص) : «خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفأرة ، والعقرب ، والغراب ، والحدأة ، والكلب العقور» [(١٤١)].

٤ . الشك في الطواف :

قال أمير المؤمنين: إذا طفت في البيت فلم تدرِ أتممت أو لم تتم؛ فأت ما شككت ، فإن الله لا يعذب على الزيادة [(١٤٢)].

٥ . النسيان في الطواف :

إذا نسي الرجل فطاف أشواطاً زائدة على المسنون؛ يضيف إليها ما يبلغه مجموع أشواط طوافين عند علي ، قال علي في الرجل ينسى فيطوف ثمانية؛ فليرد عليها ستة حتى تكون أربعة عشر يصلي أربع ركعات [(١٤٣)].

٦ . النيابة للحج :

من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببدنه لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينيب عنه غيره عند علي ، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره [(١٤٤)] ؛ فقد قال في الشيخ الكبير: إنه يجهز رجلاً بنفقته فيحج عنه [(١٤٥)]. ودليل ذلك: ما روى ابن عباس: أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله! إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره ، فقال النبي (ص) : «فحجي عنه» [(١٤٦)] ، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند علي ومن معه ، أما الاستطاعة بالبدن فيكفي أن يستطيع بغيره إذا وجد سواء أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرها [(١٤٧)].

٧ . الشك في عدد الرميات :

إذا شك الحاج في عدد رمي الجمرات يعيد ما شك فيه عند علي ، فعن أبي مجلز: أن رجلاً يسأل ابن عمر فقال: إني رميت الجمرة ولم أدرِ رميت ستاً أو سبعاً ، قال: أنت وذاك الرجل . يريد علياً ، فذهب فسأله فقال: أما أنا لو فعلت في صلاتي لأعدت الصلاة ، فجاء فأخبره بذلك ، فقال: صدق ، أو أحسن ، قال الشيخ: وكأنه أراد . والله أعلم . لأعدت المشكوك في فعله ، كذلك في الرمي يعيد المشكوك في رميه [(١٤٨)].

بعض الأحكام ألحقت بالعبادات:

١ . إدراك الميتة قبل موتها:

إذا أدرك الحيوان الايل إلى الموت قبل موته بوقت قصير فذبح جاز أكله ، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند علي [(١٤٩)] ، فقد قال: إذا وجد الموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أصاب السبع؛ فوجدت تحريك يد أو رجل؛ فذكَّها وكُلَّ [(١٥٠)] . ودليل على ذلك قول الله تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ } [المائدة: ٣] . ووجه الدلالة: أن قوله تعالى: استثناء مما { إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ } ، أي: إلا ما أدركتم زكاته فيحل أكله [(١٥١)] .

٢ . ذبائح نصارى العرب:

لا يحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم النصارى عند علي ، نقل ذلك عن الطبري وغيره [(١٥٢)] ، وعن عبيدة السلماني قال: لا تؤكل ذبائح نصارى العرب؛ فإنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر [(١٥٣)] . وفي رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب؛ فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر [(١٥٤)] . وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية في تحليل ما حللوا وتحريم ما حرّموا فلا يعدون منهم ، ولكن الله تعالى حين أحل ذبائحهم أحلها في وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء في عقيدتها ، أو في أحكامها؛ فلم يمنع ذلك من تحليل ذبائحهم ، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء [(١٥٥)] .

٣ . ذبيحة الفخر:

يحرم أكل ما ذبح فخراً عند علي رضي الله عنه ، ففي الجارود بن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رياح يقال له: ابن وشيل ، وهو سحيماً قال: وكان شاعراً نافعاً ، غالبه أبا فرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مئة من إبله وهذا مئة من إبله اذا وردت ، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقبيهما ، فخرج الناس على الحمرات [(١٥٦)] يريدون اللحم ، وعلي بالكوفة ، فخرج على بغلة رسول الله (ص) ، وهو ينادي: أيها الناس! لا تأكلوا من لحومها؛ فإنها أهلٌ بها لغير الله.

عن علي قال: أن رسول الله قال: «لعن الله من ذبح لغير الله» [(١٥٧)] ، وجه الدلالة: أن الذبح لأجل الفخر مما أهل به لغير الله ، فيشملة الحديث [(١٥٨)] .

٤ . نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة:

البيضة في بطن الدجاجة الميتة نجسة عند علي لا يجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا ، نقل ذلك عنه ابن قدامة [١٥٩].

٥ . طعام المشركين والمجوس غير الذبائح:

لا بأس بأكل طعام المجوس والمشركين اذا لم يكن فيها من ذبائحهم؛ لأن التحريم خاص بالذبائح ، فقد قال أمير المؤمنين علي: لا بأس بطعام المجوس إنما نهي عن ذبائحهم [١٦٠]. وفي رواية: لا بأس بأكل خبز المجوس إنما نهي عن ذبائحهم [١٦١] وهو قول جمهور الفقهاء [١٦٢].

٦ . ترك الشيب أبيض:

يجوز ترك الشيب أبيض دون تغييره ببناء أو غيره عند علي نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره [١٦٣] ، وعن الشعبي قال: رأيت علياً أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين منكبيه [١٦٤]. وعن أبي إسحاق: رأيت علياً أصلع أبيض الرأس واللحية [١٦٥] ، وعن ابن الحنفية: أن علياً اختضب بالحناء مرة ثم ترك [١٦٦].

٧ . اللعب بالنرد والشطرنج:

لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين علي حيث قال: لأن أقلب جمرتين أحب إليّ من أن أقلب كعبين [١٦٧] ، وكان لا يسلم على أصحاب النردشير [١٦٨] ، ودليل تحريمه: قول رسول الله (ص) : «من لعب النردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه» [١٦٩]. والشطرنج محرم عند علي أيضاً؛ نقله عنه ابن قدامة [١٧٠]. وكان يقول في الشطرنج: هو ميسر الأعاجم [١٧١]. وفي رواية: هو من الميسر [١٧٢]. وعن ميسرة بن حبيب قال: مر علي بن أبي طالب على قوم يلعبون بالشطرنج ، فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؛ لأن يمس أحدكم جمرًا حتى يطفأ خير له من أن يمسه [١٧٣]. وعن عمار بن أبي عمار قال: مر علي بمجلس من مجالس تيم الله وهم يلعبون بالشطرنج ، فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتهم ، أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم [١٧٤]. والحجة في هذا التحريم بين المتلاعبين وهو علة الميسر المحرم بنص الكتاب فيقاس عليه [١٧٥].

٨ . نكاح المتعة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نسخ رمضان كل صوم ، ونسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث [(١٧٦)]. وحجة علي ما رواه عن النبي (ص) بأنه نهي عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خبير [(١٧٧)].

٩ . النكاح بدون ولي:

عن أبي قيس الأودي: أن علياً كان يقول: إذا تزوج بغير إذن ولي ثم دخل بها لم يفرق بينهما ، وإن لم يصبها فرق بينهما [(١٧٨)].

١٠ . العيوب الجسدية في المرأة:

إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيباً يصعب المقام معه ، قال أمير المؤمنين علي: إنه إذا دخل بها وجب المهر وخيّر بين الطلاق والإمساك ، وإن لم يدخل بها فرق بينهما بدون مهر [(١٧٩)].

١١ . نكاح الخصي:

قال أمير المؤمنين علي: لا يحل للخصي أن يتزوج ، فإن تزوج ولم تعلم المرأة ، فرق بينهما عند علي ، فقد قال: لا يحل للخصي أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة [(١٨٠)] ، ودليل ذلك: أن الخصاء من العيوب المنفرة التي يصعب معه الجماع أو ينعدم ، فقيس على غيره من العيوب التي جاز بها التفريق [(١٨١)].

١٢ . من تزوج أختان جهلاً بأتهما أختان:

من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى ، فظهر أنهما أختان؛ يفارق التي تأخر زواجها عند علي ، فعن ابن جريج قال: أخبرت عن علي: أنه قال في رجل تزوج امرأة فأصابها ، ثم انطلق الى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها ، فإذا هي أختها؛ فقصي أنه يفارق الاخرة ويراجع الأولى ، غير أنه لا يراجع الأولى حتى تقضي هذه عدتها [(١٨٢)]. وهو قول جمهور فقهاء المذاهب [(١٨٣)]. والحجة لهم: أن نكاح الأول وقع صحيحاً دون الثانية ، فإنه باطل لا ينعقد [(١٨٤)].

١٣ . تحريم وطء الزوجة في دبرها:

وطء الزوجة في دبرها حرام عند علي ، نقل ذلك عنه ابن قدامة [(١٨٥)]; فعن أبي المعتمر قال: نادى علي على المنبر فقال: سلوني ، فقال رجل: أتوتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك! ألم تر أن الله تعالى يقول: {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ*} [الأعراف: ٨٠] ، وروي ذلك عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة ، وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر

بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد والمالكية والظاهرية [(١٨٦)] ،
ودليل التحريم: قول رسول الله (ص) : «ملعون من أتى امرأته في دبرها» [(١٨٧)]. وجه الدلالة: أن
النهي عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على التحريم [(١٨٨)].

١٤ . عدة الحامل المتوفى عنها زوجها:

إذا كانت المرأة حاملاً وتوفى زوجها ، فوضعت قبل أن تنقضي عدتها؛ فعند علي أنها تعتد أبعد
الأجلين؛ أي: عدة الحمل إذا لم تضع قبل عدة المتوفى عنها زوجها ، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة
أشهر وعشراً ، نقل ذلك عن ابن رشد وغيره [(١٨٩)].

وعن عبد الرحمن بن معقل قال: شهدت علياً سأله رجل عن امرأة توفى عنها زوجها وهي حامل ، قال:
تتربص أبعد الأجلين [(١٩٠)]. وعن الشعبي كان يقول: أجل كل حامل تتربص آخر
الأجلين [(١٩١)] ، وقد جمع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بين قول الله تعالى: { وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ
أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ } [الطلاق: ٤] ، وقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا } [البقرة: ٢٣٤] إذ بينهما عمومٌ وخصوص فلا يترجح العمل
بأحدهما دون الآخر ، فيعمل بالاثنتين للخروج من الظن إلى اليقين والتخلص من التعارض [(١٩٢)].

والراجح: أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين؛ فقد صح عن عبد الله بن عتبة: أن سبيعة بنت
الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة ، وكان ممن شهد بداراً، فتوفى عنها في حجة الوداع وهي
حامل؛ فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب ، فدخل
عليها أبو السنابل بن بعكك ، فقال لها: مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟! إنك والله ما أنت
بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر

وعشر ، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت ، فأتيت رسول الله (ص)
فسألته عن ذلك ، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي ، وأمرني بالتزوج إن بدا لي [(١٩٣)] ،
وهذا قول جمهور علماء المسلمين. وقيل: حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث [(١٩٤)].

وقال الشعبي: ما أصدق أن علي بن أبي طالب كان يقول: عدة المتوفى عنها زوجها آخر
الأجلين [(١٩٥)] ، ولعل علياً قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة ، وإلا فلا يخالف علي الصحيح
الثابت عن النبي (ص) [(١٩٦)].

بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:

١ . جوائز السلطان:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بأس بجوائز السلطان؛ ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام [(١٩٧)]. وقال أيضاً: لا تسأل السلطان شيئاً ، فإن أعطاك فخذ فإن ما في بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام [(١٩٨)].

٢ . الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق:

من نصر شخصاً في حق أو دفع عنه ظملاً لا يجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند علي ، نقل ذلك عنه ابن حزم [(١٩٩)].

٣ . عدم ضمان العارية:

لا يضمن المستعير العارية إذا تَلَفَتْ بدون تعدي عند علي [(٢٠٠)] ، فقد قال علي: ليست العارية مضمونة ، إنما هو معروف ، إلا أن يخالف فيضمن [(٢٠١)].

٤ . عدم ضمان الوديعة:

الوديعة أمانة بيد المودع عنده ، فإذا تلفت عنده من غير جناية فلا ضمان عليه عند علي ، فقد قال رضي الله عنه: لا يضمن صاحب العارية ، ولا الوديعة [(٢٠٢)].

٥ . بيع الغنيمة للكفار:

لا يجوز بيع ما غنمه المسلمون من أموال الكفار في الحرب إلى الكفار أنفسهم عند علي رضي الله عنه ؛ فعن أم موسى قالت: أتى علي بن أبي طالب بانية مخصوصة بالذهب من انية العجم ، فأراد أن يكسرها ويقسمها بين المسلمين ، فقال ناس من الدهاقين: إن كسرت هذه كسرت ثمنها ، ونحن نغلي لك بها ، فقال علي: لم أكن لأرد لكم ملكاً نزع الله منكم ، فكسرها وقسمها بين الناس [(٢٠٣)]. وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكرهم بأمجادهم ، أو تعود بالنعف عليهم.

٦ . تضمين الصناع:

وذلك حفظاً لأموال الناس من الضياع ، قال الشاطبي: إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يصلح الناس إلا ذاك [(٢٠٤)] ، وفي هذا مقصد من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع [(٢٠٥)] ، وفي مصنف عبد الرزاق: أن علياً رضي الله عنه ضمن الخياط والصباغ ، وأشبهه ذلك احتياطاً للناس [(٢٠٦)].

٧ . عقد الذمة وعدم التشديد في الجباية عليهم:

قال أمير المؤمنين علي: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف ، أما مشركو العجم فتؤخذ منهم الجزية ، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوا أن يسلموا ، وسألونا أن يكونوا أهل ذمة؛ قَبِلنا منهم الجزية [٢٠٧]. وعن علي: أنه قال: إنما

قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا [٢٠٨]. وكان رضي الله عنه يستعمل الرفق في طريقة أخذها واليسر في مقدارها ، فعن عبد الملك بن عمير قال: أخبرني رجل من ثقيف ، قال: استعملني علي بن أبي طالب ، فقال: لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم ، ولا تبيعن لهم رزقاً ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دية يعملون عليها ، ولا تقم رجلاً قائماً في طلب درهم ، قال: قلت: يا أمير المؤمنين! إذا أرجع إليك كما ذهبت من عندك ، قال: وإن رجعت كما ذهبت ويحك إنما أمرنا أن تأخذ منهم العفو؛ يعني الفضل [٢٠٩].

ثانياً: في الحدود:

١ . عقوبة المرتد:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثاً ، فإن عاد وإلا قتل [٢١٠]. وحجة قتله: ما روى ابن عباس عن النبي (ص) قال: «من بدل دينه فاقتلوه» [٢١١] ، وأما دليل استتابته: فما روى عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله (ص) استتاب رجلاً ارتد عن الإسلام أربع مرات [٢١٢]. وروي عن علي في استتابة الزنديق الذي يظهر الإسلام ويطن الكفر قولان هما:

أ . لا فرق في الاستتابة بين من أظهر الردة ، وبين الزنديق الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر ، وقامت عليه البينة بذلك [٢١٣].

فقد روى عبد الرزاق: أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي عن مسلمين تزندقاً ، فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما [٢١٤].

ب . يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق ، فقد روى الأثرم بإسناده إلى علي (رضي الله عنه) أنه أتى برجل عربي قد تنصّر ، فاستتابه ، فأبى أن يتوب ، فقتله . وأتى

برهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول ، فجحدهوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام ، فقتلهم ولم يستتبهم ، قال: أتدرون لم استتبت النصراني؟ استتبت له لأنه أظهر دينه ، فأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا ، وقد قامت عليهم البينة [٢١٥].

وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عن علي قولان:

أ . لا فرق بينها وبين الرجل في حكم القتل ، وقد روي هذا القول أيضاً عن أبي بكر (رضي الله عنه) ، وقال به الحسن والزهري والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق [(٢١٦)].

ب . المرأة تسترق ولا تقتل ، وهذا القول قال به الحسن وقتادة؛ لأن أبا بكر استرق نساء بني حنيفة وذرايعهم ، وأعطى علياً منهم امرأة فولدت محمد بن الحنفية ، وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر ، فكان إجماعاً [(٢١٧)] ، كما أن قصة بعث علي إلى بني ناجية دليل على هذا الرأي، وسيأتي الحديث عنها لاحقاً؛ وفيها: وقتل مقاتلتهم وسبي ذرايعهم [(٢١٨)].

وقد قتل أمير المؤمنين علي المرتدين بطرق مختلفة حسب حال كل منهم على النحو التالي:

أ . ضرب العنق بالسيف ، كما في جواب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر عندما سأله عن مسلمين تزندقا ، فقال: فأما اللذين تزندقا ، فإن تابا ، وإلا فاضرب أعناقهما [(٢١٩)].

ب . الضرب حتى الموت ، ففي مصنف ابن أبي شيبة: أن علياً أتى برجل نصراني أسلم ثم تنصّر ، فسأله عن كلمة ، فقال له ، فقام إليه علي فرفسه برجله ، فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه [(٢٢٠)].

ج . الإحراق بعد القتل، كما في قصة المستورد العجلي؛ حيث أسلم ثم ارتد، فإن علياً رضي الله عنه أحرقه بعد أن قتله، ولعل علياً رضي الله عنه أحرقه لما خاف أن ينبش قومه جثته، بعد أن رفض علي تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له [(٢٢١)].

د . القتل بالإحراق ، كما في قصة علي (رضي الله عنه) مع السبئية كما سبق بيانه [(٢٢٢)].

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين؛ ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين ، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين على تنفيذ أحكام الله في أهل الأهواء والخارجين عن الدين ، وإنزال العقوبة المناسبة بهم ، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم ، كما فعل الخلفاء الراشدون ، وهذا تنفيذ لقول رسول الله (ص) : «لا يحل دم امرأى مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة» [(٢٢٣)]. وقال ابن تيمية: فإنه لو لم يقتل ذلك . يعني المرتد . لكان الداخل في الدين يخرج منه ، فقتله حفظ لأهل الدين ، والدين ، فإن ذلك يمنع من النقص ، ويمنعهم من الخروج عنه [(٢٢٤)].

٢ . حد الزنى:

أ . قصة رجم:

قال الشعبي: كان لشراحة زوج غائب بالشام ، وإنها حملت ، فجاء بها مولها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال: إن هذه زنت واعترفت ، فجلدها يوم الخميس مئة جلدة ، ورجمها يوم الجمعة ، وحفر لها إلى السرة ، وأنا شاهد ، ثم قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله (ص) ، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرمي الشاهد بشهادته ، ثم يتبع شهادته حجرة ، ولكنها أقرت ، فأنا أول من يرميها ، فرماها بحجر ، ثم رمى الناس وأنا منهم ، فكنت والله فيمن قتلها . وفي لفظ لأحمد والبخاري: أن علياً قال: جلدها بكتاب الله ، ورجمتها بسنة رسول الله (ص) [(٢٢٥)]. وهذا الحكم القضائي اجتهاد لعلي ، وهو مختلف فيه بين الفقهاء ،

وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم [(٢٢٦)] ، وجاء في رواية: فحفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها ، أو قال: بها ، فضربهم بالدرة ، ثم قال: ليس هكذا الرجم؛ إنكم إن تفعلوا هذا يفتك بعضكم بعضاً ، ولكن صفوا كصفوفكم للصلاة ، ثم قال: أيها الناس ، إن أول الناس يرمي الزاني الإمام ، إذا كان الاعتراف ، وإذا شهد أربعة شهداء على الزني أول الناس يرمي الشهود بشهادتهم عليه ، ثم الإمام ، ثم الناس ، ثم رماها بحجر وكبر ، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا ، ثم قال: انصرفوا ، وكذلك صفافاً حتى قتلوها [(٢٢٧)].

ب . تأجيل رجم الحامل: المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزني لا يقام عليها الحد حتى تضع حملها عند علي [(٢٢٨)] ، فعنه رضي الله عنه قال: إن خادماً للنبي (ص) فجرت ، فأمرني أن أقيم عليها الحد ، فوجدتها لم تجف من دمها ، فأتيته فذكرت له ، فقال: «إذا جفت من دمها فأقم عليها الحد ، أقيموا الحدود على ما ملكت أيما نكم» [(٢٢٩)] ، وقد قام بهذا الحكم في خلافته .

ج . المستكرهة على الزني:

لا حد على المستكرهة على الزني عند علي ، ولها مهر المثل بذلك [(٢٣٠)] ، فقد قال: «في البكر تستكره نفسها أن للبكر مثل صداق إحدى نساءها ، وللثيب مثل صداق [(٢٣١)] مثلها» .

د . زني المضطرة:

إذا اضطرت امرأة على الزني لإنقاذ حياتها من الموت ، فلم يدفع إلا بها ، سقط عنها الحد عند علي [(٢٣٢)] ، فقد جاء في رواية: أن امرأة أتت عمر فقالت: إني زنيته فارجمني ، فرددها حتى شهدت أربع شهادات ، فأمر برجمها ، فقال علي: يا أمير المؤمنين: ردها

فاسألها ما زناها لعل لها عذراً؟ فردّها فقال: ما زناكِ؟ قالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي فكان لنا خليط [(٢٣٣)] ، فخرج في إبله فحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن ، وحمل الخليط ماء وكان في إبله لبن ، فنفذ مائي فاستسقيت فأبى أن يسقيني ، حتى أمكنه من نفسي ، فأبيت حتى كادت نفسي تخرج أعطيته ، فقال علي: الله أكبر ، فمن اضطر غير باع ولا عاد ، أرى لها عذراً [(٢٣٤)] ، وزيد في رواية: فأعطاها عمر شيئاً وتركها [(٢٣٥)] .

وقد ذكر الفقهاء هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنى ، فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه [(٢٣٦)] ، ولكن الإكراه غير الاضطرار؛ لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختياراً أمام الإكراه فلا إقدام فيه ، وإنما يساق إلى الفعل جبراً ، بدليل أن الله تعالى ذكر الإكراه مستقلاً عن الاضطرار كما في قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ} [النحل: ١٠٦] ، وقوله تعالى: {وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ} [النور: ٣٣] ، وقوله تعالى: {فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة: ١٧٣] .

وقد استدل علي رضي الله عنه بالآية الأخيرة، ووجه الدلالة: أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر ، فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله تعالى، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل علي بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات [(٢٣٧)] .

هـ درء الحدود بالشبهات:

تدرأ الحدود بالشبهات عند علي ، فعن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا بلغ في الحدود لعل وعسى؛ فالحد معطل [(٢٣٨)] . وعن علي أن امرأة أتته فقالت: إني زني ، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائفة غير مكرهة ، قال: لعلك غصبت على نفسك ، قالت: ما غصبت ، فحبسها فلما ولدت وشب ابنها جلدّها [(٢٣٩)] ، لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جلدت.

و - زنى النصرانية:

إذا زنت النصرانية فلا تحدّ بل تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند علي [(٢٤٠)] ، فعن قابوس بن مخارق: أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي يسأله عن مسلم زنى بنصرانية ، فكتب إليه علي: أما المسلم فأقم عليه الحد وادفع النصرانية إلى أهل دينها [(٢٤١)] ، إن حد الزنى أمر تعبدي فيه التطهير من الإثم وذلك لا يناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز . الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علي: فعن أبي ليلي عن رجل من هذيل قال وعداده من قريش: سمعت علياً يقول: من عمل سوءاً فأقيم عليه الحد فهو كفارة [(٢٤٢)] ، وفي رواية عنه أيضاً: كنت مع علي حين رجم شراحة ، فقلت: لقد ماتت هذه علي شر حالها ، فضربني بقضيب أو بسوط كان في يده حتى أوجعني فقلت: لقد أوجعني ، قال: وإن أوجعتك ، قال: فقال: إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبداً كالدين [(٢٤٣)] . ودليل ما ذهب إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله (ص) في مجلس فقال: «ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به ، فهو كفارة له ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه ، فأمره إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه» [(٢٤٤)] .

إن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسب ، فعدم حفظه يترتب عليه مفساد حاصله بسبب إهماله؛ منها: انتهاكه ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب والتقاتل والفساد ، واختلاط الأنساب ، وقطع النسل؛ لأن الزاني ليس له قصد في الولد ، وإنما قصده اللذة الحاضرة ، فلو لم تحفظ الفرج لعزف الناس عن النكاح ، وانتشار الفساد الخلقي وظهور جريمة الزنى ، وما ينشأ عنها من مفساد خلقية وصحية ، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن ، ولو لم يرد في ذلك إلا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ * [الإسراء: ٣٢] لكان كافياً [(٢٤٥)] . لذلك جاءت الشريعة الغراء بالتشريعات اللازمة لحفظ الأعراض والأنساب وقام الخلفاء الراشدون بتنفيذها.

٣ . حد الخمر:

أ . شرب الخمر في رمضان:

عن عطاء عن أبيه: أن علياً ضرب النجاشي الحارثي الشاعر ، شرب الخمر في رمضان ، فضربه ثمانين ، ثم حبسه ، فأخرجه الغد فضربه العشرين ، ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله تعالى ، وإفطارك في رمضان [(٢٤٦)] .

ب . حكم الموت بإقامة حد الخمر:

عن علي ، قال: ما من رجل أقمت عليه حداً ، فمات فأجد في نفسي إلا الخمر ، فإنه لو مات لوديته ، لأن النبي (ص) لم يسنه [(٢٤٧)] .

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذي ميز الله به الإنسان وكرمه ، فحرمت الخمر التي تذهب بالعقل وتغيبه ، كما قال تعالى: إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ

وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ... فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ * { [المائدة: ٩٠ - ٩١] . وقال رسول الله (ص) : «كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام» [(٢٤٨)] ، ولذلك شرع إقامة الحد على السكران ، وحرّم المخدرات والمهتّرات التي تؤثر على سلامة العقل [(٢٤٩)] . إن حفظ العقل مقصود في الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقي الضرورات ، ولما يترتب على إهماله من مفسد لا تعد ولا تحصى [(٢٥٠)] .

٤ . حد السرقة:

أ . اشتراط الحرز:

يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند علي؛ فعن ضمرة قال: قال علي: لا يقطع السارق حتى يخرج المتاع من البيت [(٢٥١)] .

ب . سرقة ما فيه شبهة ملك:

لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك؛ كأن يكون له نصيب فيه عند علي [(٢٥٢)] ، فعن زيد بن دثار قال: أتى علي برجل سرق من الخمس ، فقال: له فيه نصيب ، فلم يقطعه ، وعن الشعبي عن علي: أنه كان يقول: ليس علي من سرق من بيت المال قطع [(٢٥٣)] .

ج . سرقة الحر:

من سرق حرّاً صغيراً فإنه تقطع يده عند علي ، فعن ابن جريح: أن علياً قطع البائع . بائع الحر . وقال: لا يكون الحر عبداً [(٢٥٤)] ، لأن الإنسان أقوم وأثمن من المال ، فهو الأولى أن يقطع فيه [(٢٥٥)] . د . سرقة العبد مولاه:

لا تقطع يد عبد سرق من سيده عن علي ، فعن الحكم: أن علياً قال: إذا سرق عبد من مالي لم أقطعه [(٢٥٦)] .

هـ . إثبات السرقة:

ثبتت السرقة عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بشهادة شاهدين ، أو الاعتراف مرتين ، نقل ذلك عنه ابن قدامة [(٢٥٧)] ، وعن عكرمة بن خالد قال: كان علي لا يقطع سارقاً حتى يأتي بالشهداء فيوقفهم عليه ويسجنه؛ فإن شهدوا عليه قطعه ، وإن نكلوا تركه ، فأتي مرة بسارق فسجنه ، حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدين فقبل: تغيب أحد الشاهدين ، فخلى سبيل السارق ولم يقطعه [(٢٥٨)] .

، وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه: أن رجلاً أتى إلى علي فقال: إني سرقت ، فانتهره وسبه فقال: إني سرقت ، فقال علي: اقطعوا قد شهد على نفسه مرتين ، فلقد رأيتها في عنقه [(٢٥٩)].

و . كشف السارق قبل أن يسرق:

لا تقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتاع من الحرز عند علي ، فعن الحارث عن علي قال: أتى برجل قد نقب فأخذ على تلك الحال فلم يقطعه [(٢٦٠)] ، وفي لفظ بزيادة: وعزره أسواطاً [(٢٦١)].

ز . تكرار السرقة:

من سرق قطعت يده اليمنى ، ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى ، فإن سرق الثالثة ورابعة يعزر ولا تقطع يده الأخرى أو رجله الثانية عند علي ، نقل ذلك عنه ابن المنذر وغيره [(٢٦٢)] ، وعن عبد الله بن سلمة: أن علياً أتى بسارق فقطع يده ، ثم أتى به فقطع رجله ، ثم أتى به فقال: أقطع يده؟ فبأي شيء يتمسح وبأي شيء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أي شيء يمشي؟ إني لأستحيي من الله ، قال: ثم ضربه وخلده السجن [(٢٦٣)] ، وعن المغيرة والشعبي قالوا: كان علي يقول: إذا سرق السارق مراراً قطعت يده ورجله ، ثم إن عاد استودعته السجن [(٢٦٤)] ، وعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل ، وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل ، وأنه كان يقول: إني لأستحيي من الله أن لا أَدع له يداً يأكل بها ويستنجي [(٢٦٥)].

ح . قطع اليد وتعليقها:

يستحب أن يحسم اليد ويعلق المقطوع في عنق المحدث عند علي [(٢٦٦)] ، فعن حجية بن عدي: كان علي يقطع ويحسم ويحبس ، فإذا برؤوا أرسل إليهم فأخرجهم ، ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرفعونها ، فيقول: من قطعكم؟ فيقولون: علي ، فيقول: ولم؟ فيقولون: سرقنا ، فيقول: اللهم اشهد ، اللهم اشهد [(٢٦٧)]. وحسم اليد ، فلكي لا ينزف

الدم ويسرع البرء إليها ومحافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه [(٢٦٨)].

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التي هي قوام حياتهم ، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعي ، وحرمة السرقة وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة ، قال تعالى: { وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ } [المائدة: ٣٨] ، وقام الخلفاء الراشدون بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

ثالثاً: في القصاص والجنايات:

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة على النفس ودرء المفسد الناشئة عن شيوع القتل وسفك الدماء المحرمة ، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ } [البقرة: ١٧٨] ، وقال تعالى: { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * } [الألأباب: ١٧٩] ، وقال تعالى: { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * } [الإسراء: ٣٣] ، وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات.

أ . الاشتراك في القتل العمد:

إذا اجتمع جماعة على قتل شخص عمداً؛ فإنهم يقتلون به جميعاً عند علي [(٢٦٩)] ، وقد روى عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلاً [(٢٧٠)] .

ب . من أمر عبده بالقتل:

إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلاً فقتله؛ يقتل السيد عند علي ، ويجبس العبد ، نقل ذلك عن ابن المنذر وغيره [(٢٧١)] ، وعن خلاس عن علي في رجل أمر عبده أن يقتل رجلاً قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه [(٢٧٢)] ، وفي رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلاً فإنما هو كسيفه أو كسوطه ، يقتل المولى ويجبس العبد [(٢٧٣)] .

ج . المقتول في الزحام:

من قتل في الزحام ولم يعلم قاتله؛ فإن ديته على بيت مال المسلمين عند علي [(٢٧٤)] ، وعن يزيد بن مذكور الهمداني: أن رجلاً قتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام ، فجعل علي ديته من بيت المال [(٢٧٥)] .

د . جنابة السائق والقائد والراكب:

في المسألة روايتان فعن علي: الرواية الأولى: سائق الدابة وقائدها وراكبها ضامنون إذا وطئت الدابة ، أو ضربت برجلها أحداً ، أو شيئاً عند علي لنسبة التقصير وعدم التحرز والتثبت إليهم [(٢٧٦)] ، فعن خلاس عن علي: أنه كان يضمن القائد والسائق والراكب [(٢٧٧)] ، والحجة في ذلك: أن الراكب مباشر للقتل لأن الدابة كالآلة في يده ، أما السائق ، القائد فهما متسببان ، يضمنون لعدم تحرزهم من الوقوع في الجناية ، وعدم تثبتهم من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجناية [(٢٧٨)] ، والرواية الثانية: لا ضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند علي ، إذ روى عنه أنه قال: إذا قال: الطريق؛

فأسمع فلا ضمان عليه [(٢٧٩)] ، وعن علي أنه قال: إذا كان الطريق واسعاً فلا ضمان عليه [(٢٨٠)] . والحجة: أن وسع الطريق وتنبهه المارة هو التحرز والتثبت ، فإذا لم يبال المارة فهو تقصيرهم ، فإن أصيبوا فقد جنوا على أنفسهم؛ فلا ضمان لهم ، ولا منافاة بين الروایتين ؛ لأن الأولى مع ثبوت التقصير ، والثانية مع عدمه [(٢٨١)] ، وثبوت التقصير على المارة. هـ ما أنشئت بتعدّد فأحدثت تلفاً:

من حفر بئراً أو وضع شيئاً أو بناه في مكان لا حق له فيه فسببت تلف إنسان ، كأن يقع في البئر أو يعثر بما وضعه فيموت فهو ضامن عند علي [(٢٨٢)] ، فقد قال رضي الله عنه: من حفر بئراً أو عرض عوداً فأصاب إنساناً فهو ضامن [(٢٨٣)] .
و . الخطأ في الشهادة:

الخطأ في الشهادة يوجب الضمان عند علي؛ فمن شهد على غيره خطأ في حد أو قصاص فأدى إلى تلف عضو أو نفس؛ ضمن الدية عنده [(٢٨٤)] . فقد روي عن علي من طرق متعددة: أنه شهد رجلان بسرقة على رجل ، فقطع علي يده ، ثم جاء الغد برجل فقال: أخطأنا بالأول ، هو هذا الآخر ، فأبطل شهادتهما على الآخر ، وأغرهما دية الأول [(٢٨٥)] ، وفي رواية فقال: لو كنتما تعمدتما لقطعتمكما ، فأبطل شهادتهما عن الآخر وأغرهما دية الأول [(٢٨٦)] ، والحجة في ذلك: أنهم تسببوا في الإتلاف ، والتسبب موجب للضمان كحافر البئر في الطريق [(٢٨٧)] .
ز . اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأ:

إذا اشترك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأ؛ توزعت المسؤولية الجنائية على جميعهم كل واحد بقدر فعله مطروحاً منه ما جناه الميت على نفسه [(٢٨٨)] ، فعن خلاس قال: استأجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئراً ، فحفروها ، فأنخسفت بهم البئر فمات أحدهم ، فرفع ذلك إلى علي بن أبي طالب ، فضمن الثلاثة ثلاثة أرباع الدية ، وطرح عنه ربع الدية [(٢٨٩)] .

ح . من استخدم صغيراً أو عبداً بغير إذن:
من استخدم صغيراً بغير إذن وليه ، أو عبداً بغير إذن مولاه في عمل ، أو حملة على دابة فمات إثر ذلك؛ فهو ضامن عند علي ، فعن الحكم قال: قال علي: من استعمل مملوك قوم صغيراً أو كبيراً فهو ضامن [(٢٩٠)] ، وقال علي: من استعان صغيراً حراً.. فهو ضامن ، ومن استعان كبيراً لم يضمن [(٢٩١)] .

ط . الفعل المعنوي:

الفعل المعنوي كالإخافة والترويع وما شابهها إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسؤولية الجنائية عند علي[(٢٩٢)] ، فعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: رجل نادى صبيّاً على جدار أن استأخر؛ فخرّ فمات؟ قال: يروون عن علي أنه قال: يغرمه ويقول: أفزعه[(٢٩٣)] ، وإيجاب المسؤولية على الفعل المعنوي إجمالاً هو قول جمهور العلماء[(٢٩٤)].

ي . جناية الطبيب:

إذا خالف الطبيب أو البيطري شروط المعالجة ، فعطب الإنسان أو الحيوان فهو ضامن[(٢٩٥)] ، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب علي الناس فقال: يا معشر الأطباء البياطرة والمطبيين! من عالج منكم إنساناً أو دابة فليأخذ لنفسه البراءة ، فإنه إن عالج شيئاً ولم يأخذ لنفسه البراءة فعطب فهو ضامن[(٢٩٦)] ، وعن مجاهد: أن علياً قال في الطبيب: إن لم يشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه ، يقول: يضمن[(٢٩٧)].

ك . الميت من القصاص والحد:

إذا أقيم حد أو قصاص على مستحق فمات؛ فلا ضمان على المقتص عند علي[(٢٩٨)] ، فقد قال رضي الله عنه: من مات بقصاص بكتاب الله فلا دية له[(٢٩٩)] ، وقال: من مات في حد فإنما قتله الحد ، فلا عقل له مات في حد من حدود الله[(٣٠٠)] ، وقال أيضاً: إذا أقيم على الرجل الحد في الزنى ، أو السرقة ، أو قذف ، فمات فلا دية له[(٣٠١)] ، والحجة في ذلك ، أن القصاص واجب والواجب غير مشروط بالسلامة فيه ، فلا ضمان في أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال[(٣٠٢)].

ل . قاطع طريق ألقى القبض عليه:

إذا لم يأخذ مالاً ولم يقتل نفساً حبس حتى يتوب ، وإذا أخذ مالاً ولم يقتل نفساً قطعت يده ، ورجلاه من خلاف ، إذا قتل وأخذ المال قطعت يده ورجلاه من خلاف ، ثم صلب حتى يموت ، وإن تاب قبل أن يؤخذ؛ ضمن الأموال واقتص منه ولم يحد[(٣٠٣)].

وقد تاب الحارث بن بدر قبل القدرة عليه ، وكان قاطعاً للطريق ، فقبل علي توبته وأسقط حد الحرابة عنه؛ لأنه تاب قبل القدرة عليه[(٣٠٤)].

م . قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء:

أتى برجل إلى أمير المؤمنين علي من خربة بيده سكين ملطخة بدم ، وبين يديه قتيل يتشخط في دمه ، فسأله ، فقال: أنا قتلته ، قال: اذهبوا به فاقتلوه ، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعاً ، فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى علي ، فردوه ، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه ، أنا قتلته ، فقال علي للأول: ما حملك على أن قلت: أنا قاتله ، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين ، وما أستطيع أن أصنع ، وقد وقف العسس على الرجل يتشخط في دمه ، وأنا واقف بين يدي سكين ، وفيها أثر الدم ، وقد أخذت في الخربة ، فخفت ألا يقبل مني ، وأن يكون قسامة ، فأعترف بما لم أصنع ، وأحتسبت نفسي عند الله ، فقال علي: بئس ما صنعت ، فكيف كان حديثك؟ قال: إني رجل قصاب ، خرجت إلى حانوتي في الغلس ، فذبحت البقرة وسلختها ، فبينما أنا أسلخها ، والسكين في يدي أخذني البول ، فأثيت خربة كانت بقربي ، فدخلتها لقضاء حاجتي ، وعدت أريد حانوتي ، فإذا أنا بهذا المقتول يتشخط في دمه ، فراعني أمره ، ووقفت أنظر إليه ، والسكين في يدي ، فلم أشعر إلا بأصحابك قد وقفوا علي ، فأخذوني ، فقال

الناس: هذا قتل هذا ، ما له من قاتل سواه ، فأيقنت أنك لا تترك قولهم بقولي ، فأعترفت بما لم أجنه. فقال علي للمقر الثاني: فأنت كيف كانت قصتك ، فقال: أغواني إبليس فقتلت الرجل طمعاً في ماله ، ثم سمعت حس العسس فخرجت من الخربة ، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفها ، فاستترت منه ببعض الخربة ، حتى أتى العسس فأخذوه وأتوك به ، فلما أمرت بقتله علمت أني سأبوء بدمه أيضاً ، فاعترفت بالحق ، فقال علي للحسن: ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين ، إن كان قد قتل نفساً فقد أحيى نفساً ، وقد قال الله تعالى: { وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة: ٣٢] ، فخلى علي عنهما ، وأخرج دية القتيل من بيت المال [(٣٠٥)] ، ولعله فعل ذلك بعد إسقاط أولياء القتيل حقهم بالقصاص [(٣٠٦)].

ن . امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها:

حدث في عهد علي رضي الله عنه: أن امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها ، فكانت العقوبة القتل قصاصاً [(٣٠٧)] من الجناة.

س . بدل الإبل في دفع الدية ، وكيف تدفع الدية؟

الأبل أصل في الدية ، ويجوز دفع بدلها إذا لم يتوافر الإبل عند علي ، فعن عامر عن علي وعبد الله وزيد قالوا: الدية مئة من بعير [(٣٠٨)] ، وعن الحسن: أن علياً قضى بالدية اثني عشر ألفاً [(٣٠٩)] ، أي

درهم من الفضة ، وأما كيفية دفع الدية ، فدية الخطأ وشبه العمد على العاقلة تدفعها مقسطاً على ثلاث سنين عند علي [(٣١٠)] ، والحجة في ذلك: ما روي عن المغيرة في شعبة قال: قضى رسول الله (ص) بالدية على العاقلة [(٣١١)] ، وأما تقسيطها ، فلأنها كثيرة يصعب أدائها حالاً فقسمت على ثلاث سنين بناء على التيسير الذي أمر به الإسلام [(٣١٢)].

ع . دية الكتابي:

دية الكتابي من اليهود والنصارى مثل دية المسلم [(٣١٣)] ، فعن الحكم بن عتيبة أن علياً قال: دية اليهودي والنصراني وكل ذمي مثل دية المسلم [(٣١٤)].

ف . دية الصُّلب:

دية العمود الفقري دية كاملة عند علي إذا كسر وفقد صاحبه القوة على الجماع ، فقد قال علي رضي الله عنه إذا كسر الصلب ومنع الجماع ففيه الدية [(٣١٥)].

ص . عين الأعور:

إذا فقأ إنسان عين الأعور؛ فإن فيها الدية كاملة أو يقتص الأعور لنفسه فيفقأ عيناً للجانبي ويأخذ نصف الدية عند علي. نقل ذلك ابن قدامة [(٣١٦)]؛ لأن عين الأعور تعادل عيني البصير في منفعة البصر ، لذلك فيها الدية كاملة [(٣١٧)].

ق . دية الأصابع:

دية كل أصبع من الأصابع عشر دية النفس عند علي؛ أي: عشر من الإبل ، فعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: في الأصبع عشر الدية [(٣١٨)] ، وفي رواية: في الأصبع عشر العشر [(٣١٩)].

رابعاً: في التعزير:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يؤدب العاصي ويردعه عن معصيته بالتعزير إذا لم يترتب على معصيته حد ، ولما كانت عقوبة التعزير على المعصية غير محددة ، فإن أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه) يذهب إلى الملاءمة بين العقوبة والمعصية فكلما تعاظمت المعصية كانت العقوبة أعظم ، ولقد تعددت وسائل التعزير عند

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حسب نوع المعصية وحال العاصي [(٣٢٠)] ، ومنها على سبيل المثال:

١ . الضرب باليد:

ومثال ذلك: لما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت ، وعلي رضي الله عنه ، يطوف معه ، إذ عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين خذ حقي من علي بن أبي طالب ، فقال: وما باله؟ قال: لطم عيني ، فوقف عمر ، حتى لحق به علي فقال: ألطمت عين هذا يا أبا الحسن؟ قال: نعم ، يا أمير المؤمنين ، قال: ولم؟ قال: لأني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف ، فقال عمر: أحسنت يا أبا الحسن [(٣٢١)].

٢ . الجلد دون الحد:

وكان أكثر ما يعزر به ، ومن ذلك جلده للنجاشي الشاعر الذي شرب الخمر ، وأفطر في رمضان ، فقال له: إنما جلدتك هذه العشرين لجرأتك على الله ، وإفطارك في رمضان [(٣٢٢)].

٣ . التشهير:

لجأ علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى التشهير بالعاصي وتعريف الناس به ، كما فعل بشاهد الزور ، وفي ذلك مصلحة للمجتمع ، لئلا يستشهد فتضيع الحقوق ، عن علي بن الحسين قال: كان علي إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور ، فاعرفوه ، وعرفوه ، ثم خلى سبيله [(٣٢٣)]. وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فعزره ، وطاف به في حيه وشهره ، ونهى أن يستشهد به [(٣٢٤)].

٤ . الحبس:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعاقب بالحبس أحياناً ، ومن ذلك حبسه للنجاشي الشاعر ، الذي يشرب الخمر ، وأفطر في رمضان [(٣٢٥)].

٥ . التقييد في الحبس:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيد الدعار [(٣٢٦)] ، بالحبس بقيود لها أفعال ، ويوكل بهم من يحملها لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين [(٣٢٧)].

٦ . الغمس في الأقدار:

وجد رجل تحت فراش امرأة ، فأتي به علي ، فقال رضي الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهراً لبطن في مكان منقن ، فإنه كان في مكان شر منه [(٣٢٨)].

٧ . القتل:

قد يصل التعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى القتل ، إذا كانت الجريمة قد تعاضمت ، وكان لها أثرها البالغ الأهمية ، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله (ص) ، لأن هذا العمل يؤدي إلى إدخال شيء في الدين ما ليس منه ، وانحراف الناس عن دينهم الذي ارتضى الله لهم [(٣٢٩)] ، لذا فقد كان يقول: من كذب على النبي (ص) يضرب عنقه [(٣٣٠)].

٨ - إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها:

فقد ورد عن ربيعة بن زكار قال: نظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة [(٣٣١)] ، يلحم فيها ويباع فيها الخمر ، فأتاها بالنيران فقال: أضرموها فيها ، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً ، فاحتزقت [(٣٣٢)] ، فقد أحرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته [(٣٣٣)].

لقد أثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المؤسسة القضائية باجتهاداته في مجال القصاص والحدود والجنائيات والتعزير ، كما أنه رضي الله عنه ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه ، واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

* * *

المبحث الرابع

حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين

تحدث الأصوليون عن مذهب الصحابي ، وقالوا بأنه من الأدلة المختلف فيها عند الكثير منهم ، وحكى ابن القيم إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به [(٣٣٤)].

إن أصحاب النبي (ص) وخصوصاً ساداتهم تبوؤوا مكانة عالية في الفهم والإدراك؛ كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوا آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم [(٣٣٥)].

والشاهد من كلامه قوله: «أعمقها علماً» فهم أعمق الأمة علماً ، وأكثرهم فهماً وإدراكاً ، ونسبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبة فضلهم إلى فضلهم [(٣٣٦)]. وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان فإننا نشير إلى بيان الأسباب التي بَوَّأهم الله بها هذه المكانة وهي:

١ . تلقيهم المباشر من النبي (ص):

وهذا له أثره في الفهم من عدة نواح:

أ . صفاء المورد: إذ بتلقيهم من النبي (ص) يتلقون الوحي غضاً كما أنزل ، ويسمعون كلام النبي (ص) منه مباشرة ، فليس علمهم مشوباً بما يكدره ، بل هو محض الكتاب والسنة لم يختلط به آراء الرجال ، ولا غيره من العلوم التي فتح بابها من بعد على المسلمين كعلوم الفلسفة وغيرها.

ب . دقة الفهم؛ حيث إن معلمهم رسول الله (ص) أفصح الناس لساناً: وأبلغهم بياناً ، وأقدرهم تفهماً ، فكيف إذا صادف ذلك اذناً صاغية ، وقلوباً واعية ، وسليقة مواتية ، تنشده الحق ، وتتلهف لسماعه ، ولاشك أن ذلك يجعلهم يفهمون ما يلقي إليهم فهماً دقيقاً مطابقاً لمراد الله ورسوله ، وهذا الأمر في غاية الوضوح إذ الناس في حياتهم وطلبة العلم في طلبهم يبحثون إبان تلقيهم عن أفضل العلماء علماً ، وأحسنهم تصويراً للمسائل ، وأقدرهم تفهيماً ، وكم من تلميذ سطع نجمه ، وعلا كعبه في العلم بفضل الله ثم بفضل حسن تعليم معلمه ، ونحن نعلم أن أحداً لن يبلغ معشار ما بلغ إليه النبي (ص) في حسن التعليم ، ولا أقل من ذلك ، وبهذا شهد معاوية بن الحكم رضي الله عنه في حسن التعليم ، حيث قال: فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه [(٣٣٧)].

ج . ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا ، فعلمهم يقينية: وعلوم من بعدهم يداخلها الظن في كثير من أحوالها.

د . ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث ومعرفة الناسخ والمنسوخ؛ مما يعينهم على فهم المراد وإدراك المقاصد.

هـ ما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبي (ص) التي تفسر أقواله ، وتشرحها ، وتبين آيات القرآن وتوضحها ، ويوقف بها على المراد.

و . إمكانية السؤال عما أشكل عليهم ، الحصول على الجواب .

٢ . سليقتهم العربية: فهم يفهمون اي القرآن ، وأحاديث النبي (ص) بسليقتهم، ويعرفون وجوه دلالتها على معانيها ، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول .

٣ . إخلاصهم لله وتقواهم: فببركة إخلاصهم نالوا العلوم الكثيرة النافعة ، في أوقات قليلة كما قال تبارك وتعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ} [البقرة: ٢٨٢].

فإذا تقرر هذا فكل هذه الأسباب شكلت فقهاً قوياً متماسكاً لدى أصحاب النبي (ص) ، قال ابن القيم: بعد أن ذكر مدارك اختصاصها بها . كسماعهم من النبي (ص) وسماعهم من

بعضهم ، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجوه [٣٣٨] ، قال: أما المدارك التي شاركتهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة ، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوباً وأعمق علماً ، وأقل تكلفاً ، وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق له نحن ، لما خصهم الله تعالى به من توقد الأذهان ، وفصاحة اللسان ، وسعة العلم ، وسهولة الأخذ ، وحسن الإدراك وسرعته ، وقلة المعارض أو عدمه ، وحسن المقصد ، وتقوى الرب تعالى؛ فالعربية طبيعتهم وسليقتهم ، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرتهم وعقولهم ، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ، ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين ، بل غنوا في ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله تعالى كذا ، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين ، وأحظى الأمة بهما ، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما ، وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهمهم متشعبة ، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة ، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة ، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة ، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة ، إلى غير ذلك من الأمور؛ فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها ، وأوهن قواهم مواصلة السير في سواها ، فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة [٣٣٩].

وبما تقدم يتقرر أن أصحاب النبي (ص) أدق فهماً وعلماً بما هياً الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم ، فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشريعة ومراميها من غيرهم ، ولكون من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنة وطرق الاستنباط منها ، وهذا متوفر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها [(٣٤٠)]. قال الشاطبي: السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن [(٣٤١)] ، وقال عن الصحابة: هم القدوة في فهم

الشريعة والجري على مقاصدها [(٣٤٢)]. هذا وقد تنوعت مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي ، وانقسمت إلى خمسة أقوال مشهورة ، وقبل أن نذكر أقوال المذاهب نحرر محل النزاع فنقول:

١ . اتفق الكل على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إماماً كان أو حاكماً أو مفتياً.

٢ . إذا قال الصحابي قولاً ووافقه الباقيون؛ فليس داخلياً في محل النزاع لكونه إجماعاً حينئذ.

٣ . إذا قال قولاً وانتشر ولم يخالف أحداً؛ فهذا له حكم الإجماع السكوتي.

٤ . اتفقوا على أن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه صحابي آخر.

٥ . اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع فإن الحجة حينئذ فيما رجع إليه.

٦ . اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع عنه فليس بحجة ، ومحل الخلاف إذا قال الصحابي قولاً في مسألة اجتهادية تكليفية ولا ظهر له مخالف ولا موافق ، ولا ندري انتشر أم لا؟ خالف أحد أم لا [(٣٤٣)]؟.

واختلف العلماء في ذلك على أقوال:

القول الأول: إنه حجة؛ وهو قول مالك والشافعي في القديم ، وأحمد في رواية عنه ، وعليه أكثر الأصوليين والفقهاء من الحنفية ، وابن عقيل من الحنابلة، والعلائي [(٣٤٤)] ، والخطيب البغدادي من الشافعية ، واختاره ابن القيم في إعلام الموقعين ، والشاطبي في الموافقات ، وابن تيمية [(٣٤٥)].

القول الثاني: إنه ليس بحجة؛ وهو قول الشافعي في أحد قوليه ، اختارها الامدي والرازي والغزالي وأحمد في رواية [(٣٤٦)].

القول الثالث: إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأي فيه فقط ، وهو قول جماعة من الأحناف [(٣٤٧)].

القول الرابع: قول أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - حجة دون غيرها [(٣٤٨)].

القول الخامس: قول الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حجة دون غيرهم [(٣٤٩)].

والراجع والله أعلم هو القول الأول وأدلة الترجيح في ذلك.

أولاً: من كتاب الله تعالى:

قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * } [التوبة: ١٠٠].

روى الحافظ ابن جرير في تفسيره لهذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرظي قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: حتى بلغ: قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} بن كعب ، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه ، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذا هذه الآية هكذا.. قال: نعم. قال: أنت سمعتها من رسول الله (ص) قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا ، فقال أبي: تصديق هذه الآية من أول سورة الجمعة: {وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * } [الجمعة: ٣] ، وفي سورة الحشر: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ} [الحشر: ١٠] ، وفي الأنفال: {وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * } [الأنفال: ٧٥] ، وسبب سؤال عمر أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار ، وبعدم إلحاق الواو في الذين كما أورد ذلك ابن جرير [(٣٥٠)] ، ثم لما تبين له من أبي بن كعب الخفض وإلحاق الواو قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا ، يقصد المهاجرين. وهذا القول منه . رضي الله عنه . يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول

القائلين بحجية أقوال الصحابة من غير تخصيص لبعضهم ، إذ اشترك الجميع في وصف الثناء عليهم بكونهم سبقوا في كل علم وفضل وجهاد وعمل.

وهذه الآية احتج بها ابن القيم وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصحابة [(٣٥١)] ، وحكي احتجاج الإمام مالك بها في هذا المعنى [(٣٥٢)] ، وذكر أن الآية تتضمن مدح الصحابة والثناء عليهم

، واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدى بهم ، وتؤخذ أقوالهم ، وأنها اقتضت المدح لمن اتبعهم ، كلهم ، أو اتبع كل واحد منهم ما لم يخالف نصاً [(٣٥٣)].

ومن الأدلة: قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠] ، روى ابن جرير بسنده عند تفسيره لهذه الآية عن الضحاك ، قال: هم أصحاب رسول الله (ص) [(٣٥٤)]. قال ابن جرير بعد إيراده لهذا الأثر مبيناً معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم [(٣٥٥)] ، واستشهد بالآية الشاطبي حين قرر أن: سنة الصحابة - رضي الله عنهم - سنة يعمل عليها ويرجع إليها [(٣٥٦)] ، فقال: في الآية إثبات الأفضلية على سائر الأمم ، وذلك يقتضي باستقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة [(٣٥٧)].

وقد أفاض الإمام ابن القيم الجوزية في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالآيات الكريمة ووجه استدلاله ، فأجاد وأفاد [(٣٥٨)].

ثانياً: أما الأدلة من السنة فهي كثيرة منها:

قوله (ص) : «خير الناس القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث» [(٣٥٩)] ، فأخبره (ص) بذلك يقتضي تقديمها في كل باب من أبواب الخير ، ولا سيما في ظفرهم بالصواب [(٣٦٠)] ، فهم أفضل من غيرهم في كل فضيلة ، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة ، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل ، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام [(٣٦١)].

وعن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله (ص) : «ما من نبي بعثه الله عز وجل إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره» [(٣٦٢)] ، وقد استشهد البيهقي بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم [(٣٦٣)] العالية في كل علم وعمل وقصد [(٣٦٤)].

ثالثاً: الأدلة من الآثار منها:

ما روي عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - أنه قال: يا معشر القراء خذوا الطريق ممن كان قبلكم ، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم بعيداً ، ولئن تركتموه يميناً وشمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً [(٣٦٥)]. روى الخطيب بسنده عن عامر الشعبي أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد (ص) فخذوه [(٣٦٦)]. رابعاً: من أقوال الأئمة والعلماء في حجية قول الصحابي:

١ . قول الشافعي: ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عن سماعهما مقطوع ، إلا باتباعهما ، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله (ص) أو واحد منهم [(٣٦٧)]. وقال أيضاً: لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل ، أو قياس على أصل ، والأصل: كتاب ، أو سنة ، أو قول بعض أصحاب رسول الله (ص) ، أو إجماع الناس [(٣٦٨)].

٢ . وقال أحمد: لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ، ما جاء عن النبي (ص) وأصحابه فخذ به ، ثم التابعين بعد ، الرجل فيه محيّر [(٣٦٩)].

٣ . وقول الإمام مالك: ومذهبه في ترجيح عمل أهل المدينة مشهور ومعلوم ، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك ، حين اعتبر قول الصحابة ، ولا سيما ولاية الأمر بعده محلّ احتجاج [(٣٧٠)].

٤ . قال ابن تيمية: ومن قال من العلماء: إن قول الصحابي حجة ، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة ، ولا عرف نصاً يخالفه ، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه ، كان إقراراً على القول ، فقد يقال: هذا إجماع إقراري إذا عرف أنهم أقروه ، ولم ينكروه أحد منهم وهم لا يقرون على باطل [(٣٧١)] ، أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق [(٣٧٢)].

٥ . قال الشاطبي: عند شرحه لقول النبي (ص) : «ما أنا عليه وأصحابي» [(٣٧٣)]: فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنّوه ، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق ، وبشهادة رسول الله (ص) لهم بذلك خصوصاً... إلى أن قال: فإذا كل ما سنّوه فهو سنة ، من غير نظير فيه بخلاف غيرهم [(٣٧٤)]. وقال في الموافقات: سنة الصحابة - رضي الله عنهم - سنة يعمل عليها ويرجع إليها [(٣٧٥)].

الفصل الخامس

مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

المبحث الأول

أقاليم الدولة

أولاً: مكة المكرمة:

توفي عثمان رضي الله عنه وعلى مكة خالد بن سعيد بن العاص، فأصدر علي رضي الله عنه قراراً بعزله وعين أبا قتادة الأنصاري والياً على مكة [(٣٧٦)] ، ويبدو أن فترة ولايته قصيرة؛ إذ إن علياً رضي الله عنه عندما أراد الخروج من المدينة إلى العراق بعث قثم بن العباس [(٣٧٧)] ، والياً على مكة ، وعزل أبا قتادة الأنصاري [(٣٧٨)] ، وبهذا فإن ولاية أبي قتادة استمرت قرابة الشهرين ، ولم ترد عنها أخبار تذكر ، ومعظم المصادر التي تحدثت عن ولاية قثم بن العباس على مكة ذكرت أن علياً ولّاه على مكة والطائف وأعمالها في وقت واحد [(٣٧٩)] ، ونقل الأخبار عن مكة في عهد خلافة علي رضي الله عنه سوى ما يتعلق بموسم الحج ومن كان والياً عليه ، فعلي بن أبي طالب لم يرد أنه شهد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفتن التي قامت في أنحاء الدولة الإسلامية ، حيث لم تستقر الأوضاع فيها ، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحجيج.

ويبدو أن قثم بن العباس أقام الحج بالناس سنة ٣٧ هـ فقط ، بينما بعث علي رضي الله عنه على الحج عبد الله بن العباس سنة ٣٦ هـ ، وعبيد الله بن العباس سنة ٣٨ هـ [(٣٨٠)] ، مع وجود اختلاف بين المصادر في سنة حج كل منها ، وأما سنة ٣٩ هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشام مع حجاج الشام وأمره أن يقيم الحج بالناس ، فلما وصل إلى مكة تنازع مع (قثم بن عباس) ، وكاد أن يقع بينهما قتال لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بني شيبه ، وانتهى الحج بسلام ولم يقع قتال [(٣٨١)].

وقد استمر قثم بن العباس في ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطاة فخرج منها قثم هارباً خائفاً على نفسه ، وبذلك انتهت ولاية قثم ، وخرجت مكة من ولاية علي بن أبي

طالب ، وقد بعث علي بعض أجناده لاستعادة مكة إلا أن استشهاد علي رضي الله عنه حال دون إتمام المهمة [(٣٨٢)].

ثانياً: المدينة النبوية:

كانت المدينة المنورة طيلة عهد رسول الله (ص) وخلفائه الثلاثة من بعده عاصمة الدولة الإسلامية ، ويقوم فيها الخليفة ، ويتولى شؤونها بنفسه أثناء وجوده ، أما في حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شؤونها ، وقد اختلف الوضع بعد مبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة ، إذ دعت له الحالة العامة والارتباك الذي حدث بعد مقتل عثمان إلى مغادرة المدينة المنورة خصوصاً بعد خروج طلحة والزبير وعائشة باتجاه العراق قبل موقعة الجمل [(٣٨٣)] ، وقد استخلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري كما تقول بعض الروايات [(٣٨٤)].

ولا نعلم المدة التي بقي فيها ابن حنيف والياً على المدينة ، والذي يبدو أن ولايته قد استمرت أكثر من سنة ، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة ٣٧ هـ [(٣٨٥)] ، ثم ولي علي تمام بن العباس على المدينة بعد أن عزل سهل بن حنيف ، وقد ولي علي بن أبي طالب على المدينة بعد ذلك أبا أيوب الأنصاري الذي استمر والياً عليها إلى سنة ٤٠ هـ ، حيث قدم المدينة جيش من الشام من قبل معاوية بقيادة بسر بن أرطاة [(٣٨٦)] ، ففر أبو أيوب من

المدينة ، وتوجه إلى علي في الكوفة [(٣٨٧)] ، وبذلك خرجت المدينة من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودخلت في حكم معاوية ، وهكذا تحولت المدينة في عهد علي من قاعدة للخلافة إلى ولاية من الولايات ، وأخذت الأحداث السياسية تدور بعيداً عنها ، لذلك نجد المصادر التاريخية تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها [(٣٨٨)].

ثالثاً: ولاية البحرين وعمان:

كانت البحرين حين توفي عثمان رضي الله عنه تابعة لإمارة البصرة ، وكان ابن عامر يولي عليها من عماله ، وفي عهد علي رضي الله عنه عين علي على ولاية البحرين مجموعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبي سلمة [(٣٨٩)] الذي خرج مع علي من المدينة أثناء سفره إلى العراق ، ثم بعثه علي والياً على البحرين [(٣٩٠)] ، لفترة من الوقت ، ثم استدعاه علي لمصاحبته في العراق بعد ذلك ، كما كان من عمال علي في البحرين قدامة بن العجلان الأنصاري [(٣٩١)] ، والنعمان بن العجلان الأنصاري [(٣٩٢)] ، وكذلك ذكر من ولاته على البحرين عبيد الله بن العباس [(٣٩٣)] ، ويلاحظ

أن عبيد الله بن عباس كان والي اليمن ، ففعل البحرين ونجد كاتنا تابعتين له في تلك الفترة ، وهذا يوحى به تعبير الطبراني ، كما أن تعبير خليفة بن خياط يوحى بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة]](٣٩٤) ، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجههم علي إلى عمان؛ أحدهم والي ، والاخر قائد جند لإخماد إحدى الثورات التي قامت ضد علي في عمان]](٣٩٥) ، وكذلك كان هنالك عامل على اليمامة]](٣٩٦) ، ولعله خاضع لإشراف والي البحرين]](٣٩٧).

رابعاً: ولاية اليمن:

لما استشهد عثمان وبويع علي بالخلافة ولى على اليمن عبيد الله بن العباس رضي الله عنهما]](٣٩٨) ، وقد خرج ولاية عثمان من اليمن قبل وصول عبيد الله بن عباس إليها ، واشترك بعضهم في جيش الجمل مع طلحة والزبير ، وكان لهم دور في تجهيز الجيش]](٣٩٩) ، وقد كان عبيد الله بن عباس على صنعاء وأعمالها كما كان معه في الولاية سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري]](٤٠٠) ، على الجند ومخالفها]](٤٠١) ، وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين في اليمن ، وأحسن القوم بالامتعاظ والتبرُّم من هذا الجرم ، وبقي بعض اليمنيين لم يبايع ويرغب في قتل قتلة عثمان رضي الله عنه ، ولما تأخر هذا راسلوا معاوية بعد التحكيم ، فأرسل بسر بن أبي أرطاة ، فاستطاع أن يستولي على اليمن بفضل مساعدتهم ، ولكن لفترة وجيزة]](٤٠٢) ، حيث استطاع علي استرجاعها من جيش معاوية ، فأعاد عبيد الله بن عباس إلى ولايتها مرة أخرى ، واستمر والياً عليها إلى أن استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه]](٤٠٣).

وقد روي أن بسرّاً قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار علي هناك ، ثم رجع إلى الشام ، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدي؛ قيل: ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبي عثمان في اليمن]](٤٠٤) ، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفي صحته عندي نظر]](٤٠٥) ، ولا شك أن قتل الأبرياء لم يحصل في تلك المرحلة حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين ، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة؟! لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم]](٤٠٦).

خامساً: ولاية الشام:

كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر ، فأبى عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام ، واعتذر في ذلك وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم [(٤٠٧)] ، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي ، وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام ، وأما الروايات التي تزعم أن علياً قام بالتهجم على عبد الله بن عمر رضي الله عنه لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه ، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب [(٤٠٨)] ، وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبي من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمر بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر قال: بعث إليّ علي قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام ، فسر فقد أمرتكم عليهم ، فقلت: أذكر الله وقرابتي من رسول الله (ص) وصحبتني إياه ، إلا ما أعفيتني ، فأبى عليّ ، فاستعنت بحفصة فأبى ، فخرجت ليلاً إلى مكة [(٤٠٩)] ، وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر ، ودخوله في الطاعة ، إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع ، وفي الاستيعاب لابن عبد البر؟ من طريق أبي بكر بن أبي الجهم عن ابن عمر: أنه قال حين احتضر: ما أسى على شيء إلا تركي قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه [(٤١٠)] ، وهذا مما يدل أيضاً على مبايعة لعلي ، وإنه إنما ندم على عدم خروجه مع علي للقتال ، فإنه كان ممن اعتزل الفتنة ، فلم يقاتل مع أحد ، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به ، فإن لزوم البيعة والدخول فيما دخل الناس فيه واجب ، والتخلف عنه متوعد عليه برواية ابن عمر نفسه: أن النبي (ص) قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» [(٤١١)] وهذا بخلاف الخروج للقتال مع علي ، فإنه مختلف فيه بين الصحابة ، وقد اعتزله بعض الصحابة ، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على ترك هذا القتال ، ولا يندم على ترك البيعة لو كان تاركاً لها ، مع ما فيه من الوعيد الشديد ، وبهذا يظهر بطلان قول بعض المؤرخين في زعمهم؛ من ترك ابن عمر البيعة لعلي - رضي الله عنهما - ، حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل من المقربين منه ، الذين كان يحرص على

توليتهم ، والاستعانة بهم ، لما رأى فيه من صدق الولاء والنصح له [(٤١٢)].

وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام ، أرسل أمير المؤمنين علي سهل بن حنيف بدلاً منه ، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع [(٤١٣)] ، وكانت بلاد الشام تغلي غضباً على مقتل عثمان ظلماً وعدواناً ، فقد وصلهم قميصه مخضباً بدمائه ، وبأصابع نائلة زوجه ، التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه ،

وكانت قصة استشهادة أئمة فظيعة اهتزت لها المشاعر ، وتأثرت بها القلوب ، وذرفت منها الدموع ، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها ، وهروب بني أمية إلى مكة ، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثير على أهل الشام ، وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه ، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه ، والله عز وجل يقول: { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا* } [الإسراء: ٣٣] ، لذلك جمع معاوية الناس ، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلماً وعدواناً على يد سفهاء منافقين لم يقدرُوا الدم الحرام ، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام ، فثار الناس ، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله (ص) ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله (ص) ما تكلمت ، وذكر الفتن فقرّبها ، فمر رجل متقنع في ثوب ، فقال: هذا يومئذ على الهدى ، فقمتم إليه ، فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم [(٤١٤)].

وهناك حديث اخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ، ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف ، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله (ص) إلى عثمان بن عفان ، فجاء فأقبل عليه رسول الله (ص) ، فكان من اخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «يا عثمان! إن الله عسى أن يلبسك قميصاً ، فإن أراذك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني . ثلاث» ، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيتته والله ما ذكرته ، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتبت إلى أم المؤمنين أن اكتبني إليّ به ، فكتبت إليه به كتاب [(٤١٥)].

كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي ، في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة ، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام ، أو طلبه ما ليس له بحق؛ إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى، وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر [(٤١٦)] ، ودليل ذلك: ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد ، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً ، أم أنت مثله؟! فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني ، وأحق بالأمر مني ، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ، والطالب بدمه ، فأتوه ، فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان ، وأسلم له ، فأتوا علياً ، فكلموه ، فلم يدفعهم

إليه [(٤١٧)]. وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي ، فامتنع معاوية [(٤١٨)] ، وأما الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية ، وبسبب العداة والتنافس الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية ، وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله (ص) ، مما أعتمد عليها الكتاب المعاصرين كالعقاد في عبقرية علي ، وعبد العزيز الدوري في مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة ، فهي روايات متروكة مطعون في روايتها عدلاً وضبطاً [(٤١٩)].

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة علي رضي الله عنه ، ولم يتمكن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها ، وقد وقعت إلى الشرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية ، كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧ هـ ، ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام [(٤٢٠)].

سادساً: ولاية الجزيرة:

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية ، والعراق بيد علي ، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين ، نظراً لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة ، وبالعراق من جهة أخرى [(٤٢١)] ، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين ، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها ، ويبدو أن علياً استطاع السيطرة عليها [(٤٢٢)] ، لفترة من الوقت وعين عليها (الأشتر) ، وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة [(٤٢٣)] ، حيث ولاه عليها لأكثر من مرة فاستطاع أن يرتب أمورها ، ثم اضطر علي رضي الله عنه لنقله لولاية مصر وذلك في سنة ٣٨ هـ [(٤٢٤)] ، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة ، ونشط أتباع معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك ف وقعت فيها العديد من المعارك [(٤٢٥)] ، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة ٣٩ هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة [(٤٢٦)] ، وقد كانت الجزيرة ملجأ لبعض المعتزلين للحرب بين علي ومعاوية ، وهم الذين لم يبايعوا أيامها أثناء النزاع الناشب بينهما [(٤٢٧)] ، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها ، وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي ومنهم شبيب بن عامر [(٤٢٨)] ، وكميل بن زياد ، وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة ، بل إنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة [(٤٢٩)].

سابعاً: ولاية مصر:

استشهد عثمان رضي الله عنه وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصباً للولاية فيها ، ولم يقره عثمان عليها ، وبعد وفاة عثمان أقره علي بن أبي حذيفة ، فقبض عليه ، ثم سجن وقتل [(٤٣٠)] ، وقد ذكر أن علياً لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر ، وإنما تركه

على حاله ، حتى إذا قُتل ، عيّن عليّ قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر [(٤٣١)] ، فقال له: سر إلى مصر وليتكها ، واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند ، فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب ، وارفق بالعامّة والخاصة فإن الرفق يمن [(٤٣٢)] ، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف ، فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان ، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله ، ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فآلة [(٤٣٣)] عثمان فأنا أطلب من أوى إليه فأنتصر به لله ، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد ، قالوا: امض ، فمضى حتى دخل [(٤٣٤)] مصر ، وهذا الموقف الذي لقيس هو الذي يمكنه من دخول مصر ، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير ، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلاً ، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميراً على الشام [(٤٣٥)] .

وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر ، وقرأ عليهم كتاباً من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلب البيعة لعلي [(٤٣٦)] ، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين: فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيساً ، وفريق توقف واعتزل ، وكان قيس بن سعد حكيماً مع الذين بايعوا والذين امتنعوا ، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم [(٤٣٧)] ، ولم يكتف بذلك ، بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزلهم ، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم وأحسن إليهم [(٤٣٨)] ، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم ، وبالتالي ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر ، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها ، فوزع الأمراء ، ونظّم أمور الخراج ، وعين رجالات

على الشرطة [(٤٣٩)] ، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر ، وأن يسترضي جميع الأطراف فيها [(٤٤٠)].

وأصبح قيس بن سعد في هذا الموقع يشكل ثقلًا سياسياً وخطراً عسكرياً على معاوية بن أبي سفيان في الشام ، نظراً لقرب مصر من الشام ، ولترتيب قيس لها وتنظيمها ، وما اشتهر عن قيس من حزم ، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئة له تخرج من مصر ، ولذلك فإنه أخذ يرأسل قيس بن سعد في مصر مهدداً له ، وفي الوقت نفسه يحاول إغراءه بالانضمام إليه ، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوي عمله ، وقد تعددت بينهما الرسائل [(٤٤١)] ، وقد انتشرت الروايات الرافضية من الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التي ذكرها أبو مخنف في كتب التاريخ ، وهي باطلة لا تصح ، فقد انفرد بها هذا الرافضي التالف الذي ضعفه رجال الجرح والتعديل بها ، وفي متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلي:

١ . خطاب علي إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولي بعدها وال ، فأحدث أحداثاً ، فوجدت عليه الأمة مقالاً فقالوا ، ثم نقموا عليه فغيروا ، وهذا يعني أن الذين قاموا على عثمان (رضي الله عنه) رجال الأمة ، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان ، وعلي رضي الله عنه بريء من هذا القول ، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس ، وأن قتله ظلم وفجور ، وأقواله تدل على ذلك؛ ومنها:

ما رواه ابن عساکر: أن محمد بن الحنفية قال: ما سمعت علياً ذاكراً عثمان بسوء قط [(٤٤٢)]. وأخرج الحاكم وابن عساکر: أن علياً رضي الله عنه قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي ، وجاؤوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله (ص): «ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة» وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة ، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت ، فلما قالوا: أمير المؤمنين؛ فكأن صدع قلبي ،

وانسكب [(٤٤٣)] بعبرة ، وأقواله في هذا المعنى كثيرة [(٤٤٤)] ، وقد جمعتها في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان) [(٤٤٥)].

٢ . قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير من نعلم بعد نبينا (ص) .. وهذا مردود ، إذ إن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) ، على علي رضي الله عنه كما صح عن علي نفسه: أنه صرح بذلك ، وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم ، وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد رضي الله عنه ولا لغيره من الصحابة والتابعين ، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين [(٤٤٦)]. قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر [(٤٤٧)].

والأدلة في تفضل أبي بكر وعمر كثيرة؛ منها: ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي (ص) ؛ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان [(٤٤٨)]. والأحاديث في ذلك كثيرة [(٤٤٩)] ومشهورة ، وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ، ولم يتهم أمير المؤمنين علي به.

٣ . رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته فيها إلى كون علي طرفاً في قتل عثمان... وهذا لا يصح صدوره من معاوية ، ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي (رضي الله عنه) كما مر في الفقرة السابقة ، وهذا لا يجمله معاوية (رضي الله عنه) فضلاً أن يُقرّه لقيس بن سعد (رضي الله عنهما).

وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ، ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحداً يتهم علياً في قتله [(٤٥٠)]. ويقول أيضاً: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة ، فيهم عبد الله بن عمر ، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف ،

ولكن عثمان عزم عليهم أن لا يقاتلوا [(٤٥١)] ، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد بن الحنفية أن علياً قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل ، والبر والبحر [(٤٥٢)]. والنصوص في هذا المعنى كثيرة جداً [(٤٥٣)] ، مما يؤكد اشتهاً كراهية علي رضي الله عنه لقتل عثمان [(٤٥٤)].

٤ . وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية ، وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميعاً هم الأنصار ، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت رضي الله عنه جاء إلى عثمان رضي الله عنه وهو محصور ، فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين ، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا [(٤٥٥)].

٥ . ما ذكره من اختلاق معاوية كتاباً على لسان قيس بن سعد ؛ فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية ، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال

الكرام ، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخاري في قصة سؤال هرقل عن رسول الله (ص) ، يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأتروا علي كذباً لكذبت عنه [(٤٥٦)] ، فهذه منزلة الكذب عند العرب ، وعند المسلمين أشد وأخزى ، ولا يقول قائل: هذه خدعة ، والحرب خدعة ، فإن الخدعة ليس معناها الكذب كما هو معلوم من كلام العرب ، ومعاقبة رضي الله عنه أحذق من أن يفعل هذا [(٤٥٧)] .

٦ . رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاقبة وعلي رضي الله عنهم بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها [(٤٥٨)] .

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما على مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر مجمع عليه [(٤٥٩)] ، وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل [(٤٦٠)] ، أي: التي ذكرها أبو مخنف في روايته . وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك [(٤٦١)] ، هذا وقد نقل رواية أبي مخنف من الطبري بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير ، وابن كثير ، وابن خلدون ، وابن تغري بردي [(٤٦٢)] ، وقد أخرج الكندي أيضاً عن عبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قيس على معاوية كتب إلى بعض بني أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيراً واكتموا ذلك ، فإني أخاف أن يعزله علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا ، حتى بلغ علياً فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدّل قيس وتحوّل ، فقال علي: ويحكم ، إنه لم يفعل ، فدعوني ، قالوا: لتعزلنه فإنه قد بدّل ، فلم يزالوا به حتى كتب إليه: إني قد احتجت إلى قربك ، فاستخلف علي عمك وأقدم [(٤٦٣)] ، وقد رجّح هذه الرواية الدكتور اليحيى في كتابه القيم (مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري) قال:

١ . إنها من رواية مصري ثقة ، وهو أعلم بقطره من غيره .

٢ . أخرجها مؤرخ مصري .

٣ . خلوها من الغرائب .

٤ . متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال .

٥ . بينت تردد علي في عزل قيس ، حتى ألح عليه الناس فاستبقاه عنده ، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن [(٤٦٤)] .

. تعيين محمد بن أبي بكر على ولاية مصر:

تدخل بعض الناس للإفساد بين علي وقيس بن سعد لكي يعزله ، وفي نهاية المطاف طلب بعض مستشاري علي منه أن يعزل قيساً ، وصدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه ، وألحوا في عزله ، فكتب إليه علي: إني قد احتجت إلى قربك فاستخلف علي عمك

واقدم [(٤٦٥)]. وكان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر ، وقد عين علي مكانه الأشر النخعي [(٤٦٦)] ، على أكثر الأقوال ، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفره إلى مصر ، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبر أهلها ، وقال: ليس لها غيرك ، أخرج رحمك الله فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك ، واستعن بالله على ما أهمك ، فاخلط الشدة باللين ، وارفق ما كان الرفق أبلغ ، واعزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة [(٤٦٧)] ، وقد توجه الأشتر إلى مصر ومعه رهط من أصحابه إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر القلزم) - البحر الأحمر - مات قبل أن يدخل مصر ، وقد قيل: إنه سقي شربة مسمومة من عسل فمات منها ، وقد اتهم أناس من أهل الخراج أنهم سموه بتحريض من معاوية [(٤٦٨)] ، والتهمة الموجهة إلى معاوية في قتل الأشتر بالسهم لا تثبت من طريق صحيح ، واستبعد ذلك ابن كثير [(٤٦٩)] ، وابن خلدون [(٤٧٠)]. وسار علي نهجهم الدكتور يحيى اليحيى [(٤٧١)] ، وملئ إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عمله في مصر ، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب ، وقد ولي بعده على مصر محمد بن أبي بكر [(٤٧٢)].

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان ، وتدل الروايات على أن محمد بن أبي بكر قد وصل إلى مصر قبل أن يغادرها الوالي الأول قيس بن سعد ، وقد دارت محاورة بين قيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر قدّم فيها قيس عدة نصائح لمحمد ، خصوصاً فيما يتعلق بالناس الغاضبين لمقتل عثمان ، والذين لم يبايعوا علياً بعده ، وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين ، وليس عزله إياي بماعني أن أنصح لك وله ، وأنا من أمركم هذا على بصيرة ، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم - يقصد الذين لم يبايعوا علياً ولا غيره - على ما هم عليه ، فإن أتوك فاقبلهم ، وإن تخلفوا

عنك فلا تطلبهم ، وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن استطعت أن تعود المرضى وتشهد الجنائز فافعل؛ فإن هذا لا ينقصك [(٤٧٣)].

وقد حمل محمد معه عهداً من علي رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم [(٤٧٤)] ، وقد كتب أمير المؤمنين علي لمحمد بن أبي بكر كتاباً جاء عندما ولاه على مصر ، ولم يكن هذا الكتاب مقتصرأ على سياسة الولاية ، بل يحوي دعوة محمد بن أبي بكر الصديق إلى الله ، ومما جاء في هذا الكتاب: واعلم يا محمد! أنك وإن كنت محتاجاً إلى نصيبك من الدنيا ، إلا أنك إلى نصيبك من الآخرة أحوج ، فإن عرض لك أمران: أحدهما للآخرة والآخر للدنيا ، فابدأ بأمر الآخرة ، ولتعظم رغبتك في الخير ، ولتحسن فيه نيتك ، فإن الله عز وجل يعطي العبد على قدر نيته ، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان . إن شاء الله . كمن عمله ، فإن رسول الله (ص) قال حين رجع من تبوك: «إن بالمدينة لأقواماً ما سرتهم من مسير ، ولا هبطتم من وادٍ إلا كانوا معكم ، ما حبسهم إلا المرض» يقول: «كانت لهم نية» [(٤٧٥)] ، ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي: أهل مصر ، ووليتك ما وليتك من أمر الناس ، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك ، وتحذر فيه على دينك ، ولو كان ساعة من نهار ، فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه منه ، فاشتد على الظالم ، ولين لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك ، وإخوانك والسلام [(٤٧٦)].

وبدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولايته ، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام ، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك ، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد ، وبدأ يتحرش بأولئك الأقوام الذين لم يبايعوا علياً ، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة ، فلم يجيبوه ، فبعث رجالاً إلى بعض دورهم فهدموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم فعملوا على محاربتهم [(٤٧٧)].

ثم أن معاوية أعد جيشاً بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر ، وتحالف مع من قاتلهم محمد بن أبي بكر ، وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة الاف مقاتل وفيهم مسلمة بن

مخلد ومعاوية بن حديج [(٤٧٨)] ، ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر ، وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين للهجرة [(٤٧٩)].

وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافضي برواية مفصلة ذكرها الطبري [(٤٨٠)]؛ شوهت كثيراً من حقائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره ، ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي:

اليقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر ، وأن معاوية بن حديج أخذه وقتله ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه [(٤٨١)].

وأما المسعودي [(٤٨٢)] ، وابن حبان [(٤٨٣)] ، فقد أشارا إلى قتل محمد بن أبي بكر ، ولم يذكرهما التفاصيل [(٤٨٤)].

ونقل ابن الأثير [(٤٨٥)] ، رواية أبي مخنف في الطبري باختصار بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر ، ونص المكاتبات بين علي وابن أبي بكر ، وحذف رد ابن أبي بكر على معاوية وعمرو بن العاص ، من رواية أبي مخنف في الطبري.

وقد ذكر النويري نحواً مما ذكره ابن الأثير [(٤٨٦)] ، وذكر ابن كثير ، قريباً مما ذكره ابن الأثير والنويري ، وأما ابن خلدون فأشار إلى معنى روايات أبي مخنف [(٤٨٧)] ، واختصر ابن تغري بردي روايات أبي مخنف [(٤٨٨)] ، وكل هذه الروايات جاءت من طريق أبي مخنف وساهمت في تشويه التاريخ الإسلامي لتلك الحقبة ، وتناقلها الكتّاب المعاصرون دون تمحيص ، وساهموا في نشرها واستقرت كثيراً من تلك الأكاذيب في أذهان بعض

المثقفين ، فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التي نشرها بين الناس. هذا وإن قتل معاوية بن حديج لمحمد بن أبي بكر قد ثبت من طريق صحيح فيما أخرجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شماس قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين ، فقالت لي: ممن أنت؟ قلت: من أهل مصر ، قالت: كيف وجدتم ابن حديج في غزاتكم هذه؟ فقلت: وجدناه خير أمير ، ما مات لرجل منا عبد إلا أعطاه عبداً ، ولا بعبيراً إلا أعطاه بعبيراً ، ولا فرس إلا أعطاه فرساً ، قالت: أما إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدث ما سمعت من رسول الله (ص) يقول: «من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم ، فارفق به ، ومن شق عليهم ، فشق عليه» [(٤٨٩)].

وقد اشتملت روايات أبي مخنف في تاريخ الطبري حول ولاية محمد بن أبي بكر لمصر ومقتله على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتي:

١ . ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم ؛ فهذا غير صحيح ، فقد نقل ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي أعلم الناس بأمر الشام [(٤٩٠)] ، أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين ، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير ، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين [(٤٩١)]. فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي ، وإلى هذا ذهب الطبري ، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا [(٤٩٢)] ، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على

إمرة المؤمنين؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع [٤٩٣]، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفتناً لعلي بالخلافة ، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه ، فإن فضل علي وسابقته وعلمه ، ودينه ، وشجاعته ، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة ، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان ، وغيرهم رضي الله عنهم [٤٩٤] ، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول ، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) : «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» [٤٩٥] ، والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، ومن المحال أن يقدم الصحابة على مخالفة ذلك [٤٩٦].

٢ - قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية على أن له مصر طعمة ما بقي ، فهذه القصة أخرجها ابن عساکر بسند فيه مجهول [٤٩٧] ، وذكرها الذهبي بصيغة التمریض ، وبالتالي تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

٣ - اتهام محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضي الله عنه بمشاقصه ، فهذا باطل ، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك ، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري [٤٩٨] ، وقد ذكر الدكتور يحيى الیحيى عدة أسباب ترجح براءة محمد بن أبي بكر من دم عثمان؛ منها:

أ - أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان ، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

ب - لعن علي رضي الله عنه لقتلة عثمان رضي الله عنه وتبرؤه منهم ، يقتضي عدم تقريهم وتوليهم ، وقد ولي محمد بن أبي بكر مصر ، فلو كان منهم ما فعل ذلك.

ج - ما أخرج ابن عساکر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حبي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة ، قالت: هل أئدی محمد بن أبي بكر شيء من دمه؟ فقال: معاذ الله ، دخل عليه ، فقال عثمان: يا بن أخي لست بصاحبي ، فخرج ، ولم يند من دمه بشيء [٤٩٩] ، ويشهد لهذا ما أخرج خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري ، وكان ممن حضر يوم الدار [٥٠٠] ، أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته ، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذاً ، أو قعدت

مني مقعداً ما كان أبوك ليقعده ، فخرج وتركه [(٥٠١)]. وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان ، براءة الذئب من دم يوسف ، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل [(٥٠٢)] ، وقد ذكر ابن كثير - رحمه الله - أنه لما كلمه عثمان رضي الله استحي ، ورجع ، وتندم ، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته [(٥٠٣)].

د - ما ورد من تخويف معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) لمحمد بن أبي بكر بالمثلثة ، وما ذكر من جعل محمد بن أبي بكر في جيفة حمار وإحراقه ، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع في القتلى ، فقد ورد الزجر عن التمثيل بالكفار؛ فكيف بالمسلمين؟! أخرج مسلم في صحيحه: أن رسول الله (ص) : كان إذا أمر أميراً على جيش أو سرية ، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدًا [(٥٠٤)].

وقال الشافعي: وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم ، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمتلوا بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل ، ولا بقر بطن ، ولا تحريق ، ولا تغريق ، ولا شيء يعدو ما وصفت ، لأن رسول الله (ص) نهى عن المثلثة [(٥٠٥)] ، وهل يظن بالصحابة الكرام مخالفة هذا؟! وهم كما وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة ، أبرها قلباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه (ص) ، ونقل دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فهم أصحاب محمد (ص) ، كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة [(٥٠٦)]. وقال عنهم ابن أبي حاتم: ندب الله عز وجل إلى التمسك بهديهم ، والجري على مناهجهم ، والسلوك لسبيلهم ، والاقتداء بهم قال: [(٥٠٧)] {وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُضَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا*} [النساء: ١١٥].

وأصح رواية جاءت في إحراقه ما أخرجه الطبراني عن الحسن البصري قال: أخذ هذا الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر فأدخل في جوف حمار فأحرق [(٥٠٨)] ، وهذا الرواية مرسله؛ إذ إن الحسن لم يشهد الحادثة ولم يسم لنا من نقل عنه ، إضافة إلى أن النص لم يذكر من قام بإحراقه ، وأيضاً ما كان الحسن أن يرميه بالفسق وهو يعلم ثناء علي رضي الله عنه عليه وتفضيله له [(٥٠٩)].

هـ ما ذكره من قول علي - رضي الله عنه -: الفاجر بن الفاجر؛ يقصد معاوية ، فهذا يستبعد صدوره من علي - رضي الله عنه ؛ إذ إن الخلاف مع معاوية دون أبيه ، وأبو سفيان رضي الله عنه قد أسلم

وحسن إسلامه ، ومات قبل مقتل عثمان رضي الله عنه فلم يدرك الفتنة [(٥١٠)] ، والله تعالى يقول: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [فاطر: ١٨] ، والصحابة أعلم الناس بكتاب الله ، وأشدّهم وقوفاً عند حدوده ، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل [(٥١١)].

و . ما ذكره من قول معاوية بن حديج . رضي الله عنه . لعمر بن العاص لما طلب ابن أبي بكر ، وتلاوته لهذه الآية: فهذا يعني تكفير {أَكْفَأُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ*} بن أبي بكر وغيره ، وهذا لم يعرف من الصحابة وما كان بينهم لم يصل إلى درجة التكفير ، وقد وضع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هذا بقوله: «إن ما بيننا لم يبلغ ديننا» [(٥١٢)]. وأيضاً فإن معاوية بن حديج من جند عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وما كان له أن يرفض طلب قائده [(٥١٣)].

ز . ما أورده من قول محمد بن أبي بكر: إن عثمان عمل بالجور ونبد حكم الكتاب؛ لم أقف له على أصل يثبت صحة نسبه إلى ابن أبي بكر ، أما إظهار براءة عثمان رضي الله عنه من ذلك فأشهر من أن تذكر [(٥١٤)] ، وقد توسعت فيها في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان).

ثامناً: ولاية البصرة:

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عثمان بن حنيف الأنصاري أميراً على البصرة ، بدلاً من عبد الله بن عامر واليها السابق الذي تركها واتجه إلى مكة المكرمة ، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصاري صاحب خبرة في المنطقة؛ إذ سبق أن عينه عمر على مسح (السواد) وتقدير الخراج فيه [(٥١٥)] ، وقد سار عثمان بن حنيف إلى البصرة ودخلها بسلام ، إلا أن أهل البصرة انقسموا ثلاث فرق ، فرقة بايعت ودخلت في الجماعة ، وفرقة اعتزلت وقالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه ، وفرقة رفضت الدخول في البيعة [(٥١٦)].

ولم يلبث عثمان بن حنيف طويلاً في الولاية ، فقد قدم إلى البصرة جيش طلحة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل ، ومعهم ممن خرج للمطالبة بدم عثمان ، وتطورت وحدث قتال ، وخرج عثمان بن حنيف إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلقية في طريقه إلى البصرة قبيل وقعة الجمل ، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف.

وقد وصل علي بن أبي طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضاً من الوقت ، حدثت في أثناءه وقعة الجمل . التي سيأتي تفصيلها بإذن الله تعالى . وعندما أراد علي بن أبي طالب الخروج من البصرة ولّى عبد الله بن

عباس رضي الله عنه ، وقد ولى علي مع عبد الله ابن عباس زياد بن أبيه على الخراج ، وأمر ابن عباس أن يستشيريه ويأخذ برأيه نظراً لما وجد علي عنده من خبرة في العمل وفطنة في السياسة [(٥١٧)].
وقدم علي بعض النصائح لابن عباس منها قوله: أوصيك بتقوى الله عز وجل ، والعدل على من ولاك الله أمره ، اتسع للناس بوجهك وعلمك وحلمك وإياك والإحسان [(٥١٨)] ، فإنها تميم القلب والحق ، واعلم أن ما قربك من الله بَعَدَكَ من النار ، وما قربك من النار بَعَدَكَ من الله ، واذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين [(٥١٩)].

وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته ، وهو صحابي عرف بعلمه الواسع في الفقه والتفسير ، وقد أثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن في سجستان وهي تابعة لولاية البصرة ، وفي إقليم فارس حيث عين زياد بن أبي سفيان والياً عليه ، كما أنابه حين خرج من البصرة ، فتمكن من ضبط الأمن فيها. ويعتبر عبد الله بن عباس من أهم رجالات أمير المؤمنين علي ، وكان يرافقه في الأحداث الخطيرة ، وينصح له ، ويجادل عنه ، وكان أمير المؤمنين علي يعتمد عليه ويستشيريه.

وقد استمرت ولاية ابن عباس على البصرة حتى سنة ٣٩ هـ ، وكان يعاونه صاحب الشرطة وصاحب الخراج ، وقد استمر ابن عباس في بعض الروايات على البصرة حتى مقتل علي ، قال الطبري في حوادث سنة ٤٠ هـ: وفيها خرج عبد الله ابن عباس من البصرة ، ولحق بمكة ، في قول عامة أهل السيرة ، وقد أنكر ذلك بعضهم وزعم أنه لم يزل بالبصرة عاملاً عليها من قبل أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى قتل ، وبعد مقتل علي صالح الحسن معاوية ، ثم خرج إلى مكة [(٥٢٠)].

إن شخصية ابن عباس كانت شخصية قيادية؛ جمعت صفات القائد الرباني ، من العلم والفطنة والذكاء والصبر والحزم ، وغيرها من الصفات ، إلا أنه اشتهر بالفقه والعلم بسبب دعاء رسول الله (ص) له بالفقه في الدين والعلم بالتأويل ، وأخذه عن كبار الصحابة ، وقوة اجتهاده وقدرته على الاستنباط ، واهتمامه بالتفسير ، ومنهجه المتميز في تعليم أصحابه ، وحرصه على نشر العلم ، ورحلاته وأسفاره ، وتأخر وفاته وقرب منزلته من عمر رضي الله عنه [(٥٢١)] ، فقد حظي بعناية خاصة من الفاروق عندما لمس فيه مخايل النجاة والذكاء والفطنة ، فكان يدينه من مجلسه ، ويقربه إليه ، ويشاوره ، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات ، وابن عباس ما زال شاباً غلاماً ، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثه على التحصيل والتقدم ، بل والإكثار في باب التفسير وغيره من أبواب العلم.

فعن عامر الشعبي ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي أبي: يا بني إني أرى أمير المؤمنين يقربك ، ويخلو بك ، ويستشيرك ، مع أناس من أصحاب رسول الله (ص) ، فاحفظ عني ثلاثاً: اتق الله ولا تفتش له سراً ، ولا يجربن عليك كذبة ، ولا تغتابن عنده أحداً [(٥٢٢)].

وكان عمر يدخله مع أكابر الصحابة ، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قوة الفهم وجودة الفكر ، ودقة الاستنباط ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان عمر يسألني مع أصحاب محمد (ص) ، فكان يقول لي: لا تتكلم حتى يتكلموا ، فإذا تكلمت قال: غلبتموني أن تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه [(٥٢٣)].

وكان ابن عباس لشدة أدبه ، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له ، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحثه ، ويحرضه على الحديث تنشيطاً لنفسه ، وتشجيعاً له في العلم [(٥٢٤)].

وكان لعمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم ، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمر؛ فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السُّبْحَةَ ، وفرغ ، دخل مريداً له [(٥٢٥)] ، فأرسل الى فتیان قد قرؤوا القرآن منهم ابن عباس ، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه ، فإذا كانت القائلة انصرفنا ، قال: فمروا بهذه الآية: { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ } [البقرة: ٢٠٦ . ٢٠٧] ، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان ، فسمع عمر ما قال ، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين ، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم ، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله ، فإذا لم يقبل ، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا أشترى نفسي ، فاقتتل الرجلان ، فقال عمر: لله تلادك يا بن عباس [(٥٢٦)].

وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غواص [(٥٢٧)]. بل كان عمر إذا جاءتة الأفضية المعضلة يقول لابن عباس: يا بن عباس! قد طرأت علينا أفضية عضل ، وأنت لها ، ولأمثالها ، ثم يأخذ برأيه ، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه إذا كانت العضل [(٥٢٨)].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحداً أحضر فهماً ، ولا ألبَّ لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حِلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعو للمعضلات ، ثم يقول: عندك؛ قد جاءتك معضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار [(٥٢٩)]. وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سؤولاً ، وقلباً عقولاً [(٥٣٠)]. يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم على ابن عباس أحداً [(٥٣١)].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما كثير الملازمة لعمر ، حريصاً على سؤاله والأخذ عنه ، ولذا كان رضي الله عنه من أكثر الصحابة نقلاً ورواية لتفسير عمر وعلمه . رضي الله عنه . ، وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع [(٥٣٢)].

لقد كان اهتمام عمر به مساعداً له على المضي قدماً في طريق العلم عامة والتفسير خاصة [(٥٣٣)] ، ولذلك تشرفت المدرسة المكية في عهد التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما [(٥٣٤)].

وكان ابن عباس في عهد عثمان من المقربين الى الخليفة ، وقد كلفه بالحج بالناس في العام الذي قتل فيه [(٥٣٥)].

هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويه صورة حبر الأمة ، ونسبوا إليه أباطيل وأكاذيب ألصقوها بسيرته ، علماً بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدي وتاريخ صدر الإسلام امتداد لمؤرخي الرفض والشيعنة الغلاة الذين اختلقوا الروايات والأخبار ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام ، فجاء مؤرخو الاستشراق وأحيوا

تلك الأخبار الكاذبة ، والروايات الموضوعية ، وصاغوها بأسلوب حديث ويرفعون شعار الموضوعية والبحث العلمي وكل هذا كذب وزور ، وقد تأثر به الكثير من الباحثين والأدباء والمؤرخين ولذلك تجد في كتب التاريخ والأدب المعاصر البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة في مناهج المستشرقين ، تشويهاً عجيباً للصحابة ، فمثلاً: زعمت تلك الكتب بأن عبد الله بن عباس رضي الله عنه نهب أموال المسلمين بالبصرة ، وغدر بابن عمه علي رضي الله عنه ، وهرب بالأموال المسروقة إلى مكة ، وتطلع للانضمام إلى معاوية [(٥٣٦)] بعد أن كان مع علي ، ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب الفتنة الكبرى (علي وبنوه) ، الدكتور طه حسين ، والعبارات التي وردت على لسان طه حسين في كتابه (علي وبنوه):

١ . قال: وكان لابن عباس من العلم بأمر الدين والدنيا ، ومن المكانة في بني هاشم خاصة وفي قريش عامة ، وفي نفوس المسلمين جميعاً ، ما كان خليقاً أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه [(٥٣٧)].

٢ . قال: رأى ابن عباس نجم ابن عمه في أفول ، ونجم معاوية في صعود ، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه [(٥٣٨)].

٣ . قال: ولو نسي ابن عباس ابن عمه قليلاً ، ولكنه لم ينس نفسه قليلاً ولا كثيراً ، ولم يضعها بحيث كان يجب عليه أن يضعها منذ قليل ، أن يكون والياً لعلي على مصر من أمصار المسلمين [(٥٣٩)].

وغير ذلك من الأكاذيب والترهات التي اعتمد قائلوها على الروايات الضعيفة والموضوعة. ويكفي شرفاً لابن عباس دعاء رسول الله (ص) له: «اللهم علمه التأويل ، وفقهه في الدين» [(٥٤٠)].

هذا وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته على البصرة بعد خروج علي من البصرة إلى الكوفة ، ولحق ابن عباس بعلي قبيل صفين ، واستخلف على البصرة زياد بن أبيه [(٥٤١)].

وفي أثناء ولاية ابن عباس على البصرة قام بالعديد من الأعمال؛ أهمها: ترتيب (سجستان) بعد أن قتل واليها علي يد مجموعة من الخوارج ، حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من علي مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة ٣٦ هـ [(٥٤٢)] ، كما كان لابن عباس ولأجناد البصرة دور مع علي بن أبي طالب في معركة صفين [(٥٤٣)].

كما قام ابن عباس بتنظيم شؤون بعض الأقاليم التابعة لولايته ، وعيّن عليها الأمراء من قبله ، حيث وجه إلى فارس زياد بن أبيه ، فرتبها واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعد عصيانهم [(٥٤٤)].

وفي أيامه غدر أهل اصطخر فقام بغزوهم وتأديبهم [(٥٤٥)] ، وفي سنة ٣٨ هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان رجلاً إلى البصرة ليدعو له بين أهلها ، إلا أن زياد بن أبيه نائب ابن عباس على البصرة تمكن من مقاومته ومدافعتة حتى قتل الرجل في إحدى دور البصرة [(٥٤٦)].

وكان ابن عباس يرافق علياً في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء وابن عباس في البصرة كان علي يطلعه عليها بالكتب التي كان يرسلها إليه باستمرار ، ويأخذ رأيه في كثير من القضايا عن طريق المراسلة ، كما كان ابن عباس أيضاً يكتب لعلي عن شؤون ولايته ، كما بعثه علي سنة ٣٨ هـ على الحج نيابة عنه.

وقد استمر ابن عباس في ولاية البصرة إلى استشهاد علي ، أخذاً برأي الطبري في ذلك ، وقد وجد مجموعة من المساعدين لوالي البصرة أيام علي؛ فيهم القاضي وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج وغيرهم ، كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم في بلاد فارس.

ومما سبق يتبين لنا أن علي بن أبي طالب بعد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامر ، والي عثمان على البصرة ، وعين مكانه عثمان بن حنيف ، ولكن حملة الجمل أحدثت ارتباكاً في البصرة ، وبالتالي خرجت من سيطرة عثمان بن حنيف ، فاضطر إلى مغادرتها حتى قدم

علي ، وبعد موقعة الجمل عمل علي على تنظيم أمورها [(٥٤٧)]. كما وقعت بعض الاضطرابات في البصرة من جراء حركة الخوارج ، وكذلك أثناء محاولة معاوية السيطرة عليها، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة علي طيلة عصره ، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها [(٥٤٨)].

وبرزت في البصرة قدرات ابن عباس القيادية ، وقد انتفع بصحبته لعلي رضي الله عنهما وتأثر به غاية التأثر ، وكان أمير المؤمنين علي يتعهد بالنصح والإرشاد والموعظة بين الحين والآخر ، حتى إن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله (ص) كانتفاعي بكتاب كتب به إليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فإنه كتب إليّ: أما بعد؛ فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، ويسره درك ما لم يكن ليفوته ، فليكن سرورك بما نلت من أمر اخترت ، وليكن أسفك على ما فاتك منها ، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تأسى عليه حزناً ، وليكن همك فيما بعد الموت [(٥٤٩)].

وقد كان ابن عباس من أهل القيام ، فعن ابن مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة ، فكان يصلي ركعتين ، فإذا ترك ، قام شطر الليل ، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب [(٥٥٠)].

وقد كان رضي الله عنه غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه؛ فعن أبي رجاء ، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء [(٥٥١)]. وكان رضي الله عنه يصوم الإثنين والخميس ، فعن سعيد بن أبي سعيد ، قال: كنت عند ابن عباس ، فجاء رجل ، فقال: يا بن عباس ، كيف صومك؟ قال: أصوم الإثنين والخميس ، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم [(٥٥٢)].

وكان كريماً جواداً يحفظ لأهل السبق مكانتهم ومنزلتهم ، فقد تعرض أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه لأزمة مالية وأثقلته الديون ، فنزل على ابن عباس ، ففرغ له بيته ، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله (ص) ، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفاً ، فأعطاه أربعين ألفاً ، وعشرين مملوكاً ، وكل ما في البيت [(٥٥٣)].

وكان من أبلغ الناس ، وله قدرة عجيبة على تفهيم المستمعين؛ فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس ، وهو أمير على الموسم ، فافتتح سورة النور ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا ، لو سمعته فارس ، والروم ، والترك لأسلمت [(٥٥٤)] ، وكان رضي الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس ، وأعلم الناس ، فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس ، قلت: أجمل الناس ؛ فإذا نطق ، قلت: أفصح الناس ؛ فإذا تحدث ، قلت: أعلم الناس [(٥٥٥)].

وقال القاسم بن محمد: ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلاً قط [(٥٥٦)].

وقد أصيب رضي الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال في ذلك شعراً:

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نَوْرَهُمَا ففِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نَوْرٌ

قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارُمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورٌ [(٥٥٧)]

وابن عباس رضي الله نموذج رائع للعالم الرباني والقائد المحنك والأمير العادل ، وهو أحد المؤثرين في الأحداث في عهده ، وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء. تاسعاً: ولاية الكوفة:

استشهد عثمان رضي الله عنه وواليه على الكوفة أبو موسى الأشعري ، وبعد مبايعة علي بالخلافة أقر أمير المؤمنين علي أبا موسى الأشعري على ولايته ، وقد أخذ له البيعة من أهلها ، وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته ، من حيث تقبل الكثير للبيعة [(٥٥٨)].

وعندما خرج أمير المؤمنين من المدينة للعراق كان يسأل عن أبي موسى خصوصاً ، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة ، فسأله علي عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح ، فأبو موسى صاحب ذلك ، وإن أردت القتال ، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك ، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال: قد أخبرتك الخبر [(٥٥٩)].

وقد تبين فيما بعد ميل أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين ، فقد بعث علي محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل . سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقاً إن شاء الله تعالى . ، فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف واستشاروه في الخروج . فقال: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا ، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم [(٥٦٠)] ، وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن رضي الله عنه بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن ، وقيل: إنه خرج معه قرابة تسعة آلاف رجل [(٥٦١)] ، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل ، حيث تذكر بعض الروايات: أن الأشتر (وكان أحد قواد علي) قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه [(٥٦٢)] ، كما ذكرت بعض الروايات أن علياً كتب إلى أبي موسى بعزله ، وعين مكانه (قرضة بن كعب الأنصاري) والياً على الكوفة [(٥٦٣)] .

ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة بعد موقعة الجمل ، حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة ، وبالتالي كان علي رضي الله عنه هو المسؤول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات ، وأصبح لها مكانة خاصة بقية عصره ، حيث كانت عاصمة الخلافة ، ومنها يدير أمير المؤمنين علي مختلف أنحاء الدولة ، وإليها تقدم الوفود ، ومنها تخرج الأجناد ، كما كان ذلك سبباً في جذب السكان إليها ، ولا شك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية في الكوفة طيلة خلافة علي .

وقد كان رضي الله عنه كثير الاهتمام بالكوفة ويتفقد أهلها بنفسه ، كما يحرص على تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غيابه ، فحينما أراد علي الخروج إلى صفين ولّى على الكوفة أبا مسعود البدري [(٥٦٤)] ، وحينما أراد التوجه لقتال الخوارج في

(النهران) [(٥٦٥)] ، ولّى على الكوفة (هاني بن هوذة النخعي) [(٥٦٦)] ، فلم يزل بالكوفة حتى استشهد علي [(٥٦٧)] رضي الله عنه .

ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل الولاة ، حتى إذا اتخذها علي رضي الله عنه مقراً للخلافة أصبح هو المسؤول عن ولايتها وأخذ ينيب عنه من يتولى شؤونها في غيابه ، وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة نظراً لإقامة أمير المؤمنين فيها [(٥٦٨)] .

عاشراً: ولايات الشرق:

١ - فارس: تذكر المصادر أن علي بن أبي طالب ولى على فارس سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه ، وقد استمر والياً على فارس فترة من الوقت ، ثم إن أهل فارس عصوا وأخرجوا سهل بن حنيف سنة ٣٧ هـ تقريباً ، فاتصل علي رضي الله عنه بابن عباس ، وتباحث معه في شأن فارس ، وكان ابن عباس على البصرة ، فاتفق معه بعد استشارة مجموعة من الناس على أن يبعث ابن عباس مساعده زياد بن أبي سفيان على فارس [(٥٦٩)] ، وهنا يبدو الارتباط واضحاً بين ولاية البصرة وإقليم فارس ، وإحساس ابن عباس بمسؤوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة ، إذ اتفق ابن عباس مع علي بن عباس على بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره.

وقد توجه زياد إلى فارس يصاحبه أربعة آلاف جندي ، فدوخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها ، وتمكن من ضبطها [(٥٧٠)] ، وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر [(٥٧١)] ، يقول الطبري: لما قدم زياد فارس؛ بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناه ، وخوف قوماً وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض ، ودلّ بعضهم على عورة بعض ، وهربت طائفة وأقامت طائفة ، فقتل بعضهم بعضاً ، وصفت له

فارس فلم يلق فيها حمياً ولا حرباً ، وفعل مثل ذلك بكرمان [(٥٧٢)] ، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم ، فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد [(٥٧٣)] .

وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس ، وبني فيها بعض الحصون ، وقام بترتيب شؤون الخراج فيها ، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد واستقامت [(٥٧٤)] ، وقد استمر زياد والياً على فارس بقية خلافة علي رضي الله عنه.

وكان زياد أشهر ولاية علي بن فارس نظراً لسياسته وتمكنه من ضبطها [(٥٧٥)] ، وقد وجدت بعض التقسيمات الإدارية داخل إقليم فارس ، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم ، فقد ذكرت اصطخر وذكر أنه كان من ولائها المنذر بن الجارود [(٥٧٦)] ، وجرت بينه وبين علي بن بعض المكاتبات [(٥٧٧)] ، كما أن زياد بن أبي سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل علي رضي الله عنه [(٥٧٨)] ، كما ذكرت من بلدان فارس أصبهان التي تعد من أكبر كورها [(٥٧٩)] ، وقد ذكر من ولائها لعلي محمد بن سليم [(٥٨٠)] ، كما كان من أشهر ولاية أصبهان لعلي (عمر بن سلمة) ، وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [(٥٨١)] .

وقد ضربت الدراهم زمن علي في هذه المناطق الفارسية سنة ٣٩ هـ ، ولا يزال بعض منها محفوظاً في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية ، إضافة إلى تاريخ ضربها [(٥٨٢)].

٢ . خراسان: تعتبر خراسان ولاية واسعة ، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي خلافة علي رضي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة ، كما ورد بعض ولائها ، وبعض الأمراء على كورها وبلدائها. فقد ورد أن أول ولاية علي على خراسان عبد الرحمن بن أبزي [(٥٨٣)] ، كما كان من ولاية علي إلى خراسان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب [(٥٨٤)] ، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى خراسان ، بعد عودته من صفين سنة ٣٧ هـ ، وكان أهل خراسان قد ارتدوا ، فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى [(٥٨٥)] ، إلا أنه على ما يبدو لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسان ، حتى تمكن من مصالحة أهلها ، وضبط أمورها مرة أخرى [(٥٨٦)] ، كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان ، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حدٍ ما بوالي البصرة ، وفي الغالب فإن هناك ارتباطاً إدارياً بين الإقليمين.

وقد ورد ذكر بعض ولاية سجستان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن جزء الطائي [(٥٨٧)] ، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل ، فقام ثوار من صعاليك العرب بقتله ، وعاثوا فساداً في البلد ، فكتب علي إلى ابن عباس في البصرة أن يوجه أميراً آخر إلى سجستان؛ فوجه ربيعي بن كأس العنبري ، فاستطاع القضاء على ثورة الصعاليك ، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد ، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه [(٥٨٨)]. وكانت همدان: أحد الثغور الشرقية ، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود والٍ مستقل فيها ، وتوفي عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي ، وبعد مبايعة علي بالخلافة ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همدان يأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من قبله من الناس والقدوم إليه [(٥٨٩)] ، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إني بعثت إليك بفلان ، فاسأله عن ما بدا لك ، وقرأ كتابي هذا على المسلمين [(٥٩٠)] ، وقد قدم

جرير إلى علي في الكوفة فبعثه إلى معاوية في الشام ، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد علي ، ومنهم الأشتر وغيره فلحق جرير بمعاوية في الشام ، وترك ولايته وكان ذلك قبيل موقعة صفين [(٥٩١)].

٣ . أذربيجان: كان الأشعث بن قيس عاملاً على أذربيجان حينما توفي عثمان بن عفان ، فلما بويع علي بن أبي طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع له ، وأن يأخذ له البيعة على ما قبله [(٥٩٢)]. ويبدو أن علياً رضي الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلاحق بعلي في الكوفة ، ثم شهد معه المشاهد حيث اشترك معه في صفين [(٥٩٣)] ، وفي قتال الخوارج ، ويبدو أن علياً رضي الله عنه ولَّى علي أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد بن سارية الخزاعي ، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى علي أذربيجان ، ويظهر أن علياً ضم إليه ولاية أرمينية ، كما صرح بذلك البلاذري [(٥٩٤)] ، وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولاية أذربيجان لعلي ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء أردبيل [(٥٩٥)] ، وتمصيرها ، وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها [(٥٩٦)].

وقد وردت بعض الأسماء لولاية علي في بعض بلدان المشرق الأخرى ، من ذلك أسماء بعض الولاة في الأهواز ، ومنهم: الخريت بن راشد ، وقد كان والياً على بعض بلاد الأهواز قبل صفين ، فلما رجع علي من صفين أخذ الخريت بجمع الجنود ، ويدعو إلى خلع علي ، واستولى على بعض الأماكن ، فبلغ ذلك علياً ، فوجه إليه جيشاً تمكن من القضاء على حركته وقتله [(٥٩٧)] ، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله تعالى.

ومن الأمراء لعلي في الأهواز مصقلة بن هبيرة الشيباني [(٥٩٨)] ، وقد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم ، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم ، ثم فر إلى معاوية في الشام [(٥٩٩)]. وقد أورد خليفة بن خياط والياً لعلي على بلاد السند ، وذكر أنه جمع جمعاً أيام علي وتوجه إلى السند ، بعد أن اجتمع إليه الناس ، ولكنه فشل في إحدى المعارك ومن معه ، ولم يبق من جيشه إلا عصابة [(٦٠٠)] يسيرة.

كما ذكر من ولاية علي (يزيد بن حجية التميمي) وقد استعمله علي على الري بعد صفين ، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأن أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة ، ثم فر إلى معاوية في الشام [(٦٠١)]. وأما المدائن فقد كان عليها سعد بن مسعود الثقفي ، وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج ، ودارت بينه وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شأنهم ، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن [(٦٠٢)] ، وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه - المختار بن أبي عبيد الثقفي - [(٦٠٣)] على المدائن في حالة غيابه ، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفاً غير شرعي في أموال

الخراج [(٦٠٤)] ، ويعتبر سعد من قواد علي المشهورين ، ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتراكه مع علي في الكثير من المواقع.

وقد أورد المؤرخ أبو حنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة [(٦٠٥)].

وهكذا رأينا فيما سبق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهداً كبيراً في تنظيم الولايات ، وأنه عانى من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولاية ، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر ، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداءً على بعض الولايات كالشام وفلسطين وما جاورها ، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت

حكمه كالعراق وفارس فقد عانى فيها من المشكلات الكثيرة؛ وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق خصوصاً في السنوات الأخيرة من حكم علي ، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تاماً ، كما أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التي قتل فيها بعض ولاة علي ، ومن أبرز المشكلات التي واجهها علي ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة ، وبالتالي تحلّى عن ولاياتهم ، كجرير بن عبد الله في همدان ، ومفضلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهم ، وهكذا يتضح أن علياً رضي الله عنه قضى مدة خلافته في جهاد داخلي مع جبهات داخلية منعتة في كثير من الأحيان من تنظيم شؤون تلك البلاد كما أراد ، وواجهته العديد من العقبات التي بددت طاقته ، واستنفدت جهوده رضي الله عنه ، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء ، وكان هذا على حساب رصدتهم للشؤون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات [(٦٠٦)].

المبحث الثاني

تعيين الولاية في عهد علي رضي الله عنه

بويح علي بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان ، وبالتالي: فإن علياً رضي الله عنه بويح في ظروف صعبة؛ بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها ، وقد ظهر هذا الاضطراب واضحاً في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة ، وأحسّ المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع ، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي فيما يمكن أن يفعله من البداية ، وخصوصاً فيما يتعلق بالولاية على البلدان [(٦٠٧)].

أولاً: موقف علي من ولاية عثمان وتعيينه لأقاربه:

١ - موقف علي من ولاية عثمان:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك إدراكاً كاملاً ، أن من الأسباب الرئيسية للفتنة: عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاية عثمان رضي الله عنه ، وذلك بسبب ما أشاعه رؤوس الفتنة ضد عثمان وولايته ، وليس لعجزهم أو ظلمهم ، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرين في حديثهم عن سياسة علي في تولية الولاية ، يستفتحون بقولهم: إن علياً لم يكن ليرضى أن يبقى عمال عثمان على ولايتهم ساعة واحدة بعد توليه الخلافة ، يمنعه من ذلك دينه وأمانته [(٦٠٨)]! وما أفضح هذا الاتهام الموجه ضد عثمان رضي الله عنه وضد عماله ، وقد نسفته في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان) ، وتحدثت عن حقيقة ولاية عثمان في مبحث كامل [(٦٠٩)] ، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاية عثمان على روايات واهية ومشهورة؛ وهي:

(أ) الرواية الأولى: من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني على الحج ، ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي ، فأتيته في داره ، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخلياً به ، فحبسني حتى خرج من عنده ، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر ، وإلى معاوية ، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرّهم على أعمالهم ، يبائعون لك الناس ، فإنهم يهدئون البلاد ويسكنون الناس ، فأبيت ذلك عليه يومئذ ، وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يوّلي.

قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطأى ، ثم عاد إليّ الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت عليك وخالفني فيه ، ثم رأيت بعد ذلك رأياً ، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت؛ فتنزعهم وتستعين بمن تثق به ، فقد كفى الله ، وهم أهون شوكة مما كان.

قال ابن عباس: فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك ، وأما المرة الأخيرة فقد غشك ، قال لي علي: ولو نصحتني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا ، فمتى تثبتهم لا يباليون بمن ولي الأمر ، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هذا الأمر بغير شوري ، وهو قتل صاحبنا ، ويؤيّبون عليك ، فينتقض عليك أهل الشام وأهل العراق ، مع أني لا امن طلحة والزبير أن يكررا عليك.

فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم؛ فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحهما ، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان؛ فوالله لا أولي منهم أحداً أبداً ، فإن أقبلوا فذلك خير لهم ، وإن أدبروا بذلت لهم السيف.

قال ابن عباس: أطعني وادخل دارك والحق بمالك بينع ، وأغلق بابك عليك ، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك ، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غداً. فأبى علي ، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها ، فقال ابن عباس: ما هذا برأي ، معاوية من بني أمية ، وهو ابن عم عثمان رضي الله عنه وعامله على الشام ، ولست امن أن يضرب عنقي لعثمان ، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي ، فقال له علي: ولم؟ قال: لقراءة ما بيني وبينك ، وإن كان ما حمل عليك حمل علي ، ولكن اكتب إلى معاوية فمَنِّه وعِدّه ، فأبى علي وقال: والله لا كان هذا أبداً! [(٦١٠)].

(ب) الرواية الثانية: وهي مثل الرواية الأولى في المعنى ، وفيها زيادة واختلاف يثير الشك في صحتها ، وهو: أن ابن عباس قدم مكة بعد مقتل عثمان . رضي الله عنه . ، فلقي في طريقه الزبير وطلحة ومعهما

فئة من قريش بالنواصف [(٦١١)] ، يريد مكة. وهذا يخالف الحقيقة ، إذ إن علياً ببيع بعد أن وصل ابن عباس من الحج ، وإن الزبير وطلحة قد بايعا علياً ، فإذا خرجا في هذا الوقت يكونان قد خرجا قبل البيعة ، وهذا خطأ واضح جلي [(٦١٢)].

ج . الرواية الثالثة: رواية أبي مخنف ، رواها بدون إسناد ، بأن المغيرة بن شعبة أشار على علي أن يثبت معاوية على الشام ، وأن يولي طلحة والزبير ، البصرة والكوفة ، فاعترض ابن عباس على رأيه؛ لأن البصرة والكوفة عين المال ومصدره ، فإذا ولاهما ضيقا على علي ، وأن ولاية معاوية الشام لا تنفعه وقد تضره ، فاستمع علي إلى رأي ابن عباس ، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة [(٦١٣)].

د . الرواية الرابعة: وردت رواية الواقدي الأولى بشيء من الاختصار عن ابن عبد البر [(٦١٤)] ، ولكن بدل ابن عباس: الحسن [(٦١٥)].

إن هذه الروايات يأتي خطرهما من حيث إنها الأساس الذي بنيت عليه أهم الدراسات المعاصرة ، وخرجت منها بنتائج خطيرة تطعن في أكابر الصحابة أهل الشورى؛ في دينهم ، وفي عدلهم وأمانتهم ، وتصورهم أفراداً ماديين همهم الثروة والسلطان ولو على حساب دماء المسلمين ، وما الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان ، وما حرب الجمل؛ إلا بسبب هذه الأطماع الشخصية [(٦١٦)].

ويظهر الاضطراب والنكارة في متن هذه الروايات في جل فقراتها ، فقوله: إن ابن عباس قدم المدينة بعد بيعة علي؛ يخالف الروايات الموثوقة في أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافة ، وقد تقدم.

وقوله: أشار المغيرة على علي بأن يرسل إلى عبد الله بن عامر ، وإلى معاوية ، وإلى عمال عثمان بعهدهم يقرهم على أعمالهم.. يخالف روايات أوثق منها تفيد أن معظم هؤلاء الولاة قد تركوا ولاياتهم ، واتخذوا سبيلهم إلى مكة ، فكيف يرسل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟! قوله: إن علياً قال في هؤلاء الولاة: والله لو كانت ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأبي ولا وليت هؤلاء ، ولا أمثالهم يولي؛ يخالفه أن هؤلاء الولاة مؤهلون للإمارة والقيادة ، فقد توسعت على أيديهم الدولة الإسلامية ؛ فعبد الله بن عامر وصلت فتوح البصرة في ولايته إلى كابل عاصمة أفغانستان ، أما معاوية فلولا أنه لم يكن مؤهلاً ما ولي عشرين عاماً..

وقد بينت أن عدم رضا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بسبب ما أشاعه أهل الفتنة عنهم ، وليس لعجزهم ، والواقع التاريخي يثبت ذلك. وتصور الرواية الواهية المغيرة بن شعبة بالمداينة والغش ، وعدم المبالاة بمصلحة المسلمين ، وفي هذا الوقت العصيب بالذات ، وهذا لا يوافق أخلاقه وسيرته قبل

الفتنة وبعدها ، كما تصور . عن حسن نية . علياً رضي الله عنه بالجاهل في هذه الأمور السياسية ، وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور [(٦١٧)].

وأما رواية أبي مخنف ، فإن ابن عباس يشير على علي بعزل معاوية ، وأن ولايته لا تنفعه «سياسياً» ، بخلاف روايات الواقدي وفيها: أن الصحابييين الجليلين طلحة والزبير إذا ولاهما على مصري العراق ، فسيستأثران بموارده المالية ، ولن يراها [(٦١٨)] الخليفة! إن الروايات السابقة واهية من حيث السند ، وهذا كافي في إسقاطها ، ثم هي مضطربة ومنكرة من حيث المتن ، وهي روايات افتراضية: إذا حدث كذا فسيحدث كذا ، فهي لا تنقل الخبر التاريخي على حقيقته ، ولأهواء وتدخل الراوي بشخصه وميوله الرافضية أثر في ذلك [(٦١٩)].

وما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من تعيين ولاية جدد؛ أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة ، وليجدد بهم عهد الفتوحات ، ويفسح المجال أمام العبقريات الجديدة أن تنطلق وتخدم دين الله تعالى [(٦٢٠)].

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية ، ومعرفة بالنفوس والأوضاع القائمة ، وأنه أقال الولاية ليختار سواهم حسب ما يراه ملائماً لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه ، وقد عزل عمر بعض ولاية أبي بكر ، كما عزل عثمان بعض ولاية عمر ، وبالتالي من حق علي أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره [(٦٢١)].

وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرين في قضية عزل علي لولاية عثمان؛ فاشتتت أقلامهم في تفسير هذا الموقف ، فمنهم من حمله على صلابة علي في الحق وضرورة التغيير ، ومنهم من حمله على ضعف خبرة علي السياسية ، وأن الأولى سياسياً إبقاء الولاية وخاصة معاوية حتى تستقر الأوضاع وتؤخذ البيعة لعلي في الأمصار ، وهذه التفسيرات مدارها على روايات واهية وأخبار ضعيفة ؛ تدور حول إبداء المغيرة بن شعبة رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية [(٦٢٢)] ، كما أن علياً رضي الله عنه . إمام مجتهد؛ له أن يعزل جميع عمال عثمان إذا رأى المصلحة في ذلك.

وقد ولى رسول الله (ص) وهو المعصوم خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء ، وعمرو ابن العاص على عمان [(٦٢٣)] ، فعزلهما الخليفة من بعده الصديق رضي الله عنه: عزل خالد وولى مكانه المهاجر بن أبي أمية وله صحبة ، وعزل عمرو وولى مكانه حذيفة بن محسن وله صحبة [(٦٢٤)] . ، وقد ولى أبو بكر . رضي الله عنه . القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة . رضي الله عنهما . ،

فعرزهما عمر . رضي الله عنه . مع كفاءتهما [(٦٢٥)]. وولى الفاروق . رضي الله عنه . على مصر عمرو بن العاص [(٦٢٦)] ، رضي الله عنه ، وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه [(٦٢٧)] ، فعرزهما ذو النورين ، وولى على مصر ابن أبي سرح [(٦٢٨)] ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص [(٦٢٩)]. فهل ينتقد عاقل الصديق والفاروق وذا النورين في عزلم هؤلاء العمال الأكفاء؟! إن لكل وقت أحوالاً وظروفاً تطراً ، فيحمل اللاحق على ما لا يراه السابق من الاجتهاد ، ويرى الشاهد ما لا يراه [(٦٣٠)] الغائب .

وأما قول بعض الكتاب المعاصرين بأن أمير المؤمنين علي عزل جميع عمال عثمان؛ فإن العزل لم يتحقق إلا في معاوية بن أبي سفيان في الشام [(٦٣١)] ، وخالد بن أبي العاص بن هشام في مكة [(٦٣٢)]. وأما البصرة فخرج منها عبد الله بن عامر ولم يول عثمان عليها أحداً [(٦٣٣)] ، وفي اليمن أخذ أميرها يعلي بن منية . رضي الله عنه . مال جباية اليمن ، وقدم مكة بعد مقتل عثمان ، وانضم إلى طلحة والزبير وحضر معهم موقعة الجمل ، ووفد ابن أبي سرح عامل مصر واستتاب ابن عمه عليها ، فلما رجع إليها وجد ابن أبي حذيفة تغلب عليها فطرده عنها ، فذهب إلى الرملة بفلسطين ومكث بها حتى مات [(٦٣٤)].

وهكذا فإن أمير اليمن والبصرة عزلا أنفسهما ، وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبي حذيفة ، وأمير الكوفة أقره علي . رضي الله عنه . في منصبه ، فلم يرد العزل حقيقة إلا في حق معاوية والي الشام ، وخالد بن أبي العاص والي مكة .

كما أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولى أخيار الناس على المسلمين ، فمن الولاة الذين ولاهم على الأقاليم: سهل بن حنيف على الشام؛ وهو صحابي جليل شهد بدرًا وأحداً ، وثبت مع النبي (ص) يوم أحد حين انكشف الناس وبايعه على الموت ، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله (ص) ، وشهد أيضاً الخندق والمشاهد كلها مع

رسول الله (ص) [(٦٣٥)]. وولى عثمان بن حنيف على البصرة ، وهو صحابي من الأنصار كان عاملاً لعمر على العراق [(٦٣٦)]. كما ولى قيس بن سعد بن عبادة على مصر [(٦٣٧)] ، وكان صاحب شرطة النبي (ص) ، وكان جواداً من ذوي الرأي والذكاء [(٦٣٨)]. وولى عبيد الله بن العباس بن عبد

المطلب على اليمن، له صحبة [(٦٣٩)] ، وهو أصغر من أخيه بسنة ، وكان كريماً ممدوحاً نبيلاً [(٦٤٠)] .

وأما قول بعض الكتاب: إنه عزل العمال قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار ؛ فإن تولية الإمام العمال على الأمصار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين ، فمتى بايع أهل الحل والعقد أي خليفة لزمته بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته شرعاً وعقلاً ، ولو كانت تولية الخليفة العمال على الأمصار متوقفة على وصول بيعة أهلها له ما تمت بيعة الصديق رضي الله عنه؛ لأنه تصرف بإرسال بعث أسامة ، ومحاربة المرتدين ومانعي الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجواثي في البحرين. وكذلك الفاروق رضي الله عنه؛ فإنه استهلّ خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبي عبيدة بن الجراح قائداً عاماً على جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعراق إليه ، وتصرف ذو النورين رضي الله عنه في أمور المسلمين أيضاً قبل بيعة الأمصار إليه [(٦٤١)] .

٢ - تعيين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعض أقاربه على الولايات:

تحدث الكتاب المعاصرون عن قضية تولية الأقارب على الولايات في خلافتي عثمان وعلي ، حيث إن عثمان عين عدداً من الولاة ، وقد تم تبين ذلك ، وكانوا خمسة من بني أمية من ثمانية عشر والياً ، وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة؛ وهم: معاوية ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح ، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط ، عزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ، ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها

عمر سعد بن أبي وقاص ، الكوفة التي لم ترض بوالٍ أبداً ، إذأ عزل عثمان رضي الله عنه لأولئك الولاة لا يعتبر مطعناً فيهم ، بل مطعن في المدينة التي وُلِّوا عليها [(٦٤٢)] .

ثم إن الولاة الذين ولّاهم عثمان رضي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاية والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم ، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان ، وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان ، ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك في عهد الصديق والفاروق رضي الله عنهما [(٦٤٣)] ، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالسير على منهج عثمان في تولية أصحاب الكفاية والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات ، وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب ، وهم على التوالي: عبد الله بن عباس ، وعبيد الله بن عباس ، وقتم وتما ابن العباس ، ومحمد بن أبي بكر ربيبه .

والتحقيق يثبت أن كلاً من علي وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته ، وغيرهم ، ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة ، وكانت الظروف التي تسود الولايات تقتضي اختياراً دقيقاً للولاة من حيث القوة والأمانة ، فلا تزال الفتوحات في الأقاليم الشرقية غير مستقرة ، فضلاً عن مشكلات الخوارج في خلافة علي [(٦٤٤)].

ولو تأملنا في أنساب ولاة علي لوجدنا أحد عشر والياً؛ منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين والياً ، وسبعة منهم من قريش بينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب ، وهذه قائمة بأسماء الولاة في خلافة علي [(٦٤٥)].

- ١ - سهل بن حنيف الأنصاري (المدينة).
- ٢ - تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة).
- ٣ - أبو أيوب الأنصاري (المدينة).
- ٤ - أبو قتادة الأنصاري (المدينة).
- ٥ - قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف).
- ٦ - عمر بن أبي سلمة (البحرين).
- ٧ - قدامة بن العجلان الأنصاري (البحرين).
- ٨ - النعمان بن العجلان الأنصاري (البحرين).
- ٩ - عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين).
- ١٠ - سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري (الجند).
- ١١ - مالك بن الأشتر (الجزيرة ثم مصر).
- ١٢ - شبيب بن عامر (الجزيرة).
- ١٣ - كميل بن زياد النخعي (الجزيرة).
- ١٤ - محمد بن أبي حذيفة بن عتبة (مصر).
- ١٥ - قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (مصر).
- ١٦ - محمد بن أبي بكر الصديق (مصر).
- ١٧ - عثمان بن حنيف الأنصاري (البصرة).
- ١٨ - عبد الله بن عباس (البصرة).

- ١٩ . أبو الأسود الدؤلي (البصرة).
- ٢٠ . هاني بن هوذة النخعي (الكوفة).
- ٢١ . أبو موسى الأشعري (الكوفة).
- ٢٢ . أبو مسعود البدري (الكوفة).
- ٢٣ . قرظة بن كعب الأنصاري (الكوفة).
- ٢٤ . سهل بن حنيف الأنصاري (فارس).
- ٢٥ . زياد بن أبي سفيان (فارس).
- ٢٦ . المنذر بن الجارود (اصطخر).
- ٢٧ . عمر بن سلمة (أصبهان).
- ٢٨ . محمد بن سليم (أصبهان).
- ٢٩ . خليلد بن قرّة التميمي (خراسان).
- ٣٠ . عبد الرحمن بن أبزي (خراسان).
- ٣١ . جعدة بن هبيرة بن أبي وهب (خراسان).
- ٣٢ . عبد الرحمن بن جزء الطائي (سجستان).
- ٣٣ . ربعي بن كأس العنبري (سجستان).
- ٣٤ . جرير بن عبد الله البجلي (همدان).
- ٣٥ . الأشعث بن قيس الكندي (أذربيجان).
- ٣٦ . سعيد بن سارية الخزاعي (أذربيجان).
- ٣٧ . الخريت بن راشد الناجي (الأهواز).
- ٣٨ . مصقلة بن هبيرة الشيباني (الأهواز).
- ٣٩ . يزيد بن حجية التميمي (الري).
- ٤٠ . سعد بن مسعود الثقفي (المدائن).
- ٤١ . الحارث بن مرة العبدي (السند) [(٦٤٦)].

إن عثمان وعلي رضي الله عنهما خلفاء راشدون يقتدى بهما ، وأفعالهما تشكّل سوابق دستورية في هذه الأمة ، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج من تقريب الأقرين ، فإن عثمان وعلي سنا لمن بعدهم تقريب الأقرين إذا كانوا أهل كفاءة [(٦٤٧)].

ثانياً: مراقبة أمير المؤمنين علي لعماله وبعض توجيهاته:

دأب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياتهم والسؤال عنهم ، وقد اتبع لذلك عدة أساليب؛ منها: أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس ، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بشفقة أمورهم ، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد فاستخلف علي عمك ، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم [(٦٤٨)].

كما كان علي رضي الله عنه يعتمد على تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه على هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم [(٦٤٩)] ، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفي الوالي أو آخرين مجهولين ، وقد يكونون مقيمين في الولاية أو متنقلين من ولاية إلى أخرى ، ويدل على وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه علي رضي الله عنه إلى هؤلاء الولاة ، ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هو السبب في ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل ، كندخل الأشر بين علي وجري بن عبد الله البجلي ، وتدخل بعض الناس بين علي ومصقلة بن هبيرة [(٦٥٠)].

وقد فتح علي رضي الله عنه الباب على مصراعيه لأي شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته ، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكاية قال: اللهم إني لم امرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك [(٦٥١)] ، وقد قام رضي الله عنه بجبس أحد الولاة وتأديبه وضربه بالدرّة حينما بلغته شكاية عنه [(٦٥٢)] ، وثبتت التهمة عليه.

وقد كان أمير المؤمنين علي دائم النصح لولاته ، وقد نصح علي رضي الله عنه مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد ، حين ولاه على مصر؛ حيث أوصاه: تأتيتها ومعك جند ، فإن ذلك أربع لعدوك ، وأعز لوليك ، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن ، واشتد على المريب ، وارفق بالعامّة والخاصة؛ فإن الرفق يمن [(٦٥٣)].

ومن نصائحه إلى قيس بن سعد في إحدى رسالاته: أما بعد فأقبل علي خراجك بالحق ، وأحسن إلى جندك بالإنصاف ، وعلم من قبلك مما علمك الله [(٦٥٤)].

وقد كانت بعض العهود المرسله للبلدان في تعيين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات ، ومن ذلك عهد علي إلى محمد بن أبي بكر في ولاية مصر الذي قرأه على الناس ، فقد كان يحتوي على جملة من النصائح للعامه وللوالي نفسه [(٦٥٥)].

وكانت تجري بين علي وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية أو الشفهية أو بالاتصال المباشر ، وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين علي ، أو للاشتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم ، ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصل بولاته في الحج بعد مبايعته ، كما كان يفعل الخلفاء السابقون ، وإنما كان ينب عن ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم.

وكان ولاة المشرق أكثر ولاة علي اتصالاً به ، نظراً لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها ، وكان علي كثيراً ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل ، وقد كان بعضها مكتوباً ، وبعضها مشافهة ، فقد جاء في أحد كتب أمير المؤمنين إلى عماله: فإنكم خزان الرعية ، ووكلاء الأمة ، وسفراء الأئمة ، ولا تجشموا أحداً عن حاجته ، ولا تحبسوه عن طلبته ، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء ، ولا صيف ، ولا دابة يعملون عليها ، وعبداء ، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ، ولا تمس مال أحد من الناس مصلٍ ولا معاهد [(٦٥٦)].

وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى علي من أحد عماله ، فكتب إلى ذلك العامل: أما بعد ، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة ، واحتقاراً وجفوة ، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يُدَنُوا لشركهم ، ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم ، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرأفة ، وامزج لهم بين التقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله [(٦٥٧)].

ثالثاً: الصلاحيات الممنوحة للولاة في عهد علي رضي الله عنه:

امتنع أمير المؤمنين علي عن تسليم جميع السلطات بيد شخص واحد ، فكان مبدؤه توزيع السلطات وتحديد الصلاحيات ، فقد نصب ابن عباس والياً على البصرة ، ونصب زياد على الخراج وبيت المال ، ولم يكتف بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع [(٦٥٨)] ، وهذا قمة الضبط الإداري؛ فزياد يطيع ابن عباس في إطار ولايته على البصرة ، وابن عباس

يطيع زياد في إطار عمله في بيت المال والخراج ، أما لشؤون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلي [(٦٥٩)].

ومن خلال عهد أمير المؤمنين علي الذي كتبه لمالك بن الأشتر يمكن أن نلاحظ الصلاحيات الممنوحة للولادة ونحاول أن نجعل الصورة أكثر وضوحاً مع التفصيل:

١ - تعيين الوزراء:

يقول أمير المؤمنين في عهده لمالك بن الأشتر: إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ، ومن شركهم في الآثام؛ فلا يكون لك بطانة [(٦٦٠)] ، فإنهم أعوان الأئمة ، وإخوان الظلمة ، وأنت واجد منهم خير الخلف [(٦٦١)] ، ممن له مثل آرائهم ونفادهم ، ويبين عليه مثل اصارهم وأوزارهم [(٦٦٢)] ، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ، ولا اثماً على إثمه ، أولئك أخف عليك مؤونة ، وأحسن لك معونة ، وأحنى عليك عطفاً ، وأقل لغيرك إلفاً [(٦٦٣)] .

ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين علي بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية:

أ - تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي .

ب - الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها .

ج - طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير .

د - وظيفة الوزير .

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين علي ، بل اكتفى بلفظ الجمع ، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالي إلى معاونين؛ لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالي في وظائفه ، وهناك شروط حددها أمير المؤمنين علي: أن لا يكون وزيراً سابقاً للولادة الأشرار . وينتخب الوالي من مجموع وزرائه وزيراً واحداً يكون نائبه ومساعدته في تمشية الأمور ، ويجب أن يختاره من بين وزرائه على أساس [(٦٦٤)] قول أمير المؤمنين: ثم ليكن

أثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك [(٦٦٥)] ، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً ذلك من هواك حيث وقع [(٦٦٦)] ، وأما وظائفهم فهي تدخل في دائرة (المساعدة) ، وأما تحديد تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالي الذي يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم ، ويكون ارتباط الوزراء بالوالي بصورة مباشرة [(٦٦٧)] .

٢ - تشكيل مجالس الشورى:

وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء؛ وهم أهل الحل والعقد ، وأهل الخبرة ، فقد ورد في حقهم هذا النص: وأكثر مدارس العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك ، وإقامة ما استقام به الناس قبلك [(٦٦٨)].

وفي هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء في مجالس استشارية منتظمة ويمكن أن يجري تعيينهم من قبل الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس ، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين عن طبيعة تشكيل هذه المجالس ، بل اكتفى أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه ، وأكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء ، أما كيف تم جمعهم؟ هل اجتمعوا بأمر من الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس؟ فهذا أمر لم يبت فيه أمير المؤمنين علي ، بل تركه متعلقاً حسب الظروف التي تتحكم في طريقة تعيينهم؛ إما باختيار الوالي أو انتخاب الناس.

وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدراسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:
أ. تثبيت ما صلح عليه البلاد.

ب. إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالي.

وهذا يعني وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد ، سواء كان ذلك في مصرف بيت المال ، أو تعيين الإداريين ، أو تقديم الخدمات للأصناف من تجار وصناع ومزارعين ، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدول التي يقوم نظامها على اللامركزية [(٦٦٩)].

وفي نص آخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين: ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة ، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف [(٦٧٠)].

وذكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم وأمورهم؛ فقال: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ، ولا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به [(٦٧١)] ، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم [(٦٧٢)] ، وإن قل فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ، ولا تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمه ، فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به ، وللجسيم موضعاً لا يستغنون عنه [(٦٧٣)].

٣. إنشاء الجيش وتجهيزه:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمالك بن الأشتر النخعي: وليكن اثر رؤوس جنك عندك [(٦٧٤)] من واساهم في معونته ، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم ، حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو ، فإن عطفك عليهم [(٦٧٥)] ، يعطف قلوبهم عليك [(٦٧٦)].

والذي يظهر من هذا النص:

أ. لا بد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية.

ب. تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسؤولية الوالي ، ويجري الإنفاق عليها من بيت مال الولاية.

ج. تعيين رؤساء الجند من مسؤولية الوالي، وهناك شروط على الوالي العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند ، فلا بد من رعايتهم والاهتمام بهم حتى يكون همهم همماً واحداً في جهاد العدو [(٦٧٧)] ، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك [(٦٧٨)].

٤. ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم:

يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواليه مالك بن الأشتر: ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضا؛ فإن في الصلح دعة لجنودك [(٦٧٩)]، وراحة من همومك ، وأمناً لبلادك ، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل [(٦٨٠)] ، فخذ بالحزم ، واتهم في ذلك حسن الظن ، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة ، أو ألبسته منك ذمة [(٦٨١)] ، فحط عهدك بالوفاء ، وارغ ذمتك بالأمانة ، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت [(٦٨٢)] ، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود [(٦٨٣)] ، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر [(٦٨٤)] ، فلا تغدرن بدمتك ، ولا تخيسن بعهدك [(٦٨٥)] ، ولا تحتلن عدوك ، فإنه لا يجترأى على الله إلا جاهل شقي ، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بين العباد برحمته [(٦٨٦)] ، وحرماً يسكنون إلى منعه ويستفيضون إلى جواره [(٦٨٧)] ، فلا إدغال ولا مدالسة [(٦٨٨)] ، ولا خداع فيه ، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل [(٦٨٩)] ، ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله

إلى طلب انفساخه بغير الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته؛ خير من غدر تخاف تبعته ، وأن تحيط بك من الله فيه طلبه [(٦٩٠)] ، فلا تستقبل فيها دنياك ولا اخترتك [(٦٩١)] .

واستناداً لهذا النص يقوم الوالي بـ:

- ١ . عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.
- ٢ . أخذ الاستعداد للحرب ، وأخذ الحيطة عند الضرورة ، وبين هذين الأمرين تجري مفردات كثيرة من تبادل الرسائل ، وتبادل الوفود ، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات [(٦٩٢)] .
- ٣ . الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب على كل مسلم أن يلتزم بها [(٦٩٣)] ، كما أن الوفاء بالعهد والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين علي مجرد نظرية مكتوبة على الورق ، ولكنه كان سلوكاً عملياً في حياته بالوفاء بالعهد ، وحذر من نقض الإيمان بعد توكيدها في كثير من الايات القرانية؛ قال تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * } [النحل: ٩١] ، وقال جل وعلا: { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * } [الإسراء: ٣٤] .
- ٥ . الحفاظ على الأمن الداخلي:

وذلك بانتهاج السياسات السلمية ، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: أما بعد ، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة ، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرفقة ، وامزج لهم بين التقريب والإدناء ، والإبعاد والإقصاء [(٦٩٤)] .

وتأتي هذه السياسية للحفاظ على الأمن الداخلي ، فإذا حدث ما يعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكل بطرق سلمية ، بعيدة عن استخدام القوة ، رافضاً سياسة الاستقواء على الشعب [(٦٩٥)] . وفي رسالته إلى مالك بن الأشتر: فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله [(٦٩٦)] .

٦ . تشكيل الجهاز القضائي في الولاية:

يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تفيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم [(٦٩٧)] ، ولا يتمادى في الزلة ، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه [(٦٩٨)] ، ولا تشرف نفسه على طمع [(٦٩٩)] ، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه [(٧٠٠)]

، وأوقفهم في الشبهات [(٧٠١)] ، واخذهم بالحجج ، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم ، وأصبرهم على
تكشف الأمور ، وأصرمهم عند انفتاح الحكم ممن لا يزدهيه إطرأء [(٧٠٢)] ، ولا يستميله إغراء..
وافسح له في البذل ما يزيل علته ، وتقلّ معه حاجته إلى الناس ، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك
، فانظر في ذلك نظراً [(٧٠٣)] بليغاً.

من هذا النص يظهر لنا:

أ. من مسؤولية الوالي تعيين القضاة.

ب. على الوالي الالتزام بشروط صارمة في اختيار القاضي.

ج. على الوالي رعاية القضاة رعاية كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الآخرين [(٧٠٤)].

٧. النفقات المالية:

المصدر لتمويل النفقات في الولاية: أموال الزكاة ، والصدقات ، والغنائم ، والفيء ، والخراج ، والعشور
، وتوضع في بيت المال؛ وهو المحل الذي يجتمع فيه مال
المسلمين ، وهناك عامل في بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال وكل ما يخرج من بيت المال ،
ولبيت المال وظيفة مهمة في الإدارة اللامركزية ، فما يجتمع من الأموال يتم أولاً إنفاقه على شؤون الولاية
من موظفين وعمال وقضاة ، ومحتاجين ، وإعمار... إلخ ، وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة.
ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرايين الأجهزة العاملة [(٧٠٥)] ، قال أمير المؤمنين
علي: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله؛ فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال
والجماعة [(٧٠٦)].

وجزاء من هذه الأموال مصدره الخراج . كما ذكرنا . وهو ما وضع لأخذه على الأرض المزروعة ، وهو
المصدر الأول لتغطية رواتب موظفي الولاية ، وما زاد على ذلك يوزع على الفقراء والمساكين ، يقول
أمير المؤمنين علي: الناس كلهم عيال على الخراج وأهله. والمقصود بالناس: عامة الموظفين والمجاهدين
الذين قال عنهم أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله من الخراج.
وقد أرشد أمير المؤمنين علي إلى استثمار الأرض؛ أي عمارة الأرض ، فقد قال: وليكن نظرك في عمارة
الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ، ومن طلب الخراج لغير
عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد [(٧٠٧)].

فعمارة الأرض سيضيف موارد مالية جديدة يمكن الاستفادة منها في مجال الرواتب والنفقات المتنوعة ، وتتم هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التي لها حصة من هذه الموارد بعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولاية ، وبعث البقية إلى العاصمة ، يقول أمير المؤمنين: وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا [(٧٠٨)].

كما أن من الإنفاقات المهمة في الولاية: إعمار الأنهار ، فقد كتب أمير المؤمنين علي لقرظة بن كعب الأنصاري: أما بعد ، فإن رجلاً من أهل الذمة من عملك ذكروا نحرًا في أرضهم قد عفا وأدفن ، وفيه لهم عمارة على المسلمين ، فانظر أنت وهم ثم أعمار وأصلح النهر ، فلعمري لأن يعمرها أحب إلينا من أن يخرجوا ، وأن يعجزوا ويقصروا في واجب من صلاح البلاد. والسلام [(٧٠٩)].

٨ . العمال التابعين للولاية ومتابعيهم:

قال أمير المؤمنين علي: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً [(٧١٠)] ، ولا تولهم محابة وأثرة ، فإنها جماع شعب الجور والخيانة ، وتوَحَّ منهم أهل التجربة والحياء ، أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام [(٧١١)] المتقدمة، فإنهم أكرم أخلاقاً وأصح أعراضاً، وأقلَّ في المطامع إشرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً ، ثم أسبغ عليهم الأرزاق [(٧١٢)] ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك [(٧١٣)]، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون [(٧١٤)]، من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدودهم [(٧١٥)] على استعمال الأمانة والرفق بالرعيّة ، وتحفّظ من الأعوان ، فإن أحداً منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك [(٧١٦)] ، اكتفيت بذلك شاهداً ، فبسطت عليه العقوبة في بدنه ، وأخذته بما أصاب من عمله ، ثم نصبته بمقام المذلة ، ووسمته بالخيانة ، وقلدته عار التهمة [(٧١٧)].

وهنا يتحدث عن الموظفين التابعين للولاية ، والمحافظين على المدن والقرى ، وجباة الصدقات ، وعلى عانتهم مسؤولية كبيرة؛ لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة ، ويتجلى في هذا النص أهمية هؤلاء في الجهاز الإداري؛ لأنهم يمثلون السلطة التنفيذية الحقيقية ، فكان لا بد من إشباع حاجاتهم حتى لا يطمعوا في مال غيرهم ، ولا حقوقهم [(٧١٨)] ، ويشير أمير المؤمنين علي إلى أهمية العيون الذين يقومون بأعمال الرقابة

على الإدارات والوحدات وبيت المال ، ويتم تعيينهم من قبل الوالي ، ويكون ارتباطهم معه. وهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم:

أ. أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب. أن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة.

وبعد تقديم التقارير على الوالي أن يتثبت بدقة في هذه التقارير ، ولا يسرع في الحكم على الأفراد ، ومن أعمال هذا الجهاز: فرض الرقابة على التجار وذوي الصناعات؛ لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس ، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأشتر في هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية ، وتفقد أمورها ، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها.

وهذا مبدأ قرآني بينه المولى عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: { وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأُعَذِّبْنَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * } [النمل: ٢٠ - ٢١] ، وتفقد الطير ، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمر الخلافة ، والاهتمام بكل جزء فيها ، والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء ، ولاشك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم لهذه المهمة العظيمة ، إن سليمان عليه السلام كان مهتماً بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال ، وخاصة إذا راب شيء من أحوالهم ، فسليمان عليه السلام ، لما لم ير الهدهد بادر بالسؤال: يعني: أهو غائب؟ كأنه يسأل عن صحة { مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ } لاح له [(٧١٩)] ، ثم قال: سؤال اخر ينم عن حزم في السؤال بعد { أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * } ، فسليمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أن يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط ، ولكن عن جد وشدة ، إذا لم يكن الغياب بعذر [(٧٢٠)] ، فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم.

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة ، التي تحرص أشد الحرص على الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا ، وتقضي على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقوم عليها نظام الولايات.

٩. أصناف طبقات المجتمع:

قال أمير المؤمنين: واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض ، فمنها جنود الله ، ومنها كتاب العامة والخاصة ، ومنها قضاة العدل ، ومنها عمال الإنصاف والرفق ،

ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس ، ومنها التجار وأهل الصناعات ، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلاً قد سمي الله سهمه [(٧٢١)] ، ووضع على حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه (ص) ، عهداً منه عندنا محفوظاً...

إلى أن قال: ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم [(٧٢٢)] ، ويقيمونه من أسواقهم ويكفونه من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق ردهم ومعونتهم [(٧٢٣)].

ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة خيراً فقال: ثم استوصي بالتجار وذوي الصناعات، وأوصي بهم خيراً: المقيم منهم ، والمضطرب بماله [(٧٢٤)] ، المترفق ببدنه؛ فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها [(٧٢٥)]، ولا يجترئون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته [(٧٢٦)]، وصلح لا تخشى غائلته ، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك ، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ، وشحاً قبيحاً [(٧٢٧)] ، واحتكاراً للمنافع ، وتحكماً في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامّة ، وعيب على الولاية ، فامنع من الاحتكار فإن رسول الله (ص) منع منه ، وليكن البيع بيعاً سمحاً ، بموازين عدل ، وأسعار لا تححف بالفريقين من البائع والمبتاع ، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه [(٧٢٨)] ، فنكل به ، وعاقب في غير إسراف [(٧٢٩)].

ونلاحظ من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: أن طبقة التجار من أهم شرائح المجتمع ، ولذلك أرشد الولاية إلى الاهتمام بهم من خلال وجود دائرة تتولى رعاية هذه الطبقة والإشراف على أعمالها؛ حتى لا تظهر عليها المظاهر السلبية كالشح والاحتكار وما شابه ذلك.

وذوي الصناعات يلمّ بهم ما يلم بالتجار من أضرار ومشاكل ، فكان لابد من قيام جهاز لرعايتهم ومساعدتهم في إتمام أعمالهم [(٧٣٠)].

ومن هذه الطبقات أهل الخراج؛ وهم العاملون على الأرض من زراع وحرّاث وحافرين لآبار ، وهم يحتاجون إلى الاهتمام ، وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحل المشكلات التي تعترضهم؛ لأن هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض.

ومن هذه الأصناف أهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الإسلامية ، ويعملون فيها ، فلا بد من رعاية الدولة لهم وتفقد شؤونهم ، من خلال جهاز يتولى شؤونهم الاقتصادية منها والاجتماعية [(٧٣١)].

ومنها الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن ، فإن في هذه الطبقة القانع [(٧٣٢)] ، والمعتز [(٧٣٣)] ، وتشمل هذه الطبقة أهل اليتيم ، وذوي الرقة في السِّنِّ ممن لا حيلة له ، ولا ينصب للمسألة نفسه ، فالدولة مسؤولة عن رعاية هؤلاء رعايةً كاملة اجتماعية واقتصادية وتعليمية ، وكان على الوالي أن يحدد وقتاً للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ، ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة ، وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومين من التكلم أمام الوالي [(٧٣٤)] .

١٠ . التربية بالعقاب والثواب :

قال أمير المؤمنين علي: ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء ، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان ، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه [(٧٣٥)] ، واعلم أنه ليس بشيء أدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم ، وتخفيفه المؤونات عنهم ، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم [(٧٣٦)] ، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيته ، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً [(٧٣٧)] ، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده [(٧٣٨)] .

وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم ، وتتضح معالمها جلية في قصة ذي القرنين في قوله تعالى: { قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * } [الكهف: ٨٧ - ٨٨] .

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعة هدية للمحسن ليزداد في إحسانه ، وتفجر طاقة الخير العاملة لديه على زيادة الإحسان ، وتشعره بالاحترام والتقدير ، وتأخذ على يد المسيء لتضرب على يده ، حتى يترك الإساءة وتعمل على توسيع دوائر الخير والإحسان في أوساط المجتمع ، وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب ، وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه .

١١ . دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات :

عرف المسلمون النقباء في بيعة العقبة الثانية؛ حينما عين الرسول (ص) اثني عشر نقيباً من الأنصار على قومهم؛ ثلاثة من الأوس ، وتسعة من الخزرج [(٧٣٩)] ، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء في الأجناد الإسلامية المختلفة في عهد عمر ، ومما ورد في ذلك تنظيم الناس في القادسية على يد سعد بن أبي وقاص؛ حيث اجتمعت القبائل فأمر أمراء الأجناد ، وعرف العرفاء؛ فعرف على كل عشرة رجلاً ، كما

كانت العرفات أزمان النبي (ص) ، وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء ، وأمر على الرايات رجالات من أهل السابقة ، وعشر الناس وأمر على الأعشار رجالاً من الناس لهم وسائل في الإسلام [(٧٤٠)].

ويعتبر عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عموماً ، ففي زمانه برز العرفاء على الناس في أمصارهم ، وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت [(٧٤١)] ، وقد استمر نظام العرفاء طيلة عصر عثمان رضي الله عنه ، وخلال عهد علي رضي الله عنه ، فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها على من يتبعهم من الناس [(٧٤٢)] ، وقد استفاد الولاة من العرفاء في إدارة الولايات في الشؤون المختلفة المدنية منها والعسكرية ، فكانوا يساعدون في توزيع العطاء على الناس ، وفي السيطرة على النظام داخل الولايات ، وفي البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره ، وفي سرعة تجنيد الناس حين الحاجة ، وفي أخذ المشورة من الناس ، كما كان للنقباء دور في معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ، ومن يحذف اسمه ، وغير ذلك من الأمور المختلفة ، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة في إدارة أمصارهم؛ مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا متفرّغين لهذا العمل وحده ، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة.

وكان في تقسيم العرفاء والنقباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي ، حيث كان التقسيم أحياناً باعتبار القبيلة ، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبدؤوا يستوطنون الأمصار ، فبدأ هذا التقسيم يقلّ تدريجياً [(٧٤٣)] مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خلال عهد الخلفاء الراشدين [(٧٤٤)].

وقد كان يتبع الولاة على البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة أقسام معينة في الجيش ، ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجيه من أمراء الولايات ، كما كانوا يصحبون الوالي . وهو أمير الحرب . في غزواته المختلفة ، ويساعدونه في تنظيم الجيش وقيادته [(٧٤٥)].

وقد كان أمراء التعبئة يلون الأمير ، والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار ، والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات ، والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل [(٧٤٦)]. كما أن

العرفاء يرفعون ما يراه قومهم من اقتراحات أو تظلمات جماعية

ويوصلونها نيابة عنهم ، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره [(٧٤٧)].

رابعاً: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:

١ . التأكيد على العنصر الإنساني:

كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة.. فلبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة ، وداول بين القسوة والرفقة ، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله [(٧٤٨)]. فكان على الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرووسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع ، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التي تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية ، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية على قواعد صارمة وثابتة لا تراعي العامل الإنساني ، ولا تراعي تأثيرات الظروف ، وكأن التنظيم الإداري لأي مؤسسة أو منظمة أو حركة ، أو حزب أو جمعية أو نادي... إلخ يتحرك في فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية والداخلية [(٧٤٩)].

٢ . عامل الخبرة والعلم:

في هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على أهمية أن يكون المسؤول صاحب خبرة وعلم ، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة ، وإلا فإنه لا طاعة له ، يقول أمير المؤمنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته [(٧٥٠)]. فإذا كان جاهلاً فإنهم معذورون؛ فلا طاعة للجاهل؛ لأنه يأخذهم إلى الهلاك. ويقول أيضاً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق [(٧٥١)] ، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهي أمره إلى معصية الخالق [(٧٥٢)] بأمر مخالف.

٣ . العلاقة بين الرئيس والمرؤوس:

هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمي والتدرج الرئاسي ، بل ترسمها المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرؤوسين ، يقول أمير المؤمنين علي لواليه عندما بعثه إلى مصر:

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها ، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك [(٧٥٣)].

ونحن هنا أمام حالة ألغى فيها التسلسل الوظيفي إلغاء تاماً ، وإذا لم يقدر الوالي على القيام بهذه المهمة؛ فإنه ينتدب بعض خالصائه لذلك ، فيقول: وتفقّد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تفتحمه العيون وتحقره الرجال ، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع ، فليرفع إليك أمورهم [(٧٥٤)] ، وهذا تجاوز واضح على الإدارة البيروقراطية التي ترى أن كل شيء يجب أن يتم ضمن التسلسل الإداري ، ولاحقاً لأحد في إلغاء هذا التسلسل ، ومن يلغي ذلك يعتبر متجاوزاً على التنظيم. ثم بيّن أمير المؤمنين مضارّ التقيد غير المسؤول بالتسلسل الوظيفي: فإنّ احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق

، وقلة علم بالأمر ، والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه؛ فيصغر عندهم الكبير ، ويعظم الصغير ، ويقبح الحسن ، ويحسن القبيح ، ويشاب الحق بالباطل [(٧٥٥)]. هذه هي مضار التسلسل الإداري والتقييد الحرفي به؛ فتباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتقالها من مسؤول إلى مسؤول ، ومنه إلى مسؤول ثالث فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس العاديين ، هذه السلسلة التي تجري بعيداً عن مباشرة الرئيس الأعلى قد تغير الأمور وتقلبها رأساً على عقب ، فيصبح الصغير كبيراً ، والحق باطلاً ، والحسن قبيحاً ، والقبيح حسناً... كما يقول أمير المؤمنين رضي الله عنه ، وهو ما تعاني منه التنظيمات البيروقراطية؛ لأنها تعتمد على سلسلة تنتقل عبرها المسائل والقضايا ، فتتحرف عن أهدافها ومراميها.

والعلاج كما يقدمه أمير المؤمنين علي هو: أن لا يحتجب المسؤول عن أفراد فاحتجابه يتسبب في تغيير قراراته ، أو تطبيقها . في أحسن الظروف . تطبيقاً متحجراً بعيداً عن الأهداف التي طمح من أجلها. ومهمة الرئيس ليست محصورة في لقاء المرؤوسين ، بل عليه أن يوفر الأجواء المطمئنة التي تجعل المرؤوس قادراً على طرح مشاكله بطمأنينة وبدون خوف؛ لأن الغاية ليست هي المقابلات الفجة ، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيداً فلا بد من خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات ، يقول في ذلك: واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تُفرِّغْ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله والذي خلفك ، وتقعدهم عنك وأعاونك من أحراسك وشرطك ، حتى يكلمك متكلمهم غير متعنت [(٧٥٦)].

ويبعث إلى قثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ، ولا حاجب إلا وجهك [(٧٥٧)]. وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين ، وأنها لا تقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية ، بل تقوم وجهاً لوجه عندما تستدعي الحاجة لذلك [(٧٥٨)].

٤ . مكافحة الجمود:

هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود وإضاعة الوقت والجهد وإضاعة الحقوق ، كما أن كثيراً من الأعمال لا يفكر بإنجازها أساساً؛ لأنها تستغرق وقتاً طويلاً حتى يتم إقرارها عبر السلسلة الإدارية ، من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين رضي الله عنه: من أطاع التواني ضيع الحقوق [(٧٥٩)].

٥ . الرقابة الواعية:

الرقابة مهمة في كل تنظيم إداري ، فقد نوه أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى هذه الوظيفة فقال: وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم ، فإن تعاهدك في السر لأموهم حدود لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية [(٧٦٠)] ، فالرقابة عند أمير المؤمنين هي عطف ونصرة للمراقب لمواصلة أداء الأمانة ، كما وأن الرقابة لا بد وأن تتمَّ عبر وسائط من أهل الصدق والوفاء ، حتى يكون تقييمهم عادلاً لا تتلاعب فيه أهواؤهم؛ فالرقابة هنا عامل مساعد على التقدم ، وتدفع بالأفراد إلى الحركة ، والإخلاص في العمل ، إن القوانين الصارمة لا وجود لها في الفكر الإداري لأمر المؤمنين رضي الله عنه عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم ، وتصبح سبباً لإضاعة الحقوق [(٧٦١)].

٦ . التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:

في هذا المجال أكد أمير المؤمنين علي في عهده لواليه على مصر: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة وأثرة. فلا بد من إجراء الاختبارات الأولية على الشخص الذي يراد استخدامه في عمل ما ، ويجب أن يتعد الرئيس عن المعايير الشخصية في توظيف أو ترقية الأشخاص إلى المناصب العليا ، ثم يقول: ثم انظر في حال كُتَّابك ، فولِّ على أمورك خيرهم [(٧٦٢)]. وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك ، فلا مجال للروابط والعواطف؛ فالمعيار هو الحق ، وتتعلق هذه الميزة بخاصية أخرى هي الأمانة [(٧٦٣)].

٧ . الضبط:

ففي كتاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم؛ حيث يقول: وإن عملك ليس لك بطعمة ، ولكنه في عنقك أمانة ، وأنت مسترعى لمن فوقك [(٧٦٤)]. فقد اعتبر أمير المؤمنين العمل الإداري . في هذا النص . أمانة ويجب على المسؤول أن يرد هذه الأمانة كما هي ، وأن يحافظ عليها ، وأنه مسؤول أمام الله على أدائها ، ومسؤول أيضاً أمام رئيسه (من فوقه) اعترافاً بأهمية التسلسل الوظيفي ، وهذا عامل مهم من عوامل إيجاد الضبط الإداري الذاتي الذي يمنع مظاهر التسبب والانحراف [(٧٦٥)].

٨ . المشاركة في صنع القرار:

إذا ما أعدنا قراءة النصوص عند أمير المؤمنين التي تحثُّ على المشاورة؛ لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مقدار من المشاركة في صنع القرار، وأن لا ينفرد رجل واحد في صنع القرار سواء كان هذا

الرجل قائداً عسكرياً أو مالياً ، أو مديراً أو مسؤولاً في أي ميدان من الميادين؛ فالشركة في الرأي تؤدي إلى الصواب [(٧٦٦)] ، لأنها مشاركة جمع من العقول وإضافة آراء ذوي الخبرة والتجربة ، فالقرار الذي يأتي عبر مناقشة مستفيضة

ستجتمع عليه الآراء ، فيكون أقرب إلى الصواب [(٧٦٧)] ، أما نجاح العمل فالمشاوره تكفل هذا النجاح ، يقول أمير المؤمنين علي: شاوروا؛ فالنجاح في المشاورة [(٧٦٨)] ، لم يحدد أمير المؤمنين كيفية وأسلوب المشاورة ، بل وضع أماناً قاعدة عامة وذكر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة ، ولم يستثنى ميداناً من الميادين عن المشورة ، وهذا يعني أنها ضرورية لكل عمل يقوم به الإنسان ، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل مناطاً بمجموعة من الأشخاص وليس فرداً واحداً ، وإذا أمعنا النظر في هذا النص: صواب الرأي بإجالة الأفكار [(٧٦٩)] ، لا تضح لنا أهمية المناقشات المستفيضة من ذوي الشأن للوصول إلى القرار الصائب [(٧٧٠)].

٩ . حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة:

إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشاكل التي قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو عدم انسجامه مع الجو العام ، وإذا ما أمعنا النظر في رسالة أمير المؤمنين علي لمالك بن الأشتر النخعي؛ لوجدنا الشروط المهمة التي يضعها أمامه عند اختياره لعماله: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ، ولا تولهم محاباة وأثرة ، فإنها جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوَحَّ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة ، والقدم في الإسلام المتقدمة؛ فإنهم أكرم أخلاقاً ، وأصح أغراضاً ، وأقل في المطامع إسرافاً ، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً [(٧٧١)].

فهذه شروط متعددة غير محصورة بالكفاءة اللازمة في العمل فقط ، بل لا بد من ملاحظة (العامل) من النواحي النفسية والاجتماعية أيضاً ، حتى لا يأخذه الطموح ، ولا تتغير نواياه وأغراضه ، كما لا بد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته على التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد ، عند ذلك تبدأ مسؤولية التوالي: ثم أسبغ عليهم الأرزاق ، فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم ، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم ، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك [(٧٧٢)].

فعندما تجتمع تلك الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة ، فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله ، ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة. وفي مكان آخر يقول: وافسح له في البذل

ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته إلى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك [(٧٧٣)]. وهذه عوامل تخص الموظفين الكبار من السقوط في طريق الرشوة أو الشراهة بالمال: أ. البذل الواسع الذي يكفل جميع حاجاته حتى يشعر بالغنى.

ب. المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة على وظيفته ، وهذا ما يسمى بالأمن الوظيفي. فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مؤمنة ، ووضعه الوظيفي مستقراً؟! وهذه الضمانات لكبار موظفي الدولة يمكن إنزالها على الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وقادة الحركات الإسلامية ، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحيط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمني والمعيشي ، فالموظف يأخذ راتباً معيناً، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لتغطية جميع نفقاته؛ فماذا سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة محللة بالأخلاق ، لكن المنهاج الإداري لأئمة المؤمنين علي رضي الله عنه يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل حد الغنى ، أي: لا يتم الاكتفاء بالراتب الشهري فقط، بل المعيار هو تأمين حاجاته، ومن ثم توفير الأمن الوظيفي له [(٧٧٤)]: وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك [(٧٧٥)].

١٠. مرافقة ذوي الخبرات:

فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية ، ومن الطبيعي أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى العلوم النظرية ، وقد استفاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حوّلوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد ، فهو يتلقى الخبرة ممن سبقه ، والذي سبقه ممن سبقه ، وقد جاءت هذه القاعدة على لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوو النهى والعلم وأولو التجارب والحزم [(٧٧٦)] ، وأفضل من شاورت ذوو

التجارب [(٧٧٧)]. ويقول في مصاحبة أصحاب العلم والتجربة: خير من صاحبت ذوو العلم والحلم [(٧٧٨)]. فهذه النصوص ما هي إلا قواعد غايتها إعداد الإنسان المسلم الناجح في الحياة ، ومن ثم بناء المجتمع المتصف بالتقدم والرقي المستمر [(٧٧٩)].

١١. الإدارة الأبوية:

الوالي هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة ، وهو يتعامل مع موظفيه على أنهم أبنائه ، فمثلما يتحمل الأب تربية أبنائه كذلك يتحمل الوالي مسؤولية إعداد كبار موظفي الدولة ، وهذا ما أخذت به التجربة اليابانية ، والذي نجد له مصداقاً في قول أمير المؤمنين علي إلى مالك بن الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم

تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما [(٧٨٠)] ، فيجب أن يتعامل المسؤول مع أفرادهم معاملة الوالد لولده: يرعى أبناءه؛ يعفو عنه عندما يسيء ، وعندما يعاقبه فعقوبته هي تربية له... هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[١] الاستيعاب (١١/٣).

[٢] علي بن أبي طالب ، د. علي شرفي ، ص ٦٦.

[٣] الولاية على البلدان (١٥٣/٢ إلى ١٦٣).

[٤] الولاية على البلدان (٩٨/٢) ، النظريات المالية في الإسلام ، ص ١٥٥.

[٥] التراتيب الإدارية للكتاني ، (٣٩٣/١).

[٦] الولاية على البلدان (٩٨/٢).

[٧] النظم المالية في الإسلام ، ص ١٥٧ ؛ الولاية على البلدان (٩٩/٢).

[٨] أصول الفكر السياسي الإسلامي ، فتحي عثمان ، ص ٤٣.

[٩] السياسة المالية لعثمان بن عفان ، قطب ، ص ٩٩.

[١٠] تاريخ العرب ، فيليب حتي (٢٢٨/١).

[١١] الولاية على البلدان (١٠٠/٢).

[١٢] الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، ص ١٣١ - ١٣٦ ، نقلاً عن الولاية على البلدان

(١٠٠/٢).

[١٣] وقائع ندوة النظم الإسلامية (٣٧٩/١).

[١٤] شرح نهج البلاغة ، نقلاً عن نظام الحكم للقاسمي (١٠٣/٢).

[١٥] المصدر السابق نفسه (٥٥٩/٢).

[١٦] المصدر السابق نفسه (١٠٤/٢).

[١٧] المصدر السابق نفسه (٥٦٠/٢).

[١٨] سنن الدارمي (٥٨/١) ، رجال إسناده ثقات غير جعفر بن برقان صدوق ؛ السنن الكبرى

للبيهقي (١١٤/١٠) ، وصحح إسناده ابن حجر ؛ فتح الباري (٣/١٣).

[١٩] إعلام الموقعين (٦٢/١).

[٢٠] الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ، ص ٥٣ .

[٢١] الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ، ص ١٥٣ .

[٢٢] المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٤ .

[٢٣] الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ، ص ١٥٩ .

[٢٤] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٥٨ .

[٢٥] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٥٩ .

[٢٦] المصدر السابق نفسه ، ص ١٦٠ .

[٢٧] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٦٠ .

[٢٨] القضاء في صدر الإسلام ، جبر محمود ، ص ٢٣٩ .

[٢٩] أخبار القضاة (٢٢٧/٢).

[٣٠] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٤٩ .

[٣١] تاريخ الطبري (٥٨٩/٥).

[٣٢] تاريخ الطبري (٧١/٦).

[٣٣] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٥١ .

[٣٤] أخبار القضاة (٢٨٨/١ ، ٢٨٩).

[٣٥] المصدر السابق نفسه ، (٢٨٨/١).

[٣٦] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٥١ .

[٣٧] أخبار القضاة (٣٩٦/٢ ، ٣٩٧).

- [٣٨] طبقات ابن سعد (١٠/٦)؛ أخبار القضاة (٣٩٩/٢ ، ٤٠١).
- [٣٩] أخبار القضاة (٣٩٥/١).
- [٤٠] قضاء أمير المؤمنين ، عبد الله بن عثمان ، ص ٢٩٠.
- [٤١] الأحكام السلطانية للماوردي ، ص ٧٧.
- [٤٢] الولاية على البلدان (٩٣/٢).
- [٤٣] مصنف عبد الرزاق (٣٢٩/١١).
- [٤٤] سنن البيهقي (١٢٠/١٠).
- [٤٥] المغني (٥٧/٩).
- [٤٦] سنن البيهقي (١١٧/١٠).
- [٤٧] المغني (٤٣/٩).
- [٤٨] مسند زيد (١٣٧/٤) ؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص ٥٠٦.
- [٤٩] موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص ٥٠٦.
- [٥٠] موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص ٥٠٦.
- [٥١] أصول المحاكمات الشرعية ، ص ٧٠ ؛ تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٣٢.
- [٥٢] كنز العمال ، رقم ١٤٤٣٣.
- [٥٣] كنز العمال ، برقم ١٤٤٢٩ ؛ مصنف عبد الرزاق (٣٠٠/٨).
- [٥٤] المغني (١٠٤/٩).
- [٥٥] فقه علي بن أبي طالب ، قلعجي ، ص ٥٠٨.
- [٥٦] شرح أدب القاضي للخصاف (٣٠٥/١)؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص ٥٠٨.
- [٥٧] انظر على سبيل المثال: موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، محمد قلعجي ؛ فقه الإمام علي ، أحمد طه.
- [٥٨] صحيح سنن أبي داود للألباني (٧٥/١) ، صحيح موقوف.

[٥٩] صحيح سنن ابن ماجه (٨٥/١) ، حسن صحيح.

[٦٠] المصنف (١٣١/١).

[٦١] صحيح سنن أبي داود للألباني (٤١/١).

[٦٢] الرجل: هو المقداد كما في رواية البخاري.

[٦٣] مسلم ، كتاب الحيض (٢٤٧/١).

[٦٤] مسند أحمد (٥١/٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٦٥] مصنف عبد الرزاق (٣٣٦/١).

[٦٦] مصنف ابن أبي شيبة (٥٩/١).

[٦٧] بداية المجتهد (٥٧/١) ؛ المجموع (٣٥٩/٢).

[٦٨] فقه الإمام علي بن أبي طالب (١٥٥/١).

[٦٩] مسلم (١٦٦/١).

[٧٠] مسلم (٣٤٩/١).

[٧١] مصنف ابن أبي شيبة (٤٧/١١) ؛ كنز العمال (١٣/٨).

[٧٢] المغني (٤٤/٢).

[٧٣] مسلم ، كتاب الإيمان (٨٨/١).

[٧٤] شرح صحيح مسلم (٧٠/٢) ؛ المغني (٤٤٢/٢ - ٤٤٧).

[٧٥] المغني (١١٣/٢).

[٧٦] مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٦/٢) ؛ كنز العمال ، رقم ٢٢٨٣٣.

[٧٧] مسلم ، كتاب المساجد ، رقم ٢٤٠.

[٧٨] فقه الإمام علي بن أبي طالب (١٧٧/١).

[٧٩] مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٦/٢).

[٨٠] المصدر السابق نفسه ، (٦٤/٢).

[٨١] فقه الإمام علي بن أبي طالب (١٨١/١).

[٨٢] مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٤٧٧/١) ، رقم ٦٨٤ .

[٨٣] المغني (١٦٩/٢) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (٣٩٥/٢) .

[٨٤] المغني (١٦٩/٢) .

[٨٥] بداية المجتهد (٢١٤/١) ؛ المغني (١٦٥/٢) .

[٨٦] مسلم ، رقم ٧٥٩ .

[٨٧] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢٨٥/١) .

[٨٨] المغني (١٦٨/٢) .

[٨٩] المجموع (٣٤/٤) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٢/٢) .

[٩٠] البخاري ، رقم ٢٠١٢ .

[٩١] سنن الترمذي في العلم ، رقم ٢٦٧٦ ، حسن صحيح .

[٩٢] الفتاوى (١١٣/٢٤) .

[٩٣] السيل الجرار ؛ (٣٤٤/١) ؛ المبسوط (٧١/٢) .

[٩٤] مصنف عبد الرزاق (٤١٠/٣) المحلي (١٧٥/٥) .

[٩٥] المغني (٢٥٢/٢) ؛ نيل الأوطار (٥٨/٤) .

[٩٦] سنن ابن ماجه ، رقم ١٤٦٤ ، إسناده صحيح .

[٩٧] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٣٠٥/١) .

[٩٨] الطبراني في الأوسط (٦٧/٤) ، إسناده ضعيف .

[٩٩] مسلم (٦٤٩/٢) ، رقم ٩٤٠ .

[١٠٠] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٣٠٦/١) .

[١٠١] البدائع (٧٦٦/٢) ؛ المبسوط (٧٢/٢) .

[١٠٢] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٣٠٧/١) .

[١٠٣] البدائع (٧٦٦/٢) ؛ المبسوط (٧٢/٢) .

[١٠٤] البدائع (٢٨٧/٢) ؛ فقه الإمام علي بن أبي طالب (٣٠٦/١) .

- [١٠٥] المغني (٥٣٤/٢) ؛ فقه الإمام علي (٣٠٦/١).
- [١٠٦] البدائع (٨٠٦/٢) ؛ المغني (٥٢٩/٢).
- [١٠٧] مسند أحمد (٣١١/٢) ، قال أحمد شاکر: إسناده صحيح.
- [١٠٨] موسوعة فقه الإمام علي ، قلعجي ، ص ٢٩٥.
- [١٠٩] مصنف ابن أبي شيبة (١١٩/٣).
- [١١٠] المصدر السابق نفسه (١١٧/٣).
- [١١١] المحلى (٦١/٦ ، ٥٩) ؛ المجموع (١٦/٦).
- [١١٢] عند ابن قدامة في المغني (٥٧٩/٢) من ٢٤ إلى ٣٥ فيها بنت محاض.
- [١١٣] مصنف ابن أبي شيبة (١٢٢/٣).
- [١١٤] المحلى (٢١٢/٥) ؛ فقه الإمام علي (٣٤٦/١).
- [١١٥] مصنف ابن أبي شيبة (٤٣٨/٣).
- [١١٦] مصنف عبد الرزاق ، رقم ٧١٨٨ ؛ جمع الجوامع (١٥٧/٢).
- [١١٧] سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (٣٤٧/١).
- [١١٨] فقه الإمام علي (٣٤٧/١).
- [١١٩] جمع الجوامع (٩٥/٢) ؛ فقه الإمام علي (٣٤٨/١).
- [١٢٠] مصنف عبد الرزاق ، رقم ٧١٨٨ ؛ فقه الإمام علي (٣٤٨/١).
- [١٢١] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٣٤٥/١).
- [١٢٢] جمع الجوامع (١٥٧ / ٢) ؛ فقه الإمام علي (٣٤٥/١).
- [١٢٣] فقه الإمام علي (٣٥٢/١) نقلاً عن سنن البيهقي.
- [١٢٤] البدائع (١٠٤/٢) ؛ فقه الإمام علي (٣٥٢/١).
- [١٢٥] سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (٣٥٥/١).
- [١٢٦] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٣٥٥/١).
- [١٢٧] المجموع (٣١٥/٦) ؛ المغني (٩٠/٣) موسوعة فقه الإمام علي ، ص ٤٢٠.

- [١٢٨] مسلم (٧٥٩ / ٢).
- [١٢٩] شرح صحيح مسلم (١٩٠ / ٧).
- [١٣٠] مصنف ابن أبي شيبة (٨١ / ٣)؛ المغني (١٣٧ / ١).
- [١٣١] البخاري (٢٣٢ / ٢).
- [١٣٢] تفسير الطبري (٨١ / ٢).
- [١٣٣] مصنف عبد الرزاق ، رقم ٨٠٠٩.
- [١٣٤] مصنف ابن أبي شيبة (٩١ / ٣).
- [١٣٥] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٣٨٦ / ١).
- [١٣٦] مصنف ابن أبي شيبة (٨٧ / ٣)؛ جمع الجوامع (١٤٠ / ٢).
- [١٣٧] فتح العزيز، شرح الوجيز للرافعي الهامش المجموع (٤٨٠ / ٧).
- [١٣٨] مصنف ابن أبي شيبة (٦ / ٤).
- [١٣٩] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٤٠٣ / ١).
- [١٤٠] مصنف ابن أبي شيبة (٩٤ / ٤).
- [١٤١] سنن الترمذي (١٦٦ / ١) ، حسن صحيح.
- [١٤٢] مصنف ابن أبي شيبة (٩٦ / ٤).
- [١٤٣] مصنف عبد الرزاق ، رقم ٩٨١٤.
- [١٤٤] المحلى (٦١ / ٧)؛ المغني (٢٢٨ / ٣).
- [١٤٥] المصدر السابق نفسه.
- [١٤٦] مسلم (٩٧٤ / ٢) ، رقم ١٣٣٥.
- [١٤٧] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٤٢٠ / ١).
- [١٤٨] سنن البيهقي (١٤٩ / ٥)؛ نقلاً عن فقه الإمام علي (٤١٨ / ١).
- [١٤٩] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٤٥٦ / ١).
- [١٥٠] المحلى (٤٥٨ / ٧).

- [١٥١] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٤٥٦/١).
- [١٥٢] تفسير الطبري (٥٦/٦)؛ تفسير القرطبي (٧٨/٦).
- [١٥٣] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٠٠٣٥ ؛ تفسير الطبري (٦٥/٦).
- [١٥٤] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٠٠٣٤ ؛ كنز العمال ، رقم ١٥٦٥١.
- [١٥٥] تفسير الطبري (٦٥/٥) ، بداية المجتهد (٤٦٥/١).
- [١٥٦] فقه الإمام علي (٤٦٧/١).
- [١٥٧] مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذبح لغير الله (١٥٦٧/٣).
- [١٥٨] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٤٦٨/١).
- [١٥٩] المغني (٧٥/١) ؛ المجموع (٢٤٥/١).
- [١٦٠] كنز العمال ، رقم ٢٥٧٦ ، فقه الإمام علي بن أبي طالب (٤٧٦/١).
- [١٦١] المغني (٢٩٦/٤).
- [١٦٢] فقه الإمام علي (٤٧٧/١).
- [١٦٣] المنتقى (٢٧٠/٧)؛ فقه الإمام علي (٤٩٥/١).
- [١٦٤] فقه الإمام علي (٤٩٥/١).
- [١٦٥] مصنف ابن أبي شيبة (٤٢٧/٩).
- [١٦٦] المصدر السابق نفسه.
- [١٦٧] المصدر السابق نفسه (٧٣٨/٨).
- [١٦٨] إعلاء السنن للتهانوي (٤٦٤/١٧).
- [١٦٩] مسلم (١٧٧٠/٤) ، رقم ٢٢٦٠.
- [١٧٠] المغني (٢١٢/١٠).
- [١٧١] إعلاء السنن للتهانوي (٤٦٤/١٧) ؛ فقه الإمام علي (٥٠١/١).
- [١٧٢] المصدر السابق نفسه (٤٦٤/١٧)؛ فقه الإمام علي (٥٠١/١).
- [١٧٣] المغني (١٧/٩).
- [١٧٤] سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (٥٠٢/١).

- [١٧٥] فقه الإمام علي (٥٠٢/١).
- [١٧٦] المصدر السابق نفسه (٥٠٩/٢).
- [١٧٧] مسلم، كتاب النكاح (١٠٢٧/٢)، رقم ١٤٠٧.
- [١٧٨] مصنف عبد الرزاق (١٩٦/٦).
- [١٧٩] كنز العمال ، رقم ٤٥٦٦٤؛ مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٠٦٧٧؛ فقه الإمام علي (٥٣٥/٢).
- [١٨٠] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٠٧١٩.
- [١٨١] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٥٣٦/٢).
- [١٨٢] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٠٥١٧.
- [١٨٣] المدونة (٢٨٠/٢)؛ المغني (٢٥٨١/٦).
- [١٨٤] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٥٦٢/٢).
- [١٨٥] المغني (٢٢/٧).
- [١٨٦] المصدر السابق نفسه؛ المحلى (٦٩/٧)؛ تفسير القرطبي (٩٣/٣).
- [١٨٧] سنن أبي داود (٢٥٦/٢)؛ الجامع الصغير (٥٣٩/٢).
- [١٨٨] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٥٦٨/٢).
- [١٨٩] بداية المجتهد (٩٥/٢)؛ نيل الأوطار (٧٧/٨).
- [١٩٠] مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٠/٤).
- [١٩١] المصدر السابق نفسه (٢٩٨/٤).
- [١٩٢] سبل السلام للصنعاني (١٩٨/٣).
- [١٩٣] البخاري ، رقم ٥٣١٨؛ مسلم ، رقم ١٤٨٤.
- [١٩٤] المغني (٤٧٣/٧)؛ فقه الإمام علي (٧١٦/٢).
- [١٩٥] سبل السلام (١٩٨/٣).
- [١٩٦] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٦١٧/٢).

- [١٩٧] المغني (٤٤٤/٦)؛ فقه الإمام علي (٧١٦/٢).
- [١٩٨] المغني (٤٤٤/٦).
- [١٩٩] المحلى (١٢٩/٩).
- [٢٠٠] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٧٢١/٢).
- [٢٠١] مصنف عبد الرزاق ، رقم ٤٧٨٨ .
- [٢٠٢] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٤٧٨٦ .
- [٢٠٣] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٧٥٢/٢).
- [٢٠٤] الاعتصام (١١٩/٢).
- [٢٠٥] مقاصد الشريعة الإسلامية، اليوبي ، ص ٦٠٢ .
- [٢٠٦] مصنف عبد الرزاق (٢١٧/٨)؛ موسوعة علي بن أبي طالب ، ص ٢٢ .
- [٢٠٧] فقه الإمام علي (٧٥٦/٢).
- [٢٠٨] المغني (٣٧٥/٨)؛ فقه الإمام علي (٧٥٦/٢).
- [٢٠٩] كنز العمال ، رقم ١٤٣٤٦ ؛ المغني (٥٣٧/٨).
- [٢١٠] مصنف ابن أبي شيبة (١٣٨/١٠).
- [٢١١] البخاري ، رقم ٣٠١٧ .
- [٢١٢] مجمع الزوائد (٢٦٢/٦) ، فيه ضعف .
- [٢١٣] المغني (١٢٦/٨)؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص ٢٧٣ .
- [٢١٤] المصنف (٣٤٢/٧) (١٧٠/١٠).
- [٢١٥] المغني (٤١٤١/٨)؛ موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، ص ٢٧٣ .
- [٢١٦] المغني (١٢٣/٨).
- [٢١٧] المغني (١٢٣/٨)؛ فتح الباري (٢٦٨/١٢).
- [٢١٨] مصنف ابن أبي شيبة (١٤٤/١٠).
- [٢١٩] مصنف عبد الرزاق (٣٩٥/٨).

[٢٢٠] المحلى لابن حزم (١٩٠/١١).

[٢٢١] موسوعة فقه علي بن أبي طالب؛ ص ٢٧٥.

[٢٢٢] منهج علي بن أبي طالب ، ص ٢٧٥.

[٢٢٣] البخاري ، رقم ٦٨٧٨.

[٢٢٤] مجموع الفتاوى (١٠٢/٢٠).

[٢٢٥] البخاري ، كتاب الحدود (٢٥٣/٤).

[٢٢٦] تاريخ القضاء في الإسلام ، ص ١٥٢.

[٢٢٧] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٣٣٣٥؛ فقه الإمام علي (٧٨٢/٢).

[٢٢٨] فقه الإمام علي (٧٨٣/٢).

[٢٢٩] مسند الإمام أحمد ، رقم ١١٣٧ ، صحيح لغيره.

[٢٣٠] فقه الإمام علي (٧٨٦/٢).

[٢٣١] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٣٦٠٧.

[٢٣٢] فقه الإمام علي (٧٨٨/٢).

[٢٣٣] خليط: الشريك الذي يخلط ماله بماله غيره.

[٢٣٤] كنز العمال ، رقم ١٣٥٩٦ ؛ مغني المحتاج (١٤٥/٤).

[٢٣٥] المغني (١٨٧/٨).

[٢٣٦] إعلاء السنن (٦٧١/١١)؛ المغني (١٨٧/٨).

[٢٣٧] فقه الإمام علي (٧٨٩/٢).

[٢٣٨] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٣٧٢٧ ؛ المغني (٢١١/٨).

[٢٣٩] فقه الإمام علي (٧٦١/٢).

[٢٤٠] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٧٩٩/٢).

[٢٤١] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٣٤١٩.

- [٢٤٢] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٣٣٥٥ .
- [٢٤٣] المصدر السابق نفسه ، رقم ١٣٣٥٣ .
- [٢٤٤] مسلم ، كتاب الحدود ، رقم ٧٠٩ (١٣٣٣/٣) .
- [٢٤٥] مقاصد الشريعة لليوي ، ص ٢٥٥ .
- [٢٤٦] كنز العمال ، رقم ١٣٦٨٧ ؛ فقه الإمام علي (٨٠٧/٢) .
- [٢٤٧] مسند أحمد ، رقم ١٠٢٤ ، إسناده صحيح على شرط الشيخين .
- [٢٤٨] البخاري ، رقم ٥٥٨٥ .
- [٢٤٩] الحكم ، التحاكم في خطاب الوحي (٤٦٧/١) .
- [٢٥٠] مقاصد الشريعة لليوي ، ص ٢٤٣ .
- [٢٥١] كنز العمال ، رقم ١٣٩١١ ؛ فقه الإمام علي (٨١٠/٢) .
- [٢٥٢] فقه الإمام علي (٨١١/٢) .
- [٢٥٣] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٨٧١ .
- [٢٥٤] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٨٠٦ .
- [٢٥٥] فقه الإمام علي (٨١٤/٢) .
- [٢٥٦] مصنف ابن أبي شيبة (٢٠٢/١٠) .
- [٢٥٧] المغني (٢٧٩/٨) .
- [٢٥٨] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٧٧٩ ؛ كنز العمال ، رقم ١٣٩٠٨ .
- [٢٥٩] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٧٨٤ ؛ المغني (٢٨٠/٨) .
- [٢٦٠] مصنف ابن أبي شيبة (٤٧٧/٩) .
- [٢٦١] كنز العمال ، رقم ١٣٩١١ ؛ فقه الإمام علي (٨١٧/٢) .
- [٢٦٢] المحلى (٣٥٤/٣) ؛ المغني (٢٦٤/٨) .
- [٢٦٣] البدائع (٤٢٧٣/٩) ؛ المغني فقه الإمام علي (٨١٨/٢) .
- [٢٦٤] مصنف ابن أبي شيبة (٥٠٩/٩) .

- [٢٦٥] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٧٦٤ .
- [٢٦٦] فقه الإمام علي (٨٢١/٢) .
- [٢٦٧] كنز العمال ، رقم ١٣٢٦ .
- [٢٦٨] فقه الإمام علي (٨٢١/٢) .
- [٢٦٩] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٨٢٦/٢) .
- [٢٧٠] المغني (٦٧٢/٧) .
- [٢٧١] المغني (٧٥٧/٧) .
- [٢٧٢] مصنف ابن أبي شيبة (٣٧١/٩) .
- [٢٧٣] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٨٣٦/٢) .
- [٢٧٤] فقه الإمام علي (٨٣٨/٢) .
- [٢٧٥] الخلافة الراشدة ، يحيى اليعقوبي ، ص ٥٠٢ .
- [٢٧٦] فقه الإمام علي (٨٤١/٢) .
- [٢٧٧] مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩/٩) .
- [٢٧٨] فقه الإمام علي (٨٤١/٢) .
- [٢٧٩] المصدر السابق نفسه (٨٤٢/٢) .
- [٢٨٠] مصنف ابن أبي شيبة (٥٥٩/٩) .
- [٢٨١] فقه الإمام علي (٨٤٢/٢) .
- [٢٨٢] فقه الإمام علي (٨٤٢/٢) .
- [٢٨٣] مصنف عبد الرزاق ، رقم ٨٤٠٠ .
- [٢٨٤] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٨٤٣/٢) .
- [٢٨٥] مصنف ابن أبي شيبة (٤٠٩/٩) .
- [٢٨٦] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٤٦١ .
- [٢٨٧] فقه الإمام علي (٨٤٤/٢) .

- [٢٨٨] فقه الإمام علي (٨٤٤/٢).
- [٢٨٩] المحلى (٥٠٥/١٠) ؛ فقه الإمام علي (٨٤٤/٢).
- [٢٩٠] مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٧/٩).
- [٢٩١] المصدر السابق نفسه.
- [٢٩٢] فقه الإمام علي بن أبي طالب (٨٤٦/٢).
- [٢٩٣] كنز العمال ، رقم ٤٠٨٦ .
- [٢٩٤] فقه الإمام علي (٨٤٦/٢).
- [٢٩٥] المصدر السابق نفسه (٨٤٧/٢).
- [٢٩٦] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٠٤٧ .
- [٢٩٧] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٠٤٦ .
- [٢٩٨] فقه الإمام علي (٨٤٧/٢).
- [٢٩٩] المصدر السابق نفسه (٨٤٨/٢).
- [٣٠٠] المصدر السابق نفسه.
- [٣٠١] مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٢/٩).
- [٣٠٢] فقه الإمام علي (٨٤٨/٢).
- [٣٠٣] المحلى ، رقم ٢٥٢ ؛ عصر الخلافة الراشدة للعمري ، ص ١٥١ .
- [٣٠٤] عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٥١ .
- [٣٠٥] الطرق الحكمية ، ص ٥٦ ؛ القضاء في الإسلام ، ص ١٥٤ .
- [٣٠٦] القضاء في الإسلام ، ص ١٥٤ .
- [٣٠٧] المغني (٣٦٢/٩ ، ٣٧٦) ؛ الطرق الحكمية ، ص ٥٠ ؛ عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٥٣ .
- [٣٠٨] مصنف ابن أبي شيبة (١٢٨/٩).
- [٣٠٩] الأم (١٧٧/٧).
- [٣١٠] فقه الإمام علي (٨٥٣/٢).

- [٣١١] سنن ابن ماجه ، رقم ٣٦٣٣ .
- [٣١٢] فقه الإمام علي ، (٨٥٤/٢) .
- [٣١٣] المصدر السابق نفسه (٨٥٥/٢) .
- [٣١٤] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٨٤٩٤ .
- [٣١٥] مصنف ابن أبي شيبة (٢٣١/٩) .
- [٣١٦] المغني (٥/٨) .
- [٣١٧] فقه الإمام علي (٨٦٠/٢) .
- [٣١٨] مصنف ابن أبي شيبة (٣١٩/٩) .
- [٣١٩] مصنف عبد الرزاق ، رقم ١٧٦٩٣ .
- [٣٢٠] منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ، ص ٣٢١ .
- [٣٢١] الرياض النضرة في مناقب العشرة (١٦٥/٢) .
- [٣٢٢] موسوعة فقه علي بن أبي طالب قلعجي ، ص ١٥٣ .
- [٣٢٣] موسوعة فقه علي ، ص ١٤٩ .
- [٣٢٤] المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٨ .
- [٣٢٥] مصنف ابن أبي شيبة (٣٦/١٠) .
- [٣٢٦] جمع داعر ، والدعارة: هي الفسق والخبث .
- [٣٢٧] موسوعة علي ، قلعجي ، ص ١٥٦ .
- [٣٢٨] موسوعة فقه علي ، قلعجي ، ص ١٥٤ .
- [٣٢٩] منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص ٣٢٤ .
- [٣٣٠] موسوعة فقه علي ، ص ١٥٤ .
- [٣٣١] محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمر من بني بكار .
- [٣٣٢] كتر العمال ، رقم ١٣٧٤٤ ، أبو عبيد الأموال ، ص ١٠٣ .

[٣٣٣] منهج علي في الدعوة إلى الله ، ص ٣٢٥ .

[٣٣٤] إعلام الموقعين (١٢٠/٤) .

[٣٣٥] شرح السنة للبخاري (٢١٤/١ ، ٢١٥) .

[٣٣٦] إعلام الموقعين (١٤٧/٤) .

[٣٣٧] مسلم ، كتاب المساجد ، رقم ٣٣ .

[٣٣٨] مقاصد الشريعة لليوي ، ص ٦٠٠ .

[٣٣٩] إعلام الموقعين (١٤٩/٤) .

[٣٤٠] مقاصد الشريعة الإسلامية لليوي ، ص ٦٠١ .

[٣٤١] الموافقات (٤٠٩/٣) .

[٣٤٢] المصدر السابق نفسه (١٣٠/٤) .

[٣٤٣] مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص ٥٩٦ ، ٥٩٧ .

[٣٤٤] حقيقة البدعة وأحكامها (٣٢٠/١) .

[٣٤٥] مجموعة الفتاوى (٤١٣/٥) ؛ إعلام الموقعين (١٢٠/٤) .

[٣٤٦] مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص ٥٩٧ .

[٣٤٧] حقيقة البدعة وأحكامها (٣٢١/١) .

[٣٤٨] الإحكام للامدي (١٣٠/٤) ؛ حجية قول الصحابي ، ص ٤٠ .

[٣٤٩] حجية قول الصحابي ، ص ٤٠ .

[٣٥٠] تفسير الطبري (٤٣٨/١٤) .

[٣٥١] إعلام الموقعين (١٢٣/٤) .

[٣٥٢] المرجع السابق نفسه .

[٣٥٣] المرجع السابق نفسه (١٢٣/٤ - ١٢٩) .

- [٣٥٤] تفسير الطبري (١٠٢/٧).
- [٣٥٥] المصدر السابق نفسه.
- [٣٥٦] الموافقات (٧٤/٤).
- [٣٥٧] المصدر السابق نفسه.
- [٣٥٨] إعلام الموقعين (١٢٣/٤ - ١٣٥).
- [٣٥٩] مسلم (١٩٦٥/٢).
- [٣٦٠] إعلام الموقعين (١٣٦/٤).
- [٣٦١] مجموع الفتاوى (١٥٨/٤).
- [٣٦٢] مسلم كتاب الإيمان (٦٩/١).
- [٣٦٣] الاعتقاد للبيهقي ، ص ٣١٩.
- [٣٦٤] حقيقة البدعة وأحكامها (٣٢٨/١).
- [٣٦٥] حلية الأولياء (٢٨٠/١٠) ؛ البدع لابن وضاح ، ص ١٠.
- [٣٦٦] حقيقة البدعة وأحكامها (٣٢٩/١).
- [٣٦٧] الأم للشافعي (٢٦٥/٧).
- [٣٦٨] مناقب الشافعي ، ص ٣٦٧.
- [٣٦٩] مسائل الإمام أحمد لأبي داود ، ص ٢٧٦.
- [٣٧٠] إعلام الموقعين (١٢٣/٤) ، ترتيب المدارك (٦٤/١).
- [٣٧١] مجموع الفتاوى (٢٨٣/١).
- [٣٧٢] المصدر السابق نفسه.
- [٣٧٣] السلسلة الصحيحة (١٢/١ ، ٢٥ ، ٤٨٠/٣).
- [٣٧٤] الاعتصام (٢٦٣/٢).
- [٣٧٥] الموافقات (٧٤/٤).
- [٣٧٦] الولاية على البلدان (٣/٢) ؛ تاريخ ابن خياط ، ص ٢٠١.

- [٣٧٧] سير أعلام النبلاء (٤٤٠/٣).
- [٣٧٨] تاريخ يعقوبي (١٧٩/٢).
- [٣٧٩] الكامل في التاريخ (٣٩٨/٣)؛ الولاية على البلدان (٤/٢).
- [٣٨٠] تاريخ خليفة ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٨ ؛ الولاية على البلدان (٤/٢).
- [٣٨١] الولاية على البلدان (٤/٢) ؛ تاريخ الطبري (٧٩/٦).
- [٣٨٢] تاريخ الطبري (٨٠/٦)؛ الولاية على البلدان (٥/٢).
- [٣٨٣] تاريخ خليفة بن خياط ، ص (٨)؛ الولاية على البلدان (٢/٢).
- [٣٨٤] تاريخ ابن خياط ، ص ١٨١ ، ٢٠١ ؛ الولاية على البلدان (٢/٢).
- [٣٨٥] تاريخ الطبري (٥٣/٦) ؛ الولاية على البلدان (٢/٢).
- [٣٨٦] سير أعلام النبلاء (٤٠٩/٣)؛ الولاية على البلدان (٢/٢).
- [٣٨٧] تاريخ الطبري (٨٠/٦) ؛ الكامل (٣٧٣/٣).
- [٣٨٨] الولاية على البلدان (٣/٢).
- [٣٨٩] تهذيب التهذيب (٤٥٦/٧).
- [٣٩٠] الكامل (٢٢٢/٣)؛ الولاية على البلدان (٥/٢).
- [٣٩١] الولاية على البلدان (٥/٢).
- [٣٩٢] الإصابة (٥٦٢/٣)؛ الولاية على البلدان (٥/٢).
- [٣٩٣] تاريخ الطبري (٩٠/٦).
- [٣٩٤] الولاية على البلدان (٦/٢).
- [٣٩٥] تاريخ يعقوبي (٩٥/٢)؛ الولاية على البلدان (٦/٢).
- [٣٩٦] الولاية على البلدان (٦/٢).
- [٣٩٧] المصدر السابق نفسه.
- [٣٩٨] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٦.
- [٣٩٩] مروج الذهب للمسعودي (٣٥٧/٢)؛ الولاية على البلدان (٦/٢).

- [٤٠٠] الاستبصار لابن قدامة المقدسي ، ص ٩٩ ؛ الولاية على البلدان (٦/٢).
- [٤٠١] الولاية على البلدان (٦/٢).
- [٤٠٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١٠٩ .
- [٤٠٣] تاريخ الطبري (٦/٨٠ ، ٨١) ؛ الولاية على البلدان (٧/٢).
- [٤٠٤] تاريخ الطبري (٥٥/٦).
- [٤٠٥] البداية والنهاية (٧/٣٣٤).
- [٤٠٦] الإنصاف ، د. حامد خليفة ، ص ٥٧٥ .
- [٤٠٧] المصنف لابن أبي شيبة (٧/٤٧٢) إسناده صحيح .
- [٤٠٨] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ؛ خالد الغيث ، ص ١٦٠ .
- [٤٠٩] سير أعلام النبلاء (٣/٢٢٤) ، رجاله ثقات .
- [٤١٠] الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/٨٣).
- [٤١١] مسلم ، كتاب الإمارة ، رقم ١٨٥١ .
- [٤١٢] الانتصار للصحب والال ، ص ٥٠٧ .
- [٤١٣] تهذيب تاريخ دمشق (٤/٣٩) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١١٠ .
- [٤١٤] صحيح سنن ابن ماجه (١/٢٤).
- [٤١٥] مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، رقم ٢٤٠٤٥ ، حديث صحيح .
- [٤١٦] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١١٢ .
- [٤١٧] فتح الباري (١٣/٩٢) ؛ البداية والنهاية (٨/١٢٩).
- [٤١٨] فتح الباري (١٣/٩٢) ؛ استشهاد عثمان ، ص ١٦٠ .
- [٤١٩] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١١٢ .
- [٤٢٠] الولاية على البلدان (٨/٢).
- [٤٢١] معجم البلدان (٢/١٣٥).

- [٤٢٢] الأخبار الطوال للدينوري ، ص ١٥٤ ؛ الولاية على البلدان (٨/٢).
- [٤٢٣] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٠.
- [٤٢٤] تاريخ الطبري (٥٤/٦).
- [٤٢٥] الفتوح لابن أعمش الكوفي (٤٥/٤) ؛ الكامل (٣٧٩/٣).
- [٤٢٦] الكامل (٣٨٠/٣).
- [٤٢٧] سير أعلام النبلاء (٤١٤/٣).
- [٤٢٨] الولاية على البلدان (٩/٢).
- [٤٢٩] الفتوح لابن أعمش الكوفي (٥٠/٤ . ٥٢) ؛ تاريخ الطبري (١٩/٦).
- [٤٣٠] ولاية مصر للكندي ص ٤٢ ، ٤٣ ؛ الولاية على البلدان (٩/٢).
- [٤٣١] ولاية مصر ، ص ٤٤ ؛ النجوم الزاهرة (٩٤/١).
- [٤٣٢] الكامل في التاريخ (٣٥٤/٢).
- [٤٣٣] الفألة: الجماعة المنهزمون ؛ لسان العرب (٥٣١/١١).
- [٤٣٤] الولاية على البلدان (١٠/٢) نقلاً عن نهاية الأرب في تاريخ العرب للنويري.
- [٤٣٥] تهذيب تاريخ دمشق (٣٩/٤).
- [٤٣٦] الكامل في التاريخ (٣٥٤/٢).
- [٤٣٧] ولاية مصر ، ص ٤٤ ؛ الكامل في التاريخ (٣٥٤/٢).
- [٤٣٨] ولاية مصر ، ص ٤٤.
- [٤٣٩] الولاية على البلدان (١١/٢) ؛ النجوم الزاهرة (٩٨/١).
- [٤٤٠] الولاية على البلدان (١١/٢).
- [٤٤١] الكامل (٣٥٥/٢) ؛ الولاية على البلدان (١١/٢).
- [٤٤٢] تاريخ ابن عساكر ، ترجمة عثمان ، ص ٣٩٥.
- [٤٤٣] المستدرك (٩٥/٣ و ١٠٣) ، صحيح على شرط الشيخين.
- [٤٤٤] مرويات أبي مخنف ، د. يحيى اليحيى ، ص ٢١١.

- [٤٤٥] عثمان بن عفان للصلاحي ، ص ٤٠٧ ، ٤٠٩ .
- [٤٤٦] مرويات أبي مخنف ، ص ٢١١ .
- [٤٤٧] منهاج السنة (١/٤ ، ٩١١١) .
- [٤٤٨] البخاري ، رقم ٣٦٩٧ .
- [٤٤٩] مرويات أبي مخنف ، ص ٢١٢ .
- [٤٥٠] تاريخ ابن عساكر ، ترجمة عثمان ، ص ٣٩٥ ؛ مرويات أبي مخنف ، ص ٢١٢ .
- [٤٥١] تاريخ ابن عساكر ، ترجمة عثمان ، ص ٣٥٠ .
- [٤٥٢] المصنف (١٥/٢٦٨) .
- [٤٥٣] نقل ابن عساكر نصوص كثيرة تبين نصره علي لعثمان ، ترجمة عثمان ، ص ٣٩٥ .
- [٤٥٤] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢١٣ .
- [٤٥٥] الطبقات (٣/٧٠) سنده صحيح .
- [٤٥٦] البخاري ، رقم ٧ .
- [٤٥٧] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢١٤ .
- [٤٥٨] المصدر السابق نفسه .
- [٤٥٩] تاريخ خليفة، ص ٢٠١ ؛ فتوح مصر ، ص ٢٧٤ ، ولاية ، ص ٤٤٠ ؛ سير أعلام النبلاء (١٣/٣) .
- [٤٦٠] طبقات ابن سعد (٦/٥٢)؛ تاريخ بغداد (١/١٧٧) ؛ سير أعلام النبلاء (٣/١٠٢) .
- [٤٦١] كفتوح مصر ، وولاية مصر ، مرويات أبي مخنف ، ص ٢٠٧ .
- [٤٦٢] تاريخ ابن خلدون (٤/١٠٩٢) ؛ النجوم الزاهرة (١/٩٧)؛ البداية والنهاية (٧/٢٥١) .
- [٤٦٣] ولاية مصر ، ص ٤٥ - ٤٦ ؛ وفيها المدائني وهو صدوق ، وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسله .
- [٤٦٤] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢١٠ .
- [٤٦٥] ولاية مصر ، ص ٤٥ - ٤٦ .
- [٤٦٦] فتوح البلدان ص ٢٢٩ ، الولاية على البلدان (٢/١٢) .

- [٤٦٧] النجوم الزاهرة (١٠٣/١).
- [٤٦٨] النجوم الزاهرة (١٠٤/١) ، سير أعلام النبلاء (٣٤/٤).
- [٤٦٩] البداية والنهاية (٣٠٣/٨).
- [٤٧٠] تاريخ ابن خلدون (١١٢٥/٤).
- [٤٧١] مرويات أبي مخنف ، ص ٢٢٤.
- [٤٧٢] النجوم الزاهرة (١٠٦/١).
- [٤٧٣] ولاية مصر ، ص ٥٠ ؛ الولاية على البلدان (١٣/٢).
- [٤٧٤] الكامل في التاريخ (٣٥٦/٢).
- [٤٧٥] له أصل في صحيح مسلم ، كتاب الإمارة (١٥١٨/٣).
- [٤٧٦] تاريخ الطبري ، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص ٢٨٢.
- [٤٧٧] الكامل في التاريخ (٣٥٧/٢) ؛ الولاية على البلدان (١٣/٢).
- [٤٧٨] تاريخ الطبري (١١/٦).
- [٤٧٩] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٩ ؛ تاريخ الطبري (٥/٦).
- [٤٨٠] تاريخ الطبري (٧/٦ إلى ١٨).
- [٤٨١] تاريخ اليعقوبي (١٩٤/٢).
- [٤٨٢] مروج الذهب (٤٢٠/٢).
- [٤٨٣] الثقات (٢٩٧/٢).
- [٤٨٤] مرويات أبي مخنف ، ص ٢٤١.
- [٤٨٥] الكامل (٤٠٩/٢ إلى ٤١٤).
- [٤٨٦] نهاية الأرب (١٠٧/٢٠ - ١١٢).
- [٤٨٧] تاريخ ابن خلدون (١١٢٦/٤ - ١١٢٨).
- [٤٨٨] النجوم الزاهرة (١٠٧/١ - ١١٢).
- [٤٨٩] مسند أبي عوانة (١١٣/٤٠) ؛ مسلم (١٤٥٨/٣) مع اختلاف في بعض الألفاظ.

- [٤٩٠] قال الحاكم: هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة. تهذيب التهذيب (٦٠/٤).
- [٤٩١] تاريخ دمشق (٣٦٠/١٦).
- [٤٩٢] تاريخ الطبري (٧٦/٦).
- [٤٩٣] البداية والنهاية (١٦/٨).
- [٤٩٤] فتاوى ابن تيمية (٧٣/٣٥).
- [٤٩٥] صحيح مسلم (١٤٨٠/٣).
- [٤٩٦] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٤١٢.
- [٤٩٧] تاريخ دمشق (٢٦١/١٣).
- [٤٩٨] فتنة مقتل عثمان (٢٠٩/١).
- [٤٩٩] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢٤٣.
- [٥٠٠] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٤ ؛ تهذيب الكمال (٩٧/٦).
- [٥٠١] المصدر السابق نفسه.
- [٥٠٢] فتنة مقتل عثمان (٢٠٩/١).
- [٥٠٣] البداية والنهاية (١٩٣/٧).
- [٥٠٤] صحيح مسلم (١٣٥٧/٣).
- [٥٠٥] الأم (١٦٢/٤). انظر: اثار الحرب في الفقه الإسلامي ، ص ٤٧٩.
- [٥٠٦] حلية الأولياء (٣٠٥/١).
- [٥٠٧] مقدمة الجرح والتعديل (٧/١).
- [٥٠٨] المعجم الكبير (٨٤/١) ورجاله ثقات غير أمية بن خالد فهو صادق.
- [٥٠٩] الاستيعاب (٣٤٨/٣).
- [٥١٠] سير أعلام النبلاء (١٠٥/٢) ؛ مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢٤٨.
- [٥١١] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢٤٧.

[٥١٢] فضائل الصحابة (٧٥١/٢) ، وسنده صحيح مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢٤٨ .

[٥١٣] مرويات أبي مخنف ، ص ٢٤٨ .

[٥١٤] المصدر السابق نفسه .

[٥١٥] سير أعلام النبلاء (٣٢٠/٢) .

[٥١٦] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١٠٧ ؛ تاريخ الطبري (٤٩٢/٥) .

[٥١٧] تاريخ الطبري (٥٨٠/٥) .

[٥١٨] الإحن: الأحقاد .

[٥١٩] وقعة صفين للمنقري ، ص ١٠٥ ؛ الولاية على البلدان (١٥/٢) .

[٥٢٠] تاريخ الطبري (٥٦/٦) .

[٥٢١] تفسير التابعين (٣٧٤/١ - ٣٩٥) .

[٥٢٢] الحلية (٣١٨/١) ؛ تفسير التابعين (٣٧٦/١) .

[٥٢٣] المستدرک (٥٣٩/٣) ، صحح إسناده الحاكم ، ووافقه الذهبي .

[٥٢٤] تفسير التابعين (٣٧٧/١) .

[٥٢٥] السبحة: الدعاء وصلاة التطوع ، المرید: المكان يجعل فيه التمر .

[٥٢٦] تفسير الطبري (٢٤٥/٤) ؛ الدر المنثور (٥٧٨/١) .

[٥٢٧] فضائل الصحابة لأحمد (٩٨١/١) ، رقم ١٩٤٠ .

[٥٢٨] تفسير التابعين (٣٧٩/١) .

[٥٢٩] طبقات ابن سعد (٣٦٩/٢) .

[٥٣٠] تفسير التابعين (٣٧٩/١) ؛ فضائل الصحابة لأحمد ، رقم ١٥٥٥ .

[٥٣١] طبقات ابن سعد (٣٧٠/٢) .

[٥٣٢] تفسير التابعين (٣٧٠/٢) .

- [٥٣٣] المصدر السابق نفسه (٥٠٦/١).
- [٥٣٤] فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلاحي ، ص ٢٢٠.
- [٥٣٥] تاريخ الطبري (٤٢٥/٥ - ٤٣١).
- [٥٣٦] أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، ص ١٩١.
- [٥٣٧] الفتنة الكبرى (علي وبنوه) ، ص ١٢١.
- [٥٣٨] المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٢.
- [٥٣٩] المصدر السابق نفسه.
- [٥٤٠] الطبراني ، رقم ١٠٥٨٧ ، إسناده صحيح.
- [٥٤١] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠١؛ الولاية على البلدان (١٦/٢).
- [٥٤٢] الكامل في التاريخ (٣٥٢ ، ٣٥١/٢).
- [٥٤٣] الولاية على البلدان (١٦/١) ؛ تاريخ الطبري (٥٩٥/٥ إلى ٦١٥).
- [٥٤٤] تاريخ الطبري (٥٢/٦ ، ٥٣).
- [٥٤٥] الأخبار الطوال ، ص ٢٠٥؛ الولاية على البلدان (١٦/٢).
- [٥٤٦] الولاية على البلدان (١٦/٢) نقلاً عن تاريخ خليفة بن خياط.
- [٥٤٧] الولاية على البلدان (١٧/٢).
- [٥٤٨] المصدر السابق نفسه.
- [٥٤٩] صفة الصفوة (٣٢٧./١).
- [٥٥٠] سير أعلام النبلاء (٣٥٢/٣).
- [٥٥١] المصدر السابق نفسه.
- [٥٥٢] سير أعلام النبلاء (٣٥٢/٣) ، إسناده فيه ضعف ، إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبي (ص) حيث قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» رواه الترمذي ، رقم ٧٤٧ ، حديث حسن.
- [٥٥٣] سير أعلام النبلاء (٣٥٢/٣) فيه انقطاع.

[٥٥٤] المصدر السابق نفسه (٣/٣٥١) ؛ الحلية (١/٣٢٤).

[٥٥٥] المصدر السابق نفسه.

[٥٥٦] المصدر السابق نفسه.

[٥٥٧] المصدر السابق نفسه (٣/٣٥٧).

[٥٥٨] تاريخ الطبري (٥/٤٦٧).

[٥٥٩] تاريخ الطبري (٥/٥١١).

[٥٦٠] تاريخ الطبري (٥/٥٠٨).

[٥٦١] تاريخ الطبري (٥/٥١٧).

[٥٦٢] تاريخ الطبري (٥/٥١٩).

[٥٦٣] الاستبصار لابن قدامة ، ص ١٢٤ ؛ الولاية على البلدان (٢/١٩).

[٥٦٤] سير أعلام النبلاء (٢/٤٩٣).

[٥٦٥] هي كورة واسعة بين بغداد وواسط ، بها العديد من القرى ، وبها وقعة أمير المؤمنين علي مع

الخوارج. معجم البلدان (٥/٣٢٤).

[٥٦٦] الولاية على البلدان (٢/٢٠)؛ تاريخ خليفة (١٨٧ ، ٢٠٢).

[٥٦٧] المصدر السابق نفسه (٢/٢٠).

[٥٦٨] المصدر السابق نفسه.

[٥٦٩] تاريخ الطبري (٦/٧١).

[٥٧٠] المصدر السابق نفسه (٦/٥٣).

[٥٧١] ولاية البلدان (٢/٢١).

[٥٧٢] تاريخ الطبري (٦/٥٣).

[٥٧٣] المصدر السابق نفسه (٦/٥٢).

[٥٧٤] المصدر السابق نفسه (٦/٥٣).

[٥٧٥] الولاية على البلدان (٢/٢١).

- [٥٧٦] الطبقات الكبرى (٥٦١/٥) (٨٧/٧).
- [٥٧٧] تاريخ يعقوبي (٢٠٣/٢)؛ الولاية على البلدان (٢٢/٢).
- [٥٧٨] الأخبار الطوال ، ص ٢١٩ ؛ الولاية على البلدان (٢٢/٢).
- [٥٧٩] معجم البلدان (٢٠٧/١).
- [٥٨٠] الأخبار الطوال ، ص ١٥٣ ؛ الولاية على البلدان (٢٢/٢).
- [٥٨١] الكامل في التاريخ (٤٤٢/٢).
- [٥٨٢] الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين ، وداد القزاز ، ص ٥.
- [٥٨٣] فتوح البلدان ، ص ٣٩٩.
- [٥٨٤] تهذيب الكمال (١٩١/١) ؛ الولاية على البلدان (٢٣/٢).
- [٥٨٥] فتوح البلدان ، ص ٣٩٩ ؛ الولاية على البلدان (٢٣/٢).
- [٥٨٦] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٩٩ ؛ الولاية على البلدان (٢٣/٢).
- [٥٨٧] الولاية على البلدان (٢٣/٢).
- [٥٨٨] فتوح البلدان ، ص ٣٨٧ ؛ الأخبار الطوال ، ص ١٥٣ ؛ الولاية على البلدان (١٥٣/٢).
- [٥٨٩] تاريخ الطبري (٥٩٩/٥).
- [٥٩٠] الفتوح لابن أعمش الكوفي (٣٦٣/٢)؛ الولاية على البلدان (١٦٧/٢).
- [٥٩١] تاريخ الطبري (٦٠٠/٥ ، ٦٠١).
- [٥٩٢] المصدر السابق نفسه (٥٩٩/٥).
- [٥٩٣] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٩٣ ؛ الولاية على البلدان (٢٤/٢).
- [٥٩٤] فتوح البلدان ، ص ٢٠٧ ؛ الولاية على البلدان (٢٤/٢).
- [٥٩٥] أردبيل: من أشهر مدن أذربيجان ، وهي قاعدتها قبل الإسلام ، واشتهرت بذلك في صدر الإسلام ، وتقع حالياً على بعد ٦٤ شرق تبريز ؛ معجم البلدان (١٤٥/١).
- [٥٩٦] فتوح البلدان ، ص ٣٢٤ ؛ الولاية على البلدان (٢٥/٢).
- [٥٩٧] تاريخ يعقوبي (٩٥/٢) ؛ تاريخ الطبري (٢٧/٦ - ٤٧).
- [٥٩٨] الأنساب للسمعاني (٤٣٨/٧) ؛ الولاية على البلدان (٢٥/٢).

- [٥٩٩] البداية والنهاية (٣١٠/٧) ؛ الولاية على البلدان (٢٥/٢).
- [٦٠٠] تاريخ خليفة ، ص ٢٠٠ ؛ الولاية على البلدان (٢٥/٢).
- [٦٠١] نهاية الأرب (١٩٧/٢٠) ، الولاية على البلدان (٢٦/٢).
- [٦٠٢] تاريخ الطبري (٦٩٠/٥).
- [٦٠٣] المصدر السابق نفسه.
- [٦٠٤] التمهيد والبيان ، ص ١٨٦ ؛ الولاية على البلدان (٢٦/٢).
- [٦٠٥] الأخبار الطوال ، ص ٢٦ ؛ نقلاً عن الولاية على البلدان (٢٦/٢).
- [٦٠٦] الولاية على البلدان (٢٧/٢) ، جل هذا المبحث من كتاب (الولاية على البلدان) للدكتور عبد العزيز العمري ، وهو من أفضل ما اطلعت عليه في هذا الباب ، فجزاه الله خيراً.
- [٦٠٧] الولاية على البلدان (٢٧/٢ ، ٢٨).
- [٦٠٨] الخلفاء الراشدين للنجار ، ص ٣٧٤.
- [٦٠٩] عثمان بن عفان للصَّلَائي ، ص ٢٩٤ إلى ٣٢٣ ، طبعة دار ابن كثير ، دمشق.
- [٦١٠] تاريخ الطبري (٤٦١/٥ إلى ٤٦٣).
- [٦١١] تاريخ الطبري (٤٦٣/٥).
- [٦١٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١٠٣.
- [٦١٣] أنساب الأشراف (٣٦/٢).
- [٦١٤] الاستيعاب (٣٧١/٢) بحاشية الإصابة.
- [٦١٥] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٠٣ ؛ تاريخ الإسلام للذهبي ، عهد الخلافة الراشدة ، ص ٥٣٧.
- [٦١٦] علي وبنوه ، طه حسين إسلاميات ، ص ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٤ ؛ عبقرية علي للعقاد ، ص ٥٣ . ٥٥ . ٧٥ .
- [٦١٧] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١٠٥.

- [٦١٨] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٦ .
- [٦١٩] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٦ .
- [٦٢٠] علي بن أبي طالب ، عبد الستار الشيخ ، ص ١٧٦ .
- [٦٢١] عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٢٩ .
- [٦٢٢] عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٥٩ .
- [٦٢٣] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٩٧ .
- [٦٢٤] المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٣ .
- [٦٢٥] المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٢ .
- [٦٢٦] المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٥ .
- [٦٢٧] تاريخ الطبري (٤٦٧/٥) .
- [٦٢٨] سير أعلام النبلاء (٣٣/١)؛ الولاية على البلدان (١٧/١/١) .
- [٦٢٩] تاريخ الطبري (٢٥١/٥) .
- [٦٣٠] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٩٩/٢) .
- [٦٣١] المعجم الكبير للطبراني (٢٦١/١٢)؛ مصنف ابن أبي شيبة (٨١/١٥) رجاله رجال الصحيح .
- [٦٣٢] تاريخ ابن خياط ، ص ٢٠١؛ الولاية على البلدان (٣/٢) .
- [٦٣٣] سير أعلام النبلاء (٣٥/٣) ؛ الإصابة ، ترجمة ٤٧١١ .
- [٦٣٤] تحقيق مواقف الصحابة (١٠٠/٢) .
- [٦٣٥] الطبقات (٤٧١/٣) .
- [٦٣٦] التاريخ الكبير للبخاري (٢٠٩/٢/٣) .
- [٦٣٧] النجوم الزاهرة (٩٤/٢) ؛ ولاة مصر ، ص ٤٤ .
- [٦٣٨] الإصابة (٢٤٩/٣) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (١٠١/٢) .
- [٦٣٩] تاريخ خليفة ، ص ٢٠٠ ؛ تحقيق مواقف الصحابة (١٠١/٢) .
- [٦٤٠] سير أعلام النبلاء (٥١٢/٣) .

[٦٤١] تحقيق مواقف الصحابة (١٠١/٢).

[٦٤٢] حقة من التاريخ ، ص ٧٥ ؛ عثمان بن عفان للصلابي ، ص ٢٦٥ ، هناك تحقيق موسع في المسألة.

[٦٤٣] تحقيق مواقف الصحابة (٤١٧/١).

[٦٤٤] عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٢٩.

[٦٤٥] المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٩.

[٦٤٦] عصر الخلافة الراشدة ، ص ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢.

[٦٤٧] الأساس في السنة وفقهها ، سعيد حوى (١٦٧٥/٤)؛ عثمان بن عفان للصلابي، ص ٣٦٥.

[٦٤٨] تاريخ يعقوبي (٢٠٤/٢).

[٦٤٩] الولاية على البلدان (٣٣/٢).

[٦٥٠] تاريخ الطبري (٦٠٠/٥ ، ٦٠١).

[٦٥١] الفتاوى (١٥١/٢٨).

[٦٥٢] الولاية على البلدان (٣٤/٢) نقلاً عن الكامل لابن الأثير.

[٦٥٣] الولاية على البلدان ، (٣٦/٢).

[٦٥٤] المصدر السابق نفسه.

[٦٥٥] تراث الخلفاء الراشدين ، ص ١٥٦.

[٦٥٦] البلاغة (١٥٥/٢).

[٦٥٧] نهج البلاغة (١٥٥/٢).

[٦٥٨] تاريخ الطبري (٥٨٠/٥).

[٦٥٩] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٢٠٠.

[٦٦٠] بطانة الرجل: خاصته. والآئمة: جمع اثم. والظلمة: جمع ظالم.

[٦٦١] الخلف: بمعنى البدل.

- [٦٦٢] الاصار: جمع إصر؛ وهو الذنب والإثم ، وكذلك الأوزار.
- [٦٦٣] الإلف: الإلفة والمحبة.
- [٦٦٤] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، د. محسن الموسوي ، ص ٢٦١.
- [٦٦٥] مرارة الحق: صعوبته على نفس الوالي.
- [٦٦٦] نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص ٦٠٩.
- [٦٦٧] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢٦١.
- [٦٦٨] نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص ٦١.
- [٦٦٩] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ١٦١.
- [٦٧٠] نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص ٦١٢.
- [٦٧١] تفاقم الأمر: عظم ، فهم مستحقون لكل خير.
- [٦٧٢] أي: لا تعد شيئاً من تطفك معهم حقيراً فتركه لحقارته ، فكل تلطف له موقع في قلوبهم.
- [٦٧٣] نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص ٦١٣.
- [٦٧٤] أي: أفضل وأعلى منزلة من واسى الجند وساعدهم.
- [٦٧٥] أي: على الرؤساء.
- [٦٧٦] نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص ٦١٣.
- [٦٧٧] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢٦٥.
- [٦٧٨] نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ص ٦١٣.
- [٦٧٩] الدعة: الراحة.
- [٦٨٠] قارب: أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدرك فيها.
- [٦٨١] الذمة: العهد.
- [٦٨٢] أي: الوقاية ، أي: حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.
- [٦٨٣] أي: أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من الوفاء بالعهود.
- [٦٨٤] لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة ، أي: مهلكة.

- [٦٨٥] خاس بعهدة: خانه ونقضه ، والختل: الخداع.
- [٦٨٦] أفضاه: هنا بمعنى أفشاه.
- [٦٨٧] يستفيضون: أي يفزعون إليه بسرعة.
- [٦٨٨] الإدخال: الإفساد ، والمدالسة: الخيانة.
- [٦٨٩] نهج البلاغة ، ص ٦٢٧.
- [٦٩٠] المصدر السابق نفسه.
- [٦٩١] المصدر السابق نفسه.
- [٦٩٢] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢٥٦.
- [٦٩٣] منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية ، ص ٣٢٩.
- [٦٩٤] الولاية على البلدان (٣٧/٢) نقلاً عن شرح نهج البلاغة (٢٣٠/٢) طبعة أخرى غير محمد عبده.

- [٦٩٥] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢٥٧.
- [٦٩٦] شرح نهج البلاغة ، ص ٦٢٧.
- [٦٩٧] أي: لا تحمله محاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار على رأيه.
- [٦٩٨] أي: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.
- [٦٩٩] الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.
- [٧٠٠] لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه دون أن يأتي على أقصى فهم.
- [٧٠١] الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص.
- [٧٠٢] أي: لا يستخفه زيادة الثناء عليه.
- [٧٠٣] شرح نهج البلاغة ، ص ٦١٥.
- [٧٠٤] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٥٨.
- [٧٠٥] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢٦٢.
- [٧٠٦] شرح نهج البلاغة ، ص ٦٤٧.

- [٧٠٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٦١٧ .
- [٧٠٨] المصدر السابق نفسه ، ص ٦١٨ ؛ الإدارة والنظام ، ص ٢٥٨ .
- [٧٠٩] تاريخ اليعقوبي (٢/٢٠٣) ؛ الولاية على البلدان (٢/٣٧) .
- [٧١٠] أي: الاختبار والامتحان قبل تولية الأعمال .
- [٧١١] أي: أهلها هم الأولون .
- [٧١٢] أي: أكمله ووسع لهم فيه .
- [٧١٣] أي: نقصوا في أدائها أو خانوا .
- [٧١٤] العيون: الرقباء .
- [٧١٥] حدوة لهم: أي سَوق لهم وحثّ .
- [٧١٦] أي: اجتمعت عليه أخبار الرقباء .
- [٧١٧] شرح نهج البلاغة ، ص ٦١٦ .
- [٧١٨] الإدارة والنظام الإداري عند علي ، ص ٢٦٦ .
- [٧١٩] تفسير الرازي (٢٤/١٨٩) .
- [٧٢٠] الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٢/٥٩٣) .
- [٧٢١] أي: نصيبه من الحق .
- [٧٢٢] شرح نهج البلاغة ، ص ٦١١ .
- [٧٢٣] رفدهم: مساعدتهم وصلتهم .
- [٧٢٤] أي: المتردد بأمواله بين البلدين .
- [٧٢٥] يجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التثام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق .
- [٧٢٦] البائقة: الداهية .
- [٧٢٧] الشح: البخل .
- [٧٢٨] قارف: خالط . حكرة: الاحتكار .
- [٧٢٩] شرح نهج البلاغة ، ص ٦٢٠ .

- [٧٣٠] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢٦٣ .
- [٧٣١] المصدر السابق نفسه .
- [٧٣٢] القانع: السائل .
- [٧٣٣] المعتز: المتعرض للعطاء بلا سؤال .
- [٧٣٤] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٦٤ .
- [٧٣٥] فإن المسيء أُلزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن الثواب .
- [٧٣٦] قَبَلَهُمْ: بكسر ففتح . أي: عندهم .
- [٧٣٧] النصب: التعب .
- [٧٣٨] البلاء هنا: الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً . انظر: نهج البلاغة ، ص ٦١ .
- [٧٣٩] السيرة النبوية لابن هشام (٤٤٣/٢) .
- [٧٤٠] الولاية على البلدان (١٠٦/٢) ، تاريخ الطبري (٨٧/٥) .
- [٧٤١] النظم الإسلامية ، صبحي الصالح ؛ الولاية على البلدان (١٠٦/٢) .
- [٧٤٢] الأموال ، القاسم بن سلام ، ص ٣٤٥ ؛ الولاية على البلدان (١٠٦/٢) .
- [٧٤٣] الولاية على البلدان (١٠٧/١) .
- [٧٤٤] المصدر السابق نفسه (١٠٧/٢) .
- [٧٤٥] الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة للزبيدي ، ص ٤١ .
- [٧٤٦] تاريخ الطبري ، نقلاً عن الولاية على البلدان (١٠٨/٢) .
- [٧٤٧] العرافة والنقابة للفاروقي ، ص ٦١ ، ٨٠ ، ٨٦ ؛ الولاية على البلدان (١٠٨/٢) .
- [٧٤٨] نهج البلاغة ، ص ٥٣٩ .
- [٧٤٩] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢١٧ .
- [٧٥٠] نهج البلاغة ، ص ٧٠٠ .
- [٧٥١] المصدر السابق نفسه ، ص ٧٠١ .

[٧٥٢] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢١٧ .

[٧٥٣] نهج البلاغة ، ص ٦٢٣ .

[٧٥٤] نهج البلاغة ، ص ٦٢١ .

[٧٥٥] نهج البلاغة ، رقم ٥٣ ، ص ٦٢٤ .

[٧٥٦] نهج البلاغة ، ص ٦٢٢ .

[٧٥٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٦٤٧ .

[٧٥٨] الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

[٧٥٩] نهج البلاغة ، ص ٧١٤ .

[٧٦٠] نهج البلاغة ، ص ٦١٦ .

[٧٦١] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

[٧٦٢] نهج البلاغة ، ص ٦١٨ .

[٧٦٣] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٢٢ .

[٧٦٤] نهج البلاغة ، ص ٥٢٥ .

[٧٦٥] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٢٣ .

[٧٦٦] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٢٩ .

[٧٦٧] المصدر السابق نفسه .

[٧٦٨] المصدر السابق نفسه .

[٧٦٩] المصدر السابق نفسه .

[٧٧٠] المصدر السابق نفسه .

[٧٧١] نهج البلاغة ، ص ٦١٦ .

[٧٧٢] نهج البلاغة ، ص ٦١٦ .

[٧٧٣] شرح نهج البلاغة ، ص ٦١٥ .

[٧٧٤] الإدارة والنظام الإدارية ، ص ٢٣١ .

[٧٧٥] شرح نهج البلاغة ، ص ٦١٥ .

[٧٧٦] الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٣٤ .

[٧٧٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٣٤ .

[٧٧٨] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٣٥ .

[٧٧٩] المصدر السابق نفسه .

[٧٨٠] نهج البلاغة ، ص ٦١٢ ؛ الإدارة والنظام الإداري ، ص ٢٣٥ .

الفصل السادس

معركتا الجمل وصفين وقضية التحكيم

قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * } [الحجرات: ٩ - ١٠].

عن أنس بن مالك ، قال: قيل للنبي (ص) : لو أتيت عبد الله بن أبي؟ قال: فانطلق إليه ، وركب حماراً ، وانطلق المسلمون ، وهي أرض سبخة [(١)] ، فلما أتاه النبي (ص) قال: إليك عني ، فو الله لقد اذاني نتن حمارك. قال: فقال رجل من الأنصار: والله ، لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك. قال: فغضب لعبد الله رجل من قومه. قال: فغضب لكل واحد منهما أصحابه. قال: فكان بينهم ضرب بالجرید وبالأيدي وبالنعال. قال: فبلغنا أنها نزلت فيهم: [(٢)] { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات: ٩].

وعن الحسن ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ } سبحانه أمر النبي (ص) والمؤمنين إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله ، وينصف بعضهم من بعض ، فإن أجابوا حكم فيهم بكتاب الله ، حتى ينصف المظلوم من الظالم ، فمن أبي منهم أن يجيب فهو باغ ، فحق على إمام المؤمنين: أن يجاهدهم ويقاتلهم ، حتى يفيئوا إلى أمر الله ، ويقروا بحكم الله [(٣)].

وفي قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } أي: إذا تقاتل فريقان من المسلمين ، فيجب على ولاة الأمور الإصلاح بالنصح ، والدعوة إلى حكم الله ، والإرشاد ، وإزالة الشبه وأسباب الخلاف ، والتعبير ب(إن) للإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يقع القتال بين المسلمين ، وأنه إن وقع فهو نادر قليل ، والخطاب في الآية لولاة الأمور ، والأمر فيها للوجوب [(٤)].

وقد استدل البخاري وغيره بهذا على أن المعصية وإن عظمت لا تُخرج من الإيمان ، خلافاً للخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة كافر وهو في النار .

وثبت في صحيح البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله (ص) خطب يوماً، ومعه على المنبر الحسن بن علي رضي الله عنهما، فجعل ينظر إليه مرة، وإلى الناس أخرى، ويقول: «إن ابني هذا سيّد، ولعل الله تعالى أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» [(٥)].

فكان كما قال (ص)؛ أصلح الله تعالى به بين أهل الشام وأهل العراق بعد الحروب التي وقعت بينهما [(٦)].

وفي قوله تعالى: {فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات: ٩] أي: فإن اعتدت وتجاوزت الحدّ إحدى الفئتين على الأخرى، ولم تُدعِ لحكم الله وللنصيحة، فعلى المسلمين أن يقاتلوا هذه الطائفة الباغية، حتى ترجع إلى حكم الله وما أمر به من عدم البغي، والقتال يكون بالسلاح وبغيره، ويفعل الوسيط ما يحقق المصلحة، وهي الفيئة، فإن تحقق المطلوب بما دون السلاح كان ذلك، وإن تعين السلاح وسيلة فعل حتى الفيئة. وفي قوله تعالى: أي: رجعت الفئة الباغية في {فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ*} بعد القتال، ورضيت بأمر الله وحكمه، فعلى المسلمين أن يعدلوا بين الطائفتين في الحكم، ويتحرّوا الصواب المطابق لحكم الله، ويأخذوا على يد الطائفة الظالمة حتى تخرج من الظلم، وتؤدي ما يجب عليها للأخرى، حتى لا يتجدد القتال بينهما مرة أخرى، واعدلوا أيها الوسطاء في الحكم بينهما، إن الله يحب العادلين ويمجزيهم أحسن الجزاء، وهذا أمر بالعدل في كل الأمور [(٧)].

قال (ص): «المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور، على يمين العرش؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولّوا» [(٨)].

ثم أمر الله تعالى بالإصلاح في غير حال القتال ولو في أدنى اختلاف، فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} [الحجرات: ١٠]؛ فهذه الآية أصل من الأصول التي تُنظّم علاقة المسلم بأخيه المسلم [(٩)]. إن الله تعالى لم ينفِ صفة الإيمان عن إحدى الطائفتين أو كليهما مع وقوع القتال بينهما، وإن أولى الناس بالدخول تحت معنى هذه الآية هم سادات المؤمنين؛ الصحابة الكرام، سواء ما وقع في معركة الجمل أو صفين.

وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بتطبيق هذه الآية؛ من حرص على الإصلاح، وقد استجاب طلحة والزبير لذلك، إلا أن أتباع عبد الله بن سبأ أنشبو الحرب بين الطرفين، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله، وحرص أمير المؤمنين على الإصلاح مع أهل الشام، وبذل ما في وسعه من طرق

سلمية ، وجرّد سيفه بعد فشل كل المحاولات الإصلاحية لكي يفيء معاوية رضي الله عنه إلى السمع والطاعة ووحدة الخلافة الإسلامية ، إلا أن معاوية اشترط تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه ، فاجتهد وأخطأ ، وكان الحق مع أمير المؤمنين علي ووقع القتال.

وقال تعالى: فأثبت الإخوة الإيمانية لجميع المتقاتلين من {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} ، ومن باب أولى ما وقع بين علي وطلحة والزبير رضي الله عنهم في الجمل ، وما وقع مع معاوية في صفين ، ومن هنا يظهر لنا أن المتقاتلين في الجمل وصفين مؤمنين. ولا مجال للطعن في الصحابة بسبب هذه الحوادث التاريخية ، أو محاولة نزع الإيمان عنهم ، أو نشر العبارات المنحرفة في حقهم ، ويكفي في الرد على تلك المقولات الباطلة أن هذه الايات أثبتت لهم إخوة الإيمان ، ويأتي بيان ما وقع بينهم بإذن الله تعالى بالتفصيل.

فقد ذكر تعالى أن المؤمنين إخوة في الدين ، ويجمعهم أصل واحد وهو الإيمان ، فيجب الإصلاح بين كل أخوين متنازعين . وزيادة في أمر العناية بالإصلاح بين الأخوين أمر الله تعالى بالتقوى ، والمعنى: فأصلحوا بينهما ، وليكن رائدكم في هذا الإصلاح وفي كل أموركم تقوى الله ، وخشيته والخوف منه ، بأن تلتزموا الحق والعدل ، ولا تحيفوا

ولا تميلوا لأحد الأَخَوِينَ ، فإنهم إخوانكم ، والإسلام سؤى بين الجميع ، فلا تفاضل بينهم ولا فوارق ، ولعلكم ترحمون بسبب التقوى؛ وهي التزام الأوامر واجتناب النواهي [(١٠)].
وقد جعلت الاية الكريمة: الإصلاح بين الإخوة وتقوى الله سبب نزول رحمة الله ، تعظيماً لأمر الإصلاح بين المسلمين [(١١)].

ويلاحظ أنه قال: اتقوا الله عند تخاصم رجلين ، ولم يقل ذلك عند إصلاح الطائفتين ، لأنه في حالة تخاصم الرجلين يخشى اتساع الخصومة ، وأما في حال تخاصم الطائفتين فإن أثر الفتنة أو المفسدة عام شامل الكل [(١٢)]. . وكلمة (إنما) للحصر تفيد أنه لا أخوة إلا بين المؤمنين ، ولا أخوة بين المؤمن والكافر ، لأن الإسلام هو الرباط الجامع بين أتباعه ، وتفيد أيضاً أن أمر الإصلاح ووجوبه إنما هو عند وجود الإخوة في الإسلام ، لا بين الكفار ، فإن كان الكافر ذمياً أو مستأمناً وجبت إعانته وحمانيته ورفع الظلم عنه ، كما تجب إعانة المسلم ونصرته مطلقاً إن كان خصمه حربياً [(١٣)].

وقد قال ابن العربي. هذه الاية أصل في قتال المسلمين ، والعمدة في حرب المتأولين ، وعليها عوّل الصحابة ، وإياها عنى النبي (ص) بقوله: تقتل عماراً الفئة الباغية». أي: عمار بن ياسر.

الأمر بقتال البغاة فرض على الكفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين ، ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذا الأمر ، كسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، اعتذر إليه كل واحد منهم بعذر قبله منهم [(١٤)] أمير المؤمنين علي ، وهناك كثير من الأحكام سوف نراها من خلال سرد الوقائع التي حدثت بين الصحابة . بإذن الله تعالى ..

ويعتبر نظام التحكيم وقتال الفئة الباغية حتى تفأى إلى أمر الله ، نظام له السبق من حيث الزمن على محاولات البشرية في هذا الطريق ، وله الكمال والبراءة من العيب والنقص الواضحين في كل محاولات البشرية البائسة القاصرة التي حاولتها في كل تجاربها الكسيحة ، وله بعد هذا وذاك صفة النظافة والأمانة والعدل المطلق ، لأن الاحتكام فيه إلى الأمر الذي لا يشوبه غرض ولا هوى ولا يتعلق به نقص أو قصور [(١٥)]. ولم تنته محاولات الإصلاح منذ اندلاع القتال حتى توج بالصلح العظيم الذي خطط له أمير المؤمنين الحسن بن علي رضي الله عنه.

* * *

المبحث الأول

الأحداث التي سبقت معركة الجمل

كانت فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه سبباً في حدوث كثير من الفتن الأخرى ، وألقت بظلالها على أحداث الفتن التي تلتها ، وقد ساهمت أسباب عديدة في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه ؛ منها: الرخاء وأثره في المجتمع ، طبيعة التحول الاجتماعي في عهده ، مجيء عثمان بعد عمر ، وخروج كبار الصحابة من المدينة ، العصبية الجاهلية ، توقف الفتوحات ، الورع الجاهل ، طموح الطامحين ، تامر الحاقدين ، التدبير المحكم لإثارة الماخذ ضد عثمان ، استخدام الأساليب والوسائل المهيجة للناس ، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة... وقد تمّ تفصيل تلك الأسباب في كتابي (تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان) [(١٦)].

إن عثمان رضي الله عنه كان الناس يحبونه حباً عظيماً ، لحسن سياسته ، ولمكانته من رسول الله (ص) ، وأحاديثه في الثناء عليه ، وزواجه من ابنتيه حتى سُمِّي بذي النورين ، فهو من الصحابة الكبار الذين بشروا بالجنة ، ولقد تعرّض للظلم في حياته من بعض الغوغاء ، وكان في استطاعته أن يقضي عليهم ولكنه امتنع خوفاً من أن يكون أول من يسفك الدماء في أمة محمد (ص) ؛ فقد كانت سياسته في التعامل مع الفتنة قائمة على الحلم والتأني والعدل ، وقد منع الصحابة من قتال الغوغاء ، وأحب أن يقي المسلمين بنفسه ، ولذلك كان مقتله سبباً لحدوث كثير من الفتن الأخرى ، التي أَلقت بظلالها على الأحداث المتتالية من الفتن ، ولقد كان مقتله عظيماً على المسلمين ، ولذلك تصدّع المجتمع الإسلامي لهذا الحادث الجلل ، وانقسم الناس .

ومما يزيد في مكانته وبراءته مما نسب إليه؛ مواقف الصحابة من قتله ؛ فقد أجمع الجميع على براءته ، واتفقوا على الأخذ بدمه ، إلا أن المواقف اختلفت في الكيفية ، وهذا ما سيأتي بيانه بإذن الله .

ونحب أن نسلط الأضواء على دور عبد الله بن سبأ في الفتنة عموماً:

أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة:

١. السبئية حقيقة أم خيال؟ حقيقة عبد الله بن سبأ:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء ، وخالف في ذلك قلة من المعاصرين أكثرهم من الشيعة ، وحجة من أنكروه: أنه من إبداع مخيلة سيف بن عمر التميمي ، وذلك لانتقاد بعض علماء الرجال له في مجال رواية الحديث أن العلماء يعدونه حجة في الأخبار ، علماً بأنه وردت روايات كثيرة عند ابن عساكر تذكر عن عبد الله بن سبأ؛ ليس من بين رواها سيف بن عمر ، وقد حكم الألباني على بعضها بأنها صحيحة من حيث السند [(١٧)] ، وهذا غير الروايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشيعة؛ سواء في كتب الفرق أو الرجال أو الحديث عندهم ، وليس فيها سيف بن عمر هذا لا من قريب ولا من بعيد . وقد ابتدأ التشكيك في شخصية عبد الله بن سبأ [(١٨)] ووجوده ، في محاولة منهم لنفي دور العنصر اليهودي الحاقدي في زرع الفتنة بين المسلمين من جهة ، ومن جهة أخرى يوجه الاتهام للصحابة بأنهم سبب الفتنة ، بغرض هدم النموذج السامي والصور المشرقة لهم عند المسلمين ، وتابعهم على نفي وجود عبد الله بن سبأ بعض المعاصرين كلهم من الشيعة الرافضة لغاية في نفوسهم؛ وهي محاولتهم الفاشلة لتبرير أصل مذهبهم من مؤسسه الحقيقي كما أجمع القدماء جميعهم بما فيهم الشيعة ، وتجدد الإشارة أن من أنكروا عبد الله بن سبأ من المحسوبين على أهل السنة هم ممن تأثروا وتلمذوا على أيدي

المستشرقين ، فأين بلغ هؤلاء من قلة الحياء والجهل ، وقد ملأت ترجمته كتب التاريخ والفرق ، وتناقلت أفعاله الرواة ، وطبقت أخباره الافاق؟!!

لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبد الله بن سبأ الذي ظهر في أخبار الفتنة ، ودور ابن سبأ فيها ، ولم تكن قصراً على تاريخ الإمام الطبري ، واستناداً على روايات سيف بن عمر التميمي فيه ، إنما هي أخبار منتشرة في روايات المتقدمين ، وفي ثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي ، واءاء الفرق والنحل في تلك

الفترة ، إلا أن ميزة تاريخ الإمام الطبري على غيره: أنه أغزرها مادة ، وأكثر تفصيلاً لا أكثر ، ولهذا فإن التشكيك في هذه الأحداث بلا سند وبلا دليل بحجة عدم ذكر عبد الله بن سبأ إلا من طريق سيف بن عمر حتى بعد ثبوت ذكره من الروايات صحيحة؛ ليس فيها سيف بن عمر كما أسلفنا ؛ إنما يعني الهدم لكل تلك الأخبار ، والتسفيه بأولئك المخبرين والعلماء ، وتزييف الحقائق التاريخية ، فمتى كانت المنهجية ضرباً من ضروب الاستنتاج العقلي المحض في مقابل النصوص والروايات المتضاربة؟! وهل تكون المنهجية في الضرب صفحاً والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدمة والمتأخرة التي أثبتت لابن سبأ شخصية واقعية؟! [(١٩)].

وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السنة كثيراً منها:

. جاء ذكر السبئية على لسان أعشى همدان [(٢٠)] المتوفى عام ٨٣ هـ ، وقد هجى المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصاره من أهل الكوفة ، بعدما فرّ مع أشرف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارفٌ [(٢١)]

. وهناك رواية عن الشعبي المتوفى عام ١٠٣ هـ (٧٢١ م) تفيد أن أول من كذب عبد الله بن سبأ [(٢٢)].

وتحدث ابن حبيب [(٢٣)] المتوفى عام ٢٤٥ هـ (٨٦٠ م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيات [(٢٤)].

وكما روى أبو عاصم حُشيش بن أصرم المتوفى سنة ٢٥٣ هـ خبر إحراق علي رضي الله عنه لجماعة من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة [(٢٥)].

ويعتبر الجاحظ [(٢٦)] المتوفى سنة ٢٥٥ هـ من أوائل من أشار إلى عبد الله بن سبأ [(٢٧)].

ولكن روايته ليست أقدم رواية عن ابن سبأ كما يروي الدكتور جواد علي [(٢٨)].
- وخبر إحراق علي بن أبي طالب رضي الله عنه لطائفة من الزنادقة تكشف عنه الروايات الصحيحة في
كتب الصحاح والسنن والمسانيد [(٢٩)].

ولفظ الزندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ وطائفته ، يقول ابن تيمية: إن مبدأ الرفض إنما كان من
الزنديق عبد الله بن سبأ [(٣٠)].

ويقول الذهبي: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ، ضالٌّ مُضِلٌّ [(٣١)].
ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة.. وله أتباع يقال لهم: السبئية معتقدون الإلهية في
علي بن أبي طالب ، وقد أحرقتهم علي بالنار في خلافته [(٣٢)].

ويوجد لابن سبأ ذكر في كتب الجرح والتعديل ؛ يقول ابن حبان المتوفى ٣٥٤ هـ: وكان الكلبي . محمد
بن السائب الأخباري . سبئياً ، من أصحاب عبد الله بن سبأ ، من أولئك الذين يقولون: إن علياً لم
يمت ، وإنه راجع إلى الدنيا قبل الساعة.. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها [(٣٣)].

كما أن كتب الأنساب هي الأخرى تؤكد نسبة السبئية ، إلى عبد الله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية
، وهم الغلاة من الرافضة ، أصله من اليمن ، كان يهودياً وأظهر الإسلام [(٣٤)].

ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ؛ إذ أورد ابن عساکر في تاريخه
روايات لم يكن سيف فيها ، وهي تثبت وجود ابن سبأ وتؤكد أخباره [(٣٥)] ،

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ: أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة ؛ فإنه
ابتدع ابن سبأ الزنديق ، الذي أظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه ، وادّعى العصمة
له [(٣٦)].

ويشير الشاطبي [(٣٧)] ، المتوفى عام ٧٩٠ هـ: إلى أن بدعة السبئية من البدع الاعتقادية المتعلقة بوجود
إله مع الله . تعالى . ، وهي بدعة تختلف عن غيرها من المقالات [(٣٨)].

وفي خطط المقرئزي ، المتوفى عام ٨٤٥ هـ : أن عبد الله بن سبأ قام من زمن علي مُحدثاً القوم بالوصية
والرجعة والتناسخ [(٣٩)].

وأما المصادر الشيعية التي ذكرت ابن سبأ ، فقد روى الكشي عن محمد بن قولوبه ، قال: حدثني سعد
بن عبد الله ، قال: حدثني يعقوب بن يزيد ، ومحمد بن عيسى ، عن علي بن مهزيار ، عن فضالة بن
أيوب الأزدي ، عن أبان بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ ، إنه ادّعى

الرَّبِيبِيَّةُ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ . وَاللَّهُ . أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدًا طَائِعًا ، الْوَيْلُ لِمَنْ كَذَبَ عَلَيْنَا ، وَإِنْ قَوْمًا يَقُولُونَ فِيْنَا مَا لَا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا نَبْرًا إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ](٤٠) . وَالرَّوَايَةُ عِنْدَ الشَّيْعَةِ مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ صَحِيحُهُ](٤١) .

وَفِي كِتَابِ الْخِصَالِ أوردَ الْقَمِي الْخَبْرَ نَفْسَهُ ، وَلَكِنْ مَوْصُولًا بِسَنَدٍ آخَرَ ، وَأَمَّا صَاحِبُ رَوْضَاتِ الْجَنَاتِ فَقَدْ ذَكَرَ ابْنَ سَبَأَ عَلَى لِسَانِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ الَّذِي لَعَنَ ابْنَ سَبَأَ لِاتِّهَامِهِ بِالْكَذْبِ وَالتَّزْوِيرِ وَإِذَاعَةِ الْأَسْرَارِ وَالتَّأْوِيلِ](٤٢) .

وَقَدْ ذَكَرَ الدُّكْتُورُ سَلِيمَانَ الْعُودَةَ فِي كِتَابِهِ مَجْمُوعَةً مِنَ النُّصُوصِ الَّتِي تَزَخَّرُ بِهَا كُتُبُ الشَّيْعَةِ وَمَرْوِيَاتِهِمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأَ ؛ فَهِيَ أَشْبَهُ مَا تَكُونُ وَثَائِقُ مَسْجَلَةِ تَدِينٍ مِنْ حَاحُولٍ مِنْ مَتَأَخَّرِي الشَّيْعَةِ إِنْكَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأَ ، أَوْ التَّشْكِيكِ فِي أَخْبَارِهِ ، بِحُجَّةِ قَلَّةٍ ، أَوْ ضَعْفِ الْمَصَادِرِ الَّتِي حَكَتْ أَخْبَارَهُ](٤٣) .

إِنْ شَخْصِيَّةُ ابْنِ سَبَأَ حَقِيقَةٌ تَارِيخِيَّةٌ لَا لَبْسَ فِيهَا فِي الْمَصَادِرِ السُّنِّيَّةِ وَالشَّيْعِيَّةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالتَّأَخَّرَةِ عَلَى السَّوَاءِ ، وَهِيَ كَذَلِكَ أَيْضًا عِنْدَ الْغَالِبِيَّةِ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَمْثَالُ: يُولْيُوسُ فُلْهَازِنُ](٤٤) ، وَفَانْ فُولْتِنُ](٤٥) ، وَلِيْفِي دِيْلَافِيْدَا](٤٦) ، وَجُولْدُ تَسْهِيْرُ](٤٧) ، وَرِيْنُولْدُ نِكْلَسْنُ](٤٨) ، وَدَاوِيْتُ رُونْلِدْسُ](٤٩) ، .. عَلَى حَيْثُ يَبْقَى ابْنُ سَبَأَ مَحَلًّا شَكًّا أَوْ مَجْرَدَ خِرَافَةٍ عِنْدَ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ ؛ أَمْثَالُ: كِيْتَانِي وَبِرْنَارْدُ لُويْسُ](٥٠) ، وَفَرِيْدُ لَنْدَرُ الْمُتَأَرِّجِحُ](٥١) ، عَلَمًا بِأَنَّنا لَا نَعْتَدُ بِهِمْ فِي أَحْدَاثِ تَارِيخِنَا .

وَمِنْ اسْتَقْرَأَ الْمَصَادِرَ ، سِوَاءَ الْقَدِيْمَةِ وَالتَّأَخَّرَةِ ، عِنْدَ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ ، يَتَأَكَّدُ لَهُ بِأَنَّ وَجُودَ ابْنِ سَبَأَ كَانَ وَجُودًا تَوْكَّدَهُ الرَّوَايَاتُ التَّارِيخِيَّةُ ، وَتَفِيضُ فِيهِ كُتُبُ الْعُقَائِدِ ، وَذَكَرْتَهُ كُتُبُ الْحَدِيثِ ، وَالرِّجَالِ وَالْأَنْسَابِ ، وَالْأَدَبِ ، وَاللُّغَةِ ، وَسَارَ عَلَى هَذَا النَّهْجِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ وَالبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ ، وَيَبْدُو أَنَّ أَوَّلَ مَنْ شَكَّ فِي وَجُودِ ابْنِ سَبَأَ الْمُسْتَشْرِقُونَ ، ثُمَّ دَعَّمَ هَذَا الطَّرْحَ الْغَالِبِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ الْمُعَاَصِرِينَ ، بَلْ وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ وَجُودَهُ الْبَتَّةَ ، وَبَرَزَ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْعَرَبِ الْمُعَاَصِرِينَ مَنْ أَعْجَبَ بِإِرَاءِ الْمُسْتَشْرِقِينَ ، وَمَنْ تَأَثَّرَ بِكُتَابَاتِ الشَّيْعَةِ الْمُحَدِّثِينَ ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا لَيْسَ لَهُمْ مَا يَدْعُمُونَ بِهِ شَكَّهُمْ وَإِنْكَارَهُمْ إِلَّا الشُّكَّ ذَاتَهُ ، وَالِاسْتِنَادَ إِلَى مَجْرَدِ الْهُوَى وَالظَّنُونِ وَالفَرَضِيَّاتِ](٥٢) . وَمِنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ فِي مَعْرِفَةِ الْمَرَاجِعِ وَالْمَصَادِرِ السُّنِّيَّةِ وَالشَّيْعِيَّةِ وَالِاسْتَشْرَاقِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْتُ ابْنَ سَبَأَ ؛ فليَرَجِعْ : (تَحْقِيقُ مَوَاقِفِ الصَّحَابَةِ فِي الْفِتْنَةِ) ، لِلدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ مُحَمَّدِ أَحْمَزُونَ ، وَ(عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَبَأَ وَأَثَرُهُ فِي أَحْدَاثِ الْفِتْنَةِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ) ، لِلدُّكْتُورِ سَلِيمَانَ بْنِ حَمْدِ الْعُودَةَ .

٢. دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي، نتيجة عوامل التغيير التي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة، ومتظاهرين بالإسلام واستعمال التقية ، ومن هؤلاء: عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء ، وإذا كان ابن سبأ لا يجوز التهويل من شأنه كما فعل بعض المغالين في تضخيم دوره في الفتنة [٥٣] ، فإنه كذلك لا يجوز التشكيك فيه أو الاستهانة بالدور الذي لعبه في أحداث الفتنة ، كعامل من عواملها ، على أنه أبرزها وأخطرها ، إذ إنَّ هناك أجواء للفتنة مهَّدت له ، وعوامل أخرى ساعدته ، وغاية ما جاء به ابن سبأ آراء ومعتقدات ادَّعاها واخترعها من قبل نفسه ، وافتعلها من يهوديته الحاقدة ، وجعل يروِّجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه ، وهو الدسّ في المجتمع الإسلامي بغية النيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة ، وغرس بذور الشقاق بين أفرادها، فكان ذلك من جملة العوامل التي أدّت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وتفرُّق الأمة شيعاً وأحزاباً [٥٤] .

وخلاصة ما جاء به: أن أتى بمقدّمات صادقة وبني عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج الغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وقد سلك في ذلك مسالك ملتوية ؛ لبس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه ، فطرق باب القران بتأوله على زعمه الفاسد ؛ حيث قال: لَعَجِبُ مِمَّنْ يَزْعَمُ أَنَّ عَيْسَى يَرْجِعُ ، وَيَكْذِبُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ} [القصص: ١٨٥]. فمحمد أحق بالرجوع من عيسى [٥٥].

كما سلك طريق القياس الفاسد من ادِّعاء إثبات الوصية لعلي رضي الله عنه ؛ بقوله: إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصيِّ محمد ، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء [٥٦] .

وحيثما استقر الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرسوم ، وهو خروج الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه ، فصادف ذلك هوى في نفوس بعض القوم ؛ حيث قال لهم: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ص) ، ووثب على وصيِّ رسول الله (ص) ، وتناول

أمر الأمة؟ ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها لغير حق ، وهذا وصيِّ رسول الله (ص) ، فانفضوا في هذا الأمر فحرّكوه ، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر [٥٧] .

وبث دعائه ، وكاتب من كان استفسد في الأمصار ، وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم ، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة ، وأوسعوا الأرض إذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويسرون غير ما يبدون ، فيقول: أهل كل مصر: إنّا لفي عافية مما فيه الناس [(٥٨)]

ويظهر في النص الأسلوب الذي اتبعه ابن سبأ ، فهو أراد أن يوقع في أعين الناس بين اثنين من كبار الصحابة ، حيث جعل أحدهما مهضوم الحق وهو علي ، وجعل الثاني مغتصباً وهو عثمان ، ثم حاول بعد ذلك أن يحرّك الناس . خاصة في الكوفة . على أمرائهم باسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فجعل هؤلاء يثورون لأصغر الحوادث على ولائهم ، علماً بأنه ركّز في حملته هذه على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته ، فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأصحاب المطاعم منهم هيّج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان ؛ مثل: تمييزه لأقاربه ، وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم ، وأنه حمى الحمى لنفسه... إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرّك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان رضي الله عنه مع براءته.

ثم إنه أخذ يحضُّ أتباعه على إرسال الكتب بأخبار سيئة مفعجة عن مصرهم إلى بقية الأمصار ، وهكذا يتخيّل الناس في جميع الأمصار أن الحال بلغ من السوء ما لا مزيد عليه ، والمستفيد من هذه الحال هم السبئية ، لأن تصديق ذلك من الناس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلامي [(٥٩)] .

هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شيئاً ما يحاك في الأمصار ، وأن الأمة تمخض بشرٍّ فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرة ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحركها [(٦٠)] .

على أن المكان الذي رتع فيه ابن سبأ هو في مصر ، وهناك أخذ ينظم حملته ضد عثمان رضي الله عنه ، ويحثّ الناس على التوجه إلى المدينة لإثارة الفتنة؛ بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة بغير حق ، ووثب على وصي رسول الله (ص) . يقصد [(٦١)] علياً .. وقد غشّهم بكتب ادّعى أنها وردت من كبار الصحابة ، حتى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنورة واجتمعوا بالصحابة لم يجدوا منهم تشجيعاً ، حيث تبرؤوا مما نسب إليهم من رسائل تُؤلّب الناس على عثمان [(٦٢)] ، ووجدوا عثمان مقدرًا

للحقوق ، بل وناظرهم فيما نسبوا إليه ، وردّ عليهم افتراءهم وفسّر لهم صدق أعماله ، حتى قال أحد زعمائهم؛ وهو مالك بن الأشتر النخعي: لعلّه مُكر به وبكم[(٦٣)]!؟.

ويعتبر الذهبي أن عبد الله بن سبأ المهيج للفتنة بمصر ، وبأذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ، ثم على أمير المؤمنين عثمان فيها[(٦٤)] .

ولم يكن ابن سبأ وحده ، وإنما كان عمله ضمن شبكة من المتامرين ، وأخطبوط من أساليب الخداع والاحتيال والمكر وتجنيد الأعراب والقراء وغيرهم . ويروي ابن كثير أن من أسباب تألب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وذهابه إلى مصر ، وإذاعته بين الناس كلاماً اخترعه من عند نفسه ، فافتتن به بشرّ كثير من أهل مصر[(٦٥)] .

إن المشاهير من المؤرخين والعلماء من سلف الأمة وخلفها يتفقون على أن ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد وأفكار وخطط سبئية ، ليلفت المسلمين عن دينهم وطاعة إمامهم ، ويوقع بينهم الفرقة والخلاف ، فاجتمع إليه من غوغاء الناس ما تكوّنت به الطائفة السبئية المعروفة التي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وما ترتب على قتله من فتن ؛ كمعركة الجمل وصفين وغيرها...

والذي يظهر من خطط السبئية أنّها كانت أكثر تنظيماً ، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعا من الناس ، كما كانت نشيطة في تكوين فروع لها سواء في البصرة أو الكوفة أو مصر ، مستغلة العصبية القبلية ، ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، عارفة بالمواضع الحساسة في حياتهم وبما يريدون[(٦٦)] .

ثانياً: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه:

إن الخلاف الذي نشأ بين أمير المؤمنين علي من جهة ، وبين طلحة والزبير وعائشة من جهة أخرى ، ثم بعد ذلك بين علي ومعاوية ؛ لم يكن سببه ومنشؤه أن هؤلاء كانوا يقترحون في خلافة أمير المؤمنين علي وإمامته وأحقّيته بالخلافة والولاية على المسلمين ، فقد كان هذا محلّ إجماع بينهم.

قال ابن حزم: ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة ، ولكنّ اجتهاده أدّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان[(٦٧)] .

وقال ابن تيمية: ومعاوية لم يدع الخلافة ، ولم يبائع له بها حين قاتل علياً ، ولم يقاتل على أنه خليفة ، ولا أنه يستحق الخلافة ، ويقرون له بذلك ، وقد كان معاوية يقرّ بذلك لمن سأله عنه ، ولا كان معاوية وأصحابه يرون أن يبتدئوا علياً وأصحابه بالقتال ، ولا فعلوا [(٦٨)]...

وقال أيضاً: ... وكلّ فرقة من المتشيعين مقرّة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفتناً لعلي بالخلافة ، ولا يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي ، فإنّ فضل عليّ وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معلومة كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم [(٦٩)].

إن منشأ الخلاف لم يكن قدحاً في خلافة أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، وإنما اختلافهم في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان ، ولم يكن خلافهم في أصل المسألة ، وإنما

كان في الطريقة التي تعالج بها هذه القضية ، إذ كان أمير المؤمنين علي موافقاً من حيث المبدأ على وجوب الاقتصاص من قتلة عثمان ، وإنما كان رأيه أن يرجأ الاقتصاص من هؤلاء إلى حين استقرار الأوضاع وهدوء الأمور واجتماع الكلمة [(٧٠)] .

قال النووي: واعلم أن سبب تلك الحروب: أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم ، وصاروا ثلاثة أقسام:

. قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغٍ ، فوجب عليهم نصرته ، وقاتل الباغي عليه فيما اعتقدوه ، ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده .

. وقسم عكس هؤلاء: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر ، فوجب عليهم مساعدتهم وقاتل الباغي عليه.

وقسم ثالث: اشتبهت عليهم القضية ، وتحيروا فيها ، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم ؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين ، وأن الحق معه ، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه [(٧١)].

ثالثاً: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية ومن كان على رأيهم:

١. السيدة عائشة أم المؤمنين:

لما سمعت السيدة عائشة رضي الله عنها بموت عثمان في طريق عودتها من مكة إلى المدينة رجعت إلى مكة ودخلت المسجد الحرام ، وقصدت الحجر فتسترت فيه ، واجتمع الناس إليها ، فقالت: أيها الناس إن الغوغاء من أهل الأمصار ، وأهل المياه ، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب [(٧٢)] ، واستعمال من حدثت سنه ، وقد استعمل أسنانهم قبله ، ومواضع من الحمى حماها لهم ، وهي أمور قد سبق بها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ، ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم ، فلما لم يجدوا حجة ولا غدرأً خلجوا [(٧٣)] ، وبادروا بالعدوان ، نبا فعلهم عن قولهم ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام ، وأخذوا المال الحرام ، واستحلوا الشهر الحرام ، والله لإصبع عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم ، فنجاة [(٧٤)] من اجتماعكم عليه حتى ينكل بهم غيرهم [(٧٥)] ، ويشرد [(٧٦)] من بعدهم. والله لو أن الذي اعتدوا به عليه كان ذنباً؛ نخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه أو الثوب من درنه إذ ماصوه كما يماص الثوب بالماء [(٧٧)].

وجاء في رواية: أن عائشة حين انصرفت راجعة إلى مكة ، أتتها عبد الله بن عامر الحضرمي . أمير مكة . فقال لها: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأن الأمر لا يستقيم ولهذا الغوغاء أمر ، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام [(٧٨)] .

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة الصريحة ثناء السيدة عائشة على عثمان ، ولعنها لمن قتله ، وروت في حقه أحاديث عن رسول الله (ص) في فضائله ؛ فعن فاطمة بنت عبد الرحمن اليشكرية ، عن أمها: أنها سألت عائشة ، عندما أرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام ويسألك عن عثمان بن عفان ، فإن الناس قد أكثروا فيه ، فقالت: لعن الله من لعنه ، فوالله لقد كان قاعداً عند نبي الله ، وإن رسول الله (ص) مسند ظهره إليّ ، وإن جبريل عليه السلام ليوحى إليه القرآن ، وإنه ليقول: «أكتب عثمان» ، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله ورسوله [(٧٩)] .

وعن مسروق ، عن عائشة قالت: حين قُتل عثمان: تركتموه كالثوب النقي من الدنس ، ثم قرّبتموه تذبجونه كما يذبج الكبش ، فقال لها مسروق: هذا عملك ، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج إليه ، قالت عائشة: لا والذي امن به المؤمنون ، وكفر به الكافرون ؛ ما كتبت إليه بسوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا [(٨٠)] .

وقد مر معنا كذب السبئيين في كتابين عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وأنهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار ونسبوا كذباً وزوراً للسيدة عائشة ، وقد جاءت رواية موضوعة ، وضعيفة ، أسانيداً واهية من رواية الكذابين ، وللأسف اتبعها بعض المعاصرين ، وراجت عليهم هذه الأكاذيب ، وصورت العلاقة بين عائشة وعثمان رضي الله عنهما على صورة مناقضة تماماً للروايات الصحيحة السالفة الذكر ، وزعمت تلك الروايات الكاذبة بأن السيدة عائشة رضي الله عنها ألّبت على عثمان رضي الله عنه وقالت بوجود خلاف بينهما ، ونسبت إليها الاشتراك شبه الفعلي في قتله ، ونقل ذلك الطبري ، ونقل عن الطبري الكثير من المؤرخين ، وإليك مثال على ذلك:

ما ذكره الطبري ، قال: كتب إليّ عليّ بن أحمد بن الحسن العجلي: أن الحسين بن نصر العطار ، قال: حدثنا سيف بن عمر ، عن محمد بن نوية ، وطلحة بن الأعلم الحنفي قال: وحدثنا عمر بن سعد ، عن أسد بن عبد الله ، عن أدرك من أهل العلم: أن عائشة رضي الله عنها لما انتهت إلى سرف [(٨١)] راجعة إلى مكة ، لقيها عبد بن أم كلاب . وهو عبد بن أبي سلمة ، ينسب لأمه . فقالت له: مهيم ، قال: قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فمكثوا ثمانية ، قالت: ثم صنعوا ماذا ؟ قال: أخذها أهل المدينة بالاجتماع ، فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز ، اجتمعوا على علي بن أبي طالب. فقالت: ردوني ، ردوني ، والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك.

فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قتل والله عثمان مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه ، فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟! فوالله ، إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً [(٨٢)] فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه ، وقد قلت ، وقالوا ، وقولي الأخير خير من قولي الأول ، فقال لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر

وأنت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا: إنه قد كفر

فانصرفت إلى مكة فنزلت على باب المسجد فقصدت الحجر ، فتسترت واجتمع إليها الناس ، فقالت: إن عثمان قُتل مظلوماً ، والله لأطلبن بدمه [(٨٣)].

رويت هذه الرواية كما رأينا من طريقين عند الطبري: ويكفي أن في رجال الإسناد نصر بن مزاحم العطار المجروح في كتب الرجال بالصفات الآتية: شيعي ، منكر ، تركوه ، جلد [(٨٤)] . وأما الطريق الثاني ففي إسناده عمر بن سعد وهو قائد السرية الذين قاتلوا الحسين رضي الله عنه ، وهو عند رجال

الحديث لا يصح حديثه ، متهم بالوضع ، متروك [(٨٥)] ؛ فالرواية غير مقبولة الإسناد في أي من طريقي روايتها [(٨٦)] .

وقد جاءت روايات في كتب التاريخ والأدب ضعيفة وموضوعة لا تثبت أمام النقد العلمي ، سارت على النهج المظلم في تشويه السيدة عائشة رضي الله عنها [(٨٧)] .

إن الروايات التي جاءت في (العقد الفريد) ، وفي كتاب (الأغاني) ، و(تاريخ يعقوبي) ، و(تاريخ المسعودي) ، و(أنساب الأشراف) ، وغيرها من الكتب ، وما انتهت إليه من استدلالات في شأن الدور السياسي للسيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لا يعتدُّ بها لمخالفتها للروايات الصحيحة وقيامها على روايات واهية ، فأغلبها روايات غير مسندة ، والمسند مجروح الإسناد لا يحتجُّ بروايته ، هذا إضافة إلى فساد متونها إذا ما قورنت بالروايات الأخرى الأكثر صحة وقرباً للحقيقة [(٨٨)] .

وقد قامت السيدة الفاضلة والباحثة القديرة أسماء محمد أحمد زيادة بدراسة الأسانيد والمتون للروايات التي تحدثت عن الدور السياسي للسيدة عائشة في أحداث الفتنة ، ونقدت الروايات القائلة بالخلاف السياسي بين عائشة وعثمان عند الطبري وغيره ، وبيّنت زيفها وكذبها ، ثم قالت: وكان الأحرى بنا أن نعرض عن ذكرها جميعاً ، لعدم وصولها إلينا عن طريق معتمد ، بل الطرق التي وصلت منها رُمي أصحابها بالتشيع والكذب والرفض ، ولكننا عرضنا لها ، لشيوعها في أغلب الدراسات الحديثة ، وللتدليل على سقوطها ، فهي روايات . كما اتضح لنا حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف والتنكر بين عثمان وعائشة ، وبين عثمان والصحابة جميعاً [(٨٩)] .

ولو صح أن عائشة اتفقت مع المتمردين على التحريض على عثمان رضي الله عنه؛ لكان من المتوقع أن يكون عندها نوع من التماس العذر لهؤلاء المتمرّدين ، لكن لم يصح عنها رضي الله عنها شيء من هذا ، وإنه لو صح شيء من هذه الروايات في وصف موقف السيدة عائشة رضي الله عنها، وعن الصحابة الذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصادق عن الله ورسوله في تقرير عدالتهم التي كانت كافية لدحض هذه الروايات ، لكننا توقفنا أمام الروايات، تأكيداً منا على سقوط هذه الروايات ومن بعدها الاستدلالات القائمة عليها، حتى تجتمع الأدلة الدينية ، والعلمية ، والتاريخية في صعيد واحد يؤكد بعضها [(٩٠)] بعضاً . إن الاتهامات التي وجهت إلى السيدة عائشة لا تثبت سنداً ولا تقوم أمام الأدلة العقلية أيضاً.

٢. طلحة والزبير رضي الله عنهما:

طلب طلحة والزبير ومن معهم من الصحابة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تعجيل إقامة القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه ، فقال لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يا إخوانه! إني لست أجهل ما تعلمون ، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟! هاهم أولاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثاب إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ ، قالوا: لا ، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية ، إن لهؤلاء القوم مادة ، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قطّ فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً. إن الناس من هذا الأمر إن حُرِّك على أمور: فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس ، وتقع القلوب مواقعها ، وتؤخذ الحقوق ، فاهدوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا[(٩١)].

ولكن هذه السياسة الحكيمة ، لم يتفهم بها بعضهم ؛ فالناس في حال غضبهم وسيرهم وراء عواطفهم لا يدركون الأمور إدراكاً واقعياً يمكنهم من التقدير الصحيح ، فتعكس في تقديرهم الأوضاع ، ويظنون المستحيل ممكناً ، ولذلك قالوا: نقضي الذي علينا ولا نؤخره[(٩٢)]، وهم يعنون الطلب لإقامة الحدود على قتلة عثمان[(٩٣)] ، وأخبر علي

بمقاتلتهم ، فرغب أن يريهم أنه لا يستطيع وإياهم أن يفعلوا شيئاً في مثل تلك الظروف ، فنادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه ، فتدامرت السبئية والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع أن نحتج فيهم بشيء[(٩٤)]. وكان رواد الفتنة من السبئية تبادر إلى أذهانهم أن الخليفة يريد أن يجردهم من أعوانهم الذين يشدون أزهرهم ، ويقضون إلى جوارهم ، فعصوا ذلك الأمر ، وحرّضوا الأعراب على البقاء ، فأطاعوهم وبقوا في أماكنهم ، ففي اليوم الثالث بعد البيعة خرج عليّ وقال لهم: أخرجوا عنكم الأعراب ، وقال: يا معشر الأعراب الحقوا بمياهمكم. فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب ، ثم دخل بيته ودخل عليه طلحة والزبير في عدة من أصحاب النبي (ص) ، فقال: دونكم تأركم ، فقالوا: عشوا عن ذلك[(٩٥)]، فقال لهم علي: هم والله بعد اليوم أعشى وابي ، ثم أنشد يقول:

لو أن قومي طاوعتني سراهم
أمرتهم أمراً يديخ الأعدايا[(٩٦)]

حتى هذه اللحظة فإن علياً وطلحة والزبير والصحابة جميعاً كانوا يبدون متفقين تماماً على ضرورة إقامة الحدود على من فرقوا أمر الجماعة وخالفوا وقتلوا الخليفة ، دفعاً لضررهم عن الدين كله ، وكانوا

متعاونين في ذلك ، وكان الأمر يبدو منطقياً تماماً من علي رضي الله عنه ، واتفق معه الصحابة في ذلك ، ولكن كيف يصنعون لهؤلاء الغوغاء الذين تحكّموا في الأمور ، وحركوا معهم العبيد والأعراب ، وهم بين أهل المدينة يسومونهم ما شاءوا . لم تكن هناك إذن قدرة على قتالهم [(٩٧)] .

وتقدم طلحة والزبير بمقترح لعلي لمواجهة السبئية الموجودة حول علي ، فقد قال طلحة لعلي: دعني فلاّت البصرة ، فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل ، وقال الزبير: دعني ات الكوفة ، فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل [(٩٨)] ، ولكن علياً رضي الله عنه . نراه يترث ويقول لهما: حتى أنظر في ذلك [(٩٩)] .

ولعل علياً كان يخشى الفتنة وتحوّل الأمر إلى حرب أهلية داخل المدينة لا تحمد عقباه ، ولذلك لم يجب طلحة والزبير إلى مطلبهما [(١٠٠)] . وكان اقتراح الزبير وطلحة على علي دليلاً على اقتناعهما في الوقت نفسه بما قال علي رضي الله عنهم جميعاً من كون هؤلاء الغوغاء متغلغلين في داخل الصف ، يملكون المسلمين ولا يملكهم المسلمون ، فحاولا بهذا الطلب اختصار وقت تعطيل حد من حدود الله ، وتقوية جانب علي حتى يتمكن من إقامتها ، على أن الصحابة قد انتظروا أن ينظر علي في ذلك ، لكن علياً رضي الله عنه كان يرى أن هذا الأمر الذي وقع لا يُدرك إلا بإماتته ، وإنها فتنة من النار كلما سُعرت ازدادت واستنارت [(١٠١)] .

ولما رأى الزبير وطلحة ومن وافقهما من الصحابة أن أربعة أشهر قد مرت على مقتل عثمان ، ولم يستطع علي أن يقيم القصاص على قتلة عثمان بسبب أن الخارجين على عثمان لهم شوكة وقوة وتغلغل في جيش علي ، عندئذ قال طلحة والزبير لعلي: ائذن لنا أن نخرج من المدينة ، فإما أن نكابر [(١٠٢)] وإما أن تدعنا ، فقال: سأمسك الأمر ، ما استمسك ، فإذا لم أجد بُدّاً فإخر الدواء الكي [(١٠٣)] . فقد كان علي رضي الله عنه يعرف أن خروجهما من المدينة كان محاولة منهما للوصول إلى حل ، فلم يمنعهما من ذلك ، ربما لأنه كان يتمنى الوصول إلى حل أيضاً ، بل كان يحاوله ولكن بطريقته الخاصة [(١٠٤)] .

وقد خاض بعض الباحثين المعاصرين في تفسير النص المتعلق باستئذان طلحة والزبير في الذهاب للبصرة والكوفة والمجيء بخيل من هناك لدحر الغوغاء ، وامتناع علي عن الموافقة . بالباطل . ، وقالوا: إنه تخوف جانب الرجلين ، ويخشى أن يعيدها عليه جذعة ويستنا به سنة أهل مصر بعثمان ويكون له معهما يوم كيوم الدار [(١٠٥)] ، وتفسير كهذا تحميل للنص فوق ما يحتمل [(١٠٦)] ، وفيه ظلم وتجاوز في حق صفوة الصحابة.

لقد ذهب الزبير وطلحة رضي الله عنهما إلى مكة والتقوا بكِّمِّ غفير من المسلمين المطالبين بالقصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه ، وسوف يأتي الحديث عن ذلك بالتفصيل بإذن الله.

٣ - معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

شاع بين الناس قديماً وحديثاً: أن الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما . كان سببه طمع معاوية في الخلافة ، وأن خروج هذا الأخير على عليّ وامتناعه عن بيعته كان بسبب عزله عن ولاية الشام ، فقد جاء في كتاب (الإمامة والسياسة). المنسوب لابن قتيبة الدينوري [(١٠٧)] رواية تذكر أنّ معاوية ادّعى الخلافة ، وذلك من خلال الرواية التي ورد فيها ما قاله ابن الكواء لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه: اعلم أن معاوية طليق الإسلام ، وأن أباه رأس الأحزاب ، وأنه ادعى الخلافة من غير مشورة فإن صدقك فقد حلّ خلعه ، وإن كذبتك فقد حرم عليك كلامه [(١٠٨)] . وهذا كلام لا يثبت عن أمير المؤمنين علي ، وإنما من كلام الروافض وسيأتي الحديث عن كتاب (الإمامة والسياسة) وبيان كذبه وزوره ودوره في تشويه حقائق التاريخ في موضعه بإذن الله .

وقد امتلأت كتب التاريخ والأدب بالروايات الموضوعية والضعيفة ، التي تزعم : أن معاوية اختلف مع علي من أجل الملك والزعامة والإمارة [(١٠٩)].

والصحيح: أن الخلاف بين عليّ ومعاوية - رضي الله عنه - كان حول مدى وجوب بيعة معاوية وأصحابه لعلي قبل توقيع القصاص على قتلة عثمان أو بعده ، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء ، فقد كان رأي معاوية - رضي الله عنه - ومن حوله من أهل الشام أن يقتصّ عليّ - رضي الله عنه - من قتلة عثمان ، ثم يدخلون بعد ذلك في البيعة [(١١٠)] .

ويقول القاضي ابن العربي: إن سبب القتال بين أهل الشام وأهل العراق يرجع إلى تباين المواقف بينهما:

فهؤلاء - أي: أهل العراق - يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على

الإمام ، وهؤلاء - أي: أهل الشام - يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يؤوي القتلة [(١١١)] .

ويقول إمام الحرمين الجويني في (لمع الأدلة): إن معاوية وإن قاتل علياً ، فإنه لا ينكر إمامته ولا يدّعيها لنفسه . وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظناً منه أنه مصيب ، وكان مخطئاً [(١١٢)].

ويقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة: أنّ ما جرى بين معاوية وعليّ - رضي الله عنهما - من الحروب ، فلم يكن لمنازعة معاوية لعليّ في الخلافة للإجماع على أحقيّتها لعليّ.. فلم تهج الفتنة بسببها ، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه ، فامتنع عليّ [(١١٣)].

لقد تضافرت الروايات وأشارت إلى أنّ معاوية - رضي الله عنه - اتخذ موقفه للمطالبة بدم عثمان ، وأنه صرح بدخوله في طاعة عليّ - رضي الله عنه - إذا أقيم الحدّ على قتلة عثمان. ولو افترض أنه اتخذ قضية القصاص والثأر لعثمان ذريعة لقتال عليّ طمعاً في السلطان ، فماذا سيحدث لو تمكّن عليّ من إقامة الحدّ على قتلة عثمان؟! حتماً ستكون النتيجة خضوع معاوية لعليّ ومبايعته له ، لأنه التزم بذلك في موقفه من تلك الفتنة ، كما أن كل من حارب معه كانوا يقاتلون على أساس إقامة الحدّ على قتلة عثمان ، على أن معاوية إذا كان يخفي في نفسه شيئاً آخر لم يعلن عنه ، سيكون هذا الموقف بالتالي مغامرة ، ولا يمكن أن يقدم عليها إذا كان ذا أطماع [(١١٤)].

إن معاوية - رضي الله عنه - كان من كتّاب الوحي ، ومن أفاضل الصحابة ، وأصدقهم لهجة ، وأكثرهم حلمًا ، فكيف يعتقد أن يقاتل الخليفة الشرعي ويهرق دماء المسلمين من أجل مُلك زائل؟! وهو القائل: والله لا أخير بين أمرين ، بين الله وبين غيره ؛ إلا اخترت الله على ما سواه [(١١٥)] ، وقد ثبت عن رسول الله (ص) أنه قال فيه: «اللهم اجعله هادياً

مهدياً واهديه» [(١١٦)] ، وقال: «اللهم علمه الكتاب وقه العذاب» [(١١٧)].

أما وجه الخطأ في موقفه من مقتل عثمان - رضي الله عنه - فيظهر في رفضه أن يبايع لعليّ - رضي الله عنه - قبل مبادرته إلى الاقتصاص من قتلة عثمان ، ويضاف إلى ذلك خوف معاوية على نفسه لمواقفه السابقة من هؤلاء الغوغاء وحرصهم على قتله ، بل ويلتمس منه أن يمكنه منهم ، مع العلم أن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، بل يدخل في الطاعة ، ويرفع دعواه إلى الحاكم ، ويطلب الحق عنده [(١١٨)] ، وقد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتصّ من أحد ويأخذ حقه دون السلطان ، أو من نصبه السلطان لهذا الأمر ، لأن ذلك يفضي إلى الفتنة وإشاعة الفوضى [(١١٩)].

ويمكن القول: إن معاوية - رضي الله عنه - كان مجتهداً متأولاً يغلب على ظنه أن الحق معه ، فقد قام خطيباً في أهل الشام بعد أن جمعهم وذكّرهم أنه ولي عثمان - ابن عمه - وقد قتل مظلوماً ، وقرأ عليهم الآية الكريمة: { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * } [الإسراء: ٣٣]. ثم قال: أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان ، فقام أهل الشام جميعهم

وأجابوا إلى الطلب بدم عثمان ، وبايعوه على ذلك ، وأعطوه العهود والمواثيق على أن يبذلوا أنفسهم وأموالهم حتى يدركوا ثأرهم أو يفني الله أرواحهم [(١٢٠)].

وإذا قارنًا بين طلحة والزبير - رضي الله عنهما - ومعاوية ؛ لاحظنا أن طلحة والزبير رضي الله عنهما أقرب إلى الصواب من معاوية - رضي الله عنه - من أربعة أوجه ؛ كان أولها: مبايعتهما لعلّي طائعين مع اعترافهما بفضله ، ومعاوية لم يبايعه وإن كان معترفاً بفضله [(١٢١)].

والثاني: منزلتهما في الإسلام وعند المسلمين ، وسابقتهما ، ومعاوية لا شك دونهما فيها [(١٢٢)].

الثالث: أنهما أرادا قتل الخوارج على عثمان فقط ، ولم يتعمدوا محاربة علي ومن معه في وقعه الجمل [(١٢٣)] ، بينما أصر معاوية على حرب عليّ ومن معه في صفين [(١٢٤)].
والرابع: لم يتهما علياً بالهوادة في أخذ القصاص من قتلة عثمان ، ومعاوية ومن معه اتهموه بذلك [(١٢٥)].

رابعاً: موقف معتزلي الفتنة:

اعتمد كثير من الصحابة ممن اعتزلوا الفتنة - رضوان الله عليهم - ، على قول رسول الله (ص) : «ستكون فتن ؛ القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأ أو معاذاً فليعد به» [(١٢٦)].

قال ابن حجر: ففي الحديث تحذير من الفتنة والحث على اجتناب الدخول فيها ، وأن شرّها يكون بحسب التعلق بها [(١٢٧)].

وقال رسول الله (ص) : «إنها ستكون فتنة يكون المضطجع فيها خيراً من الجالس ، والجالس فيها خيراً من القائم ، والقائم خيراً من الماشي ، والماشي خيراً من الساعي» ، قالوا: يا رسول الله ، ما تأمرنا؟ قال: «من كانت له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه» ، قالوا: فمن لم يكن له شيء؟ من ذلك؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيضرب بحدّه على حرّة ، ثم لينج ما استطاع النجاء» [(١٢٨)].

وقال رسول الله (ص) : «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» [(١٢٩)].

وغير ذلك من الأحاديث التي تدعو صراحة إلى النهي عن الدخول في قتال الفتنة .

قال الجويني: قد صار طوائف من جلة أصحاب رسول الله (ص) إلى التخلف عن القتال

في زمن علي رضي الله عنه ، وإيثار السكون ، والركوب إلى السلام ، والتباعد عن ملتطم الغوائل ، منهم: سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[(١٣٠)] ، وكان من العشرة المبشرين بالجنة ، ومن تخلف أولاً: أبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وأبو أيوب الأنصاري ، وتبع هؤلاء أمم من الصحابة ولم يشتد نكير علي عليهم[(١٣١)].

وقد ذهب ابن حجر رحمه الله إلى أن الصحابة الذين اعتزلوا كانوا قلة ، قال: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا ، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا[(١٣٢)] .

وقال ابن تيمية: وأكثر أكابر الصحابة لم يقاتلوا ، لا من هذا الجانب ، ولا من هذا الجانب ، واستدل التاركون للقتال بالنصوص الكثيرة عن النبي (ص) في ترك القتال في الفتنة ، ويبيّنوا أن هذا قتال فتنة[(١٣٣)] .

وقد ذهب الإمام القرطبي إلى أن العلة في توقف الصحابة عن المشاركة في القتال مع الإمام علي هو أن قتال الفئة الباغية فرض كفاية وليس فرض عين ، فلذلك تخلف أمثال سعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة وغيرهم[(١٣٤)] ، وإليك طرفاً من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة.

١ - سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

كان سعد رضي الله عنه أفضل الصحابة بعد علي رضي الله عنه يوم صفين ، ولما قيل لسعد بن أبي وقاص: ألا تقاتل؟ إنك من أهل الشورى ، وأنت أحق بهذا الأمر من غيرك ، قال: لا أقاتل حتى يأتوني بسيف له عينان ولسان وشفقتان! يعرف المؤمن من الكافر ، فقد جاهدت وأنا أعرف الجهاد[(١٣٥)].

وأخرج مسلم من حديث عامر قال: كان سعد بن أبي وقاص في إبله فجاءه ابنه عمر ،

فلما راه قال: أعوذ بالله من شر هذا الرّاكب. فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك ، وتركت الناس يتنازعون المملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره فقال: اسكت. سمعت رسول الله يقول: «إن الله يحب العبد التقي النقي الخفي»[(١٣٦)].

٢ - محمد بن مسلمة رضي الله عنه:

عن الحسن: أن علياً بعث إلى محمد بن مسلمة فجاءه به ، فقال: ما خلفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع ابن عمك - يعني النبي (ص) - سيفاً ، فقال: «قاتل به ما قوتل العدو ، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم

بعضاً ، فاعمد به إلى صخرة ، فاضربه بها ، ثم الزم بيتك ، حتى تأتيك منية قاضية ، أو يد خاطئة» ، قال: خلوا عنه [(١٣٧)].

٣ . أبو موسى الأشعري رضي الله عنه:

عن زيد بن وهب قال: ... جاءنا قتل عثمان ، فجزع الناس من ذلك ، فخرجت إلى صاحب لي كنت أستريح إليه ، فقلت: قد منع الناس ما ترى ، وفينا رهط من أصحاب محمد (ص) ، فاذهب بنا إليهم ، فدخلنا على أبي موسى ، وهو أمير الكوفة ، فكان قوله نهيًا عن الفتنة ، والأمر بالجلوس في البيوت [(١٣٨)] .

وأخرج الطبري في قصة قدوم ابن عباس والأشتر إلى الكوفة لاستنفار الناس: أنّ أبا موسى قام . وكان يومها أميراً على الكوفة . فدعا الناس إلى لزوم البيوت ، ووضع السيوف في أعمادها ، وكان مما قاله يومئذ: ... فإنها فتنة صماء ، التائم فيها خير من اليقظان ، واليقظان فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي ، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب ، فاغمدوا السيوف ، وأنصلوا الأسنة واقطعوا الأوتار ، واووا المظلوم المضطهد ، حتى يلتئم الأمر وتنجلي هذه الفتنة [(١٣٩)].

وقال أيضاً: إنّ الفتنة إذا أقبلت شبهت ، وإذا أدبرت تبينت ، وإن هذه الفتنة باقرة كداء البطن ، تجري بها الشمال والجنوب والصبا والدبور ، فتسكن أحياناً ، فلا يدرى من أين يؤتى ، تذر الحليم كابن أمس ، شيموا سيوفكم ، وقصّوا رماحكم ، وأرسلوا سهامكم ، واقطعوا أوتاركم ، والزموا بيوتكم [(١٤٠)] .

وكان أبو موسى يستدل لموقفه بما رواه عن رسول الله (ص) من النهي عن الدخول في الفتنة والأمر بتكسير القسي ، وتقطيع الأوتار ، وضرب السيوف بالحجارة ، والرضا بمنزلة ابن ادم المقتول [(١٤١)] ، فعن أبي موسى الأشعري : أن رسول الله (ص) قال: «إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويُمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والماشي فيها خير من الساعي ، فاكسروا قسيكم ، واقطعوا أوتاركم ، واضربوا بسيوفكم بالحجارة ، فإن دخل . يعني على أحد منكم . فليكن كخير ابن ادم» [(١٤٢)].

٤ . عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قالت عائشة رضي الله عنها: ما أعلم رجلاً سلمه الله من أمور الناس واستقام على طريقة من كان قبله استقامة عبد الله بن عمر [(١٤٣)] . وعن سعيد بن جبیر قال: خرج علينا عبد الله بن عمر ، فرجونا أن يُحدّثنا حديثاً حسناً ، قال: فبادرنا إليه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن! حدّثنا عن القتال في الفتنة ، والله يقول: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } [البقرة: ١٩٣] . فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك؟! إنّما كان محمد يقاتل المشركين ، وكان الدخول في دينهم فتنة ، وليس كقتالكم على الملك [(١٤٤)] .

وعن نافع: أن رجلاً قال لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن ، ألا تسمع قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات: ٩] .

فقال: لأن أعتبر بهذه الآية فلا أقاتل ، أحب إليّ من أن أعتبر بالاية التي يقول فيها: { وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا } [النساء: ٩٣] ، ألا ترى أن الله يقول: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } [البقرة: ١٩٣] . قد فعلنا على عهد رسول الله (ص) إذ كان

الإسلام قليلاً ، وكان الرجل يفتن في دينه ، إمّا أن يقتلوه ، وإمّا أن يسترقّوه ، حتى كثر الإسلام ، فلم تكن فتنة [(١٤٥)] .

وقد ورد أن أمير المؤمنين عليّ بن أحمد لابن عمر وسعد بن أبي وقاص هذه المنزلة التي ارتضيهاها ، إذ قال: لله در مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر ، إن كان براً إنّ أجره لعظيم ، وإن كان إثماً إنّ خطأه ليسير [(١٤٦)] .

وفي رواية: لله درّ منزل نزله سعد بن مالك وعبد الله بن عمر ، والله إن كان ذنباً إنه لصغير مغفور ، ولن كان حسناً إنه لعظيم مشكور [(١٤٧)] .

وقال الخطابي: وكان ابن عمر من أشدّ الصحابة حذراً من الوقوع في الفتن ، وأكثرهم تحذيراً للناس من الدخول فيها ، وبقي إلى أيام فتنة ابن الزبير فلم يقاتل معه ، ولم يدافع عنه ، إلاّ أنّه كان يشهد الصلاة معه ، فإذا فاتته صلاتها مع الحجّاج ، وكان يقول: إذا دعونا إلى الله أجبناهم ، وإذا دعونا إلى الشيطان تركناهم [(١٤٨)] .

قال ابن تيمية: ومن حين مات عثمان تفرق الناس ، وعبد الله بن عمر الرجل الصّالح لحق بمكة ، ولم يزل معتزل الفتنة ، حتى اجتمع الناس على معاوية ، مع محبّته لعليّ ، ورؤيته له أنّه هو المستحق للخلافة، وتعظيماً له، وموالاته له، وذمّه لمن يطعن عليه، ولكن كان لا يرى الدخول في القتال بين المسلمين، ولم يمتنع عن موافقة عليّ إلا في القتال [(١٤٩)] .

٥ . سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

لما قُتل عثمان بن عفان خرج سلمة بن الأكوع إلى الرّيزة وتزوج هناك امرأة ، وولدت له أولاداً ، فلم يزل بها حتى أقبل قبل أن يموت بليال فنزل المدينة [(١٥٠)].

٦ . عمران بن حصين رضي الله عنه:

قال عنه الذهبي: كان ممن اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع علي [(١٥١)] . وعن حميد بن هلال

قال: لما هاجت الفتن ، قال عمران بن حصين لحجير بن الربيع العدوي: اذهب إلى قومك فأنهم عن الفتنة. قال: إني لمغمور فيهم وما أطاع ؛ فأبلغهم عني وأنهم عنها. قال: وسمعت عمران يقسم بالله: لأن أكون عبداً حبشياً أسود في أعنز حصبات ، في رأس جبل أرعاهنّ حتى يدركني أجلي ؛ أحبّ إليّ أن أرمي أحد الصّفيين بسهم أخطأت أم أصبت [(١٥٢)].

٧ . سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه:

قال الذهبي: وقد اعتزل الفتنة فأحسن ، ولم يقاتل مع معاوية ، ولما صفا الأمر لمعاوية وفد سعيد إليه ، فاحترمه وأجازته بمال جزيل [(١٥٣)] . وقال ابن كثير: فلما مات عثمان اعتزل الفتنة، فلم يشهد الجمل ولا صفين ، فلما استقر الأمر لمعاوية وفد إليه [(١٥٤)]. ولم يعتزل سعيد وحده بل تابعه قوم ، اعتزلوا باعتزاله ، حتى مضت الجمل وصفين [(١٥٥)].

٨ . أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

قال الذهبي: انتفع أسامة من قول النبي (ص) ، إذ يقول له: «كيف بلا إله إلا الله يا أسامة؟!»، فكف يده ، ولزم منزله ، فأحسن [(١٥٦)] . ويريد الذهبي بذلك ما رواه أسامة بن زيد ؛ حيث قال: بعثني رسول الله (ص) في سرية ، فاستبقنا أنا ورجل من الأنصار إلى العدو ، فحملت على رجل ، فلما دنوت منه كبر ، وطعنته فقتلته ، ورأينا أننا فعل ذلك ليحرز دمه ، وذكر الحديث ، وفيه: كيف؟! فقال . يعني النبي (ص) : «يا أسامة من لك بلا إله إلا الله؟!» فقلنا: يا رسول الله ، إنما قالها تعوذاً من القتل. قال: «من لك يا أسامة بلا إله إلا الله؟!» فما زال يردّها [(١٥٧)] حتى قال أسامة: لوددت أنّ ما مضى من إسلامي لم يكن ، وإني أسلمت يومئذ ، ولم أقتله. ثم قال: إني أعطي الله عهداً . ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله ، أبداً. فقال النبي (ص) : «بعدي يا أسامة؟» قال: بعدك [(١٥٨)].

وعن حرملة ، أنه قال: أرسلني أسامة إلى علي ، وقال : إنه سيسألك الان ، فيقول :

ما خلف صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنت في شدة الأسد ، لأحببت أن أكون معك فيه ، ولكن هذا أمر لم أراه [(١٥٩)] . قال ابن حجر: فاعتذر بأنه لم يتخلف ضناً منه بنفسه عن علي ، ولا كراهة له ، وإنه لو كان في أشد الأماكن هولاً لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه ، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته في قتال المسلمين [(١٦٠)] . وفي رواية أخرى عند الذهبي : عن الزهري قال: لقي علي أسامة بن زيد ، فقال: ما كنا نعدك إلا من أنفسنا يا أسامة ، فلم لا تدخل معنا؟ قال: يا أبا حسن! إنك والله لو أخذت بمشفر الأسد ، لأخذت بمشفره الآخر معك ، حتى تهلك جميعاً أو نجا جميعاً ، فأما هذا الأمر الذي أنت فيه ، فوالله لا أدخل فيه أبداً [(١٦١)] .

٩ . عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

فقد ورد عنه: أنه لما سُئِلَ عن خروجه مع معاوية وأبيه إلى صفين ، أنه لم يخرج لقتال ، وإنما خرج طاعة لأبيه ، فعن حنظلة بن خويلد العبدي ، قال: بينما أنا عند معاوية ، إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار ، فقال كل واحد منهما: أنا قتلتها ، فقال عبد الله بن عمرو: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: «تقتله الفئة الباغية» ، فقال معاوية: يا عمرو ، ألا تغني عنا مجنونك ، فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله (ص) فقال: «أطع أباك ما دام حياً» ، فأنا معكم ولست أقاتل [(١٦٢)] ، وورد ما يدل على ندمه على حضوره صفين ، فقد أخرج ابن سعد بسنده عن ابن أبي مليكة [(١٦٣)] ، قال: قال عبد الله بن عمرو: ما لي ولصفين ، ما لي ولقتال المسلمين؟! لوددت أني مت قبلها بعشر سنين . أما والله على ذلك . ما ضربت بسيفي ، ولا رميت بسهم [(١٦٤)] .

١٠ . صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه:

قال الذهبي: وكان ممن اعتزل الفتنة وأقبل على شأنه [(١٦٥)] . وعن جعفر بن برقان : أن ميمون بن مهران ذكر أصناف الناس وخلافهم في أمر عثمان وطلحة والزبير ومعاوية ، وكان مما قاله: وأما من لزم ؛ فمنهم سعد بن أبي وقاص ، وأبو أيوب الأنصاري ، وعبد الله بن عمر ، وأسامه بن زيد ، وحبیب بن سلمة الفهري ، وصهيب بن سنان ، ومحمد بن مسلمة في أكثر من عشرة الاف من أصحاب رسول الله (ص) ، والتابعين لهم بإحسان ، قالوا جميعاً: نتولى عثمان وعلياً ، ولا نتبرأ منهما ، ونشهد عليهما وعلى شيعتهما بالإيمان ونرجو لهم ، ونخاف عليهم [(١٦٦)] .

١١ . أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه:

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف ، وخليفة بن خياط في تاريخه ، وابن سعد في الطبقات عن شعبة قال : سألت الحكم: هل حضر أبو أيوب صفين؟ قال: لا ، ولكن شهد يوم النهر موقعة النهروان [(١٦٧)].

١٢- أبو هريرة رضي الله عنه:

فقد ورد أنه لم يشارك في الجمل ولا صفين ، وهو أحد رواة أحاديث النهي عن الدخول في الفتنة ؛ فقد قال: قال رسول الله (ص) : «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، ومن تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعد به» [(١٦٨)].

١٣- عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه:

قال الذهبي: ولي مصر لعثمان ، وقيل: شهد صفين ، والظاهر أنه اعتزل الفتنة وانزوى إلى الرملة [(١٦٩)].

هذا غيظ من فيض ، وقليل من كثير من أقوال الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة، فلم يشاركوا فيها ، بل إن بعضهم كان يحذّر غيره من المشاركة ، وهو اقتناع تكوّن لديهم ، من خلال الأحاديث التي رووها ، والتي فيها النهي عن الدخول في الفتن التي تقع بين المسلمين، وقد فرّق هؤلاء الصحابة بين قتال الخوارج والقتال في الجمل وصفين ، فقد شارك في قتال الخوارج كأبي برزة وأبي أيوب الأنصاري ، وهما من اعتزل الفتنة بين

المسلمين في الجمل وصفين. وأيضاً فإن هؤلاء الصحابة الذين اعتزلوا سرعان ما بايعوا معاوية ، بعد أن تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة واجتمعت عليه كلمة الأمة. وقال ابن حجر: وبايع معاوية كل من كان معتزلاً للقتال ؛ كابن عمر ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة [(١٧٠)].

إن الذي نفهمه من خلال هذه النصوص التي أوردناها أن علّة كفّ هؤلاء الصّحابة عن الدّخول مع أحد الطرفين ، قد يكون لأن الأمور كانت مشتبهة عليهم . كما قال النووي . فلم يتبينوا المحق من المبطل ، كما يظهر من كلام سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وقد يكون أنّهم لم يكونوا يرون أن القتال هو الحلّ الوحيد لهذه المشكلة ، لأن الصلح خير ، ومن الصلح أن يتم التنازل عن بعض الحق ، جمعاً لكلمة المسلمين ، ولعلنا نلمح من كلام أسامة رضي الله عنه شيئاً من هذا التوجيه ، فقد اعتذر لأmir المؤمنين علي بأنه لا يرى القتال معه في هذا السبيل ، رغم اعترافه بإمامته وفضله [(١٧١)].

وقد تحدث العلماء في أعدار المعتزلين:

أ . قال القرطبي: وقيل: من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها ، فاجتنبوا ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال [(١٧٢)].

ب . قال ابن حزم: وأما من وقف فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق ، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه [(١٧٣)].

ت . وقال ابن حجر: والحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد ، فمن لابس القتال أتضح له الدليل ، لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية ، وكانت له القدرة على ذلك ، ومن قعد لم يتضح له أي الفئتين هي الباغية ، وإذا لم يكن له القدرة على القتال. وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي ، وكان مع ذلك لا يقاتل ، فلما قتل عمار قاتل حينئذ ، وحدث بحديث: «يقتل عمار الفئة الباغية». أخرجه أحمد وغيره [(١٧٤)].

د . وقال الجصاص: فإن قيل: قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبي (ص) ، منهم: سعد ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وابن عمر! قيل له : لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية ، وجائز أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكثفياً بمن معه ، مستغنياً عنهم بأصحابه ، فاستجازوا القعود عنه لذلك ، ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج لا على أنهم لم يروا قتالهم واجباً ، لكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة القتال [(١٧٥)].

خامساً: موقف المترددين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال ، كأمر المؤمنين علي ، ومن معه: كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . ينتظر حتى يستتب له الأمر ، ثم ينظر في شأن قتلة عثمان ، فحين طالب الزبير وطلحة ومن معهم بإقامة حدّ القصاص عليهم؛ اعتذر لهم بأنهم كثير ، وأنهم قوة لا يستهان بها ، وطلب منهم أن يصبروا حتى تستقر الأوضاع وتهدأ الأمور ، فتؤخذ الحقوق ، لأنّ الظروف لم تكن مواتية من جلب المصالح ، وقد ألمح أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى اختيار أهون الشرين حين قال: هذا الذي ندعوكم إليه من إقرار هؤلاء القوم . قتلة عثمان . وهو خير من شر منه . القتال والفرقة [(١٧٦)].

لقد رأى أمير المؤمنين أن المصلحة تقتضي تأخير القصاص لا تركه ، فأخّر القصاص من أجل هذا ، وهذا فيه اقتداء بالنبي (ص) في حادثة الإفك ، وذلك أنه تكلم في عائشة رضي الله عنها مجموعة من الناس ، وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فصعد النبي (ص) وقال: «من يعذرني في رجل وصل أذاه إلى أهلي؟!»: يعني عبد الله بن أبي ابن سلول فقام سعد بن معاذ وقال: أنا أعذرک منه

يا رسول الله ، إن كان منا معشر الأوس قتلناه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا بقتله ، فقام سعد بن عبادة فرد على سعد بن معاذ ، وقام أسيد بن حضير فرد على سعد بن عبادة ، فصار النبي (ص) يخفضهم [(١٧٧)]؛ عَلم أن الأمر عظيم ، ذلك أن قبل مجيء النبي (ص) إلى المدينة كان الأوس والخزرج قد اتفقوا على أن يجعلوا عبد الله بن أبي ابن سلول ملكاً عليهم ، فهو له عندهم منزلة عظيمة ، وهو الذي رجع بثلاث الجيش في معركة أحد ، والنبي (ص) هنا ترك إقامة

الحد على عبد الله بن أبي ابن سلول لماذا؟ للمصلحة والمفسدة ، إذ رأى أن جلده أعظم مفسدة من تركه ، وكذلك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رأى أن تأخير القصاص أقل مفسدة من تعجيله ؛ لأن علياً رضي الله عنه لا يستطيع أن يقتل قتلة عثمان أصلاً ، لأن لهم قبائل تدافع عنهم ، والأمن غير مستتب ، وما زالت فتنة ، وَمَنْ يَقُول : إنهم لن يقتلوا علياً رضي الله عنه؟ وقد قتلوه بعد ذلك [(١٧٨)].

كان أمير المؤمنين علي ينتظر بقتلة عثمان أن يستوثق الأمن ، وتجتمع الكلمة ، ويرفع الطلب من أولياء الدم ، فيحضر الطالب للدم والمطلوب ، وتقع الدعوة ويكون الجواب ، وتقوم البيئة ويجري القضاء في مجلس الحكم [(١٧٩)] . ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى ذلك إلى إثارة الفتنة وتشتيت الكلمة [(١٨٠)] .

وأما ما أثير عن وجود قتلة عثمان في جيش أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، وكيف يرضى أن يكون هؤلاء في جيشه؟! فقد أجاب الإمام الطحاوي عن هذه الشبهة بقوله: وكان في عسكر علي - رضي الله عنه - من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يُعرف بعينه ومن تنتصر له قبيلته ، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله ، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله [(١٨١)].

وعلى كل حال ، كان موقفه منهم موقف المحتاط منهم ، المتبرأى من فعلهم ، وكان راجباً في الاستغناء عنهم بل الاقتصاص منهم ، لو وجد إلى ذلك سبيلاً ، وتحلى هذا في أمرين:

١ . موقف أمير المؤمنين علي من قتلة عثمان رضي الله عنهما :

لقد أنكر علي رضي الله عنه قتل عثمان وتبرأ من دمه ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها ، أنه لم يقتله ولا أمر بقتله ولا مالاً ولا رضي ، وقد ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع [(١٨٢)] ، خلافاً لما تزعمه الرافضة من أنه كان راضياً بقتل عثمان رضي الله عنهما [(١٨٣)] .

وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله رضي الله عنه: فأما الذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، فإنه كذبٌ وزور؛ فقد تواترت الأخبار بخلافه [(١٨٤)].

وقال ابن تيمية: وهذا كله كذب على عليّ رضي الله عنه وافتراء عليه؛ فعلي رضي الله عنه لم يشارك في دم عثمان ، ولا أمر ولا رضي ، وقد روي عنه ذلك وهو الصادق البار [(١٨٥)].

وقد قال علي رضي الله عنه: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان [(١٨٦)].

وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عباد قال: سمعت علياً يوم الجمل يقول: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان ، وأنكرت نفسي ، وجاءوني للبيعة فقلت: والله إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسول الله (ص): «ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة» ، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد؛ فانصرفوا ، فلما دفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت ، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبي ، وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى [(١٨٧)].

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمد ابن الحنفية قال: بلغ علياً: أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد [(١٨٨)] ، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان ؛ لعنهم الله في السهل والجبل ، قال مرتين أو ثلاثاً [(١٨٩)].

وروى ابن سعد بسنده عن ابن عباس: أن علياً قال: والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ، ولكني نُهيت ، والله ما قتلت عثمان ولا أمرت ولكني غلبت ، قالها ثلاثاً [(١٩٠)].

وجاء عنه أيضاً: أنه قال رضي الله عنه: من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الإيمان ، والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت [(١٩١)].

وكان يثني على عثمان رضي الله عنه ؛ وقال فيه: كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب [(١٩٢)].

وعن عميرة بن سعد قال: كنا مع علي على شاطئ الفرات ، فمرت سفينة مرفوع شراعها ، فقال علي: يقول الله عز وجل: {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ*} [الرحمن: ٢٤] .. والذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله [(١٩٣)].

وقال علي رضي الله عنه: إنما وهنت يوم قتل عثمان [(١٩٤)].

وقد اعتنى المحافظ ابن عساكر بجمع الطرق الواردة عن علي رضي الله عنه أنه تبرأ من دم عثمان ، وكان يقسم على ذلك في خطبه وغيرها : أنه لم يقتله ولا رضي بذلك ، ثبت ذلك عنه بطرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث [(١٩٥)].

٢ . محاولة استغناؤه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه:

كان رضي الله عنه يعاملهم بحذر شعوراً منه بخطرتهم ، حتى إنه لم يولّ أحداً منهم عند إرادة خروجه للشام ، حيث دعا ولده محمد ابن الحنفية وسلمه اللواء ، وجعل عبد الله بن عباس . رضي الله عنه . على الميسرة ، وجعل على مقدمة الجيش أبا ليلى بن عمر بن الجراح [(١٩٦)] ، واستخلف على المدينة قُثم بن العباس رضي الله عنهم [(١٩٧)] ، وهذه بادرة منه . رضي الله عنه . ليعلن تبرؤه من أولئك المارقين ، ويثبت قدرته على السيطرة على أمر المسلمين من غير عون منهم ، فقد كان له في المسلمين الموالين له والمؤيدين لخلافته ما يغنيه عن الاستعانة بهم والتودد إليهم ، وهذا أقصى ما يمكنه فعله بتلك الطائفة إذ ذاك ، وهو كافٍ في عذره ، لأنهم مئات ولهم قرابة وعشائر في جيشه ، فما يأمن لو عاملهم بأكثر من هذا من الشدة أن يمتدّ حبل الفتنة في الأمة [(١٩٨)] .

وحين تمّ الصلح بين أمير المؤمنين علي وطلحة والزبير وعائشة على يدي القعقاع بن عمرو . وسيأتي تفصيل ذلك ؛؛ خطب أمير المؤمنين علي عشية ذلك اليوم ، فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها ، وذكر الإسلام وسعادة أهله بالألفة والجماعة ، وأن الله جمعهم بعد نبهه . (ص) . على الخليفة أبي بكر ، ثم بعده على عمر بن الخطاب ، ثم على عثمان ، ثم حدث هذا الحدث الذي جرّه على الأمة أقوام . قتلة عثمان ؛؛ طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله بها عليه ، وعلى الفضيلة التي منّ الله بها ، وأرادوا ردّ الإسلام والأشياء على أدبارها ، والله بالغ أمره [(١٩٩)] .

ثم قال: ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ، ولا يرتحلنّ غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس ، وليغني السفهاء عني أنفسهم [(٢٠٠)] .

ويناقش الإمام الباقراني موضوع توقيع عقوبة القصاص على قتلة عثمان ، مبدياً رأيه لموقف علي . رضي الله عنه . في تأخير إجراء القصاص إلى حين إمكانه ، فيقول: وعلى أنه إذا ثبت أن علياً ممن يرى قتل الجماعة بالواحد ، فلم يُجزَ أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البيّنة على القتل بأعيانهم ، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه ، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم . وبأن يؤدي الإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه ، وإن تأخير

إقامة الحد إلى وقت إمكانه وتقصّي الحق فيه أولى وأصلح للأمة ، وألمّ لشعثهم ، وأنفى للفساد والتهمة عنهم [(٢٠١)] .

ويبرّر ابن حزم موقف عليّ - رضي الله عنه - في تأخير القصاص من قتلة عثمان بقوله: فنقول وبالله التوفيق : أما قولهم: إن أخذ القود من قتلة عثمان المحاربين لله تعالى ولرسوله ، الساعين في الأرض بالفساد ، والهاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلاف والصحبة والسابقة؛ فنعم ، وما خالفهم عليّ قط في ذلك ولا في البراءة منهم ، ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جداً لا طاعة له عليهم ، فقد سقط عن عليّ - رضي الله عنه - ما لا يستطيع عليه ، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام

بالصلاة والصوم والحج ولا فرق ، قال الله تعالى: { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: ٢٨٩] ، وقال رسول الله (ص): «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» [(٢٠٢)]. ولو أن معاوية بايع علياً لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان ، فصح أن الاختلاف هو أضعف يد عليّ على إنفاذ الحق عليهم ، ولولا ذلك لأنفذ الحق عليهم كما أنفذه على قتلة عبد الله بن خباب [(٢٠٣)] ، إذ قدر على مطالبة قتلته [(٢٠٤)].

وينقل ابن العربي وجهة نظر عليّ بقوله: وعليّ يقول: لا أمكّن طالباً من مطلوب ينفذ فيه مراده بغير حكم ولا حاكم [(٢٠٥)]. ثم يعقب: أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً ، وأما كونه لهذا السبب ، أي: بسبب الخلاف حول القصاص من قتلة عثمان ؛ فمعلوم كذلك قطعاً ، وأما الصواب فيه فمع عليّ ، لأن الطالب للدم لا يصح أن يحكم ، وتهمة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلب الحق عنده ، فإن ظهر له قضاء وإلا سكت وصبر ، فكم من حق يحكم الله فيه.. وأي كلام كان يكون لعليّ - لما تمت له البيعة - لو حضر عنده وليّ عثمان وقال له: إن الخليفة قد تملاً عليه ألف نسمة حتى قتلوه ، وهم معلومون ، ماذا كان يقول إلا أثبت وخذ ، وفي يوم يثبت ، إلا أن يثبتوا هم - أي: قتلته - أن عثمان كان مستحقاً للقتل ، وبالله لتعلمن يا معشر المسلمين أنه ما كان يثبت على عثمان ظلم أبداً ، وكان يكون الوقت أمكن للطلب وأرفق في الحال ، وأيسر وصولاً إلى المطلوب [(٢٠٦)].

إن علياً - رضي الله عنه - كان إماماً ، وأن كل من خرج عليه باغ ، وأن قتاله واجب حتى ينقاد إلى الحق ، ولا شك أن ردّه على أهل الشام بدخولهم في البيعة ثم يطلبون الحق - أي القصاص من قتلة عثمان -

كان في ذلك أسدً رايًا وأصوب قبلاً ، لأنه لو اقتص من قتلة عثمان ، والأمر لم يستتب له بعد لتعصّب لهؤلاء قبائلهم ، فتصير حرباً ثالثة ، فكان ينتظر أن يمسك بزمام الأمر ليقع الطلب من هؤلاء الجناة ويجري القضاء فيهم بالحق [(٢٠٧)].

وذكر عبد القاهر البغدادي في كتاب (الإمامة) ما هذا نصه: أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقَي الحديث ؛ والذين منهم: مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين : أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين ، كما قالوا بإصابته في قتل أهل الجمل . وقالوا أيضاً: لأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ، ولكن لا يجوز تكفيرهم بيغيبهم [(٢٠٨)].

ويلخص ابن تيمية رأي علي . رضي الله عنه . في قوله: فهو يرى أنه يجب على معاوية وأصحابه طاعته ومبايعته.. وأنهم خارجون عن طاعته يمتنعون عن هذا الواجب ، وهم أهل شوكة رأى أن يقاتلهم حتى يؤدوا هذا الواجب ، فتحصل الطاعة والجماعة [(٢٠٩)].

إنّ تأخير عليّ . رضي الله عنه . إقامة الحدّ الشرعي على قتلة عثمان كان عن ضرورة قائمة ومعلومة بالنسبة له ، فلما انتقل . رضي الله عنه . من المدينة إلى العراق ليكون على مقربة من الشام ، انتقل معه قتلة عثمان المندسّين في جيشه وهم كثرة ، ولا سيما أهل الكوفة والبصرة منهم ، فصاروا في معقل قوتهم وعنجهية قبائلهم ، فكان عليّ يرى أن إقامة الحدّ عليهم سيفتح عليه باباً ربما لا يستطيع سدّه بعد ذلك .

وقد انتبه لهذه الحقيقة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي وتحدث بها مع أم المؤمنين وطلحة والزبير ، فأذعنوا له وعذروا علياً ، ووافقوا على موقفه ذاك ، ورأيه السديد المتمثل في دفع أدنى المفسدتين ، وارتكاب أخفّ الضررين.

إن السياسة الحكيمة تقضي ما كان ينادي به أمير المؤمنين علي . رضي الله عنه . من التريث والأناة وعدم الاستعجال ، إذ إن الأمر يحتاج إلى وحدة الصف والكلمة لإيجاد موقف موحد، ومواجهة ذلك التحدي الذي يهدد مركز الخلافة ؛ بيد أن الخلاف في الرأي أضعف مركز الخليفة الجديد، وقضى على كل الامال في أخذ القصاص من قتلة عثمان [(٢١٠)] .

وهناك أدلة قوية تبين أن علياً كان محقاً أكثر من طلحة والزبير ومعاوية . رضي الله عنهم ؛ منها: ١ . ما رواه البخاري من طريق أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . ، عن رسول الله . (ص) . قال: «ويح عمّار تقتله الفئة الباغية» [(٢١١)].

يقول ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعليّ وعمار ، وردّ على النواصب الزاعمين أن عليّاً لم يكن مصيباً في حروبه [(٢١٢)] . ويقول النووي : بأن الروايات . أي عن النبي (ص) . صريحة في أنّ عليّاً . رضي الله عنه . كان هو المصيب المحقّ ، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية كانوا بغاة متأولين ، وفيها التصريح بأن أصحاب الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون [(٢١٣)] .

٢ . وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري . رضي الله عنه . ، قال : ذكر النبي (ص) قوماً يكونون في أمتهم ، يخرجون في فرقة من الناس ، سماهم التحالق . الخوارج . قال : «هم شر الخلق؛ يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» [(٢١٤)] . وفي رواية : «يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق» [(٢١٥)] .

ففي الحديث دلالة واضحة في أن عليّاً . رضي الله عنه . كان أدنى إلى الحق من مخالفه في الجمل وصفين .

سادساً: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح:

قدم طلحة والزبير إلى مكة ولقيا عائشة رضي الله عنهم جميعاً ، وكان وصولهما إلى مكة بعد أربعة أشهر من مقتل عثمان تقريباً ، أي: في ربيع الآخر من عام ٣٦ هـ [(٢١٦)] ، ثم بدأ التفاوض في مكة مع عائشة رضي الله عنها للخروج ، وقد كانت هناك ضغوط نفسية كبيرة على أعصاب الذين وجدوا أنفسهم لم يفعلوا شيئاً لإيقاف عملية قتل الخليفة المظلوم ، فقد اتهموا أنفسهم بأنهم خذلوا الخليفة ، وأنه لا تكفير لذنوبهم هذا . حسب قولهم . إلا الخروج للمطالبة بدمه ، علماً بأن عثمان هو الذي نهى عن كل من أراد أن يدافع عنه في حياته تضحية في سبيل الله .

فعائشة تقول: إن عثمان قُتل مظلوماً والله لأطالبن بدمه [(٢١٧)] ، وطلحة يقول: إنه كان مني في عثمان شيء ليس توبتي إلا أن يسفك دمي في طلب دمه [(٢١٨)] ، والزبير يقول: نُهض الناس فيدرك بهذا الدم لئلا يبطل ، فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبداً ، إذا لم يُفطم الناس عن أمثالها لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب [(٢١٩)] .

فهذا الإحساس الضاغط على الأعصاب والنفوس كان كفيلاً بأن يحرك الناس ويخرجهم من راحتهم واستقرارهم ، بل كانوا يخرجون وهم يدركون أنهم يخرجون إلى أهوال قادمة مجهولة ؛ فكل واحد منهم خرج من بيته وهو غير متوقع العودة مرة أخرى ، تشييعه أولاده بالبكاء ، وسمي يوم خروجهم من مكة

نحو البصرة بيوم النحيب ، فلم يُرَ يوم كان أكثر باكياً على الإسلام ، أو باكياً له من ذلك اليوم [(٢٢٠)].

لقد توفرت مجموعة من العوامل في مكة جعلتهم يفكرون في طريقة جادة لتحقيق مطلبهم ؛ ومن هذه العوامل :

. أن بني أمية قد هربوا من المدينة واستقروا في مكة .

ومنها : أن عبد الله بن عامر - أمير البصرة في عهد عثمان - كان في مكة وهو يبحث على الخروج ، ويعرض المعونة المادية .

ومنها: أن يعلى بن أمية الذي خرج من اليمن لإعانة الخليفة عثمان وصل مكة وقد قتل الخليفة ، ومعه من المال والسلاح والدواب شيئاً لا بأس به ، فعرض كل ذلك للمساعدة في قتل قتلة عثمان ، فكان هذا كفيلاً لتشجيع الباحثين عن طريقة لمطاردة قتلة عثمان .

وما دامت العوامل قد توفرت لجمع قوة تطالب بدم عثمان ؛ فمن أين يبدؤون؟ دار حوار بينهم حول الجهة التي يتوجهون إليها ؛ فقال بعضهم - وعلى رأسهم السيدة عائشة: إن المدينة هي وجهتهم ، وظهر رأي آخر يطلب التوجه إلى الشام ليتجمعوا معاً ضد قتلة عثمان ، وبعد نظر طويل قرّر رأيهم على البصرة ؛ لأن المدينة فيها كثرة ولا يقدرّون على مواجهتهم لقتلتهم ، ولأن الشام صار مضموناً لوجود معاوية ، ومن ثم يكون دخولهم البصرة أولى في هذه الخطة ؛ لأنها أقل البلدان قوة وسلطة ، ويستطيعون من خلالها تحقيق خطتهم [(٢٢١)].

وكانت خطتهم ومهمتهم واضحة سواء قبل خروجهم ، وفي أثناء طريقهم ، أو عند وصولهم إلى البصرة ؛ وهي: الطلب بدم عثمان ، والإصلاح ، وإعلام الناس بما فعل الغوغاء ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر [(٢٢٢)] ، وأن هذا المطلب هو لإقامة حدٍّ من حدود الله [(٢٢٣)] ، وإنه إذا لم يؤخذ على أيدي قتلة عثمان رضي الله عنه فسيكون كل إمام معرّضاً للقتل من أمثال هؤلاء [(٢٢٤)] .

وأما الطريقة التي تصوروها ؛ فهي الدخول إلى البصرة ثم الكوفة ، والاستعانة بأهلها على قتلة عثمان منهم أو من غيرهم ، ثم يدعون أهل الأمصار الأخرى لذلك حتى يُضيقوا الحناق على قاتلي عثمان الموجودين في جيش عليّ ، فيأخذونهم بأقل قدر ممكن من الضحايا [(٢٢٥)].

لم يكن الخروج إلى البصرة والغضب الذي حرك الصحابة من البساطة التي ظهرت للناس كثراً لعثمان رضي الله عنه ، وكأنه رجل من عوام الناس قُتِل ، فخرجت الجيوش في الطلب له بثأره ، رغم كونه حداً

من حدود الله يستوجب الغضب ويستدعي حدوث ذلك ، ولكن مكانة عثمان وشخصيته ومكانته المعنوية كخليفة ، وقتله بالصورة التي تمت ، كان فوق ذلك ، ومعه اغتيالاً لصفة شرعية هي الخلافة التي يفهمها المسلمون: نيابة عن صاحب الشرع في حفظ الدين ، وسياسة الدنيا به [(٢٢٦)] ، فالاعتداء عليها دون وجه حق اعتداء على صاحب الشرع وتوهين لسلطانه ، وضياع لنظام المسلمين [(٢٢٧)]. كانت السيدة عائشة والزبير وطلحة ومن معهم يسعون لإيجاد رأي إسلامي عام في مواجهة الطغمة السبئية التي قتلت عثمان ، وأصبحت ذات شوكة لا يستهان بها ، وذلك من خلال تعريف المسلمين بما أتى هؤلاء السبئيين والغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل ، ومن ظاهرهم من الأعراب والعيبد . فلقد بات واضحاً عند الصحابة من الفريق الذي كان يرى رأي عائشة رضي الله عنها:

أن الغوغاء والسبئيين لهم وجود في جيش علي ، وأنه لأجل ذلك ؛ فإن علياً رضي الله عنه يصعب عليه مواجهتهم ، خشية منه على أهل المدينة ، ومن ثم فإنه ينبغي عليهم أن يحاولوا السعي لإفهام المسلمين ، وتقوية الجانب المطالب بإقامة الحدود ، لتتم إقامتها بأقل الخسائر في دماء الأبرياء ، وهو هدف لا نشك أن علياً كان يسعى إليه ، ويحاوله ، بل إن الروايات التي مرت معنا في المحاورة بين الزبير وطلحة وعلي تدل على ذلك ، ثم إن هذا السلوك منهم ، وهذه النية في تعريف الناس ، وتوضيح الأمور لهم ، دليل على وعي تام منهم بأساليب السبئية في اللعب بأفكار العامة ، وتوجيهها على النحو الذي ينخر في الأمة حتى لا تستقر على حال ، فكان لا بد من مواجهتها في ميدان الأفكار ، لإبطال عملها ، ولقد تبين هذا العمل واضحاً ، وصریحاً في الروايات الصحيحة [(٢٢٨)]. التي تحدثت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها عن أهداف هذا الخروج .

فروى الطبري: أن عثمان بن حنيف - وهو والي البصرة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - أرسل إلى عائشة - رضي الله عنها - عند قدومها البصرة يسألها عن سبب قدومها ، فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ، ولا يغطي لبنيه الخبر ؛ إن الغوغاء من أهل الأمصار ، ونزاع القبائل ، غزوا حرم رسول الله (ص) ، وأحدثوا فيه الأحداث ، واووا فيه المحدثين ، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله ، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر ، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه ، وانتهبوا المال الحرام ، وأحلوا البلد الحرام ، والشهر الحرام ، ومزقوا الأعراض والجنود ، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ، ضارّين مضرّين غير نافعین ولا متقین. ولا يقدرّون على امتناع ولا يأمنون ، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا ، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا ، وقرأت: ﴿لَا

خَيْرٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ { [النساء: ١١٤] ،
فنهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله (ص) الصغير والكبير ، والذكر والأنثى ، فهذا
شأننا إلى معروف نأمركم به ونحضكم عليه ، ومنكر ننهاكم عنه ونحثكم على تغييره [٢٢٩].
وروى ابن حبان أن عائشة - رضي الله عنها - كتبت إلى أبي موسى الأشعري وإلى علي بن الكوفة: فإنه
قد كان من قتل عثمان ما قد علمت ، وقد خرجت مصلحةً بين الناس ،
فمر من قبلك بالقرار في منازلهم ، والرضا بالعافية حتى يأتيهم ما يحبون من صلاح أمر
المسلمين [٢٣٠].

ولما أرسل علي القعقاع بن عمرو لعائشة ومن كان معها يسألها عن سبب قدومها ، دخل عليها
القعقاع فسلم عليها ، وقال: أي أمه! ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني إصلاح
بين الناس [٢٣١].

وبعد انتهاء الحرب يوم الجمل جاء علي إلى عائشة - رضي الله عنها - فقال لها: غفر الله لك ، قالت:
ولك ، ما أردت إلا الإصلاح [٢٣٢]. فتقرر أنها ما خرجت إلا للإصلاح بين الناس ، وفيه رد على
من طعن في عائشة رضي الله عنها من الشيعة الروافض في قولهم: إنها خرجت من بيتها وقد أمرها الله
بالاستقرار فيه في قوله: { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } [الأحزاب: ٣٣] ، فإن
سفر الطاعة لا ينافي القرار في البيت وعدم الخروج منه إجماعاً ، وهذا ما كانت تراه أم المؤمنين عائشة
في خروجها للإصلاح للمسلمين ، وكان معها محرماً ابن أختها عبد الله بن الزبير [٢٣٣].

قال ابن تيمية في الرد على الرافضة في هذه المسألة: فهي - رضي الله عنها - لم تخرج تبرج الجاهلية الأولى
، والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها ، كما لو خرجت للحج والعمرة ، أو
خرجت مع زوجها في سفره ، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي (ص) ، وقد سافر بهن رسول الله
(ص) بعد ذلك ، كما سافر في حجة الوداع بعائشة - رضي الله عنها - وغيرها ، وأرسلها مع عبد الرحمن
أخيها فأردفها خلفه ، وأمرها من التنعيم ، وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي (ص) بأقل من ثلاثة
أشهر ، بعد نزول هذه الآية ، ولهذا كان أزواج النبي (ص) يحججن بعده كما كن يحججن معه في
خلافة عمر - رضي الله عنه - وغيره ، وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان ، أو عبد الرحمن بن عوف ،
وإذا كان سفرهن لمصلحة جائزاً ؛ فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين فتأولت في
ذلك [٢٣٤].

ويقول ابن العربي: وأما خروجها إلى حرب الجمل ؛ فما خرجت لحرب ، ولكن تعلق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهاجر الناس ، ورجوا بركتها في الإصلاح ، وطمعوا في الاستحياء منها إذا وقفت للخلق ، وظنت هي ذلك ، فخرجت مقتدية بالله في قوله: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ} [النساء: ١١٤]. والأمر بالإصلاح مخاطب به جميع الناس من ذكر أو أنثى ، حر أو عبد[٢٣٥].

وهذه بعض الأمور المهمة في خروجها:

١ . هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج:

زعم اليعقوبي: أن الزبير بن العوام أكره السيدة عائشة على الخروج[٢٣٦] ، وقال بهذا القول صاحب (الإمامة والسياسة)[٢٣٧] ، وابن أبي الحديد[٢٣٨] ، وكذلك فعل الدينوري[٢٣٩] ، وألحقت الرواية التي ذكرها الذهبي بأن المتسلط عليها هو عبد الله ابن الزبير[٢٤٠] ابن أختها أسماء . . وسار على هذه الروايات كثير من الباحثين ، كمحمد سيد الوكيل[٢٤١] ؛ فقد زعم أن الزبير وطلحة شجعوا عائشة على الخروج ، وزاهية قدورة[٢٤٢] وغيرهم ، وهذا غير صحيح ؛ فقد قامت السيدة عائشة بالمطالبة بئثار عثمان منذ اللحظة التي علمت فيها بمقتله رضي الله عنه ، وقبل أن يصل الزبير وطلحة وغيرهما من كبار الصحابة إلى مكة ، ذلك أنه قد روي . أنها لما انصرفت راجعة إلى مكة ، أتتها عبد الله بن عامر الحضرمي فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأن الأمر لا يستقيم ، ولهذا الغوغاء أمر ، فاطلبوا بدم عثمان تُعزّوا الإسلام ، فكان عبد الله أول من أجابها[٢٤٣] ، ولم

يكن طلحة والزبير قد خرجا من المدينة ، وإنما خرجا منها بعدما مرّت على مقتل عثمان أربعة أشهر[٢٤٤].

٢ . هل كانت متسلطة على من معها؟:

كان فيمن خرج معها رضي الله عنها جمع من الصحابة[٢٤٥] ، ولم تكن السيدة عائشة المرأة المتسلطة التي تحرك الناس حيث شاءت كما زعم بروكلمان[٢٤٦] ، ولقد أكدت روايات الطبري على تأييد أمهات المؤمنين لها ، ولمن معها في السعي للإصلاح ، بل وتأييد عدد غير قليل من أهل البصرة لها[٢٤٧] ، وكان هذا العدد غير القليل ممن لا يستهان بهم ، فلقد وصفهم طلحة والزبير بأنهم خيار أهل البصرة ونجباؤهم[٢٤٨] ، ووصفتهم السيدة عائشة بأنهم الصالحون[٢٤٩].

وما كان خروج هذا العدد من الصالحين إلا عن اعتقاد راسخ بجدوى هذا الخروج وصواب مقصده ، وكان أمير المؤمنين يعلم هذا ، ويرد الزعم الذي زعمه البعض من أن الخارجين مع السيدة عائشة كانوا جمعاً من السفهاء والغوغاء والأوباش [(٢٥٠)] ، فلقد وقف أمير المؤمنين بعد معركة الجمل بين القتلى من فريق عائشة ، يترحم عليهم ويذكر فضلهم [(٢٥١)] وسيأتي بيان ذلك. ولم يكن هذا الخروج كخروج غوغائي، تحكمت فيه السيدة عائشة في أناس غير راشدين ، بل كان خروجاً واعياً شارك فيه بعض الصحابة الكبار [(٢٥٢)].

٣ . موقف أزواج النبي (ص) من الخروج للطلب بدم عثمان:

كان أزواج النبي (ص) قد خرجن إلى الحج في هذا العام فراراً من الفتنة ، فلما بلغ الناس بمكة: أن عثمان قد قُتل ؛ أقمن بمكة وكن قد خرجن منها ، فرجعن إليها ، وجعلوا ينتظرون ما يصنع الناس ويتحسسون الأخبار ، فلما بويع عليّ خرج عدد من الصحابة من المدينة كارهين المقام بها بسبب الغوغاء من أهل الأمصار ، فاجتمع بمكة منهم خلق كثير من الصحابة وأمّهات المؤمنين [(٢٥٣)] ، وكان بقية أمّهات المؤمنين قد وافقن عائشة على السير إلى المدينة ، فلما اتفق رأي عائشة ، ومن معها من الصحابة على السير إلى البصرة ، رجعن عن ذلك وقلن: لا نسير إلى غير المدينة [(٢٥٤)].

كان الخروج في أمر عثمان إذن غير مختلف عليه بين أمّهات المؤمنين ، لكنهن اختلفن حين تغيرت الوجهة من المدينة إلى البصرة .

غير أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما وافقت عائشة على السير إلى البصرة ، وإنما عزم [(٢٥٥)] عليها أخوها عبد الله كيلاً تخرج ، فلم يكن عدم خروجها ناتجاً عن اقتناع منها [(٢٥٦)] ، وقالت لعائشة: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج ، وأرسلت إلى عائشة بعذرهما [(٢٥٧)] .

وتكاد الروايات الشائعة تبدي أن أم سلمة رضي الله عنها لم تكن ترى رأي عائشة ومن معها ، في الخروج إلى البصرة ، وإنما كانت ترى ما يراه علي [(٢٥٨)] ، غير أن أقرب الروايات إلى الصحة هي أنها أرسلت إلى علي ابنها عمر بن أبي سلمة قائلة: والله هو أعزّ علي من نفسي ، يخرج معك فيشهد مشاهدك ، فخرج فلم يزل معه [(٢٥٩)] ، وهي رواية عند التحقيق لا يتبين لنا منها أن هذا الإرسال لابنها يعني أنها كانت تحالف أمّهات المؤمنين في القول بالإصلاح بين المسلمين؛ فعائشة نفسها ومن معها لم يكونوا يرون أنهم بهذا الخروج يخالفون علياً رضي الله عنه ، أو يخرجون على خلافته كما رأينا ،

وكما سوف تؤكد لنا الأحداث ، كما إننا لم نجد في الروايات الصحيحة ما يدل على خروجها على إجماع أمهات المؤمنين في أهمية السعي للإصلاح [(٢٦٠)].

وكانت أمهات المؤمنين يعلمن . أن هذا الخروج في الإصلاح بين المسلمين مما يدخل في معنى الفرض الكفائي ، والضابط فيه أن الطلب فيه ليس متوجهاً إلى جميع المكلفين ، بل هو إلى ما فيه أهلية القيام به لا على الجميع عموماً ، ولقد كانت أهلية القيام بهذا الإصلاح بين المسلمين متوفرة تماماً في السيدة عائشة: مكانة وسناً وعلماً ، وقدرة ، وكانت عائشة أكثرهن فقهاً بإجماع جمهور المسلمين [(٢٦١)] ، كما إنها كانت تهتم بالأمر العامة ، فكانت صاحبة شخصية ثقافية واسعة ، تكوّنت منذ نشأتها في بيت أبي بكر العالم بأيام العرب وأنسابهم ، ومن عيشها في بيت رسول الله الذي خرجت منه أسس سياسة الدولة الإسلامية .

ثم هي بنت الخليفة الأول للمسلمين ، وقد أكد العلماء على هذه المكانة للسيدة عائشة ، فقد قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة ، فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت ، ولا بفريضة ، ولا بسنة ، ولا بشعر ، ولا أروى له ، ولا بيوم من أيام العرب ، ولا بنسب ، لا بكذا ، ولا بكذا.. ولا بقضاء ، ولا بطب منها [(٢٦٢)]. وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقها وعلمها ، ثم يقول: ما ظنكم بأدب النبوة؟! وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس رأياً في العامة [(٢٦٣)]. وكان الأحنف بن قيس سيد بني تميم ، وأحد بلغاء العرب يقول: سمعت خطبة أبي بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والخلفاء بعدهم.. فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ، ولا أحسن منه في عائشة. وكان معاوية يقول مثل هذا [(٢٦٤)].

هذا وقد خرجت أمهات المؤمنين مودعات للسيدة عائشة حين خرجت للبصرة ، وفي ذلك معنى من معاني المعاونة لها و التشجيع لها على أمرها [(٢٦٥)].

٤ . مرور السيدة عائشة على ماء الحَوْءِ:

ثبت مرور السيدة عائشة على ماء الحَوْءِ من طرق صحيحة ؛ فعن يحيى بن سعيد بن القطان ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن حازم: «كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحَوْءِ» [(٢٦٦)]. ومن طريق شعبة عن إسماعيل ولفظ شعبة: أن عائشة قالت لما أتت على الحَوْءِ: سمعت نباح الكلاب ، فقالت: ما أظنني إلا راجعة ، إن رسول الله (ص) قال لنا: «أيتكن

تنبح عليها كلاب الحوَّابِ». فقال لها الزبير : أترجعين؟! عسى الله عز وجل أن يُصلح بك بين الناس [(٢٦٧)].

وبهذا اللفظ أخرجه يعلى بن عبيد عن إسماعيل ، وهو عند الحاكم [(٢٦٨)] ، وقال الألباني: إسناده صحيح جداً ، وقال: صححه خمسة من كبار أئمة الحديث هم: ابن حبان ، والذهبي ، وابن كثير ، وابن حجر [(٢٦٩)].

فهذه الروايات الصحيحة ، ليس فيها شيء من شهادة الزور أو التدليس الذي ينتزه عنه مقام الصحابة والذي زعمته الروايات الضعيفة [(٢٧٠)] التي سيأتي بيانها.

إن المتأمل لهذه الروايات التي صححها العلماء لا يجد في أي منها ما يدل على نهي عن شيء ، أو أمر بشيء لتفعله السيدة عائشة ، بل إن ما يفهم منها هو تساؤله عن أيتها التي يحدث أن تمر على ماء الحوَّابِ؟

والروايات الدالة على النهي ، والتي بها لفظة (إياك) في الأثر الوارد: «إياك أن تكوني يا حميراء» [(٢٧١)] لم يصححها العلماء ، وإنما ضعفت ، ومن هنا فإن الصحيح الذي نذهب إليه: هو أن مرور السيدة عائشة على ماء الحوَّابِ لم يكن له الأثر السلبي الذي افتعلته الروايات الموضوعية ، ولم يكن له الأثر البعيد على نفسية السيدة عائشة نفسها ، بحيث تفكر جدِّياً في الرجوع عما خرجت له من إصلاح بين المسلمين ، وسعي لتسديد خطاهم ، ولم يعد الأمر أن يكون ظناً منها في احتمال الرجوع ، وهذا هو ما عبرت عنه حين قالت: ما أظني إلا راجعة. وهو ظن لم يتلبس إلا يسيراً ، ثم عاد بعد هدفها واضحاً بعدما ذكرها الزبير بما عسى الله أن يجريه على يديها من إصلاح بين المسلمين [(٢٧٢)].

لقد كانت ولا زالت مسألة ماء الحوَّابِ [(٢٧٣)] والأحاديث المذكورة فيها مجالاً خصباً للشيعنة وغيرهم يطعنون بها على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ويدينون بها خروجها في شأن الطلب بدم عثمان ، حتى انتهى بهم الأمر إلى نفي صفة الاجتهاد عنها ، بدعوى مخالفتها. في زعمهم. لنهي الرسول (ص) لها عن أن ترد ماء الحوَّابِ [(٢٧٤)].

وقد ذكرت المصادر التاريخية هذه القصة ؛ فقد جاءت عند الطبري في رواية طويلة ، يرويها إسماعيل بن موسى الفزاري ؛ قال عنه ابن عدي: أنكروا منه الغلو والتشيع [(٢٧٥)] ، ويروي الفزاري هذا الخبر عن علي بن عابس الأزرق ، وهو ضعيف ؛ قالها ابن حجر والنسائي [(٢٧٦)] ، وهو يروي هذا الخبر عن

أبي الخطاب الهجري وهو مجهول [(٢٧٧)] ، وهذا الهجري المجهول ، يرويه عن مجهول آخر هو صفوان بن قبيصة الأحمسي [(٢٧٨)] ، ثم أخيراً عن شخصية أشد جهالة هي شخصية العزني صاحب الجمل ، وما هو بصاحب الجمل ، وإنما صاحبه هو يعلى بن أمية [(٢٧٩)] .

وفي متن هذه الرواية ما يجده القارئ من رائحة التشيع والرفض الواضحة في آخر الرواية ، حيث تزعم على لسان علي أنه كان . رضي الله عنه . يرى أحقيته بالخلافة على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، والصحيح الثابت من الروايات المحققة يدل على خلاف ذلك تماماً [(٢٨٠)] .

وعلى أساس كل ما سبق يتضح لنا أن هذه الرواية غير صحيحة [(٢٨١)] ، وهناك روايات أخرى وردت في هذا الموضوع ، كلها باطلة سنداً ومتناً ، ومغزى هذه الروايات وهدفها هو الطعن على كبار الصحابة وفضلائهم ، وبيان أن مقصدهم من خروجهم هذا ، ما هو إلا تحقيق مطامع دنيوية شخصية من مال ورياسة وغيرها ، وأن الغاية تبرر الوسيلة ،

وأهم لا يتورعون في سبيل ذلك عن إشعال الحرب والفتنة بين المسلمين ، وتركز الروايات على الصحابييين الجليلين طلحة والزبير رضي الله عنهما [(٢٨٢)] .

كما يريد مفتري هذه الروايات أن يبين ويؤكد أن هذين الصحابييين ومن معهما من أفراد المعسكر؛ يتجرؤون على انتهاك حرمت الله ، فهم يُقسِمون ويحلفون لأم المؤمنين بأيمان مغلظة: أن هذا الماء ليس ماء الحوَّاب ، وزيادة على ذلك أتوا بسبعين نفساً ، وفي رواية: بخمسين نفساً يشهدون على صدق قولهم ، فكان هذا العمل كما افترى المسعودي الشيعي الرافضي أول شهادة زور في الإسلام [(٢٨٣)] .

وتحاول هذه الروايات أن تظهر أن طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم ، ليسوا على شيء من صفاء القلوب والاجتماع على هدف واحد ، وتحاول أن تظهر أن عائشة رضي الله عنها بجانب طلحة رضي الله عنه ، وفي قرارة نفسها أن يتولى هو الخلافة ، وذلك لأنه تيمي مثلها .

كما تظهر هذه الروايات أن هناك تنافساً داخلياً بين طلحة والزبير ، وحرصاً من كل واحد منهما أن يتولى الإمارة .

وهذه الروايات لا تخلو من ضعف قوي ، فبعضها منقطع السند ، أو فيها مجاهيل لا يعرفون ، أو فيها كلا العيين القادحين [(٢٨٤)] . ولقد تأثر كثير من الكتاب والمؤرخين بهذه الروايات ، واعتمدوا عليها

، وساهموا في نشرها وهي لا أساس لها ، كالعقاد في عبقرية علي ، وطه حسين في علي وبنوه [(٢٨٥)] ،
، وغيرهم من الكتاب المعاصرين .

٥ . أعمالهم في البصرة:

عندما وصل طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ومن معهم البصرة ؛ نزلوا جانب الخريبة [(٢٨٦)] ،
ومن هناك أرسلوا إلى أعيان وأشراف القبائل يستعينون بهم على قتلة عثمان ، كان كثير من المسلمين في
البصرة وغيرها يودون ويرغبون في القود من قتلة عثمان رضي

الله عنه ، إلا أن بعض هؤلاء يرون أن هذا من اختصاص الخليفة وحده ، وأن الخروج في هذا الأمر
بدون أمره وطاعته معصية ، ولكن خروج هؤلاء الصحابة المشهود لهم بالجنة ، وأعضاء الشورى ومعهم
أم المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله (ص) وأفقه النساء مطلقاً ، ومطلبهم الشرعي لا غبار عليه ولا
ينكره صحابي واحد ، جعل الكثير من البصريين على اختلاف قبائلهم ينضمون إليهم .

وأرسل الزبير إلى الأحنف بن قيس السعدي التميمي يستنصره على الطلب بدم عثمان ، والأحنف من
رؤساء تميم وكلمته مسموعة .

يقول الأحنف واصفاً هول الموقف: ... فأتاني أفضع أمر أتاني قط ، فقلت: إن خذلاني هؤلاء ومعهم
أم المؤمنين وحواري رسول الله (ص) لشديد [(٢٨٧)] . إلا أنه اختار الاعتزال ، فاعتزل معه ستة الاف
ممن أطاعه من قومه ، وعصاه في هذا الأمر كثير منهم ، ودخلوا في طاعة طلحة والزبير وأم
المؤمنين [(٢٨٨)] .

ويذكر الزهري أن عامة أهل البصرة تبعوهم [(٢٨٩)] .

وهكذا انضم إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم أنصار جدد لقضيتهم التي خرجوا من أجلها . وقد
حاول ابن حنيفة تهدئة الأمور والإصلاح قدر المستطاع إلا أن الأمور خرجت من يده ، حتى قال
أحدهم عن البصرة: قطعة من أهل الشام نزلت بين أظهرنا [(٢٩٠)] ، وحتى إن معاوية فيما بعد حاول
الاستيلاء عليها بمساعدة أهلها [(٢٩١)] ، وتذكر بعض المصادر غير الموثقة أن عثمان بن حنيف
رخص لحكيم بن جبلة في القتال ، فهذا لا يثبت ، والمصادر الصحيحة لم تثبت ذلك [(٢٩٢)] .

٦ . مقتل حُكَيْم بن جبلة ومن معه من الغوغاء:

أقبل حُكَيْم بن جبلة ، بعدما خطبت عائشة رضي الله عنها في أهل البصرة ، فأنشب القتال ، وأُشْرِع
أصحاب عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم رماحهم وأمسكوا

ليُمسكوا ، فلم ينته حكيم ، ومن معه ، ولم يُثنَ ، وظل يقاتلهم طلحة والزبير وعائشة كأفون إلا ما دفعوا عن أنفسهم ، وحكيم يذمر [(٢٩٣)] خيله ويركبهم بها [(٢٩٤)] .

وعلى الرغم من ذلك ، فإن عائشة رضي الله عنها ظلت حريصة على عدم إنشابه القتال ، فأمرت أصحابها أن يتيامنوا بعيداً عن المقاتلين ، وظلوا على ذلك حتى حجز الليل بينهم [(٢٩٥)] ، حتى إذا كان الصباح جاء حكيم بن جبلة وهو يبربر ، وفي يده الرمح ، وفي طريقه إلى حيث عائشة رضي الله عنها ، ومن معها ، جعل حكيم لا يمر برجل أو امرأة ينكر عليه أن يسب عائشة إلا قتله [(٢٩٦)] ، وعندئذ غضبت عبد القيس إلا من كان اغتُمِر [(٢٩٧)] منهم ، فقالوا لحكيم : فعلت بالأمس وعدت لمثل ذلك اليوم ، والله لا ندعك حتى يُقيدك الله [(٢٩٨)] ، فرجعوا وتركوه ، ومضى حكيم بن جبلة فيمن غزا معه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحصره من نزع القبائل كلها ، فلقد كانوا قد عرفوا أن لا مقام لهم بالبصرة ، فاجتمعوا إليه ، ووافقوا أصحاب عائشة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً [(٢٩٩)] .

وظل منادي عائشة رضي الله عنهم يناديهم ويدعوهم إلى الكف ، فيأبون [(٣٠٠)] ، وجعلت رضي الله عنها تقول: لا تقتلوا إلا من قاتلكم ، لكن حكيم لم يُرع [(٣٠١)] للمنادي ، وظل يُسَعِّر القتال ، عندئذ وبعدما تبينت للزبير وطلحة رضي الله عنهما طبيعة هؤلاء الذين يقاتلون ، وأنهم لا يتورعون ، ولا ينتهون عن حرمة ، وأن لهم هدفاً في إنشابه القتال ، قالوا: الحمد لله الذي جمع لنا ثارنا من أهل البصرة ، اللهم لا تبق منهم أحداً ، وأقد منهم اليوم ، فاقتلهم ، فجأدوهم القتال ، ونادوا: من لم يكن من قتلة عثمان رضي الله عنه فليكفف عنا ، فإننا لا نريد إلا قتلة عثمان ، ولا نبدأ أحداً .

فاقتتلوا أشد القتال [(٣٠٢)] ، فلم يفلت من قتلة عثمان من أهل البصرة إلا واحد ، وكان منادي الزبير وطلحة قد نادى: ألا من كان فيكم من قبائلكم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا بهم [(٣٠٣)] .

وكان فريق من هؤلاء الجهال والغوغاء . كما قالت عائشة . قد غاروها في بيتها في العَلس ليقتلوا ، وكانوا قد ذهبوا حتى سُدَّت بيتها ، ومعهم الدليل ، إلا أن الله دفع عنها بنفر من المسلمين كانوا قد أحاطوا ببيتها رضي الله عنها ، فدارت عليهم الرحي وأطاف بهم المسلمون فقتلواهم [(٣٠٤)] .

واستطاع الزبير وطلحة ومن معهما أن يسيطروا على البصرة ، وكانوا بحاجة إلى طعام ومؤونة غذائية ، وقد مرت عليهم أسابيع ، وهم ليسوا في ضيافة أحد ، فتوجه جيش الزبير إلى دار الإمارة ، ومن ثم إلى بيت المال ليرزقوا أصحابهم ، وأخلي سبيل عثمان بن حنيف ، واتجه إلى علي [(٣٠٥)] ، وبذلك تمت سيطرة طلحة والزبير وأم المؤمنين رضي الله عنهم على البصرة ، وقتلوا عدداً كبيراً ممن شارك في الهجوم

على المدينة ، قُدِّر بسبعين رجلاً من أبرزهم زعيم ثوار البصرة حكيم بن جبلة ، والذي كان حريصاً على القتال وإشعال الحرب ، وكان الزبير أمير القتال فقد بويع على ذلك [(٣٠٦)].

٧ . رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى:

كانت السيدة عائشة رضي الله عنها حريصة على إيضاح وجه الحق فيما حدث من قتال مع أهل البصرة ، فكتبت إلى أهل الشام والكوفة واليمامة ، وكتبت إلى أهل المدينة أيضاً تخبرهم بما صنعوا وصاروا إليه ، وكان فيما كتبت به لأهل الشام: إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله عز وجل بإقامة حدوده في الشريف والوضيع ، والكثير والقليل ، حتى يكون الله عز وجل هو الذي يرُدُّنا عن ذلك. فبايعنا خيار أهل البصرة ونجباؤهم ، وخالفنا شرارهم ونزاعهم ، فرُدُّونا بالسلاح ، وقالوا فيما قالوا: نأخذ أم المؤمنين رهينة أن أمرتهم بالحق وحثتهم عليه ، فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين مرة بعد مرة ، حتى

إذا لم يبق حجة ولا عذر استبسل قتلة عثمان أمير المؤمنين ، فلم يفلت منهم إلا حُرْقوص بن زهير والله مقيده. وإنا نناشدكم الله سبحانه في أنفسكم إلا ما نهضتم بمثل ما نهضنا به ، فنلقى الله عز وجل وتلقونه ، وقد أعدرنا وقضينا الذي علينا [(٣٠٧)].

٨ . الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة:

روى الطبري عن أبي مخنف ، عن يوسف بن يزيد ، عن سهل بن سعد قال: لما أخذوا عثمان بن حنيف ، أرسلوا أبا بن عثمان بن عفان إلى عائشة يستشيرونها في أمره ، قالت: اقتلوه، فقالت لها امرأة: نشدتك بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله (ص) ، قالت: ردوا أبا بناً، فرُدُّوه ، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه ، قال: لو علمتُ أنكِ تدعينني لهذا لم أرجع ، فقال لهم مجاشع بن مسعود : اضربوه وانتفوا شعر لحيته ، فضربوه أربعين سوطاً ، واتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه [(٣٠٨)].

وفي سند هذه الرواية أبو مخنف ؛ وهو شيعي رافضي محترف وهذه الرواية لم تثبت من طريق صحيح يمكن أن يعول عليه ، والصحابة الكرام ينزهون عن مثل هذه المثلة القبيحة ، والذي يفهم من رواية سيف أن الغوغاء هم الذين فعلوا ذلك ، وأن طلحة والزبير رضي الله عنهما استشنعا ، واستعظما وبعثا بالخبر إلى عائشة ، فقالت: خلوا سبيله وليذهب حيث شاء [(٣٠٩)].

وهذه الرواية عارضت تفصيلات أبي مخنف ؛ فهي لم تذكر الأمر بقتله أو حبسه أو الأمر بقتل شعر وجهه ، وقد اختار هذه الرواية النويري وابن كثير [(٣١٠)] ، وذكر الذهبي أن مجاشع بن مسعود قد قتل قبل دخول دار عثمان بن حنيف [(٣١١)] ، وحتى لو فرض عدم قتل مجاشع بن مسعود فليست إليه القيادة حتى يصدر هذه الأوامر [(٣١٢)] .

سابعاً: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة:

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم في المدينة يؤيدون خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من المدينة ، فقد تبين ذلك حينما همّ علي بالنهوض إلى الشام ، ليزور أهلها وينظر ما هو رأي معاوية وما هو صانع [(٣١٣)] ، فقد كان يرى أن المدينة لم تُعدْ تمتلك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة ، فقال: إن الرجال والأموال بالعراق [(٣١٤)] .

فلما علم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه بهذا الميل قال للخليفة: يا أمير المؤمنين ، لو أقمت بهذه البلاد لأنها الدرع الحصينة ، ومهاجر رسول الله (ص) ، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام ، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان ، وإن تشعب عليك قوم رميتهم بأعدائهم ، وإن أجمت حينئذ إلى السير سرت وقد أعذرت .. ، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب ، وعزم المقامة بالمدينة ، وبعث العمال على الأمصار [(٣١٥)] .

ولكن حصلت كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرة المدينة ، وقرر الخروج للتوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام [(٣١٦)] ، وأثناء استعداده للخروج ، بلغه خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة [(٣١٧)] ، فاستنفر أهل المدينة ودعاهم إلى نصرته ، وحدث تناقل من بعض أهل المدينة بسبب وجود الغوغاء في جيش علي ، وطريقة التعامل معهم ، فإن كثير من أهل المدينة يرون أن الفتنة لا زالت مستمرة ، فلا بد من التروي حتى تنجلي الأمور أكثر ، وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع؟! فإن هذا الأمر لمشتبه علينا ، ونحن مقيمون حتى يضأي لنا ويسفر .

وروى الطبري: أن علياً رضي الله عنه خرج في تعبته التي كان تعجب بها إلى الشام ، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمئة رجل [(٣١٨)] .

والأدلة على تناقل كثير من أهل المدينة عن إجابة دعوة أمير المؤمنين للخروج كثيرة؛ منها : خطب الخليفة التي شكها فيها من هذا التناقل [(٣١٩)] ، وظاهرة اعتزال كثير من الصحابة

بعد مقتل عثمان كما اتضح ذلك ، كما أن رجالاً من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد مقتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم [(٣٢٠)].

وقد عبر أبو حميد الساعدي الأنصاري وهو بدري عن ألمه لمقتل الخليفة عثمان فقال: اللهم إن لك علي أن لا أضحك حتى ألقاك [(٣٢١)] ، فقد كانوا يعدون الخروج من المدينة في تلك المرحلة يقود إلى الإنزلاق في الفتنة التي يخشون عواقبها [(٣٢٢)] ، على سلامة ما مضى لهم من جهاد مع رسول الله (ص) [(٣٢٣)].

ومما سبق ذكره لا يعني أنه لم يشارك أحد من الصحابة في مسيرة الخليفة هذا لكنهم كانوا قليلاً . قال الشعبي: لم يشهد موقعة الجمل من أصحاب رسول الله (ص) غير علي وعمار وطلحة والزبير ، فإن جاؤوا بخامس فأنا كذاب [(٣٢٤)] . وفي رواية: من حدثك أنه شهد الجمل ممن شهد بدرأ أكثر من أربعة نفر فكذبه ؛ كان علي وعمار في ناحية ، وطلحة والزبير في ناحية [(٣٢٥)] ، وفي رواية: لم ينهض مع علي إلى البصرة غير ستة نفر من البدريين ليس لهم سبع [(٣٢٦)] ، وبهذا يكون المقصود في الرواية السابقة من الصحابة أهل بدر ، وعلى كل حال فإن من شارك في الفتنة من الأنصار قليل . قال ابن سيرين والشعبي: وقعت الفتنة بالمدينة وأصحاب النبي (ص) أكثر من عشرة الاف: فما يعدون من خف فيها عشرين رجلاً ، فسميا حرب علي وطلحة والزبير وصفين فتنة [(٣٢٧)] .

فيتضح مما سبق أن عدد الصحابة الذين خرجوا مع الخليفة علي إلى البصرة كان قليلاً ، ولا يمكن الجزم بمشاركتهم في حرب الجمل ، فمع شدة تلك الموقعة وكثرة أحداثها لم تذكر المصادر مشاركات الصحابة فيها أو شهداء أو جرحى [(٣٢٨)] . إن إحدى

الروايات تقول: خرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخفين في سبعمئة رجل [(٣٢٩)] . والذي يظهر من هذه الرواية أنها أقرب إلى واقع تلك المرحلة ، وأكثر انسجاماً مع سير الأحداث ، ومع موقف أهل المدينة الذي كان يتراوح بين الميل للعزلة والتشاقل عن المشاركة في الأحداث [(٣٣٠)] .

١ . نصيحة عبد الله بن سلام لأمر المؤمنين علي:

حاول عبد الله بن سلام صاحب رسول الله (ص) أن يثني عزم أمير المؤمنين علي عن الخروج ، فأتاه وقد استعد للمسير ، وأظهر له خوفه عليه ، ونهاه أن يقدم على العراق قائلاً: أخشى أن يصيبك ذباب السيف ، كما أخبره بأنه لو ترك منبر رسول الله (ص) ، فلن يراه أبداً ، كان علي يعلم هذه الأشياء من رسول الله (ص) . فقال: وايم الله لقد أخبرني به رسول الله (ص) ، ولكن من مع علي من البصريين

والكوفيين بلغت بهم الجرأة أن قالوا لعلي: دعنا فلنقتله ، فقد أصبح قتل المسلمين ممن يقف في طريقهم ، أو يحسون بخطره على حياتهم بالقول أو العمل أمراً هيناً لا يرون به بأساً ، وفي قولهم ، وتهجمهم هذا يدل على قلة الورع وعدم إنزال الصحابة الكرام منازلهم التي أمر رسول الله (ص) الناس بعده بها ، ولكن علياً رضي الله عنه نهاهم قائلاً: إن عبد الله بن سلام رجل صالح [(٣٣١)].

٢ . نصيحة الحسن بن علي لوالده:

خرج أمير المؤمنين من المدينة ، وعندما بلغ الريدة [(٣٣٢)] عسكر فيها بمن معه ، ووفد عليه عدد من المسلمين بلغوا المئتين [(٣٣٣)] ، وفي الريدة قام إليه ابنه الحسن رضي الله عنهما وهو باكٍ لا يخفي حزنه وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرق واختلاف ، وقال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني ، فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك ، فقال علي: إنك لا تزال تحنّ [(٣٣٤)] خنين الجارية ، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها ، ثم أمرتك يوم قتل ألا تباع حتى يأتيك

وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر ، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ، ما فعلاً؛ أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا ، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك ، فعصيتني في ذلك كله . قال: أي بني ، أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان ، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به ، وأما قولك: لا تباع حتى تأتي بيعة الأمصار ، فإن الأمر أمر أهل المدينة ، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر ، وأما قولك: حين خرج طلحة والزبير ، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام ، والله ما زلت مقهوراً مذوليت ، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي ، وأما قولك: اجلس في بيتك؛ فكيف لي بما قد لزمني ، أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ، ويقال: دباب دباب [(٣٣٥)] ، ليست هاهنا حتى يحل عرقوبها ثم تُخرَج ، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر ويعينني فمن ينظر فيه؟! فكف عنك أي بني [(٣٣٦)].

كان موقف أمير المؤمنين علي حازماً في هذه المشكلة وواضحاً ، ولم يستطع أحد أن يثنيه عن عزمه . وأرسل علي رضي الله عنه من الريدة يستنفر أهل الكوفة ويدعوهم إلى نصرته ، وكان الرسولان محمد بن أبي بكر الصديق ، ومحمد بن جعفر ؛ ولكنهما لم ينجحا في مهمتهما ، إذ إن أبا موسى الأشعري والي الكوفة من قبل علي ، ثبط الناس ونهاهم عن الخروج والقتال في الفتنة ، وأسمعهم ما سمعه من رسول الله

(ص) من التحذير من الاشتراك في الفتنة [(٣٣٧)] ، فأرسل علي بعد ذلك هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، ففشل في مهمته ، لتأثير أبي موسى عليهم [(٣٣٨)].

٣ . استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار [(٣٣٩)]:

تحرك علي بجيشه إلى ذي قار ، فعسكر بها بعد ثمان ليالٍ من خروجه من المدينة ، وهو في تسعمئة رجل تقريباً [(٣٤٠)] ، فبعث للكوفة في هذه المرة عبد الله بن عباس ، فأبطؤوا عليه ، فأتبعه بعمار بن ياسر والحسن بن علي ، وعزل أبا موسى الأشعري ، واستعمل قرظة بن كعب بدلاً منه [(٣٤١)].

وكان للقعقاع دور عظيم في إقناع أهل الكوفة ، فقد قام فيهم وقال: إني لكم ناصح وعليكم شفيق ، وأحب أن ترشدوا ، ولأقولن لكم قولاً هو الحق ، ... والقول الذي هو الحق: إنه لا بد من إمارة تنظم الناس وترع الظالم ، وتزع المظلوم ، وهذا علي يلي ما ولي ، وقد أنصف في الدعاء ، وإنما يدعو إلى الإصلاح ، فانفروا وكونوا في هذا الأمر بمراى و مسمع [(٣٤٢)] .

وكان للحسن بن علي أثر واضح ، فقد قام خطيباً في الناس وقال: أيها الناس ، أجيئوا دعوة أميركم ، وسيروا إلى إخوانكم ، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه ، والله لأن يليه أولو النهى [(٣٤٣)] أمثل في العاجلة ، وخير في العاقبة ، فأجيئوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم [(٣٤٤)].

ولبي كثير من أهل الكوفة وخرجوا مع عمار والحسن إلى علي ما بين الستة إلى سبعة الاف رجل ، ثم انضم إليهم من أهل البصرة ألفان من عبد القيس ، ثم توافدت عليه القبائل إلى أن بلغ جيشه عند حدوث المعركة اثني عشر ألف رجل تقريباً [(٣٤٥)].

وعندما التقى أهل الكوفة بأمير المؤمنين علي بذي قار ، قال لهم: يا أهل الكوفة ، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم ، وفضضتم جموعهم ، حتى صارت إليكم مواريتهم ، فأغنيتم حوزتكم ، وأعنتم الناس على عدوهم ، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة ، فإن يرجعوا فذاك ما نريد ، وإن يلجؤوا داويناهم بالرفق ، وبايناهم حتى يبدؤونا بظلم ، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا اثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله [(٣٤٦)].

٤ . اختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية:

وهذا القول ينطبق على حال الصحابة في هذه الفتنة؛ فمع اختلافهم في الرأي ، لم يدخل قلب أحد الضَّغْن على أخيه ، وإليك هذه القصة التي حدثت بالكوفة ، فقد روى البخاري عن أبي وائل قال:

دخل أبو موسى الأشعري ، وأبو مسعود (عقبة بن عمرو الأنصاري) على عمّار حين بعثه عليّ إلى أهل الكوفة يستنفرهم ، فقالا: ما رأيك أتيت أمراً ، أكره عندنا من إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت. فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما في هذا الأمر. وفي رواية: فقال أبو مسعود . وكان موسراً.: يا غلام هات حلتين؛ فأعطى إحداهما أبا موسى ، والأخرى عمّاراً ، وقال: روحا فيه إلى الجمعة [٣٤٧].

فأنت ترى أبا مسعود وعماراً كانا وكلاهما يرى الآخر مخطئاً ، ومع ذلك فأنت ترى أبا مسعود يكسو عماراً حلة ليشهد بها الجمعة ؛ لأنه كان بثياب السفر وهيئة الحرب ، فكره أبو مسعود أن يشهد الجمعة في تلك الثياب ، وهذا تصرف يدل على غاية الودّ مع أن كليهما جعل تصرف صاحبه نحو الفتنة عيباً ، فعمار يرى إبطاء أبي موسى وأبي مسعود عن تأييد علي عيباً ، وأبو موسى وأبو مسعود رأيا إسراع عمار في تأييد أمير المؤمنين علي عيباً ، وكلاهما له حجته التي اقتنع بها:

فمن أبطأ فذلك لما ظهر لهم من ترك مباشرة القتال في الفتنة ، تمسكاً بالأحاديث الواردة في ذلك ، وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد ، وكان عمّار: على رأي علي في قتال الباغين والناكثين ، والتمسك بقوله {فَقَاتِلُوا آلَ تَبَغِي} ، وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعدياً على صاحبه ، وكلا الفريقين لم يكن حريصاً على قتل صاحبه ، ويتعلق الطرفان بأدنى سبب لمنع الاشتجار قبل أن يقع ، وفضّ الالتحام إن وقع ، لأن الطرفين كانا كارهين الاقتتال [٣٤٨].

٥ . تساؤلات على الطريق:

أ . ما سأله به أبو رفاعة بن رافع بن مالك العجلان الأنصاري: لما أراد الخروج من الرّبذة ، فقال: يا أمير المؤمنين ، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح ، إن قبلوا منا وأجابونا إليه ، قال: فإن لم يجيبونا إليه؟ قال ندعهم

بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر ، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا ، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم ، قال: فنعم إذاً ، فسمع تلك السلسلة من الأسئلة والإجابات فاطمأن إليها وارتاح لها ، وقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول ، وقال:

دَرَاكَهَا دَرَاكَهَا قَبْلَ الْقَوْتِ وَأَنْفِرْ بِنَا وَأَسْمُ بِنَا نَحْوَ الصَّوْتِ

لَا وَ أَلَتْ نَفْسِي إِنْ هَبْتُ الْمَوْتِ [٣٤٩]

ب . أهل الكوفة يسألون علي بما فيهم الأعور بن بنان المنقري: لما قدم أهل الكوفة إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه في ذي قار ، قام إليه أقوام من أهل الكوفة يسألونه عن سبب قدومهم ، فقام إليه فيمن قام الأعور بن بُنان المُنقريّ ، فقال له علي رضي الله عنه : على الإصلاح وإطفاء النائرة [(٣٥٠)] ، لعل الله يجمع شمل هذه الأمة بنا ويضع حربهم ، وقد أجابوني ، قال: فإن لم يجيبونا؟ قال: تركناهم ما تركونا ، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا ، قال: فهل لهم مثل ما عليهم من هذا؟ قال: نعم [(٣٥١)].

ج . أبو سلامة الدألاني ، ممن سأل أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ، إن كانوا أرادوا الله عز وجل بذلك؟ قال: نعم ، قال: فتري لك حجة بتأخيرك ذلك؟ قال: نعم ، إنّ الشيء إذا كان لا يدرك فالحكم فيه أحوطه وأعمّه نفعاً ، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً قال: إني لأرجو ألا يُقتل أحد نقبي قلبه لله منا ومنهم ، إلا أدخله الله الجنة [(٣٥٢)].

د . وسأل مالك بن حبيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فقال: ما أنت صانع إذا لقيت هؤلاء القوم؟ قال: قد بان لنا ولهم أن الإصلاح ، الكفّ عن هذا الأمر ، فإن بايعونا فذلك ، فإن أبوا وأبينا إلا القتال فصدع لا يلتئم ، قال: فإن ابتلينا فما بال قتلانا؟ قال: من أراد الله عز وجل نفعه ذلك وكان نجاءه [(٣٥٣)].

إن هدف أمير المؤمنين الإصلاح وإطفاء الفتنة ، وأن القتال ليس وارد في تدابيره ، لأنّه إن حصل ، فهو داء لا يُرجى شفاؤه ، أما من يقتل بين الطرفين فهو مرهون بنيته ، سواء قاتل مع أمير المؤمنين أو قاتل ضده ، وبذلك يقرر أمير المؤمنين: أن المسلمين الذي خرجوا في هذا الأمر ، بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه يبتغون الإصلاح والقضاء على الفتنة ، مجتهدون وأجرهم على قدر إخلاص نواياهم ونقاء قلوبهم [(٣٥٤)].

ثامناً: محاولات الصلح:

قبل أن يتحرك علي رضي الله عنه بجيشه نحو البصرة أقام في ذي قار أياماً ، وكان غرضه رضي الله عنه القضاء على هذه الفرقة والفتنة بالوسائل السلمية ، وتجنيب المسلمين شر القتال والصدام المسلح بكل ما أُوتي من قوة وجهد ، وكذلك الحال بالنسبة لطلحة والزبير .

وقد اشترك في محاولات الصلح عدد من الصحابة وكبار التابعين ممن اعتزلوا الأمر؛ منهم:

١ . عمران بن حصين رضي الله عنه:

فقد أرسل في الناس يَحْدِلُ الفريقين جميعاً ، ثم أرسل إلى بني عدي . وهم جمع كبير انضموا للزبير . فجاء رسوله وقال لهم في مسجدهم: أرسلني إليكم عمران بن حصين صاحب رسول الله (ص) ينصحكم ، ويحلف بالله الذي لا إله إلا هو لأن يكون عبداً حبشياً مجدعاً يرعى أعزاً في رأس جبل حتى يدركه الموت ، أحب إليه من أن يرمي في أحد من الفريقين بسهم أخطأ أو أصاب ، فأمسكوا فديئاً لكم أبي وأمي ، فقال القوم: دعنا منك ، فإننا والله لا ندع ثقل رسول الله (ص) لشيء [(٣٥٥)] أبداً .

٢ . كعب بن سور:

أحد كبار التابعين . فقد بذل كل جهد ، وكلف نفسه فوق طاقتها ، وقام بدور يعجز عنه كثير من الرجال ، فقد استمر في محاولة الصلح إلى أن وقع المحذور ، وذهب ضحية جهوده ، إذ قتل وهو بين الصفيين يدعو هؤلاء ويدعو هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله وكفّ السلاح [(٣٥٦)] .

٣ . القعقاع بن عمرو التميمي:

أرسل أمير المؤمنين علي القعقاع بن عمرو التميمي رضي الله عنهما في مهمة الصلح إلى طلحة والزبير ، وقال: الق هذين الرجلين ، فادعهما إلى الألفة والجماعة ، وعظّم عليهما الاختلاف والفرقة . ذهب القعقاع إلى البصرة ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها ، وقال لها: ما أقدمك يا أماءة إلى البصرة؟ قالت له: يا بني من أجل الإصلاح بين الناس . فطلب القعقاع منها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا ، ويكلمهما في حضرتها وعلى مسمع منها .

محاورة القعقاع لطلحة والزبير:

ولما حضرا سألهما عن سبب حضورهما ، فقالا . كما قالت عائشة: من أجل الإصلاح بين الناس . فقال لهما: أخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟ فوالله لئن عرّفناه لنصلحنّ معكم ، ولئن أنكرناه لا نصلح ، قالا له: قتلة عثمان رضي الله عنه ، ولا بد أن يُقتلوا ، فإن تُركوا بدون قصاص كان هذا تركاً للقران ، وتعطيلاً لأحكامه ، وإن اقتُصّ منهم كان هذا إحياء للقران .

قال القعقاع: لقد كان في البصرة ستمئة من قتلة عثمان وأنتم قتلتموهم إلا رجلاً واحداً ، وهو حرقوص بن زهير السعدي ، فلما هرب منكم احتمى بقومه من بني سعد ، ولما أردتم أخذه منهم وقتله منعكم قومه من ذلك ، وغضب له ستة الاف رجل اعتزلوكم ، ووقفوا أمامكم وقفة رجل واحد ، فإن تركتم حرقوصاً ولم تقتلوه ، كنتم تاركين لما تقولون وتنادون به وتطالبون عليه به ، وإن قاتلتم بني سعد من أجل حرقوص ، وغلبوكم وهزموكم وأدبلوا عليكم ، فقد وقعتم في المحذور ، وقوّيتموهم ، وأصابكم ما تكرهون

، وأنتم بمطالبتكم بحرقوص أغضبتهم ربيعة ومضر ، من هذه البلاد ، حيث اجتمعوا على حربكم وخذلانكم ، نصره لبني سعد ، وهذا ما حصل مع علي ، ووجود قتلة عثمان في جيشه .

الحل عند القعقاع التأيي والتسكين ثم القصاص :

تأثرت أم المؤمنين ومن معها بمنطق القعقاع ، وحجته المقبولة ، فقالت له : فماذا تقول أنت يا قعقاع؟ قال : أقول : هذا أمرٌ دواؤه التسكين ، ولا بد من التأيي في الاقتصاص من قتلة عثمان ، فإذا انتهت الخلافات ، واجتمعت كلمة الأمة على أمير المؤمنين تفرغ لقتلة عثمان ، وإن أنتم بايعتم علياً [(٣٥٧)] واتفقتم معه ، كان هذا علامة خير ، وتباشير

رحمة ، وقدرة على الأخذ بثأر عثمان ، وإن أنتم أبيتم ذلك ، وأصررتم على المكابرة والقتال كان هذا علامة شر ، وذهاباً لهذا الملك ، فاثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولاً ، ولا تُعرضونا للبلاء ، فتنعرضوا له ، فيصرعنا الله وإياكم ، وإيم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف أن لا يتم ، حتى يأخذ الله حجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها ، ونزل بها ما نزل ، فإنّ ما نزل بها أمر عظيم ، وليس كقتل الرجل الرجل ، ولا قتل النفر الرجل ، ولا قتل القبيلة القبيلة .

اقتنعوا بكلام القعقاع المقنع الصادق المخلص ، ووافقوا على دعوته إلى الصلح ، وقالوا له : قد أحسنت وأصبت المقالة ، فارجع ، فإن قدم علي ، وهو على مثل رأيك ، صلح هذا الأمر إن شاء الله . عاد القعقاع إلى علي في ذي قار وقد نجح في مهمته ، وأخبر علياً بما جرى معه ، فأعجب علي بذلك ، وأوشك القوم على الصلح ، كرهه من كرهه ، ورضيه من رضيه [(٣٥٨)] .

بشائر الاتفاق بين الفريقين :

لما عاد القعقاع وأخبره بما فعل ، أرسل علي رضي الله عنه رسولين [(٣٥٩)] إلى عائشة والزيبر ومن معهم يستوثق فيه مما جاء به القعقاع بن عمرو ، فجاء علياً ، بأننا على ما فارقتنا عليه القعقاع فأقدم ، فارتحل عليّ حتى نزل بجياهم ، فنزلت القبائل إلى قبائلهم ، مضر إلى مضر ، وربيعة إلى ربيعة ، واليمن إلى اليمن ، وهم لا يشكون في الصلح ، فكان بعضهم بجيال بعض ، وبعضهم يخرج إلى بعض ، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح [(٣٦٠)] ، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لما نوى الرحيل قد أعلن قراره الخطير : ألا وإني راحل غداً فارتحلوا ؛ يقصد إلى البصرة ؛ ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان علي عثمان بشيء في شيء من أمور الناس [(٣٦١)] .

تاسعاً : نشوب القتال :

١ - دور السبئية في نشوب الحرب:

كان في عسكر علي رضي الله عنه من أولئك الطغاة الخوارج الذين قتلوا عثمان من لم يعرف بعينه ، ومن تنتصر له قبيلته ، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله ، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره [(٣٦٢)]. وحرص أتباع ابن سبأ على إشعال الفتنة وتأجيج نيرانها حتى يفلتوا من القصاص [(٣٦٣)].

فلما نزل الناس منازلهم واطمأنوا خرج علي وخرج طلحة والزبير ، فتوافقوا وتكلموا فيما اختلفوا فيه ، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح وترك الحرب حين رأوا أن الأمر أخذ في الانقشاع ، فافترقوا على ذلك ، ورجع علي إلى عسكره ، ورجع طلحة والزبير إلى عسكرهما ، وأرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما ، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه ، ما عدا أولئك الذين حاصروا عثمان - رضي الله عنه - ، فبات الناس على نية الصلح والعافية وهم لا يشكون في الصلح ، فكان بعضهم بحيال بعض ، وبعضهم يخرج إلى بعض ، لا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح.

وبات الذين أشاعوا الفتنة بشر ليلة باتوها قط ، إذ أشرفوا على الهلاك ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها ، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم ، وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء - ورأي الناس فينا والله واحد ، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا [(٣٦٤)].

وتكلم ابن السوداء - عبد الله بن سبأ - وهو المشير فيهم؛ فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال ، ولا تفرغوهم للنظر ، فإذا من أنتم معه لا يجد بدأ من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون ، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون [(٣٦٥)].

فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشأ الحرب في السرّ ، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة ، وما يشعر بهم جيرانهم ، فخرج مضرّهم إلى مضرّهم ، وربيعيّهم إلى ربيعهم ، ويمانيّهم إلى يمانيّهم ، فوضعوا فيهم السيوف ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم في وجوه الذين باغثوهم ، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مصر ، فبعثنا إلى الميمنة ، وهم ربيعة

يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والميسرة ، يرأسها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا في القلب ، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقتنا أهل الكوفة ليلاً ، فقالا: ما علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك

الدماء ، ويستحل الحرمة ، وإنه لن يطاوعنا ، ثم رجعا بأهل البصرة ، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردّوهم إلى عسكرهم[(٣٦٦)] .

فسمع علي وأهل الكوفة الصوت ، وقد وضع السبئية رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون ، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم ، وقال علي لصاحب ميمنته: أتت الميمنة ، وقال لصاحب ميسرته: أتت الميسرة ، والسبئية لا تفتن إنشأباً[(٣٦٧)] .

وعلى الرغم من تلك البداية للمعركة إلا أن الطرفين ما لبثا يملكان الروية حتى تتضح الحقيقة ، فعلى ومن معه يتفوقون على أن لا يبدؤوا بالقتال حتى يبدؤوا طلباً للحجة واستحقاقاً على الآخرين بها ، وهم مع ذلك لا يقتلون مدبراً ، ولا يجهزون على جريح ، ولكن السبئية لا تفتن إنشأباً[(٣٦٨)] ، وفي الجانب الآخر ينادي طلحة وهو على دابته وقد غشيه الناس فيقول: يا أيها الناس أتنتصتون؟ فجعلوا يركبونه ولا ينصتونه ، فما زاد أن قال: أف أف ، فراش نار ، وذبان طمع[(٣٦٩)]! وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟ بل إن محاولات الصلح لتجري حتى آخر لحظة من لحظات المعركة .

ومن خلال هذا العرض يتبين أثر ابن سبأ وأعوانه السبئية في المعركة ، ويتضح بما لا يدع مجالاً للشك حرص الصحابة رضي الله عنهم على الإصلاح وجمع الكلمة ، وهذا هو الحق الذي تثبتته النصوص وتطمئن إليه النفوس[(٣٧٠)] .

وقبل الحديث عن جولات المعركة نشير إلى أن أثر السبئية في معركة الجمل مما يكاد يجمع عليه العلماء سواء أسمىهم بالمفسدين ، أو بأوباش الطائفتين ، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان ، أو نبزهم بالسفهاء ، أو بالغوغاء ، أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية[(٣٧١)] .

وإليك بعض النصوص التي تؤكد ذلك:

أ . جاء في (أخبار البصرة) لعمر بن شبة: أن الذي نسب إليهم قتل عثمان خشوا أن يصطلح الفريقان على قتلهم ، فأنشبا الحرب بينهم حتى كان ما كان[(٣٧٢)] .

ب . قال الإمام الطحاوي: فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة ، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين[(٣٧٣)] .

ت . وقال الباقلاني:.. وتم الصلح والتفرق على الرضا ، فخاف قتلة عثمان من التمكن منهم ، والإحاطة بهم ، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ، ثم اتفقت أراؤهم على أن يفترقوا فرقتين ، ويبدؤوا بالحرب

سحرة في المعسكرين ويختلطوا ، ويصيح الفريق الذي في عسكر علي: غدر طلحة والزبير ، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير: غدر علي ، فتمّ لهم ذلك على ما دبروه ، ونشبت الحرب ، فكان كل فريق منهم دافعاً لمكروه عن نفسه ، ومانعاً من الإشاطة بدمه ، وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى إذ وقع ، والامتناع منهم على هذا السبيل ، فهذا هو الصحيح المشهور ، وإليه نميل ، وبه نقول [(٣٧٤)].

ث . ونقل القاضي عبد الجبار: أقوال العلماء ، باتفاق رأي علي وطلحة والزبير وعائشة . رضوان الله عليهم . على الصلح ، وترك الحرب ، واستقبال النظر في الأمر ، وأنّ من كان في المعسكر من أعداء عثمان كرهوا ذلك ، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم ، فدبروا في إلقاء ما هو معروف ، وتمّ ذلك [(٣٧٥)].

ج . ويقول القاضي أبو بكر بن العربي: وقدم عليّ على البصرة ، وتدانوا ليتراؤوا ، فلم يتركهم أصحاب الأهواء ، وبادروا بإراقة الدماء ، واشتجرت الحرب ، وكثرت الغوغاء على البوغاء ، كل ذلك حتى لا يقع برهان ، ولا يقف الحال على بيان ، ويخفى قتلة عثمان ، وإنّ واحداً في الجيش يفسد تدييره ، فكيف بألف [(٣٧٦)].

ح . ويقول ابن حزم: .. وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبدلوا السيف فيهم ، فدفع القوم عن أنفسهم حتى خالطوا عسكر عليّ ، فدفع أهله عن أنفسهم ، كل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بدأتها القتال ، واختلط الأمر اختلاطاً ، لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه ، والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شنّ الحرب وإضرارها ، فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدتها ، مدافعة عن نفسها ، ورجع الزبير وترك الحرب بحالها ، وأتى طلحة سهم غارب ، وهو قائم لا يدرى حقيقة ذلك الاختلاط ، فصادف جرحاً في ساقه كان أصابه يوم أحد بين يدي رسول الله . (ص) . ، فانصرف ومات من وقته . رضي الله عنه . ، وقتل الزبير بوادي السباع . بعد انسحابه من المعركة . على أقل من يوم من البصرة ، فهكذا كان الأمر. [(٣٧٧)]

ويقول الذهبي: كانت وقعة الجمل ، أثارها سفهاء الفريقين. [(٣٧٨)] ويقول: إن الفريقين اصطالحا وليس لعلي ولا لطلحة قصد القتال ، بل ليتكلموا في اجتماع الكلمة ، فترامى أوباش الطائفتين ، بالنبل ونشبت نار الحرب ، وثارَت النفوس [(٣٧٩)].

وفي دول الإسلام: والتحم القتال من الغوغاء وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير [(٣٨٠)].
يقول الدكتور سليمان بن حمد العودة: ولنا بعد ذلك أن نقول: وما المانع أن تكون رواية الطبري
المصرحة بدور السبئية في الجمل ، تفسر هذا التعميم ، وتحدد تلك المسميات التي وردت في نقولات
هؤلاء العلماء؟ وحتى لو لم تكن هذه الطوائف الغوغائية ذات صلة مباشرة بالسبئية ، ولم تكن لها
أهداف كأهدافهم ، فأى مانع يمنع القول أن هذه شكلت أرضية استغلها ابن سبأ وأعوانه السبئية ،
كما هي العادة في بعض الحركات الغوغائية التي تستغل من قبل المفسدين [(٣٨١)].
ولا ننسى أن للفتنة وأجوائها دور في الإسهام بتلك الأحداث ، فمما لا شك فيه أن الناس في الفتن
قد تحجب عنهم أشياء يراها غيرهم رأي العين ، وقد يتأولون فيها صانعين أشياء يرى من سواهم
حقيقتها ناصعة لا تحتاج إلى عناء ، وكفى بسواد الفتنة حاجباً عن التزوي والإبصار [(٣٨٢)].

ولا نبعد كثيراً فهذا الأحنف بن قيس . وهو أحد الذين عايشوا أحداث الجمل يخرج وهو يريد نصره
علي بن أبي طالب ، حتى لقيه أبو بكر [(٣٨٣)] ، فقال: أين تريد يا أحنف؟ قلت: أريد نصر ابن
عم رسول الله (ص) ، فقال: يا أحنف ارجع فإني سمعته (ص) يقول: «إذا تَوَاجَهَ المسلمان بسيفيهما ،
فالقَاتِل والمقتول في النار» فقلت ، أو قيل: يا رسول الله ، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان
قد أراد قتل صاحبه» [(٣٨٤)].

إن القتال مع علي كان حقاً وصواباً ، ومن قتل معه فهو شهيد وله أجران ، ولكن أبا بكر رضي الله
عنه حمل حديثاً ورد في غير الحالة قاتل فيها علي على حالة قتال الباغين ، وهو فهم منه رضي الله عنه
، ولكنه فهم في غير محله .

ومن هذه الرواية ندرك أن عقبات متعددة واجهت علياً رضي الله عنه في معركته مع الآخرين ؛ منها
أمثال هذه الفتاوى التي هي أثر عن ورع أكثر منها أثر عن فتوى تصيب محلها [(٣٨٥)].

هذا وقد امتنع الأحنف من الدخول مع علي رضي الله عنهما ، فلم يشهد الجمل مع أحد من
الفريقين [(٣٨٦)] ، ونقترب أكثر فإذا الزبير رضي الله عنه . وهو طرف أساسي في المعركة . يكشف لنا
عن حقيقة الأمر: إن هذه هي الفتنة التي كنا نحدث عنها ، فقال له مولاه: أتسميها فتنة و تقاتل
فيها؟! قال: ويحك! إنا نبصر ولا نبصر ، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه ، غير هذا الأمر
، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر [(٣٨٧)].

ويشير إلى ذلك طلحة فيقول: بينما نحن يد واحدة على من سوانا ، إذ صرنا جبلين من حديد يطلب بعضنا بعضاً [(٣٨٨)] .

وفي الطرف الاخر يؤكد أصحاب علي رضي الله عنه على الفتنة، فيقول عمار . رضي الله عنه في الكوفة عند خروج عائشة: إنها زوجة نبيكم في الدنيا ، والاخرة ، ولكنها مما ابتليتكم [(٣٨٩)] .
٢ . الجولة الأولى في معركة الجمل:

زاد السبئيون في الجيشين من جهودهم في إنشابه القتال ، ومهاجمة الفريق الاخر ، وإغراء كل فريق بخصمه ، وتهيجه على قتاله ، ونشبت المعركة عنيفة قاسية حامية شرسة ، وهي معركة الجمل ، وسميت بذلك لأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، كانت في المعركة في الجولة الثانية وسط جيش البصرة ، تركب الجمل الذي قدّمه لها يعلى بن أمية في مكة ، حيث اشتراه من اليمن ، وخرجت على هذا الجمل من مكة إلى البصرة ، ثم ركبته أثناء المعركة .

وكانت المعركة يوم الجمعة في السادس عشر من جمادى الثانية ، سنة ست وثلاثين ، في منطقة الزابوقة قرب البصرة ، حزن علي لما جرى ، وناد مناديه: كُفّوا عن القتال أيها الناس ، ولم يسمع نداءه أحد ، فالكل كان مشغولاً بقتال خصمه [(٣٩٠)] .

كانت معركة الجمل على جولتين : الجولة الأولى: كان قائداً جيش البصرة فيها طلحة والزبير ، واستمرت من الفجر حتى قبيل الظهر [(٣٩١)] ، ونادى علي في جيشه ، كما نادى طلحة والزبير في جيشهما لا تقتلوا مدبراً ، ولا تُجهزوا على جريح ، ولا تلحقوا خارجاً من المعركة تاركاً لها [(٣٩٢)] ، وقد كان الزبير رضي الله عنه وصى ابنه عبد الله بقضاء دينه فقال: إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإني لا أراي إلا سأقتل مظلوماً ، وإن أكبر همي ديني [(٣٩٣)] ، وأثناء ذلك جاء رجل إلى الزبير ، وعرض عليه أن يقتل علياً ، وذلك بأن يندس مع جيشه ثم يفتك به ، فأنكر عليه بشدة ، وقال: لا؛ لا يفتك مؤمن ، أو إن الإيمان قيد الفتك [(٣٩٤)] ، فالزبير رضي الله عنه ليس له غرض في قتل علي أو أي شخص اخر

بريء من دم عثمان ، وقد دعا أمير المؤمنين علي الزبير ، فكلمه بالطف العبارة ، وأجمل الحديث ، وقيل: ذكره بحديث سمعه من رسول الله (ص) يقول له . أي: الزبير :: «لنقاتلنه وأنت له ظالم» [(٣٩٥)] وهذا الحديث ليس له إسناد صحيح [(٣٩٦)] .

وبعض الروايات ، ترجع السبب في انصراف الزبير رضي الله عنه قبيل المعركة لما علم بوجود عمار بن ياسر في الصف الاخر ، وهو وإن لم يرو عن رسول الله (ص): تقتل عمار الفئة الباغية [(٣٩٧)] ، فلعله سمعه من بعض إخوانه من الصحابة لشهرته [(٣٩٨)] .

وبعضها ترجع السبب في انصرافه إلى شكه في صحة موقفه [(٣٩٩)] من هذه الفتنة ، كما يسميها . وفي رواية ترجع السبب في انصرافه إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، ذكره بالقراة القوية من علي إذ قال له: أين صفية بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب [(٤٠٠)] ، فخرج الزبير من المعركة ، فلقه ابن جرموز فقتله [(٤٠١)] كما سيأتي تفصيله بإذن الله .

فالزبير رضي الله عنه كان على وعي لهدفه . وهو الإصلاح . ولكنه لما رأى حلول السلاح مكان الإصلاح رجع ، ولم يقاتل ، وقول: ابن عباس: تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب؟ فيه حذف مفهومه: أم جئت للإصلاح وجمع الشمل [(٤٠٢)]؟. وعلى إثر هذا الحديث انصرف الزبير وترك الساحة .

وربما كانت عوامل متعددة ومتداخلة ساهمت في خروج الزبير من ساحة المعركة ، وأما طلحة بن عبيد الله القائد الثاني لجيش البصرة ، فقد أصيب في بداية المعركة ، إذ جاءه سهم غزب لا يُعرف من رماه ، فأصابه إصابة مباشرة ، ونزف دمه بغزارة ، فقالوا له: يا أبا محمد ، إنك لجريح ، فاذهب وادخل البيوت لتعالج فيها ، فقال طلحة لغلامه: احملني ، وابحث لي عن مكان مناسب ، فأدخل البصرة ، ووضعه في دار فيها ليعالج ،

ولكنَّ جرحه ما زال ينزف حتى توفي في البيت ، ثم دفن في البصرة ، رضي الله عنه [(٤٠٣)] .
وأما الرواية التي تشير إلى تحريض الزبير وطلحة على القتال ، ثم أن الزبير لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى ؛ فهذه الرواية لا تصح [(٤٠٤)] ، وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم ، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح ، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير رضي الله عنه مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس؟! وبالفعل فإن موقف الزبير رضي الله عنه كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة ، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي ، وفيه: أن الزبير رضي الله عنه سعى في الصلح بين الناس ولكن قامت المعركة واختلف أمر الناس ، ومضى الزبير وترك القتال [(٤٠٥)] .

وكذلك طلحة ، فقد جاء من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء ، وأما عن مقتل طلحة رضي الله عنه؛ فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس [(٤٠٦)].

ويخرج الزبير من ميدان المعركة ، ويموت طلحة رضي الله عنهما ، ويسقوط القتلى والجرحى من الجانبين تكون قد انتهت الجولة الأولى من معركة الجمل ، وكانت الغلبة فيها لجيش علي ، وكان علي رضي الله عنه يراقب سير المعركة ويرى القتلى والجرحى في الجانبين ، فيتألم ويجزن ، وأقبل عليُّ على ابنه الحسن ، وضّمه إلى صدره ، وصار يبكي ويقول له: يا بُني: ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً. فقال الحسن: يا أبت لقد كنت نهيّتك عن هذا ، فقال علي: ما كنت أظن أن الأمر سيصل إلى هذا الحد ، وما طعمُ الحياة بعد هذا؟ وأيُّ خير يُرْجى بعد هذا؟ [(٤٠٧)].

٣ . الجولة الثانية:

وصل الخبر إلى أم المؤمنين بما حدث من القتال ، فخرجت على جملها تحيط بها القبائل الأزدية ، ومعها كعب الذي دفعت إليه مصحفاً يدعو الناس إلى وقف الحرب ، تقدمت أم المؤمنين وكلها أمل أن يسمع الناس كلامها لمكانتها في قلوب الناس ، فتحجز بينهم وتطفأى هذه الفتنة التي بدأت تشتعل [(٤٠٨)].

وحمل كعب بن سور المصحف ، وتقدم أمام جيش البصرة ، ونادى جيش علي قائلاً: يا قوم: أنا كعب بن سور ، قاضي البصرة ، أدعوكم إلى كتاب الله ، والعمل بما فيه ، والصلح على أساسه ، وخشي السبئيون في مقدمة جيش علي أن تنجح محاولة كعب ، فرشقوه بنبالهم رشقة رجل واحد ، فلقى وجهه الله ، ومات والمصحف في يده [(٤٠٩)].

وأصاب سهم السبئيين ونبالهم جمل عائشة وهودجها ، فصارت تُنادي ، وتقول: يا بني: الله ، الله ، اذكروا الله ، ويوم الحساب ، وكفّوا عن القتال ، والسبئيون لا يستجيبون لها ، وهم مستمرّون في ضرب جيش البصرة.

وكان علي من الخلف يأمر بالكف عن القتال ، وعدم الهجوم على البصريين ، لكن السبئيين في مقدمة جيشه لا يستجيبون له ، ويأبون إلا إقداماً وهجوماً وقتالاً ، ولما رأت عائشة عدم استجابتهم لدعوتها ، ومقتل كعب بن سور أمامها ، قالت: أيها الناس: العنوا قتلة عثمان وأشياعهم ، وصارت عائشة تدعو على قتلة عثمان ، وتلعنهم وضجّ أهل البصرة بالدعاء على قتلة عثمان ، وأشياعهم ، ولعنهم ، وسمع عليُّ الدعاء عالياً في جيش البصرة ، فقال: ما هذا؟ قالوا: عائشة تدعو على قتلة عثمان ، والناس

يدعون معها. قال علي: ادعوا معي على قتلة عثمان ، وأشياعهم والعهوم ، وضجّ جيش علي يلعن قتلة عثمان والدعاء عليهم [(٤١٠)] ، وقال علي: اللهم العن قتلة عثمان في السهل والجبل [(٤١١)]. اشتدت الحرب واشتعلت ، وتشابك القوم وتشاجروا بالرماح ، وبعد تقصف الرماح ، استلوا السيوف فتضاربوا بها حتى تقصفت [(٤١٢)] ، ودنا الناس بعضهم من بعض [(٤١٣)] ، ووجه السبيّون جهودهم لعقر الجمل وقتل عائشة أم المؤمنين ، فسارع جيش البصرة لحماية عائشة وجملها ، وقاتلوا أمام الجمل ، وكان لا يأخذ أحد بخطام الجمل إلا قتل ، حيث كانت المعركة أمام الجمل في غاية الشدة والقوة والعنف والسخونة ، حتى أصبح الهودج كأنه قنفذ مما رمي فيه من النبل [(٤١٤)] ، وقتل حول الجمل كثير من المسلمين من الأزدي وبني ضبة وأبناء وفتيان قريش بعد أن أظهروا شجاعة منقطعة النظير [(٤١٥)] ، وقد أصيبت عائشة بحيرة شديدة وحرّج ؛ فهي لا تريد القتال ، ولكنه وقع رغماً عنها وأصبحت في وسط المعركة ، وصارت تنادي بالكف ، فلا يجيب .

وكان كل من أخذ بخطام الجمل قتل ، فجاء محمد بن طلحة (السجاد) وأخذ بخطامه وقال لأمه أم المؤمنين: يا أماه ما تأمرين ، فقالت: كن كخيبري ابني ادم . أي كف يدك ، فأغمد سيفه بعد أن سلّه فقتل رحمه الله [(٤١٦)] ، كما قتل عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، الذي حاول أن يقتل الأشتر حتى لو قتل معه ، وذلك أنه صارعه فسقطا على الأرض جميعاً ، فقال ابن عتاب لمن حوله: اقتلوني [(٤١٧)] ومالكاً لحنقه عليه لما كان له من دور بارز في تحريض الناس على عثمان رضي الله عنه ، ولكن الأشتر لم يكن معروفاً بمالك ، ولم يك قد حان أجله ، ولو قال: الأشتر؛ لابتدرته سيوف كثيرة [(٤١٨)].

وأما عبد الله بن الزبير ، فقد قاتل قتالاً منقطع النظير ، ورمى بنفسه بين السيوف ، فقد استخرج من بين القتلى وبه بضع وأربعون ضربة وطعنة ، كان أشدها واخرها ضربة الأشتر ، إذ من حنقه على ابن الزبير لم يرض أن يضربه وهو جالس على فرسه ، بل وقف في الركابين فضربه على رأسه ظاناً أنه قتله [(٤١٩)] ، واستحر القتل أيضاً في بني عدي وبني ضبة والأزد ، وقد أبدى بنو ضبة حماسة وشجاعة وفداء لأم المؤمنين وقد عبر أحد رؤسائهم وهو عمر بن يثري الضبي برجزه:

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةٍ أَصْحَابُ الْجَمَلِ نُنَازِلُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ نَزَلَ
الْمَوْتُ عِنْدَنَا أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ نَنْعِي ابْنَ عَقَّانَ بِأَطْرَافِ الْأَسَلِ [(٤٢٠)]

أدرك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، بما أوتي من حنكة وقوة ، ومهارة عسكرية فذة ؛ أن في بقاء الجمل استمراراً للحرب ، وهلاكاً للناس ، وأن أصحاب الجمل لن يهزموا أو يكفوا عن الحرب ما بقيت أم المؤمنين في الميدان ، كما أن في بقائها خطر على حياتها؛ فالهودج الذي هي فيه أصبح كالتنفذ من السهام[[٤٢١]] ، فأمر علي نفرًا من جنده منهم محمد بن أبي بكر (أخو أم المؤمنين) وعبد الله بن بديل أن يعرقبا الجمل ويخرجا عائشة من هودجها إلى الساحة. أي: يضربا قوائم الجمل بالسيف . فعقروا الجمل[[٤٢٢]] ، واحتمل أخوها محمد وعبد الله بن بديل الهودج حتى وضعاه أمام علي ، فأمر به علي ، فأدخل في منزل عبد الله بن بديل[[٤٢٣]] ، وصدق حَدْسُ علي رضي الله عنه العسكري ، فما إن زال السبب أو الدافع الذي دفع البصريين إلى الإقبال على الموت بشغف ، وأخرجت أم المؤمنين من الميدان ، حتى ولوا الأدبار منهزمين. ولو لم يتخذ هذا الإجراء لاستمرت الحرب إلى أن يفنى جيش البصرة أصحاب الجمل ، أو يهزم جيش علي .

وعندما بدأت الهزيمة ، نادى علي أو مناديه في جيشه أن لا يتبعوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ، ولا يغموا إلا ما حمل إلى الميدان أو المعسكر من عتاد أو سلاح فقط ، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء ، ونهاهم أن يدخلوا الدور ، ليس هذا فحسب ، بل قال لمن حاربه من أهل البصرة: من وجد له شيء من متاع عند أحد من أصحابه ، فله أن يسترده ، فجاء رجل إلى جماعة من جيش علي وهم يطبخون لحمًا في قدر له ، فأخذ منهم القدر وكفأ ما فيها حنقاً عليهم[[٤٢٤]].

٤ . عدد القتلى:

أسفرت هذه الحرب الضروس عن عدد من القتلى اختلفت في تقديره الروايات ، وذكر المسعودي: أن هذا الاختلاف في تقدير عدد القتلى مرجعه إلى أهواء الرواة[[٤٢٥]].

فيذكر قتادة أن قتلى يوم الجمل عشرون ألفاً[[٤٢٦]]، ويظهر أن فيها مبالغة كبيرة ، لأن عدد الجيشين حول هذا العدد أو أقل . أما أبو مخنف الرافضي الشيعي ، فقد بالغ كثيراً بحكم ميوله ، وقد أساء من حيث يظن أنه أحسن؛ إذ ذكر أن العشرين ألفاً هم من أهل البصرة

فقط[[٤٢٧]]. وأما سيف فيذكر أنهم عشرة الاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها ، وفي رواية أخرى قال: وقيل خمسة عشر ألفاً ، خمسة الاف من أهل الكوفة ، وعشرة الاف من أهل البصرة ، نصفهم قتل في المعركة الأولى ونصفهم في الجولة الثانية[[٤٢٨]] ، والروايتان ضعيفتان للانقطاع وغيره ، وفيها مبالغة أيضاً . ويذكر عمر ابن شبة

بسنده: أن القتلى يزيدون على ستة الاف ، إلا أن الرواية ضعيفة سنداً [(٤٢٩)]. أما يعقوبي ، فقد جاوز هؤلاء جميعاً ، إذ وضع عدد القتلى نيفاً وثلاثين ألفاً [(٤٣٠)] ، وهذه الأرقام مبالغ فيها جداً ، وكان من أسباب المبالغة:

أ . رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم ، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حبُّ الصحابة والافتداء بهم بعد رسول الله (ص).

ب . مساهمة بعض الشعراء والجهلة من أبناء القبائل ، في تضخيم ما جرى وتكبيره ، ليتناسب مع ما يصنعونه من أشعار ينسبونها إلى بعض زعمائهم وفرسانهم ، فضلاً عن وجود قصاص السمير ، ورواة الأخبار الذين يجلبون اهتمام الناس بهم ، من خلال الأحداث المثيرة التي يتحدثون عنها.

ت . إيجاد الثقة في نفوس أتباع الغوغاء والسبئية؛ لإثبات نجاح خططهم وتدابيرهم [(٤٣١)].

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

* قصر مدة القتال ، حيث أخرج ابن أبي شيبة ، بإسناد صحيح [(٤٣٢)] : أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

* الطبيعة الدفاعية للقتال؛ حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

* تخرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.

* قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك ثلاثة الاف شهيد ، ومعركة القادسية

ثمانية الاف وخمسمئة شهيد ، وهي التي استمرت عدة أيام ، فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً ، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحِدَّتْهَا لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

* أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل؛ فكانوا قريباً من المئة [(٤٣٣)] ، فلو فرضنا أن عددهم كان مئتين وليس مئة ، فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المئتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح لدى الدكتور خالد بن محمد الغيث في رسالته (استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري - دراسة نقدية) [(٤٣٤)].

٥ . هل يصح قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيد الله؟:

أشارت كثير من الروايات إلى أن قاتل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مروان ابن الحكم [(٤٣٥)] ، ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتَّضح براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة ، وذلك للأسباب التالية:

أ . قال ابن كثير: ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم ، وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره ، وهذا عندي أقرب وإن كان الأول مشهوراً ، والله أعلم[[٤٣٦]].

ب . قال ابن العربي عمن قال: إن مروان قتل طلحة بن عبيد الله: ومن يعلم هذا إلا علام الغيوب ، ولم ينقله ثبت[[٤٣٧]].

ج . قال محب الدين الخطيب: وهذا الخبر عن طلحة ومروان لقيط لا يُعرف أبوه ولا صاحبه[[٤٣٨]].
د . بطلان السبب الذي قيل: إن مروان قتل طلحة رضي الله عنه من أجله ؛ وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان رضي الله عنه ، وهذا السبب المزعوم غير صحيح ؛ حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح : أن أحداً من الصحابة قد أعان على قتل عثمان رضي الله عنه.

هـ . كون مروان وطلحة رضي الله عنه من صف واحد يوم الجمل ، وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس[[٤٣٩]].

و . أن معاوية رضي الله عنه قد ولّى مروان على المدينة ومكة ، فلو صح ما بدر من مروان لما ولاه معاوية رضي الله عنه على رقاب المسلمين وفي أقدس البقاع عند الله.

ز . وجود رواية لمروان بن الحكم في صحيح البخاري[[٤٤٠]] ، مع ما عرف عن البخاري رحمه الله من الدقة وشدة التحري في أمر من تقبل روايته ، فلو صح قيام مروان بقتل طلحة رضي الله عنه لكان هذا سبباً كافياً لرد روايته والقدح في عدالته[[٤٤١]].

٦ . نداء أمير المؤمنين علي بعد الحرب:

ما إن بدأت الحرب تضع أوزارها ، حتى نادى منادي علي: أن لا يجهزوا على جريح ، ولا يتبعوا مدبراً ، ولا يدخلوا داراً ، ومن ألقى السلاح فهو امن ، ومن أغلق بابه فهو امن ، وليس لجيشه من غنيمة إلا ما حمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع ، وليس لهم ما وراء ذلك من شيء . ونادى منادي أمير المؤمنين فيمن حاربه من أهل البصرة : من وجد شيئاً من متاعه عند أحد من جنده ، فله أن يأخذه[[٤٤٢]] ، وقد ظن بعض الناس في جيش علي . أن علياً سيقسم بينهم السبي ، فتكلموا به ونشروه بين الناس ، ولكن سرعان ما فاجأهم علي رضي الله عنه ، حين أعلن في نداءه: وليس لكم أم ولد ، والمواريث على فرائض الله ، وأي امرأة قُتلت زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً ، فقالوا مستنكرين متأولين: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟! فقال علي: كذلك السيرة في أهل القبلة . ثم قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة؛ فهي رأس الأمر وقائدهم ، فتفرقوا وقالوا: نستغفر

الله ، وتبين لهم أن قولهم وظنهم خطأ فاحش ، ولكن ليرضيهم قسم عليهم رضي الله عنه من بيت المال خمسمئة خمسمئة [(٤٤٣)].

٧ . تفقده للقتلى وترحمه عليهم:

بعد انتهاء المعركة خرج يتفقد القتلى مع نفر من أصحابه ، فأبصر محمد بن طلحة (السجاد) فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، أما والله لقد كان شاباً صالحاً ، ثم قعد كثيراً حزناً.. ودعا للقتلى بالمغفرة ، وترحم عليهم ، وأثنى على عدد منهم بالخير والصلاح [(٤٤٤)]. وعاد إلى منزله ، فإذا امرأته وابنتاه يبكين على عثمان وقربته ، والزبير وطلحة وغيرهم من أقاربهم القرشيين. فقال لهن: إني لأرجو أن نكون الذين قال الله فيهم: { وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * } [الحجر: ٤٧]. ثم قال: ومن هم إن لم نكن؟!... ومن هم إن لم نكن؟!... فما زال يردد ذلك حتى وددت أنه سكت [(٤٤٥)].

٨ . مبايعة أهل البصرة:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حريصاً على وحدة الصف ، واحترام رعايا الدولة ، ومعاملتهم المعاملة الكريمة ، وكان لهذه المعاملة أثر بالغ في مبايعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي ، وكان أمير المؤمنين قد وضع الأسرى في مساء يوم الجمل في موضع خاص ، فلما صلى الغداة طلب موسى بن طلحة بن عبيد الله ، فقربه ورحب به وأجلسه بجواره ، وسأله عن أحواله وأحوال أخوته ، ثم قال له: إنا لم نقبض أَرْضَكُمْ هذه ونحن نريد أن نأخذها ، إنما أخذناها مخافة أن ينتهبها الناس . ودفع له غلتها وقال: يا بن أخي وأتانا في الحاجة إذا كانت لك. وكذلك فعل مع أخيه عمران بن طلحة فبايعاه .

فلما رأى الأسارى ذلك دخلوا على علي رضي الله عنه يبايعونه ، فبايعهم وبايع الآخرين على راياتهم قبيلة قبيلة [(٤٤٦)] ، كما سأل عن مروان بن الحكم وقال: يعطفني عليه رحم ماسّة ، وهو مع ذلك سيد من شباب قريش ، وقد أرسل مروان إلى الحسن والحسين وابن عباس رضي الله عنهم ليكلموا علياً ، فقال علي: هو امن فليتوجه حيث شاء ، ولكن مروان إزاء هذا الكرم والنبل ، لم تطاوعه نفسه أن يذهب حتى بايعه [(٤٤٧)] ، كما أن مروان رحمه الله أثنى على فعال أمير المؤمنين علي فقال لابنه الحسن: ما رأيت أكرم غلبة من

أيك ، ما كان إلا أن ولينا يوم الجمل حتى نادى مناديه: ألا لا يتبع مدبر ، ولا يذفف على جريح [(٤٤٨)].

وبذلك تمت بيعة أهل البصرة لأمير المؤمنين علي ، وولى عليها ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وولى على خراجها زياد بن أبيه ، وأراد علي رضي الله عنه: أن يمكث فيها مدة أطول ، لولا أن مالكا (الأشتر). أعجله عن ذلك ، وذلك أن الأشتر كان يطمع في أن يلي ولاية ، فلما علم بأن ابن عباس ولي إمارة البصرة غضب وسار في قومه فخشي علي رضي الله عنه منه شراً وفتنة ، فاستعجل ببقية جيشه ، وأدركه ، وعاتبه على سيره ، وأظهر أنه لم يسمع عنه شيئاً [(٤٤٩)].

٩ . حديث أبي بكر عن رسول الله (ص): «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» [(٤٥٠)].

قال القرطبي: قال علماؤنا: أليس هذا الحديث . حديث أبي بكر . في أصحاب النبي (ص) ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ، ولو أمسك المسلمون على قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله . وهذا يدل على أن قوله: القاتل والمقتول في النار ليس في أصحاب النبي (ص) ، لأنهم إنما قاتلوا على التأويل .

قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف ، لما أقيم حد ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين ، وسبي نسائهم ، وسفك دمائهم ، بأن يتحزبوا عليهم ، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا: هذه فتنة قد نهيينا عن القتال فيها ، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها [(٤٥١)].

وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول فمحمولة على من لا تأويل له ، ويكون قتالهما عصبية ونحوها ، ثم كونه في النار معناه مستحق لها ، وقد يجازى بذلك وقد

يعفو الله تعالى عنه ، هذا مذهب أهل الحق . وعلى هذا يتأول كل ما جاء من نظائره . واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد ، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، وتأويل قتالهم أنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه الحق ومخالفه باغ ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر الله ، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ للاجتهاد ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه ، وكان علي رضي الله عنه هو الحق المصيب في تلك الحروب ، هذا هو مذهب أهل السنة ، وكانت

القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فاعتزلوا الطائفتين ولم يقاتلوا ولم يتيقنوا الصواب ، ثم تأخروا عن مساعدتهم [(٤٥٢)].

١٠ . تاريخ معركة الجمل:

اختلف المؤرخون في تاريخ وقعة الجمل إلى أقوال كثيرة منها:

أ . أخرج خليفة بن خياط من طريق قتادة: أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، وكانت الوقعة يوم الجمعة [(٤٥٣)].

ب . أخرج عمر بن شبة: أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثون [(٤٥٤)].

ج . أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين [(٤٥٥)].

د . ذكر المسعودي: أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى [(٤٥٦)].

غير أن أرجح الأقوال هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث إن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

١١ . أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟:

جاء أمير المؤمنين إلى الدار التي فيها أم المؤمنين عائشة ، فاستأذن وسلم عليها ورحبت به ، وإذا النساء في دار بني خلف يبكين على من قُتل ، منهم عبد الله وعثمان ابنا خلف ، فعبد الله قتل مع عائشة ، وعثمان قتل مع علي ، فلما دخل علي قالت له صفية امرأة عبد الله ، أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي ، فلم يرد عليها علي شيئاً ، فلما خرج أعادت عليه المقالة أيضاً فسكت ، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أتسكت عن هذه المرأة وهي تقول ما تسمع؟! فقال: ويحك إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات ، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات [(٤٥٧)]!؟

١٢ . اعتذار أبي بكره الثقفي عن إمارة البصرة:

جاء عبد الرحمن بن أبي بكره الثقفي إلى أمير المؤمنين فبايعه ، فقال له علي: أين المريض؟ . يعني أباه . فقال: إنه والله مريض يا أمير المؤمنين ، وإنه على مسرتك لحريص . فقال: امشِ أمامي ، فمضى إليه فعاده ، واعتذر إليه أبو بكره فعذره ، وعرض عليه البصرة فامتنع ، وقال: رجل من أهلك يسكن إليه

الناس ، وأشار عليه بابن عباس ، فولاه على البصرة ، وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد [(٤٥٨)].

١٣ . موقف أمير المؤمنين علي ممن ينال من عائشة:

قال رجل: يا أمير المؤمنين إن علي الباب رجلين ينالان من عائشة ، فأمر علي القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مئة ، وأن يخرجهما من ثيابهما [(٤٥٩)] ، وقد قام القعقاع بذلك.

١٤ . دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة:

عن محمد بن عريب . قال: قام رجل فذكر عائشة عند علي ، فجاء عمار فقال: من هذا الذي يتناول زوجة نبينا؟ اسكت مقبوحاً منبوذاً مذموماً مدحوراً [(٤٦٠)]. وجاء في رواية:

اغرب مقبوحاً ، أتؤذي حبيبة رسول الله (ص) [(٤٦١)]؟! وجاء في رواية: ذكرت عائشة عند علي رضي الله عنهما ، فقال: حليمة رسول الله (ص) [(٤٦٢)] .

عاشراً: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق أبي بكر عبد الله بن عثمان ، وأمها أم رومان بنت عويمر الكنانية ، ولدت بعد المبعث بأربع سنوات أو خمس ، تزوجها النبي وهي بنت ست ، ودخل بها وهي بنت تسع سنين ، وكان دخوله بها في شوال في السنة الأولى ، وقيل: في السنة الثانية من الهجرة ، وهي المبرأة من فوق سبع سموات ، وكانت أحب أزواج النبي (ص) إليه ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، وكانت أفقه نساء الأمة على الإطلاق ، فكان الأكابر من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين إذا أشكل عليهم الأمر في الدين استفتوها ، وقد توفي عنها النبي (ص) وهي في الثامنة عشرة من عمرها ، وكانت وفاتها رضي الله عنها في سنة ثمان وخمسين ليلة السابع عشر من رمضان ، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين ، ودفنت في البقيع رضي الله عنها وأرضاها [(٤٦٣)] .

ومناقبها رضي الله عنها كثيرة مشهورة ، فقد وردت أحاديث صحيحة بخصائص انفردت بها عن سواها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن ، منها:

١ . مجيء الملك بصورتها إلى النبي (ص) في سرقة [(٤٦٤)] من حرير قبل زواجها به (ص) ؛ فقد روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ص): «أريتك في المنام ثلاث ليال ، جاءني بك الملك في سرقة من حرير ، فيقول: هذه امرأتك ، فأكشف عن وجهك ، فإذا أنت هي ، فأقول: إن يك هذا من الله يمضه» [(٤٦٥)].

٢ . أحب أزواج النبي (ص): وقد صرح بمحبتهما لما سئل (ص) عن أحب الناس إليه ؛ فقد روى البخاري بإسناده إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي (ص) بعثه على جيش ذات السلاسل [(٤٦٦)] ، قال: فأتيته ، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: فمن الرجال؟ قال: «أبوها» [(٤٦٧)]. قال الحافظ الذهبي: وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض ، وما كان عليه الصلاة والسلام ليحب إلا طيباً ، وقد قال: «لو كنت متخذاً خليلاً من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام أفضل» ، فأحب أفضل رجل في أمته ، وأفضل امرأة في أمته ، فمن أبغض حبيبي رسول الله (ص) فهو حري أن يكون بغيضاً إلى الله ورسوله ، وحبه عليه السلام لعائشة كان أمراً مستفيضاً [(٤٦٨)].

٣ . نزول الوحي على النبي (ص) وهو في لحافها دون غيرها من نسائه عليه الصلاة والسلام ، فقد روى البخاري بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، قالت عائشة: فاجتمع صواحي إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وإنا نريد الخير كما تريده عائشة ، فمري رسول الله (ص) أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان ، أو حيث ما دار ، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي (ص) ، قالت: فأعرض عني ، فلما عاد إلي ذكرت له ذلك فأعرض عني ، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه والله ما نزل علي الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها» [(٤٦٩)]. وقال الذهبي: وهذا الجواب منه دال على أن فضل عائشة على سائر أمهات المؤمنين بأمر إلهي وراء حبه لها ، وأن ذلك الأمر من أسباب حبه لها [(٤٧٠)].

٤ . أن جبريل عليه السلام أرسل إليها سلامه مع النبي (ص): فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ص) يوماً: «يا عائشة! هذا جبريل يقرئك السلام» فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ، ترى مالا أرى. تريد رسول الله (ص) [(٤٧١)].

٥ . بدأ النبي (ص) بتخييرها عند نزول آية التخيير: وقرن ذلك بإرشادها إلى استشارة أبويها في ذلك الشأن ، لعلمه أن أبويها لا يأمرانها بفراقه ، فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة ، فاستن بها بقية أزواجه (ص) ، فقد روى الشيخان بإسنادهما إلى عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله (ص) بتخيير أزواجه؛ بدأ بي فقال: «إني ذاك لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك» قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني

بفراقه ، قالت: ثم قال: «إن الله . جل ثناؤه قال: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * } [الأحزاب: ٢٨ . ٢٩]» قالت: فقلت: ففي هذا أستأمر أبوي؟! فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله (ص) مثل ما فعلت [(٤٧٢)].

٦ . نزول آيات من كتاب الله بسببها: فمنها ما هو في شأنها خاصة ، ومنها ما هو للأمة عامة ، فأما الآيات الخاصة بها والتي تدل على عظم شأنها ورفعة مكانتها؛ شهادة الباري جلَّ وعلا لها بالبراءة مما رميت به من الإفك والبهتان ، وهو قوله تعالى: إلى قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * } إلى قوله تعالى: { الْحَيِّثَاتُ لِلْحَيِّثِينَ وَالْحَيِّثُونَ لِلْحَيِّثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * } [النور: ٢٦].

قال ابن القيم: ومن خصائصها أن الله سبحانه وتعالى برأها مما رماها به أهل الإفك ، وأنزل في عذرها وبراءتها وحي يتلى في محارب المسلمين وصلواتهم إلى يوم القيامة ، وشهد لها بأنها من الطيبات ، ووعداها المغفرة والرزق الكريم. وأخبر سبحانه وتعالى أن ما قيل فيها من الإفك كان خيراً لها ، ولم يكن ذلك الذي قيل فيها شراً لها ، ولا خافضاً من شأنها ، بل رفعها الله بذلك وأعلى قدرها ، وأعظم شأنها ، وصار لها ذكراً بالطيب والبراءة بين أهل الأرض والسماء ، فيا لها من منقبة ما أجلها! وتأمل هذا التشريف والإكرام الناشئ عن فرط تواضعها واستصغارها لنفسها ، حيث قالت: لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحي يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله (ص) رؤيا يرثني الله بها [(٤٧٣)]. فهذه صديقة الأمة وأم المؤمنين وحب رسول الله (ص) ، وهي تعلم أنها بريئة منه مظلومة ، وأن قاذفيها ظالمون مفترون عليها ، وقد بلغ أذاهم إلى أبويها وإلى رسول الله (ص) [(٤٧٤)].

قال ابن كثير: ولما تكلم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان؛ غار الله فأنزل براءتها في عشر آيات من القرآن تُتلى على الزمان.. وقد أجمع العلماء على تكفير من قذفها بعد براءتها [(٤٧٥)].

وأما ما نزل بسببها من الايات وهي للأمة عامة فاية التيمم ، وكانت رحمة وتسهيلاً لسائر الأمة ، فقد روى البخاري ، بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: أنها استعارت من أسماء قلادة ، فهلكت ، فأرسل رسول الله (ص) ناساً من أصحابه في طلبها ، فأدركتهم الصلاة ، فصلوا بغير وضوء ، فلما أتوا النبي (ص) شكوا ذلك إليه ، فنزلت اية التيمم ، فقال أسيد بن حضير : جزاك الله خيراً ، فوالله ما نزل بك أمر تكرهينه إلا جعل الله لك وللمسلمين فيه خير [(٤٧٦)] .

٧ . كان رسول الله (ص) يحرص على أن يمرض في بيتها: فقد كانت وفاته (ص) بين سحرها ونحرها في يومها ، وجمع الله بين ريقه وريقها في اخر ساعة من ساعاته في الدنيا ، وأول ساعة من الآخرة ، ودفن في بيتها [(٤٧٧)] ، فقد روى البخاري بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله (ص) لما كان في مرضه جعل يدور في نسائه ويقول: «أين أنا غداً؟» حرصاً على بيت عائشة ، قالت: فلما كان يومي سكن [(٤٧٨)] .

وعند مسلم عنها أيضاً: قالت: إن كان رسول الله (ص) ليتفقد يقول: «أين أنا اليوم أين أنا غداً؟» استبطاء ليوم عائشة ، قالت: فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري [(٤٧٩)] . وروى البخاري أيضاً بإسناده عنها: أن رسول الله (ص) كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: «أين أنا غداً ، أين أنا غداً؟» يريد يوم عائشة ، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليّ فيه في بيتي ، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري ، وخالط ريقه ريقني ، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به ، فنظر إليه رسول الله (ص) ، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد الرحمن ، فأعطانيه فقصمته ، ثم مضغته ، فأعطيته رسول الله (ص) فاستن به ، وهو مستند إلى صدري. وفي رواية أخرى بزيادة: فجمع الله بين

ريقي وريقه في اخر يوم من الدنيا ، وأول يوم من الآخرة [(٤٨٠)] .

٨ . إخباره (ص) بأنها من أصحاب الجنة : فقد روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله مَنْ مِنْ أزواجك في الجنة؟ قال: «أما إنك منهن». قالت: فخيّل إليّ أن ذاك أنه لم يتزوج بكراً غيري [(٤٨١)] . وروى البخاري بإسناده إلى القاسم بن محمد: أن عائشة اشتكت ، فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين تقدمين على فرط صدق على رسول الله (ص) وعلى أبي

بكر]](٤٨٢)؛ وفي هذا فضيلة عظيمة لعائشة رضي الله عنها ، حيث قطع لها بدخول الجنة ، إذ لا يقول ذلك إلا بتوقيف]](٤٨٣).

٩ . فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام: ما رواه الشيخان بإسنادهما إلى عبد الله بن عبد الرحمن: أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»]](٤٨٤).

قال النووي: قال العلماء: معناه: أن الثريد من كل طعام أفضل من المرق ، فثريد اللحم أفضل من مرقه بلا ثريد ، وثرید ما لا لحم فيه أفضل من مرقه ، والمراد بالفضيلة: نفعه والتشبع منه وسهولة مساعه والالتذاذ به وتيسر تناوله وتمكن الإنسان من أخذ كفايته منه بسرعة ، وغير ذلك فهو أفضل من المرق كله ومن سائر الأطعمة ، وفضل عائشة على النساء زائد كزيادة فضل الثريد على غيرها من الأطعمة. وليس في هذا تصريح بتفضيلها على مريم واسية لاحتمال أن المراد تفضيلها على نساء هذه الأمة]](٤٨٥).

هذه بعض الأحاديث التي أشارت إلى فضل السيدة عائشة ومكانتها وسبقها وعلو شأنها في الدين ، وعظيم مكانتها ، ومع هذا فقد تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين للطعن والتجريح والكذب والافتراء من قبل الشيعة الرافضة ومن تأثر برواياتهم المختلفة ، واثارهم الموضوعة وجاؤوا لآثار صحاح ، وأحاديث مسندة صحيحة وأولوها على غير حقيقتها ومرادها ، كما فعل ذلك صاحب كتاب (ثم اهتديت) وهو لم يأت بجديد ، وإنما سار على منهج أسلافه ممن سبقوه من الشيعة الروافض ، وطعن في أم المؤمنين عائشة

بقول عمار: والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والاخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم بها ليعلم إياه تطيعون أم هي]](٤٨٦). وليس في قول عمار هذا ما يطعن به على عائشة . رضي الله عنها . بل فيه أعظم فضيلة لها ، وهي أنها زوجة نبينا (ص) في الدنيا والاخرة ، فأبي فضل أعظم من هذا؟! وأي شرف أسمى من هذا؟! فإن غاية كل مؤمن رضا الله والجنة ، وعائشة . رضي الله عنها . قد تحقق لها ذلك بشهادة عمار . رضي الله عنه . الذي كان مخالفاً لها في الرأي في تلك الفتنة ، وأنها ستكون في أعلى الدرجات في الجنة بصحبة رسول الله (ص)](٤٨٧) ، وبهذا قد جاء الحديث الصحيح . المرفوع للنبي (ص) على ما روى الحاكم في المستدرک من حديث عائشة . رضي الله عنها : أن النبي (ص) قال لها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والاخرة؟» قالت: بلى والله ، قال: «فأنت زوجتي في الدنيا

والاخرة» [(٤٨٨)] ، فيكون هذا الحديث من أعظم فضائل عائشة . رضي الله عنها . ، ولذا أورد البخاري الأثر السابق عن عمار في مناقب عائشة رضي الله عنها [(٤٨٩)] .

وأما قوله في الجزء الأخير من الأثر: ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها [(٤٩٠)]؛ فليس بمطعن على أم المؤمنين عائشة . رضي الله عنها . وبيان ذلك من وجوه:

أ . أن قول عمار هذا يمثل رأيه ، وعائشة . رضي الله عنها . ترى خلاف ذلك ، وأن ما هي عليه هو الحق ، وكل منهما صحابي جليل ، عظيم القدر في الدين والعلم ، فليس قول أحدهما حجة على الآخر [(٤٩١)] .

ب . أن غاية ما في قول عمار هو مخالفتها أمر الله في تلك الحالة الخاصة ، وليس كل مخالف مذموماً حتى تقوم عليه الحجة بالمخالفة ، ويعلم أنه مخالف ، وإلا فهو معذور إن لم يتعمد المخالفة ؛ فقد يكون ناسياً أو متأولاً فلا يؤخذ بذلك.

ج . أن عماراً رضي الله عنه ما قصد بذلك ذم عائشة ولا انتقاصها ، وإنما أراد أن يبين خطأها في الاجتهاد نصحاً للأمة ، وهو مع هذا يعرف لأم المؤمنين قدرها وفضلها [(٤٩٢)] .

وقد جاء في بعض روايات هذا الأثر عن عمار: أن عماراً سمع رجلاً يسب عائشة ، فقال: اسكت مقبوحاً منبوذاً ، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والاخرة ، ولكن الله ابتلاكم بما ليعلم أتطيعوه أو إياها [(٤٩٣)] .

وأما قول الشيعة الروافض؛ أن النبي (ص) قام خطيباً ، فأشار نحو مساكن عائشة فقال: ههنا الفتنة من حيث يطلع قرن الشيطان ، وطعنهم على عائشة . رضي الله عنها . بذلك ، وزعمهم: أن الرسول (ص) أراد أن الفتنة تخرج من بيتها! فهذا الكلام فيه تضليل وقلب للحقائق والتدليس على من لا علم عنده من العامة ، وذلك بتفسيره قول الراوي: فأشار (نحو مسكن عائشة) ، على أن الإشارة كانت لبيت عائشة ، وأنها سبب الفتنة! والحديث لا يدل على هذا بأي وجه من الوجوه ، وهذه العبارة لا تحتل هذا الفهم عند من له أدنى معرفة بمقاصد الكلام ؛ فإن الراوي قال: أشار نحو مساكن عائشة ، ولم يقل: إلى جهة مساكن عائشة ، والفرق بين التعبيرين واضح وجلي ، وهذه الرواية التي ذكرها أخرجها البخاري في كتاب فرض الخمس [(٤٩٤)] . وهذا الحديث قد جاء مخرجاً في كتب السنة من الصحيحين وغيرهما من عدة طرق وبأكثر من لفظ ، وجاء النص فيها على البلاد المشار إليها بما

يدحض دعوى الشيعة الروافض ، ويغني عن التكلف في الرد عليهم بأي شيء اخر ، وها هي ذي بعض روايات الحديث من عدة طرق عن ابن عمر . رضي الله عنهما :-
فعن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر . رضي الله عنهما :- أنه سمع رسول الله (ص) وهو مستقبل المشرق يقول: «ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان» [(٤٩٥)].
وعن عبيد بن عمر قال: حدثني نافع عن ابن عمر: أن رسول الله (ص) قام عند باب حفصة فقال بيده نحو المشرق: «الفتنة من حيث يطلع قرن» [(٤٩٦)] الشيطان» قالها مرتين أو ثلاثاً.
وعن سالم بن عبد الله ، عن أبيه: أن رسول الله (ص) قال وهو مستقبل المشرق: «ها إن الفتنة هاهنا ، ها إن الفتنة هاهنا ، ها إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان» [(٤٩٧)].

وفي هذه الروايات تحديد صريح للجهة المشار إليها وهي جهة المشرق ، وفيها تفسير للمقصود بالإشارة في الرواية التي ذكرها الشيعة الروافض [(٤٩٨)].

كما جاء في بعض الروايات الأخرى للحديث تحديد البلاد المشار إليها :

فعن نافع ، عن ابن عمر قال: ذكر النبي (ص) فقال: «اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا» ، قالوا: يا رسول الله! وفي نجدنا [(٤٩٩)] ، فأظنه قال في الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان» [(٥٠٠)].

وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أنه قال: يا أهل العراق؟ ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي؛ عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله يقول: «إن الفتنة تجيء من هاهنا . وأوماً بيده نحو المشرق . من حيث يطلع قرنا الشيطان» [(٥٠١)].

وفي بعض الروايات جاء ذكر بعض من يقطن تلك البلاد من القبائل ووصف حال أهلها ، فعن أبي مسعود قال: أشار رسول الله (ص) بيده نحو اليمن فقال: «ألا إن الإيمان هاهنا ، وإن القسوة وغلظ القلب في الفدادين» [(٥٠٢)] ، وعند أصول أذنان الإبل ، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر» [(٥٠٣)].

فدلت هذه الروايات دلالة قطعية على بيان مراد النبي (ص) من قوله: «الفتنة (هاهنا)» وأن المقصود بذلك بلاد المشرق ، حيث جاءت الروايات مصرحة بهذا ، كما جاء في بعضها وصف أهل تلك البلاد وتعيين بعض قبائلها ، مما يظهر به بطلان ما ادعى الشيعة الروافض من أن الإشارة كانت إلى

بيت عائشة ، فإن هذا قول باطل ، ورأي ساقط ، لم يفهمه أحد ، وما قال به سوى الشيعة الروافض [(٥٠٤)].

— الخ المفاضلة بين عائشة وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن: قال ابن تيمية: وأفضل نساء هذه الأمة خديجة وعائشة وفاطمة ، وفي تفضيل بعضهن على بعض نزاع [(٥٠٥)] ، وسئل ابن تيمية عن خديجة وعائشة أمي المؤمنين: أيهما أفضل؟ فأجاب: بأن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ونصرها وقيامها في الدين لم تشاركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين ، وتأثير عائشة في آخر الإسلام وحمل الدين وتبليغه إلى الأمة ، وإدراكها من العلم ما لم تشاركها فيه خديجة ولا غيرها ، مما تميزت به عن غيرها [(٥٠٦)].

وقال ابن حجر: وقيل: انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة ، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة [(٥٠٧)].

وقال في شرح حديث أبي هريرة: أن جبريل أتى النبي (ص) وأمره أن يقرأ خديجة السلام من ربها ، وفيه قال السهيلي: استدل بهذه القصة أبو بكر بن داود على أن خديجة أفضل من عائشة ؛ لأن عائشة سلم عليها جبريل من قبل نفسه ، وخديجة أبلغها السلام من ربها ، وزعم ابن العربي أنه لا خلاف في أن خديجة أفضل من عائشة ، وردَّ بأن الخلاف ثابت قديماً ، وإن كان الراجح أفضلية خديجة بهذا وبما تقدم [(٥٠٨)].

وعند التحقيق والنظر في النصوص الواردة في تفضيل كل واحدة منهن رضي الله عنهن . نجد أنها تدل على أفضلية خديجة وفاطمة ، ثم عائشة رضي الله عنهن ، وذلك أن الضمير الوارد في قوله (ص): «لقد فضلت خديجة على نساء أمي» [(٥٠٩)] ، وقد قال (ص): «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم واسية» [(٥١٠)] ، قال ابن حجر: وهذا نص صريح لا يحتمل التأويل [(٥١١)] ، وقال (ص): «حسبك من نساء العالمين: مريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، واسية امرأة فرعون» [(٥١٢)]. وهذا نص في أن خديجة رضي الله عنها أفضل نساء الأمة.

ثم إن اللفظ الوارد في تفضيل فاطمة رضي الله عنها ؛ وهو قوله (ص): «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة» [(٥١٣)]. وفي لفظ: «سيدة نساء أهل الجنة» [(٥١٤)] ، فهو صريح لا لبس فيه ولا يحتمل التأويل ، وهو نص في أنها أفضل نساء الأمة

وسيدة نساء أهل الجنة ، وقد شاركت أمها في هذا التفضيل ؛ فهي وأمها أفضل نساء أهل الجنة ، وهي وأمها أفضل نساء الأمة ، بهذا وردت النصوص [(٥١٥)].

وأما ما ورد في تفضيل عائشة رضي الله عنها من قوله (ص): «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» ، فهو لفظ لا يستلزم الأفضلية المطلقة ، كما قال ابن حجر [(٥١٦)]: وليس فيه تصريح بأفضلية عائشة رضي الله عنها على غيرها ، لأن فضل الثريد على غيره من الطعام إنما هو لما فيه من تيسير المؤونة وسهولة الإساغة ، وكان أجل طعمتهم يومئذ ، وكل هذه الخصال لا تستلزم ثبوت الأفضلية له من كل وجهة؛ فقد يكون مفضولاً بالنسبة لغيره من جهات أخرى [(٥١٧)].

فالحديث إذاً دالٌّ على أفضلية عائشة رضي الله عنها على سائر نساء هذه الأمة ما عدا خديجة وفاطمة رضي الله عنهن لورود الدليل على ذلك مما قيد تلك الأفضلية لعائشة رضي الله عنها [(٥١٨)].

وأما ما ورد من حديث عمرو بن العاص لما سأل النبي (ص): أي النساء أحب إليك؟ فقال (ص): «عائشة» [(٥١٩)]. فقد أشار ابن حبان على أنه مقيد في نسائه (ص) ؛ إذ عقد عنواناً في صحيحه فقال: ذكر خبر وهم في تأويله من لم يحكم صناعة الحديث ، وساق تحته حديث عمرو بلفظ: قلت: يا رسول الله! أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» ، فقلت: إني لست أعني النساء ، وإنما أعني الرجال ، فقال: «أبو بكر» أو قال: «أبوها». ثم قال ابن حبان: أذكر الخبر الدال على أن مخرج هذا السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة وغيرها ، وأخرج بسنده عن أنس قال: سئل رسول الله (ص): من أحب الناس إليك؟

قال: «عائشة» قيل له: ليس عن أهلك نسألك ، قال: «فأبوها» [(٥٢٠)].

وبهذا يتبين أن عائشة تلي خديجة وفاطمة في الفضل رضي الله عنها ؛ إذ كل ما ورد من دليل على عموم تفضيلها رضي الله عنها مقيد بالنص الوارد في خديجة وفاطمة رضي الله عنهن ، ولا ينكر أن لعائشة رضي الله عنها من الفضائل كالعلم مثلاً ما تختص به عن خديجة وفاطمة رضي الله عنهن ، إلا أنه: لا يلزم من ثبوت خصوصية شيء من الفضائل ثبوت الفضل المطلق [(٥٢١)].

وعلى كل حال فليس فضل إحداهن على الأخرى بمطعن على المفضولة ، بل في هذا أكبر دليل على علو مكانة هؤلاء النساء الثلاث: فاطمة وخديجة وعائشة رضي الله عنهن ؛ حيث إن الخلاف لم يخرج عنهن في أنهن أفضل نساء الأمة ، فما الذي يضر أم المؤمنين عائشة لو كانت الثالثة نساء الأمة في

الفضل؟! وهل هذا مدعاة لاحترامها وتقديرها أم للنيل منها والظعن فيها ، كما يفعل الشيعة الروافض؟! [(٥٢٢)] .

— خ هل استباححت السيدة عائشة أم المؤمنين قتال المسلمين في معركة الجمل؟: قد تقدم أنها ما خرجت لذلك وما أرادت القتال ، وقد نقل الزهري عنها: أنها قالت بعد موقعة الجمل: إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً [(٥٢٣)] . وهذا القول بأن السيدة عائشة استباححت قتال المسلمين باطل لا يثبت أمام الروايات الصحيحة التي بينت أن عائشة ما خرجت إلا للإصلاح كما مر معنا ، وإنما هذه الأقوال من الروايات التي وضعها الشيعة الروافض ، والتي شوهت تاريخ صدر الإسلام ، وجعلت مما حدث بين علي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم حرباً أهلية ، وتأثر بعض الباحثين بتلك الروايات حتى قال بعضهم: وأسرت عائشة ، وبصوّرون المسألة كحرب أهلية مخطط لها ، وهو قول طبيعي من باحثين لا يستقون معلوماتهم في هذا الشأن إلا من الروايات المقدوحة ، ومن المصادر غير الموثوق بها مثل (الإمامة والسياسة) ، و(الأغاني) ، و(مروج الذهب) ، و(تاريخ يعقوبي) ، بل و(تاريخ التمدن الإسلامي) لجورجي زيدان [(٥٢٤)] .

— خ هل يصح هذا الحديث: تقاتلين علي وأنت له ظالمة؟

إنه لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف ، وهو بالموضوعات المكذوبة أشبه منه بالأحاديث الصحيحة ، بل هو كذب قطعاً ، فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين الناس.. لا قاتلت ولا أمرت بقتال ، هكذا ذكر غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار [(٥٢٥)] .

— خ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرد عائشة إلى مأمنها معززة مكرمة:

جهز أمير المؤمنين علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب وزاد أو متاع ، وأخرج معها من نجا ممن خرج معها إلا من أحبّ المقام ، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد ابن الحنفية ، فبلغها ، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها ، وحضر الناس ، فخرجت على الناس ، وودّعوها وودّعتهم وقالت: يا بني ، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة ، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما

يكون بين المرأة وأحمائها ، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس ، صدقت والله وبرت ما كان بيني وبينها إلا ذلك ، وإنها لزوجة نبيكم (ص) في الدنيا والاخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين ، وشيعها علي أميالاً ، وسرح بنيه معها [(٥٢٦)] يوماً.

وبتلك المعاملة الكريمة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نراه قد اتبع ما أوصاه به نبي الأمة (ص) عندما قال له: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر». قال: أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم» قال: أنا؟ قال: «نعم». قلت: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: «لا ، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمئها» [(٥٢٧)].

وقد خالف الصواب من ظن أن خروج أم المؤمنين إلى البصرة كان لشيء في نفسها من علي رضي الله عنه لموقفه منها في حديث الإفك ؛ حين رماها المنافقون بالفاحشة ، فاستشاره النبي (ص) في فراقها. فقال: يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك [(٥٢٨)]. وهذا الكلام الذي قاله عليّ إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي (ص) ، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل ، وكان شديد الغيرة ، فرأى عليّ في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها ، فيمكن رجعتها ، ويستفاد منه: ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما [(٥٢٩)].

قال النووي: رأى عليّ أن ذلك هو المصلحة في حق النبي (ص) ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه ، فبذل جهده في النصيحة ، لإرادة راحة خاطره (ص) [(٥٣٠)].

وعليّ رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يُفهم منها أنه قد عرّض بأخلاقها أو تناولها بسوء ، فإنه على الرغم من قوله للنبي (ص): لم يضيق الله عليك [(٥٣١)] ؛ إلا أنه عاد فقال لرسول الله (ص) ، ناصحاً: وسل الجارية تصدقك [(٥٣٢)]. فهو قد دعاه إلى التحري أولاً قبل أن يفارقها ، أي: أنه قد رجع عن نصيحته الأولى بالمفارقة إلى نصيحة أخرى بسؤال الجارية ، وتحري الحقيقة [(٥٣٣)]. وقد سأل رسول الله (ص) الجارية التي كانت أكثر التصاقاً بعائشة ، فأكدت أنها ما علمت من عائشة إلا خيراً ، وقد خرج رسول الله (ص) من يومه الذي سأل فيه الجارية ، واستعذر من عبد الله بن أبي قائللاً: «يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهل بيتي ، فو الله ما علمت عليّ أهلي إلا خيراً» [(٥٣٤)].

لقد كانت نصيحة علي في صالح عائشة ، فقد ازداد (ص) قناعة بما علم من خير في أهله [(٥٣٥)]. ولم يكن موقف علي في حادثة الإفك هو الذي جعل عائشة تغضب منه رضي الله عنه لأجله ، أو تحقد الحقد الذي يجعلها تتهمه زوراً بقتل عثمان ، وتخرج عليه مؤلبة الأعداد الهائلة من المسلمين ، كما زعم كثير من الباحثين . مّن تورط في روايات الشيعة الرافضة ، والتي لفقوها ووضعوها .

— خ ندمهم على ما حصل منهم:

قال ابن تيمية: ... وهكذا عامة السابقين ، ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم ، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم [(٥٣٦)]:

أ . فأمير المؤمنين علي ورد عنه ، عندما نظر وقد أخذت السيوف مأخذها من الرجال ، فقال: لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة [(٥٣٧)].

ب . وروى نعيم بن حماد ، بسنده إلى الحسن بن علي ، أنه قال لسليمان بن صرد: لقد رأيت علياً حين اشتد القتال وهو يلوذ بي ، ويقول: يا حسن! لوددت أني مت قبل هذا بعشرين سنة [(٥٣٨)].
ج . وعن حسن بن علي قال: أراد أمير المؤمنين علي أمراً ، فتتابعت الأمور ، فلم يجد منزعاً [(٥٣٩)].
د . وعن سليمان بن صرد ، عن حسن بن علي: أنه سمع علياً يقول . حين نظر إلى السيوف قد أخذت القوم: يا حسن أكل هذا فينا؟! ليتني مت قبل هذا بعشرين أو أربعين سنة [(٥٤٠)].

هـ . وأما عائشة فقد ورد عنها: أنّها كانت تقول حين تذكر وقعة الجمل: وددت أني كنت جلست كما جلس أصحابي ، وكان أحب إليّ أن أكون ولدت من رسول الله (ص) بضعة عشر ، كلّهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ومثل عبد الله بن الزبير [(٥٤١)].

و . وكانت إذا قرأت قوله تعالى: { وَوَقَّرْنَا فِي بُيُوتِكُنَّ } [الأحزاب: ٣٣]. تبكي حتى تبل خمارها [(٥٤٢)].

ز . قالت عائشة: وددت أن لو كان لي عشرون ولداً من رسول الله (ص) ، وكلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وإني ثكلتهم ، ولم يكن ما كان مني يوم الجمل [(٥٤٣)].

ح . قال ابن تيمية: فإن عائشة لم تقاتل ، ولم تخرج لقتال ، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين ، وظنّت أنّ خروجها مصلحة للمسلمين ، ثمّ تبين لها فيما بعد أنّ ترك الخروج كان أولى ، فكانت إذا

ذكرت خروجها تبكي حتى تبلّ خمارها ، وهكذا عامّة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال ، فندم طلحة والزبير وعليّ وغيرهم ، ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في القتال ، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم [(٥٤٤)].

ط . قال الذهبي: ولا ريب أن عائشة ندمت ندمة كليّة على مسيرها إلى البصرة ، وحضورها يوم الجمل ، وما ظنّت أن الأمر يبلغ ما بلغ [(٥٤٥)].

الحادي عشر: سيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي [(٥٤٦)] ، ويجتمع مع النبي (ص) في قصي ، وهو حواري رسول الله وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى [(٥٤٧)] ، أسلم وهو حدث وله ست عشرة سنة [(٥٤٨)] ، ولم يتخلف عن غزوة غزاه رسول الله (ص) [(٥٤٩)] ، وقد تعرّض بعد إسلامه للتعذيب ، فقد روي أن عمّ الزبير كان يعلق الزبير في حصير ، ويدخن عليه بالنار وهو يقول: ارجع إلى الكفر ، فيقول الزبير: لا أكفر أبداً [(٥٥٠)].

١ . أول من سل سيفه في سبيل الله:

عن سعيد بن المسيب ، قال: أول من سلّ سيفه في ذات الله الزبير بن العوام ، وبينما الزبير بن العوام قائل في شعب المطابخ ، إذ سمع نغمة: أن رسول الله (ص) قُتِل ، فخرج من البيت متجرداً السيف صلّياً ، فلقى رسول الله (ص) كَفَّةً [(٥٥١)] كَفَّةً ، فقال: «ما شأنك يا زبير؟» قال: سمعت أنك قُتِلت ، قال: «فما كنت صانعاً؟» قال: أردت والله أن أستعرض أهل مكة ، قال: فدعا له النبي (ص) بخير . قال سعيد: أرجو أن لا تضع له عند الله عز وجل دعوة النبي (ص) [(٥٥٢)] .

٢ . هجرته للحبشة:

ولما اشتد إيداء قريش لرسول الله (ص) ولأصحاب الحبيب (ص) ، وأشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة ليكونوا في جوار النجاشي ذلك الملك العادل ، فكانوا عنده بخير دار مع خير جار ، وظلوا على تلك الحال من الأمن والاستقرار إلى أن نزل رجل من الحبشة لينازع النجاشي في الملك ، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً ، وخافوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي وهو لا يعرف حق الصحابة الأطهار ولا يعرف قدرهم ، وهنا أراد الصحابة - رضي الله عنهم - أن يعرفوا أخبار الصراع الدائر بين النجاشي وبين هذا الرجل . على الجانب الآخر من النيل [(٥٥٣)].

قالت أم سلمة - رضي الله عنها -: فقال أصحاب رسول الله (ص): من رجل يخرج حتى يحضر وقية القوم ثم يأتيها بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا؛ قالوا: فأنت ، وكان من أحدث القوم سناً. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها مُلتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم ، قالت: فَدَعَوْنَا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في بلاده ، قالت: فو الله إنا لَعَلَى ذلك متوقعون لما هو كائن ، إذ طلع الزبير وهو يسعى ، فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ومكن له في البلاد [(٥٥٤)].

بعد رجوع الزبير من الحبشة إلى مكة قام في كنف الحبيب المصطفى رسول الله (ص) ، يتلقى منه مبادئ الإسلام وأوامره ونواهيته ، وعندما هاجر رسول الله (ص) للمدينة كان الزبير من ضمن المهاجرين إليها.

٣ - في غزوة بدر:

كان الزبير رضي الله عنه فارساً مقداماً ، وبطلاً مغواراً ، لم يتخلف عن مشهد واحد من المشاهد ، تراه في كل غزوة وفي كل معركة ، فقد اتصف بالشجاعة الخارقة ، والبطولة النادرة ، والإخلاص الكامل ، والتفاني لإعلاء كلمة الحق [(٥٥٥)] ، ولقد بذل الزبير رضي الله عنه الكثير في سبيل الله ، وجعل نفسه وماله وقفاً لله - عز وجل - ، فأكرمه الله ورفعته في الدنيا والاخرة ، فقد كانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها يوم بدر ، فعن عروة أنه قال: كانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء ، فنزل جبريل على سيماء الزبير [(٥٥٦)]. فيالها من منقبة لا توازيها الدنيا بما فيها ، وفيه يقول عامر بن صالح بن عبد الله بن الزبير:

جَدِّي ابْنُ عَمَّةِ أَحْمَدَ وَوَزِيرُهُ عِنْدَ الْبَلَاءِ وَفَارِسُ الشُّقْرَاءِ
وَعَدَاةَ بَدْرٍ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ شَهِدَ الْوَعَى فِي اللَّأَمَةِ الصُّفْرَاءِ
نَزَلَتْ بِسِيمَاءِ الْمَلَائِكُ نُصْرَةً بِالْحَوْضِ يَوْمَ تَأَلَّبَ الْأَعْدَاءُ [(٥٥٧)]

وعن الزبير قال: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يُرى منه إلا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات الكرش ، فقال: أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه فطعنته في عينه فمات ، قال الزبير: لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت ، فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها. فسأله إياها رسول الله فأعطاه ، فلما قبض رسول الله (ص) أخذها ، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه ، فلما قبض أبو بكر سأله

إياها عمر فأعطاه إياها ، فلما قُتل عثمان وقعت عند ال علي ، فطلبها عبد الله بن الزبير ، فكانت عنده حتى قتل [(٥٥٨)].

هذا الخبر يصور لنا دقة الزبير بن العوام في إصابة الهدف ، حيث استطاع أن يضع الحربة في عين ذلك الرجل مع ضيق ذلك المكان وكونه قد وزع طاقته بين الهجوم والدفاع ، فلقد كانت إصابة ذلك الرجل بعيدة جداً لكونه قد حمى جسمه بالحديد الواقى ، لكن الزبير استطاع إصابة إحدى عينيه ، فكانت بما نهايته ، ولقد كانت الإصابة شديدة

العمق مما يدل على قوة الزبير الجسدية ، إضافة إلى دقته ومهارته في إصابة الهدف [(٥٥٩)]. وقد كان يوم بدر مع رسول الله (ص) فارسان: الزبير على فرس على الميمنة ، والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة [(٥٦٠)].

٤ - في غزوة أحد:

قال الزبير رضي الله عنه: جمع لي النبي (ص) أبويه يوم أحد [(٥٦١)]. وهذا دليل على قتاله وبأسه في تلك المعركة ، فقد اتَّصف رضي الله عنه بالثبات والعزيمة وحب الشهادة في سبيل الله تعالى ، وقد وصف لنا رضي الله عنه ما فعله أبو دجانة الأنصاري في تلك الغزوة ، فعندما التحم الجيشان واشتد القتال ، وشرع رسول الله (ص) يشحذ في همم أصحابه ، ويعمل على رفع معنوياتهم ، وأخذ سيفاً وقال: «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم ، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا . وكان من ضمنهم الزبير . قال: «فمن يأخذه بحقه؟» فأحجم القوم ، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: وما حقه يا رسول الله؟ قال: «أن تضرب به العدو حتى ينحني» قال: أنا اخذه بحقه. فدفعه إليه ، وكان رجلاً شجاعاً يَحْتال عند الحرب . أي: يمشي مشية المتكبر . وحين راه رسول الله (ص) يتبختر بين الصفيين . قال: «إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن» [(٥٦٢)]. ووصف الزبير بن العوام ما فعله أبو دجانة يوم أحد فقال: وجدت في نفسي حين سألت رسول الله (ص) السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وتركني ، والله لأنظرن ما يصنع! فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب ، فخرج وهو يقول:

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي حَلِيلِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ

أَنْ لَا أَقْوَمَ الدَّهْرَ فِي الْكُيُولِ [(٥٦٣)] أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ [(٥٦٤)]

فجعل لا يلقي أحداً إلا قتله ، وكان من المشركين رجل لا يدع جريحاً إلا ذفف [(٥٦٥)]

عليه ، فجعل كل منهما يدنو من صاحبه ، فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ، ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها ، فقلت: الله ورسوله أعلم [(٥٦٦)] ، قال أبو إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنساناً يحمس الناس حماساً شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول ، فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة [(٥٦٧)] .

وعن هشام ، عن أبيه ، قالت عائشة: يا بن أخي كان أبوك . يعني الزبير وأبا بكر . من {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} [آل عمران: ١٧٢] .

لما انصرف المشركون من أحد ، وأصاب النبي (ص) وأصحابه ما أصابهم ، خاف أن يرجعوا ، فقال: من ينتدب لهؤلاء في اثارهم ، حتى يعلموا أنّ بنا قوة ، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين ، فخرجوا في اثار المشركين ، فسمعوا بهم فانصرفوا ، قال تعالى: {فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلْ لَمْ يَمَسَّ سُوَّةٌ} [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدواً [(٥٦٨)] .

ولما استشهد حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في أحد جاءت أم الزبير صفية بنت عبد المطلب لتنظر إلى أخيها وقد مثل به المشركون ، فجدعوا أنفه ، وبقروا بطنه ، وقطعوا أذنيه ومذاكيره ، فقال رسول الله (ص) لابنها الزبير بن العوام: «الْقَهَّ فَأَرْجِعْهَا ، لا ترى ما بأخيها» ، فقال لها: يا أمه إن رسول الله (ص) يأمرك أن ترجعي ، قالت: ولم؟ وقد بلغني أنه قد مثل بأخي ، وذلك في الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ، لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله ، فلما جاء الزبير بن العوام رضي الله عنه إلى رسول الله ، فأخبره بذلك ، قال: خلِّ سبيلها ، فأتته ، فنظرت إليه ، فصلت عليه واسترجعت [(٥٦٩)] ، واستغفرت له [(٥٧٠)] .

وجاء في رواية عن عروة قال: أخبرني أبي؛ الزبير: أنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى ، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى ، قال: فكره النبي (ص) أن تراهم ، فقال: «المرأة المرأة». قال الزبير: فتوسمت أنها أمي صفية ، قال: فخرجت أسعى إليها ،

فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى ، قال: فَلَدَمْتُ فِي صَدْرِي ، وكانت امرأة جلدة ، قالت: إليك ، لا أرض لك . قال: فقلت: إن رسول الله (ص) عزم عليك . قال: فوقففت ، وأخرجت ثوبين معها ، فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة ، فإذا إلى جانبه رجل من الأنصار قتيل ، قد فعل به كما فعل بجمزة ، قال: فوجدنا غضاضة وحياءً أن نكفن حمزة في ثوبين ، والأنصاري لا كفن له ، فقلنا:

لحمزة ثوب ، وللأنصاري ثوب ، فقد رناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر ، فأقرعنا بينهما ، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي صار له [(٥٧١)].

٥ . في غزوة الخندق : «لكل نبي حوارى وحوارى الزبير» [(٥٧٢)] :

قال رسول الله (ص) يوم الخندق : «من يأتينا بخبر بني قريظة؟» فقال الزبير : أنا ، فذهب على فرس ، فجاء بخبرهم . ثم قال الثانية ، فقال الزبير : أنا ، فذهب ، ثم الثالثة ، فقال النبي (ص) : «لكل نبي حوارى ، وحوارى الزبير» [(٥٧٣)]. ومعنى قوله (ص) : «وحوارى الزبير» : أي : خاصتي من أصحابي ، وناصري ، ومنه الحواريون أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام ؛ أي خلاصه وأنصاره ؛ فالحوارى : هو الناصر المخلص ، فالحديث اشتمل على هذه المنقبة العظيمة التي تميز بها الزبير رضي الله عنه ، ولذلك سمع عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلاً يقول : أنا ابن الحوارى فقال : إن كنت من ولد الزبير وإلا فلا [(٥٧٤)].

وجاء في عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني : فإن قلت : الصحابة كلهم أنصار رسول الله عليه الصلاة والسلام خلصاء ؛ فما وجه التخصيص به؟ قلنا : هذا قاله حين قال يوم الأحزاب : «من يأتيني بخبر القوم؟» قال الزبير : أنا ، قال : «من يأتيني بخبر القوم؟» فقال : أنا ، وهكذا مرة ثالثة ، ولا شك أنه في ذلك الوقت نصر نصرته زائدة على غيره [(٥٧٥)].

وقد فداه رسول الله (ص) يوم الأحزاب بأبيه وأمه ؛ فعن عبد الله بن الزبير قال : كنت يوم الأحزاب ، جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء ، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثاً فلما رجعت قلت : يا أبت رأيك تختلف ، قال : وهل

رأيتني يا بني؟ قلت : نعم ، قال : كان رسول الله (ص) قال : «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقت ، فلما رجعت جمع لي رسول الله (ص) أبويه فقال : «فداك أبي وأمي» [(٥٧٦)].

وهذا الحديث فيه منقبة ظاهرة للزبير رضي الله عنه ؛ حيث فداه رسول الله (ص) بأبويه ، وفي هذه التفدية تعظيم لقدره ، واعتداد بعمله ، واعتبار بأمره ، وذلك لأن الإنسان لا يفدي إلا من يعظمه ، فيبذل نفسه أو أعز أهله له [(٥٧٧)].

لقد نال الزبير في غزوة الخندق وساماً خالداً باقياً على مر السنين : «لكل نبي حوارى ، وحوارى الزبير» [(٥٧٨)]. لقد وصف النبي (ص) الزبير بالحوارى ، وهو وصف عميق الدلالة واسع المفاهيم ، والدارس لهذه المعاني يدرك أبعاد كلمة الحوارى ، ويتبين معالمها ويعرف أسرارها وأغوارها ، وأكثر من

يحتاج إلى العناية بهذه المفاهيم هم العلماء والدعاة والمربون ، لأن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى إعداد الحواريين ليقدّموا نماذج حية في الأسوة والقدوة ؛ لأن القدوة العملية أقوى وأشد تأثيراً في نشر المبادئ والأفكار ؛ لأنها تجسّد وتطابق عملي لها ، يسهل مشاهدتها والتأثر والاقتداء بها ، ولأن الحواريين يأخذون بسنة الرسول (ص) ويقتدون بأمره [(٥٧٩)] ، كما جاء في الحديث: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره» [(٥٨٠)].

ومن سنن الدعوات: أن مسيرتها تمرّ بالفتن والحن ، وتبتلى من أصدقائها وأعدائها ، وحرص الرسول (ص) على إرشاد المسلمين إلى هذه المتغيرات والحوادث فقال: «ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون» [(٥٨١)]. فما مهمة الحوارية؟ القدوة الحسنة ، والإيمان التطبيقي ، والإخلاص ، والفداء التي هي أبرز صفات الحواريين ، فيكون مثال حقيقي . لورثة الأنبياء . ، فيسعى لنشر الحق والخير ، وهداية الأمة والنهوض بها من كبوتها ، ويضحى في سبيل الله بكل غالٍ ونفيس ليجدد

للإسلام شبابه ونضارته ، في الوقت الذي يكون ساقطو الهمة لا همّ لهم إلا مصلحتهم الشخصية [(٥٨٢)].

والزبير بن العوام رضي الله عنه نموذج فذ في تجسيد هذه المعاني ، فقد تربى في أحضان الدعوة على يدي النبي (ص) ، وتلقى الجرعات المطلوبة لتحمل أعبائها منذ شبابه الباكر ، وموقف الزبير في غزوة الأحزاب يصور لنا شخصيته ونشأته على الجرأة والنصرة ، ومحبه للرسول (ص) ، وأثبتت الأيام أنه كان رضي الله عنه رجل المهمات الصعبة ، فقد اتصف بالجرأة والإقدام ، فكلّف بمهمة كشف أسرار العدو ، وما حدث مع الزبير يشير إلى مشروعية تقسيم الأعمال ، وتصنيف الدعاة كل حسب إخلاصه وفدائيته وتضحيته ومواهبه وطاقته [(٥٨٣)].

هذا وقد شارك الزبير في كل غزوات الرسول وكان له مواقف مشرفة ، وكان في عهد الراشدين من أعمدة الدولة في فتوحاتها الكبيرة رضي الله عنه.

٦ - في غزوة اليرموك:

عن عروة: أن أصحاب رسول الله (ص) قالوا للزبير يوم اليرموك: ألا تشدُّ فنشد معك؟ فقال: إني إن شددت كذبتهم ، فقالوا: لا نفعل ، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم ، فجاوزهم وما معه أحد ، ثم رجع مُقبلاً ، فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر. قال عروة: أدخل

أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قال عروة: وكان معه عبد الله بن الزبير يومئذ ، وهو ابن عشر سنين ، فحمله على فرس ووكل به رجلاً [(٥٨٤)]. قال الذهبي في السير معلقاً: هذه الواقعة هي يوم اليمامة إن شاء الله ، فإن عبد الله كان إذ ذاك ابن عشر سنين [(٥٨٥)] ، وذكر ابن كثير: أن الموقعة هي اليرموك ، ولا مانع من وقوع ذلك في الموقعتين ، فقد قال ابن كثير: وقد كان فيمن شهد اليرموك: الزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من الصحابة ، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ ، فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك؟ فقال: إنكم لا تثبتون. فقالوا: بلى. فحمل وحملوا ، فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا

وأقدم هو ، فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر ، وعاد إلى أصحابه. ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى ، وجرح يومئذ جرحين بين كتفيه وفي رواية: جرح [(٥٨٦)]. ويقول ابن كثير مرة أخرى: خرج مع الناس إلى الشام مجاهداً ، فشهد اليرموك ، فتشرفوا بحضوره ، وكانت له بها اليد البيضاء والهمة العليا ، اخترق جيوش الروم وصفوفهم مرتين ، من أولهم إلى آخرهم [(٥٨٧)].

٧ - في فتح مصر:

ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كان معه قوّات لم تكن كافية لفتحها ، فكتب إلى عمر بن الخطاب يستمده ويطلب المدد من الرجال ، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو ، فأرسل الزبير بن العوام مع اثني عشر ألفاً ، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل ، عليهم من الصحابة الكبار: الزبير ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، وقال اخرون: خارجة بن حذافة هو الرابع ، وكتب إليه: إني أمددتك بأربعة آلاف ، على كل ألف منهم رجل مقام ألف. وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال [(٥٨٨)]. وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصراً حصن بابليون ، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن ، ثم فرّق الرجال حول الخندق ، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر ، فقبل للزبير: إن بها الطاعون. فقال: إنا جئنا للطعن والطاعون [(٥٨٩)]. وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص، فقال الزبير: إني أهب نفسي لله، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين. فوضع سُلماً وأسنده إلى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعاً ، فما شعروا إلا والزبير على رأس الحصن يكبّرُ ومعه السيف ، فتحامل الناس على السُلّم حتى نهاهم عمرو؛ خوفاً من أن ينكسر ، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين ، فانتهت بفتحه المعركة

الحاسمة لفتح مصر ، وكانت شجاعة الزبير النادرة السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس [(٥٩٠)].

٨ . غيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - قالت: تزوّجني الزبير - رضي الله عنه - وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه. قالت: فكنت أعلف فرسه ، وأكفيه مؤنته وأسوسه ، وأدقّ النوى للناضحة ، وأعلفه وأسقيه الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، فكان يجبز لي جارات من الأنصار ، وكن نسوة صدق. قالت: وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله (ص) على رأسي ، وهي على ثلثي فرسخ ، قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي ، فلقيت رسول الله (ص) ومعه نفر من أصحابه فدعا لي ، ثم قال: أخ خ ، ليحملني خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته. قالت: وكان من أغير الناس. قالت: فعرف رسول الله (ص) أنني قد استحييت ، فمضى ، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله (ص) وعلى رأسي النوى ، ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب معه ، فاستحييت وعرفت غيرتك ، فقال: والله لحملك النوى كان أشدّ عليّ من ركوبك معه ، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم ، فكفتني سياسة الفرس ، فكأنما أعتقني [(٥٩١)].

٩ . تسمية الزبير أولاده بأسماء الصحابة الشهداء:

من شدة حب الزبير رضي الله عنه للشهادة ، كان أن سمي أولاده بأسماء الصحابة الشهداء ، فقد روى هشام بن عروة ، عن أبيه قال: قال الزبير: إنّ طلحة يسمي بنيه بأسماء الأنبياء ، وقد علم أنه لا نبيّ بعد محمد (ص) ، وإني أسمي بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون: عبد الله بعبد الله بن جحش ، والمنذر بالمنذر بن عمرو ، وعروة بعروة بن مسعود ، وحمزة بحمزة ، وجعفر بجعفر بن أبي طالب ، ومصعب بمصعب بن عمير ، وعبيدة بعبيدة بن الحارث ، وخالد بخالد بن سعيد ، وعمرو بعمر بن سعيد بن العاص قتل باليرموك [(٥٩٢)].

١٠ . إخفاء الطاعات عند الزبير:

قال الزبير بن العوام - رضي الله عنه -: أيكم استطاع أن يكون له خبيثة من عمل صالح فليعمل [(٥٩٣)].

١١ . ما قاله حسان بن ثابت من شعر في مدح الزبير :

مرّ الزبير بمجلس من أصحاب رسول الله (ص) ، وحسّان ينشدهم من شعره ، وهم غير نشاط لما يسمعون منه ، فجلس معهم الزبير ، ثم قال: مالي أراكم غير أذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ، فلقد كان يعرض به رسول الله (ص) ، فيحسن استماعه ، ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه ، فقال حسان بمدح الزبير :

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ
حَوَارِيَّهُ وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يُعَدَلُ
أَقَامَ عَلَى مِنْهَاجِهِ وَطَرِيقِهِ
يُوَالِي وَيَلِي الْحَقَّ وَالْحَقُّ أَعْدَلُ
هُوَ الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ وَالْبَطْلُ الَّذِي
يَصُورُ إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ مُحَجَّلِ
إِذَا كَشَفْتَ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ حَشَّهَا
بِأَبْيَضَ سَبَّاقٍ إِلَى الْمَوْتِ يُرْقَلُ [٥٩٤]
وَإِنَّ امْرَأً كَانَتْ صَفِيَّةَ أُمِّهِ
وَمَنْ أَسَدٌ فِي بَيْتِهَا لِمُؤْتَلُ [٥٩٥]
لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ قُرْبَى قَرِيْبَةً
وَمِنْ نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ مَجْدٌ مُؤْتَلُ [٥٩٦]
فَكَمْ كُرْبَةً دَبَّ الزُّبَيْرُ بِسَيْفِهِ
عَنِ الْمُصْطَفَى وَاللَّهُ يُعْطِي فَيُجْزِلُ
ثَنَاؤُكَ خَيْرٌ مِنْ فِعَالِ مَعَاشِرِ
وَفِعْلُكَ يَا بَنَ الْهَاشِمِيَّةِ أَفْضَلُ [٥٩٧]

١٢ . كرم الزبير بن العوام رضي الله عنه :

روي عن عروة بن الزبير: أنه قال: أوصى إلى الزبير سبعة من الصحابة؛ منهم: عثمان وابن مسعود وعبد الرحمن ، فكان ينفق على الورثة من ماله ويحفظ أموالهم [٥٩٨]. وهذا مثل رفيع من أمثلة الكرم والوفاء ، وهو يجسّم المعاني السامية في النفس حتى تبقى هي الماثلة في الضمير الحي ، وتبعاً لذلك يُسخر هذا الضمير الحي كل ما يملك من أجل سيادة هذه المعاني ، وقد تجود النفس مرة ومرة ثم يعترضها شيء من الفتور ، فأما أن يتكفّل مثل هذا الشهم السخي بالنفقة على ورثة عدد من الصحابة ، ويحفظ لهم أموالهم ؛ فهو نموذج فريد في عالم الواقع ، ومؤشر مهم من مؤشرات الرقي الأخلاقي لدى الصحابة رضي الله عنهم [٥٩٩].

١٣ . وحن وقت الرحيل: وشهادة رسول الله (ص) له بدخول الجنة:

خرج الزبير بن العوام رضي الله عنه من معركة الجمل في الجولة الأولى ، وقد بينّا الأسباب في تركه لساحة المعركة ، وعند خروجه من ساحة القتال كان يتمثل قول الشاعر:

تَرَكُ الْأُمُورَ الَّتِي أَحْشَى عَوَاقِبَهَا
فِي اللَّهِ أَحْسَنُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

وقيل إنه أنشد:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عَلِمِي نَافِعِي أَنَّ الْحَيَاةَ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ [(٦٠٠)]

وبعد خروجه تبعه عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع في طائفة من غواة بني تميم ، فيقال: إنهم لما أدركوه تعاونوا عليه حتى قتلوه ، ويقال: بل أدركه عمرو ابن جرموز فقال له عمرو: إن لي إليك حاجة ، فقال: ادن ، فقال مولى الزبير ، واسمه عيطة: إن معه سلاحاً ، فقال: وإن ، فتقدم إليه فجعل يحدثه ، وكان وقت الصلاة ، فقال له الزبير: الصلاة ، فقال: الصلاة ، فتقدم الزبير ليصلي بهما ، فطعنه عمرو بن جرموز فقتله ، ويقال: بل أدركه عمرو بوادٍ يقال له: وادي السباع ، وهو نائم في القائلة [(٦٠١)] ، فهجم عليه فقتله ، وهذا هو القول الأشهر ، ويشهد له شعر امرأته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت اخر من تزوجها ، وكانت قبله تحت عمر بن الخطاب ، فقتل عنها ، وكانت قبله تحت عبد الله بن أبي بكر الصديق فقتل عنها ، فلما قتل الزبير رثته بقصيدة محكمة المعنى فقالت:

عَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسٍ بِهَمَّةٍ يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غُرٌّ مَعْرَدٌ [(٦٠٢)]
يا عمرو لو نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ لَا طَائِشًا رَعَشَ الْجَنَانِ [(٦٠٣)] وَلَا الْيَدِ
ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ أَنْ ظَفَرْتَ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ بَقِيَ مِمَّنْ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي
كَمْ عَمْرَةٍ قَدْ حَاضَهَا لَمْ يَشْنِهِ عَنْهَا طِرَادُكَ يَا بَنَ فَقَعَ الْعَرْدِ [(٦٠٤)]
وَاللَّهِ رَبِّي إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمَعْمَدِ [(٦٠٥)]

ولما قتله عمرو بن جرموز ، فاحتر رأسه وذهب به إلى علي ، ورأى أن ذلك يحصل له به حظوة عنده ، فاستأذن فقال علي: بشر قاتل ابن صفية بالنار ، ثم قال علي: سمعت رسول الله (ص) يقول: «لكل نبي حواري وحواري الزبير» [(٦٠٦)] ، ولما رأى علي سيف الزبير قال: إن هذا السيف طالما فرج الكرب عن وجه رسول الله (ص) [(٦٠٧)] وفي رواية: منع أمير المؤمنين علي ابن جرموز بالدخول عليه ، وقال للان: بشر قاتل ابن صفية بالنار [(٦٠٨)] ، ويقال: إن عمرو بن جرموز قتل نفسه في عهد علي ، وقيل: بل عاش إلى أن تأمر مصعب بن الزبير على العراق فاختلف منه ، فقيل لمصعب: إن عمرو بن جرموز هاهنا وهو محتفٍ ، فهل لك فيه؟ فقال: مروه فليظهر فهو امن ، والله ما كنت لأقيد [(٦٠٩)] للزبير منه ، فهو أحقر من أن أجعله عدلاً للزبير [(٦١٠)].

هذا وقد أخبر الحبيب المصطفى: أن الزبير سيموت شهيداً ، فعن أبي هريرة: أن رسول الله (ص) كان على جبل حراء ، فتحرك فقال رسول الله (ص): «اسكن حراء؛ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» وعليه النبي (ص) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير . رضي الله عنهم [(٦١١)].

قال النووي: وفي هذا الحديث معجزات لرسول الله (ص) ، منها إخباره أن هؤلاء شهداء ، وماتوا كلهم غير النبي (ص) وأبي بكر شهداء ، فإن عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير . رضي الله عنهم . قُتلوا ظلماً شهداء ، فقتل الثلاثة مشهور ، وقُتل الزبير بوادي السباع بقرب البصرة منصرفاً تاركاً للقتال ، وكذلك طلحة اعتزل الناس تاركاً للقتال ، فأصابه سهم فقتله ، وقد ثبت أن من قُتل مظلوماً فهو شهيد [(٦١٢)].

قال الشعبي: أدركت خمسمئة أو أكثر من الصحابة يقولون: عليُّ وعثمان وطلحة والزبير في الجنة ، قال الذهبي: قلت: لأنهم من العشرة المشهود لهم بالجنة ، ومن البدرين ، ومن أهل بيعة الرضوان ، ومن السابقين الأولين الذي أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه ، ولأن الأربعة قُتلوا ، ورُزقوا الشهادة ، فنحن محبون لهم باغضون للأربعة الذين قُتلوا الأربعة [(٦١٣)].

١٤ . حرصه على أداء دينه عند الموت:

عن عبد الله بن الزبير قال: جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه ، ويقول: إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي. قال: فو الله ما دريت ما أراد ، حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقضي عنه ، فيقضيه ، وإنما دينه الذي كان عليه: أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه ، فيقول الزبير: لا ، ولكنه سلف فإني أخشى عليه الضيعة. قال: فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين ، فبعتهما . يعني وقضيت دينه . فقال بنو الزبير: أقسم بيننا ميراثنا. فقلت: والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه ، فجعل كل سنة ينادي بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم وكان للزبير أربع نسوة ، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومئتا ألف. فجميع ماله خمسون ألف ألف ومئتا ألف [(٦١٤)]. وقول البخاري رحمه الله محمول على أن جملة المال حين الموت كانت ذلك دون الزائد في أربعة سنين دون القسمة [(٦١٥)]. ، وقد وقع في تركته من البركة الشيء الكثير [(٦١٦)]. وبارك الله له في أراضيه بعد موته فوفى دينه وزاد عليه الشيء الكثير.

وفي هذه القصة درس وعبر وفوائد:

أ. قول الزبير لابنه: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي:

وهذا مثل من أمثلة اليقين الراسخ ، والإيمان القوي الذي ترتب عليه صدق التوكل على الله عز وجل ، واللجوء إليه في قضاء الحوائج وكشف الكربات ، فالمؤمن الحق يعتقد جازماً بأن كل شيء بيد الله جلّ وعلا ، فإذا وقع في ضائقة وكرب فإن أول ما يتبادر إلى ذهنه تصور وجود الله تعالى وهيمنته على كل شيء ، وأن المخلوقين الذين يُشكّلون طرفاً آخر في قضيته إنما هم في قبضة البارئ جلّ وعلا ، وأن قلوبهم بيده سبحانه يصرفها كيف يشاء ، فليلجأ إليه قبل كل شيء ، ويسأله قضاء حاجته وتفريج كربه ، ثم يقوم بعمل

الأسباب التي خلقها الله تعالى وجعلها موصلة إلى النتائج المطلوبة ، مع الاعتقاد بأنها مجرد أسباب ، وأن الفاعل والمقدّر هو الله تعالى ، وأنه قادر على أن ينزع من الأسباب قوة التأثير فلا تؤدي إلى نتائجها [(٦١٧)] المعروفة.

ب. هل كان الزبير رضي الله عنه من الأثرياء؟

نرى النصّ السابق ينطق بأن الزبير رضي الله عنه ما كان من الأثرياء أصحاب الأموال المعروفين المشهورين بذلك ، بل كان يشعر بالضائقة وبهمه أمر ما في ذمته من أموال وديون ، وكان يخشى ألا تفي أرضه وعقاره بما عليه من أموال ، كما ينطق هذا النص أيضاً بأن عبد الله بن الزبير ما كان يخالف أباه في توقعه ، بل كان يتوقع مثله أن الديون تزيد على الأموال والأرض ، يقول له أبوه: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ فلا يجد عبد الله جواباً لأبيه ، ولو كان يتوقع غير ما توقع أبوه ، لأجابه مطمئناً إياه في هذا الوقت العصيب ، بأن الأمر غير ما يقدّر ويتوقّع ، بل تجده يجاري أباه صراحة في توقعه ، فيسأله . عندما أشار عليه أن يستعين بمولاه .: من مولاك؟ فهو يتوقع أنه سيستعين به.

ولا يزعم زاعم بأن عبد الله لم يكن محيطاً بثروة أبيه ، عارفاً بأملكه ، فإن عبد الله كان في ذلك الوقت في سن الخامسة والثلاثين ، ومن يكن في مثل هذه السن من شأنه أن يكون ظهيراً لأبيه عالماً بكل أحواله وأمواله ، وبخاصة إذا كان هو الابن الأكبر ، وإن سؤال الزبير له: أفترى يُبقي ديننا من مالنا شيئاً؟ يشهد بأن عبد الله كان على علم بأحوال أبيه وأمواله ، بل إن عبد الله صرّح بأن أمر قضاء الدين ما كان سهلاً ولا هيناً ، فيقول: فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير ، اقضي عنه دينه فيقضيه [(٦١٨)].

ومما يشهد أيضاً بأن الزبير لم يكن معدوداً من الأغنياء وأصحاب الثروات ، وأن توقعه عن ديونه ونسبتها إلى أملاكه كان في موضعه ومحله: أن حكيم بن حزام رضي الله عنه . وهو ابن عم الزبير . تلقى عبد الله بن الزبير فيقول له: ما أراكم تطيقون هذا الذي عليكم من الديون ، فإن عجزتم عن شيء منه ، فاستعينوا بي [(٦١٩)].

ودليل رابع: يأتي عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لعبد الله بن الزبير ، وكان له عند الزبير أربعمئة ألف ، فيقول لابن الزبير: إن شئتم تركتها لكم قال عبد الله بن الزبير: لا .

قال عبد الله بن جعفر: فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم [(٦٢٠)]. فهذه شهادة اثنين من كبار الصحابة يتوقعان عدم وفاء أملاك الزبير بما عليه من ديون ، ويعدُّ أنه ممن يحتاج إلى عون ومساعدة ، ثم هما ممن يعرف الزبير ويخالطه ، ويطلع على أحواله ، فأحدهما حكيم بن حزام ابن عم الزبير ، والآخر ابن ابن خاله ، فأم الزبير صفية بنت عبد المطلب عممة النبي (ص) ، وهو يتعامل معه أخذاً وعطاءً ، واقتراضاً وائتمناً ، فهذه أدلة أربعة لا يرقى إليها الشك تنطق بأن الزبير رضي الله عنه ما كان من أصحاب الثروات [(٦٢١)].

وقد فشا فيما فشا عن ثروة الزبير وغناه الحديث عن عبيده وخيوله؛ ففي بعض المصادر أنه كان ألف مملوك ، وأن الألف مملوك كانوا يؤدون إليه الخراج كل يوم ، فما يدخل إلى بيته منها درهماً واحداً يتصدق بذلك جميعه [(٦٢٢)]. لكن المستشرق الذائع الصيت (ول ديورانت) جعل الألف عشرة الاف ، فقال: كان الزبير يمتلك عشرة الاف عبد ، ثم أضاف إليها ألف جواد [(٦٢٣)] ، وبالطبع حذف المستشرق (الذكي) خبر تصدق الزبير بخراج ممالিকে [(٦٢٤)] ، وهذا الخبر لا يقف أمام رواية البخاري ، إذ جاء فيها: فقتل الزبير ولم يترك ديناراً ولا درهماً ، إلا أرضين منها الغابة ، وإحدى عشرة داراً بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، وداراً بالكوفة ، وداراً بمصر [(٦٢٥)]. فالرواية واضحة ، وهي بأسلوب الحصر ، وفي مقام الحديث عن همّ الدين ، والكُرب التي كانت في سبيل سداده ، فلو كان هناك ألف مملوك ، لكان لها ذكر ، ولثمنها قيمة وقدر ، ألا يساوي المملوك الواحد في أقل تقدير ألفي درهم [(٦٢٦)]؟! فيكون ثمن الممالك هو قيمة الدين كله إلا قليلاً ، هذا كله على فرض أنها كانت ألفاً فقط ، أما إذا أخذنا بشطحة ول ديورانت ، وأنها عشرة الاف مملوك ، فمعنى ذلك نسف رواية البخاري من أساسها ، فإن عشرة الاف مملوك وألف جواد يكفي ثمنها . مهما كان بخساً . أن يسدد

ديونه ، ويغرق ورثته في لجج الثراء ، وما كان الزبير بحاجة إلى أن يقول لابنه: إن من أكبر همي لديني. ولا أن يسأله:

أفترى يُقيمي ديننا من مالنا شيئاً ، ولا أن يوصيه: إذا أعجزك شيء من ديني ، فاستعن عليه بمولاي [(٦٢٧)].

إن الحديث عن سيرة الزبير وطلحة وعمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري وأم المؤمنين عائشة ينسجم مع أهداف الكتاب ، من حيث الحديث عن سيرة أمير المؤمنين علي وعصره ، فهذه الشخصيات تعتبر محورية في الحديث عن عصر أمير المؤمنين علي ، كما أن التشويه الذي لحق بها في كتب التاريخ والأدب يكون عند الحديث في الفتن الداخلية ، فبيان سيرتهم ، وأخلاقهم وصفاتهم ، واجب علينا ، وحتى يخرج القارئ بمعرفة حقيقية لهذه الشخصيات ، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة ، ولا القصص الموضوعية التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة ، والتي شوهدت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة ، فالحديث عن سيرة الزبير أو غيره من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع أهداف المؤلف التي أراد إيصالها للقارئ من خلال دراسته لعهد الخلفاء الراشدين.

الثاني عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده:

هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي [(٦٢٨)] ، يجتمع مع النبي (ص) في مرة بن كعب ، ومع أبي بكر الصديق في تيم بن مرة ، وعدد ما بينهم من الأبناء سواء [(٦٢٩)] ، وأمه رضي الله عنه: الصعبة بنت الحضرمي امرأة من أهل اليمن ، وهي أخت العلاء بن الحضرمي [(٦٣٠)] ، أسلمت ولها صحبة ، وظفرت بشرف الهجرة [(٦٣١)]. وطلحة رضي الله عنه أحد العشرة الذين بشروا بالجنة ، وأحد الثمانية الذين سبقوا على الإسلام ، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأحد الستة أصحاب الشورى [(٦٣٢)].

١ . إسلامه وابتلاؤه وهجرته:

قال طلحة بن عبيد الله: حضرت سوق بصري ، فإذا راهب في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم ، أفيعلم أحد من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم ، أنا. فقال: هل ظهر أحمد بعد؟ قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو آخر الأنبياء ، ومخرجه من الحرم

ومهاجره إلى نخل ، وحرّة [(٦٣٣)] ، وسباخ [(٦٣٤)] ، فإياك أن تُسبق إليه ، قال طلحة: فوقع ما قال في قلبي ، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة ، فقلت: هل كان من حدث؟. قالوا: نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال طلحة: فخرجت حتى دخلت على أبي بكر ، وقلت: اتبعت هذا الرجل؟ قال: نعم ، فانطلق إليه ، فادخل عليه ، فاتّبعه ، فإنه يدعو إلى الحق وإلى الخير . وأخبر طلحة أبا بكر بما قال الراهب . ، فخرج أبو بكر بطلحة ، فدخل به على رسول الله (ص) ، فأسلم طلحة ، وأخبر رسول الله (ص) بما قال الراهب؛ فسر رسول الله (ص) ، فلما أسلم أبو بكر وطلحة بن عبيد الله ، أخذهما نوفل بن خويلد بن العدويّة ، فشدهما في جبل واحد ، ولم يمنعهما بنو تيم ، وكان نوفل يُدعى أسد قريش ولذلك سُمّي أبو بكر وطلحة القرينين [(٦٣٥)] .

هذا وقد أودى طلحة في الله ولقي أذى كبيراً من المشركين ، ومن عشيرته الأقربين ، وبقي طلحة رضي الله عنه . صابراً على الأذى والعذاب حتى أذن الله عز وجل بالهجرة .

ولما ارتحل رسول الله (ص) مهاجراً إلى المدينة لقيه طلحة قادماً من الشام في عير ، فكسا رسول الله (ص) وأبا بكر من ثياب الشام ، ثم مضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من حاجته ، ثم خرج بعد ذلك بال أبي بكر؛ فهو الذي قدم بهم المدينة ، فطلحة من المهاجرين الأوّلين . رضي الله عنهم [(٦٣٦)] ، ولما قدم المدينة اخى رسول الله (ص) بينه وبين أبي أيوب الأنصاري [(٦٣٧)] ، وقيل: كعب بن مالك الأنصاري ، حين اخى بين المهاجرين والأنصار [(٦٣٨)] .

٢ . في غزوة بدر .

كان طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه كلّف بتحسس عير قريش ، وذلك لما تحيّن رسول الله (ص) وصول عير من الشام لقريش ، فقد بعث (ص) طلحة وسعيد بن زيد رضي الله عنهما يأتياه بالأخبار ، فخرجا وبلغا الحوراء ، فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت العير ، فتساحت ، فعادا إلى المدينة بالأخبار ، كان رسول الله (ص) قد خرج بالمسلمين في غزوة بدر ، فأسرعا لينضما إلى الجيش ، إلا أنّهما لم يدركا المعركة ، وضرب لهما رسول الله (ص) بسهمهما وأجورهما ، سهم كالمقاتلين ، وأجر كالمجاهدين [(٦٣٩)] .

٣ . في غزوة أحد ، أوجب طلحة رضي الله عنه:

عن جابر قال: لما كان يوم أحد وولّى الناس ، كان رسول الله (ص) في ناحية في اثني عشر رجلاً منهم طلحة ، فأدركه المشركون ، فقال النبي (ص): «مَن للقوم؟» قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت» فقال

رجل من الأنصار: أنا قال: «أنت» فقاتل حتى قُتل. ثم التفت ، فإذا المشركون فقال: من لهم؟ قال طلحة: أنا. قال: «كما أنت». فقال رجل من الأنصار: أنا. قال: أنت فقاتل حتى قُتل ، فلم يزال كذلك حتى بقي مع نبي الله (طلحة) ، فقال: من للقوم؟ قال طلحة: أنا. فقاتل طلحة قتال الأحد عشر ، حتى قطعت أصابعه فقال: حسبي. فقال رسول الله (ص): «لو قلت: بسم الله ، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون». ثم رد الله المشركين [(٦٤٠)]. وعند أحمد: فقال له النبي (ص): «لو قلت: بسم الله ، لرأيت يُبنى لك بها بيت في الجنة وأنت حي في الدنيا» [(٦٤١)].

وعن قيس بن حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقي بها النبي (ص) يوم أحد [(٦٤٢)]. وجرح في تلك الغزوة تسعاً وثلاثين ، أو خمساً وثلاثين ، وشُلت إصبعة أي: السبابة والتي تليها [(٦٤٣)]. وروى أبو داود الطيالسي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة [(٦٤٤)]. وعن عائشة وأم إسحاق بنتي طلحة قالتا: جرح

أبونا يوم أحد أربعاً وعشرين جراحة ، وقع منها في رأسه شجرة مربعة ، وقُطع نساها - يعني العرق - وشُلت أصبعه ، وكان سائر الجراح في جسده ، وغلبه العشي - الإغماء - ورسول الله (ص) - يرجع به القهقري؛ كلما أدركه أحد من المشركين ، قاتل دونه حتى أسنده إلى الشعب [(٦٤٥)] ، حتى قال عنه (ص): «أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع» [(٦٤٦)].

٤ - شهيد يمشي على الأرض:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) كان على جبل حراء ، فتحرك. فقال رسول الله (ص): «اسكن حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» ، وعليه النبي (ص) وأبو بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنهم [(٦٤٧)] ، فلما علم طلحة بأنه سيموت شهيداً وذلك بعد أن سمع تلك البشرى من الحبيب المصطفى (ص) ، ظل يبحث عن الشهادة في مظانها ، فشهد المشاهد كلها مع النبي (ص) عدا غزوة بدر [(٦٤٨)] ، فقد كان في مهمة كلفه بها رسول الله (ص) كما مرّ معنا ، وقال عنه النبي (ص): «من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» [(٦٤٩)].

٥ - من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه:

عن موسى وعيسى ابنا طلحة عن أبيهما: أن أصحاب رسول الله (ص) قالوا لأعرابي جاء يسأل رسول الله عمّن قضى نجبه: من هو؟ فكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه قال: فسأله الأعرابي ،

فأعرض عنه ، ثم سأله فأعرض عنه ، ثم إني اطلعت من باب المسجد - يعني طلحة - وعليّ ثياب خضر ، فلما راني رسول الله (ص) قال: «أين السائل عمن قضى نجهه؟» قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. قال: «هذا ممن قضى نجهه» [(٦٥٠)].

٦ - دفاعه عن إخوانه وإحسان الظن بهم:

عن مالك بن أبي عامر ، قال: جاء رجل إلى طلحة فقال: أرايتك هذا اليماني ، هو أعلم بحديث رسول الله (ص) منكم - يعني أبا هريرة - نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم ، قال: أما أن قد سمع من رسول الله (ص) ما لم نسمع ، فلا أشك ، وسأخبرك إنّا كنا أهل بيوت ، وكنا إنما نأتي رسول الله (ص) غدوة وعشية ، وكان مسكيناً لا مال له - أبو هريرة - إنما هو على باب رسول الله (ص) ، فلا أشك أنه قد سمع ما لم نسمع ، وهل تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ما لم يُقُلْ [(٦٥١)]. وفي هذه القصة درس مفيد في الدفاع عن العلماء والفقهاء الصالحين.

٧ - إنفاقه في سبيل الله:

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت طلحة ، فما رأيت أعطى لجزيل مالٍ من غير مسألة منه [(٦٥٢)]. وعن موسى عن أبيه طلحة: أنه أتاه مال من حضرموت سبعمئة ألف ، فبات ليلته يتململ. فقال: ما ظنّ رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟ قالت: فأين أنت عن بعض أخلائك ، فإذا أصبحت ، فادع بجفان وقصاع فقسّمه. فقال لها: رحمك الله إنك موفقة بنت موفق ، وهي أم كلثوم بنت الصديق ، فلما أصبح ، دعا بجفان ، فقسّمها بين المهاجرين والأنصار ، فبعث إلى عليّ منها بجفنة ، فقالت له زوجته: أبا محمد ، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟ قال: فأين كنت منذ اليوم؟ فشأنك بما بقي قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم [(٦٥٣)].

وعن سُعدى بنت عوف المريّة ، قالت: دخلت على طلحة يوماً وهو خائر [(٦٥٤)] ، فقلت: مالك؟ لعل رابك من أهلك شيء؟ قال: لا والله ، نعم خليلة المسلم أنت ، ولكن مالٌ عندي قد غمّني. فقلت: ما يُعْمُك؟ عليك بقومك ، قال: يا غلام ادع لي قومي ، فقسّمه فيهم ، فسألت الخازن: كم أعطى؟ قال: أربعمئة ألف [(٦٥٥)].

عن الحسن البصري: أن طلحة بن عُبيد الله باع أرضاً له بسبعمئة ألفٍ ، فبات أرقاً من مخافة ذلك المال ، حتى أصبح ففرّقه [(٦٥٦)].

وعن عليّ بن زيد قال: جاء أعرابي إلى طلحة يسأله ، فتقرب إليه برحم ، فقال: إن هذه لرحم ما سألتني بها أحد قبلك ، إن لي أرضاً قد أعطاني بها عثمان ثلاثمئة ألف فاقبضها، وإن شئت بعتها من عثمان ، ودفعت إليك الثمن ، فقال: الثمن ، فأعطاه. وكان رضي الله عنه لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه ، وقضى دينه ، وكان يرسل لعائشة أم المؤمنين كل سنة بعشرة آلاف [(٦٥٧)] ، إنه طلحة الخير ، وطلحة الفياض ، وطلحة الجود [(٦٥٨)].

وقد سمّاه رسول الله (ص) بالفياض لسعة عطائه وكثرة إنفاقه في وجوه الخير ، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى موسى بن طلحة: أن طلحة نحر جزوراً وحفر بئراً يوم ذي قرد [(٦٥٩)] ، فأطعمهم وسقاهاهم فقال النبي (ص): « يا طلحة الفياض ». فسمي طلحة الفياض [(٦٦٠)].

٨ - من فرائد أقواله ودُرر جواهر كلامه:

فمن أقواله: إن أقلّ عيب الرجل جلوسه في بيته [(٦٦١)] ، ومما حفظ عنه قوله: الكسوة تظهر النعمة ، والإحسان إلى الخادم يكبت الأعداء [(٦٦٢)] ، وطلحة . رضي الله عنه . اراء ثاقبة وصحيحة في الناس ، فكان لا يشاور بخيلاً في صلة ، ولا جباناً في حرب [(٦٦٣)].

٩ - شهادة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه:

لما حضر يوم الجمل ، واجتمع به علي فوعظه ، تأخّر فوقف في بعض الصفوف ، فجاءه سهم غرب فوقع في ركبته ، وقيل: في رقبته ، والأول أشهر ، وانتظم السهم مع ساقه خاصرة الفرس فجمع به حتى كاد يلقيه ، وجعل يقول: إليّ عباد الله ، فأدركه مولى له ، فركب وراءه وأدخله البصرة ، فمات بدار فيها ، ويقال: إنه مات بالمعركة ، وإن علياً

لما دار بين القتلى راه ، فجعل يمسح عن وجهه التراب [(٦٦٤)] ، ثم قال: عزيز عليّ أبا محمد أن أراك مُجندلاً في الأودية ، ثم قال: إلى الله أشكو عُجري وُبُجري [(٦٦٥)] ، وترحم عليه ، وقال: ليتني متُّ قبل هذا بعشرين سنة [(٦٦٦)].

ولا شك أن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من أهل الجنة ، فقد روى الترمذي بإسناده إلى عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله (ص): «أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة وسعد في الجنة ، وسعيد في الجنة ، وأبو عبيدة في الجنة ، والزبير بن العوام في الجنة». ثم قال: وقد روى هذا الحديث ، عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه ، عن سعيد بن زيد ، عن النبي (ص) نحو هذا [(٦٦٧)]؛ ففي هذا الحديث منقبة واضحة لطلحة رضي الله عنه ، حيث شهد له

النبي (ص) أنه من أهل الجنة ، وأكرم بها من شهادة ، فإنها تضمنت الإخبار بسعادته في الدنيا والآخره [(٦٦٨)].

١٠ . حفظ الله له بعد موته:

إن الله حفظ جسد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بعد موته ، فقد فتح قبره بعد أكثر من ثلاثين عاماً ، ونقلوه إلى مكان اخر ، فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقّي لحيته ، فعن المثني بن سعيد قال: أتى رجلٌ عائشة بنت طلحة فقال: رأيت طلحة في المنام ، فقال: قل لعائشة تحولي من هذا المكان؛ فإن التّرّ - الرطوبة أو الماء - قد اذاني. فركبت في حشمها ، فضربوا عليه بناء واستثاروه. قال: فلم يتغير منه إلا شعيرات في إحدى شقّي لحيته ، أو قال: رأسه ، وكان بينهما بضع وثلاثون سنة [(٦٦٩)] ، فرضي الله عن طلحة وسائر الصحابة أجمعين.

١١ . سعد بن أبي وقاص يدعو على من يقع في عثمان وعلي وطلحة والزبير رضي الله عنهم:

عن سعيد بن المسيب: أن رجلاً كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فجعل سعد ينهاه ويقول: لا تقع في إخواني ، فأبى ، فقام فصلى ركعتين ثم قال: اللهم إن كان سخطاً لك فيما يقول ، فأرني فيه اليوم اية واجعله للناس عبرة ، فخرج الرجل فإذا يبختي يشق الناس ، فأخذه بالبلاط فوضعه بين كركرته [(٦٧٠)] والبلاط ، فسحقه حتى قتله. قال سعيد بن المسيب: فأنا رأيت الناس يتبعون سعداً ويقولون: هنيئاً لك أبا إسحاق أجيبك دعوتك [(٦٧١)].

* * *

المبحث الثاني

معركة صفين: (٥٣٧هـ)

أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة:

(١) أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام: لما قُتل عثمان رضي الله عنه: أرسلت أم المؤمنين ، أم حبيبة بنت أبي سفيان إلى أهل عثمان؛ أرسلوا إليّ بثياب عثمان التي قُتل فيها ، فبعثوا إليها بقميصه مضرّجاً بالدم ، وبخصلة الشعر التي نتفت من لحيته ، ثم دعت النعمان بن بشير ، فبعثته إلى معاوية ، فمضى بذلك وبكتابها [(٦٧٢)].

وجاء في رواية: خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء ، ومعه أصابع نائلة التي أصيبت حين دافعت عنه بيدها [(٦٧٣)] ، وكانت نائلة بنت الفرافصة الكلبية زوج عثمان كلبية شامية [(٦٧٤)] ، فورد النعمان على معاوية بالشام ، فوضعه معاوية على المنبر ليبراه الناس ، وعلق الأصابع في كم القميص يرفع تارة ويوضع تارة ، والناس يتباكون حوله ، وحثّ بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره [(٦٧٥)].

وجاء شرحبيل بن السمط الكندي وقال لمعاوية: كان عثمان خليفتنا ، فإن قويت على الطلب بدمه وإلا فاعتزلنا [(٦٧٦)]. وإلى رجال الشام أن لا يمسوا النساء ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان ومن عرض دونهم بشيء ، أو تفتى أرواحهم [(٦٧٧)] ، وكان ذلك ما يريده معاوية ، فقد كانت الصورة التي نقلها النعمان بن بشير إلى أهل الشام بشعة ، مقتل الخليفة ، سيوفاً مصلّطة من الغوغاء على رقاب الناس ، بيت المال منهكاً مسلوباً ، وأصابع نائلة مقطوعة ، فهاجت النفوس والعواطف ، واهتزت المشاعر ، وتأثرت بها القلوب ، وذرفت منها العيون ولا غرابة بعد هذا إطلاقاً أن نرى إصرار معاوية ومن معه من أهل الشام بالإصرار على المطالبة بدم عثمان ، وتسليم القتلة للقصاص قبل البيعة ، وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متامرين ، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للقصاص من أصحاب هذه الجريمة البشعة [(٦٧٨)]؟.

(٢) دوافع معاوية في عدم البيعة:

كان معاوية رضي الله عنه والياً على الشام في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما ، ولما تولى الخلافة علي أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر ، فاعتذر ابن عمر ، فأرسل إلى سهل بن حنيف بدلاً منه ، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام (وادي القرى) حتى عاد من حيث جاء ، إذ لقيته خيل لمعاوية عليها حبيب بن مسلمة الفهري ، فقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع [(٦٧٩)].

لقد امتنع معاوية وأهل الشام عن البيعة ورأوا أن يقتصر علي . رضي الله عنه . من قتلة عثمان ثم يدخلون البيعة [(٦٨٠)] ، وقالوا: لا نبايع من يأوي القتلة [(٦٨١)] ، وتخوفوا على أنفسهم من قتلة عثمان الذين كانوا في جيش علي ، فرأوا أن البيعة لعلي لا تجب عليهم ، وأنهم إذا قوتلوا على ذلك كانوا مظلومين ، قالوا: لأن عثمان قتل مظلوماً باتفاق المسلمين ، وقتلته في عسكر علي ، وهم غالبون لهم شوكة ، فإذا بايعنا ظلمونا واعتدوا علينا وضاع دم عثمان ، وكان معاوية رضي الله عنه يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه ، فهو ولي دمه ، والله يقول: { وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * } [الإسراء: ٣٣] لذلك جمع معاوية الناس ، وخطبهم بشأن عثمان ، وأنه

قتل مظلوماً على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام ، إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام ، فثار الناس ، واستنكروا وعلت الأصوات ، وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله (ص) ، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله (ص) ما تكلمت ، وذكر الفتن فقربها ، فمر رجل متفجع في ثوب ، فقال: «هذا يومئذ على الهدى» ، فقامت إليه ، فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «نعم» [(٦٨٢)] .

وهناك حديث اخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ، ومنشطاً ودافعاً قوياً للتصميم على تحقيق الهدف ، وهو: عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله (ص) .. فكان من اخر كلمة أن ضرب منكبه ، فقال: «يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً ، فإن أردك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثاً ، فقلت لها: يا أم المؤمنين! فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته ، قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان ، فلم يرضَ بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن أكتبي إليّ به ، فكتبت إليه به كتاباً [(٦٨٣)] .

لقد كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسي في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب ، ورأوا أن تقديم حكم القصاص مقدم على البيعة ، وليست لأطماع معاوية في ولاية الشام ، أو طلبه ما ليس له بحق ، إذ كان يدرك إدراكاً تاماً أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى ، وأن علياً أفضل منه وأولى بالأمر منه [(٦٨٤)] ، وقد انعقدت البيعة له بإجماع الصحابة بالمدينة ، وكان اجتهاد معاوية يخالف الصواب .

(٣) معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنهما:

بعث علي رضي الله عنه كتباً كثيرة إلى معاوية فلم يرد عليه جوابها ، وتكرر ذلك مراراً إلى الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر ، ثم بعث معاوية طوماراً [(٦٨٥)] مع رجل ، فدخل به على علي ، فقال له علي: ما وراءك؟ قال: جئتك من عند قوم لا يريدون إلا القود [(٦٨٦)] ،

كلهم موتور [(٦٨٧)] ، تركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان ، وهو على منبر دمشق ، فقال علي: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. ثم خرج رسول معاوية من بين يدي عليّ فهمّ به أولئك الخوارج الذين قتلوا عثمان يريدون قتله ، فما أفلت إلا بعد جهد [(٦٨٨)].

(٤) تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك:

بعد وصول رد معاوية لأمر المؤمنين علي ، عزم الخليفة على قتال أهل الشام ، كتب إلى قيس بن سعد بمصر يستنفر الناس لقتالهم ، وإلى أبي موسى بالكوفة ، وبعث إلى عثمان بن حنيف بذلك ، وخطب الناس فحثهم على ذلك ، وعزم على التجهُّز ، وخرج من المدينة ، واستخلف عليها قثم بن العباس ، وهو عازم أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه ، وخرج عن أمره ولم يبايعه مع الناس ، وجاء إليه ابنه الحسن بن علي فقال: يا أبة دَعْ هذا؛ فإنّ فيه سفك دماء المسلمين ، ووقوع الاختلاف بينهم! فلم يقبل منه ذلك ، بل صمّم على القتال ، ورَتَّب الجيش ، فدفَع اللواء إلى محمد ابن الحنفية ، وجعل ابن العباس على الميمنة ، وعمر بن أبي سلمة على الميسرة ، وقيل: جعل على الميسرة عمرو بن سفيان بن عبد الأسد ، وجعل على مقدمته أبا ليلى بن عمر بن الجراح ابن أخي أبي عبيدة ، واستخلف على المدينة قثم بن العباس ، ولم يبقَ شيء إلا أن يخرج من المدينة قاصداً الشام ، حتى جاءه ما شغله عن ذلك [(٦٨٩)] ، وقد تمّ تفصيل ذلك من خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة إلى معركة الجمل.

(٥) بعد معركة الجمل ، أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية:

ذُكر أن المدة بين خلافة أمير المؤمنين علي إلى فتنة السبئية الثانية ، أو ما يُسمى البصرة أو معركة الجمل ، خمسة أشهر وواحد وعشرون يوماً ، وبين دخوله الكوفة شهراً ، وبين ذلك وخروجه إلى صفين ستة أشهر [(٦٩٠)] ، وروي شهرين أو ثلاثة [(٦٩١)]. وقد كان دخول أمير المؤمنين الكوفة يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين ، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض ، فقال: لا إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله ، فأنا أكره لذلك ، فنزل في الرحبة وصلّى بالجامع الأعظم ركعتين ، ثم خطب الناس فحثهم على الخير ،

ونهاهم عن الشر ، ومدح أهل الكوفة في خطبته هذه ، ثم بعث إلى جرير بن عبد الله وكان على همدان من زمان عثمان ، وإلى الأشعث بن قيس وهو على نيابة أذربيجان من أيام عثمان ؛ يأمرهما أن يأخذا البيعة له على من هُنالك ثم يُقبلا إليه ، ففعلا ذلك ، فلما أراد علي أن يبعث إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى بيعته ، قال جرير بن عبد الله البجلي: أنا أذهب إليه يا أمير المؤمنين ، فإنّ بيني وبينه وُدّاً ، فاخذ لك البيعة منه ، فقال الأشتر: لا تبعته يا أمير المؤمنين ، فإنني أخشى أن يكون هواه معه. فقال علي: دعه.

فبعثه وكتب معه كتاباً إلى معاوية يعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، ويخبره بما كان في وقعة الجمل، ويدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس، فلما انتهى إليه جرير بن عبد الله ، أعطاه الكتاب وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم ، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان ، أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان ، وإن لم يفعل قاتلوه ولم يبايعوه حتى يقتلهم عن اخرهم. فرجع جرير إلى علي فأخبره بما قالوا ، فقال الأشتر: ألم أهلك يا أمير المؤمنين أن تبعث جريراً؟ فلو كنت بعثتني لما فتح معاوية باباً إلا أغلقته. فقال له جرير: لو كنت ثمّ لقتلوك بدم عثمان. فقال الأشتر: والله لو بعثتني لم يعني جواب معاوية ولأعجلته عن الفكرة ، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين ، لحبستك وأمثالك حتى يستقيم أمر هذه الأمة.

فقام جرير مُغضباً فأقام بقرقيسياء ، وكتب إلى معاوية يخبره بما قال وقيل له ، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه [٦٩٢]. وهكذا كان الأشتر سبباً في إبعاد الصحابي جرير بن عبد الله الذي كان والياً على قرقيسياء وعلى غيرها ، ورأساً في قبيلته بجيلة ، ويضطره إلى مفارقة أمير المؤمنين علي ، وهذا الصحابي جرير بن عبد الله البجلي قال: ما راني رسول الله (ص) إلا تبسم في وجهي ، وقال (ص): «يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن ، على وجهه مسحة مَلَك» [٦٩٣].

(٦) مسير أمير المؤمنين إلى الشام:

استعد أمير المؤمنين علي لغزو الشام ، فبعث يستنفر الناس [٦٩٤] وجَهَّز جيشاً ضخماً اختلفت الروايات في تقديره ، وكلها روايات ضعيفة [٦٩٥] ، إلا رواية واحدة حسنة الإسناد ذكرت أنه سار في خمسين ألفاً [٦٩٦].

وكان مكان تجمع جُند أمير المؤمنين بالنخيلية [٦٩٧] ، وهو على ميلين من الكوفة انذاك ، فتوافدت عليه القبائل من شتى إقليم العراق [٦٩٨] ، واستعمل أمير المؤمنين علي أبا مسعود الأنصاري ،

وبعث من النخيلة زياد بن النضر الحارثي طليعة في ثمانية الاف مقاتل ، وبعث شريح بن هانأى في أربعة الاف ، ثم خرج علي رضي الله عنه بجيشه إلى المدائن (بغداد) ، فانضم إليه فيها من المقاتلة ، وولى عليها سعد بن مسعود الثقفي ، ووجه منها طليعة في ثلاثة الاف إلى الموصل [(٦٩٩)] ، وسلك رضي الله عنه طريق الجزيرة الرئيسي على شط الفرات الشرقي ، حتى بلغ قرب قرقيسيا [(٧٠٠)] ، فأتته الأخبار بأن معاوية قد خرج لملاقاته وعسكر بصفين ، فتقدم علي إلى الرقة [(٧٠١)] ، وعبر منها الفرات غرباً ونزل على صفين [(٧٠٢)] .

(٧) خروج معاوية إلى صفين:

كان معاوية جاداً في مطاردة قتلة عثمان رضي الله عنه ، فقد استطاع أن يترصد بجماعة ممن غزا المدينة من المصريين أثناء عودتهم ، وقتلهم ومنهم أبو عمرو بن بديل الخزاعي [(٧٠٣)] ، ثم كانت له أيد في مصر وشيعة في أهل خربنا تطالب بدم عثمان رضي الله عنه ، وقد استطاعت هذه الفرقة من إيقاع الهزيمة بمحمد بن أبي حذيفة في عدة مواجهات عام ٣٦ هـ ، كما استطاع أيضاً أن يوقع برؤوس مدبري ومخططي غزو المدينة من المصريين ، مثل عبد الرحمن بن عديسي ، وكنانة بن بشر ، ومحمد بن حذيفة ،

فحبسهم في فلسطين ، وذلك في الفترة التي سبقت خروجه إلى صفين ، ثم قتلهم في شهر ذي الحجة عام ٣٦ هـ [(٧٠٤)] . وعندما علم معاوية بتحرك جيش العراق نحو الشام ، جمع مستشاريه من أعيان أهل الشام ، وخطب فيهم وقال: إن علينا نهد إليكم في أهل العراق... فقال ذو الكلاع الحميري: عليك أمر أي وعلينا أمفعال [(٧٠٥)] [(٧٠٦)] .

وكان أهل الشام قد بايعوا معاوية على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه والقتال [(٧٠٧)] ، وقد قام عمرو بن العاص رضي الله عنه بتجهيز الجيش ، وعقد الألوية ، وقام في الجيش خطيباً يحرصهم ، فقال: إن أهل العراق قد فرقوا جمعهم وأوهنوا شوكتهم ، وقلوا حدهم ، ثم إن أهل البصرة مخالفون لعلي قد وترهم وقتلهم ، وقد تفانت صنائدهم وصناديد أهل الكوفة يوم الجمل ، وإنما سار في شردمة قليلة ومنهم من قد قتل خليفتم ، فالله الله في حقكم أن تضيعوه وفي دمكم أن تبطلوه [(٧٠٨)] .

وسار معاوية في جيش ضخم ، اختلفت الروايات في تقديره ، وكلها روايات منقطة أسانيداً ، وهي عين الروايات التي قدرت جيش علي رضي الله عنه ، فقدر بمئة ألف وعشرين ألفاً [(٧٠٩)] ، وقدر بسبعين ألف مقاتل ، وقدر بأكثر من ذلك بكثير [(٧١٠)] ؛ إلا أن الأقرب للصواب أنهم ستون ألف

مقاتل ، فهي وإن كانت منقطعة الإسناد إلا أن راويها صفوان بن عمرو السكسي ، حمصي من أهل الشام ، ولد عام (٧٢ هـ) ، وهو ثبت ثقة ، وقد أدرك خلقاً ممن شهد صفين ، كما يتبين من دراسة ترجمته [(٧١١)] ، والإسناد إليه صحيح [(٧١٢)] .

وكان قادة جيش معاوية على النحو التالي: عمرو بن العاص ، على خيول أهل الشام كلها ، والضحاك بن قيس على رجالة الناس كلهم ، وذو الكلاع الحميري. على ميمنة الجيش ، وحبیب بن مسلمة على ميسرة الجيش ، وأبو الأعور السلمي على المقدمة ؛

هؤلاء هم القادة الكبار ، وتحت كل قائد من هؤلاء قادة وزعوا حسب القبائل ، وكان هذا الترتيب عند سيرهم إلى صفين ، ولكن أثناء الحرب تغير بعض القادة وظهر قادة اخرون مما اقتضته الظروف، ولعل هذا يكون السبب في اختلاف أسماء القادة في بعض المصادر [(٧١٣)] .

وبعث معاوية أبا الأعور السلمي مقدمة للجيش ، وكان خط سيرهم إلى الشمال الشرقي من دمشق ، ولما بلغ صفين أسفل الفرات ، عسكر في مكان سهل فسيح ، إلى جانب شريعة في الفرات ، ليس في ذلك المكان شريعة غيرها ، وجعلها في حيزه [(٧١٤)] .

(٨) القتال على الماء:

وصل جيش علي رضي الله عنه إلى صفين ، حيث عسكر معاوية ، ولم يجد موضعاً فسيحاً سهلاً يكفي الجيش ، فعسكر في موضع وعراً نوعاً ما ، إذ أغلب الأرض صخور ذات كدى وأكمام [(٧١٥)] .

فوجأى جيش العراق بمنع معاوية عنهم الماء ، فهرع البعض إلى علي رضي الله عنه يشكون إليه هذا الأمر ، فأرسل علي إلى الأشعث بن قيس فخرج في ألفين ، ودارت أول معركة بين الفريقين انتصر فيها الأشعث واستولى على الماء [(٧١٦)] ، إلا أنه قد وردت رواية تنفي وقوع القتال من أصله ؛ مفادها: أن الأشعث بن قيس جاء إلى معاوية فقال: الله الله يا معاوية في أمة محمد (ص)! هبوا أنكم قتلتم أهل العراق ، فمن للبعوث والذراري؟! إن الله يقول: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات: ٩] قال معاوية: فما تريد؟ قالوا: خلوا بيننا وبين الماء. فقال لأبي الأعور: خلّ بين إخواننا وبين الماء [(٧١٧)] .

وقد كان القتال على الماء في أول يوم تواجهها فيه في بداية شهر ذي الحجة فاتحة شر على الطرفين المسلمين ، إذ استمر القتال بينهما متواصلًا طوال هذا الشهر ، وكان القتال على شكل كتائب صغيرة

، فكان علي رضي الله عنه يخرج من جيشه كتيبة صغيرة يؤمر عليها أميراً ، فتقتلان مرة واحدة في اليوم في الغداة أو العشي ، وفي بعض الأحيان يقتتلان مرتين في اليوم ، وكان أغلب من يخرج من أمراء الكتائب في جيش علي: الأشر،

وحجر بن عدي ، وشبث بن ربعي ، وخالد بن المعتمر ، ومعقل بن يسار الرياحي . ومن جيش معاوية أغلب من يخرج: حبيب بن مسلمة ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعبيد الله بن عمر بن الخطاب ، وأبو الأعور السلمي ، وشرحبيل بن السمط ، وقد تجنبوا القتال بكامل الجيش خشية الهلاك والاستئصال ، وأملاً في وقوع صلح بين الطرفين ، تصان به الأرواح والدماء [(٧١٨)].

(٩) المودعة بينهما ومحاولات الصلح:

ما إن دخل شهر المحرم ، حتى بادر الفريقان إلى المودعة والهدنة طمعاً في صلح يحفظ دماء المسلمين ، فاستغلوا هذا الشهر في المراسلات بينهم ، ولكن المعلومات عن مراسلات هذه الفترة . شهر المحرم . وردت من طرق ضعيفة [(٧١٩)] ، مشهورة ، إلا أن ضعفها لا ينفي وجودها.

كان البادية بالمراسلة ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأرسل بشير بن عمرو الأنصاري ، وسعيد بن قيس الهمداني ، وشبث بن ربعي التميمي إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه، كما دعاه من قبل إلى الدخول في الجماعة والمبايعة ، فرد معاوية عليه برده السابق المعروف ، بتسليم قتلة عثمان أو القود منهم أولاً ، ثم يدخل في البيعة ، وقد تبين لنا موقف علي من هذه القضية [(٧٢٠)].

كما أن قرءاء الفريقين ، قد عسكروا في ناحية من صفين ، وهم عدد كبير ، قد قاموا بمحاولات للصلح بينهما ، فلم تنجح تلك المحاولات لالتزام كل فريق منهما برأيه وموقفه [(٧٢١)] ، وقد حاول اثنان من الصحابة وهما أبو الدرداء ، وأبو أمامة رضي الله عنهما الصلح بين الفريقين ، فلم تنجح مهمتهما أيضاً لنفس الأسباب السابقة ، فتركا الفريقين ولم يشهدا معهما أمرهما [(٧٢٢)]. وكذلك حضر مسروق بن الأجدع . أحد كبار التابعين . فوعظ ، وخوف ولم يقاتل [(٧٢٣)].

وقد انتقد ابن كثير التفصيلات الطويلة التي جاءت في روايات أبي مخنف ونصر بن مزاحم ، بخصوص المراسلات بين الطرفين فقال: ... ثم ذكر أهل السير كلاماً طويلاً جرى بينهم وبين علي ، وفي صحة ذلك عنهم وعنه نظر ، فإن في مطاوي ذلك الكلام من علي ما ينتقص فيه معاوية وأباه ، وأنهم إنما دخلوا في الإسلام ولم يزالوا في تردد فيه ، وغير ذلك ، وأنه قال في غضون ذلك : لا أقول إن عثمان قُتل مظلوماً ولا ظالماً!.. وهذا عندي لا يصح من علي رضي الله عنه [(٧٢٤)]. وموقف علي رضي

الله عنه من قتل عثمان واضح وقد بينته في كتابي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وفي هذا الكتاب.

ثانياً: نشوب القتال:

عادت الحرب على ما كانت عليه في شهر ذي الحجة من قتال الكتائب والفرق والمبارزات الفردية، خشية الالتحام الكلي ، إلى أن مضى الأسبوع الأول منه، وكان عدد الوقعات الحربية بين الفريقين إلى هذا التاريخ أكثر من سبعين وقعة ، وذكر أنها تسعون [(٧٢٥)] ، إلا أن علياً أعلن في جيشه أن غداً الأربعاء سيكون الالتحام الكلي لجميع الجيش ، ثم نبذ معاوية يخبره بذلك [(٧٢٦)] ، فثار الناس في تلك الليلة إلى أسلحتهم يصلحونها ويحدونها ، وقام عمرو بن العاص بإخراج الأسلحة من المخازن لمن يحتاج من الرجال ممن فلّ سلاحه ، وهو يجرض الناس على الاستبسال في القتال [(٧٢٧)] ، وبات جميع الجيشين في مشاورات وتنظيم للقيادات والألوية.

١ . اليوم الأول:

أصبح الجيشان في يوم الأربعاء قد نظمت صفوفهم ووزعوا حسب التوزيع المتبع في المعارك الكبرى . قلب وميمنة ، وميسرة ، فكان جيش علي رضي الله عنه على النحو التالي: [(٧٢٨)] علي بن أبي طالب على القلب ، وعبد الله بن عباس على الميسرة ، وعمار بن ياسر على الرجالة ، محمد ابن الحنفية حامل الراية ، وهشام بن عتبة (المقال) حامل

اللواء ، والأشعث بن قيس على الميمنة ، وأما جيش الشام ، فمعاوية في كتيبة الشهداء أصحاب البيض والدروع على تل مرتفع وهو أمير الجيش ، وعمرو بن العاص قائد خيل الشام كلها ، وذو الكلاع الحميري على الميمنة على أهل اليمن ، وحبيب بن مسلمة الفهري على الميسرة على مضر ، والمخارق بن الصباح الكلاعي حامل اللواء [(٧٢٩)] ، وتقابلت الجيوش الإسلامية ، ومن كثرتها قد سدت الأفق ، ويقول كعب بن جعيل التغلبي أحد شعراء العرب [(٧٣٠)] ، وذلك عندما رأى الناس في ليلة الأربعاء وقد وثبوا إلى نبالهم وسيوفهم يصلحونها استعداداً لهذا اليوم:

أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ فِي أَمْرِ عَجَبٍ وَالْمَلِكُ مَجْمُوعٌ غَدًا لِمَنْ غَلَبَ

فَقُلْتُ قَوْلًا صَادِقًا غَيْرَ كَذِبٍ إِنَّ غَدًا تَهْلِكُ أَعْلَامُ الْعَرَبِ [(٧٣١)]

وتذكر بعض الروايات الضعيفة: أن علياً خطب في جيشه ، وحرصهم على الصبر والإقدام والإكثار من ذكر الله [(٧٣٢)] ، وتذكر أيضاً أن عمرو بن العاص ، قد استعرض جيشه ، وأمرهم بتسوية

الصفوف وإقامتها [(٧٣٣)] ، وهذه الروايات لا يوجد مانع من الأخذ بها ، لأن كل قائد يحرص جيشه ويحمسه ، ويهتم بكل ما يؤدي به إلى النصر ، والتحم الجيشان في قتال عنيف ، استمر محتدماً إلى غروب الشمس لا يتوقف إلا لأداء الصلاة ، ويصل كل فريق في معسكره ، وبينهما جثث القتلى في الميدان تفصل بينهما ، وسأل أحد أفراد جيش علي عليه السلام عن حبه انصرافه من الصلاة ، فقال: ما تقول في قتالنا وقتلناهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: من قتل منا ومنهم يريد وجه الله والدار الآخرة دخل الجنة [(٧٣٤)] . وقد صبر بعضهم على بعض فلم يغلب أحد أحداً ، ولم ير مولياً حتى انتهى ذلك اليوم. وفي المساء خرج علي رضي الله عنه إلى ساحة القتال ، فنظر إلى أهل الشام ، فدعا ربه قائلاً: اللهم اغفر لي ولهم [(٧٣٥)] .

٢ - اليوم الثاني:

في يوم الخميس تذكر الروايات: أن علياً رضي الله عنه قد غلس بصلاة الفجر واستعد للهجوم ، وغير بعض القيادات ، فوضع عبد الله بن بديل الخزاعي على الميمنة بدلاً من الأشعث بن قيس الكندي الذي تحول إلى الميسرة [(٧٣٦)] ، وزحف الفريقان نحو بعضهما ، واشتبكوا في قتال عنيف أشد من سابقه ، وبدأ أهل العراق في التقدم وأظهروا تفوقاً على أهل الشام ، واستطاع عبد الله بن بديل أن يكسر ميسرة معاوية وعليها حبيب بن مسلمة ، ويتقدم باتجاه كتيبة معاوية (الشهباء) ، وأظهر شجاعة وحماساً منقطع النظير ، وصاحب هذا التقدم الجزئي ، تقدم عام لجيش العراق ، حتى إن معاوية ، قد حدثته نفسه بترك ميدان القتال ، إلا أنه صبر وتمثل بقول الشاعر:

أَبَتْ لِي عَفَّتِي وَأَبَى بِلَائِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّيْحِ
وَإِكْرَاهِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَأَتْ وَجَأَتْ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي [(٧٣٧)]

واستحثت كتيبته الشهباء ، واستطاعوا قتل عبد الله بن بديل ، فأخذ مكانه في قيادة الميمنة الأشتر ، وتماسك أهل الشام ، وبايع بعضهم على الموت ، وكروا مرة أخرى بشدة وعزيمة ، وقتل عدد من أبرزهم: ذو الكلاع ، وحوشب وعبيد الله بن الخطاب رضي الله عنهما ، وانقلب الأمر لجيش الشام ، وأظهرت تقدماً ، وبدأ جيش العراق في التراجع ، واستحضر القتلى في أهل العراق ، وكثرت الجراحات ، ولما رأى علي جيشه في تراجع ، أخذ يناديهم ويحمسهم ، وقاتل قتالاً شديداً ، واتجه إلى القلب حيث ربيعة ، فثارت فيهم الحمية وبايعوا أميرهم خالد بن المعتمر على الموت ، وكانوا أهل قتال [(٧٣٨)] .

وكان عمّار بن ياسر رضي الله عنه قد جاوز الرابعة والتسعين عاماً ، وكان يحارب بحماس ، يحرص الناس ، ويستنهض الهِمَمَ ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو ، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام ، فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا ، فنحن نقاتلهم لبغيهم ، فإلهنا واحد ، ونبينا واحد ، وقبلتنا واحدة [(٧٣٩)].

ولما رأى عمار رضي الله عنه تقهقر أصحابه ، وتقدم خصومه ، أخذ يستحثهم ويبين لهم أنهم على الحق ، ولا يغرنهم ضربات الشاميين الشديدة ، فيقول رضي الله عنه: من سرّه أن تكتنفه الحور العين فليقدم بين الصفيين محتسباً ، فإني لأرى صفأً يضربكم ضرباً يرتاب منه المبطلون ، والذي نفسي بيده ، لو ضربونا حتى يبلغوا منا سعفات هجر ، لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ، لعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل [(٧٤٠)].

ثم أخذ في التقدم ، وفي يده الحربة ترعد . لكبر سنه . ، ويشدد على حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، ويستحثه في التقدم ويرغبه ويطمعه فيما عند الله من النعيم ، ويطمع أصحابه أيضاً فيقول: أزفت الجنة وازينت الحور العين ، من سره أن تكتنفه الحور العين ، فليقدم بين الصفيين محتسباً . وكان منظر مؤثر؛ فهو صحابي جليل مهاجري بدري جاوز الرابعة والتسعين يمتلك كل هذا الحماس ، وهذا العزم ، والروح المعنوية العالية واليقين الثابت ، فكان عاملاً هاماً من عوامل حماس جيش العراق ورفع روحهم المعنوية ، مما زادهم عنفاً وضراوة وتضحية في القتال ، حتى استطاعوا أن يحولوا المعركة لصالحهم ، وتقدم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو يرتجز بقوله:

أَعْوَرُ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلًّا قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى مَلَأَ

لا بُدَّ أَنْ يُفْلَأَ أَوْ يُفْلَأَ [(٧٤١)]

وعمار يقول: تقدم يا هاشم ، الجنة تحت ظلال السيوف ، والموت في أطراف الأسل [(٧٤٢)] ، وقد فتحت أبواب السماء وتزينت الحور العين:

الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَجِبَةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ [(٧٤٣)]

وعند غروب شمس ذلك اليوم الخميس ، طلب عمار شربة من لبن ثم قال: إن رسول الله (ص) قال لي: «إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن» [(٧٤٤)]. ثم تقدم واستحث

معه حامل الراية هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري ، فلم يرجعا ، وقتلا [(٧٤٥)] رحمهما الله ورضي الله عنهما.

٣ . ليلة الهرير يوم الجمعة:

عادت الحرب في نفس الليلة بشدة واندفاع لم تشهدها الأيام السابقة ، وكان اندفاع أهل العراق بحماس وروح عالية حتى أزالوا أهل الشام عن أماكنهم ، وقاتل أمير المؤمنين علي قتلاً شديداً وبيع على الموت [(٧٤٦)] ، وذكر أن علياً رضي الله عنه صلى بجيشه المغرب صلاة الخوف [(٧٤٧)] ، وقال الشافعي: وحفظ عن علي أنه صلى صلاة الخوف ليلة الهرير [(٧٤٨)] ، يقول شاهد عيان: اقتتلنا ثلاثة أيام وثلاثة ليالي حتى تكسرت الرماح ونفذت السهام ، ثم صرنا إلى المسايقة فاجتلدنا بها إلى نصف الليل ، حتى صرنا نعانق بعضنا بعضاً ، ولما صارت السيوف كالمناجل تضاربنا بعمد الحديد ، فلا تسمع إلا غمغمة وهممة القوم ، ثم ترامينا بالحجارة ، وتحاثينا بالتراب ، وتعاضينا بالأسنان ، وتكادنا بالأفواه ، إلى أن أصبحوا في يوم الجمعة وارتفعت الشمس وإن كانت لا ترى من غبار المعركة ، وسقطت الألوية والرايات ، وأنهك الجيش التعب ، وكَلَّت الأيدي ، وجفت الحلوq [(٧٤٩)].

ويقول ابن كثير في وصف ليلة الهرير ويوم الجمعة: وتعاضوا بالأسنان يقتتل الرجلان حتى يشخنا ، ثم يجلسان يستريحان ، وكل واحد منهما ليهمر على الآخر ، ويهمر عليه ، ثم يقومان فيقتتلان كما كانا ، فإننا لله وإنا إليه لراجعون ، ولم يزل ذلك دأبهم حتى أصبح الناس من يوم الجمعة وهم كذلك ، وصلى الناس الصبح إيماء وهم في القتال حتى تضاحا النهار ، وتوجه النصر لأهل العراق على أهل الشام [(٧٥٠)].

٤ . الدعوة إلى التحكيم:

إن ما وصل إليه حال الجيشين بعد ليلة الهرير لم يكن يحتمل مزيد قتال ، وجاءت خطبة الأشعث بن قيس زعيم كندة أصحابه ليلة الهرير فقال: قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي ، وما قد فني فيه من العرب ، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ؛ فما رأيتم مثل هذا قط ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، إن نحن تواقفنا غداً إنه لفناء العرب ، وضيعة الحرمات ، أما والله ما أقول هذه المقالة جزعاً من الحرب ، ولكني رجل مسن ، وأخاف على النساء والذراري غداً إذا نحن فنينا ، اللهم إنك تعلم أنني قد نظرت لقومي ولأهل ديني فلم أُل [(٧٥١)].

وجاء خبر ذلك إلى معاوية فقال: أصاب ورب الكعبة ، لئن نحن التقينا غداً لتميلن الروم على ذرارينا ونسائنا ، ولتميلن أهل فارس على أهل العراق وذراريهم ، وإنما يبصر هذا ذوو الأحلام والنهي ، ثم قال لأصحابه: اربطوا المصاحف على أطراف القنا [(٧٥٢)] ، وهذه رواية عراقية لا ذكر فيها لعمرو بن

العاص ولا للمخادعة والاحتتيال ، وإنما كانت رغبة كلا الفريقين ، ولن يضير معاوية أو عمرو بشيء أن تأتي أحدهم الشجاعة فيبادر بذلك وينقذ ما تبقى من قوى الأمة المتصارعة.

إنما يزعج ذلك السبئية الذين أشعلوا نيران هذه الفتنة ، وتركوا لنا ركماً من الروايات المضللة بشأها ، تحيل الحق باطلاً ، وتجعل الفضل كالمناداة لتحكيم القران لصون الدماء المسلمة؛ جريمة ومؤامرة [(٧٥٣)] وحيلة ، ونسبوا لأمير المؤمنين علي أقوالاً مكذوبة تعارض ما في الصحيح على أنه قال: ما رفعوها ثم لا يرفعونها ، ولا يعملون بما فيها ، وما رفعوها لكم إلا خديعة ودهناً ومكيدة [(٧٥٤)]. ومن الشتائم قولهم عن رفع المصاحف: إنها مشورة ابن العاهرة [(٧٥٥)] ، ووسّوا دائرة الدعاية المضادة على عمرو بن العاص رضي الله عنه ، حتى لم تعد تجد كتاباً من كتب التاريخ إلا فيه انتقاص لعمرو بن العاص وأنه مخادع وماكر بسبب الروايات الموضوعية التي لفقها أعداء الصحابة الكرام ، ونقلها الطبري ، وابن الأثير وغيرهم ، فوقع فيها كثير من المؤرخين المعاصرين مثل: حسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام ، ومحمد الخضري بك في تاريخ الدولة الأموية ، وعبد الوهاب النجار في تاريخ الخلفاء الراشدين ، وغيرهم كثير ، مما ساهم في تشويه الحقائق التاريخية الناصعة.

إن رواية أبي مخنف تفترض أن علياً رفض تحكيم القران لما اقترحه أهل الشام ، ثم استجاب بعد ذلك له تحت ضغط القراء الذين عرفوا بالخوارج فيما بعد [(٧٥٦)] ، وهذه الرواية تحمل سباً من علي لمعاوية وصحبه ؛ يتنزه عنه أهل ذاك الجيل المبارك ، فكيف بساداتهم وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي؟! ويكفي للرواية سقوطاً أن فيها أبا مخنف الراضي المحترق ، فهي رواية لا تصمد للبحث النزيه ، ولا تقف أمام روايات أخرى لا يتهم أصحابها بهوى مثل ما يرويه الإمام أحمد بن حنبل عن طريق حبيب بن أبي ثابت قال: أتيت أبا وائل أحد رجال علي بن أبي طالب. فقال: كنا بصفين ، فلما استحرّ القتل بأهل الشام قال عمرو لمعاوية: أرسل إلى علي المصحف؛ فادعه إلى كتاب الله ، فإنه لا يأبى عليك ، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ * } [آل عمران: ٢٣]. فقال علي: نعم ، أنا أولى بذلك ، فقام القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج ، بأسيافهم على عواتقهم ، فقالوا: يا أمير المؤمنين ألا نمشي إلى هؤلاء حتى يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقام سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم ، لقد كنا مع رسول الله (ص) يوم الحديبية ، ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، وذلك في الصلح الذي بين رسول الله (ص) وبين المشركين ، ثم حدثهم عن معارضة عمر رضي الله عنه للصلح يوم

الحديبية ونزول سورة الفتح على رسول الله (ص) ، فقال علي: أيها الناس! إن هذا فتح ، فقبل القضية ورجع ، ورجع الناس [(٧٥٧)].

وأظهر سهل بن حنيف رضي الله عنه اشمئزازه ممن يدعون إلى استمرار الحرب بين الإخوة ، وقال: أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم [(٧٥٨)] ، وبيّن لهم بأنه لا خيار عن الحوار والصلح؛ لأن ما سواه فتنة لا تعرف عواقبها ، فقال: ما وضعنا بسيفنا على عواتقنا إلى أمر يُفطعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه قبل هذا الأمر ؛ ما نسدُّ منها حُصماً إلا تفجر علينا حُصم ما ندري كيف نأتي له [(٧٥٩)].

وفي هذه الروايات الصحيحة رد على دعاة الفتنة ، ومبغضي الصحابة الذين يضعون الأخبار المكذوبة ، ويضعون الأشعار وينسبونها إلى أعلام الصحابة والتابعين الذين شاركوا في صفين؛ ليظهروهم بمظهر المتحمّس لتلك الحرب ليزرعوا البغضاء في النفوس ويعملوا ما في وسعهم على استمرار [(٧٦٠)] الفتنة. إن الدعوة إلى تحكيم كتاب الله دون التأكيد على تسليم قتلة عثمان إلى معاوية ، وقبول التحكيم دون التأكيد على دخول معاوية في طاعة علي والبيعة له ، تطور فرضته أحداث حرب صفين ، إذ إن الحرب التي أودت بحياة الكثير من المسلمين ، أبرزت اتجاهات جماعياً رأى أن وقف القتال وحقق الدماء ضرورة تقتضيها حماية شوكة الأمة ، وصيانة قوتها أمام عدوها ، وهو دليل على حيوية الأمة ووعيها وأثرها في اتخاذ القرارات [(٧٦١)].

إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قَبِلَ وَقَفَ القتال في صفين ، ورضي التحكيم ، وعدَّ ذلك فتحاً ، ورجع [(٧٦٢)] إلى الكوفة ، وعلق على التحكيم امالاً في إزالة الخلاف وجمع الكلمة ، ووحدة الصف ، وتقوية الدولة ، وإعادة حركة الفتوح من جديد.

إن وصول الطرفين إلى فكرة التحكيم، ساهمت عدة عوامل للاستجابة للتحكيم؛ منها:
أ. أنه كان اخر محاولة من المحاولات التي بذلت لإيقاف الصدام وحقق الدماء؛ سواء تلك المحاولات الجماعية ، أم المحاولات الفردية التي بدأت بعد موقعة الجمل ولم تفلح ، أما الرسائل التي تبودلت بين الطرفين لتنفيذ وجهات نظر كل منهما ، فلم تُجد هي الأخرى شيئاً ، وكان اخر تلك المحاولات ما قام به معاوية في أيام اشتداد القتال؛ حيث كتب إلى علي رضي الله عنه يطالبه بتوقف القتال ، فقال: فإني أحسبك أن لو علمت وعلمنا أن الحرب تبلغ بك ما بلغت لم نجنها على أنفسنا ، فإننا إن كنا قد غُلبنا على عقولنا فقد بقي منا ما ينبغي أن نندم على ما مضى ونصلح ما بقي [(٧٦٣)].

ب . تساقط القتلى وإراقة الدماء الغزيرة ومخافة الفناء ، فصارت الدعوة إلى إيقاف الحرب مطلباً يرنو إليه الجميع.

ج . الملل الذي أصاب الناس من طول القتال ، حتى وكأنهم على موعد لهذا الصوت الذي نادى بالهدنة والصلح ، وكانت أغلبية جيش علي في اتجاه المودعة وكانوا يرددون: قد أكلتنا الحرب ، ولا نرى البقاء إلا عن المودعة [(٧٦٤)] . وهذا ينقض ذلك الرأي المتهافت الذي رُوج بأن رفع المصاحف كان خدعة من عمرو بن العاص ، والحق أن فكرة رفع المصاحف لم تكن جديدة وليست من ابتكار عمرو بن العاص ، بل ، رفع المصحف في الجمل ورشق حامله كعب بن سور قاضي البصرة بسهم وقتل .

د . الاستجابة لصوت الوحي الداعي للإصلاح ، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩] ويؤيد هذا ما قاله علي بن أبي طالب حينما عرض عليه الاحتكام إلى كتاب الله قال: نعم أنا أولى بذلك ، بيننا وبينكم كتاب الله [(٧٦٥)] .

٥ . مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين:

يعد حديث رسول الله (ص) لعمّار رضي الله عنه: «تقتلك الفئة الباغية» [(٧٦٦)] ، من الأحاديث الصحيحة والثابتة عن النبي (ص) ، وقد كان لمقتل عمّار رضي الله عنه أثر في معركة صفين ، فقد كان علماً لأصحاب رسول الله (ص) يتبعونه حيث سار ، وكان خزيمية بن ثابت حضر صفين وكان كافاً سلاحه ، فلما رأى مقتل عمار سل سيفه وقاتل أهل الشام ، وذلك لأنه سمع [(٧٦٧)] حديث رسول الله (ص) من عمار: «تقتله الفئة الباغية» واستمر في القتال حتى قتل [(٧٦٨)] .

وكان لمقتل عمّار أثر في معسكر معاوية ، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي دخل في معسكر أهل الشام ، فرأى معاوية وعمرو بن العاص وابنه عبد الله بن عمرو ، وأبو الأعور السلمي ، عند شريعة الماء يسقون .. وكانت هي شريعة الماء الوحيدة التي يستقي منها الفريقان ، وكان حديثهم عن مقتل عمّار بن ياسر ، إذ قال عبد الله بن عمرو لوالده: لقد قتلنا هذا الرجل ، وقد قال فيه رسول الله (ص): «تقتله الفئة الباغية» . فقال عمرو لمعاوية: لقد قتلنا الرجل ، وقد قال فيه رسول الله (ص) ما قال ، فقال معاوية: اسكت فوالله ما تزال

تدحض [(٧٦٩)] في بولك أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به [(٧٧٠)] . فانتشر تأويل معاوية بين أهل الشام انتشار النار في الهشيم .

وجاء في رواية صحيحة: أن عمرو بن حزم دخل على عمرو بن العاص فقال: قتل عمار ، وقد قال فيه رسول الله (ص): «تقتله الفئة الباغية». فقام عمرو بن العاص فزعاً يسترجع ، حتى دخل على معاوية ، فقال له معاوية: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار ، قال: فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله (ص) يقول له: «تقتلك الفئة الباغية» فقال له معاوية: دحضت في بولك ، أو نحن قتلناه؟! إنما قتله علي وأصحابه ، جاؤوا به حتى ألقوه بين رماحنا ، أو قال: بين سيوفنا [(٧٧١)].

وفي رواية صحيحة أيضاً: جاء رجلان عند معاوية يختصمان في رأس عمّار يقول كل واحد منهما: أنا قتلته؛ فقال عبد الله بن عمرو بن العاص: ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: «تقتله الفئة الباغية». قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: إن أبي شكاني إلى رسول الله (ص) فقال: «أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه». فأنا معكم ولست أقاتل [(٧٧٢)].

من الروايات السابقة نلاحظ أن الصحابي الفقيه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما حريص على قول الحق ، والنصح ، فقد رأى أن معاوية وجنده هم الفرقة الباغية لقتلهم عماراً ، فقد تكرر منه هذا الاستنكار في مناسبات مختلفة؛ ولا شك أن مقتل عمّار رضي الله عنه قد أثر في أهل الشام بسبب هذا الحديث ، إلا أن معاوية رضي الله عنه أوّل الحديث تأويلاً غير مستساغ ، ولا يصح في أن الذين قتلوا عماراً هم الذين جاؤوا به إلى القتال [(٧٧٣)] ، وقد أثر مقتل عمار كذلك على عمرو بن العاص ، بل كان استشهاد عمار دافعاً لعمرو بن العاص للسعي لإنهاء الحرب [(٧٧٤)] . وقد قال رضي الله عنه: وددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة [(٧٧٥)] .

وقد جاء في البخاري: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمّار لبنتين لبنتين ، فراه النبي (ص) ، فينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمّار ! تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار». قال عمّار: أعوذ بالله من الفتن [(٧٧٦)] .

وقال ابن عبد البر: تواترت الآثار عن النبي (ص) أنه قال: «تقتل عماراً الفئة الباغية» ، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته (ص) ، وهو من أصح الأحاديث [(٧٧٧)] . وقال الذهبي بعد ما ذكر الحديث: وفي الباب عن عدة من الصحابة ، فهو متواتر [(٧٧٨)].

٦ . فهم العلماء للحديث «تقتلك الفئة الباغية»:

أ . قال ابن حجر: وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار ، وردَّ على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه [(٧٧٩)] ، وقال أيضاً: دَلَّ الحديث: «تقتل عماراً الفئة الباغية» ، على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب ؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه [(٧٨٠)].

ب . يقول النووي: وكان الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه؛ لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة ، لهذا الحديث [(٧٨١)].

ج . قال ابن كثير: كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري ، قال: حدثني من هو خير مني . يعني أبا قتادة .: أن رسول الله (ص) قال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» [(٧٨٢)]. وقال أيضاً: وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قتله أهل الشام ، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول (ص) من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أن علياً محق ، وأن معاوية باغٍ ، وما في ذلك من دلائل النبوة [(٧٨٣)].

د . وقال الذهبي: هم طائفة من المؤمنين ، بغت على الإمام علي ، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» [(٧٨٤)].

هـ . قال القاضي أبو بكر بن العربي في قوله تعالى: : هذه الآية أصل في قتال {وَإِنْ طَائِفَتَانِ} ، والعمدة في حرب المتأولين ، وعليها عَوَّل الصحابة ، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة ، وإياها عنى النبي (ص) بقوله: «تقتل عماراً الفئة الباغية» [(٧٨٥)].

و . وقال ابن تيمية: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته ، وأن الداعي إلى طاعته داعٍ إلى الجنة ، والداعي إلى مقاتلته داعٍ إلى النار . وإن كان متأولاً . وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي ، وعلى هذا فمقاتله مخطأى . وإن كان متأولاً . ، أو باغٍ . بلا تأويل . وهو أصح القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً ، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين [(٧٨٦)].

وقال أيضاً: مع أن علياً أولى بالحق ممن فارقه ، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية . كما جاءت به النصوص ؛؛ فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ونقر بالحق كله ، ولا يكون لنا هوى ، ولا نتكلم

بغير علم ، بل نسلك سبل العلم والعدل ، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة ، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض ، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف [(٧٨٧)].

ز . وقال عبد العزيز بن باز: وقال (ص) في حديث عمار: «تقتل عماراً الفئة الباغية». فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين ، فمعاوية وأصحابه بغاة ، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان [(٧٨٨)].

ح . وقال سعيد حوى: بعد أن قتل عمار الذي وردت النصوص مبينة: أنه تقتله الفئة الباغية ، تبين للمتددين أن علياً كان على حق ، وأن القتال معه كان واجباً ، ولذا عبّر ابن عمر عن تخلفه بأنه يأسى بسبب هذا التخلف ، وما ذلك إلا أنه ترك واجباً وهو نصرة الإمام الحق على الخارجين عليه بغير حق ، كما أفتى بذلك الفقهاء [(٧٨٩)].

٧ . الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به [(٧٩٠)]:

إن جلّ الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله (ص) لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» [(٧٩١)] ، أن المقصود؛ جيش معاوية رضي الله عنه ، مع أنهم معذورون في اجتهادهم ، فهم يقصدون الحق ويريدونه ، ولكنهم لم يصيبوه ، وفئة علي أولى بالحق منهم كما قال (ص) [(٧٩٢)] ، ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية . كما سأنقل . إلا إنهم عذروه في اجتهاده ، فها هو ابن حجر يقول في قوله (ص): «يدعوهم إلى الجنة ويدعونهم إلى النار» [(٧٩٣)]: فإن قيل: كان قتله بصفين وهو مع علي ، والذين قتلوه مع معاوية ، وكان معه جماعة من الصحابة ، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار؟ فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة ، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم ، فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها ، وهو طاعة الإمام وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي ، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك ، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك ، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم [(٧٩٤)].

وقال القرطبي: وقال الإمام أبو المعالي في كتاب (الإرشاد) ، فصل: علي رضي الله عنه ، كان إماماً حقاً في توليته ، ومقاتلوه بغاة ، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطؤوه [(٧٩٥)] ، وقال أيضاً: وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال: فرسول الله (ص) إذن قتل حمزة حين أخرجه ، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام ، لا جواب عنه ، وحجة لا اعتراض عليها ؛ قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية [(٧٩٦)] .

وقال ابن كثير: فقول معاوية: إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا ، تأويل بعيد جداً ، إذ لو كان كذلك لكان أمير الجيش هو القاتل للذين يقتلون في سبيل الله ، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء [(٧٩٧)]. .

وقال ابن تيمية: وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة ، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم [(٧٩٨)]. .

وقال ابن القيم معلقاً على هذا التأويل: نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله (ص) لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» [(٧٩٩)] ، فقالوا: نحن لم نقتله إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا ، فهذا هو التأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره ، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله ، لا من استنصر به [(٨٠٠)]. .

٨ - من هو قاتل عمار بن ياسر؟

قال أبو الغادية الجهني وهو يحدث عن قتله لعمار: فلما كان يوم صفين ، أقبل يستن أول الكتيبة رجلاً ، حتى إذا كان بين الصفين فأبصر رجلاً عورة ، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر ، فانكشف المغفر عنه ، فضربته فإذا هو رأس عمار. ثم قُتل عمار. قال الراوي: واستسقى أبو غادية، فأتي بماء في زجاج، فأبي أن يشرب فيها ، فأتي بماء في قدح فشرب ، فقال رجل: .. يتورع عن الشرب في الزجاج ولم يتورع عن قتل عمار [(٨٠١)]. .

ويخبر عمرو بن العاص رضي الله عنه الخبر فيقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: «قاتل عمار وسالبه في النار» [(٨٠٢)]. .

قال ابن كثير: ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام ، وكان الذي تولى قتله يقال له: أبو الغادية ، رجل من أفناد الناس ، وقيل: إنه صحابي [(٨٠٣)]. .

وقال ابن حجر: والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين للمجتهد المخطأى أجر ، وإذا ثبت هذه في حق احاد الناس؛ فثبوتها للصحابة بالطريق الأولى [(٨٠٤)]. .

وقال الذهبي: وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة ، وهو عندنا أهل

السنة ممن نرجو له النار ، ونجوز أن الله يتجاوز عنه ، لا كما يقول الخوارج والروافض ، وحكمه حكم قاتل عثمان ، وقاتل الزبير ، وقاتل طلحة ، وقاتل سعيد بن جبير ، وقاتل عمار ، وقاتل خارجة ، وقاتل الحسين ، فكل هؤلاء نبراً منهم ونبغضهم في الله ، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل [(٨٠٥)]. .

وقد وافق الألباني في تعليقه على قول ابن حجر: هذا حق ، ولكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة؛ أي: «قاتل عمار وسالبه في النار» [(٨٠٦)] ، إذ لا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل لعمار مأجور؛ لأنه قتله مجتهداً ، ورسول الله (ص) يقول: «قاتل عمار في النار» [(٨٠٧)] ، فالصواب أن يقال: إن القاعدة صحيحة ، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها ، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا ، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح [(٨٠٨)] بها.

وقد ترجم لأبي الغادية الجهني ابن عبد البر فقال: اختلف في اسمه ، ف قيل: يسار بن سُبُع ، وقيل: يسار بن أزهر ، وقيل: اسمه مسلم. سكن الشام ونزل في واسط ، يعدُّ في الشاميين ؛ أدرك النبي (ص) وهو غلام ، زوي عنه أنه قال: أدركت النبي (ص) وأنا أيفع ، أرد على أهلي الغنم ، وله سماع من النبي (ص) ؛ قوله (ص) : «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» [(٨٠٩)] ، وكان محباً لعثمان ، وهو قاتل عمار بن ياسر ، وكان يصف قتله إذا سئل عنه ، لا يباليه ، وفي قصته عجبٌ عند أهل العلم [(٨١٠)].

٩ . المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة:

إن وقعة صفين كانت من أعجب الوقائع بين المسلمين.. كانت هذه الوقعات من الغرابة إلى حدِّ أن القارئ لا يصدق ما يقرأ ، ويقف مشدوهاً أمام طبيعة النفوس عند الطرفين ، فكل منهم كان يقف وسط المعركة شاهراً بسيفه وهو يؤمن بقضيته إيماناً كاملاً ، فليست معركة مدفوعة من قبل القيادة ، يدفعون الجنود إلى معركة غير مقتنعين بها ، بل كانت معركة فريدة في بواعثها وفي طريقة أدائها وفيما خلفتها من آثار ، فبواعثها

في نفوس المشاركين يعبر عنها بعض المواقف التي وصلت إلينا في المصادر التاريخية ، فهم إخوة يذهبون معاً إلى مكان الماء ، فيستقون جميعاً ، ويزدحمون وهم يغرفون الماء ، وما يؤذي إنساناً إنساناً [(٨١١)] . وهم إخوة يعيشون معاً عندما يتوقف القتال ، فهذا أحد المشاركين يقول: كنا إذا تواعدنا من القتال دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في معسكر هؤلاء.. وتحدثوا إلينا وتحدثنا إليهم [(٨١٢)] ، وهم أبناء قبيلة واحدة ، ولكل منهما اجتهاده ، فيقاتل أبناء القبيلة الواحدة كل في طرف [(٨١٣)] ، قتلاً مريراً ، وكل منهما يرى نفسه على الحق ، وعنده الاستعداد لأن يُقتل من أجله ، فكان الرجلان يقتتلان حتى يُثخنَا (وهنا وضعفاً) ، ثم يجلسان يستريحان ، ويدور بينهما الكلام الكثير ، ثم يقومان

فيقتلان كما كانا [(٨١٤)] ، وهما أبناء دين واحد يجمعهما ، وهو أحب إليهما من أنفسهما ، فإذا حان وقت الصلاة توقفوا لأدائها [(٨١٥)] ، ويوم قتل عمار بن ياسر صلى عليه الطرفان [(٨١٦)].
ويذكر شاهد عيان اشترك في صفين: تنازلنا بصفين ، فاقتلنا أياماً فكثير القتلى بيننا حتى عقرت الخيل ، فبعث علي إلى عمرو بن العاص: أن القتلى قد كثروا ، فأمسك حتى يدفن الجميع قتلاهم ، فأجابه ، فاختلط بعض القوم ببعض حتى كانوا هكذا ، وشبك بين أصابعه ، وكان الرجل من أصحاب علي يشد فيقتل في عسكر معاوية ، فيستخرج منه . وقد مر أصحاب علي بقتيل لهم أمام عمرو ، فلما راه بكى ، وقال: لقد كان مجتهداً أخشن في أمر الله [(٨١٧)].

وكانوا يسارعون إلى التناهي عن المنكر حتى في مثل هذه المواقع ، فكانت هناك مجموعة عرفوا بالقراء ، وكانوا من تلامذة عبد الله بن مسعود من أهل الشام معاً ، فلم ينضموا إلى أمير المؤمنين علي ، ولا إلى معاوية بن أبي سفيان ، وقالوا لأmir المؤمنين:

إننا نخرج معكم ولا ننزل عسكركم ، ونعسكر على حدة حتى ننظر في أمركم وأمر أهل الشام ، فمن رأيناه أراد ما لا يحل له ، أو بدا منه بغي كنا عليه ، فقال علي: مرحباً وأهلاً ، هذا هو الفقه في الدين ، والعلم بالسنة ؛ من لم يرضَ بهذا فهو جائر خائن [(٨١٨)].

والحقيقة أن هذه المواقف منبعثة من فناعات واجتهادات استوثقوا منها في قرارة أنفسهم وقاتلوا عليها [(٨١٩)].

١٠ . معاملة الأسرى:

إن المعاملة الحسنة للأسير وإكرامه في صفين من الأمور البديهية بعد ما استعرضنا المعاملة الكريمة أثناء القتال ، وقد بين الإسلام معاملة الأسرى ؛ فقد حث رسول الله (ص) على إكram الأسير ، وإطعامه أفضل الأطعمة الموجودة ، هذا مع غير المسلمين ؛ فكيف إذا كان الأسير مسلماً ، لا شك إن إكramه والإحسان إليه أولى ، ولكن الأسير في هذه المعركة يعتبر فئة وقوة لفرقتة [(٨٢٠)] ، ولذلك كان علي رضي الله عنه يأمر بحبسه ، فإن بايع أخلى سبيله ، وإن أبي أخذ سلاحه ودابته ، أو يهبهما لمن أسره ويحلفه إلا يقاتل ، وفي رواية: يعطيه أربعة دراهم [(٨٢١)]. وغرض الخليفة الراشد من ذلك واضح ، وهو إضعاف جانب البغاة ، وقد أتى بأسير يوم صفين ، فقال الأسير: لا تقتلني صبراً ، فقال علي رضي الله عنه: لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين ، فخلى سبيله ثم قال: أفيك خير تباع [(٨٢٢)].

ويبدو من هذه الروايات أن معاملته للأسرى كما يلي:

* إكرام الأسير والإحسان إليه.

* يعرض عليه البيعة والدخول في الطاعة ، فإن بايع أخلى سبيله.

* إن أبي البيعة أخذ سلاحه ، ويحلفه أن لا يعود للقتال ويطلقه.

* إن أبي القتال تحفظ عليه في الأسر ولا يقتله صبراً [(٨٢٣)]. وقد أتى رضي الله عنه مرة

بخمسة عشر أسيراً ، ويبدو أنهم جرحى ، فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه [(٨٢٤)].

ويقول محب الدين الخطيب معلقاً على هذه الحرب: ومع ذلك ، فإن هذه الحرب المثالية هي الحرب

الإنسانية الأولى في التاريخ التي جرى فيها المتحاربان معاً على مبادئ الفضائل التي يتمنى حكماء

العرب لو يعمل بها في حروبهم ولو في القرن الحادي والعشرين ، وإن كثيراً من قواعد الحرب في الإسلام

لم تكن لتعلم وتدوّن لولا وقوع هذه الحرب ، والله في كل أمر حكمة [(٨٢٥)].

قال ابن العديم: قلت: وهذا كله حكم أهل البغي ، ولهذا قال أبو حنيفة: لولا ما سار علي فيهم ، ما

علم أحد كيف السيرة في المسلمين [(٨٢٦)].

١١ . عدد القتلى:

تضاربت أقوال العلماء في عدد القتلى؛ فذكر ابن أبي خيثمة أن القتلى في صفين بلغ عددهم سبعين

ألفاً ، من أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً ، ومن أهل الشام خمسة وأربعين ألف مقاتل [(٨٢٧)] ، كما

ذكر ابن القيم أن عدد القتلى في صفين بلغ سبعين ألفاً أو أكثر [(٨٢٨)] ، ولا شك أن هذه الأرقام

غير دقيقة ، بل أرقام خيالية ، فالقتال الحقيقي والصدام الجماعي استمر ثلاثة أيام مع وقف القتال

بالليل ، إلا مساء الجمعة ، فيكون مجموع القتال حوالي ثلاثين ساعة [(٨٢٩)] ، ومهما كان القتال

عنيفاً ، فلن يفوق شدة القادسية التي كان عدد الشهداء فيها ثمانية آلاف وخمسمئة [(٨٣٠)] ، وبالتالي

يصعب عقلاً أن نقبل تلك الروايات التي ذكرت الأرقام الكبيرة.

١٢ . تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعد نهاية الجولات الحربية يقوم بتفقد القتلى ،

فيقول شاهد عيان: رأيت علياً على بغلة النبي (ص) الشهداء ، يطوف بين القتلى [(٨٣١)] ، وأثناء

تفقدته القتلى ومعه الأشر ، مر برجل مقتول . وهو أحد القضاة والعباد المشهورين بالشام . فقال الأشر

. وفي رواية أخرى عدي بن حاتم .: يا أمير المؤمنين! أحابس [(٨٣٢)] معهم؟ عهدي والله به مؤمن ،

فقال علي: فهو اليوم مؤمن. ولعل هذا الرجل المقتول هو القاضي الذي أتى عمر بن الخطاب وقال: يا أمير المؤمنين ، رأيت رؤيا أفضعتني ، قال: ما هي؟ قال: رأيت الشمس والقمر يقتتلان ، والنجوم معهما نصفين ، قال: فمع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس ، فقال عمر: قال تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} [الإسراء: ١٢] ، فانطلق فوالله لا تعمل لي عملاً أبداً. قال الراوي: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين [٨٣٣].

وقد وقف علي على قتلاه وقتلى معاوية فقال: غفر الله لكم ، غفر الله لكم ، للفريقين جميعاً [٨٣٤].

وعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين علي ومعاوية ، خرج علي فمشى في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة ، ثم خرج إلى قتلى معاوية فقال: هؤلاء في الجنة ، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية [٨٣٥] ، وكان يقول عنهم: هم المؤمنون [٨٣٦] ، وقوله رضي الله عنه في أهل صفين لا يكاد يختلف عن قوله في أهل الجمل [٨٣٧].

١٣ . موقف لمعاوية مع ملك الروم:

استغل ملك الروم الخلاف الذي وقع بين أمير المؤمنين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وطمع في ضم بعض الأراضي التي تحت هيمنة معاوية إليه ، قال ابن كثير: .. وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان أخشاه وأذله ، وقهر جندهم ودحاهم ، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية لحرب علي، تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي

عليك ، ولأخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيغن عليك الأرض بما رحبت ، فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف ، وبعث يطلب الهدنة [٨٣٨] ، وهذا يدل على عظمة نفس معاوية وحميته للدين.

١٤ . قصة باطلة في حق عمرو بن العاص بصفين:

قال نصر بن مزاحم الكوفي: وحمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام فاجتلدوا وحمل عمرو بن العاص... فاعترضه علي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ ذَاتُ الْقُرُونِ الْمَيْلِ وَالْحَصْرِ وَالْأَنَامِلِ الطُّقُولِ [٨٣٩]

إلى أن يقول: ثم طعنه فصرعه واتقاه عمرو برجله ، فبدت عورته ، فصرف علي وجهه عنه وارثت. فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين. قال: وهل تدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: فإنه عمرو بن

العاص تلقاني بعورته فصرفت وجهي [(٨٤٠)]. وذكر القصة . أيضاً . ابن الكلبي كما ذكر ذلك السهيلي في الروض الأنف: وقول علي: إنه اتقاني بعورته فأذكرني الرَّحْمَ إلى أن قال: .. ويروى مثل ذلك عن عمرو بن العاص مع علي رضي الله عنه . يوم صفين ، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي: رواه ابن الكلبي وغيره:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ فَارِسٌ غَيْرٌ مُنْتَهٍ وَعَوْرَتُهُ وَسَطُ الْعَجَاجَةِ بَادِيَةٍ
يَكْفُهَا عَنْهُ عَلِيٌّ سِنَانُهُ وَيَضْحَكُ مِنْهُ فِي الْخَلَاءِ مُعَاوِيَةَ [(٨٤١)]

والرد على هذا الافتراء والإفك المبين كالآتي ، فراوي الرواية الأولى ؛ نصر بن مزاحم الكوفي صاحب وقعة صفين شيعي جلد لا يستغرب عنه كذبه وافتراؤه على الصحابة ، قال عنه الذهبي في الميزان: نصر بن مزاحم الكوفي رافضي جلد ، تركوه ، قال عنه العقيلي: شيعي ، في حديثه اضطراب وخطأ كثير ، وقال أبو خيثمة: كان كذاباً [(٨٤٢)] ، وقال عنه ابن حجر: قال العجلي: كان رافضياً غالباً... ليس بثقة ولا مأمون [(٨٤٣)]. وأما الكلبي؛ هشام بن محمد بن السائب الكلبي؛ اتفقوا على غلوه في التشيع؛ قال الإمام أحمد: من يحدث عنه؟ ما ظننت أن أحداً يحدث عنه. وقال الدارقطني: متروك [(٨٤٤)].

وعن طريق هذين الرافضيين سارت هذه القصة في الافاق وتلقفها من جاء بعدهم من مؤرخي الشيعة ، وبعض أهل السنة ممن راجت عليهم أكاذيب الرافضة [(٨٤٥)] ، وتعد هذه القصة أنموذجاً لأكاذيب الشيعة الروافض وافتراءاتهم على صحابة رسول الله ، فقد اختلق أعداء الصحابة من مؤرخي الرافضة مثالب لأصحاب رسول الله (ص) ، وصاغوها على هيئة حكايات وأشعار لكي يسهل انتشارها بين المسلمين ، هادفين إلى الغض من جناب الصحابة الأبرار . رضي الله عنهم . ، في غفلة من أهل السنة الذين وصلوا متأخرين إلى ساحة التحقيق في روايات التاريخ الإسلامي ، بعد أن طارت تلكم الأشعار والحكايات بين القصاص ، وأصبح كثير منها من المسلمات ، حتى عند مؤرخي أهل السنة للأسف [(٨٤٦)].

١٥ . مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين:

لما انصرف علي أمير المؤمنين رضي الله عنه من صفين مرّ بمقابر ، فقال: السلام عليكم أهل الديار الموحشة، والمحالّ المقفرة من المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا سلف فارط ، ونحن لكم تبغ ، وبكم عمّا قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ، الحمد لله الذي

جعل الأرض كفاتاً ، أحياءً وأمواتاً ، الحمد لله الذي خلقكم وعليها يحشركم ، ومنها يبعثكم ، وطوبى لمن ذكر المعاد وأعدّ للحساب ، وفتح بالكفاء [(٨٤٧)] .

١٦ . إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة:

إن قتلة عثمان كانوا حريصين على أن تستمر المعركة بين الطرفين ، حتى يتفانى الناس ، وتضعف قوة الطرفين ، فيكونوا بمنأى عن القصاص والعقاب ، ولذلك فإنهم فزعوا وهم يرون أهل الشام يرفعون المصاحف ، وعلي رضي الله عنه يجيبهم إلى طلبهم فيأمر بوقف القتال وحقق الدماء ، فسعوا إلى ثني أمير المؤمنين عن عزمه ، لكن القتال

توقف ، فسقط في أيديهم ، فلم يجدوا بداً من الخروج على علي رضي الله عنه ، فاخترعوا مقولة: (الحكم لله) ، وتحصنوا بعيداً عن الطرفين ، والغريب أن المؤرخين لم يركزوا على ما فعله هؤلاء في هذه المرحلة ، كما فعلوا في معركة الجمل ، رغم أنهم كانوا موجودين في جيش علي ، وعن سر إخفاق تلك المفاوضات التي دامت أشهر عديدة ، وعن الدور الذي يمكن أن يكون قتلة عثمان قد قاموا به في معركة صفين لإفشال كل محاولة صلح بين الطرفين ، لأن اصطلاح علي مع معاوية هو أيضاً اصطلاح على دمائهم ، فلا يعقل أن يجتهدوا في الفتنة في وقعة الجمل ، ويتركوا ذلك في صفين [(٨٤٨)] .

١٧ . نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام:

روي أن علياً رضي الله عنه . لما بلغه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية ولعن أهل الشام ، أرسل إليهما أن كفّا عمّا يبلغني عنكما ، فأتيا فقالا: يا أمير المؤمنين! ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى وربّ الكعبة المسدّنة ، قالوا: فلماذا تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين ، ولكن قولوا: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم ، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ، ويرعوي عن الغي من لجج به [(٨٤٩)] .

وأما ما قيل من أن علياً كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه ، وأن معاوية إذا قنت لعن علياً وابن عباس والحسن والحسين ، فهو غير صحيح ، لأنّ الصحابة . رضوان الله عليهم . كانوا أكثر حرصاً من غيرهم على التقيد بأوامر الشارع الذي نهى عن سباب المسلم ولعنه [(٨٥٠)] ؛ فقد روي عن رسول الله (ص) قوله: «من لعن مؤمناً فهو كقتله» [(٨٥١)] ، وقوله (ص): «ليس المؤمن بطعان ولا بلعّان» [(٨٥٢)] ، وقوله (ص): «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة» [(٨٥٣)] .

كما أن الرواية التي جاء فيها لعن أمير المؤمنين في قنوته لمعاوية وأصحابه ، ولعن معاوية لأمر المؤمنين وابن عباس والحسن والحسين ؛ لا تثبت من ناحية السند؛ حيث فيها أبو مخنف لوط بن يحيى الرافضي المحترق الذي لا يوثق في رواياته ، كما أن في أصح كتب الشيعة عندهم جاء النهي عن سب الصحابة ، فقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم ، وذكرتم حالهم ، كان أصوب في القول ، وأبلغ في العذر ، وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا ودماءهم ، وأصلح ذات بيننا وبينهم [(٨٥٤)] ، فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة [(٨٥٥)].

* * *

المبحث الثالث

التحكيم

تم الاتفاق بين الفريقين على التحكيم بعد انتهاء موقعة صفين؛ وهو أن يحكم كل واحد منهما رجلاً من جهته ، ثم يتفق الحكمان على ما فيه مصلحة المسلمين ، فوكل معاوية عمرو بن العاص ، ووكل علي أبا موسى الأشعري رضي الله عنهما جميعاً ، وكتب بين الفريقين وثيقة في ذلك ، وكان مقر اجتماع الحكّمين في دومة الجندل في شهر رمضان سنة ٣٧ هـ ، وقد رأى قسم من جيش علي رضي الله عنه أن عمله هذا ذنب يوجب الكفر؛ فعليه أن يتوب إلى الله تعالى ، وخرجوا عليه فسموا الخوارج ، فأرسل علي رضي الله عنه إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم وجادلهم ، ثم ناظرهم علي رضي الله عنه بنفسه ، فرجع طائفة منهم وأبت طائفة أخرى ، فجرت بينهم وبين علي رضي الله عنه حروب أضعفت من جيشه وأنهكت أصحابه ، وما زالوا به حتى قتلوه غيلة . وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله تعالى .

تعتبر قضية التحكيم من أخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة ، وقد تاه فيها كثير من الكُتَّاب ، وتخبط فيها اخرون وسطورها في كتبهم ومؤلفاتهم ، وقد اعتمدوا على الروايات الضعيفة والموضوعة التي شوَّهت الصحابة الكرام وخصوصاً: أبو موسى الأشعري الذي وصفوه بأنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعاً في القول ، وبأنه كان على جانب كبير من الغفلة ، ولذلك خدعه عمرو بن العاص في قضية التحكيم ، ووصفوا عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه كان صاحب مكر وخداع ، فكل هذه الصفات الذميمة حاول المغرضون والحاقدون على الإسلام إصاقها بهذين الرجلين العظيمين اللذين اختارهما المسلمون ليفصلا في خلاف كبير أدّى إلى قتل الكثير من المسلمين.

وقد تعامل الكثير من المؤرخين والأدباء والباحثين مع الروايات التي وضعها خصوم الصحابة الكرام على أنها حقائق تاريخية ، وقد تلقاها الناس منهم بالقبول دون تمحيص لها وكأنها صحيحة لا مرية فيها؛ وقد يكون لصياغتها القصصية المثيرة وما زعم فيها من خداع ومكر أثر في اهتمام الناس بها وعناية المؤرخين بتدوينها ، وليعلم أن كلامنا هذا ينصب على التفصيلات لا على أصل التحكيم حيث إن أصله حق لا شك فيه [(٨٥٦)].

وقد رأيت أن يكون المدخل في هذا المبحث التعريف بسيرة الصحابييين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

هو عبد الله بن قيس بن حضار بن حرب ، الإمام الكبير ، صاحب رسول الله (ص) ، أبو موسى الأشعري التميمي الفقيه المقرئ [(٨٥٧)].

وقد أسلم أبو موسى بمكة قديماً؛ قال ابن سعد: قدم مكة فحالف سعيد بن العاص ، وأسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة [(٨٥٨)] ، وتذكر بعض الروايات بأنه رجع إلى قومه للدعوة إلى الله. وقد جمع ابن حجر بين الروايات في إسلامه فقال: وقد استشكل ذكر أبي موسى فيهم ، لأن المذكور في الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصداً النبي (ص) بالمدينة ، فألقتهم السفينة في أرض الحبشة ، فحضروا مع جعفر إلى النبي (ص) بخير.. ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فأسلم ، فبعثه النبي (ص) مع من بعث إلى الحبشة ، فتوجه إلى بلاد قومه ، وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقي ، فلما تحقق استقرار النبي (ص) وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من

قومه إلى المدينة ، فألقتهم السفينة لأجل هيجان الريح من الحبشة ، فهذا محتمل وفيه جمع بين الأخبار فليعتمد [(٨٥٩)].

١ . أوسمة الشرف التي وضعها رسول الله (ص) على صدر أبي موسى:

أ . لكم الهجرة مرتين ، هاجرتم إلى النجاشي ، وهاجرتم إليّ:

عن أبي موسى ، قال: خرجنا من اليمن في بضع وخمسين من قومي ، ونحن ثلاثة إخوة: أنا ، وأبو رهم ، وأبو عامر . فأخرجتنا سفينتنا إلى النجاشي ، وعند جعفر وأصحابه ، فأقبلنا حين افتتحت خير ، فقال رسول الله (ص): «لكم الهجرة مرتين:

هاجرتم إلى النجاشي وهاجرتم إليّ» [(٨٦٠)] ، وعن أنس ، قال: قال رسول الله (ص): «يقدم عليكم غداً قوم هم أرق قلوباً للإسلام منكم». فقدم الأشعريون؛ فلما دنوا جعلوا يرتجزون:
غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه

فلما قدموا تصافحوا ، فكانوا أول من أحدث المصافحة [(٨٦١)].

ب . هم قومك يا أبا موسى:

عن عياض الأشعري ، قال: لما نزلت: { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } [المائدة: ٥٤]. قال رسول الله (ص): «هم قومك يا أبا موسى» ، وأوماً إليه [(٨٦٢)].

ج . اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً:

عن أبي موسى قال: لما فرغ رسول الله (ص) من حنين ، بعث أبا عامر الأشعري على جيش أوطاس ، فلقى دُرَيْد بن الصُّمَّة فقتل دريد ، وهزم الله أصحابه؛ فرمى رجل أبا عامر في ركبته بسهم فأنثته. [(٨٦٣)] فقلت: يا عمّ ، مَنْ رماك؟ فأشار إليه. فقصدت له ، فلحقته ، فلما راني ، ولّى ذاهباً ، فجعلت أقول له: ألا تستحي؟ أأنت عريباً؟ ألا تثبت؟ قال: فكفّ ، فالتقيت أنا وهو ، فاختلفنا ضربتين ، فقتلته. ثم رجعت إلى أبي عامر ، فقلت: قد قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم فنزعته فنزا منه الماء. فقال: يا بن أخي ، انطلق إلى رسول الله (ص) فأقرئه مني السلام ، وقل له: يستغفر لي . واستخلفني أبو عامر على الناس ، فمكث يسيراً ، ثم مات . فلما قدمنا ، وأخبرث النبي (ص) ، توضحاً ، ثم رفع يديه ، ثم قال: «اللهم اغفر لعبيد بن أبي عامر» ، حتى رأيت بياض إبطيه. ثم قال: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» فقلت: ولي يا رسول الله؟ فقال: «اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً» [(٨٦٤)].

د . إن هذا قد ردَّ البُشرى فاقبلا أنتما:

عن أبي موسى ، قال: كنت عند رسول الله (ص) بالجعرانة [(٨٦٥)] ، فأتى أعرابي فقال: ألا تُنجزُ لي ما وعدتني ؟ قال أبشر: قال: قد أكثرت من البُشرى. فأقبل رسول الله (ص) عليَّ وعلى بلال. فقال: «إنَّ هذا قد ردَّ البُشرى فاقبلا أنتما». فقالا: قبلنا يا رسول الله. فدعا بقدح ، فغسل يديه ووجهه فيه ، ومجَّ فيه ، ثم قال: «اشربا منه وأفرغَا على رؤوسكما ومُحوركما» ففعلا؛ فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فَضِّلا لأُمِّكُما فأفضلا لها منه [(٨٦٦)].

هـ . لقد أعطي مزماراً من مزامير ال داود:

عن ابن بريدة عن أبيه قال: خرجت ليلة من المسجد ، فإذا النبي (ص) عند باب المسجد قائم ، وإذا رجل يصلي ، فقال لي: «يا بريدة ، أترأه يُرائي؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «بل هو مؤمن منيب ، لقد أعطي مزماراً من مزامير ال داود». فأتيته فإذا هو أبو موسى الأشعري؛ فأخبرته [(٨٦٧)].

و . يا عبد الله بن قيس ألا أدُّلك على كلمة من كنوز الجنة:

عن أبي موسى الأشعري قال: كنا مع النبي (ص) في سفر ، وكان القوم يصعدون ثنية أو عقبة ، فإذا أصعد الرجل قال: لا إله إلا الله ، والله أكبر . أحسبه قال: بأعلى صوته . ورسول الله (ص) على بغلته يعترضها في الجبل ، فقال: «أيها الناس ، إنكم لا تُنادون أصمَّ ولا غائباً». ثم قال: يا عبد الله بن قيس . أو يا أبا موسى . ألا أدُّلك على كلمة من كُنُوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله» [(٨٦٨)].

ز . يَسِّرَا ولا تعسرا ، وتطاوعا ولا تُنفرا:

استعمل رسول الله (ص) أبا موسى على زبيد وعدن [(٨٦٩)] ، وأرسله مع معاذ إلى اليمن ، فعن أبي موسى: أن النبي (ص) لما بعثه ومعاذاً إلى اليمن ، قال لهما: «يَسِّرَا ولا تعسرا ، وتطاوعا ولا تُنفرا» ، فقال له أبو موسى: إنا لنا بأرضنا شراباً ، يُصنعُ مع العسل يقال له: البتُّع ، ومن الشعير يقال له: المزُرُّ ، قال: «كلُّ مسكر حرام» ، فقال لي معاذ: كيف تقرأ القرآن؟ قلت: أقرأه في صلاتي ، وعلى راحلتي ، وقائماً وقاعداً ، أتفَوِّقه تفوُّقاً ، يعني

شيئاً بعد شيء ، قال: فقال معاذ: لكني أنام ثم أقوم ، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي ، قال: وكان معاذاً فُضِّل عليه [(٨٧٠)].

٢ . مكانة أبي موسى عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

كان أبو موسى من ضمن أعمدة الدولة في عهد عمر ، وكان قائداً للجيش في فتح قم وقاثان [(٨٧١)] ، وموقعة تستر [(٨٧٢)] ، كما كان من مؤسسي المدرسة البصرية في عهد الفاروق ، وكان يعد من أعلم الصحابة ، وقد قدم البصرة ، وعلم بها [(٨٧٣)] ، وقد تأثر بعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وكان بينهما مراسلات ، سنأتي عليها عند حديثنا عن مؤسسة الولاية والقضاة ، وكان أبو موسى رضي الله عنه قد اشتهر بالعلم والعبادة والورع والحياء ، وعزة النفس وعفتها ، والزهد في الدنيا والثبات على الإسلام ، ويعد أبو موسى رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة وفقهائهم ومفتيهم ، فقد ذكره الذهبي في (تذكرة الحفاظ) في الطبقة الأولى من الصحابة رضي الله عنه.

كان عالماً عاملاً صالحاً تالياً لكتاب الله ، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقران ، روى علماً طيباً مباركاً ، أقرأ أهل البصرة وأفقههم ، وقد كان رضي الله عنه كثير الملازمة للنبي (ص) ، كما أنه تلقى من كبار الصحابة كعمر وعلي وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ، وتأثر أبو موسى على وجه الخصوص بعمر بن الخطاب كثيراً ، وكان عمر يتعهد بالوصايا والكتب في أثناء ولايته الطويلة على البصرة ، كما أن أبا موسى كان يرجع إلى عمر في كل ما يعرض له من القضايا ، حتى عده الشعبي واحداً من أربعة قضاة ، هم أشهر قضاة الأمة ، فقال: قضاة الأمة: عمر ، وعلي ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى [(٨٧٤)] .

وكان أبو موسى عندما يأتي المدينة يحرص على مجالس عمر رضي الله عنهما ، وربما أمضى جزءاً كبيراً معه ، فعن أبي بكر بن أبي موسى أن أبا موسى رضي الله عنه أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء فقال له عمر: ما جاء بك؟ قال: جئت أتحدث إليك ، قال: هذه الساعة؟! قال: إنه فقهه ، فجلس عمر فتحدثا طويلاً ، ثم إن أبا موسى قال: الصلاة يا أمير المؤمنين ، قال: إنا في صلاة [(٨٧٥)] .

وكما كان أبو موسى حريصاً على طلب العلم والتعلم كان حريصاً على نشر العلم وتعليم الناس وتفقيهم ، وكان يحض الناس على التعلم والتعليم في خطبه ، فعن أبي المهلب قال: سمعت أبا موسى على منبره وهو يقول: من علمه الله علماً فليعلمه ، ولا يقولن ما ليس له به علم ، فيكون من المتكلفين ، ويمرق من الدين [(٨٧٦)] .

وقد جعل أبو موسى مسجد البصرة مركز نشاطه العلمي وخصص جزءاً كبيراً من وقته لمجالسه العلمية ، ولم يكتف بذلك بل كان لا يدع فرصة تمر دون أن يستفيد منها في تعليم الناس وتفقيهم ، فإذا ما

سَلَّمَ من الصلاة استقبال رضي الله عنه الناس ، وأخذ يعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقران الكريم ، قال ابن شوذب: كان أبو موسى إذا صلى الصبح استقبال الصفوف رجلاً رجلاً يقرئهم [(٨٧٧)] .
واشتهر أبو موسى بين الصحابة بجمال صوته ، وحسن قراءته ، فكان الناس يجتمعون عليه حين يسمعون يقرأ ، وكان عمر رضي الله عنه إذا جلس عنده أبو موسى طلب منه أن يقرأ له ما يتيسر له من القران [(٨٧٨)] ، وقد وفقه الله لتعليم المسلمين ، وبذل رضي الله عنه كل ما يستطيع من جهد في تعليم القران ونشره بين الناس في كل البلاد التي نزل فيها ، واستعان بصوته الجميل وقراءته الندية فاجتمع الناس عليه ، وازدحم حوله طلاب العلم في مسجد البصرة ، فقسّمهم إلى مجموعات وحلق ، فكان يطوف عليهم يُسمعهم ويستمع منهم ويضبط لهم قراءتهم [(٨٧٩)] ، فالقران الكريم شغله الشاغل رضي الله عنه ، صرف له معظم أوقاته في حلّه وفي سفره ، فعن أنس بن مالك قال: بعثني الأشعري إلى عمر رضي الله عنه ، فقال عمر: كيف تركت الأشعري؟ فقلت له: تركته يعلم الناس القران ، فقال: أما إنه كيّس [(٨٨٠)] ، ولا تُسمعها إياه [(٨٨١)] .

حتى عندما كان يخرج إلى الجهاد كان يعلم ويفقه ، فعن حطّاب بن عبد الله الرقاشي قال: كنا مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في جيش على ساحل دجلة ، إذ حضرت الصلاة ، فنادى مناديه للظهر ، فقام الناس للوضوء ، فتوضأ ثم صلى بهم ، ثم جلسوا حلقاً ، فلما حضرت العصر نادى منادي العصر ، فهبّ الناس للوضوء أيضاً فأمر مناديه: لا وضوء إلا على من أحدث.
وأثمرت جهوده العلمية رضي الله عنه ، وقرت عينه برؤية عدد كبير حوله من حفاظ القران الكريم وعلمائه ، زاد عددهم في البصرة وحدها على ثلاثمئة ، ولما طلب عمر بن الخطاب من عماله أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القران لكي يكرمهم ويزيد عطاءهم؛ كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القران ثلاثمئة وبضعة رجال [(٨٨٢)] .

واهتم أبو موسى رضي الله عنه بتعليم السنة وروايتها؛ فروى عنه عدد من الصحابة وكبار التابعين. قال الذهبي - رحمه الله -: حدّث عنه بريدة بن الحصيبي ، وأبو أمامة الباهلي ، وأبو سعيد الخدري ، وأنس بن مالك ، وطارق بن شهاب ، وسعيد بن المسيب ، والأسود بن يزيد ، وأبو وائل شقيق بن سلمة ، وأبو عثمان التّهدي ، وخلق سواهم [(٨٨٣)] .

وكان رضي الله عنه شديد التمسك بسنة النبي (ص) ، دلّ على ذلك مسيرته في الحياة وما أوصى به أولاده عند موته ، ومع حرصه الشديد على السنة لم يكثر رضي الله عنه من رواية الأحاديث الشريفة كما هو حال كبار الصحابة رضي الله عنهم ، فقد كانوا يتهيّبون من الرواية عن النبي (ص) .

وكان من المقرّبين لأبي موسى في البصرة أنس بن مالك ويعتبر من خواصه ، فعن ثابت عن أنس قال: كنا مع أبي موسى في مسير ، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا ، قال أبو موسى: يا أنس إن هؤلاء يكاد أحدهم يفري الأديم بلسانه فرياً ، فتعال فلنذكر ربنا ساعة ، ثم قال: ما ثبر الناس . ما بطأ بهم ؟ قلت: الدنيا والشيطان والشهوات ، قال: لا ، لكن عجلت الدنيا وغيّبت الآخرة ، أما والله لو عاينوها ما عدلوا ولا بدّلوا [(٨٨٤)] . ولثقة أبي موسى بأنس فقد كان يكلفه أن يكون رسوله إلى أمير المؤمنين عمر ، قال أنس: بعثني

أبو موسى الأشعري من البصرة إلى عمر ، فسألني عن أحوال الناس ، وبعد (تستر) أرسله أبو موسى إلى عمر بالأسرى والغنائم ، فقدم على عمر بصاحبها الهرمزان [(٨٨٥)] .

٣ - ولاية أبي موسى في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم:

يعتبر أبو موسى - بحق - أشهر ولاية البصرة أيام عمر بن الخطاب ، فقد فتحت في أيامه المواقع العديدة في فارس ، فكان يجاهد بنفسه ، ويرسل القادة للجهات المختلفة من البصرة ، ففي أيامه تمكّن البصريون من فتح الأهواز وما حولها ، وفتحوا العديد من المواضع المهمة ، وكانت فترة ولايته حافلة بالجهاد ، وقد تعاون أبو موسى مع الولاة المجاورين له في كثير من الحروب والفتوحات ، وقد قام بجهود كبيرة لتنظيم المناطق المفتوحة وتعيين العمال عليها وتأمينها وترتيب مختلف شؤونها .

وقد جرت العديد من المراسلات بين أبي موسى وعمر بن الخطاب في مختلف القضايا؛ منها: توجيهه لأبي موسى في كيفية استقباله للناس في مجلس الإمارة ، ومنها: نصيحته لأبي موسى بالورع ومحاوله إسعاد الرعية ، وهي قيّمة قال فيها عمر:

أما بعد ؛ فإن أسعد الناس من سعدت به رعيته ، وإن أشقى الناس من شقيت به رعيته ، وإياك أن ترتع فيرتع عمالك ، فيكون مثلك عند ذلك مثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فترتعت فيها تبغي السمن ، وإنما حتفها في سمنها [(٨٨٦)] .

وهناك العديد من الرسائل بين عمر وأبي موسى تدل على نواحٍ إدارية وتنفيذية مختلفة كان يقوم بها أبو موسى بتوجيه من عمر ، وقد جمع معظم هذه المراسلات محمد حميد الله في كتابه القيم عن الوثائق السياسية [٨٨٧].

وتعتبر فترة ولاية أبي موسى على البصرة من أفضل الفترات ، حتى لقد عبر عنها أحد أحفاد البصريين فيما بعد وهو الحسن البصري - رحمه الله - فقال: ما قدمها راكب خير لأهلها من أبي موسى [٨٨٨] ، إذ إن أبا موسى - رحمه الله - كان بالإضافة إلى إمارته خير معلم لأهلها ، حيث علّمهم القرآن وأمور الدين المختلفة [٨٨٩].

وفي عهد عمر بن الخطاب كان العديد من المدن في فارس ، والتي فتحت في زمنه تخضع للبصرة وتدار من قبل والي البصرة الذي يعين عليها العمال من قبله ، ويرتبطون به ارتباطاً مباشراً ، وهكذا اعتبر أبو موسى من أعظم ولاة عمر ، واعتبرت مراسلات عمر مع أبي موسى من أعظم المصادر التي كشفت سيرة عمر مع ولاته ، وبيّنت ملامح أسلوبه في التعامل معهم [٨٩٠].

وقد أوصى عمر رضي الله عنه في وصيته للخليفة من بعده: ألاّ يقَرَّ لي عامل أكثر من سنة ، وأقِرُّوا الأشعري أربع سنين [٨٩١].

وقد تولى أبو موسى منصب القضاء في عهد عمر ، وكان كتاب عمر إليه في القضاء أنموذجاً ومثالاً يفيد كل قاض ، بل وكل إداري ، في كل زمان ومكان [٨٩٢] ، وقال عنه ابن القيم: وهذا كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول ، وبنوا عليه أصول الحكم ، والشهادة ، والملفتي أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه [٨٩٣].

كما تولى الولاية في عهد عثمان ، واستقضاه ذو النورين على البصرة أيضاً ، ولما قتل عثمان كان والياً على الكوفة. ولما تولى علي رضي الله عنه الخلافة ، أخذ أبو موسى له البيعة من أهل الكوفة ، إذ كان والياً عليها لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، وحين استنفر الخليفة الكوفيين من ذي قار ، رأى أبو موسى بوادر الفتنة والانشقاق بين المسلمين ، فنصح لأهل الكوفة أن يلزموا بيوتهم ويعتزلوا هذا الأمر فإنما هي فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم خير من الماشي - ولكن لاختلاف وجهة نظره مع الخليفة عزل عن ولاية الكوفة [٨٩٤].

إن حياة أبي موسى رضي الله عنه منذ إسلامه قضاها في نشر الإسلام وتعليم الناس العلم ، وخاصة القرآن الذي اشتهر بقراءته ، والجهاد في سبيل الله والحرص عليه ، والفصل في الخصومات ، ونشر

العدل وضبط الولايات عن طريق القضاء والإدارة ، ولا شك إن هذه المهمات صعبة وتحتاج إلى مهارات وصفات فريدة ؛ من العلم والفهم

والفطنة والحذق والورع والزهد ، وقد أخذ منها أبو موسى بنصيب وافر ، فاعتمد عليه رسول الله (ص) ، ثم الخلفاء الأربعة من بعده رضوان الله عليهم [(٨٩٥)] ، فهل يتصور أن يثق رسول الله (ص) ثم خلفاؤه بعده برجل يمكن أن تجوز عليه مثل الخدعة التي ترويتها قصة التحكيم [(٨٩٦)] .

إن اختيار أبي موسى - رضي الله عنه - حكماً عن أهل العراق من قبيل عليّ - رضي الله عنه - وأصحابه ينسجم تماماً مع الأحداث ، فالمرحلة التالية هي مرحلة الصلح وجمع كلمة المسلمين ، وأبو موسى الأشعري كان من دعاة الصلح والسلام ، كما كان في الوقت نفسه محبوباً ، مؤتمناً من قبائل العراق ، وقد ذكرت المصادر المتقدمة: أن علياً هو الذي اختار أبا موسى الأشعري ، يقول خليفة في تاريخه: وفيها - سنة ٣٧ هـ اجتمع الحكمان: أبو موسى الأشعري من قبل عليّ ، وعمرو بن العاص من قبل معاوية [(٨٩٧)] . ويقول ابن سعد: فكره الناس الحرب وتداعوا على الصلح ، وحكّموا الحكمين ، فحكّم عليّ أبا موسى ، وحكّم معاوية عمرو بن العاص [(٨٩٨)] .

ولهذا يمكن القول: إن الدور المنسوب للقراء في صفين من مسؤولية وقف القتال والتحكيم ، وفرض أبي موسى حكماً ليست إلا فرية تاريخية اخترعها الإخباريون الشيعة الذين ما انقطعوا عن تزوير وتشويه تاريخ الإسلام بالروايات الباطلة ، وكان يزعجهم أن يظهر عليّ - رضي الله عنه - بمظهر المتعاطف مع معاوية وأهل الشام ، وأن يرغب في الصلح مع أعدائهم التقليديين ، من جهة أخرى يحملون المسؤولية أعداءهم الخوارج ، ويتخلصون منها ، ويجعلون دعوى الخوارج تناقض نفسها ، فهم الذين أجبروا علياً على قبول التحكيم ، وهم الذين ثاروا عليه بسبب قبول التحكيم [(٨٩٩)] .

إن هذه العجالة عن شخصية أبي موسى لها علاقة ببحثنا ، نتحدث عن شخصية أمير المؤمنين علي وعصره ، وأبو موسى من الشخصيات المؤثرة في عصره ، وقد تعرضت للتشويه ، وغالباً إذا تحدث أحد عن صفين والتحكيم ؛ تعرضت شخصية أبي موسى وعمرو بن العاص للتشويه والكذب والافتراء بسبب الروايات الضعيفة والموضوعة ، فكان

لازماً علينا أن نتحدث عن شيء من سيرتهما العطرة الزكية ، وهذا المقصد من أهداف الكتابة في هذا البحث .

ثانياً: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، يكنى أبا محمد ، وأبا عبد الله ، ويتفق ابن إسحاق [(٩٠٠)] والزيبر بن بكار [(٩٠١)]: أن إسلامه كان عند النجاشي في الحبشة ، وهاجر إلى المدينة في صفر سنة ثمان للهجرة ، وذكر ابن حجر: أنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح ، وقيل: بين الحديبية وخيبر [(٩٠٢)].

١ . إسلامه:

نترك عمرو بن العاص رضي الله عنه يحدثنا عن إسلامه ، فقد قال: لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ؛ جمعت رجالاً من قريش ، كانوا يرون رأبي ويسمعون مني ، فقلت لهم: تعلمون والله إني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، وإني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه؟ قالوا: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا: إن هذا الرأي ، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [(٩٠٣)] ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إننا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله (ص) قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه ، قال: فدخل عليه ، ثم خرج من عنده ، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو دخلت على النجاشي ، وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني أجزت عنها [(٩٠٤)] ، حيث قتلت رسول محمد .

قال: فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال: مرحباً صديقي ، أهديت إليّ من بلادك شيئاً؟ قال: قلت: نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال: ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له: أيها الملك! إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك

وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال: فغضب ، ثم مد يده ، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت له: أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لقتله؟! قال: قلت: أيها الملك ، أكذلك هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم ، فبسط يده فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ، وقد حال رأبي عما كان عليه ، وكتمت على أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت: أين يا أبا سليمان؟ قال: والله لقد استقام المنسم [(٩٠٥)] ، وإن الرجل لنيي ، أذهب والله ، فأسلم ، فحتى متى ، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم.

قال: فقدمنا المدينة على رسول الله (ص) ، فتقدم خالد بن الوليد ، فأسلم وبايع ، ثم

دنوت ، فقلت: يا رسول الله! ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله: «يا عمرو بايع ، فإن الإسلام يَجِبُ ما كان قبله ، وإن الهجرة تجبُ ما كان قبلها» ، قال: فبايعته ثم انصرفت [(٩٠٦)].

وفي رواية قال: ... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي (ص) فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك. فبسط يمينه ، قال: فقبضت يدي ، قال: «مالك يا عمرو؟» قال: قلت: أردت أن أشرط. قال: «تشرط ماذا؟» قلت: أن يغفر لي. قال: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان [(٩٠٧)] قبله».

٢ . عمرو بن العاص يقود سرية في ذات السلاسل ٧ هـ:

جهز النبي (ص) جيشاً بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، وذلك لتأديب قضاة التي غرّها ما حدث في مؤتة التي اشتركت فيها إلى جانب الروم ، فتجمعت تريد الدنو من المدينة ، فتقدم عمرو بن العاص في ديارها ومعه ثلاثمئة من المهاجرين ، والأنصار ،

ولما وصل إلى مكان تجمع الأعداء بلغه أن لهم جموعاً كثيرة ، فأرسل إلى رسول الله (ص) يطلب المدد ، فجاءه مدد بقيادة أبي عبيدة بن الجراح [(٩٠٨)] ، وقاتل المسلمون الكفار ، وتوغّل عمرو في ديار قضاة التي هربت وتفرقت وانهمزت ، ونجح عمرو في إرجاع هيبة الإسلام لأطراف الشام ، وإرجاع أحلاف المسلمين لصدقاتهم الأولى ، ودخول قبائل أخرى في حلف المسلمين ، وإسلام الكثيرين من بني عبس ، وبني مرة ، وبني ذبيان ، وكذلك فزارة وسيدها عيينة بن حصن في حلف مع المسلمين ، وتبعها بنو سُليم ، وعلى رأسهم العباس بن مرداس ، وبنو أشجع ، وأصبح المسلمون هم الأقوى في شمال بلاد العرب ، وإن لم يكن في بلادهم جميعها [(٩٠٩)].

وفي هذه الغزوة دروس وعبر وحكم تتعلق بعمرو بن العاص منها:

أ. إخلاص عمرو بن العاص:

بعث إليّ رسول الله (ص) فقال: خذ عليك ثيابك ، وسلاحك ، ثم اثني ، فأتيته ، وهو يتوضأ ، فصعدنيّ النظر ، ثم طأطأ ، فقال: «إني أريد أن أبعثك على جيش» [(٩١٠)] ، فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك في المال رغبة صالحة» ، قال: قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال ، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام ، وأن أكون مع رسول الله (ص) ، قال: «يا عمرو! نعم المال الصالح للمرء الصالح» [(٩١١)] .

فهذا الموقف يدل على قوة إيمان وصدق وإخلاص عمرو بن العاص للإسلام ، وحرصه على ملازمة رسول الله (ص) ، وقد بين له رسول الله (ص): أن المال الحلال نعمة إذا وقع بيد الرجل الصالح ، لأنه يتغني وجه الله ويصرفه في وجوه الخير ككفالة الأيتام والأرامل والدعاة ودعم المجاهدين ، والمشاريع الخيرية ، وغيرها من وجوه البر ويُعْفُ به نفسه وأسرته [(٩١٢)] ، ويغني به المسلمين .

ونستنبط من الحديث: أن سعي العبد للحصول على المال الصالح أمر محمود يحث عليه النبي (ص) ، كما أن الرجل ذا المال إذا استطعنا إيصال الصلاح له ليجمع بين صلاح المال وصلاح نفسه كما في الحديث ، فهو أيضاً مطلوب ومحمود ، وهذا خير له وللإسلام والمسلمين .
ب - حرص عمرو على سلامة قواته:

بعث رسول الله

(ص) عمراً في غزوة ذات السلاسل ، فأصابهم برد ، فقال لهم عمرو: لا يُوقَدَنَّ أحد ناراً ، فلما قدم شكوه ، قال: يا نبيّ الله ، كان فيهم قلة ، فخشيت أن يرى العدو قتلهم ، ونهيتهم أن يتبعوا العدو مخافة أن يكون لهم كمين؛ فأعجب ذلك رسول الله (ص) [(٩١٣)] .

ج - من فقة عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيمنت ، ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي (ص) فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعي من الاغتسال ، وقلت: إني سمعت الله يقول: { وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * } [النساء: ٢٩] ، فضحك رسول الله (ص) ولم يقل شيئاً [(٩١٤)] .

وهذا الاجتهاد من عمرو بن العاص يدل على فقهه ووفور عقله ، ودقة استنباطه الحكم من دليله [(٩١٥)]؛ ولئن وقف الفقهاء عند هذه الحادثة يفرعون عليها الأحكام ، فإن الذي

يستوقفنا [(٩١٦)] منها تلك السرعة في أخذ عمرو للقران وصلته به حتى بات قادراً على فقه الأمور من خلال الايات ، وهو لم يمض على إسلامه أربعة أشهر ، إنه الحرص على الفقه في دين الله . وقد يكون عمرو . وهذا احتمال وارد . على صلة بالقران قبل إسلامه يتتبع ما يستطيع الوصول إليه ، وحينئذ نكون أمام مثال اخر من عظمة هذا القران الذي لوى أعناق الكافرين ، وجعلهم وهم في أشد حالات العداوة لهذا الدين يحاولون استماع هذا القران ، كما رأينا ذلك في العهد المكّي ، ويؤيد هذا ما رأيناه من معرفته بالقران حينما

طلب من النجاشي أن يسأل مهاجري الحبشة عن رأيهم في عيسى عليه السلام [(٩١٧)].
٣ . فضائله ومناقبه:

أ . شهادة رسول الله (ص) له بالإيمان:

قال رسول الله (ص): «أسلم الناس وامن عمرو بن العاص» [(٩١٨)]. وفي حديث اخر قال رسول الله (ص): «ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام» [(٩١٩)] ، وقال عمرو بن العاص: فزع الناس بالمدينة مع النبي (ص) فنفروا ، فرأيت سالماً احتبى سيفاً فجلس في المسجد فلما رأيت ذلك فعلت مثل الذي فعل ، فخرج رسول الله (ص) فراني وسالماً ، وأتى الناس فقال: «أيها الناس ألا مفزعكم إلى الله ورسوله ، ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان» [(٩٢٠)].

ب . تقديم رسول الله (ص) له على غيره ، وشهادته له بأنه من صالحى قريش:

فقد جاء عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قوله: ما عدل بي رسول الله (ص) وبخالد أحداً منذ أسلمنا في حرب [(٩٢١)] ، وشهد له رسول الله (ص) بأنه من صالحى قريش ، فعن أبي مليكة قال: قال طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله (ص) يقول: «إن عمرو بن العاص من صالحى قريش» [(٩٢٢)]؛ وهنا درس نبوي في معرفة النبي (ص) لمعادن الرجال والاستفادة منها.

ج . دعاء رسول الله (ص) له:

عن زهير بن قيس البلوي عن عمه علقمة بن رمثة البلوي ، قال: بعث رسول الله (ص) عمرو بن العاص إلى البحرين ، ثم خرج رسول الله (ص) ، ثم استيقظ فقال: «رحم الله عمرًا». فتذاكرنا من اسمه عمرو ، ثم نَعَس ثانية فاستيقظ ، فقال: «رحم الله عمرًا». ثم نعس ثالثة فاستيقظ ، فقال: «يرحم الله عمرًا». قلنا: من عمرو يا رسول الله؟ قال: «عمرو بن العاص» ، قلنا: وما باله؟ قال: «ذكرته؛ إني كنت إذا ندبت الناس للصدقة ،

جاء من الصدقة فأجزل ، فأقول: من أين لك هذا يا عمرو؟ فيقول: من عند الله ، وصدق عمرو ، إن لعمرو عند الله لخييراً كثيراً». قال زهير: فلما كانت الفتنة قلت: أتبع هذا ، قال فيه رسول الله ما قال ، فلم أفارقه [(٩٢٣)].

٤ . أعماله في عهد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

كان رسول الله (ص) قد أرسل عمراً إلى دعوة أبي الجندبي: جيفر ، وعباد ، إلى الإسلام ، ودعاهما إلى الإسلام وصدقا بالنبي (ص) ، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بين قومهم ، وكانا له عوناً على من خالفه [(٩٢٤)].

وبعد وفاة رسول الله (ص) وجّه الصديق عمرو بن العاص بجيش إلى فلسطين ، وكان الصديق خيِّره بين البقاء في عمله الذي أسنده إليه رسول الله (ص) ، وبين أن يختار له ما هو خير له في الدنيا والاخرة ، إلا أن الذي هو فيه أحب إليه ، فكتب إليه عمرو بن العاص: إني سهم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامي بها والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاهما وأفضلها فارم به [(٩٢٥)]. فلما قدم المدينة أمره أبو بكر رضي الله عنه أن يخرج من المدينة ، وأن يعسكر حتى يندب معه الناس... ثم أرسله بجيش إلى الشام [(٩٢٦)]. وفي معركة اليرموك كان عمرو على الميمنة ، فكان لمشاركته أثر كبير في انتصار المسلمين .

وبعد وفاة الصديق . استمر عمرو في الشام ، وكانت له مشاركة فعالة في حركة الفتح الإسلامي بالشام ، فقد قام بمشاركة شرحبيل بن حسنة في فتح بيسان ، وطبرية ، وأجنادين [(٩٢٧)] ، كما قام رضي الله عنه بفتح غزة ، واللّد ، ويُنْبِي ، وعمّواس ، وبيت جبرين ، ويافا ، ورَفَح ، وبيت المقدس ، ولم يقتصر عمرو رضي الله عنه على فتح بلاد الشام وحدها ، بل شمل أيضاً بعض مشاهير بلاد مصر ، حيث كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصدر أمره إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد الفراغ من فتوح الشام أن يسير بمن معه من الجند إلى مصر ، فخرج رضي الله عنه حتى وصل إلى العريش ففتحها ، كما شملت حركة الفتح أيضاً: الفرما ، والفسطاط ، وحصن بابلين ، وعين شمس ، والفيوم ، والأشمونين ، وأخميم ، والبشرود ، وتنيس ، ودمياط ، وتونة ، ودقهلة ، ودمياط ، والإسكندرية ، وبلاداً إفريقية أخرى؛ مثل: برقة ، وزويلة ، وطرابلس [(٩٢٨)]. وقد شهد له الفاروق بصفات الزعامة والإمامة فقال: ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميراً [(٩٢٩)].

وكان في عهد عثمان من المقرَّبين إلى الخليفة ، ومن أهل مشورته ، ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجهاً إلى الشام ، وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله عز وجل بذلِّ ، ومن لم يستطع نصره فليهرب ، فسار وسار معه ابنه عبد الله ومحمد ، وخرج بعده حسان بن ثابت ، وتتابع على ذلك ما شاء الله [(٩٣٠)]. وعندما جاء الخبر عن مقتل عثمان رضي الله عنه ، وبأن الناس بايعوا علي بن أبي طالب؛ قال عمرو بن العاص: أنا أبو عبد الله تكون في حرب من حك فيه قرحة نكأها ، رحم الله عثمان ورضي الله عنه وغفر له. فقال سلامة بن زنباع الجذامي: يا معشر العرب! إنه قد كان بينكم وبين العرب باب فاتخذوا باباً إذ كسر الباب، فقال عمرو: وذلك الذي نريد ولا يصلح الباب إلا أشافٍ [(٩٣١)] ، تخرج الحق من حافرة البأس ، ويكون الناس في العدل سواء ، ثم تمثل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فِيَاهُفَ نَفْسِي عَلَى مَالِكٍ وَهَلْ يَصْرِفُ مَالِكٌ حِفْظَ الْقَدَرِ
نَزَعَ مِنَ الْحَرِّ [(٩٣٢)] أَوْدَى بِهِمْ فَأَعْدَرَهُمْ أُمُّ بَقُومِي سَكْرَ

ثم ارتحل راجلاً يبكي ويقول: يا عثماناه! أنعي الحياء والدين ، حتى قدم دمشق [(٩٣٣)].
هذه هي الصورة الصادقة عن عمرو رضي الله عنه ، والمتتالية مع شخصيته وخط حياته وقربه من عثمان ، أما الصورة التي تمسخه إلى رجل مصالح وصاحب مطامع وراغب دنيا؛ فهي الرواية المتروكة الضعيفة ، رواية الواقدي عن موسى بن يعقوب [(٩٣٤)].

وقد تأثر بالروايات الضعيفة والسقيمة مجموعة من الكتاب والمؤرخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالذي كتبه محمود شيت خطاب [(٩٣٥)]، وعبد الخالق سيد أبو رابية [(٩٣٦)] ، وعباس محمود العقاد الذي يتعالى عن النظر في الإسناد ويستخف بقارئه ، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنهما: ...انتهازيان صاحباً مصالح ، ولو أجمع الناقدون التاريخيون على بطلان الروايات التي استند إليها في تحليله ، فهذا لا يعني للعقاد شيئاً ، فقد قال بعد أن ذكر روايات ضعيفة واهية لا تقوم بها حجة: ... وليقل الناقدون التاريخيون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار ، وصحة هذه الكلمات ، وما ثبت نقله ولم يثبت منه سند ، ولا نصه ، فالذي لا ريب فيه ولو أجمعت التواريخ قاطبة على نقضه أن الاتفاق بين الرجلين ، كان اتفاق مساومة ومعاونة على الملك والولاية ، وأن المساومة بينهما كانت على النصيب الذي ال على كل منهما ، ولولاه لما كان بينهما اتفاق [(٩٣٧)].

إن شخصية عمرو رضي الله عنه الحقيقية أنه رجل مبادئ غادر المدينة حين عجز عن نصره عثمان ، وبكى عليه بكاءً مُراً حين قتل ، فقد كان يدخل في الشورى في عهد عثمان . من غير ولاية ، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما يتعاوناً معاً على حرب قتلة عثمان والثأر للخليفة الشهيد [(٩٣٨)] ، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرك كل غضبه على أولئك المجرمين السفاكين ، وكان لا بد من اختيار مكان غير المدينة للثأر من هؤلاء الذين تجرؤوا على حرم رسول الله (ص) ، وقتلوا الخليفة على أعين الناس ، وأي غرابة أن يغضب عمرو لعثمان؟! وإن كان هناك من يشك في هذا الموضوع ؛ فمداره على الروايات المكذوبة التي تصور عمراً هم السلطة والحكم [(٩٣٩)].

ثالثاً: نص وثيقة التحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) هذا ما تقاضى عليه عليُّ بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما ، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه (ص).

(٢) قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم ، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم .
(٣) إنا تراضينا أن نقف عند حكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته ، نُحْيِي ما أُحْيِي ونُؤْمِت ما أُمَات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

(٤) وإن علياً وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظراً وحاكماً ، ورضي معاوية وعمرو بن العاص ناظراً وحاكماً.

(٥) على أن علياً ومعاوية أخذوا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته ورسوله ، أن يتخذوا القرآن إماماً ، ولا يعدوا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطوراً ، وما لم يجدوا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله (ص) الجامعة ، لا يتعمدان لها خلافاً ، ولا يبغيان فيها بشبهة.

(٦) وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه ، وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

(٧) وهما امنان في حكومتهم على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما ، لم يعدوا الحق ، رضي به راضٍ أو سخط ساخط ، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

(٨) فإن توفي أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة ، فلشيئته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح ، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق .

(٩) وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية ، فلشيئته أن يُؤلوا مكانه رجلاً يرضون عدله .

(١٠) وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح .

(١١) وقد وجبت القضية على ما سَميناه في هذا الكتاب ، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين ، والله أقرب شهيد ، وكفى به شهيداً ، فإن خالفاً وتعدياً ، فالأمة بريئة من حُكُمهما ، ولا عهد لهما ولا ذمة .

(١٢) والناس امنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل ، والسلاح موضوعة ، والسبل امنة ، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر .

(١٣) وللحكّمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام .

(١٤) ولا يحضرهما فيه إلا من أحببنا عن تراضٍ منهما .

(١٥) والأجل إلى انقضاء شهر رمضان ، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلها ، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخرها .

(١٦) فإن هما لم يحكّما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل ، فالفريقان على أمرهم الأول في الحرب .

(١٧) وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر ، وهم جميعاً يد واحدة على من أراد في هذا الأمر إلحاداً أو ظلماً أو خلافاً .

وشهد على ما في هذا الكتاب: الحسن والحسين، ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والأشعث بن قيس الكندي، والأشتر بن الحارث، وسعيد بن قيس الهمداني، والحسين والطفيل ابنا الحارث بن عبد المطلب، وأبو سعيد بن ربيعة الأنصاري، وعبد الله بن خباب بن الأرت، وسهل بن حنيف، وأبو بشر بن عمر الأنصاري، وعوف بن الحارث بن عبد المطلب، ويزيد بن عبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر الجهني، ورافع بن خديج الأنصاري، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والنعمان بن عجلان الأنصاري، وحجر بن عدي الكندي، ويزيد بن حجية النكري، ومالك بن كعب الهمداني، وربيعة بن شرحبيل، والحارث بن مالك، وحجر بن يزيد، وعلبة بن حجية .

ومن أهل الشام: حبيب بن مسلمة الفهري، وأبو الأعور السلمي، ويسر بن أرطاة القرشي، ومعاوية بن خديج الكندي، والمخارق بن الحارث الزبيدي، ومسلم بن عمرو السكسكي، وعبد الله بن خالد بن الوليد، وحمزة بن مالك، وسبيع بن يزيد بن أبجر العبسي، ومسروق بن جبلة العكي، وبسر بن يزيد الحميري، وعبد الله بن عامر القرشي، وعتبة بن أبي سفيان، ومحمد بن أبي سفيان، ومحمد بن عمرو بن العاص، وعمار بن الأحوص الكلبي، ومسعدة بن عمرو العتيبي، والصبح بن جلهممة الحميري، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وتمامة بن حوشب، وعلقمة بن حكم.

كتب يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة سبع وثلاثين [(٩٤٠)].

رابعاً: قصة التحكيم المشهورة ، وبطلانها من وجوه:

لقد كثر الكلام حول قصة التحكيم ، وتداولها المؤرخون والكتّاب على أنها حقيقة ثابتة لا مرية فيها ، فهم بين مطيل في سياقها ، ومختصر وشارح ومستنبط للدروس ، وبانٍ للأحكام على مضامينها ، وقلما تجد أحداً وقف عندها فاحصاً محققاً ، وقد أحسن ابن العربي في ردها إجمالاً وإن كان غير مفصل ، وفي هذا دلالة على قوة حاسته النقدية للنصوص ، إذ إن جميع متون قصة التحكيم لا يمكن أن تقوم أمام معيار النقد العلمي ، بل هي باطلة من عدة وجوه [(٩٤٠)]:

١ . أن جميع طرقها ضعيفة ، وأقوى طريق وردت فيه هو ما أخرجه عبد الرزاق والطبري بسند رجاله ثقات عن الزهري مرسلًا قال: قال الزهري: فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم ، ودعوا إلى ما فيها ، فهاب أهل العراقين ، فعند ذلك حكّموا الحكمين ، فاختر أهل العراق أبا موسى الأشعري ، واختار أهل الشام عمرو بن العاص ، فنفرك أهل صفين حين حكم الحكمان ، فاشترط أن يرفعا ما رفع القرآن ، ويخفضا ما خفض القرآن ، وأن يختارا لأمة محمد (ص) ، وأنهما يجتمعان بدومة الجندل ، فإن لم يجتمعا لذلك اجتمعا من العام المقبل بأذرح .

فلما انصرف عليّ خالفت الحرورية وخرجت . وكان ذلك أول ما ظهرت . فاذنوه بالحرب ، وردوا عليه: أن حكم بني ادم في حكم الله عز وجل ، وقالوا: لا حكم إلا لله سبحانه ، وقاتلوا.

فلما اجتمع الحكمان بأذرح ، وافاهم المغيرة بن شعبة فيمن حضر من الناس ، فأرسل الحكمان إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير في إقبالهم في رجال كثير ، ووافى معاوية بأهل الشام ، وأبى علي وأهل العراق أن يوافوا ، فقال المغيرة بن شعبة لرجال من ذوي الرأي من قريش: أترون أحداً من

الناس برأي يتدعه يستطيع أن يعلم أيجتمع الحكمان أم يتفرقان؟ قالوا: لا نرى أحداً يعلم ذلك ، قال: فوالله إني لأظن أني سأعلمه منهما حين أخلو بهما وأرجعهما.

فدخل على عمرو بن العاص وبدأ به فقال: يا أبا عبد الله ، أخبرني عما أسألك عنه ، كيف ترانا معشر المعتزلة؟ فإننا قد شككنا في الأمر الذي تبين لكم من هذا القتال ، ورأينا

أن نستأني ونثبت حتى تجتمع الأمة؛ قال: أراكم معشر المعتزلة خلف الأبرار ، وأمام الفجار؛ فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك ، حتى دخل على أبي موسى فقال له مثل ما قال لعمرو ، فقال أبو موسى: أراكم أثبت الناس رأياً ، فيكم بقية المسلمين ، فانصرف المغيرة ولم يسأله عن غير ذلك.

فلقي الذين قال لهم ما قال من ذوي الرأي من قريش ، فقال: لا يجتمع هذان على أمر واحد. فلما اجتمع الحكمان وتكلما قال عمرو بن العاص: يا أبا موسى ، رأيت أول ما تقضي به من الحق أن تقضي لأهل الوفاء بوفائهم ، وعلى أهل الغدر بغدرهم ، قال أبو موسى: وما ذاك؟ قال: ألسنت تعلم أن معاوية وأهل الشام قد وفوا ، وقدموا للموعد الذي واعدناهم إياه؟ قال: بلى ، قال عمرو: اكتبها ، فكتبها أبو موسى ، قال عمرو: يا أبا موسى ، أنت على أن نسبي رجلاً يلي أمر هذه الأمة؟ فسّمه لي ، فإن أقدر على أن أتبعك فلك عليّ أن أتبعك ، وإلا فلي عليك أن تتابعني ؛ قال أبو موسى: أسمي لك معاوية بن أبي سفيان فلم يبرحاً مجلسهما حتى استبنا.

ثم خرجا إلى الناس ، فقال أبو موسى: إني وجدت مثل عمرو كمثل الذين قال الله عز وجل: {وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} [الأعراف: ١٧٥]. فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو فقال: أيها الناس وجدت مثل أبي موسى كمثل الذي قال الله عز وجل: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} [الجمعة: ٥]. وكتب كل واحد منهما مثله الذي ضرب لصاحبه إلى الأمصار [٩٤١].

والزهري لم يدرك الحادثة فهي مرسلّة ، ومراسيله كأدراج الرياح لا تقوم بها حجة [٩٤٢] ، كما قرّر العلماء ، وهناك طريق أخرى أخرجها ابن عساكر بسنده إلى الزهري ، وهي مرسلّة ، وفيها أبو بكر بن أبي سبرة قال عنه الإمام أحمد: كان يصنع الحديث [٩٤٣]. وفي سنده أيضاً الواقدي ، وهو متروك [٩٤٤] ، وهذا نصها:

... رفع أهل الشام المصاحف وقالوا: ندعوكم إلى كتاب الله والحكم بما فيه ، وكان

ذلك مكيدة من عمرو بن العاص ، فاصطلحوا وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافوا رأس الحول أذرح ، وحكموا حكمين ينظرون في أمور الناس فيرضوا بحكمتها ، فحكّم عليّ أبا موسى الأشعري ، وحكم معاوية عمرو بن العاص ، وتفرق الناس ، فرجع عليّ إلى الكوفة بالاختلاف والدغل ، واختلف عليه أصحابه ، فخرج عليه الخوارج من أصحابه ممن كان معه ، وأنكروا تحكيمه وقالوا: لا حكم إلا لله ، ورجع معاوية إلى الشام بالألفة واجتماع الكلمة عليه ، ووافى الحكمان بعد الحول بأذرح في شعبان سنة ثمان وثلاثين ، واجتمع الناس إليهما ، وكان بينهما كلام اجتمعا عليه في السر خالفه عمرو بن العاص في العلانية ، فقدّم أبا موسى فتكلم وخلع علياً ومعاوية ، ثم تكلم عمرو بن العاص فخلع علياً وأقر معاوية ، فتفرق الحكمان ومن كان اجتمع إليهما ، وباع أهل الشام معاوية في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين [(٩٤٥)].

وأما طرق أبي مخنف فهي معلولة به ، فالأول: وهو أبو مخنف لوط بن يحيى؛ ضعيف ليس بثقة [(٩٤٦)] ، وأخباري تالف غالى في الرفض ، وأما الثاني قال فيه ابن سعد: كان [(٩٤٧)] ضعيفاً ، وقال البخاري: وأبو حاتم كان يحيى القطان يضعفه [(٩٤٨)]. وقال عثمان الدارمي: ضعيف [(٩٤٩)] ، وقال النسائي: ضعيف [(٩٥٠)].

هذه طرق قصة التحكيم المشهورة ، والمناظرة بين أبي موسى وعمرو بن العاص المزعومة ، أفبمثل هذا تقوم حجة؛ أو يعول على مثل ذلك في تاريخ الصحابة الكرام وعهد الخلفاء الراشدين ، عصر القدوة والأسوة؛ ولو لم يكن في هذه الروايات إلا الاضطراب في متونها لكفاها ضعفاً؛ فكيف إذا أضيف إلى ذلك ضعف أسانيدها؟! [(٩٥١)].

٢ . أهمية هذه القضية من جانب الاعتقاد والتشريع ، ومع ذلك لم تنقل لنا بسند صحيح ، ومن المحال أن يطبق العلماء على إهمالها مع أهميتها وشدة الحاجة إليها [(٩٥٢)].

٣ . وردت رواية تنقض تلك الروايات تماماً ، وذلك فيما أخرجه البخاري في تاريخه مختصراً بسند رجاله ثقات ، وأخرجه ابن عساكر معلولاً ، عن الحصين بن المنذر: أن معاوية أرسله إلى عمرو بن العاص فقال له: إنه بلغني عن عمرو بعض ما أكره ، فأته فأسأله عن الأمر الذي اجتمع عمرو وأبو موسى فيه؛ كيف صنعتما فيه؟ قال: قد قال الناس وقالوا ، ولا والله ما كان ما قالوا ، ولكن لما اجتمعت أنا وأبو موسى قلت له: ما ترى في هذا الأمر؟ قال: أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله (ص) وهو

عنهم راضٍ ، قال: فقلت: أين تجعلني من هذا الأمر أنا ومعاوية؟ قال: إن يستعن بكما ففكما معونة ، وإن يستغني عنكما فطال ما استغني أمر الله عنكما [(٩٥٣)].

وقد روى أبو موسى عن تورع عمرو ومحاسبته لنفسه ، وتذكُّره سيرة أبي بكر وعمر ، وخوفه من الأحداث بعدهما ، قال أبو موسى: قال لي عمرو بن العاص: والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يجلُّ لهما ، لقد غُبنَا وأخطأ أو نقص رأيهما ، ووالله ما كانا مغبونين ولا مُخطئين ولا ناقصي الرأي ، ووالله ما جاءنا الوهم والضعف إلا من قبلنا [(٩٥٤)].

٤ . إن معاوية كان يقر بفضل علي عليه ، وأنه أحق بالخلافة منه؛ فلم ينازعه الخلافة ولا طلبها لنفسه في حياة علي ، فقد أخرج يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد [(٩٥٥)] ، عن أبي مسلم الخولاني: أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً في الخلافة أو أنت مثله؟ قال: لا وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر ، ولكن أستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً؛ وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه؟ فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان وأسلم له ، فأتوا علياً فكلموه فلم يدفعهم إليه [(٩٥٦)]. فهذا هو أصل النزاع بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؛ فالتحكيم من أجل حل هذه القضية المتنازع عليها لا لاختيار خليفة أو عزله [(٩٥٧)].

ويقول ابن حزم في هذا الصدد: بأن علياً قاتل معاوية لامتناعه عن تنفيذ أوامره في جميع أرض الشام ، وهو الإمام الواجب طاعته ، ولم ينكر معاوية قط فضل عليّ واستحقاقه الخلافة ، لكن اجتهاده أدّاه إلى أن رأى تقديم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة ، ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه من أولاد عثمان وأولاد الحكم بن أبي العاص لسنه وقوته على الطلب بذلك ، وأصاب في هذا ، وإنما أخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط [(٩٥٨)].

وفهم الخلاف على هذه الصورة . وهي صورته الحقيقية . بين إلى أي مدى تخطأ الروايات السابقة عن التحكيم في تصوير قرار الحكّمين ، إن الحكّمين كانا مفوضين للحكم في الخلاف بين علي ومعاوية ، ولم يكن الخلاف بينهما حول الخلافة ومن أحق بها منهما ، وإنما كان حول توقيع القصاص على قتلة عثمان ، وليس هذا من أمر الخلافة في شيء ، فإذا ترك الحكّمان هذه القضية الأساسية ، وهي ما طلب إليهما الحكم فيه ، واتخذوا قراراً في شأن الخلافة كما تزعم الرواية الشائعة ، فمعنى ذلك: أنهما لم يفضّوا موضوع النزاع ، ولم يحيطا بموضوع الدعوى ، وهو أمر مستبعد جداً [(٩٥٩)].

٥ . أن الشروط التي يجب توفرها في الخليفة هي العدالة والعلم ، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدير المصالح ، وأن يكون [(٩٦٠)] قرشياً ، وقد توفرت هذه الشروط في علي رضي الله عنه ، فهل بيعته منعقدة أم لا؟ فإن كانت منعقدة . ولا شك في ذلك وقد بايعه المهاجرين والأنصار أهل الحل والعقد ، وخصومه يقرون له بذلك . فقول معاوية السابق يدل عليه؛ بأن الإمام إذا لم يَحُلْ عن صفات الأئمة ، فرام العاقدون له عقد الإمامة أن يخلعوه ، لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً باتفاق الأئمة؛ فإن عقد الإمام لازم ، لا اختيار في حله من غير سبب يقتضيه ، ولا تنتظم الإمامة ولا تفيد الغرض المقصود منها إلا مع القطع بلزومها ، ولو تخير الرعايا في خلع إمام الخلق على حكم الإيثار والاختيار لما استتب للإمام طاعة ، ولما استمرت له قدرة واستطاعة ، ولما صح لمنصب الإمام معنى [(٩٦١)] .

وإذاً فليس الأمر بهذه الصورة التي تحكيها الروايات: كل من لم يرضَ بإمامه خلعه ، فعقد الإمامة لا يحله إلا من عقده ، وهم أهل الحل والعقد ، وبشرط إخلال الإمام بشروط الإمامة ، وهل علي رضي الله عنه فعل ذلك واتفق أهل الحل والعقد على عزله عن الخلافة وهو الخليفة الراشد حتى يقال: إن الحكمين اتفقا على ذلك؟! فما ظهر منه قط إلى أن مات رضي الله عنه ، شيء يوجب نقض بيعته ، وما ظهر منه قط إلا العدل ، والجد ، والبر ، والتقوى ، والخير [(٩٦٢)] .

٦ . أن الزمان الذي قام فيه التحكيم زمان فتنة ، وحالة المسلمين مضطربة مع وجود خليفة لهم ، فكيف تنتظم حالتهم مع عزل الخليفة؟! لا شك أن الأحوال ستزداد سوءاً ، والصحابة الكرام أحذق وأعقل من أن يقدموا على هذا ، ولهذا يتضح بطلان هذا الرأي عقلاً ونقلاً .

٧ . أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصر الخلافة في أهل الشورى: وهم الستة ، وقد رضي المهاجرون والأنصار بذلك ، فكان ذلك إذناً في أن الخلافة لا تعدو هؤلاء إلى غيرهم ما بقي منهم واحد ، ولم يبق منهم في زمان التحكيم إلا سعد بن أبي وقاص وقد اعتزل الأمر ورغب عن الولاية ، والإمارة ، وعلي بن أبي طالب القائم بأمر الخلافة وهو أفضل الستة بعد عثمان ؛ فكيف يتخطى بالأمر إلى غيره [(٩٦٣)] .

٨ . أوضحت الروايات أن أهل الشام بايعوا معاوية بعد التحكيم: والسؤال: ما المسوغ الذي جعل أهل الشام يبايعون معاوية؟ إن كان من أجل التحكيم ؛ فالحكمان لم يتفقا ولم يكن ثمة مبرر آخر حتى ينسب عنهم ذلك ، مع أن ابن عساكر نقل بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز

التنوشي [(٩٦٤)] ، أعلم الناس بأمر الشام [(٩٦٥)] أنه قال: كان علي بالعراق يُدعى أمير المؤمنين ، وكان معاوية بالشام يدعى الأمير ، فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين [(٩٦٦)].

فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي ، وإلى هذا ذهب الطبري ، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيلياء [(٩٦٧)] ، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا

معاوية على إمرة المؤمنين ؛ لأنه لم يبق له عندهم منازع [(٩٦٨)] ، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفتناً لعلي بالخلافة ، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه ، فإن فضل علي وسابقته وعلمه ، ودينه وشجاعته ، وسائر فضائله: كانت عندهم ظاهرة معروفة ، كفضل إخوانه؛ أبي بكر ، وعمر ، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم [(٩٦٩)]. وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول ، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص): «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» [(٩٧٠)] ، والنصوص في هذا المعنى كثيرة [(٩٧١)] ، ومن المحال أن يطبق الصحابة على مخالفة ذلك [(٩٧٢)].

٩ . أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة ، قلت: قد كان من أمر الناس ما ترين ، فلم يجعل لي من الأمر شيء فقالت: إحقق فإنهم ينتظرونك ، وأخشى أن يكون احتباسك عنهم فرقة ، فلم تدعه حتى ذهب ، فلما تفرق الناس خطب معاوية قال: من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه ؛ فلنحن أحق به منه ومن أبيه ، قال حبيب بن مسلمة: فهلا أجبتة؟ قال عبد الله: فحللت حبوتي وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام ، فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ، ويحمل عني غير ذلك ، فذكرت ما أعد الله في الجنان. قال حبيب: حفظت وعصمت [(٩٧٣)].

هذا الحديث قد يفهم منه مبايعة معاوية بالخلافة ، وليس فيه تصريح بذلك ، وقد قال بعض العلماء: إن هذا الحديث كان في الاجتماع الذي صالح فيه الحسن بن علي رضي الله عنه معاوية (رضي الله عنه).

وقال ابن الجوزي: إن هذه الخطبة كانت في زمن معاوية لما أراد أن يجعل ابنه يزيد ولي عهده. ويرى ابن حجر في التحكيم [(٩٧٤)] ، ودلالة النص على القولين الأولين أقوى.

فقوله: فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ؛ دليل على اجتماع الكلمة على معاوية ، وأيام التحكيم أيام فرقة واختلاف لا أيام جمع وائتلاف [(٩٧٥)].

١٠ . حقيقة قرار التحكيم: ليس من شك في أن أمر الخلاف الذي رأى الحكمان رده إلى الأمة ، أو إلى أهل الشورى ؛ ليس إلا أمر الخلاف بين عليّ ومعاوية حول قتلة عثمان ، ولم يكن معاوية مدعياً للخلافة ولا منكرراً حق عليّ فيها عما تقرر سابقاً ، وإنما كان ممتنعاً عن بيعته وعن تنفيذ أوامره في الشام حيث كان متغلباً عليها بحكم الواقع لا بحكم القانون ، مستفيداً من طاعة الناس له بعد أن بقي والياً فيها زهاء عشرين سنة [(٩٧٦)].

وقد قال ابن دحية الكلبي في كتابه (أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين): قال أبو بكر محمد بن الطيب الأشعري . الباقلاني . في مناقب الأئمة: فما اتفق الحكمان قط على خلعه . علي بن أبي طالب... وعلى أنهما لو اتفقا على خلعه لم ينخلع حتى يكون الكتاب والسنة المجتمع عليهما يوجبان خلعه ، أو أحد منهما على ما شرطاً في الموافقة بينهما ، أو إلى أن يبيّن ما يوجب خلعه من الكتاب والسنة ، ونصّ كتاب عليّ . عليه السلام . اشترط على الحكمين أن يحكما بما في كتاب الله عز وجل من فاتحته إلى خاتمته ، لا يجاوزان ذلك ولا يجيدان عنه ، ولا يميلان إلى هوى ولا إدهان ، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق ، وإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله فلا حكم لهما... والكتاب والسنة يثبتان إمامته ، ويعظمانه ويثنيان عليه ، ويشهدان بصدقه وعدالته ، وإمامته وسابقته في الدين ، وعظيم جهاده في جهاد المشركين ، وقربته من سيد المرسلين ، وما خص به من القدم في العلم والمعرفة بالحكم ، ووفور الحلم ، وأنه حقيق بالإمامة ، وأهل لحمل أعباء الخلافة [(٩٧٧)].

١١ . مكان انعقاد المؤتمر:

كان الموعد المحدد لاجتماع الحكمين . كما جاء في الوثيقة . في رمضان في عام ٣٧ هـ ، إذا لم تحدث عوائق ، في موضع وسط بين العراق والشام ، وهذا الموضع المختار هو دومة الجندل [(٩٧٨)] ، في روايات موثقة ، وأذرح [(٩٧٩)] في روايات أخرى دونها في الإلتقان ، ولعل لقرب المكانين من بعضهما أثر في اختلاف الروايات ، إذ يقول خليفة بن خياط [(٩٨٠)]:... ويقال: بأذرح ، وهي من دومة الجندل قريب ، وقد تم الاجتماع في الموعد المحدد بدون عوائق [(٩٨١)].

إن المكان الذي اجتمع فيه الحكماء هو دومة الجندل ، وهذا بخلاف ما جزم به ياقوت الحموي من أن التحكيم حدث في أذربج ، واستدل على ذلك ببعض روايات لم يبينها ، وبالأشعار ، وبخاصة بشعر ذي الرمة [(٩٨٢)] ، في مدح بلال بن أبي بردة [(٩٨٣)] ؛ وهو قوله:

أبوك تَلَا في الدين والناس بعدما تشاؤوا وبيتُ الدِّينِ مُنْقَلِعُ الكَسْرِ
فَشَدَّ إِصَارَ الدِّينِ أَيَّامَ أَذْرَجٍ وَرَدَّ حُرُوباً قَدْ لَفَحْنَ إِلَى عُقْرِ [(٩٨٤)]

١٢ . هل حضر سعد بن أبي وقاص اجتماع الحكمين؟: اجتمع الحكماء في مواعدهما المحدد ، ومع كل واحد منهما بضع مئات يمثلون وفدين ، وفد عن أهل العراق ، والآخر يمثل أهل الشام ، وطلب الحكماء من عدد من أعيان قريش وفضلائهم الحضور لمشاورتهم والاستئناس برأيهم ، ولم يحضر الاجتماع عدد من كبار الصحابة كانوا قد اعتزلوا القتال منذ بدايته ؛ وأفضل هؤلاء: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، فإنه لم يحضر التحكيم ، ولا أراد ذلك ، ولا همَّ به [(٩٨٥)] ؛ فعن عامر بن سعد: أن أخاه عُمَرَ انطلق إلى سعد في غنم له خارجاً من المدينة ، فلما أتاه قال: يا أبة ، أرضيت أن تكون أعرايياً في غنمك والناس يتنازعون في الملك بالمدينة؟ فضرب سعد صدر عمر وقال: اسكت! فياني سمعت رسول الله (ص) يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي» [(٩٨٦)].

خامساً: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟
يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية ، وذلك بتحمل قادة البلاد الإسلامية جميعاً مسؤولياتهم ، ومن ورائهم الأمة الإسلامية التي يحكمونها في الضغط الجاد الصادق ، على الطرفين المتنازعين ، لكي يوقفا بينهما القتال ، ويلجأ إلى التحكيم الشرعي في الإسلام ، فيرسل هذا الطرف حكماً من قبله ، وذلك حكماً آخر من قبله أيضاً ، للفصل في النزاع القائم وذلك على ضوء ما يلي:

١ . تحديد صلاحيات الحكمين في إصدار الأحكام التي لا بُدَّ منها لحل المشكلات التي هي سبب النزاع.

٢ . جعل مصادر التشريع الإسلامي هي المرجع الوحيد لإصدار تلك الأحكام والحلول ، التي تفصل في مسائل النزاع.

٣ . أخذ العهد على كل طرف من طرفي النزاع ، وأخذ العهد على جميع قادة البلاد الإسلامية بقبول ما يصدره الحكمان من أحكام وحلول مشروعة لإنهاء النزاع الرّاهن ، على أنّها واجبة التنفيذ بحكم الإسلام ، وأن الخروج عليها ، أو الرضا بذلك الخروج يترتب عليه الإثم شرعاً .

٤ . إذا أصدر الحكمان ما اتّفقا عليه من أحكام ، وحلول ، وانقاد لها الطرفان المتنازعان . فُضي الأمر ، وكفى الله المؤمنين القتال .

٥ . إذا رفض أحد الطّرفين ، أو كلاهما ؛ الانقياد لقضاء الحكّمين . اعتبر الطرف الرفض هو الطرف الباغي ، سواء صدر الرفض من أحدهما ، أو من كليهما ، ووجب شرعاً على القوات الإسلامية في الأقطار الأخرى أن تضع نفسها تحت تصرّف ما يصدره الحكمان من قرارات عسكرية ، من أجل التدخل لحسم النزاع بالقوة ، على وجه لا تترتب عليه أضرار ومخاطر هي أكبر من ضرر النزاع القائم .

٦ . ويكون من صلاحيّات الحكّمين بالاتّفاق . إصدار القرارات التي تخص كيفية تحريك القوات المسلحة في الأقطار الإسلامية الأخرى ، من أجل حل النزاع القائم على ضوء ما سلف بيانه [٩٨٧] .

ولعلّ اللجوء إلى مثل هذه الطريقة في حل المنازعات بين الأقطار ، كفيل بسد الطريق على أيّة قوة خارجية تتدخل في نزاعات المسلمين بحجة أنّ بعض أطراف النزاع دعاها إلى هذا التدخل .. ومن ثم تستغل هذه الفرصة ، لكي تتآمر على المسلمين ، فتعمل على تصعيد تلك النزاعات ، وفرض الحلّ الذي يحلو لها ، ويكون فيه مصلحتها فقط وليعان المسلمون ، بعدئذ ، من اثار ذلك الحلّ أسوأ ممّا كانوا يُعانون من فتنة النزاع نفسها ، فهذه المعاناة لا تهمنا في شيء ، لا ، بل إنّ هذه المعاناة هي من جملة الاهتمامات التي فرضت من أجل تفجيرها ذلك الحلّ المشؤوم .

قلنا: لعلّ اللجوء إلى التحكيم ، على نحو ما سلف بيانه ، يسد الطريق في وجه تلك القوى الخارجيّة التي تبغي في صفوف المسلمين الفساد .

هذا ، وإن الصفة الإلزامية شرعاً للحل عن طريق التحكيم الذي عرضناه . تستند إلى إجماع الصحابة ، فقد أجمع الصحابة كلهم في عهد النزاع الذي نشب بين علي ومعاوية على اللجوء إلى التحكيم ، والقبول به .. سواء في ذلك الصحابة الذين كانوا مع علي ، والصحابة الذين كانوا مع معاوية ، والصحابة الذين اعتزلوا الفريقين ، كسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وغيرهما . رضي الله عنهم أجمعين [٩٨٨] .

سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب:

إن موقف أهل السنة والجماعة من الحرب التي وقعت بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم هو الإمساك عما شجر بينهم إلا فيما يليق بهم رضي الله عنهم ، لما يسببه الخوض في ذلك من توليد العداوة والحقد والبغض لأحد الطرفين ، وقالوا: إنه يجب على كل مسلم أن يحب الجميع ويترضى عنهم ويترحم عليهم ويحفظ لهم فضائلهم ، ويعترف لهم بسوابقهم ، وينشر مناقبهم ، وأن الذي حصل بينهم إنما كان عن اجتهاد ، والجميع مثابون في حالتي الصواب والخطأ ، غير أن ثواب المصيب ضعف ثواب المخطأ في اجتهاده ، وأن القاتل والمقتول من الصحابة في الجنة ، ولم يجوز أهل السنة والجماعة الخوض فيما شجر بينهم ، وقبل أن أذكر طائفة من أقوال أهل السنة التي تبين موقفهم فيما شجر بين الصحابة أذكر بعض النصوص التي فيها الإشارة إلى ما وقع بين الصحابة من الاقتتال ، وبما وصفوا به فيها ، وتلك النصوص هي [(٩٨٩)]:

١ . قال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * } [الحجرات: ٩].

ففي هذه الآية أمر الله تعالى بالإصلاح بين المؤمنين إذا ما جرى بينهم قتال لأنهم إخوة ، وهذا الاقتتال لا يخرجهم عن وصف الإيمان ؛ حيث سماهم الله . عز وجل . مؤمنين ، وأمر بالإصلاح بينهم ، وإذا كان حصل اقتتال بين عموم المؤمنين ولم يخرجهم ذلك من الإيمان ، فأصحاب رسول الله (ص) الذين اقتتلوا في موقعة الجمل وبعدها أول من يدخل في اسم الإيمان الذي ذكر في هذه الآية ؛ فهم لا يزالون عند ربه مؤمنين إيماناً حقيقياً ، ولم يؤثر ما حصل بينهم من شجار في إيمانهم بحال ؛ لأنه كان عن اجتهاد [(٩٩٠)].

٢ . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق» [(٩٩١)]. والفرقة المشار إليها في الحديث هي ما كان من الاختلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وقد وصف (ص) الطائفتين معاً بأثمة مسلمتان ، وأثمة متعلقتان بالحق ، والحديث علم من أعلام النبوة: إذ وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين: أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام.

وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة: أن علياً هو المصيب ، وإن كان معاوية مجتهداً وهو مأجور إن شاء الله ، ولكن علي هو الإمام ؛ فله أجران كما ثبت في صحيح البخاري: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر» [(٩٩٢)].

٣ . وعن أبي بكره قال: بينا النبي (ص) يخطب جاء الحسن ، فقال النبي (ص): «ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» [(٩٩٣)]. ففي هذا الحديث شهادة النبي (ص) بإسلام الطائفتين أهل العراق وأهل الشام ، والحديث فيه رد واضح على الخوارج الذين كفروا علياً ومن معه ، ومعاوية ومن معه بما تضمنه الحديث من الشهادة للجميع

بالإسلام ، ولذا كان يقول سفيان بن عيينة: قوله: فئتين من المسلمين ؛ يعجبنا جداً. قال البيهقي: وإنما أعجبه لأن النبي (ص) سماهم جميعاً مسلمين ، وهذا خبر من رسول الله (ص) بما كان من الحسن بن علي بعد وفاة علي في تسليمه الأمر إلى معاوية بن أبي سفيان [(٩٩٤)].

فهذه الأحاديث المتقدم ذكرها فيها الإشارة إلى أهل العراق الذين كانوا مع علي وإلى أهل الشام الذين كانوا مع معاوية بن أبي سفيان ، وقد وصفهم النبي (ص) بأنهم من أمته [(٩٩٥)]. كما وصفهم بأنهم جميعاً متعلقون بالحق لم يخرجوا عنه ، كما شهد لهم (ص) بأنهم مستمرين على الإيمان ولم يخرجوا عنه بسبب القتال الذي حصل بينهم ، وقد دخلوا تحت عموم قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات: ٩]. وقد قدمنا أن مدلول الآية ينتظمهم رضي الله عنهم أجمعين ، فلم يكفروا ولم يفسقوا بقتالهم ، بل هم مجتهدون متأولون ، وقد بين الحكم في قتالهم ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما مر معنا.

فالواجب على المسلم أن يسلك في اعتقاده فيما حصل بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم مسلك الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة ، وهو الإمساك عما حصل بينهم رضي الله عنهم ، ولا يخوض فيه إلا بما هو لائق بمقامهم ، وكتب أهل السنة مملوءة ببيان عقيدتهم الصافية النقية في حق أولئك الصفوة المختارة ، وقد حددوا موقفهم من تلك الحرب التي وقعت بينهم في أقوالهم الحسنة التي منها [(٩٩٦)]:

١ . سئل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عن القتال الذي حصل بين الصحابة ، فقال: تلك دماء طهر الله يدي منها ، أفلا أظهر منها لساني؟! مثل أصحاب رسول الله (ص) مثل العيون ، ودواء العيون ترك مسها [٩٩٧].

قال البيهقي معلقاً على قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: هذا حسن جميل ؛ لأن سكوت الرجل عما لا يعنيه هو الصواب [٩٩٨].

٢ . سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن قتال الصحابة فيما بينهم ، فقال: قتال شهده أصحاب محمد (ص) وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا [٩٩٩]. ومعنى قول الحسن هذا: أن الصحابة كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا ، وما علينا إلا أن نتبعهم فيما اجتمعوا عليه ، ونقف عندما اختلفوا فيه ولا نبتدع رأياً من عندنا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله . عز وجل . إذ كانوا غير متهمين في الدين [١٠٠٠].

٣ . سئل جعفر بن محمد الصادق عما وقع بين الصحابة ، فأجاب بقوله: أقول ما قال الله: [١٠٠١] {عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى*} [طه: ٥٢].

قال الإمام أحمد رحمه الله بعد أن قيل له: ما تقول فيما كان بين علي ومعاوية؟ قال: ما أقول فيهم إلا الحسن [١٠٠٢]. وعن إبراهيم بن ازر الفقيه قال: حضرت أحمد بن حنبل ، وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية؟ فأعرض عنه ، فقيل له: يا أبا عبد الله هو رجل من بني هاشم ، فأقبل عليه فقال: اقرأ {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ*} [البقرة: ١٤١].

٤ . وقال ابن أبي زيد القيرواني في صدد عرضه لما يجب أن يعتقد المسلم في أصحاب رسول الله (ص) وما ينبغي أن يذكروا به ، فقال: وأن لا يذكر أحد من صحابة الرسول إلا بأحسن ذكر ، والإمساك عما شجر بينهم ، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب [١٠٠٣].

٥ . وقال أبو عبد الله بن بطة أثناء عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة: ومن بعد ذلك أن نكفَّ عما شجر بين أصحاب رسول الله (ص) ، فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل فقد غفر الله لهم ، وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم ، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم ،

، وأنهم سيقتلون ، وإنما فضلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد وضع عنهم ، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم [(١٠٠٤)].

٦ . قال أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ويجب أن يعلم: أن ما جرى بين أصحاب

النبي (ص) ورضي عنهم من المشاجرة؛ نكف عنه وترحم على الجميع ، ونثني عليهم ونسأل الله تعالى لهم الرضوان والأمان والفوز والجنان ، ونعتقد أن علياً عليه السلام أصاب فيما فعل وله أجران ، وأن الصحابة رضي الله عنهم إن ما صدر منهم كان باجتهاد ، فلهم الأجر ، ولا يفسقون ولا يبدعون ، والدليل عليه قوله تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا*} [الفتح: ١٨]. وقوله (ص): «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر». فإذا كان الحاكم في وقتنا له أجران على اجتهاده؛ فما ظنك باجتهاد من رضي الله عنهم ورضوا عنه. ويدل على صحة هذا القول: قوله (ص) للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» [(١٠٠٥)] ، فأثبت العظمة لكل واحدة من الطائفتين ، وحكم لهما بصحة الإسلام ، وقد وعد الله هؤلاء القوم بنزع الغل من صدورهم بقوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ*} [الحجر: ٤٧]... إلى أن قال: ويجب الكف عما شجر بينهم والسكوت عنه [(١٠٠٦)].

٧ . وقال ابن تيمية في صدد عرضه لعقيدة أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة: وبمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذورون ؛ إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون [(١٠٠٧)].

٨ . وقال ابن كثير: أما ما شجر بينهم بعده عليه الصلاة والسلام: فمنه ما وقع من غير قصد كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد كيوم صفين، والاجتهاد يخطأى ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ ومأجور أيضاً ، وأما المصيب فله أجران [(١٠٠٨)].

٩ . وقال ابن حجر: واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ، ولو عرف المحق منهم ؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد ، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، وأن المصيب يؤجر أجرين [(١٠٠٩)].

فأهل السنة مجمعون على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان ، والترحم عليهم ، وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم، ونشر محاسنهم رضي الله عنهم وأرضاهم [(١٠١٠)].

سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة:

١ . (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة:

من الكتب التي شوهت تاريخ صدر الإسلام كتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة ، ولقد ساق الدكتور عبد الله عسيلان في كتابه (الإمامة والسياسة في ميزان التحقيق العلمي) مجموعة من الأدلة تبرهن على أن الكتاب المذكور منسوب إلى الإمام ابن قتيبة كذباً وزوراً ، ومن هذه الأدلة: إن الذين ترجموا لابن قتيبة لم يذكر واحد منهم أنه ألف كتاباً في التاريخ يدعى (الإمامة والسياسة) ولا نعرف من مؤلفاته التاريخية إلا كتاب (المعارف).

إن المتصفح للكتاب يشعر أن ابن قتيبة أقام في دمشق والمغرب ، في حين أنه لم يخرج من بغداد إلا إلى الدينور.

إن المنهج والأسلوب الذي سار عليه مؤلف (الإمامة والسياسة) يختلف تماماً عن منهج وأسلوب ابن قتيبة في كتبه التي بين أيدينا؛ ففي منهج ابن قتيبة أن يقدم لمؤلفاته بمقدمات طويلة يبين فيها منهجه والغرض من مؤلفه ، وعلى خلاف ذلك يسير صاحب (الإمامة والسياسة) فمقدمته قصيرة جداً لا تزيد على ثلاثة أسطر ، هذا إلى جانب الاختلاف في الأسلوب ، ومثل هذا النهج لم نعهده في مؤلفات ابن قتيبة.

- يروي مؤلف الكتاب عن أبي ليلي بشكل يشعر بالتلقي عنه ، وابن أبي ليلي هذا هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي الفقيه: قاضي الكوفة ، توفي سنة ١٤٨ هـ ، والمعروف أن ابن قتيبة لم يولد إلا سنة ٢١٣ هـ أي: بعد وفاة ابن أبي ليلي بخمسة وستين عاماً.

- إن الرواة والشيوخ الذين يروي عنهم ابن قتيبة عادة في كتبه لم يرد لهم ذكر في أي موضع من مواضع الكتاب.

- إن قسماً كبيراً من رواياته جاءت بصيغة التمريض ، فكثيراً ما يجيء فيه: ذكروا

عن بعض المصريين ، وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشايخ أهل مصر ، وحدثنا بعض مشايخ أهل المغرب ، وذكروا عن بعض المشيخة ، وحدثنا بعض المشيخة. ومثل هذه التراكيب بعيدة كل البعد عن أسلوب وعبارات ابن قتيبة ، ولم ترد في كتاب من كتبه.

. إن مؤلف (الإمامة والسياسة) يروي عن اثنين من كبار علماء مصر ، وابن قتيبة لم يدخل مصر ولا أخذ عن هذين العالمين [(١٠١١)].

. ابن قتيبة يحتل منزلة عالية لدى العلماء؛ فهو عندهم من أهل السنة ، وثقة في علمه ودينه ، يقول السلفي: كان ابن قتيبة من الثقات وأهل السنة ، ويقول ابن حزم: كان ثقة في دينه وعلمه ، وتبعه في ذلك الخطيب البغدادي ، ويقول عنه ابن تيمية: وإن ابن قتيبة من المنتسبين إلى أحمد وإسحاق ، والمنتصرين لمذاهب السنة المشهورة [(١٠١٢)].

ورجل هذه منزلته لدى رجال العلم المحققين ، هل من المعقول أن يكون مؤلف كتاب (الإمامة والسياسة) الذي شوه التاريخ وألصق بالصحابة الكرام ما ليس فيهم [(١٠١٣)].

يقول الدكتور علي نفيح العلياني في كتابه (عقيدة الإمام ابن قتيبة) عن كتاب الإمامة والسياسة: وبعد قراءتي لكتاب (الإمامة والسياسة) قراءة فاحصة ترجّح عندي أن مؤلف (الإمامة والسياسة) رافضي خبيث ، أراد إدماج هذا الكتاب في كتب ابن قتيبة نظراً لكثرتها ، ونظراً لكونه معروفاً عند الناس بانتصاره لأهل الحديث وقد يكون من رافضة المغرب ، فإن ابن قتيبة له سمعة حسنة في المغرب [(١٠١٤)]. ومما يرجّح أن مؤلف (الإمامة والسياسة) من الروافض ما يلي:

* أن مؤلف (الإمامة والسياسة) ذكر على لسان علي رضي الله عنه: أنه قال للمهاجرين: الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم ، ولا تدافعوا أهله مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به ، لأننا أهل البيت ، ونحن أحق بهذا الأمر منكم...

والله إنه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل [(١٠١٥)] الله ، ولا أحد يرى أن الخلافة وراثية لأهل البيت إلا الشيعة.

* إن مؤلف (الإمامة والسياسة) قدح في صحابة رسول الله (ص) قدحاً عظيماً ، فصوّر ابن عمر رضي الله عنه جباناً ، وسعد بن أبي وقاص حسوداً ، وذكر محمد بن مسلمة غضب على علي بن أبي طالب؛ لأنه قتل مرحباً اليهودي بخير ، وإن عائشة رضي الله عنها أمرت بقتل عثمان [(١٠١٦)] ،

والقدح في الصحابة من أظهر خصائص الرافضة وإن شاركهم الخوارج ، إلا أن الخوارج لا يقدرحون في عموم الصحابة [(١٠١٧)].

* إن مؤلف (الإمامة والسياسة) يذكر أن المختار بن أبي عبيد قتل من قبل مصعب بن الزبير ، لكونه دعا إلى ال رسول الله (ص) ، ولم يذكر خرافاته وادعائه للوحي [(١٠١٨)] ، والرافضة هم الذين يحبون المختار بن أبي عبيد لكونه انتقم من قتلة الحسين ، مع العلم أن ابن قتيبة رحمه الله ذكر المختار من الخارجين على السلطان ، ويبيّن أنه كان يدّعي أن جبريل يأتيه [(١٠١٩)].

* إن مؤلف (الإمامة والسياسة) كتب عن خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان خمساً وعشرين صفحة فقط ، وكتب عن الفتنة التي وقعت بين الصحابة مئتي صفحة ، فقام المؤلف باختصار التاريخ الناصع المشرق وسوّد الصحائف بتاريخ زائف لم يثبت منه إلا القليل ، وهذه من أخلاق الروافض المعهودة ؛ نعوذ بالله من الضلال والخذلان.

* يقول السيد محمود شكري الألوسي في مختصره للتحفة الإثنا عشرية: ومن مكايدهم - يعني الرافضة -: أنهم ينظرون في أسماء الرجال المعترين عند أهل السنة ؛ فمن وجدوه موافقاً لأحد منهم في الاسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه ، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم ، فيعتبر بقوله ويعتد بروايته ؛ كالسدي فإنهما رجلان أحدهما السدي الكبير والثاني السدي الصغير ، فالكبير من ثقات أهل السنة والصغير من الوضاعين الكذابين وهو رافضي غالٍ. وعبد الله بن قتيبة رافض

غالٍ وعبد الله بن مسلم بن قتيبة من ثقات أهل السنة وقد صنف كتاباً سماه بالمعارف ، فصنف ذلك الرافضي كتاباً سماه بالمعارف أيضاً قصداً للإضلال [(١٠٢٠)] ، وهذا مما يرجح أن كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الرافضي ، وليس لابن قتيبة السني الثقة ، وإنما خلط الناس بينهما لتشابه الأسماء [(١٠٢١)] ، والله أعلم.

٢ . نهج البلاغة:

ومن الكتب التي ساهمت في تشويه تاريخ الصحابة بالباطل كتاب (نهج البلاغة) ؛ فهذا الكتاب مطعون في سنده ومتمته ، فقد جمع بعد أمير المؤمنين بثلاثة قرون ونصف بلا سند ، وقد نسبت الشيعة تأليف نهج البلاغة إلى الشريف الرضي ؛ وهو غير مقبول عند المحدثين لو أسند ، خصوصاً فيما يوافق

بدعته ؛ فكيف إذا لم يسند كما فعل في النهج؟ وأما المتهم . عند المحدثين . بوضع النهج ؛ فهو أخوه علي [(١٠٢٢)] ، فقد تحدث العلماء فيه فقالوا:

. قال ابن خلكان في ترجمة الشريف الرضي: وقد اختلف الناس في كتاب (نهج البلاغة) المجموع من كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ هل جمعه؟ أم جمع أخيه الرضي؟. وقد قيل: إنه ليس من كلام عليّ ، وإنما الذي جمعه ونسبه إليه هو الذي وضعه ، والله أعلم [(١٠٢٣)].

. وقال الذهبي: من طالع (نهج البلاغة) جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه ، ففيه السبّ الصّراح ، والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأنّ أكثره باطل [(١٠٢٤)].

. وقال ابن تيمية: وأهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي ، ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ، ولا لها إسناد معروف [(١٠٢٥)].

. وأما ابن حجر ، فيتّهم الشريف الرضي بوضعه ، ويقول: ومن طالعه جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين عليّ... وأكثره باطل [(١٠٢٦)].

واستناداً إلى هذه الأخبار وغيرها تناول عدد من الباحثين هذا الموضوع ، فقالوا بعدم صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام علي رضي الله عنه [(١٠٢٧)].

ويمكن تلخيص أهمّ ما لاحظته القدامى والمحدثون على نهج البلاغة للتشكيك بصحة نسبته للإمام علي بما يلي:

* خلّوه من الأسانيد التوثيقية التي تعزّز نسبة الكلام إلى صاحبه . متناً ورواية وسنداً.

* كثرة الخطب وطولها ، لأن هذه الكثرة وهذا التطويل ممّا يتعذر حفظه وضبطه قبل عصر التدوين ،

مع أن خطب الرسول (ص) لم تصل إلينا سالمة وكاملة مع ما أتيح لها من العناية الشديدة والاهتمام.

* رصد العديد من الأقوال والخطب في مصادر وثيقة منسوبة لغير عليّ رضي الله عنه ، وصاحب النهج

يثبتها له.

* اشتمال هذا الكتاب على أقوال تتناول الخلفاء الراشدين قبله بما لا يليق به ولا بهم ، وتنافي ما عُرف

عنه من توقيره لهم ، ومن أمثلة ذلك ما جاء بخطبته المعروفة بـ «الشقشقية» التي يظهر فيها حرصه

الشديد على الخلافة ، رغم ما شُهر عنه من التقشّف والزهد.

* شيوع السجع فيه ، إذ رأى عدد من الأدباء أن هذه الكثرة لا تتفق مع البعد عن التكلف الذي عُرف به عصر الإمام علي رضي الله عنه ، مع أن السجع العفوي الجميل لم يكن بعيداً عن روحه ومبناه.

* الكلام المنمق الذي تظهر فيه الصناعة الأدبية التي هي من وُشي العصر العباسي وزخرفته ، ما نجد في وصف الطاووس والخفاش ، والنحل والنمل ، والزرع والسحاب وأمثالها.

* الصيغ الفلسفية والمقالات الكلامية التي وردت في ثناياه ، والتي لم تُعرف عند المسلمين إلا في القرن الثالث الهجري ، حين تُرجمت الكتب اليونانية والفارسية

والهندية ، وهي أشبه ما تكون بكلام المناطقة والمتكلمين منه بكلام الصحابة والراشدين [(١٠٢٨)]. إن هذا الكتاب يجب الحذر منه في الحديث عن الصحابة ، وما وقع بينهم وبين أمير المؤمنين علي ، وتعرض نصوصه على الكتاب والسنة؛ فما وافق الكتاب والسنة ، فلا مانع من الاستئناس به ، وما خالف فلا يلتفت إليه.

٣ . كتاب الأغاني للأصفهاني:

يعتبر كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني كتاب أدب وسم وغماء ، وليس كتاب علم وتاريخ وفقه ، وله طنين ورنين في اذان أهل الأدب والتاريخ ، فليس معنى ذلك أن يُسكت عما ورد فيه من الشعوبية والدس ، والكذب الفاضح والطعن والمعائب ، وقد قام الشاعر العراقي والأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سَمَّاه (السيف اليماني في نحر الأصفهاني صاحب الأغاني) فقد شَمَّر - جزاه الله خيراً - عن ساعد الجد ، ليميز الهزل من الجد ، والسَمَّ من الشهد ، ويكشف ما احتواه الكتاب من الأكاذيب ونيران الشعوبية والحقد ، وهي تغلي في الصدور ، كغلي القدور ، وأخذ يرد على ترهات الأصفهاني فيما جمعه من أخبار وحكايات مكذوبة وغير موثقة ، تسيء إلى البيت النبوي الشريف ، وتجرح سيرتهم ، وتشوه سلوكهم ، كما تناول مزاعم الأصفهاني تجاه معاوية بن أبي سفيان والخلفاء الراشدين الأمويين بما هو مكذوب ومدسوس عليهم من الروايات؛ وتناول الأستاذ الكريم والشاعر الإسلامي القدير وليد الأعظمي في كتابه القيم الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب ، والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي ، وتفضل الجاهلية على الإسلام وغيرها من الأباطيل [(١٠٢٩)].

ولقد تحدث العلماء فيه قديماً فقالوا:

. قال الخطيب البغدادي: كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف ، ثم تكون كل رواياته منها [(١٠٣٠)].

. قال ابن الجوزي: ...ومثله لا يوثق بروايته ، يصحح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب الأغاني ، رأى

كل قبيح ومنكر [(١٠٣١)]. قال الذهبي: رأيت شيخنا تقي الدين بن تيمية يضعفه ، ويتهمه في نقله ، ويستهل ما يأتي به [(١٠٣٢)].

٤ . تاريخ يعقوبي (ت ٢٩٠ هـ):

هو أحمد بن أبي يعقوب ، إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح العباسي ، من أهل بغداد ، مؤرخ شيعي إمامي ، كان يعمل في كتابة الدواوين في الدولة العباسية حتى لقب بالكاتب العباسي ، وقد عرض يعقوبي تاريخ الدولة الإسلامية من وجهة نظر الشيعة الإمامية؛ فهو لا يعترف بالخلافة إلا لعلني بن أبي طالب وأبنائه حسب تسلسل الأئمة عند الشيعة ، ويسمي علي بالوصي ، وعندما أرخ لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان لم يُضف عليهم لقب الخلافة ، وإنما قال: تولى الأمر فلان. ثم لم يترك واحداً منهم دون أن يطعن فيه ، وكذلك كبار الصحابة ؛ فقد ذكر عن عائشة رضي الله عنها أخباراً [(١٠٣٣)] سيئة ، وكذلك عن خالد بن الوليد [(١٠٣٤)] ، وعمرو بن العاص [(١٠٣٥)] ، ومعاوية بن أبي سفيان [(١٠٣٦)] ، و عرض خبر السقيفة عرضاً مشيناً [(١٠٣٧)] ادعى فيه أنه قد حصلت مؤامرة على سلب الخلافة من علي بن أبي طالب الذي هو الوصي في نظره.

وطريقته في سياق الاتهامات . الباطلة . هي طريقة قومه من أهل التشيع والرفض ، وهي إما اختلاق الخبر بالكلية [(١٠٣٨)] ، أو التزيد في الخبر [(١٠٣٩)] والإضافة عليه ، أو عرضه في غير سياقه ومحله حتى يتحرف معناه ، ومن الملاحظ أنه عندما ذكر الخلفاء الأمويين وصفهم بالملوك ، وعندما ذكر خلفاء بني العباس وصفهم بالخلفاء ، كما وصف دولتهم في كتابه البلدان باسم الدولة المباركة [(١٠٤٠)] ، مما يعكس نفاقه وتستره وراء شعار التقية.

وهذا الكتاب يمثل الانحراف والتشويه الحاصل في كتابه (التاريخ الإسلامي) وهو مرجع لكثير من المستشرقين والمستغربين الذين طعنوا في التاريخ الإسلامي وسيرة رجاله ، مع أنه لا قيمة له من الناحية العلمية؛ إذ يغلب على القسم الأول القصص والأساطير والخرافات ، والقسم الثاني كتب من زاوية نظر حزبية ، كما أنه يفتقد من الناحية المنهجية لأبسط قواعد التوثيق العلمي [(١٠٤١)].

٥ . المسعودي (ت ٣٤٥ هـ): كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر):

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه [١٠٤٢] ، وقيل: إنه كان رجلاً من أهل المغرب [١٠٤٣] ، ولكن يُرد عليه بأن المسعودي صرح بنفسه أنه من أهل العراق ، وأنه انتقل إلى ديار مصر للسكن فيها [١٠٤٤] ، وإنه قصد ببلاد المغرب عكس المشرق ، فمصر من بلاد المغرب الإسلامي فلا إشكال [١٠٤٥].

والمسعودي رجل شيعي ، فقد قال فيه ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً [١٠٤٦] ، وقد ذكر أن الوصية جارية من عهد ادم تنقل من قرن إلى قرن حتى رسولنا (ص) ، ثم أشار إلى اختلاف الناس بعد ذلك في النص والاختيار ، فقدم رأي الشيعة الإمامية الذين يقولون بالنص [١٠٤٧] ، وقد أولى الأحداث المتعلقة بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتابه (مروج الذهب) اهتماماً كبيراً أكثر من اهتمامه بحياة الرسول (ص) في الكتاب المذكور [١٠٤٨] ، وركز اهتمامه بالبيت العلوي ، وتتبع أخبارهم بشكل واضح في كتابه (مروج الذهب) [١٠٤٩] ، وعمل بدون حياء ولا خجل على تشويه تاريخ صدر الإسلام.

هذه بعض الكتب القديمة التي نحذر منها والتي كان لها أثر في كتابات بعض المعاصرين ، كطه حسين (الفتنة الكبرى: علي وبنوه) ، والعقاد في عبقرياته فقد تورط

في الروايات الموضوعية والضعيفة ، وقامت تحليلاتهم عليها ، وبالتالي لم يحالفهم الصواب ، ووقعوا في أخطاء شنيعة في حق الصحابة رضي الله عنهم ، وكذلك عبد الوهاب النجار في كتابه (الخلفاء الراشدون) حيث نقل نصوصاً من روايات الرافضة من كتاب (الإمامة والسياسة) ، وحسن إبراهيم حسن في كتابه (عمرو بن العاص) حيث قرّر من خلال الروايات الرافضية الموضوعية بأن عمرو بن العاص رجل صالح ومطامع ولا يدخل في شيء من الأمور إلا إذا رأى أن فيه مصلحة ومنفعة له في الدنيا [١٠٥٠] ، وغير ذلك من الباحثين الذين ساروا على نفس المنوال ، فدخلوا في الأنفاق المظلمة بسبب بعدهم عن منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الركام الهائل من الروايات التاريخية.

ثامناً: الاستشراق والتاريخ الإسلامي:

إن من أعظم الفرق أثراً في تحريف التاريخ الإسلامي الشيعة الرافضة بمختلف طوائفها وفرقها ، فهم من أقدم الفرق ظهوراً ولهم تنظيم سياسي وتصور عقائدي ، ومنهج فكري . منحرف . ، وهم أكثر الطوائف كذباً على خصومهم ، كما أنهم من أشد الناس خصومة للصحابة . كما سيأتي معنا . ، فسب

الصحابة وتكفيرهم من أساسيات معتقدتهم وأركانه؛ خاصة الشيخين أبي بكر وعمر ، ويسموئهما الجبت والطاغوت [(١٠٥١)].

وقد كان للشيعة أكبر عدد من الرواة والإخباريين الذين تولوا نشر أكاذيبهم ومفترياتهم وتدوينها في كتب ورسائل عن أحداث التاريخ الإسلامي ، خاصة الأحداث الداخلية ، كما كان للشعبوية والعصبية أثر في وضع الأخبار التاريخية والحكايات والقصص الرامية إلى تشويه التاريخ الإسلامي ، وإلى إعلاء طائفة على طائفة أو أهل بلد على آخر ، أو جنس على جنس ، وإبعاد الميزان الشرعي في التفاضل ؛ وهو ميزان التقوى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣].

كما أن الفرق المنحرفة قد استغلت وضع القصص وانتشارهم وجهل معظمهم وقلة علمهم بالسنة ، وانحراف طائفة منهم بتبغى العيش والكسب ، فنشروا بينهم أكاذيبهم وحكاياتهم وقصصهم الموضوعية ، فتلقفها هؤلاء القصاص دون وعي وإدراك ونشروها بين العامة ، لقد انتشر عن طريقهم مئات الأحاديث المكذوبة على الصحابة والتابعين وعلماء الإسلام ، مما يسيء لهم ويشوه تاريخهم وسيرتهم.

وقد كان من فضل الله وتوفيقه أن قيض الله مجموعة من العلماء النقاد الذين قاموا بجهد في نقد الرواة والمرويات ، فبينوا الزائف من الصحيح ، ودافعوا عن عقيدة الأمة وتاريخها ، وجهد علماء السنة في بيان الأحاديث المكذوبة بالنص عليها وبيان الرواة الضعاف والمتهمين وأصحاب الأهواء ، وفي رسم المنهج في نقد الروايات وقبولها ، جهد كبير وموفق.

من أبرز من تصدى لإيضاح المغالط التاريخية ورد زيوف الروايات المكذوبة؛ القاضي ابن العربي في كتاب (العواصم من القواصم) ، والإمام ابن تيمية في كثير من كتبه ورسائله ، خاصة كتابه القيم (منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية) ، وكذا الحافظ الناقد الذهبي في كثير من مؤلفاته التاريخية مثل كتاب (سير أعلام النبلاء) ، و(تاريخ الإسلام) ، و(ميزان الاعتدال في نقد الرجال) ، وكذلك الحافظ ابن كثير المفسر المؤرخ في كتابه (البداية والنهاية) ، وأيضاً الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ، و(لسان الميزان) ، و(تهذيب التهذيب) ، و(الإصابة في معرفة الصحابة).

أما الوسائل التي استخدمت لغرض تحريف الوقائع التاريخية ، وتشويه سير رجال الصدر الأول من الصحابة والتابعين؛ فهي كثيرة ، ونذكر منها:

* الاختلاق والكذب.

* الإتيان بخبر أو حادثة صحيحة ، فيزيدون فيها وينقصون منها حتى تشوه وتخرج عن أصلها.
* وضع الخبر في غير سياقه حتى ينحرف عن معناه ومقصده ، والتأويل والتفسير الباطل للأحداث.
* إبراز المثالب والأخطاء ، وإخفاء الحقائق والصور المستقيمة.
* صناعة الأشعار وانتحالها لتأييد حوادث تاريخية مدعاة؛ لأن الشعر العربي ينظر له كوثيقة تاريخية ومستند يساعد في توثيق الخبر وتأييده.
* وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة ، كما وضعت الرافضة كتاب (الإمامة والسياسة) الذي نحلته إلى أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لشهرته عند أهل السنة وثقتهم به . كما مرّ معنا ..

وقد تلقف هذه الأكاذيب والتحريفات في القرن الماضي علماء الغرب وكتابه من المستشرقين والمبصّرِين . إبان غزوهم واستعمارهم للبلدان الإسلامية . ، فوجدوا فيها ضالتهم ، وأخذوا يعملون على إبرازها والتركيز عليها مع ما زادوه من عندهم . بدافع من عصبيتهم وكرههم للمسلمين . ؛ من الكذب مثل اختراع حوادث لا أصل لها ، أو التفسير المغرض للحوادث التاريخية بقصد التشويه ، أو التفسير الخاطى تبعاً للتصور والاعتقاد الذي يدينون به.

ثم شابع هؤلاء طائفة غير قليلة العدد من تلاميذ المستشرقين في البلاد العربية والإسلامية ، وأخذوا طرائقهم ومناهجهم في البحث ، وأفكارهم وتصوراتهم في الفهم والتحليل وتفسير التاريخ ، وحملوا الراية بعد رحيلهم عن بلاد المسلمين ، وكان ضررهم أشد وأنكى من ضرر أساتذتهم المستشرقين ، ومن ضرر أسلافهم السابقين من فرق البدع والضلال ، وذلك أنهم ادّعوا . كأساتذتهم . اتباع الروح العلمية المتجردة والمنهج العلمي في البحث ، والحقيقة أن غالبهم لم يتجرد إلا من عقيدته ، أما التجرد بمعنى الإخلاص للحق وسلوك المنهج العلمي السليم في إثبات الوقائع التاريخية ، كالمقارنة بين الروايات ، ومعرفة قيمة المصادر التي يرجعون إليها ، ومدى أمانة الناقلين ، وضبطهم لما نقلوا ، وقياس الأخبار واعتبارهم بأحوال العمران البشري وطبائعه [(١٠٥٢)] ؛ فلا أثر له عند القوم ، فلم يتقنوا من المنهج العلمي إلا الأمور الشكلية؛ مثل الحواشي وترتيب المراجع وما شابهها ، وربما كان هذا هو مفهوم المنهج العلمي عندهم [(١٠٥٣)] !.

يقول محب الدين الخطيب: إن الذين تثقفوا بثقافة أجنبية عنّا قد غلب عليهم الوهم بأنهم غرباء عن هذا الماضي ، وأن موقفهم من رجاله كموقف وكلاء نيابة من المتهمين ، بل لقد أوغل بعضهم في

الحرص على الظهور أمام الأعيان بمظهر المتجرد عن كل اصرة بماضي العروبة والإسلام ، جرياً وراء المستشرقين في ارتياحهم حيث تحسن الطمأنينة ، وميلهم مع الهوى عندما يدعوهم الحق إلى التثبت ، وفي إنشائهم الحكم وارتياحهم إليه قبل أن تكون في أيديهم أشباه الدلائل عليه [(١٠٥٤)].

ومن أهم الوسائل التي اتبعها المستشرقون وتلاميذهم في تشويه وتحريف حقائق التاريخ الإسلامي:

أ. التدخل بالتفسير الخاطى للأحداث التاريخية على وفق مقتضيات أحوال عصرهم الذي يعيشون هم فيه ، وحسبما يجول بخاطرهم ، دون أن يحققوا أولاً الواقعة التاريخية حتى تثبت ، ودون أن يراعوا ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة ، وأحوال الناس وتوجهاتهم في ذلك الوقت ، والعقيدة التي تحكمهم ويدينون بها ، فإنه قبل تفسير الحادثة لا بد من ثبوت وقوعها ، وليس وجودها في كتاب من الكتب كافياً لثبوتها [(١٠٥٥)] ، لأن مرحلة الثبوت مرحلة سابقة على البحث في تفسير الواقعة التاريخية ، كما ينبغي أن يكون التفسير متمشياً مع منطوق الخبر التاريخي ، وموضوع البحث ، ومع الطابع العام للمجتمع أو العصر والبيئة التي حدثت فيها الواقعة ، كما يشترط أن لا يكون هذا التفسير متعارضاً مع واقعة أو جملة وقائع أخرى ثابتة ، كما أنه لا ينبغي أن ينظر في التفسير إلى عامل واحد . كما هو ديدن كثير من المدارس التاريخية المعاصرة . ، وإنما ينظر فيه إلى جملة العوامل المؤثرة في الحدث وخاصة العوامل العقيدية والفكرية..

ثم إن التفسير التاريخي للحوادث بعد هذا كله لا يعدو كونه اجتهاداً بشرياً يحتمل الصواب والخطأ ، ولقد أبرز البعض تاريخ الفرق الضالة ، وعمد إلى تضخيم أدوارها ، وتصويرها بصورة المصلح المظلوم ، وبأن المؤرخين المسلمين قد تحاملوا عليها ، فالقرامطة ، والإسماعيلية ، والرافضة الإمامية ، والفاطمية ، والزنج ، وإخوان الصفا ، والخوارج؛ كلهم في نظرهم واعتبارهم دعاة إصلاح وعدالة وحرية ومساواة ، وثورتهم كانت ثورات للإصلاح وإنكار الظلم والجور.

فهذا الشغب والإرجاف على التاريخ الإسلامي ومزاحمة سير رجاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة أمر لا يستغرب من قوم لا يدينون بالإسلام؛ فهم من واقع عقيدتهم يكيدون له بكل جهد مستطاع ، ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، ولا يتوقع من مطموس الإيمان وملل الكفر إلا مناصرة إخوانهم في الضلال . ولكن الأمر الذين قد يحدث استغراباً عند البعض: أن يحمل راية التشويه والتحريف بعد سقوط دولة الاستشراق كتاب يحملون أسماء إسلامية ، ومن أبناء المسلمين ، ويقومون بنشر مثل هذه السموم على بني جلدتهم؛ ليصرفوا بها الأغرار عن الصراط المستقيم ، ولقد عمد هؤلاء إلى التشبث بالروايات

المشبوهة والضعيفة والساقطة ، يلتقطونها من كتب الأدب وقصص السمر والحكايات الشعبية والكتب المنحولة

والضعيفة؛ فهذه الكتب هي مستنداتهم في الغالب ، مع ما يجدونه من الروايات المكذوبة في الطبري والمسعودي؛ مع أنهم يعلمون أنها لا تعتبر مراجع علمية يعتمد عليها.

لقد وقع الاعتداء على التاريخ الإسلامي . خاصة تاريخ الصدر الأول . بالتشويه: عن طريق اختيار مواقف مختارة ، والتركيز عليها ؛ كالمعارك والحروب ، مع تصويرها على غير حقيقتها حتى تزول عنها صفة الجهاد في سبيل الله ، أو التركيز على الأحداث والفتن الداخلية بقصد إظهار خلافات الصحابة رضي الله عنهم ، وعرضها وكأنها نموذج للصراعات والمكائد السياسية في وقتنا الحاضر. وبالتجهيل: وهو إهمال كل ما هو مدعاة للاقتداء والأسوة الحسنة. وبالتشكيك: وهو توجيه السهام إلى التاريخ ورجاله وإلى المؤرخين المسلمين أنفسهم ، والتشكيك في معلوماهم وصدقهم. وبالتجزئة: وهي محاولة تجزئة التاريخ الإسلامي إلى أوصال وأشتات وكأنها لا رابط بينها كالتوزيع الإقليمي والعرقي ونحوه.

فكل هذه الوسائل والحملات تسعى إلى تدمير تاريخنا الإسلامي ، ومحو معالمه النيرة ، وإبعاده عن مجال القدوة الحسنة والتربية الصحيحة؛ لذا ينبغي على المؤرخ المسلم معرفة هذه الوسائل والتنبه لها ، ومعرفة الذين تابعوا المستشرقين في آرائهم ومناهجهم ، وعدم التلقي منهم إلا بحذر شديد.

فإذا كان علماءنا رحمهم الله قد نقدوا كثيراً من الرواة وضَعَفُوا روايتهم بسبب أخذهم عن أهل الكتاب وروايتهم الإسرائيلية ؛ فإنه ينبغي لنا التوقف في قبول أقوال وتفسيرات من يتلقى من المستشرقين ، بل إسقاطها ، وعدم اعتبارها إلا بدليل وبرهان واضح [(١٠٥٦)].

* * *

الفصل السابع

موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة

المبحث الأول

الخوارج

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم:

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات ؛ منها ما بيّنه أبو الحسن الأشعري: أن اسم الخوارج يقع على تلك الطائفة الذين خرجوا على رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويبيّن أن خروجهم على علي هو العلة في تسميتهم بهذا الاسم ، حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب لما حكم [(١٠٥٧)].

وأما ابن حزم فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى إلى كل من أشبه أولئك نفر الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وشاركهم في معتقدهم ، فقد قال: ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبراء والقول بالخروج على أئمة الجور ، وأن أصحاب الكبراء مخلدون في النار ، وأن الإمامة جائزة في غير قريش؛ فهو خارجي ، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً [(١٠٥٨)].

وأما الشهرستاني: فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت الكلمة على إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان ، حيث قال في تعريفه

للخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً ، سواءً كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان [(١٠٥٩)].

وقال ابن حجر معرفاً لهم: والخوارج: الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقتلوه ، فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة [(١٠٦٠)]. وقال في تعريفٍ آخر: أما الخوارج فهم جمع خارجة ، أي: طائفة ، وهم قوم مبتدعون سموا بذلك لخروجهم على الدين وخروجهم على خيار المسلمين [(١٠٦١)].

وأما أبو الحسن الملقب: فيرى أن أول الخوارج المحكمة ، الذين ينادون: لا حكم إلا لله ، ويقولون: علي كفر ، يجعل الحكم إلى أبي موسى الأشعري ولا حكم إلا لله: فرقة الخوارج ، سميت خوارج لخروجهم على علي رضي الله عنه يوم الحكمين ، حين كرهوا التحكيم ، وقالوا: لا حكم إلا لله [(١٠٦٢)].

وأما الدكتور ناصر العقل فيقول: هم الذين يكفرون بالمعاصي ، ويخرجون على أئمة الجور [(١٠٦٣)]. فالخوارج هم أولئك نفر الذين خرجوا على علي رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم في موقعة صفين ، ولهم ألقاب أخرى عرفوا بها غير لقب الخوارج ، ومن تلك الألقاب: الحرورية [(١٠٦٤)] ، والشراة [(١٠٦٥)] ، والمارقة ، والمحكمة [(١٠٦٦)] ، وهم يرضون بهذه الألقاب كلها؛ إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية [(١٠٦٧)].

ومن أهل العلم من يرجع بداية نشأة الخوارج إلى زمن الرسول (ص) ، ويجعل أول الخوارج ذا الخويصرة الذي اعترض على الرسول (ص) في قسمة ذهب كان قد بعث به علي رضي الله عنه من اليمن في جلد مقروط ؛ فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه قال: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله (ص) من اليمن بذهبة في أديم مقرظ [(١٠٦٨)] ، لم تحصل من تراهما [(١٠٦٩)] ، قال: فقسمها بين أربعة نفر ، بين عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وزيد الخليل ، والرابع إما علقمة بن كلاب ، وإما عامر بن الطفيل ، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء ، قال: فبلغ ذلك النبي (ص) ، فقال: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً» ، قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة [(١٠٧٠)] ، كثر اللحية مخلوق الرأس مشمر الإزار ، فقال: يا رسول الله! اتق الله ، فقال: «ويلك! أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله» ، قال: ثم ولى الرجل ، فقال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه ، فقال: «لا ، لعله أن يكون يصلي» ، قال خالد: وكم من مصلٍ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، فقال رسول الله (ص): «إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس [(١٠٧١)]. ولا أشق بطونهم» ، قال: ثم نظر إليه وهو مقفٍ [(١٠٧٢)] ، فقال: «إنه يخرج من ضئضأى [(١٠٧٣)] هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» ، قال: أظنه قال: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود» [(١٠٧٤)].

قال ابن الجوزي عند هذا الحديث: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذو الخويصرة التميمي ، وفي لفظ: أنه قال له: اعدل ، فقال: «ويلك ومن لم يعدل إذا لم أعدل؟! [(١٠٧٥)] ، فهذا أول خارجي خرج في

الإسلام ، وافته أنه رضي برأي نفسه ، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله (ص) ، وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه [(١٠٧٦)].

ومن أشار بأن أول الخوارج ذو الخويصرة ، أبو محمد بن حزم [(١٠٧٧)] ، وكذا الشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) [(١٠٧٨)].

ومن العلماء من يرى بأن نشأة الخوارج بدأت بالخروج على عثمان رضي الله عنه بإحداثهم الفتنة التي أدت إلى قتله رضي الله عنه ظلماً وعدواناً ، وسميت تلك الفتنة التي أحدثوها بالفتنة الأولى [(١٠٧٩)] ، وقال شارح الطحاوية: فالخوارج والشيعية حدثوا في الفتنة الأولى [(١٠٨٠)] ، وقد أطلق ابن كثير على الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وقتلوه اسم الخوارج ، حيث قال في صدد ذكره لهم بعد قتلهم عثمان رضي الله عنه: وجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً [(١٠٨١)].
الرأي الراجح في بداية نشأة الخوارج:

وبالرغم من الارتباط القوي بين ذي الخويصرة والغوغاء الذين خرجوا على عثمان ، وبين الخوارج الذين خرجوا على علي بسبب التحكيم؛ فإن مصطلح الخوارج بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لا ينطبق إلا على الخارجين بسبب التحكيم ، بحكم كونهم جماعة في شكل طائفة لها اتجاهها السياسي واراؤها الخاصة ، أحدثت أثراً فكرياً وعقائدياً واضحاً ، بعكس ما سبقها من حالات [(١٠٨٢)].

ثانياً: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج:

وردت أحاديث كثيرة عن النبي (ص) في ذم الخوارج المارقة ، وصفوا فيها بأوصاف ذميمة شنيعة جعلتهم في أخبث المنازل.

فمن الأحاديث التي وردت الإشارة فيها إلى ذمهم: ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله (ص) وهو يقسم قسماً ، إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من تميم ، فقال: يا رسول الله اعدل ، فقال: «ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل؟! ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل» ، فقال عمر:

يا رسول الله! ائذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال: «دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم» [(١٠٨٣)] ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [(١٠٨٤)] ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه [(١٠٨٥)] ، فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نفسه ، وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ، وقد سبق الفرث والدم [(١٠٨٦)] ،

ايتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة [(١٠٨٧)] تدردر [(١٠٨٨)] ، ويخرجون على حين فرقة من الناس» ، قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله (ص) ، وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه ، فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظر إليه على نعت النبي (ص) الذي نعته [(١٠٨٩)] .

وروى الشيخان أيضاً من حديث أبي سلمة وعطاء بن يسار: أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحروب؛ هل سمعت النبي (ص) يقول: «يخرج في هذه الأمة - ولم يقل منها - قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم فيقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم - أو حناجرهم - ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة [(١٠٩٠)] ؛ هل علقتم بها من الدم شيء [(١٠٩١)] .

وروى البخاري من حديث يسير بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف: هل سمعت النبي (ص) يقول في الخوارج شيئاً؟ قال: سمعته يقول: وأهوى بيده قبل العراق: «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية» .

ففي هذه الأحاديث الثلاثة ذم واضح لفرقة الخوارج ، فقد وصفهم (ص) بأنهم طائفة مارقة ، وأنهم يشددون في الدين في غير موضع التشديد ، بل يمرقون منه بحيث يدخلون فيه ثم يخرجون منه سريعاً لم يتمسكوا منه بشيء ، كما اشتمل الحديث الأول في هذه

الثلاثة الأحاديث أنهم يقاتلون أهل الحق ، وأن أهل الحق يقتلونهم ، وأن فيهم رجلاً صفة يده كذا وكذا ، وكل هذا وقع وحصل كما أخبر به (ص) .

وفي قوله (ص): «لا يجاوز تراقيهم» احتمالات:

١ - يحتمل أنه لكون قلوبهم لا تفقه ، ويحملونه على غير المراد به .

٢ - يحتمل أن يكون المراد أن تلاوتهم لا ترتفع إلى الله [(١٠٩٢)] .

ومن صفاتهم الذميمة التي ذمهم بها الرسول (ص): أنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق به ، وأنهم أصحاب عقول رديئة وضعيفة ، وأنهم عندما يقرؤون القرآن يظنون لشدة ما بلغوا إليه من سوء الفهم أنه لهم؛ وهو عليهم .

فقد روى البخاري رحمه الله من حديث علي رضي الله عنه: أنه قال: إذا حدثتكم عن رسول الله (ص) حديثاً ؛ فوالله لأن أخّر من السماء أحب إليّ من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم

فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله (ص) يقول: «سيخرج قوم في اخر الزمان [(١٠٩٣)]؛ أحداث الأسنان [(١٠٩٤)] ، سفهاء الأحلام [(١٠٩٥)] يقولون من خير قول البرية [(١٠٩٦)] ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» [(١٠٩٧)].

وفي هذين الحديثين ذم للخوارج بأنهم ليس لهم من الإيمان إلا مجرد النطق ، فقد دلّ الحديث الأول على أنهم يؤمنون بالنطق لا بالقلب [(١٠٩٨)] ، وأما هذا الحديث الذي هو حديث زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه فقد أطلق الإيمان فيه على الصلاة ، وكلا الحديثين دلاً على أن إيمانهم محصور في نطقهم وأنه لا يتجاوز حناجرهم ،

ولا تراقبهم ، وهذا من أبشع الذم وأقبحه لمن وصف به [(١٠٩٩)].

ومن الصفات القبيحة التي ذمهم بها عليه الصلاة والسلام: أنهم يمرقون من الدين ولا يوفقون للعودة إليه ، وأنهم شر الخلق والخليقة:

فقد روى مسلم رحمه الله من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله (ص): «إن بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي - قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة» [(١١٠٠)].

وروي من حديث أبي سعيد: أن النبي (ص) ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالف قال: «هم شر الخلق - أو من شر الخلق - ، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق».

ومن صفاتهم التي ذمّ بها الخوارج على لسان رسول الله (ص) أنهم من أبغض الخلق إلى الله:

فقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله (ص): أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله ، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل [(١١٠١)] ، إن رسول الله (ص) وصف ناساً إني لأعرف صفتهم ، وهؤلاء يقولون الحق

بألسنتهم لا يجاوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليهم؛ منهم أسود إحدى يديه طبي شاة [(١١٠٢)]، أو حلمة ثدي ، فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: انظروا؛ فلم يبدو شيئاً ، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت مرتين أو ثلاثاً ، ثم وجدوه في خربة ، فأتوا به

حتى وضعوه بين يديه ، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي فيهم [(١١٠٣)].

ومن صفاتهم القبيحة التي كانت ذمّاً لهم على لسان رسول الله (ص) أنهم حرموا من معرفة الحق والاهتداء إليه [(١١٠٤)]، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث يُسَيْر بن عمرو عن

سهل بن حنيف عن النبي (ص) قال: يتيه قوم قبل المشرق محلقة رؤوسهم [(١١٠٥)] ، قال النووي: قوله (ص): يتيه قوم قبل المشرق ، أي: يذهبون عن الصواب ، وعن طريق الحق ، يقال: تاه إذا ذهب ولم يهتد لطريق الحق والله أعلم [(١١٠٦)].

ومن الصفات المذمومة التي تلبسوا بها ، وأخبر النبي (ص) أنها واقعة فيهم: أنهم يتدينون بقتل أهل الإسلام ، وترك عبدة الأوثان والصلبان [(١١٠٧)]:

فقد روى الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله (ص) ، قسمها رسول الله (ص) بين أربعة نفر... فجاء رجل كثر اللحية مشرف الوجنتين [(١١٠٨)] ، ناتأى الجبين [(١١٠٩)] ، مخلوق الرأس ، فقال: اتق الله يا محمد ، فقال رسول الله (ص): «فمن يطع الله إن عصيته؟! ، أيأمني على أهل الأرض ولا تأمنوني؟!» قال: ثم أدبر الرجل ، فاستأذن رجل من القوم في قتله؛ يرون أنه خالد بن الوليد ، فقال رسول الله (ص): «إن من ضئضأى هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» [(١١١٠)]. وفي هذا معجزة باهرة للرسول (ص) ؛ حيث وقع منهم ما أخبر به (ص) ، فإنهم كانوا يسلون سيوفهم على أهل الإسلام بالقتل ، وكانوا يغمدونها عن الكفار من اليهود والنصارى [(١١١١)] ، كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى.

ومن الصفات القبيحة التي كانت ذمماً وعاراً مشيناً للخوارج: أن الرسول (ص) حَرَّضَ على قتلهم إن هم ظهروا ، وأخبر عليه الصلاة والسلام: أنه لو أدركهم لأبادهم بالقتل إبادة عاد وثمود ، وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن من قتلهم له أجر عند الله تعالى يوم القيامة.

وقد شرف الله رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب بمقاتلتهم؛ وقتلهم؛ إذ إن ظهورهم كان في زمنه رضي الله عنه وأرضاه ، على وفق ما وصفهم به رسول الله (ص) من العلامات الموجودة فيهم ، فقد خرج رضي الله عنه إلى الخوارج بالجيش الذي كان هياًه للخروج إلى الشام ، فأوقع بهم بالنهروان ، ولم ينبج منهم إلا دون العشرة ، كما سيأتي بيانه.

ولم يقاتلهم رضي الله عنه حتى سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على أموال المسلمين فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم ، ولما أظهروه من الشر من أعمالهم وأقوالهم.

وحسبنا هنا من الأحاديث الواردة في ذم الخوارج ما تقدم ذكره ، إذ الأحاديث الواردة في ذمهم كثيرة قلما يخلو منها كتاب من كتب السنة المطهرة [(١١١٢)]. وسيأتي الحديث في الصفات القادمة بإذن الله تعالى عن بداية انحيازهم إلى حروراء ، ومناظرة ابن عباس لهم ، وحرص أمير المؤمنين علي عليه السلام تبصيرهم وهدايتهم ، وعن أسباب معركة النهروان والنتائج التي ترتبت عليها ، وعن أحوال الخوارج ، ومناقشة تلك الأصول ، وهل الفكر الخارجي لا زالت أفكاره موجودة بين الناس؟ وما أسباب ذلك؟ وكيفية معالجتها؟

ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم:

انفصل الخوارج في جماعة كبيرة من جيش علي رضي الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة ، قدر عددها في رواية: ببضعة عشر ألفاً ، وحدد في رواية: باثني عشر ألفاً [(١١١٣)] ، وفي رواية: بثمانية الاف [(١١١٤)] ، وفي رواية: بأتم أربعة عشر ألفاً [(١١١٥)] ، كما ذكر: أنهم عشرون ألفاً [(١١١٦)] ، وهذه الرواية التي تذكر أنهم عشرون ألفاً ، قد جاءت بدون إسناد [(١١١٧)].

وقد انفصل هؤلاء عن الجيش قبل أن يصلوا إلى الكوفة بمراحل ، وقد أقلق هذا التفرق أصحاب علي وهالهم ، وسار علي بمن بقي من جيشه على طاعته حتى دخل الكوفة ، وانشغل أمير المؤمنين بأمر الخوارج خصوصاً بعدما بلغه تنظيم بجماعتهم من تعيين أمير

للصلاة واخر للقتال ، وأن البيعة لله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مما يعني انفصالهم فعلياً عن جماعة المسلمين ، وكان أمير المؤمنين علي حريصاً على إرجاعهم بجماعة المسلمين ، فأرسل ابن عباس إليهم لمناظرتهم ، وهذا ابن عباس يروي لنا الحادثة ، فيقول:

.. فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن ، وترجّلت ، ودخلت عليهم في دار نصف النهار ، وكان ابن عباس رجلاً جميلاً جهيراً ، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس ، ما هذه الحلة؟ قال: ما تعيينون علي؟ لقد رأيت علي رسول الله (ص) أحسن ما يكون من الحلل ، ونزلت: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف: ٣٢] ، قالوا: فما جاء بك؟ قال: قد أتيتكم من عند صحابة النبي من المهاجرين والأنصار ، من عند ابن عم النبي (ص) وصهره وعليهم نزل القرآن ، فهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم ومنهم أحد لأبلغكم ما يقولون ، وأبلغهم ما تقولون ، فانتحى لي نفر منهم ، قلت: هاتوا ما نعمتم علي أصحاب رسول الله (ص) وابن عمه ، قالوا: ثلاث ، قلت: ما هن؟ قالوا: أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله ، وقال الله: {إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ} ، ما شأن

الرجال والحكم؟ قلت: هذه واحدة فما الثانية؟ ، قالوا: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فإن كانوا كفاراً لقد حل سبيهم ، ولئن كانوا مؤمنين ما حل سبيهم ولا قتلهم. قلت: هذه اثنتان فما الثالثة؟ قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين ، قلت: هل عندكم شيء غير هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قلت لهم: رأيتمكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه (ص) ما يرد قولكم أترجعون؟ قالوا: نعم ، قلت: أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله ، فإني أقرأ عليكم من كتاب الله أن قد صير الله حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم ، فأمر الله تبارك وتعالى أن يحكموا فيه ، رأيتم قول الله تبارك وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَدِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ } [المائدة: ٩٥] ، وكان من حكم الرجال ، أنشدكم بالله أحكم الرجال في صلاح ذات البين ، وحقن دمائهم أفضل أو في أرنب؟ قالوا: بلى ، بل هذا أفضل ، وفي المرأة وزوجها: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا } [النساء: ٣٥] ، فنشدتكم بالله حكم الرجال في صلاح ذات بينهم وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في بضع امرأة ، خرجت من هذه ؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما قولكم: قاتل ولم يسب ، ولم يغنم ، أفتسبون أمكم عائشة ، تستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أمكم؟ فإن قلت: إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها؛ فقد كفرتم ، وإن قلت: ليست بأما؛ فقد كفرتم: { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } [الأحزاب: ٦] فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج ، أخرجت من هذه ؟ قالوا: نعم.

قلت: وأما محا نفسه من أمير المؤمنين ، فأنا اتاكم بما ترضون ، إن نبي الله (ص) يوم الحديبية صالح المشركين ، فقال لعلي: «اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله»، قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك ، فقال رسول الله (ص): «امح يا علي ، اللهم إنك تعلم أني رسول الله ، امح يا علي واكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله»، والله لرسول الله (ص) خير من علي ، وقد محا نفسه ، ولم يكن محوه نفسه ذلك محاه من النبوة؛ أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم ، فقاتلوا على ضلالتهم من قاتلهم من المهاجرين والأنصار [١١١٨].

ويمكننا أن نستخرج من مناظرة ابن عباس للخوارج مجموعة من الدروس والعبر والحكم منها:

١ . حسن الاختيار لمن سوف يقوم بالمناظرة مع الخصم ، فقد اختار أمير المؤمنين علي ابن عمه عبد الله بن عباس ، وهو حبر الأمة وترجمان القرآن ؛ لأن القوم كانوا يعرفون بالقرآن ويعتمدون في الاستدلال على معتقدتهم بالقران ، لذا كان أولى الناس بمناظرتهم هو أدرى الناس بالقران وبتأويله ، ويمكن القول بأن ابن عباس رضي الله عنه هو صاحب الاختصاص في هذه المناظرة ، لما يتحلى به من إخلاص النية لله ، واجتناب الهوى ، والتحلي بالحلم والصبر ، والترث والتفوق بالخصم ، وحسن الاستماع لكلام الخصوم ، وتجنب المماراة ، ووضوح الحجة وقوة الدليل.

٢ . الابتداء مع الخصم من نقاط الاتفاق ، فقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وخصومه من الخوارج متفقين على الأخذ من كتاب الله وسنة نبيه محمد (ص) ، وكذلك كان عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ حيث قال لهم: أرايتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه (ص) ما يرد قولكم؛ أترضون ؟ ومع هذا فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يستوثق منهم قبل بداية المناظرة.

٣ . معرفة ما عند الخصم من الحجج واستقصاؤها ، والاستعداد لها قبل بداية المناظرة ، ونتوقع أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علم بحججهم قبل مناظرتهم ، وقرر لأصحابه كيفية الرد عليها.

٤ . تنفيذ مزاعم الخصم واحدة تلو الأخرى ، حتى لا يبقى لهم حجة كما يتضح من كلام ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته لهم كلما فرغ من تنفيذ حجة قال: أخرجت من هذه؟.

٥ . التقديم للمناظرة بما يخدم نتيجتها لصالح الحق ، فإن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال في بداية الأمر وقبل المناظرة: أتيتكم من عند أصحاب النبي (ص) وصهره ، وعليهم نزل القرآن ، وهم أعلم بتأويله منكم ، وليس فيكم أحد منهم [(١١١٩)].

٦ . إظهار احترام رأي الخصم أثناء المناظرة ، ليكون أدعى لسماح كل ما عنده ، وأن يحمله على احترام رأيه ، وهذا ما ظهر من مناظرة ابن عباس للخوارج [(١١٢٠)].

٧ . وقد وفق الله عز وجل الالاف من هؤلاء ، إذ بلغ عدد من شهد معركة النهروان منهم أقل من أربعة الالف . كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى . ، وذلك عندما عرفوا الحق ، وزالت عنهم الشبهة بفضل الله ثم بفضل ما أوتيته ابن عباس من علم وقوة وحجة وبيان ، إذ وضع لهم بطلان ما احتجوا به ، بتفسير الايات التي تأولوها التفسير الصحيح ، وبالسنن النبوية المشرفة والتي توضح معاني القرآن الكريم [(١١٢١)].

٨ . قول ابن عباس: وليس فيكم منهم أحد [١١٢٢] ، هذا نص صريح من ابن عباس في كون الخوارج لا يوجد فيهم أحد من أصحاب الرسول (ص) ، ولم يعترض عليه أحد من الخوارج ، والرواية صحيحة وثابتة ، كما أنه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة . على حد علمي . قال بأن الخوارج كان فيهم بعض أصحاب رسول الله (ص)، وأما الزعم بأن الخوارج كان فيهم بعض الصحابة؛ فذلك عند المذهب الخارجي ، وليس لهم دليل علمي موثوق على قولهم .
٩ . تحديد المرجعية:

في قول ابن عباس: رأيتمكم إن قرأت عليكم من كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه (ص) ما يرد قولكم؛ أترجعوه؟ قالوا: نعم.

ففي كلام ابن عباس هذا درس مهمّ ألا وهو تحديد المرجعية للمتناظرين حتى يمكن الوصول إلى نتيجة صحيحة من خلال المناظرة.

رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمناظرة بقية الخوارج ، وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ، ثم خروجهم من جديد:

بعد مناظرة ابن عباس للخوارج واستجابة ألفين منهم لهم ، خرج أمير المؤمنين علي بن نفسه إليهم ، فكلّمهم فرجعوا ودخلوا الكوفة ، إلا أن هذا الوفاق لم يستمر طويلاً ، بسبب أن الخوارج فهموا من علي رضي الله عنه أنه رجع عن التحكيم وتاب من خطيئته . حسب زعمهم . ، وصاروا يذيعون هذا الزعم بين الناس ، فجاء الأشعث بن القيس الكندي إلى أمير المؤمنين ، وقال له: إن الناس يتحدثون أنك رجعت لهم عن الكفر ، فخطب علي رضي الله عنه يوم الجمعة ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه ذكرهم ومباينتهم الناس ، وأمرهم الذي فارقه فيه [١١٢٣] ، وفي رواية: جاء رجل فقال: لا حكم إلا لله ، ثم قام آخر فقال: لا حكم إلا لله ، ثم قاموا نواحي المسجد يحكمون الله ، فأشار عليهم بيده: اجلسوا ، نعم لا حكم إلا لله ، كلمة حق يتغى بها باطل ، حكم الله أنتظر فيكم [١١٢٤] ، وأخذ يسكنهم بالإشارة وهو على المنبر ، فقام رجل منهم واضعاً إصبعه في أذنيه ويقول: {لَيْسَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ*} [الزمر: ٦٥] ، فرد أمير المؤمنين علي بقوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْفِقُونَ*} [الروم: ٦٠].

وأعلن أمير المؤمنين علي سياسته الراشدة العادلة تجاه هذه الجماعة المتطرفة ، فقال لهم: إن لكم عندنا ثلاثاً:

١ . لا نمنعكم صلاة في هذا المسجد .

٢ . ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفياء ما كانت أيديكم مع أيدينا .

٣ . ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا [(١١٢٥)] .

فقد سلم لهم أمير المؤمنين علي بهذه الحقوق ما داموا لم يقاتلوا الخليفة ، أو يخرجوا على جماعة المسلمين ، مع احتفاظهم بتصوراتهم الخاصة في إطار العقيدة الإسلامية ، فهو لا يخرجهم بدايةً من الإسلام ، وإنما يسلم لهم بحق الاختلاف دون أن يؤدي إلى الفرقة وحمل السلاح [(١١٢٦)] .

ولم يزع أمير المؤمنين بالخوارج بالسجون أو يسلب عليهم الجوايسيس ، ولم يحجر على حرياتهم ، ولكنه رضي الله عنه حرص على إيضاح الحجة وإظهار الحق لهم ولغيرهم ممن قد ينخدع بارائهم ومظهرهم ، فقد أمر مؤذنه بأن يدخل عليه القراء ولا يدخل أحد إلا قد حفظ القرآن ، فامتلاً الدار من قراء الناس ، فدعا بمصحف إمام عظيم ، فطفق يصكه بيديه ويقول: أيها المصحف حدث الناس ، فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين ما تسأله عنه ، إنما هو مداد في ورق ، ونحن نتكلم بما روينا منه ؛ فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله؛ يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا } [النساء: ٣٥] ، فأمة محمد أعظم دماً وحرمة من امرأة ورجل ، ونقموا علي أن كاتبت معاوية ، كتبت علي بن أبي طالب ، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله (ص) بالحديبية حين صالح قومه قريشاً ، فكتب رسول الله (ص): «بسم الله الرحمن الرحيم» ، فقال سهيل: لا أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، قال: «كيف تكتب»؟ قال: اكتب: باسمك اللهم ، فقال رسول الله (ص): «اكتب» فكتب ، فقال: «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله (ص)» ، فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك ، فكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله قريشاً ، يقول الله تعالى في كتابه: [(١١٢٧)] { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ } [الأحزاب: ٢١] .

ولما أيقن الخوارج أن أمير المؤمنين عازم على إنفاذ أبي موسى الأشعري حكماً ، طلبوا منه الامتناع عن ذلك ، فأبى علي عليهم ذلك ، وبيّن لهم أن هذا يعد غدراً ونقضاً للأيمان والعهود ، وقد كتبنا بيننا

وبين القوم عهداً ، وقد قال الله تعالى: { وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا } [النحل: ٩١].

فقرر الخوارج الانفصال عن أمير المؤمنين علي وتعيين أمير عليهم ، فاجتمعوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي ، فخطبهم خطبةً بليغة زهدهم في الدنيا ، ورغبهم في الآخرة والجنة ، وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم قال: فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى جانب هذا السواد ، إلى بعض كور الجبال أو بعض هذه المدائن ، منكرين لهذه الأحكام الجائرة.

ثم قام حرقوص بن زهير ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه: إن المتاع بهذه الدنيا قليل ، وإن الفراق لها وشيك ، فلا تدعونكم زينتها أو بهجتها إلى المقام بها ، ولا تلتفت بكم عن طلب الحق وإنكار الظلم { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ * } [النحل: ١٢٨].

فقال حمزة بن سنان الأسدي: يا قوم إن الرأي ما رأيتم ، وإن الحق ما ذكرتم ، فولوا أمركم رجلاً منكم ، فإنه لا بد لكم من عماد وسنان ، ومن راية تحقون بها ، وترجعون إليها ، فبعثوا إلى زيد بن حصن الطائي . وكان من رؤوسهم . فعرضوا عليه الإمارة فأبى ، ثم عرضوها على حرقوص بن زهير فأبى ، وعرضوها على حمزة بن سنان فأبى ، وعرضوها على شريح بن أبي أوفى العبسي فأبى ، وعرضوها على عبد الله بن وهب الراسبي فقبلها ، وقال: أما والله لا أقبلها رغبةً في الدنيا ، ولا أدعها فرقاً من الموت [١١٢٨].

واجتمعوا أيضاً في بيت زيد بن حصن الطائي السنسي ، فخطبهم وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتلا عليهم آيات من القرآن منها قوله تعالى: { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } [ص: ٢٦] ، وقوله تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ * } [المائدة: ٤٤ - ٤٧] ، ثم قال: فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا ، أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب ، وجاروا في القول والأعمال ، وأن جهادهم حق على المؤمنين ، فبكى رجل منهم يقال له: عبد الله بن شجرة السلمي ، ثم حرض أولئك على الخروج على الناس وقال في كلامه: اضربوا

وجوههم وجباههم بالسيوف حتى يطاع الرحمن الرحيم ، فإن أنتم ظفرتم وأطيع الله كما أردتم أثابكم ثواب المطيعين له العاملين بأمره ، وإن فشلتُم فأي شيء أفضل من المصير إلى رضوان الله وجنته [(١١٢٩)] .

قال ابن كثير بعد أن ذكر ما أملاه الشيطان لهم مما تقدم ذكره: وهذا ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ، فسبحان من نوع خلقه كما أراد ، وسبق في قدره العظيم ، وما أحسن ما قال بعض السلف في الخوارج: إنهم المذكورون في قوله تعالى: { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا * } [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥] .

والمقصود: أن هؤلاء الجهلة الضلال ، والأشقياء في الأقوال والأفعال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ، وتواطؤوا على المسير إلى المدائن ليملكوها على الناس ويتحصنوا بها ، ويبعثوا إلى إخوانهم وأضرابهم ممن هم على رأيهم ومذهبهم من أهل البصرة وغيرها فيوافوهم إليها ، ويكون اجتماعهم عليها ، فقال لهم زيد بن حصن الطائي: إن المدائن لا تقدر على غيرها ، فإن بها جيشاً لا تطيقونه وسيمنعونها منكم ، ولكن واعدوا إخوانكم إلى جسر نهر جوحى ، ولا تخرجوا من الكوفة جماعات ، ولكن اخرجوا وحداناً لئلا يفتن بكم ، فكتبوا كتاباً عاماً إلا من هو على مذهبهم ومسلكتهم من أهل البصرة وغيرها ، وبعثوا به إليهم ليوافوهم إلى النهر ليكونوا يداً واحدة على الناس ، ثم خرجوا يتسللون وحداناً لئلا يعلم أحد بهم فيمنعهم من الخروج ، فخرجوا من بين الالباء والأمهات ، والأحوال والخالات ، وفارقوا سائر القرابات ، يعتقدون بجهلهم وقلة علمهم وعقلهم أن هذا الأمر يرضي رب الأرض والسماوات ، ولم يعلموا أنه من أكبر الكبائر الموبقات والعظام والخطيئات ، وأنه مما زينه لهم إبليس الشيطان الرجيم المطرود عن السماوات الذي نصب العداوة لأبينا آدم ، ثم لذريته ما دامت أرواحهم في أجسادهم مترددات .

وقد تدارك جماعة من الناس بعض أولادهم وإخوانهم ، فردوهم وأبؤهم ووبخوهم ، فمنهم من استمر على الاستقامة ، ومنهم من فر بعد ذلك فلحق بالخوارج فخرس إلى يوم القيامة ، وذهب الباكون إلى ذلك الموضوع ، ووافى إليهم من كانوا يكتبون إليه من أهل

البصرة وغيرها ، واجتمع الجميع بالنهروان وصارت لهم شوكة ومنعة [(١١٣٠)] .

ولما تفرق الحكمان على غير رضا ، كتب أمير المؤمنين علي إلى الخوارج وهم مجتمعون بالنهروان: أن الحكمين تفرقا على غير رضا ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه وسيروا بنا إلى قتال أهل الشام ، فأبوا ذلك ، وقالوا: حتى تشهد على نفسك بالكفر وتتوب ، فأبى [(١١٣١)]. وفي رواية: كتبوا إليه: أما بعد: فإنك لم تغضب لربك ، إنما غضبت لنفسك ، فإن شهدت على نفسك بالكفر ، واستقبلت التوبة ، نظرنا فيما بيننا وبينك ، وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين. فلما قرأ كتابهم أيس منهم ، فرأى أن يدعهم ويمضي بالناس إلى أهل الشام حتى يلقاهم فيناجزهم [(١١٣٢)]. إن قضية إعلان الخوارج كفر علي وطلبهم منه التوبة، لا تثبت بهذه الروايات، ولكنها تتفق مع رأي الخوارج في تكفير علي وعثمان وامتحان الناس بذلك [(١١٣٣)].

خامساً: معركة النهروان ٣٨ هـ:

١ - سبب المعركة:

كانت الشروط التي أخذها أمير المؤمنين علي الخوارج أن لا يسفكوا دماً ولا يروعوا امناً ، ولا يقطعوا سبيلاً ، وإذا ارتكبوا هذه المخالفات فقد نبذ إليهم الحرب ، ونظراً لأن الخوارج يكفرون من خالفهم ويستبيحون دمه وماله ، فقد بدؤوا بسفك الدماء المحرمة في الإسلام ، وقد تعددت الروايات في ارتكابهم المحظورات.

ومما صحَّ من هذه الروايات ما حدث به شاهد عيان كان من الخوارج ، ثم تركهم؛ حيث قال: صحبت أصحاب النهر ، ثم كرهت أمرهم ، فكتمته خشية أن يقتلوني ، فبينما أنا مع طائفة منهم ، إذ أتينا على قرية وبيننا وبين القرية نهر ، إذ خرج رجل من القرية مدعوراً يجر رداءه ، فقالوا له: كأننا روعناك؟ قال: أجل ، قالوا: لا روع لك ، فقلت: والله يعرفوه ولم أعرفه ، فقالوا: أنت ابن خباب صاحب رسول الله (ص)؟ قال: نعم ، قالوا: عندك حديث تحدثناه عن أبيك عن النبي (ص)؟ قال: سمعته يقول: إنه سمع النبي (ص) ذكر فتنة فقال: «القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول» ، فأخذوه وسرية له معهم ، فمر بعضهم على ثمة ساقطة من نخلة ، فأخذها فألقاها في فيه ، فقال بعضهم: ثمة معاهد فبم استحلتها؟ فألقاها من فيه ، ثم مروا على خنزير فنفحه بعضهم بسيفه فقال بعضهم: خنزير معاهد فبم استحلتته؟ فقال عبد الله بن خباب: ألا أدلكم على ما هو أعظم عليكم حرمة من هذا؟ قالوا: نعم ، قال: أنا ، ولكنهم قدموه إلى النهر فضربوا عنقه. يقول الراوي: فرأيت دمه يسيل على الماء ، كأنه شراك ماء اندفر بالماء

حتى توارى عنهم [(١١٣٤)] ، ثم دعوا بالسرية وهي حبلى ، فبقروا عما في بطنها. يقول الراوي: لم أصاحب قوماً هم أبغض إليّ صحبة منهم ، حتى وجدت خلوة فانفلت [(١١٣٥)].

أثار هذا العمل الرعب بين الناس ، وأظهر مدى إرهابهم ببقر بطن هذه المرأة وذبحهم عبد الله كما تذبح الشاة ، ولم يكتفوا بهذا بل صاروا يهددون الناس قتلاً ، حتى إن بعضهم استنكر عليهم هذا العمل قائلين: ويلكم! ما على هذا فارقتنا علياً [(١١٣٦)].

بالرغم من فظاعة ما ارتكبه الخوارج من منكرات بشعة ، لم يبادر أمير المؤمنين علي إلى قتالهم ، بل أرسل إليهم أن يسلموا القنلة لإقامة الحد عليهم ، فأجابوه بعناد واستكبار: كلنا قتلة [(١١٣٧)] ، فسار إليهم بجيشه الذي قد أعده لقتال أهل الشام في شهر محرم من عام ٣٨هـ [(١١٣٨)] ، وعسكر على الضفة الغربية لنهر النهروان ، والخوارج على الضفة الشرقية بجذاء مدينة النهروان [(١١٣٩)].

٢ - تحريض أمير المؤمنين علي جيشه على القتال:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك أن هؤلاء القوم هم الخوارج الذين عناهم رسول الله (ص) بالمرقوق من الدين ، لذلك أخذ يبحث أصحابه أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم ، وكان لأحاديث رسول الله (ص) في الخوارج أثرها لدى الصحابة وأتباع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، فقد كان رضي الله عنه يبحث جيشه على البدء

بهؤلاء الخوارج ، فقال: أيها الناس إني سمعت رسول الله (ص) يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ، ليس قراءتكم إلى قراءتكم بشيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتكم بشيء ، ولا صيامكم إلى صيامكم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتكم تراقبهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم (ص) لا تكلموا عن العمل ، واية ذلك أن فيهم رجلاً له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعيرات بيض» فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام ، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذرايكم وأموالكم ، والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا في سرح الناس ، فسيروا على اسم الله [(١١٤٠)].

وقال رضي الله عنه في يوم النهروان: أمرت بقتال المارقين ، وهؤلاء المارقون [(١١٤١)].

وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان ، وأمر جيشه أن لا يبدؤوا بالقتال حتى يجتاز الخوارج النهر غرباً ، وأرسل علي رضي الله عنه رسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا ، وأرسل

إليهم البراء بن عازب رضي الله عنه يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا [(١١٤٢)] ، ولم تنزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسله ، واجتازوا النهر [(١١٤٣)] ، وعندما بلغ الخوارج هذا الحد وقطعوا الأمل في كل محاولات الصلح وحفظ الدماء ، ورفضوا عناداً واستكباراً العودة إلى الحق وأصرروا على القتال ، قام أمير المؤمنين بترتيب الجيش ، وتهيئته للقتال [(١١٤٤)] ، فجعل على ميمنته حجر بن علي ، وعلى الميسرة شيب بن ربعي ، ومعقل بن قيس الرياحي ، وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري ، وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري ، وعلى أهل المدينة وكانوا في سبعمئة قيس بن سعد بن عبادة ، وأمر علي أبا أيوب الأنصاري أن يرفع راية أمان للخوارج ويقول لهم: من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة والمدائن فهو آمن ، إنه لا حجة لنا فيكم إلا فيمن قتل إخواننا ، فانصرف منهم طوائف كثيرون ، وكانوا أربعة الاف ، فلم يبق منهم إلا ألف أو

أقل مع عبد الله بن وهب الراسبي ، فرجعوا على علي وكان على ميمنتهم زيد بن حصن الطائي السنبسي ، وعلى الميسرة شريح بن أوفى ، وعلى خيالتهم حمزة بن سنان ، وعلى الرجالة حرقوص بن زهير السعدي ، فوقفوا مقاتلين لعلي وأصحابه [(١١٤٥)].

٣ . نشوب القتال:

وزحف الخوارج إلى علي ، وقدم علي بين يديه الخيل ، وقدم منهم الرماة وصفَّ الرجالة وراء الخيالة ، وقال لأصحابه: كفوا عنهم حتى يبدؤوكم ، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله ، الروح الروح إلى الجنة ، فحملوا على الخيالة الذين قدمهم علي ، ففرقوهم حتى أخذت طائفة من الخيالة إلى الميمنة ، وأخرى إلى الميسرة ، فاستقبلتهم الرماة بالنبل ، فرموا وجوههم ، وعطفت عليهم الخيالة من الميمنة والميسرة ، ونهض إليهم الرجال بالرمح والسيوف ، فأناموا الخوارج ، فصاروا صرعى تحت سنابك الخيول ، وقتل أمراؤهم: عبد الله بن وهب ، وحرقوص بن زهير ، وشريح بن أوفى ، وعبد الله بن سخيرة السلمي [(١١٤٦)] ، وقال أبو أيوب: وطعنت رجلاً من الخوارج بالرمح ، فأنفذته من ظهره وقتلت له: أبشر يا عدو الله بالنار ، فقال: ستعلم أينا أولى بها صلياً [(١١٤٧)].

وقد اعتزل كثير من الخوارج القتال لكلمة سمعوها من عبد الله بن وهب الراسبي ، كانت تدل عندهم على ضعف الاستبصار والوهن في اليقين ، وهذه الكلمة قالها عندما ضرب علي رضي الله عنه رجلاً من الخوارج بسيفه ، فقال الخارجي: حبذا الروحة إلى الجنة ، فقال عبد الله بن وهب: ما أدري إلى الجنة أم إلى النار [(١١٤٨)] ، فقال رجل من بني سعد وهو فروة بن نوفل الأشجعي: إنما حضرت اغتراراً

بهذا وأراه قد شك؟ فانعزل بجماعة من أصحابه ، ومال ألف إلى أبي أيوب الأنصاري ، وجعل الناس يتسللون [(١١٤٩)].

وقد كانت معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر من عام ثمان وثلاثين للهجرة ٣٨/٢/٩ هـ [(١١٥٠)].

وأُسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عدد كبير من القتلى في صفوف الخوارج ، وكان الحال على عكس ذلك تماماً في جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، فقتلى أصحاب علي فيما رواه مسلم في صحيحه ، وعن زيد بن وهب: رجلا فقط [(١١٥١)] ، وفي رواية بسند حسن قال: وقتل من أصحاب علي اثنا عشر أو ثلاثة عشر [(١١٥٢)] ، وجاء في رواية صحيحة: أن أبا مجلز [(١١٥٣)] قال: ولم يقتل من المسلمين . يقصد جيش علي . إلا تسعة رهط، فإن شئت فاذهب إلى أبي برزة [(١١٥٤)] ، فاسأله فإنه قد شهد ذلك [(١١٥٥)].

وأما قتلى الخوارج ، فتذكر الروايات أنهم أصيبوا جميعاً [(١١٥٦)] ، ويذكر المسعودي أن عدداً يسيراً لا يتجاوز العشرة فروا بعد الهزيمة الساحقة [(١١٥٧)].

٤ . ذو الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه:

ظهرت روايات مختلفة في تحديد شخصية ذي الثدية ، وهذه الروايات منها ما هو ضعيف الإسناد ومنها ما هو قوي ، وقد جاء في الأحاديث النبوية أوصاف ذو الثدية ، فمن ذلك: أنه أسود البشرة [(١١٥٨)] ، وفي رواية: حبشي ، وأنه مخدج اليد ، أي: ناقص اليد ، ويده صغيرة مجتمعة ، فهي من المنكب إلى العضد فقط ، أي: بدون ذراع ، وفي نهاية عضده مثل حلمة الثدي وعليها شعيرات بيض ، وعضده ليست ثابتة ، كأنها بلا عظم؛ إذ إنها «تدردر» أي: تتحرك تذهب وتجيء ، أما مخدج اليد ، أو مودون اليد أو مثدون اليد ، فكلها بمعنى واحد؛ وهو ناقص اليد [(١١٥٩)].

وأما اسمه فقد أخطأ من قال: إن ذا الثدية هو حرقوص بن زهير السعدي [(١١٦٠)] ، فحرقوص رجل

مشهور كان له دور في الفتوح الإسلامية ، ثم خرج على عثمان رضي الله

عنه ، وقد فرّ إثر معركة الجمل الصغرى التي قتل فيها الزبير وطلحة رضي الله عنهما قتلة عثمان بالبصرة ، وقد صار حرقوص من زعماء الخوارج المميزين [(١١٦١)].

إلا أنه قد ورد في رواية: أن اسمه «حرقوس»؛ أما أبوه فلا يعرفه أحد ، وجاء في رواية أن اسمه مالك ، وذلك أنهم بحثوا عنه فلما وجدوه قال علي: الله أكبر ، لا يأتيكم أحد يخبركم من أبوه؟ فجعل الناس يقولون: هذا مالك هذا مالك ، فقال علي: ابن من [(١١٦٢)]؟ فلم يعرف أحد أبوه.

وقد ورد في رواية صححها الطبري: أن اسمه نافع ذو الثدية كما قد جاء عند ابن أبي شيبه وأبي داود ، إلا أن طريقيهما واحد ، فبعدهما جاء في المصادر الثلاثة رواية واحدة ذات طريق واحد [(١١٦٣)] ، كان علي رضي الله عنه يتحدث عن الخوارج منذ ابتداء بدعتهم ، وكثيراً ما كان يتعرض إلى ذكر ذي الثدية ، وأنه علامة هؤلاء ، ويسرد أوصافه.

وبعد نهاية المعركة الحاسمة أمر علي رضي الله عنه أصحابه بالبحث عن جثة المخدج ، لأن وجودها من الأدلة على أن علياً رضي الله عنه على حق وصواب ، وبعد مدة من البحث مرت علي وعلي وأصحابه وجد أمير المؤمنين عليّ جماعة مكومة بعضها على بعض عند شفير النهر فقال: أخرجوهم ، فإذا المخدج تحتهم جميعاً مما يلي الأرض ، فكبر علي ثم قال: صدق الله ، وبلغ رسوله ، وسجد سجود الشكر ، وكبر الناس حين رأوه واستبشروا [(١١٦٤)].

٥ . معاملة أمير المؤمنين علي للخوارج:

عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الخوارج قبل الحرب وبعده معاملة المسلمين؛ فما أن انتهت المعركة حتى أصدر أمره في جنده بأن لا يُتبع مدبر ، أو يذفف على جريح ، أو يمثل بقتيل ، يقول شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل . أحد فقهاء التابعين وممن شهد مع علي حروبه : لم يسب علي يوم الجمل ولا يوم النهروان [(١١٦٥)] ، وقد حمل رثة أهل النهر

إلى الكوفة وقال: من عرف شيئاً فليأخذه ، فجعل الناس يأخذون حتى بقيت قدر فجاء رجل وأخذها ، وهذه الرواية لها طرق عدة [(١١٦٦)] ، ولم يقسم بين جنده إلا ما حمل عليه الخوارج في الحرب من السلاح والكراع فقط.

وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يكفر الخوارج ، إذ قبل الحرب حاول إرجاعهم إلى الجماعة وقد رجع كثير منهم ، ووعظهم وخوفهم القتال ، يقول ابن قدامة: وإنما كان كذلك ؛ لأن المقصود كفهم ودفع شرهم لا قتلهم ، فإن أمكن لمجرد القول كان أولى من القتال ، لما فيه من الضرر بالفريقين ، وهذا يدل على أن الخوارج فرقة من المسلمين ، كما قال بذلك كثير من العلماء [(١١٦٧)].

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يسميهم الفاسقين ، فعن مصعب بن سعد قال: سألت أبي عن هذه الآية: { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * } [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤] أهم الحرورية ؟ قال: لا ، هم أهل الكتاب اليهود والنصارى ، أما اليهود فكذبوا بمحمد (ص) ، وأما النصارى فكفروا بالجنة ، وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب ، ولكن الحرورية ... { وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * } [البقرة: ٢٦ - ٢٧]. وكان سعد يسميهم الفاسقين [١١٦٨] ، وفي رواية عن سعد رضي الله عنه أنه قال لما سئل عنهم: هم قوم زاغوا فأزاع الله قلوبهم [١١٦٩].

وقد سئل علي رضي الله عنه: أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا ، فقليل: منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً ، قيل: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم ، وفي رواية: قوم بغوا علينا فنصرنا عليهم ، وفي رواية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا [١١٧٠] ، كما أنه رضي الله عنه وجه نصيحة لجيشه وللأمة الإسلامية من بعده فقال: إن خالفوا إماماً عادلاً فقاتلوهم ، وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاتلوهم فإن لهم مقالاً [١١٧١].

والملاحظ في قتال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للخوارج وقاتله في الجمل وصفين: أن علياً رضي الله عنه ندم وحزن على قتاله في وقعة الجمل وصفين ، أما في قتاله مع الخوارج فكان يظهر الفرح والسرور لقتالهم ، قال ابن تيمية: فإن النص والإجماع فرق بين هذا وهذا ، فإنه قاتل الخوارج بنص رسول الله (ص) ، وفرح بذلك ، ولم ينازعه فيه أحد من الصحابة ، وأما القتال يوم صفين فقد ظهر منه من كراهته والندم عليه ما ظهر [١١٧٢].

سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي: تمكن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بغزير علمه وسعة فقهه أن يضع قواعد وأحكاماً ، وهي ضوابط شرعية في قتال أهل البغي ، ثم سار أهل السنة من أئمة العلم والفقهاء على سيرته في البغاة ، واستنبطوا من هديه الراشدي الأحكام والقواعد الفقهية في هذا الشأن ، حتى قال جلة أهل العلم: لولا حرب علي لمن خالفه لما عرفت السنة في قتال أهل القبلة [١١٧٣] ، وروي هذا عن علي نفسه في قوله: أرايتم لو أني غبت عن الناس ، من كان يسير فيهم هذه السيرة [١١٧٤]؟. وقال الأحنف لعلي: يا

علي إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم ، فقال: ما مثلي يُخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر؟ وبناء على ذلك.

فإن قتال أهل القبلة يخالف قتال الكفار والمرتدين من أوجه متعددة:

١ . أن يقصد بالقتال ردعهم ولا يعتمد به قتلهم ؛ لأن المقصود ردهم إلى الطاعة ودفع شرهم لا القتل ، بينما يجوز أن يعتمد قتل المشركين والمرتدين [(١١٧٥)].

٢ . إذا قاتل مع البغاة عبيد ونساء وصبيان فحكمهم جميعاً حكم الرجل البالغ الحر ، يُقاتلون مقبلين ويتكون مدبرين؛ لأن قتلهم لدفع أذاهم ، بينما يجوز قتل أهل الردة والكفر مقبلين ومدبرين [(١١٧٦)].

٣ . إذا ترك أهل البغي القتال إما بالرجوع إلى الطاعة ، وإما بإلقاء السلاح ، وإما بالهزيمة ، وإما بالعجز لجراح أو مرض أو أسر ، فإنه لا يجوز الإجهاز على جريحهم وقتل أسيرهم وإن جاز الإجهاز على جرحى المشركين والمرتدين وقتل أسراهم؛ فقد روى

ابن أبي شيبة في مصنفه عن علي . رضي الله عنه . أنه قال يوم الجمل: لا تتبعوا مدبرين ، ولا تجهزوا على جريح ، ومن ألقى سلاحه فهو امن [(١١٧٧)]. وفي رواية عبد الرزاق: أن علياً أمر مناديه فنأدى يوم البصرة ، لا يتبع مدبر ، ولا يذفف على جريح ، ولا يقتل أسير ، ومن أغلق بابه أو ألقى سلاحه فهو امن ، ولم يأخذ من متاعهم شيئاً [(١١٧٨)].

وقال علي يوم الجمل: لا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تقتلوا أسيراً ، وإياكم والنساء وإن شتمن أعراضكم وسبن أمراءكم ، فلقد رأيتنا في الجاهلية وإن الرجل ليتناول المرأة بالجريدة أو الهراوة فيعير بها ، هو وعقبه من بعده [(١١٧٩)]. وعن أبي أمامة الباهلي . رضي الله عنه . قال: شهدت صفين وكانوا لا يجهزون على جريح ، ولا يقتلون مؤملياً ، ولا يسلبون قتيلاً [(١١٨٠)].

٤ . يعتبر أحوال من في الأسر من البغاة ، فمن أمنت رجعت إلى القتال أطلق سراحه ، ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس إلى انجلاء الحرب ثم يطلق ، ولم يجب أن يحبس بعدها ، وإن جاز أن يبقى الكافر في الأسر [(١١٨١)].

٥ . أن لا يستعان لقتالهم بمشرك معاهد ولا ذمي ، وإن جاز أن يستعان بهم على قتال أهل الردة والحرب [(١١٨٢)].

٦ . أن لا يهادنهم إلى مدة ولا يوادعهم على مال ، فإن هادنهم إلى مدة لم يلزمه ، فإن ضعف عن قتالهم انتظر بهم القوة عليهم ، وإن وادعهم على مال بطلت المواعدة ونظر في المال ، فإن كان من فيئهم وصدقاتهم لم يرده عليهم ، وصرف الصدقات في أهلها والفيء في مستحقه ، وإن كان من خالص أموالهم لم يجوز أن يملكه ، ووجب رده إليهم [(١١٨٣)] ، فإن علياً رضي الله عنه . لم يستحل مال أهل الجمل .

٧ . إذا خرجوا على الإمام بتأويل سائغ راسلهم ، فإن ذكروا مظلمة أزالها عنهم ، وإن ذكروا شبهة بيّنها . كما بيّن علي رضي الله عنه للخوارج شبههم ، وعاد كثير منهم إلى صف الجماعة [(١١٨٤)] ، فإن رجعوا وإلا وجب قتالهم عليه وعلى المسلمين [(١١٨٥)] .

٨ . إن لم يخرجوا عن المظاهرة بطاعة الإمام ، ولم يتحيزوا بدار اعتزلوا فيها ، وكانوا أفراداً تناولهم القدرة ويسهل ضبطهم تُركوا ولم يحاربوا ، وأجريت عليهم أحكام العدل فيما يجب عليهم ، ولهم من الحقوق والحدود [(١١٨٦)] .

٩ . لا يقاتل البغاة بما يعم إتلافه كالنار والمنجنيق وغير ذلك ، ولا تحرق عليهم المساكن ، ولا يقطع عليهم النخل والأشجار ، وإن جاز ذلك مع الكفار والمشركين ، لأن دار الإسلام تمنع ما فيها وإن بقي أهلها ، إلا إذا دعت إلى ذلك الضرورة في حالة ما إذا تحصنوا ولم ينهزموا ، لذلك جاز للإمام رميهم بالمنجنيق أو النار على قول الشافعي وأبي حنيفة [(١١٨٧)] .

١٠ . لا يجوز غنيمة أموالهم وسبي ذريتهم لقول النبي (ص): «لا يحل مال امرأئ مسلم إلا بطيب نفس منه» [(١١٨٨)] ، وروي عن علي رضي الله عنه يوم الجمل قوله: من عرف شيئاً من ماله مع أحد فليأخذه [(١١٨٩)] . وهذا من جملة ما نقم الخوارج عليه ، فقالوا: إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم ، فإن حلّت له دماؤهم فقد حلت له أموالهم ، وإن حرمت عليه أموالهم فقد حرمت عليه دماؤهم ، فقال لهم ابن عباس . رضي الله عنهما . في مناظرته لهم: أفْتَسَبون أمكم ؟ . يعني عائشة . أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فإن قلتم: ليست أمكم كفرتم ، وإن قلتم: إنها أمكم واستحلتم سببها فقد كفرتم [(١١٩٠)] ، ويعقب ابن قدامة قائلاً: ولأن قتال البغاة إنما هو لدفعهم وردهم إلى الحق لا لكفرهم ، فلا يستباح منهم إلا ما حصل لضرورة الدفع كالصائل وقاطع الطريق ، وبقي حكم المال والذرية على أصل العصمة [(١١٩١)] .

والظاهر من المأثور عن علي . رضي الله عنه . جواز الانتفاع بسلاحهم ؛ فقد روى ابن أبي شيبة عن أبي البختري قال: لما انهزم أهل الجمل قال علي: لا تطلبوا من كان خارجاً من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم [(١١٩٢)]، وفي رواية أخرى قال: ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم [(١١٩٣)].

١١ . من قتل من البغاة غسل وكفن وصلي عليه ؛ لأنهم مسلمون ، على مذهب الشافعي وأصحاب الرأي [(١١٩٤)].

١٢ . إذا لم يكن البغاة من أهل البدع فهم ليسوا فاسقين ، وقتال الإمام وأهل العدل لهم إنما من جهة خطئهم في التأويل ، وهم كالمجتهدين من الفقهاء في الأحكام ، ومن شهد منهم قبلت شهادته إذا كان عدلاً ، وهذا قول الشافعي ، وأما الخوارج وأهل البدع إذا بغوا على الإمام فلا تقبل شهادتهم لأنهم فساق [(١١٩٥)].

١٣ . يجوز للعادل قتل ذي رحمه الباغي ؛ لأنه قتله بحق ، فأشبهه إقامة الحد عليه مع كراهية قصد ذلك [(١١٩٦)].

١٤ . إذا غلب أهل البغي بلداً فجبوا الخراج والزكاة والجزية وأقاموا الحدود؛ لم يطالبوا بشيء مما جبهه إذا ظهر أهل العدل على ذلك البلد وظفروا بهم ، فعندما ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة بعد موقعة الجمل لم يطالبهم بشيء مما جبهه [(١١٩٧)].

١٥ . حكم وراثه الباغي من العادل:

لا يرث باغٍ قتل عدلاً ، ولا عادل قتل باغياً لقوله (ص): «القاتل لا يرث» [(١١٩٨)] ، وقال أبو حنيفة: أورث العادل من الباغي ، ولا أورث الباغي من العادل ، وقال أبو يوسف:

أورث كل منهما من صاحبه؛ لأنه متأول في قتله [(١١٩٩)] ، وبهذا قال النووي [(١٢٠٠)].

١٦ . إذا لم يكن دفع أهل البغي إلا بقتلهم؛ جاز قتلهم ولا شيء على من قتلهم من إثم ولا ضمان ولا كفارة؛ لأنه فعل ما أمر به ، وقتل من أجل الله: {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} [الحجرات: ٩] ؛ فإن المسلم إذا أريدت نفسه جاز له الدفع عنها بقتل من أَرادها إذا كان لا يندفع بغير القتل ، وكذلك ما أتلفه أهل العدل على أهل البغي حال الحرب من المال ، فلا ضمان فيه [(١٢٠١)] ، وليس على أهل البغي بالمقابل ضمان ما أتلفوه حال الحرب من نفس ولا مال في أصح الأقوال كما ذكر النووي [(١٢٠٢)] ، ويدل على ذلك ما روى الزهري عن إجماع الصحابة: أن

لا يضمن الباغي إذا قتل العادل ، قال: هاجت الفتنة الأولى وأصحاب رسول الله (ص) متوافرون ، وفيهم البديرون ، فأجمعوا أنه لا يقاد أحد ، ولا يؤخذ مال أحد على تأويل القرآن [(١٢٠٣)].
وفي رواية عبد الرزاق: فإن الفتنة الأولى ثارت وأصحاب رسول الله (ص) ممن شهد بداراً كثير ، فاجتمع رأيهم على أن لا يقيموا على أحد حداً في فرج استحلوه بتأويل القرآن، ولا قصاص في دم استحلوه بتأويل القرآن ، ولا يرد مال استحلوه بتأويل القرآن؛ إلا أن يوجد شيء بعينه فيرد على صاحبه [(١٢٠٤)].

سابعاً: من أهم صفات الخوارج:

إن الباحث في تاريخ فرقة الخوارج يلاحظ عدة صفات اتصف بها أتباع هذه الفرقة؛ منها:
١ . الغلو في الدين:

مما لا شك فيه أن الخوارج أهل طاعة وعبادة ، فقد كانوا حريصين كل الحرص على التمسك بالدين وتطبيق أحكامه ، والابتعاد عن جميع ما نهى عنه الإسلام ، وكذلك التحزُّز التام عن الوقوع في أي معصية أو خطيئة تخالف الإسلام ، حتى أصبح ذلك سمة بارزة في هذه الطائفة لا يدانيهم في ذلك أحد ، ولا أدلُّ على ذلك من قول رسول الله (ص): «يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولا صيامكم إلا صيامهم بشيء» [(١٢٠٥)].
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يصفهم حينما دخل عليهم لمناظرتهم: دخلت على قوم لم أر قط أشد منهم اجتهاداً ، جباههم قرحة من السجود ، وأيديهم كأنها ثفن [(١٢٠٦)] الإبل ، وعليهم قمص مرحضة [(١٢٠٧)] ، مشتمين ، مسهمة وجوههم من السهر [(١٢٠٨)].

وعن جندب الأزدي قال: لما عدلنا إلى الخوارج ونحن مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فانتبهينا إلى معسكرهم ، فإذا لهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن [(١٢٠٩)].

فقد كانوا أهل صيام وصلاة وتلاوة للقران ، لكنهم تجاوزوا حد الاعتدال إلى درجة الغلو والتشدد ، حيث قادهم هذا التشدد إلى مخالفة قواعد الإسلام بما تمليه عليهم عقولهم ، كالقول بتكفير صاحب الكبيرة ، وسيأتي مناقشة عقائدهم وأفكارهم بإذن الله تعالى .

ومنهم من بالغ في ذلك حتى على كل من ارتكب ذنباً من الذنوب ولو كان صغيراً؛ فإنه كافر مشرك مخلد في النار [(١٢١٠)] ، وكان من نتيجة هذا التشدد الذي خرج بهم عن حدود الدين وأهدافه السامية ، أن كفروا كل من لم ير رأيهم من المسلمين ، ورموهم بالكفر أو النفاق ، حتى إنهم استباحوا

دماء مخالفينهم]](١٢١١) ، ومنهم من استباح قتل النساء والأطفال من مخالفينهم كالأزارقة مثلاً]](١٢١٢).

ولا شك أن الخوارج بما اتصفوا به من الجهل والتشدد والجفاء قد شوهوا محاسن الدين الإسلامي تشويهاً غريباً ، فإن هذا الإغراق في التأويل والاجتهاد أخرجهم عن روح الإسلام وجماله واعتداله ، وهم في تعمقهم قد سلكوا طريقاً ما قال به محمد (ص) ولا دعا إليه القرآن الكريم ، وأما التقوى التي كانوا يظهرون بها فهي من قبيل التقوى العمياء ،

والصلاح الذي كانوا يتزينون به في الظاهر كان ظاهر التأويل بادي الزخرفة ، وقد طمعوا في الجنة وأرادوا السعي لها عن طريق التعمق والتشدد والغلو في الدين غلوياً أخرجهم عن الحد الصحيح]](١٢١٣).

ولذلك حذر النبي (ص) من التعمق والتشدد في الدين؛ لأنه مخالفة للاعتدال وسماحة الإسلام ، وأخبر أن المتنوع مستحق للهلاك والخسران ، فقد صح عنه (ص): أنه قال: «هلك المتنوعون» قالها ثلاثاً]](١٢١٤).

فهذا يتبين لنا شذوذ الخوارج ، وكذلك من سار على منهجهم المبني على التعسف والتشدد المخالف لسماحة الإسلام ويسره ، فإن الإسلام دين اليسر والسماحة ، فقد قال (ص): «إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا»]](١٢١٥).

٢ - الجهل بالدين:

إن من كبرى آفات الخوارج صفة الجهل بالكتاب والسنة ، وسوء فهمهم وقلة تدبرهم وتعقلهم ، وعدم إنزال النصوص منازلها الصحيحة ، وكان ابن عمر يراهم شرار خلق الله ، وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار ، فجعلوها على المؤمنين]](١٢١٦) ، وكان ابن عمر إذا سئل عن الحرورية؟ قال: يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وينكحون النساء في عِدَدِهِنَّ ، وتأْتِيهم المرأة فينكحها الرجل منهم ولها زوج ، فلا أعلم أحداً أحق بالقتال منهم]](١٢١٧).

ومن جهلهم بشرع الله رأوا أن التحكيم معصية تستوجب الكفر ، فيلزم من وقع فيه أن يعترف على نفسه بالكفر ، ثم يستقبل التوبة ، وهذا ما طالبوا به علماً رضي الله عنه ؛ إذ طلبوا منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يستقبل التوبة]](١٢١٨) ، فتخطئة الخوارج له ولمن معه من

المهاجرين والأنصار ، واعتقادهم أنهم أعلم منهم وأولى منهم بالرأي ، وهو والله عين الجهل والضلال [(١٢١٩)].

ومن جهالتهم الشنيعة: أنهم وجدوا عبد الله بن خباب رضي الله عنه ومعه أم ولد حبلى ، فناقشوه في أمور ، ثم سألوه رأيه في عثمان وعلي رضي الله عنهما ، فأثنى عليهما خيراً ، فنقموا عليه ، وتوعدوه بأن يقتلوه شر قتلة ، فقتلوه وبقروا بطن المرأة [(١٢٢٠)] ، ومر بهم خنزير لأهل الذمة فقتله أحدهم ، فتخرجوا من ذلك وبجثوا عن صاحب الخنزير وأرضوه في خنزيره! فيا للعجب! أتكون الخنازير أشد حرمة من المسلمين عند أحد يدعي الإسلام [(١٢٢١)] ، لكنها عبادة الجهاد ، التي أملاها عليهم الهوى والشيطان [(١٢٢٢)].

قال ابن حجر: إن الخوارج لما حكموا بكفر من خالفهم؛ استباحوا دماءهم ، وتركوا أهل الذمة فقالوا: نفي لهم بعهدهم ، وتركوا قتال المشركين ، واشتغلوا بقتال المسلمين ، وهذا كله من اثار عبادة الجهاد الذين لم تنشرح صدورهم بنور العلم ، ولم يتمسكوا بجبل وثيق منه ، وكفى أن رأسهم رد على رسول الله (ص) أمره ونسبه إلى الجور ، نسأل الله السلامة [(١٢٢٣)].

وقال عنهم ابن تيمية رحمه الله: فهم جهال ، فارقوا السنة والجماعة عن جهل [(١٢٢٤)]. وبهذا يتبين أن الجهل كان من الصفات البارزة في تلك الطائفة التي هي إحدى الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، فالجهل مرض عضال يهلك صاحبه من حيث لا يشعر ، بل قد يريد الخير فيقع في ضده [(١٢٢٥)].

٣ - شق عصا الطاعة:

قال ابن تيمية: فهؤلاء ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين أنهم خارجون عن العدل ، وأنهم ضالون ، وهذا مأخذ الخارجين عن السنة من الرافضة

ونحوهم ، ثم يعدون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً ، ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها [(١٢٢٦)] ، هذا وقد شقوا عصا الطاعة ، وسعوا في تفريق كلمة المسلمين ، ويوضح ذلك موقفهم مع أمير المؤمنين علي ، حيث تخلوا عنه وخالفوه في أخرج المواقف وعصوا أمره [(١٢٢٧)] ، وظلت تلك الصفة من صفاتهم على مدار التاريخ أن كل من خالفهم في أمر؛ عادوه ونبذوه ، حتى إنهم تفرقوا هم أنفسهم إلى عدة فرق يكفر بعضها بعضاً ، ولذلك كثر فيهم الغارات والشقاق والثورات [(١٢٢٨)].

٤ - التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم:

قال ابن تيمية: والفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع ، أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دار الإسلام دار حرب ، ودارهم هي دار الإيمان ، وكذلك يقول جمهور الرافضة..

فهذا أصل البدع التي ثبتت بنص سنة الرسول (ص) ، وإجماع السلف أنها بدعة ، وهو جعل العفو سيئة ، وجعل السيئة كفرةً [(١٢٢٩)].

وقد تميز الخوارج براء خاصة فارقوا بها جماعة المسلمين ، وأوها من الدين الذي لا يقبل الله غيره ، ومن خالفهم فيها فقد خرج من الدين في زعمهم ، فأوجبوا البراءة منه ، بل إن منهم من غلا في ذلك ، فأوجبوا قتال من خالفهم واستحلوا دماءهم [(١٢٣٠)] ، فمن ذلك أنهم قتلوا عبد الله بن خباب بغير سبب غير أنه لم يوافقهم على رأيهم [(١٢٣١)].

وقال ابن كثير: فجعلوا يقتلون النساء والولدان ، ويبقرون بطون الحبالى ، ويفعلون أفعالاً لم يفعلها غيرهم [(١٢٣٢)].

وقال ابن تيمية: وكانت البدعة الأولى مثل بدعة الخوارج ، إنما هي من سوء فهمهم للقران ، لم يقصدوا معارضته ، لكن فهموا منه ما لم يدل عليه ، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ، إذ كان المؤمن هو البر التقي ، قالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر وهو مخلد في النار ، ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله ، فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

الأولى: أن من خالف القران بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعلياً ومن والاهما كانوا كذلك.

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المؤمنين بالذنوب والخطايا ، فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، وقد ثبت عن النبي (ص) أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم [(١٢٣٣)].

٥ - تجوزهم على النبي - (ص) - ما لا يجوز في حقه كالجور:

قال ابن تيمية: والخوارج جوزوا على الرسول (ص) نفسه أن يجور ويضل في سنته ، ولم يوجبوا طاعته ومتابعته ، وإنما صدقوه فيما بلغه من القران دون ما شرعه من السنة التي تخالف - بزعمهم - ظاهر القران ، وغالب أهل البدع والخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا ، فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف

مقاتلتهم لما اتبعوه... وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة ، إما برد النقل ، وإما بتأويل المنقول ، فيطعنون تارةً في الإسناد ، وتارةً في المتن ، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمنين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول (ص) ، بل ولا بحقيقة القرآن [(١٢٣٤)].

٦ . الطعن والتضليل:

من أبرز صفات الخوارج الطعن في أئمة الهدى وتضليلهم والحكم عليهم بالخروج عن العدل والصواب ، وقد تجلّت هذه الصفة في موقف ذي الخويصرة مع رسول الهدى (ص) ، حيث قال ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل [(١٢٣٥)] ، فقد عدّد ذو الخويصرة نفسه أروع من رسول الله (ص) ، وحكم على رسول الله - (ص) . بالجور والخروج على العدل في القسمة! وإن هذه الصفة قد لازمتهم عبر التاريخ ، وقد كان لها أسوأ الأثر لما ترتب عليها من أحكام وأعمال [(١٢٣٦)].

٧ . سوء الظن:

هذه صفة أخرى للخوارج تجلّت في حكم ذي الخويصرة الجهول على رسول الهدى (ص) بعدم الإخلاص ، حيث قال: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها ، وما أريد فيها وجه الله [(١٢٣٧)] ، فذو الخويصرة الجهول لما رأى رسول الله (ص) قد أعطى السادة الأغنياء ، ولم يعطِ الفقراء ، لم يحمل هذا التصرف على المحمل الحسن ، وهذا شيء عجيب خصوصاً وأن دواعيه كثيرة ، فلو لم يكن إلا أن صاحب هذا التصرف هو رسول الهدى (ص) ، لكفى به داعياً إلى حسن الظن ، ولكن ذا الخويصرة أبلّ ذلك ، وأساء الظن لمرضه النفسي ، وحاول أن يستر هذه العلة بستر العدل ، وبذلك ضحك منه إبليس ، واحتال عليه ، فأوقعه في مصايده.

فينبغي للمرء أن يراقب نفسه ، وأن يدقق في دوافع سلوكه ومقاصده ، وأن يحذر هواه ، وأن يكون منتبهاً لحيل إبليس لأنه كثيراً ما يزين العمل السيئ بغلاف حسن براق ، ويبرر السلوك القبيح باسم مبادئ الحق. ومما يعين المرء على وقاية نفسه ، والنجاة لها من حيل الشيطان ومصايده: العلم ، فذو الخويصرة لو كان عنده أثارة من علم ، أو ذرة من فهم لما سقط في هذا المزلق [(١٢٣٨)].

٨ . الشدة على المسلمين:

عرف الخوارج بالغلظة والجفوة ، وقد كانوا شديدي القسوة والعنف على المسلمين ، وقد بلغت شدتهم حدّاً فظيماً ، فاستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ فروّعوهم وقتلوهم ، أما أعداء الإسلام من أهل الأوثان وغيرهم فقد تركوهم ووادعوهم فلم يؤذوهم.

ولقد سجل التاريخ صحائف سوداء للخوارج في هذا السبيل [(١٢٣٩)] ، وما قصة عبد الله بن خباب ومقتله عنا ببعيد ، فمعاملة الخوارج للمسلمين مصحوبة بالقسوة والشدة والعنف ، وأما للكافرين ، فلين وموادعة ولطف [(١٢٤٠)] ، فقد وصف الشارع الشريعة بأنها سهلة سمحة ، وإنما ندب إلى الشدة على الكفار ، وإلى الرأفة بالمؤمنين ، فعكس ذلك

الخوارج [(١٢٤١)] ، قال تعالى : { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ } [الفتح: ٢٩] ، وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } [المائدة: ٥٤] ؛ فالخوارج عكسوا الايات ، فأرهبوا المسلمين ورؤعوه [(١٢٤٢)] ، هذه بعض الصفات التي اشتهر بها الخوارج .

ثامناً: بعض الاراء الاعتقادية للخوارج:

ومع مرور الزمن استقرت اراء عقائدية خاصة بفرقة الخوارج ، وخالفوا فيها كتاب الله وسنة رسول الله (ص) ، ومن هذه الاثار المنحرفة:

١ . تكفير صاحب الكبيرة:

إن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ، ويحكمون بخلوده في النار ، وقد استدلوا على معتقدتهم ذلك بأدلة:

أ . استدلوا بقوله تعالى : { بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } * [البقرة: ٨١] ؛ فقد استدلوا بهذه الاية على تخليد أصحاب المعاصي في النار ، وقالوا: إنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله [(١٢٤٣)] ، فزعموا أن الخطيئة تحيط بالإنسان فلا يبقى له معها حسنة مقبولة ، حتى الإيمان فإنها تذهبه .

ولكن الأمر عكس ما ذهبوا إليه ، وهذه الاية نفسها ترد مذهبهم؛ فقد دلت على أن من أحاطت به خطيئته فإنه يخلد في النار ، وليس هناك خطيئة تحيط بالإنسان وتحبط أعماله ويخلد بسببها في النار إلا الكفر والشرك بالله ، ويؤيد هذا أن تلك الاية نزلت في اليهود ، وهم قد أشركوا بالله وحادوا عن سبيله ، ومما يبطل زعمهم أيضاً: أن الله قد أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار ، بل لا بد أن تكون سيئة محيطية به ، وقيل: هي الشرك ، روي هذا عن ابن عباس . وروي عنه: أن معنى

هذه الآية: من كفر حتى يحيط به كفره ، فلا تقبل له حسنة ، وهذا أولى لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار [(١٢٤٤)].

ثم إن قوله تعالى: وسيئة نكرة؛ فهي عامة لجميع أنواع السيئات، {مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً} الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: والمراد بها هنا الشرك ، بدليل قوله تعالى: أي: أحاطت {وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ} ، فلم تدع له منفذاً ، وهذا لا يكون إلا الشرك؛ فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته ، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية ، وهي حجة عليهم كما ترى ، فإنها ظاهرة في الشرك ، وهكذا كل مبطل يحتج بآية أو حديث صحيح على قوله الباطل ، فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه [(١٢٤٥)]. وغير ذلك من الأدلة التي رد عليها علماء أهل السنة والجماعة كل في محله.

ويمكن أن تُجمل الرد على الخوارج في تكفيرهم لصاحب الكبيرة ، وذلك من عدة وجوه:

أ. أن مرتكب الكبيرة لو كان كافراً لكان حكمه حكم غيره ممن كفر بعد إيمانه ، وهو أن يكون مرتداً يجب قتله ، لقوله (ص): «من بدل دينه فاقتلوه» [(١٢٤٦)] ، ولقوله (ص): «لا يحل دم امرأ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمفارق لدينه التارك للجماعة» [(١٢٤٧)].

فهذان الحديثان وغيرهما من أدلة حكم المرتد تفيد أن كل من كفر بعد إيمانه فحكمه القتل ، لكن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل ، بل يقام عليه الحد ، كما قال تعالى: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ*} [النور: ٢] ، وقال الله تعالى في حكم السارق: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ*} [المائدة: ٣٨] ، وورد في شارب الخمر ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أن رجلاً كان على عهد النبي (ص) كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً ، وكان يضحك رسول الله (ص) ، وكان النبي (ص) قد جلده في الشراب ، فأتي به يوماً ، فأمر به فجلد ، فقال رجل من القوم: اللهم اعنه ، ما أكثر ما يؤتى به ، فقال

النبي (ص): «لا تلعنوه ، فوالله ما علمت إلا أنه يجب الله ورسوله» [(١٢٤٨)] ، فقد أمر النبي (ص) بجلد شارب الخمر ولم يقتله ، بل نهى عن لعنه بعينه ، وشهد لهذا الرجل بحب الله ورسوله ، مع أنه قد

تكرر منه شرب الخمر عدة مرات ، ولم يحكم على هذا ولا على السارق والزاني بالكفر ولا قطع الموالاة بينهم وبين المسلمين، كان يستغفر لهم ويقول: «لا تكونوا أعوان الشيطان على أخيكم» [(١٢٤٩)].
وقد أجمعت الأمة من الصحابة والتابعين على ذلك إلا من شدَّ عنهم ، فلا عبرة بقوله ، ثم أيضاً أنه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لوجب التفريق بينه وبين زوجته المؤمنة ، والمرأة كذلك ، وكذلك أيضاً فإنه لا يرث مسلماً ولا يرثه مسلم ، ولكن النبي (ص) لم يفرق بين من فعل معصية وبين زوجته ، ولم يجرمه من ميراث من له الإرث منه ، وكذلك صحابته والتابعون لهم بإحسان ، فثبت يقيناً أنه غير كافر [(١٢٥٠)].

ب . أن الله سبحانه وتعالى سمى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها في قوله تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } * [الحجرات: ٩ . ١٠].
قال ابن كثير . رحمه الله :: فسماهم مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم [(١٢٥١)].

ومثل هذه الآية أيضاً قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ } * [البقرة: ١٧٨]؛ قال ابن حزم رحمه الله: فابتدأ الله عز وجل بخطاب أهل الإيمان من كان فيهم من قاتل أو مقتول ، ونص تعالى على أن القاتل عمداً وولي المقتول أخوان ، وقد قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } فصح أن القاتل عمداً مؤمن بنص القران ، وحكم له بأخوة الإيمان ، ولا يكون للكافر مع المؤمنين تلك الأخوة [(١٢٥٢)].

فهذه بعض أدلة أهل السنة في ردهم على قول الخوارج في مرتكب الكبيرة ، وقد استقر هذا المعتقد عند علماء أهل السنة وسطوره في كتبهم ، وإليك بعض أقوالهم:

٢ . رأيهم في الإمامة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة ، قيل له: هذه البرة قد عرفناها ، فما بال الفاجرة؟ قال: يؤمن بها السبيل وتقام بها الحدود ، ويجاهد بها العدو ، ويقسم بها الفيء [(١٢٥٣)] .

ولهذا كان حكم الإمامة واجباً على الأمة الإسلامية ، إذ لو بقوا بلا إمام لأثموا جميعاً لقوله تعالى: { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } [النساء: ٥٩] ، قال ابن كثير في الآية: الظاهر والله أعلم أن الآية عامة في جميع أولي الأمر من الأمراء والعلماء [(١٢٥٤)] ؛ وهذا هو الراجح ، ووجه الاستدلال من هذه الآية: أنه سبحانه أوجب على المسلمين طاعة أولي الأمر منهم وهم الأئمة ، والأمر بالطاعة دليل على وجوب نصب ولي الأمر ؛ لأن الله تعالى لا يأمر بطاعة من لا وجود له ، ولا يفرض طاعة من وجوده مندوب ، فالأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده فدل على أن إيجاد إمام للمسلمين واجب عليهم [(١٢٥٥)] ، وقد قال رسول الله (ص): «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» [(١٢٥٦)] ، أي: بيعة الإمام ، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام؛ لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم ، والبيعة لا تكون لإمام ، فنصب الإمام واجب ، وقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم ، وكذلك من بعدهم على وجوب الإمامة ، ومما يحتم بوجود الإمامة ، ما وردت به الشريعة من الأحكام الواجبة التي لا يتولاها إلا الإمام ولا تصح بدونه [(١٢٥٧)] ، وذلك مثل: الجهاد والحج وإقامة الحدود ونحو ذلك ، مما لا يتم إلا بالقوة والإمارة [(١٢٥٨)] .

وقد بينت الشريعة أن من حقوق الإمام: السمع والطاعة في غير معصية الله تعالى ، فقد قال رسول الله (ص): «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعص الأمير فقد عصاني» [(١٢٥٩)] .

وقد أوجب الشارع طاعة الإمام ما لم يأمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية الله فلا يجوز طاعته فيها ، ولا إعانته عليها ، ويجب أن يعان على طاعة الله ، وأن يستعان به عليها ما أمكن ذلك [(١٢٦٠)] ، فيكون موقف المسلم النصيحة لولاة أمور المسلمين ، لقول النبي (ص) في الحديث الصحيح ، عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: أن النبي (ص) قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً ، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله عز وجل ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم» [(١٢٦١)] .

قال ابن حجر: والنصيحة لأئمة المسلمين إعانتهم على ما حُمِّلوا القيام به ، وتنبههم عند الغفلة ، وسد خللتهم عند الهفوة ، وجمع الكلمة عليهم ، ورد القلوب النافرة إليهم ، ومن أعظم نصيحتهم دفعهم عن

الظلم بالتي هي أحسن ، ومن جملة أئمة المسلمين أئمة الاجتهاد ، وتقع النصيحة لهم بيث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم [(١٢٦٢)].

وقد خالف الخوارج ذلك المبدأ الرشيد ، فرأوا الخروج على أئمة المسلمين عند آتفه الأسباب ، وقد فعلوا ذلك مع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه ، فسفكوا الدماء ، وقطعوا السبل ، وضيعوا الحقوق ، وسعوا في إضعاف المسلمين حتى تكالبت عليهم الأعداء ، فهذا من أضرار الخروج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وقد خالفت الخوارج ما كان عليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي في الإمام ، وقالوا: إنه لا خصوصية لقريش فيها ولا مزية لهم عن سواهم ، بل كل من صار أهلاً لها جاز توليته من دون أي نظر إلى نسبه [(١٢٦٣)] ، وقد احتجوا لمذهبهم بما يلي:

أ. قالوا: لأن اشتراط القرشية يخالف المعقول ، إذ لا يمنع العقل أن يوجد في غيرهم من هو أفضل منهم.

ب. لم يجعل الله النبوة في قوم خاصين؛ فكيف يجعل الإمامة كذلك!؟

ج. أن القرآن لا يدل على ذلك لقوله تعالى: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣].

د. استدلووا بقوله (ص): «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» [(١٢٦٤)].

هـ. واستدلووا بقوله (ص): «وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع الأنف ، فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله» [(١٢٦٥)].

و. لم يثبت الأنصار القرشية في الإمامة ، ولو أثبتوها لما طالبوا في الإمامة ولرد عليهم المهاجرون بها [(١٢٦٦)].

ز. أن رسول الله (ص) قد ولي على الأمم من غير قريش والولايات والإمارات عن الإمارة العظمى ، فما جاز فيها جاز في فروعها ، وما امتنع فيها امتنع في فروعها [(١٢٦٧)].

ـخ وجوه الرد على الخوارج:

أ. أما احتجاجهم بالعقل ، فهو مردود لأنه لا حجة فيه مع ثبوت النص والإجماع.

ب. وأما احتجاجهم بأن الله لم يجعل النبوة خاصة بقوم فلا حجة في ذلك؛ لأن الله يصطفى للنبوة والرسالة أصلح الناس لها ، والخلق لا يستطيعون القطع على أن فلاناً أصلح من غيره ، ولا يقارن اختيار المخلوق مع اختيار الخالق ، وأما الميزة لقريش فهي على جهة العموم لما كانت تحتله من المكانة الدينية والاجتماعية في قلوب الناس.

ج . وأما استدلالهم بقوله تعالى: وقوله (ص): { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» ، فالجواب على هذا من وجهين:

د . أن يراد بالاية والحديث المفاضلة بين الناس عامة ، فلا شك أن من فضل على صاحبه بزيادة في التقوى؛ فهو أكرم منه وأفضل عند الله ، وهذا بغض النظر عن الإمامة ، وهذا هو المراد بالاية والحديث؛ لأن دلالة كل منهما عامة.

هـ . وأما من جهة الإمامة فلا شك أيضاً أن من زاد على غيره بالعدل والتقوى والصلاح مع توفر باقي شروط الإمامة فيه ، فهو أولى؛ لكن لا ننسى أن النسب القرشي شرط ، ولا تعارض بين تلك الشروط.

و . وأما احتجاجهم بما ورد في وجوب السمع والطاعة وإن كان الأمير عبداً حبشياً ، فهذا الأمر لا إشكال فيه ، وقد ورد فيه عدة روايات؛ منها قوله (ص): «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» [(١٢٦٨)] ، وهذا لا يمنع اشتراط الإمامة في قريش ، وهو عند أهل السنة مخرج على ثلاثة أمور:

١ . أن يكون العبد مستعملاً من جهة الإمام القرشي ، وليس هو الإمام الأعظم.
٢ . قد قيل: إن العبد الحبشي إنما ذكره على وجه ضرب المثل وإن لم يصح وقوعه ، كما قال (ص) فيمن بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة [(١٢٦٩)] ، ومفحص القطاة لا يمكن أن يكون مسجداً [(١٢٧٠)] .

٣ . أنه أطلق على طريق المبالغة في وجوب السمع والطاعة، أو باعتبار ما كان قبل العتق [(١٢٧١)] .
ز . وأما دعواهم أن الأنصار لم يثبتوا أحقية قريش في الخلافة ، فهذا غير صحيح ، بل الصحيح أنهم أذعنوا لذلك ، وحصل الإجماع على أحقية قريش في الخلافة.

قال الإمام الأشعري رحمه الله: اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة رسول الله (ص) وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عباد ، وبلغ ذلك أبا بكر وعمر . رضوان الله عليهما . ، فقصدنا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين ، فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قريش ، واحتج عليهم بقول النبي (ص): «الأئمة من قريش» [(١٢٧٢)] ، فأذعنوا لذلك منقادين ، ورجعوا إلى الحق طائعين ، بعد أن قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير ، وبعد أن جرد الحباب بن المنذر سيفه وقال: أنا خبيلاها

المحكك ، وعذيقها المرجب؟. ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه ، واجتمعوا على إمامته ، واتفقوا على خلافته ، وانقادوا لطاعته [(١٢٧٣)].

ح . وأما احتجاجهم بفعل النبي (ص) ، حيث ولى على بعض الأمصار أو الجيوش من غير قريش ، فلا حاجة لهم في هذا لأنه ليس في الإمامة العظمى ، ولا نسلم لهم أن ما جاز في الفرع جاز في الأصل [(١٢٧٤)].

قال ابن حجر رحمه الله: وأما ما احتج به من لم يعين الخلافة في قريش من تأمير عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة وأسامة وغيرهم في الحروب؛ فليس من الإمامة العظمى في شيء ، بل فيه أنه يجوز استنابة غير القرشي في حياته [(١٢٧٥)] ، والله أعلم.

— خ أدلة أهل السنة القائلين باشتراط النسب القرشي:

أ . قوله (ص): «إن هذا الأمر في قريش ، لا يعاديهم أحد إلا كَبَّه الله في النار على وجهه ، ما أقاموا الدين» [(١٢٧٦)].

ب . قوله (ص): «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان» [(١٢٧٧)] ، وفي رواية لمسلم: «ما بقي من الناس اثنان» [(١٢٧٨)].

ج . وقوله (ص): «الناس تبع لقريش» [(١٢٧٩)].

د . انعقاد الإجماع ، فقد حكاه غير واحد من العلماء منهم: النووي؛ حيث قال في شرحه لحديث: «الناس تبع لقريش... إلخ» هذه الأحاديث وأشباهاها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لا يجوز عقدها لأحد من غيرهم ، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة والتابعين فمن بعدهم بالأحاديث الصحيحة [(١٢٨٠)].

ومنهم القاضي عياض؛ فقد نقل عنه النووي قوله: اشتراط كونه . أي: الإمام . قرشياً هو مذهب العلماء كافة ، قال: وقد احتج به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما على الأنصار يوم السقيفة ، فلم ينكره أحد ، قال القاضي: وقد عدها العلماء في مسائل الإجماع ، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها قول ولا فعل ، يخالف ما ذكرنا ، وكذلك من بعدها في

جميع الأعصار . قال: ولا اعتداد بقول النظام ومن وافقه من الخوارج وأهل البدع أنه يجوز كونه من غير قريش ، ولا سخافة ضرار بن عمرو في قوله: إن غير القرشي من النبط وغيرهم يقدّم على القرشي لهوان

خلعه إن عرض منه أمر ، وهذا الذي قاله من باطل القول وزخرفته مع ما هو عليه من مخالفة إجماع المسلمين ، والله أعلم [(١٢٨١)].

وممن حكى هذا الإجماع أيضاً الماوردي [(١٢٨٢)] والإيجي [(١٢٨٣)] ، وابن خلدون [(١٢٨٤)] ، والغزالي [(١٢٨٥)].

ومن المحدثين محمد رشيد رضا ، حيث قال: أما الإجماع على اشتراط القرشية قد ثبت بالنقل والفعل ، رواه ثقات المحدثين ، واستدل به المتكلمون وفقهاء مذاهب السنة كلهم ، وجرى عليه العمل بتسليم الأنصار وإذعائهم لبني قريش ، ثم إذعان السواد الأعظم من الأمة عدة قرون [(١٢٨٦)].

ولكن الحافظ ابن حجر اعترض على هذا الإجماع بقوله: ويحتاج من نقل الإجماع إلى تأويل ما جاء عن عمر من ذلك ، فقد أخرج أحمد عن عمر بسند رجاله ثقات أنه قال: إن أدركني أجلي وقد مات أبو عبيدة استخلفت معاذ بن جبل.. الحديث ، ومعاذ بن جبل أنصاري لا نسب له في قريش ، إن الأثر المنسوب إلى عمر ضعيف لانقطاعه كما بين بعض أهل العلم [(١٢٨٧)].

ومال الإمام الجويني إلى عدم اشتراط النسب القرشي [(١٢٨٨)] ، وقد اختلف قول أبي بكر الباقلاني ، فاشتراط القرشية في كتابه الإنصاف [(١٢٨٩)] ، ولم يشترطها في كتابه التمهيد [(١٢٩٠)]. وإلى نفي اشتراط القرشية ذهب أكثر المحدثين؛ منهم: محمد أبو زهرة في كتابه

(المذاهب الإسلامية) ، وذهب إلى أن الأحاديث الواردة مجرد أخبار لا تفيد حكماً [(١٢٩١)]. ومنهم العقاد [(١٢٩٢)] ، ومنهم د. علي حسني الخربوطلي في كتابه (الإسلام والخلافة) [(١٢٩٣)] ، وتجراً على رمي الأحاديث المذكورة بالوضع ، ومنهم د. صلاح الدين دبوس في كتابه (الخلافة توليته وعزله) ، وذهب إلى أن هذه الأحاديث مجرد أخبار [(١٢٩٤)] ، ومنهم الأستاذ محمد المبارك رحمه الله ، فقد اعتبرها من باب السياسة الشرعية المتغيرة بتغير العوامل [(١٢٩٥)] ، والراجح هو ما ذهب إليه جمهور المسلمين من اشتراط النسب القرشي للإمامة [(١٢٩٦)] ، لورود الأدلة الصريحة في أحقيتهم ، ولإجماع الصحابة ومن بعدهم على ذلك ، وأدلة المخالفين ليس فيها حجة على عدم الاشتراط.

لكن أحقية قريش في الخلافة لا بد فيها من شرطين:

الأول: إقامتهم للدين لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ، ما أقاموا الدين» [(١٢٩٧)].

الثاني: أن لا يكون هناك إمام قائم ، فإن كان ثمة إمام فلا أحقية لهم فيها ، فيكون اشتراط النسب القرشي في ابتداء الولاية وعند الاختيار لا في استمرارها ، إذ إن الإمام القائم لا تجوز منازعته ولا الخروج عليه لا من قريش ولا من غيرها [(١٢٩٨)] ، ما دام قائماً بأمر الله ، ولم ينحرف عن شرعه ، ولم نر منه كفراً بواحاً ، أما إذا خرج منه كفر بواح فالأمر منوط بالقدرة ، وخاضع لفقهِ المصالح والمفاسد. تاسعاً: طعنهم في بعض الصحابة ، وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما:

امتاز الخوارج عن الشيعة الرافضة بإثباتهم إمامة الصديق والفاروق رضي الله عنهما ، فهم يعتقدون أن إمامة أبي بكر وعمر إمامة شرعية ، لا شك في صحتها ولا ريب عندهم في شرعيتها ، وأن إمامتهما كانت برضا المؤمنين ورغبتهم ، وأنها سارا على الطريق المستقيم الذي أمر الله به لم يغيرا ولم يبدلا حتى توفاهما الله تعالى على ما يرضيه من العمل الصالح والنصح للرعية ، وهذا الاعتقاد منهم حق وصدق ، فلقد كانا رضي الله عنهما كذلك ، ولا يشك في هذا إلا من فتن بمعتقد الرافضة.

وهذا المعتقد للخوارج تجاه الشيخين حالفهم فيه السداد والصواب ، وكانوا موفقين فيه ، لكنهم هلكوا فيمن بعدهما ؛ حيث قادهم الشيطان وأخرجهم عن الحق والصواب في اعتقادهم في عثمان وعلي رضي الله عنهما ، فلقد حملهم على إنكار إمامة عثمان رضي الله عنه في المدة التي نقم عليه أعداؤه فيها ، كما أنكروا إمامة علي أيضاً بعد التحكيم ، بل أدى بهم سوء معتقدهم إلى تكفيرها وتكفير طلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وأصحاب الجمل وصفين. وقد وجه الخوارج إلى هؤلاء الأخيار من الصحابة طعناً عاماً يشملهم جميعاً ، ووجهوا إلى بعضهم طعناً على وجه الخصوص.

فطعنهم فيهم على وجه عام: أنهم يعتقدون فيهم أنهم كفروا ، وقد دون أهل العلم هذا المعتقد السيئ عنهم في كتبهم [(١٢٩٩)] ، فقد قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر ، وينكرون إمامة عثمان في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها ، ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم ، وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ، ويكفرون معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبا موسى الأشعري [(١٣٠٠)] .

وقال ابن تيمية رحمه الله: وكان شيطان الخوارج مقموماً لما كان المسلمون مجتمعين في عهد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ، فلما افترت الأمة في خلافة علي رضي الله عنه وجد شيطان الخوارج

موضع الخروج ، فخرجوا وكَفَرُوا علياً ومعاوية ومن والاهما، فقَاتَلَهُم أُولَى الطائفتين بالحق علي بن أبي طالب [(١٣٠١)].

وقال الشهرستاني بعد تعداده لكبائر فرق الخوارج: ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما ويقدمون ذلك على كل طاعة ، وقال في المحكمة الأولى: وطعنوا في عثمان رضي الله عنه للأحداث التي عدوها عليه ، وطعنوا في أصحاب الجمل وأصحاب صفين [(١٣٠٢)].

وقال في الأزارقة بعد أن ذكر أنهم يعتقدون كفر علي رضي الله عنه ؛ قال: وعلى هذه البدعة مضت الأزارقة ، وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، وسائر المسلمين معهم وتخليدهم في النار [(١٣٠٣)] ، وهذا المعتقد واضح البطلان بمجرد سماعه ، واعتقاده ضلال وغواية وترك للحق جانبا ، والخوارج استهواهم الشيطان بمعتقدهم هذا ، فكانوا له تبعاً فاعتقادهم كفر من تقدم ذكرهم من أصحاب رسول الله (ص) باطل لأمر عدة:

الأمر الأول: أن الله تعالى أخبر بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وكذا رسوله (ص) أخبر بأنهم أفضل أمته ، فقد قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠].

فقد نَوَّه سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة بأنهم خير أمة أخرجت للناس ، وذلك لقيامهم الكامل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما ذلك إلا لما بلغوا إليه من كمال الإيمان وقوة اليقين ، ولأنهم حققوا صفات الخيرية المنوه عنها في هذه الآية ، فقد روى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: قال: هم الذين هاجروا مع { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } الله (ص) من مكة إلى المدينة [(١٣٠٤)].

وقال (ص): «خير الناس القرن الذي أنا فيه ، ثم الثاني ، ثم الثالث» [(١٣٠٥)] وإنما كان قرنه خير الناس لأنهم امنوا به حين كفر الناس ، وصدقوه حين كذبوه ، ونصروه حين خذلوه ، وجاهدوا واووا [(١٣٠٦)].

وأفراد الصحابة الذين يعتقد الخوارج المارقون كفرهم هم من الذين هاجروا مع رسول الله (ص) من مكة إلى المدينة ، وفي مقدمة من يتناوله هذا الشاء العالي الرفيع هم هؤلاء ، فهم من أهل الهجرة ، ومن الذين امنوا بالنبي (ص) حين كفر به الناس ، وهم من

الذين جاهدوا معه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أنزل معه ، فالاية والحديث فيهما شهادة الله ورسوله للصحابة عموماً بأنهم خير أمة محمد (ص) [(١٣٠٧)]. .

وأبرز الصحابة الذين تكفرهم الخوارج؛ كعلي والزبير وطلحة وغيرهم وردت أحاديث في حقهم بأنهم من أهل الجنة ، وقد بشرهم رسول الله (ص) بذلك.

الأمر الثاني: شهادة الله لهم بالإيمان الحقيقي الخالص في مواضع كثيرة من كتابه العزيز ، قال تعالى: { إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا } [آل عمران: ٦٨] فكلمة في هذه الاية أول { وَالَّذِينَ آمَنُوا } ينطلق هذا اللفظ على الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ، إذ إنهم أول وأفضل من دخل في هذا الخطاب بلا نزاع ، ولكن الخوارج أزرغ الله قلوبهم فلم يهتدوا إلى شهادة العليم الخبير بحقيقة الإيمان للصحابة الذين كفروهم أو تبرؤوا منهم [(١٣٠٨)]. .

الأمر الثالث: أن الرب تبارك وتعالى أخبر في محكم كتابه العزيز: أنه رضي عن الصحابة ورضوا عنه ، وأنه وعدهم بالخلود في الجنات والفوز العظيم ، قال تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * } [التوبة: ١٠٠]. .

ففي هذه الاية صرح تعالى أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وهو دليل قرآني صريح في أن من يعتقد كفرهم فهو ضالٌّ مخالفٌ لله جل وعلا ، حيث كفر من رضي الله عنه ، ولا شك أن تكفير من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا ، وتمرد وطغيان ، وهذه صفة الرافضة والخوارج المارقة [(١٣٠٩)] ، وقال تعالى: { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * } [الفتح: ١٨] ، وفي هذه الاية أعلن الله رضاه عن جيش الإيمان الذين حضروا الحديبية من صحابة رسول الله (ص) ؛ والذين كان منهم علي وطلحة والزبير ، وعثمان رضي الله عنه كان في مكة رسولاً لرسول الله (ص) فبايع له النبي (ص) ، وجعل يده عن يده ، فكانت خيراً له من يده [(١٣١٠)]. .

الأمر الرابع: أن الكفر بعيد الوقوع من قوم أخبر الله جل وعلا أنه بعض إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، وجعلهم من الراشدين ، قال تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * } [الحجرات: ٧]. .

وأما الآية فقد أخبر تعالى فيها أنه جعل الإيمان أحب الأشياء إليهم ، فلا يقع منهم إلا ما يوافقهم ويقتضيه من الأمور الصالحة ، فاستحقوا بذلك أن يكونوا هم الراشدين ، كما نطقت بذلك الآية الكريمة ، فكيف يكفر أولئك الخيرة على زعم الرافضة والخوارج المارقة ، وعليهم تتلى آيات الله وفيهم رسوله؟ بل كيف يكفرون وقد كره الله إليهم الكفر وجعلهم راشدين؟ فلقد زاغ الخوارج الجهلاء بزعمهم كفر عثمان وعلي وطلحة والزبير وابن عباس وعائشة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري ومعاوية وأصحاب الجمل وصفين من الصحابة الكرام [(١٣١١)].

عاشراً: من سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث:

بدأت سمات الخوارج ونزعاتهم تظهر بين طوائف من أبناء المسلمين اليوم ، وبأشكال ومظاهر مختلفة من جماعات وأفراد ودعوات وحركات واتجاهات ، وشعارات ، ومناهج وأساليب ومواقف وتصرفات ، ونزعات فردية وجماعية ، ونحو ذلك من أمور تنذر بخطر ، وتنبأى عن بدايات ظهور البذور العقدية والفكرية والسلوكية للخوارج [(١٣١٢)] .

ومن هذه السمات والمظاهر: التشدد في الدين على النفس ، والتعسير على الآخرين ، والتعلم ، والغرور ، وتصدر الأحداث ، وقلة الصبر ، وضعف الحكمة ، والاستبداد بالرأي ، وتجهيل الآخرين ، والطعن في العلماء ، وسوء الظن فيهم ، وتحقيرهم ، والتنفير منهم ، والحدية في التعامل مع الآخرين ، وصعوبة مد جسور التفاهم معهم ، وقابلية الانشطار والتفرق ، وسهولة اتهام الآخرين ، وصعوبة التجمع والتوحد ، والتكفير وغير ذلك من مظاهر الغلو التي ساهم في ظهورها مجموعة من الأسباب؛ منها:

١ . الجهل بالعلوم الشرعية:

فالمتأمل لواقع أكثر أصحاب التوجهات التي يميل أصحابها إلى سمات الخوارج يجد أنهم يتميزون بالجهل وضعف الفقه في الدين ، وضحالة الحصيلة في العلوم الشرعية ، فحين يتصدرون للأمور الكبار والمصالح العظمى يكثر منهم التخبط والخلط والأحكام المتسرعة والمواقف المتشنجة [(١٣١٣)] ، بسبب عدم قدرتهم على استيعاب فقه المصالح والمفاسد ، والعلم بمراتبها ، فوق جهلهم باحاد النصوص الحاكمة على القضايا المعينة ، إذ ليست المنكرات العامة المتعلقة بالسياسة الشرعية؛ وهي في الغالب سبب الفتن؛ كمسائل الطهارة والصلاة والحج والأحوال الشخصية يقوم فيها الحق . غالباً . على الأدلة التفصيلية ، بل قيام العلم في ذلك على أسس منها:

أ . الأدلة الشرعية العامة ، والقواعد ، التي يدخل تحتها أمور كثيرة .

ب . مقاصد الشريعة.

ج . الموازنة بين المصالح والمفاسد.

د . الأدلة التفصيلية.

ولا يمكن للعوام ، بل صغار العلم فهم القضايا الكلية العامة ، وإن كان يمكنهم فهم النصوص الجزئية ، وكذلك فهم مقاصد الشريعة لا يكون إلا باستقراء مجمل النصوص ، وتصرفات الشارع ، ففقه المقاصد فقه عزيز ، لا يناله كل أحد ، بل لا يصل إليه إلا من ارتقى في مدارج العلم ، واطلع على واقع الحال ، وقلّب النظر في الاحتمالات التي يظن حدوثها ، والموازنة بين المصالح والمفاسد تحتاج إلى فهم للشريعة ومقاصدها ، وفهم للواقع ومراتب المفاسد والمصالح ، وهذا كله لا يكون إلا للعلماء [(١٣١٤)].
إن تصدّر العامة أنصاف العلماء الذين لا يفهمون كتاب الله وسنة رسوله (ص) يشتمت المسلمين ويفرق وحدتهم ، لأن العوام لا يتصور اتفاقهم على أمر إذا لم يكن لهم سراة يصدر عن رأيهم ، ولذلك كان الرد إلى أهل الحل والعقد.

٢ . القراءة من الكتب بدون معلم:

ومن الأسباب التي أسهمت في تشكيل فكر الغلو ، طلب العلم من غير بابه ، والإقبال بنهم على كتب العلم ، دون معلم يعين ولا موجه يرشد ، وأخذ الطلاب يستخرجون الأحكام في المسائل العضال قبل أن ترسخ أقدامهم في العلم بالكتاب والسنة ، فزلّت بهم القدم ، وقد حدث هذا من نوعين من الشباب:

* شباب عاش في السجون ، ولقى المحن والتعذيب.

* وشباب لم يدخلوا السجون ، ولم يتعرضوا لمحن ، وكانت النتيجة حصاداً مرّاً من البلبلة الفكرية ، وبلاء الغلو ، شتت شمل المسلمين المشتت ، وزاد تمزيقهم تمزيقاً ، وقد حدث هذا لأسباب منها:

أ . الإعراض عن العلماء : ولقد سلك الغلاة هذا المنهج الخاطئ بسبب وقوع بعض الانحرافات ممن ينتسبون للعلم من أهل الهوى ، فبدؤوا بسحب الثقة في أهل العلم ، وفي أقوالهم ولو كانت حقاً ، ثم غلب على هؤلاء سوء الظن ، فوسعوا دائرة الإعراض ، وأدخلوا فيها العلماء العاملين الصادقين ، وسحبوا الثقة فيهم أيضاً ، وكلما خالفهم عالم مجاهد في رأي رأوه ، أو مالوا إليه ، سحبوا الثقة فيه وأعرضوا عنه ، وهنا يكمن الخطر ويوجد الشطط ، قال أحد العلماء الذين حاوروا الشباب أثناء لقائه بهم: الذي أخشاه أن فقد الثقة بالعلماء سيحملكم على أحد الأمرين أو الأمرين معاً ، وهما: الاجتهاد

من غير استعداد كافٍ ، ومعرفة تؤهل لذلك ، أو العودة للكتب والأخذ عنها دون الاستعانة بأحد ، وفي الاثنين من المخاطر ما فيهما.

قال أحد الشباب: لقد وقعنا في الاثنين معاً [(١٣١٥)].

ب . الغلو في ذم التقليد:

لقد ذم القران الكريم التقليد وأهله ، وحذر السلف من هذا المسلك ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ *﴾ [البقرة: ١٧٠].

ومن أقوال الأئمة قول الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل ، يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري [(١٣١٦)].

وقال أحمد: لا تقلدني ، ولا تقلد مالكا ولا الثوري ولا الأوزاعي ، وخذ من حيث أخذوا [(١٣١٧)].

وقال أبو يوسف: لا يحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا [(١٣١٨)].

وقرأ الشباب هذا ، وقرؤوا أن المقلد مع العالم كالصبي في حجر أمه ، وأن لا فرق بين المقلد والبهيمة [(١٣١٩)] ، فأنفوا من تقليد غيرهم من العلماء ، وبالغوا في النفور من التقليد وذمه ، فظنوا أن الاهتداء براء السابقين من الصحابة والتابعين والعلماء الصادقين ، والاستفادة من مناهجهم ، والاسترشاد بفتاويهم المدعمة بأدلة ، ظنوا أن ذلك من التقليد المذموم ، فأباحوا لأنفسهم إصدار الفتاوى ولم يتأهلوا لها بعد ، وأكبوا على الكتب يستخرجون منها الأحكام ، ويستنبطون الآراء العجاب ، وتوغلوا في هذا الميدان وهم ليسوا فرسانه ، فشطوا وتجاوزوا الحدود.

إن هؤلاء الشباب لم يحسنوا تمييز الأمور وتفصيلها ، ولم يعرفوا صحيح الأقوال من سقيمها ، ولم يجيدوا إنزال النصوص منازلها ، فعمّموا حيث لا تعميم ، وأعرضوا حيث يجب الإقبال ، وأقدموا حيث يجب الإحجام ، فالنصوص التي تدم التقليد ليست عامة ، إنما لها حالات تنتزل عليها [(١٣٢٠)].

فابن عبد البر بعد أن ذكر الآثار المروية في ذم التقليد قال في نهاية الباب: وهذا كله لغير العامة ، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها ، لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تقبل بعدم الفهم إلى علم ذلك؛ لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها ، وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة والله علم . ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها ، وأنهم المرادون

بقول الله عز وجل: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ*} [الأنبياء: ٧] ... فكذلك من لا علم له ولا بصر؛ بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه ، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجوز لها الفتيا؛ وذلك والله أعلم لجهلها بالمعاني التي يجوز منها التحليل والتحريم والقول في العلم [(١٣٢١)]. وعامة هؤلاء الشباب عوام في علوم الشريعة ولوازمها ، وأنفوا من سؤال العلماء واستفسارهم ، فكانت النتيجة حصاداً مريباً من الفوضى الفكرية.

ج . التطبيق الخاطى لكلمات صدق:

إن هذه افة خطيرة ، من اتقاها نجا ، فمشكلة من وقع في غلو الخوارج اليوم وأمس ، ليست فيما يستدلون به ، ولكن في تطبيق ما يستدلون به على واقعه ومراده ، فعندما انقلب الخوارج على أمير المؤمنين علي ورموه بالكفر.. وقالوا: لا حكم إلا لله ، فقال: كلمة حق أريد بها باطل [(١٣٢٢)] ، وبعض أبناء العصر الحديث وقعوا فيما وقع فيه غيرهم ، حيث أساءوا تطبيق كلمات صدق وعدل ، فكانت النتيجة اجترأ على الأحكام ، والخروج براء حائدة عن الاعتدال ، ومن هذه الكلمات على سبيل المثال:

* التقليد مذموم:

هذه كلمة حق دل عليها القران والسنة ، ونهى عن التقليد الأئمة العلماء الأفاضل ، وهناك أمور هامة ينبغي التنبيه عليها هنا لنضع الكلمة في واقعها المراد:

. إن التقليد الباطل المذموم هو: قبول قول الغير بلا حجة [(١٣٢٣)].

. إن التقليد مذموم في حق القادر على الاجتهاد ، جائز في حق العاجز عن الاجتهاد [(١٣٢٤)].

. قراءة كتب العلماء السابقين والاستفادة من ارائهم بلا تعصب ليس من التقليد المذموم ، بل ينبغي لطالب العلم أن يعرف ما قاله السابقون في المسألة قبل أن يحكم فيها ليسترشد باراتهم وفهمهم [(١٣٢٥)].

قال عطاء: لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس ، فإنه إن

لم يكن كذلك رد من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه [(١٣٢٦)] . وقال قتادة: من لم يعرف الاختلاف لم يشم الفقه بأنفه [(١٣٢٧)] . وقال يحيى بن سلام: لا ينبغي لمن لا يعرف الاختلاف أن يفتي ، ولا يجوز لمن لا يعلم الأقاويل أن يقول: هذا أحب إلي [(١٣٢٨)] .

لكن بعض أبناء العصر الحديث أخطؤوا في تطبيق قاعدة عدم جواز التقليد ، فحملوا على العوام والعلماء على السواء ، ولم يفرقوا بين القادر والعاجز ، ولا بين الأصول والفروع ، ثم ماذا؟ الإعراض عن أقوال العلماء ، بل بلغ الحد ببعضهم إلى تسفيه الآراء ، وطرح لمناهجهم؛ لأن هذا تقليد مذموم ، ثم اجتراء على الفتوى ، واستخراج الأحكام مباشرة من القرآن والسنة دون إلمام بالعلوم التي تيسر لهم ذلك [(١٣٢٩)].

* هم رجال ونحن رجال:

كلمة رائعة أعجبت بعض أبناء العصر ، لأن فيها اعتداد بالنفس ، وأنفة في الانقياد للغير ، وهذا ما تميل إليه بعض نفوس الناس ، هذه الكلمة قالها إمام فقيه هو أبو حنيفة . رحمه الله . ، لكن بعض الناس نسوا قائلها وخصائصه ، ومناسبتها ، وانطلقوا يخطفون الأحكام خطأً بمجرد قراءة الآية أو الحديث ، وقل وقوفهم عند شرح وفهم الأئمة والعلماء للآيات والأحاديث ، ولا مانع من إهدارها عندهم ، فإذا قيل لهؤلاء الناس: ماذا تفعلون؟ اصبروا وتريثوا ، وتأنوا في أحكامهم ، وانظروا أولاً إلى فهم علمائهم ؛ قالوا: هم رجال ونحن رجال ، نعم أنتم متساوون من حيث البنية الجسدية ، والطباع البشرية ، أتدرون من صاحب هذه العبارة ؟ وما مناسبتها ؟ إنه إمام عالم فقيه من الله عليه بفهم ثاقب ، وعلم غزير ، وتقوى القلب ، ولقد قالها في معرض بيان أصوله حيث قال: إذا كان القرآن أو السنة فأقديهما ، إذا كان قول الصحابي فلا أخرج عنه ، وإذا كان قول تابعي ، فهم رجال ونحن رجال [(١٣٣٠)] ، فينبغي أن يعلم موضع القول ومناسبته حتى لا نشرد في التطبيق ، نعم هم رجال علماء مجتهدون ، فهل أنتم كذلك [(١٣٣١)]؟!

* منهج الصحابة: التلقي المباشر من القرآن والسنة:

قام بعض أبناء العصر يحددون منهج الصحابة الكرام ، بعد أن اندرس في الأنام ، وأقبلوا على القرآن والسنة لاستخراج الأحكام ، وأعرضوا عن الاستئارة بفهم علماء الإسلام ، وقالوا: يكفيننا القرآن والسنة ، ولا حجة لنا بأفهام الأموات ، فهما النبع الصافي فلا نكدره بشيء ، وهنا أخطأت رميتهم ، وطاش سهمهم [(١٣٣٢)] ، لأن التلقي المباشر ، والتعامل المباشر مع القرآن والسنة له حدود وقيود ، فلكل مسلم أن يتعامل مع القرآن والسنة مباشرة للتعرف على أصول العقائد والأخلاق ، والعظات ، والعبر الجليلة ، فهذه أمور قد جلاها الله سبحانه وتعالى ، وبيئها أتم بيان ، بحيث لا يجد المرء عسراً في فهمها ما دام يعرف لغة القرآن .

أما التعرف على دقائق الأمور في العقائد والأحكام ، فدائرته تضيق عن سابقه لتسع أصحاب الكفاءة والقدرة وحدهم ، أولئك الذين تزودوا بعلوم أوسع من اللغة والأصول والحديث.. تمكنهم من حسن الفهم ، ودقة الاستنباط ، وتمنعهم من الشطط عند المتشابهات ، والأمور الخفية ، وعلى أساس هذه التفرقة الواعية سار الصحابة الكرام ، فقد كانت تنزل بهم المسائل ، وتعرض لهم الأمور ، فإن كانت من القسم الأول عرفوها بكل يسر وسهولة ، وإن كانت من القسم الثاني لم يتجرؤوا حتى يسألوا علماءهم وفقهاءهم ، وهذا المنهج هو الذي ينبغي اتباعه ، فهو منهج العقل والحكمة الذي يحمي من الجمود ، ويبقي من الفوضى والبلبلة [(١٣٣٣)].

إن تفقه بعضهم بدون معلم قد نتج عنه اثار سيئة ومخاطر جسيمة ، من أهمها: نبت تراث السلف من العلوم والفنون المختلفة ، التطاول على العلماء ، الاتجاه الظاهري في فهم النصوص ، التجرؤ على الفتيا ، أفكار غالية [(١٣٣٤)].

ولقد علمنا الإسلام أن للعلم أبواباً كما أن له آداباً ، والسعيد من طرقه من أبوابه ، وتحلّى بآدابه ، فما علمنا على مدار التاريخ أن أحداً أتى مباشرة إلى القرآن والسنة ، وأخذ يعمل فكره ويستنبط الأحكام في أولى خطواته ، ويؤخر النظر في أقوال من سبق أو يعرض عنها ، ما علمنا هذا عن أحد ، اللهم إلا الخوارج الأعراب البدو الجهال المجردين من

الفقه ، والخالين من الفقهاء ، الخوارج ومن حذا حذوهم [(١٣٣٥)].

ولقد كثر زجر العلماء عن تلقي العلم من الكتب مباشرة دون الاستئارة براء وأفهام أهل العلم ، لأن هذا باب إلى التحريف والتصحيف ، وتبديل الأحكام والقول على الله بلا علم ، وتحليل الحرام ، وتحريم الحلال ، قال ابن جماعة وهو يذكر آداب طالب العلم التي أولها الاستخارة في اختيار الشيخ الذي يأخذ العلم عنه ، ويكتسب الأخلاق منه: وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الاطلاع ، وله مع من يوثق به من مشائخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق. قال الشافعي . رضي الله عنه . : من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام ، وكان بعضهم يقول: من أعظم البلية الصحيفة ، أي: الذين تعلموا من الصحف [(١٣٣٦)] ، والله در القائل:

مَنْ يَأْخُذُ الْعِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةٍ يَكُنْ الرَّيِّعُ وَالتَّصْحِيفُ فِي حَرَمٍ
وَمَنْ يَكُنْ اخِذَاً لِلْعِلْمِ مِنْ صُحُفٍ فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ

وقال علماء السلف: لا تقرأوا القرآن على المصحفين ، ولا تأخذوا العلم من الصحفيين [(١٣٣٧)].
وقال أبو زرعة: لا يفتي الناس صحفي ، ولا يقرئهم مصحفي [(١٣٣٨)] ، وقال تعالى: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ
الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * } [الأنبياء: ٧].

وقد أنكر الله على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لا يكون لها
صحة [(١٣٣٩)] ، وليس معنى هذا أن تمنع الناس أن يدرسوا ويتعلموا فطلب العلم فريضة ، وهو
مطلوب من المهد إلى اللحد ، لكن نقول: إنهم مهما درسوا ، فسيظلون في حاجة إلى أهل الاختصاص
، فإنه للعلم الشرعي أدوات لم يتوفروا على تحصيلها ، وأصولاً لم يتمرسوا بمعرفتها ، واستيعابها ، وفروعاً
ومكملات لم تسعفهم أوقاتهم ولا أعمالهم أن يتفرغوا لها [(١٣٤٠)] ، فلا جراءة وانطلاقة مندفة غير
منضبطة ، ولا كسل وخمول وتجميد للفكر والنظر وحظر للبحث وحجر للعقل ، إنما نريد جداً وسعيًا
مع

التأني والتثبت والتروي والتأكد ، والسؤال عما أشكل ، وخير الأمور أوسطها [(١٣٤١)].

٣ - تخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم:

العلماء هم ورثة الأنبياء ، ولذلك ينبغي أن يكونوا هم أصحاب القيادة والتوجيه في المجتمع ، وعليهم أن
يفرضوا وجودهم الأدبي والعلمي والمرجعي بين الناس ، بأخلاقهم وجهدهم وعلمهم ، وعليهم أن
يتحركوا بهذا الدين وبالعلم الذي يعلمونه من هذا الدين لصياغة المجتمع صياغة صحيحة ، ووضع كل
من الحاكم والمحكوم في وضعه الصحيح ، برّد الحاكم إلى الالتزام بشريعة الله ، فيزول من ثم ما هو واقع
في المجتمع من ظلم سياسي واجتماعي واقتصادي ، وردّ المحكومين إلى الالتزام بأوامر الله ونواهيه ، فيزول
من ثم ما وقع في المجتمع من فساد خلقي وروحي وسلوكي ، أو الجهاد في سبيل هذا الأمر على الأقل ،
فيتحقق من الإصلاح بقدر ما يخلص الناس نياتهم لله ، وبمقدار ما يبذلون من الجهد اللازم للإصلاح .
لقد كان للعلماء دور القيادة والريادة في المجتمع دائماً وأبداً ، وكان الناس يعرفون لهم ذلك حكاماً
ومحكومين ، ولم تظهر الزعامات السياسية العلمانية عند المسلمين إلا عندما تخلى العلماء عن دورهم في
قيادة الأمة وتوجيهها ، بل ما كان الناس يرضون بغير علمائهم بديلاً أبداً .

وكانت الأمة الإسلامية في كل أصقاع الدولة تحب علماءها وتجلهم وتلتف حولهم ، وتفزع إليهم بعد الله
سبحانه وتعالى كلما حزبها أمر و حلّت بها مصيبة ، لمعرفة الناس بمكانة العلماء وبقدرتهم على التحرك
، وبالتصدي لكل ما يصيبهم من السوء ، وكذلك كان الحكام يعرفون للعلماء قدرهم ، إن رغبة فيهم

أو رهبة منهم ، وما كان علماء المسلمين يعرفون بالانقطاع إلى الدرس والتحصيل ، بل كانوا هم في مقدمة المجاهدين المقاتلين ، وفي مقدمة الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وكانوا يشاركون أمتهم أفراحها وأتراحها ، وقد لاقى بعضهم من جراء ذلك ما لاقى ، ولكن لم يثنهم ذلك عن القيام بواجبهم [(١٣٤٢)]؛ لأنهم فهموا معنى ورثة الأنبياء.

إن العلماء هم فقهاء الإسلام ، ومن دار الفتيا على أقوالهم بين الأنام ، الذين خصوا باستنباط الأحكام ، وعنوا بضبط قواعد الحلال والحرام [(١٣٤٣)] ، والعلماء هم: أئمة الدين ، نالوا هذه المنزلة العظيمة بالاجتهاد والصبر واليقين: { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * } [السجدة: ٢٤] ، والعلماء هم ورثة الأنبياء ، ورثوا عنهم العلم ، فهم يحملونه في صدورهم ، وينطبع في الجملة على أعمالهم ، ويدعون الناس إليه ، والعلماء هم الفرقة التي نفرت من هذه الأمة لتنفقه في دين الله ، ثم تقوم بواجب الدعوة ومهمة الإنذار ، فعليهم أن يكونوا بين الناس ، ويقوموا بواجبهم كورثة للأنبياء ، ويتخلوا عن انزوائهم وابتعادهم عن الناس ومشاكلهم والاكتفاء بواجب البلاغ والإنذار ، بل يتصدروا لتربية الناس وتهذيبهم وتوجيههم وترشيدهم والصبر على مخالطتهم ، وحل مشاكل الناس الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية... إلخ ، وفق شرع الله تعالى ، فالعلماء هم هداة الناس الذين لا يخلو زمان منهم حتى يأتي أمر الله ، فهم رأس الطائفة المنصورة إلى قيامة الساعة ، يقول الرسول (ص): «لا تزال طائفة من أمتي قائمين بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ، أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» [(١٣٤٤)] .

فلا ينبغي أن يتخلى الكثير من العلماء عن واجبهم تجاه دعوة الله تعالى ، ويتركوا الناس بدون قيادة تقودهم نحو الخير والفلاح.

٤ . شيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية:

من أهم العوامل التي تؤدي إلى بروز ظاهرة الغلو: الكبت السياسي ، من ظلم الأفراد والشعوب ، وظلم الناس مما ينافي مقاصد الشريعة وما أمر الله به وأمر به رسوله (ص) ، من تحقيق العدل ونفي الظلم [(١٣٤٥)] .

٥ . التأويلات الخاطئة لبعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين:

فكما أن الخوارج انطلقوا إلى بعض الآيات التي نزلت في الكفار ففصلوها زوراً وبهتاناً على طائفة من خيار الصحابة نجد كذلك نقرأ من الشباب المتحمس والذي ينقصه العلم الشرعي والفقهاء في الدين في

هذا العصر حملوا بعض اراء المفكرين المسلمين المعاصرين أكثر مما تحمل ، وركبوا بسبب ذلك مركباً صعباً [(١٣٤٦)].

٦ . انتشار الفساد بين الناس:

من أكبر النكايات التي أصابت الأمة الإسلامية في هذا العصر الفساد العقدي والانحراف الكبير عن منهج أهل السنة والجماعة ، وظهور البدع بين المسلمين ، ولم يعد الكثير منهم يفقه حقيقة الشهادة التي يرددونها صباح مساء: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وما ترمي إليه هذه الكلمة ، وما هي شروطها وحقيقتها .

ولقد حاول أعداء الإسلام أن يفرغوا كلمة التوحيد من محتواها الكامل ، وبحصر الإسلام في النطق بالشهادتين فقط ، أو في التلفظ بهما مع إقامة الشعائر ، ويزوي الدين كله في جانب قصي من الحياة لكي يعيش المسلمون حينئذ في وهن وذل وخضوع وانحزام نفسي أمام الطغيان المادي وبهرج الحياة الزائف ، كما هو حال المسلمين اليوم [(١٣٤٧)] ، وانتشر الفساد الخلقي بين الناس ، وأشرف على هذا الإفساد أعداء الإسلام ، وقد استشرى الفساد وعم بصورة جعلت بعض الأخيار يأسون من الإسلام ، ومن ثم وُلد هذا اليأس والقنوط في نفوس بعض الشباب الذي كان متحمساً للعمل الإسلامي ، ردود فعل عنيقة ، وردود الفعل هذه لها صور مختلفة ومتباينة فمنهم من انحرف مع التيار ، ومنهم من اتخذ لنفسه موقفاً عدائياً سلبياً ، وقع أن هذا المجتمع الذي أصيب بهذا القدر من الفساد العقدي والأخلاقي لا خير فيه البتة ، وربما حكم عليه بعضهم بأنه مجتمع كافر [(١٣٤٨)].

٧ . عدم تزكية النفوس:

إن من الأسباب الرئيسية لتولد بدعة التكفير: عدم تزكية النفوس بسبب ضعف الجانب التربوي ، مما يؤدي إلى الغرور والاستبداد ، ويجعل المرء يشغل بعيوب غيره ، أكثر من اهتمامه واشتغاله بعيوب نفسه ، وعدم تزكية النفوس يتولد منه أمراض خطيرة؛ منها: العجلة ، والاستعلاء بالطاعة ، والهوى ، واحتقار الناس ، وعدم احترامهم ، وربما إخراجهم من الملة [(١٣٤٩)].

هذه بعض الأسباب التي أدت لبروز ظاهرة الغلو في العصر الحديث.

حادي عشر: أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث:

إن مظاهر الغلو في العصر الحديث كثيرة منها:

١ . التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين:

من مظاهر الغلو في هذا العصر: الخروج عن منهج الاعتدال في الدين ، الذي كان عليه النبي (ص) ، وقد حذر النبي (ص) من ذلك في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه ، قال رسول الله (ص): إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه [(١٣٥٠)] والتشدد في الدين كثيراً ما ينشأ عن قلة الفقه في الدين ، وهما من أبرز سمات الخوارج ، أعني التشدد في الدين وقلة الفقه ، وأغلب الذين ينزعون إلى خصال الخوارج اليوم تجد فيهم هاتين الخصلتين [(١٣٥١)] ، ومن مظاهر الغلو: التعسير وترك التيسير ، فأصحاب الغلو يطالبون الناس بما يطيقون ، ويلزمونهم بما لا يلزمهم به الشرع السهل ، ولا يراعون قدراتهم وتفاوتها ، وطاقتهم واستطاعتهم وتباينها ، وأفهامهم واختلافها ، فيخاطبونهم بما لا يفهمون ، ويطالبونهم بما لا يستطيعون ، ومن أسباب التعسير الورع الفاسد ، والجهل بمراتب الأحكام ، والجهل بمراتب الناس ، وأما مجالاته وصوره وأشكاله ، إيجاب النظر والاستدلال على الجميع ، وتحديث الناس بما لا يعرفون ، وترك الرخص والإلزام بما لم يلزم به الشرع [(١٣٥٢)].

٢ . التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث:

من السمات البارزة في ظاهرة الغلو في الوقت المعاصر ، التعالم والغرور ، وادعاء العلم في حين أنك تجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي ، والأحكام وقواعد الدين ، أو قد يكون عنده علم قليل بلا أصول ولا ضوابط ولا فقه ورأي سديد ، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين ، فيستقل بغروره عن العلماء ، وعن مواصلة طلب العلم ، فيهلك بغروره ويهلك ، وهكذا كان الخوارج الأولون يدعون العلم والاجتهاد ، ويتناولون على العلماء وهم من أجهل الناس [(١٣٥٣)].

وأدى التعالم والغرور إلى تصدر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للدعوة بلا علم ولا فقه ، فاتخذ بعض الناس منهم رؤساء جهالاً ، فأفتوا بغير علم وحكموا في الأمور بلا فقه ، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ، ولا رجوع إلى أهل العلم والفقه والتجربة والرأي ، بل كثير منهم يستنقص العلماء والمشايخ ، ولا يعرف لهم قدرهم ، وإذا أفتى بعض المشايخ على غير هواه ومذهبه ، أو بخلاف موقفه أخذ يلزمهم إما بالقصور أو التقصير ، أو الجبن والمداهنة ، أو بالسذاجة وقلة الوعي والإدراك ، ونحو ذلك مما يحصل بإشاعته الفرقة والفساد العظيم وغرس الغل على العلماء والحط من

قدرهم ، ومن اعتبارهم ، وغير ذلك مما يعود على المسلمين بالضرر البالغ من دينهم ودنياهم [(١٣٥٤)].

٣ . الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين:

من أبرز معالم الغلو حديثاً التعصب للرأي ، وعدم الاعتراف برأي الآخرين ، وإنكار ما عنده من الحق ما دام خالفه في الرأي ، ومن الأسباب التي تولد التعصب للرأي ، والانحياز له : قلة العلم ، مصادفة الرأي لذهن خال ، الإعجاب بالرأي ، اتباع الهوى.

إن أفة الإعجاب بالرأي والتعصب له هوت بأصحابها إلى دركات خطيرة ، في أزمنة قبلنا ، فما الذي هوى بذي الخويصرة الجهول؟! يقول ابن الجوزي: وافته أنه رضي برأي نفسه ، ولو وقف لعلم أنه لا رأي فوق رأي رسول الله (ص) [(١٣٥٥)].

وما الذي هوى بأصحاب ذي الخويصرة غير إعجابهم برأيهم ، وظن السوء في غيرهم . وكانت الخوارج تتعبد ، إلا أن اعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه ، وهذا مرض صعب [(١٣٥٦)] ، إن هؤلاء المساكين وقعوا أسرى لألفاظ لم يحسنوا فهمها ، ولم يستمعوا لمن يجليها لهم ، ويفهمهم إياها ، لأن الصواب هو رأيهم وما عداه خطأ ، يقول محمد أبو زهرة: أولئك استولت عليهم ألفاظ الإيمان ، ولا حكم إلا لله ، والتبرؤ من الظالمين ، وباسمها أباحوا دماء المسلمين وخضبوا الدماء الإسلامية لنجيع الدماء ، وشنوا الغارة في كل مكان [(١٣٥٧)].

إن هذا التعصب المقيت قد صدَّهم عن الاستجابة للحق بعد وضوحه ، فقد ناظرهم أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - ، وناظرهم ابن عباس - رضي الله عنهما - وأزالوا أعدارهم ، ودحضوا شبهاتهم ، وأقاموا عليهم الحجج الدامغة ، وأفحموهم بالبراهين الساطعة ، فلم يستجب إلا بعضهم واندفع الكثير لاستباحة دماء المسلمين [(١٣٥٨)] ، إن التعصب للرأي وتجهيل الآخرين يتنافى مع مبادئ هامة في الإسلام كالشورى والتناصح.

٤ . الطعن في العلماء العاملين:

شاهد عصرنا حملة غريبة وظاهرة عجيبة؛ ألا وهي الاعتداء على هيبة العلماء العاملين ، وطعنهم بخناجر الزيغ والضلال ، ولقد شهدت الصحف والمجلات ، والكتب والمقالات ، وقاعات الدروس والحلقات نماذج كثيرة من تلك الحملات ، فجلبت على أمة الإسلام أبلغ الأضرار ، فشتت الشمل المشتت ، وفُرّق الجمع المفرق ، وعمّق الشقائق الغائر.

ولا شك أن للطعن في العلماء أسباب منها: التعلم بدون معلم ، الفهم الخاطئاً لبعض عبارات العلماء ، واتباع الهوى ، والحسد ، وقد لجأ بعض الشباب إلى أسلوب سيئ ألا وهو تتبع عورات العلماء ، وزلاتهم ، وتصيد أقوالهم ، وشواذ آرائهم ، وتحريف كلمهم عن مقصودهم ، فعلوا ذلك ليبرروا حملتهم الشعواء في الطعن على العلماء قديماً وحديثاً ممن يخالف آرائهم ، ولا يقر مناهجهم الحائدة عن الاعتدال ، ولقد كان فعلهم هذا وبالاً على الإسلام ، وقرّة عين لأعداء الإسلام من بني صهيون وعابدي الأوثان.

وإن هذا المسلك المشين الذي يدل على جهل صاحبه أو مرضه وحقده قد حذر منه العلماء لخطورته على المسلمين ، ولأنه تنفيذ لمخطط أعداء الدين ، وتحقيق لأغراضهم بلا تعب ولا نصب [(١٣٥٩)] ، يقول ابن تيمية رحمه الله وهو ينهى عن رواية الأقوال الضعيفة عن الأئمة والعلماء: ومثل هذه المسألة الضعيفة ، ليس لأحد أن يحكيها عن إمام من أئمة المسلمين لا على وجه القدح فيه ، ولا على وجه المتابعة له فيها ، فإن ذلك ضرباً من الطعن في الأئمة واتباع الأقوال الضعيفة ، وبمثل ذلك صار وزير التتار يلقي الفتنة بين مذاهب أهل السنة حتى يدعوهم إلى الخروج عن السنة والجماعة ، ويوقعهم في مذهب الرافضة وأهل الإلحاد [(١٣٦٠)] .

إن الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين يخدمون المخططات اليهودية والنصرانية والطاغوتية والاستخباراتية سواء شعروا بذلك أم لا ، والذين لا يزالون يطعنون في علماء الأمة بفعلهم هذا يكونون قد ابتعدوا عن منهج أهل السنة والجماعة الذي يقوله: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر ، وأهل الفقه والنظر ، لا يذكرهم إلا بالجميل ، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل [(١٣٦١)] .

وليعلم الذين يطعنون في علماء الأمة العاملين أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك منتقصهم معلومة ، وما يدري هذا المتعلم أن الاعتبار في الحكم على الأشخاص بكثير الفضائل ، قال ابن القيم: ومن له علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح ، واثار حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور ، بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يُتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكائته وإمامته في قلوب المسلمين [(١٣٦٢)] .

فمن يبقى لأمة الإسلام إذا طعن في علمائهم؟! أيقى شباب أحداث ، يحسنون التلاوة ، ولا تستقيم لهم لغة ، وليس لهم باع طويلة ولا قصيرة في كثير من علوم الشرع!؟

إن أسلوب الطعن في العلماء قرة عين لأعداء الإسلام؛ لأنه ينشأ جيلاً بلا قادة ، وهل رأيتم جيلاً بلا قادة قد أفلح؟!

إن أسوأ ما في الأمم السابقة علماؤها وأخبارهم ؛ فقد كثر فيهم الضالون المضلون ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [التوبة: ٣٤].

وأفضل ما في الإسلام علماؤه الربانيون العاملون ، قال الشعبي: كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين ، فإن علماءهم خيارهم [(١٣٦٣)] ، ووضح ذلك ابن تيمية فقال: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون ، وإنما يضلهم علماؤهم ، فعلماءهم شرارهم ، والمسلمون على هدى وإنما يتبين الهدى بعلمائهم ، فعلماءهم خيارهم [(١٣٦٤)] .

٥ . سوء الظن:

لقد كثر هذا المرض واستشرى ضرره في عصرنا ، وكانت هذه الافة أداة فتك وتدمير ، ووسيلة هدم وتخريب ، وقد ترتب عليها نتائج خطيرة ، ومفاسد عظيمة ، ولهذا الافة أسباب ودوافع: منها: الجهل ؛ فالجهل بتفهم حقيقة ما يرى وما يسمع وما يقرأ ومرمى ذلك ، وعدم إدراك حكم الشرع الدقيق في هذه المواقف ، خصوصاً إذا كانت المواقف غريبة ، تحتاج إلى فقه دقيق ، ونظر بعيد ، يجعل صاحبه يبادر إلى سوء الظن ، والاتهام بالعيب ، والانتقاص من القدر .

ومنها: الهوى؛ وهو افة الافات ، فيكفي أن يرى المرء أو يقرأ أو يسمع ما لا يعجبه ، ولا يرضاه ، ولا يوافق عليه ومبتغاه.. يكفي ذلك لأن يطلق للظن السيئ الجبال ، ويرخي له العنان ، فيرتع ويصول ويجول ، ولا يزن الأمور بميزان الشرع الدقيق ، ولا يحاول أن يلتمس المعاذير ، ولا يراجع نفسه فضلاً عن أن يتهم فهمه ، فالهوى يصدده عن ذلك .

ومنها: العجب والغرور ؛ فإحسان المرء ظنه بنفسه ، وغروره بفهمه ، إن كان ذا فهم ، وإعجابه برأيه يدفعه لأن يزكي نفسه ، ويحتقر غيره ، فهو الصواب والكل خطأ ، وهو الحق والكل باطل ، وهو الهدى والجميع ضلال ، وقد رأينا أناس بلغ بهم سوء الظن مبلغاً غريباً عجيباً ، حتى أخرجوا جميع الناس عداهم ، أحياء وأمواتاً ، فرموهم بالزيف والضلال ، وفساد الاعتقاد ، فالجميع في عقيدته دخن ودخل وهم وحدهم المخلصون ، الجميع هالكون وهم الناجون ، إن الظن السيئ افة ، ولكل افة اثار وخطورة ، فمن اثاره السيئة؛ والسيئ لا يلد إلا سيئاً:

* إنه يدفع صاحبه لتتبع العورات ، والبحث عن الزلات ، والتنقيب عن السقطات ، وهو بذلك يعرض نفسه لغضب الله وعقابه ، لأن ذلك من صفات مرضى القلوب الذي توعدهم رسول الله (ص) . بالفضيحة ، فقال: «يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ؛ فإنه من تتبع عوراتهم يتتبع الله عورته ، ومن يتتبع الله عورته يفضحه في بيته» [(١٣٦٥)].

* كما يدفع صاحبه إلى الغيبة ، ونهش أعراض الآخرين ، والتشفي فيهم .
* وأخيراً فالظن السيئ يزرع الشقاق بين المسلمين ، ويقطع حبال الأخوة ، ويمزق وشائج المحبة ، ويزرع العداة والبغضاء والشحناء .

ولما كانت هذه الافة ذات خطورة عظيمة كما تبين ، فقد كان موقف الإسلام حاسماً ، فقد دعا وأمر باجتنب أكثر الظن ، لأن الوقائع والأحداث أثبتت أن الجري وراءه واتباعه عاقبته وخيمة وأضراره عظيمة [(١٣٦٦)] ، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ } [الحجرات: ١٢] قال ابن كثير: يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن كثير من الظن ، وهو: التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله ، لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً ، فليجتنب كثير منه احتياطاً [(١٣٦٧)] ، ومما يدفع سوء الظن التماس العذر لأخيك ، قال عمر بن الخطاب . رضي الله عنه .: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً ، وأنت تجد لها في الخير محملاً [(١٣٦٨)].

٦ . الشدة والعنف مع الآخرين:

من مظاهر الغلو حديثاً : الشدة والعنف في التعامل مع الآخرين ، واستخدامهما في غير محلها ، وكأن الأصل في التعامل مع الغير هو العنف والغلظة ، لا الرفق والرحمة ، وهذه الشدة أصبحت هي الطابع الغالب على سلوك بعض الشباب ، وقد تجاوز العنف حدود القول إلى العمل ، فسفكت دماء بريئة بسببه ، ودمرت منشآت ، ولقد تسبب هذا العنف في أضرار فادحة على أصحابه وعلى الأمة ، وقد كانت هناك جملة أسباب رئيسة وراء استخدام بعض الشباب للعنف والشدة ، والقسوة والغلظة ، نستطيع أن نجملها فيما يلي:

. المحن: فكثير من هؤلاء الشباب تعرضوا لمحن شتى ، أثرت في نفوسهم وكان لذلك رد فعل شديد ، فقابلوا العنف بالعنف ، وغلب ذلك على طباعهم .

. الجهل بفقہ الاحتساب: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات التي كلف الله بها هذه الأمة ، وينبغي للقائم بها أن يكون فقيهاً فيها ليتمكن من تحقيق المصلحة

واجتناب المفسدة بأيسر طريق ، فهناك أمور ينبغي فقهاها والعلم بها لمن يؤدي هذا الواجب .

منها: إن هذا الواجب قد يؤدي تارة بالقلب ، وتارةً باللسان ، وتارةً باليد ، والقلب واجب في كل حال ، وبعض الناس قد يقع هنا في خطأ ؛ فمنهم من يريد أن يأمر وينهى إما بلسانه وإما بيده مطلقاً ، من غير فقه وحلم وصبر ، ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يقدر عليه وما لا يقدر ، فيأتي بالأمر والنهي معتقداً أنه مطيع في ذلك لله ولرسوله ، وهو معتد في حدوده [(١٣٦٩)] ، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ، ولا بد من العلم بحال المأمور والمنهي ، ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصرط المستقيم ، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود ، ولا بد في ذلك من الرفق ، ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى ، فإنه لا بد أن يحصل له أذى ، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح .

فلا بد من هذه الثلاثة: العلم ، والرفق ، والصبر ، والحلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده ، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال .

وقد ذكر القاضي أبو يعلى: لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً فيما يأمر به ، فقيهاً فيما ينهى عنه [(١٣٧٠)] ، تلك بعض أمور من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قد أدى الجهل بها وعدم مراعاتها إلى سلوك سبيل الشدة والعنف في الدعوة.

ولقد استخدم بعض الشباب أسلوب الغلظة والقسوة في إرشاد الناس ومحاورتهم لهم ، ودعوتهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع ، وظنوا أن طريق الشدة هي المجدية والرادعة ، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق هو الأصل ولا يترك إلا بعد أن تستنفذ وسائله ، لأنه هو المجدي النافع ، المؤثر في النفس ، أما الشدة فإنها تنفر في غالب الأحيان ، وتحمل المخالف على الإصرار.

ومن العجب : أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف على علم ، والجاهل الذي لا يدري ، ولا بين الداعية للبدعة ، والضحية المضلل المخدوع ، ولا بين المنكر المختلف فيه ، والمتفق عليه .

ومن الأسباب الغليظة التي يسلكها بعض هؤلاء : الخشونة في معاملة الوالدين ، فلا يقيم لهم حرمة ، ولا يعاونهما ولا يخدمهما ، لقد نسي هؤلاء أن الوالدين لهما خصوصيات عن سائر الناس لا سيما في دعوتهم وإرشادهم ولا يعني ذلك التنازل عن الالتزام والتمسك بأمر من أمور الدين أو ارتكاب معصية إرضاء لهوهم.. كلا.. كلا.. إنما نريد الأدب في المعاملة ، واللين في القول ، وحسن العشرة ، والصبر عليهم ، والشفقة والرحمة بهم ، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا

عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ* وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبِهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ* { لقمان: ١٤ - ١٥ }.

ولقد رأينا بعض الشباب يتخاذل عن معاونة الناس الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فهؤلاء في
نظرهم لا يستحقون أي خدمة ، ولا كلمة طيبة ، ولا مساعدة نافعة ، فهؤلاء الشباب لم يتضح عندهم
مفهوم الولاء والبراء وحدود كلٍّ ، فيطغى عندهم البراء على الولاء ، ونسوا أن الخدمات الاجتماعية
وسيلة ناجحة من وسائل الدعوة ، لأنها عملية ، فهي أبلغ تأثيراً في النفس من القول ، ونسوا أن
خشونتهم في المعاملة ، وتخليهم عن المساعدة ، يعمق الهوة بينهم ، ويذهب لهؤلاء الناس إلى صفوف
المنحرفين أعداء الدين ، ومن مظاهر العنف البالغة ما يفعله بعض هؤلاء من مجاوزة الغلظة بالقول إلى
القتل وسفك الدم ، دم العلماء ، أو الجنود الأبرياء ، أو المواطنين العزل .

وأخيراً: فلا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب العنف هؤلاء ، كثيراً ما انقلب بعضهم على
بعض ، وتناولت الألسنة وأحياناً الأيدي ، وذلك ليس بغريب إذا راجع الإنسان قليلاً لدراسة أحوال
الفرق التي تركت كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح ، فقد تناحرت تلك الفرق فيما بينها ،
وضلل بعضها بعضاً ، وكفر بعضها بعضاً ، وهكذا مصير من ترك المنهج الذي جاء به خاتم الأنبياء
صلوات الله عليه وسلامه .

إن الإسلام موقفه صريح من العنف والشدة في الدعوة ومعاملة الناس ، قال تعالى . امرأ موسى وأخاه
هارون . : { اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى* } [طه: ٤٣ - ٤٤] ،
تلك هي توجيهات ربنا لموسى وهارون عليهما السلام عند دعوة فرعون الطاغية : القول اللين في بيان
الحق لأنه أجدى وأقرب لقبول الذكرى وإحداث الخشية ، وقال سبحانه: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا دُوَّ حَظٍّ عَظِيمٍ* } [فصلت: ٣٤ - ٣٥] .

إن الداعية قد يلقى في طريقه ما يغضبه ويضايقه ، وهو لاقية لا محالة ؛ فلا بد أن
يوطن نفسه بالصبر ، ويحصنها بكظم الغيظ ، والعفو عن الناس: { يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَنه عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ* } { لقمان: ١٧ } .

وينبغي للداعية أن يتجنب أسلوب الإثارة والاستفزاز ، فيتعد عن السباب والشتم: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٨].

ولقد كثرت النصوص النبوية التي تؤكد وترتكز على الالتزام بقاعدة الرفق ، والبعد عن الشدة والعنف ، قال (ص): «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه» [(١٣٧١)].

والرفق هو الأصل في الدعوة ليس معنى ذلك إلغاء الشدة بالكلية ، لا فالشدة مواضعها بعد استفاد وسائل الرفق والصبر ، والموفق من وفقه الله لإنزال كلِّ في منزله ، وعصمه من هواه [(١٣٧٢)].

٧ . التكفير:

تلك هي قمة الغلو وذروته ، ولقد بدأت ظاهرة التكفير في عام ١٩٦٥ م ، وأخذت تتسع شيئاً مع عام ١٩٦٧ م نتيجةً لبعض المحن ، وأخذ هذا الفكر ينتشر رويداً رويداً حتى شكل ظاهرة بارزة ، وقد رأينا كثيراً ممن يتصدون لتكفير الناس ، قد غاب عنهم مبادئ هامة ، فوقعوا فيما وقعوا فيه. ومن هذه المبادئ:

القاعدة الأولى: الذنوب: كبائر وصغائر ، يقول ابن القيم: والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر ، بنص القرآن والسنة ، وإجماع السلف وبالاختبار [(١٣٧٣)] ، قال تعالى: {إِنْ يَحْتَبِرُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} وقال تعالى: {الَّذِينَ يَحْتَبِرُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم: ٣٢] والجمهور على أن اللمم ما دون الكبائر ، وفي الصحيح عن النبي (ص) أنه قال: «الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر» [(١٣٧٤)]. فالذنوب متفاوتة في الإثم.

القاعدة الثانية: الكفر نوعان: أكبر وأصغر ، لقد دلت النصوص على أن الكفر نوعان ينبغي التمييز بينهما ، فالكفر الأكبر: منها التكذيب بما جاء به الرسول والجحود والإعراض . والأصغر : ذنوب توجب استحقاق الوعيد دون الخلود ، كقوله (ص): «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» [(١٣٧٥)] ، وقال تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات: ٩] فقد وصف الله الطائفتين المقتلتين بالإيمان ، فدل ذلك على أن وصف الكفر بهذا لا ينقل عن الملة ، وذلك هو الكفر الأصغر ، يقول ابن القيم: والقصد أن المعاصي كلها من نوع الكفر الأصغر ، فإنها ضد الشكر الذي هو العمل بالطاعة [(١٣٧٦)].

القاعدة الثالثة: تفاوت البدع: لقد ذم الإسلام البدع بجميع أنواعها ، وردها على صاحبها: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» [(١٣٧٧)] ، وقال (ص): «إن أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد (ص) ، وشر الأمور محدثاتها» [(١٣٧٨)] ، غير أن بعض الناس قد وقفوا في البدعة لغلبة أهوائهم ، وسيطرة الشبهات عليهم ، فاستحقوا بذلك الذم ، غير أنهم متفاوتون في الإثم لتفاوت البدع؛ فمثلاً: بدعة التكفير ليست كبدعة صوم النصف من شعبان ، فقبل إصدار أي حكم ينبغي النظر إلى البدعة والمبتدع الجاهل المقلد غير الداعية فلا يستوي والأول والثاني ، كذلك المجاهر والمسر.

القاعدة الرابعة: للتكفير شروط وموانع: هذه القاعدة من أهم القواعد ، وقد تحفى على كثير ، فينبغي التنبيه لها ، ومراعاتها في كل حكم ، فقد يرتكب المرء ذنباً فهو كافر ، وقد يقول قولاً هو كفر ، وقد يعتقد اعتقاداً هو كفر ، فهل بمجرد اقترافه لهذا القول أو الفعل أو الاعتقاد يصبح كافراً حلال الدم والمال؟

أجاب العلماء بأن هذا الشخص المعين لا يكون كافراً حلال الدم والمال إلا إذا توفرت فيه عدة شروط ، وانتفت عنه عدة موانع ، حينئذ يجوز الحكم عليه بالكفر ، أما إذا انتفى أي شرط أو وجد أي مانع فلا يجوز أن يحكم عليه بالكفر ، وليس معنى هذا إعفائه من العقوبة تماماً ، بل يعاقب على حسب حاله ، إنما الممنوع الحكم عليه بالكفر لا مطلق العقوبة.

* شروط التكفير:

هناك شروط ثلاثة لا بد من اجتماعها فيمن عمل عملاً يستحق عليه الوعيد كاللعن والكفر ، وإذا سقط شرط منها فيمتنع لعن الشخص وتكفيره وهذه الشروط هي:

الشرط الأول: العلم:

فلكي يحكم على شخص بالكفر لأنه عمل عملاً ، أو قال قولاً ، واعتقد اعتقاده هو كفر ، لا بد قبل الحكم من التأكد من معرفة هذا الشخص بأن ما يفعله كفر ، وأنه مخالف لما يجب فعله من الحق والصواب ، فإذا كان جاهلاً بالحق والصواب فلا تشرع عقوبته قبل بيان الحق والصواب بياناً شافياً، فالله سبحانه وتعالى لم يشرع العقوبة قبل إقامة الحجّة [(١٣٧٩)] ، قال عز وجل: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾* [الإسراء: ١٥]. وقال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾* [النساء: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ [القصص: ٥٩].

وقال تعالى: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الملك: ٨ - ٩]. وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنُحْزَى *} [طه: ١٣٤]. فهذه النصوص القرآنية تفيد أن الله تعالى لا يؤاخذ عباده إلا بعد قيام الحجة عليهم ، وعلمهم بالحق والصواب ، وقد ثبت في نصوص أخرى: أن الله لا يؤاخذ الجاهل ، ولو كان جهله بمسائل في العقيدة [(١٣٨٠)] ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) قال: «كان رجل يسرف على نفسه ، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ، ثم اطحنوني ، ثم ذروني في الريح ، فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً ، فلما مات فعل به ذلك ، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ، ففعلت ، فإذا هو قائم ، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رب خشيتك ، فغفر له» ، وفي رواية: «مخافتك يا رب» [(١٣٨١)].

وهذا الحديث متواتر عن النبي (ص) ، رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبي سعيد، وحذيفة وعقبة بن عمرو ، وغيرهم عن النبي (ص) من وجوه متعددة ، يعلم أهل الحديث أنها تفيد العلم اليقيني ، وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم في أسباب العلم ، فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل في قدرة الله تعالى على إعادة ابن ادم ، بعدما أحرق وذري ، وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك ، وهذان أصلان عظيمان:

. أحدهما: متعلق بالله تعالى ، وهو الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

. الثاني: متعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ويجزيه على أعماله.

ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة، ومؤمناً باليوم الآخر في الجملة ، وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت ، وقد عمل صالحاً ، وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه ، غفر الله له بما كان منه في الإيمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح [(١٣٨٢)] ، والأدلة من السنة كثيرة.

الشرط الثاني: العمد:

بعد استيفاء شرط العلم ، وبيان دليل الحق والصواب للمخالف ، والتأكد من وصوله إليه ، إن ظل على فعله أو قوله أو اعتقاده الذي يجلب الكفر أو اللعن ، لا يجوز الحكم عليه بالكفر إلا بعد استيفاء شرط آخر ، وهو العمد ، فنرى: هل تعمّد نصرته القول الباطل ، ومخالفة الحق بعد وصوله إليه ووضوحه؟ أو هو مخطأى متأول قد عرضت له بعض الشبه؟ لا بد من توفر شرط العمد ، لأن الله تعالى

قد رفع الإثم والمؤاخذه عن المخطئ والمتأول [١٣٨٣] ، قال تعالى: {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ} [الأحزاب: ٥] ، وقال سبحانه: {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦] وقد ثبت عن أبي هريرة عن النبي (ص): «أن الله تعالى قال: قد فعلت» ، لما دعا النبي (ص) والمؤمنون بهذا الدعاء ، وقد قال (ص): «أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش ، وأنه لم يقرأ بحرف منها إلا أعطيتها» [١٣٨٤] ، وقال (ص): «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان» [١٣٨٥] .

وقال ابن تيمية: وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية ، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية [١٣٨٦] .
الشرط الثالث: الاختيار والقدرة:

إذا علم المرء الحق وقال بخلافه ولم يكن متأولاً ؛ هل يكفي ذلك للحكم عليه؟ هنا ننتقل إلى الشرط الثالث ، فننظر في حال هذا الشخص ، وهل قال هذا القول الباطل وهو مختار قادر أو لا؟ وهذا الشرط لا بد من توفره؛ لأن النصوص والوقائع بينت أن الله تعالى لا يؤاخذ المكره والعاجز عن الاختيار [١٣٨٧] ، قال تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ*} [النحل: ١٠٦] .

* موانع التكفير المعين: الخطأ والجهل والعجز والإكراه [١٣٨٨]:

* موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين:

وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن موانع لحوق الوعيد بالشخص المعين عشرة هي: التوبة والاستغفار ، الحسنات الماحية ، دعاء المؤمنين ، ما يعمل للميت من دعاء البر ، شفاعة النبي (ص) وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة ، المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا ، ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة ؛ فإن هذا مما يكفر الله به الخطايا ، أهوال يوم القيامة وكرهها وشدايدها ، رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد ، تلك أسباب عشرة تمنع من لحوق الوعيد بالشخص المعين إذا تلبس ما يوجب الوعيد [١٣٨٩] ، فإذا عدمت هذه الأسباب كلها ولن تعدم إلا في حق من عتا وتمرد ، وشرد على الله شراد البعير على أهله ؛ فهنالك يلحق الوعيد به ، فإن قيل: فما فائدة الوعيد إذاً؟ فالإجابة : وذلك أن حقيقة الوعيد بيان أن هذا العمل سبب في هذا العذاب ، فيستفاد من ذلك تحريم الفعل وقبحه ، أما أن كل شخص قام به ذلك السبب يجب وقوع ذلك

المسبب به ، فهذا باطل قطعاً، لتوقف ذلك المسبب على وجود الشرط ، وزوال جميع الموانع [(١٣٩٠)].

* معنى من لم يكفر الكافر فهو كافر:

من العبارات التي اشتهرت على ألسنة من يلهبون الناس بسياط التكفير قولهم: من لم يكفر الكافر فهو كافر ، وجعلوا هذه القاعدة مسوغاً لتكفير من يخالفهم في رأيهم ، وحقيقة : إن هؤلاء الناس لم يحسنوا إنزال هذا القول منزله ، ولم يجيدوا فهمه ، فالمراد بالكافر الذي من لا يكفره يكون مثله ، هو الشخص المقطوع بكفره الذي توفرت فيه جميع الشروط ، وانتفت عنه جميع الموانع ، ومن كان كافراً من البداية ولم يدخل في الإسلام أبداً مثل: فرعون ، أبي جهل ، أبي لهب ، ماركس... إلخ فمن لم يكفر هؤلاء وأمثالهم ؛ فهو مثلهم.

وأما الشخص الخفي حاله لإظهاره الإسلام مثلاً وإبطانه الكفر وكراهية الإسلام ، فمثل هذا الشخص من اطلع على حاله وعرف حقيقته في مجالس خاصة وللقرب منه ، وتحقق من وجود الشروط ، وانتفاء الموانع وجب عليه اعتقاده تكفيره ، ومن لم يطلع ، وشهد له بالإسلام ، فلا إثم عليه لأنه شهد بما علمه ، ولنا الظاهر والله يتولى السرائر ، وقد كان المنافقون يعاملون بما يعامل به المسلمون لأنهم كانوا يظهرون الإسلام ولا يعلنون كفرهم بل يبطنونه ، وقد دلت أعمال أئمة السلف على أن المراد بالكافر هو المقطوع بكفره لا المختلف فيه ، إذ المختلف في تكفيره لا يكفر من لم يكفره ، ودليل ذلك: أن الإمام أحمد كان يرى كفر تارك الصلاة وكان الأئمة الثلاثة لا يرون كفره ، وقد دارت مناقشة بين الإمام الشافعي والإمام أحمد حول هذه المسألة ، فهل حكم أحمد على الشافعي بالكفر لعدم تكفيره تارك الصلاة؟! بالطبع لا .

وقد حقق ابن تيمية ما نسب إلى الإمام أحمد من الحكم على من لا يكفر أهل البدع ، فقال: وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان أصحهما لا يكفر [(١٣٩١)] ، وهذا في حق من لم يكفر الكافر المختلف في كفره ، أما المقطوع بكفره فلا ، وما نسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تكفير من لا يستحق ذلك ، فهذه نبذة من أقواله توضح منهجه في الدعوة ، وينفي بها عن نفسه ما نسب إليه زوراً وبهتاناً من تكفير من لا يستحق ذلك.

قال رحمه الله في رسالته للشريف: وأما الكذب والبهتان مثل قولهم: إنا نكفر بالعموم ، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه ، وإنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه

، وكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر ، والصنم الذي على أحمد البدوي ، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ، ويقاقل؟! سبحانك هذا بهتان عظيم [(١٣٩٢)].

وفي رده في رسالته إلى السويدي البغدادي يقول: وما ذكرت أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني ، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة ، فيا عجباً! كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ إلى أن قال: وأما التكفير: فأنا أكفر من عرف دين الإسلام ثم بعدما عرفه سبه ، ونهى الناس عنه وعادى من فعله ، وهذا هو الذي أكفره ، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك [(١٣٩٣)].

تلك قواعد هامة ينبغي مراعاتها قبل النظر في مسألة التكفير ، وهي قواعد اتفق عليها العلماء واعتبروها في أحكامهم ، لذلك عصمتهم من الزلل ، ووقتهم من السقوط في هاوية التكفير ، وثبتتهم على الصراط المستقيم ، والطريق السوي ، والسبيل القويم الذي لا عوج فيه ولا انحراف ، ومن أراد المزيد في بحث هذه المسألة فليراجع (منهج ابن تيمية في مسألة التكفير) للدكتور عبد المجيد المشعبي ، و(ظاهرة التكفير) للأمين الحاج محمد أحمد ، و(ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث) لمحمد عبد الحكيم حامد ، و(الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة) لعبد الرحمن بن معلا اللويجف ، و(شبهات حول الفكر الإسلامي المعاصر) ، سالم البهنساوي ، (الحكم وقضية تكفير المسلم) ، لسالم البهنساوي.

* * *

المبحث الثاني

أمير المؤمنين علي وفكر الشيعة

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح ، الرفض في اللغة والاصطلاح:

١ . تعريف الشيعة في اللغة:

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره ، ويقال: شايعه كما يقال: والاه ؛ من الولي... وتشيع الرجل أي: ادّعى دعوى الشيعة ، وتشايح القوم: صاروا شيعاً ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعضهم فهم شيع ، وقوله تعالى: { كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ } [سبأ: ٥٤] أي: بأمثالهم من الأمم الماضية [١٣٩٤].

وجاء في (المصباح المنير): والشيعة: الأتباع والأنصار ، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، ثم صارت الشيعة نبراً. أي وصفاً. بجماعة مخصوصة ، والجمع شيع ؛ مثل: سدره وسدر ، والأشباع جمع الجمع ، وشيعت رمضان بست من شوال: أتبعته بها [١٣٩٥].

فالشيعة: من حيث مدلولها اللغوي تعني: القوم والصحب والأتباع والأعوان ، وقد ورد هذا المعنى في بعض آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى: { فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ } [القصص: ١٥] ، وقوله تعالى: { وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * } [الصفوات: ٨٣] ؛ فلفظ الشيعة في الأولى: تعني القوم ، وفي الثانية: تشير إلى الأتباع الذين يوافقون على الرأي والمنهج ويشاركون فيهما.

٢ . تعريف الشيعة في الاصطلاح:

إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم ، ومراحل التطور العقدي لهم ؛ ذلك أن من الملحوظ: أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر ، فالمتشيع في العصر

الأول غير المتشيع فيما بعده ، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدم علياً على عثمان ، ولذلك قيل: شيعي وعثماني ، فالشيعي من قدم علياً على عثمان [١٣٩٦].

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذي يقدمون علياً على عثمان فقط [١٣٩٧].

ولهذا ذكر ابن تيمية: أن الشيعة الأولى الذين كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر [١٣٩٨]. وقد منع شريك بن عبد الله . وهو ممن يوصف بالشييع . إطلاق اسم التشيع على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر ، وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك . والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنازعة [١٣٩٩].

وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد ، حدثنا جرير ، عن سفيان ، عن عبد الله بن زياد بن جرير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة ، قال لنا شهر بن عطية: قوموا إليه ، فجلسنا إليه ، فتحدثوا ، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقدمهما ، وقدمت الان وهم يقولون ، ويقولون ، ولا والله ما أدري ما يقولون [(١٤٠٠)].

قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع ، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها [(١٤٠١)] ؛ ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين ، وعمر حتى توفي سنة ١٢٧ هـ ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي ، وهو يقول عن نفسه: رفعتني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب ، أبيض الرأس واللحية ، ولو عرفنا متى فارق الكوفة ، ثم عاد فزارها ، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر ، وعمر ، ومتى أخذوا يفارقون علياً ويخالفونه فيما كان يؤمن من يؤمن به ، ويلعنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه ، صاحبي رسول الله (ص) ووزيريه وخليفتيه على أمتي في أنقى وأطهر أزمانها [(١٤٠٢)].

وقال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً [(١٤٠٣)] . وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، كلهم عرفوا له حقه ، وأحلوه من الفضل محله ، ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله (ص) فضلاً عن إكفاره وسبه [(١٤٠٤)] .

ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء ، والسلامة والسمو ، بل إن مبدأ التشيع تغير ، فأصبحت الشيعة شيعاً ، وصار التشيع قناعاً يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين.. ولهذا نسمي الطاعنين بالشيخين: الرافضة ، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع [(١٤٠٥)].

ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين ، وغير المحدثين من العلماء والأعلام ؛ أطلق عليهم لقب الشيعة ، وقد يكونون من أعلام السنة ، لأن للتشيع في زمن السلف مفهوماً وتعريفاً غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة ، ولهذا قال الذهبي في معرض الحديث عن رمي بدعة التشيع ، إن البدعة على ضربين ، فبدعة صغرى ، كغلو التشيع ، أو كالتشيع بلا غلو ، فهذا كثير في التابعين ، وأتباعهم مع الدين الورع والصدق ، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من

الاثار النبوية ، وهذه مفسدة بينة ، ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل ، والغلو فيه ، والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والدعاء إلى ذلك ، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة أيضاً ، فما استحضر الان في هذا الضرب رجلاً صادقاً ، ولا مأموناً ، بل الكذب شعارهم ، والتقية والنفاق دثارهم ، فكيف يقبل نقل من هذه حاله؟! حاشا وكلا ، فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير ، وطلحة ومعاوية ، وطائفة ممن حارب علياً . رضي الله عنه . ، وتعرض لسبهم ، والغالي في زمننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين؛ فهذا ضالٌّ مفترٌّ [(١٤٠٦)] .

إذن التشيع درجات ، وأطوار ، ومراحل ، كما أنه فرق وطوائف ، وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات ، أنها دأبت على القول في التعريف للشيعة الإمامية بأنهم أتباع علي... إلخ .

وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها ؛ هذه النتيجة: أن يكون علي شيعياً يرى ما يراه الشيعة ، وعلي . رضي الله عنه . بريء مما تعتقده الشيعة فيه وفي بنيه ، ولذلك لا بد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعاً للإيهام ، فيقال: هم الذين يزعمون أنهم أتباع علي ، حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة ، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون [(١٤٠٧)] ، أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلي ، أو الراضية ، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: الراضية المنسوبون إلى شيعة علي [(١٤٠٨)] ، فهم أيضاً ليسوا على منهج شيعة علي المتبعين له ، بل هم أدياء وراضية [(١٤٠٩)] .

٣ . الرفض في اللغة:

هو الترك ، يقال: رفضت الشيء: أي تركته [(١٤١٠)] ؛ فالرفض في اللغة معناه: الترك والتخلي عن الشيء .

٤ . الراضية في الاصطلاح:

هي إحدى الفرق المنتسبة للتشيع لآل البيت ، مع البراءة من أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي (ص) إلا القليل منهم ، وتكفيرهم لهم وسبهم إياهم [(١٤١١)] . قال الإمام أحمد رحمه الله: الراضية: هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله (ص) ويسبونهم وينتقصونهم [(١٤١٢)] . وقال عبد الله بن أحمد رحمه الله : سألت أبي عن الراضية؟ فقال: الذين يشتمون . أو يسبون . أبا بكر وعمر . رضي الله عنهما [(١٤١٣)] . .

وقال أبو القاسم التيمي الملقب بقوام السنة في تعريفهم: وهم الذين يشتمون أبا بكر وعمر . رضي الله عنهما . ورضي عن محبهما [(١٤١٤)].

وقد انفردت الرافضة من بين الفرق المنتسبة للإسلام بمسبة الشيخين أبي بكر وعمر ، دون غيرها من الفرق الأخرى ، وهذا من عظيم خذلانهم قاتلهم الله [(١٤١٥)] . يقول ابن تيمية ، رحمه الله: فأبو بكر وعمر أبغضتهما الرافضة ولعنتهما ، دون غيرهم من الطوائف [(١٤١٦)] .

وقد جاء في كتب الرافضة ما يشهد لهذا: وهو جعلهم محبة الشيخين وتوليهم من عدمهما هي الفارق بينهم وبين غيرهم ممن يطلقون عليهم النواصب ، فقد روى الدراري عن محمد بن علي بن موسى قال: كتبت إلى علي بن محمد عليه السلام [(١٤١٧)] عن الناصب: هل يحتاج في امتحانه إلى أكثر من تقديمه الجبت والطاغوت [(١٤١٨)] ، واعتقاد إمامتهما؟ فرجع الجواب: من كان على هذا فهو ناصب [(١٤١٩)] .

٥ . سبب تسميتهم رافضة:

يرى جمهور المحققين: أن سبب إطلاق هذه التسمية على الرافضة ، لرفضهم زيد بن علي ، وتفرقهم عنه بعد أن كانوا في جيشه ، حين خروجه على هشام ابن عبد الملك ، في سنة إحدى وعشرين ومئة ، وذلك بعد أن أظهروا البراءة من الشيخين ، فنهاهم عن ذلك ؛ يقول أبو الحسن الأشعري: وكان زيد بن علي يفضل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله (ص) ، ويتولى أبا بكر وعمر ، ويرى الخروج على أئمة الجور ، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه سمع من بعضهم الطعن في أبي بكر وعمر ، فأنكر ذلك على من سمعه منه ، فتفرق عنه الذين بايعوه ، فقال لهم: رفضتموني ، فيقال: إنهم سموا رافضة لقول زيد لهم: رفضتموني [(١٤٢٠)] . وبهذا القول قال

قوام السنة [(١٤٢١)] ، والرازي [(١٤٢٢)] ، والشهرستاني [(١٤٢٣)] وابن تيمية [(١٤٢٤)] . رحمهم الله . ، وذهب الأشعري في قول آخر: إلى أنهم سموا بالرافضة لرفضهم إمامة الشيخين ، قال: وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر [(١٤٢٥)] .

٦ . رافضة اليوم:

والرافضة اليوم يعضبون من هذه التسمية ولا يرضونها ، ويرون أنها من الألقاب التي ألصقها بهم مخالفوهم ، يقول محسن الأمين: الرافضة لقب ينز به من يقدم علياً . رضي الله عنه . في الخلافة ، وأكثر ما يستعمل للتشفي والانتقام [(١٤٢٦)] .

ولهذا يتسمون اليوم الشيعة ، وقد اشتهروا بهذه التسمية عند العامة ، وقد تأثر بذلك بعض الكتاب والمثقفين ، فنجدهم يطلقون عليهم هذه التسمية ، وفي الحقيقة: إن الشيعة مصطلح عام يشمل كل من شايح علياً - رضي الله عنه [(١٤٢٧)] . - وقد ذكر أصحاب الفرق المقالات أنهم ثلاثة أصناف:

أ . غالية: وهم الذين غلوا في علي وادعوا فيه الألوهية أو النبوة.

ب . ورافضة: وهم الذين يدعون النص على استخلاف علي ، ويتبرؤون من الخلفاء قبله وعامة الصحابة.

ج . وزيدية: وهم أتباع زيد بن علي ، الذين كانوا يفضلون علياً على سائر الصحابة ويتولون أبا بكر وعمر [(١٤٢٨)] .

فإطلاق الشيعة على الرافضة من غير تقييد لهذا المصطلح غير صحيح ؛ لأن هذا المصطلح يدخل فيه الزيدية [(١٤٢٩)] ، وهم يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، بل إن

تسميتهم بالشيعة يوهم التباسهم بالشيعة القدماء الذين كانوا في عهد علي - رضي الله عنه - ومن بعدهم ؛ فإن هؤلاء جمعون على تفضيل الشيخين على علي - رضي الله عنه - ، وإنما كانوا يرون تفضيل علي على عثمان ، وهؤلاء كان فيهم كثير من أهل العلم ومن هو منسوب إلى الخير والفضل ، ويقول ابن تيمية - رحمه الله - : ولهذا كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا علياً ، أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعو في تفضيل أبي بكر وعمر ، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان [(١٤٣٠)] .

ولذا فإن تسمية الرافضة بالشيعة من الأخطاء البينة الواضحة التي وقع فيها بعض المعاصرين تقليداً للرافضة في سعيهم للتخلص من هذا الاسم ، لما رأوا من كثرة ذم السلف لهم ، ومقتهم إياهم ، فأرادوا التخلص من ذلك الاسم تمويهاً وتدليساً على من لا يعرفهم بالانتساب إلى الشيعة على وجه العموم ، فكان من اثار ذلك ما وقع فيه بعض الطلبة المبتدئين ممن لم يعرفوا حقيقة هذه المصطلحات ؛ من الخلط الكبير بين أحكام الرافضة وأحكام الشيعة ، لما تقرر عندهم إطلاق مصطلح التشيع على الرافضة ، فظنوا أن ما ورد في كلام أهل العلم المتقدمين في حق الشيعة أنه ينتزل على الرافضة ، في حين أن أهل العلم يفرقون بينهما في كافة أحكامهم [(١٤٣١)] .

وعليه فإن من الواجب ، أن يسمّى هؤلاء الروافض بمسماهم الحقيقي الذي اصطلح عليه أهل العلم ، وعدم تسميتهم بالشيعة على وجه الإطلاق ، لما في ذلك من اللبس والإبهام . وإذا ما أطلق عليهم

مصطلح التشيع فينبغي أن يقيد بما يدل عليهم خاصة ، كأن يقال: الشيعة الإمامية ، أو الشيعة الإثنا عشرية على ما جرت عادة العلماء عند ذكرهم [(١٤٣٢)] ، والله تعالى أعلم.

ثانياً: نشأة الشيعة الرافضة ، وبيان دور اليهود في نشأتهم:

أول من دعا إلى أصول عقائد الشيعة الرافضة التي انبنت عليها عقائدهم الأخرى: رجل يهودي اسمه عبد الله بن سبأ من يهود اليمن ، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان . رضي الله تعالى عنه . ، وأخذ يتنقل بين أمصار المسلمين للدعوة لهذا المعتقد الفاسد .

وهذا نص ما ذكره الطبري في تاريخه قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء ،

أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ؛ فبدأ بالحجاز ، ثم البصرة ، ثم الكوفة ، ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه ، حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمداً يرجع ، وقد قال الله: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص: ٨٥] ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ، قال: فقبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي ، وكان عليّ وصي محمد ، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثم قال لهم بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ص) ، ووثب عليّ وحياً رسول الله (ص) وتناول أمر الأمة ، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله (ص) ؛ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه ، وابدؤوا الطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر . فبث دعواته وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم [(١٤٣٣)].

وهكذا كانت بداية الرفض، وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيف والضلال ، وتشرّبها قلوبهم وعقولهم ، حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان بن عفان . رضي الله عنه . على يد هذه الشرذمة الفاسدة.

حتى إذا ما جاء عهد علي بن أبي طالب بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل ، إلى أن بلغت علياً . رضي الله عنه . ، فأنكرها أشد ما يكون الإنكار ، وتبرأ منها ومن أهلها ، ومما صح في ذلك عن علي رضي الله عنه: ما رواه ابن عساكر عن عمار الدهني قال: سمعت أبا الطفيل يقول:

رأيت المسيب بن لجة أتى به ملبه يعني . ابن السوداء . ، وعلي علي المنبر ، فقال علي: ما شأنه؟ فقال: يكذب على الله ورسوله [(١٤٣٤)].

وعن يزيد بن وهب عن علي قال: مالي ولهذا الحميت [(١٤٣٥)] الأسود [(١٤٣٦)].

ومن طريق يزيد بن وهب أيضاً عن سلمة عن شعبة ، قال علي بن أبي طالب: ما لي ولهذا الحميت الأسود . يعني عبد الله بن سبأ . ، وكان يقع في أبي بكر وعمر [(١٤٣٧)].

وهذه الروايات ثابتة عن علي رضي الله عنه بأسانيد صحيحة [(١٤٣٨)].

وحكى المؤرخون وأصحاب الفرق والمقاتلات: إن ابن سبأ ادعى الربوبية في علي . رضي الله عنه . ، فأحرقه علي . هو وأصحابه . بالنار [(١٤٣٩)] ، يقول الجرجاني: السبئية من الرافضة ينسبون إلى عبد الله بن سبأ ، وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال: علي رب العالمين ، فأحرقه علي وأصحابه بالنار [(١٤٤٠)]. ويقول الملطي في معرض حديثه عن السبئية: هم أصحاب عبد الله بن سبأ . قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت! قال: ومن أنا؟ قالوا: الخالق الباري! فاستتابهم فلم يرجعوا ، فأوقد لهم ناراً ضخمة وأحرقهم ، وقال مرتجراً:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قَنْبَرًا [(١٤٤١)] وذهب بعض المؤرخين

إلى أن علياً . رضي الله عنه . لم يحرق ابن سبأ ، وإنما نفاه إلى المدائن . ثم ادعى بعد موت علي . رضي الله عنه . أن علياً لم يمت ، وقال لمن نعاه: لو جئتمونا بدماعه في سبعين صرة ما صدقنا موته [(١٤٤٢)]. ولعل القول الأول هو الصحيح ويشهد له ما جاء في صحيح البخاري ، وعن عكرمة قال: أتى علي . رضي الله عنه . بزنادقة ، فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله (ص): «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله (ص): «من بدل دينه فاقتلوه» [(١٤٤٣)].

قال ابن حجر في شرح الحديث بعد أن ذكر بعض الروايات في هؤلاء المحرّقين وفيها: أنهم ناس كانوا يعبدون الأصنام ، وفي بعضها أنهم قوم ارتدوا عن الإسلام ، وعلى اختلاف بين الروايات في تعيينهم... قال بعد ذلك: وزعم أبو المظفر الإسفراييني في الملل والنحل : أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية ،

وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً أظهر الإسلام ، وابتدع هذه المقالة ، وهذا يمكن أن يكون أصله: ما روينا... من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري قال: قيل لعلي: إن

هنا قوماً على باب المسجد يدعون أنك ربهم ، فدعاهم: ويلكم ما تقولون؟! قالوا: أنت ربنا خالقنا ورازقنا [(١٤٤٤)] ، ثم ساق بقية الرواية ؛ وفيها: أن علياً - رضي الله عنه - استتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا ، فحرقهم بالنار في أخاديد قد حفرت لهم ، وقال:

لَمَّا رَأَيْتُ الْأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا
أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ فُنُبْرًا قَالَ ابْن حجر: وهذا سند

حسن [(١٤٤٥)] ، والمقصود هنا : هو ظهور عقائد الشيعة الرافضة المتمثلة في الغلو في علي - رضي الله عنه - في تلك الفترة الزمنية ، وإمعان علي - رضي الله عنه - في عقوبتهم ، حتى قال ابن عباس ما قال ، كما ثبت إنكار علي - رضي الله عنه - لكل العقائد الأخرى التي ظهرت في عهده ، وانتظمت في سلك التشيع له - كتفضيله على عامة الصحابة ، وتقديمه على الشيخين ، وكان انتشار سب الصحابة والإضرار عليهم بين أولئك الضلال .

قال ابن تيمية - رحمه الله -: ولما أحدثت البدع الشيعة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ردها ، وكانت ثلاث طوائف: غالية ، وسبابة ، ومفضلة : فأما الغالية ، فإنه حرقهم بالنار؛ فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام ، فقال : ما هذا؟! فقالوا: أنت هو الله! فاستتابهم ثلاثاً فلم يرجعوا ، فأمر في الثالث بأخاديد فخذت وأضرم فيها النار ، ثم قذفهم فيها...

وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سبِّ أبا بكر وعمر طلب قتله ، فهرب منه إلى قريسياء وكلم فيه ، وكان علي يداري أمراءه ، لأنه لم يكن متمكناً ، ولم يكن يطيعونه في كل ما يأمرهم به .

وأما المفضلة: فقال لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتزين. قال: وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر [(١٤٤٦)] .

وعلى كل حال فعقائد الرافضة مع ظهورها في عهد علي - رضي الله عنه - إلا أنها بقيت محصورة في أفراد لا تمثلها طائفة أو فرقة ، حتى انقضى عهد علي رضي الله عنه وهي على تلك الحال ، وقد أفرده الدكتور سعدي الهاشمي عقيدة ابن سبأ والبدع التي نادى بها في رسالته (ابن سبأ حقيقة لا خيال) ، وذكرها في كتابه (الرواة الذين تأثروا بابن سبأ) وأهم البدع التي نادى بها ابن سبأ القول بالوصية ، وهو أول من قال بوصية رسول الله (ص) لعلي ، وأنه خليفته على أمته من بعده بالنص ، وأول من أظهر البراءة من أعداء علي رضي الله عنه بزعمه ، وكاشف مخالفه ، وحكم بكفرهم ، وأول من قال بألوهية وربوبية علي رضي الله عنه ، وكان أول من ادَّعى النبوة من فرق الشيعة الغلاة ، وكان أول من أحدث القول برجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا بعد موته ، وبرجعة رسول الله (ص) ، وأول من ادعى أن

علياً رضي الله عنه هو دابة الأرض ، وأنه هو الذي خلق الخلق وبسط الرزق ، وقالت السبئية: إنهم لا يموتون ، وإنما يطيرون بعد مماتهم وسموا بالطيارة ، وقال قوم منهم . السبئية .: بانتقال روح القدس في الأئمة ، وقالوا: بتناسخ الأرواح ، وقالت السبئية : هدينا لوحى ضلّ عنه الناس ، وعلم خفي عنهم ، وقالوا: إن علياً في السحاب ، وإن الرعد صوته ، والبرق سوطه ، هذه أبرز البدع التي كان يعتقد بها ابن سبأ وأتباعه ، وصاروا بها من الغلاة [(١٤٤٧)] .

إن فرق الشيعة الرافضة ، كفكر وعقيدة ؛ لم تولد فجأة ، بل إنها أخذت تطوراً زمنياً ، ومرت بمراحل ، ولكن طلائع العقيدة الشيعية الرافضية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي ، وأن علياً وصي محمد . كما مر . ، وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة ، وهي أساس التشيع الرافضي كما يراه شيوخ الشيعة الروافض ، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوّة محمد . (ص) . ووصية علي عليه السلام [(١٤٤٨)] .

وشهدت كتب الشيعة الروافض . كما سيأتي تفصيله بإذن الله . بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصحاب رسول الله (ص) وأرحامه وخلفائه ، وأقرب الناس إليه . رضي الله عنهم . ، والطعن في الصحابة الآخرين ، وهذه عقيدة الشيعة

الروافض في الصحابة كما هي في كتبهم المعتمدة ، كما أن ابن سبأ قال برجعة علي [(١٤٤٩)] ، والرجعة من أصول الشيعة الروافض كما سيأتي بإذن الله ، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة ، كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد ابن الحنفية [(١٤٥٠)] في رسالة الإرجاء [(١٤٥١)] .

وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة ، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر ، وأن علياً . رضي الله عنه . سئل عنها ، وقيل له: هل عندكم شيء مما ليس في القرآن ، أو مما ليس عند الناس؟ فنفي ذلك نفياً قاطعاً [(١٤٥٢)] .

هذه من أهم الأصول التي تدين بها الشيعة الرافضة [(١٤٥٣)] ، وقد وجدت إثر مقتل عثمان . رضي الله عنه . ، وفي عهد علي . رضي الله عنه . ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معينة معروفة ، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي رضي الله عنه كما مر معنا ، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هياً جواً صالحاً لظهور هذه العقائد ، وتمثله في جماعة كمعركة صفين ، وحادثة التحكيم التي أعقبتها ،

ومقتل علي ، ومقتل الحسين ،.. كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لال البيت ، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وال بيته ، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت ، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطاءه ، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاضم خطرها ، حيث وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون ، ولم يكن استعمال لقب الشيعة في عهد علي رضي الله عنه إلا بمعنى الموالاتة والنصرة ، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة الرفضية اليوم [(١٤٥٤)] .

إن التشيع لال البيت وحبهم أمر طبيعي ، وهو حب لا يفرق بين الال ، ولا يغلو فيهم ، ولا ينتقص أحداً من الصحابة ، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع ، وقد نما الحب وزاد للال بعدما جرى عليهم من المحن والالام بدءاً من مقتل علي ثم الحسين... إلخ ، هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين ، فدخل الحاقدون من هذا الباب ، ذلك أن إراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث... لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي رضي الله عنه ، والرجعة ، والبداء ، والغيبة ، وعصمة الأئمة... إلخ ، فلا شك أنها عقائد ما أنزل الله بها من سلطان ، دخيلة على المسلمين . ترجع أصولها لعناصر مختلفة ، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام وأهله ، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام ، من يهودي ، ونصراني ، ومجوسي ، وغيرهم ، فدخل في التشيع كثير من العقائد الفاسدة ، كما سيتبين ذلك عند دراسة أصول عقائدهم ، ولهذا ذهب ابن تيمية رحمه الله إلى أن المنتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس ، والروم ، واليونان ، والنصارى ، واليهود ، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع ، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي (ص) ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من قبلها... ، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع [(١٤٥٥)] .

ثالثاً: المراحل التي مرت بها الشيعة الرفضية:

مرت الشيعة الرفضية في نشأتها بعدة مراحل ، حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة ، ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسة:

١ . المرحلة الأولى:

دعوة عبد الله بن سبأ على ما ادّعى إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة ، كدعوته لعقيدة الرجعة ، وإحداثه القول بالوصية لعلي رضي الله عنه ، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة ، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضالّ البعيد عن روح الإسلام أمران:

أ . اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته ، حيث بثّ دعوته في بلدان مصر ، والعراق ، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار ، كما مر في كلام الطبري [(١٤٥٦)] ، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح ، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقهاء بدين الله تعالى ، وذلك لقرب عهدها بالإسلام فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رضي الله عنه ، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتعلم والتربية على أيديهم.

ب . إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات ، فإنه زيادة في المكر والخديعة ، أحاط دعوته بستار من التكتّم والسرية ، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد ، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس ، وأصحاب الأغراض الخبيثة ، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيداً لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم ، ومزقت ممالكهم ، وقد تقدم كلام الطبري السابق عن ابن سبأ: فبث دعواته ، وكاتب من كان استفسده في الأمصار ، وكاتبوه ، ودعوا في السير إلى ما عليه رأيهم [(١٤٥٧)]... يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون [(١٤٥٨)].

٢ . المرحلة الثانية:

إظهار هذا المعتقد والتصريح به ، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله ، فوجد هؤلاء الضلالّ متنفساً في تلك الظروف ، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم ، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة ، ممن أصلهم ابن سبأ ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلي بمصيبتهم في مقتل عثمان رضي الله عنه ، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين.

ومما يدل على ذلك ما نقله الطبري: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزمكم في خلطة الناس فصانعوهم [(١٤٥٩)] . وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة ، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة ، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة

وأحداثها . يقول ابن حزم مقررًا ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا ، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم ، فبيتوا عسكر طلحة والزبير ، وبذلوا السيوف فيهم ، فدفع القوم عن أنفسهم [(١٤٦٠)].

٣ . المرحلة الثالثة:

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة ، وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه ، يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة : وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة ، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي ، وتكاتبوا في ذلك [(١٤٦١)].

وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي : أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة ، فدخل الكوفة ، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم ، ورأت أنها قد أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصر وتتركهم إجابته ، وقتله إلى جانبهم ولم ينصروه ، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله ، أو القتل فيه ، ففرعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صُرد الخزاعي ، وكانت له صحبة مع النبي (ص) ، وإلى المسيب بن نجبة الرازي ، وكان من أصحاب علي وخيارهم ، وإلى عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي ، وإلى عبد الله بن وال التيمي ، وإلى رفاعة بن شداد البجلي ، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صُرد وكانوا من خيار أصحاب علي ، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجههم [(١٤٦٢)] ، وكان هذا الاجتماع عام يشمل كافة الشيعة ، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً ، ثم لم تعجب سليمان قتلهم ، فأرسل حكيم بن منقذ فنادى في الكوفة ، وخرج الناس معهم فكانوا قريباً من عشرين ألفاً [(١٤٦٣)].

ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة ، فوجد الشيعة قد التفتت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً ، وهم معدون للحرب ، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب ؛ وهو محمد ابن الحنفية ، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة ، وفارقوا سليمان بن صرد ، وصارت الشيعة فرقتين ، الجمهور منهم مع سليمان ، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين ، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى

ابن الحنفية ، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه ، وإنما يتقَوَّلون عليه ليروجوا على الناس به ، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة [(١٤٦٤)] ، فكان هذا بداية اجتماع الشيعة .

ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام ، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمى عين الوردة ، واقتتلوا قتالاً عظيماً لمدة ثلاثة أيام ، يقول ابن كثير: لم ير الشيب والمرد مثله ، لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل [(١٤٦٥)] ، ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه ، وهزيمتهم ، ودعوة من بقي من أصحابه إلى الكوفة [(١٤٦٦)] .

وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم ، وما حل بهم فترخَّم على سليمان ومن كان قتل معه ، وقال: وبعد فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين ، إن شاء الله ، فأعدوا واستعدوا وأبشروا [(١٤٦٧)] .

يقول ابن كثير: وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن ربه ، الذي كان يأتي إليه من الشيطان ، فإنه قد كان يأتي إليه شيطان فيوحي إليه قريباً مما كان يوحي شيطان مسيلمة له [(١٤٦٨)] ، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحي والبلدان ، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات... ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضع فيقتله [(١٤٦٩)] .

٤ - المرحلة الرابعة:

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية ، وباقي فرق الشيعة ، وتميزها بمسماها وعقيدتها ، وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومئة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك [(١٤٧٠)] ، فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة

الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك ، وأنكر عليهم فرفضوه ، فسموا بالرافضة ، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية [(١٤٧١)] .

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام ، عند خروج زيد بن علي في أوائل المئة الثانية ، فسئل عن أبي بكر وعمر ، فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة [(١٤٧٢)] . وقال: ومن زمن خروج زيد افتردت الشيعة إلى رافضة وزيدية ، فإنه لما سئل عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتموني ، فسموا رافضة لرفضهم إياه ، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه [(١٤٧٣)] . ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة ، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعقدتها [(١٤٧٤)] ، والله تعالى أعلم.

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة ، فذكروا منها: السبئية ، والغرابية ، والبياتية ، والمغيرية ، والهاشمية ، والخطابية ، والعلبائية ، والكيسانية ، والزيدية الجارودية ، والسليمانية ، والصالحية ، والبترية ، وبعض هذه الفرق غالت غلواً عظيماً ، والبعض الآخر أقل غلواً ، ومن أراد الاستزادة فليراجع (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري ، و(الملل والنحل) للشهرستاني ، و(الفرق بين الفرق) لأبي الطاهر البغدادي ، و(فرق معاصرة) للدكتور غالب بن علي عواجي؛ وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين.

* * *

[١] أرض سبخة: هي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر.

[٢] البخاري ، رقم ٢٦٩١ ؛ مسلم ، رقم ١٧٩٩ .

[٣] التفسير الصحيح ، حكمت البشير (٣٦٩/٤).

[٤] التفسير المنير للزحيلي (٢٣٧/٢٦).

[٥] البخاري ، رقم ٧١٠٩ .

[٦] التفسير المنير (٢٣٨/٢٦).

[٧] المصدر السابق نفسه (٢٣٨/٢٦).

[٨] مسلم.

[٩] سورة الحجرات ، د. ناصر العمر ، ص ٣٠٥ .

[١٠] التفسير المنير (٢٣٩/٢٦).

[١١] منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس للحري ، ص ١٦ .

[١٢] التفسير المنير (٢٣٩/٢٦).

[١٣] المصدر السابق نفسه (٢٤٠/٢٦).

[١٤] المصدر السابق نفسه (٢٤٢/٢٦) ؛ أحكام القرآن (١٥٠/٤).

[١٥] في ظلال القرآن (٦/٣٣٤٤).

[١٦] عثمان بن عفان للصَّلَّابي ، ص ٣١١ إلى ٣٤٠.

[١٧] دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي ، للعودة: ذكر فيها الطرق التي ذكرها الألباني.

[١٨] تحقيق مواقف الصحابة (١/٢٨٤): ذكر تفاصيل مهمة؛ وكذلك: عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، للعودة.

[١٩] دعاوى الإنقاذ للتاريخ الإسلامي للعودة ؛ تحقيق مواقف الصحابة (١/٧٠).

[٢٠] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمداني ، المعروف بأعشى همدان.

[٢١] ديوان أعشى همدان ، ص ١٤٨.

[٢٢] تاريخ دمشق ، ابن عساكر (٩/٣٣١).

[٢٣] تاريخ بغداد (٢/٢٧٧).

[٢٤] عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ٥٣ ؛ المحبر ، ابن حبيب ، ص ٣٠٨.

[٢٥] تذكرة الحفاظ (٢/٥٥١) ؛ شذرات الذهب (٢/١٢٩).

[٢٦] وفيات الأعيان (٣/٤٧٠).

[٢٧] البيان والتبيين (٣/٨١).

[٢٨] تحقيق مواقف الصحابة (٨/٢٩٠).

[٢٩] عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ٥٣.

[٣٠] مجموع الفتاوى (٢٨/٤٨٣).

[٣١] ميزان الاعتدال للذهبي (٢/٤٢٦).

[٣٢] لسان الميزان لابن حجر (٣/٣٦٠).

[٣٣] المجروحين من المحدثين ، أبو حاتم (٢/٢٥٣).

[٣٤] الأنساب (٧/٢٤).

[٣٥] تحقيق مواقف الصحابة (١/٢٩٨) ، عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ٥٤.

- [٣٦] مجموعة الفتاوى لابن تيمية (٤/٤٣٥).
- [٣٧] إبراهيم بن موسى ، محمد الغرناضي ، توفي عام ٧٩٠ هـ.
- [٣٨] الاعتصام (١٩٧/٢).
- [٣٩] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المقرئ (٢/٢٥٦ . ٢٥٧).
- [٤٠] رجال الكشي (١/٣٢٤).
- [٤١] عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة للشيعة ، لمحمد علي المعلم ، ص ٣٠.
- [٤٢] عبد الله بن سبأ ، سليمان العودة ، ص ٦٢.
- [٤٣] المصدر السابق نفسه.
- [٤٤] الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهاوزن ، ص ١٧٠.
- [٤٥] السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، ص ٨٠.
- [٤٦] تحقيق مواقف الصحابة (١/٣٢١).
- [٤٧] العقيدة والشريعة الإسلامية ، جولد تسهير ص ٢٢٩.
- [٤٨] تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية ، ص ٢٣٥.
- [٤٩] عقائد الشيعة ، ص ٥٨.
- [٥٠] أصول الإسماعيلية ، ص ٨٦.
- [٥١] تحقيق مواقف الصحابة (١/٣١٢).
- [٥٢] المصدر السابق نفسه.
- [٥٣] مثل سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسياسة).
- [٥٤] تحقيق مواقف الصحابة (١/٣٢٧).
- [٥٥] تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).
- [٥٦] المصدر السابق نفسه..
- [٥٧] المصدر السابق نفسه (٥/٣٤٨).
- [٥٨] المصدر السابق نفسه.

[٥٩] الدولة الأموية ، يوسف العش ، ص ١٦٨ ؛ مواقف الصحابة (٣٣٠/١).

[٦٠] تاريخ الطبري (٢٥٠/٥).

[٦١] المصدر السابق نفسه (٣٤٨/٥) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٣٣٠/١).

[٦٢] تاريخ الطبري (٣٤٨/٥) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٣٣٠/١).

[٦٣] تحقيق مواقف الصحابة (٣٣١/١).

[٦٤] المصدر السابق نفسه (٣٣٨/١).

[٦٥] البداية والنهاية (١٦٨/٧ ، ١٦٧).

[٦٦] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٣٣٩/١).

[٦٧] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٦٠/٤).

[٦٨] مجموع الفتاوى (٧٢/٣٥).

[٦٩] مجموع الفتاوى (٧٢/٣٥).

[٧٠] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص ١٥٨.

[٧١] شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٩/١٥).

[٧٢] الإرْب: الحاجة والدهاء والفتنة والعقل.

[٧٣] خلجوا: تحركوا واضطربوا.

[٧٤] نِجاة: اطلبوا النجاة باجتماعكم عليهم.

[٧٥] ينكل بهم غيرهم: حتى يروعههم ويروّع بهم غيرهم.

[٧٦] يشترّد: يفرق ويبدد جمعهم.

[٧٧] تاريخ الطبري (٤٧٣/٥ ، ٤٧٤).

[٧٨] المصدر السابق نفسه (٤٧٥/٥).

[٧٩] المسند (٢٥٠/٦ - ٢٦٠) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٣٧٨/١).

[٨٠] فتنة مقتل عثمان (٣٩١/١) ؛ وتاريخ خليفة ، ص ١٧٦. إسناده صحيح إلى عائشة.

- [٨١] سرف: مكان بين مكة والمدينة على ستة أميال من مكة.
- [٨٢] نعثل: رجل من أهل مصر كثيف شعر اللحية ، كان يشبه عثمان.
- [٨٣] تاريخ الطبري (٤٨٥/٥).
- [٨٤] المعنى في الضعفاء (٦٩٦/٢) ؛ ميزان الاعتدال (٢٤/٧) ؛ التاريخ الكبير (١٠٥/٨).
- [٨٥] سير أعلام النبلاء (٣٤٩/٤) ؛ الطبقات (١٦٨/٥).
- [٨٦] دور المرأة السياسي في عهد النبي (ص) والخلفاء ، ص ٣٥٤.
- [٨٧] المصدر السابق نفسه ص ٣٥٢.
- [٨٨] دور المرأة السياسي ، ص ٣٧٠.
- [٨٩] المصدر السابق نفسه.
- [٩٠] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٧١.
- [٩١] تاريخ الطبري (٤٦٠/٥).
- [٩٢] المصدر السابق نفسه.
- [٩٣] الدور السياسي ، ص ٣٧٨.
- [٩٤] تاريخ الطبري (٤٦٠/٥).
- [٩٥] عشوا: عشا: ساء بصره ، وهنا لم يروا.
- [٩٦] تاريخ الطبري (٤٦١/٥).
- [٩٧] فتح الباري (٣٦٠/١٢).
- [٩٨] تاريخ الطبري (٤٦١/٥).
- [٩٩] المصدر السابق نفسه.
- [١٠٠] تحقيق مواقف الصحابة (١٠٨/٢).
- [١٠١] تاريخ الطبري (٤٦٧/٥) ؛ دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٠.
- [١٠٢] نكابر: أي نجاهد ونغالب على الأمر.

- [١٠٣] تاريخ الطبري (٣٦٨/٥) ، دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٠ .
- [١٠٤] دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٠ ، ٣٨١ .
- [١٠٥] الخلفاء الراشدون ، ص ٣٧٢ .
- [١٠٦] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١١٨ .
- [١٠٧] هذا الكتاب لا يثبت لابن قتيبة ، وإنما كاتبه رافضي محترف ، وسيأتي الحديث عنه في نهاية هذا الفصل .
- [١٠٨] الإمامة والسياسة (١١٣/١) .
- [١٠٩] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١٤٥/٢) .
- [١١٠] البداية والنهاية (١٢٩/٨) ؛ فتح الباري (٩٢/١٣) .
- [١١١] العواصم من القواصم ، ص ١٦٢ .
- [١١٢] مع الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ، ص ١١٥ .
- [١١٣] الصواعق المحرقة (٦٢٢/٢) ، وهذا اجتهاد معاوية ، وإن كان الصواب هو أن يسلم معاوية ويطلب بالدعوة .
- [١١٤] تحقيق مواقف الصحابة (١٥٠/٢) .
- [١١٥] سير أعلام النبلاء (١٥١/٣) .
- [١١٦] صحيح سنن الترمذي للألباني ، رقم ٣٠١٨ (٢٣٦/٣) .
- [١١٧] فضائل الصحابة (٩١٣/٢) إسناده حسن .
- [١١٨] تحقيق مواقف الصحابة (١٥١/٢) .
- [١١٩] تفسير القرطبي (٢٥٦/٢) .
- [١٢٠] صفين لابن مزاحم ، ص ٣٢ ؛ تحقيق مواقف الصحابة (١٥٢/٢) .
- [١٢١] البداية والنهاية (١٢٩/٨) ؛ فتح الباري (٩٢/١٣) .
- [١٢٢] كان طلحة والزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة .

- [١٢٣] تحقيق مواقف الصحابة (١١٣/٢) ؛ تاريخ الطبري (٤٧٥/٥).
- [١٢٤] تاريخ الطبري (٦١٢/٥ - ٦١٥).
- [١٢٥] تحقيق مواقف الصحابة (١٣٩/٢) ؛ البداية والنهاية (٢٥٩/٧).
- [١٢٦] البخاري ، كتاب الفتن ، رقم ٧٠٨١.
- [١٢٧] الفتح (٣١/١٣).
- [١٢٨] مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة.
- [١٢٩] البخاري ، كتاب الفتن ، رقم ٧٠٨٨.
- [١٣٠] من العشرة المبشرين بالجنة ، توفي ٥١ هـ. تهذيب التهذيب (٣٠/٤).
- [١٣١] غياث الأمم في تياث الظلم ، ص ٨٥ - ٨٦.
- [١٣٢] فتح الباري (٣٤/١٣).
- [١٣٣] مجموع الفتاوى (٥٥/٣٥).
- [١٣٤] تفسير القرطبي (٣١٩/١٦).
- [١٣٥] مجمع الزوائد (٢٩٩/٧) ، رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح.
- [١٣٦] مسلم (٢٢٤٤/٤).
- [١٣٧] مسند أحمد (٢٢٥/٤) فيه انقطاع وله طريق اخر رواه الطبراني في الكبير (١٧٧/١٢ - ١٧٨).
- ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠١/٧): ورجاله ثقات.
- [١٣٨] تاريخ ابن عساكر (ص ٤٨٧ - ٤٨٨).
- [١٣٩] تاريخ الطبري (٥١٣/٥). جرائيم العرب: أصل العرب.
- [١٤٠] تاريخ الطبري (٥١٥/٥) ، باقرة: مفرقة ، الصبا: الريح الشرقية.
- [١٤١] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص ١٨١.
- [١٤٢] سنن الترمذي (٣٣٢/٣) وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
- [١٤٣] مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٩/٨).
- [١٤٤] البخاري ، كتاب الفتن (٩٥/٨).

- [١٤٥] سير أعلام النبلاء (٢٢٨/٣ - ٢٢٩).
- [١٤٦] مجموع الفتاوى (٤/٤٤٠).
- [١٤٧] سير أعلام النبلاء (١١٩/١ - ١٢٠)؛ مجمع الزوائد (٢٤٦/٧).
- [١٤٨] العزلة للخطابي ، ص ٢٠ ، ٢١ .
- [١٤٩] منهاج السنة (٢٨٥/٦).
- [١٥٠] البخاري ، كتاب الفتن (٢٨٥/٦).
- [١٥١] سير أعلام النبلاء (٥٠٩/٢).
- [١٥٢] مصنف ابن أبي شيبة (١٠/١٥) ؛ الطبراني الكبير (١٠٥/١٨) ، رجاله رجال الصحيح .
- [١٥٣] سير أعلام النبلاء (٤٤٦/٣).
- [١٥٤] البداية والنهاية (٩١/٨).
- [١٥٥] سير أعلام النبلاء (٤٤٦/٣).
- [١٥٦] سير أعلام النبلاء (٥٠١ - ٥٠٠/٢).
- [١٥٧] مسلم ، رقم ٩٦ ؛ الحاكم في المستدرک (١١٦/٣).
- [١٥٨] سير أعلام النبلاء (٥٠٥/٢) ، إسناده رجاله ثقات .
- [١٥٩] البخاري ، كتاب الفتن (٦١/٨ - ٦٧).
- [١٦٠] فتح الباري (٦٧/١٣).
- [١٦١] سير أعلام النبلاء (٥٠٤/٢).
- [١٦٢] مسند أحمد (١٦٤/٢) إسناده صحيح ؛ تهذيب التهذيب (٥٢/٣).
- [١٦٣] أبو بكر عبد الله التميمي ، روى عن العبادلة الأربعة . تهذيب التهذيب (٢٦٨/٥).
- [١٦٤] طبقات ابن سعد (٢٦٦/٤) ، رجاله ثقات .
- [١٦٥] سير أعلام النبلاء (١٨/٢).
- [١٦٦] دول الإسلام (٢٩/١) ؛ تاريخ دمشق ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٥ .

- [١٦٧] مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣/١٥)؛ تاريخ خليفة ، ص ١٩٦ ؛ الطبقات (٢٤٩/٣).
- [١٦٨] مسلم ، كتاب الفتن (٢٢١١/٤ - ٢٢١٢).
- [١٦٩] سير أعلام النبلاء (٣٣/٣).
- [١٧٠] أحداث وأحاديث الفتنة ، عبد العزيز دخان ، ص ٢١٢.
- [١٧١] المصدر السابق نفسه.
- [١٧٢] التذكرة (٢٢٣/٢).
- [١٧٣] الفصل (٧٨/٣).
- [١٧٤] فتح الباري (٤٦/١٣).
- [١٧٥] أحكام القران (٢٨١/٥).
- [١٧٦] تاريخ الطبري (٤٦٠/٥).
- [١٧٧] البخاري ، كتاب المغازي رقم ٤١٤١.
- [١٧٨] حقبة من التاريخ ، ص ١٠٢.
- [١٧٩] تحقيق مواقف الصحابة (١٥٦/٢).
- [١٨٠] أحكام القران لابن العربي (١٧١٨/٢).
- [١٨١] شرح الطحاوية ، ص ٥٤٦.
- [١٨٢] البداية والنهاية (٢٠٢/٧).
- [١٨٣] العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، ص ٢٢٩.
- [١٨٤] المستدرك (١٠٣/٣).
- [١٨٥] منهاج السنة (٤٠٦/٤).
- [١٨٦] البداية والنهاية (٢٠٢/٧) إسنه حسن.
- [١٨٧] المستدرك (٩٥/٣) ، حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
- [١٨٨] موضع قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميال.

- [١٨٩] فضائل الصحابة (١/٥٥٥) ، رقم ٧٣٣ ، إسناده صحيح.
- [١٩٠] الطبقات (٣/٨٢) ؛ والبداية والنهاية (٧/٢٠٢).
- [١٩١] الرياض النضرة ، ص (٥٤٣).
- [١٩٢] صفة الصفوة (١/٣٠٦).
- [١٩٣] فضائل الصحابة (١/٥٥٩ ، ٥٦٠) ، إسناده لغيره ، رقم ٣٧٩.
- [١٩٤] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٥/٦١).
- [١٩٥] البداية والنهاية (٧/١٩٣).
- [١٩٦] تاريخ الطبري ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٨).
- [١٩٧] تاريخ الطبري (٥/٤٧٠).
- [١٩٨] إفادة الأخبار للتباني (٢/٥٢)؛ نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٩).
- [١٩٩] تاريخ الطبري (٥/٥٢٥).
- [٢٠٠] المصدر السابق نفسه.
- [٢٠١] التمهيد للباقلاني ، ص ٢٣١ ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٥٩).
- [٢٠٢] البخاري ، كتاب الاعتصام (٨/١٤٢).
- [٢٠٣] قتله الخوارج ، وسيأتي الحديث عنه بإذن الله.
- [٢٠٤] الفصل في الملل والنحل (٤/١٦٢).
- [٢٠٥] العواصم من القواصم ، ص ١٦٣.
- [٢٠٦] تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٦١).
- [٢٠٧] أحكام القرآن لابن العربي ؛ وتحقيق مواقف الصحابة (٢/١٦١).
- [٢٠٨] أعلام النصر المبين ، ابن دحية ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٦٢).
- [٢٠٩] مجموع الفتاوى (٣٥/٧٢).
- [٢١٠] تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٦٣).

[٢١١] البخاري ، كتاب الجهاد (٢٠٧/٣).

[٢١٢] الفتح (٥٤٢/١).

[٢١٣] شرح النووي على صحيح مسلم (١٦٨/٧).

[٢١٤] مسلم ، رقم ١٠٦٥ .

[٢١٥] مسلم (٧٤٦/٢١).

[٢١٦] تاريخ الطبري (٤٦٩/٥).

[٢١٧] تاريخ الطبري (٤٨٥/٥).

[٢١٨] سير أعلام النبلاء (٣٤/١).

[٢١٩] تاريخ الطبري (٤٨٧/٥).

[٢٢٠] المصدر السابق نفسه ؛ دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، للشجاع ، ص ٤١٧ .

[٢٢١] تاريخ الطبري (٤٧٦/٥) ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص ٤١٨ .

[٢٢٢] تاريخ الطبري (٤٨٩/٥).

[٢٢٣] دراسات في عهد النبوة ، ص ٤١٩ .

[٢٢٤] تاريخ الطبري (٤٨٧/٥).

[٢٢٥] دراسات في عهد النبوة ، ص ٤١٩ .

[٢٢٦] مقدمة ابن خلدون ، ص ١٩١ .

[٢٢٧] دور المرأة السياسي ، ص ٣٩١ .

[٢٢٨] دور المرأة السياسي ، ص ٣٩٤ .

[٢٢٩] تاريخ الطبري (٤٨٩/٥).

[٢٣٠] الثقافات لابن حبان (٢٨٢/٢).

[٢٣١] تاريخ الطبري (٥٢٠/٥).

[٢٣٢] شذرات الذهب (٤٢/١).

- [٢٣٣] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٤٤ .
- [٢٣٤] منهاج السنة (٤/٣١٧ - ٥٧٠) .
- [٢٣٥] أحكام القران (٣/٥٦٩ - ٥٧٠) .
- [٢٣٦] تاريخ يعقوبي (٢/١٨٠ ، ٢٠٩) .
- [٢٣٧] الإمامة والسياسة (١/٥٨ ، ٦٩) .
- [٢٣٨] شرح نهج البلاغة (٩/١٨) .
- [٢٣٩] الأخبار الطوال ، ص ١٤٥ .
- [٢٤٠] سير أعلام النبلاء (٢/١٩٣) .
- [٢٤١] جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص ٥٢٦ .
- [٢٤٢] عائشة أم المؤمنين ، ص ١٨٤ .
- [٢٤٣] تاريخ الطبري (٥/٤٧٥) .
- [٢٤٤] دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٣ ؛ تاريخ الطبري (٥/٤٦٩) .
- [٢٤٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٨٤ .
- [٢٤٦] تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ .
- [٢٤٧] تاريخ الطبري (٥/٤٧٥) .
- [٢٤٨] تاريخ الطبري نقلاً عن دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٥ .
- [٢٤٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٨٥ .
- [٢٥٠] انظر ما قاله صاحب (الإمامة والسياسة) (١/٥٧) .
- [٢٥١] تاريخ الطبري (٥/٥٧٤) .
- [٢٥٢] دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٥ .
- [٢٥٣] البداية والنهاية (٧/٢٤١) .
- [٢٥٤] المصدر السابق نفسه .
- [٢٥٥] عزم عليها: أقسم عليها .

- [٢٥٦] دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٦ .
- [٢٥٧] تاريخ الطبري (٤٨٧/٥) .
- [٢٥٨] أنساب الأشراف (٢٢٤/٤) .
- [٢٥٩] أسد الغابة (١٦٩/٤) ؛ الإجابة (٤٨٧/٤) ؛ دور المرأة السياسي، ص ٣٨٧ ؛ المستدرك، مرويات أبي مخنف، ص ٢٥٧ .
- [٢٦٠] دور المرأة السياسي ، ص ٣٨٧ .
- [٢٦١] سير أعلام النبلاء (١٨٣/٢) .
- [٢٦٢] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦٣] سير أعلام النبلاء (١٨٥/٢) .
- [٢٦٤] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦٥] دور المرأة السياسي ص ٣٨٩ .
- [٢٦٦] مسند أحمد (٩٧/٦) .
- [٢٦٧] المصدر السابق نفسه .
- [٢٦٨] المستدرك (١٢٠/٣) .
- [٢٦٩] سلسلة الأحاديث الصحيحة (٧٦٧/١) ، رقم ٤٧٤ .
- [٢٧٠] دور المرأة السياسي ، ص ٤٠٥ .
- [٢٧١] قال الذهبي: كل حديث فيه (يا حميراء) لا يصح .
- [٢٧٢] سير أعلام النبلاء (١٦٧/٢ ، ١٦٨) .
- [٢٧٣] دور المرأة السياسي ، ص ٤٠٦ .
- [٢٧٤] الحوآب: من مياه العرب على طريق البصرة قريب منها على طريق مكة إليها .
- [٢٧٥] الكامل في ضعفاء الرجال (٥٢٨/١) ؛ ميزان الاعتدال (٤١٣/١) .
- [٢٧٦] تقريب التهذيب (٦٩٧/١) .
- [٢٧٧] تقريب التهذيب (٣٩٢/٢) ؛ دور المرأة السياسي ، ص ٤٠٠ .

- [٢٧٨] ميزان الاعتدال (٤٣٤/٣) ؛ لسان الميزان (٢٢٥/٣).
- [٢٧٩] أسد الغابة (٤٨٦/٥)؛ دور المرأة السياسي ، ص ٤٠٠.
- [٢٨٠] دور المرأة السياسي ، ص ٤٠٢.
- [٢٨١] تاريخ الطبري (٤٨٣/٥).
- [٢٨٢] مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٣/١٥) ، ضعيفة السند منقطعة. وأنساب الأشراف من (٤٧/٢) نفس الطريق ، وهذه الروايات تخالف الصحيح الثابت.
- [٢٨٣] مروج الذهب (٣٦٧/٢).
- [٢٨٤] تاريخ الطبري ، وفي إسنادها مجهولان ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٣٢.
- [٢٨٥] خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٣٢.
- [٢٨٦] موقع جانب البصرة . انظر: خطط البصرة ومنطقها العلمي ، ص ١١٤ . ١٢٢.
- [٢٨٧] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٣٣.
- [٢٨٨] طبقات ابن سعد (٤٥٦/٥) ، له شواهد تقويه.
- [٢٨٩] مصنف عبد الرزاق (٤٥٦/٥) ، بسند صحيح إلى الزهري مرسلًا.
- [٢٩٠] الطبقات (٣٣٣/٦).
- [٢٩١] فتح الباري (٢٦/١٣) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٣٧.
- [٢٩٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٣٧ ، ١٣٨.
- [٢٩٣] تاريخ الطبري (٤٩٤/٥).
- [٢٩٤] يذمر الخيل: يحضها ويشجعها.
- [٢٩٥] تاريخ الطبري (٤٩٤/٥).
- [٢٩٦] المصدر السابق نفسه (٤٩٥/٥).
- [٢٩٧] اغتمس: اغتمس.
- [٢٩٨] يقيد الله: القود: القصاص ، وقتل القاتل بالقتيل.
- [٢٩٩] تاريخ الطبري (٤٩٩/٥).

[٣٠٠] المصدر السابق نفسه.

[٣٠١] لم يرع: لم يبال.

[٣٠٢] تاريخ الطبري (٤٩٩/٥).

[٣٠٣] المصدر السابق نفسه (٥٠١/٥).

[٣٠٤] المصدر السابق نفسه (٥٠٣/٥).

[٣٠٥] تاريخ الطبري (٤٩٣/٥) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٣٨.

[٣٠٦] أنساب الأشراف (٩٣/٢) ، بسند حسن ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص

١٣٩.

[٣٠٧] تاريخ الطبري (٥٠١/٥).

[٣٠٨] تاريخ الطبري (٤٩٧/٥).

[٣٠٩] المصدر السابق نفسه.

[٣١٠] نهاية الأرب (٣٨/٢٠) ؛ البداية والنهاية (٢٣٣/٧).

[٣١١] تاريخ الإسلام للذهبي ؛ مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٣٥٩.

[٣١٢] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٢٥٩.

[٣١٣] الثقات لابن حبان (٢٨٣/٢) ؛ الأنصار في العصر الراشدي ، ص ١٦١.

[٣١٤] المصدر السابق نفسه (٢٨٣/٢) ، الأنصار في العصر الراشدي ، ص ١٦١.

[٣١٥] المصدر السابق نفسه (٢٨٣/٢) ، الأنصار في العصر الراشدي، ص ١٦١.

[٣١٦] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص ١٨٣.

[٣١٧] تاريخ الطبري (٥٠٧/٥).

[٣١٨] المصدر السابق نفسه (٤٨١/٥).

[٣١٩] الطبقات (٢٣٧/٣) ؛ الأنصار في العصر الراشدي ، ص ١٦٣.

[٣٢٠] البداية والنهاية نقلاً عن الأنصار في العصر الراشدي ، ص ١٦٤.

[٣٢١] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين .

[٣٢٢] الأنصار في العصر الراشدي ، ص ١٦٤ .

[٣٢٣] المصدر السابق نفسه .

[٣٢٤] تاريخ ابن خياط ، ص ١٦ ؛ مصنف ابن أبي شيبة (٧١٠/٨) .

[٣٢٥] العثمانية للجاحظ ، ص ١٧٥ ؛ الأنصار في العصر الراشدي ، ص ١٦٥ .

[٣٢٦] الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير ، كنعان ، ص ٣٥٦ .

[٣٢٧] المصدر السابق نفسه .

[٣٢٨] الأنصار في العصر الراشدي ، ص ١٦٥ .

[٣٢٩] تاريخ الطبري (٤٨١/٥) .

[٣٣٠] الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف ، ص ٣٨٨ .

[٣٣١] مسند أبو يعلى (٣٨١/١) ، قال محققه: إسناده صحيح .

[٣٣٢] شرق المدينة المنورة ، تبعد ٢٠٤ كيلو متر .

[٣٣٣] أنساب الأشراف (٤٥/٢) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٤٣ .

[٣٣٤] تاريخ الطبري (٤٨٢/٥) ، خن: أخرج الصوت من خياشيمه .

[٣٣٥] دباب: كقطام؛ دعاء الضبع للضبع .

[٣٣٦] تاريخ الطبري (٤٨٢/٥) .

[٣٣٧] تاريخ الطبري (٥١٤/٥) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (١٢/١٥) ، إسناده حسن .

[٣٣٨] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٤٤ ؛ سير أعلام النبلاء (٤٨٦/٣) .

[٣٣٩] ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة . معجم البلدان (٣٩٣/٤) .

[٣٤٠] تاريخ الطبري (٥١٩/٥ إلى ٥٢١) .

[٣٤١] فتح الباري (٥٣/١٣) ؛ التاريخ الصغير (١٠٩/١) .

[٣٤٢] تاريخ الطبري (٥١٦/٥) .

[٣٤٣] أولو النهى: أصحاب العقول .

- [٣٤٤] تاريخ الطبري (٥١٦/٥).
- [٣٤٥] مصنف عبد الرزاق (٤٥٦/٥ - ٤٥٧) ، بسند صحيح إلى الزهري مرسلأ ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٤٦ ، والإسناد حسن لغيره ، قاله عبد الحميد علي .
- [٣٤٦] تاريخ الطبري (٥١٩/٥).
- [٣٤٧] البخاري ، كتاب الفتن .
- [٣٤٨] المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (٣٠٤/٢).
- [٣٤٩] تاريخ الطبري (٥١٠/٥).
- [٣٥٠] النائرة: العداوة .
- [٣٥١] البداية والنهاية (٢٥٠/٧) ؛ تاريخ الطبري (٥٢٩/٥).
- [٣٥٢] المصدر السابق نفسه (٢٥٠/٧).
- [٣٥٣] تاريخ الطبري (٥٢/٥)؛ الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي ، ص ٤٠٦ .
- [٣٥٤] الإنصاف ، د. حامد ، ص ٤٠٦ .
- [٣٥٥] الطبقات لابن سعد (٨٧/٤) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٤٨ .
- [٣٥٦] الطبقات لابن سعد (٩٢/٧) ، من طريقين صحيحة الإسناد ؛ وخلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٤٩ .
- [٣٥٧] الانقياد التام لسياسة أمير المؤمنين علي في التعامل مع قتلة عثمان .
- [٣٥٨] البداية والنهاية (٧٣٩/٧) ؛ تاريخ الطبري (٥٢١/٥).
- [٣٥٩] تاريخ الطبري (٥٢٥/٥).
- [٣٦٠] المصدر السابق نفسه (٥٣٩/٥).
- [٣٦١] المصدر السابق نفسه (٥٢٥/٥).
- [٣٦٢] المصدر السابق نفسه (٥٢٦/٥).

[٣٦٣] المصدر السابق نفسه (٥٢٧/٥)؛ تحقيق مواقف الصحابة (١٢٠/٢).

[٣٦٤] تاريخ الطبري (٥٢٦/٥).

[٣٦٥] المصدر السابق نفسه (٥٢٧/٥).

[٣٦٦] المصدر السابق نفسه (٥٤١/٥).

[٣٦٧] المصدر السابق نفسه.

[٣٦٨] المصدر السابق نفسه.

[٣٦٩] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٢.

[٣٧٠] عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث فتنة صدر الإسلام ، ص ١٩٢ ، ١٩٣.

[٣٧١] عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، ص ١٩٤.

[٣٧٢] فتح الباري (٥٦/١٣).

[٣٧٣] شرح عقيدة الطحاوي ، ص ٥٤٦.

[٣٧٤] التمهيد ، ص ٢٣٣.

[٣٧٥] تثبيت دلائل النبوة للهمداني ، ص ٢٩٩.

[٣٧٦] العواصم من القواصم ، ص ١٥٦ ، ١٥٧.

[٣٧٧] الفصل في الملل والنحل (١٥٧/٤ ، ١٥٨).

[٣٧٨] العبر (٣٧/١) ؛ عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ١٩٥.

[٣٧٩] تاريخ الإسلام (١٥/١) ؛ عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ١٩٥.

[٣٨٠] المصدران السابقان نفسيهما.

[٣٨١] عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ١٩٥.

[٣٨٢] المصدر السابق نفسه ، ص ١٩٦.

[٣٨٣] هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي ، كما قال الإمام أحمد ، وعزى هذا القول إلى الأكثرين ،

وقيل: إنه نفيع بن مسروح وبه جزم ابن سعد؛ وقيل: اسمه مسروح ، وبه جزم ابن إسحاق ، وعلى كل

فهو مشهور بكنيته أبي بكرة ، من فضلاء الصحابة ، ومن أهل الطائف ، ومن اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين ، قيل في سبب كنيته: إنه تدلى من حصن الطائف لبكرة ، فاشتهر بها ، توفي بالبصرة ٥٢ هـ.

[٣٨٤] مسلم (٢٢١٣/٤) ، كتاب الفتن.

[٣٨٥] الأساس في السنة وفقهها ، السيرة النبوية (١٧١١/٤).

[٣٨٦] صحيح مسلم على شرح النووي (١٠/١٨).

[٣٨٧] تاريخ الطبري (٥٠٦/٥).

[٣٨٨] المصدر السابق نفسه.

[٣٨٩] المصدر السابق نفسه (٥١٦/٥).

[٣٩٠] المصدر السابق نفسه (٥٤١/٥).

[٣٩١] المصدر السابق نفسه (٥٤١/٥ ، ٥٤٣)؛ الخلفاء الراشدون للخالدي ، ص ٢٤٥.

[٣٩٢] المصدر السابق نفسه (٥٤١/٥).

[٣٩٣] مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٩/١٥) ؛ الطبقات (١٠٨/٣) صحيح الإسناد.

[٣٩٤] مسند أحمد (١٩/٣) قال محققه أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٣٩٥] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص ٢٠١ ، خرّج طرق الحديث وحكم عليها بالضعف.

[٣٩٦] المدينة النبوية فجر الإسلام (٣٢٤/٢) ؛ المطالب العلية ، رقم ٤٤٦٨.

[٣٩٧] مسند أحمد (٤٧/١ . ٤٩) ، (٣٨/١١) ، إسناده صحيح ، تحقيق: أحمد شاكر.

[٣٩٨] خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٥٤.

[٣٩٩] المصدر السابق نفسه ؛ تاريخ الطبري (٥٠٦/٥).

[٤٠٠] الطبقات (١١٠/٣) إسناده صحيح ؛ خلافة علي ، ص ١٥٥.

[٤٠١] الطبقات (١٠/٣) ؛ تاريخ خليفة ، ص ١٨٦.

[٤٠٢] المدينة النبوية فجر الإسلام (٢٤٨/٢).

[٤٠٣] البداية والنهاية (٢٥٣/٧).

- [٤٠٤] تاريخ الطبري (٥٤٠/٥).
- [٤٠٥] المستدرک (٣٦٦/٣) ؛ استشهاد عثمان ، ص ٢٠٠.
- [٤٠٦] تاريخ خليفة ، ص ١٨٥ ؛ استشهاد عثمان ، ص ٢٠٢.
- [٤٠٧] البداية والنهاية (٥٢١/٧).
- [٤٠٨] مصنف عبد الرزاق (٤٥٦/٥) ، بسند صحيح إلى الزهري.
- [٤٠٩] البداية والنهاية (٢٥٣/٧).
- [٤١٠] البداية والنهاية (٢٥٣/٧).
- [٤١١] مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٨/١٥) بسند صحيح ؛ سنن سعيد بن منصور (٢٣٦/٢) بسند صحيح.
- [٤١٢] مصنف ابن أبي شيبة (٢٥٨/١٥) ، رجاله رجال الصحيح.
- [٤١٣] الطبقات (٩٢/٥) ، بسند حسن.
- [٤١٤] البداية والنهاية (٢٥٣/٧) ؛ تاريخ خليفة ، ص ١٩٠ ، بسند حسن.
- [٤١٥] البداية والنهاية (٢٥٤/٧).
- [٤١٦] نسب قريش ، ص ٢٨١ ؛ التاريخ الصغير للبخاري (١١٠/١) ، بسند صحيح.
- [٤١٧] مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٨/١٥) ؛ مرويات أبي مخنف ، ص ٢٦٨ ، إسناده صحيح.
- [٤١٨] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٥٩.
- [٤١٩] مصنف ابن أبي شيبة (٢٢٨/١٥) ؛ بسند صححه ابن حجر في الفتح (٥٧/١٣ - ٥٨).
- [٤٢٠] تاريخ خليفه ، ص ١٩٠ ، بسند حسن ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٥٩.
- [٤٢١] أنساب الأشراف للبلاذري (٤٣/٢) بسند متصل.
- [٤٢٢] أعلام الحديث للخطابي (١٦١١/٣).
- [٤٢٣] مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٦/١٥ - ٢٨٧) بسند جيد ؛ الفتح (٥٧/١٣).
- [٤٢٤] مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٦/١٥ - ٢٨٧) ، بسند جيد ؛ الفتح (٥٧/١٣).
- [٤٢٥] مروج الذهب (٣٦٧/٢).

[٤٢٦] المصدر السابق نفسه.

[٤٢٧] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٦ ، بسند مرسل.

[٤٢٨] تاريخ الطبري (٥٤٢/٥ إلى ٥٥٥).

[٤٢٩] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٦ ، إسناده منقطع ، وهو حسن إلى فتادة.

[٤٣٠] مصنف ابن أبي شيبة (٥٤٦/٧)؛ فتح الباري (٦٢/١٣).

[٤٣١] الإنصاف ، ص ٤٥٥.

[٤٣٢] مصنف ابن أبي شيبة (٥٤٦/٧)؛ فتح الباري (٦٢/١٣).

[٤٣٣] تاريخ خليفة ، ص ١٨٧ ، ١٩٠.

[٤٣٤] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص ٢١٥.

[٤٣٥] الطبقات (٢٢٣/٣) ؛ تاريخ المدينة (١١٧٠/٤) ؛ تاريخ خليفة ، ص ١٨٥.

[٤٣٦] البداية والنهاية (٢٤٨/٧).

[٤٣٧] العواصم من القواصم ، ص ١٥٧ إلى ١٦٠.

[٤٣٨] المصدر السابق نفسه.

[٤٣٩] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص ٢٠٢.

[٤٤٠] فتح الباري (٥٢٠/٢)؛ استشهاد عثمان ، ص ٢٠٣.

[٤٤١] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص ٢٠٢.

[٤٤٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ؛ ص ١٦٨ ؛ مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٦/١٥) ،

بسند صحيح.

[٤٤٣] مصنف ابن أبي شيبة (٢٨٦/١٥) ، بسند صححه؛ ابن حجر (٥٧/١٣).

[٤٤٤] مصنف ابن أبي شيبة (٢٦١/١٥) ؛ المستدرک (١٠٣/٣ ، ١٠٤ ، ٣٧٥) والإسناد حسن

لغيره ، خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٦٩.

[٤٤٥] مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٨/١٥ . ٢٦٩)؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٦٩.

- [٤٤٦] الطبقات (٢٢٤/٣) بسند حسن ؛ المستدرک (٣٧٦/٣ - ٣٧٧).
- [٤٤٧] سنن سعيد بن منصور (٣٣٧/٢) ، بسند حسن.
- [٤٤٨] كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير للماوردي ، ص ١١١ ؛ فتح الباري (٦٢/١٣).
- [٤٤٩] فتح الباري (٥٧/١٣) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٧٤.
- [٤٥٠] مسلم ، كتاب الفتن (٢٣٣/٤).
- [٤٥١] التذكرة (٢٣٢/٢ - ٢٣٣).
- [٤٥٢] شرح صحيح مسلم (٢٢٧/٨ - ٢٢٨).
- [٤٥٣] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٨٤ ، ١٨٥.
- [٤٥٤] فتح الباري (٦١/١٣).
- [٤٥٥] استشهاد عثمان ، ص ٢٠٦ ، نقلاً عن تاريخ الطبري.
- [٤٥٦] مروج الذهب (٣٦٠/٢).
- [٤٥٧] البداية والنهاية (٣٥٧/٧).
- [٤٥٨] المصدر السابق نفسه.
- [٤٥٩] المصدر السابق نفسه.
- [٤٦٠] فضائل الصحابة (١١٠/٢) ، إسناده ضعيف ؛ ضعيف سنن الترمذي ، للألباني ، رقم ٨١٥.
- [٤٦١] سير أعلام النبلاء (١٧٩/٢) ، حديث حسن. قاله الذهبي.
- [٤٦٢] سير أعلام النبلاء (١٧٦/٢) ، حديث حسن.
- [٤٦٣] سير أعلام النبلاء (١٣٥/٢ - ٢٠١) ؛ طبقات ابن سعد (٥٨/٨) ؛ البداية والنهاية (٩٥/٨).
- [٤٦٤] أي: في قطعة من جيد الحرير. انظر: النهاية لابن الأثير (٣٦٢/٢).
- [٤٦٥] مسلم ، رقم ٢٤٣٨.
- [٤٦٦] مأخوذ من السلسل؛ وهو العذب الصافي من الماء. النهاية لابن الأثير (٣٨٩/٢).
- [٤٦٧] البخاري ، رقم ٤٣٥٨.

- [٤٦٨] سير أعلام النبلاء (١٤٣/٢).
- [٤٦٩] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم ٣٧٧٥.
- [٤٧٠] سير أعلام النبلاء (١٤٣/٢).
- [٤٧١] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم ٣٧٦٨.
- [٤٧٢] البخاري ، كتاب التفسير ، رقم ٤٧٨٩.
- [٤٧٣] البخاري ، رقم ٤١٤١.
- [٤٧٤] جلاء الأفهام ، ص ١٢٤ - ١٢٥.
- [٤٧٥] البداية والنهاية (٩٥/٨) ؛ تفسير القرآن العظيم (٢٦٨/٣).
- [٤٧٦] البخاري ، رقم ٣٣٦.
- [٤٧٧] سير أعلام النبلاء (١٨٩/٢) ؛ البداية والنهاية (٩٥/٨).
- [٤٧٨] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم ٣٧٧٤.
- [٤٧٩] مسلم ، كتاب الصحابة ، رقم ٢٤٤٣.
- [٤٨٠] البخاري ، رقم ٤٤٥٠ ، ٤٤٥١.
- [٤٨١] المستدرک (١٣/٤) ، صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.
- [٤٨٢] البخاري ، رقم ٣٧٧١.
- [٤٨٣] فتح الباري (١٠٨/٧) ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص ٩٥.
- [٤٨٤] البخاري ، رقم ٣٧٧٠.
- [٤٨٥] شرح صحيح مسلم (٢٠٨/١٥ - ٢٠٩).
- [٤٨٦] البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم ٣٧٧٢.
- [٤٨٧] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٤٨.
- [٤٨٨] المستدرک (١٠/٤) ؛ الصحيح المسند لمصطفى العدوي ، ص ٣٥٦.
- [٤٨٩] البخاري ، رقم ٣٧٧٢.

- [٤٩٠] المصدر السابق نفسه.
- [٤٩١] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٤٨.
- [٤٩٢] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٥٠ ، ٤٥١.
- [٤٩٣] البداية والنهاية (٢٤٨/٧).
- [٤٩٤] البخاري ، رقم ٣١٠٤.
- [٤٩٥] البخاري ، رقم ٧٠٩٣؛ مسلم ، رقم ٢٩٠٥.
- [٤٩٦] مسلم ، كتاب الفتن (٢٢٢٩/٤).
- [٤٩٧] المصدر السابق نفسه.
- [٤٩٨] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٥٣.
- [٤٩٩] نجد: من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق.
- [٥٠٠] البخاري ، رقم ٧٠٩٤.
- [٥٠١] مسلم ، كتاب الفتنة من المشرق (٢٢٢٩/٤).
- [٥٠٢] الفدادون: الذين تعلقوا أصواتهم في حروثهم ومواشيهم.
- [٥٠٣] البخاري ، رقم ٣٣٠٢ ؛ الانتصار للصحب والال ، ص ٤٥٥.
- [٥٠٤] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٥٥.
- [٥٠٥] مجموع الفتاوى (٣٩٤/٤).
- [٥٠٦] مجموع الفتاوى (٣٩٣/٤).
- [٥٠٧] فتح الباري (١٠٩/٧).
- [٥٠٨] المصدر السابق نفسه (١٣٩/٧).
- [٥٠٩] المصدر السابق نفسه (١٣٥/٧) ؛ مجمع الزوائد (٢٢٣/٩).
- [٥١٠] الإحسان لابن حبان (٧٣/٩) ؛ صحيح الجامع للألباني (٣٧١/١).
- [٥١١] فتح الباري (١٣٥/٧).
- [٥١٢] فضائل الصحابة (٧٥٥/٢)، رقم ١٣٢٥ ؛ وصححه الألباني في تخريج المشكاة (١٧٤٥/٣).

- [٥١٣] البخاري ، رقم ٦٢٨٥ .
- [٥١٤] فتح الباري (١٠٥/٧) .
- [٥١٥] العقيدة في أهل البيت ، ص ٩٧ .
- [٥١٦] فتح الباري (١٠٧/٧) .
- [٥١٧] المصدر السابق نفسه (٤٤٧/٦) .
- [٥١٨] العقيدة في أهل البيت ، ص ٩٧ .
- [٥١٩] البخاري ، رقم ٤٣٥٨ .
- [٥٢٠] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١١/٩) .
- [٥٢١] فتح الباري (١٠٨/٧) ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص ٩٨ .
- [٥٢٢] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٦١ .
- [٥٢٣] المغازي للزهري ، ص ١٥٤ .
- [٥٢٤] انظر: دراسة وتحليل للعهد النبوي الأصيل ، محمد جميل بيهم ؛ الحزبية السياسية ، رياض عيسى ؛ الحريم السياسي ؛ النبي والنساء ؛ الدولة العربية فلهوزن ، نقلاً عن دور المرأة السياسي ، ص ٤٤٢ .
- [٥٢٥] منهاج السنة (١٨٥/٢) .
- [٥٢٦] تاريخ الطبري (٥٨١/٥) .
- [٥٢٧] مسند أحمد (٣٩٣/٦) ، إسناده حسن .
- [٥٢٨] البخاري ، رقم ٤٧٨٦ .
- [٥٢٩] دور المرأة السياسي ، ص ٤٦٢ .
- [٥٣٠] شرح النووي على صحيح مسلم (٦٣٤/٥) .
- [٥٣١] البخاري ، رقم ٤٧٨٦ .
- [٥٣٢] المصدر السابق نفسه .
- [٥٣٣] دور المرأة السياسي ، ص ٤٦٢ .

[٥٣٤] البخاري ، رقم ٤٧٨٦ .

[٥٣٥] دور المرأة السياسي ، ص ٤٦٢ .

[٥٣٦] المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ، محب الدين الخطيب ، ص ٢٢٢ .

[٥٣٧] الفتن ، نعيم بن حماد (٨٠/١) .

[٥٣٨] المصدر السابق نفسه .

[٥٣٩] الفتن ، نعيم بن حماد (٨١/١) .

[٥٤٠] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص ٢١٧ .

[٥٤١] الفتن ، نعيم بن حماد (٨١/١) .

[٥٤٢] سير أعلام النبلاء (١٧٧/٢)؛ الطبقات (٨١/٨) .

[٥٤٣] التمهيد للباقلاني ، ص ٢٣٢ . (عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي كان من نبلاء الرجال ، وهو من أشرف بني مخزوم ، توفي قبل معاوية .

[٥٤٤] المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

[٥٤٥] سير أعلام النبلاء (١٧٧/٢) .

[٥٤٦] الإصابة (٥٢٦/١ - ٥٢٨) .

[٥٤٧] الطبقات الكبرى (١٠٠/٣) ؛ الإصابة (٥٢٦/١ - ٥٢٨) .

[٥٤٨] سير أعلام النبلاء (٤١/١) .

[٥٤٩] سير السلف (٢٢٦/١) ، الرواية مرسلة .

[٥٥٠] الطبراني في الكبير (١٢٢/١) .

[٥٥١] كفة كفة: أي مواجهة ، كأن كل واحد منهما قد كف صاحبه عن مجاوزته إلى غيره .

[٥٥٢] فضائل الصحابة (٩١٤/٢) ، رقم ١٢٦٠ ، إسناده ضعيف ، حسن لغيره .

[٥٥٣] السيرة لابن هشام (٢٧٩/١) ؛ أصحاب الرسول (٢٧٤/١) .

[٥٥٤] السيرة النبوية لابن هشام (٢٧٩/١) .

- [٥٥٥] أهل الشورى الستة ، رياض العبد الله ، ص ٦٧ .
- [٥٥٦] الطبراني في الكبير ، رقم ٢٣٠ ، مرسل صحيح الإسناد ؛ سير أعلام النبلاء (٤٦/١) .
- [٥٥٧] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٥٠١ .
- [٥٥٨] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، رقم ٣٩٩٨ .
- [٥٥٩] التاريخ الإسلامي (١٦٣/٤) .
- [٥٦٠] سير أعلام النبلاء (٤٦/١) ، والرواية مرسلة .
- [٥٦١] فضائل الصحابة (٩١٨/٢) ، رقم ١٢٦٧ إسناده صحيح .
- [٥٦٢] مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، رقم ٢٤٧٠ .
- [٥٦٣] الكيول: مؤخرة الصفوف .
- [٥٦٤] البداية والنهاية (١٧/٤) .
- [٥٦٥] ذَفَّف: أجهز عليه .
- [٥٦٦] البداية والنهاية (١٨/٤) .
- [٥٦٧] المصدر السابق نفسه .
- [٥٦٨] البخاري ، رقم ٤٠٧٧ .
- [٥٦٩] استرجعت: قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون .
- [٥٧٠] السيرة النبوية لابن هشام (١٠٨/٣) .
- [٥٧١] مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية (٣٤/٣) إسناده حسن .
- [٥٧٢] مسلم ، رقم ٢٤١٤ .
- [٥٧٣] المصدر السابق نفسه .
- [٥٧٤] مصنف ابن أبي شيبة ، رقم ١٢٢١٩ ، صحيح .
- [٥٧٥] عمدة القاري (٢٢٣٩/١٩) .
- [٥٧٦] البخاري ، رقم ٣٧٢٠ .

- [٥٧٧] تحفة الأحوزي (٢٤٦/١٠).
- [٥٧٨] مسلم ، رقم ٢٤١٤ .
- [٥٧٩] صحيح مسلم بشرح النووي (٢٦/٢ ، ٢٧).
- [٥٨٠] دراسات تربوية للأعظمي ، ص ٢٠٦ .
- [٥٨١] صحيح مسلم بشرح النووي (٢٦/٢ ، ٢٧).
- [٥٨٢] دراسات تربوية في الأحاديث النبوية ، ص ٢٠٧ .
- [٥٨٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠٨ .
- [٥٨٤] البخاري ، رقم ٣٩٧٥ .
- [٥٨٥] سير أعلام النبلاء (٦٣/١).
- [٥٨٦] البداية والنهاية (٢٦٠/٧).
- [٥٨٧] المصدر السابق نفسه .
- [٥٨٨] فتوح مصر والمغرب ، ص ٦١ ؛ قادة فتح الشام ومصر ، ص ٢٠٨ ، ٢٢٦ .
- [٥٨٩] سير أعلام النبلاء (٥٥/١).
- [٥٩٠] قادة فتح الشام ومصر ، ص ٢٠٩ ، ٢٢٧ .
- [٥٩١] حياة الصحابة (٦٩١/٢) ؛ أصحاب الرسول (٢٨١/١).
- [٥٩٢] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٥٠٥ ؛ الطبقات (١٠١/٣).
- [٥٩٣] الزهد لابن المبارك ، ص ٣٩٢ .
- [٥٩٤] يرقل: يسرع: وهي سرعة سير الإبل .
- [٥٩٥] في الديوان وعند الحاكم: المرفل: وهو العظيم المبجل .
- [٥٩٦] سير أعلام النبلاء (٥٦/١).
- [٥٩٧] المصدر السابق نفسه (٥٧/١).
- [٥٩٨] المصدر السابق نفسه (١٣١/١).

[٥٩٩] التاريخ الإسلامي (١٣١/١٧).

[٦٠٠] سير أعلام النبلاء (٦٠/١).

[٦٠١] القائلة: وقت اشتداد حرّ الظهيرة.

[٦٠٢] معرد: المعرد: الصلب والشجاع.

[٦٠٣] الجنان: القلب.

[٦٠٤] البداية والنهاية (٢٦١/٧). العردد: الصلب الشديد.

[٦٠٥] المصدر السابق نفسه.

[٦٠٦] فضائل الصحابة (٩٢٠/٢).

[٦٠٧] البداية والنهاية (٢٦١/٧).

[٦٠٨] الطبقات (١٠٥/٣) إسناده حسن ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٦٤ .

[٦٠٩] أقيد: قَوَدَ: القتل بالقاتل.

[٦١٠] البداية والنهاية (٢٦١/٧).

[٦١١] مسلم ، رقم ٢٤١٧ .

[٦١٢] شرح النووي على صحيح مسلم (٢٧١/١٥).

[٦١٣] سير أعلام النبلاء (٦٢/١).

[٦١٤] البخاري ، رقم ٣١٢٩ .

[٦١٥] شذرات الذهب (٢٠٩/١).

[٦١٦] الإصابة لابن حجر (٤٦١/٢).

[٦١٧] التاريخ الإسلامي (٣٠٩/٢٠).

[٦١٨] البخاري ، رقم ٣١٢٩ .

[٦١٩] البخاري ، رقم ٣١٢٩ .

[٦٢٠] المصدر السابق نفسه.

- [٦٢١] الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، عبد العظيم الديب ، ص ٩ .
- [٦٢٢] سير السلف الصالحين (٢٢٧/١) ، في إسناده ضعف .
- [٦٢٣] الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، ص ١١ .
- [٦٢٤] المصدر السابق نفسه ، ص ١٣ .
- [٦٢٥] البخاري ، رقم ٣١٢٩ .
- [٦٢٦] الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، ص ١٤ .
- [٦٢٧] البخاري ، رقم ٣١٢٩ .
- [٦٢٨] الإصابة (٢٢٠/٢) ، الاستيعاب لابن عبد البر على حاشية الإصابة (٢١٠/٢) .
- [٦٢٩] فتح الباري (٨٢/٧) .
- [٦٣٠] الإصابة (٢٢٠/٢) .
- [٦٣١] المصدر السابق نفسه (٣٣٧/٤) ؛ فتح الباري (٨٢/٧) .
- [٦٣٢] المستدرک للحاکم (٣٦٩/٣) ؛ عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢٢٨/١) .
- [٦٣٣] حرة: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة السود النَّخْرَات .
- [٦٣٤] سباح: جمع سبخة ، وهي أرض ذات نَزٍّ وملح .
- [٦٣٥] البداية والنهاية (٢٥٨/٧) .
- [٦٣٦] البداية والنهاية (٢٥٨/٧) ؛ فرسان من عصر النبوة ، ص ٢٢٥ .
- [٦٣٧] البداية والنهاية (٢٥٨/٧) .
- [٦٣٨] فرسان من عصر النبوة ، ص ٢٢٥ ، الاستيعاب لابن عبد البر .
- [٦٣٩] الحاکم في المستدرک (٣٦٩/٣) ؛ الاستيعاب (٤١٨٨) .
- [٦٤٠] السلسلة الصحيحة ، رقم ٢١٧١ ، الحديث حسن بمجموع طرقه .
- [٦٤١] فضائل الصحابة ، رقم ١٢٩٤ ، إسناده صحيح .
- [٦٤٢] البخاري ، رقم ٤٠٦٣ .
- [٦٤٣] البخاري (٣٦١/٧) ؛ أصحاب الرسول (٢٦٤/١) .

[٦٤٤]فتح الباري (٣٦١/٧).

[٦٤٥]سير أعلام النبلاء (٣٢/١).

[٦٤٦]صحيح الجامع للألباني ، رقم ٢٥٤٠.

[٦٤٧]مسلم ، رقم ٢٤١٧.

[٦٤٨]أصحاب الرسول (٢٦٠/١).

[٦٤٩]رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ، رقم ٥٩٦٢.

[٦٥٠]رواه الترمذي بإسناد حسن ، رقم ٣٧٤٢.

[٦٥١]سير أعلام النبلاء (٣٧/١) ، إسناده حسن.

[٦٥٢]الحلية (٨٨/١) ؛ سير أعلام النبلاء (٣٠/١).

[٦٥٣]سير أعلام النبلاء للذهبي (٣١ - ٣٠/١).

[٦٥٤]خاثر النفس: غير نشيط.

[٦٥٥]مجمع الزوائد (١٤٨/٩) ، قال الهيثمي: رواه الطبراني ، ورجاله ثقات.

[٦٥٦]سير أعلام النبلاء (٣٢/١).

[٦٥٧]سير أعلام النبلاء (٣١/١).

[٦٥٨]تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٥٢٧.

[٦٥٩]ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر. النهاية (١٣٧/٤).

[٦٦٠]البداية والنهاية (٢٥٨/٧).

[٦٦١]المستدرک (٣٧٤/٣) ، حديث صحيح الإسناد ولم يخرجه. مختصر تاريخ دمشق (٢٠٣/١١) ،

يقصد: أن العزلة بعد عن الاهتمام.

[٦٦٢]فرسان من عصر النبوة ، ص ٢٣٧.

[٦٦٣]المصدر السابق نفسه.

[٦٦٤]البداية والنهاية (٢٥٨/٧).

- [٦٦٥] سرائري وأحزاني التي تموج في جوفي.
- [٦٦٦] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٥٢٨.
- [٦٦٧] أخرجه أبو داود. (٤٦٤٩) ؛ الترمذي ، رقم ٣٧٥٧ ، حديث حسن.
- [٦٦٨] عقيدة أهل السنة (٢٩٣/١).
- [٦٦٩] أصحاب الرسول (٢٧٠/١).
- [٦٧٠] الكركرة: الصدر.
- [٦٧١] البداية والنهاية (٢٥٩/٧).
- [٦٧٢] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٥٣٩.
- [٦٧٣] البداية والنهاية (٥٣٩/٧).
- [٦٧٤] تاريخ الدعوة الإسلامية ، محمد جميل ، ص ٣٩٨.
- [٦٧٥] البداية والنهاية (٥٣٩/٧) ، سندها ضعيف.
- [٦٧٦] الأنساب (٤١٨/٤)؛ تاريخ الدعوة الإسلامية ، ص ٣٩٨.
- [٦٧٧] تاريخ الطبري (٦٠٠/٥).
- [٦٧٨] معاوية بن أبي سفيان للغضبان ، ص ١٧٨ ، ١٨٣.
- [٦٧٩] تاريخ الطبري (٤٦٦/٥).
- [٦٨٠] البداية والنهاية (١٢٩/٧).
- [٦٨١] العواصم من القواصم ، ص ١٦٢.
- [٦٨٢] صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٠/١).
- [٦٨٣] مسند أحمد ، رقم ٢٤٠٤٥ ، حديث صحيح.
- [٦٨٤] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ١١٢.
- [٦٨٥] الطومار: الصحيفة.
- [٦٨٦] القود: القاتل بالقتيل.

- [٦٨٧] الموتور: صاحب الثأر.
- [٦٨٨] البداية والنهاية (٢٤٠/٧).
- [٦٨٩] البداية والنهاية (٢٤٠/٧ ، ٢٤١).
- [٦٩٠] مروج الذهب (٣٦٠/٢).
- [٦٩١] التاريخ الصغير للبخاري (١٠٢/١).
- [٦٩٢] البداية والنهاية (٢٦٥/٧).
- [٦٩٣] مسلم ، رقم ٢٤٧٥.
- [٦٩٤] الإصابة (١٢٣/١ - ١٢٤) نقلاً عن الحاكم بسند حسن.
- [٦٩٥] من قال: مئة وخمسين ألف أو يزيدون. البداية والنهاية (٢٦٠/٧). مئة وعشرون ألف ، المعرفة والتاريخ (١٣/٣) بسند منقطع. وقدر بتسعين ألف ، التاريخ ، خليفة بن خياط ، ص ١٩٣.
- [٦٩٦] تاريخ خليفة ، ص ١٩٣ ، بسند حسن.
- [٦٩٧] موقع قرب الكوفة من جهة الشام ، معجم البلدان (٢٧٨/٥).
- [٦٩٨] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٨٨.
- [٦٩٩] تاريخ الطبري (٦٠٣/٥) ، بسند حسن إلى عوانة منقطعاً.
- [٧٠٠] قرقيسياء: بلد يقع على نهر الخابور عند مصبه في الفرات. معجم البلدان (٣٢٨/٤).
- [٧٠١] الرقة: مدينة مشهورة في سورية اليوم على نهر الفرات الشرقي. معجم البلدان (١٥٣/٣).
- [٧٠٢] تاريخ الطبري (٦٠٤/٥).
- [٧٠٣] المحن لأبي العرب التميمي ، ص ١٢٤ ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٩١.
- [٧٠٤] خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ١٩١.
- [٧٠٥] لغة حمير في إبدال أم بدل (أل) التعريف.
- [٧٠٦] الإصابة (٤٨٠/١) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٩٢.
- [٧٠٧] أنساب الأشراف (٥٢/٢) بسند منقطع ؛ خلافة علي ، ص ١٩٢.
- [٧٠٨] تاريخ الطبري (٦٠١/٥) ، بسند منقطع.

- [٧٠٩] خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٩٤ ؛ المعرفة والتاريخ (٣/٣١٣).
- [٧١٠] المصدر السابق نفسه ، ص ١٩٤ ؛ تاريخ خليفة ، ص ١٩٣ .
- [٧١١] سير أعلام النبلاء (٦/٣٨٠).
- [٧١٢] خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٩٤ .
- [٧١٣] امتداد العرب في صدر الإسلام ، صالح العلي ، ص ٧٣ ؛ خلافة علي ، ص ١٩٤ .
- [٧١٤] صفين ، نصر بن مزاحم ، ص ١٦٠ - ١٦١ .
- [٧١٥] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٩٦ ، النصر المبين .
- [٧١٦] مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٩٤) بسند حسن .
- [٧١٧] سير أعلام النبلاء (٢/٤١) ؛ مرويات أبي مخنف ، ص ٢٩٦ .
- [٧١٨] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ ؛ البداية والنهاية (٧/٢٦٦) ؛ تاريخ الطبري (٥/٦١٤) .
- [٧١٩] تاريخ الطبري (٥/٦١٢ ، ٦١٣) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٩٩ .
- [٧٢٠] تاريخ الطبري (٥/٦١٣) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ١٩٩ .
- [٧٢١] المصدر السابق نفسه (٥/٦١٤) .
- [٧٢٢] البداية والنهاية (٧/٦٧) .
- [٧٢٣] سير أعلام النبلاء (٤/٦٧) ، بدون إسناد .
- [٧٢٤] البداية والنهاية (٧/٢٦٩) .
- [٧٢٥] الأنباء بتواريخ الخلفاء ، ص ٥٩ ؛ صفين ، ص ٢٠٢ ؛ شذرات الذهب (١/٤٥) .
- [٧٢٦] البداية والنهاية (٧/٢٧٣) .
- [٧٢٧] سنن سعيد بن منصور (٢/٢٤٠) ضعيف .
- [٧٢٨] تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٩٣ ، بسند حسن إلى شاهد عيان .
- [٧٢٩] المصدر السابق نفسه .

- [٧٣٠] شاعر تغلب في عصره ، مخضرم ، شهد صفين مع معاوية ، وهو شاعر معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام. الأعلام للزركلي (١٨٠/٦).
- [٧٣١] البداية والنهاية (٢٧٣/٧) ؛ تاريخ الطبري (٦٢٦/٥).
- [٧٣٢] تاريخ الطبري (٦٢٢/٥) ، من طريق أبي مخنف.
- [٧٣٣] الطبقات (٢٥٥/٤) ، من طريق الواقدي.
- [٧٣٤] سنن سعيد بن منصور (٣٤٤/٢ - ٣٤٥) ، بسند ضعيف.
- [٧٣٥] مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٧/١٥) ، بسند ضعيف.
- [٧٣٦] تاريخ الطبري (٦٣٠/٥).
- [٧٣٧] المصدر السابق نفسه (٦٣٦/٥).
- [٧٣٨] الإصابة (٤٥٤/١) ؛ أنساب الأشراف (٥٦/٢) ، بسند حسن إلى قتادة مرسلاً.
- [٧٣٩] مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٠/١٥) ، الإسناد حسن لغيره.
- [٧٤٠] مجمع الزوائد (٢٤٣/٧) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢١٩ إسناده حسن.
- [٧٤١] تاريخ الطبري (٦٥٢/٥).
- [٧٤٢] الأسل: الرماح.
- [٧٤٣] تاريخ الطبري (٦٥٢/٥).
- [٧٤٤] مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٢/١٥ ، ٣٠٣) بسند منقطع.
- [٧٤٥] تاريخ الطبري (٦٥٣/٥).
- [٧٤٦] المستدرک (٤٠٢/٣) ، قال الذهبي: ضعيف ؛ خلافة علي ، ص ٢٢٦.
- [٧٤٧] السنن الكبرى للبيهقي (٢٥٢/٣) ؛ قال الألباني: رواه البيهقي بصيغة التمريض. إرواء الغليل (٤٢/٣).
- [٧٤٨] تلخيص الحبير (٧٨/٢) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ٢٢٧.
- [٧٤٩] شذرات الذهب (٤٥/١) ؛ وقعة صفين ، ص ٣٦٩.
- [٧٥٠] البداية والنهاية (٢٨٣/٧).

- [٧٥١] وقعة صفين للمتغري ، ص ٤٧٩ .
- [٧٥٢] وقعة صفين للمتغري ، ص ٤٨١ - ٨٨٤ .
- [٧٥٣] الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص ٣١٦ .
- [٧٥٤] الكامل (٣٨٦/٢) .
- [٧٥٥] تاريخ الطبري (٦٦٢/٥) .
- [٧٥٦] المصدر السابق نفسه (٦٦٢/٥ ، ٦٦٣) .
- [٧٥٧] مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٦/٨) ؛ مسند أحمد مع الفتح الرباني (٤٨٣/٨) .
- [٧٥٨] البخاري ، رقم ٤١٨٩ .
- [٧٥٩] المصدر السابق نفسه .
- [٧٦٠] الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من الخلاف ، ص ٥٣٠ .
- [٧٦١] دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، ص ٣٨ .
- [٧٦٢] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٨ .
- [٧٦٣] الأخبار الطوال للدينوري ، ص ١٨٧ ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص ٤٣٢ .
- [٧٦٤] صفين ، ص ٤٨٢ - ٤٨٥ ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص ٤٣٣ .
- [٧٦٥] مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٦/٨) .
- [٧٦٦] مسلم ، رقم ٢٩١٦ .
- [٧٦٧] المصدر السابق نفسه .
- [٧٦٨] خلافة علي ، ص ٢١١ ؛ مجمع الزوائد للهيثمى (٢٤٢/٧) . وقال فيه: رواه الطبراني وفيه أبو معشر ، وهو لين .
- [٧٦٩] الدحض: الزلق ، والداحض: من لا ثبات له ولا عزيمة في الأمور .
- [٧٧٠] مسند أحمد (٢٠٦/٢) ، إسناده حسن .
- [٧٧١] مصنف عبد الرزاق (٢٤٠/١١) بسند صحيح .

- [٧٧٢] مسند أحمد (١٣٨/١١ - ١٣٩).
- [٧٧٣] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٢٥.
- [٧٧٤] معاوية بن أبي سفيان ، الغضبان ، ص ٢١٥.
- [٧٧٥] أنساب الأشراف (١٧٠/١) ؛ عمرو بن العاص للغضبان ، ص ٦٠٣.
- [٧٧٦] البخاري ، رقم ٤٤٧.
- [٧٧٧] الاستيعاب (١١٤٠/٣).
- [٧٧٨] سير أعلام النبلاء (٤٢١/١).
- [٧٧٩] فتح الباري (٦٤٦/١).
- [٧٨٠] فتح الباري (٩٢/١٣).
- [٧٨١] تهذيب الأسماء واللغات (٣٨/٢).
- [٧٨٢] البداية والنهاية (٢٢٠/٦).
- [٧٨٣] المصدر السابق نفسه (٢٧٧/٧).
- [٧٨٤] سير أعلام النبلاء (٢٠٩/٨).
- [٧٨٥] أحكام القرآن (١٧١٧/٤).
- [٧٨٦] مجموع الفتاوى (٤٣٧/٤).
- [٧٨٧] المصدر السابق نفسه (٤٤٩/٤ - ٤٥٠).
- [٧٨٨] فتاوى ومقالات متنوعة (٨٧/٦).
- [٧٨٩] الأساس في السنة (١٧١٠/٤).
- [٧٩٠] مسند أحمد (٢٠٦/٢) ، إسناده حسن.
- [٧٩١] مسلم ، رقم ٢٩١٦.
- [٧٩٢] معاوية بن أبي سفيان ، ص ٢١٠ - ٢١٤.
- [٧٩٣] البخاري ، رقم ٤٤٧.
- [٧٩٤] الإصابة، ابن حجر.

- [٧٩٥] التذكرة (٢/٢٢٢).
- [٧٩٦] المصدر السابق نفسه (٢/٢٢٣).
- [٧٩٧] البداية والنهاية (٦/٢٢١).
- [٧٩٨] منهاج السنة (٤/٤٠٦).
- [٧٩٩] مسلم ، رقم ٢٩١٦.
- [٨٠٠] الصواعق المرسله (١/١٨٤ ، ١٨٥).
- [٨٠١] الطبقات الكبرى (٣/٢٦٠ ، ٢٦١) بسند صحيح.
- [٨٠٢] السلسلة الصحيحة (٥/١٨ - ١٩).
- [٨٠٣] البداية والنهاية (٦/٢٢٠).
- [٨٠٤] الإصابة (٧/٢٦٠).
- [٨٠٥] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٦٥٤.
- [٨٠٦] السلسلة الصحيحة (٥/١٨ - ١٩).
- [٨٠٧] المصدر السابق نفسه.
- [٨٠٨] المصدر السابق نفسه (٥/١٩).
- [٨٠٩] مسند أحمد (٤/٧٦) ، وسنده حسن.
- [٨١٠] الاستيعاب في معركة الأصحاب ، رقم ٣٠٨٩.
- [٨١١] تاريخ الطبري (٥/٦١٠).
- [٨١٢] سير أعلام النبلاء (٢/٤١) ؛ مرويات أبي مخنف ، ص ٢٩٦.
- [٨١٣] البداية والنهاية (٧/٢٧٠) ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص ٤٢٣.
- [٨١٤] تاريخ الطبري ، نقلاً عن دراسات في عهد النبوة ، ص ٤٢٤.
- [٨١٥] تاريخ دمشق (١٨/٢٣٣٩) ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص ٤٢٤.
- [٨١٦] أنساب الأشراف (٦/٥٦) بسند حسن إلى عتبة ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٤١.

[٨١٧] أنساب الأشراف (٥٦/٦) بسند حسن إلى عتبة ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٤١ .

[٨١٨] صفين ، ص ١١٥ ؛ دراسات في عهد النبوة ، ص ٤٢٤ .

[٨١٩] دراسات في عهد النبوة ، ص ٤٢٤ .

[٨٢٠] كتاب قتال أهل البغي من الحاوي الكبير ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ .

[٨٢١] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٤٣ .

[٨٢٢] الأم للشافعي (٢٢٤/٤) (٢٥٦/٨) .

[٨٢٣] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٤٣ .

[٨٢٤] تاريخ دمشق ، تحقيق: المنجد (٣٣١/١) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ٢٤٣ .

[٨٢٥] العواصم من القواصم ، ص ١٦٨ - ١٦٩ ، من تعليق الخطيب في الحاشية .

[٨٢٦] بغية الطلب في تاريخ حلب (٣٠٩) ؛ خلافة علي ، ص ٢٤٥ .

[٨٢٧] الأبناء للقضاعي ، ص ٥٩ ، نقلاً عن خلافة علي ، ص ٢٤٦ .

[٨٢٨] الصواعق المرسله (٣٧٧/١) بدون سند ، تحقيق: محمد دخيل الله .

[٨٢٩] الدولة الأموية ، ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

[٨٣٠] تاريخ الطبري (٣٨٨/٤) .

[٨٣١] مصنف ابن أبي شيبة .

[٨٣٢] حابس بن سعد الطائي: مخضرم ، قتل بصفين .

[٨٣٣] مصنف ابن أبي شيبة (٧٤/١١) بسند منقطع .

[٨٣٤] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٥٠ ؛ تنزيه خال المؤمنين .

[٨٣٥] مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٣/١٥) ، بسند حسن .

[٨٣٦] تاريخ دمشق (٣٢٩ ، ٣٣١/١) ؛ خلافة علي ، ص ٢٥١ .

[٨٣٧] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٥١ ؛ تنزيه خال المؤمنين ، ص ١٦٩ .

- [٨٣٨] البداية والنهاية (١٢٢/٨).
- [٨٣٩] الطفولة: جمع طفل ، بالفتح ، وهو الرخص الناعم.
- [٨٤٠] وقعة صفين ، ص (٤٠٦ - ٤٠٨) ؛ قصص لا تثبت ، سليمان الخراشي (١٩/٦).
- [٨٤١] الروض الأنف (٤٦٢/٥) ؛ قصص لا تثبت (١٩/٦).
- [٨٤٢] ميزان الاعتدال (٢٥٣/٤ - ٢٥٤).
- [٨٤٣] لسان الميزان (١٥٧/٦).
- [٨٤٤] المجروحين لابن حبان (٩١/٣) ؛ تذكرة الحفاظ (٣٤٣/١) ؛ معجم الأدباء (٢٨٧/١٩) ؛
قصص لا تثبت (١٨/١).
- [٨٤٥] قصص لا تثبت (٢٠/١).
- [٨٤٦] المصدر السابق نفسه (١٠/١).
- [٨٤٧] البيان والتبيين للجاحظ (١٤٨/٣) ، فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، ص ٣٢٧.
- [٨٤٨] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص ١٤٧.
- [٨٤٩] الأخبار الطوال ، ص ١٦٥ ، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢٣٢/٢).
- [٨٥٠] تحقيق مواقف الصحابة (٢٣٢/٢).
- [٨٥١] البخاري ، كتاب الأدب (٨٤/٧).
- [٨٥٢] السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم ٣٢٠ ؛ صحيح سنن الترمذي (١٨٩/٢) ، رقم ١١١٠.
- [٨٥٣] مسلم (٢٠٠٦/٤) ، رقم ٢٥٩٨.
- [٨٥٤] نهج البلاغة ، ص ٣٢٣.
- [٨٥٥] أصول مذهب الشيعة (٩٣٤/٢).
- [٨٥٦] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٣٧٨ ؛ تنزيه خال أمير المؤمنين معاوية ، ص ٣٨.
- [٨٥٧] سير أعلام النبلاء (٣٨١/٢).
- [٨٥٨] الطبقات (١٠٧/٤).

[٨٥٩]فتح الباري (١٨٩/٧).

[٨٦٠]مسلم ، رقم ٢٥٠٢ .

[٨٦١]سير أعلام النبلاء (٣٨٤/٢) إسناده صحيح .

[٨٦٢]المستدرک (٣١٣/٢) ، صححه الحاكم ووثقه الذهبي ؛ سير أعلام النبلاء (٢٣٨٤).

[٨٦٣]سير أعلام النبلاء (٣٨٥/٢).

[٨٦٤]مسلم ، رقم ٢٤٩٨ .

[٨٦٥]الجعرانة: بين مكة والطائف وهي أقرب إلى مكة .

[٨٦٦]مسلم ، رقم ٢٤٩٧ .

[٨٦٧]مسلم ، رقم ٧٩٣ ؛ مجمع الزوائد (٣٥٨/٩).

[٨٦٨]مسلم ، رقم ٢٧٠٤ .

[٨٦٩]تاريخ خليفة بن خياط ، ص ٩٧ ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢٢٦/٢).

[٨٧٠]مسلم ، رقم ١٧٣٣ ؛ البخاري ، رقم ٤٣٤٤ .

[٨٧١]البداية والنهاية (١١٤/٧).

[٨٧٢]المصدر السابق نفسه (٨٨/٧).

[٨٧٣]تفسير التابعين (٤٢٣/١).

[٨٧٤]سير أعلام النبلاء (٣٨٩/٢).

[٨٧٥]أبو موسى الأشعري الصحابي العلم المجاهد ، محمد طهماز ، ص ١٢١ .

[٨٧٦]الطبقات (١٠٧/٤).

[٨٧٧]سير أعلام النبلاء (٢٨٩/٢).

[٨٧٨]أبو موسى الأشعري الصحابي العالم ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ؛ سير أعلام النبلاء (٣٩١/٢).

[٨٧٩]المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٧ ؛ سير أعلام النبلاء (٣٨٩/٢).

[٨٨٠]الطبقات (١٠٨/٤) رجاله ثقات ، كيس: عاقل فطن.

- [٨٨١] سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٠).
- [٨٨٢] أبو موسى الأشعري ، ص ١٢٩.
- [٨٨٣] سير أعلام النبلاء (٢/٣٨١).
- [٨٨٤] أنس بن مالك الخادم الأمين ، عبد الحميد طهاز ، ص ١٣٥.
- [٨٨٥] تاريخ الطبري (٥/٦٦).
- [٨٨٦] مناقب عمر لابن الجوزي ، ص ١٣٠.
- [٨٨٧] الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة.
- [٨٨٨] سير أعلام النبلاء (٢/٣٨٩).
- [٨٨٩] الولاية على البلدان (١/١٢٠).
- [٨٩٠] المصدر السابق نفسه.
- [٨٩١] سير أعلام النبلاء (٢/٣٩١).
- [٨٩٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٦٢.
- [٨٩٣] إعلام الموقعين (١/١٨٦).
- [٨٩٤] فتح الباري (١٣/٥٣) ، التاريخ الصغير (١١/١٠٩).
- [٨٩٥] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٦٢.
- [٨٩٦] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/٢٢٧).
- [٨٩٧] تاريخ خليفة ، ص ١٩١ ، ١٩٢.
- [٨٩٨] الطبقات (٣/٣٢).
- [٨٩٩] تحقيق مواقف الصحابة (٢/٢١٥).
- [٩٠٠] المعجم الكبير للطبراني (٩/٥٣) ، أرسلها ابن إسحاق.
- [٩٠١] الإصابة (٣/٢)؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ٢٦٣.
- [٩٠٢] تهذيب التهذيب (٨/٥٦).

[٩٠٣] الأدم: الجلد.

[٩٠٤] أجزاء عنها : كفيتهها.

[٩٠٥] استقام المنسم: تبين الطريق ووضح.

[٩٠٦] صحيح السيرة النبوية ، ص ٤٩٤ ؛ سير أعلام النبلاء (٦٠/٣) ؛ والسيرة لابن هشام (٢٦٧/٢).

[٩٠٧] مسلم ، كتاب الإيمان ، رقم ١٢١.

[٩٠٨] السيرة النبوية الصحيحة (٤٧١/٢) ؛ السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٠/٣).

[٩٠٩] السيرة النبوية لأبي شعبة (٤٣٣/٢) ؛ السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٠/٤).

[٩١٠] جيش: سرية ذات السلاسل.

[٩١١] رواه ابن حبان في الموارد، رقم ٢٢٧٧ ؛ صحيح السيرة ، ص ٥٠٨ ، صححه الألباني.

[٩١٢] التاريخ الإسلامي للحميدي (١٣٣/٧).

[٩١٣] سير أعلام النبلاء (٦٦/٣).

[٩١٤] سير أعلام النبلاء (٦٧/٣) إسناده صحيح ؛ صححه ابن حبان ، رقم ٢٠٢.

[٩١٥] غزوة الحديبية لأبي الفارس ، ص ٢١٠.

[٩١٦] معين السيرة ، ص ٣٨١ ، القائل هو صالح أحمد الشامي صاحب (معين السيرة).

[٩١٧] معين السيرة ، ص ٣٨١ ، مسند أحمد (٢٠٣/١) ، رجاله رجال الصحيح.

[٩١٨] سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٣٨/١) ، رقم ١٥٥ وحسنه.

[٩١٩] الطبقات (١٩١/٤) ؛ السلسلة الصحيحة (٢٤٠/١) ، رقم ١٥٦.

[٩٢٠] مسند أحمد (٢٠٣) بسند حسن.

[٩٢١] سنن البيهقي ، باب إسلام عمرو بن العاص (٤٣/٤).

[٩٢٢] سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب عمرو بن العاص ، رقم ٣٨٤٤.

[٩٢٣] المعجم الكبير (٥/١٨) ؛ المستدرک (٤٥٥/٣) ، صححه الحاكم ، وقال الذهبي: صحيح إسناده حسن.

[٩٢٤] الطبقات (٢٦٢/١) ؛ جوامع السيرة لابن حزم ، ص ٢٤ ، ٢٩ .

[٩٢٥] إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء ، ص ٥٥ .

[٩٢٦] فتوح الشام للأزدي ، ص ٤٨ - ٥١ .

[٩٢٧] تاريخ الطبري (٦٠٥/٣) ؛ الكامل لابن الأثير (٤٩٨/٢) .

[٩٢٨] سير أعلام النبلاء (٧٠/٣)؛ القيادة العسكرية في عهد الرسول ، ص ٦٣٤ - ٦٤٢ .

[٩٢٩] سير أعلام النبلاء (٧٠/٣) .

[٩٣٠] تاريخ الطبري نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان ، ص ٤٦٤ .

[٩٣١] أشاف: جمع أشفى وهو المثقب .

[٩٣٢] الحر: جمع حرة وهي الظلمة الشديدة .

[٩٣٣] تاريخ الطبري نقلاً عن عمرو بن العاص للغضبان ، ص ٤٦٤ .

[٩٣٤] عمرو بن العاص للغضبان ، ص ٤٨١ .

[٩٣٥] سفراء النبي (ص) ، محمود شيت خطاب ، ص ٥٠٨ .

[٩٣٦] عمرو بن العاص ، عبد الخالق سيد أبو رابية ، ص ٣١٦ .

[٩٣٧] عمرو بن العاص للعقاد ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

[٩٣٨] عمرو بن العاص للغضبان ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ .

[٩٣٩] المصدر السابق نفسه، ص ٤٩٢ .

. انظر الوثائق السياسية ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، الأخبار الطوال للدينوي، ص ١٩٦ - ١٩٩ : أنساب

الأشراف (٣٨٢/١)؛ تاريخ الطبري (٦٦٥/٥ ، ٦٦٦)؛ البداية والنهاية (٢٧٦/٧ ، ٢٧٧) .

[٩٤٠] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٤٠٤ .

- [٩٤١] المصنف (٤٦٣/٥) ؛ مرويات تاريخ الطبري ، ص ٤٠٦ .
- [٩٤٢] المراسيل لأبي حاتم ، ص ٣ ؛ الجرح والتعديل (٢٤٦/١) .
- [٩٤٣] تهذيب التهذيب (٢٧/١٢) ؛ مرويات تاريخ الطبري ، ص ٤٠٦ .
- [٩٤٤] مرويات تاريخ الطبري ، ص ٤٠٦ .
- [٩٤٥] تاريخ دمشق (٥٣/١٦) .
- [٩٤٦] تحقيق مواقف الصحابة (٢٢٣/٢) .
- [٩٤٧] مرويات أبي مخنف ، ص ٤٠٧ .
- [٩٤٨] التاريخ الكبير (٢٦٧/٢/٤) ؛ الجرح والتعديل (١٣٨/٩) .
- [٩٤٩] التاريخ للدارمي ، ص ٢٣٨ ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢٢٣/٢) .
- [٩٥٠] الضعفاء والمتروكون ، ص ٢٥٣ .
- [٩٥١] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٤٠٨ .
- [٩٥٢] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٤٠٨ .
- [٩٥٣] التاريخ الكبير (٣٩٨/٥) .
- [٩٥٤] العواصم من القواصم ، ص ١٧٨ - ١٨٠ .
- [٩٥٥] فتح الباري (٨٦/١٣) .
- [٩٥٦] سير أعلام النبلاء (١٤٠/٣) .
- [٩٥٧] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٤٠٩ .
- [٩٥٨] الفصل في الملل والنحل (١٦٠/٤) .
- [٩٥٩] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢٢٥/٢) .
- [٩٦٠] الأحكام السلطانية للماوردي ؛ الأحكام السلطانية لأبي يعلى ، ص ٢٠ ؛ غياث الأمم ، ص ٧٩ وما بعدها .
- [٩٦١] غياث الأمم ، ص ١٢٨ ؛ مرويات أبي مخنف ، ص ٤١٠ .

- [٩٦٢] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٣٨/٤).
- [٩٦٣] مرويات أبي مخنف ، ص ٤١١ .
- [٩٦٤] سعيد بن عبد العزيز التنوخي ثقة إمام التقريب .
- [٩٦٥] تهذيب التهذيب (٦٠/٤) .
- [٩٦٦] تاريخ الطبري (٧٦/٦) .
- [٩٦٧] المصدر السابق نفسه .
- [٩٦٨] البداية والنهاية (١٦/٨) .
- [٩٦٩] الفتاوى (٧٣/٣٥) .
- [٩٧٠] صحيح مسلم (١٤٨٠/٣) .
- [٩٧١] سنن البيهقي (١٤٤/٨) .
- [٩٧٢] مرويات أبي مخنف ، ص ٤١٢ .
- [٩٧٣] البخاري (٤٨/٥) .
- [٩٧٤] فتح الباري (٤٦٦/٧) .
- [٩٧٥] مرويات أبي مخنف .
- [٩٧٦] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١٣٤/٢) .
- [٩٧٧] أعلام النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين ، ص ١٧٧ .
- [٩٧٨] دومة الجندل: غرب مدينة الجوف في شمال الجزيرة العربية .
- [٩٧٩] أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء .
- [٩٨٠] تاريخ خليفة ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .
- [٩٨١] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٦٧ .
- [٩٨٢] ذي الرمة ، غيلان بن عقبة ، توفي ١١٧ هـ . سير أعلام النبلاء (٢٦٧/٥) .
- [٩٨٣] بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري . تهذيب تاريخ دمشق (٣٢١/٣) .
- [٩٨٤] ديوان ذي الرمة ، ص ٣٦١ . ٣٦٢ نقلاً عن خلافة علي ، ص ٢٧٢ .

- [٩٨٥] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٢٧٢ .
- [٩٨٦] المسند (١/١٦٨) ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣/٢٦) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، للسلمي ، ص ١٠٧ .
- [٩٨٧] الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/١٦٦٥) .
- [٩٨٨] الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (٣/١٦٦٥) .
- [٩٨٩] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٢/٧٢٧) ؛ تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان ، ص ٤١ .
- [٩٩٠] العواصم من القواصم ، ص ١٦٩ - ١٧٠ ؛ أحكام القرآن (٤/١٧١٧) .
- [٩٩١] مسلم (٢/٧٤٥) .
- [٩٩٢] البخاري مع شرحه في فتح الباري (١٣/٣١٨) .
- [٩٩٣] البخاري ، كتاب الفتن ، رقم ٧١٠٩ .
- [٩٩٤] الاعتقاد للبيهقي ، ص ١٩٨ ؛ فتح الباري (١٣/٦٦) .
- [٩٩٥] في صحيح مسلم (٢/٧٤٦) : تكون في أمتي فرقتان .
- [٩٩٦] عقيدة أهل السنة في الصحابة .
- [٩٩٧] الإنصاف للباقلاني ، ص ٦٩ ؛ الطبقات (٥/٣٩٤) .
- [٩٩٨] مناقب الشافعي ، ص ١٣٦ .
- [٩٩٩] الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣٣٢) .
- [١٠٠٠] المصدر السابق نفسه .
- [١٠٠١] الإنصاف للباقلاني ، ص ٦٩ .
- [١٠٠٢] مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص ١٦٤ .
- [١٠٠٣] رسالته المشهورة مع شرحها الثمر الداني ، ص ٢٣ .
- [١٠٠٤] الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، ص ٢٦٨ .

- [١٠٠٥] البخاري ، كتاب الفتن ، رقم ٧١٠٩ .
- [١٠٠٦] العقيدة فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص ٦٧ . ٦٩ .
- [١٠٠٧] العقيدة فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص ٦٧ . ٦٩ .
- [١٠٠٨] الباعث الحثيث ، ص ١٨٢ .
- [١٠٠٩] فتح الباري (٣/٣٤) .
- [١٠١٠] عقيدة أهل السنة (٢/٧٤٠) .
- [١٠١١] عقيدة الإمام ابن قتيبة ، علي العلياني ، ص ٩٠ .
- [١٠١٢] لسان الميزان (٣/٣٥٧) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٤٤) .
- [١٠١٣] تحقيق مواقف الصحابة (٢/١٤٤) .
- [١٠١٤] الفتاوى لابن تيمية (١٧/٣٩١) .
- [١٠١٥] الإمامة والسياسة (١/١٢) .
- [١٠١٦] الإمامة والسياسة (١/٥٤ . ٥٥) .
- [١٠١٧] عقيدة الإمام ابن قتيبة للعلياني ، ص ٩١ .
- [١٠١٨] الإمامة والسياسة (٢/٢٠) .
- [١٠١٩] المعارف ، ص ٤٠١ .
- [١٠٢٠] مختصر التحفة الإثنا عشرية للآلوسي ، ص ٣٢ .
- [١٠٢١] عقيدة الإمام ابن قتيبة ، ص ٩٣ .
- [١٠٢٢] الأدب الإسلامي ، نايف معروف ، ص ٥٣ .
- [١٠٢٣] الوفيات (٣/١٢٤) .
- [١٠٢٤] ميزان الاعتدال (٣/١٢٤) .
- [١٠٢٥] منهاج السنة (٤/٢٤) .
- [١٠٢٦] لسان الميزان (٤/٢٢٣) .

[١٠٢٧]الأدب والإسلام ، نايف معروف ، ص ٥٣ .

[١٠٢٨]الأدب الإسلامي ، ص ٥٤ - ٥٥ .

[١٠٢٩]السيف اليماني في نحر الأصفهاني للأعظمي ، ص ٩ إلى ١٤ .

[١٠٣٠]تاريخ بغداد (١١/٣٩٨) .

[١٠٣١]المنتظم (٧/٤٠ ، ٤١) .

[١٠٣٢]ميزان الاعتدال (٣/١٢٣) .

[١٠٣٣]تاريخ اليعقوبي (٢/١٨٠ - ١٨٣) .

[١٠٣٤]المصدر السابق نفسه (٢/١٣١) .

[١٠٣٥]المصدر السابق نفسه (٢/٢٢٢) .

[١٠٣٦]المصدر السابق نفسه (٢/٢٣٢ ، ٢٣٨) .

[١٠٣٧]المصدر السابق نفسه (٢/١٢٣ ، ١٢٦) .

[١٠٣٨]منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٤٣١ .

[١٠٣٩]المصدر السابق نفسه .

[١٠٤٠]كتاب البلدان لليعقوبي .

[١٠٤١]منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٤٣٢ .

[١٠٤٢]الفهرست لابن النديم ، ص ١٧١ ؛ سير أعلام النبلاء .

[١٠٤٣]الفهرست ، ص ١١٧ .

[١٠٤٤]معجم الأدباء (١٣/٩١ - ٩٣) .

[١٠٤٥]منهج المسعودي في كتابة التاريخ ، ص ٤٤ ؛ أثر التشيع ، ص ٢٤٣ .

[١٠٤٦]لسان الميزان (٤/٢٢٥) ؛ أثر التشيع ، ص ٢٤٦ .

[١٠٤٧]مروج الذهب ومعادن الجوهر (١/٣٨) .

[١٠٤٨]أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص ٢٤٨ .

[١٠٤٩]المصدر السابق نفسه .

- [١٠٥٠] تاريخ عمرو بن العاص ، حسن إبراهيم ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
- [١٠٥١] الشيعة والسنة ، إحسان إلهي ظهير ، ص ٣٢ .
- [١٠٥٢] منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد صامل ، ص ٥٠٢ .
- [١٠٥٣] منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٠٢ .
- [١٠٥٤] المصادر الأولى لتاريخنا ، مجلة الأزهر ، سنة ١٣٧٤ هـ .
- [١٠٥٥] منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٠٤ .
- [١٠٥٦] منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص ٥٠٧ .
- [١٠٥٧] مقالات الإسلاميين (٢٠٧/١) .
- [١٠٥٨] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٣/٢) .
- [١٠٥٩] الملل والنحل .
- [١٠٦٠] هدي الساري في مقدمة فتح الباري ، ص ٤٥٩ .
- [١٠٦١] فتح الباري (٢٨٣/٢) .
- [١٠٦٢] التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص ٤٧ .
- [١٠٦٣] الخوارج ، ناصر العقل ، ص ٢٨ .
- [١٠٦٤] سمووا بهذا الاسم لنزولهم بحروراء في أول أمرهم .
- [١٠٦٥] سمووا شراة لقولهم: شرينا أنفسنا في طاعة الله ، أي: بعناها بالجنة .
- [١٠٦٦] سمووا بهذا الاسم لإنكارهم الحكمين ، وقولهم: لا حكم إلا لله .
- [١٠٦٧] مقالات الإسلاميين (٢٠٧/١) .
- [١٠٦٨] أي: في جلد مدبوغ بالقرظ .
- [١٠٦٩] أي: لم تميز ، ولم تصفَّ من تراب معدنها .

- [١٠٧٠] أي: مرتفع الجبهة.
- [١٠٧١] أي: أفتش وأكشف ، ومعناه: أني أمرت بالحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.
- [١٠٧٢] مقفٍ: أي مؤلّ.
- [١٠٧٣] ضئضأى: هو بضادين معجمتين مكسورتين ، واخره مهموز وهو أصل الشيء.
- [١٠٧٤] أخرجه البخاري (٢٣٢/٢) ؛ ومسلم (٧٤٢/٢).
- [١٠٧٥] أخرجه مسلم (٧٤٠/٢).
- [١٠٧٦] تليس إبليس ، ص ٩٠.
- [١٠٧٧] الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٥٧/٤).
- [١٠٧٨] الملل والنحل (١١٦/١).
- [١٠٧٩] عقيدة أهل السنة في الصحابة (١١٤١/٣).
- [١٠٨٠] شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٥٦٣.
- [١٠٨١] البداية والنهاية (٢٠٢/٧).
- [١٠٨٢] فرق معاوية للعواجي (٦٧/١) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ٢٩٧.
- [١٠٨٣] تراقيهم: جمع ترقة ، وهي العظم بين ثغرة النحر والعاتق ، وهما ترقتان من الجانبين.
- [١٠٨٤] الرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك ، وقيل: كل دابة مرمية.
- [١٠٨٥] رصافه: يقال: رصف السهم إذا شده بالرصاف ، وهو عقب يلوى على مدخل النصل فيه.
- [١٠٨٦] يعني: مرّ مرأً سريعاً في الرمية لم يعلق به شيء من الفرث والدم.
- [١٠٨٧] البضعة: القطعة من اللحم. النهاية في غريب الحديث (١٣٣/١).
- [١٠٨٨] تدردر: أي: ترجرج تجيء وتذهب. النهاية في غريب الحديث (١١٢/٢).
- [١٠٨٩] مسلم (٧٤٣/٢ - ٧٤٤).
- [١٠٩٠] الفوقة: هي الحجر الذي يجعل فيه الوتر.
- [١٠٩١] مسلم (٧٤٣/٢ - ٧٤٤).
- [١٠٩٢] فتح الباري (٦١٨/٦). ما قاله القاضي عياض في شرح النووي (١٥٩/٧).

- [١٠٩٣] قال الحافظ ابن حجر: المراد باخر الزمان زمان خلافة النبوة ، فإن في حديث سفينة المخرج في السنن وصحيح ابن حبان وغيره مرفوعاً: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكاً» ، وكانت قصة الخوارج وقتلهم النهروان في أواخر خلافة علي سنة ثمان وثلاثين للهجرة. فتح الباري (٢٨٧/١٢).
- [١٠٩٤] صغار السن. شرح النووي (١٦٩/٧).
- [١٠٩٥] ضعفاء العقول. فتح الباري (٦١٩/٦).
- [١٠٩٦] أي: من القران ، كما في حديث أبي سعيد المتقدم: يقرؤون القران.
- [١٠٩٧] البخاري (٢٨١/٢).
- [١٠٩٨] فتح الباري (٢٨١/٢).
- [١٠٩٩] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (١١٨٣/٣).
- [١١٠٠] مسلم (٧٥٠/٢).
- [١١٠١] معناه: أن الكلمة أصلها صدق ، قال تعالى: {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ} لكنهم أرادوا بها الإنكار على علي في تحكيمه. شرح النووي (١٧٣/٧ - ١٧٤).
- [١١٠٢] المراد: ضرع الشاة.
- [١١٠٣] مسلم (٧٤٩/٢).
- [١١٠٤] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (١١٨٤/٣).
- [١١٠٥] مسلم (٧٥٠/٢).
- [١١٠٦] شرح النووي (١٧٥/٧).
- [١١٠٧] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (١١٨٤/٣).
- [١١٠٨] مشرف الوجنتين: أي غليظهما ، والوجنة: ما ارتفع من لحم خده.
- [١١٠٩] ناتأى الجبين: أي بارز الجبين ، من التواء: وهو الارتفاع.
- [١١١٠] البخاري (٢٣٢/٢) ؛ ومسلم (٧٤١/٢ - ٧٤٢).
- [١١١١] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (١١٨/٣).
- [١١١٢] عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (١١٨/٣).

- [١١١٣] تاريخ بغداد (١/١٦٠).
- [١١١٤] البداية والنهاية (٧/٢٨٠ - ٢٨١) ، إسناده صحيح ؛ مجمع الزوائد (٦/٢٣٥).
- [١١١٥] مصنف عبد الرزاق (١٠/١٥٧ - ١٦٠) ، بسند حسن.
- [١١١٦] تاريخ خليفة ، ص ١٩٢.
- [١١١٧] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٠٣.
- [١١١٨] خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ، تحقيق: أحمد البلوشي ، ص ٢٠٠ .
إسناده حسن.
- [١١١٩] المصدر السابق نفسه ص ١٩٧ ، إسناده حسن.
- [١١٢٠] منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، ص ٣٣٩.
- [١١٢١] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٠٧.
- [١١٢٢] خصائص علي بن أبي طالب للنسائي ، ص ٢٠٠ ، إسناده حسن ، للبلوشي.
- [١١٢٣] مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٣١٢ - ٣١٣)؛ صححه الألباني في إرواء الغليل (٨/١١٨) .
(١١٩).
- [١١٢٤] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، ص ٤٥٢.
- [١١٢٥] مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٣٢٧ - ٣٢٨)؛ والشافعي في الأم (٤/١٣٦)؛ وتاريخ الطبري (٥/٦٨٨) بسند ضعيف للانقطاع ، إلا أن للسند شواهد وقد توبع. قاله الألباني في إرواء الغليل (٨/١١٧ - ١١٨).
- [١١٢٦] الوظيفة العقدية للدولة الإسلامية ، حامد عبد الماجد ، ص ٤٧.
- [١١٢٧] مسند أحمد (٢/٦٥٦) ، قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.
- [١١٢٨] البداية والنهاية (٧/٣١٢) ؛ تاريخ الطبري (٥/٦٨٩).
- [١١٢٩] البداية والنهاية (٧/٣١٢).

- [١١٣٠] البداية والنهاية (٣١٢/٧ ، ٣١٣).
- [١١٣١] أنساب الأشراف (٦٣/٢) ، بسند فيه ضعف ، وله شواهد.
- [١١٣٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣١٩.
- [١١٣٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٣١٨.
- [١١٣٤] أي: لم يختلط بالماء. تاريخ بغداد (٢٠٥/١ . ٢٠٦).
- [١١٣٥] مصنف ابن أبي شيبة (٣١٠/١٥ . ٣١١) ، بسند صحيح.
- [١١٣٦] مجموع الزوائد (٢٣٧/٦ . ٢٣٨) ، إسناده صحيح.
- [١١٣٧] مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٨/١٥ . ٣٠٩) ، بسند صحيح.
- [١١٣٨] أنساب الأشراف (٦٣/٢) ، بسند فيه مجهول ، خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٢٢.
- [١١٣٩] تاريخ بغداد (٢٠٥/١ . ٢٠٦).
- [١١٤٠] مسلم (٧٤٨/٢ . ٧٤٩).
- [١١٤١] السنة لابن أبي عاصم ، تحقيق: الألباني ، وقال المحقق: حديث صحيح ، إسناده ضعيف ، وللحديث شواهد. خلافة علي ، ص ٣٢٣.
- [١١٤٢] السنن الكبرى للبيهقي (١٩٧/٨) ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ٣٢٤.
- [١١٤٣] مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٥/١٥ . ٣٢٧).
- [١١٤٤] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٢٤.
- [١١٤٥] تاريخ الخلافة الراشدة ، محمد كنعان ، ص ٤٢٥ ، مختصر من البداية والنهاية.
- [١١٤٦] المصدر السابق نفسه.
- [١١٤٧] المصدر السابق نفسه.
- [١١٤٨] أخبار الخوارج من الكامل للمبرد ، ص ٢١ ؛ خلافة علي ، ص ٣٢٥.
- [١١٤٩] المصدر السابق نفسه؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٢٥.

[١١٥٠] أنساب الأشراف (٦٣/٢) ، بسند فيه مجهول.

[١١٥١] مسلم (٧٤٨/٢).

[١١٥٢] مصنف ابن أبي شيبة (٣١١/٥) ؛ تاريخ خليفة ، ص ١٩٧ ، بسند حسن.

[١١٥٣] لاحق بن حميد السدوسي البصري ، ثقة من كتاب الثالثة.

[١١٥٤] نخل بن عبيد الأسلمي ، صحابي مشهور بكنيته ، مات سنة ٦٥ هـ.

[١١٥٥] المعرفة والتاريخ (٣١٥/٣) ؛ تاريخ بغداد (١٨٢/١).

[١١٥٦] أخبار الخوارج من الكامل ، ص ٣٣٨.

[١١٥٧] خلافة علي بن أبي طالب ، ص ٣٢٩ ؛ تاريخ خليفة ، ص ١٩٧.

[١١٥٨] مصنف عبد الرزاق (١٤٦/١٠).

[١١٥٩] النهاية في غريب الحديث (١٢/١ ، ١٣) ؛ فتح الباري (٢٩٤/١٢ - ٢٩٥).

[١١٦٠] الملل والنحل (١١٥/١).

[١١٦١] فتح الباري (٢٩٢/١٢) ؛ الإصابة (١٣٩/١).

[١١٦٢] الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد (١٥٥/٢٣) ؛ بإسناد حسن ؛ والبداية والنهاية

(٢٩٤/٧ ، ٢٩٥).

[١١٦٣] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٣٤.

[١١٦٤] مصنف ابن أبي شيبة (٣١٧/١٥ - ٣١٩) ، بسند صحيح.

[١١٦٥] السنن الكبرى للبيهقي (١٨٢/٨) ، بسند صحيح.

[١١٦٦] تلخيص الحبير (٤٧/٤).

[١١٦٧] فتح الباري (٣٠٠/١٢ - ٣٠١) ؛ نيل الأوطار (١٨٢/٨).

[١١٦٨] صحيح البخاري ، فتح الباري (٤٢٥/٨).

[١١٦٩] مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٤/١٥ - ٣٢٥) ؛ الاعتصام للشاطبي (٦٢/١).

[١١٧٠] مصنف عبد الرزاق (١٥٠/١٠) ؛ مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٢/١٥) ، بسند صحيح.

[١١٧١] مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٠/١٥) ؛ فتح الباري (٣٠١/١٢) ، له سند صحيح عند الطبري.

- [١١٧٢] مجموع الفتاوى (٥١٦/٢٨).
- [١١٧٣] التمهيد للباقلاني ، ص ٢٢٩ ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢٩٥/٢).
- [١١٧٤] مصنف عبد الرزاق (١٢٤/١٠).
- [١١٧٥] المغني (١٢٦-١٠٨/٨).
- [١١٧٦] المغني (١١٠/٨)؛ الأحكام السلطانية ، ص ٦٠.
- [١١٧٧] مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٦/١٥) ؛ الفتح (٥٧/١٣) ، إسناده صحيح.
- [١١٧٨] مصنف عبد الرزاق (١٢٣/١٠ - ١٢٤) ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٢٩٦/٢).
- [١١٧٩] نصب الراية (٤٦٣/٣) ، تحقيق مواقف الصحابة (٢٩٧/٢).
- [١١٨٠] المستدرک (١٥٥/٢) ، سنده صحيح ووافقه الذهبي.
- [١١٨١] الأحكام السلطانية ، ص ٦٠.
- [١١٨٢] المصدر السابق نفسه؛ تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢٩٨/٢).
- [١١٨٣] الأحكام السلطانية ، للماوردي ، ص ٦٠.
- [١١٨٤] السنن الكبرى للبيهقي (١٨٠/٨).
- [١١٨٥] مجموع الفتاوى (٤٥٠/٤).
- [١١٨٦] الأحكام السلطانية ، للماوردي ، ص ٥٨.
- [١١٨٧] المغني لابن قدامة (١١٠/٨).
- [١١٨٨] سنن الدارقطني (٢٦/٣) ، صححه الألباني في إرواء الغليل ، رقم ١٤٥٩.
- [١١٨٩] المغني (١١٥/٨).
- [١١٩٠] السنن الكبرى للبيهقي (١٧٩/٨) ؛ خصائص أمير المؤمنين للنسائي ، ص ١٩٧ ، إسناده حسن.
- [١١٩١] تحقيق مواقف الصحابة (٣٠٠/٢).
- [١١٩٢] مصنف ابن أبي شيبة (٢٦٣/١٥).

- [١١٩٣] تاريخ الطبري ، نقلاً عن تحقيق مواقف الصحابة (٣٠٠/٢).
- [١١٩٤] تحقيق مواقف الصحابة (٣٠١/٢).
- [١١٩٥] المغني (١١٨/٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (٣٠١/٢).
- [١١٩٦] المغني (١١٨/٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (٣٠١/٢).
- [١١٩٧] المغني (١١٩/٨) ، تحقيق مواقف الصحابة (٣٠٢/٢).
- [١١٩٨] سنن ابن ماجه ، كتاب الديات (٨٨٣/٢)؛ صحيح سنن ابن ماجه ، رقم ٢١٤٠.
- [١١٩٩] الأحكام السلطانية ، ص ٦١.
- [١٢٠٠] شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٠/٧).
- [١٢٠١] المغني (١١٢/٨).
- [١٢٠٢] شرح النووي على صحيح مسلم (١٧٠/٧).
- [١٢٠٣] السنن الكبرى للبيهقي (١٧٤/٨) ، بسند صحيح ؛ تحقيق مواقف الصحابة (٣٠٣/٢).
- [١٢٠٤] مصنف عبد الرزاق (١٢١/١٠).
- [١٢٠٥] مسلم ، كتاب الزكاة ، شرح النووي (١٧١/٧).
- [١٢٠٦] الثفنن: جمع ثفنة: ركة البعير وغيرها مما يجعل فيه غلظ من أثر البروك.
- [١٢٠٧] مرحضة: مغسولة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٠٨/٢).
- [١٢٠٨] تلبس إبليس ، ص ٩١.
- [١٢٠٩] تلبس إبليس ، ص ٩٣.
- [١٢١٠] الفصل لابن حزم (١٩١/٤)؛ الخوارج ، ناصر السعوي ، ص ١٨٣.
- [١٢١١] الخوارج للسعوي ، ص ١٨٣.
- [١٢١٢] تلبس إبليس ، ص ٩٥ ، الخوارج للسعوي ، ص ١٨٤.
- [١٢١٣] الخوارج للسعوي ، ص ١٨٤.
- [١٢١٤] مسلم ، كتاب العلم ، شرح النووي (٢٢٠/١٦).
- [١٢١٥] البخاري ، كتاب الإيمان ، فتح الباري (٩٣/١).

- [١٢١٦] ظاهرة الغلو في الدين ، محمد عبد الحكيم ، ص ١١٤ .
- [١٢١٧] الاعتصام (١٨٣/٢ ، ١٨٤) .
- [١٢١٨] مصنف ابن أبي شيبة (٣١٢/١٥ - ٣١٣) ؛ الألباني في إرواء الغليل (١١٨/٨ - ١١٩) ؛ تلبيس إبليس ، ص ٩٣ .
- [١٢١٩] الخوارج للسعوي ، ص ١٨٦ .
- [١٢٢٠] تلبيس إبليس ، ص ٩٣ .
- [١٢٢١] فتح الباري (٢٨٥/١٢) .
- [١٢٢٢] الخوارج للسعوي ، ص ١٨٧ .
- [١٢٢٣] فتح الباري (٣٠١/١٢) .
- [١٢٢٤] منهاج السنة (٤٦٤/٣) .
- [١٢٢٥] نوارد الأصول ، محمد حكيم الترمذي ، ص ٥٤ ؛ الخوارج للسعوي ، ص ٨٨١ .
- [١٢٢٦] الفتاوى (٤٩٧/٢٨) .
- [١٢٢٧] الخوارج للسعوي ، ص ١٩١ .
- [١٢٢٨] المصدر السابق نفسه ، ص ١٩٢ .
- [١٢٢٩] الفتاوى (٧٣/١٩) .
- [١٢٣٠] منهاج السنة (٦٢/٣) .
- [١٢٣١] الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٥٧ ؛ الخوارج للسعوي ، ص ١٩١ .
- [١٢٣٢] البداية والنهاية (٢٩٤/٣) .
- [١٢٣٣] الفتاوى (٣١ ، ٣٠/١٣) .
- [١٢٣٤] الفتاوى (٧٣/١٩) .
- [١٢٣٥] البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، فتح الباري (٢٩٠/١٢) .
- [١٢٣٦] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ١٠٦ .

- [١٢٣٧] البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، فتح الباري (٢٩٠/١٢).
- [١٢٣٨] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ .
- [١٢٣٩] المصدر السابق نفسه ، ص ١١٠ .
- [١٢٤٠] المصدر السابق نفسه ، ص ١١١ .
- [١٢٤١] فتح الباري (٣٠١/١٢).
- [١٢٤٢] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ١١١ .
- [١٢٤٣] الإباضية في موكب التاريخ ، علي معمر (١٣٣/١).
- [١٢٤٤] فتح القدير للشوكاني (١٠٥/١).
- [١٢٤٥] تفسير السعدي (١٠٣/١).
- [١٢٤٦] البخاري ، كتاب الجهاد ، فتح الباري (١٤٩/٦).
- [١٢٤٧] البخاري ، كتاب الديات ، فتح الباري (٢٠١/١٢).
- [١٢٤٨] البخاري ، كتاب الحدود ، فتح الباري (٧٥/١٢).
- [١٢٤٩] مجموع الفتاوى (٦٧١/٧).
- [١٢٥٠] الخوارج للسعوي ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
- [١٢٥١] تفسير ابن كثير (٢١١/٤).
- [١٢٥٢] الفصل في الملل والنحل والأهواء والنحل (٢٣٥/٣).
- [١٢٥٣] منهاج السنة (١٤٦/١).
- [١٢٥٤] تفسير ابن كثير (٣٠٣/٢).
- [١٢٥٥] الإمامة العظمى للدميجي ، ص ٤٧ .
- [١٢٥٦] مسلم ، كتاب الإمامة (١٤٧٨/٣).
- [١٢٥٧] أصول الدين للبغدادي ، ص ٢٧٢ .
- [١٢٥٨] السياسة الشرعية لابن تيمية ، ص ١٢ .

- [١٢٥٩] البخاري ، كتاب الجهاد ، فتح الباري (١١٦/٦).
- [١٢٦٠] منهاج السنة (١٤٧/١).
- [١٢٦١] مسلم ، كتاب الإيمان ، شرح النووي (٣٧/٢).
- [١٢٦٢] فتح الباري (١٣٨/١).
- [١٢٦٣] الفصل (٨٩/٤) ؛ مقالات الإسلاميين (٢٠٤/١).
- [١٢٦٤] مسند أحمد (٤٤١/٥).
- [١٢٦٥] مسلم ، شرح النووي (٢٢٧/١٢).
- [١٢٦٦] الخوارج للسعوي ، ص ١٥٥.
- [١٢٦٧] المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٥.
- [١٢٦٨] البخاري ، كتاب الأحكام ، فتح الباري (١٢١/١٢).
- [١٢٦٩] فتح الباري (١٢٢/١٢) ؛ جامع العلوم والحكم ، ص ٢٣٠.
- [١٢٧٠] الخوارج للسعوي ، ص ١٥٧.
- [١٢٧١] فتح الباري (١٢٢/١٣).
- [١٢٧٢] المصنف لابن أبي شيبة (٥٤٤/٥) ؛ البخاري بلفظ اخر ، رقم ٧١٤٠.
- [١٢٧٣] مقالات الإسلاميين (٣٩/١ - ٤١) ؛ شرح النووي (٢٠٠/١٢) ؛ الفصل (٨٩/٤).
- [١٢٧٤] الخوارج للسعوي ، ص ١٥٨.
- [١٢٧٥] فتح الباري (١١٩/١٣).
- [١٢٧٦] البخاري ، كتاب الأحكام ، فتح الباري (١١٤/١٣).
- [١٢٧٧] المصدر السابق نفسه.
- [١٢٧٨] مسلم ، كتاب الإمارة ، شرح النووي (٢٠١/١٣).
- [١٢٧٩] البخاري ، كتاب المناقب ، فتح الباري (٥٢٦/٦).
- [١٢٨٠] شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٠/١٢) ؛ الإمامة العظمى للدميجي ، ص ٢٧٣.

- [١٢٨١] شرح النووي على صحيح مسلم (٢٠٠/١٢).
- [١٢٨٢] الأحكام السلطانية ، ص ٦.
- [١٢٨٣] المواقف ، ص ٣٩٨.
- [١٢٨٤] المقدمة ، ص ١٩٤.
- [١٢٨٥] الباطنية ، ص ١٨٠.
- [١٢٨٦] الخلافة أو الإمامة العظمى لمحمد رشيد رضا ، ص ١٩.
- [١٢٨٧] الإمامة العظمى ، ص ٢٨٤.
- [١٢٨٨] غياث الإمام للجويني ، ص ١٦٣.
- [١٢٨٩] الإنصاف للباقلاني ، ص ٦٩.
- [١٢٩٠] التمهيد نقلاً عن الإمامة العظمى ، ص ٢٧٥.
- [١٢٩١] المذاهب الإسلامية (٩٠/١).
- [١٢٩٢] الديمقراطية في الإسلام ، ص ٦٩.
- [١٢٩٣] الإسلام والخلافة ، ص ٤٢.
- [١٢٩٤] الخليفة توليته وعزله ، ص ٢٧٠.
- [١٢٩٥] نظام الإسلام في الحكم والدولة ، ص ٧١.
- [١٢٩٦] الأحكام السلطانية لأبي يعلى ، ص ٢٠ ؛ الخوارج للسعوي ، ص ١٥٩.
- [١٢٩٧] البخاري ، كتاب الأحكام ، باب الأمراء من قريش ، فتح الباري (١١٤/١٣).
- [١٢٩٨] الخوارج للسعوي ، ص ١٥٩ ؛ الإمامة العظمى ، ص ٢٩٥.
- [١٢٩٩] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (١١٥٧/٣).
- [١٣٠٠] مقالات الإسلاميين (٢٠٤/١).
- [١٣٠١] مجموع الفتاوى (٨٩/١٩).
- [١٣٠٢] الملل والنحل (١١٧/١).
- [١٣٠٣] المصدر السابق نفسه (١٢١/١).

- [١٣٠٤] المستدرك (٢/٢٩٤) ، صححه الحاكم ، وأقرّه الذهبي.
- [١٣٠٥] مسلم (٤/١٩٦٥).
- [١٣٠٦] فيض القدير للمناوي (٣/٤٧٨).
- [١٣٠٧] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام (٣/١١٦٠).
- [١٣٠٨] المصدر السابق نفسه (٣/١١٦١).
- [١٣٠٩] المصدر السابق نفسه (٣/١١٦٣).
- [١٣١٠] المصدر السابق نفسه (٣/١١٦٣).
- [١٣١١] المصدر السابق نفسه (٣/١١٦٥).
- [١٣١٢] الخوارج ، ناصر العقل ، ص ١٢٠.
- [١٣١٣] الخوارج ، ناصر العقل ، ص ١٢٧.
- [١٣١٤] قواعد في التعامل مع العلماء ، ص ١٢١.
- [١٣١٥] التكفير جذوره وأسبابه ، ص ١٤ ، ١٥ ؛ ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٣١٣.
- [١٣١٦] إعلام الموقعين (٢/٢٠٠).
- [١٣١٧] المصدر السابق نفسه.
- [١٣١٨] المصدر السابق نفسه (٢/٢٠١).
- [١٣١٩] إعلام الموقعين (٢/٢٠١)؛ جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٤).
- [١٣٢٠] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٣١٦.
- [١٣٢١] جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٤ - ١١٥).
- [١٣٢٢] تاريخ الطبري (٥/٦٨٨).
- [١٣٢٣] الفتاوى (٢٠/١٥).
- [١٣٢٤] المصدر السابق نفسه (٢٠/٢٠٣ ، ٢٠٤).

- [١٣٢٥] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٣١٨ .
- [١٣٢٦] جامع بيان العلم وفضله (٤٦/٢ ، ٤٧) .
- [١٣٢٧] المصدر السابق نفسه (٤٧/٢) .
- [١٣٢٨] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٢٩] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٣١٩ .
- [١٣٣٠] المصدر السابق نفسه ، ص ٣١٩ .
- [١٣٣١] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٠ .
- [١٣٣٢] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٣٢١ .
- [١٣٣٣] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٣ .
- [١٣٣٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٣ .
- [١٣٣٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٣٤ .
- [١٣٣٦] تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم ، ص ٨٧ .
- [١٣٣٧] الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٩٧/٢) .
- [١٣٣٨] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٣٩] تفسير ابن كثير .
- [١٣٤٠] الصحوة الإسلامية ، ص ٣٠٦ .
- [١٣٤١] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٣٢٦ .
- [١٣٤٢] ظاهرة التكفير ، الأمين الحاج محمد أحمد ، ص ١٨١ .
- [١٣٤٣] إعلام الموقعين ٧/١ .
- [١٣٤٤] البخاري ، كتاب الاعتصام ، رقم ٧٣١١ .
- [١٣٤٥] الخوارج ، ناصر العقل ، ص ١٢٦ .
- [١٣٤٦] المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٥ ؛ ظاهرة التكفير ، الأمين الحاج ، ص ١٤٦ .

- [١٣٤٧] ظاهرة التكفير ، ص ١٥٢ .
- [١٣٤٨] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٤٩] المصدر السابق نفسه ، ص ١٨٥ .
- [١٣٥٠] البخاري ، كتاب الإيمان ، فتح الباري (١/٩٣) .
- [١٣٥١] الخوارج ، ناصر العقل ، ص ١٣٠ .
- [١٣٥٢] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٤١ - ٢٤٩ .
- [١٣٥٣] الخوارج ، ناصر العقل ، ص ١٢٩ .
- [١٣٥٤] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٥٥] تلبس إبليس ، ص ٩٠ .
- [١٣٥٦] المصدر السابق نفسه ، ص ٩١ .
- [١٣٥٧] تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبو زهرة ، ص ٦١ .
- [١٣٥٨] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ١٨٥ .
- [١٣٥٩] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢١٥ - ٢٢٣ .
- [١٣٦٠] الفتاوى (٣٢/١٣٧) .
- [١٣٦١] شرح الطحاوية (٢/٧٤٠) .
- [١٣٦٢] إعلام الموقعين (٣/٢٨٣) .
- [١٣٦٣] الفتاوى (٧/٢٨٤) .
- [١٣٦٤] المصدر السابق نفسه .
- [١٣٦٥] مسند أحمد (٤/٤٢١ - ٤٢٤) .
- [١٣٦٦] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٠١ - ٢١١ .

[١٣٦٧] تفسير ابن كثير (٢١٢/٤).

[١٣٦٨] المصدر السابق نفسه.

[١٣٦٩] الفتاوى (١٢٧/٢٨ - ١٢٨).

[١٣٧٠] المصدر السابق نفسه (١٣٦/٢٨ - ١٣٧).

[١٣٧١] مسند أحمد (٣٦٢/٤).

[١٣٧٢] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٣١ - ٢٣٧.

[١٣٧٣] مدارج السالكين (٢٣٧/١).

[١٣٧٤] مسلم (٢٠٩/١) ، رقم ٢٣٣.

[١٣٧٥] مسلم (٨٢ / ١) ، رقم ٦٦.

[١٣٧٦] مدارج السالكين (٢٥٣/١).

[١٣٧٧] البخاري (٢/٣) ، رقم ٢٦٩٧.

[١٣٧٨] البخاري ، رقم ٧٢٧٧.

[١٣٧٩] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

[١٣٨٠] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٦٧.

[١٣٨١] البخاري ، رقم ٣٤٧٨.

[١٣٨٢] الفتاوى (٤٩١/٢١) ؛ الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٢٩٦/٣).

[١٣٨٣] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٧٠.

[١٣٨٤] مسلم ، رقم ١٧٣ ، ٨٠٦.

[١٣٨٥] سنن ابن ماجه ، رقم ٢٠٤٣ ؛ صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٧/١).

[١٣٨٦] الفتاوى (٢٢٩/٣).

[١٣٨٧] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٧٤.

[١٣٨٨] منهج ابن تيمية في مسألة التكفير (٢/٢٣٠ - ٢٦٦).

[١٣٨٩] ظاهرة الغلو في الدين ، ص ٢٨١ - ٢٨٤.

[١٣٩٠] الفتاوى (٢٠/٢٥٤ ، ٢٥٥).

[١٣٩١] الفتاوى (١٢/٤٨٦).

[١٣٩٢] مصباح الظلام ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن ال الشيخ ، ص ٤٣.

[١٣٩٣] المصدر السابق نفسه.

[١٣٩٤] الصحاح للجوهري ، ولسان العرب مادة: (شيع).

[١٣٩٥] المصباح المنير: (شيع).

[١٣٩٦] أصول الشيعة الإمامية (١/٦٤).

[١٣٩٧] فتاوى ابن تيمية (٣/١٥٣) ؛ فتح الباري (٧/٣٤).

[١٣٩٨] منهاج السنة (٢/٦٠).

[١٣٩٩] أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/٦٥).

[١٤٠٠] المنتقى ، ص ٣٦٠.

[١٤٠١] انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب (٨/٦٣) ؛ الخلاصة ، ص ٢٩١.

[١٤٠٢] حاشية المنتقى ، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

[١٤٠٣] المنتقى ، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

[١٤٠٤] مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص ٣.

[١٤٠٥] أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/٦٦ ، ٦٧).

[١٤٠٦] ميزان الاعتدال للذهبي (١/٥٠٦) ؛ لسان الميزان (١/٩ - ١٠).

[١٤٠٧] أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/٦٨).

[١٤٠٨] منهاج السنة (٢/١٠٦).

- [١٤٠٩] أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (١/٦٩).
- [١٤١٠] القاموس المحيط للفيروز ابادي (٢/٣٣٢) ؛ مقاييس اللغة (٢/٤٢٢).
- [١٤١١] الانتصار للصحب والال ، ص ٥٢.
- [١٤١٢] طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/٣٣).
- [١٤١٣] السنة للخلال ، رقم ٧٧٧ ، وقال المحقق: إسناده صحيح.
- [١٤١٤] الحججة في بيان المحجة (٢/٤٧٨).
- [١٤١٥] الانتصار للصحب والال ، ص ٢٦.
- [١٤١٦] مجموع الفتاوى (٤/٤٣٥).
- [١٤١٧] هو أحد الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية ؛ وفيات الأعيان (٣/٢٧٢).
- [١٤١٨] يعنون بهما: أبا بكر وعمر. رضي الله عنهما. كما جاء ذلك في تفسير العياشي (١/٢٤٦) ، وهو من أهم كتب التفسير عندهم ، عند قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِئْتِ وَالطَّاغُوتِ } [النساء: ٥١].
- [١٤١٩] المحاسن النفسانية ، لمحمد ال عصفور الدرزي ، ص ١٤٥.
- [١٤٢٠] مقالات الإسلاميين (١/٣٧).
- [١٤٢١] الحججة في بيان المحجة (٢/٤٧٨).
- [١٤٢٢] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٥٢.
- [١٤٢٣] الملل والنحل (١/١٥٥).
- [١٤٢٤] منهاج السنة (١/٨) ؛ مجموع الفتاوى (١٣/٣٦).
- [١٤٢٥] مقالات الإسلاميين (١/٨٩).
- [١٤٢٦] أعيان الشيعة (١/٢٠).
- [١٤٢٧] مقالات الإسلاميين (١/٦٥) ؛ الملل والنحل للشهرستاني (١/١٤٤).
- [١٤٢٨] المصدر السابق نفسه (١/٦٦ ، ٨٨ ، ٣٧) ، المصدر السابق نفسه (١/٢٥).
- [١٤٢٩] الانتصار للصحب والال ، ص ٢٩.

[١٤٣٠] منهاج السنة (١/١٣).

[١٤٣١] الانتصار للصحب والال ، ص ٣٠.

[١٤٣٢] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢.

[١٤٣٣] تاريخ الطبري (٥/٣٤٧).

[١٤٣٤] تاريخ دمشق ؛ الانتصار للصحب والال ، ص ٣٥.

[١٤٣٥] الحَمِيْت: هو وعاء سمن الذي متن بالزُّب ، ويطلق على المتين من كل شيء ، وفي حديث وحشي: كأنه حميت ، قال ابن حجر: أي: زق كبير ، وأكثر ما قال ذلك إذا كان مملوءاً. فتح الباري (٧/٣٦٨).

[١٤٣٦] فتح الباري (٧/٣٦٨).

[١٤٣٧] المصدر السابق نفسه.

[١٤٣٨] عبد الله بن سبأ للعودة ، ص ٩٨ ، الأسانيد حكم عليها الألباني.

[١٤٣٩] الانتصار للصحب والال ، ص ٣٦.

[١٤٤٠] التعريفات ، ص ١٠٣.

[١٤٤١] التنبيه على أهل الأهواء والبدع ، ص ٨.

[١٤٤٢] الفصل لابن حزم (٥/٣٦) ، التبصير في الدين للإسفرائيني.

[١٤٤٣] البخاري ، كتاب استتابة المرتدين ، رقم ٦٩٢٢.

[١٤٤٤] فتح الباري (١٢/٢٧٠).

[١٤٤٥] المصدر السابق نفسه.

[١٤٤٦] مجموع الفتاوى (٣٥/١٨٤ - ١٨٥).

[١٤٤٧] الرواة الذين تأثروا بابن سبأ ، د. سعدي الهاشمي ، ص ١٩ ، ٢٠.

[١٤٤٨] أصول الكافي (١/٤٣٧) ؛ أصول الشيعة الإمامية (١/٧١).

[١٤٤٩] المقالات والفرق للقمي ، ص ٢١ ؛ فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٢٣ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٩٦/١).

[١٤٥٠] تهذيب التهذيب (٣٢/٢).

[١٤٥١] رسالة الإرجاء ضمن كتاب الإيمان لمحمد العديني ، ص ٢٩٤ . ٢٥٠.

[١٤٥٢] البخاري ، كتاب العلم مع الفتح (٢٠٤/١).

[١٤٥٣] أصول الشيعة الإمامية الاثني عشرية (٩٧/١).

[١٤٥٤] المصدر السابق نفسه (٩٨/١).

[١٤٥٥] منهاج السنة (١٤٧/٤) ؛ أصول الشيعة الإمامية (١٠٩/١).

[١٤٥٦] تاريخ الطبري (٣٤٧/٥).

[١٤٥٧] تاريخ الطبري (٣٤٧/٥).

[١٤٥٨] المصدر السابق نفسه (٣٤٨/٥).

[١٤٥٩] المصدر السابق نفسه (٥٢٦/٥).

[١٤٦٠] الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢٣٩/٤).

[١٤٦١] تاريخ الطبري (٤٨٧/٦ . ٥٠١).

[١٤٦٢] المصدر السابق نفسه.

[١٤٦٣] البداية والنهاية (٢٥٤/٨).

[١٤٦٤] المصدر السابق نفسه.

[١٤٦٥] المصدر السابق نفسه (٢٥٧/٨).

[١٤٦٦] المصدر السابق نفسه (٢٥٦/٨ . ٢٥٧).

[١٤٦٧] المصدر السابق نفسه (٢٥٨/٨).

[١٤٦٨] المصدر السابق نفسه.

[١٤٦٩] المصدر السابق نفسه (٢٧١/٨).

[١٤٧٠] تاريخ الطبري (١٦٠/٧) ؛ الانتصار للصحب والال ، ص ٤٧ .

[١٤٧١] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٧ .

[١٤٧٢] مجموع الفتاوى (٣٦/١٣) .

[١٤٧٣] منهاج السنة (٣٥/١) .

[١٤٧٤] الانتصار للصحب والال ، ص ٤٨ .

المبحث الثالث

من أهم عقائد الشيعة الرافضة (الإمامة)

يعتقد الشيعة الرافضة الاثنا عشرية: أن الإمامة ركن عظيم من أركان الإسلام ، وأصل أصيل من أصول الإيمان ، لا يتم إيمان المرء إلا باعتقادها ، ولا يقبل منه عمل إلا بتحقيقها . وأول من تحدث عن مفهوم الإمامة بالصورة الموجودة عند الشيعة الرافضة هو ابن سبأ ، الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصاية من النبي ومحصورة بالوصي ، وإذا تولاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره .

فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي ، وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفه ، وكفرهم [(١)] ، لأنه كان يهودي الأصل ، يرى أن يوشع بن نون وصي موسى ، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب [(٢)] .

وهذا ما تعارف عليه شيوخ الشيعة الرافضة ، فابن بابويه القمي يسجل عقائد الشيعة في القرن الرابع ويقول بأنهم يعتقدون بأن لكل نبي وصياً أوصى إليه بأمر الله تعالى [(٣)] ، ويذكر أن عدد الأوصياء مئة ألف وصي ، وأربعة وعشرون ألف وصي [(٤)] .

كما ذكر المجلسي في أخباره: أن علياً هو آخر الأوصياء [(٥)] . وجاء في بعض عناوين الأبواب في الكافي: باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد [(٦)] ، وباب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً [(٧)] ، وقد ضمنها مجموعة من أخبارهم التي يعدونها من الأدلة التي لا يرقى إليها الشك.

ولهذا قال شيخهم مقداد الحلبي (ت ٨٢١ هـ) بأن مستحق الإمامة عندهم لا بد أن يكون شخصاً معهوداً من الله تعالى ورسوله لا أي شخص اتفق [(٨)] . ويقرر محمد حسين ال كاشف الغطاء أحد مراجع الشيعة الاثني عشرية في هذا العصر: أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة ، فكما أن الله سبحانه يختار ما يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيد بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه.. فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده [(٩)] .

فأنت ترى أن مفهوم الإمامة عندهم كمفهوم النبوة ، فكما يصطفي الله سبحانه من خلقه أنبياء ، يختار سبحانه أئمة ، وينص عليهم ، ويعلم الخلق بهم ، ويقوم بهم الحجة ، ويؤيدهم بالمعجزات ، وينزل عليهم الكتب ، ويوحى إليهم ، ولا يقولون أو يفعلون إلا بأمر الله ووحيه.. أي أن الإمامة هي النبوة ،

والإمام هو النبي ، والتغيير في الاسم فقط ، ولذلك قال المجلسي: إن استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال [(١٠)] ، ثم قال: ولا نعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء ، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة [(١١)] ! هذا قولهم في مفهوم الإمامة ، ويكفي في نقده أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ اليهودي [(١٢)].

أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جردها:

مسألة الإمامة عند أهل السنة ليست من أصول الدين التي لا يسع المكلف الجهل بها ، كما قرره جمع من أهل العلم [(١٣)].

ولكنها عند الشيعة الرافضة لها شأن آخر ، ففي الكافي روايات تجعل الإمامة أعظم أركان الإسلام ، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا - يعني الولاية - [(١٤)] .

فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين من أركان الإسلام ، ووضعوا مكانهما الولاية ، وعدّوها من أعظم الأركان ، كما يدل عليه قولهم: ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، وكما يدل عليه حديثهم الآخر ، وقد ذكر فيه نص الرواية السابقة وزاد: قلت - الراوي :- وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل [(١٥)].

ويقول المجلسي: ولا ريب في أن الولاية والاعتقاد بإمامة الأئمة عليهم السلام والإذعان لهم من جملة أصول الدين ، وأفضل من جميع الأعمال البدنية لأنها مفتاحهن [(١٦)].

ويقول المظفر - وهو من علمائهم المعاصرين :- نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين ، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها ، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين ، مهما عظموا ، بل يجب النظر فيها ، كما يجب النظر في التوحيد والنبوة [(١٧)] . بل وصلت الأخبار إلى أكثر من هذا حينما قالت: عُرج بالنبي (ص) بالولاية لعلي والأئمة من بعده أكثر مما أوصاه بالفرائض [(١٨)].

هذه الروايات الشيعة الرافضية ومثيلاتها في كتب الشيعة الروافض كانت كفيلاً بأن تجعل الإمامة هي الحكم على إيمان الرجل أو كفره ، وأن تجعل المسلم معرضاً للاتهام بالكفر بمجرد اختلافه مع الشيعة الإمامية في عقيدة الإمامة التي يعتقدونها ، ولذا رأينا بعض كبار علماء الشيعة الإمامية السابقين واللاحقين يصرحون بهذه الحقيقة المرة ، يقول ابن بابويه القمي في رسالته (الاعتقادات): واعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء ،

واعتقادنا فيمن أقر بأمر المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء ، وأنكر نبوة محمد (ص) [(١٩)] . ويقول يوسف البحراني في موسوعته (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة): وليت شعري أي فرق بين من كفر بالله سبحانه وتعالى ورسوله وبين من كفر بالأئمة عليهم السلام مع ثبوت كون الإمامة من أصول الدين [(٢٠)] . ويقول المجلسي: اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام ، وفضل عليهم غيرهم ؛ يدل أنهم مخلدون في النار [(٢١)] .

وقال ابن المطهر الحلي: الإمامة لطف عام ، والنبوة لطف خاص لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام ، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص [(٢٢)] . فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفراً من اليهود والنصارى ، وقد بنى على ذلك أن الزمان لا يخلو من إمام ، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب ، والذي أنكره طوائف من الشيعة ، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً ، ولكن شيخ الشيعة الراضية يرى أن إنكاره أعظم من الكفر [(٢٣)] .

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: اتفقت الإمامية على أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة ؛ فهو كافر ضالّ مستحقّ للخلود في النار [(٢٤)] .

وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين بسبب قضية الإمامة فيقول: لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد (ص) نبيه، وخليفته بعد أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا [(٢٥)] .

إن الإمامة صنو النبوة أو أعظم ، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم ، لهذا جاء حكم الشيعة الإثني عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الإثني عشر مكملاً لهذا الغلو ، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار ، وخصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الإثني عشرية ، فتناول تكفيرهم:

١ . الصحابة رضوان الله عليهم:

كتب الشيعة الرافضة مليئة باللعن والتكفير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه ، من المهاجرين والأنصار ، وأهل بدر وبيعة الرضوان ، وسائر الصحابة أجمعين ، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عددهم أصابع اليد ، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية [(٢٦)] ، كما أن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الشيعة الإمامية ، قال القاضي عبد الجبار: وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الإثني عشر النص الجلي ، الذي يكفر من أنكره ، ويجب تكفيره ، فكفروا لذلك صحابة النبي عليه السلام [(٢٧)] .

وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي: وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم [(٢٨)] أن الصحابة ارتدت بعد النبي (ص) سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم [(٢٩)] . ويقول ابن تيمية رحمه الله: إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص ، فكفروا إلا نفرًا قليلاً.. إما بضعة عشر أو أكثر ، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالوا منافقين، وقد يقولون: بل امنوا ثم كفروا، وتقول كتب الإثني عشرية: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة ، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي ، ليصبح المجموع سبعة ، ولا يزيدون عن ذلك ، ولقد تداولت الشيعة أبناء هذه الأسطورة في المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس [(٣٠)] ، ثم تابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها (الكافي) أوثق كتبهم الأربعة، و(رجال الكشي) [(٣١)]، عمدتهم في كتب الرجال وغيرها من مصادرهم [(٣٢)]، وسيأتي الحديث عن موقف الشيعة الرافضة من الصحابة مفصلاً بإذن الله تعالى.

٢ . تكفيرهم أهل البيت:

إن الروايات التي تحكم بالردة على ذلك المجتمع المثالي الفريد ، ولا تستثني منهم جميعاً إلا سبعة في أكثر تقديراتها ، ولا تذكر من ضمن هؤلاء السبعة أحداً من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط ، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر ، قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة:

علي ، والمقداد ، وسلمان ، وأبو ذر ، فقلت: فعمّار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة [(٣٣)] ، فالحكم بالردة في هذه النصوص شامل للصحابة، وأهل البيت النبوي من زوجات رسول الله (ص) وقرابته ، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله (ص) ، فهل هذا

إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيذ أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة [٣٤] .

وقد خصت الشيعة الرافضة بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ، كعم النبي العباس ، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: { وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * } ، وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن الذي خصصوه باللعن وبأنه سخييف العقل [٣٥] ، كما جاء في (الكافي) ، وفي (رجال الكشي): اللهم العن ابني فلان وأعم أبصارهما ، كما عميت قلوبهما.. واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما [٣٦] . وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس [٣٧] .

وبنات النبي (ص) يشملهن سخط الشيعة الإثني عشرية وحنقهم ، فلا يذكرون فيمن استثنى من التكفير ، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي (ص) ما عدا فاطمة [٣٨] رضي الله عنهن ، فهل يجب رسول الله (ص) من يقول فيه وفي بناته هذا القول [٣٩]؟!

وقد نص صاحب (الكافي) في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالإثني عشر فهو كافر ، وإن كان علوياً فاطمياً [٤٠] . وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيه الال والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة الإثني عشر التي لم توجد إلا بعد سنة ٢٦٠ هـ، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله (ص) ، إذ لم يستثنوا

واحدة منهن في نصوصهم ، ولكنهم يخصون منهن عائشة [٤١] ، وحفصة رضي الله عنهن أجمعين ، بالذم واللعن والتكفير [٤٢] .

وقد عقد شيخهم المجلسي باباً بعنوان باب أحوال عائشة وحفصة؛ ذكر فيه ١٧ رواية [٤٣] ، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى [٤٤] ، وقد اذوا فيها رسول الله (ص) في أهل بيته أبلغ الإيذاء ، حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سموات ، عائشة بنت الصديق بالفاحشة ، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم ، تفسير القمي [٤٥] قذف شنيع متضمن تكذيب القرآن العظيم .

قال ابن كثير في تفسير سورة النور: أجمع أهل العلم . رحمهم الله . قاطبة على أن من سبها ورمأها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية ، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن [٤٦] ، وقال القرطبي: فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله ، ومن كذب الله فهو كافر [٤٧] .

٣ . تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

في دين الشيعة الرافضة الإمامية أن كل حكومة غير حكومة الإمامية الرافضية باطلة ، وصاحبها ظالم طاغوت يعبد من دون الله ، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله ، وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل ، ومن جحد الأئمة أو بعضهم ، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل ، وذكر فيه اثنا عشر حديثاً عن أئمتهم [(٤٨)] ، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله ، وفيه خمسة أحاديث [(٤٩)] ، وكل خلفاء المسلمين ما عدا علياً والحسن طواغيت . حسب اعتقادهم . وإن كانوا يدعون إلى الحق ، ويحسنون لأهل البيت ، ويقومون دين الله ، ذلك أنهم يقولون: كل راية ترفع قبل راية القائم [(٥٠)] رضي الله عنه صاحبها طاغوت [(٥١)] . قال شارح الكافي: وإن كان رافعها يدعو إلى الحق [(٥٢)] ، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة [(٥٣)] ، حسب مقاييسهم [(٥٤)] .

٤ . الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

جاء في أخبارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بالسب ، وتكفير أهلها على وجه التعيين ، ويخصون منها غالباً ما كان أكثر التزاماً بالإسلام واتباعاً للسنة ، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة ، ففي عصر جعفر الصادق كانوا يقولون عن أهل مكة والمدينة: أهل الشام شر من أهل الروم يعني شر من النصارى ، وأهل المدينة شر من أهل مكة ، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة [(٥٥)] . وقالوا: إن أهل مكة ليكفرون بالله جهرة ، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة ، أخبث منهم سبعين ضعفاً [(٥٦)] .

ومن المعلوم أن أهل المدينة كانوا . ولا سيما في القرون المفضلة . يتأسون بأثر رسول الله (ص) أكثر من سائر الأمصار ، وقد ظل أهل المدينة متمسكين بمذهبهم المالكي منتسبين إليه إلى أوائل المئة السادسة ، أو قبل ذلك أو بعد ، فإنه قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم [(٥٧)] .

وقالوا أيضاً عن مصر وأهلها: أبناء مصر؛ لعنوا على لسان داود عليه السلام ، فجعل الله منهم القردة والخنازير [(٥٨)] ، وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر ، ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها [(٥٩)] ، وقالوا بئس البلاد مصر ، أما إنها سجن

من سخط الله عليه من بني إسرائيل [(٦٠)] ، وقالوا: انتحوا مصر ولا تطلبوا المكث فيها لأنه يورث الدياثة [(٦١)] .

وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر ، وهجاء أهلها ، والتحذير من سكنها ، ونسبوا هذه الروايات إلى رسول الله (ص) ، وإلى محمد الباقر ، وإلى علي الباقر ، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة ، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة ، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم [(٦٢)] ، ولا يبعد أن هذه النصوص هي تعبير عن حقد الرافضة وغيظهم على مصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسماعيليين العبيديين على يد صلاح الدين؛ الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم ، وأين هذه الكلمات المظلمة في مصر وأهلها من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه باب وصية النبي بأهل مصر [(٦٣)] ، وجاء عندهم ذم كثير من بلدان الإسلام وأهلها [(٦٤)] ، ولم يستثنى من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم ، وهي قليلة في تلك الأزمان ، حتى جاء عنهم: إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار ؛ فلم يقبلها إلا أهل الكوفة [(٦٥)] .

٥ . قضاة المسلمين:

تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم ، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام ، عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث ، فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاء أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت ، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتاً ، وإن كان حقاً ثابتاً له ، لأنه أخذ بحكم الطاغوت ، وقد أمر الله أن يكفر به [(٦٦)] ، قال تعالى: { يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ } [النساء: ٦٠] ، وهذه الرواية تحكم على القضاء ، والقضاة في عصر جعفر الصادق ، كما يظهر من

إسنادهم للرواية إلى جعفر ، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة ، فما بالك فيمن بعدهم [(٦٧)] ؟

٦ . أئمة المسلمين وعلمائهم:

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم ، وعدوهم كملل أهل الشرك ، عن هارون بن خازجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا نأتي هؤلاء المخالفين [(٦٨)] ، فنسمع منهم الحديث يكون حجة لنا عليهم؟ قال: لا تأثم ولا تسمع منهم ، لعنهم الله ولعن مللهم المشرك [(٦٩)] .

وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال: ... يا سدير! فأريك الصادين عن دين الله ، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد ، فقال: هؤلاء الصادون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين ، إن هؤلاء الأخباث لو جلسوا في بيوتهم فجال الناس ، فلم يجدوا أحداً يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص) ، حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله (ص) [(٧٠)] .

وقد بين ابن تيمية - رحمه الله - موقفهم من سلف الأمة وأئمتها والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وكفروا جماهير أمة محمد (ص) من المتقدمين والمتأخرين ، فيكفرون كل من اعتقد في أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار العدالة ، أو ترضى عنهم كما رضي الله عنهم ، أو يستغفر لهم كما أمر الله بالاستغفار لهم ، ولهذا يكفرون أعلام الملة ، مثل سعيد بن المسيب ، وأبي مسلم الخولاني ، وأويس القرني ، وعطاء بن أبي رباح ، وإبراهيم النخعي ، ومثل: مالك ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، وحماد بن زيد ، وحماد بن سلمة ، والثوري ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وفضيل بن عياض ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وغير هؤلاء ، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى ؛ لأن أولئك عندهم كفار أصليون ، وهؤلاء مرتدون ، وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي... .

إلى أن قال: وأكثر محققهم . عندهم . يرون أبا بكر وعمر وأكثر المهاجرين والأنصار ، وأزواج النبي (ص) مثل عائشة ، وحفصة ، وسائر أئمة المسلمين وعامتهم ما امنوا بالله طرفة عين قط ، لأن الإيمان الذي يتعقبه الكفر عندهم يكون باطلاً من أصله.. ومنهم من يرى أن فرج النبي (ص) الذي جامع به عائشة وحفصة لا بد أن تمسه النار ؛ ليظهر بذلك من وطأ الكوافر على زعمهم ؛ لأن وطأ الكوافر حرام عندهم [(٧١)] .

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد ، هل يحتاج إلى نقد؟! إن بطلانه أوضح من أن يبين ، وكذبه أجلى من أن يكشف ، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة ، والسبب واحد لا يختلف ، ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله (ص) ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعاً ويكفرها ، كما قال بعض السلف: لا يغل قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله (ص) إلا كان في قلبه على المسلمين أغل [(٧٢)] .

فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان ، وأهل بدر وبيعة الرضوان ، والمهاجرين والأنصار وهم في الذروة في الفضل والإحسان ، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟ ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض: أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص ، وسيأتي بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة . بإذن الله . ، وما بني على الباطل فهو باطل ، ولقد كان حكمهم بردة جيل الصحابة من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الشيعة الرافضة من أساسه [(٧٣)] . ولذلك قال أحمد الكسروي الإيراني والشيوعي الأصل: وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي (ص) فاجترأ منهم على الكذب والبهتان ، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي ؛ امنوا به حين كذبه الآخرون ، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟! فأبي الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة ، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟! فأجيبونا إن كان لكم جواب [(٧٤)] .

إن القرآن الكريم بين فيه رب العزة أصول العقائد وحقائقها ، وهو التبيان لكل شيء ، قال تعالى: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } [النحل: ٨٩] ، ويقول واصفاً كتابه بأنه لم يفرط في قضية يقوم عليها الدين بقوله: { مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: ٣٨] ، فإن كان الأمر كذلك فإن المرء ليتساءل عن سند هذه العقيدة! فكتاب الإسلام العظيم القرآن الكريم يذكر فيه مرات الصلاة والصيام ، والزكاة والحج ، ولا ذكر فيه لشأن الأئمة الإثني عشرية أو الإمامة من بعد الرسول رغم كون الإمامة كما تقول النظرية الشيعة الرافضية أعظم أركان الدين!! أو ليس من العجيب أن يذكر القرآن تفاصيل طريقة الوضوء ، ويُصنّف أنواع المحركات من الطعام والشراب ، ويتحدث عن الجهاد تارةً وعن السلم تارةً أخرى ، ويناقش القضايا الأخلاقية ، ثم يتجاهل إمامة الإثني عشر التي يصفها ال كاشف الغطاء بأنها منصب إلهي كالنبوة! إن هذه النصوص القرآنية قد شهدت بكل وضوح بأن القرآن الكريم لم يفرط في قضية يحتاج إليها البشر ، فكيف يفرط في قضية الإمامة النصية التي تذكرها الشيعة الإمامية ، ثم يتركها لعلمائهم لكي يصيغوها ويحددوا معالمها ، مع كون النص على الأئمة من الله لا منهم [(٧٥)]؟!!

ثانياً: العصمة عند الشيعة الرافضة:

إن عصمة الإمام عند الشيعة الرافضة الإمامية شرط من شروط الإمامة ، وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي ، ولها أهمية كبرى عندهم ، ونتيجة لما أضفاه الشيعة على الأئمة من صفات وقدرات

ومواهب علمية غير محدودة ، ذهبوا إلى أن الإمام ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ، ولا مجال للخطأ في أفعاله مهما أتى من أفعال ، بل يجب تصديقه والإيمان بأن كل ما يفعله من خير لا شر فيه؛ لأن عنده من العلم ما لا قبل لأحد بمعرفته ، ومن هنا قرر الشيعة للإمام ضمن ما قرروا العصمة ، فذهبوا على أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ، ولا يصدر عنهم أي معصية ، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان [(٧٦)] .

وقد نقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد ، فقال: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء ، وأنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة ، وأنه لا يجوز منهم سوء في شيء من الدين ، ولا ينسون شيئاً من الأحكام ، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم ، وتعلق

بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب [(٧٧)] .

وقال ابن المطهر الحلي: ذهبت الإمامية والإسماعيلية إلى أن الإمام يجب أن يكون معصوماً ، وخالف فيه جميع الفرق [(٧٨)] .

وقد نص على ذلك المجلسي بقوله: اعلم أن الإمامية رضي الله عنهم اتفقوا على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها ، فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ، ولا لخطأ في التأويل ، ولا للإسهاء من الله سبحانه [(٧٩)] .

وروى الصدوق بسنده إلى ابن عباس - كذباً وزوراً - أنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين معصومون [(٨٠)] ، وقال أيضاً في تقرير ذلك: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمة أنهم معصومون مطهرون من كل دنس ، وأنهم لا يذنبون لا صغيراً ولا كبيراً ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم ، ومن جهلهم فهو كافر [(٨١)] .

ولم تكن هذه العقيدة مقصورة على سلف الرافضة ، بل شاركهم المعاصرون في ذلك ، وفي ذلك يقول محمد رضا المظفر ، ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن ، من سنّ الطفولة إلى الموت عمداً وسهواً ، كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان [(٨٢)] ، وقد نص على ذلك الزنجاني في عقائد الإمامية [(٨٣)] ، كما نص عليه أيضاً علي البحراني في منار الهدى [(٨٤)] ، والسيد مرتضى العسكري في معالم المدرستين [(٨٥)]

، إلا أن هناك اثراً في المذهب الشيعي الإمامي تخالف ما ذهبوا إليه ، ولذلك احتار المجلسي وهو يرى النصوص تخالف إجماع أصحابه ، فقال: المسألة في غاية الإشكال ، لدلالة كثير من الأخبار والايات عن صدور السهو عنهم ، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على عدم الجواز [(٨٦)] ، وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجماع الشيعة المتأخرين على عصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم ، وهذا دليل واقعي واعتراف صريح في أنهم يجمعون على ضلالة ، وعلى غير دليل حتى من كتبهم [(٨٧)].

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة ، أو أن الشيعة قد اختلفت عقائدهم في تحديدها . في أول الأمر . فمثلاً في عصر أبي جعفر بن بابويه القمي ت ٣٨١ هـ ، وشيخه محمد بن الحسن القمي ، كان رأي جمهور الشيعة أن أول درجة في الغلو هي نفي السهو عن النبي (ص) [(٨٨)] ، فكانوا يعدون من ينفي السهو عن النبي (ص) من الشيعة الغلاة ، ولكن بعد ذلك تبدلت الحال وأصبح نفي السهو والنسيان عن الأئمة هو خروج بهم إلى منزلة من لا تأخذه سنة ولا نوم .

وقد كانت العصمة بهذه الصورة الغالية من نفي السهو والنسيان عن الأئمة معتقد فئة شيعية مجهولة في الكوفة ، ففي البحار للمجلسي: أنه قيل للرضا . إمام الشيعة الثامن . إن في الكوفة قوماً يزعمون: أن النبي (ص) لم يقع عليه السهو في صلاته فقال: كذبوا لعنهم الله؛ إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو [(٨٩)] .

فهذا يدل على أن عقيدة نفي السهو كانت معتقد قوم غير معينين لشذوذهم في هذا الاعتقاد، وأنهم كانوا ينفون السهو عن النبي (ص) الذي هو أفضل الأئمة ، ولم يقولوا بذلك للأئمة .

ثم تطور هذا الاعتقاد ليشمل أئمة الشيعة الإثني عشر وليعم طائفة الشيعة الإمامية كلها ، فهذا شيخ الشيعة المعاصر وايتها العظمى عبد الله الممقاني: يؤكد أن نفي السهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعي [(٩٠)] ، وهو لا ينكر أن شيوخهم السابقين كانوا يعدون ذلك غلواً ، لكنه يقول: إن ما يعتبر غلواً في الماضي أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعي [(٩١)] ، وإذا كانت دعوى عصمة الأئمة تعني مضاهاتهم للرسول ؛ فإن نفي السهو عنهم تأليه لهم كما أشار إلى ذلك إمام الشيعة الثامن علي الرضا ، ولذا قرر

ابن بابويه القمي وغيره أن هذا الاعتقاد هو الفيصل بين الغلاة وغيرهم [(٩٢)] .

وإذا كان شيخهم المعاصر الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي ، ومنكر الضروري كافر عندهم كما يؤكد شيخهم المعاصر محسن الأمين [(٩٣)] ، فمعنى هذا أن متأخريهم يكفرون متقدميهم ، ومتقدميهم يكفرون متأخريهم ، وإذا كان الممقاني يرى أن نفي السهو عن الأئمة من ضرورات المذهب الشيعي ، وبعضهم ينقل الإجماع على ذلك [(٩٤)] فإننا نجد في بعض الكتابات الموجهة لديار السنة [(٩٥)] ، القول بأن الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة [(٩٦)] ، وهكذا يكفر بعضهم بعضاً ، ويناقض بعضهم بعضاً ، وكلٌّ يزعم أن ما يقوله هو مذهب الشيعة [(٩٧)] .

وقد كان معتقد العصمة من أسباب نشوء عقيدة البداء والتقية . كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى . وذلك أن واقع الأئمة لا يتفق بحال ودعوى عصمتهم ، فإذا حصل اختلاف وتناقض في أقوالهم قالوا هذا بداء أو تقية كما اعترف بهذا بعض الشيعة [(٩٨)] .

إن من أخطر الآثار العلمية لدعوى العصمة اعتبارهم أن ما يصدر عن أئمتهم الإثني عشر هو كقول الله ورسوله ، ولذلك فإن مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدھا إلى أحد الأئمة ولا تصل إلى رسول الله (ص) ، والشيعة زعمت لأئمتها عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسوله ، كما يدل على ذلك صريح القرآن والسنة والإجماع [(٩٩)] .

١ . استدلالهم على عصمة أئمتهم من القرآن الكريم:

رغم أن كتاب الله سبحانه وتعالى ليس فيه ذكر للإثني عشر أصلاً . كما مر . فضلاً عن عصمتهم ، إلا أن الإثني عشر تتعلق بالقران لتقرير العصمة ، ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله سبحانه: { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ * } [البقرة: ١٢٤] ، وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي

عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان: باب... لزوم عصمة الإمام [(١٠٠)] .

وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن ، ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين [(١٠١)] ، ومحمد حسين ال كاشف الغطاء ، والذي يقول بأن هذه الآية صريحة في لزوم العصمة [(١٠٢)] ، ويتولى صاحب (مجمع البيان) سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم؛ فيقول: استدلال أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصوماً من القبائح؛ لأن الله . سبحانه . نص أن لا ينال عهده . الذي هو الإمامة [(١٠٣)] . ظالم ، ومن ليس بمعصوم فقد يكون

ظالماً إما لنفسه وإما لغيره ، فإن قيل: إنما نفى أن ينال ظالم في حالة ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالماً؛ فيصح أن يناله، والجواب: أن الظالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت؛ فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها ، فلا ينالها الظالم ، وإن تاب فيما بعد [(١٠٤)].
نقد استدلالهم:

أ . اختلف السلف في معنى العهد على أقوال: قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة ، قال: لا ينال عهدي الظالمون؛ أي: نبوتي ، وقال مجاهد: الإمامة ، أي: لا أجعل إماماً ظالماً يقتدى به ، وقال قتادة وإبراهيم النخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمين؛ فأما في الدنيا فقد ناله الظالم ، فأمن به وأكل وعاش..

قال الزجاج: وهذا قول حسن ، أي: لا ينال أماني الظالمين ، أي: لا يؤمنهم من عذابي ، والمراد بالظالم: المشرك.. وقال الربيع بن أنس والضحاك: عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه ، يقول: لا ينال دينه الظالمين ، ألا ترى أنه قال: {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ} * [الصفات: ١١٣] ، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق..

وروي عن ابن عباس . أيضاً . : لا ينال عهدي الظالمين قال: ليس للظالمين عهد ، وإن عاهدته فانقضه [(١٠٥)] ، فالآية كما ترى ، اختلف السلف في تأويلها ؛ فهي ليست في مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم ، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والافتداء ، لا الإمامة بمفهوم الرافضة [(١٠٦)].

ب . لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدل على عصمة بحال؛ إذ لا يمكن أن يقال بأن غير الظالم معصوم لا يخطأ ولا ينسى ولا يسهو.. إلخ ، كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة ، إذ يكون قياس مذهبهم: من سها فهو ظالم ، ومن أخطأ فهو ظالم... وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتفق مع أصول الإسلام ، فبين إثبات العصمة ، ونفي الظلم فرق كبير؛ لأن نفي الظلم إثبات للعدل لا للعصمة الشيعية [(١٠٧)].

ج . لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلماً ثم تاب منه لحقه وصف الظلم ولازمه ، ولا تجدي التوبة في رفعه ، فإن أعظم الظلم الشرك ، قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام: ٨٢] ، ثم فسر الظلم بقوله: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}* [لقمان: ١٣] ، ومع هذا قال جل شأنه في الكفار:

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفَّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال: ٣٨] ، لكن قياس قول هؤلاء: أن من أشرك ولو لحظة ، أو ارتكب معصية ولو صغيرة؛ فهو ظالم لا ينفك عنه وصف الظلم ، ومؤدى هذا أن المشرك ولو أسلم فهو مشرك؛ لأن الظلم هو الشرك [(١٠٨)] ، فصاروا بهذا أشد من الخوارج الوعيدية؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته ، ومن المعلوم في بداهة العقول فضلاً عن الشرع والعرف واللغة أن من كفر أو ظلم ، ثم تاب وأصلح لا يصح أن يطلق عليه أنه كافر أو ظالم.. وإلا جاز أن يقال: صبي لشيخ ، ونائم لمستيقظ ، وغني لفقير ، وجائع لشبعان ، وحي لميت ، وبالعكس ، وأيضاً: لو اطرده ذلك يلزم من حلف لا يسلم ، على كافر ، فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافراً قبل سنين متطاوله أن يحنث ، ولا قائل به [(١٠٩)] .

ومن المعروف: أنه قد يكون التائب من الظلم ممن لم يقع فيه ، ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من امن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه ، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام ، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بابائهم عاقل؟! [(١١٠)] .

كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت - إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم - جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين ، وقد قال شيخهم الطوسي: بأن الظلم اسم ذم فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحق اللعن؛ لقوله تعالى: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} * [هود: ١٨] .

د - ما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الشيعة الإثني عشرية بهذه الآية ، حيث قال: احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة ، ورام الطعن في إمامة أبي بكر وعمر ، وهذا لا يصح ؛ لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة ، وإن حمل على الإمامة؛ فمن تاب من الظلم فلا يوصف بأنه ظالم ، ولم يمنعه - تعالى - من نيل العهد إلا حال كونه ظالماً [(١١١)] .

٢ - آية التطهير وحديث الكساء:

آية التطهير هي قول الله عز وجل: {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} * [الأحزاب: ٣٣] ، وهي كما هو معلوم جزء من قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أُنْقِيَّتُمْ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا} * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً* { [الأحزاب: ٣٢ - ٣٣] ، وقد تعتمد علماء الشيعة الإثني عشرية اقتطاع آية التطهير من السياق القرآني الذي جاء

فيه ، والذي خاطب الله به نساء النبي (ص) إغفالاً لنساء النبي (ص) من الخطاب ، ثم ضموا إلى ذلك حديث الكساء الذي رواه مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة [١١٢] ؛ قالت: خرج النبي (ص) غداً وعليه مرط [١١٣] مرحل [١١٤] من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي ، فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ، ثم قال: وحديث {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً*} {المؤمنين أم سلمة لما نزلت هذه الآية على النبي (ص): قالت أم سلمة: وأنا معهم {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً*} {نبي الله؟ قال: أنت على مكانك ، وأنت على خير [١١٥]}. لتثبيت المعنى الذي يريدونه من الاستدلال بهذه الآية الكريمة [١١٦] .

ويرى علماء الشيعة الإثني عشرية: أن في آية التطهير دلالة على عصمة أصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين ، من الخطايا والذنوب صغيرها وكبيرها ، بل ومن الخطأ والسهو البشري [١١٧].
* نقد لاستدلالهم من وجوه:

أ. حديث أم سلمة المذكور انفاً قد ورد بعدة صيغ:

فروي عن أم سلمة: أنها قالت: كان النبي (ص) عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فجعلت لهم خزيرة ، فأكلوا وناموا ، وغطى عليهم عباءة أو قטיפة ، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ، وفي رواية أخرى: أنه (ص) أجلسهم على كساء ، ثم أخذ بأطرافه الأربعة بشماله ، فضمه فوق رؤوسهم ، وأوماً بيده اليمنى إلى ربه ، فقال: «هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ، وهاتان الروايتان تتفقان مع رواية مسلم عن السيدة عائشة في دخول الخمسة الآية ، ولكن هذا لا يحتم عدم دخول غيرهم [١١٨] .

وقد وردت روايات عن أم سلمة فيها زيادات تشير إلى عدم دخولها مع أهل الكساء ، لا يخلو أكثرها من الضعف ، لكن صح منها من جملتها هذه الرواية: لما نزلت هذه الآية على النبي (ص): في بيت أم {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً*} ، فدعا فاطمة وحسناً وحسيناً فجعلهم بكساء ، وعلي خلف ظهره فجعله بكساء ، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم

الرجس وطهرهم تطهيراً» ، قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير [(١١٩)] .

وهناك رواية هامة جداً رويت بإسناد حسن تشير إلى أن أم سلمة قد دخلت في الكساء بعد خروج أهل الكساء منه [(١٢٠)] ، ولعل التعليل في ذلك أنه لا يصح أن تدخل أم سلمة مع علي بن أبي طالب تحت كساء واحد ، فلذلك أدخلها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بعد خروج أهل الكساء منه ، فعن شهر قال: سمعت أم سلمة زوج النبي (ص) حين جاء نعي الحسين بن علي ، لعنت أهل العراق ، فقالت: قتلوه قتلهم الله ، غروه وذلوه لعنهم الله ، فإني رأيت رسول الله (ص) جاءته فاطمة غدية ببرمة قد صنعت له فيها عصيدة تحملها في طبق لها ، حتى وضعتها بين يديه ، فقال لها: «أين ابن عمك؟» قالت: هو في البيت ، قال: «اذهبي فادعيه وائتني بابنيه» ، قال: فجاءت تقود ابنها كل واحد منهما بيد ، وعلي يمشي في إثرهما ، حتى دخلوا على رسول الله (ص) فأجلسهما في حجره ، وجلس علي على يمينه وجلست فاطمة على يساره ، قالت أم سلمة: فاجتذ كساء خيرياً كان بساطاً لنا على المنامة في المدينة ، فلقيه رسول الله (ص) جميعاً فأخذ بشماله طرقي الكساء ، وألوى بيده اليمنى إلى ربه عز وجل ، قال: «اللهم أهل بيتي ، أذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيراً ، اللهم أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ، قلت: يا رسول الله! ألسنت من أهلك؟ قال: «بلى فادخلي في الكساء» ، فدخلت في الكساء بعد ما قضى دعاءه لابن عمه علي وابنيه وابنته فاطمة [(١٢١)] ، فشهد رسول الله (ص) لأم سلمة أنها من أهل بيته وأدخلها في الكساء بعد دعائه لهم [(١٢٢)] .

ب . ومما يدل على أن الآية ليست دالة على العصمة والإمامة أن الخطاب في الآيات كله لأزواج النبي (ص) حيث بدأ بهن وختم بهن:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا } [الأحزاب: ٢٨ - ٣٤] . فالخطاب كله لأزواج النبي (ص) ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد ، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت ، جاء التطهير بضمير المذكر ، لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر ، حيث تناول أهل البيت كلهم ، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك ، لذلك خصهم النبي (ص) بالدعاء لهم ، كما أن زوج الرجل من أهل بيته ، وهذا شائع في اللغة كما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ أي امرأتك ونساؤك ، فيقول: هم بخير ، وقد قال تعالى: { قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ } [هود: ٧٣]

والمخاطب بهذه الاية بالإجماع هي سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ، وهذا دليل على أن زوجة الرجل من أهل البيت [(١٢٣)] .

وقوله تعالى: { فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * } [القصص: ٢٩] والمخاطب هنا أيضاً زوجة موسى عليه السلام .

وقوله تعالى: { وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا * } [مريم: ٥٤ . ٥٥] ؛ فمن أهله الذين كان يأمرهم بالصلاة؟ وهذا كقوله تعالى مخاطباً النبي (ص): { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا } [طه: ١٣٢] ، ولا شك في دخول زوجاته أو خديجة رضي الله عنها على أقل تقدير في الأهل ، باعتبار أن السورة مكية [(١٢٤)] .

وقال تعالى: { وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * } [يوسف: ٢٥] ، فالمخاطب هنا عزيز مصر ، وقولها: ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً؟ أي: زوجتك ، وهذا بين [(١٢٥)] .

ج . إذهاب الرجس لا يعني في اللغة العربية ولا في لغة القران معنى العصمة: يقول الراغب الأصفهاني في مفردات ألفاظ القران ؛ مادة (رجس) : الرجس الشيء القدر ، قال: رجل رجسي ، ورجال أرجاس ، قال تعالى: { رَجِسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ } [المائدة: ٩٠] .. والرجس من جهة الشرع: الخمر والميسر.. وجعل الكافرين رجساً من حيث أن الشرك بالعقل أقبح الأشياء ، قال تعالى: { وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ } [التوبة: ١٢٥] ، وقوله تعالى: { وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * } [يونس: ١٠٠] ، قيل الرجس: النتن ، وقيل: العذاب ، وذلك كقوله: إنما المشركون نجس ، وقال: أو لحم خنزير فإنه رجس؛ وبالجملة: لفظ الرجس أصله القدر ، يطلق ويراد به الشرك ، كما في قوله تعالى: { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * } [الحج: ٣٠] ، ويطلق ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعمات والمشروبات ، ونحو قوله: { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا } [الأنعام: ١٤٥] ، وقوله: { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ } [المائدة: ٩٠] ، ولم يثبت

أن استخدام القرآن لفظ الرجس بمعنى مطلق الذنب بحيث يكون في إذهاب الرجس عن أحد إثبات لعصمته [١٢٦].

د . التطهير من الرجس لا يعني إثبات العصمة لأحد:

فكما أن كلمة الرجس لا يراد بها ذنوب الإنسان وأخطاؤه في الاجتهاد ، وإنما يُراد بها القدر والنتن والنجاسات المعنوية والحسية ؛ فإن كلمة التطهير لا تعني العصمة ، فإن الله عز وجل يريد تطهير كل المؤمنين وليس أهل البيت فقط ، وإن كان أهل البيت هم أولى الناس وأحقهم بالتطهير ، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم عن صحابة رسوله:

{ يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } [المائدة: ٦] ، وقال عز من قائل: { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } [التوبة: ١٠٣] وقال: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * } [البقرة: ٢٢٢] ، فكما أخبر الله عز وجل بأنه يريد تطهير أهل البيت ؛ أخبر كذلك بأنه يريد تطهير المؤمنين ، فإن كان في إرادة التطهير وقوع للعصمة لحصل هذا للصحابة ، ولعموم المؤمنين الذين نصّت الايات على إرادة الله عز وجل تطهيرهم ، وقد قال تعالى عن رواد مسجد قباء من الصحابة: { فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ * } [التوبة: ١٠٨] ، ولم يكن هؤلاء معصومين من الذنوب بالاتفاق ، وقال تعالى عن أهل بدر وهم ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ } [الأنفال: ١١] ، ولم يكن في هذا إثبات لعصمته ، مع أنه لا فرق يذكر في الألفاظ بين قول الله تعالى عن أهل البيت وبين قوله في أهل بدر: فالرجز والرجس متقاربان {لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * } وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ } ، ويطهركم في الايتين واحد ، لكن الهوى هو الذي جعل من الاية الأولى دليلاً على العصمة دون الأخرى ، والعجيب في علماء الشيعة أنهم يتمسكون بالاية ويصرفونها إلى أصحاب الكساء ، ثم يصرفون معناها من إرادة التطهير إلى إثبات عصمة أصحاب الكساء ، ثم يتناسون في الوقت نفسه ايات أخرى نزلت في إرادة الله عز وجل لتطهير الصحابة ، بل هم بالمقابل يقدحون فيهم ، ويقولون بانقلابهم على أعقابهم مع أن الله عز وجل نص على إرادة تطهيرهم بنص الاية [١٢٧] ، ومن لم يجعل الله نوراً فما له من نور.

هـ الإرادة في الاية إرادة شرعية ، وهي غير الإرادة القدريّة ، يعني يجب الله أن يذهب عنكم الرجس ، وقد تحدث علماء أهل السنة عن الإرادتين الشرعية الدينية ، والإرادة القدريّة الكونية ، فقالوا:

- إرادة شرعية دينية: وهي تتضمن معنى المحبة والرضا ، كقوله تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } [البقرة: ١٨٥] ، وقوله تعالى: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا * } [النساء: ٢٧ - ٢٨].

- إرادة قدرية كونية خلقية: وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات ،

وذلك مثل الإرادة في قوله تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ * } [البقرة: ٢٥٣] ، وقوله: { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } [هود: ٣٤] ؛ فالمعاصي إرادة كونية قدرية ، فهو لا يجبرها ولا يرضأها ولا يأمر بها ، بل يبغضها ويسخطها ، ويكرهها وينهى عنها ، هذا قول السلف والأئمة قاطبة ، فيفرون بين إرادته التي تتضمن محبته ورضاه ، وبين إرادته ومشيئته الكونية القدرية التي لا يلزم منها المحبة والرضا [١٢٨].

ولا شك أن الله عز وجل أذهب الرجس عن فاطمة والحسن والحسين وعلي وزوجات النبي (ص)، ولكن الإرادة في هذه الآية ، إرادة شرعية، ولذلك جاء في الحديث أن النبي (ص) لما جللهم بالكساء قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس» [١٢٩].

و - دعاء النبي (ص) يحسم القضية:

اية التطهير لو كان فيها ما يدل على وقوع التطهير لأهل الكساء لما قام رسول الله (ص) بتغطيتهم بالكساء والدعاء لهم بقوله: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس» [١٣٠] ، بل في هذا دلالة واضحة على أن الآية نزلت في نساء النبي (ص) ، وأن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أراد أن ينال أصحاب الكساء هذا الإخبار الرباني عن التطهير ، فجمعهم وجللهم بالكساء ودعا لهم فتقبل الله دعاءهم [١٣١] ، فطهرهم كما طهر الله نساء النبي بنص الآية.

ز - من الردود الدالة على عدم دلالة الآية على الإمامة والعصمة:

ومنها: أن ما اختص به أمير المؤمنين علي والحسن والحسين رضي الله عنهم من الآية - بزعم القوم - ثبت للسيدة فاطمة رضي الله عنها ، وخصائص الإمامة لا تثبت للنساء ، فلو كان هذا دليلاً لكان من يتصف بما في الآية يستحق العصمة والإمامة، وفاطمة رضي الله عنها كذلك وبذات الاعتبار ، فدل على أن الآية لا يراد بها الإمامة ولا العصمة ، ومنها خروج تسعة من الأئمة لعدم شمول الآية لهم ، حيث اختصت الآية بثلاثة منهم [١٣٢].

٣ - أدلتهم من مروياتهم:

إن الإثني عشرية تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب الكافي ، وإبراهيم القمي ، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها ، فضلاً عن إسنادها ، تثبت لهؤلاء الإثني عشرية العصمة المزعومة .

وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثاً وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي ، والعياشي والمفيد وغيرهم ، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة ، التي تبين أن استدلالهم فيها باطل . أما الكليني في الكافي فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة ، ساق فيها أخباراً بسنده عن الإثني عشر يدعون فيها أنهم معصومون ، بل وشركاء في النبوة ، بل ويتصفون بصفات الألوهية ، وتجد ذلك في الكافي في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك ، وفي باب: أن الأئمة هم أركان الأرض ، وأثبت فيه ثلاث روايات تقول بأن الأئمة الإثني عشر كرسول الله في وجوب الطاعة ، وفي الفضل ، وفي التكاليف ، فعلي جرى له من الطاعة بعد رسول الله (ص) ما لرسول الله (ص) [(١٣٣)] .

ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام رسول الله (ص) إلى مقام رب العالمين ، حيث تقول بأن علياً قال: أعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي: علمت علم المنايا والبلايا.. فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني [(١٣٤)] ، والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله سبحانه: { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } [لقمان: ٣٤] ، والذي لا يعزب شيء ، ولا يفوته شيء هو الخالق . جلا وعلا . قال تعالى: { لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } [سبأ: ٣] ، ومن تتبع أبواب الكافي في هذا المعنى ، يلاحظ بأنها لا تخرج عن دعاوى المتنبيين والملحددين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة أهل البيت الأطهار [(١٣٥)] .

٤ . أدلتهم العقلية على مسألة العصمة:

قالوا: إن الأمة لا بد لها من رئيس معصوم يسد خطاها ، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدده ، فيلزم التسلسل ، فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمامة لا بالأئمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع ، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه.. الخ [(١٣٦)] .

والحقيقة غير هذا تماماً ، فالأئمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها (ص) ، ولا تجتمع الأمة على ضلالة، وعصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام ، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا: لأن من

كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبياً بين الحق ، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها ، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة ، فلا يمكن أحد منهم أن يبدل شيئاً من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله ، ولذلك فإن الله سبحانه قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾* [النساء: ١١٥] ؛ فعصمة الأمة وحفظها من الضلال . كما جاءت بذلك النصوص الشرعية . تخالف تماماً من: يوجب عصمة واحد من المسلمين ، ويجوز على مجموع المسلمين . إذا لم يكن فيهم معصوم . الخطأ [(١٣٧)] ، وكل ما سطره وملأوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول (ص) ، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ، ولا ترد إلى الإمام: قال العلماء: إلى كتاب ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ، وإلى نبيه (ص) ، فإن قبض فإلى سنته [(١٣٨)] ، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجتمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة ، ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسول ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى قوله: ﴿لَقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ولم يقل . سبحانه . : والأئمة؛ وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسول كالأئمة [(١٣٩)] .

كما أن دعوى العصمة عندهم ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يُخْلِ العالم من أئمة معصومين ، لما في ذلك من المصلحة واللفظ ، ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللفظ ، وكذلك أجداده

المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللفظ الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان ، كما كان النبي (ص) بعد الهجرة ، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته ، ويحصل بذلك سعادتهم ، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي . رضي الله عنه . .

ومن المعلوم: أن المصلحة واللفظ الذي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثلاثة أعظم من المصلحة واللفظ الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق [(١٤٠)] ، أما من دون علي فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه ، وكان علي بن الحسين وابنه أبو جعفر ، وابنا جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم ، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة ، وهذا معروف عند أهل العلم ، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل

العلم والدين ما يحصل من ذوي الولاية من القوة والسلطان ، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل .

وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة ، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة ، بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة ، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم ، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين.. ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة [(١٤١)].

٥ . نقد عام لمبدأ عصمة الأئمة:

دعوى العصمة للأئمة تضاهي المشاركة في النبوة ، فإن المعصوم يجب اتباعه في كل ما يقول ، ولا يجوز أن يخالف في شيء ، وهذه خاصة الأنبياء ، ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم؛ فقال تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ*} [البقرة: ١٣٦] ، فأمرنا أن نقول: امنا بما أوتي النبيون .

فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به ، وهذا ما اتفق عليه المسلمون.. فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة ، وإن لم يعطه لفظها [(١٤٢)]، وهذا مخالف لدين الإسلام ، للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

. أما القرآن فقال سبحانه: {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء: ٥٩]؛ فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول ، ولو كان للناس معصوم غير الرسول (ص) لأمرهم بالرد إليه؛ فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول (ص) [(١٤٣)].

وقال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا*} [النساء: ٦٩] ، وقال: {وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا*} [الجن: ٢٣] ؛ فدل القرآن . في غير موضع . على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة ، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم اخر ، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد ، وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم. وقد اتفق أهل العلم على أن كل شخص . سوى الرسول (ص) . فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله (ص) ؛ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر ، واتباعه فيما أمر

واجتناب ما نُهى عنه وزجر ، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى [(١٤٤)].

. والسنة المطهرة دلّت على ذلك ، ولكنهم لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم ، وإليك ما ينقد مذهبهم مما ثبت عندهم من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، فقد جاء في (نهج البلاغة) الذي تعتمده الشيعة ، ما يهدم كل ما بنوه من دعاوى في عصمة الأئمة؛ حيث قال أمير المؤمنين . كما يروي صاحب النهج :. لا تخالطوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل لي ، ولا التماس إعظام النفس ، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطأى ، ولا امن ذلك من فعلي [(١٤٥)].

فهو هنا لم يدّع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطأى ، بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ ، كما لم يعلن استغناؤه عن مشورة الرعية ، بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل؛ لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة ، كل فرد لوحده معرض للضلالة ، فعلم أن دعوى العصمة من غلاة الشيعة [(١٤٦)].

وجاء في (نهج البلاغة) . أيضاً :. لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ، ويجمع به الفياء ، ويقا تل به العدو ، وتؤمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوي [(١٤٧)]، فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد ، بل رأى أنه لا بد من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد ، ولم يقل إنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم ، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية . كما تقول كتب الشيعة . ، ولم يحصر الإمارة في الإثني عشر المعصومين عند الشيعة ، ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الشيعة ، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجراً ، وجعل إمارته شرعية بدليل: أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر ، فأين هذا مما تقره الشيعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر [(١٤٨)]... لأن الإمامة الشرعية محصورة في الإثني عشر؟!

وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها ، فأمر المؤمنين علي رضي الله عنه في دعائه في (نهج البلاغة): اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني ، فإن عدت فعد علي بالمغفرة ، اللهم اغفر لي ما وأيت [(١٤٩)] من نفسي ولم تجد له وفاء عندي ، اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه

قلبي ، اللهم اغفر لي رمزات الألفاظ ، وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان ، وهفوات اللسان [(١٥٠)]

فأنت ترى الإقرار بالذنب ، وبالعودة إليه بعد التوبة ، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان ، ومخالفة القلب للسان.. كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من العصمة ، إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثاً ، وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله سبحانه من الذنوب والمعاصي ، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب [(١٥١)] ، ولقد احتار شيوخ الشيعة في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة [(١٥٢)] .

وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتناقض حيال بعض المواقف والمسائل ، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف ، بل يصدق بعضها بعضاً ويشهد بعضها لبعض ، والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط

للإمامة عندهم ، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة نفسها ، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف في أعمال الأئمة كانت سبباً مباشراً لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع ؛ حيث راجم أمر هذا التناقض ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره القمي والنوبختي من أنه بعد قتل الحسين ، حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين رضي الله عنهما ، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقاً واجباً صواباً من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربتة مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم ، فما فعله الحسين من محاربتة يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم ، وكثرة أصحاب يزيد حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب ؛ لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية ، وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه ، فقعود الحسين وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل ، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام [(١٥٣)] .

وأما الأمثلة على الاختلاف والتناقض في أقوال الأئمة فهو باب واسع ، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة من التشيع ، وقد شهد بذلك شيخ الطائفة الطوسي ، وقال بأن أخبارهم متناقضة متباينة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضاده ، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها ، وعد ذلك من أعظم الطعون على المذهب الشيعي ، ومن أسباب مفارقة بعض الشيعة الإمامية للمذهب .

وكتابا التهذيب والاستبصار . وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة . يشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة ، وقد حاول الطوسي درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية ؛ فما أفلح إذ زاد الطين بلة ، علماً بأن الطوسي هو الذي كان يوجه الروايات فيقول هذا الحديث تقية ، وهذه الرواية ليست بتقية ، وعليها العمل ، والمتفق عليه أن الطوسي نفسه ليس بمعصوم ، وبالضرورة سوف يخطأ في توجيه بعض هذه الروايات ، فيجعل ما ليس بتقية تقية ، والشيعة يتبعونه في توجيه هذا ، وبالتالي يتضح أن الشيعة يتبعون في تدينهم أمثال الطوسي ، ولا يتبعون المعصوم في دينهم ، وقد أوجد الشيعة الراضية عقيدة التقية والبداء . وسيأتي بيانها بإذن الله . لتغطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمة وأعمالهم.. فاكشف بعض الشيعة هذه المحاولة ، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين ، فترك التشيع وقال: إن أئمة الراضية وضعوا لشيعتهم مقاتلين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً ، وهما القول بالبداء وإجازة التقية . وهناك أمر آخر يبطل دعوى العصمة ؛ وهو أن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة ، فتجدهم مختلفين متنازعين متلاعنين يكفر بعضهم بعضاً لاختلافهم في عدد الأئمة ، وفي تحديد أعيانهم ، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام ، أو المضي إلى إمام آخر...

هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين . أصوله وفروعه . ، فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف.. وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها ، وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم ، لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠ هـ .. ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود ، إلا أن هذه العقيدة لها اثارها اليوم في واقع الشيعة ، ويتمثل في جوانب منها:

- ١ . عملهم بما يؤثر عن الأئمة الإثني عشر كما يعمل سائر المسلمين بالقران والسنة.
- ٢ . غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدتهم ، فيطاف بها وتدعى من دون الله.
- ٣ . أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة ، فهم يرون الراد عليه كالراد على الله وهو كحد الشرك بالله ، وهذه من الخطورة بمكان.

٤ . حَمَل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به [(١٥٤)] الذي ليس له علاقة بأمر المؤمنين علي وأولاده وأحفاده الأَطهار رضي الله عنهم.

ثالثاً: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية:

يعتقد الشيعة الرافضة: أن الإمامة كالنبوة لا تكون إلا بالنص من الله عز وجل على لسان رسوله (ص) ، وأنها مثلها لطف من الله عز وجل ، ولا يجب أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة منصوب من الله تعالى ، وليس للبشر حق اختيار الإمام وتعيينه ، بل وليس للإمام نفسه حق تعيين من يأتي بعده ، وقد وضعوا على لسان أئمتهم عشرات الروايات في ذلك ، منها ما نسبوه إلى الإمام محمد الباقر رحمه الله: أنه قال:

أترون أن هذا الأمر إلينا نجعله حيث نشاء؟ لا والله ما هو إلا عهد من رسول الله ؛ رجل فرجل ، مسمى حتى تنتهي إلى صاحبها [(١٥٥)].

ويعتقد الشيعة الإثنا عشرية: أن الرسول (ص) قد نص على الأئمة من بعده ، وعيّنهم بأسمائهم ، وهم اثنا عشر إماماً لا ينقصون ولا يزيدون وهم:

١ . علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المرتضى ، ت ٤٠ هـ.

٢ . الحسن بن علي رضي الله عنه: الزكي ، ت ٥٠ هـ.

٣ . الحسين بن علي رضي الله عنه: سيد الشهداء ، ت ٦١ هـ.

٤ . علي بن الحسين: زين العابدين ، ت ٩٥ هـ.

٥ . محمد بن علي: الباقر ، ت ١١٤ هـ.

٦ . جعفر بن محمد: الصادق ، ت ١٤٨ هـ.

٧ . موسى بن جعفر: الكاظم ، ت ١٨٣ هـ.

٨ . علي بن موسى: الرضا ، ت ٢٠٣ هـ.

٩ . محمد بن علي: الجواد ، ت ٢٢٠ هـ.

١٠ . علي بن محمد: الهادي ، ت ٢٥٤ هـ.

١١ . الحسن بن علي: العسكري ، ت ٢٦٠ هـ.

١٢ . محمد بن الحسن: المهدي ، ت ٢٥٦ هـ.

كان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي رضي الله عنه ، ولكن جاء فيمن بعد من عممها في مجموعة من أولاده .

وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية ، ومع ذلك فقد تصل بعض هذه الدعاوى إلى بعض أهل البيت ، فينفون ذلك نفياً قاطعاً ، كما فعل جدهم أمير المؤمنين علي ، ولذلك اخترع أولئك الكذابون على أهل البيت عقيدة التقية حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة للناس [(١٥٦)] .

إن من أخطر الأمور التي ابتدعتها الشيعة الوصية ؛ وهي أن رسول الله (ص) أوصى بالخلافة بعد وفاته مباشرة إلى علي رضي الله عنه ، وأن من سبقه مغتصبين لحقه كما جاء في كتابهم (الكافي): من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية .

وكان رسول الله (ص) وكان علياً عليه السلام [(١٥٧)] ، ولكن بالاستقراء التاريخي لتاريخ الخلفاء الراشدين ، لا نجد للوصية ذكراً في خلافة أبي بكر ولا في خلافة عمر رضي الله عنهما ، وإنما نجد بداية ظهورها في السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه ، عند بزوغ قرن الفتنة ، وقد استنكر الصحابة هذا القول؛ عندما وصل إلى أسماعهم ، وبينوا كذبه ، ومن أشهر هؤلاء علي بن أبي طالب ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما .

ثم نرى هذا القول يتبلور في فكرة موجهة ، وعقيدة تدعو إلى الإيمان بها والدعوة إليها ، وذلك في خلافة علي رضي الله عنه ، وهذه الوصية التي تدعيها الرافضة قد أثبت علماءهم أنها من وضع عبد الله بن سبأ كما ذكر ذلك النوبختي والكشي ، . وقد مر ذلك معنا . ويكفي في الرد على زعمهم ما ورد بالنقل الصحيح عن عدد من الصحابة . رضي الله عنهم . ، ومنهم علي رضي الله عنه نفسه ، والأدلة كثيرة منها:

١ . ذكر عند عائشة: أن النبي (ص) أوصى إلى علي ، فقالت: من قاله؟! لقد رأيت النبي (ص) وإني لمسندته إلى صدري ، فدعا بالطست ، فانخنث ، فمات ، فما شعرت ، فكيف أوصى إلى علي [(١٥٨)] .

وتصريح عائشة رضي الله عنها: أن النبي (ص) لم يوص لعلي من أعظم الأدلة على عدم الوصية ، فإن النبي (ص) واله توفي في حجرها ، ولو كانت هناك وصية لكانت هي أدرى الناس بها [(١٥٩)] .

٢ - وعن ابن عباس قال: إن علياً بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله (ص) في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس: يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله (ص)؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً ، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وإني والله لأرى رسول الله (ص) سوف يتوفى في وجعه هذا ، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا إلى رسول الله ،

فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ ، إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمنا فأوصى بنا ، فقال علي: إنا والله لئن سألتها رسول الله فمنعناها، لا يعطيناها الناس من بعده، وإني والله لا أسأله رسول الله (ص) [(١٦٠)]، وفي قوله رضي الله عنه شهادة للصحابة - رضوان الله عليهم - على مدى التزامهم بتنفيذ أمر رسول الله (ص) ، فلو كانت هناك وصية لما تخلف أحد عنه ، ولما عبرت الأنصار رأيها - في السقيفة - بحرية وشجاعة وصدق: منا أمير ومنكم أمير [(١٦١)] ، ولبايعوا من عهد إليه بالوصية ، أو على الأقل سيذكر بعضهم .

ولو كان هناك نص قبل ذلك لقال علي للعباس: كيف نسأله عن هذا الأمر فيمن يكون وهو قد أوصى لي بالخلافة ، وقد توفي رسول الله (ص) في نفس اليوم ، فلما لم يوجد شيء من ذلك تبين ما يدعى من النص دعوى لا أساس لها من الصحة ، وكل ما أوردوه في ذلك من التنصيص على علي مردود ، لمخالفته هذا النص الصريح من علي رضي الله عنه؛ لأن كل أدلتهم السمعية إما أنها لا تدل على المدعى ، وإما نصوص تدل على ذلك ولكنها موضوعة [(١٦٢)].

٣ - سئل علي رضي الله عنه: أخصَّكم رسول الله (ص) بشيء؟ فقال: ما خصنا رسول الله بشيء لم يعمَّ به الناس كافة، إلا ما كان في قراب سيفي هذا ، قال: فأخرج صحيفة مكتوب فيها: «لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من أوى محدثاً» [(١٦٣)]. قال ابن كثير: وهذا الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما عن علي رضي الله عنه يرد على فرقة الرافضة من زعمهم أن رسول الله أوصى إليه بالخلافة ، ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم كانوا أطوع لله ورسوله في حياته، وبعد وفاته من أن يفتتنوا عليه فيقدموا غير من قدمه، ويؤخروا من قدمه بنصه ، حاشا وكلا! ومن ظن بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطؤ على معاندة الرسول (ص) ، ومضادتهم من حكمه ونصه ، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربة الإسلام ، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام [(١٦٤)] ، قال

النووي: فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعية والإمامية بالوصية لعلي وغير ذلك من اختراعاتهم [(١٦٥)].

٤ . وعن عمرو بن سفيان قال: لما ظهر علي يوم الجمل قال: أيها الناس إن رسول الله (ص) لم يعهد إلينا من هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله [(١٦٦)].

٥ . روى أبو بكر البيهقي بإسناده إلى شقيق ابن سلمة ، قال: قيل لعلي بن أبي طالب: ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله (ص) ، فأستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم [(١٦٧)] ، فهذا دليل واضح من أن دعوى النص عليه رضي الله عنه إنما هو من اختلاق الرافضة الذين ملئت قلوبهم بالبغض والحقد لأصحاب رسول الله (ص) بما فيهم علي وأهل بيته ، وإنما يدعون حبهم تستراً ليتسنى لهم الكيد للإسلام وأهله [(١٦٨)].

بهذه النصوص القطعية يتضح بجلاء أن لا أصل للوصية المزعومة وأن ما اعتمد عليه الرافضة هو من وضع عبد الله بن سبأ ، الذي هو أول من أحدث الوصية ، ثم وضعت بعد ذلك أسانيد وركبت متون نسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي (ص) ، وهدفهم من ذلك الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم ، بمخالفتهم أمر الرسول (ص) وإجماعهم على ذلك ومن ثم الطعن ورد ما نقلوه إلى أجيال المسلمين من قران وحديث [(١٦٩)].

قال ابن تيمية . رحمه الله . في رده على الحلبي: وأما النص على علي؛ فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة ، وأجمع أهل الحديث على بطلانه ، حتى قال أبو محمد بن حزم: ما وجدنا قط رواية عند أحد في هذا النص المدعى إلا رواية إلى مجهول يكنى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق [(١٧٠)].

وقال في موضع آخر: فعلم أن ما تدعيه الرافضة من النص هو مما لم يسمعه أحد من أهل العلم بأقوال رسول الله (ص) قديماً ولا حديثاً ، ولهذا كان أهل العلم بالحديث يعلمون بالضرورة كذب هذا النقل ، كما يعلمون كذب غيره من المنقولات [(١٧١)].

وقد جاء من الغلاة فيما بعد من أحيا نظرية ابن سبأ في أمير المؤمنين علي ثم عمّموها على آخرين من سلالة علي والحسين في إثارة مشاعر الناس وعواطفهم ، والدخول إلى قلوبهم ، لتحقيق أغراضهم ضد

الدولة الإسلامية في ظل هذا الستار ، وأول من بدأ يشيع القول بأن الإمامة محصورة بأناس مخصوصين في ال البيت ، شيطان الطاق الذي تلقبه الشيعة مؤمن الطاق [(١٧٢)] ، وأنه حينما علم بذلك زيد بن علي بعث إليه ليقف على حقيقة الإشاعة ، فقال له زيد: بلغني أنك تزعم أن في ال محمد إماماً مفترض الطاعة؟ قال شيطان الطاق: نعم ، وكان أبوك علي بن الحسين أحدهم ، فقال: وكيف وقد كان يؤتى بلقمة وهي حارة فيبردها بيده ثم يلغمونها ، أفترى أنه كان يشفق علي من حر اللقمة ، ولا يشفق علي من حر النار؟! قال شيطان الطاق: قلت له: كره أن يخبرك فتكفر ، فلا يكون له فيك الشفاعة [(١٧٣)] .

وهذه القصة المروية في أوثق كتب الرجال عندهم تبين أن هذه النظرية كانت سرية التداول ، لدرجة أنها خفيت على إمام من أئمة أهل البيت وهو الإمام زيد .

وقد بين محب الدين الخطيب: أن شيطان الطاق هو أول من اخترع هذه العقيدة الضالة ، وحصر الإمامة والتشريع وادعى العصمة لأناس مخصوصين من ال البيت [(١٧٤)] ، وقد شارك شيطان الطاق رجل اخر هو هشام بن الحكم المتوفى ١٧٩ هـ [(١٧٥)] .

ويبدو أن عقيدة حصر الإمامة بأناس معينين سرت في الكوفة [(١٧٦)] ، بسعي مجموعة من أتباع هشام وشيطان الطاق ، ففكرة حصر الأئمة بعدد معين قد وضع جذورها في القرن الثاني زمرة ممن يدعي الصلة بأهل البيت ؛ أمثال شيطان الطاق وهشام بن الحكم [(١٧٧)] .

ولقد اختلفت اتجاهات الشيعة وتباينت مذاهبهم في عدد الأئمة ؛ قال في مختصر التحفة: اعلم أن الإمامية قائلون بانحصار الأئمة ، ولكنهم مختلفون في مقدارهم ، فقال بعضهم: خمسة ، وبعضهم: سبعة ، وبعضهم: ثمانية ، وبعضهم: اثنا عشر ، وبعضهم ثلاثة عشر [(١٧٨)] .

وكتب الشيعة نقلت صورة هذا التباين والتناقض سواء كانت من كتب الإسماعيلية بمسائل الإمامة للناشأى الأكبر ، أو الزينة لأبي حاتم الرازي ، أو من كتب الإثني عشرية ؛ مثل : المقالات والفرق للأشعري القمي ، وفرق الشيعة للنوبختي ، وقضية الإمامة عندهم ليست بالأمر الفرعي الذي يكون فيه الخلاف أمراً عادياً ، بل هي أساس الدين وأصله المتين ، ولا دين لمن لم يؤمن بإمامهم ، ولذلك يكفر بعضهم بعضاً ، بل إن أتباع الإمام الواحد يكفر بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً [(١٧٩)] .

أما الإثنا عشرية فقد استقر قولها . فيما بعد . بحصر الإمامة في اثني عشر إماماً ، ولم يكن في العترة النبوية بني هاشم على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم من يقول

بإمامة الإثني عشر [(١٨٠)] ، إنما عرف الاعتقاد بإثني عشر إماماً بعد وفاة الحسن العسكري [(١٨١)] .

وحصر الأئمة بعدد معين عقيدة فاسدة باطلة ، أمير المؤمنين علي وأولاده وأحفاده براء منها ، في كتب الشيعة المعتمدة في (نهج البلاغة) ، عن علي رضي الله عنه قال: دعوني والتمسوا غيري ، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان ، لا تقوم له القلوب ، ولا تثبت عليه العقول [(١٨٢)] ، وإن الافاق قد أغامت [(١٨٣)] ، والمحجة [(١٨٤)] . قد تنكرت ، واعلموا أنني إن أحببتكم ركبت لكم ما أعلم ، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب ، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً [(١٨٥)] .

فلو كانت إمامة علي منصوباً عليها من الله عز وجل لما جاز لعلي بن أبي طالب تحت أي ظرف من الظروف أن يقول للناس دعوني والتمسوا غيري ، ويقول: (أنا لكم وزيراً خير مني أميراً) كيف والناس تريده وجاءت تبايعه [(١٨٦)] .

ويقول في (النهج) كلاماً أكثر صراحة وأشد وضوحاً حين يقول ، إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ، فلم يكن للشاهد أن يختار ، ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضاء ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه ، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى [(١٨٧)] .

وقد أشار أمير المؤمنين بهذه العبارة حقائق جديرة بالاهتمام حيث جعل:

أ . الشورى للمهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله (ص) ويدهم الحل والعقد.

ب . اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

ج . لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم ، وبغير اختيارهم.

د . لا يرد قولهم ولا يخرج عن حكمهم إلا المبتدع الباغي المتبع غير سبيل المؤمنين ؛ فأين هم الشيعة

الإثني عشرية عن هذه التصريحات الهامة [(١٨٨)] !؟

إن مسألة النص لا تثبت بأي وجه من الوجوه ، ومسألة حصر الأئمة بعدد معين مردودة بالكتاب والسنة ، كما أنه لا يقبلها العقل ومنطق الواقع ، إذ بعد انتهاء العدد المعين ؛ هل تظل الأمة بدون

إمام؟! ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الإثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً ، وقد اضطر الشيعة للخروج عن حصر الأئمة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام ، واختلف قولهم في حدود النيابة [(١٨٩)] ، وفي هذا العصر اضطروا للخروج نهائياً عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم ، فجعلوا رئاسة الدولة تتم عن طريق الانتخاب

ولكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع ، فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي [(١٩٠)] .
— خ ما يحتج به الإثنا عشرية في أمر تحديد عدد الأئمة بما جاء في كتب السنة:

عن جابر بن سمرة قال: يكون اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي: إنه قال: كلهم في قريش [(١٩١)] .

وفي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشرة خليفة. ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش [(١٩٢)] . وفي لفظ: لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة [(١٩٣)] . وفي لفظ آخر: لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً [(١٩٤)] ، وعند أبي داود: لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم تجتمع عليهم الأمة [(١٩٥)] .

وأخرجه أبو داود أيضاً من طريق الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: وزاد: فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج [(١٩٦)] .

يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة ، لا لإيمانهم بما جاء في كتب السنة [(١٩٧)] ، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به . وبالتأمل في النص بكل حيده وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنهم يتولون الخلافة ، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة ، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضياً وصالحاً في عهدهم ، وكل هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدعي الاثنا عشرية فيهم الإمامة ، فلم يتول الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدة قليلة ، كما لم يقيم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر . في نظر الشيعة أنفسهم . بل ما زال أمر الأمة فاسداً.. ويتولى

عليهم الظالمون ، بل الكافرون [(١٩٨)] ، وأن الأئمة أنفسهم كانوا يتسترون في أمور دينهم بالثنية [(١٩٩)] ، وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية ، كما صرح بذلك شيخهم المفيد [(٢٠٠)] ؛ فلم يستطع أن يظهر القران ، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام ، كما

صرح بذلك شيخهم الجزائري [(٢٠١)] ، واضطر إلى ممالأة الصحابة ومجاراتهم على حساب الدين ، كما أقرّ بذلك شيخهم المرتضى [(٢٠٢)]...

فالحديث في جانب ، ومزاعم هؤلاء في جانب آخر ، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد ، بل نبوة ، منه بأن الإسلام لا يزال عزيزاً في عصر هؤلاء ، وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة [(٢٠٣)] .

ولهذا قال ابن تيمية: إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أمية أظهر وأوسع مما كان بعدهم ، ثم استشهد بحديث: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى إثني عشر خليفة كلهم من قريش». ثم قال: وهكذا كان ، فكان الخلفاء أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، ثم تولى من اجتمع الناس عليه وصار له عز ومنعة: معاوية ، وابنه يزيد ، ثم عبد الملك ، وأولاده الأربعة ، وبينهم عمر بن عبد العزيز ، وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن. ثم شرح ذلك [(٢٠٤)] .

ثم إنه قال في الحديث: كلهم من قريش [(٢٠٥)] ، وهذا يعني أنهم لا يختصون بعلي وأولاده: ولو كانوا مختصين بعلي وأولاده لذكر ما يميزون به ، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسماعيل ولا من العرب؟ فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم ، أو من قبيل علي لذكروا بذلك ، فلما جعلهم من قريش مطلقاً علم أنهم من قريش ، بل لا يختصون بقبيلة ، بل بنو تيم وبنو عدي ، وبنو عبد شمس ، وبنو هاشم ، فإن الخلفاء الراشدين

كانوا من هذه القبائل [(٢٠٦)] ، فإذا لم يبق من الأوصاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد العدد ، والعدد لا يدل على شيء [(٢٠٧)] .

— خ أدلتهم من القرآن على النص:

إن الشيعة الرافضة لما لم يجدوا ما يستدلون به من الشرع لتقرير عقيدة الإمامة بالنص عمدوا إلى آيات من كتاب الله فيها ثناء ومدح لعباده الصالحين وأوليائه المتقين ، فجعلوها خاصة بأمر المؤمنين علي رضي الله عنه ، وأولوها على حسب هذا المعتقد الفاسد ، كما اختلقوا أحاديث كثيرة لتأييد هذه البدعة الشنيعة ، وذلك لإيقاع جهلة المسلمين ومن قل نصيبه من العلم في ذلك ، وما أوردوه في هذا الشأن واضح البطلان ، وذلك أن استدلالهم لا يخرج عن أمرين:

أ . إما أن يكون فيما استدلوا به دليل على تلك الدعوى ، كاية التطهير والمباهلة ، وحديث الراية ، وحديث خم ، وغيرها من الأحاديث.

ب . أو أن تكون أحاديث موضوعة ، والموضوع لا تقوم به حجة ولهذا اشتهر بين أهل العلم أن الرافضة أكذب الفرق المنتسبة للإسلام ، وقد ذكر ابن تيمية: اتفاق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيهم قديم ، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بالكذب [(٢٠٨)] وإليك بعض الأمثلة في استدلالهم بالقران .

١ . اية الولاية ، قال تعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ*} [المائدة: ٥٥] . ذكروا في تفسير هذه الاية ما يدل على زعمهم بأنها في إمامة علي ، قال شيخ الطائفة . كما يقبونه . الطوسي: وأما النص على إمامته من القران ، فأقوى ما يدل عليه قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ*} [المائدة: ٥٥] [(٢٠٩)] . وقال الطبرسي: وهذه الاية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل [(٢١٠)] ، ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم [(٢١١)] .

وأما كيف يستدلون بهذه الاية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون: اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي ، لما تصدق بخاتمته على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة ، وهو مذكور في الصحاح الستة [(٢١٢)] ، و«إنما» للحصر باتفاق أهل اللغة ، والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة [(٢١٣)] ، فأنت ترى أنهم يعتمدون في استدلالهم بالاية بما روى في سبب نزولها ، لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادهم ، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقران ، فهل الرواية ثابتة ، وهل وجه استدلالهم سليم؟ .

يتبين هذا بالوجوه التالية:

أ . أن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في عليّ هو من أعظم الدعاوي الكاذبة ، بل أجمع أهل العلم بالنقل أنها لم تنزل في علي بخصومه ، وأن علياً لم يتصدّق بخاتمته في الصلاة ، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع [(٢١٤)] .

وقوله: إنها مذكورة في الصحاح [(٢١٥)] الستة ، كذب ، إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة ، وقد ساق ابن كثير الاثار التي تروى في أن هذه الاية نزلت في علي حين تصدق بخاتمته ، وعقب عليها: وليس يصحّ شيء منها بالكلية لضعف أسانيدھا ، وجهالة رجالها [(٢١٦)] ، وقال عبد العزيز الدهلوي: وأما القول بنزولها في حق علي بن أبي طالب ورواية قصة السائل وتصدقه بالخاتم عليه في

حالة الركوع ؛ فإنما هو للثعالبي [(٢١٧)] فقط ، وهو متفرد به ولا يعد المحدثون من أهل السنة روايات الثعالبي قدر شعيرة ولقبوه بحاطب ليل ، فإنه لا يميز الرطب من اليابس وأكثر رواياته عن الكلبي عن أبي صالح وهو من

أوهى ما يروى في التفسير عندهم [(٢١٨)] ، وسبب نزول هذه الآية الصحيح هو أنه لما خانت بنو قينقاع الرسول (ص) ذهبوا إلى عبادة بن الصامت كما أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره ، وأرادوه أن يكون معهم فتركهم وعاداهم ، وتولى الله ورسوله ، فأنزل الله قوله جلا وعلا: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ*} [المائدة: ٥٥] ، أي: والحال أنهم خاضعون في كل شؤونهم لله تبارك وتعالى ، ولذلك قال الله تبارك وتعالى في أول الآيات {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١] ، يعني عبد الله بن أبي ابن سلول ، لأنه كان موالياً لبني قينقاع ، ولما حصلت الخصومة بينهم وبين النبي (ص) والاهم ونصرهم ووقف معهم ، وذهب إلى النبي (ص) يشفع لهم ، أما عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه فإنه تبرأ منهم وتركهم فأنزل الله تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ*} [المائدة: ٥١] ، ثم عقب تبارك وتعالى بذكر صفة المؤمنين ، وهو عبادة بن الصامت ومن اتبعه: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} ، أمثال عبادة وغيره ، فهذه الآية نزلت في عبادة بن الصامت [(٢١٩)].

إن الآيات الكريمة جاءت بالأمر بموالة المؤمنين ، والنهي عن موالة الكافرين ، وهذا المعنى يدرك أيضاً . بعد معرفة سبب النزول الحقيقي . بوضوح من سياق الآيات ، إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ*} [المائدة: ٥١] .

فهذا نهي صريح عن موالة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنفرة ... ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة ، وليس هذا بوارد أصلاً ، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو الله ورسوله والمؤمنون ، فواضح من ذلك أن موالة المحبة والنصرة التي نهي عنها في الأولى هي بعينها التي أمر بها المؤمنون في هذه الآية بحكم المقابلة ، كما هو بيّن جلياً من لغة العرب [(٢٢٠)] ، قال الرازي: لما نهي في الآيات المتقدمة عن موالة الكفار ، أمر في هذه الآية بموالة من تجب

موالاته [٢٢١]. وقال ابن تيمية: إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفاً عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاته الكفار ، والأمر بموالاته المؤمنين [٢٢٢].

ب . إن الله تعالى لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده ، إما واجب وإما مستحب ، والتصديق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة ، ولو كان مستحباً لفعله الرسول (ص) ولحضر عليه ، ولكرر فعله ، وإن في الصلاة لشُغلاً ، وإعطاء السائل لا يفوت ، إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه ، بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم [٢٢٣].

ج . أنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختصّ بالركوع ، فكيف يقال : لا ولي إلا الذين يتصدقون في حال الركوع؟! فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلي ، قيل له: أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة ، فكيف يترك تعريفه بالأمر المعروفة ، ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟! وجهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة [٢٢٤].

د . وقولهم: إن علياً أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه ، فنزلت الآية مخالفة للواقع ، ذلك أن علياً رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي (ص) ، فإنه كان فقيراً ، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً ، وعلي لم يكن من هؤلاء [٢٢٥].

هـ . إن الأصل في الزكاة أن يبدأ المزكي ، لا أن ينتظر حتى يأتيه الطالب ، أيهما أفضل أن تبادر أنت بدفع الزكاة ، أو أن تجلس في بيتك وزكاتك عندك ، ثم تنتظر الناس

حتى يتركوا عليك الباب ثم تعطيتهم زكاة أموالك؟! لا شك أن الأول الأفضل [٢٢٦].

و . قولهم: إن المراد بقوله: الإمارة؛ {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ} يتفق مع قوله سبحانه: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} ؛ فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متولٍ على عباده ، وأنه أمير عليهم ، فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكنهم له الخلق والأمر ، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين [٢٢٧] ، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ، ويرضى عنهم ويرضون عنه ، ومن عادى له ولياً فقد بارزه بالمحاربة [٢٢٨] ، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية ، وقوله: أي خاضعون لربهم منقادون {وَهُمْ رَاكِعُونَ*} ، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع ، أي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع ، وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله [٢٢٩] ، وهذا كما قال الله تبارك وتعالى عن داود عليه السلام: {وَوَظَنَ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ*} [يونس: ٢٤] وهو خرَّ ساجداً ، وإنما سمَّاه راکعاً للذل والخضوع لله تبارك

وتعالى ، وكما قال الله تبارك وتعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ*} [المرسلات: ٤٨] ، أي:
اخضعوا واستسلموا لأمر الله تبارك وتعالى [(٢٣٠)].

ز . وأما استدلالهم بأداة الحصر «إنما» وأن المراد علي رضي الله عنه بالخصوص ؛ فهذا الدليل كما يدل
على نفي إمامة الأئمة المتقدمين كما قرر يدل على سلب الإمامة من الأئمة المتأخرين بذلك التقرير
بعينه ، فلزم أن السبطين ومن بعدهما من الأئمة الأطهار مسلوبة منهم الإمامة ، فإن أجابوا عن النقض
بأن المراد حصر الولاية في بعض الأوقات أعني وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده ، وافقوا أهل السنة
في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إماماً لا قبله [(٢٣١)] ، وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم . كما
يقول شيوخهم . تبين أنهم ليسوا على شيء ، ذلك أن الأصل أن يستعمل في هذا الأمر العظيم . والذي
هو عند الروافض أعظم أمور الدين ، ومنكره في عداد الكافرين . صيغة واضحة جلية ، يفهمها الناس
بمختلف طبقاتهم ، يدركها العامي ، كما يدركها العالم ، ويفهمها اللاحق ، كما
يفهمها الحاضر ، ويعرفها البدوي ، كما يعرفها الحضري ، فلما لم يستعمل مثل ذلك في كتاب الله دلّ
أنه لا نص كما يزعمون [(٢٣٢)] ، وهذه أقوى اية يستدلون بها من كتاب الله ، ويسموها اية الولاية
ولهم تعلق بايات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي ، وأجاب عليها ابن تيمية بأجوبة جامعة [(٢٣٣)].
٢ . اية المباهلة:

إن اية المباهلة التي نزلت في وفد نجران تعتبر دليل اخر عند الشيعة الاثني عشرية على الإمامة ، وهي
قول الله عز وجل: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ
وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ*} [آل عمران: ٦١].
ووجه دلالة الاية على إمامة علي بن أبي طالب عند الطوسي وغيره من علماء الشيعة: أنها دلّت على
أفضليته من وجهين:

أحدهما: أن موضوع المباهلة ليطمئن المحق من المبطل وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن
مقطوع على صحة عقيدته أفضل الناس عند الله.

الثاني: أنه (ص) جعله مثل نفسه بقوله: {وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ} ؛ لأنه أراد بقوله: الحسن والحسين
عليهما {أَبْنَاءَنَا} ، وبقوله: {وَنِسَاءَنَا} ، وبقوله: نفسه ونفس علي عليهما السلام.. وإذا جعله مثل
نفسه وجب أن {وَأَنْفُسَنَا} يدانيه ولا يقاربه في الفضل أحد [(٢٣٤)].

وقد سميت اية المباهلة بهذا الاسم ، لأنّ كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولا سيما إذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره ، وكانت المباهلة بالموت ، لأنّ الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء حالهم بعد الموت ، واية المباهلة لا مستند فيها على ما يدعيه الشيعة الاثني عشرية في موضوع الإمامة لعدة أسباب .

أ . إنه على كثرة المعاني والمرادفات لكلمة (نفسى) التي استدلت بها الإمامية على دلالة النص في خلافة علي بن أبي طالب لا يوجد معنى حقيقي أو مجازي يدل على الخلافة ، ولكن ما استدلت به أهل السنة على أنها تدل على دعوة النبي (ص) بحضوره بنفسه أو المقاربة في الدين أو النسب ؛ فهو مذكور في اللغة موافقاً للدين ، قال الزبيدي: قال ابن خالويه: النفس الأخ ، قال ابن بري: وشاهده قوله تعالى: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ} [النور: ٦١] وفسر ابن عرفة قوله تعالى: {ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا} [النور: ١٢] أي بأهل الإيمان وأهل شريعتهم [٢٣٥] . قال الدهلوي: معنى (نَدَعُ أَنفُسَنَا) نحضر أنفسنا ، وأيضاً لو قررنا الأمير . أي: الإمام علي . من قبل النبي (ص) لمصداق {وَأَنفُسَنَا} ، فمن نقره من قبل الكفار لمصداق في أنفس {وَأَنفُسِكُمْ} ، مع أنهم مشتركون في صيغة (نَدَعُ) ولا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله: تعالوا [٢٣٦] .

وقوله تعالى: مثل قوله تعالى: {وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسِكُمْ ... لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا} [النور: ١٢] . نزلت في أم المؤمنين عائشة في حادثة الإفك ، فإن الواحد من المؤمنين أنفس المؤمنين والمؤمنات ، وكذلك قوله تعالى: {فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} [البقرة: ٥٤] أي يقتل بعضهم بعضاً . ومنه قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ} [البقرة: ٨٤] . أي لا يخرج بعضهم بعضاً ، فالمراد بالأنفس الإخوان: إما في النسب وإما في الدين [٢٣٧] . وقد قال الله عز وجل في رسوله الكريم: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ*} [التوبة: ١٢٨] . وفي هذه الاية حجة بالغة على من يستدل بقوله تعالى على معنى المماثلة {وَأَنفُسَنَا} ، فهذه الاية تتكلم عن رسول الله وعن كفار مكة ، وتقول: فمن ذا الذي يقول بأنّ نفس {مِنْ أَنفُسِكُمْ} الله ونفس كفار مكة . عياداً بالله [٢٣٨] !!؟

وهنا تظهر المزاجية في تفسير اية المباهلة حين يتجاهل علماء الشيعة كل هذه النصوص ثم يأتون إلى هذه الآية الكريمة فيبالغون في معناها إلى حد قولهم بأن علياً هو نفس محمد عليه الصلاة والسلام سوى النبوة ، وحتى بعض الروايات الشيعية تشير إلى أنّ إطلاق لفظ أنفسنا على الأخ أو القريب أو أرباب الفئة الواحدة شيء متعارف عليه بين العرب ، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن العباس إلى ابن

الكواء وأصحابه وعليه قميص رقيق وحلّة ، فلما نظروا إليه قالوا: يا بن عباس ، أنت خيرنا في أنفسنا وأنت تلبس هذا اللباس ، وقال: وأنا أول ما أخاصمكم فيه وقال: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٣١] فهل بعد هذه الدلائل القرآنية وبعد هذه الرواية الشيعية من كلمة يقولها المغالي [(٢٣٩)]؟

ب . اعترف أحد أقطاب الشيعة وهو الشريف الرضيّ أن قوله تعالى: {وَأَنْفُسَنَا} لا يعني أن علياً رضي الله عنه هو نفس رسول الله كما يقول الشيعة ، يقول الشريف الرضيّ: قال بعض العلماء: إن للعرب في لسانها أن تخبر عن ابن العم اللاصق والقريب والمقارب بأنه نفس ابن عمه ، وأن الحميم نفس حميمه ، ومن الشاهد على ذلك قول الله تعالى أراد تعالى: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ} تعيبوا إخوانكم المؤمنين ، فأجرى الأخوة بالديانة مجرى الأخوة في القرابة ، وإذا وقعت النفس عندهم على البعيد النسب كانت أخلق أن تقع على القريب النسب.

وقال الشاعر:

كأنا يوم قُرى إنما نقتل إيانا

أراد كأنما نقتل أنفسنا بقتلنا إخواننا ، فأجرى نفوس أقاربه مجرى نفسه ، لشوابك العصم ونوائط اللحم وأطيظ الرحم ، ولما يخلج من القرى القريبة ، ويتحرك من الأعراق الوشيحة ، فأما قول الله تعالى في النور فيمكن أن يجرى هذا {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} ، لأنه جاء في التفسير: أن معنى ذلك فليسلم بعضكم على بعض لاستحالة أن يسلم الإنسان على نفسه ، وإنما ساغ القول ، لأن نفوس المؤمنين تجري مجرى النفس الواحدة ، للاجتماع في عقد الديانة ، والخطاب بلسان الشريعة ، فإذا سلم الواحد منهم على أخيه كان كالمسلم على نفسه ، لارتفاع الفروق واختلاط النفوس [(٢٤٠)].

وبهذا يتّضح أنه لا حجة لدى الشيعة في دعواهم أنّ في هذه الآية ما ينص على مساواة بين رسول الله وعلي رضي الله عنه وأرضاه ، فلفظ (النفس) يُطلق في لغة العرب على البعيد النسب ، فإطلاقه على القريب من باب أولى وليس في ذلك دلالة على الإمامة من قريب ولا بعيد [٢٤١].

ج . إن المباهلة إنما تحصل الرغبة والرغبة والشعور بصدق الداعي بجمعه نفسه وأهله الذين تحن إليهم النفوس بطبيعة الحال مالا تحن إلى غيرهم من الأبعدين في الهلاك [٢٤٢] ، فكونه (ص) يدعو الصق الناس به وأقربهم إليه؛ دليل واضح على صحة نبوته ، ولهذا لما رأى نصارى نجران خافوا على أنفسهم وتخلوا عن مباهلتهم ، ولكن الروافض المبتدعة لما ابتلوا بدفع الحق وعدم التسليم له أصيبوا بعدم فهم ما تدل عليه آيات الكتاب العزيز [٢٤٣].

د . قول الشيعة الإمامية: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي (ص) إلا النبوة ، كلام لا يُسلم له أبداً ، إذ إنّ النبي (ص) لا يساويه أحد في أمور الدين لا علي ولا غيره ، فأين مقام رسول الله وكمال البشري من سائر الناس؟

إن أمير المؤمنين علي نفسه لا يرضى ما يقول الشيعة الإمامية عنه ، والمنصف العاقل يدرك هذه القضية بكل وضوح [٢٤٤] ، فمقام النبوة له هيئته ومكانته عند أمير المؤمنين وقد تحدثنا عنه في هذا الكتاب.

هـ إن قضايا الاعتقاد الكبرى ومهمات الدين وأساسياته العظمى لا بد لإثباتها من الأدلة القرآنية الصريحة القطعية الدلالة على المعنى المطلوب كدلالة قوله تعالى: على {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ، ودلالة (محمد رسول الله) على نبوة محمد (ص) ، ودلالة قوله تعالى على فرضية الصلاة ومشروعيتها [٢٤٥]... {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ}

٣ . قوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: ٢٣]. وقد أورد الشيعة الإمامية في تفسير هذه الآية حديثاً عزوه إلى النبي (ص) حدد فيه القربى بعلي وفاطمة وأبنائهم ، الأمر الذي يدل في رأي الشيعة على أفضليتهم ووجوب مودتهم ومن ثم وجوب طاعتهم واتخاذهم أئمة دون غيرهم [٢٤٦].

والإجابة على ما سبق كالآتي:

أ . إن هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق أهل السنة [٢٤٧] ومن المعلوم أن علياً

إنما تزوج فاطمة بعد غزوة بدر ، والحسن ولد في السنة الثالثة للهجرة ، والحسين في السنة الرابعة ، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة ، فكيف يفسر النبي (ص) بوجود قرابة لا تعرف ولم تخلق بعد [(٢٤٨)] .

ب . إن تفسير الآية الذي في الصحيح يناقض ذلك فقد روى البخاري بإسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله: فقال {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} بن جبير قريبي ال محمد (ص) فقال ابن عباس: عجّلت ، إن النبي (ص) لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة [(٢٤٩)] .

قال ابن تيمية . رحمه الله .: فهذا ابن عباس ترجمان القرآن ، وأعلم أهل البيت بعد علي ، يقول: ليس معناها مودة ذوي القربى ، لكن معناها: لا أسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه أجراً ، ولكن أسألكم أن تصلوا القرابة التي بيني وبينكم فهو سأل الناس الذين أرسل إليهم أولاً أن يصلوا رحمه ، فلا يعتدوا عليه حتى يبلغ رسالة ربه [(٢٥٠)] .

ج . أن الحديث الذي جعلوه مفسراً للآية: كذب وموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث وهم المرجوع إليهم في هذا ، وقد نص على ذلك ابن تيمية [(٢٥١)] ، وقد تتبع ابن كثير أيضاً الأحاديث الواردة في تفسير هذه الآية ، وبيّن أن الأحاديث التي تنص على أن أولي القربى هم فاطمة وولداها ضعيفة الإسناد . وأورد رواية عن ابن أبي حاتم قال: حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} الآية . قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال: «فاطمة وولداها (رضي الله عنهم)» . وهذا إسناد ضعيف فيه متهم لا يعرف عن شيخ شيعي محترق وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل ، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فإنها مكية ، ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر السنة الثانية من الهجرة ، والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله

ابن عباس رضي الله عنهما وقد تحدث ابن حجر عن ضعف الروايات المذكورة ومخالفتها للحديث الصحيح [(٢٥٢)] .

أدلتهم من السنة:

١ . خطبة غدير خم:

غدِير خم: هو موقع بين مكة والمدينة بالجحفة [٢٥٣] ، ويقع شرق رابغ بما يقرب من ٢٦ كيلاً ، ويسمونه اليوم الغربية [٢٥٤] ، ويذكر أنه في هذا الموقع خطب النبي (ص) في الناس، وذكر فضل علي رضي الله عنه ، واتخذ الروافض هذه الحادثة أساساً يعتمدون عليه في تشييعهم الغالي له من جهة ، واعتمدوا عليها في أحقية علي بالخلافة من جهة أخرى، فأعطوا لهذه الحادثة من الأهمية ما لم يعطوه لغيرها في عصر النبوة [٢٥٥] حتى ألف فيه كتاب من أحد عشر مجلداً وهو كتاب الغدير ملأه مؤلفه بالأحاديث الموضوعية والضعيفة.

والصحيح ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: أنه قال: قام رسول الله (ص) فينا خطيباً بماء يدعى حُمًّا بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد ؛ ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» ، فحث على كتاب الله ورغَّب فيه ثم قال: «وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي». قال له حصين . أي: الراوي عن زيد بن أرقم :: ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟

قال: نعم ، ولكن أهل بيته من حُرِّ الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم ال علي ، وال عقيل ، وال جعفر ، وال عباس ، قال: كل هؤلاء حُرِّ الصدقة؟ قال: نعم [٢٥٦].

وجاء عند غير مسلم كالترمذي [٢٥٧] ، وأحمد [٢٥٨] ، والنسائي في الخصائص [٢٥٩] ، والحاكم [٢٦٠] ، وغيرهم جاءت بأسانيد صحيحة عن النبي (ص): «من كنت مولاه فعلي مولاه» [٢٦١].

وأما الزيادات الأخرى كقوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فهذه الزيادات صححها بعض أهل العلم ، والصحيح أنها لا تصح ، وأما زيادة: «انصر من نصره واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار» ، فهذه زيادة مكذوبة على النبي (ص) [٢٦٢].

وخطبة النبي (ص) في غدِير خم لها سبب وجيه ؛ فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: بعث النبي (ص) علياً إلى خالد بن الوليد في اليمن ليخمس الغنائم ويقبض الخمس ، فلما خمس الغنائم كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي ، فصارت في الخمس ، ثم إن علياً خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل ، فسألوه عن ذلك ، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرّى بها. فكره

البعض ذلك منه ، وقدم بريدة بن الحصيبي بكتاب خالد إلى النبي (ص) ، وكان ممن يبغض علياً ، فصدّق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي ، فقال له النبي (ص) : «لا تبغضه فإن له في الخمس أكثر من ذلك» [(٢٦٣)] ، فلما كانت حجة الوداع رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي (ص) وساق معه الهدى [(٢٦٤)] ، وقد تعجل علي ليلقى الرسول (ص) بمكة ، واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند ، فكسا ذلك الرجل الجند حلاً من البزّ [(٢٦٥)] ، الذي كان مع علي ، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ، فقال لنائبه: ويلك ما هذا قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس ، قال: ويلك ، انزع قبل أن تنتهي به إلى الرسول (ص) ، فانتزع الحلل وردها إلى البزّ ، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي [(٢٦٦)] ، فلما اشتكى الناس علياً قام رسول الله (ص) في الناس خطيباً.

قال ابن كثير: إن علياً رضي الله عنه لما كثر فيه القيل والقال من ذلك الجيش بسبب منعه إيّاهم استعمال إبل الصدقة واسترجاعه منهم الحلل التي أطلقها لهم نائبه لذلك ، والله أعلم ، لما رجع الرسول (ص) من حجته وتفرغ من مناسكه وفي طريقه إلى المدينة ؛ مر بغدير خم ، فقام في الناس خطيباً ، فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ، ونبّه علي فضله ليزيل ما وفر في قلوب كثير من الناس [(٢٦٧)].

إن النبي (ص) أحرّ الكلام إلى أن رجع إلى المدينة ولم يتكلم ، وهو في مكة في حجة الوداع أو في يوم عرفة ، وإنما أجل الأمر إلى أن رجع ، فهذا يدل على أن الأمر خاص بأهل المدينة ؛ لأن الذين تكلموا في علي رضي الله عنه من أهل المدينة فهم الذين كانوا مع علي في الغزو، وغدير خم في الجحفة وهي تبعد عن مكة تقريباً مئتين وخمسين كيلومتراً ، والذي يقول: إنه مفترق الحجيج ؛ فهذا غير صحيح ، لأن مجتمع الحجيج مكة ، فلا يكون مفترق الحجيج بعيداً عن مكة أكثر من مئتين وخمسين كيلومتراً أبداً ، فإن أهل مكة يبقون في مكة، وأهل الطائف يرجعون إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن ، وأهل العراق إلى العراق ، وهكذا كل من أنهى حجه ، فإنه يرجع إلى بلده ، وكذلك القبائل العربية ترجع إلى مضاربها ، فلم يكن مع النبي (ص) إلا أهل المدينة ، ومن كان على طريق المدينة فقط، وهم الذين خطب فيهم النبي (ص) ، والاختلاف بين أهل السنة والشيعنة الروافض في مفهوم قول النبي (ص) لا في الثبوت، فالروافض يقولون: من كنت مولاه فعلي مولاه ، أي: من كنت واليه فعلي واليه ، وأهل السنّة يقولون: إن مفهوم قول النبي (ص) من كنت مولاه فعلي مولاه أي: الموالاتة التي هي النصر والحب وعكسها المعاداة وذلك لأمر:

أ . للزيادة التي وردت وصححها بعض أهل العلم وهي قول النبي (ص): اللهم وال من والاه وعاد من عاداه [(٢٦٨)]. والمعاداة هي شرح لقوله: فعليّ مولاة فهي في محبة الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه.

ب . كلمة مولاة تدل على معاني متعددة. قال ابن الأثير: المولى يقع على الرب والمالك والمنعم والناصر والمحب والحليف والعبد والمعتق وابن العم والصهر [(٢٦٩)] ، كل هذه تطلق العرب على كلمة مولى .
ج . الحديث ليس فيه دلالة على الإمامة ؛ لأن النبي (ص) لو أراد الخلافة لم يأت بكلمة تحمل هذه المعاني التي ذكرها ابن الأثير ، والنبي (ص) هو أفصح العرب ، ولكان يقول: علي خليفتي من بعد ، أو عليّ الإمام من بعدي ، أو إذا أنا متُّ فاستمعوا وأطيعوا لعليّ بن أبي طالب ، ولكن لم يأت النبي (ص) بهذه الكلمة الفاصلة التي تنهي الخلاف إن وجد أبداً، وإنما قال من كنت مولاة فعلي مولاة [(٢٧٠)].

د . قال الله تعالى: {مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ*} [الحديد: ١٥] ؛ فسمها مولى لشدة الملاصقة مع الكفار والعياذ بالله.

هـ . الموالاتة وصف ثابت لعلي في حياة رسول الله (ص) وبعد وفاته ، وبعد وفاة علي رضي الله عنه ، فعليّ كان مولى المؤمنين بعد وفاة رسول الله (ص) ، وهو مولى المؤمنين بعد وفاته رضي الله عنه ، فهو الان مولانا كما قال الله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥٥]. وعلي رضي الله عنه من سادة الذين امنوا.

و . قال الإمام الشافعي رحمه الله عن حديث زيد: يعني بذلك ولاء الإسلام كما قال الله تعالى: [(٢٧١)] {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ*} [محمد: ١١]. فالحديث لا يدل على أن علياً رضي الله عنه هو الخليفة بعد رسول الله (ص) ، وإنما يدل على أن علياً من أولياء الله تبارك وتعالى ، تجب له الموالاتة وهي المحبة والنصرة والتأييد [(٢٧٢)].

وعموماً فإن هذه الخطبة التي خطبها النبي (ص) في غدير خم أراد بها تبرئة ساحة علي رضي الله عنه ، ورفع مكانته ، والتنبيه على فضله ليزيل ما كان وقر في نفوس الناس من أصحابه الذين كانوا معه في اليمن ، وأخذوا عليه بعض الأمور ، والرسول (ص) لم يرد أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج؛ لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة ، كما أنه لم يؤخره حتى وصوله إلى المدينة حتى لا يمكن المنافقين من استغلال مثل هذه

الحادثة في مكايدهم [(٢٧٣)] ، ومما يدل على أن النبي (ص) أراد من خطبته هذه بيان فضل علي للذين لم يعرفوا فضله ، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب ينتقص في علي . وكان قد رأى من علي جفوة . تغير وجه النبي (ص) وقال : «يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقال بريدة: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» [(٢٧٤)] .

وهناك بحث قيم في هذا الموضوع قام به الدكتور محمد علي السالوسي ، فتحدث عن خطبة الغدير والوصية بالكتاب والسنة ، وقام بدراسة لروايات التمسك بالكتاب والعترة ، وناقشها وحكم عليها ، ثم قال: مما سبق نرى أن حديث الثقلين التي صح سندها صح متنها ، وأن الروايات الثمانية التي تأمر بالتمسك بالعترة إلى جانب الكتاب الكريم لم تخل واحدة منها من ضعف في السند [(٢٧٥)] ، وفي متن هذه الروايات نجد الإخبار بأن الكتاب وأهل البيت لن يفترقا حتى يرثا الحوض على رسول الله (ص) ، ومن أجل هذا وجب التمسك بهما ، ولكن الواقع يخالف هذه الأخبار ، فمن المنتسبين لأهل البيت من ضل وأضل ، وأكثر الفرق التي كادت للإسلام وأهله وجدت من التشيع لال البيت ستاراً يحميها ، ووجدت من المنتسبين لال البيت من يشجعها لمصالح دنيوية ، كأخذ خمس ما يغنمه الأتباع ، إن عدم الضلال يأتي من التمسك بالكتاب والسنة ، وإذا تمسك أهل البيت بهما كان لهم فضل الانتساب مع فضل التمسك واستحقاقوا أن يكونوا أئمة هدى يقتدى بهم كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ آلِ هَارُونَ إِيمَانًا وَمِنْ آلِهِمْ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] أي أئمة نقتدي بمن قبلنا ، ويقتدي بنا من بعدنا ، ولا يختص هذا بأهل البيت ولكن بكل من يعتصم بالكتاب والسنة ، فالروايات التي ضعف سندها لا يستقيم متنها كذلك ، وهذا ضعف آخر ومع هذا كله ، فلو صحت هذه الروايات فإنها لا تدل من قريب ولا بعيد على وجوب إمامة الأئمة الاثني عشر وأحقيتهم للخلافة [(٢٧٦)] .

قال العلامة المناوي في فقه روايات الحديث: إن ائمتهم بأوامر كتابه ، وانتهيتهم

بنواهيهم ، واهتديتكم بهدي عترتي ، واقتديتكم بسيرتهم ، اهتديتكم فلم تضلوا [(٢٧٧)] .

وقال ابن تيمية بعد أن بين أن الحديث ضعيف لا يصح: وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة. قالوا: ونحن نقول بذلك ، كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أيضاً: إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة والإجماع ، والعترة بعض الأمة ، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة [(٢٧٨)] .

إن حديث الثقلين ، في قوله (ص) : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله» [(٢٧٩)] وعترتي». فيه كلام من حيث صحته وثبوته عن النبي (ص) .

والثابت عند مسلم أن الأمر كان بالتمسك بكتاب الله ، والوصية بأهل البيت كما مر من حديث زيد بن أرقم في مسلم ، فأوصى بكتاب الله ، وحث على التمسك به ثم قال: «وأهل بيتي ؛ أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي» ، فالذي أمر بالتمسك به كتاب الله وأما أهل بيت النبي (ص) فأمر برعايتهم وإعطائهم حقوقهم التي أعطاها الله تبارك وتعالى إياها [(٢٨٠)].

ورداً على فهم الشيعة الروافض المنحرف لحديث الثقلين من وجوه:

أ . إن عترة الرجل هم أهل بيته ، وعترة النبي (ص) هم كل من حرمت عليه الزكاة وهم بنو هاشم ، هؤلاء هم عترة النبي (ص) ، فالروافض ليس لهم أسانيد إلى الرسول (ص) وهم يقرون بهذا أنهم ليس عندهم أسانيد في نقل كتبهم ومروياتهم وإنما هي كتب وجدوها وقالوا ارووها فإنها حق [(٢٨١)] ، أما أسانيدهم كما يقول الحر العاملي وغيره من أئمة الشيعة الروافض إنه ليس عند الشيعة أسانيد أصلاً ولا يعولون على الأسانيد [(٢٨٢)] ، فأين لهم ما يروونه في كتبهم ثابت عن عترة النبي (ص) ؟ بل أهل السنة هم أتباع عترة النبي (ص) وأعطوهم حقهم ، ولم يزيدوا ولم ينقصوا كما قال النبي (ص) في حق نفسه: «لا تطروني

كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا: عبد الله ورسوله» [(٢٨٣)].

ب . إمام العترة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبعده يأتي في العلم عبد الله بن عباس الذي هو حبر الأمة ، وكان يقول بإمامة أبي بكر وعمر قبل علي رضي الله عنهم بل إن علي بن أبي طالب قد ثبت عنه بالتواتر أنه قال: أفضل الناس بعد رسول الله (ص) أبو بكر وعمر [(٢٨٤)]. فعلي يقرّ بفضل الشيخين وهو إمام العترة [(٢٨٥)].

ج . هذا الحديث مثل قوله (ص): «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً ، كتاب الله وسنتي» [(٢٨٦)] ، وقال النبي (ص) : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ» [(٢٨٧)] ، فأمر بالعض عليها بالنواجذ. وقال (ص) : اقتدوا بالذين من بعدي ، أبي بكر وعمر [(٢٨٨)]. وقال: «اهتدوا بهدي عمار وتمسكوا بعهد ابن مسعود» [(٢٨٩)] ، ولم يدل هذا

على الإمامة أبداً ، وإنما دلَّ على أن أولئك على هدي الرسول (ص) ، كما أن عترة الرسول (ص) لا تجتمع على ضلالة أبداً[[٢٩٠]].

د . إن الشيعة الروافض يطعنون في العباس[[٢٩١]] ، ويطعنون في عبد الله ابنه ، ويطعنون في أولاد الحسن ، وقالوا: إنهم يحسدون أولاد الحسين ، ويطعنون كذلك في أبناء الحسين نفسه من غير الأئمة الذين يدعونهم كزيد بن علي[[٢٩٢]] ، وكذلك إبراهيم أخي الحسن العسكري[[٢٩٣]] ، وغيرهم فهم ليسوا بأولياء للنبي (ص) وعترة بل أولياء النبي وعترة هم الذين مدحهم وأثنوا عليهم وأعطوهم حقهم ولم ينقصوهم[[٢٩٤]].

هـ فهم صحابة رسول الله (ص) للنص:

فهم الصحابة رضي الله عنهم إن المراد بالمولى أو الولي هو الحب والولاء والطاعة ، ولذلك عبّروا عن طاعتهم وإجلالهم لسيد أهل البيت علي بن أبي طالب بمناداته يا مولانا ، فعن رياح الحارث قال: جاء رهط إلى علي بالرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا، فقال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فهذا مولاه» قال رياح: فلما مضوا اتبعتهم فسألت من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الأنصار فيهم أبو أيوب الأنصاري[[٢٩٥]].

إن أهم ما يستفاد من هذا الحديث هو أن علي بن أبي طالب نفسه لم يكن يفهم من لفظ (مولى) معنى الإمامة والإمارة ، فمن الملاحظ أن أمير المؤمنين علياً قد استنكر منهم مناداته بـ (يا مولانا) ، ولو كان أمير المؤمنين علي العربي الفصيح يراها مرادفة: يا أميرنا أو: يا إمامنا ؛ لما استنكر على القائلين تلك المناداة[[٢٩٦]].

و . روت كتب الشيعة الاثني عشرية أقوالاً لبعض أهل البيت ينفون ؛ فيها أن يكون المراد بحديث الغدير النص على إمامة علي من بعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فقد قيل للإمام الحسين بن علي الذي كان كبير الطالبين في عهده وكان وصي أبيه وولي صدقة جده: ألم يقل رسول الله: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: بلى ولكن . والله . لم يعن رسول الله بذلك الإمامة والسلطان ، ولو أراد ذلك لأفصح لهم به وكان ابنه الإمام عبد الله يقول: ليس لنا في هذا الأمر ما ليس لغيرنا ، وليس في أحد من أهل البيت إمام مفترض الطاعة من الله ، وكان ينبغي أن تكون إمامة أمير المؤمنين من

الله]](٢٩٧)) ، فإذا كان هذا كلام أهل البيت وهم أبناء علي والناصرين له ، فما ترى غيرهم يقولون]](٢٩٨))؟.

٢ . حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك ، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية ، وتحقق منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب ، ومجرى

الحوادث في تاريخ الإسلام]](٢٩٩)) ، واستعمل رسول الله (ص) على المدينة علياً ، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس مما بداخلهم من حقد ونفاق فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه ، فمن ذلك قولهم ما تركه إلا لثقله عليه وهذا القول منهم في حقه ، علامة بارزة واضحة على نفاقهم ، ففي الحديث الصحيح أن علياً رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي (ص) : أن لا يجني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق]](٣٠٠)).

عند ذلك أدرك علي الجيش وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله! أتخلفني في الصبيان والنساء ، فقال رسول الله (ص) : «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، غير أنه لا نبي بعدي»]](٣٠١)).

وليس في هذا الحديث ما يستدل به الشيعة على كون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة لرسول الله ، والرد عليهم من وجوه:

أ . الحديث المذكور له سبب هام لا ينبغي أن يغفل ، وأن يفهم الحديث دونه، فقد طعن المنافقون في علي رضي الله عنه، فبين رسول الله (ص) مكانته وفضله، وكذب المنافقين.

ب . من الثابت: أن هارون عليه السلام كانت وفاته قبل موسى عليه السلام والاستدلال بالحديث على إمامة علي بعد رسول الله بالتالي غير منطبق ولو أراد رسول الله (ص) النص على علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقال له مثلاً ، أنت مني بمنزلة يوشع من موسى ، لأن نبي الله يوشع استخلف على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام ، لكن ذكر رسول الله (ص) لهارون عليه السلام الذي كان خليفة موسى عليه السلام في حياة موسى لا بعد وفاته ليس له إلا معنى واحد هو الترضية لعلي الذي أحزنه إبقاء الرسول (ص) له في المدينة مستخلفاً على الضعفاء والنساء والأطفال والمتخلفين عن الغزوة ، فبين له النبي عليه الصلاة والسلام أنه كما استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون عليه السلام على قومه ، وذهب للطور للقاء ربه تبارك وتعالى ، فاستخلفني لك من هذا الباب ، فموسى لم

يستخلف هارون عليهما السلام استخفافاً به وتنقيصاً له ، وإنما ائتمانا له وثقة به ، وكذلك الحال معك يا علي بن أبي طالب رضي الله عنك.

ج . هارون عليه السلام لم يكن وصياً لموسى عليه السلام ، بل نبياً ووزيراً بنص القران ، وقياس حال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الذي هو عند الشيعة وصي وليس بنبي قياساً مع الفارق ، علماً بأنهم يرفضون القياس أصلاً.

د . الاستدلال بكون هارون عليه السلام وزيراً لموسى عليه السلام على وزارة أمير المؤمنين علي لرسول الله (ص) أعجب من الأولى ، ذلك لأن الله تعالى الذي جعل هارون عليه السلام وزيراً لنبيه موسى عليه السلام قال في محكم كتابه عن طلب موسى عليه السلام: {وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * } [طه: ٢٩ - ٣٢] فهل يرى من يدعي التطابق بين الاثنين كون علي رضي الله عنه مشاركاً لرسول الله (ص) في نبوته كما هو الحال في مشاركة هارون لموسى عليه السلام في أمره؟! من يعتقد ذلك فلا شك في كفره وخروجه من ملة الإسلام [٣٠٢].

هـ . لقد استخلف النبي (ص) على المدينة غير علي بن أبي طالب ؛ ففي غزوة بدر استخلف عبد الله بن أم مكتوم ، واستخلف في غزوة سليم ، سباع بن عُرفطة الغفاري ، أو ابن أم مكتوم على اختلاف في ذلك ، واستخلف في غزوة السويق ، بشير بن عبد المنذر ، واستعمل على المدينة في غزوة بني المصطلق ، أبا ذر الغفاري ، وفي غزوة الحديبية ، ثُمَيْلَةَ بن عبد الله الليثي ، كما استعمله أيضاً في غزوة خيبر ، وفي عمرة القضاء استعمل عوف بن الأضبط الديلي ، وفي فتح مكة ، كلثوم بن حصين بن عتبة الغفاري ، وفي حجة الوداع ، أبا دجانة الساعدي ذكر هذا ابن هشام في مواقف متفرقة من السيرة [٣٠٣] ، إضافة إلى أن استخلاف علي على المدينة لم يكن الأخير فقد استخلف النبي (ص) على المدينة في حجة الوداع غير علي ، وهذا منهج النبي (ص) في تربية القادة كما حدث عندما أمّر أبا بكر على الحج ، واختصه أيضاً بإمامة الصلاة وحده [٣٠٤].

و . وأما تشبيه النبي (ص) لعلي بهارون فهذه فضيلة ، كما أن النبي (ص) شبه أبا بكر وعمر بأعظم من هارون ؛ ففي غزوة بدر ، لما كانت قضية الأسرى واستشار النبي (ص) أبا بكر ، فرأى أن يعفو عنهم وأن يفادوهم قومهم ، ورأى عمر أن يقتلهم ، فقال النبي (ص) لأبي بكر: «إن مثلك كمثلي إبراهيم يوم قال: {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * } [إبراهيم: ٣٦] ، ومثلك كمثلي عيسى إذ قال: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * } [المائدة: ١١٨]». ثم

التفت إلى عمر فقال: «يا عمر إن مثلك مثل نوح لما قال: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا*} [نوح: ٢٦] ، ومثلك كمثّل موسى لما قال: [(٣٠٥)] {رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ*} [يونس: ٨٨]» فشبّه أبا بكر بإبراهيم وعيسى وشبهه عمر بنوح وموسى ، وأولئك من أولي العزم ، وهم خير البشر بعد رسول الله (ص) ، وهم أفضل من هارون بدرجات صلوات الله وسلامه عليهم

أجمعين ، وتشبيهه النبي (ص) لعلي بهارون تكريم له كما كرم النبي (ص) أبا بكر وعمر عندما شبّههم بإبراهيم وعيسى وموسى ونوح [(٣٠٦)] عليهما السلام.
ز . من أقوال العلماء في شرح الحديث:

* قال النووي . رحمه الله . وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم ، بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله ، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده ؛ لأن النبي (ص) إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى ، بل توفي في حياة موسى ، وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصاص ، قالوا: وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة [(٣٠٧)].

* وقال ابن حزم . رحمه الله . بعد أن ذكر احتجاج الرافضة بالحديث: وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده ؛ لأن هارون لم يل أمر بني إسرائيل بعد موسى عليهما السلام ، وإنما ولي الأمر بعد موسى . عليه السلام . يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام ، كما ولي الأمر بعد رسول الله (ص) صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة ، وإذا لم يكن علي نبياً كما كان هارون نبياً ، ولا كان هارون خليفة بعد موت موسى على بني إسرائيل ؛ فصحّ أن كونه . رضي الله عنه . من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط ، وأيضاً فإنما قال له رسول الله (ص) هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك...
ثم قد استخلف (ص) قبل تبوك وبعد تبوك في أسفاره رجالاً سوى علي . رضي الله عنه . ؛ فصحّ أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي . فضلاً على غيره . ولاية الأمر بعده ، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين [(٣٠٨)].

* وقال ابن حجر . رحمه الله .: واستدل بحديث الباب على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة ؛ فإن هارون كان خليفة موسى وأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى إلا في حياته لا بعد موته ؛ لأنه مات قبل موسى باتفاق . أشار إلى ذلك الخطابي [(٣٠٩)] .

* وقال ابن تيمية . رحمه الله .: في سياق رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بهذا الحديث: وقول القائل هذا بمنزلة هذا ، وهذا مثل هذا ، هو كتشبيه الشيء بالشيء يكون بحسب ما دل عليه السياق ، لا يقتضي المساواة . المطلقة . في كل شيء ، وكذلك هنا بمنزلة هارون وهذا الاستخلاف يسمى من خصائص علي ، بل ولا هو مثل استخلافاته فضلاً أن يكون أفضل منها ، وقد استخلف مَنْ هو علي أفضل منه في كثير من الغزوات ، ولم تكن تلك الاستخلافات توجب تقديم المستخلف على علي إذا قعد معه ، فكيف يكون موجباً لتفضيله على علي؟ قد استخلف على المدينة غير واحد ، وأولئك المستخلفون منه بمنزلة هارون من موسى من جنس استخلاف علي بل كان ذلك الاستخلاف يكون على أكثر وأفضل ممن استخلف عليه عام تبوك وكانت الحاجة إلى الاستخلاف أكثر ، فإنه كان يخاف من الأعداء على المدينة، فأما عام تبوك فإنه كان قد أسلمت العرب بالحجاز ، وفتحت مكة وظهر الإسلام وعزّ ، ولهذا أمر الله نبيه أن يغزو ، ولهذا لم يدع النبي (ص) عند علي أحداً من المقاتلة ، كما كان يدع النبي (ص) بها في سائر الغزوات بل أخذ المقاتلة [(٣١٠)] كلهم .

ح . الحكمة في عدم تخصيص رسول الله من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة: إن الحكمة في عدم تخصيص رسول الله من بعده أحداً ليتولى أمر الأمة تتضح في إدراكنا لحقيقة الإسلام كدين رباني للبشرية ، وأنه لو حدد الرسول (ص) رجلاً من بعده ، فإنه يكون قد أعطى المسوغ الشرعي ليدعي المدعون وقد فعلوا بدون برهان . بأن قيادة الأمة من حق أسرة بعينها ، ويصبح الحكم الوراثي هو الحكم السائد في الإسلام ، ولكن رسول الله (ص) أراد . وهو لا ينطق عن الهوى إنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى . أن يترك هذا الأمر مطلقاً للمسلمين

أن يختاروا أصلحهم وأخيرهم ، وإن كان لميح بعض التلميحات إلى أبو بكر . وكان بمقدوره عليه السلام أن يصرح ، ولكنه لم يفعل لهذا القصد . إلا أن التلميح لا يعطي شرعية التولية المباشرة ، ولو كانت هناك وصية لأحد من الخلق لما حصل اختلاف في سقيفة بني ساعدة في بداية الأمر ، ولما استشار أبو بكر الناس في تولية عمر ، ولما ترك عمر الخلافة بيد ستة من المهاجرين... إلخ ولو كانت المسألة وراثية لكان بنو هاشم أول من ينالون هذا الأمر [(٣١١)] .

إن هذا الدين للبشرية ، ولا يصح ، بأي حال من الأحوال أن يكون محصوراً في أسرة حاكمة واحدة ، ويظل متوارثاً ، كالمثاع ، وإذا كانت العصور التالية فعلت ذلك ، كعصر بني أمية ، وبني العباس وغيرهم ، فإن هذا خلاف القاعدة الشرعية ، وما كان خلاف القاعدة ، فهو طارئ غريب على دين الله ، وينبغي أن ينحى هذا المفهوم القاصر كلية من الفكر الإسلامي حتى يصبح ناصعاً نقيماً [(٣١٢)].

— خ بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة:

١ . حديث الطائر:

ومن أهم أدلة الشيعة الإمامية كذلك حديث الطائر المشوي روى الحاكم في المستدرک عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أخدم رسول الله (ص) فقدم لرسول الله فرخ مشوي فقال: اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، قال: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار ، فجاء علي رضي الله عنه فقلت: إن رسول الله على حاجة ثم جاء فقال رسول الله (ص) : افتح ، فدخل ، فقال رسول الله (ص) ما حبسك يا علي؟ فقال: إن هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس ، يزعم أنك على حاجة ، فقال ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: قال يا رسول الله ، سمعت دعاءك ، فأحببت أن يكون رجلاً من قومي ، فقال رسول الله (ص) : إن الرجل قد يحب قومه [(٣١٣)].

روى هذا الحديث بأسانيد لا تخلو من ضعف، بالإضافة إلى أن كثرة الروايات المسندة إلى أنس بن مالك رضي الله عنه وعدم صحة سند واحد منها أمر يدعو للعجب والدهشة ، فأين أصحاب أنس عن هذا الحديث وقد صحبوه السنين الطوال؟ لم نر أي واحد منهم قد

روى هذا الحديث، وهم من هم في الثقة والضبط، كأمثال الحسن البصري، وثابت البناني، وحميد الطويل، وحبيب بن أبي ثابت، وبكر بن عبد الله المزني، وأسعد بن سهل بن حنيف، وإسحاق بن عبد الله بن طلحة، وأبان بن صالح وإبراهيم بن ميسرة وغيرهم كثير ممن يروي عن أنس ولا يعرف كثير: ثم وقفت على مجلد كبير في رده وتضعيفه . أن حديث الطير . سنداً ومتمناً للقاضي أبي بكر الباقلاني [(٣١٤)] ، وقال ابن الجوزي: قد ذكره ابن مردويه من نحو عشرين طريقاً كلها مظلم، وفيها مطعن، فلم أر الإطالة بذلك [(٣١٥)]، وقال ابن تيمية: حديث الطائر من المكذوبات والموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل [(٣١٦)] ، وقال الزيلعي: كم من حديث كثرت رواته وتعددت طرقه ، وهو حديث ضعيف [(٣١٧)].

٢ . حديث الدار:

ومن الأحاديث التي يستدل بها الشيعة الإثنا عشرية على نصية الإمامة حديث الدار ، حيث يرى الشيعة أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نص على إمامة علي منذ بداية البعثة وأثناء عرضه الإسلام على كفار مكة ومنذ مطالبته إياهم بترك الأوثان وإفراد الواحد القهار بالعبادة لما نزلت هذه الآية على رسول الله { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * } [الشعراء: ٢١٤]. دعاني رسول الله (ص) فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أي متى أبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت عليه حتى جاء جبرائيل .

فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك ، فاصنع لنا صاعاً من الطعام ، واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه ، فيهم أعمامه وأبو طالب وحمة والعباس وأبو لهب ، فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم فجئت به فلما وضعته تناول رسول الله خدية من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ، ثم قال: خذوا باسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع أيديهم وأيم الله الذي نفسي بيده ، وإن كان الرجل

الواحد منهم يأكل ما قدمت لجميعهم ، ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رروا منه جميعاً ، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بדרه أبو لهب إلى الكلام فقال سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله ، فقال: الغد يا علي ، إن الرجل سبقني إلى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل أن أكلمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إليّ. فقال ففعلت ، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربت لهم ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة ، ثم قال: اسقهم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رروا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله ، فقال: يا بني عبد المطلب ، إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئت به ، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم. قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: وإني لأحدثهم سنأ وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطشاً وأحمشهم ساقاً[[(٣١٨)]] ، أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا ، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ، وفي سياق اخر (....لم يجبه أحد منهم فقام علي وقال:

أنا يا رسول الله قال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا ، فقام علي وقال: أنا يا رسول الله ، فقال: اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يجبه أحد منهم ، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله ، فقال اجلس أنت أخي [(٣١٩)].

وهذا الحديث باطل سنداً ومتناً ، أما سنداً ففي سنده عبد الغفار بن القاسم وعبد الله بن عبد القدوس ، فأما عبد الغفار بن القاسم فهو متروك لا يُحتج به ، قال عنه علي بن المديني: كان يضع الحديث ، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء وروى عباس بن يحيى: ليس بشيء ، وقال البخاري: ليس بالقوي عندهم . أي عند علماء الجرح والتعديل . وقال عنه ابن حبان: يقلب الأخبار ولا يجوز الاحتجاج به ، تركه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين [(٣٢٠)] ، وقال النسائي: متروك الحديث [(٣٢١)] ، وليس عبد الله بن عبد القدوس بأحسن

حالاً من سابقه ، بل هو مجروح أيضاً عند عامة علماء الحديث ، قال النسائي: ليس بثقة ، وقال الدارقطني: ضعيف [(٣٢٢)].

وأما من ناحية المتن فالحديث واضح البطلان لأسباب وهي:

أ . هذه الرواية معارضة لرواية أخرى اتفق أهل الحديث على صحتها وثبوتها ، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * } [الشعراء: ٢١٤] . سعد النبي (ص) على الصفا ، فجعل ينادي: يا بني فهر ، يا بني عدي ، لبطن قريش . حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو هب وقريش فقال: أرايتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ، قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو هب: تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعنا ، فنزلت [(٣٢٣)] { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * } [المسد: ١] .

٢ . الشيعة الاثنا عشرية طالما ادعوا النص الصريح على خلافة علي وأنه هو الوصي والمستحق الوحيد لهذا المنصب ، وأن النصوص متضاربة في إثبات ذلك ، وهذا الحديث يدحض قولهم إذ فيه أن النبي (ص) دعا قومه لنصرته وأن من يقبل نصرته فسيصبح أخاه ووصيه وخليفته من بعده ولم يخص علياً بذلك بل وأعرض عنه ثلاث مرات ، ولما لم يجد ناصراً غير علي قال له ما قال ، وهذا يدل على أن علياً لا

يستحق هذا المنصب ابتداء ، وأن النبي (ص) اضطر مع إحجام قومه أن يجعل هذا الأمر في عليّ ،
فهل هذا يتوافق مع ما يدعيه القوم من أن علياً منصوص عليه من قبل السماء [(٣٢٤)]

٣ . حديث: أنا مدينة العلم وعلي باهما: وأحاديث أخرى موضوعة:

والأحاديث الموضوعة في هذا الباب كثيرة جداً ، ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي (ص)
أنه قال: أنا مدينة العلم وعلي باهما. فهذا الخبر مطعون فيه ، إذ أنكره البخاري وقال عنه يحيى بن معين
لا أصل له وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال النووي والذهبي أنه موضوع [(٣٢٥)] . ويقول
الألباني ، وحديث: أنا مدينة العلم وعلي باهما

فمن أراد العلم فليأت الباب ، موضوع رواه العقيلي في الضعفاء وابن عدي في الكامل ، والطبراني في
الكبير والحاكم عن ابن عباس ورواه ابن عدي والحاكم عن جابر رضي الله عنه [(٣٢٦)] ، وكذلك
حديث من ناصب علياً بالخلافة فهو كافر ، فلا أثر له بوجه في كتب أهل السنة [(٣٢٧)] ، أصلاً ،
وهذه النماذج تكشف عن ضعف ما استند إليه الروافض من حجج اختصاص علي رضي الله عنه
وتعيينه دون غيره للخلافة ، ويؤيد هذا ما ذهب إليه ابن خلدون من أن ما استدل به الشيعة الروافض
من نصوص إنما هي نصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم ، لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة
الشريعة ، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم [(٣٢٨)] ، وما أورده ابن حزم
من أن سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة ، فموضوعة يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار
ونقلها [(٣٢٩)] ، ويعترف الكاتب الشيعي ابن أبي الحديد بأثر الشيعة في وضع الأحاديث لتأييد
مذهبهم في الإمامة فيقول: إن أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة فإنهم وضعوا
في مبدأ الأمر أحاديث مختلفة في صاحبهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم ، فلما رأت البكرية
(يريد بعض السنين) ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها «أبي بكر» أحاديث في مقابلة هذه
الأحاديث... فلما رأت الشيعة ما قد وضعت البكرية. أوسعوا في وضع الأحاديث ، ولقد كان
الفريقان في غنية عما اكتسباه ، ولقد كان في فضائل علي الثابتة الصحيحة وفضائل أبي بكر المحققة
المعلومة ما يغني عن تكلف العصبية [(٣٣٠)] ، ورغم ضعف هذه الحجج وعدم قوتها فإننا نجد أن
بعض الشيعة المعاصرين لا زالوا يرددونها في كتاباتهم ويستشهدون بها لإثبات معتقداتهم في الإمامة ،
وهذا أحد أئمتهم يذهب إلى أن الرسول يعتبر غير مبلغ للرسالة لو لم يعين علياً خليفة من

بعده [(٣٣١)] ، ويقول: إن الرسول الكريم قد كلمه الله وحياً أن يبلغ ما أنزل الله إليه ، فيمن يخلفه في الناس ويحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين علياً للخلافة [(٣٣٢)] . وقولهم هذا يناقض كل ما يدّعون من آيات وأحاديث يستدلون بها بالإمامة لأنه يلزم من قولهم هذا إلى واقعة حديث غدیر خم لم يكن الله سبحانه وتعالى ورسوله نصّاً على إمامة علي .

ويكفي في نقد نظرية الإمامة عند الشيعة الإمامية أنه لا سند لهم فيها إلا عبد الله بن سبأ اليهودي الذي بدأ يشيع القول بأن الإمامة هي وصية من النبي (ص) ، ومحصورة بالوحي ، وإذا تولّاها سواه يجب البراءة منه وتكفيره ، فقد اعترفت كتب الشيعة بأن ابن سبأ ، كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي ، وأظهر البراءة من أعدائه ، وكاشف مخالفه وكفرهم [(٣٣٣)] ، لأنه كان يهودي الأصل يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى ، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه [(٣٣٤)] .

رابعاً: التوحيد والشيعة الاثنا عشرية:

جعل الشيعة العقيدة في الإمام أساساً لمذهبهم وركناً من أركان الدين ، وأصبح الإمام عندهم جزءاً من العقيدة وينسب الشيعة إلى بعض أئمتهم القول بأن من أصبح من هذه الأمة لا إمام له أصبح ضالاً تائهاً إن مات علي هذا الحال مات ميتة جاهلية [(٣٣٥)] ، ذلك لأن الإمام في تصور الشيعة يختلف اختلافاً كلياً عن تصور المسلمين جميعاً لخليفتهم ، إذ أن المسلمين يعدون الإمام أو خليفة المسلمين شخصاً عادياً في تكوينه ومعارفه ، وأن دوره لا يتجاوز دور المنفذ لشرع الله وأنه يعرض عليه الخطأ والانحراف ، كما يعرض لسائر الناس فيقوم ويعارض إذا خالف أمر الله ، وفوق هذا ، فإن الخليفة يختار وينتخب من قبل الجماعة المسلمة وفقاً لمبدأ الشورى [(٣٣٦)] . وخلافاً لهذا التصور يذهب الشيعة إلى أن الأئمة كانوا قبل هذا العالم أنواراً ، وأن لهم ولاية تكوينية إلى جانب الولاية الحكيمة ، وقد نسبوا إلى رسول الله حديثاً أسنده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه [(٣٣٧)] ، ويقول أحد أئمة الشيعة المعاصرين: وثبوت الولاية والحاكمية للإمام ، لا يعني تجرده من منزلته التي هي له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام ، فإن للإمام مقاماً محموداً ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون ، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ، وبموجب ما لدينا

من الروايات والأحاديث ، فإن الرسول الأعظم (ص) والأئمة (عليهم السلام) ، كانوا قبل هذا العالم أنواراً ، فجعلهم الله بعرشه محققين ، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله. وقد قال جبرائيل - كما ورد في روايات المعراج - لو دنوت أئمة لا احترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام أن لنا مع حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل [(٣٣٨)] ، وبناء على هذا التصور للإمام فإن دوره لا يقف: عند تنفيذ شرع الله بل له هيمنة على شؤون الكون ومجرياته ، فعلي عندهم الحاكم المهيمن الشرعي على شؤون البلاد والعباد وأن الملائكة تخضع له ، ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم ، لأنهم يخضعون للحق في قيامه وعوده وفي كلامه وصمته وفي خطبه وصلواته وحروبه [(٣٣٩)] ، وقد أثر اعتقاد الشيعة في الأئمة على عقيدتها في توحيد الله سبحانه بسبب الغلو وإليك بيان ذلك:

١ - نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة:

فأول ما نفاجاً به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده ، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة علي والأئمة ، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة ، ففي قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر: ٦٥].

جاء في الكافي [(٣٤٠)] - أصح كتاب عندهم في الرواية ، وفي تفسير القمي [(٣٤١)] - عمدة تفاسيرهم - وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة [(٣٤٢)] ، تفسيرها بما يلي: يعني إن أشركت في الولاية غيره [(٣٤٣)] ، وفي لفظ آخر: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك [(٣٤٤)] وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور [(٣٤٥)] ، وقد جاء في سبب نزولها عندهم: إن الله عز وجل حيث

أوحى إلى نبيه (ص) أن يقيم علياً للناس علماً اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر) ، حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك فلما أنزل الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: ٦٧] شكوا رسول الله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني ، فأنزل الله عز وجل {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}* [الزمر: ٦٥] وحتى يدرك القارىء مدى تحريفهم لآيات الله وتامرهم لتغيير الآية وما قبلها وما بعدها وتتبع ذلك بيان معناها قال تعالى: {قُلْ أَفَعَبِّرِ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ}* وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ* بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ}* [الزمر: ٦٤ - ٦٦]. فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته ، فهم غيروا

الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي ، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً ، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا «العبادة» هي الولاية. والاية واضحة المعنى بينة الدلالة ، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة [(٣٤٦)] ، قال أهل العلم في تفسيرها: إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وقالوا: هو دين آبائك [(٣٤٧)]. والمعنى: قل يا محمد لمشركين قومك: أتأمروني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله ولا تصلح العبادة لشيء سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا عن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: { أَيْهَا الْجَاهِلُونَ * } [الزمر: ٦٤]. ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عملك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته ، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟ ثم قال سبحانه: { بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ } تعبد ما أمرك به المشركون بل أعبد الله وحده دون كل ما سواه من الالهة والأوثان [(٣٤٨)]. فالمعنى كما ترى واضح جلي ، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض ، قد أعماه هواه عن رؤية الحق.. فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها ، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة في القرآن الكريم حتى ولو حرفوا آيات الله ، فكانت تحبط في هذا الأمر خبط عشواء ، لا تستند في الاستدلال إلى أصل في لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين ، كما يظهر في النص الإساءة للنبي (ص)

بتصويره في موقف الخائف الوجل من قومه ، المتردد في تنفيذ أمر ربه ، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله [(٣٤٩)].

٢ . الولاية أصل قبول الأعمال عندهم:

قالوا: إن الله عز وجل نصب علياً علماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالاً ، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ، ومن جاء بولايته دخل الجنة [(٣٥٠)] ، وقالوا: فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلواته ، وصومه ، وركاته ، وحجه ، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئاً من أعماله [(٣٥١)] ، وزعموا أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي (ص) فقال: يا محمد ، السلام يقرئك السلام ويقول: خلقت السموات السبع وما فيهن ، والأرضين السبع وما عليهن ، وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام ، ولو أن عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية علي لأكبته في سقر [(٣٥٢)] ، والروايات في هذا المعنى كثيرة وكلها باطلة لا يصح منها شيء ، وكل هذه الروايات

ليست في الإسلام في شيء ، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليسىء فيه مما يدعون شيء ، وهو الفيصل الأول ، والمرجع الأول في كل خلاف ، فالقران الكريم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد وسبب الحرمان هو الشرك ، قال تعالى: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ } [المائدة: ٧٢] وقوله: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: ٤٨] وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة تكذبها آيات القران ، فالله سبحانه يقول: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ } [البقرة: ٦٢]. ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية ، وكذلك قال سبحانه: { مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا حَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * } [المائدة: ٦٩] ، وهم يزعمون أن ولاية الاثني عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام ، والصلاة ذكرت في القران بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعاً ، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة ، فهل أراد جل شأنه ضلال عباده ، أو لم يبين لهم طريق الوصول إليه سبحانه هذا بهتان عظيم: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ } [التوبة: ١١٥]. وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه ، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم ، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة ، ولكن نذكر ذلك لعل عاقلاً يتعظ أو غافلاً ينتبه ، أو نائماً يستيقظ ، ولإقامة الحججة على المعاند من كتبه ، وبيان ما عليه نصوصهم من تناقض.. جاء في تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله يقول لما نزلت: { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى } [الشورى: ٢٣] قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة ، وفرعاً وبنیاناً ، وإن أصل الدين ، ودعامته قول: لا إله إلا الله ، وإن فرعه وبنياناه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه [٣٥٣]. فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم ، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد ، لا الولاية ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه [٣٥٤].

٣ . اعتقادهم أن الأئمة هم الوساطة بين الله وخلقهم:

يقول الشيعة الإمامية: إن الأئمة الاثني عشرية هم الوساطة بين الله وخلقهم قال المجلسي عن أئمتهم: فإنهم حجب الرب والوسائط بينه وبين الخلق [٣٥٥] ، وعقد لذلك باباً بعنوان: باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم ، وأنهم الوسائط بين الخلق وبين الله ، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم [٣٥٦] ، وجاء في كتاب عقائد الإمامية أن الأئمة الاثني عشر هم: أبواب الله والسبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها

نجا ومن تخلف عنها غرق [(٣٥٧)] ومن المسائل الموجودة في كتبهم ومصادرهم والتي هي تصب في هذه المعاني:

أ. قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

قال أبو عبد الله - على حد زعمهم - بلية الناس عظيمة ، إن دعوتنا لم يجيبونا ، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا [(٣٥٨)] وتقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عبد الله ، وبنا عرف الله ، وبنا وحد الله [(٣٥٩)] ، فهذه النصوص لا تنفي الهداية عن الأمة ، ولكن تجعل مصدرها الأئمة والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب

والأبصار والذي يحول بين المرء وقلبه ، والذي إذا قال للشيء: كن فيكون.. والشريعة في إطلاقها هذه العبارات بلا إي قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله في هذه الهداية ، والله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له [(٣٦٠)] ، قال تعالى: { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا * } [الكهف: ١٧] ويقول لنبيه { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [القصص: ٥٦] ، أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الاثني عشر. { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } [يوسف: ١٠٨] ، وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله [(٣٦١)].

ب. قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:

قالوا: لا يفلح من دعا بغير الأئمة ، ومن فعل ذلك فقد هلك جاء في أخبارهم عن الأئمة: من دعا الله بنا أفلح ، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك [(٣٦٢)] ، وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين [(٣٦٣)]. هذا ما تقوله الشيعة الرافضة وتفتريه ، ولكن الله يقول: { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا } [الأعراف: ١٨٠] ، ولم يقل سبحانه: فادعوه بأسماء الأئمة ومقامات الأئمة أو مشاهدتهم. كما قال جل شأنه: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } [غافر: ٦٠] ، ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقال: ادعوني بأسماء الأئمة استجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعيه الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله ، لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول. قال تعالى: { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * } [غافر: ١٤] { وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } [الأعراف: ٢٩] وهؤلاء الأئمة من سائر البشر { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ* } [الأعراف: ١٩٤]. ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه ولياً صالحاً ولا ملكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلأ ، بل الجميع عباد الله { لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ } [النساء: ١٧٢] وقوله: { إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَانَ عَبْدًا* } [مريم: ٩٣].

وأما دعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة فهي دعوى باطلة ، إنما الأنبياء دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه ، وأيوب عليه السلام توسل بأسماء الله الحسنى وأنت أرحم الراحمين { وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ* } [الأنبياء: ٨٣ - ٨٤] وأما يونس عليه السلام فتوسل لله بوحدانيته ، قال تعالى: { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ* } [الأنبياء: ٨٧ - ٨٨].

والكلمات التي قالها ادم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله سبحانه { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ* } [الأعراف: ٢٣].

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة وقد نقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له ، وما من إمام إلا قد رواوا عنه الكثير من الدعاء ومناجاته وقد أتى على أكثره المجلسي في بحاره [(٣٦٤)].

ج . إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قولهم: إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله: قال ابن تيمية: حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق ، فيرون الإشتراك بالله أعظم من عبادة الله وحده ، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت [(٣٦٥)] ، وجاء في الكافي وغيره: إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة ، وأفضل من عشرين عمرة وحجة [(٣٦٦)] ، وخصت الروايات الشيعية الموضوعية زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص ، تقول: من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة ميرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مئة حجة ومئة عمرة ، ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله ألف حجة وألف عمرة ميرورات متقبلات ، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل [(٣٦٧)] ، وليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج

فحسب ، بل هي أفضل الأعمال ، جاء في رواياتهم ، إن زيارة قبر الحسين: أفضل ما يكون من الأعمال [(٣٦٨)] ، وفي رواية أخرى: من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين [(٣٦٩)]. وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره ، ويهتم بالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعه أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم ، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله [(٣٧٠)].

وقد جعل هؤلاء القوم زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم ووضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام ، قال ابن تيمية - رحمه الله - وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سماه «مناسك المشاهد» جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس ، وهو أول بيت وضع للناس ، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يأمر إلا بحجه [(٣٧١)] ، ومن رجع إلى مصادر الشيعة الرافضة التي تتحدث عن المشاهد يرى العجب العجيب ، والانحراف عن كتاب الله وهدى الرسول (ص) ومن أراد التوسع فليُنظر إلى كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية [(٣٧٢)].

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم ، ويحجون إليها ، ويطوفون بها ، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة [(٣٧٣)] ، وهذا كله مما نهى الله عنه ورسوله ، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهى عنه سواء كان فاعله منتسباً إلى السنة أو إلى التشيع ، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي (ص) لم يأمر بما ذكره من أمر المشاهد ولا شرع لأئمة مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين ، بل هذا من دين المشركين الذي قال الله تعالى فيهم: {وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَهْلَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا*} [نوح: ٢٣].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء ... أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها

بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت [(٣٧٤)] ، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ص)؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته [(٣٧٥)] ، وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة ، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله ، قال أمير المؤمنين: بعثني رسول الله (ص) إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبراً إلا سويته [(٣٧٦)] ، وعن أبي عبد الله قال: نهي رسول الله (ص) واله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه [(٣٧٧)] ، وعن أبي عبد الله قال:

لا تبنوا على القبور.. فإن رسول الله (ص) كره ذلك [(٣٧٨)] ، وعنه أيضاً عن ابائه عن رسول الله نهي أن تخصص المقابر [(٣٧٩)] . وقد زعم الحر العاملي أن هذا النهي يشمل كل قبر: غير قبر النبي (ص) والأئمة عليهم السلام وأن هذا النهي لمجرد الكراهة [(٣٨٠)] . وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات. كما أن دلالة التحريم بينة ، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها ، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثار عنهم التحذير من ذلك ، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله ، ثم أن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر ، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم ، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين [(٣٨١)] .

٤ . قولهم: إن الإمام يجرّم ما يشاء ويحلّ ما يشاء:

تزعم الشيعة الإمامية في رواياتها أن الله سبحانه وتعالى: خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليها ، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون [(٣٨٢)] ، وشرح شيخهم

المجلسي النص السابق: فقال: وأجرى طاعتهم عليها ، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات ، كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى ، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع [(٣٨٣)] ... وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الاختصاص ، والمجلسي في البحار وغيرها عن أبي جعفر قال: من أحلنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين [(٣٨٤)] فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم ، فما أحلوا فهو حلال ، وما حرموا فهو حرام [(٣٨٥)] . ومن المعلوم في كتاب الله وسنة رسوله (ص) أن من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرع وحده سبحانه يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ، لا شريك له في ذلك ، ورسول الله يبلغون شرع الله لعباده ، ومن ادعى أن له إماماً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ } [الشورى: ٢١] .

إن حق التشريع لا يملكه إلا رب العباد والرسول عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به ، ويوحيه إليهم قد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: { اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُءُوبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ }

[التوبة: ٣١] فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام ويحرمون من الحلال كما جاء في تفسير الآية [(٣٨٦)] عبادة لهم ، حيث ، تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل [(٣٨٧)].

٥ . قولهم: بأن الدنيا والاخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء: عقد صاحب الكافي لهذا باباً بعنوان: باب أن الأرض كلها للإمام [(٣٨٨)] ، ومما جاء فيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أما علمت أن الدنيا والاخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله [(٣٨٩)].

فهذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه ، لأن الله جل شأنه يقول: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [البقرة: ١٠٧] ويقول سبحانه: { وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * } [المائدة: ١٨] ويقول جل شأنه: { لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ } [المائدة: ١٢٠] وقال: { الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمِمَّا يَخْتِذُ أُولَئِكَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ } [الفرقان: ٢] ، وقال سبحانه: { فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى * } [النجم: ٢٥] ، كما قال سبحانه: { قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ } [سبأ: ٢٤] وقال سبحانه: { هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [فاطر: ٣] وقال: { فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ } [العنكبوت: ١٧] فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك [(٣٩٠)].

٦ . إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة:

عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ، فأرعدت السماء وأبرقت ، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم ، قلت: من صاحبنا؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام [(٣٩١)]. يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي ، لا من أمر الواحد القهار ، فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية ، والله جل شأنه يقول: { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ * } [الرعد: ١٢] ؟ أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا إدعاء لربوبية علي رضي الله عنه ، أو أن له شركاً في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإيحاء لا يخفى على أمثالهم ، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد ، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغناء ، ويعظمون شيوخاً يجاهرون بهذا البلاء ،

أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر ، والكفر المبين ويبرىء أهل البيت الأطهار من هذا الدرن القاتل وينقي ثوب التشيع ممن لطحه به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلال أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي ، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا

في الكثير من رواياتهم ، وطائفة من أقوال شيوخهم ، فهل وصل هذا المذهب في سبيل دعوته إلى نور الحق إلى طريق مسدود؟ [(٣٩٢)].

٧ . الجزء الإلهي الذي حلّ في الأئمة:

وترد روايات عند الشيعة الإمامية تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعلي [(٣٩٣)] ، قال أبو عبد الله: ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا [(٣٩٤)]. ولكن الله خلطنا بنفسه [(٣٩٥)]. وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة . كما يزعمون . أعطوا به قدرات مطلقة ، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة . وتبلغ مئات الروايات . يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين . تعالى وتقدس عما يقولون . في الإحياء والإمامة والخلق والرزق [(٣٩٦)]. إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبس والإيهام ، ويكفي في فساده مجرد تصوره ، إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية ، كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم ، حيث يزعم الشيعة أن الأئمة عاشوا مظلومين ومضطهدين ، ورسول الهدى (ص) يقول . كما أمره ربه . { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } [الأعراف: ١٨٨] . ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا ، لتثبت تناقضها فيما تقول ، كالعادة في كل كذب وباطل ، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على ضر ولا نفع ، وإن رحمتنا فبرحمته ، وإن عذبتنا فبذنوبنا ، والله ما لنا على الله حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وإنا لميتون ومقبورون ، ومنشورون ، ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون ، ويلهم ، ما لهم لعنهم الله فقد اذوا الله واذوا رسوله (ص) في قبره ، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسن ومحمد بن علي صلوات الله عليهم... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله (ص) وما معي براءة من الله ، إن أطعته رحمني وإن عصيته عذبتني عذاباً شديداً [(٣٩٧)] ، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية ، فأضلوا

قومهم سواء السبيل ، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة [(٣٩٨)].

٨ . قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء:

عقد لذلك صاحب الكافي باباً بعنوان ((باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء)) [٣٩٩]. وضمنه طائفة من رواياتهم. وعقد باباً آخر بعنوان ((باب أن الأئمة إذا شأوا أن يعلموا علموا)) [٤٠٠] ، وذكر فيه جملة من أحاديثهم ، ومن روايات هذه الأبواب [٤٠١]. قال أبو عبد الله . كما يكذبون :: إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون [٤٠٢]. وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً ، فقلنا: ليس علينا عين. فقال: ورب الكعبة ورب البنية . ثلاث مرات . لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما ، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله (ص) واله وراثته [٤٠٣].

فهذا نموذج من غلو الشيعة الرافضة وهذا بعض ما عندهم ، فالغلو أساس مذهبهم وأصله ، وقد نهي الله عز وجل وحذر من الغلو لما فيه من منافاة التوحيد وأصل الشرك قديماً وحديثاً قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ} [المائدة: ٧٧]. قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: أي لا تجاوز الحد في اتباع الحق ولا تطروا من أمرهم بتعظيمه فتبالغوا فيه حتى تخرجوه من حيز النبوة إلى مقام الإلهية كما صنعتم في المسيح وهو نبي من الأنبياء فجعلتموه إلهاً من دون الله ، وماذا إلا لاقتدائكم بشيوخكم شيوخ الضلال الذين هم سلفكم ممن ضل قديماً {وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءٍ} أي: خرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال إلى طريق الغواية والضلال

هاتين الآيتين ينهى عن الغلو والإطراء وتجاوز الحد وفيه رد صريح على الشيعة الرافضة وكل من سلك هذا المسلك تجاه من يعظمهم ، وقد أمر الله عز وجل نبيه محمد (ص) أن يبين للناس أنه لا يملك لنفسه شيئاً وأن النفع والضرر بيد الله وأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله قال تعالى {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} [الأنعام: ٥٠] وقال تعالى: {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ*} [الأعراف: ١٨٨] فله عز وجل أمره أن يفوض الأمور إليه وأن يخبره عن نفسه أنه لا يعلم غيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من

ذلك [(٤٠٤)]. كل ذلك سداً للطرق الموصلة إلى الغلو فيه (ص) وتحذيراً لأمته أن يغلو فيه كما غلت اليهود والنصارى في أنبيائهم ، فإذا كان هذا في حق سيد الخلق ، وأعظمهم منزلة عند الله فغيره من باب أولى ، وبهذا يظهر بطلان دعوى الرافضة في الأئمة وزعمهم أنهم يعلمون الغيب ويعلمون ما كان وما سيكون ، وجعلهم شركاء الله في الخلق والإحياء وفي الأسماء والصفات وكيف يستقيم لهم ذلك مع قوله تعالى أيضاً في غير ما آية من كتابه العزيز. قال تعالى: { وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ } [لقمان: ٣٤]. وقال تعالى: { يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * } [المائدة: ١٠٩].

وقال تعالى: { اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ } [الرعد: ٨] وقال تعالى: { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ } [الحج: ٦] وقال تعالى: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ } [الأنعام: ٥٩] وقوله تعالى: { وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [آل عمران: ١٨٩]. وقوله تعالى: { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [الملك: ١]. وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الباب والتي تثبت تفرده جل وعلا بعلم الغيب والتصرف بالكون ، فمن نسب شيئاً من ذلك إلى أحد من المخلوقين فقد نازع الله في ربوبيته وألوهيته وهوى في الشرك ، فأنى له الإسلام مع ذلك ، قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [النساء: ٤٨] وقال: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * } [المائدة: ٧٢] وذلك أن الله عز وجل خلق الخلق لعبادته قال تعالى: { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * } [الذاريات: ٥٦] أي ليوحده فأرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل إفراده بالعبادة قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } [النحل: ٣٦] والغلو ينافي تحقيق العبادة [(٤٠٥)] ، وكما حذر الله عز وجل من الغلو بكل مظاهره وصوره ، فقد حذر النبي (ص) أيضاً حماية لتوحيد الله وسداً لكل ذريعة تكون سبباً في نقص توحيده ، لأن الغلو مطية الشرك ووسيلته وما دب في أمة إلا أهلكتها ، فقال (ص) محذراً أمته من هذا الداء: إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين [(٤٠٦)] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر سمعت النبي (ص) يقول: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله [(٤٠٧)] ، فالنبي (ص) يحذر أمته من الغلو ومجازة الحد في مدحه ، كما فعلت النصارى في عيسى عليه السلام ويأمر (ص) أن يوصف بصفة العبودية والتي قد وصفه الله

بها في الإسراء فقال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا} [الإسراء: ١] ، كما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه فقال: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا*} [الجن: ١٩]. وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه فقال: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} [الفرقان: ١] فتلك ثلاث مقامات من أشرف المقامات وصفه ومدحه ربه جل وعلا فيها بصفة العبودية له ، فأين الشيعة الرافضة من تلك الايات والأحاديث الواردة في النهي عن الغلو والتحذير منه ، الداعية إلى تحقيق العبودية؟.

إن الناظر إلى أقوال أمير المؤمنين علي وأبنائه رضي الله عنهم يجد فيها الرد البليغ على هذا الغلو والإفراط وبراءتهم من أقوال الشيعة الرافضة وكل من غالى فيهم ، كما تبين كذب تلك الروايات وضلالها المنسوبة إليهم [٤٠٨] ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: كنت عند علي بن أبي طالب: فأتاه رجل فقال: ما كان النبي (ص) يسر إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي (ص) يسر إليّ شيئاً يكتمه للناس ، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع ، قال فقال: ما هن؟ يا أمير المؤمنين ، قال: لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من أوى محدثاً ، ولعن الله من غير منار الأرض. وفي رواية: أخصكم رسول الله (ص) فقال: ما خصنا رسول الله بشيء [٤٠٩].

وفي رواية عند الإمام أحمد: .. ما عهد إليّ رسول الله (ص) شيئاً خاصة دون الناس [٤١٠] ، وروى البخاري في صحيحه عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال ، قلت لعلي: هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله ، أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة قال قلت: فما هذه الصحيفة؟ قال: العقل ، وفكك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر [٤١١]. وفي رواية: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله [٤١٢]... قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت . لا سيما علياً . أشياء من الوحي خصهم النبي (ص) بها لم يطلع غيرهم عليها [٤١٣] ، وقال ابن تيمية عقب إيراده لهذا الحديث: والكتب المنسوبة إلى علي ، أو غيره من أهل البيت في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب مثل كتاب الجفر والبطاقة وغير ذلك ، وكذلك ما يضاف إليه من أنه عنده علم من النبي (ص) خصه به دون غيره من الصحابة ، وكذلك ما ينقل عن غير علي من الصحابة ، أن النبي (ص) خصه بشيء من علم الدين الباطن كل ذلك باطل [٤١٤] ومما يبين بطلان ذلك ، ما روى ابن سعد

عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال عن سعيد بن جبير رحمهما الله..: ذلك رجل كان يمر بنا فنسأله عن الفرائض وأشياء مما ينفعنا الله بها، إنه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء وأشار بيده إلى العراق [(٤١٥)] ، وجاء عن محمد بن الحنفية محذراً الشيعة الرافضة مما تنسبه إليهم من علم خصهم به رسول الله (ص) حيث قال: إنا والله ما ورثنا من رسول الله (ص) إلا ما بين اللوحين [(٤١٦)] ، وقد تواتر عن آل البيت أنهم كانوا يقولون لشيعتهم: أيها الناس أحبونا حب الإسلام ، فما برح بنا حكم حتى صار علينا عاراً [(٤١٧)] وزيادة على ذلك فقد جاء في كتب الشيعة الرافضة التحذير من الغلو وبراءة آل البيت من ذلك ، فقد روى المجلسي بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إياكم

والغلو فينا قولوا إنا عبيد مريبون [(٤١٨)] وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: اللهم إني بريء من الغلاة كبراءة عيسى ابن مريم من النصارى، اللهم اخذلهم أبداً ولا تنصر منهم أحداً [(٤١٩)] .
وروى الكليني بسنده عن سديد قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله إذ خرج إلينا وهو مغضب ، فلما أخذ في مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي [(٤٢٠)] وروى الكشي عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنهم يقولون. قال وما يقولون قلت: يقولون تعلم قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر وعدد التراب فرفع يده إلى السماء وقال سبحان الله سبحان الله ، لا والله ما يعلم هذا إلا الله [(٤٢١)] فهذه أقوال أئمة آل البيت الطيبين الطاهرين ، كما صرحت بذلك كتب الشيعة الرافضة وهم براء مما ترميهم به الشيعة الرافضة ، إذ الرافضة من أكذب خلق الله ، فالنفاق دينهم والكذب ديدنهم ، ولذلك قال ابن تيمية - رحمه الله - إنهم من أكذب الناس في النقلات ومن أجهل الناس في العقليات [(٤٢٢)] .

إن روايات الشيعة تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها ، وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث.. إلخ والذي يرويه شيوخ الاثني عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة ، والذين أنكر الأئمة مذهبهم ، فقد جاء عن أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله ما يقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى الطعام لعيالي فضاقت صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم ، فعندها طابت نفسي ، لعنه الله وبريء منه [(٤٢٣)] ، ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به

نفوس شيوخ الشيعة ، وإليك مثلاً على ذلك فاسمع ما يقوله شارح الكافي تعقيباً على قول أبي عبد الله الذي نقلناه انفاً ، والذي يتعجب فيه أبو عبد الله من قوم نسبوا له العلم بالغيب ، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختلفت في داره فلم يدر أين هي فكيف يقال عنه إنه يعلم ما كان وما يكون. قال شارح الكافي: ... الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذة الجهال إلهاً ، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظاً لنفسه ، وإلا فهو رضي الله عنه كان عالماً بما كان وما يكون ، فكيف يخفى عليه مكان الجارية؟ فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب ، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدتها ، فإن المعنى ما علمت به علماً غير مستفاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار [(٤٢٤)] ، أنظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب ، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة [(٤٢٥)] ، وأما شيخهم الآخر الشعراي المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف في تأويل الرواية ، ورام ردها بأقصر طريق وهو الحكم بأن الرواية كذب ، وهكذا يشيعون عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة ، فإذا أنكروا على هؤلاء الكذابين فريتهم ، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية.. فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع في دائرة الغلو ، ورد الحق والإساءة لأهل البيت [(٤٢٦)] ، وقد ادعى زرارة بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة ، وأهل النار ، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك ، وكفّر من قاله ، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه: لقد عمل معك بالتقية [(٤٢٧)] .

٩ . الغلو في الإثبات (التجسيم):

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود ، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الشيعة الروافض ولهذا قال الرازي: اليهود أكثرهم مشبهة ، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم ، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول [(٤٢٨)] ، وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الإثنا عشرية في الطليعة من شيوخها ، والثقات من نقلة مذهبها [(٤٢٩)] . وقد حدد ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء ، فقال: وأول من عرف في الإسلام أنه قال:

إن الله جسم هو هشام بن الحكم [(٤٣٠)] ، وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين ، يقول عبد القاهر البغدادي: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه [(٤٣١)] ، وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها [(٤٣٢)] فقد كان تشبيهه الله سبحانه بخلقه كان في اليهود ، وتسرب إلى التشيع ، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم ، ثم تعدى أثره إلى آخرين عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية منسوبة إليهم [(٤٣٣)] ، ولكن شيوخ الاثني عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبير فتنهم ، واستطار شرهم ، ويتكلفون تأويل كل باثقة منسوبة إليهم أو تكذيبها [(٤٣٤)] ، وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم [(٤٣٥)] ، وكان الأئمة يتبرؤون منهما ومن قولهما ، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: إني أقول بقول هشام. قال إمامهم أبو الحسن علي بن محمد: ما لكم وبقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم ، ونحن منه براء في الدنيا والاخرة [(٤٣٦)] ، وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب جل شأنه وتقدس أسمائه ، فهذا أحد رجالهم [(٤٣٧)] ، ينقل لأبي عبد الله . كما تقول الرواية . ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان ، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد ققط ، فخرّ أبو عبد الله عليه السلام ساجداً ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم [(٤٣٨)] . فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلو في الإثبات ، حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحانه ، لأنه تكذيب لقوله سبحانه: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى: ١١] وعطلوا صفاته اللائقة به

سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه ، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال ، ويأمر بالالتزام في وصف الله ، كما وصف به نفسه ، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة [(٤٣٩)] ، فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات ، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت ، وأصبح المذهب يتنازع اتجاهان: اتجاه التجسيم الذي يتزعمه هشام ، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها ، وكما هو ثابت مستفيض في كتب أهل العلم [(٤٤٠)] .

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المئة الثالثة حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل الباريء سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة ، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المئة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى ، وأبي جعفر الطوسي ، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة [(٤٤١)] وكثير مما كتبه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة ، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القران العظيم في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة [(٤٤٢)] ، ولهذا لا يكاد القارىء لكتب متأخري الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقاً ، فالعقل . كما يزعمون . هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه ، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون ، كمسألة خلق القران ، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، وإنكار الصفات ، بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا ، هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون والفرق الذي قد يلمسه القارىء في هذه المسألة هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل ، فقد جاؤوا بروايات كثيرة في الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل ويفترون على أمير المؤمنين علي . رضي الله عنه . وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأهم يقولون بالتعطيل ، واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات ، حيث قال . تحت عنوان طريقة معرفة الصفات: هل يبقى مجال للبحث عن الصفات وهل له طريقة إلا الإذعان ، بكلمة أمير المؤمنين رضي الله عنه: كمال الإخلاص نفي الصفات عنه [(٤٤٣)].

هذا والثابت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله ، والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم [(٤٤٤)] ، وهذا أيضاً ما تعترف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل ، إن مجموعة من رواياتهم وصفت رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة به سبحانه ، وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام من المتفلسفة والجهمية وغيرهم .

إن الله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل ، ونفي مجمل ، ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً [(٤٤٥)]. قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ*} [الشورى: ١١]. فالنفي جاء مجملاً وهذه طريقة {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} في النفي غالباً. قال تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا*} [مریم: ٦٥]. أي نظير يستحق مثل اسمه ، ويقال: مسامياً يساميه [(٤٤٦)].

وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً [(٤٤٧)] ، وقال سبحانه: {وَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ*} [الإخلاص: ٤]. وأما الإثبات فيأتي التفصيل: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ*} [الشورى: ١١]. وكآخر سورة الحشر: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ* هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ* هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ*} [الحشر: ٢٢ - ٢٤]. وشواهد هذا كثيرة [(٤٤٨)].

إن الشيعة تروي عن أئمتها: أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه [(٤٤٩)] ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه ، وعن مقتضى العقل والفطرة ، وتؤثر في ذلك التقليد المحض ، والأخذ من «نفايا» الفلسفات البائدة وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر ، وتحكيم خيالات البشر ، المتناقضة ، وتصوراتهم المتعارضة [(٤٥٠)]؟
أ. مسألة خلق القران:

القران كلام الله منزل غير مخلوق ، وعلى هذا دل الكتاب والسنة ، وإجماع السلف [(٤٥١)] ، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القران ، فقد عقد شيخ الشيعة في زمن المجلسي في البحار في كتاب القران باباً بعنوان: باب أن القران مخلوق [(٤٥٢)] ، أورد فيه إحدى عشرة رواية ، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه ، ولكن لشيوخ الشيعة مسلماً في تأويلها ، سنذكره بعد قليل . بإذن الله تعالى . ويقول اية الشيعة محسن الأمين: قالت الشيعة والمعتزلة: القران مخلوق [(٤٥٣)] ، وهذا بناء على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه: يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى ، وكجبرائيل حين أنزله بالقران [(٤٥٤)] ، هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر [(٤٥٥)] ، وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلوها في (البيت) ، وجدتها تخالف في أكثرها ما يذهب إليه هؤلاء فمن ذلك: ما جاء في تفسير العياشي: عن الرضا أنه سئل عن القران فقال: إنه كلام الله غير مخلوق [(٤٥٦)]. وفي التوحيد لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه: يا بن رسول الله ما تقول في القران ، فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم: إنه مخلوق ، وقال قوم: إنه غير مخلوق؟ فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون ، ولكن أقول: إنه كلام الله عز وجل [(٤٥٧)] ، وفي

هذا المعنى روايات كثيرة عندهم [(٤٥٨)]. ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر ، فأثبت أن قول الأئمة: القرآن غير مخلوق يعني أنه غير مخلوق أي غير مكذوب لا يعني به أنه غير محدث [(٤٥٩)]. وقال: وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغات قد يكون مكذوباً ، ويقال: كلام مخلوق أي مكذوب [(٤٦٠)]. وقد قال علماء السلف رداً عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب ، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم ، وإنما قالوا: إنه مخلوق خلقه في غيره فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك، وصف في ذلك مصنفات متعددة [(٤٦١)]، وفي كتاب تفسير الصراط المستقيم لايتهم البروجردي نقل نصاً عن ابن بابويه . أيضاً . يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة ، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم: إن هذا الاختلاق [(٤٦٢)]، فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول «بالتقية» أو ما مائلها.. وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء ، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب ، فأصبح دينهم دين المجلسي أو الكليني أو ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة [(٤٦٣)] ، وهكذا يضيع العلم والحق بهذه الطريقة الماكرة ، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره ، ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق مع كتاب الله ، وسنة رسوله (ص) وهدى الصحابة الكرام وعلماء أهل السنة والجماعة ، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي ، ولا سيما ، والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى قالوا: بأن الناس أولعوا بالكذب علينا [(٤٦٤)] ولو أردت أن تطبق هذه النظرية . أي ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع

روايات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة لوجدت أن كتب الشيعة روت . كما

سبق . روايات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق ، وكتب أهل السنة روت مثل هذا ، فقد أخرج البخاري في كتاب أفعال العباد [(٤٦٥)]. وابن أبي حاتم [(٤٦٦)] ، وأبو سعيد الدارمي ، والاجري في الشريعة [(٤٦٧)]. والبيهقي في الاعتقاد [(٤٦٨)] ، والأسماء والصفات [(٤٦٩)]. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة [(٤٧٠)] ، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد [(٤٧١)] ، عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن ، قال: ليس بخالق ولا مخلوق. قال ابن تيمية إنه قد استفاض ذلك عن جعفر [(٤٧٢)] ، فلماذا لا يؤخذ بالمعنى المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا يسنده

إلا أقوال شيوخ يبعون في الأمة الفرقة والخلاف ، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس ، وتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية ، والمنزلة «المقدسة» باسم النيابة عن الإمام الغائب؟ ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول: إن ما خالف العامة ففيه الرشاد[(٤٧٣)]. ويقصدون بذلك أهل السنة والجماعة إن الروايات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم[(٤٧٤)] ، لأن القول بأن القرآن مخلوق هو إحداهن متأخري الشيعة[(٤٧٥)]. كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق ، هو الثابت عن أهل البيت ، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد من يقول بخلق القرآن ، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم[(٤٧٦)] ، وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه خلاف ما عليه أهل البيت ، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة ، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة[(٤٧٧)]؟

أن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة هو: إن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولاً ، وأنزله على رسوله وحياً ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً ، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ، ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر ، فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال تعالى: {سَأُضِلِّيهِ سَقَرَ*} [المدثر: ٢٦]. فلما أوعده الله بسقر لمن قال: {إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ*} [المدثر: ٢٥]. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ولا يشبه قول البشر[(٤٧٨)].

ب . مسألة الرؤية:

ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد ، وجمع أكثرها صاحب البحار تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة ، فتفتري . مثلاً . على أبي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال: سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.. إن الأبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية ، والله خالق الألوان والكيفية[(٤٧٩)] ، وقال شيخهم وايتهم جعفر النجفي صاحب كاشف الغطاء: ولو نسب إلى الله بعض الصفات: .. كالرؤية حكم بارتداده[(٤٨٠)] ، وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة ، وعقد لذلك باباً بعنوان باب أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة[(٤٨١)] ، فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية ، وهو

أيضاً خروج عن مذهب أهل البيت ، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك ، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة: قال: نعم [(٤٨٢)] والرؤية حق لأهل الجنة يرونه بغير إحاطة ولا كيفية ، كما نطق به كتاب ربنا مثل قوله تعالى: { وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * } [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. وقوله تعالى: { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ * } [ق: ٣٥] قال أنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عز وجل [(٤٨٣)] ، وقوله تعالى: { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ } [يونس: ٢٦] فالحسنى: الجنة ، والزيادة ، هي النظر إلى وجهه الكريم ، فسرهما بذلك رسول الله (ص) والصحابة بعده ، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قرأ رسول الله (ص) قال إذا دخل أهل الجنة { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ } ، وأهل النار النار ، نادى مناد: يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه ، فيقولون: ما هو؟ ألم يُثقل موازيننا وبييض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويُجربنا من النار؟ فيكشف الحجاب ، فينظرون إليه ، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة [(٤٨٤)]. وقال تعالى: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * } [المطففين: ١٥]. احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. وقال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي ، وقد جاءت رقعة من الصعيد فيها ، ما تقول في قول الله عز وجل: { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * } [المطففين: ١٥]. فقال الشافعي: لما أن حُجب في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياؤه يرونه في الرضى [(٤٨٥)] ، وأما الأحاديث عن النبي (ص) وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن [(٤٨٦)] ، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون ، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين ، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة [(٤٨٧)].

١١ . تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسول:

الرسول أفضل البشر وأحقهم بالرسالة ، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } [الأنعام: ١٢٤]. فهم قد امتازوا برتبة الرسالة عن سائر الناس [(٤٨٨)] وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } [النساء: ٦٤] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: ولا يفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع

الأولياء]] (٤٨٩)، وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي]] (٤٩٠) والقاضي عياض]] (٤٩١)، وابن تيمية]] (٤٩٢)، وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة]] (٤٩٣)، وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى]] (٤٩٤)، وفي بحار الأنوار للمجلسي عقد باباً بعنوان باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم]] (٤٩٥)، وهذا المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثني عشرية مر بتغيرات وتطورات نحو الغلو، فإن الشيعة في مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق . كما يقول الأشعري .:

. فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة ، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

. الفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

. والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة ، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة]] (٤٩٦).

ويضيف المفيد في أوائل المقالات مذهباً رابعاً لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولي العزم]] (٤٩٧). ثم لا ييوح بذكر المذهب الذي يعتمد من هذه المذاهب بل

يذكر توقفه للنظر في ذلك]] (٤٩٨) ، ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعي شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة ، حتى أن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: إن أولي العزم إنما صاروا أولي عزم بحبهم صلوات الله عليهم]] (٤٩٩). إن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثني عشر ذكر ، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله ، كما أنه يلاحظ: أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحى عباد الله قال تعالى: { فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ } [النساء: ٦٩]. فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب]] (٥٠٠). وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم]] (٥٠١) ، وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم ، والإجماع حجة ،

وقال ابن تيمية: اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء [(٥٠٢)]. والعقل يدل صريحاً على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله امراً وناهياً وحاكماً على الإطلاق والإمام نائباً وتابعاً له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه ، ولما كان هذا المعنى موجوداً في حق كل نبي مفقوداً في حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً ، بل يستحيل [(٥٠٣)]. ثم قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع والعقل ، وينفي ذلك الشذوذ ، وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحمول عن زيد بن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة ، وأن من قال غير ذلك فهو ضال [(٥٠٤)] ، وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من علي [(٥٠٥)].

خامساً: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم:

قد كان لمعتقد الشيعة في الإمامة ومحاولة الدفاع عنه أثر كبير في دفع بعض الشيعة إلى تبني أفكار خطيرة حول القرآن والسنة ، والصحابة رضوان الله عليهم ، فشككوا في القرآن ، وأنكروا كثيراً من الأحاديث الثابتة ، وطعنوا في الصحابة رضي الله عنهم وجرحوهم ونسبوا إليهم تعمد الكذب وتحريف كتاب الله تعالى.

١ . اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل والرد عليهم: فقد زعم بعض الشيعة الرافضة أن القرآن الكريم قد حرف وأسقطت منه بعض السور وكثير من الايات التي أنزلت في فضائل أهل البيت والأمر باتباعهم ، والنهي عن مخالفتهم وإيجاب محبتهم وأسماء أعدائهم والطعن فيهم ، ولعنهم وقد اتهم الشيعة الصحابة رضوان الله عليهم ، بأنهم أسقطوا من القرآن من جملة ما أسقطوه { وجعلنا علياً صهرك } من سورة [الشرح] والتي تشير إلى تخصيص علي بمصاهرة الرسول عليه الصلاة والسلام دون عثمان. وقد جهل هؤلاء أن هذه السورة مكية ، وأنها حين نزلت لم يكن علياً صهراً للرسول (ص) ، إذ أن علياً تزوج فاطمة بالمدينة وبعد غزوة بدر ، كما سبق أن أشرنا ، ويذهب الشيعة أيضاً إلى أنه من بين ما أسقط من (القران) سورة الولاية ويزعمون أنها سورة طويلة قد ذكر فيها فضائل أهل البيت [(٥٠٦)] ، وهكذا تدور معظم مزاعم هذا النفر من الشيعة في القرآن حول هذه القضايا ، إذ أنهم لم ينكروا حكماً من أحكامه أو قاعدة من قواعده ، ولكن تدور أراؤهم حول إسقاط بعض الايات إلى ولاية علي ومن بعده من الأئمة وقد ردد هذه الافتراءات على القرآن الكريم العديد من علماء الشيعة الإمامية وعلى رأسهم حجتهم المشهور أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ت ٣٢٩ هـ صاحب كتاب الكافي الذي

يعتبر في حجته لدى الشيعة في مرتبة كتاب البخاري عند أهل السنة ، وقد ذكر صاحب تفسير الصافي الشيعي: إن الظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد أيضاً في التحريف والنقصان في القرآن لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه الكافي ولم يتعرض بقدرح فيها ، على أنه ذكر في أول كتابه أنه يثق بما رواه فيه [(٥٠٧)] ، وكتاب الكليني هذا مليء بهذه المزاعم المنحرفة ، والتي تهدف في الأساس إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من بعده. ومن ذلك ما رواه الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: (عن ولاية {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} والأئمة بعده) هكذا نزلت

أبي جعفر عليه السلام قال ، قلت له لم سمي (علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين؟ قال الله سماه وهكذا أنزل في كتابه: ((وأن محمداً رسولي وأن علياً أمير المؤمنين)) [(٥٠٨)]. ويروي الكليني عن {وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ} بن محمد بن أبي نصر قال: رفع إليّ أبو الحسن عليه السلام مصحفاً وقال: لا تنظر فيه ، ففتحتة وقرأت فيه (لم يكن الذين كفروا) فوجدت فيهم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء ابائهم قال: فبعث إليّ بالمصحف [(٥٠٩)] ، وقد زعم الكليني أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة ، وأنهم (أي الأئمة) يعلمون علمه كله ، فما جمعه وحفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده [(٥١٠)] ، وقد ردد هذه الفرية التي ربطت جمع القرآن بعلي رضي الله عنه ، وقد ذهب صاحب الاحتجاج إلى: أنه لما توفي الرسول (ص) ، جمع علي (عليه السلام) القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله (ص) ، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر وقال: يا علي اردده فلا حاجة لنا فيه ، فأخذه عليه السلام وانصرف ، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئاً للقران ، فقال له عمر: إن علياً جاء بالقران وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا أن نؤلف القران ونسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار ، فأجابه زيد إلى ذلك ثم فقال: فإن أنا فرغت من القران على ما سألتهم وأظهر عليّ القران الذي ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر: فما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد ، فلم يقدر على ذلك [(٥١١)] ، ولا شك أن مثل هذه الرواية من نسيح خيال مريض فاسد أراد أن يتهم الصحابة بتحريف القران ، والتامر على حرمان علي من إمامة المسلمين وهو إذ يمدح علي يذمه إذ يصفه بالسكوت السلي حينما رفض الصحابة الأخذ

بقرانه ، فكيف يتفق هذا مع مواقف علي رضي الله عنه البطولية في سبيل الدفاع عن الإسلام ، ويرد على مثل هذه الترهات قول علي رضي الله عنه: أعظم الناس أجراً في المصحف أبو بكر ، رحمة الله على أبي بكر ، هو أول من جمع بين اللوحين [(٥١٢)] ، ولم

يكتف الكليبي بهذا ، بل نسب هذه الافتراءات والمزاعم الباطلة حول التحريف في القرآن إلى جعفر الصادق ، إذ ينسب إليه أنه قال: إن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد سبعة الاف اية ، والآيات التي نزلها ثلاث وستون ومئتان وست الاف فقط ، والباقي مخزون عند ال البيت [(٥١٣)] ، وزعم الكليبي أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه: قيل هو مثل قرانكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرانكم حرف واحد [(٥١٤)] ، ويقولون إن فاطمة رضي الله عنها مكثت بعد النبي خمسة وسبعين يوماً ، صبت عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله ، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها ويعزيها ويحدثها عن أبيها ، وعما يحدث لذريتها ، وكان علي يستمع ويكتب ما يسمع حتى جاء به مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ليس فيه شيء من حلال وحرام ولكن فيه علم ما يكون [(٥١٥)] .

. ويردد عالم شيعي اخر وهو علي بن إبراهيم القمي نفس المزاعم التي ذهب إليها الكليبي ويورد عنه محمد محسن الملقب بالفيض الكاشي في تفسيره فيقول: المستفاد من الروايات عن طريق ال البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ، ومنه ما هو مغير محرف وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي في كثير من المواضع ومنها لفظ «ال محمد» غير مرة ، ومنها أسماء المنافقين في مواضعها ، ومنها غير ذلك وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله ورسوله. وبه . أي بهذا الرأي . قال علي بن إبراهيم المسمى بالقمي له تفسير مليء بهذه الدعاوي والغلو فيها. وأخذ يخلط ويزعم أن هناك آيات في ولاية علي حذفت [(٥١٦)] .

. وقال صاحب كتاب بصائر الدرجات الصقار بسنده عن أبي جعفر . على حد زعمه . ما يستطيع أحد أن يدعي أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء [(٥١٧)] ، وعنه أيضاً: ما من أحد من الناس يقول أنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب ، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده [(٥١٨)] .

. وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين [(٥١٩)] ، وفيه عن أبي جعفر: لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي حقنا على ذي حجي [(٥٢٠)] .

والروايات في كتب الشيعة الرافضة المصرحة بتحريف القرآن كثيرة جداً ، وقد أخبر عن استفاضتها وتوترها عندهم كبار علمائهم ومحققهم ، يقول المفيد: إن الأخبار جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) باختلاف القرآن ، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان [(٥٢١)].

. ويقول هاشم البحراني [(٥٢٢)]: . أحد كبار مفسريهم :- أعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله (ص) شيء من التغييرات وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات [(٥٢٣)] ، ويقول أيضاً: وعندي في وضوح صحة هذا القول . أي تحريف القرآن . بعد تتبع الأخبار وتفحص الآثار بحيث يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع وأنه من أكبر مقاصد الخلافة [(٥٢٤)].

. ويقول نعمة الله الجزائري [(٥٢٥)]: إن الأخبار الدالة على هذا (التحريف) تزيد على ألفي حديث ، وادعى استفاضتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد، والعلامة المجلسي [(٥٢٦)] ، فهذه أقوال أئمتهم ومحققهم الكبار تقطع بتواتر واستفاضة الروايات في كتبهم بدعوى تحريف القرآن وتبديله ، وأنها تبلغ الآلاف مما جعل بعض هؤلاء العلماء يقطع بأن هذه العقيدة من ضروريات المذهب عندهم وأكبر مقاصد الإمامة ، وزيادة على ما جاء في كتبهم من الآف الروايات الدالة على دعوى تحريف القرآن ، فإن أقوال علمائهم ومنظريهم ، وأهل الاجتهاد فيهم ، جاءت مؤكدة لتلك العقيدة الفاسدة ، ولعل المقام هنا

لا يتسع لنقل كلامهم هنا وإنما أذكر من نقل إجماعهم على ذلك من كبار علمائهم ، يقول المفيد ناقلاً إجماعهم على ذلك واتفقوا (أي الإمامية) أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي (ص) وأجمعت المعتزلة ، والخوارج والمرجئة ، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عدناه [(٥٢٧)].

. وقد قام النوري الطبرسي ، أحد كبار علمائهم المتأخرين الهالك في سنة ١٣٢٠ هـ بتأليف كتابٍ ضخيمٍ في إثبات دعوى تحريف القرآن عند الشيعة الرافضة ، سماه ، فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب [(٥٢٨)] ، صدره بثلاث مقدمات يتبعها بابان:

الأول: في الأدلة على تحريف القرآن بزعمه.

الثاني: في الرد على القائلين بصحة القرآن في الأمة. وقد أودع الطبرسي في كتابه هذا الآف الروايات الدالة على تحريف القرآن بزعمهم ، حيث أورد في الفصلين الأخيرين فقط من الباب الأول المكون من

اثني عشر فصلاً (١٦٠٢) رواية هذا غير ما أورده في الفصول الأخرى من هذا الباب والمقدمات الثالث والباب الثاني وقال معتذراً عن قلة ما جمعه: ونحن نذكر منها ما يصدق دعواهم مع قلة البضاعة [(٥٢٩)] ، وقال موثقاً هذه الروايات: وأعلم أن تلك الأخبار منقولة من الكتب المعتبرة التي عليها معول أصحابنا في إثبات الأحكام الشرعية والاثار النبوية [(٥٣٠)] ، وقال بعد أن سرد حشداً هائلاً من أسماء علمائهم القائلين بالتحريف استغرقت خمس صفحات من كتابه: ومن جميع ما ذكرنا ونقلنا ، بتبعي القاصر ، يمكن دعوى الشهرة العظيمة بين المتقدمين وانحصار المخالفين فيهم بأشخاص معينين يأتي ذكرهم [(٥٣١)] ، ثم ذكر أن هؤلاء المخالفين هم: الصدوق ، والمرضى ، وشيخ الطائفة الطوسي ، قال: ولم يعرف من القدماء موافق لهم [(٥٣٢)].

وذكر أنه تبعهم الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان ، وقال: وإلى طبقته لم يعرف الخلاف صريحاً إلا من هؤلاء المشايخ الأربعة [(٥٣٣)] ثم اعتذر بعد ذلك عن بعض هؤلاء العلماء في عدم قولهم بتحريف القرآن بأن الذي حملهم على ذلك التقية والمدارة للمخالفين ، قال معتذراً عن الطوسي عما أورده في كتابه (التبيان) من القول بعدم التحريف: ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب التبيان أن طريقته فيه على نهاية المدارة والمماشاة مع المخالفين.. وهو بمكان من الغرابة لو لم يكن على وجه المماشاة [(٥٣٤)].

وقد سبق النوري الطبرسي في الاعتذار لهؤلاء العلماء: نعمة الله الجزائري حيث قال بعد أن نقل إجماع علماء الإمامية على عقيدة التحريف: نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسي ، وحكوا أن ما بين دفتي هذا المصحف هو القرآن لا غير ، ولم يقع فيه تحريف ولا تبديل ، والظاهر أن هذا القول صدر منهم لأجل مصالح كثيرة: منها سد باب الطعن عليها ، بأنه إذا جاز هذا في القرآن ، فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه ، مع جواز لحوق التحريف لها ، كيف هؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت إلى هذا [(٥٣٥)] ، وبهذا يظهر أن القول بتحريف القرآن واعتقاد تغييره وتبديله هو محل إجماع علماء الشيعة الراضية قاطبة ، كما حقق ذلك الطبرسي في فصل الخطاب ، ودلت عليه النقول السابقة عن كبار علمائهم ، وأنه لم يخالف في هذه العقيدة أحد من علمائهم ، حتى وقت تأليف فصل الخطاب إلا أربعة منهم حملهم على ذلك التقية والمدارة للمخالفين ، على ما نص على ذلك الطبرسي ومن قبله نعمة الله الجزائري. وكما أثبتت ذلك البحوث المعاصرة التي بحثت هذه المسألة وأيدت ذلك بذكر

شواهد كثيرة من الروايات الدالة على التحريف الواردة في كتب هؤلاء المشايخ الأربعة [(٥٣٦)] مما يدل على اعتقادهم مضمونها وموافقتهم لسائر علماء الشيعة الرافضة فيما ذهبوا إليه ، من اعتقاد تحريف القرآن وتبديله وإن أظهروا تقية ونفاقاً وخداعاً لأهل السنة [(٥٣٧)] ، ومما يدل على ما ذهبوا إليه أنه لم يتعرض واحد من هؤلاء الذين زعموا التحريف في القرآن إلى نقد من قبل الشيعة إذ ظل الكليني موضع الثقة والتبجيل والإكرام والمرجع الأول عند جميع الشيعة اليوم ورغم أن الشيعة المعاصرين أكدوا نفي التحريف عن القرآن زيادة ونقصاً ، فإننا لا نجد أحداً منهم يرد على الكليني رداً صريحاً أو يظهر عدم الثقة به أو يرفض ما ذهب

إليه ، بل أن البعض حاول بطريقة ملتوية أن يدافع عنه ويجد له المعاذير [(٥٣٨)] وإن كان هؤلاء القوم صادقين ، فعليهم أن يتبرؤوا ممن قال بتحريف القرآن الكريم ، ولا يترددون في تكفير من أنكر كلمة واحدة من القرآن ، وأن يبينوا أن جحود البعض كجحود الكل ، لأن ذلك طعن صريح فيما ثبت عن النبي (ص) بضرورة الدين واتفاق المسلمين إن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الذي لم يتطرق عليه التحريف والتبديل وذلك لأن الله تبارك وتعالى تعهد وتكفل بحفظه ، بخلاف التوراة والإنجيل ، فإن الله لم يتكفل بحفظهما ، بل استحفظ عليهما أهلها فضيعوهما ، حكى الشاطبي عن أبي عمر الداني عن أبي الحسن المنتاب قال: كنت يوماً عند القاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق ، فقيل له: لم جاز التبدل على أهل التوراة ، ولم يجوز على أهل القرآن؟ فقال القاضي: قال الله عز وجل في أهل التوراة: {بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ} [المائدة: ٤٤]. فوكل الحفظ إليهم ، فجاز التبدل عليهم ، وقال في القرآن: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ*} [الحجر: ٩] فلم يجوز التبدل عليهم ، قال علي فمضيت إلى أبي عبد الله المحاملي فذكرت له الحكاية ، فقال: ما سمعت كلاماً أحسن من هذا [(٥٣٩)] ، وقد أجمعت الأمة على مر العصور والدهور على أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد (ص) هو القرآن الموجود الآن بأيدي المسلمين ليس فيه زيادة أو نقصان ولا تغيير فيه أو تبديل ولا يمكن أن يتطرق إليه شيء من ذلك لوعده الله بحفظه وصيانته ولم يخالف في هذا إلا الشيعة الرافضة حيث زعموا أن القرآن الكريم قد حدث فيه تحريف وتغيير وتبديل ، وزعموا أن الصحابة هم الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الدنيوية ، وعقيدتهم هذه باطلة ودل على بطلانها الأدلة من القرآن الكريم ، وأقوال الأئمة من أهل البيت ، والعقل وإليك بيان ذلك:

أ. الأدلة من القرآن الكريم:

. الايات الصريحة الدالة على تكفل الله تعالى بحفظ القران ، أنه لا يمكن أن يتطرق إليه التحريف أو التبديل ؛ والايات في هذا الشأن كثيرة منها:

* قوله تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * } [الحجر: ٩].

* قوله تعالى: { وَأَنزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * } [الكهف: ٢٧].

* قوله تعالى: { لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ * } [فصلت: ٤٢].

* قوله تعالى: { الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * } [البقرة: ١ - ٢].

* قوله تعالى: { الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * } [يونس: ١].

* وقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْفَى الشَّيْطَانَ فِي أُفْمِئَتِهِ فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانَ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * } [الحج: ٥٢].

* وقوله تعالى: { لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * } [القيامة: ١٦ - ١٧].

فقد دلّت هذه الايات الكريمة على حفظ الله لكتابه الكريم وإحكامه لاياته ، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه { وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا * } [النساء: ١٢٢] ، وهذه الايات في صراحتها على حفظ الله لكتابه وصيانته من التحريف والتبديل ، حيث لا يحتاج إلى شرح أو توضيح ، كما أن ثناء الله تعالى في القران الكريم على الصحابة رضوان الله عليهم مما يؤكد كذب ما نسبته إليهم الشيعة الرافضة من دعوى تحريف القران [(٥٤٠)] ، قال تعالى: { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * } [التوبة: ١٠٠].

وقوله تعالى: { لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * } [الفتح: ١٨] وغير ذلك من الايات في مدح الصحابة التي سيأتي شرحها وبيانها في موضعه . بإذن الله تعالى ..

وبعد إيراد هذه الايات بقسميها المتقدمين ؛ نقول للشيعة الرافضة: إن قولكم بتحريف القران تعارضه هذه الايات الكريمة ، التي أكد الله تعالى فيها أن هذا القران لم يحرف ولن يحرف ؛ لأنه هو الذي تكفل بحفظه وصيانته عن التحريف والتبديل ، كما أثنى على صحابة نبيه (ص) الذين اهتمموهم بالتحريف ، ووصفهم بالصدق ، والإيمان بالله ورسوله ، وزكاهم أعظم تزكية ، فيلزمكم تجاه هذه الايات ، إما أن

تعترفوا وتقرؤا أن هذه الايات جاءت من الله تعالى ، فعند ذلك لا يسعكم إلا قبولها ، واعتقاد ما دلت عليه ، من سلامة القران الكريم من التحريف والتبديل ، وإما أن تنكروا أنها من الله فهذا كفر بالله بإجماع المسلمين ، إذ من أنكر اية واحدة في القران واعتقد عدم صحة نسبتها إلى الله ؛ فهو كافر بإجماع المسلمين [(٥٤١)].

ب . الأدلة من أقوال أئمتهم:

فقد جاءت روايات كثيرة عن أئمتهم الذين يعتقدون عصمتهم ، يَحْتُونُ فيها الشيعة على التمسك بكتاب الله ، وردّ كل شيء إلى الكتاب والسنة ؛ ومن هذه الروايات: ما جاء عن موسى بن جعفر: أنه سئل: أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ، أو تقولون فيه؟ فقال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه (ص) [(٥٤٢)]. وجاء عن أبي عبد الله أنه قال: من خالف كتاب الله وسنة نبيه محمد (ص) فقد كفر [(٥٤٣)]. وعن أبي جعفر أنه قال: إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله (ص) ، وجعل لكل شيء حداً ، وجعل عليه دليلاً يدل عليه [(٥٤٤)] ، وعن أبي عبد الله قال: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة [(٥٤٥)].

والمأمل لهذه الروايات يخرج بفائدتين مهمتين: .

* أن الأئمة من آل البيت كانوا يعتقدون كغيرهم من سلف الأمة صحة القران الكريم ، وإلا لم يطلبوا من تلاميذهم التمسك بكتاب الله وسنة نبيه (ص) ونبذ ما سواهما ، ثم إخبارهم إياهم أنه ما من شيء إلا وهو في كتاب الله والسنة ، وأنه ليس عندهم إلا ما فيهما.

* أن الروايات المنسوبة إليهم من القول بتحريف القران لم يقولوها ، بل هم بُراءٌ منها وممن افتراها [(٥٤٦)].

ج . الأدلة العقلية:

وكما دلّ النقل على بطلان دعوى الرافضة في تحريف القران الكريم ، فإن العقل يدل على بطلان دعواهم تلك ، وذلك لما يترتب على القول بتحريف القران من المفساد

العظيمة التي يستلزم منها الطعن في الله تبارك وتعالى ، وفي النبي (ص) ، وصحابته رضوان الله عليهم ، والأئمة من آل البيت الأطهار ، فالقول بتحريف القران يستلزم الطعن في الله تعالى واتهامه بعدم الوفاء بوعدده بحفظ القران من التحريف ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ويستلزم الطعن في النبي (ص) ؛ حيث إنه لم يبلغ القران الكريم البلاغ الكامل ، بل خصّ علياً رضي الله عنه بكثير من الايات التي لم

يطلع عليها غيره ، ويستلزم الطعن في الصحابة الذين حرفوا القرآن من أجل مصالحهم الخاصة على حسب ما يدعيه الشيعة الرافضة ، ويستلزم الطعن في علي والأئمة من بعده ، وذلك لأنهم لم يسلموا القرآن الذي معهم . على حد زعم الشيعة الرافضة . إلى الناس ويدعوهم إليه ، وهذا كتم لكتاب الله ، وقد توعده الله على ذلك بقوله: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّائِقُونَ * } [البقرة: ١٥٩].

ولو كان للشيعة الرافضة اعتراف بالأدلة العقلية ، لكانت هذه اللوازم الفاسدة المترتبة على تلك العقيدة الخبيثة أكبر رادع لهم للإقلاع على هذه العقيدة ، والتوبة إلى الله من كل ما افتروه عليه وعلى نبيه (ص) وصحابة نبيه الكرام ، وأهل البيت الأطهار [٥٤٧].

٢ . اعتقادهم أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

قال الكليني صاحب (أصول الكافي) والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة [٥٤٨] ، يروي ما نصه: .. أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن علياً كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله [٥٤٩]. كما توجد هذه المقالة في طائفة من كتبهم المعتمدة كرجال الكشي [٥٥٠] ، وعلل الشرائع [٥٥١] ، والمحاسن [٥٥٢] ، ووسائل الشيعة [٥٥٣] ، وغيرها. وكيف يقال مثل هذا في كتاب أنزله الله سبحانه ليكون هداية للناس { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } [الإسراء: ٩]!؟.

قال الخليفة الراشد عليّ . رضي الله عنه :- كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر

ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو الحبل المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم [٥٥٤] .

وقال ابن عباس . رضي الله عنهما :- تضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية: { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ

وقد جاء في كتب الشيعة نفسها عن أهل البيت ما ينقض هذه المقولة في بعض مصادرهم المعتمدة ، فقد جاء فيها: ... فإذا التبتت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ، فعليكم بالقران ، فإنه شافع مشفع

، من جعله إمامه قاده إلى الجنة ، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار ، وهو الدليل يدل على خير سبيل [(٥٥٥)] .

وفي (تهج البلاغة) المنسوب لعلي . رضي الله عنه . ، وهو الذي عند الشيعة من أوثق المراجع ؛ جاء النص التالي: فالقران امر زاجر، وصامت ناطق ، حجة الله على خلقه [(٥٥٦)] .

ولهذه النصوص شواهد أخرى ، وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم ، فرواياتهم . كما ترى . يعارض بعضها بعضاً ، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجاً خطيراً ، وهو الأخذ بما خالف العامة . وهم أهل السنة عندهم ، والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصدّ الشيعة عن كتاب الله سبحانه ، ويضلهم عن هدى الله ، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القران بوجود القيم ، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر ؛ لأن القران فسر لرجل واحد وهو علي ، وقد انتقل علم القران من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر ، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده ، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر ، وهو غائب مفقود عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً ، ومعدوم عند طوائف من الشيعة

وغيرهم ، فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القران بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها: أن الاحتجاج بالقران متوقف لغياب قيّمه أو عدمه ، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله ، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال ، لأن الحجة في قول الإمام فقط ، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ ! وحسبك بهذا الضلال والإضلال عن صراط الله ، وتلك ليست نهاية التامر على كتاب الله ، وعلى الشيعة ، ولكنها حلقة من حلقات ، ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات ، تريد أن تبعد الشيعة عن كتاب الله عز وجل [(٥٥٧)] .

إن مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القران الكريم لم يكن سرّاً تتوارثه سلالة معينة ، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله (ص) ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القران عن رسول البشرية محمد (ص) ونقله إلى الأجيال كافة، ولكن الشيعة تخالف هذا الأصل ، وتعتقد أن الله سبحانه قد اختصّ أئمتهم الاثني عشر بعلم القران كله ، وأنهم اختصوا بتأويله ، وأن من طلب علم القران من غيرهم فقد ضل [(٥٥٨)] ، وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة ، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ ؛ فهو القائل: بأن القران جزء من تسعة أجزاء ، وعلمه عند علي [(٥٥٩)] .

وقد استفاد ذكر هذه المقالة في كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات:

أ . جاء في (أصول الكافي) في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: إن الناس يكفيهم القرآن لو وجدوا له مفسراً ، وإن رسول الله - (ص) . فسر له لرجل واحد ، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب [(٥٦٠)] .

وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم: أن رسول الله (ص) قال: إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل ، ومن يتغي علمه عند غير علي هلك [(٥٦١)] .

وزعمت أيضاً كتب الشيعة أن أبا جعفر قال: يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال:

هكذا يزعمون ، قال أبو جعفر - رضي الله عنه -: بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم... إلى أن قال: ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به [(٥٦٢)] .

ورواياتهم في هذا الباب كثيرة جداً ، وربما تستغرق مجلداً ، وكلها تحوم حول معنى واحد وهو اختصاص الأئمة الاثني عشر بعلم القرآن ، وأنه مخزون عندهم وبه يعلمون كل شيء [(٥٦٣)] .

والرد على ذلك كما قال الله تعالى لمن طلب اية تدل على صدق الرسول: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ} [العنكبوت: ٥١] ؛ فالقرآن الكريم العظيم هو الشاهد والدليل والحجة ، ومن ابتغى علم القرآن من القرآن ، أو من سنة المصطفى (ص) ، أو من صحابة رسول الله (ص) بما فيهم علي فقد اهتدى .

والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك ليس من دين الإسلام ، وهو مما علم بطلانه من الإسلام بالضرورة ، فلم يخص النبي (ص) أحداً من الصحابة بعلم الشريعة دون الآخرين ، قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤] ، فالاية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ، ولو كانوا أهل بيته ، وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون خصه رسول الله (ص) بعلم دون الناس [(٥٦٤)] .

وقد خاطب النبي (ص) الصحابة ومن بعدهم ، ورجبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحداً منهم ، فقال (ص): «نصّر الله أمراً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» [(٥٦٥)] . وقد روت هذا الحديث كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية المعتمدة [(٥٦٦)] ، فيكون حجة عليهم .

وأما الدعوة بأن القرآن الكريم لم يخاطب به سوى الأئمة الاثني عشر ، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم . إنما يعرف القرآن من خوطب به [(٥٦٧)]. وبهذا الفهم السقيم يعتبر صحابة رسول الله والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد هلكوا وأهلكوا . على

حد زعمهم . بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله ، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته ، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها ، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء ، ومنه ما لا يعلمه إلا الله [(٥٦٨)] ، فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة ، وأنهم يعرفون القرآن كله وهذه دعوة تفتقر إلى الدليل ، وزعم يكذبه العقل والنقل ؛ فمما يجب أن يعلم: أن النبي (ص) بيّن لأصحابه معاني القرآن ، كما بين لهم ألفاظه ، فقوله تعالى: {لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤] . يتناول هذا وهذا . وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن . كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود وغيرهما . أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي (ص) عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً [(٥٦٩)] .

ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة ، وذلك أن الله تعالى قال: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص: ٢٩] ، وقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ} [النساء: ٨٢] ، وقال: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون: ٦٨] . وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن ، وكذلك قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} * [يوسف: ٢] . وعقل القرآن متضمن لفهمه ، ومن المعلوم: أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه ، فالقرآن أولى .

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة، وخرجت عن القول بكل ما فيها ، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنا عشر ، بل يشاركونهم غيرهم فيها، أما بواطن الايات فمن اختصاص الأئمة . وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الأخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه [(٥٧٠)] .

إن دعوى القرآن لم يفسر إلا لعلي مخالفة لقول الله سبحانه: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} * [النحل: ٤٤] . فالبيان للناس لا لعلي وحده . كما سبق . ؛ فليس لمن قال لهذه المقالة إلا أحد طريقتين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه ، وإما أن يكذب القرآن ، وهي

مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة ، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهاار عدد كبير من صحابة

رسول الله (ص) بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وزيد بن ثابت وغيرهم . وكان علي . رضي الله عنه . يثني على تفسير ابن عباس [(٥٧١)] .

وقال ابن تيمية . رحمه الله .: وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي ، وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة ؛ يروي عن عمر ، وأبي هريرة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعن زيد بن ثابت ، وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار ، وروايته عن علي قليلة جداً ، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن علي ، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم... وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي ، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالاثار عن الصحابة والتابعين ، والذي منها عن علي قليل جداً ، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر [(٥٧٢)] ، وقد تحدث جعفر بولع الناس بالكذب عليه .

إن قولهم بأن علم القرآن انفراد بنقله علي يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال ، لأنه لم ينقلها . على حد زعمهم . عن رسول الله إلا واحد وهو علي . رضي الله عنه . ، فهذه المقالة مؤامرة ، الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره ، واستلهاام هديه ، والتفكر في عبره ، والتأمل في معانيه ومقاصده فالقران في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر ، أما غيرهم فمحروم بالانتفاع به ، وهي محاولة أو حيلة مكشوفة الهدف ، مفضوحة القصد ، لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين ، وخوطب به الناس أجمعون: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * } [يوسف: ٢] ، { هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * } [ال عمران: ١٣٨] .

وأمر الله عباده بتدبره ، والاعتبار بأمثاله ، والاتعاظ بمواعظه ، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من البيان والكلام [(٥٧٣)] ، وهي محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن ، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله والسلف والأئمة .

فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها في دين الشيعة ، لأنها ليست واردة عن

الأئمة الاثني عشر ، وقد صرح بذلك بعض شيوخهم المعاصرين فقال: إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها [(٥٧٤)] ، لقد حاولت كتب التفسير المعتمدة عندهم كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان ، وكتب الحديث كالكاافي والبحار تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله ، وتأويل منحرف لآياته ، وتعسف بالغ في تفسيره ، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت ، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ ، ولا بمفهومها ولا بالسياق القرآني . كما سيأتي أمثلة على ذلك بإذن الله . ، وبناء على هذه العقيدة ؛ أن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت ، وفي ذلك من الزرابة عليهم ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم [(٥٧٥)] .

٣ . اعتقادهم بأن للقران معاني باطنة تخالف الظاهر:

ذهب الشيعة إلى أن للقران ظاهراً وباطناً ، وأن الناس لا يعلمون إلا الظاهر ، وأما الباطن فلا يعلمه إلا الأئمة ومن يستقي منهم ، ويمثل هذه الأفكار فتح الشيعة الباب للزنادقة والملحدون وأصحاب الأهواء والمذاهب الهدامة لكي يتلاعبوا بالقران، وحاولوا جميعاً الكيد له ، وأرادوا أن يطفئوا نور الإسلام بأفواههم ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون ، وقد استغل الشيعة فكرة الظاهر والباطن هذه ، وحاولوا بها تفسير القران لكي يوافق معتقداتهم ويخدم مذهبهم في الإمامة ، كما اتخذوا القران تكأة للهجوم على الصحابة رضي الله عنهم وتجريحهم في الوقت الذي يمجدون فيه أهل البيت وينسبون إليهم أشياء يدفعونها هم عن أنفسهم ، وقد أتى الشيعة الرافضة في هذا الباب براء تخالف كل ما أثر في تفسير القران، ولا يسندها أثر ولا عقل ولا لغة ولا منطق [(٥٧٦)] .

إن جذور التأويل الباطني نبتت في أروقة السبئية ، لأن ابن سبأ حاول أن يجد لقوله بالرجعة مستنداً من كتاب الله بالتأويل الباطل وذلك حينما قال: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع. وقد قال الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ} [القصص: ٨٥] [(٥٧٧)] . وقد نقلت لنا بعض كتب أهل السنة نماذج من

تأويلات الشيعة لكتاب الله ، ولكن ما انكشف لنا اليوم أمر خطير على عقائد الناس وفكرهم وثقافتهم ، فقد تحدث الإمام الأشعري [(٥٧٨)] ، والبغدادي [(٥٧٩)] ، والشهرستاني [(٥٨٠)] ، وغيرهم يحكون عن المغيرة بن سعيد . أحد الغلاة باتفاق السنة والشيعة . والذي تنسب إليه الطائفة المغيرية: أنه ذهب في تأويل الشيطان في قول الله جل شأنه: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ }

[الحشر: ١٦] بعمر بن الخطاب - رضي الله عنه ! وهذا التأويل بعينه قد ورثته الاثنا عشرية ، ودونته في مصادرها المعتمدة ، حيث جاء في تفسير العياشي [٥٨١] ، والصافي [٥٨٢] ، والقمي [٥٨٣] ، والبرهان [٥٨٤] ، وبحار الأنوار [٥٨٥] ، عن أبي جعفر في قول الله: { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ } [إبراهيم: ٢٢] قال: هو الثاني ، وليس في القرآن شيء وقال الشيطان ؛ إلا وهو الثاني ، فكانت كتب الاثني عشرية تزيد على المغيرية بوضع هذا الانحراف في كتاب الله قاعدة مطردة [٥٨٦]. فهذه الروايات التي تسندها كتب الشيعة الاثني عشرية إلى أبي جعفر الباقر هي من أكاذيب المغيرة بن سعيد وأمثاله ، فقد ذكر الذهبي عن كثير النواء [٥٨٧] ، أن أبا جعفر قال: برأى الله ورسوله من المغيرة بن سعيد ، وبيان بن سمعان ؛ فإنهما كذبا علينا أهل البيت [٥٨٨] ، وروى الكشي في رجاله عن أبي عبد الله قال: لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا [٥٨٩] ، وساق الكشي روايات عديدة في هذا الباب [٥٩٠].

ويلاحظ أنه اتفق كل من الأشعري ، والبغدادي ، وابن حزم ، ونشوان الحميري على أن جابر الجعفي الذي وضع أول تفسير للشيعة على ذلك النهج الباطني كان خليفة المغيرة بن سعيد [٥٩١] الذي قال: بأن المراد بالشيطان في القرآن هو أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - ؛ فهي عناصر خطيرة يستقي بعضها من بعض عملت على فساد التشيع [٥٩٢].

وحين احتج شيخ الشيعة في زمنه - والذي إذا أطلق لقب العلامة عندهم انصرف إليه (ابن المطهر الحلبي) - على استحقاق علي للإمامة بقوله: «البرهان الثلاثون: قوله تعالى: { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ *بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * } [الرحمن: ١٩ - ٢٠] ، قال: علي وفاطمة ، {بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * } (ص) ، الحسن {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ * } ، فحينما احتج ابن المطهر بذلك قال ابن تيمية - رحمه الله -: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول ، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير القرآن ، وهو من جنس تفسير الملاحدة والقرامطة الباطنية للقران ، بل هو شر من كثير منه ، والتفسير بمثل هذا طريق للملاحدة على القرآن والطعن فيه ، بل تفسير القرآن بمثل هذا من أعظم القدح فيه والطعن فيه [٥٩٣] وهذه أمثلة من تحريف الشيعة الرافضة لآيات القرآن الكريم ، وذلك بفتحهم التفسير الباطني للقران الكريم على مصراعيه:

أ - تحريفهم معنى التوحيد الذي هو أصل الدين إلى معنى اخر هو ولاية الإمامة:

فمن أبي جعفر أنه قال: ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراءة من عدونا [(٥٩٤)] ، وذلك قوله الله في كتابه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦].

ب - تحريفهم معنى الإله إلى معنى الإمام:

ففي قوله تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [النحل: ٥١]. قال أبو عبد الله: يعني بذلك: ولا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد [(٥٩٥)].

ج - تحريفهم معنى الرب في القرآن إلى معنى الإمام:

ففي تفسير قول الله تعالى: {وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا}* [الفرقان: ٥٥]. قال القمي في تفسيره: الكافر: الثاني (يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان على أمير المؤمنين علي عليه السلام ظهيراً) [(٥٩٦)]. وقال الكاشاني في البصائر: الباقر عليه السلام: أنه سئل عن تفسير هذه الآية فقال: إن تفسيرها في بطن القرآن: علي هو ربه في الولاية [(٥٩٧)].

د - تحريفهم معاني الكلمة إلى معاني الأئمة:

فقالوا في تفسير قول الله تعالى: {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ أَفْضَلُ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ} [الشورى: ٢١]. الكلمة: الإمام [(٥٩٨)] ، وقوله سبحانه: {لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} [يونس: ٦٤]. قالوا: لا تفسير للإمامة [(٥٩٩)].

هـ - تحريفهم معاني المسجد والكعبة والقبلة إلى معاني الأئمة:

فقالوا في تفسير قول الله تعالى: {وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٢٩] قال: يعني الأئمة [(٦٠٠)] ، وفي رواية: {حُدُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف: ٣١] ؛ قال: يعني الأئمة [(٦٠١)]. وفي قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}* [الجن: ١٨]. قال: إن الإمام من آل محمد فلا تتخذوا من غيرهم إماماً [(٦٠٢)] ، ويقول الصادق عنهم: .. نحن البلد الحرام ، ونحن كعبة الله ، ونحن قبلة الله [(٦٠٣)]. والسجود: هو ولاية الأئمة ، وبهذا يفسرون قوله تعالى: {كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ}* [القلم: ٤٣] ، حيث قالوا: يدعون إلى ولاية علي في الدنيا [(٦٠٤)].

و - تحريفهم معاني التوبة في القرآن إلى الرجوع عن ولاية أبي بكر وعمر وعثمان إلى ولاية علي وحده:

ففي قوله سبحانه: {فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ} [غافر: ٧]. جاء تأويلها عندهم في ثلاث روايات : تقول الأولى: من ولاية فلان وفلان (يعنون {فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا} بكر وعمر وبني أمية) ، وتقول الرواية الثانية: من ولاية الطواغيت الثلاثة: (يعنون: {فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا} بكر وعمر وعثمان) من بني أمية ، يعني ولاية {وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ} ، وتقول الثالثة: من ولاية هؤلاء وبني {فَاعْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا} ، هو أمير المؤمنين

وهذا قليل من كثير من تأويلاتهم الباطلة ، فقد قامت مصادرهم في التفسير . غالباً . على هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استتته من أبي الخطاب وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغيرهم من الغلاة . ويلاحظ أنه في القرن الخامس بدأ اتجاه التفسير عندهم يحاول التخلص من تلك النزعة المفرقة في التأويل الباطني ، حيث بدأ شيخ الطائفة عندهم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ) يؤلف لهم كتاباً في التفسير ، يحاول فيه أن يتخلص أو يخفف من ذلك الغلو الظاهر في تفسير القمي والعياشي وفي أصول الكافي وغيرها ، وهو وإن كان يدافع عن أصول طائفته ويقرر مبادئهم المبتدعة ، إلا أنه لا يهبط ذلك الهبوط الذي نزل إليه القمي ومن تأثر به ، ومثل الطوسي في هذا النهج الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان ، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك حيث يقول: الطوسي ومن معه في تفسيرهم يأخذون من تفسير أهل السنة ، وما في تفاسيرهم من علم يستفاد إنما هو مأخوذ من تفاسير أهل السنة [٦٠٦].

سادساً: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام:

يقف الشيعة الرافضة من أصحاب النبي (ص) موقف العداوة والبغضاء والحقد والضغينة ، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة التي تزخر بها كتبهم

القديمة والحديثة ، فمن ذلك اعتقادهم؛ كفرهم وردتهم إلا نفرأ يسيراً منهم ، على ما جاء مصرحاً بذلك في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم وأوثقها عندهم ، فقد روى الكليني عن أبي جعفر: أنه قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي (ص) إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، رحمة الله وبركاته عليهم ، ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبائعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرهاً فبايع [٦٠٧].

- وقال نعمة الله الجزائري: الإمامية قالوا بالنص الجلي على إمامة علي ، وكفروا الصحابة ، ووقعوا فيهم ، وساقوا الإمامة إلى جعفر الصادق وبعده إلى أولاده المعصومين عليهم السلام ، ومؤلف هذا الكتاب من هذه الفرقة وهي الناجية إن شاء الله [٦٠٨] .

وقدح الشيعة الرافضة في الصحابة لا يقف عند هذا الحد من اعتقاد تكفيرهم وردتهم ، بل يعتقدون أنهم شر خلق الله ، وأن الإيمان بالله ورسوله لا يكون إلا بالتبرؤ منهم ، وخاصة الخلفاء الثلاثة: أبا بكر وعمر وعثمان ، وأمّهات المؤمنين [٦٠٩] .

- يقول محمد باقر المجلسي: وعقيدتنا في التبرؤ: أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، ومعاوية ، والنساء الأربع: عائشة ، وحفصة ، وهند ، وأم الحكم ، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم ، وأنهم شر خلق الله على وجه الأرض ، وأنه لا يتم الإيمان بالله ورسوله والأئمة إلا بعد التبرؤ من أعدائهم [٦١٠] .

وقد بلغ من حقد هؤلاء على أصحاب النبي (ص) : استباحة لعنهم ، بل تقرّبهم إلى الله بذلك أمراً يفوق الوصف ، فقد روى الملا كاظم عن أبي حمزة الثمالي - افتراء على زين العابدين رحمه الله - أنه قال: من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له سبعين ألف ألف درجة ، من أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب له مثل ذلك ، قال: فمضى مولانا علي بن الحسين ، فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر ، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك ، قال:

هات يا ثمالي ، فأعدت عليه الحديث. فقال: نعم يا ثمالي. أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي. فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي ، ومن أمسى ولعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح [٦١١] .

ومن الأدعية المشهورة عندهم الواردة في كتب الأذكار: دعاء يسمونه دعاء صنمي قريش (يعنون بهما: أبا بكر وعمر) وينسبون هذا الدعاء ظلماً وزوراً لعلي - رضي الله عنه - ؛ وهو يتجاوز صفحة ونصف وفيه: اللهم صلّ على محمد وال محمد ، والعن صنمي قريش وجبتيهما وطاغوتيها وإفكيهما ، وابنتيهما اللذين خالفا أمرك ، وأنكرا وحيك ، وجحدا إنعامك ، وعصيا رسولك ، وقلبا دينك ، وحرفا كتابك... إلى أن جاء في اخره :: اللهم العنهما في مكنون السر ، وظاهر العلانية ، لعناً كثيراً أبداً ، دائماً سرمداً ، لا انقطاع لأمره ولا نفاذ لعدده ، لعناً يعود أوله ولا يروح اخره ، لهم ولأعوانهم ،

وأَنْصارهم ومحببهم ومواليهم ، والمسلمين لهم ، والمائلين إليهم ، والناهضين باحتجاجهم ، والمقتدين بكلامهم ، والمصدقين بأحكامهم . (قل أربع مرات): اللهم عذبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار ، أمين رب العالمين [(٦١٢)].

هذا الدعاء مرغّب فيه عندهم ، حتى إنهم رَووا في فضله نسبة إلى ابن عباس أنه قال: إن علياً . عليه السلام . كان يقنت بهذا الدعاء في صلواته ، وقال: إن الداعي به كالرامي مع النبي (ص) في بدر ، وأحد ، وحنين ، بألف ألف سهم [(٦١٣)].

ولهذا كان هذا الدعاء محل عناية علمائهم ، حتى إن أغا بزرك الطهراني ذكر أن شروحه بلغت العشرة [(٦١٤)].

فهذا ما جاء في كتبهم القديمة وعلى ألسنة علمائهم المتقدمين ، أما المعاصرون منهم فهم على عقيدة سلفهم سائرون وبها متمسكون ، فهذا إمامهم المقدس وإيتهم العظمى الخميني . يقول في كتابه (كشف الأسرار): إننا هنا لا شأن لنا بالشيخين ، وما قاما به من مخالفات للقران ، ومن تلاعب بأحكام الإله ، وما حللاه وحرماه من عندهما ،

وما مارساه من ظلم ضد فاطمة ابنة النبي (ص) وضد أولادها ، ولكننا نشير إلى جهلها بأحكام الإله والدين [(٦١٥)].

ويقول عن الشيخين . رضي الله عنهما :: وهنا نجد أنفسنا مضطرين على إيراد شواهد من مخالفتها الصريحة للقران لثبت بأنهما كانا يخالفان ذلك [(٦١٦)].

ويقول متهمهما بتحريف القران: لقد ذكر الله ثماني فئات تستحق سهماً من الزكاة ، لكن أبا بكر أسقط واحدة من هذه الفئات ، بإيعاز من عمر ولم يقل المسلمون شيئاً [(٦١٧)]. . ويقول: الواقع أنهم أعطوا الرسول حق قدره... الرسول الذي كدّ وجد وتحمل المصائب من أجل إرشادهم وهدايتهم وأغمض عينيه وفي أذنيه كلمات ابن الخطاب القائمة على الفرية والنابعة من أعمال الكفر والزندقة [(٦١٨)].

وقد خرجت أصوات شيعية معاصرة تدعو للتقارب بين الشيعة وأهل السنة ، وتزعم أنها تقدر الصحابة ، كالخنيزي ، وأحمد مغنية ، والرفاعي ، ومحمد جواد مغنية ، فعليهم أن يعلنوا موقفهم في تقديمهم للصحابة في الأوساط الشيعية ، وأن يعملوا على تنقية التراث الشيعي من كل ما يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، وأن يتصدوا لمشايخ الشيعة المعاصرين الذين لا يزالون يهدون في هذا الضلال ، وألا يتجاهلوا

ما جاء في كتبهم قديماً وحديثاً ، وما يجري في واقعهم من عوامهم وشيوخهم ، وأن يصدقوا ولا يتناقضوا ، حتى يقبل منهم موقفهم [(٦١٩)].

إن عقيدة الشيعة الرافضة في الصحابة موجودة في أصول كتبهم التي يقوم عليها المذهب من مطاعن ، وسباب ، وشتائم بذيمة يتنزه أصحاب المروءة والدين عن إطلاقها على أكفر الناس ، بينما تنشرح بها صدور الشيعة الرافضة ، وتسارع بها ألسنتهم في حق أصحاب رسول الله وخلفائه ووزرائه وأصحابه ، ويعدون ذلك ديناً يرجون عليه من الله أعظم الأجر والثوبة ، وفي الحقيقة: إن المسلم إذا ما تأمل حال هؤلاء الناس وما هم عليه من بعد وضلال فإنه لا بد له من موقفين:

أ . موقف استشعار نعمة الله ، وعظم لطفه ، وسابغ كرمه أن أنقذه من هذا الضلال ، الأمر الذي يستوجب شكراً لله على ذلك.

ب . موقف الاعتاض والاعتبار ، بما بلغ بهؤلاء القوم من زيغ وانحراف ، يعلمه من له أدنى ذرة من عقل ، كتقربهم إلى الله بلعن أبي بكر وعمر صباحاً ومساءً ، وزعمهم أن من لعنهما لعنة واحدة لم تكتب عليه خطيئة يومه.

وذلك أن عامة العقلاء من هذه الأمة ، بل ومن أصحاب الملل السماوية يدركون إدراكاً ضرورياً من دين الله ، أن الله ما تعبد أمة من الأمم بلعن أحد من الكفار ، ولو كان من أكفر الناس ، بل ما تعبدهم بلعن إبليس اللعين المطرود من رحمة الله صباحاً ومساءً ، في أورد مخصصة تقربنا إلى الله كما تتقرب الشيعة الرافضة بلعن أبي بكر وعمر.

بل إني لا أعلم [(٦٢٠)] ، فيما اطلعت عليه من كتب الرافضة أنفسهم . أنها تضمنت دعاء مخصوصاً أو غير مخصوص في لعن أبي جهل ، أو أمية بن خلف ، أو الوليد بن المغيرة الذين أشد الناس كفراً بالله وتكذيباً لرسوله (ص) ، بل ولا في لعن إبليس ، في حين أن كتبهم تمتلأ بالروايات في لعن أبي بكر وعمر ، كما في دعاء صنمي قريش وغيره، ففي هذا عبرة لكل معتبر فيما يبلغ بالعبد من الضلال إن هو أعرض عن شرع الله ، واتبع الأهواء والبدع ؛ كيف يزين له سوء عمله وقبيح أفعاله حتى يصبح لا يعرف معروفاً من منكر ، ولا يميز حقاً من باطل ، بل يتخبط في الظلمات ، ويعيش سكرة الشهوات ، وهذا ما أخبر الله عنه في كتابه وبين حال أصحابه [(٦٢١)] في قوله: { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } [فاطر: ٨]. وقال: { الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * } [الكهف: ١٠٤]. وقال تعالى: { قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ

فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرِّحْمَانُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا العَدَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا * { [مریم: ٧٥].

١ . نماذج للمزاجية في تفسير الايات عند الشيعة الراضية: المتعلقة بردة الصحابة . على حد زعمهم .
والرد على باطلهم:

أ . اية ال عمران:

استدل الشيعة الراضية بقول الله تعالى في كتابه العزيز: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُوهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ * } [آل عمران: ١٤٣ .

١٤٤]. أن هذه الاية يزعمون أنها صريحة في الدلالة على انقلاب الصحابة بعد رسول الله ، وعد الصحابة المنقلبين على أعقابهم هم الكثرة الغالبة من الصحابة ، فيما ثبت من الصحابة قلة قليلة وهي الفئة التي ترى الشيعة الراضية ثبوتها على الإسلام ، وهؤلاء الثابتون هم الشاكرون ، ولا يكونون إلا قلة كما قال تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنَ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ * } [سبأ: ١٣] والمهم عندهم أن اية الانقلاب تقصد الصحابة مباشرة ، الذين يعيشون مع رسول الله في المدينة ، وترمي إلى الانقلاب مباشرة بعد وفاته دون فعل [٦٢٢] ، وقد حوّلوها وطبقوها على ما حدث في سقيفة بني ساعدة عندما انتخب الصحابة الكرام أبا بكر الصديق رضي الله عنهم . والرد على هذا الكذاب العظيم كالآتي:

. روى الطبري في تفسيره بسنده عن الضحاک قال في قوله تعالى: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ } [آل عمران: ١٤٤]: ناس من أهل الارتياب والمرضى والنفاق ، قالوا يوم فر الناس عن نبي الله (ص) ، وشج فوق حاجبه ، وكسرت رباعيته: قتل محمد فالحقوا بدينكم الأول ، فذلك قوله: { أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ } [آل عمران: ١٤٤] [٦٢٣].

وروي أيضاً عن ابن جرير قال: قال أهل المرضى والارتياب والنفاق ، حين فرّ الناس عن النبي (ص) :
قد قتل محمد ، فالحقوا بدينكم الأول ، فنزلت هذه الاية [٦٢٤] .

فالمقصود بالانقلاب على الأعقاب في الاية هو: ما قاله المنافقون لما أشيع في الناس أن رسول الله (ص) قتل ، وهو قولهم: ارجعوا إلى دينكم الأول. ولم تكن هذه الاية فيمن ارتد بعد موت النبي (ص) وإن كانت هي حجة عليهم ، مع أنها إن كانت فيمن ارتد بعد موت النبي (ص) لكانت أظهر في الدلالة على براءة أصحاب النبي (ص) من المرتدين ، فإنهم هم الذين قاتلوهم ، وأظهر الله دينه على أيديهم ،

وخذل المرتدين بجرهم لهم ، فرجع منهم من رجع إلى الدين ، وهلك من هلك على رده ، وظهر فضل الصديق والصحابة بمقاتلتهم لهم [(٦٢٥)] ، ولهذا ثبت عن علي . رضي الله عنه . أنه كان يقول في قوله تعالى :

{ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * } [آل عمران: ١٤٤] : الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه [(٦٢٦)] ، وكان يقول: كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحياء الله ، وكان أشكرهم وأحبهم إلى الله [(٦٢٧)] . لقد كانت لموقعة أحد ظروفها الخاصة وملابساتها ، ولذلك جاءت الايات الكريمة في سورة ال عمران وفقاً لتلك الظروف والملابسات ، واستخدام الاية الكريمة للاستدلال على وقائع أخرى كحادثة السقيفة أو موقعة الجمل لا يخلو من غرابة ومن مزاجية ، لا تمت بصلة للمنهجية العلمية ، وتعتبر هذه الاية من أكبر الدلائل على عظم إيمان أبي بكر وحكمته وتفانيه في الدفاع عن دين الله ، فموقفه الثابت يوم أن توفي رسول الله (ص) خير شاهد على ذلك.. يوم أن وقف وقفته الثابتة مخاطباً الناس بعدما أصابهم الوهن والضعف على فقد رسول الله (ص) فقال: إن الله عز وجل يقول: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * } [الزمر: ٣٠] ويقول: { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * } [آل عمران: ١٤٤] ، فمن كان يعبد الله عز وجل فإن الله عز وجل حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات [(٦٢٨)] .

وموقفه الصارم من الذين ارتدوا على أعقابهم واستبدلوا الإيمان بالكفر ، فاتبعوا مسيلمة ، وسجاح وطليحة بن خويلد والأسود العنسي وأمثالهم ، ومن الذين قالوا نضلي ولا نركي ، فأسقطوا شعائر الإسلام بالهوى ؛ لأروع مثال على عظمة أبي بكر والصحابة وعلى حرصهم على الدين [(٦٢٩)] . وقد وقف أمير المؤمنين علي بجانب الخليفة الراشد الصديق في جهاده ضد المرتدين ومانعي الزكاة ، أما التيجاني وشرف الدين الموسوي وفلان وفلان من أئمة علماء الشيعة الاثني عشرية فلا زالوا يدندنون حول قضية مانعي الزكاة محاولين تبرئة ساحتهم ، ورمي أبي بكر والصحابة بالمقابل بالأباطيل والردة ، فأبي ضلال ينطق به هؤلاء حين يطعنون في أصحاب رسول الله ، ويجعلون من الذين جاهدوا [(٦٣٠)] في سبيل الله ورفعة هذا الدين رموزاً للكفار والردة والنفاق؟! ولذلك لا نعجب إن علمنا مدى إكبار وإجلال الإمام أبي جعفر

محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأبي بكر الصديق ، يذكر الأربلي . في كتاب (كشف الغمة في معرفة الأئمة) عن عروة بن عبد الله أنه قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف ، فقال: لا بأس به ، قد حلّى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه ، قلت: فتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال: نعم الصديق ، نعم الصديق ، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ولا في الآخرة [(٦٣١)] ، فرحم الله الإمام أبا جعفر ، ورحم الله كلماته التي طوتها صحف الأمم ولم تنطق بها ضمائر اليوم [(٦٣٢)].

ب . اية سورة المائدة:

وقد استدلل بعض المنتطعين على ردة الصحابة و انقلابهم على أعقابهم بقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * } [المائدة: ٥٤].

إن هذه الآية التي بين أيدينا والتي يستدل بها علماء الشيعة الإثني عشرية ، على ردة الصحابة وانقلابهم على أعقابهم هي أعظم دليل على عظمة هؤلاء الصحابة وتفانيهم في الدفاع عن الإسلام ، لا على ردتهم وانقلابهم على أعقابهم [(٦٣٣)] ، فقد روى الطبري بسنده عن علي رضي الله عنه: أنه قال في قوله تعالى: { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } : بأبي بكر وأصحابه ، وعن الحسن البصري قال: هذا والله أبو بكر وأصحابه ، وعن الضحاك قال: هو أبو بكر وأصحابه ، لما ارتد من ارتد من العرب عن الإسلام جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام ، وبهذا قال قتادة وابن جريج وغيره من أئمة التفسير [(٦٣٤)].

إن الآية الكريمة تحدثت عن صفات جيل التمكين ، وبأن أهل الإيمان سيحالفهم النصر والتمكين فينالوا العزة والكرامة ، بينما سيحقيق بأهل الردة مكرهم السيأى وتغشاهم الزلة ، وهذه حقيقة يلمسها كل من قرأ التاريخ الصحيح وتجلت له عزة الصحابة وعلى رأسهم الخليفة الراشد أبي بكر ، وذل زعماء الردة، كمسيلمة والعنسي وسجاح وخيبتهم [(٦٣٥)].

إن هذه الصفات المذكورة في هذه الآية الكريمة أول من تنطبق عليه أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، وجيوشه من الصحابة الذين قاتلوا المرتدين ، فقد مدحهم الله بأكمل الصفات وأعلى المبرات ؛ فالله

سبحانه وتعالى ذكر بأنه يحبهم ويحبونه ، أدلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، وقد شرحت هذه الصفات في كتابي الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق [(٦٣٦)] ؛ فمن أراد المزيد فليرجع إليه .

ج . اية بسورة التوبة:

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * } [التوبة: ٣٨ - ٣٩] .

فقد قال بعض علماء الشيعة الرافضة: هذه الاية صريحة في أن الصحابة تناقلوا عن الجهاد ، واختاروا الركون إلى الحياة الدنيا ، رغم علمهم بأنهم متاع قليل ، حتى استوجبوا توبيخ الله سبحانه ، وتهديده إياهم بالعذاب الأليم ، واستبدل غيرهم من المؤمنين الصادقين وقد جاء هذا التهديد باستبدال غيرهم في العديد من الايات ، مما يدل دلالة واضحة على أنهم تناقلوا عن الجهاد في مرات عديدة .

فقد جاء في قول الله تعالى: { وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ * } [محمد: ٣٨] عند صاحب كتاب (ثم اهتديت): ومن البديهي المعلوم أن الصحابة تفرقوا بعد النبي (ص) واختلفوا ، وأوقدوا نار الفتنة ، حتى وصل بهم الأمر إلى القتال والحرب الدامية ، التي سببت انتكاس المسلمين وتخلفهم وأطمعت فيهم أعداءهم [(٦٣٧)] .

والرد على هذا الشيعي الرافضي كالآتي: أنه ليس في هاتين الايتين مطعن على أصحاب النبي (ص) ، وإنما فيهما حث الله تعالى الصحابة على الجهاد ، وذلك عندما أمر النبي (ص)

أصحابه في غزوة تبوك بغزو الروم ، وكان ذلك في زمن العسرة وفاقة من أصحاب النبي (ص) مع شدة الحر وبعد السفر ، فشق ذلك على بعضهم ، فنزلت الايات في الترغيب في الجهاد في سبيل الله ، والتحذير من التناقل عنه ، فاستجاب أصحاب النبي لأمر ربهم .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ } [التوبة: ٣٨]: وهذه الاية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم ، وذلك غزوة رسول الله (ص) تبوك [(٦٣٨)] .

ولا شك أن هاتين الايتين تضمنتا نوع عتاب من الله عز وجل لبعض من ثقل عليهم الخروج في الجهاد ، وهذا قطعاً لا يرد على عامة أصحاب النبي (ص) الذين استجابوا لله ورسوله بالمسارعة في الخروج في

سبيل الله وهم غالب الصحابة وأكثرهم [(٦٣٩)]. وقال ابن كثير: هذا شروع في عتاب من تخلف عن رسول الله في غزوة تبوك [(٦٤٠)].

ومعلوم أنه لم يتخلف عن النبي (ص) غزوة تبوك أحد من أصحابه من غير أهل الأعدار ، إلا ثلاثة نفر كما دل على ذلك حديث كعب بن مالك المشهور في الصحيحين [(٦٤١)] ، وهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، ومع هذا فقد ثبت بنص كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: أن الله تاب على الجميع ، وأنزل في توبته على سائر الصحابة وحياً يتلى في كتابه في قوله تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ* وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ*} [التوبة: ١١٧ - ١١٨] .

وتضمنت هذه الايات إخبار الله تعالى عن توبته على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوا الرسول (ص) في غزوة تبوك ، والتي تسمى غزوة العسرة فلم يتخلفوا عنه مع ما أصابهم فيها من الجهد والشدة والفقر ، حتى جاء في بعض الروايات: أن النفر منهم كانوا يتناولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها حتى تأتي على اخرهم [(٦٤٢)] .

كما تضمنت توبة الله على الثلاثة المخلفين ، الذين تأخروا عن رسول الله (ص) في تلك الغزوة بعد هجر النبي (ص) لهم ، وندمهم ندماً عظيماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت [(٦٤٣)] . فلم يبق بعد ذلك عذر لأحد في النيل من أصحاب النبي (ص) أو غمزههم بشيء مما قد يقع منهم ، بعد مغفرة الله لهم وتوبته عليهم ، وثنائه عليهم الثناء العظيم في كتابه ، وتركية الرسول (ص) لهم في سنته . رضي الله عنهم . [(٦٤٤)] .

وأما اقتتال الصحابة رضي الله عنهم فقد نشأ في عهد علي رضي الله عنه ، وقد تقدم الحديث عن أسباب الاختلاف بين الصحابة في الفتنة ، وبيان وجهة كل فريق ، وبراءتهم من كل ما يلصق بهم من ذلك ، وأن عامة ما صدر منهم إنما كانوا مجتهدين فيه ، ليس لأحد أن يذمهم بشيء منه وإنما الإمساك عن ما شجر بينهم والترحم عليهم هو السبيل الأمثل ، والمنهج الأقوم في حقهم ، فرضي الله عنهم أجمعين [(٦٤٥)] .

د . حديث المذادة عن الحوض:

قال رسول الله (ص) : «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم ، فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى النار والله ، قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أرى يخلص منهم إلا همل النعم» [(٦٤٦)]. فقال (ص) : «إني فرطكم على الحوض ؛ من مر عليّ شرب ، ومن شرب لم يظماً أبداً ، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم ، فأقول: أصحابي ، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول سحفاً سحفاً لمن غير بعدي» [(٦٤٧)].

يقول بعض الشيعة: فالمتنعن في هذه الأحاديث العديدة التي أخرجها علماء أهل السنة في صحاحهم ومسانيدهم ؛ لا يتطرق إليه الشك في أن أكثر الصحابة قد بدلوا وغيروا ، بل ارتدوا على أدبارهم بعده (ص) إلا القليل الذين عبر عنه بهمل النعم ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حمل هذه الأحاديث على القسم الثالث: وهم المنافقون ؛ لأن النص يقول: فأقول أصحابي ، ولأن المنافقين لم يبدلوا بعد النبي (ص) ، وإلا فأصبح المنافق بعد وفاة النبي (ص) مؤمناً [(٦٤٨)]. والرد على هذه الشبهة كالتالي ، إن أصحاب النبي (ص) مما لا يقبل النزاع في عدالتهم أو التشكيك في إيمانهم بعد تعديل العليم الخبير لهم في كتابه ، وتزكية رسوله لهم في سنته ، وثناء الله ورسوله عليهم أجمل الثناء ، ووصفهم بأحسن الصفات ، مما هو معلوم ومتواتر من كتاب الله وسنة رسوله (ص) . ويأتي بيان ذلك بإذن الله ..

ولهذا اتفق شراح الحديث من أهل السنة ، على أن الصحابة غير معينين بهذه الأحاديث وأنها لا توجب قدحاً فيهم ، قال ابن قتيبة . في معرض رده على الشيعة الرافضة في استدلالهم بالحديث على ردة الصحابة: فكيف يجوز أن يرضى الله . عز وجل . عن أقوام ويحمدهم ، ويضرب لهم مثلاً في التوراة والإنجيل ، وهو يعلم أنهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله (ص) إلا أن يقولوا: إنه لم يعلم! وهذا هو شر الكافرين [(٦٤٩)] .

وقال الخطابي: لم يرتد من الصحابة أحد ، وإنما ارتد من جفاة العرب ، ممن لا نصرة له في الدين ، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين ، وبدل القول: (أصيحابي) على قلة عددهم [(٦٥٠)]. وقال النووي في شرح بعض روايات الحديث عند قوله (ص) : «هل تدري ما أحدثوا بعدك»: هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:

أ . إن المراد به المنافقون والمرتدون ، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل ، فيناديهم النبي (ص) للسيما التي عليهم ، فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم ، إن هؤلاء بدلوا بعدك. أي: لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

ب . إن المراد من كان في زمن النبي (ص) ثم ارتد بعده فيناديهم النبي (ص) إن لم يكن عليكم سيما الوضوء لما كان يعرفه (ص) في حياته من إسلامهم ، فيقال: ارتدوا بعدك.

ج . إن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام ، وعلى هذا لا يقطع هؤلاء الذين يذادون بالنار ، يجوز أن يذادوا عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى فيدخلهم الجنة بغير عذاب [(٦٥١)].

ونقل هذه الأقوال ، أو قريباً منها ، القرطبي وابن حجر . رحمهما الله تعالى [(٦٥٢)].

ولا يمتنع أن يكون أولئك المذادون عن الحوض هم من مجموع تلك الأصناف المذكورة ، فإن الروايات محتملة لكل هذا ، ففي بعضها يقول النبي (ص) : «فأقول: أصحابي أو أصحابي» . بالتصغير . ، وفي بعضها يقول: «سيؤخذ أناس من دوبي فأقول: يا ربي مني ومن أمتي». وفي بعضها يقول: «ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني» [(٦٥٣)].

وظاهر ذلك أن المذادين ليسوا طائفة واحدة ، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة ، فإن العقوبات في الشارع تكون بحسب الذنوب ، فيجتمع في العقوبة الواحدة كل من استوجبها من أصحاب ذلك الذنب [(٦٥٤)] ، وإذا كان النبي (ص) قد بين سبب الذود عن الحوض هو الارتداد كما في قوله: إنهم ارتدوا على أديبارهم ، أو الإحداث في الدين ، كما في قوله: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك [(٦٥٥)] ، فمقتضى ذلك هو أن يذاد عن الحوض كل مرتد عن الدين سواء أكان ممن ارتد بعد موت النبي (ص) من الأعراب ، أو من كان بعد ذلك ، يشاركهم في هذا أهل الإحداث وهم المبتدعة ، وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم .

قال ابن عبد البر: كل من أحدث في الدين فهو من المطرودين عن الحوض ، كالخوارج والروافض ، وسائر أصحاب الأهواء ، قال: وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر ، قال: وكل هؤلاء يخاف عليهم أن يكونوا ممن عنوا بهذا الخبر والله أعلم [(٦٥٦)].

وقال القرطبي في التذكرة: قال علماؤنا . رحمة الله عليهم أجمعين . فكل من ارتد عن دين الله ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه ، ولم يأذن به الله ، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم ، كالخوارج على اختلاف فرقها ، والروافض على تباين ضلالها ، والمعتزلة على أصناف أهوائها ، فهؤلاء كلهم مبدلون [(٦٥٧)].

وإذا ما تقرر هذا ظهرت براءة الصحابة من كل ما يرميهم به الشيعة الرافضة ، فالذود عن الحوض ، إنما هو بسبب الردة أو الإحداث في الدين ، والصحابة من أبعد الناس عن ذلك ، بل هم أعداء المرتدّين الذين قاتلوهم وحاربوهم في أصعب الظروف وأخرجها بعد موت النبي (ص) ، على ما روى الطبري في تأريخه بسنده عن عروة بن الزبير عن أبيه قال: قد ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة في كل قبيلة ، ونجم النفاق ، واشترأت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشتائية لفقد نبيهم (ص) وقتلهم وكثرة عدوهم [(٦٥٨)].

ومع هذا تصدى أصحاب النبي (ص) لهؤلاء المرتدّين وقاتلوهم قتالاً عظيماً وناجزوهم حتى أظهرهم الله عليهم ، فعاد للدين من أهل الردة من عاد ، وقتل منهم من قتل ، وعاد للإسلام عزه وقوته وهيبته على أيدي الصحابة . رضي الله عنهم .. وكذلك أهل البدع كان الصحابة . رضوان الله عليهم . أشد الناس إنكاراً عليهم ، ولهذا لم تشتد البدع وتقوى إلا بعد انقضاء عصرهم ، ولما ظهرت بعض بوادر البدع في عصرهم أنكروها وتبرؤوا منها ومن أهلها ؛ فعن ابن عمر . رضي الله عنهما . أنه قال لمن أخبره عن مقالة القدريّة: إذا لقيت هؤلاء ، فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء ، وهم منه براء ثلاث مرات [(٦٥٩)] . ويقول البغوي ناقلاً إجماع الصحابة وسائر السلف على معاداة أهل البدع: وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا ، مجتمعين متفقين على معاداة أهل البدع ومهاجرتهم [(٦٦٠)].

وهذه المواقف العظيمة للصحابة من أهل الردة وأهل البدع ، من أكبر الشواهد الظاهرة على صدق تدينهم ، وقوة إيمانهم وحسن بلائهم في الدين ، وجهادهم أعداءه بعد موت رسول الله (ص) حتى أقام الله بهم السنة وقمع البدع ، الأمر الذي يظهر به كذب الرافضة في رميهم لهم بالردة والإحداث في الدين ، والذود عن حوض النبي (ص) ، بل هم أولى الناس بحوض نبيهم لحسن صحبتهم له في حياته وقيامهم بأمر الدين بعد وفاته ، ولا يشكل على

هذا قول النبي (ص) : «ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا

دوني» [(٦٦١)] ، فهؤلاء هم من مات النبي (ص) وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد ذلك ، كما ارتدت كثير من قبائل العرب بعد موت النبي (ص) ، فهؤلاء في علم النبي (ص) من أصحابه ، لأنه مات وهم على دينه ، ثم ارتدوا بعد وفاته ، ولذا يقال له: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك» ، وفي بعض الروايات: «إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك؛ إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري» [(٦٦٢)] .

فظاهر أن هذا في حق المرتدين بعد موت النبي (ص) ، وأين أصحاب النبي (ص) الذين قاموا بأمر الدين بعد نبيهم خير قيام ، فقاتلوا المرتدين وجاهدوا الكفار والمنافقين ، وفتحوا بذلك الأمصار ، حتى عم دين الله كثيراً من الأمصار ، من أولئك المنقلبين على أدبارهم ، وهؤلاء المرتدون لا يدخلون عند أهل السنة في الصحابة ، ولا يشملهم مصطلح الصحبة إذا ما أطلق ، فالصحابي كما عرفه العلماء المحققون: من لقي النبي (ص) مؤمناً به ومات على الإسلام [(٦٦٣)] .

وأما قول النبي (ص) : «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» [(٦٦٤)] ، واحتجاج الشيعة الرافضة به على تكفير الصحابة إلا القليل منهم فالحجة له فيه ، لأن الضمير في قوله (منهم) إنما يرجع على أولئك القوم الذين يدنون من الحوض ثم يذادون عنه ، فلا يخلص منهم إلا القليل ، وهذا ظاهر من سياق الحديث؛ فإن نصه: «بينما أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هَلَمْ ، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم؟ قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم» [(٦٦٥)] ، فليس في الحديث للصحابة ذكر وإنما ذكر زمراً من الرجال يذادون

من دون الحوض ثم لا يصل إليه منهم إلا القليل [(٦٦٦)] ، قال ابن حجر في شرح الحديث عند قوله: «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»: يعني من هؤلاء الذين دنوا من الحوض وكادوا يردونه فصدوا عنه ، والمعنى لا يرده منهم إلا القليل لأن الهمل في الإبل قليل بالنسبة لغيره [(٦٦٧)] ، ولهذا يظهر بطلان احتجاج الشيعة الرافضة وتبليسههم وبراءة الصحابة من طعنهم وتجريحهم [(٦٦٨)] .

٢. عدالة الصحابة:

إن تعريفات أهل العلم للعدالة في الاصطلاح ترجع إلى معنى واحد وهو أن العدالة ملكة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ، ولا تتحقق للإنسان إلا بفعل المأمور وترك المنهي ، وأن يبعد عما يخل بالمروءة ، ولا تتحقق إلا بالإسلام والبلوغ ، والعقل ، والسلامة من الفسق ، ولم تتحقق العدالة في أحد تحققها في أصحاب رسول الله (ص) ، فجميعهم رضي الله عنهم عدول تحققت فيهم

صفة العدالة [(٦٦٩)] ، والمراد بها رواياتهم للحديث عن رسول الله (ص) ، وحقيقتها: التجنب عن تعمد الكذب في الرواية والانحراف فيها، قال العلامة الدهلوي: ولقد تتبعنا سيرة الصحابة كلهم من دخل منهم في الفتنة والمشاجرات ، فوجدناهم يعتقدون الكذب على النبي (ص) أشد الذنوب ، ويحترزون عنه غاية الاحتراز كما لا يخفى على أهل السير [(٦٧٠)].

ولقد تضافرت الأدلة في كتاب الله وسنة رسوله (ص) على تعديل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، مما لا يبقى معها الشك لمرتاب في تحقيق عدالتهم ، فكل حديث له سند متصل بين من رواه وبين المصطفى (ص) لم يلزم العمل به إلا بعد أن تثبت عدالة رجاله ، ويدب النظر في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه النبي (ص) ؛ لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم بنص القران الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [(٦٧١)].

* دلالة كتاب الله تعالى على تعديلهم رضي الله عنهم:

أ. قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } [البقرة: ١٤٣] ، ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن وسطاً بمعنى: عدولاً خياراً [(٦٧٢)] ، ولأنهم المخاطبون بهذه الآية مباشرة.

ب. قوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠] ، ووجه دلالة هذه الآية على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أنها أثبتت الخيرية المطلقة لهذه الأمة على سائر الأمم قبلها ، وأول من يدخل في هذه الخيرية المخاطبون بهذه الآية مباشرة عند النزول ؛ وهم الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وذلك يقتضي استقامتهم في كل حال ، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة ، ومن البعيد أن يصفهم الله عز وجل بأنهم خير أمة ولا يكونوا أهل عدل واستقامة ، وهل الخيرية إلا ذلك؟! [(٦٧٣)].

ج. قوله تعالى: { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ بَاطِنًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * } [التوبة: ١٠٠]. ووجه دلالة هذه الآية على عدالتهم رضي الله عنهم: أن الله تعالى أخبر فيها برضاه عنهم ، ولا يثبت الله رضاه إلا لمن كان أهلاً للرضا ، ولا توجد الأهلية لذلك إلا لمن كان من أهل الاستقامة في أموره كلها عدلاً في دينه ، ومن أثنى الله تعالى عليه لهذا الثناء كيف لا يكون عدلاً ، وإذا كان التعديل

يثبت بقول اثنين من الناس ؛ فكيف لا يثبت عدالة صفوة الخلق وخيارهم بهذا الثناء الصادر من رب العالمين؟! [٦٧٤].

د . قوله تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا * } [الفتح: ٢٩] فهذا الوصف الذي وصفهم الله به في كتبه ، وهذا الثناء الذي أثنى به عليهم لا يتطرق إلى النفس معه شك في عدالتهم.

قال القرطبي رحمه الله عند تفسير هذه الآية: فالصحابه كلهم عدول ، أولياء الله تعالى وأصفياءه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسوله ، هذه الأمة ، وقد ذهبت شردمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ، فيلزم البحث عن عدالتهم ، ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر ، فقال: إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ، ثم تغيرت بهم الأحوال ، فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء ، فلا بد من البحث ، وهذا مردود ؛ فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ، ورضي عنهم وأرضاهم ، ووعدهم الجنة بقوله تعالى: { مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا * } ، وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبينهم بإخباره لهم بذلك ، وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد [٦٧٥].

هـ . قوله تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِبُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * } [الحشر: ٨ - ٩]. فالصادقون هم المهاجرون ، والمفلحون هم الأنصار ؛ بهذا فسر أبو بكر الصديق هاتين الكلمتين من الايتين ؛ حيث قال في خطبته يوم السقيفة مخاطباً الأنصار: إن الله سمانا (الصادقين) وسماكم (المفلحين) ، وقد أمركم أن تكونوا حيثما كنا ، فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * } [التوبة: ١١٩].

فهذه الصفات الحميدة في هاتين الايتين كلها حققها المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله (ص) واتصفوا بها، ولذلك ختم صفات المهاجرين بالحكم بأهم صادقون، وختم صفات الذين ازروهم

ونصروهم واثروهم على أنفسهم بالحكم لهم بأنهم مفلحون ، وهذه الصفات العالية لا يمكن أن يحققها قوم ليسوا بعدول؛ فهذه الايات التي أسلفناها من الايات البينة الدالة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم، فعدالتهم ثابتة بنص القران الكريم [٦٧٦].

* وأما دلالة السنة على تعديلهم رضي الله عنهم:

فقد وصفهم النبي (ص) في أحاديث يطول تعدادها ، وأحسن الثناء عليهم بتعديلهم ؛ ومن تلك الأحاديث:

أ. ما رواه الشيخان في صحيحيهما من حديث أبي بكر: أن النبي (ص) قال: «... ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» [٦٧٧] وجه دلالة الحديث على عدالتهم رضي الله عنهم: أن هذا القول صدر من النبي (ص) في أعظم جمع من الصحابة في حجة الوداع ، وهذا من أعظم الأدلة على ثبوت عدالتهم ؛ حيث طلب منهم: أن يبلغوا ماسمعه منه من لم يحضر ذلك الجمع دون أن يستثني منهم أحداً [٦٧٨].

قال ابن حبان: وفي قوله (ص) : «ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب»: أعظم دليل على أن الصحابة كلهم عدول ليس فيهم مجروح ولا ضعيف ، إذ لو كان فيهم أحد غير عدل لاستثنى في قوله (ص) وقال: ألا يبلغ فلان منكم الغائب ، فلما أجملهم في الذكر بالأمر بالتبليغ من بعدهم ؛ دل ذلك على أنهم كلهم عدول ، وكفى بمن عدله رسول الله (ص) شرفاً [٦٧٩].

ب. روى البخاري بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال النبي (ص): «لا تسبوا أصحابي ؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» [٦٨٠]. وجه الاستدلال بهذا الحديث على عدالة الصحابة رضي الله عنهم: أن الوصف لهم بغير العدالة سب ؛ لا سيما وقد نهي (ص) بعض من أدركه وصحبه عن التعرض لمن تقدمه ؛ لشهود المواقف الفاضلة ، فيكون من بعدهم بالنسبة لجميعهم من باب أولى [٦٨١] ، فالصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم وثنائهم ، وثناء رسول الله (ص) عليهم ، فليسوا بحاجة إلى تعديل أحد من الخلق [٦٨٢].

ولو لم تكن عدالتهم منصوباً عليها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) ؛ لجزم أهل العقول الصحيحة والقلوب السليمة بعدالتهم استناداً إلى ما تواترت به الأخبار عنهم ؛ من الأعمال الجليلة والخيرات الوفيرة التي قدموها لنصرة دين الله الحنيف ، فقد بذلوا ما أمكنهم بذله في سبيل نصرته الحق ورفع رايته وإرساء قواعده ونشر أحكامه في جميع الأقطار رضي الله عنهم أجمعين .

والعدالة المرادة هنا ليس المقصود بها عدم الوقوع في الذنوب والخطايا ؛ فإن هذا لا يكون إلا لمعصوم]](٦٨٣) ، قال ابن الأنباري: وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم واستحالة المعصية منهم ، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف البحث عن أسباب العدالة وطلب التزكية ، إلى أن ثبت ارتكاب قاذح ولم يثبت ذلك والله الحمد والمنة ؛ فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله (ص) حتى يثبت خلافه ، ولا الثقات إلى ما يذكره أهل السير ، فإنه لا يصح وما صح فله تأويل صحيح]](٦٨٤).

* الإجماع على عدالتهم:

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الصحابة جميعهم عدول بلا استثناء ؛ من لابس الفتن وغيرها ، ولا يفرقون بينهم ؛ الكل عدول إحساناً للظن بهم ، ونظراً لما أكرمهم الله به من شرف الصحبة لنبه عليه الصلاة والسلام ، ولما لهم من المآثر الجليلة: من مناصرتهم للرسول (ص) ، والهجرة إليه ، والجهاد بين يديه ، والمحافظة على أمور الدين ، والقيام بحدوده ؛ فشهاداتهم ورواياتهم مقبولة دون تكلف بحث عن أسباب عدالتهم بإجماع من يعتد بقوله ، وقد نقل الإجماع على عدالتهم جم غفير من أهل العلم ، ومن تلك النقول:

أ . قال الخطيب البغدادي - رحمه الله :: بعد أن ذكر الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله (ص) التي دلت على عدالة الصحابة ، وأنهم كلهم عدول ، قال: هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتد بقوله من الفقهاء]](٦٨٥).

ب . وقال أبو عمر بن عبد البر - رحمه الله :: ونحن وإن كان الصحابة رضي الله عنهم قد كفيينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين ، وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول ، فواجب الوقوف على أسمائهم]](٦٨٦).

ج . وحكى الإجماع على عدالتهم إمام الحرمين - الجويني رحمه الله . ، وعلل حصول الإجماع على عدالتهم بقوله: ولعل السبب فيه أنهم نقلت الشريعة ، فلو ثبت توقف في رواياتهم ؛ لانحصرت الشريعة على عصر الرسول (ص) ، ولما استرسلت على سائر الأعصار]](٦٨٧).

د . ذكر ابن الصلاح: أن الإجماع على عدالة الصحابة خصيصة فريدة تميزوا بها عن غيرهم ، فقد قال: للصحابة بأسرهم خصيصة ؛ وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه ؛ لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به الإجماع من الأمة ، وقال

أيضاً: إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ومن لابس الفتن منهم ، فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع إحساناً للظن بهم ، ونظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر ، وكأن الله - سبحانه وتعالى - أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة [(٦٨٨)] والله أعلم.

هـ قال الإمام النووي - رحمه الله - ؛ بعد أن ذكر أن الحروب التي وقعت بينهم كانت عن اجتهاد وأن جميعهم معذورون رضي الله عنهم فيما حصل بينهم ، وقال: ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم ، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم [(٦٨٩)] . وقال في التقريب: الصحابة كلهم عدول من لابس الفتن وغيرهم بإجماع من يعتد به [(٦٩٠)] .

و . وقال الحافظ ابن كثير: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز ، وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم ، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله (ص) ، ورغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل [(٦٩١)] .

ز . وقال العراقي في شرح ألفيته بعد ذكره لبعض الايات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على عدالة الصحابة: إن جميع الأمة مجمعة على تعديل من لم يلبس الفتن منهم ،

وأما من لابس الفتن منهم وذلك من حين مقتل عثمان ، فأجمع من يعتد به أيضاً: في الإجماع على تعديلهم وإحساناً للظن بهم ، وحملاً لهم في ذلك على الاجتهاد [(٦٩٢)] .

ج . وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ؛ مبيناً أن أهل السنة مجمعون على عدالة الصحابة فقال: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول ، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة [(٦٩٣)] .

فهذه النقول المباركة للإجماع من هؤلاء الأئمة كلها فيها بيان واضح ودليل قاطع على أن ثبوت عدالة الصحابة عموماً أمر مفروغ منه ومسلم ، فلا يبقى لأحد شك ولا ارتياب بعد تعديل الله ورسوله وإجماع الأمة على ذلك [(٦٩٤)] .

٣ . وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم:

من عقائد أهل السنة والجماعة وجوب محبة أصحاب رسول الله (ص) وتعظيمهم وتوقيرهم وتكريمهم والاحتجاج بإجماعهم والافتداء بهم ، وحرمة بغض أحد منهم لما شرفهم الله به من صحبة رسوله (ص) والجهاد معه لنصرة دين الإسلام ، وصبرهم على أذى المشركين والمنافقين ، والهجرة عن أوطانهم وأمواتهم ، وتقديم حب الله ورسوله (ص) على ذلك كله .

قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ*} [الحشر: ١٠] هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة ؛ لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفياء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ، وأن من سبهم أو أحداً منهم أو اعتقد فيه شراً أنه لا حق له في الفياء ، روي ذلك عن الإمام مالك وغيره .

قال مالك: من كان يبغض أحداً من أصحاب محمد (ص) أو كان في قلبه عليهم غلّ فليس له حق في فياء المسلمين ، ثم قرأ:

وقد فهم متقدمو أهل السنة والجماعة ومتأخروهم: أن المراد من الآية السابقة الأمر بالدعاء والاستغفار لهم من اللاحق للسابق ، ومن الخلف للسلف ، الذين هم أصحاب رسول الله (ص) ، روى مسلم بإسناده إلى هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت لي عائشة: يا بن أخي أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي (ص) فسبوهم [٦٩٥].

وروى ابن بطة وغيره من حديث أبي بدر ، قال: حدثنا عبد الله بن زيد عن طلحة بن مصرف عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة ، فأحسن ما أتم عليه كائنون أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت ثم قرأ: هؤلاء المهاجرون وهذه منزلة قد مضت، ثم قرأ: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاًً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً أَوَّالِدِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} ثم قال: هؤلاء الأنصار وهذه منزلة قد مضت ، ثم قرأ: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ} ، قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة التي بقيت: أن تستغفروا لهم [٦٩٦].

ولا يتردد من له أدنى علم في أن الشيعة الرافضة خارجون من هذه المنزلة ؛ لأنهم لم يترحموا على الصحابة ، ولم يستغفروا لهم ، بل سبوهم وحملوا لهم الغل في قلوبهم ، فحرموا من تلك المنزلة التي يجب على المسلم أن يكون فيها ولا يجيد عنها بحال حتى يلقي ربه [٦٩٧].

وقد قال ابن تيمية . رحمه الله .: وهذه الايات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار وعلى الذين جاؤوا من بعدهم ؛ يستغفرون لهم ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم ، وتتضمن أن هؤلاء الأصناف هم

المستحقون للفيء ، ولا ريب أن هؤلاء الرافضة خارجون من الأصناف الثلاثة ، فإنهم لم يستغفروا
للسابقين ، وفي قلوبهم غل عليهم ، ففي الايات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم ،
وإخراج الرافضة من ذلك ، وهذا ينقض مذهب الرافضة [٦٩٨].

٤. تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب و السنة:

أ . قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * }
[الأحزاب: ٥٧]. وهذه الاية تضمنت التهديد والوعيد بالطرده والإبعاد من رحمة الله والعذاب المهين لمن
اذاه . جل وعلا . بمخالفة أوامره وارتكاب زواجره وإصراره على ذلك ، وإيذاء رسوله [٦٩٩] ، يشمل
كل أذية قولية أو فعلية من سب و شتم أو تنقص له أو لدينه ، أو ما يعود إليه بالأذى [٧٠٠] ، ومما
يؤذيه (ص) سب أصحابه وقد أخبر (ص): أن إيذاءهم إيذاء له ، ومن اذاه فقد اذى الله [٧٠١] ،
وأي أذية للصحابة أبلغ من سبهم ، والاية فيها إشارة قوية ظاهرة إلى أنه يحرم سبهم رضي الله عنهم .
ب . قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * }
[الأحزاب: ٥٨]. وهذه الاية فيها التحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات بما ينسب إليهم مما هم منه براء
لم يعملوه ، ولم يفعلوه ، والبهت الكبير: أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على
سبيل العيب والتنقص لهم [٧٠٢].

ووجه دلالة الاية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنهم في صدارة المؤمنين ؛ فإنهم المواجهون
بالخطاب في كل اية مفتوحة بقوله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا } [البقرة: ١٠٤] ، ومثل قوله: { إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } [الكهف: ١٠٧] في جميع القران ؛ فالاية دلت على تحريم سب الصحابة ؛
لأن لفظ المؤمنين أول ما ينطبق عليهم ؛ لأن الصدارة في المؤمنين لهم رضي الله عنهم ، وسبهم والنيل
منهم من أعظم الأذى ، وأن من نال منهم بذلك فقد اذى خيار المؤمنين بما لم يكتسبوا وأن من اتخذ
شتمهم والنيل منهم ديناً له فإن الوعيد المذكور في الاية يصيبه [٧٠٣].

قال ابن كثير . رحمه الله . عند هذه الاية: ومن أكثر من يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ، ثم
الرافضة الذين ينتقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم ،
فإن الله عز وجل . قد أخبر أنه قد رضي عن

المهاجرين والأنصار ومدحهم ، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم وينتقصونهم ويذكرون عنهم ما لم يكن
ولا فعلوه أبداً ؛ فهم في الحقيقة منكسو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين [٧٠٤].

ج . قوله تعالى: { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ } [الفتح: ٢٩]. ووجه دلالة الآية على تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم: أنه لا يسبهم شخص إلا لما وجد في قلبه من الغيظ عليهم ، وقد بيّن تعالى في هذه الآية إنما يغاظ بهم الكفار ، فدلّت على تحريم سبهم ، والتعرض لهم بما وقع بينهم على وجه العيب.

د . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) : « لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » [٧٠٥]. فهذا الحديث اشتمل على النهي والتحذير من سب الصحابة رضي الله عنهم ، وفيه التصريح بتحريم سبهم [٧٠٦] ، والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

* نهي السلف عن سب الصحابة:

إن النصوص الواردة عن سلف الأمة وأئمتها من الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان ، التي تقضي بتحريم سب الصحابة والدفاع عنهم ؛ كثيرة جداً منها:

أ . قال أحمد بن حنبل . رحمه الله :: ... إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله (ص) بسوء ؛ فاتممه على الإسلام [٧٠٧].

ب . قال أبو زرعة الرازي . رحمه الله :: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله (ص) ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول (ص) عندنا حق ، والقران حق ، وإنما أدى إلينا هذا القران والسنن أصحاب رسول الله (ص) ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة [٧٠٨].

ج . وقد ذكر الإمام الشوكاني ، إجماع أهل البيت رضي الله عنهم ، على تحريم سب الصحابة رضوان الله عليهم ، من اثني عشر طريقاً [٧٠٩] ، وقد روى أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي بإسناده إلى محمد بن علي بن الحسين بن علي أنه قال لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر ، ويزعمون أني امرهم بذلك! فأبلغهم عني أني إلى الله منهم بريء ، والذي نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم ، لا نالني شفاعة محمد (ص) إن لم أكن أستغفر لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله لغافلون عن فضلهما ، فأبلغهم أني بريء منهم ،

وممن تبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [(٧١٠)] . وروى أيضاً بسنده إلى عبد الله بن الحسن بن علي أنه قال: ما أرى رجلاً يسب أبا بكر وعمر تيسر له توبة أبداً [(٧١١)].

٥. حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة:

الصورة الحقيقية الناصعة البياض تبقى وما سواها يزول ، إنها تتجلى في أهم كتاب عند الشيعة الاثني عشرية (تهج البلاغه) ، تلك النصوص كفيلا بهدم الأطروحة القائمة على لعن وسب صحابة رسول الله (ص) والقول بردتهم وانقلابهم على أعقابهم من بعده ، فهذا أمير المؤمنين علي يصور لنا بنفسه صحابة رسول الله (ص) كما راهم وعانينهم ، إذ يقول: لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم ؛ لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ، خوفاً من العقاب ورجاء الثواب [(٧١٢)].

وهو يتحسر على فراقهم ويرثيهم بعد موتهم كحال أي محب فارق من يحبه فيقول: أين القوم الذين دُعا إلى الإسلام فقبلوه ، وقرؤوا القرآن فأحكموه ، وسلبوا السيوف أعمادها ، وأخذوا بأطراف الأرض أطرافها زحفاً زحفاً وصفافاً صفافاً ، مُره العيون من البكاء ، مُحص البطون من الصيام ، ذُبل الشفاه من الدعاء ، صُفر الألوان من السهر ،

على وجوههم غبرة الخاشعين ، أولئك إخواني الذاهبون ، فحق لنا أن نظماً إليهم ، ونعضّ الأيدي على فراقهم [(٧١٣)].

فيا أحباب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، تأملوا في نظرته إلى أصحاب رسول الله (ص) .
وأما الإمام علي بن الحسين - زين العابدين - رحمه الله . فكان يذكر أصحاب رسول الله (ص) ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة ؛ لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه ، فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان ، اللهم وأصحاب محمد خاصة ، الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته ، والذين هجرتهم العشائر إذ علقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في قرابته ، اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك ، وكانوا من ذلك لك وإليك ، واشكرهم

على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة العيش إلى ضيقه ، ومن أكثره في اعتزاز دينك إلى أقله ، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك ، والذين قصدوا سمتهم ، وتحروا جهتهم ، ولو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم ، ولم يخلجهم شك في قفو آثارهم والالتزام بمداية منارهم ، مكانفين ومؤازرين لهم ، يدينون بدينهم ، ويهتدون بهديهم ، يتفقون عليهم ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم [(٧١٤)].

فهذا موقف أئمة أهل البيت رضوان الله عليهم من الصحابة لا ما يدعيه المندسون من الرفضة والمسترون بستار التشيع ، أعداء القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وأئمة أهل البيت الأطهار .
سابعاً: موقف الشيعة من السنة النبوية:

معنى السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي (ص) من قول أو فعل أو تقرير [(٧١٥)] ، ولقد اهتم علماء أهل السنة بتدوين السنة الصحيحة وبدلوا جهوداً عظيمة من أجل حمايتها من الوضع والوضاعين ، وقد بذلوا جهداً لا مزيد عليه ، وقد سلكوا طرقاً هي أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص ، حتى لنستطيع أن نجزم بأن علماءنا رحمهم الله ، هم أول من وضعوا قواعد النقد العلمي الدقيق للأخبار والمرويات بين أمم الأرض كلها ، وأن جهدهم في ذلك جهد تفاخر به الأجيال ، وتتيه به على الأمم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .
وقد سار علماء السنة على الخطوات التالية في سبيل النقد حتى أنقذوا السنة مما دُبر لها من كيد ، ونظفوها مما علق بها من أوحال [(٧١٦)].

١ . إسناده الحديث: لم يكن صحابة رسول الله (ص) بعد وفاته يشك بعضهم في بعض ، ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أي حديث يرويه صحابي عن رسول الله (ص) ، حتى وقعت الفتنة ، وقام اليهودي الخاسر عبد الله بن سبأ بدعوته الاثمة التي يتبناها على فكرة التشيع الغالي القائل بالوهية علي رضي الله عنه ، وأخذ الدس على السنة يربو عصراً بعد عصر ، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون في نقل الأحاديث ولا يقبلون منها إلا ما عرفوا طريقها ورواتها ، واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم .

يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه: لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ، وقد ابتدأ هذا التثبيت منذ عهد صغار الصحابة الذين تأخرت وفاتهم عن زمن الفتنة ،

فقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن مجاهد: أن بشيراً العدوي جاء إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله كذا ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال: يا بن عباس ما لي أراك لا تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله (ص) ولا تسمع؟ فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ؛ ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه باذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

ثم أخذ التابعون في المطالبة بالإسناد حين فشا الكذب يقول أبو العالية: كنا نسمع الحديث من الصحابة فلا نرضى حتى نركب إليهم فنسمعه منهم. ويقول ابن المبارك: الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء. ويقول ابن المبارك أيضاً: بيننا وبين القوم القوائم. يعني الإسناد [(٧١٧)].

٢ - التوثق من الأحاديث ؛ وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين وأئمة هذا الفن ، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه أن مدّ في أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ، ليكونوا مرجعاً يهتدي الناس بهديهم ، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً ، ويستفتونهم فيما يسمعون من أحاديث واثار ، ولهذا الغرض كثرت رحلات التابعين بل بعض الصحابة أيضاً من مصر إلى مصر ليسمعوا الأحاديث الثابتة من الرواة الثقات ، ولذلك سافر جابر بن عبد الله إلى الشام ، وأبو أيوب إلى مصر لسماع الحديث.

٣ - نقد الرواة ، وبيان حالهم من صدق وكذب ، وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى تمييز الصحيح من المكذوب ، والقوي من الضعيف ، وقد أبلوا فيه بلاءً حسناً ، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم وما خفي من أمرهم وما ظهر ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم [(٧١٨)].

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب ، ومن أهم أصناف المتروكين الذين لا يؤخذ حديثهم:

أ - الكذّابون على رسول الله (ص) ، وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبي (ص) ، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر ، واختلفوا في كفره: فقال به جماعة ، وقال آخرون بوجوب قتله ، واختلفوا في توبته هل تقبل أم لا؟

ب - الكذّابون في أحاديثهم العامة ولو لم يكذبوا على رسول الله (ص) ، وقد اتفقوا على أن من عُرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه.

ج . أصحاب البدع والأهواء: وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته ، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته ، أما إذا لم يستحل الكذب فهل يقبل أم لا؟ أو يفرق بين كونه داعية أو غير داعية؟ قال ابن كثير: في ذلك نزاع قديم وحديث ، والذي عليه الأكثرون التفصيل بين الداعية وغيره [(٧١٩)] . والذي يظهر لي أنهم

يرفضون رواية المبتدع إذا روى ما يوافق بدعته ، أو كان من طائفة عرفت بإباحة الكذب ووضع الحديث في سبيل أهوائها ، ولهذا رفضوا رواية الرافضة ، وقبلوا رواية المبتدع إذا كان هو أو جماعته لا يستحلون الكذب كعمران بن حطان [(٧٢٠)] .

د . الزنادقة والفساق والمغفلون الذين لا يفهمون ما يحدثون ، وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم.

وقد وضع علماء الحديث القواعد لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من أقسام الحديث ، ووضعوا قواعد لمعرفة الموضوع ، وذكروا له علامات يعرف بها ، كركاكة اللفظ ، وفساد المعنى ، ومخالفته لصريح القرآن ، ومخالفته لحقائق التاريخ المعروفة في عهد النبي (ص) وغيرها من العلامات [(٧٢١)] .

وبتلك الجهود الموفقة استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التي هي ثاني مصادرها التشريعية ، واطمأن المسلمون إلى حديث نبهم ، فأقصى عنه كل دخيل ، وميّز بين الصحيح والحسن والضعيف ، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ودس الدساسين وتامر الزنادقة والشعوبيين ، وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التي كان من أبرزها: تدوين السنة وعلم مصطلح الحديث ، وعلم الجرح والتعديل ، وعلوم الحديث [(٧٢٢)] .

—خ موقف الشيعة من السنة بسبب تكفيرهم للصحابة:

كانت لنظرة الشيعة ورأيهم في الإمامة أثر في تكفيرهم لمعظم الصحابة رضي الله عنهم ، وهذا التكفير الشنيع ترتب عليه إنكار الشيعة لكل الأحاديث التي وردت عن طريق الصحابة ، ولم يقبلوا إلا الأحاديث الواردة عن طريق الأئمة من أهل البيت أو ممن نسبوهم إلى التشيع كسلمان الفارسي ، وعمّار بن ياسر ، وأبو ذر ، والمقداد بن الأسود ، وقد شنوا هجوماً عنيفاً على رواة الحديث كأبي هريرة ، وسمره بن جندب ، وعروة بن الزبير ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة وغيرهم واتهموهم بالوضع والتزوير والكذب [(٧٢٣)] ، واعتبر الإمام عبد القاهر البغدادي الشيعة من المنكرين للسنة لرفضهم قبول مرويات صحابة رسول الهدى . عليه الصلاة والسلام . [(٧٢٤)] .

فالشيعية تحارب السنة ، ولهذا فإن أهل السنة اختصوا بهذا الاسم لاتباعهم سنة المصطفى (ص) [(٧٢٥)] ، هذا ما جاء في بعض مصادر أهل السنة ، ولكن الشيعة تروي عن أئمتها: أن كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف [(٧٢٦)] ، وبهذا المعنى روايات أخر [(٧٢٧)] عندهم. وهو يفيد أن الشيعة لا تنكر سنة رسول الله (ص) ، بل تعتمد عليها ، وتجعلها مع كتاب الله الميزان والحكم.

والدارس لنصوص الشيعة ورواياتها ينتهي إلى الحكم بأن معظم رواياتهم وأقوالهم تتجه اتجاهاً مجانباً للسنة التي يعرفها المسلمون ، في الفهم والتطبيق ، وفي الأسانيد والمتون ويتبين ذلك فيما يلي:

١ . قول الإمام كقول الله ورسوله: فالسنة عندهم هي: كل ما يصدر عن المعصوم من قول أو فعل أو تقرير [(٧٢٨)] ، ومن لا يعرف طبيعة مذهبهم لا يلمح مدى مجانبتهم للسنة في هذا القول ، إذ إن المعصوم هو رسول الله (ص) ، وتجعل كلامهم مثل كلام الله وكلام رسوله ، وهم الأئمة الاثنا عشر ، لا فرق عندهم في هذا بين هؤلاء الاثني عشر وبين من لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى [(٧٢٩)] ؛ فهم: ليسوا من قبيل الرواة عن النبي والمحدثين عنه ، ليكون قولهم حجة من جهة أنهم ثقات في الرواية ، بل لأنهم هم المنصوبون من الله تعالى على لسان النبي لتبليغ الأحكام الواقعية ، فلا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما هي [(٧٣٠)].

ولا فرق في كلام هؤلاء الاثني عشر بين سن الطفولة ، وسن النضج العقلي ، إذ إنهم . في نظرهم . لا يخطئون عمداً ولا سهواً ولا نسياناً طوال حياتهم . كما مرّ معنا في مسألة العصمة . ، ولهذا قال أحد شيوخهم المعاصرين: إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي (ص) كما هو

الحال عند أهل السنة [(٧٣١)] ، فالسنة عندهم ليست سنة النبي فحسب ، بل سنة الأئمة ، وأقوال هؤلاء الأئمة كأقوال الله ورسوله ، ولهذا اعترفوا بأن هذا مما ألحقته الشيعة بالسنة المطهرة قالوا: وألحق الشيعة الإمامية كل ما يصدر عن أئمتهم الاثني عشر من قول أو فعل أو تقرير بالسنة الشريفة [(٧٣٢)].

وهم يقولون بهذا القول من منطلقين خطيرين ، وقاعدتين أساسيتين عندهم في هذه المسألة ، وقد أشار أحد شيوخهم المعاصرين إليهما حينما ذكر أن قول الإمام عندهم يجري مجرى قول النبي (ص) ، من كونه حجة على العباد واجب الاتباع ، وأنهم لا يحكمون إلا عن الأحكام الواقعية عند الله تعالى كما

هي ، فبين أن ذلك يتحقق لهم من طريقين: من طريق الإلهام كالنبي من طريق الوحي ، أو من طريق التلقي عن المعصوم قبله [(٧٣٣)].

وهم يزعمون أن الأئمة هم خزنة علم الله ووحيه ، وقد عقد صاحب الكافي باباً بهذا بعنوان: باب أن الأئمة . عليهم السلام . ولاة أمر الله وخزنة علمه [(٧٣٤)] ، وضمن هذا الباب ست روايات في هذا المعنى ، وباباً آخر بعنوان: إن الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم [(٧٣٥)] ، وفيه سبع روايات ، وباباً ثالثاً بعنوان: أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل . عليهم السلام . [(٧٣٦)] ، وفيه أربع روايات [(٧٣٧)] .

وقد توسع الشيعة الرافضة في هذا الباب .

ونكتفي بهذا القدر من المصادر الوهمية التي تزعمها الرافضة ، والتي يغني في بيان فسادها مجرد عرضها وتصورها ، ونتيجة لذلك التصور عن الأئمة فإن الشيعة الرافضة لم يهتموا بصحة الإسناد وتقويم الرجال ، كما اهتم علماء الحديث من أهل السنة ، وفي الوقت الذي رفض فيه الشيعة صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنة المعتمدة الموثقة ،

اعتمدوا في أحاديثهم على ما نقله الكليني الذي سبق أن أوردنا أقواله في كثير من عقائدهم واعتبروه حجة ، ويعتبر كتابه (الكافي) [(٧٣٨)] ، من أقدم كتب الشيعة في الحديث وأوثقها عندهم ، ويصور أحد الشيعة مكانة هذا الكتاب لديهم فيقول: وقد اتفق أهل الإمامة وجمهور الشيعة على تفضيل هذا الكتاب ، والأخذ به والثقة بخره ، والاكتفاء بأحكامه ، وهم مجمعون على الإقرار بارتفاع درجته وعلو قدره ، على أنه القطب الذي عليه مدار روايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان إلى اليوم ، وعندهم أجل وأفضل من جميع أصول الأحاديث ، علماً بأن جل ما في الكافي كما يقول أبو زهرة أخبار تنتهي عند الأئمة ، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سنداً متصلاً بالنبي (ص) ، ولا أنه يدعي أن هذه أقوال النبي (ص) ، إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي (ص) ، وأنها دين الله تعالى ..

وأكثر ما يروى في الكافي واقف عند الصادق ، وقليل منه ما يعلو إلى أبيه الباقر ، وأقل من ذلك ما يعلو إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، ونادراً ما يقف عند النبي (ص) [(٧٣٩)] .

كما أن هناك كتاب: (من لا يحضره الفقيه) جمعه أبو جعفر محمد بن علي بن موسى بن بابويه ، الذي يلقبونه بالشيخ الصدوق ، وهو أيضاً من أكبر علمائهم بخراسان (توفي ٣٨١ هـ).

ومن الكتب المعتمدة عند الشيعة كتابا: (تهذيب الأحكام) و(الاستبصار فيما اختلف من الأخبار) لمحمد بن الحسن الطوسي ، وهذه الكتب الشيعية مليئة بعشرات الألوف من الأحاديث التي لا يمكن إثبات صحتها ، بل معظمها موضوع مخلق [(٧٤٠)] ، مثل ما سبق أن أشرنا إليه ، من الأحاديث التي اعتمدوا عليها في دفاعهم عن أحقية علي بالإمامة.

من هذا العرض لاراء الشيعة ومعتقداتهم ، والشيعة يعترفون . أو على الأقل بعض منهم . بأن في تلك الكتب بعض الروايات الموضوعية ، كما أنهم أنفسهم جرحوا بعض روايتهم ، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن أن يأخذ الشيعة بوصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قال: .. الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم واتبعوا سنته ،

واعرضوا ما أشكل عليكم على القران ؛ فما عرفه القران ، فالزموه ، وما أنكره فردوه [(٧٤١)] . وقوله رضي الله عنه: واقتدوا بهدي نبيكم (ص) ؛ فإنه أفضل الهدي واستنوا بسنته ، فإنها أفضل السنن [(٧٤٢)] .

وأن يلتزموا بطريقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في فهم الأحكام من القران الكريم ومعاني الايات ، فيلتزموا بظاهر القران الكريم ، وحمل الجمل على المفسر ، والمطلق على المقيد ، وأن يراعوا الناسخ والمنسوخ والنظر في لغة العرب ، وفهم النص بنص اخر ، والسؤال عن مشكله ، والعلم بمناسبة الايات ، وتخصيص العام ، وأن يتعلموا من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كيف يحترموا مقام النبوة ، ويتعاملوا مع سنة الرسول (ص) وفق هديه الذي بينته في هذا الكتاب ، ثم يعرضوا رواياتهم التي في كتبهم على العدلين ، كتاب الله وسنة رسوله ، فما وافق كتاب الله وسنة رسوله (ص) قبلوه وما خالفها يبنذوه ، ويجذروا أتباعهم منه ، وخصوصاً تلك الروايات التي تسيء إلى أئمتهم أنفسهم فضلاً عن الإسلام.

إن دين الله كمل ، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣] ، ورسول الله (ص) بلغ جميع ما أنزل إليه ، وامثل أمر ربه في قوله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧].

وقد بلغ النبي (ص) البلاغ المبين ، وأقام الحجة على العالمين ، وأعلن ذلك بين المسلمين ، ولم يسر لأحد بشيء من الشريعة ويستكتمه إياه ، قال تعالى: {لَتَبَيِّنَنَّاهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران:

فهو بيان للناس وليس لفئة معينة من أهل البيت ، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّائِيَّةُ ۗ إِنَّ الَّذِينَ
تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * } [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠] ، وقال: { وَمَا
أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ } [النحل: ٦٤]. فالدين قد تم وكمل لا يزداد فيه
ولا ينقص منه ولا يبدل [٧٤٣] ، لا من إمام مزعوم ، ولا من غائب موهوم [٧٤٤].

وقد ودع المصطفى الدنيا بعد أن بلغ الدين كله ، وبَيَّنَّ جميعه كما أمره ربه ، قال (ص) : «تركتكم على
مثل البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» [٧٤٥] ، وقال أبو ذر رضي الله عنه:
لقد تركنا محمد (ص) وما يجر كطائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً [٧٤٦].
ثامناً . التقية عند الشيعة:

١ . وأما تعريفها عند الشيعة الرافضة فيقول شيخهم المفيد: التقية كتمان الحق ، وستر الاعتقاد فيه.
وكتمان المخالفين ، وترك مظاهرهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا [٧٤٧].
ويقول يوسف البحراني . أحد كبار علمائهم في القرن الثاني عشر .: المراد بها إظهار موافقة أهل الخلاف
في ما يدينون به ، خوفاً [٧٤٨].

ويقول الخميني: التقية معناها: أن يقول الإنسان قولاً مغايراً للواقع ، أو يأتي بعمل مناقض لموازين
الشريعة وذلك حفاظاً لدمه أو عرضه أو ماله [٧٤٩].

فهذه ثلاث تعريفات للتقية لثلاثة من كبار علماء الشيعة الرافضة جاؤوا في فترات زمنية مختلفة ، وهذه
التعريفات تدور حول أربعة أحكام رئيسة للتقية عندهم وهي:

- * أن معنى التقية أن يظهر الإنسان لغيره خلاف ما يظن.
- * أن التقية تستعمل مع المخالفين ، ولا يخفى دخول كافة المسلمين تحت هذا العموم.
- * أن التقية تكون فيما يدين به المخالفون من أمور الدين.
- * أن التقية إنما تكون عند الخوف على الدين أو النفس أو المال ، وهذه أربعة أحكام هي محور عقيدة
التقية عندهم [٧٥٠].

٢ . وأما مكانتها عند الشيعة الرافضة: فهي تحتل منزلة عظيمة ومكانة رفيعة ، دلت
عليها روايات عديدة جاءت في أمهات الكتب عندهم ، فقد روى الكليني وغيره عن جعفر الصادق :
أنه قال: التقية من ديني ودين ابائي ، ولا إيمان لمن لا تقية له [٧٥١].

وعن أبي عبد الله أنه قال: إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ، والتقية في كل شيء إلا في النبذ والمسح على الخفين [(٧٥٢)].

وفي المحاسن: عن حبيب بن بشير ، عن أبي عبد الله أنه قال: لا والله ما على الأرض شيء أحب إلي من التقية ، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله ، يا حبيب من لم يكن له تقية وضعه الله [(٧٥٣)].

وفي أمالي الطوسي عن جعفر الصادق: أنه قال: ليس منا من لم يلزم التقية ويصوننا عن سفلة الرعية [(٧٥٤)].

وفي الأصول الأصيلية: عن علي بن محمد من مسائل داود الصرمي قال: قال لي: يا داود لو قلت لك: إن تارك التقية كتارك الصلاة ؛ لكنت صادقاً [(٧٥٥)].

وعن الباقر أنه سئل: من أكمل الناس ؟ قال: أعلمهم بالتقية وأقضاهم لحقوق إخوانه [(٧٥٦)].

وعنه أيضاً أنه قال: أشرف أخلاق الأئمة الفاضلين من شيعتنا استعمال التقية [(٧٥٧)].

فدلت هذه الروايات على مكانة التقية عندهم ، ومنزلتها العظيمة في دينهم ، إذ التقية عند الشيعة الرافضة من أهم أصول الدين ، فلا إيمان لمن لا تقية له ، والتارك للتقية كالتارك للصلاة ، بل إن التقية عندهم أفضل من سائر أركان الإسلام ، فالتقية تمثل تسعة أعشار دينهم وسائر أركان الإسلام وفرائضه وتمثل العشر الباقي [(٧٥٨)] ، وقد ذكر صاحب

الكافي أخبارها في (باب التقية) [(٧٥٩)] ، و(باب الكتمان) [(٧٦٠)] و(باب الإذاعة) [(٧٦١)] ، وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مئة وتسع روايات في باب عقده بعنوان (باب التقية والمدارة) [(٧٦٢)].

٣ . وأما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها:

أ . أن الشيعة الرافضة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة ، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار ، مع أن علياً رضي الله عنه . بايعهم وصلى خلفهم ، وجاهد معهم ، وزوج عمر ابنته أم كلثوم ، وتسرى من جهاده مع أبي بكر ، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئاً مما فعله أبو بكر وعمر ، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها ، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه ، فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية [(٧٦٣)] ، واستخدموا مبدأ التقية لتفسير أحداث تاريخهم ، فذهبوا إلى أن سكوت علي عن أبي بكر وعمر . رضي الله عنهم جميعاً . كان تقية ، وتنازل الحسن بن علي عن الخلافة

لمعاوية كان تقية ، واختفاء أئمتهم وسترهم كان تقية منهم ، وهكذا يمكن تفسير كل الأحداث التي تناقض عقيدتهم بالتقية [(٧٦٤)].

ب . أنهم قالوا بعصمة الأئمة ، وأنهم يسهون ولا يخطئون ولا ينسون ، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم ، وحتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه ، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي [(٧٦٥)] ، وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله ، فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم على الأئمة ، روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: قلت لأبي عبد الله . عليه السلام .: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب ، ثم يجيبك غيري فتجيبه فيه بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة

والنقصان [(٧٦٦)]. قال شارح الكافي: أي: زيادة حكم عند التقية ، ونقصانه عند عدمها.. ولم يكن ذلك مستنداً إلى النسيان والجهل بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم ، وأنفع لبقائهم ، إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع ، وصار ذلك سبباً لقتلهم وقتل الأئمة عليهم السلام [(٧٦٧)].

ج . تسهيل مهمة الكذابين على الأئمة ، ومحاولة التعقيم على حقيقة مذهب أهل البيت ؛ بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم ، وأن ما اشتهر وذاع عنهم ، وما يقولونه ، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم ، وإنما يفعلونه تقية ، فيسهل عليهم بهذه الحيلة أقوال الأئمة ، والدس عليهم ، وتكذيب ما يروى عنهم من حق ، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملاء من الناس ، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة ، فاتقى في كلامه ، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه .

وبجسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي وهو من أهل البيت ، يروي عن علي . رضي الله عنه . كما تنقله كتب الاثني عشرية نفسها ، أنه غسل رجليه في الوضوء ، ولكن من يلقبونه بـ (شيخ الطائفة) لا يأخذ بهذا الحديث ، ولا يجد حجة يحتج بها سوى التقية ، فهو يورد الحديث في الاستبصار عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: جلست أتوضأ ، فأقبل رسول الله (ص) حين ابتدأت الوضوء . إلى أن قال . وغسلت قدمي ، فقال

لي: يا علي خلل بين الأصابع ولا تخلل بالنار [(٧٦٨)] ، فأنت ترى أن علياً كان يغسل رجله في وضوئه ، وأن رسول الله (ص) أكد عليه بأن يخلل أصابعه ، والشيعنة تخالف سنة رسول الله (ص) وهدي علي رضي الله عنه في ذلك ، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات ، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت ، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات ودراستها ، فلديهم هذه الحجة الجاهزة [(٧٦٩)] (التقية).

ولهذا قال الطوسي: هذا خبر موافق للعادة . يعني أهل السنة . ، وقد ورد مورد التقية ؛ لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا . عليهم السلام القول بالمسح على الرجلين ، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة ، ورجال الزيدية ، وما يختصون به [(٧٧٠)] لا يعمل به .

وفي النكاح: جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة ؛ ففي كتبهم عن زيد بن علي عن ابائه عن علي عليه السلام . قال: حرم رسول الله (ص) يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة [(٧٧١)] . وقال شيخهم الحر العاملي أقول: حمله الشيخ [(٧٧٢)] وغيره على التقية ، يعني في الرواية ، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية [(٧٧٣)] .

وفي قسمة الموارث أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئاً [(٧٧٤)] ، ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك ، وهو حديث أبي يعقوب عن أبي عبد الله قال: سألته عن الرجل: هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئاً؟ أو يكون في ذلك منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئاً؟ فقال يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت [(٧٧٥)] . قال الطوسي: نحمله على التقية ، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة ، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة ، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه [(٧٧٦)] .

د . وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين لذلك جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط؛ يقول إمامهم (أبو عبد الله): ما سمعت مني يشبه قول الناس فيه التقية ، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه [(٧٧٧)] .

وقد كان من اثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة ، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة [(٧٧٨)] .

ووضعوا لهم ميزاناً ، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو ، وهو أن من خالف العامة فيه الرشد [(٧٧٩)] .

وقد اعترف صاحب الحقائق بأنه لم يعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية ، حيث قال: فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية ، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في جامعه الكافي ، حتى إنه تحطأى العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار ، والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار [(٧٨٠)].

وأما تطبيق التقية عندهم خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة ، وقد اعترف يوسف البحراني بأن الأئمة: يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضهم أحد من أولئك الأنام ، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة ، وإن لم يكن بها قائل من المخالفين [(٧٨١)].

٥ . مفهوم التقية عند أهل السنة:

إن مفهوم التقية في الإسلام غالباً ، إنما هي مع الكفار ، قال تعالى: {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨]. قال ابن جرير الطبري: التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا غيرهم [(٧٨٢)] ، ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلام ، قال معاذ بن جبل ، ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين ، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أن يتقوا منهم تقاة [(٧٨٣)].

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولا سيما أهل السنة ، حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد ، وكما تلحظ ذلك من نصوصهم التي ينسبونها للأئمة ، لأنهم يرون أهل السنة أشد كفرة من اليهود والنصارى ، لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة [(٧٨٤)].

والتقية رخصة في حالة الاضطرار ، ولذلك استثنائها . سبحانه . من مبدأ النهي عن موالاته الكفار فقال سبحانه: {لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ*} [آل عمران: ٢٨] ، فنهى الله سبحانه عن موالاته الكفار ، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ} [آل عمران: ٢٨] أي: من يرتكب نهي الله فقد برأى من الله ، ثم قال سبحانه: أي: إلا من خاف من بعض البلدان والأوقات من {إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً} ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته [(٧٨٥)].

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة ، قال ابن المنذر: أجمعوا على من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل ، فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان: أن لا يحكم عليه بالكفر [(٧٨٦)].

ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل ، قال ابن بطلان: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجراً عند الله [(٧٨٧)] ، ولكن التقية عند الشيعة خلاف ذلك ، فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم [(٧٨٨)] .

والتقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجاً عاماً في سلوك المسلم ، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي ، بل هي - غالباً - حالة فردية مؤقتة ، مقرونة بالاضطرار ، ومرتبطة بالعجز عن الهجرة ، وتزول بزوال حالة الإكراه ، أما في المذهب الشيعي تعد طبيعة ذاتية في بنية المذهب ، وحالة مستمرة ، وسلوك جماعي دائم [(٧٨٩)] .

وقد قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة: أن تقيتهم إنما هي الكذب والنفاق ليس إلا ، وقد فرق ابن تيمية - رحمه الله - بين تقية النفاق والتقية في الإسلام فقال ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق ، ولكن أفعل ما أقدر عليه... فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار ، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه ، ولكن إن أمكنه بلسانه ، وإلا فقبله ، مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في

قلبه ، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه ، ومع هذا لا يوافقهم على دينهم كله ، بل غايته أن يكون كمؤمن ال فرعون ، حيث لم يكن موافقاً لهم على جميع دينهم ولا كان يكذب ، ولا يقول بلسانه شيء ، وإظهار الدين الباطل شيء آخر ، فهذا لم ييحه الله قط إلا لمن أكره ؛ بحيث أتيح له النطق بكلمة الكفر فيعذره الله بذلك ، والمنافق والكذاب لا يعذر بحال ، ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطراً ويكتم إيمانه يعاملهم بمقتضى الإيمان الذي يحمله - بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم ، وإن لم يكن موافق لهم على دينهم ، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفار ، وبخلاف الرفض الذي لا يترك شراً يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه [(٧٩٠)] .

ولقد لخص الشيخ سلمان العودة الفروق بين التقية عند أهل السنة والرافضة فقال: إن التقية عند أهل السنة استثناء مؤقت مخالف للأصل ، أما عند الشيعة فواجب مفروض حتى يقوم القائم من آل البيت . وينتهي العمل بها عند أهل السنة بمجرد زوال السبب الداعي إليها ، أما عند الشيعة فواجب جماعي مستمر لا ينتهي العمل به حتى يخرج مهديهم الذي لا يخرج أبداً. وتقية أهل السنة هي مع الكفار في الغالب ، وقد تكون مع الفساق الظلمة ، أما تقية الشيعة فهي أصلاً مع المسلمين المخالفين لهم من أهل السنة . إن التقية عند أهل السنة حالة ممقوتة يلجأ إليها المسلم دون رضا واطمئنان إليها ، أما

عند الشيعة فقد أصبحت خلة ممدوحة مرضية ، جاء في مدحها من النصوص عن أئمتهم الكثير الكثير [(٧٩١)].

تاسعاً: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة:

١ . عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة:

من أبرز عقائد الشيعة الرافضة التي تكاد تمتلأى بها كتبهم: عقيدة المهدي المنتظر ، ويقصد الرافضة الإمامية بالمهدي المنتظر: محمد بن الحسن العسكري؛ وهو الإمام الثاني عشر عندهم ويطلقون عليه الحجة ، كما يطلقون عليه القائم [(٧٩٢)] ، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥ هـ واختفى في سرداب (سر من رأى) [(٧٩٣)] ، سنة ٢٦٥ هـ ، وهم ينتظرون خروجه في

آخر الزمان ، لينتقم لهم من أعدائهم وينتصر لهم [(٧٩٤)] ، ولا زال الشيعة الرافضة يزورونه بسرداب (سر من رأى) ويدعون له للخروج [(٧٩٥)] ، وهذا المهدي الذي يدعيه الرافضة معدوم ولا وجود له: فالحسن العسكري الذي ينسبون إليه المهدي مات ولم يعقب أحداً ، فقسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر ، وقد صاحب عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة الرافضة ، خرافات وأساطير كبيرة لا يصدقها عاقل ، ويعتقدون أن المهدي من ولد الحسين [(٧٩٦)] ، ويروون العجائب في ولادته [(٧٩٧)] ، ويقولون عندما يخرج يجتمع إليه الشيعة الرافضة من كل مكان [(٧٩٨)] ، ويخرج الصحابة من قبورهم ويعذبهم [(٧٩٩)] ، ويقتل العرب ، وقريش [(٨٠٠)] ، ويهدم الكعبة والمسجد النبوي وكل المساجد [(٨٠١)] ، ويدعو إلى دين جديد وكتاب جديد وقضاء جديد [(٨٠٢)] ، ويستفتح المدن بتابوت اليهود [(٨٠٣)] ، وتنبع له عينان من ماء ولبن ، ويصير الرجل من الشيعة الرافضة بقوة أربعين رجلاً ، ويمد لهم في أسماعهم وأبصارهم ، ويحكم بحكم ال داود [(٨٠٤)].

وعقيدة الشيعة الرافضة في مهديهم المنتظر باطلة ، وقد دلّ على بطلانها عدة أوجه:

أ . ثبوت عدم ولادة هذا المهدي ، فقد اقتضت حكمة العلي القدير أن يموت الحسن العسكري الإمام الحادي عشر عند الرافضة وليس له ولد ، فكانت فضيحة كبيرة وخذلان عظيم للشيعة الرافضة ؛ إذ كيف يموت الإمام ولا يوجد له من الأولاد من يخلفه في الإمامة؟! فعقيدة الشيعة الرافضة تنص على أن الذي يخلف الإمام بعد موته ولده ،

ولا يجوز أن تكون الإمامة في الإخوة بعد الحسن والحسين [(٨٠٥)] ، وعدم ولادة المهدي ثابتة في كتب الشيعة أنفسهم [(٨٠٦)].

ب . لا معنى لاختفاء المهدي: لو سلمنا جدلاً بولادة هذا المهدي ، فإنه لا معنى لاختفائه هذه الفترة الطويلة في السرداب ، وإذا ما سئل الشيعة الرافضة عن الحكمة من اختفائه في السرداب وعدم خروجه للناس ؛ فإنهم يعللون ذلك بأنه يخشى على نفسه القتل [(٨٠٧)] ، وهذه علة واهية قد دل على بطلانها عدة أدلة ؛ منها :

. أنه قد جاءت في كتبكم أنه سيكون منصوراً ومؤيداً من الله تعالى ، وأنه يملك مشارق الأرض ومغاربها ، فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، ويعيش حتى زمن نزول عيسى ابن مريم عليه السلام [(٨٠٨)] .

. كما أن قولكم هذا يترتب عليه أن المهدي لن يخرج حتى تذهب دول الجور والظلم والفساد ليأمن على نفسه من القتل ، وعندئذ لا حاجة في خروجه ، وهذه الدول تستطيع أن تحمي المهدي لو خرج فلماذا لم يخرج؟

. أن من لا يستطيع أن يحمي نفسه من القتل فمن باب أولى عجزه عن حماية غيره ، فإن فاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف تنتظرون من هذه صفته أن ينتقم لكم من أعدائكم وينصركم عليهم نصراً مؤزرًا؟! وبهذا تكون قد بطلت دعواهم ، بأن العلة من عدم خروج المهدي هو: الخوف من القتل ، وبناء على هذا تبطل دعوى وجود المهدي أصلاً إذ لا سبب يمنعه من الاستتار غير خوفه من القتل ، كما صرح بذلك شيخ الطائفة الطوسي [(٨٠٩)] ، فتكون دعوى وجود المهدي باطلة بشهادة علمائهم ، وهذا من توفيق الله وعظيم فضله [(٨١٠)] .

ج . أنه لم تحصل منفعة بهذا المهدي؛ ومما يدل على بطلان عقيدة الشيعة الرافضة في المهدي المنتظر:

أن هذا المهدي الذي تدعيه الرافضة لم تحصل به مصلحة في شيء من أمور الدين أو الدنيا، ولم ينتفع منه المسلمون بشيء لا الرافضة ولا غيرهم، قال ابن تيمية . رحمه الله .: إن هذا المعصوم الذي يدعونه في وقت ما قد ولد عندهم لأكثر من أربعمئة وخمسين سنة [(٨١١)] ؛ فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومئتين ، وله خمس سنين عند بعضهم ، وأقل من ذلك عند آخرين ، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله الإمام المعصوم ، فأبي منفعة للوجود في مثل هذا لو كان موجوداً ، فكيف إذا كان معدوماً؟! والذين امنوا بهذا المعصوم أي لطف وأي منفعة حصلت لهم به نفسه في دينهم أو دنياهم؟! إلى أن قال: وهذا الذي تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم ، وإما معدوم عند العقلاء وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به في دين ولا في دنيا [(٨١٢)] ، والشيعة الاثني عشرية في هذا العصر نقضوا هذه العقيدة

عملياً من خلال اعتقادهم بنظرية ولاية الفقيه ، وهي تجويز الحكم والولاية للمسلم العادي غير المعصوم ، أو عليه نص من الله ورسوله بشرط العلم والعدل .

٢ . عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي :

بينت الأحاديث الصحيحة: أن الله تعالى يخرج في آخر الزمان رجلاً من أهل البيت يؤيد الله به الدين ، يملك سبع سنين ، يملأ الأرض عدلاً وسلاماً كما ملئت جوراً وظلماً ، تنعم الأمة في عهده نعمة لم تنعمها قط ، وتخرج الأرض نباتها ، وتمطر السماء قطرها ، ويعطي المال بغير عدد. ومن هذه الأحاديث:

أ . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): «يخرج في آخر أمتي المهدي ، يسقيه الله الغيث ، وتخرج الأرض نباتها ، ويعطي المال صحاحاً» [(٨١٣)] ، وتكثر المشية ، وتعظم الأمة ، ويعيش سبعاً أو ثمانياً» [(٨١٤)] ، يعني حججاً [(٨١٥)].

ب . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) : «لا تقوم الساعة حتى تمتلأى الأرض ظلماً وعدواناً» ، قال: «ثم يخرج رجل من عترتي . أو من أهل بيتي؛ يملؤها قسطاً وعدلاً ، كما ملئت ظلماً وعدواناً» [(٨١٦)].

ج . وعن ثوبان قال: قال رسول الله (ص) : «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ، تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم» . ثم ذكر شيئاً لا أحفظه فقال: . «فإذا رأيتموه ، فبايعوه ، ولو حبواً على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي» [(٨١٧)].

قال ابن كثير . رحمه الله .: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة ، يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي ، يكون ظهوره من بلاد المشرق ، لا من سرداب سامراء كما يزعم جهلة الرافضة من أنه موجود فيه إلى الآن ، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان ، فإن هذا نوع من الهذيان ، وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان ، إذ لا دليل على ذلك ولا برهان ، لا من كتاب ولا من سنة ، ولا معقول صحيح ولا استحسان... إلى أن قال: ويؤيد بناس من أهل المشرق ينصرونه ، ويقىمون سلطانه ، ويشيدون أركانه ، وتكون راياتهم سود أيضاً وهو زي عليه الوقار؛ لأن راية رسول الله (ص) كانت سوداء ، يقال لها: العقاب... إلى أن قال: والمقصود أن المهدي الممدوح الموعود بوجوده في آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ، ويبايع له عند البيت كما دلت على ذلك بعض الأحاديث [(٨١٨)].

د - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) : «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» [(٨١٩)].

هـ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله (ص) قال: «لا تزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة» إلى أن قال: «فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقول أميرهم: صل بنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة» [(٨٢٠)].

والأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:

أحدهما: أنه عند نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجل منهم.

والثاني: أن حضور أميرهم للصلاة ، وصلاته للمسلمين ، وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم يدل على صلاح هذا الأمير وهداه ، وجاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى: محمد بن عبد الله ، ويقال له: المهدي ، والسنة يفسر بعضها بعضاً.

و - فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) : «منا الذي عيسى ابن مريم يصلي خلفه» [(٨٢١)].

ز - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص) : «المهدي مني: أجلى الجبهة ، أقى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ، ويملك سبع سنين» [(٨٢٢)].
ولا توجد أي صلة أو علاقة بين مهدي السنة ومهدي الشيعة الرافضة. وهناك بعض الفوارق بينهما ؛ منها:

* أن المهدي عند أهل السنة اسمه (محمد بن عبد الله) فاسمه يوافق اسم النبي (ص) ، واسم أبيه يوافق اسم أبيه، أما مهدي الشيعة الرافضة، فاسمه محمد بن الحسن العسكري.

* أن المهدي عند أهل السنة من ولد الحسن رضي الله عنه ، ومهدي الشيعة الرافضة من ولد الحسين.

* أن المهدي عند أهل السنة تكون ولادته ومدة حياته طبيعية ، ولم يوجد في الأحاديث ما يدل على أنه يمتاز عن غيره من الناس بشيء من ذلك ، أما مهدي الشيعة الرافضة فإن حمله وولادته كانت في ليلة واحدة ، ودخل في السرداب وعمره تسع سنوات ، ومضى عليه الآن ما يزيد على ألف ومئة وخمسين سنة وهو في السرداب.

* أن المهدي عند أهل السنة يخرج لنصرة الإسلام والمسلمين ، ولا يفرق بين جنس و جنس ، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج لنصرة الشيعة الرافضة خاصة والانتقام من أعدائهم ، ويكره العرب وقريشاً فلا يعطيهم إلا السيف ، ولا يكون من أتباعه عربي ، كما دلت ذلك رواياتهم .
* أن مهدي السنة يحب صحابة النبي (ص) ، ويترضى عنهم ويتمسك بسنتهم ، كما يجب أمهات المؤمنين ولا يذكرهن إلا بالثناء الحسن الجميل ، أما مهدي الشيعة الرافضة فيبغض أصحاب النبي (ص) ويخرجهم من قبورهم ويعذبهم ، ثم يحرقهم . على حد زعمهم . وكذلك يبغض أمهات المؤمنين ، ويحدّ أحب نساء النبي (ص) الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها ، على حد زعمهم .
* أن مهدي أهل السنة يعمل بسنة النبي (ص) فلا يترك سنة إلا أقامها ، ولا بدعة إلا قمعها ، أما مهدي الشيعة الرافضة فإنه يدعو إلى دين جديد وكتاب جديد .

* أن مهدي السنة يقيم المساجد ويعمرها ، وأما مهدي الشيعة الرافضة فيهدم المساجد ويخربها ، فيهدم المسجد الحرام والكعبة ، ومسجد النبي (ص) ، ولا يبقي مسجداً واحداً على وجه الأرض . كما صرحوا بذلك في رواياتهم .

* أن مهدي السنة يحكم بكتاب الله وسنة نبيه (ص) ، أما مهدي الشيعة الرافضة فيحكم بحكم ال داود .

* أن مهدي السنة يخرج من المشرق ، أما مهدي الشيعة الرافضة فيخرج من سرداب سامراء .
* أن مهدي السنة حقيقة ثابتة دلت عليها أحاديث النبي (ص) ، وأقوال العلماء قديماً وحديثاً ، أما مهدي الشيعة الرافضة فوهم من الأوهام لم يخرج ولن يخرج في يوم من الأيام [(٨٢٣)] .
عاشراً: عقيدة الرجعة عند الشيعة الرافضة:

الرجعة من أصول المذهب الشيعي ، فمن رواياتهم: ليس منا من لم يؤمن بكربتنا [(٨٢٤)] . وقال ابن بابويه في الاعتقادات: واعتقادنا في الرجعة أنها حق [(٨٢٥)] . وقال المفيد: واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات [(٨٢٦)] . وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضع إجماع الشيعة الإمامية [(٨٢٧)] ، وأنها من ضروريات مذهبهم ، وأنهم: مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها ، وتحديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة [(٨٢٨)] .

ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت [(٨٢٩)] ، وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة ، ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم ، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون ، وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ ، إلا أنه قال: بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته ، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية ، الكيسانية وغيرها ، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس ، ويشير الآلوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث [(٨٣٠)] .

وأما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عند الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

١ . الإئمة الإثني عشر ، حيث يخرج المهدي من مخبئه ، ويرجع من غيبته ، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

٢ . ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة . في نظرهم . من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر) ، فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان .. ومن قبورهم يرجعون لهذه الدنيا . كما يزعم الشيعة الرافضة . للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها ، فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

٣ . عامة الناس ، ويخص منهم: من محض الإيمان محضاً ، وهم الشيعة عموماً ، ولأن الإيمان خاص بالشيعة ، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم ومن محض الكفر محضاً ، وهم كل الناس ما عدا المستضعفين [(٨٣١)] .

ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة [(٨٣٢)] ، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت [(٨٣٣)] في صورهم التي كانوا عليها [(٨٣٤)] .

واتجه شيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي يتفردون بها عن سائر المسلمين، ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني ، وركبوا متن الشطط ، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل ، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم ، ودليلاً على زيف معتقدتهم ، وبرهاناً على بطلان مذهبهم وإليك مثال على تفسيرهم للآيات : ويرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: { وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * } [الأنبياء: ٩٥] ؛ حيث يقول ما نصه: هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة ، لأن أحداً من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم . يرجعون . يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك [(٨٣٥)] ، ومع أن الآية حجة عليهم ،

فهي تدل على نفي الرجعة على الدنيا ، إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة [(٨٣٦)] ، وهذا كقوله سبحانه: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ * } [يس: ٣١] وقوله: { فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * } [يس: ٥٠] ، وزيادة (لا) هنا لتأكيد معنى النفي من (حرام) ، وهذا من أساليب التنزيل البديعة ، النهاية في الدقة.

وسر الإخبار بعد الرجوع مع وضوحه ، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم ، وفوات أمنيتهم الكبرى وهي حياتهم الدنيا [(٨٣٧)] ، وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فيه رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب [(٨٣٨)] أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء [(٨٣٩)] .

إن فكرة الرجعة عند الشيعة الرافضة بعد الموت مخالفة صريحة لنص القران الكريم ، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه ، قال تعالى: { قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * } [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] ، فقوله سبحانه: صريح في نفي الرجعة مطلقاً

وقال تعالى: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * } [الأنعام: ٢٧ - ٢٨] .

فهؤلاء جميعاً يسألون الرجوع عند الموت ، وعند العرض على الجبار جل في علاه ، وعند رؤية النار يجابون ، لما سبق في قضائه : أنهم إليها لا يرجعون ، ولذلك عد أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع [(٨٤٠)] ، وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة: وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابين ، ولو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه ولا قسمنا ميراثه [(٨٤١)] ، والقول بالرجعة بعد الموت على الدنيا مجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا ، وأنها ليست دار جزاء: { وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحِّخَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ * } [آل عمران: ١٨٥] . وقد كان لابن سبأ اليهودي دور التأسيس لمبدأ الرجعة ، إلا أنها رجعة خاصة بعلي ، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده ، وعقيدة الرجعة عند الشيعة الإمامية خلاف ما علم من الدين بالضرورة

من أنه لا حشر قبل يوم القيامة ، وأن الله كلما توعد كافراً أو ظالماً إنما توعد به يوم القيامة ، كما أنها خلاف الايات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة [(٨٤٢)].

الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى:

من أصول الاثني عشرية القول بالبداء على الله سبحانه وتعالى ، حتى بالغوا في أمره فقالوا: ما عبد الله بشيء مثل البداء [(٨٤٣)] ، وما عظم الله عز وجل بمثل البداء [(٨٤٤)] ، ولو علم

الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام فيه [(٨٤٥)] ، وما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر ، وأن يقر الله بالبداء [(٨٤٦)] .

ويبدو أن الذي أرسى هذا المعتقد عند الاثني عشرية هو الملقب عندهم بثقة الإسلام ، وهو شيخهم الكليني (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩ هـ) ؛ حيث وضع هذا المعتقد في قسم الأصول من (الكافي) ، وجعله ضمن كتاب التوحيد ، وخصص له باباً بعنوان (باب البداء) ، وذكر فيه ستة عشر حديثاً من الأحاديث المنسوبة للأئمة [(٨٤٧)].

وإذا رجعت إلى اللغة العربية لتعريف معنى البدء تجد أن القاموس يقول: بدا بدواً بداءة: ظهر. وبدا له في الأمر بدواً وبداء وبداءة: نشأ له فيه رأي [(٨٤٨)] ، فالبداء في اللغة له معنيان:

١ - الظهور بعد الخفاء ؛ تقول: بدا سور المدينة ، أي: ظهر.

٢ - نشأة الرأي الجديد. قال الفراء: بدا لي بداء ، أي: ظهر لي رأي آخر ، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي [(٨٤٩)]. وكلا المعنيين وردا في القرآن ، فمن الأول قوله تعالى: { وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ } [البقرة: ٢٨٤] ، ومن الثاني قوله: { ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنُنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ * } [يوسف: ٣٥] ، وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم ، وكلاهما محال على الله سبحانه ، ونسبته إلى الله سبحانه من أعظم الكفر ، فكيف تجعل الشيعة الاثني عشرية هذا من أعظم العبادات وتدعي أنه ما أعظم الله عز وجل بمثل البداء؟ سبحانه هذا بهتان عظيم [(٨٥٠)].

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود ؛ فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه [(٨٥١)] ، ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة ، التي أخذها من (توراته) في المجتمع

الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع ، وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه ، ذلك أن فرق السبئية كلهم يقولون بالبداء ، وأن الله تبدو له البداوات [(٨٥٢)] ، ثم انتقلت هذه المقالة إلى فرقة (الكيسانية) أو المختارية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول بالبداء والاهتمام به ، والتزامه عقيدة [(٨٥٣)].

وكان شيوخ الشيعة يُمتنون أتباعهم بأن الأمر سيعود إليهم ، والدولة ستكون لهم ، حتى إنهم حددوا ذلك بسبعين سنة في رواية نسبوها لأبي جعفر ، فلما مضت السبعون ولم يتحقق شيء من تلك الوعود اشتكى الأتباع من ذلك فحاول مؤسسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنه قد بدا الله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد [(٨٥٤)].

وقد دل القرآن الكريم على إثبات صفة العلم لله تعالى ، وعلى بطلان ما نسبته الشيعة الراضية من عقيدة البداء لله ؛ التي أفضت إلى نسبة الجهل إليه تعالى .

والآيات الدالة على إثبات صفة العلم لله تعالى كثيرة ؛ منها قوله تعالى: {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ* وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ*} [الأنعام: ٥٩ - ٦٠].

وقال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ*} [الملك: ١٤].

قال ابن تيمية - رحمه الله -: قد دلت هذه الآية على وجوب علمه بالأشياء من وجوه انتظمت ... لأهل النظر والاستدلال القياسي العقلي:

أحدها: أنه خالق لها ، والخلق هو الإبداع بتقدير ، ذلك يتضمن تقديرها في العلم قبل تكونها في الخارج.

الثاني: أن ذلك مستلزم للإرادة المشيئة ، والإرادة مستلزمة لتصور المراد والشعور به.

الثالث: أنها صادرة عنه ، وهو سببها التام ، والعلم بأصل الأمر وسببه يوجب العلم بالفرع المسبب ، فعلمه بنفسه مستلزم بكل ما يصدر عنه.

[١] رجال الكشي ، ص ١٠١ ؛ المقالات والفرق للقمي ، ص ٢٠ .

[٢] رجال الكشي ، ص ١٠١ ؛ أصول الشيعة (٢/٧٩٢).

[٣] عقائد الصدوق ، ص ١٠٦ .

- [٤] المصدر السابق نفسه.
- [٥] بحار الأنوار (٣٤٢/٣٩).
- [٦] أصول الكافي (٢٢٧/١).
- [٧] المصدر السابق (٢٨٦/١).
- [٨] النافع يوم الحشر ، ص ٤٧.
- [٩] أصول الشيعة الإمامية ، ص ٥٨.
- [١٠] بحار الأنوار (٨٢/٢٦).
- [١١] المصدر السابق نفسه (٨٢/٢٦).
- [١٢] أصول الشيعة الإمامية (٧٩٤/٢).
- [١٣] غاية المرام للامدي ، ص: ٣٦٣ ؛ الاقتصاد للغزالي ، ص ١٣٤.
- [١٤] أصول الكافي (١٨/٢) ، رقم ٣.
- [١٥] المصدر السابق نفسه.
- [١٦] مرآة العقول (١٠٢/٧).
- [١٧] عقائد الإمامية ، ص ١٠٢.
- [١٨] بحار الأنوار (٦٩/٢٣).
- [١٩] الاعتقادات ، ص ١٠٣ ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، محمد الخضر ، ص ١٢٧.
- [٢٠] الحدائق الناضرة (١٥٣/١٨).
- [٢١] بحار الأنوار (٣٩٠/٢٣).
- [٢٢] الألفين ، ص ٣ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٨٦٧/٢).
- [٢٣] أصول الشيعة الإمامية (٨٦٧/٢).
- [٢٤] المسائل للمفيد ، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار (٣٦٦/٨).
- [٢٥] الأنوار العلمانية (٢٧٩/٢).

- [٢٦] أصول الشيعة الإمامية (٨٦٨/٢).
- [٢٧] شرح الأصول الخمسة ، ص ٧٦١.
- [٢٨] تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها.
- [٢٩] الفرق بين الفرق ، ص ٣٢١.
- [٣٠] كتاب سليم بن قيس ، ص ٧٤ - ٧٥.
- [٣١] رجال الكشي ، ص ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١.
- [٣٢] أصول الشيعة الإمامية (٧٨٠/٢).
- [٣٣] تفسير العياشي (١٩٩/١) ؛ البرهان (٣١٩/١) ؛ تفسير الصافي (٣٨٩/١)؛ أصول الشيعة الإمامية (٨٩١/٢).
- [٣٤] أصول الشيعة الإمامية (٨٩١/٢).
- [٣٥] أصول الكافي (٢٤٧/١).
- [٣٦] رجال الكشي ، ص ٥٢.
- [٣٧] أصول الشيعة الإمامية (٨٩٢/٢).
- [٣٨] كشف الغطاء لجعفر النجفي ، ص ٥ ؛ أصول الشيعة (٨٩٢/٢).
- [٣٩] أصول الشيعة الإمامية (٨٩٢/٢).
- [٤٠] أصول الكافي (٣٧٢/١ - ٣٧٤).
- [٤١] المصدر السابق نفسه (٣٠٠/١) ؛ رجال الكشي ، ص ٥٧ - ٦٠.
- [٤٢] أصول الشيعة الإمامية (٨٩٣/٢).
- [٤٣] بحار الأنوار (٢٢٧/٢٢ - ٢٤٧).
- [٤٤] المصدر السابق نفسه (٢٤٥/٢٢).
- [٤٥] تفسير القمي (٣٧٧/٢).
- [٤٦] تفسير ابن كثير (٢٨٩/٣ - ٢٩٠) ؛ الصارم المسلول ، ص ٥١.
- [٤٧] تفسير القرطبي (٢٠٦/١٢).
- [٤٨] الكافي (٣٧٢/١ - ٣٧٤).

[٤٩] المصدر السابق نفسه (٣٧٤/١ - ٣٧٦).

[٥٠] هو: المهدي المنتظر.

[٥١] الكافي: بشرحه للمازندراني (٣٧١/١٢) ؛ بحار الأنوار (١١٣/٢٥) ؛ أصول الشيعة الإمامية (١٨٩٦/٢).

[٥٢] أصول الشيعة الإمامية (١٨٩٦/٢).

[٥٣] مرآة العقول (٣٧٨/٤).

[٥٤] أصول الشيعة الإمامية (١٨٩٦/٢).

[٥٥] أصول الكافي (٤٠٩/٢).

[٥٦] المصدر السابق نفسه (٤١٠/٢).

[٥٧] الفتاوى (٢٩٩/٢٠ - ٣٠٠).

[٥٨] بحار الأنوار (٢٠٨/٦٠) ؛ تفسير القمي ، ص ٥٩٦.

[٥٩] تفسير العياشي (٣٠٤/١) ؛ البرهان (٤٥٦/١).

[٦٠] تفسير العياشي (٣٠٥/١) ؛ البرهان (٤٥٧/١).

[٦١] بحار الأنوار (٢١١/٦٠) ؛ أصول الشيعة (٩٠٠/٢).

[٦٢] بحار الأنوار (٢٠٨/٥).

[٦٣] مسلم (٢٩٧٠/٢).

[٦٤] بحار الأنوار (٢٠٦/٦٠) ، أصول الشيعة (٩٠١/٢).

[٦٥] نفس المصدرين السابقين.

[٦٦] أصول الشيعة الإمامية (٩٠٢/٢) ؛ أصول الكافي (٦٧/١).

[٦٧] أصول الشيعة الإمامية (٩٠٢/٢).

[٦٨] هذا اللقب يطلق على أهل السنة ، وقد يتناول كل مخالف.

[٦٩] بحار الأنوار (٢١٦/٢) ؛ أصول الشيعة الإمامية (٩٠٥/٢).

[٧٠] أصول الكافي (٣٩٢/١ - ٣٩٣) ؛ أصول الشيعة (٩٠٥/٢).

- [٧١] مجموع الفتاوى (٢٦١/٢٨ - ٢٦٢).
- [٧٢] الإبانة لابن بطة ، ص ٤١ .
- [٧٣] أصول الشيعة الإمامية (٩١٦/٢).
- [٧٤] التشيع والشيعة ، ص ٦٦ ؛ أصول الشيعة (٩١٦/٢).
- [٧٥] ثم أبصرت الحقيقة ، محمد سالم ، ص ١٣٠ .
- [٧٦] دراسات عن الفرق ، د. أحمد جلي ، ص ٢٠٣ ؛ مسألة التقريب (٣٢٢/١).
- [٧٧] أوائل المقالات للمفيد ، ص ٣٥ .
- [٧٨] كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ، ص ٩٠ .
- [٧٩] بحار الأنوار (٢٠٥/٩).
- [٨٠] إكمال الدين للصدوق ، ص ٤٧٤ .
- [٨١] نقل ذلك عن الزنجاني في عقائد الإمامية الاثني عشرية (١٥٧/٢).
- [٨٢] عقائد الإمامية ، ص ١٠٤ .
- [٨٣] العقيدة في أهل البيت ، ص ٣٧١ .
- [٨٤] منار الهدى ، ص ١٠٢ .
- [٨٥] معالم المدرستين ، ص ١٥٩ .
- [٨٦] البحار (٣٥١/٢٥).
- [٨٧] مسألة التقريب (٣٣٠/١).
- [٨٨] شرح عقائد الصدوق للمفيد ، ص ١٦٠ ، ١٦١ .
- [٨٩] البحار (٣٥٠/٢٥).
- [٩٠] تنقيح المقال (٢٤٠/٣).
- [٩١] المصدر السابق نفسه ، مسألة التقريب (٩٧/٢).
- [٩٢] مسألة التقريب (٩٨/٢).

[٩٣] كشف الارتباب ، المقدمة الثانية ، ومهذب الأحكام (٣٨٨/١ - ٣٩٣).

[٩٤] صراط الحق (١٢١/٣) ؛ مسألة التقريب (٩٨/٢).

[٩٥] مسألة التقريب (٩٨/٢).

[٩٦] الشيعة في الميزان ، محمد جواد ، ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

[٩٧] مسألة التقريب (٩٨/٢).

[٩٨] المصدر السابق نفسه (٣٢٩/١).

[٩٩] المصدر السابق نفسه (٣٢٤/١).

[١٠٠] بحار الأنوار (١٩١/٢٥).

[١٠١] أعيان الشيعة (٤٥٨/١).

[١٠٢] أصل الشيعة ، ص ٥٩.

[١٠٣] اختلف السلف في معنى العهد . كما سيأتي . ، ولكن الروافض يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل.

[١٠٤] مجمع البيان للطبرسي (٢٠١/١) ؛ التبيان للطوسي (٤٤٩/١).

[١٠٥] المحرر الوجيز لابن عطية (٢٥٠/١) ؛ أصول الشيعة (٩٥٣/٢).

[١٠٦] أصول الشيعة الإمامية (٩٥٣/٢).

[١٠٧] المصدر السابق نفسه.

[١٠٨] هم يعنون بالظلم الشرك؛ لأن مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنهما قد أسلما بعد شرك ، والشرك لم ينفكّ عنهما بعد إيمانهما في زعمهم ، ولذلك قال الكليني: هذه الآية أبطلت إمامة كل ظالم. أصول الكافي (١٩٩/١).

[١٠٩] روح المعاني للآلوسي (٣٧٧/١).

[١١٠] منهاج السنة (٣٠٢/١ - ٣٠٣).

[١١١] الثمرات اليناعة ، يوسف بن أحمد الزبيدي ، مخطوطة نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٩٥٥/٢).

[١١٢] عائشة التي يدعون أنها تبغض علي هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة.

[١١٣] مرط: يعني كساء.

[١١٤] مرحل: وهو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل.

[١١٥] سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، رقم ٣٧٨٨.

[١١٦] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٧٦.

[١١٧] المصدر السابق نفسه.

[١١٨] المصدر السابق نفسه ، ص ١٧٧.

[١١٩] فضائل الصحابة (٧٢٧/٢) ، رقم ١٩٩٤ ، إسناده فيه ضعف وله طرق تقويه.

[١٢٠] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٧٧.

[١٢١] فضائل الصحابة (٨٥٢/٢) ، رقم ١١٧٠ ، إسناده حسن.

[١٢٢] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٧.

[١٢٣] الإمامة والنص ، فيصل نور ، ص ٣٨٦.

[١٢٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٩١.

[١٢٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٩٣.

[١٢٦] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨١.

[١٢٧] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٢.

[١٢٨] وسطية أهل السنة بين الفرق ، محمد باعبد الله ، ص ٣٨٧.

[١٢٩] سنن الترمذي ، كتاب مناقب أهل البيت ، رقم ٣٧٨٧.

[١٣٠] سنن الترمذي ، كتاب مناقب أهل البيت ، رقم ٣٧٨٧ ، صححه الألباني.

[١٣١] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٢ .

[١٣٢] الإمامة والنص ، ص ٣٨٧ .

[١٣٣] أصول الكافي (١/١٩٨) .

[١٣٤] المصدر السابق نفسه (١/١٩٧) .

[١٣٥] أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٥٨) .

[١٣٦] كشف المراد لابن المطهر ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ ؛ نهج المسترشدين ، ص ٦٣ ؛ الشيعة في

عقائدهم ، ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

[١٣٧] المنتقى ، ص ٤١٠ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٥٨ ، ٩٥٩) .

[١٣٨] التمهيد لابن عبد البر (٤/٢٦٤) .

[١٣٩] الفتاوى (١٩/٦٦) .

[١٤٠] منهاج السنة (٢/١٠٤) .

[١٤١] منهاج السنة (٣/٢٤٨) .

[١٤٢] المصدر السابق نفسه (٣/١٧٤) .

[١٤٣] منهاج السنة (٢/١٠٥) .

[١٤٤] المصدر السابق نفسه (٣/١٧٥) .

[١٤٥] نهج البلاغة ، ص ٣٣٥ .

[١٤٦] أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٦٤) .

[١٤٧] نهج البلاغة ، ص ٨٢ .

[١٤٨] فصل الغيبة والمهدية ، ص ٨٢٤ .

[١٤٩] وأيت: وعدت .

[١٥٠] نهج البلاغة ، ص ١٠٤ .

[١٥١] أصول الشيعة الإمامية (٢/٩٦٥) .

[١٥٢] المصدر السابق نفسه (٩٦٦/٢).

[١٥٣] المقالات والفرق للقمي ، ص ٢٥ ؛ فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٢٥ ، ٢٦.

[١٥٤] أصول الشيعة الإمامية (٩٦٩/٢ - ٩٧٣).

[١٥٥] الإمامة والنص ، فيصل نور ، ص ٨.

[١٥٦] أصول الشيعة الإمامية (٨٠٠/٢).

[١٥٧] أصول الكافي (١٦/٢ - ١٧).

[١٥٨] البخاري ، رقم ١٤٧١ ، كتاب الوصايا.

[١٥٩] بذل المجهود في إثبات مشابحة الرافضة لليهود (١٩٠/١).

[١٦٠] البخاري ، كتاب المغازي ، رقم ٤٤٤٧.

[١٦١] البخاري ، كتاب الحدود ، رقم ٦٨٣٠.

[١٦٢] الإمامة والرد على الرافضة ، تحقيق: علي ناصر فقيهي ، ص ٢٣٨.

[١٦٣] مسلم (١٥٦٧/٣) ، رقم ١٩٧٨.

[١٦٤] البداية والنهاية (٢٢١/٥).

[١٦٥] شرح صحيح مسلم (١٥١/١٣).

[١٦٦] الاعتقاد ، ص ١٨٤ ، وقال البيهقي في دلائل النبوة: سنده حسن.

[١٦٧] الاعتقاد ، ص ١٨٤ ، إسناده جيد.

[١٦٨] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٦٢٠/٢).

[١٦٩] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٦٥.

[١٧٠] المنهاج (٣٦٢/٨) ؛ الفصل (١٦١/٤).

[١٧١] المنهاج (٥٠/٧).

- [١٧٢] أصول الشيعة الإمامية (٨٠٠/٢).
- [١٧٣] رجال الكشي ، ص ١٨٦.
- [١٧٤] مجلة الفتح ، ص ٥ ؛ العدد ٨٦٢ ، عام ١٣٦٧ هـ.
- [١٧٥] أصول الشيعة الإمامية (٨٠٣/٢).
- [١٧٦] بحار الأنوار (٢٥٩/١٠٠) ؛ أصول الشيعة الإمامية (٨٠٥/٢).
- [١٧٧] أصول الشيعة الإمامية (٨٠٦/٢).
- [١٧٨] مختصر التحفة ، ص ١٩٣.
- [١٧٩] أصول الشيعة الإمامية (٨٠٧/٢).
- [١٨٠] منهاج السنة (١١/٢).
- [١٨١] أصول الشيعة الإمامية (٨٠٨/٢).
- [١٨٢] لا تصبر له ولا تطيق احتماله.
- [١٨٣] أغامت: غطيت بالغييم.
- [١٨٤] المحجة: الطريق المستقيمة.
- [١٨٥] نهج البلاغة ، خطبة رقم ٩٢ ، ص ٢٣٦.
- [١٨٦] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٥٨.
- [١٨٧] نهج البلاغة: كتاب إلى معاوية رقم ٦ ، ص ٥٢٦.
- [١٨٨] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٦١.
- [١٨٩] الحكومة الإسلامية للخميني ، ص ٦٨ ؛ أصول الشيعة (٨١٤/٢).
- [١٩٠] الحكومة الإسلامية للخميني ، ص ٢٤٨ ؛ أصول الشيعة (٨١٤/٢).
- [١٩١] البخاري ، كتاب الأحكام ، باب الاستخلاف (١٢٧/٨).
- [١٩٢] مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الناس (١٤٥٣/٢).
- [١٩٣] المصدر السابق نفسه (١٤٥٣/٢).
- [١٩٤] المصدر السابق نفسه (١٤٥٢/٢).

- [١٩٥] سنن أبي داود ، كتاب المهدي (٤/٤٧١).
- [١٩٦] سنن أبي داود (٤/٤٧٢) ؛ فتح الباري (١٣/٢١١).
- [١٩٧] أصول الشيعة الإمامية (٢/٨١٥).
- [١٩٨] منهاج السنة (٤/٢١٠) ؛ المنتقى ، ص ٥٣٣.
- [١٩٩] أصول الشيعة الإمامية (٢/٨١٦).
- [٢٠٠] المصدر السابق نفسه.
- [٢٠١] المصدر السابق نفسه.
- [٢٠٢] المصدر السابق نفسه.
- [٢٠٣] أصول الشيعة الإمامية (٢/٨١٦).
- [٢٠٤] منهاج السنة (٤/٢٠٦).
- [٢٠٥] مسلم (٢/١٤٥٣).
- [٢٠٦] منهاج السنة (٤/٢١١).
- [٢٠٧] أصول الشيعة الإمامية (٢/٨١٨).
- [٢٠٨] منهاج السنة (١/٥٩).
- [٢٠٩] تلخيص الشافي (٢/١٠) ، نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية (٢/٨٢٢).
- [٢١٠] مجمع البيان (٢/١٢٨) ، نقلاً عن أصول الشيعة الإمامية (٢/١٢٨).
- [٢١١] عقائد الإمامية الاثني عشرية (١/٨١ - ٨٢) ؛ أصول مذهب الشيعة (٢/٨٢٣).
- [٢١٢] أصول مذهب الشيعة (٢/٨٢٣).
- [٢١٣] عقائد الإمامية الاثني عشرية (١/٨١ - ٨٢) ، نقلاً عن المرجع السابق (٢/٨٢٣).
- [٢١٤] منهاج السنة (٤/٤).
- [٢١٥] أصول مذهب الشيعة (٢/٨٢٤).
- [٢١٦] تفسير ابن كثير (٢/٧٦ - ٧٧).
- [٢١٧] مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص ١٤١ - ١٤٢.

[٢١٨] المصدر السابق نفسه، ص ١٤١-١٤٢، عقيدة أهل البيت بين الإفراط والتفريط، ص ٤٧٣ .
وانظر: أسباب النزول للواحدي ، تحقيق: أيمن شعبان ، ص ١٦٣ . اليهود في السنة المطهرة (٢٨٢/١) ؛
ويبقى الخبر الذي رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل يتقوى مع المتابعات والشواهد. وانظر: مختصر
تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفاسير عن الحافظ ابن كثير لأحمد محمد شاکر (٧٠١/١) ، فقد
قال أحمد شاکر فيمن قال: نزلت في علي رضي الله عنه : بل هي من أكاذيب الشيعة الذين يلعبون
بتأويل القرآن.

[٢١٩] رواه ابن هشام في السيرة في أمر بني قينقاع (٤٩/٢) عن عبادة بن الوليد؛ ورواه ابن جرير في
تفسيره في تأويل قوله تعالى: {...} تفسير الطبري {يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
أَوْلِيَاءَ} ، ورجال إسناده من طريق ابن جرير - موثوقون ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عن والده
لكنه مرسل ، فإن عبادة بن الوليد تابعي جليل روى عن أبيه وجده وغيرهما ، وهو ثقة. التهذيب
(١١٤/٥).

[٢٢٠] أصول مذهب الشيعة (٨٢٦/٢).

[٢٢١] تفسير الفخر الرازي (٢٥/١٢).

[٢٢٢] منهاج السنة (٥/٤).

[٢٢٣] المصدر السابق نفسه (٢٠٨/١) (٥/٤).

[٢٢٤] منهاج السنة (٥/٤) ؛ أصول مذهب الشيعة (٨٢٥/٢).

[٢٢٥] أصول مذهب الشيعة (٢٨٢٥).

[٢٢٦] حقبة من التاريخ ، ص ١٩٣ .

[٢٢٧] أصول مذهب الشيعة (٨٢٧/٢).

[٢٢٨] المصدر السابق نفسه.

[٢٢٩] الكشاف للزمخشري (٦٢٤/١) ؛ تفسير الرازي (٢٥/١٢).

[٢٣٠] حقبة من التاريخ ، ص ١٩٤ .

[٢٣١] أصول مذهب الشيعة ، ص ٨٢٥ .

- [٢٣٢] أصول مذهب الشيعة الإمامية (٨٢٩/٢).
- [٢٣٣] وقد قام الدكتور علي السالوس بدراسة مستفيضة حول الايات التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة ، وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول ، وتأويلات انفردوا بها لم يصح شيء من هذا ولا ذاك . مع الشيعة الاثني عشرية (٥٥/١ إلى ١١١).
- [٢٣٤] تفسير التبيان للطوسي (٤٨٥/٣).
- [٢٣٥] تاج العروس (٥٧٠/١٦) ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٨.
- [٢٣٦] مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص ١٥٦.
- [٢٣٧] مختصر منهاج السنة (١٦٧/١ - ١٦٨).
- [٢٣٨] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٨.
- [٢٣٩] المصدر السابق نفسه ، ص ١٨٩.
- [٢٤٠] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٨٩.
- [٢٤١] المصدر السابق نفسه ، ص ١٩٠.
- [٢٤٢] منهاج السنة (١٢٥/٧ - ١٢٦).
- [٢٤٣] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٥٦٤/٢ - ٥٦٥).
- [٢٤٤] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ١٩١.
- [٢٤٥] اية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة ، عبد الهادي الحسيني ، ص ٥.
- [٢٤٦] مجمع البيان للطبرسي (٤٩/٢٥ - ٥١) ؛ مختصر التحفة الاثني عشرية ، ص ١٥٣ إلى ١٥٥.
- [٢٤٧] تفسير البغوي (١١٩/٤) ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص ٣٦٤.
- [٢٤٨] منهاج السنة (٩٩/٧) ؛ دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، حلي ، ص ١٩٠.
- [٢٤٩] البخاري ، كتاب التفسير ، رقم ٤٨١٨.
- [٢٥٠] منهاج السنة (١٠٠/٧).
- [٢٥١] المصدر السابق نفسه.

[٢٥٢] تفسير ابن كثير (١١٢/٤) ؛ فتح الباري (٥٦٤/٨).

[٢٥٣] معجم البلدان (٢٨٩/٢).

[٢٥٤] على طريق الهجرة ، عاتق البلاد ، ص ٦١ .

[٢٥٥] أثر التشيع على الروايات التاريخية ، عبد العزيز محمد نور ولي ، ص ٢٩٩ .

[٢٥٦] مسلم ، رقم ٢٤٠٨ .

[٢٥٧] سنن الترمذي ، رقم ٣٧١٣ .

[٢٥٨] مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية ، رقم ٦٧٠ ، صحيح لغيره .

[٢٥٩] خصائص علي ، رقم ٧٩ ، صحيح رجاله ثقات .

[٢٦٠] المستدرک (١١٠/٣) .

[٢٦١] حقبة من التاريخ ، ص ١٨٢ .

[٢٦٢] انظر: السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم ١٧٥٠ .

[٢٦٣] مجمع الزوائد (١٢٧/٩) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير عبد الجليل بن عطية ، وهو

ثقة صرح بالسماع ، وفيه لين .

[٢٦٤] مسلم ، رقم ١٢٨١ .

[٢٦٥] البز: الثياب ، أو متاع البيت من الثياب .

[٢٦٦] البداية والنهاية (٩٥/٥) ؛ السيرة النبوية لابن هشام (٢٥٩/٤) قال ابن كثير: هذا السياق

أقرب من سياق البيهقي (دلائل النبوة ٣٩٨/٥) رغم أنه قال عن رواية البيهقي: هذا إسناد جيد على

شرط النسائي .

[٢٦٧] البداية والنهاية (٩٥/٥) .

[٢٦٨] السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم ١٧٥٠ .

[٢٦٩] النهاية في غريب الحديث (٢٢٨/٥) .

[٢٧٠] حقبة من التاريخ ، ص ١٨٥ .

[٢٧١] النهاية في غريب الحديث (٢٢٨/٥) .

[٢٧٢] حقة من التاريخ ، ص ١٨٧ .

[٢٧٣] أضواء على دراسة السيرة النبوية ، صالح الشامي ، ص ١١٣ - ١١٤ .

أثر التشيع على الروايات التاريخية ، ص ٣٠٤ .

[٢٧٤] السلسلة الصحيحة (٣٣٦/٤) ، قال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين .

[٢٧٥] ومع هذا الضعف جاء في كتاب المراجعات للموسوي بأنها متواترة ، ص ٥١ ونسب للشيخ

سليم البشرى أنه تلقى هذا القول بالقبول ، ص ٤٥ ، وأنه طلب المزيد . وذكر صاحب المراجعات

روايات أخرى أشد ضعفاً . مع الشيعة الاثني عشرية (١٣٦/١) .

[٢٧٦] مع الشيعة الاثني عشرية (١٣٦/١) .

[٢٧٧] فيض القدير (١٤/٣) .

[٢٧٨] منهاج السنة النبوية (١٠٥/٤) .

[٢٧٩] سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، رقم ٣٧٨٦ ، وفيه زيد الأنماطي ، والحديث له أكثر من طريق

لا يخلو من طريق منها من كلام مع اختلاف المتون .

[٢٨٠] حقة من التاريخ ، ص ٢٠٣ .

[٢٨١] المصدر السابق نفسه .

[٢٨٢] المصدر السابق نفسه .

[٢٨٣] البخاري ، رقم ٣٤٤٥ .

[٢٨٤] البخاري ، رقم ٣٦٧١ .

[٢٨٥] حقة من التاريخ ، ص ٢٠٤ .

[٢٨٦] مستدرک الحاكم (٩٣/١) .

[٢٨٧] سنن أبي داود (٢٠١/٤) ؛ الترمذي ، وقال: حسن صحيح .

[٢٨٨] صحيح سنن الترمذي للألباني (٢٠٠/٣) .

[٢٨٩] سنن الترمذي ، رقم ٣٨٠٥ .

[٢٩٠] حقة من التاريخ ، ص ٢٠٥ .

- [٢٩١] رجال النجاشي ، ص ٥٢ ، نقلاً عن حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥ .
- [٢٩٢] بحار الأنوار (١٩٤/٤٦) اتهموه أنه كان يشرب الخمر ؛ حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥ .
- [٢٩٣] الكافي (٥٠٤/١) اتهموه بأنه فاجر ماجن شريب للخمر ؛ حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥ .
- [٢٩٤] حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٥ .
- [٢٩٥] فضائل الصحابة (٧٠٢/٢) ، حديث ، رقم ٩٦٧ .
- [٢٩٦] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٠٠ .
- [٢٩٧] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٠١ ، كذلك الرواية في كتب أهل السنة ؛ الاعتقاد للبيهقي ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ؛ ومن كتب الشيعة: بصائر المؤمنين للصفار ، ص ١٥٣ - ١٥٦ .
- [٢٩٨] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٠١ .
- [٢٩٩] المرتضى للندوي ، ص ٥٥ .
- [٣٠٠] مسلم .
- [٣٠١] البخاري ، رقم ٢٤٠٤ .
- [٣٠٢] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢١٥ .
- [٣٠٣] السيرة النبوية لابن هاشم (٢ ، ٦٥٠ ، ٨٠٤ ، ٨٠٦) .
- [٣٠٤] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢١٥ .
- [٣٠٥] مسند أحمد (٣٨٣/١) إسناده صحيح .
- [٣٠٦] حقبة من التاريخ ، ص ٢٠٠ .
- [٣٠٧] شرح صحيح مسلم (١٧٤/١٣) .
- [٣٠٨] الفصل (١٥٩/٤ - ١٦٠) .
- [٣٠٩] فتح الباري (٧٤/٧) ؛ الانتصار للصحب والال ، ص ٥٤٠ .
- [٣١٠] منهاج السنة (٣٣٠/٧ - ٣٣٢) ؛ مجموع الفتاوى (٤١٦/٤) .

- [٣١١] دراسات في عهد النبوة للشجاع ، ص ٢٧٠ .
- [٣١٢] المصدر السابق نفسه .
- [٣١٣] المستدرک (٣/ ١٣٠ - ١٣١) ، ضعيف من حيث السند والمتن .
- [٣١٤] البداية والنهاية (٧/ ٣٥٤) .
- [٣١٥] العلل المتناهية (١/ ٢٢٥ - ٢٣٤) .
- [٣١٦] منهاج السنة (٤/ ٩٩) .
- [٣١٧] تحفة الأحوزي (١٠/ ٢٢٤) .
- [٣١٨] مع أن عمره انذاك ما يقارب عشر سنوات .
- [٣١٩] المراجعات ، المراجعة ٢ (١/ ٣٥٠) من كتاب الحجج الدامغات لنقض كتاب المراجعات ، أبو مريم بن محمد الأعظمي .
- [٣٢٠] المجروحين لابن حبان ، ص ١٤٣ .
- [٣٢١] الضعفاء والمتروكين للنسائي ، ص ٢١٠ .
- [٣٢٢] ميزان الاعتدال (٢/ ٤٥٧) .
- [٣٢٣] البخاري ، رقم ٤٤٩٢ .
- [٣٢٤] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٢٢٤ .
- [٣٢٥] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، ص ٧١ رقم ٢٥٧ ؛ الفتاوى (٤/ ٤١٠) .
- [٣٢٦] ضعيف الجامع الصغير (٢/ ١٣) ، رقم ١٤١٦ .
- [٣٢٧] منهاج السنة (٤/ ١٠٧ ، ١٠٨) ؛ دراسة عن الفرق ، جلي ، ص ١٩٥ .
- [٣٢٨] المقدمة ، ابن خلدون ، ص ١٩٧ .
- [٣٢٩] الفصل ، (ابن حزم) (٤/ ١٤٨) .
- [٣٣٠] شرح نهج البلاغة (١١/ ٤٨ - ٥٠) ، نقلاً عن دراسة عن الفرق ، لشيخ الدكتور أحمد جلي ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

[٣٣١] دراسة عن الفرق ، ص ١٩٦ .

[٣٣٢] الحكومة الإسلامية للخميني ، ص ٤٢ ، ٤٣ ؛ دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٩٦ .

[٣٣٣] رجال الكشي ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ؛ أصول مذهب الشيعة الإمامية (٧٩٢/٢) .

[٣٣٤] أصول مذهب الشيعة (٧٩٢/٢) .

[٣٣٥] دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ١٩٧ .

[٣٣٦] النظام السياسي للدولة الإسلامية ، ص ١٤٧-٢٣٦ .

[٣٣٧] دراسة الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ١٩٨ .

[٣٣٨] الحكومة الإسلامية ، اية الله الخميني ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

[٣٣٩] دراسة في الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٢٠٠ .

[٣٤٠] أصول الكافي (٤٢٧/١) ، رقم ٧٦ .

[٣٤١] تفسير القمي (٢٥١/٢) .

[٣٤٢] البرهان (٨٣/٤) ؛ وتفسير الصافي (٣٢٨/٤) .

[٣٤٣] هذا لفظ الكليني في الكافي ؛ أصول الشيعة (٥١٩/٢) .

[٣٤٤] أصول الشيعة (٥١٩/٢) .

[٣٤٥] البرهان (٨٣/٤) ؛ أصول الشيعة (٥١٩/٢) .

[٣٤٦] أصول الشيعة الإمامية (٥٢٠/٢) .

[٣٤٧] تفسير ابن كثير (٦٧/٤) ؛ تفسير البغوي (٢٨٤/٤) .

[٣٤٨] تفسير الطبري (٢٤/٢٤) ؛ تفسير القرطبي (٢٧٧. ٢٧٦/١٥) ؛ فتح القدير (٤٧٤/٤) ،

روح المعاني للآلوسي (٢٤. ٢٣/٢٤) .

[٣٤٩] أصول الشيعة الإمامية (٥٢٢/٢) .

[٣٥٠] أصول الكافي (٤٣٧/١) .

- [٣٥١] أمالي الصدوق ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .
- [٣٥٢] أمالي الصدوق ، ص ٢٩٠ ؛ بحار الأنوار (١٦٧/٢٧) .
- [٣٥٣] تفسير فرات ، ص ١٤٨ - ١٤٩ ؛ بحار الأنوار (٢٤٧/٢٣) .
- [٣٥٤] أصول الشيعة الإمامية (٥٣٥/٢) .
- [٣٥٥] بحار الأنوار (٩٧/٢٣) .
- [٣٥٦] المصدر السابق (٩٧/٢٣) .
- [٣٥٧] عقائد الإمامية للمظفر ، ص ٩٨ - ٩٩ .
- [٣٥٨] أمالي الصدوق ، ص ٣٦٣ ؛ أصول الشيعة (٥٣٩/٢) .
- [٣٥٩] بحار الأنوار (١٠٣/٢٣) .
- [٣٦٠] أصول الشيعة الإمامية (٥٤٠/٢) .
- [٣٦١] المصدر السابق نفسه .
- [٣٦٢] وسائل الشيعة (١١٤٢/٤) ؛ أصول الشيعة (٥٤١/٢) .
- [٣٦٣] وهذا أحد أبواب بحار الأنوار (٣١٩/٢٦) .
- [٣٦٤] أصول الشيعة الإمامية (٥٤٥/٢) .
- [٣٦٥] منهاج السنة (١٢٤/٢) .
- [٣٦٦] ثواب الأعمال ، ابن بابويه ، ص ٥٢ ؛ تهذيب الأحكام للطوسي (١٦/٢) .
- [٣٦٧] فروع الكافي للكليني (٣٢٤/١) ؛ من لا يحضره الفقيه ، بابويه (١٨٢/١) .
- [٣٦٨] كامل الزيارات ، ص ١٤٦ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٥٦١/٢) .
- [٣٦٩] أصول الشيعة الإمامية (٥٦١/٢) .
- [٣٧٠] المصدر السابق نفسه .
- [٣٧١] منهاج السنة (١٧٥/١) ؛ مجموع الفتاوى (٤٩٨/١٧) .
- [٣٧٢] أصول مذهب الشيعة الإمامية (٥٥٠/٢) إلى (٥٨٦) .

[٣٧٣] المصدر السابق نفسه (٥٨٠/٢).

[٣٧٤] البخاري ، فتح الباري (٦٦٧/٨) ، موقف عبد الله بن عباس من حكم المرفوع قاله الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٠ .

[٣٧٥] مسلم ، كتاب الجنائز ، رقم ٩٦٩ .

[٣٧٦] فروع الكافي (٢٢٧/٢) ؛ وسائل الشيعة (٨٦٩/٢) .

[٣٧٧] تهذيب الأحكام للطوسي (١٣٠/١) ؛ وسائل الشيعة (٨٦٩/٢) .

[٣٧٨] تهذيب الأحكام (٣٠/١) ؛ المحاسن للبرقي ، ص ٦١٢ .

[٣٧٩] من لا يحضره الفقيه (١٩٤/٢) ؛ ابن بابويه ، وسائل الشيعة (٨٧٠/٢) .

[٣٨٠] أصول الشيعة الإمامية (٥٨٤/٢) .

[٣٨١] تيسير العزيز الحميد لشرح كتاب التوحيد ، ص ٣٠٥ .

[٣٨٢] أصول الكافي (٤٤١/١) ؛ بحار الأنوار (٣٤٠/٢٥) .

[٣٨٣] بحار الأنوار (٣٤١/٢٥ - ٣٤٢) .

[٣٨٤] الظالمون في معتقدتهم هم خلفاء الدولة الإسلامية ، ما عدا أمير المؤمنين علياً وابنه الحسين

رضي الله عنهما ؛ لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يوماً واحداً وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم .

[٣٨٥] الاختصاص ، ص ٣٣٠ ؛ بحار الأنوار (٣٣٤/٢٥) .

[٣٨٦] تفسير الطبري (١١٣/١ - ١١٤) ؛ تفسير ابن كثير (٣٧٣/٢ - ٣٧٤) .

[٣٨٧] تفسير ابن عطية (١٦٦/٨) .

[٣٨٨] أصول الكافي (٤٠٧/١ - ٤١٠) .

[٣٨٩] المصدر السابق (٤٠٩/١) .

[٣٩٠] أصول الشيعة الإمامية (٦٢٢/٢) .

[٣٩١] الاختصاص للمفيد ، ص ٣٢٧ ؛ بحار الأنوار (٣٣/٢٧) .

- [٣٩٢] أصول الشيعة الإمامية (٢/٦٢٤).
- [٣٩٣] المصدر السابق نفسه (٢/٦٢٨).
- [٣٩٤] أصول الكافي (١/٤٤٠) ؛ المصدر السابق (١/٤٤١ - ٤٤٢).
- [٣٩٥] أصول الكافي (١/٤٣٥).
- [٣٩٦] أصول الشيعة الإمامية (٢/٦٢٨).
- [٣٩٧] رجال الكشي ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
- [٣٩٨] أصول الشيعة الإمامية (٢/٦٣٠).
- [٣٩٩] أصول الكافي (١/٢٦٠ - ٢٦٢).
- [٤٠٠] المصدر السابق نفسه (١/٢٥٨).
- [٤٠١] أصول الشيعة الإمامية (٢/٦٧٩).
- [٤٠٢] أصول الكافي (١/٢٦١).
- [٤٠٣] أصول الكافي (١/٢٦٠ - ٢٦١).
- [٤٠٤] تفسير ابن كثير (٢/٨٥).
- [٤٠٥] تفسير القران العظيم (٢/٣٧٣).
- [٤٠٦] العقيدة في أهل البيت ، ص ٣٩٨.
- [٤٠٧] صحيح سنن ابن ماجه (٢/١٧٧) صححه الألباني.
- [٤٠٨] البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، رقم ٣٤٤٥.
- [٤٠٩] العقيدة في أهل البيت ، ص ٣٩٩.
- [٤١٠] مسلم ، كتاب الأضاحي ، رقم ١٩٧٨.
- [٤١١] المسند (١/١١٩).
- [٤١٢] البخاري ، كتاب العلم ، رقم ١١١.
- [٤١٣] البخاري ، كتاب الجهاد ، رقم ٣٠٤٧.

- [٤١٤] فتح الباري (٢٠٤/١).
- [٤١٥] منهاج السنة (١٣٦/٨).
- [٤١٦] الطبقات الكبرى (٢١٦/٥).
- [٤١٧] المصدر السابق نفسه (١٠٥/٥).
- [٤١٨] البداية والنهاية (١١٠/٩).
- [٤١٩] بحار الأنوار (٢٧٠/٢٥).
- [٤٢٠] المصدر السابق نفسه (٢٨٤/٢٥).
- [٤٢١] أصول الكافي (٢٥٧/١).
- [٤٢٢] رجال الكشي ص ١٩٣ ؛ العقيدة في أهل البيت ، ص ٤٠٢ .
- [٤٢٣] منهاج السنة (٣/١).
- [٤٢٤] رجال الكشي ، ص ٢٧٤ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٦٨٥/٢).
- [٤٢٥] شرح جامع على الكافي للمازندراني (٣١ - ٣٠/٦).
- [٤٢٦] أصول الشيعة الإمامية (٦٨٦/٢).
- [٤٢٧] المصدر السابق نفسه.
- [٤٢٨] ميزان الاعتدال (٧٠ - ٦٩ / ٢).
- [٤٢٩] اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، ص ٩٧ .
- [٤٣٠] أعيان الشيعة (١٠٦/١) ؛ أصول الشيعة الإمامية (٦٤١/٢).
- [٤٣١] منهاج السنة (٢٠/١).
- [٤٣٢] الفرق بين الفرق ، ص ٦٥ .
- [٤٣٣] أصول الشيعة الإمامية (٦٤٢/٢).
- [٤٣٤] المصدر السابق نفسه (٦٤٣/٢).
- [٤٣٥] بحار الأنوار (٢٩٢ - ٢٩٠/٣) ، دفاع المجلسي عن هؤلاء .
- [٤٣٦] أصول الشيعة الإمامية (٦٤٦/٢).

- [٤٣٧] التوحيد ، ص ١٠٤ ؛ ابن بابويه ، أصول الشيعة الإمامية (٦٤٦/٢).
- [٤٣٨] سمته الرواية: يعقوب السراج وهو من ثقافتهم ، الفهرست للطوسي ، ص ٢١٤.
- [٤٣٩] التوحيد ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ؛ ابن بابويه ، أصول الشيعة (٦٤٧/٢).
- [٤٤٠] أصول الكافي (١٠٤/١ - ١٠٦) ؛ أصول الشيعة (٦٤٨/٢).
- [٤٤١] أصول الشيعة (٦٤٨/٢).
- [٤٤٢] منهاج السنة (٢٢٩/١).
- [٤٤٣] المصدر السابق نفسه (٣٥٦/١).
- [٤٤٤] عقائد الإمامية الاثني عشرية للزنجاني ، ص ٢٨.
- [٤٤٥] منهاج السنة (١٤٤/٢).
- [٤٤٦] شرح الطحاوية ، ص ٤٩ ؛ التدمرية لابن تيمية ، ص ٨.
- [٤٤٧] التدمرية ، ص ٨.
- [٤٤٨] تفسير الطبري (١٠٦/١٦).
- [٤٤٩] انظر: التدمرية لابن تيمية ، ص ٨ وما بعدها.
- [٤٥٠] أصول الشيعة الإمامية (٦٥٦/٢).
- [٤٥١] المصدر السابق نفسه.
- [٤٥٢] الرد على الزنادقة للإمام أحمد ، خلق أفعال العباد للبخاري.
- [٤٥٣] بحار الأنوار (١١٧/٩٢ - ١٢١).
- [٤٥٤] أعيان الشيعة (٤٦١/١).
- [٤٥٥] المصدر السابق نفسه (٤٥٣/١).
- [٤٥٦] أصول الشيعة الإمامية (٦٥٨/٢).
- [٤٥٧] تفسير العياشي (٨/١).
- [٤٥٨] التوحيد / ابن بابويه ص (٢٢٤).

- [٤٥٩] البحار (١١٧/٩٢ - ١٢١) ؛ أصول الشيعة (٦٥٩/٢).
- [٤٦٠] البحار (١١٩/٩٢) ؛ أصول الشيعة (٦٥٩/٢).
- [٤٦١] أصول الشيعة (٦٥٩/٢).
- [٤٦٢] مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٠١/١٢).
- [٤٦٣] تفسير الصراط المستقيم (٣٠٤/١).
- [٤٦٤] أصول الشيعة الإمامية (٦٦٠/٢).
- [٤٦٥] رجال الكشي ، ص ١٣٥ - ١٣٦.
- [٤٦٦] خلق أفعال العباد ، ص ٣٦ ، تحقيق البدر.
- [٤٦٧] منهاج السنة لابن تيمية (١٨٧/٢ - ١٨٨).
- [٤٦٨] الشريعة ، ص ٧٧.
- [٤٦٩] الاعتقاد ، ص ٣٦.
- [٤٧٠] الأسماء والصفات ، ص ٢٤٧.
- [٤٧١] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٣٨/٢ ، ٢٤١ - ٢٤٢).
- [٤٧٢] مسائل الإمام أحمد ، ص ٢٦٥.
- [٤٧٣] منهاج السنة (٢٧٨/١).
- [٤٧٤] أصول الشيعة الإمامية (٦٦٢/٢).
- [٤٧٥] منهاج السنة (٢٩٦/١) أصول الشيعة الإمامية (٦٦٤/٢).
- [٤٧٦] مقالات الإسلاميين للأشعري (١١٤/١).
- [٤٧٧] منهاج السنة (٢٩٦/١).
- [٤٧٨] أصول الشيعة الإمامية (٦٦٨/٢).
- [٤٧٩] المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية ، عبد الاخر الغينمي ، ص ١٠٩.
- [٤٨٠] بحار الأنوار (٣١/٤).
- [٤٨١] كشف الغطا ، ص ٤١٧ ؛ أصول الشيعة الإمامية (٦٧٠/٢).
- [٤٨٢] أصول الشيعة (٦٧٠/٢).

[٤٨٣] الفصول المهمة في أصول الأئمة ، ص ١٢ .

[٤٨٤] مجمع الفوائد (١١٢/٧) .

[٤٨٥] مسلم ، رقم ١٨١ .

[٤٨٦] مناقب الشافعي للبيهقي (٤١٩/١) .

[٤٨٧] شرح الطحاوية ، ص ١٥١ .

[٤٨٨] المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٦ .

[٤٨٩] المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٢٣٨/١) .

[٤٩٠] شرح الطحاوية ، ص ٤٩٣ .

[٤٩١] أصول الدين ، ص ٢٩٨ .

[٤٩٢] الشفاء ، ص ١٠٧٨ .

[٤٩٣] منهاج السنة (١٧٧/١) .

[٤٩٤] أصول الشيعة الإمامية (٧٤٥/٢) .

[٤٩٥] المصدر السابق نفسه (٧٤٥/٢) .

[٤٩٦] بحار الأنوار (٢٦٧/٢٦) .

[٤٩٧] مقالات الإسلاميين (١٢٠/١) .

[٤٩٨] أوائل المقالات ، ص ٤٢ - ٤٣ .

[٤٩٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٣ .

[٥٠٠] بحار الأنوار (٢٦٧/٢٦) .

[٥٠١] أصول الشيعة الإمامية (٧٤٩/٢) .

[٥٠٢] الفتاوى (٢٢١/١١) .

[٥٠٣] المصدر السابق نفسه .

[٥٠٤] مختصر التحفة ، ص ١٠١ .

[٥٠٥] أصول الشيعة الإمامية (٧٥٣/٢)؛ مختصر التحفة ، ص ١٠٠ .

- [٥٠٦] مختصر التحفة ، ص ١٠١ .
- [٥٠٧] دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ٢٢٦ .
- [٥٠٨] تفسير الصافي ، ص ١٣ ؛ الإمام الصادق لأبي زهرة ، ص ٣٣٣ .
- [٥٠٩] أصول الكافي (٤١٤/١) .
- [٥١٠] أصول الكافي (٤١٢/١) ؛ السنة والشيعة ، إحسان إلهي ، ص ١٠٣ .
- [٥١١] أصول الكافي (٦٣١/٢) ؛ السنة والشيعة ، ص ٨٧ .
- [٥١٢] أصول الكافي (٢٢٨/١) .
- [٥١٣] الاحتجاج للطبرسي ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٨ ؛ دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٨ .
- [٥١٤] كتاب المصاحف للسجستاني (٥/١) .
- [٥١٥] الإمام الصادق ، ص ٣٢٣ .
- [٥١٦] أصول الكافي (٢٣٩/١) .
- [٥١٧] أصول الكافي (٢٤٠/١) ؛ بحار الأنوار (٤٤/٢٦) ؛ بصائر الدرجات ، ص ٤٣ .
- [٥١٨] دراسات عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
- [٥١٩] بصائر الدرجات ، ص ٢١٣ .
- [٥٢٠] المصدر السابق نفسه .
- [٥٢١] تفسير العياشي (١٣/١) .
- [٥٢٢] المصدر السابق نفسه .
- [٥٢٣] أوائل المقالات ، ص ٩١ .
- [٥٢٤] هاشم بن سليمان البحراني ، توفي سنة ١١٠٧ هـ .
- [٥٢٥] مقدمة تفسير البرهان في تفسير القرآن ، ص ٣٦ .
- [٥٢٦] المصدر السابق نفسه ، ص ٤٩ .

[٥٢٧] متوفى سنة ١١١٢ هـ ، قال عنه الحر العاملي: فاضل عالم محقق جليل القدر ، أمل الامل
(٣٣٦/٢).

[٥٢٨] فصل الخطاب ، ص ٢٤٨ ، الانتصار.

[٥٢٩] أوائل المقالات ، ص ٤٩ .

[٥٣٠] الانتصار للصحب والال ، ص ٦١ .

[٥٣١] فصل الخطاب ، ص ٢٤٩ ؛ الانتصار للصحب والال ، ص ٦٢ .

[٥٣٢] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٩ .

[٥٣٣] فصل الخطاب ، ص ٣٠ .

[٥٣٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢ .

[٥٣٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤ .

[٥٣٦] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤ .

[٥٣٧] الأنوار النعمانية (٢/٣٢٨ - ٣٥٩).

[٥٣٨] الشيعة والقران لإحسان إلهي ظهير ، ص ٦٨ - ٧١ .

[٥٣٩] الانتصار للصحب والال ، ص ٦٥ .

[٥٤٠] أضواء على خطوط محب الدين ، ص ٤٢ وما بعدها.

[٥٤١] الموافقات (٢/٥٩).

[٥٤٢] بذل المجهود ، عبد الله الجميلي (١/٤٣٤).

[٥٤٣] بذل المجهود (١/٢٣٥).

[٥٤٤] الأصول للكافي (١/٦٢).

[٥٤٥] أصول الكافي (١/٧٠).

[٥٤٦] المصدر السابق نفسه (١/٥٩).

[٥٤٧] المصدر السابق نفسه.

[٥٤٨] بذل المجهود (٤٣٧/١).

[٥٤٩] المصدر السابق نفسه.

[٥٥٠] أصول الشيعة الإمامية (١٥٥/١).

[٥٥١] أصول الكافي (١٨٨/١).

[٥٥٢] رجال الكشي ، ص ٤٢٠.

[٥٥٣] الصدوق ، علل الشرائع ، ص ١٩٢.

[٥٥٤] المحاسن للبرقي ، ص ٢٦٨.

[٥٥٥] وسائل الشيعة للحر العاملي (١٤١/١٨).

[٥٥٦] فضائل القرآن لابن كثير ، ص ١٥ ، موقف على أمير المؤمنين علي.

[٥٥٧] تفسير الطبري (٢٢٥/١٦).

[٥٥٨] تفسير العياشي (٢/١) ؛ البحار (١٧/٩٢).

[٥٥٩] نهج البلاغة ، ص ٢٦٥ ؛ أصول الشيعة الإمامية (١٦٠/١).

[٥٦٠] أصول الشيعة الإمامية (١٦١/١).

[٥٦١] المصدر السابق نفسه (١٦٢/١).

[٥٦٢] أحوال الرجال ، للجوزجاني ص ٣٨ ؛ أصول الشيعة الإمامية (١٦٢/١).

[٥٦٣] أصول الكافي (٢٥/١) ؛ وسائل الشيعة (١٣١/١٨).

[٥٦٤] أمالي الصدوق ، ص ٤٠ ؛ وسائل الشيعة (١٣٨/١٨).

[٥٦٥] بحار الأنوار (٢٣٧/٤٢ - ٢٣٨) ؛ أصول الشيعة (١٦٣/١).

[٥٦٦] أصول الشيعة الإمامية (١٦٦/١).

[٥٦٧] مسلم ، رقم ١٩٧٨.

[٥٦٨] سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٨٩/١ - ٦٩٠).

[٥٦٩] أصول الكافي (٤٠٣/١) ؛ وسائل الشيعة للحر العاملي (٦٣/١٨).

[٥٧٠] بحار الأنوار (٢٣٧/٢٤ - ٢٣٨) ؛ أصول الشيعة (١٦٣/١).

[٥٧١] تفسير الطبري (٧٦/١) ، كلام لابن عباس.

[٥٧٢] مجموع الفتاوى (٣٣١/١٣).

[٥٧٣] البيان للخوئي ، ص ٤٦٣ ؛ أصول الفقه للمظفر (١٣٠/٣).

[٥٧٤] تفسير ابن عطية (١٩/١) ؛ تفسير ابن جزى (٩/١).

[٥٧٥] منهاج السنة (١٥٥/٤).

[٥٧٦] تفسير الطبري (٨٢/١).

[٥٧٧] الشيعة والرجعة ، محمد رضا النجفي ، ص ١٩.

[٥٧٨] أصول الشيعة الإمامية (١٧٦/١).

[٥٧٩] دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤.

[٥٨٠] تاريخ الطبري (٣٤٧/٥).

[٥٨١] مقالات الإسلاميين (٧٣/١).

[٥٨٢] الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٠.

[٥٨٣] الملل والنحل (١٧٧/١).

[٥٨٤] تفسير العياشي (٢٢٣/٢).

[٥٨٥] تفسير الصافي (٢٢٣/٣).

[٥٨٦] تفسير القمي (٨٤/٣).

[٥٨٧] البرهان (٣٠٩/٢).

[٥٨٨] بحار الأنوار (٣٧٨/٣).

[٥٨٩] أصول الشيعة الإمامية (٢٠٦/١).

[٥٩٠] كثير النواء: شيعي ، وروي أنه رجوع عن تشيعه.

[٥٩١] ميزان الاعتدال (١٦١/٤).

[٥٩٢] رجال الكشي ، ص ١٩٥ .

[٥٩٣] المصدر السابق نفسه .

[٥٩٤] مقالات الإسلاميين (٧٣/١) ؛ الفرق بين الفرق ، ص ٢٤٢ . المحلي (٤٤/٥) ؛ أصول الشيعة (٢٠٧/١) .

[٥٩٥] أصول الشيعة (٢٠٨/١) .

[٥٩٦] منهاج السنة (٦٦/٤) .

[٥٩٧] تفسير العياشي (٢٦١/٢) ؛ البرهان (٣٧٣/٢) .

[٥٩٨] البرهان (٣٧٣/٢) ؛ أصول الشيعة (٢٠٩/١) .

[٥٩٩] تفسير القمي (١١٥/٢) .

[٦٠٠] تفسير نور الثقلين (٢٥/٤) .

[٦٠١] تفسير القمي (٢٧٤/٢) ؛ بحار الأنوار (١٧٤/٢٤) .

[٦٠٢] تفسير القمي (٣١٤/١) ؛ بحار الأنوار (١٧٥/٢٤) .

[٦٠٣] تفسير العياشي (١٢/٢) ؛ أصول الشيعة (٢١٦/١) .

[٦٠٤] تفسير العياشي (١٣/٢) ؛ أصول الشيعة (٢١٦/١) .

[٦٠٥] البرهان (٣٩٣/٤) ؛ أصول الشيعة (٢١٦/١) .

[٦٠٦] بحار الأنوار (٣٠٣/٢٤) .

[٦٠٧] تفسير القمي (٣٨٣/٢) ؛ مرآة الأنوار ، ص ١٧٦ .

[٦٠٨] تفسير الصافي (٣٣٥/٤) ؛ تفسير القمي (٢٥٥/٢) .

[٦٠٩] أصول الشيعة (٢١٨/١) .

[٦١٠] منهاج السنة (٢٤٦/٣) .

[٦١١] الروضة من الكافي (٢٤٥/٨ - ٢٤٦) ؛ الانتصار للصاحب والال ، ص ٧٦ .

[٦١٢] الأنوار النعمانية (٢٤٤/٢) .

- [٦١٣] الانتصار للصحب والال ، ص ٧٧.
- [٦١٤] حق اليقين ، ص ٥١٩ (فارسي) ، وقد قام بترجمة النص ونقله إلى العربية: الشيخ محمد عبد الستار التونسي في كتابه بطلان عقائد الشيعة ، ص ٥٣.
- [٦١٥] أجمع الفضائح لملا كاظم ، ص ٥١٣ ، نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ، ص ١٥٧.
- [٦١٦] مفتاح الجنان في الأدعية والزيارات والأذكار ، ص ١١٣ - ١١٤؛ وتحفة عوام مقبول ، ص ٢١٤ - ٢١٥. وهذا الكتاب الأخير موثق من كبار علمائهم المعاصرين ورد ذكر أسمائهم على غلاف الكتاب ومنهم الخميني.
- [٦١٧] علم اليقين في أصول الدين لمحسن الكاشاني (١٠١/٢).
- [٦١٨] الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٩٢/٨).
- [٦١٩] كشف الأسرار ، ص ١٢٦.
- [٦٢٠] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣١.
- [٦٢١] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٥.
- [٦٢٢] المرجع السابق نفسه ، ص ١٣٧.
- [٦٢٣] أصول الشيعة الإمامية (٣/١٣١٩ إلى ١٣٤٢).
- [٦٢٤] هو الدكتور إبراهيم الرحيلي صاحب كتاب (الانتصار للصحب والال) ، ص ٨٥.
- [٦٢٥] الانتصار للصحب والال ، ص ٨٥.
- [٦٢٦] ثم اهتديت للتجاني ، ص ١١٤ ، ١١٥.
- [٦٢٧] تفسير الطبري (٤٥٨/٣).
- [٦٢٨] المصدر السابق نفسه (٤٥٨/٣).
- [٦٢٩] الانتصار للصحب والال ، ص ٣٢٢.
- [٦٣٠] تفسير الطبري (٤٥٥/٣).
- [٦٣١] المصدر السابق نفسه.

- [٦٣٢] البخاري ، فضائل الصحابة ، رقم ٣٦٦٨ .
- [٦٣٣] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٠٢ .
- [٦٣٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .
- [٦٣٥] كشف الغمة (١٤٧/٢) .
- [٦٣٦] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٠٤ .
- [٦٣٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٣١١ .
- [٦٣٨] تفسير الطبري (٤/٦٢٣ - ٦٢٤) .
- [٦٣٩] ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣١٢ .
- [٦٤٠] الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق للمؤلف ، ص ٢٨٨ إلى ٢٩١ .
- [٦٤١] ثم اهتديت ، ص ١١٥ .
- [٦٤٢] تفسير الطبري (٦/٣٧٢) .
- [٦٤٣] الانتصار للصحب والال ، ص ٣٢٧ .
- [٦٤٤] تفسير ابن كثير (٢/٣٧٢) .
- [٦٤٥] البخاري ، رقم ٤١١٨ ؛ مسلم ، رقم ٢٧٦٩ .
- [٦٤٦] تفسير الطبري (٦/٥٠٢) ؛ تفسير البغوي (٢/٣٣٣) .
- [٦٤٧] الانتصار للصحب والال ، ص ٣٢٩ .
- [٦٤٨] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٨ .
- [٦٤٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٣٠ .
- [٦٥٠] البخاري ، كتاب الرقاق ، رقم ٦٥٨٤ ، ٦٥٨٧ .
- [٦٥١] مسلم ، كتاب الفضائل (٤/١٧٩٣) .
- [٦٥٢] ثم اهتديت ، ص ١١٩ .
- [٦٥٣] تأويل مختلف الحديث ، ص ٢٧٩ .

[٦٥٤]فتح الباري (٢٨٥/١١).

[٦٥٥]شرح صحيح مسلم (١٣٦/٣ - ١٣٧).

[٦٥٦]المفهم للقرطبي (٥٠٤/١) ؛ فتح الباري (٣٨٥/١١).

[٦٥٧]الروايات في البخاري ، كتاب الرقاق ، فتح الباري (٤٦٣/١١ - ٤٦٥).

[٦٥٨]الانتصار للصحب والال ، ص ٣٥٤.

[٦٥٩]مسلم ، كتاب الفضائل ، إثبات الحوض (١٧٩٢/٤ - ١٠٨٢).

[٦٦٠]شرح النووي على صحيح مسلم (١٣٧/٣).

[٦٦١]التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة (٣٤٨/١).

[٦٦٢]الانتصار للصحب والال ، ص ٣٥٦ ، نقلاً عن تاريخ الطبري (٢٢٥/٣).

[٦٦٣]السنة لعبد الله بن أحمد (٤٢٠/٢).

[٦٦٤]شرح السنة للبخاري (١٩٤/١).

[٦٦٥]البخاري ، رقم ٦٥٨٢.

[٦٦٦]مسلم ، الفضائل ، (١٧٩٦/٤).

[٦٦٧]الإصابة في تمييز الصحابة (٧/١).

[٦٦٨]البخاري ، رقم ٦٥٨٤ - ٦٥٨٧.

[٦٦٩]المصدر السابق نفسه ، رقم ٦٥٨٤.

[٦٧٠]الانتصار للصحب والال ، ص ٣٥٩.

[٦٧١]فتح الباري (٤٧٤/١١ - ٤٧٥).

[٦٧٢]الانتصار للصحب والال ، ص ٣٦٠.

[٦٧٣]عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٧٩٩/٢).

[٦٧٤]ظفر الأماني في مختصر الجرجاني للكنوي ، ص ٥٠٦ ، ٥٠٧.

[٦٧٥]عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام (٨٠٠/٢).

- [٦٧٦] الكفاية للخطيب البغدادي ، ص ٦٤ .
- [٦٧٧] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٨٠٢/٢) .
- [٦٧٨] المصدر السابق نفسه (٨٠٤/٢) .
- [٦٧٩] تفسير القرطبي (٢٩٩/١٦) .
- [٦٨٠] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٨٠٧/٢) .
- [٦٨١] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩١/١) .
- [٦٨٢] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٨٠٧/٢) .
- [٦٨٣] الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (٩١/١) .
- [٦٨٤] البخاري (٢٩٢/٢) .
- [٦٨٥] فتح المغيث شرح ألفية الحديث (١١١ - ١١٠/٣) .
- [٦٨٦] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٨٠٩/٢) .
- [٦٨٧] المصدر السابق نفسه .
- [٦٨٨] فتح المغيث (١١٥/٣) .
- [٦٨٩] الكفاية ، ص ٦٧ .
- [٦٩٠] الاستيعاب على حاشية الإصابة (٨/١) .
- [٦٩١] فتح المغيث شرح ألفية الحديث (١١٢/٣) ؛ وذكره السيوطي في تدريب الراوي (٢١٤/٢) .
- [٦٩٢] مقدمة ابن الصلاح ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .
- [٦٩٣] شرح النووي على صحيح مسلم (١٤٩/١٥) .
- [٦٩٤] تقريب النووي مع شرح تدريب الراوي (٢١٤/٢) .
- [٦٩٥] الباعث الحثيث ، ص ١٨١ - ١٨٢ .
- [٦٩٦] شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة (١٣/٣ - ١٤) .
- [٦٩٧] الإصابة (١٧/١) .

[٦٩٨] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٨١٣/٢).

[٦٩٩] تفسير القرطبي (٣٢/١٨).

[٧٠٠] مسلم (٢٣١٧/٤).

[٧٠١] منهاج السنة (١٥٣/١) ؛ المستدرک (٤٨٤/٢) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم

يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

[٧٠٢] عقيدة أهل السنة (٧٧٠/٢).

[٧٠٣] منهاج السنة (١٥٣/١) ؛ عقيدة أهل السنة (٧٧٢/٢).

[٧٠٤] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٨٣٢/٢).

[٧٠٥] تفسير السعدي (١٢١/٦).

[٧٠٦] مسند أحمد (٨٧/٤).

[٧٠٧] تفسير ابن كثير (٥٢٥/٣).

[٧٠٨] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٨٣٣/٢).

[٧٠٩] عقيدة أهل السنة نقلاً عن تفسير ابن كثير .

[٧١٠] مسلم (١٦٩٧/٤ - ١٩٦٨).

[٧١١] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٨٣٨/٢).

[٧١٢] مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ، ص ١٦٠ .

[٧١٣] الكفاية في علم الرواية ، ص ٦٧ .

[٧١٤] إرشاد الغبي إلى مذهب أهل البيت في صحب النبي ، ص ٥٠ - ٦٤ .

[٧١٥] البداية والنهاية (٣٤٩/٩).

[٧١٦] عقيدة أهل السنة في الصحابة (٨٥١/٢).

[٧١٧] نخب البلاغة ، ص ١٨٢ - ١٨٩ ؛ ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٢٤ .

[٧١٨] نخب البلاغة ، ص ٢٣٥ ، ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٢٥ .

- [٧١٩] صحيفة كاملة لزين العابدين ، ص ١٣ ، نقلاً عن ثم أبصرت الحقيقة ، ص ٣٢٩ .
- [٧٢٠] السنة ومكائنها في التشريع الإسلامي ، ص ٤٧ .
- [٧٢١] المصدر السابق نفسه ، ص ٩٠ .
- [٧٢٢] مقدمة صحيح مسلم (١٠/١) .
- [٧٢٣] السنة ومكائنها في التشريع الإسلامي ، ص ٩١ .
- [٧٢٤] السنة ومكائنها في التشريع ، ص ٩٣ .
- [٧٢٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٩٤ .
- [٧٢٦] المصدر السابق نفسه ، ص ٩٤ ، إلى ٩٧ ، ٩٨ .
- [٧٢٧] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٣ .
- [٧٢٨] أضواء على محب الدين ، ص ٤٨ ، ٦٥ ، ٦٨ .
- [٧٢٩] الفرق بين الفرق ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٧ ، ٣٤٦ .
- [٧٣٠] منهاج السنة (١٧٥/٢) .
- [٧٣١] صحيح الكافي (١١/١) لليهودي ؛ أصول الشيعة الإمامية (٣٧٣/١) .
- [٧٣٢] أصول الشيعة الإمامية (٣٧٣/١) .
- [٧٣٣] الأصول العامة للفقهاء المقارن ، ص ١٢٢ ؛ محمد تقي الحكيم ، ص ١٢٢ .
- [٧٣٤] أصول الشيعة الإمامية (٣٧٤/١) .
- [٧٣٥] أصول الفقهاء المقارن (٥١/٣) ؛ أصول الشيعة (٣٧٤/١) .
- [٧٣٦] تاريخ الإمامية ، عبد الله قياض ، ص ١٤٠ .
- [٧٣٧] سنة أهل البيت ، محمد تقي الحكيم ، ص ٩٠ .
- [٧٣٨] أصول الشيعة الإمامية (٣٧٧/١) .
- [٧٣٩] أصول الكافي (١٩٢/١ - ١٩٣) .
- [٧٤٠] المصدر السابق نفسه (٢٢٣/١ - ٢٢٦) .

[٧٤١] أصول الشيعة (٣٨٥/١).

[٧٤٢] المصدر السابق نفسه (٣٨٥/١ ، ٣٨٦).

[٧٤٣] أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله للسالوس ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

[٧٤٤] الإمام الصادق ، أبو زهرة ، ص ٤٢٩.

[٧٤٥] الخطوط العريضة ، ص ٤٩.

[٧٤٦] البداية والنهاية (٢٤٦/٧).

[٧٤٧] المصدر السابق نفسه (٣١٩/٧).

[٧٤٨] المحلى (٢٦/١).

[٧٤٩] أصول الشيعة الإمامية (٣٩٨/١).

[٧٥٠] هذا المعنى صحح الألباني . رحمه الله . معظمه.

[٧٥١] مسند أحمد (١٥٣/٥).

[٧٥٢] تصحيح الاعتقاد ، ص ١١٥.

[٧٥٣] الكشكول (٢٠٢/١).

[٧٥٤] كشف الأسرار ، ص ١٤٧.

[٧٥٥] بذل المجهود (٦٣٨/٢).

[٧٥٦] أصول الكافي (٢١٩/٢) ؛ المحاسن ، ص ٢٥٥.

[٧٥٧] أصول الكافي (٢١٧/٢) ؛ بذل المجهود (٢٣٦/٢).

[٧٥٨] المحاسن للبرقي ، ص ٢٥٧.

[٧٥٩] أمالي الطوسي ، ص ٢٨٧.

[٧٦٠] الأصول الأصيلة ، عبد الله شبر ، ص ٣٢٠.

[٧٦١] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٤.

[٧٦٢] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٣.

[٧٦٣] بذل المجهود (٦٣٧/٢).

[٧٦٤] أصول الكافي (٢١٧/٢).

[٧٦٥] المصدر السابق نفسه (٢٢١/٢).

[٧٦٦] المصدر السابق نفسه (٣٦٩/٢).

[٧٦٧] بحار الأنوار (٣٩٣/٧٥ - ٤٤٣).

[٧٦٨] أصول الشيعة الإمامية (٩٨٤/٢).

[٧٦٩] دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ، ص ٢١٧.

[٧٧٠] أصول الشيعة الإمامية (٩٨٥/٢).

[٧٧١] أصول الكافي (٦٥/١).

[٧٧٢] شرح جامع للمازندراني (٦٥/١).

[٧٧٣] الاستبصار (٦٥/١ ، ٦٦).

[٧٧٤] أصول الشيعة الإمامية (٩٨٧/٢).

[٧٧٥] الاستبصار (٦٥/١ ، ٦٦).

[٧٧٦] تهذيب الأحكام للطوسي (١٨٤/٢).

[٧٧٧] إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة ؛ فالمراد به شيخهم الطوسي.

[٧٧٨] وسائل الشيعة (٤٤١/٧).

[٧٧٩] الاستبصار للطوسي (١٥١/٤ - ١٥٥).

[٧٨٠] المصدر السابق نفسه (١٥٤/٤).

[٧٨١] المصدر السابق نفسه (١٥٥/٤).

[٧٨٢] بحار الأنوار (٢٥٢/٢).

[٧٨٣] أصول الشيعة الإمامية (٩٨٩/٢).

[٧٨٤] المصدر السابق نفسه.

- [٧٨٥] الحدائق الناضرة ، يوسف البحراني (٥/١).
- [٧٨٦] الحدائق الناضرة (٥/١).
- [٧٨٧] تفسير الطبري (٣١٦/٦).
- [٧٨٨] تفسير القرطبي (٥٧/٤) ؛ فتح القدير (٣٣١/١).
- [٧٨٩] المصدر السابق نفسه (٩٧٨/٢).
- [٧٩٠] تفسير ابن كثير (٣٧١/١).
- [٧٩١] فتح الباري (٣١٤/١٢).
- [٧٩٢] المصدر السابق (٣١٧/١٢).
- [٧٩٣] أصول الشيعة الإمامية (٩٧٩/٢).
- [٧٩٤] المصدر السابق نفسه (٩٨١/٢).
- [٧٩٥] أصول الشيعة الإمامية (٩٩٥/٢).
- [٧٩٦] العزلة والخلطة ، سلمان بن فهد العودة ، ص ١٤٩.
- [٧٩٧] الإرشاد للمفيد ، ص ٣٦٣ ؛ كشف الغمة ، الأربلي (٤٣٧/٢) ؛ بذل المجهود (٢٣٧/١).
- [٧٩٨] بذل المجهود (٢٣٧/١) ؛ معجم البلدان (١٧٣/٣).
- [٧٩٩] المفيد ، ص ٣٤٦ ؛ كشف الغمة (٤٤٦/٢) ؛ بذل المجهود (٢٣٧/١).
- [٨٠٠] مصابيح الجنات ، محسن العصفور ، ص ٢٥٥.
- [٨٠١] الغيبة ، ص ١١٥ ؛ بذل المجهود (٢٣٨/١).
- [٨٠٢] بذل المجهود (٢٣٩/١).
- [٨٠٣] بحار الأنوار (٢٩١/٥٢).
- [٨٠٤] المصدر السابق نفسه (٣٨٦/٥٢).
- [٨٠٥] المصدر السابق نفسه (٣٥٥/٥٢).
- [٨٠٦] الرجعة للإحساني ، ص ١٨٤.
- [٨٠٧] الغيبة ، ص ١٥٤.

[٨٠٨] بذل المجهود (٢٤٧/١).

[٨٠٩] المصدر السابق نفسه (٢٤٩/١).

[٨١٠] كمال الدين وتمام النعمة للصدوق ، ص ٤١٤ .

[٨١١] أصول الكافي (٥٠٥/١) ؛ بذل المجهود (٢٦٧/١).

[٨١٢] الغيبة ، ص ١٩٩ .

[٨١٣] بحار الأنوار (١٩١/٥٢).

[٨١٤] الغيبة ، ص ١٩٩ ؛ بذل المجهود (٢٧١/١).

[٨١٥] بذل المجهود (٢٧١/١).

[٨١٦] هذا بالنسبة لعصر ابن تيمية ، أما الان فقد مضى عليه ما يزيد عن ألف ومئة وخمسين عاماً.

[٨١٧] منهاج السنة (٢٦١/٨ - ٢٦٢).

[٨١٨] بمعنى الصحيح . النهاية لابن الأثير (١٢/٣).

[٨١٩] المستدرک (٥٥٧/٤ - ٥٥٨) ، قال الألباني: سندهُ صحيح رجاله ثقات. سلسلة الأحاديث

الصحيحة ، رقم ٧١١ .

[٨٢٠] المهدي وفقه أشراف الساعة ، محمد إسماعيل ، ص ٣٣ .

[٨٢١] السلسلة الصحيحة ، رقم ١٥٢٩ ، وحكم الألباني بتواتره.

[٨٢٢] سنن ابن ماجه (١٣٦٧/٢) ؛ مستدرک الحاكم (٤٦٤/٤) ؛ وقال: هذا حديث صحيح على

شرط الشيخين وواقفه الذهبي.

[٨٢٣] النهاية ، الفتن والملاحم (٣١/١).

[٨٢٤] البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء (٤٩١/٦) مع الفتح.

[٨٢٥] مسلم ، كتاب الإيمان (١٩٣/٢) مع شرح النووي.

[٨٢٦] رواه أبو نعيم في أخبار المهدي ، صححه الألباني. صحيح الجامع (٧١٧٠/٥).

[٨٢٧] سنن أبي داود ، كتاب المهدي ، رقم ٤٢٦٥ .

- [٨٢٨] بذل المجهود (٢٥٦/١ ، ٢٥٧).
- [٨٢٩] أصول الشيعة الإمامية (١١٠٣/٢).
- [٨٣٠] الاعتقادات ، ص ٩٠.
- [٨٣١] أوائل المقالات ، ص ٥١.
- [٨٣٢] مجمع البيان (٥٢/٥) ، الإيقاظ من الهجمة ، ص ٣٣.
- [٨٣٣] المصدر السابق نفسه ص ٦٤.
- [٨٣٤] القاموس (٢٨/٣) ؛ مجمع البحرين (٣٣٤/٤).
- [٨٣٥] روح المعاني (٢٧/٥) ؛ ضحى الإسلام ، أحمد أمين (٢٣٧/٣).
- [٨٣٦] أصول الشيعة الإمامية (١١٠٥/٢).
- [٨٣٧] أوائل المقالات ، ص ٥١.
- [٨٣٨] أصول الشيعة الإمامية (١١٠٥/٢).
- [٨٣٩] أوائل المقالات ، ص ٩٥.
- [٨٤٠] تفسير القمي (٧٦/٢) ، وضع عنوان في أعلى الصفحة: أعظم دليل على الرجعة.
- [٨٤١] تفسير ابن كثير (٢٠٥/٣).
- [٨٤٢] تفسير القاسمي (٢٩٣/١١).
- [٨٤٣] أصول الشيعة الإمامية (١١١٢/٢).
- [٨٤٤] فتح القدير (٤٢٦/٣).
- [٨٤٥] مختصر التحفة ، ص ٢٠١.
- [٨٤٦] أصول الشيعة الإمامية (١١٢٢/٢).
- [٨٤٧] مسند أحمد (٣١٢/٢) ، قال أحمد شاکر: إسناده صحيح.
- [٨٤٨] أصول الشيعة الإمامية (١١٢٤/٢).
- [٨٤٩] أصول الكافي (١٤٦/١).
- [٨٥٠] المصدر السابق نفسه.

- [٨٥١] المصدر السابق نفسه (١٤٨/١).
- [٨٥٢] المصدر السابق نفسه.
- [٨٥٣] أصول الشيعة الإمامية (١١٣٣/٢).
- [٨٥٤] القاموس المحيط (٣٠٢/٤).
- [٨٥٥] الصحاح (٢٢٧٨/٦) ؛ لسان العرب (٦٦/١٤).
- [٨٥٦] أصول الشيعة الإمامية (١١٣٥/٢).
- [٨٥٧] المصدر السابق نفسه (١١٣٦/٢).
- [٨٥٨] التنبيه والرد للملطي ، ص ١٩.
- [٨٥٩] أصول الشيعة الإمامية (١١٣٦/٢).
- [٨٦٠] تفسير العياشي (٢١٨/٢) ؛ بحار الأنوار (٢١٤/٤).

الرابع: أنه في نفسه لطيف يدرك الدقيق ، خبير يدرك الخفي ، وهذا هو مقتضى العلم ، بالأشياء مستغنٍ بنفسه عنها ، كما هو غني بنفسه في جميع صفاته [(١)] ، وقد دلت الايات كذلك على تقدير الله تعالى للكون قبل أن يخلقه ، وذلك بناء على علمه السابق بهذا الكون قبل وجوده ، قال تعالى: {وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا*} [الفرقان: ٢] ، وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى*} [الأعلى: ٢ - ٣].

فهذه الايات الكريمة فيها أعظم رد على الشيعة الرافضة الذين زعموا: أن الله تعالى لا يعلم الحوادث إلا بعد حدوثها ، وأنه قد يأمر بأمر ثم يتغير رأيه بناء على تحديد المصلحة ، فالله تعالى قبل أن يخلق هذا الخلق قدره ، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ، ولا تدبيره ، ولا يتجاوز ما كتب الله في اللوح المحفوظ قبل خلق المخلوقات ووجود الكائنات ، ولكن الظالمين بايات الله ييحدون [(٢)].

وقد دلت السنة على إثبات صفة العلم لله تعالى ، روى البخاري: أن رسول الله (ص) قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» [(٣)] ، وهذه الأمور التي جاءت في الحديث أمور مستقبلية دل الحديث على علم الله بها قبل حدوثها .

وقال النبي (ص): «قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء» [(٤)].

وقد جاءت في كتب الشيعة في ذلك الركام الهائل من الأباطيل روايات قد تكون وثيقة الصلة بعلماء البيت؛ لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة ، وقد تكون من اثار الشيعة المعتدلة، فعن منصور بن حازم قال سألت أبا عبد الله . عليه السلام .: يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال : من قال هذا فأخزاه الله ، قلت:

أرأيت ما كان وما هو كائن إلى اليوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى ، قبل أن يخلق الخلق [(٥)].

الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الرافضة:

أئمة أهل البيت كسائر أهل السنة في موقفهم من الرافضة ومن عقائدهم ، فهم يعتقدون ضلالهم وانحرافهم عن السنة ، وبعدهم عن الحق ، وهم من أشد الناس ذمًا ومقتًا لهم وذلك لنسبتهم تلك العقائد الفاسدة إليهم ، وكثرة كذبهم عليهم ، وقد تعددت عبارات أهل البيت وتنوعت في ذم الشيعة

الرافضة وبراءتهم من عقيدتهم ، فمما جاء عنهم في براءتهم من عقائد الشيعة الرافضة ، وتأصيلهم عقيدة أهل السنة [(٦)]:

١ . ما ثبت عن علي رضي الله عنه:

وتواتر عنه أنه قال وهو على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر . رضي الله عنهما [(٧)] ، وعنه رضي عنه قال: لا يفضلني أحد على الشيخين إلا جلده حتى حد المفترى [(٨)] . وفي الصحيحين أنه قال في حق عمر عند شيعة: ما خلقت أحداً أحب إلي من أن ألقى الله بمثل عمله منك ، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك ، وذلك أني كنت أسمع كثيراً رسول الله (ص) يقول: «ذهب أنا و أبو بكر وعمر...» وإن كنت لأظن أن يجعلك الله معهما [(٩)].

وهذه الآثار . الثابتة عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه تناقض عقيدة الشيعة في الشيخين ، كما تقدم ، وتدل على براءة علي . رضي الله عنه . من الشيعة الرافضة ومن عقيدتهم ، وتولية للشيخين وسائر أصحاب النبي (ص) وحبهم لهم . كما بينا سابقاً . وإقراره للشيخين بالفضل عليه ، وعقوبته من فضله عليهما ، وتمنيه أن يلقى الله بمثل عمل عمر ، فرضي الله عنه وعن سائر أصحاب النبي الطيبين المطهرين، من كل ما ينسبه إليهم أهل البدع من الشيعة الرافضة والخوارج المارقين ، ثم من بعد علي . رضي الله عنه .

جاءت أقوال أبنائه، وأهل بيته، في البراءة من الرافضة ومن عقيدتهم وانتقادهم لعقيدة أهل السنة [(١٠)].

٢ . قول الحسن بن علي . رضي الله عنه .:

عن عمرو بن الأصم قال: قلت للحسن: إن الشيعة تزعم أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة قال: كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ؛ لو علمنا أنه مبعوث ، ما زوجنا نساءه ، ولا اقتسمنا ماله [(١١)].

وروى أبو نعيم : قيل للحسن بن علي . رضي الله عنهما .: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة ، قال: كانت جماجم العرب في يدي ، يحاربون من حاربت ، ويسالمون من سالمت ، فتركته ابتغاء وجه الله ، وحقق دماء أمة محمد (ص) [(١٢)].

٤ . قول الحسين بن علي . رضي الله عنهما .:

كان يقول في شيعة العراق . الذين كاتبوه ووعدوه بالنصر ، ثم تفرقوا عنه وأسلموه إلى أعدائه .: اللهم إن أهل العراق غروني ، وخذعوني ، صنعوا بأخي ما صنعوا ، اللهم شتت عليهم أمرهم ، وأحصهم

عدداً [(١٣)]. ثم كان نتيجة غدرهم وخذلانهم له استشهاده . رضي الله عنه . هو وعامة من كان معه من أهل بيته ، بعد أن تفرق عنه هؤلاء الخونة ، فكان مقتله . رضي الله عنه . معيبة عظيمة ، ومأساة جسيمة يتفطر لها قلب كل مسلم [(١٤)].

٥ . قول علي بن الحسين . رحمه الله .:

ثبت عنه أنه قال: يا أهل العراق أحبونا حب الإسلام ، ولا تحبونا حب الأصنام ، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً [(١٥)] . وعنه رحمه الله ، أنه جاءه نفر من أهل العراق ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان . رضي الله عنهم . ، فلما فرغوا قال لهم: ألا تحبوني أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً

وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا ، قال: فأنتم الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون؟ قالوا: لا ، قال: أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * } [الحشر: ١٠] اخرجوا فعل الله بكم [(١٦)]!!

٦ . قول محمد بن علي (الباقر):

عن محمد بن علي أنه قال: أجمع بنو فاطمة على أن يقولوا في أبي بكر وعمر أحسن ما يكون من القول [(١٧)] ، وعنه . رحمه الله . أنه قال لجابر الجعفي: إن قوماً بالعراق يزعمون أني أمرتهم بذلك؛ فأخبرهم أني أبرأ إلى الله تعالى منهم ، والله برأي منهم ، والذي نفس محمد بيده لو وليت ، لتقربت إلى الله بدمائهم ، لا نالني شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر الله لهما ، وأترحم عليهما ، إن أعداء الله غافلون عنهما [(١٨)] .

وعن بسام الصيرفي قال: سألت أبا جعفر عن أبي بكر وعمر فقال: والله إني لأتولاها ، وأستغفر لهما . وما أدركت أحداً من أهل بيتي إلا هو يتولاها [(١٩)].

٧ . قول زيد بن علي . رحمه الله .:

عن زيد بن علي أنه قال: كان أبو بكر إمام الشاكرين. ثم تلا: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ*} [آل عمران: ١٤٤] ، ثم قال: البراءة من أبي بكر هي البراءة من علي [(٢٠)] رضي الله عنهما . فإن شئت فتقدم ، وإن شئت فتأخر [(٢١)].

٨ . قول جعفر بن محمد (الصادق):

عن عبد الجبار بن عباس الهمداني : أن جعفر بن محمد أتاهم وهم يريدون أن يرتحلوا من المدينة فقال: إنكم إن شاء الله من صالحي أهل مصركم ، فأبلغوا عني من زعم أبي إمام معصوم مفترض الطاعة ، فأنا منه بريء [(٢٢)] ، ومن زعم أبي أبرأ من أبي بكر وعمر ، فأنا منه برأي.

وعن سالم بن... أبي بكر وعمر فقال: يا سالم تولهما وإبرأ من عدوهما ، فإنهما كانا إمامي هدى ، ثم قال جعفر: أيسب الرجل جده؟! أبو بكر جدي ، لا نالني شفاعة محمد (ص) يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما [(٢٣)].

وعن جعفر بن محمد أنه كان يقول: ما أرجو من شفاعة علي شيئاً ، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي مثله ، لقد ولدي مرتين [(٢٤)].

وعنه . رحمه الله :: أنه سئل عن أبي بكر وعمر فقال: إنك تسألني عن رجلين قد أكلا من ثمار الجنة [(٢٥)]. . وعنه أنه قال: برىء الله ممن تبرأ من أبي بكر وعمر [(٢٦)] . قال الذهبي معقباً على هذا الأثر: قلت: هذا القول متواتر عن جعفر الصادق ، أشهد بالله إنه لبار في قوله غير منافق لأحد ، فقبح الله الرافضة [(٢٧)].

فهذه هي أقوال أئمة أهل البيت ، الطيبين الطاهرين ، الذين تدعي الشيعة الرافضة إمامتهم وولايتهم ، وينسبون إليهم عقيدتهم موضحة ومبينة موقفهم من الشيعة الرافضة ، ومن دينهم ، وبراءتهم منهم ومن كل ما يفعلونه بهم من عقائدهم الفاسدة ، ومطاعنهم على خيار الصحابة ، وأمهات المؤمنين ، وأن هؤلاء الأئمة من أهل البيت على عقيدة السنة ، ظاهراً وباطناً ، في كل كبير وصغير ، فهي عقيدتهم التي بها يدينون ، عليها يوالون ويعادون ، وأن من نسب لهم غير ذلك فهو كاذب عليهم ظالم لهم ، فرحمهم الله رحمة واسعة وأخزى الله من ألصق بهم الأكاذيب [(٢٨)].

الثالث عشر: وجهة نظر التقريب بين أهل السنة والشيعة:

لقد تبين لنا من خلال البحث مدى ما عند الشيعة الروافض من ضلال وبدع وانحراف

عن كتاب الله وسنة رسوله والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، ومدى الأخطار والأضرار الكبيرة التي احتوت عليها كتبهم المعتمدة في مجال التفسير والتوحيد والحديث وغيرها ، وأنها تصيب المسلمين في صميم دينهم ، وفي أصول اعتقادهم ، وكل دعوة تقريب تستلزم ضمناً الاعتراف بهذه الكتب التي لا يصل الكيد الاستشراقي والتبشيري إلى مستوى ما وصلت إليه من محاولات لتغيير دين الله وشرعه باسم الإسلام ، بل إن الاستشراق والتبشير من معيها يرتوي وعلى شبهاتها وأساطيرها يعتمد في إفساده وتامره على الدين وأهله ، ولهذا فإن هناك علاقة وثيقة ، بل تشابهاً تاماً بين شبهات المستشرقين والمبشرين واءاء الشيعة والروافض وليس هذا بجديد ، وهذه العلاقة تستحق أن يفرد لها رسالة علمية خاصة.

فمن قديم كان الأعداء يستخدمون (اراء) الشيعة الروافض تكأة لهم في محاربة الإسلام وأهله ، بل كان جنود الشيعة الروافض أمضى سلاحاً في يد الأعداء ، وكان التشيع الرافضي مأوى لكل من أراد هدم الإسلام من ملحد وحاقد وموتور ، وأيام التاريخ مليئة بمؤامراتهم وخياناتهم ومؤازرتهم للأعداء ، ومن أبرز الأسباب في ذلك : أن هؤلاء الشيعة الروافض لا يؤمنون بشرعية حكومة إسلامية إلا حكومة المنتظر الذي غاب أكثر من أحد عشر قرناً ، ولهذا وجد الأعداء مدخلاً إلى قلوبهم من هذا الطريق [(٢٩)] .

قال ابن تيمية: وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من مودته للمسلمين ، ولهذا لما خرج الترك الكفار من جهة المشرق وقتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خراسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها ، كانت الرافضة معاونة لهم على المسلمين ، وكذلك من كانوا بالشام وحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين ، وكذلك النصارى الذين قاتلوا المسلمين بالشام كانت الرافضة من أعظم المعاونين لهم ، فهم دائماً يوالون الكفار من المشركين والنصارى ، ويعاونوهم على قتال المسلمين ومعاداتهم [(٣٠)] .

ويكفي للتأكيد على ذلك شواهد تاريخية منها:

١ . مؤامرة ابن العلقمي الرافضي في إسقاط بغداد ٦٥٦ هـ:

وملخص الحادثة: أن ابن العلقمي كان وزيراً للخليفة العباسي المستعصم ، وكان الخليفة على مذهب أهل السنة ، كما كان أبوه وجده ، ولكن كان فيه لين وعدم تيقظ ، فكان هذا الوزير الرافضي يخطط للقضاء على دولة الخلافة ، وإبادة أهل السنة ، وإقامة دولة على مذهب الشيعة

الرافضة ، فاستغل منصبه ، وغفلة الخليفة لتنفيذ مؤامراته ضد الخلافة ، وكانت خيوط مؤامراته تتمثل في ثلاث مراحل:

أ . المرحلة الأولى: إضعاف الجيش ، ومضايقه الناس ، حيث سعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين ، وضعفتهم. قال ابن كثير: وكان الوزير ابن العلقمي يجتهد في صرف الجيوش ، وإسقاط اسمهم من الديوان ، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مئة ألف مقاتل.. فلم يزل يجتهد في تقليلهم ، إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف [(٣١)].

ب . المرحلة الثانية: مكاتبة التتار ، يقول ابن كثير: ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد ، وسهّل عليهم ذلك ، وحكى لهم حقيقة الحال وكشف لهم ضعف الرجال [(٣٢)].

ج . المرحلة الثالثة: النهي عن قتال التتار وتثبيط الخليفة والناس: فقد نهى العامة عن قتالهم [(٣٣)] ، وأوهم الخليفة وحاشيته أن ملك التتار يريد مصالحتهم ، وأشار على الخليفة بالخروج إليه والمثول بين يديه لتقع المصالحة على أن يكون نصف خراج العراق لهم ، ونصفه للخليفة ، فخرج الخليفة إليه في سبعمئة راكب من القضاة والفقهاء ، والأمراء والأعيان. فتم بهذه الحيلة قتل الخليفة ومن معه من قواد الأمة وطلائعها بدون أي جهد من التتار.

وقد أشار أولئك الملأ من الشيعة الرافضة وغيرهم من المنافقين على هؤلاء أن لا يصالح الخليفة ، وقال الوزير ابن العلقمي: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين ، ثم يعود الأمر إلى ما كانت عليه قبل ذلك ، وحسنوا له قتل الخليفة ، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي ، ونصير الطوسي [(٣٤)] ، وثم مالوا

على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشباب ، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ، ومن التجأ إليهم ، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي ، وقد قتلوا من المسلمين ما يقال: إنه بضعة عشر ألف إنسان أو أكثر أو أقل ، ولم ير الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر ، وقتلوا الهاشميين ، وسبوا نساءهم من العباسيين ؛ وغير العباسيين ؛ فهل يكون موالياً لال رسول الله (ص) من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم وعلى سائر المسلمين [(٣٥)].

وقتل الخطباء والأئمة ، حملة القران ، وتعطلت المساجد ، والجماعات ، مدة شهور ببغداد [(٣٦)].

وكان هدف ابن العلقمي: أن يزيل السنة بالكلية ، وأن يظهر البدعة الرافضة ، وأن يبيّن للرافضة مدرسة هائلة ينشرون بها مذهبهم فلم يقدره الله على ذلك ، بل أزال نعمته عنه وقصف عمره بعد شهرين يسيرة من هذه الحادثة ، وأتبعه بولده [(٣٧)].

٢ . الدولة الصفوية:

في الدولة الصفوية ، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي: فرض التشيع الاثني عشرية على الإيرانيين قسراً ، وجعل المذهب الرسمي لإيران ، وكان إسماعيل قاسياً متعطشاً للدماء إلى حد لا يكاد يصدق [(٣٨)] ، ويشيع عن نفسه أنه معصوم ، وليس بينه وبين المهدي فاصل ، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر [(٣٩)] ، ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة ، وكان يتخذ سبّ الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين ، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع ، والأسواق ، وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم ، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض بقوة السلاح [(٤٠)] .

ولقد ازر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو ، وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار ، وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ: شيخهم علي الكركي [(٤١)] ، الذي يلعبه الشيعة بالمحقق الثاني ، والذي قرببه الشاه طهماسب ، ابن الشاه إسماعيل ، وجعله الامر المطاع في الدولة ، وكذلك كان من شيوخ الدولة الصفوية المجلسي ، والذي شارك السلطة في التأثير على المسلمين في إيران حتى يقال بأن كتابه (حق اليقين) كان سبباً في تشيع سبعين ألف سني من الإيرانيين [(٤٢)] ، والأقرب أن هذا من مبالغات الشيعة ، فإن الرفض في إيران لم يجد مكانه إلا بالقوة والإرهاب لا بالفكر والإقناع [(٤٣)].

ولا ينسى الجانب الاخر من أثر الدولة الصفوية ، وذلك في حروبها لدولة الخلافة الإسلامية العثمانية ، وتعاونها مع الأعداء من البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين ، وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس ، مع محاربتهم للسنة وأهلها [(٤٤)].

هذه بعض اثار دولهم وأفرادهم في هذا المجال ، ومن كلمات ابن تيمية . رحمه الله . الخالدة والمهمة في هذا الموضوع والتي إذا طبقتها على الواقع ، وإذا استقرأت من خلالها وقائع التاريخ رأيت صدقها كالشمس قوله . رحمه الله .: فليُنظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه ، وما يقرب من زمانه من الفتن والشُرور والفساد في الإسلام ؛ فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة ، وتجدهم من أعظم الناس فتناً

وشرّاً ، وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشور وإيقاع الفساد بين الأمة [(٤٥)]. ونحن قد علمنا بالمعينة والتواتر أن الفتن والشور العظيمة التي لا تشابهها فتن ، إنما تخرج عنهم [(٤٦)]. فمع من نتحد يا معشر أهل السنة؟! مع من يطعن في قراننا ، ويفسره على غير تأويله ، ويجرف الكلم عن مواضعه ، ويكفر الصديق والفاروق وأم المؤمنين وأحب نسائه إليه عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم ، ويخادع المسلمين باسم التقية [(٤٧)]!!

٣ . من التجارب المعاصرة في التقريب:

أ . تجربة مصطفى السباعي:

بذل الدكتور مصطفى السباعي عدة مساعٍ مع بعض علماء الشيعة في مسألة التقريب ، وسعى لعقد مؤتمر إسلامي لدراسة السبل الكفيلة لإرساء دعائم الألفة والمودة والتقارب بين الفريقين ، وكان يرى من أكبر العوامل في التقريب أن يزور علماء الفريقين بعضهم بعضاً ، وأن تصدر . الكتب والمؤلفات التي تدعو إلى التقارب ، وكما يرى عدم إصدار الكتب التي تنير نائرة أحد الطرفين .

وقام مصطفى السباعي بزيارة أحد مراجع الشيعة الكبار ، ومن يعتبر عندهم من أكبر دعاة الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب ، والدعوة إلى توحيد الصف ، وجمع الكلمة ؛ وهو شيخهم عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، فألفاه متحمساً لهذه الفكرة ومؤمناً بها ، واتفق معه على عقد مؤتمر إسلامي بين علماء السنة والشيعة لهذا الغرض ، كما قام السباعي بزيارة وجوه الشيعة من سياسيين وتجار وأدباء للغرض نفسه ، وخرج من هذه الاتصالات فرحاً جداً لحصوله على تلك النتائج ، وما كان يخطر ببال السباعي رحمه الله أو يدور بخلده ما تنطوي عليه نفوس القوم من أهداف ، وما يرمون إليه من وراء دعوته التقريب من خطط ، حتى فوجأى السباعي . كما يقول . بعد فترة بأن هذا الموسوي المتحمس للتقريب قام بإصدار كتاب في أبي هريرة رضي الله عنه ملأني بالسباب والشتائم ، بل انتهى فيه إلى القول بأن أبا هريرة رضي الله عنه كان منافقاً كافراً ، وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار [(٤٨)] .

ثم يقول السباعي: لقد عجبت من موفق عبد الحسين في كلامه وفي كتابه معاً ، ذلك الموقف الذي لا يدل على رغبة صادقة في التقارب ونسيان الماضي [(٤٩)] .

ويذكر السباعي أن غاية ما قدم شيوخ الشيعة تجاه فكرة التقريب هي جملة من المجاملة في الندوات والمجالس مع استمرار كثير منهم في سب الصحابة وإساءة الظن بهم ، واعتقاد كل ما يروى في كتب أسلافهم من تلك الروايات والأخبار [(٥٠)] .

ويذكر أنهم وهم ينادون بالتقريب لا يوجد لروح التقريب أثر لدى علماء الشيعة في العراق وإيران ، فلا يزال القوم مصرين على ما في كتبهم من ذلك الطعن الجارح والتصوير المكذوب لما كان بين الصحابة من خلاف ، كأن المقصود من دعوة التقريب هي تقريب أهل السنة إلى مذهب الشيعة [(٥١)] .

ويذكر السباعي: أن كل بحث علمي في تاريخ السنة أو المذاهب الإسلامية لا يتفق مع وجهة نظر الشيعة ؛ يقيم بعض علمائهم النكير على من يبحث في ذلك ، ويتسترون وراء التقريب ، ويتهمون صاحب هذا البحث بأنه متعصب معرقل لجهود المصلحين في التقريب ، ولكن كتاباً ، ككتاب عبد الحسين شرف الدين في الطعن في أكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة يراه أولئك العائبون أو الغاضبون عملاً معرقلًا لجهود الساعين إلى التقريب ، ويقول: لست أحصر المثال بكتاب: «أبي هريرة» المذكور ، فهناك كتب تطبع في العراق وفي إيران ، وفيها من التشنيع على جمهور الصحابة ما لا يتحمل سماعه إنسان ذو وجدان وضمير ، مما يؤجج نيران التفرقة من جديد [(٥٢)] .

هذه تجربة الشيخ السباعي رحمه الله ومحاولته أفلست أمام تعصب شيوخ الشيعة وإصرارهم في عدوانهم على خير جيل وجد في خير القرون [(٥٣)] .

لقد أصبح التقريب في مفهوم الشيعة الرافضة ، أن يتاح لهم المجال لنشر عقائدهم في ديار السنة ، وأن يستمروا في نيلهم من أصحاب رسول الله (ص) ، وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق ، وإن سمع الروافض الحق يعلو هاجوا وماجوا قائلين : إن الوحدة في خطر [(٥٤)] .

ب . تجربة الشيخ موسى جار الله:

هذا الشيخ الجليل من علماء روسيا؛ فهو موسى بن جار الله التركستاني القازاني الروسي ، شيخ مشايخ روسيا في نهاية العصر القيصري وبداية الحكم السوفييتي ، كان صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين كانوا يزيدون عن الثلاثين

مليون نسمة ، ثم هبَّ عليه إعصار الشيوعية ، فأصبح بعيداً عن دياره وأهله ، له تأليف رسائل وكتب ، تنقل بين الهند والحجاز ومصر والعراق وإيران ، قال عن نفسه: كان بوسعي أن أعد كاتب روسيا

الأول وأحد زعماء الطليعة فيها لو أنني تخلت عن إيماني ، ولكنني اثرت أن أشتري الاخرة بالدنيا [(٥٥)].

حاول هذا العالم الجليل أن يجمع شمل الأمة ، وأن يوحد أهل السنة والشيعة ، وبذل جهوداً في هذا الجانب عظيمة ، فبدأ بدراسة كتب الشيعة وطالعتها باهتمام ، كما يذكر أنه طالع (أصول الكافي وفروعه) (ومن لا يحضره الفقيه) ، وكتاب (الوافي) و(مرآة العقول) و(بحار الأنوار) و(غاية المرام) وكتب كثيرة وغير هذه الكتب [(٥٦)] ، ثم زار ديار الشيعة وعاش فيها أكثر من سبعة أشهر يزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ، ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والماتم، ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها ، والمدارس وحجرتها ، وأقام بالنجف أيام الحرم ، ورأى كل ما تأتي به الشيعة أيام العزاء ويوم عاشوراء.

وخرج هذا العالم بنتيجة علمية ، فرأى ببصيرته النافذة وعلمه الغزير أن نقد عقائد الشيعة وواقعها هو أول مرحلة من تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها ، وكان أول مساعيه في التقريب لقاءه مع شيخ الشيعة محسن الأمين في طهران ، وجرى بينهما بعض الحديث ، ثم قدم له الشيخ موسى ورقة صغيرة كان تاريخ الرسالة ١٩٣٤/٨/٢٦ م وأرسل منها نسخة إلى علماء النجف ، وأخرى إلى علماء الكاظمية ، فكتب فيها: أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف الأشرف بيد الاحترام ، بأمل الاستفادة بقلب سليم صادق ، كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام : الشيعة الإمامية الطائفة المحقة . يعني على زعمهم [(٥٧)] . ، وعامة أهل السنة والجماعة ، راجياً إجابة الأساتذة جميعاً أو فرادى ، وكل بيانه البليغ ، وبتوقيع يده مؤكداً بخاتمه ومهره ، ثم أورد في الرسالة ما في كتب الشيعة من أمور منكرة مشيراً إلى أرقام الصفحات في كل ما يذكره ، فذكر عدة قضايا خطيرة في كتب الشيعة الراضية تحول بين الأمة والائتلاف مثل:

* تكفير الصحابة.

* اللعنات على العصر الأول.

* تحريف القرآن الكريم.

* حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت في كتب الشيعة.

* كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشيعة.

* الجهاد في كتب الشيعة مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير ، ولا شهيد إلا الشيعة ، والشيعة شهيد ولو مات على فراشه ، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشيعة فالويل يتعجلون.

ثم قال الشيخ بعد ما نقل شواهد هذه المسائل من كتب الشيعة المعتمدة مخاطباً شيوخ الشيعة: هذه ست من المسائل ، عقيدة الشيعة فيها يقين ، فهل يبقى لتوحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشيعة؟!

وهل يبقى بعد هذه المسائل ، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهلها من أثر؟! .
وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية ، ولهم هذه العقيدة في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي؟! ثم أردف ذلك بمسائل منكرة أخرى مثل:

* رد الشيعة لأحاديث الأمة ودعواهم أن كل ما خالف الأمة فيه الرشاد. ويرى أن هذا المبدأ هدم لدين الشيعة قبل أن يهدم دين الإسلام.

* وما في كتب الشيعة من أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشيعة ، وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر وكفر من اتبعهما.
* وغلو الشيعة في التقية.

* ثم ذكر أباطيل أخرى شنيعة في كتب الشيعة مثل:
. أن علياً أمير المؤمنين طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين.
. أن القائم إذا يقوم يقيم الحد على عائشة انتقاماً لأمه ابنة النبي (ص) فاطمة عليها وعلى أبيها وأولادها الصلاة والسلام.
. أن القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام.

* ثم ذكر أن دين الشيعة روحه العدا ، وأن ما في كتب الشيعة من حكايات العدا بين الصديق والفاروق ، وبين علي ؛ كلها موضوعة.

* وذكر أن كتب الشيعة تقول على لسان بعض الأئمة: إن الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء ، لا تكون مؤمنة لإنكارها الولاية.

وأن الشيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين لا عتب لها ؛ لأنها تدين بولاية إمام عادل ، وذكر مسائل أخرى ثم قال: ففضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام ، وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين .

فماذا كان جواب الشيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشيعة عرضاً على سبيل الاستيضاح عملاً بأمر الله في كتابه: { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * } [النحل: ٤٣] [الأنبياء: ٧] ، ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جواباً من أحد إلا من كبير مجتهدي الشيعة بالبصرة قد قام بوظيفته وتفضل علي بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين ، بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشيعة ، ثم كتب الشيخ موسى كتابه (الوشيعه في نقد عقائد الشيعة) بعد أن لم ير استجابة من شيوخ الشيعة ، ويقول: إنني أدافع بذلك عن شرف الأمة وحرمة الدين ، وأقضي به حقوق العصر الأول عليّ وعلى كل الأمة [٥٨].

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب (الوشيعه) وفي نصحه لشيوخ الشيعة أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب ؛ فإن شيوخ الشيعة ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفيناً ، ويستفزههم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز ، والسبب في انزعاج شيوخ الشيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل : أن في ذلك فضحاً لأغراضهم وماربهم ، وكشفاً لاستغلالهم للجمهور البسطاء من الشيعة دينياً باسم النيابة عن المعصوم المنتظر ، ومالياً باسم خمس هذا المنتظر [٥٩].

٤ - المنهج السليم للتقريب:

هو أن يقوم علماء السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله (ص) ، وبيان صحته وتميزه عن مذاهب أهل البدع ، وكشف مؤامرات الشيعة الرافضة وأكاذيبهم وما يستدلون به من كتب أهل السنة ، والرد على الشبهات الموجهة

لأهل السنة بعلم وعدل وبرهان ، ولا بد من مصاحبة ذلك كله ببيان لانحرافات الشيعة الرافضة ، وكشف ضلالاتهم وأصولهم الفاسدة ، وإذا كان أئمة السنة قد شاركوا في ذلك فإنه يجب مضاعفة الجهد ، وأن يكون جهداً جماعياً مخططاً له.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل ، وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله (ص) ، وفهم الإسلام الصحيح ، من خلال علماء أهل السنة وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت ؛ كأئمة المؤمنين علي وأبنائه وأحفاده من العلماء ، ولا بد من الوقوف في وجه المد التبشيري الرافضي

الذي يشين لأهل البيت الأطهار ، والذي ينشط اليوم بشكل قوي في العالم الإسلامي ، وفي أوربة وأمريكا ، وحتى يجتمع المسلمون على كلمة سواء . ويعتصموا بجبل الله جميعاً ولا يتفرقوا .

وإذا كان لا يجدي مع بعض علماء الشيعة الرافضة الاحتجاج عليهم بالقران والسنة والإجماع ، وبيان الحق بهذه الأصول لمخالفتهم لأهل السنة ، في ذلك فلا يعني ذلك أن نتوقف عن بيان مذهب أهل السنة وصحته ، وبطلان مذهب الشيعة وضلاله في تلك الأصول ، فذلك سيحد من انتشار . عقيدة الروافض بين أهل السنة . بإذن الله تعالى ..

وعلينا أن نبحت عما يكشف باطلهم من كتبهم نفسها ، وهذا المنهج لم يسلكه علماءنا المتقدمون الذين اهتموا بالرد على الروافض وتنفيذ حججهم ودحض دعواهم ، ولعل السبب في ذلك أن كتب القوم لم يكن لها ذلك الذبوع والانتشار ، وكانت موضع التداول الخاص بهم ، أو أن السبب أن هناك بعض كتبهم الأساسية قد وضعت من المتأخرين ، ونسبت للمتقدمين أو زيد عليها في العصور المتأخرة (الدولة الصفوية) أيأ كان السبب هذا أو ذاك أو جميعاً ؛ فإن كتب الروافض اليوم قد انتشرت ، ودان بقديستها وامن بصحتها الكثير من الشيعة الرافضة ؛ فهم لا يؤمنون إلا بما جاء فيها ولا يحتجون إلا بها ، ويردون بها السنة الصحيحة ، بل نصوص الكتاب الظاهرة ، بل منهم من يصدق أساطيرها التي تمسّ كتاب الله العظيم ، وتزعم الوحي للأئمة وعلم الغيب ، فليكن تصحيح وضع الشيعة من كتبهم وكشف ضلالهم من روايتهم ومنطلق التقريب الصحيح من مدوناتهم [(٦٠)] .

وقد قامت جهود مشكورة في هذا المجال ، وظهرت بعض الكتب : ك(الإمامة والنص) ، فيصل نور ، (ثم أبصرت الحقيقة) ، محمد سالم الخضر ، و(أصول الشيعة

الإمامية الاثني عشرية) ، د. ناصر عبد الله بن علي القفاري ، و(دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين) للدكتور أحمد جلي .

إن هذا المسلك ينبغي أن يدرس بعناية واهتمام ؛ فإن القارئ لكتب الشيعة يتلمس خيوطاً بيضاء وسط ركام هائل من الضلال ، ومن الممكن أن ينسج من هذه الخيوط العقيدة الحققة للأئمة ، الموافقة للكتاب والسنة الصحيحة من الضياع والتهيه الذي يعيشونه ، وهذه الخيوط كما تشمل الأصول تشمل الفروع ، وعلى ذلك يمكن اللقاء والتقارب [(٦١)] ، كما أنه ينبغي التنويه وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة ، واحترامهم وتقديرهم والوقوف معهم في نصيحة أقوامهم ؛ كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتبه: (لله ثم للتاريخ) ، (كشف الأسرار وتبرئه الأئمة الأطهار) ، وكالجهد

العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكوراً في كتاب (تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه) .

وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتنياً لآثارهم الصحيحة وهديبهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام ، ونعاملهم بكل احترام وتقدير ، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان ، ونبين لهم أن القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعريف أحكام الإسلام ، ويفهم القرآن الكريم طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف ، و يرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات [(٦٢)] ، وأن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم (ص) ، وكل ما جاء عن السلف رضي الله عنهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع ، ولكننا لا نعرض للأشخاص فيما اختلفوا فيه بطعن أو تجريح ، ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا [(٦٣)] .

وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسناها الناس بأهوائهم سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه ضلالة تجب محاربتها [(٦٤)] ، والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها ، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى .

والأولياء هم المذكورون في قوله تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ }* [يونس: ٦٣] ، والكرامة ثابتة لهم بشرائها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً في حياتهم أو بعد مماتهم ، فضلاً عن أن يهبوا شيئاً من ذلك لغيرهم [(٦٥)] .

وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة بالكيفية الماثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشبيد القبور وسترها والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال سداً للذريعة [(٦٦)] .
والعرف الخاطيء لا يغير من حقائق الألفاظ الشرعية ، بل يجب التأكد من حدود المعاني المقصود بها ، والوقوف عندها ، كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظي في كل نواحي الدنيا والدين ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء [(٦٧)] .

والإسلام يحجر العقل ، ويبعث على النظر في الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح والنافع من كل شيء ، والحكمة ضالة المؤمن أين وجدها فهو أحق الناس بها [(٦٨)] .

ولا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين ، وعمل بمقتضاها ، وأدى الفرائض ، برأي أو معصية إلا إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملاً لا يتحمل تأويلاً غير الكفر]](٦٩)].

إن مثل هذه الأصول والمفاهيم تعين الناس عموماً في فهم الإسلام الصحيح المتمثل في كتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ومنهج أهل السنة والجماعة ، الذي أصل لأصوله ،

رسول الله (ص) والخلفاء الراشدون المهديون ومن سار على نهجهم من العلماء والفقهاء.

إن أهل الحق المتمسكين بنهج أهل السنة ليس عندهم بدع بحمد الله ، ومستندهم القرآن والسنة الصحيحة ، ولا يمكنهم التنازل عن شيء من ذلك مما قد يجعل الدين عرضة للمساومة ، وأما الشيعة الرافضة فعندهم من البدع الشيء الكثير ، لا يمنعهم شيء من التنازل عنها إلا التعصب واتباع الهوى والمصالح المادية لبعض شيوخهم المنحرفين عن هدى أمير المؤمنين علي وعلماء أهل البيت رضي الله عنهم جميعاً .

وذكر العلماء . أن أهل السنة عليهم إنكار بدع المبتدعة ، وإن كان المبتدع متعبداً بها معتقداً صوابها ، ولا بأس أن نقيدهم إنكارنا على هذه البدع بالقيود المصلحي وفق قاعدة الترجيح بين المفسد ، والمصالح المتعارضة بأن يحتمل المفسدة اليسيرة من أجل درء المفسدة الكبيرة ، ونحتمل تفويت المعروف الأصغر حرصاً على جلب المعروف الأكبر ، وهذه قاعدة صحيحة عند الفقهاء ، والعمل بهذه القاعدة قد يجعلنا نسكت عن إنكار بدعة الشيعة الرافضة في وقت من الأوقات ، أو في مكان من الأماكن ؛ سداً للذريعة ، وخروجاً عن أصل الإنكار إذا كان الإنكار يؤدي إلى هياج الفتن وإراقة الدماء والافتتال بين أهل بلد يتكافأ فيه عدد الشيعة مع عدد أهل السنة ، وأما في الأحوال الاعتيادية التي لا تكون هناك مفسدة تصاحب هذا الإنكار يكون مستساغاً أو واجباً]](٧٠)].

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادي في مناقشة بدع المبتدعة ، وأن يترفقوا معهم ، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها ، أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب ، أو نصرهم إذا كانوا في نزاع مع كافر أو ظالم ، وفق السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد ، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائماً ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك الغوغاء والدهماء ، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد ، والأقوال الشاذة في كل الأحوال .

والحد المميز بين الطائفتين: الأولى التي نترفق معها في الكلام : والثانية التي نغلظ لها الكلام ، إنما يكون كامناً في مدى اعتماد القائل على نص شرعي يتكون من شبهة له ، أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان. وأما من يتبع غرائب النقول عن المجاهيل

والمتأخرين ، ومن لا تأويل له ؛ فالإنكار . من تجاهه أولى . وربما كان الإغلاظ له أوجب [(٧١)].
إن أهل الحل والعقد من أهل السنة في المجتمعات الطائفية هم الذين يقدرّون المواقف السياسية ، والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسية الشرعية ، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ، والتحذير من العقائد المنحرفة المندسة في أوساط المسلمين ، حتى لا يتأثروا بتلك الأفكار الفاسدة التي يجتهد دعايتها في نشرها بالليل والنهار . والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل ، ولقد قام رسول الله (ص) إبان هجرته للمدينة بعقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية ، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يعرف المسلمون حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها.

* * *

المبحث الرابع

الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه

أولاً: في أعقاب النهروان:

كان قتال أمير المؤمنين رضي الله عنه لهذه الفرقة الخارجة المارقة دليلاً قوياً وحجة ظاهرة في أنه مصيب في قتاله لأهل الشام ، وأنه أولى بالحق من معاوية ؛ فقد جاء عن رسول الله (ص) أنه قال: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق» [(٧٢)].

فالقارناً يتوقع أن الجيش سيكون أشد عزيمة في قتال أهل الشام لما تيقن لديهم بهذه البراهين وغيرها مما سبق ، كمقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ؛ إلا أنه بالرغم من ذلك أن الذي حدث عكس ما هو متوقع منهم ، فالخطة التي رسمها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه هي الذهاب إلى الشام بعد الانتهاء من قتال الخوارج ، لأن إدخال الشام تحت خلافته وإعادة وحدة الأمة هدف يجب تحقيقه ، وغاية يسعى إلى الوصول إليها ، وما حربه للخوارج إلا تأميناً للجبهة الداخلية خشية أن يقعوا بمن في العراق من الدراري أثناء غيابه . كما ذكر ذلك في خطبته . ، ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، إذ لم يستطع رضي الله عنه ، غزو الشام حتى استشهد [(٧٣)] .

فلقد كان لخروج الخوارج أثر في إضعاف جيش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، كما أن الحروب في الجمل وصفين والنهروان ، تسببت في ملل أهل العراق للحرب

ونفورهم منها ، وخاصة أهل الشام في صفين ، فإن حربهم ليس كحرب غيرهم ، فمعركة صفين الطاحنة لم تفارق مخيلتهم ، فكم يَتَمَت الأطفال ورملت نساء ، بدون أن يتحقق مقصودهم ، ولولا الصلح أو التحكيم الذي رحب به أمير المؤمنين علي وكثير من أصحابه لكانت مصيبة على العالم الإسلامي لا يتخيل اثارها السيئة ، فكان هذا التخاذل عن المسير مع علي رضي الله عنه إلى الشام مرة أخرى أحب إليهم ، وتميل إليه نفوسهم ، وإن كانوا يعلمون أن علياً على حق [(٧٤)].

ومن المعضلات التي أوهنت جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، خروج فرقة تغالي في تعظيم أمير المؤمنين علي وترفعه إلى مقام الألوهية ، حتى بدا للبعض أن هذا رد فعل للخوارج الذين يتبرؤون من

علي ويكفرونه [٧٥] ، ولكن هؤلاء كان مقصدهم سيئاً ؛ وهو إدخال معتقدات فاسدة على المسلمين لهدم الدين وإضعاف المسلمين عامة وليس جيش علي فقط [٧٦].

ولقد تصدّى لهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه . كما بينا . بحزم وقوة ، ولاشك أن مباينة الخوارج وقتلهم أضعف جانب علي كثيراً ، ثم تتابعت الفتوق على علي من بعد ، فخرج الخريت بن راشد . وقيل : اسمه الحارث بن راشد . في قومه من بني ناجية ، وكان من ولاية علي على الأهواز ، فدعا إلى خلع علي ، فأجابه خلق كثير ، واحتوى على البلاد ، وجبى الأموال ، فبعث إليه علي جيشاً بقيادة معقل بن قيس الرياحي ، فهزمه وقتله [٧٧].

وطمع أهل الخراج في ناحية علي في كسر الخراج ، وانتقض أهل الأهواز ، ولا بد أن علياً واجه من أجل ذلك بعض الصعوبات المالية والعسكرية ، وقد روي عن الشعبي في هذا الخصوص قوله : لما قتل علي أهل النهروان ، خالفه قوم كثير ، وانتقضت عليه أطرافه ، وخالفه بنو ناجية ، وقدم ابن الحضرمي البصرة وانتفض أهل الأهواز ، وطمع أهل الخراج في كسره ، وأخرجوا سهل بن حنيف عامل علي بن أبي طالب من فارس [٧٨].

وفي الجانب الآخر كان معاوية رضي الله عنه يعمل بشتى الوسائل سراً وعلانية على إضعاف جانب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، واستغل ما أصاب جيشه من تفكك وخلاف ، فأرسل جيشاً إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه ؛ سيطر عليها وضمها إليه ، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل منها :

— خ إنشغال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالخوارج .

— خ عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مصر محمد بن أبي بكر لم يكن على قدر من الدهاء كسلفه قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الأنصاري ، فدخل في حرب مع المطالبين بدم عثمان ، ولم يسايسهم كما كان يصنع الوالي السابق ، فهزموه .

— خ اتفاق معاوية مع المطالبين بدم عثمان في مصر في الرأي ، فساعده في السيطرة عليها [٧٩].

— خ بعد مصر عن مركز أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وقربها من الشام .

— خ طبيعتها الجغرافية ؛ فهي متصلة بأرض الشام عن طريق سيناء ، وتمثل امتداداً طبيعياً ، وقد أضافت مصر قوة كبيرة لمعاوية رضي الله عنه ؛ قوة بشرية واقتصادية كبيرة .

وكذلك أرسل معاوية بعوثه إلى شمال الجزيرة العربية ، ومكة والمدينة وإلى اليمن ، ولكن لم تلبث هذه البعوث أن ردت على أعقابها عند ما أرسل أمير المؤمنين علي من يصدّها [(٨٠)] ، وعمل معاوية رضي الله عنه على استمالة كبار أعيان القبائل وعمال علي رضي الله عنه؛ فقد حاول سحب قيس بن سعد رضي الله عنه عامل علي على مصر إليه فلم يستطع ، ولكنه استطاع أن يثير شك حاشية علي ومستشاروه فيه فعزله [(٨١)] .

— وكان عزل سعد بن قيس مكسباً كبيراً لمعاوية ، كما حاول سحب زياد بن أبيه عامل علي رضي الله عنه على فارس ففشل في ذلك [(٨٢)] .

وقد استطاع معاوية رضي الله عنه أن يؤثر على بعض الأعيان والولاة بسبب ما يمتنّهم ويعدّهم به ، ولما يروه من علو أمر معاوية ، وتفرق أمر علي رضي الله عنه؛ إذ يقول في إحدى خطبه: إلا أن بسراً قد اطلع من قبل معاوية ، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفرقكم عن حقكم ، وبطاعتهم أميرهم ، ومعصيتكم

أميركم ، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم ، استعملت فلاناً فغلّ وغدر وحمل المال إلى معاوية ، واستعملت فلاناً فخان وغدر وحمل المال إلى معاوية ، حتى لو ائتمنت أحدهم على قدح خشيت على علاقته ، اللهم أني أبغضتهم وأبغضوني فأرحهم مني وأرحني منهم [(٨٣)] .

ثانياً: استنهاض أمير المؤمنين علي همة جيشه ، ثم الهدنة مع معاوية:

لم يستسلم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذه المصائب ، وهذا التقاعس والتخاذل ، فقد بذل جهده في استنهاض همة جيشه بكل ما أوتي من علم وحجة وفصاحة وبيان ؛ فخطبه الحماسية المشهورة التي اشتهرت عنه وتعتبر من عيون التراث لم يقلها من فراغ أو خيال ، بل مرّ تجرعه وواقع أليم عاصره ، فمن خطبه التي قالها لما أغير على أطرافه قال:

أما بعد ، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصّة أوليائه ، وهو لباس التقوى ، ودرع الله الحصينة ، وجنّته [(٨٤)] الوثيقة. فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الدلّ ، وشمله البلاء ، ودوّيت بالصغار والقماءة [(٨٥)] ، وضرب على قلبه بالأسداد [(٨٦)] ، وأدب [(٨٧)] الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف [(٨٨)] ومنع النصف [(٨٩)] . ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً ، وسراً وإعلاناً ، وقلت لكم: اغزّوهم قبل أن يغزّوكم ، فوالله ما غزّي قوم في عقر دارهم [(٩٠)] إلا ذلوا ، فتواكلتم وتخاذلتم ، حتى سُنتّ عليكم الغارات ، ومُلكت عليكم الأوطان ، وهذا أخو غامد

قد وردت خيله الأنبار [(٩١)] ، وقد قتل حسّان بن حسّان البكري ، وأزال خيلكم عن مسالحها [(٩٢)] ، ولقد بلغني أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة [(٩٣)] ، فينتزع حجّلها وقُلبها وقلائدَها ورعاثها [(٩٤)] ، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع [(٩٥)] ، والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين [(٩٦)] ، ما نال رجل منهم كلمٌ ولا أريق له دم ، فلو أن امرأً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي جديراً.

فيا عجباً والله يُميثُ القلب ويَجلبُ الهمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم ، فقبحاً لكم وتَرِحاً [(٩٧)] حين صرتم غرضاً يُرمى ، يُعار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزون ولا تُغزون ، ويُعصى الله وترضون.

فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحرّ قلتم: هذه حمارة القيظ [(٩٨)] ؛ أمهلنا يسبّخ عنا الحرّ ، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القُرّ [(٩٩)] ، أمهلنا ينسلخ عنا البرد ، كل هذا فراراً من الحرّ والقُرّ ، فإذا كنتم من الحرّ والقُرّ تفرّون ، فإذا أنتم والله من السيف أفرّ.

يا أشباه الرجال ولا رجال [(١٠٠)] ، حلوم الأطفال ، وعقول ربّات الحجال [(١٠١)] ؛ لوددت أني لم أراكم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً ، وأعقت سدماً [(١٠٢)] ، قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحاً [(١٠٣)] ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرّعتُموني نُعب التّهام أنفاساً [(١٠٤)] ، وأفسدتُم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب.. لله أبوهم ، وهل أحد منهم أشدُّ لها مراساً مّي [(١٠٥)] ،

وأقدم فيها مقاماً مني؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين ، وها أنذا قد ذرّفتُ على الستين ؛ ولكن لا رأي لمن لا يطاع [(١٠٦)].

إن هذه الخطبة كتلة نارية يصبُّها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قذائف ساخنة فوق رؤوس أولئك القوم الذين حرموه من قطف ثمار جهاده وتحقيق النصر الذي كان يسعى له ، وقد صاغها بأسلوب أدبي رائع ، يهزُّ عباراتها المشاعر ، ويحرّك بألفاظها مكامن النفوس ، بعيداً عن الغموض والإيهام ، كما أنّها خالية من السجع والصناعة اللفظية [(١٠٧)].

إن الخطب التي تثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وأعني بها التي تتحدث عن خلافته ؛ تعكس صورة تاريخية تتعدى الوصف الظاهري ، لتكشف عن شعور أمير المؤمنين رضي الله عنه تجاه ما

يلقاه من جيشه من تخاذل بعد معركة النهروان ، ولكن معظم الخطب التي نسبت إليه رضي الله عنه لا تصح؛ فعدد من العلماء يقولون عن خطب علي رضي الله عنه في نهج البلاغة: إنها من تأليف ووضع الشريف الرضي [(١٠٨)]. فلا بد من إعمال منهج نقدي دقيق عند التعامل معها باعتبارها مصدراً تاريخياً.

هذا ومن ناحية أخرى: أخذ علي رضي الله عنه يذكر أصحابه بفضائله ومناقبه ومنزلته الرفيعة في الإسلام ، فيحدثنا عدد من شهود عيان : أن علياً رضي الله عنه ناشد الناس في الرحبة: من سمع رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى ، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه» ، فقام اثنا عشر رجلاً . وفي رواية : ستة عشر رجلاً . فشهدوا بذلك [(١٠٩)] . وهذا يذكرنا بعثمان رضي الله عنه عندما كان يستشهد بالصحابة على مناقبه وفضائله عندما حصره الغوغاء ، وكأنه يقول: من هذا عمله وخدمته للإسلام؛ أهكذا يكون جزاؤه؟! مع اختلاف المناسبات .

وبالرغم من كل هذه المحاولات والجهود المضنية لم يستطع رضي الله عنه أن يحقق ما يريد؛ إذ لم يستطع أن يغزو الشام بسبب التفكك والتصدع الذي حدث في داخل جيشه وتفرق كلمتهم وظهور الأهواء ، فاضطر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في سنة أربعين

للهجرة أن يوافق معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه على أن يكون العراق له ، والشام لمعاوية ، ولا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو [(١١٠)] . قال الطبري في تاريخه: وفي هذه السنة . ٤٠ هـ جرت بين علي وبين معاوية المهادنة . بعد مكاتبات جرت بينهما يطول بذكرها الكتاب على وضع الحرب بينهما ، ويكون لعلي العراق وللمعاوية الشام ، فلا يدخل أحدهما على صاحبه في عمله بجيش ولا غارة ولا غزو [(١١١)].

ثالثاً: دعاء أمير المؤمنين عليّ الله عز وجل أن يعجل له بالشهادة:

هادن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه معاوية ، ويبدو أن هذه الهدنة لم تستمر ؛ فمعاوية أرسل بسر بن أبي أرطاة إلى الحجاز واليمن في العام الذي استشهد فيه علي رضي الله عنه [(١١٢)] ، ولما لم يتمكن علي رضي الله عنه من تجهيز الجيش بما يصبو ويريد ، ورأى خذلانهم ؛ كره الحياة وتمنّى الموت ، وكان يتوجه إلى الله بالدعاء ، ويطلب منه عز وجل أن يعجل منيته ؛ فمما روي عنه: أنه خطب يوماً فقال:

اللهم إني قد سئمتهم وسئموني ، ومللتهم وملووني ، فأرحني منهم وأرحهم مني ، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم . ووضع يده على لحيته [(١١٣)] .

وقد ألح علي رضي الله عنه في الدعاء في أيامه الأخيرة ؛ فعن جندب قال: ازدحموا علي علي رضي الله عنه ، حتى وطئوا علي رجله ؛ فقال: اللهم إني قد مللتهم وملووني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، فأرحني منهم وأرحهم مني [(١١٤)] .

وفي رواية أخرى: عن أبي صالح قال: شهدت علياً وضع المصحف على رأسه حتى سمعت تققع الورق ، فقال: اللهم إني سألتهم ما فيه فمنعوني ، اللهم إني قد مللتهم وملووني ، وأبغضتهم وأبغضوني ، وحملوني على غير أخلاقي ، فأبدلهم بي شراً مني ، وأبدلني بهم خيراً منهم ، ومث قلوبهم ميثة الملح في الماء [(١١٥)] .

وفي رواية: فلم يلبث إلا ثلاثاً أو نحو ذلك ، حتى قتل رحمه الله [(١١٦)] . وقال الحسن بن علي: قال لي علي رضي الله عنه: إن رسول الله (ص) سنح لي الليلة في منامي ، فقلت: يا رسول الله! ماذا لقيت من أمتك من الأود والدد [(١١٧)]؟ ، قال: ادع عليهم قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خيراً منهم ، وأبدلهم بي من هو شر مني لهم. قال الحسن رضي الله عنه: فخرج فضربه الرجل [(١١٨)] .

رابعاً: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد:

تفيد بعض أحاديث النبي (ص) التي تعد من دلائل نبوته (ص) ؛ إخباره بأن علياً سيكون من الشهداء ، فقد جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله (ص) كان على حراء ، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير؛ فتحركت الصخرة ، فقال رسول الله (ص) : «اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد» [(١١٩)] .

وهناك أحاديث أخص من هذا الحديث ، تخبر أن علياً سيستشهد بأرض العراق ، وتبين كيفية اغتياله أيضاً ، وهذا كله يبين صدق نبوة محمد (ص) ، وبأنه لا ينطق عن الهوى ، وإنما يخبر بما أطلعه الله عز وجل عليه عن طريق الوحي ، وقد أطلع النبي (ص) علياً على ما سيحدث له ، وقد امن علي بذلك وأيقن ، فكان يتحدث للناس بذلك ؛ فمما حدث من ذلك في العراق ، إذ يروي عنه أبو الأسود الدؤلي ؛ يقول أبو الأسود: سمعت علياً يقول: أتاني عبد الله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز ، فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق ، فقال: أما إنك إن جئتها ليصيبك بها ذباب السيف ، فقال علي:

وايم الله لقد سمعت رسول الله (ص) قبله يقوله ، قال أبو الأسود: فعجبت منه ، وقلت: رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه [(١٢٠)] !.

وحدث بهذا الحديث في ينبع قبل توليه الخلافة ، على من عاده في مرضه؛ وهو أبو فضالة الأنصاري البدرى رضي الله عنه ؛ إذ قال علي رضي الله عنه: إني لست ميتاً في مرضي هذا ، أو من وجعي هذا ، إنه عهد إلي النبي (ص) أني لا أموت حتى تخضب هذه

. يعني لحيته . من هذه . يعني هامته [(١٢١)] . وحدث به الخوارج وحدث به أصحابه ، وقد جمع البيهقي هذه الأحاديث ونحوها في كتابه (دلائل النبوة) [(١٢٢)] ، وجمعها الحافظ ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) [(١٢٣)] .

وعن عبد الله بن داود قال: سمعت الأعمش ، عن سلمة بن سهيل ، عن سالم بن أبي جعدة ، عن عبد الله بن سبع قال: سمعت علياً رضي الله عنه على المنبر يقول: ما ننتظر إلا شقياً ، عهد إلي رسول الله (ص) لتخضب هذه من دم هذا ، قالوا: أخبرنا بقاتلك حتى نبير عترته ، قال: أنشد الله رجلاً قتل بي غير قاتلي [(١٢٤)] ، وقد تمثل رضي الله عنه بأبيات شعر فقال:

اشدُّ حيازيمك للموتِ

فإنَّ الموتَ لاقيكَا

ولا تجزع من القتلِ

إذا حلَّ بواديكَا [(١٢٥)]

وتذهب بعض الروايات إلى أبعد من هذا ، إذ تفيد أن علياً رضي الله عنه يعرف هذا الشقي الذي سيقتله ؛ فيروي عبدة السلماني ، بسند صحيح إليه . يقول: كان علي إذا رأى ابن ملجم قال:

أريدُ حياتهُ ، ويريدُ قتلِي

عديرك من خليلك من مُرادي [(١٢٦)]

وفي رواية أخرى: قال علي رضي الله عنه ، عن عبد الرحمن بن ملجم: أما إن هذا قاتلي ، قيل: فما يمنعك منه؟ قال: إنه لم يقتلني بعد [(١٢٧)] .

وقد طلب منه الناس أن يستخلف لما أخبرهم بأنه مقتول ، فاعتذر عن ذلك ؛ فعن عبد الله بن سبع ، قال: سمعت علياً ، يقول لتخضب هذه من هذا ، فما ينتظر بي الأشقى؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ، فأخبرنا به نبير عترته [(١٢٨)] ، قال: إذا تا لله تقتلون بي غير قاتلي. قالوا. فاستخلف علينا. قال: لا ولكن أترككم إلى ما ترككم إليه رسول الله (ص). قالوا:

فما تقول لربك إذا أتيته؟ . وقال وكيع مرة: إذا لقيه؟ . قال: أقول: اللهم تركتني فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتني إليك وأنت فيهم ، فإن شئت أصلحتهم ، وإن شئت أفسدتهم [(١٢٩)].

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق (ص) يقول: «إنك ستضرب ضربة هاهنا . وأشار إلى صدغيه . فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك ، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود» [(١٣٠)].

خامساً: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وما فيه من دروس وعبر وفوائد: لقد تركت معركة النهروان في نفوس الخوارج جرحاً غائراً لم تزده الأيام والليالي إلا إيلاماً وحسرة ، فاتفق نفر منهم على أن يفتكوا بعلي رضي الله عنه ، ويثأروا لمن قتل من إخوانهم في النهروان ، وأجمع أهل السير والمؤرخون على ذكر رواية مشهورة [(١٣١)] لا تسلم من انتقادات لاحتوائها على عناصر متضاربة ، وأخرى مختلفة ، ولا نستبعد بدورنا أن تكون هذه الحادثة المهمة قد تعرضت مثل غيرها إلى إضافات وزيادات في الفترات المتأخرة ، ويبدو من خلال المصادر والدراسات: أن هناك إجماعاً على أنّ عملية قتل علي تمت على أيدي عناصر خارجية انتقاماً لضحايا معركة النهروان ، أما بقية المعلومات الخاصة بالعملية مثل قصة الحب بين ابن ملجم وقطام والدور المزعوم للأشعث الكندي . وسيأتي بيان براءته بإذن الله لاحقاً . وغيرها ؛ فيصعب قبولها والتصديق بها ، وإليك تفصيل مقتله رضي الله عنه:

١ . اجتماع المتأمرين:

كان من حديث ابن ملجم وأصحابه: أن ابن ملجم والبُرْك بن عبد الله وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا ، فتذاكروا أمر الناس ، وعابوا على ولائهم ، ثم ذكروا أهل النهر ، فترحموا عليهم ، وقالوا: ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئاً ، إخواننا الذين كانوا دعاة الناس لعبادة ربهم ، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ، فلو شربنا أنفسنا فأتينا أئمة

الضلالة فالتمسنا قتلهم فأرحنا منهم البلاد ، وثأرنا بهم لإخواننا ، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب . وكان من أهل مصر . ، وقال البُرْك بن عبد الله: أنا أكفيكم معاوية ، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص . فتعاهدوا وتواثقوا بالله: لا ينكص رجل منا عن صاحبه الذي توجه إليه حتى يقتله أو يموت دونه ، فأخذوا أسيافهم ، فسموها واتعدوا لسبع عشرة تخلو من رمضان أن يثب كل واحد منهم على صاحبه الذي توجه إليه ، وأقبل كل رجل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه الذي يطلب [(١٣٢)].

٢ . خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشجينة:

فأما ابن ملجم المرادي فكان عداده في كِنْدَة ، فخرج فلقي أصحابه بالكوفة وكاتمهم أمره كراهة أن يظهرها شيئاً من أمره ، فإنه رأى ذات يوم أصحاباً من تَيْم الرِّباب . وكان علي قتل منهم يوم النهر عشرة . فذكروا قتلاهم ، ولقي من يومه ذلك امرأة من تيم الرباب يقال لها: «قَطَام ابنة الشَّجنة . وقد قتل أباه وأخاها يوم النهر ، وكانت فائقة الجمال . فلما راها التبست بعقله ، ونسي حاجته التي جاء لها ، ثم خطبها ، فقالت: لا أتزوجك حتى تشفي لي ، قال: وما يشفيك؟ قالت: ثلاثة الاف ، وعبد ، وقينة ، وقتل علي بن أبي طالب ، قال: هو مهر لك ، فأما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريدني ، قالت: بلى التمس غرته ، فإن أصبت شفيت نفسك ونفسي ، ويهنتك العيش معي ، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينة أهلها .

قال: فوالله ما جاء بي إلى هذا المصير إلا قتل علي ، فلك ما سألت . قالت: إني أطلب لك من يسند ظهرك ، ويساعدك على أمرك ، فبعثت إلى رجل من قومها من تيم الرباب يقال له: وردان ؛ فكلمته فأجابها .

وأتى ابن ملجم رجلاً من أشجع يقال له شبيب بن بجرة ، فقال له: هل لك في شرف الدنيا والاخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب ، قال: ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إداً ، كيف تقدر على علي؟! قال: أكمن له في المسجد ؛ فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا شفيننا أنفسنا وأدركننا ثأرنا ، وإن قتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها ، قال: ويحك لو كان غير علي لكان أهون علي ، قد عرفت بلاءه في الإسلام ، وسابقته مع النبي (ص) ، وما أجدني أنشرح لقتله . قال: أما تعلم أنه قتل أهل

النهر العباد الصالحين؟ قال: بلى ، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا ، فأجابه . فجاؤوا قطام وهي في المسجد الأعظم معتكفة . فقالوا لها: قد أجمع رأينا على قتل علي ، قالت: فإذا أردتم فأتوني ، ثم عاد إليها ابن ملجم في ليلة الجمعة التي قتل في صبيحتها علي سنة ٤٠ هـ فقال: هذه الليلة التي وعدت فيها صاحبي أن يقتل كل منا صاحبه ، فدعت لهم بالحريز فعصبتهم به ، وأخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي ، فلما خرج ضربه شبيب بالسيف ، فوقع سيفه بعضادة الباب أو الطاق ، وضربه ابن ملجم في قرنه بالسيف ، وهرب وردان حتى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو يزرع الحريز عن صدره ، فقال: ما هذا الحريز والسيف؟ فأخبره بما كان وانصرف ، فجاء بسيفه فعلا به وردان حتى قتله ، وخرج شبيب نحو أبواب كندة في الغلس ، وصاح

الناس ، فلحقه رجل من حضرموت يقال له: عويمر ، وفي يد شبيب السيف ، فأخذه ، وجثم عليه الحضرمي ، فلما رأى الناس قد أقبلوا في طلبه ، وسيف شبيب في يده ، خشي على نفسه ، فتركه ، ونجا شبيب في غمار الناس ، فشدوا على ابن ملجم ، فأخذوه ، إلا أن رجلاً من همدان يكنى أبا أدماء أخذ سيفه فضرب به رجله ، فصرعه .

وتأخر علي ، ورفع في ظهره جعدة بن هبيرة بن أبي وهب ، فصلى بالناس الغداة ، قال علي: علي بالرجل ، فأدخل عليه ، ثم قال: أي عدو الله ، ألم أحسن إليك ، قال: بلى ، قال: ما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً ، وسألت الله أن يقتل به شر خلقه ، فقال علي رضي الله عنه . لا أراك إلا مقتولاً به ، ولا أراك إلا من شر خلقه [(١٣٣)] .

٣ . محمد ابن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي :

قال ابن الحنفية: كنت والله إني لأصلي تلك الليلة التي ضرب فيها علي في المسجد الأعظم في رجال كثير من أهل المصر ، يصلون قريباً من السدة ، ما هم إلا قيام وركوع وسجود ، وما يسأمون من أول الليل إلى آخره ، إذ خرج علي لصلاة الغداة ، فجعل ينادي: أيها الناس ، الصلاة الصلاة ، فما أدري أخرج من السدة فتكلم بهذه الكلمات أم لا ، فنظرت إلى بريق ، وسمعت: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك ، فرأيت سيفاً ، ثم رأيت ثانياً ، ثم سمعت علياً يقول: لا يفوتنكم الرجل ، وشد الناس عليه من كل جانب . قال: فلم أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي ، فدخلت فيمن دخل من

الناس ، فسمعت علياً يقول: النفس بالنفس ، أنا إن مت فاقتلوه كما قتلني ، وإن بقيت رأيت فيه رأيي [(١٣٤)] . وذكر أن الناس دخلوا على الحسن فزعين لما حدث من أمر علي ، فبينما هم عنده وابن ملجم مكتوف بين يديه ، إذ نادته أم كلثوم بنت علي وهي تبكي: أي عدو الله ، لا بأس على أبي ، والله مخزيك ، قال: فعلى من تبكين؟ والله لقد اشتريته بألف ، وسمّته بألف ، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد [(١٣٥)] .

٤ . وصية الطبيب لعلي ، وميل أمير المؤمنين للشورى :

عن عبد الله بن مالك ، قال: جُمع الأطباء لعلي رضي الله عنه يوم جرح ، وكان أبصرهم بالطب أثير بن عمرو السكّوني ، وكان صاحب كسرى يتطبّب ، فأخذ أثير رئة شاة حارة ، ففتبّع عِرْقاً منها ، فاستخرجه فأدخله في جراحة علي ، ثم نفخ العرق فاستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ ، وإذا الضربة قد وصلت إلى أمّ رأسه ، فقال: يا أمير المؤمنين ، اعهد عهدك فإنك ميت [(١٣٦)] . وذكر أن جندب

بن عبد الله دخل على علي فسأله ، فقال: يا أمير المؤمنين ، إن فقدناك . ولا نفقدك . فنباع الحسن؟ قال: ما امركم ولا أنحكم ، أنتم أبصر [(١٣٧)] .

٥ . وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهما:

دعا أمير المؤمنين علي حسناً وحسيناً ، فقال: أوصيكمما بتقوى الله ، وألا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ، ولا تبكيا على شيء زوي عنكما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأغيثا الملهوف ، واصنعا للاحرة ، وكونا للظالم خصماً ، وللمظلوم ناصراً ، واعملا بما في الكتاب ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى محمد ابن الحنفية ، فقال: هل حفظت ما أوصيت به أخويك [(١٣٨)]؟ قال: نعم ، قال: فيني أوصيك بمثله ، وأوصيك بتوقير أخويك ، لعظيم حقهما عليك ، فاتبع أمرهما ، ولا تقطع أمراً دونهما. ثم قال: أوصيكمما به ، فإنه ابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبه . وقال للحسن: أوصيك أي بُني بتقوى الله ، وإقام الصلاة لوقتها ، وإيتاء الزكاة عند محلها ، وحسن الوضوء ، فإنه لا صلاة إلا بطهور ، ولا تقبل صلاة من مانع زكاة ، وأوصيك بغفر الذنب ، وكظم الغيظ ، وصلة الرحم ، والحلم عند الجهل ، والتفقه في الدين ، والتثبت في الأمر ، والتعهد للقران ، وحسن الجوار ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واجتناب الفواحش [(١٣٩)] .

فلما حضرته الوفاة أوصى ، فكانت وصيته:

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب ، أوصى أنه يشهد: أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، ثم أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي بتقوى الله ربكم ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، فيني سمعت أبا القاسم يقول: «إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام». انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب ، الله الله في الأيتام ، فلا تُعنوا أفواههم ، ولا يضيعنَّ بحضرتكم ، والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم (ص) ، ما زال يوصي به حتى ظننا أنه سيورثه ، والله الله في القران ، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم ، والله الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم. والله الله في بيت ربكم فلا تخلوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم يناظر ، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، والله الله في الزكاة ، فإنها تطفأى غضب الرب ، والله الله في ذمة نبيكم ، فلا يظلمن بين أظهركم ، والله الله في أصحاب نبيكم ، فإن رسول الله (ص) أوصى

بهم ، والله الله في الفقراء والمساكين ، فأشركوهم في معاشكم ، والله الله فيما ملكت أيماكم ، الصلاة الصلاة لا تخافن في الله لومة لائم ، يكفيكم من أرادكم وبغى عليكم ، وقولوا للناس حسناً كما أمركم الله ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيؤلى الأمر أشراككم ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم ، وعليكم بالتواصل والتبادل ، وإياكم والتدابير والتقاطع والتفرق ، وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ، حفظكم الله من أهل بيت ، وحفظ فيكم نبيكم . أستودعكم الله ، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.

ثم لم ينطق إلا (بلا إله إلا الله) حتى قبض رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين [١٤٠]. وجاء في رواية: أنه قتل في صبيحة إحدى وعشرين من رمضان [١٤١] ، وتحمل هذه الرواية على اليوم الذي فارق فيه الدنيا ، لأنه بقي ثلاثة أيام بعد أن ضربه الشقي [١٤٢].

٦ - نهي أمير المؤمنين عن المثلة بقاتله:

فقد قال رضي الله عنه: احبسوا الرجل فإن مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص [١٤٣]. وفي رواية أخرى قال: أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره ، فإن صححت فأنا ولي دمي أعفو إن شئت وإن شئت استقدت [١٤٤] ، وفي رواية أخرى زيادة ، وهي قوله: إن مت فاقتلوه قتلتني ، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين [١٤٥].

وقد كان علي نهي الحسن عن المثلة، وقال: يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين ، تقولون: قتل أمير المؤمنين ، قتل أمير المؤمنين ، ألا لا يُقتلن. انظر يا حسن، إن مت من ضربته هذه فاضربه ضربة بضربة ، ولا تمثل بالرجل، فإني سمعت رسول الله (ص) يقول: «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور» [١٤٦].

وقد جاء في شأن وصية أمير المؤمنين بأمر قاتله روايات كثيرة تتفاوت؛ منها الصحيح ومنها الضعيف ، فالرواية التي فيها أمر علي رضي الله عنه بإحراق الشقي بعد قتله إسنادها ضعيف ، والروايات الأخرى تسير في اتجاه واحد؛ فكلها فيها أمر علي رضي الله عنه بقتل الرجل إن مات من ضربته ، ونهاهم عما سوى ذلك ، فهذه الروايات يعضد بعضها بعضاً ، وتنهض للاحتجاج بها ، هذا من جهة.

كما أن أمير المؤمنين علي لم يجعله مرتداً ، فيأمر بقتله ، بل نهاهم عن ذلك لما هم بعض المسلمين بقتله ، وقال: لا تقتلوا الرجل ، فإن برئت فالجروح قصاص ، وإن مت فاقتلوه [١٤٧].

وتذكر الرواية التاريخية المشهورة: فلما قبض علي رضي الله عنه ، بعث الحسن إلى ابن ملجم ، فقال للحسن : هل لك في خصلة؟ إني والله ما أعطيت الله عهداً إلا وفيت به ، إني كنت قد أعطيت الله عهداً عند الحطيم: أن أقتل علياً ومعاوية أو أموت دونهما ، فإن شئت خلعت بيني وبينه ، ولك الله علي إن لم أقتله . أو قتلته ثم بقيت . أن اتيك حتى أضع يدي في يدك . فقال له الحسن: أما والله حتى تعالين النار ، ثم قدمه فقتله [(١٤٨)] .

ثم إن الناس أخذوه فأحرقوه بالنار ، ولكن هذه الرواية منقطعة [(١٤٩)] . والصحيح من الروايات ، والذي يليق بالحسن والحسين وأبناء أهل البيت: أنهم التزموا بوصية أمير المؤمنين علي في معاملة عبد الرحمن بن ملجم .

ولا تثبت الرواية التي تقول: فلما دفن أحضروا ابن ملجم ، فاجتمع الناس ، وجاءوا بالنفط والبواري ، فقال محمد ابن الحنفية ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، دعونا نشتف منه ، فقطع عبد الله يديه ورجليه ، فلم يجزع ولم يتكلم ، فكحل عينيه ، فلم يجزع ، وجعل يقول ، إنك لتكحل عيني عمك ، وجعل يقرأ: { اقرأ باسم ربك الذي خلق * } [العلق: ١] حتى ختمها ، وإن عينيه لتسيلان ، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليُقطع ، فجزع ، فقيل له في ذلك . فقال: ما ذاك يجزع ، ولكي أكره أن أبقى في الدنيا فوفاً لا أذكر الله ، فقطعوا لسانه ، ثم أحرقوه ، وكان أسمر ، حسن الوجه ، أفلج ، شعره من شحمة أذنيه ، وفي جبهته أثر السجود [(١٥٠)] .

وقال الذهبي عن عبد الرحمن بن ملجم: قاتل علي رضي الله عنه ، خارجي مُفترٍ ، .. شهد فتح مصر ، واختط بها مع الأشراف ، وكان ممن قرأ القرآن والفقه ، وهو أحد بني ثُدول ، وكان فارسهم بمصر ، قرأ القرآن على معاذ بن جبل ، وكان من العباد ، ويقال: هو الذي أرسل صبيغاً التميمي إلى عمر رضي الله عنه فسأله عما سأله عن مستعجم القرآن .. إلى أن قال الذهبي: ثم أدركه الكتاب ، وفعل ما فعل ، وهو عند الخوارج من

أفضل الأمة ، وفي ابن ملجم يقول عمران بن حطان الخارجي:

يا ضربةً من تقِيٍّ ما أرادَ بها
إلا ليبلُغَ من ذي العرشِ رضوانا
إني لأذكرُهُ حيناً فأحسبُهُ
أوفى البريةِ عندَ اللهِ ميزانا

وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة ، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجوا له النار ، ونجوز أن الله يتجاوز عنه ، لا كما يقول الخوارج والروافض فيه ، وحكمه حكم قاتل عثمان ، وقاتل الزبير ،

وقاتل طلحة ، وقاتل سعيد بن جبير ، وقاتل عمّار ، وقاتل خارجة ، وقاتل الحسين ، فكل هؤلاء نبراً منهم ونبغضهم في الله ، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل [(١٥١)].

وأما البرك بن عبد الله ؛ فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها علي قعد معاوية ، فلما خرج ليصلي الغداة شد عليه بسيفه ، فوقع السيف في أليته ، فأخذ ، فقال: إن عندي خبراً أسرك به ، فلئن أخبرتك فنافعي ذلك عندك؟ قال: نعم ، قال: إن أخاً لي قتل علياً في مثل هذه الليلة ، قال: فلعله لم يقدر على ذلك ، قال: بلى ، إن علياً يخرج ليس معه من يحرسه ، فأمر به معاوية فقتل ، وبعث معاوية إلى الساعدي . وكان طبيباً . فلما نظر إليه قال: اختر إحدى خصلتين: إما أن أحمي حديدة ، فأضعها موضع السيف ، وإما أن أسقيك شربة تقطع منك الولد ، وتبرأ منها ، فإن ضربتك مسمومة ، فقال معاوية: أما النار فلا صبر لي عليها ، وأما انقطاع الولد فإن في يزيد وعبد الله ما تقر به عيني ، فسقاه تلك الشربة فبرأ ، ولم يولد له بعدها ، وأمر معاوية عند ذلك بالمقصورات وحرس الليل وقيام الشرطة على رأسه إذا سجد.

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة ، فلم يخرج ، وكان اشتكى بطنه ، فأمر خارجة بن حذافة ، وكان صاحب شرطته ، وكان من بني عامر بن لؤي ، فخرج ليصلي ، فشد عليه وهو يرى أنه عمرو ، فضربه فقتله ، فأخذه الناس ، فانطلقوا به إلى عمرو يسلمون عليه بالإمارة ، فقال: من هذا؟ قالوا: عمرو . قال: فمن قتلت؟ قالوا: خارجة بن حذافة ، قال: أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة ، فقدمه عمرو فقتله [(١٥٢)].

٧ . مدة خلافة أمير المؤمنين علي ، وموضع قبره ، وسنّه يوم قتل:

كانت مدة خلافته على قول خليفة بن خياط : أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام ، ويقال: ثلاثة أيام ، ويقال: أربعة عشر يوماً [(١٥٣)] ، والذي يظهر أنها أربعة سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام ، وذلك لأنه بويح بالخلافة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام خمس وثلاثين ، وكانت وفاته شهيداً في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام أربعين للهجرة [(١٥٤)].

وقد تولى غسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضوان الله عليهم ، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص [(١٥٥)] ، وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فكبر عليه أربع تكبيرات [(١٥٦)] ، وفي رواية دون إسناد: كبر عليه تسع تكبيرات [(١٥٧)].

وأما موضع قبره ، فقد اختلف فيه ، وذكر ابن الجوزي عدداً من الروايات في ذلك ، ثم قال: والله أعلم أي الأقوال أصح [(١٥٨)] .

ومن الروايات التي جاءت في هذا الشأن ما يلي:

أن الحسن بن علي رضي الله عنهما دفنه عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي أبواب كندة قبل أن ينصرف الناس من صلاة الفجر [(١٥٩)] .

ورواية مثلها : أنه دفن بالكوفة عند قصر الإمارة عند المسجد الجامع ليلاً ، وعمي موضع قبره [(١٦٠)] .

رواية تذكر: أن ابنه الحسن رضي الله عنه نقله إلى المدينة [(١٦١)] .

رواية تذكر: أن القبر الذي بظاهر الكوفة المشهد الذي بالنجف هو قبر علي رضي الله عنه ، وأنكر بعض أهل العلم مثل شريك بن عبد الله النخعي قاضي الكوفة (ت ١٧٨ هـ) ، ومحمد بن سليمان الحضرمي (ت ٢٩٧ هـ) [(١٦٢)] .

وفي الحقيقة إن ابتداء ما يسمى مشهد علي رضي الله عنه بالنجف؛ كان أيام بني بويه في عهد الدولة العباسية ، وكانوا من الشيعة الروافض ، وقد صنع الشيعة ذلك على عاداتهم . في القرن الرابع .

قال ابن تيمية: وأما المشهد الذي بالنجف ، فأهل المعرفة متفقون أنه ليس بقبر علي بل قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة ، ولم يكن أحد يذكر أن هذا قبر علي ، ولا يقصده أحد أكثر من ثلاثمائة سنة ، مع كثرة المسلمين من أهل البيت والشيعة وغيرهم وحكمهم بالكوفة ، إنما اتخذ ذلك مشهداً في ملك بني بويه . الأعاجم . بعد موت علي بأكثر من ثلاثمائة سنة [(١٦٣)] . وقال: وأما مشهد علي فعامة العلماء على أنه ليس قبره ، بل قد قيل: إنه قبر المغيرة بن شعبة ، وذلك أنه إنما أُظهر بعد نحو ثلاثمائة سنة من موت علي في إمارة بني بويه [(١٦٤)] .

واختلف في سنه يوم قتل ، فقال بعضهم: قتل وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وقيل: وهو ابن خمس وستين سنة ، وقيل: وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وذلك أصح ما قيل فيه [(١٦٥)] .

٨ . خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه:

عن عمرو بن حُبنشي ، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد قتل علي رضي الله عنه ، فقال: لقد فارقكم رجل أمس ما سبقه الأولون بعلم ، ولا أدركه الآخرون ، إن كان رسول الله (ص) ليعتته ويعطيه الراية ؛

فلا ينصرف [(١٦٦)] حتى يُفتح له ، ما ترك من صفراء ولا بيضاء إلا سبعة درهم من عطائه كان يرصدها لخادم أهله [(١٦٧)].

٩ . سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على علي رضي الله عنه:
عن ربيعة الجُرشي: أنه ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص ، فقال له سعد: أتذكر علياً؟! إن له مناقب أربعاً لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليّ من كذا وكذا ، وذكر حُمُر النعم ، وهي قوله (ص): «لأعطين الراية...» ، وقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ، وقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» [(١٦٨)]. ونسي سفيان واحدة.

١٠ . عبد الله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم:
عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر ، فسأله عن عثمان ، فذكر من محاسن عمله ، قال: لعلّ ذلك يسوؤك؟ قال: نعم ، قال: فأرغم الله بأنفك ، ثم سأله عن عليّ فذكر محاسن عمله ، قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي (ص) ، ثم قال: لعلّ ذاك يسوؤك؟ قال: أجلّ ، قال: فأرغم الله بأنفك ؛ انطلق ، فاجهد على جهدك [(١٦٩)].

١١ . استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما:
ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي ، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته؟ فقال: ويحك! إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقهِ والعلم [(١٧٠)].
وكان معاوية يكتب فيما ينزل به يسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك ، فلما بلغه قتله قال: ذهب الفقهِ والعلم بموت ابن أبي طالب ، فقال له أخوه عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام ، فقال له: دعني عنك [(١٧١)].

وقد طلب معاوية رضي الله عنه في خلافته من ضرار الصُدائي أن يصف له علياً ، فقال: أعفني يا أمير المؤمنين قال: لتصفنّه ، قال: أما إذ لا بد من وصفه؛ فكان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً [(١٧٢)] ، ويحكم عدلاً ، يتفجّر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، وكان فينا كأحدنا ؛ يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن والله . مع تقرّيبه إيانا

وقربه منا . لا نكاد نكلمه هيبه له ، يعظّم أهل الدين ، ويُقرّب المساكين ، لا يطمع القويّ في باطله ، ولا ييأس الضعيف من عدله ، وأشهد أنه قد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُدُولَهُ [(١٧٣)] ، وغارت نجومه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تلملم السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول: يا دنيا عُريّ غيري ، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوّفت! هيهات هيهات ، قد باينتك ثلاثاً لا رجع فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك قليل ، اه من قلة الزاد ، وبُعد السفر ، ووحشة الطريق ، فبكي معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها وهو في حجرها [(١٧٤)] .

وعن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت رسول الله (ص) في المنام وأبو بكر وعمر جالسان عنده ، فسلمت عليه وجلست ، فبينما أنا جالس إذ أتى بعلي ومعاوية ؛ فأدخلا بيتاً وأجيف [(١٧٥)] الباب وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي وهو يقول: قضي لي ورب الكعبة ، ثم ما كان بأسرع من أن خرج معاوية وهو يقول: غفر لي ورب الكعبة [(١٧٦)] .

وروى ابن عساكر عن أبي زرعة الرازي: أنه قال له رجل: إني أبغض معاوية ، فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علياً ، فقال له أبو زرعة: ويحك إن رب معاوية رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فأيش دخولك أنت بينهما؟ رضي الله عنهما [(١٧٧)] .

١٢ . ما قاله الحسن البصري . رحمه الله .:

سئل الحسن البصري عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال: كان علي والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه ، وربّاني هذه الأمة ، وذا فضلها ، وذا سابقتها ، وذا قرابتها من رسول الله (ص) ، لم يكن بالتّومة [(١٧٨)] عن أمر الله ، ولا بالملومة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مُونقة ، ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه [(١٧٩)] .

١٣ . ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل . رحمه الله .: كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم ، فجاءت طائفة من الكَرّخيين ، فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان فأكثرُوا ، وذكروا خلافة علي بن أبي طالب وزادوا فأطالوا ، فرفع أبي رأسه إليهم ، فقال: يا هؤلاء ، قد أكثرتم القول في علي والخلافة وعلي [(١٨٠)] ، أتحسبون أن الخلافة تزين علياً؟! بل زينها علي [(١٨١)] .

١٤ . براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه:

ذهبت بعض الروايات إلى اتهام الأشعث بن قيس ، قال اليعقوبي: إن عبد الرحمن بن ملجم نزل على الأشعث بن قيس ، فأقام عنده شهراً يستحدّ سيفه [(١٨٢)] . وذكر ابن سعد في الطبقات ، قال: وبات عبد الرحمن بن ملجم تلك الليلة التي عزم فيها أن يقتل علياً صبيحتها يناجي الأشعث بن قيس في مسجده حتى كاد أن يطلع الفجر ، فقال له الأشعث: فَصَحَّك الصبح ، فقام عبد الرحمن بن ملجم وشبيب بن بجرة فأخذا أسياهما ، ثم جاءا حتى جلسا مقابل السدة التي يخرج منها علي [(١٨٣)] .. وهذه روايات ضعيفة [(١٨٤)] .

إن اتهام الأشعث ليس عليه دليل ، وذلك لأن الأشعث بن قيس عند استعراض دوره في خلافة علي رضي الله عنه نجده مخلصاً ووفياً ، فهو أول من حارب أهل الشام أثناء القتال على الماء ، وأظهر العداوة للخوارج منذ نشأتهم؛ فهو الذي أبلغ علياً رضي الله عنه: أن الخوارج يقولون: إن علياً تاب من خطيئته ورجع عن التحكيم ، وقاتلهم في النهروان ، وقد حرص كل الحرص على أن يوطد علاقته بعلي وال بيته ، فزوج ابنته من الحسن بن علي رضي الله عنه ، وعندما أراد الحسن أن يني بها قامت كندة وجعلت أرديتها بسطاً من بابه إلى باب الأشعث [(١٨٥)] ، وقد مات الأشعث من بعد مقتل علي بأربعين ليلة ،

وصلى عليه الحسن بن علي بن أبي طالب [(١٨٦)] ، وهو زوج بنت الأشعث بن قيس [(١٨٧)] ، ولم ينقل عن ال علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أنهم اتهموا الأشعث بهذه التهمة ، أو كشفوا أحداً من ال الأشعث بهذا السبب ، ويظل قتل علي عملاً من تدبير الخوارج ؛ جاء في الأرجح ثأراً لقتلي النهروان [(١٨٨)] .

١٥ . خطورة الفرق الضالّة والفرق المنحرفة على المسلمين:

إن الفرق الضالّة والطوائف المنحرفة عندما تنتشر في بلاد الإسلام تعرّض أهله للخطر ، وتهدّد الأمن والاستقرار ، وتشكّك الناس في عقيدتهم ، وتعيث في الأرض فساداً وخراباً ، وتلك هي حال الخوارج المارقين الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وكفّروه ، وقتله نفرٌ منهم على حين بغتة كما بينّا ذلك من قبل ، زاعمين أنهم يشرون أنفسهم بهذا الفعل ابتغاء مرضاة الله عنهم ، وما عندهم في ذلك مستند ولا برهان ، إن هو إلا اتباع الأهواء وطاعة الشياطين .

وإذا تبين لنا مما سبق أن الخوارج قد تسببوا في قتل علي . رضي الله عنه . ، وعرفنا مناهجهم الفاسدة ؛ فالواجب على أمة الإسلام أن تحذر منهم ، وتحارب مناهجهم ، ويقوم العلماء والدعاة بواجبهم في

ذلك ليستقر الأمن ، وتظهر أنوار السنة ، وتحمد نيران البدعة ، وفعل ذلك وأداؤه على الوجه الأمثل بالتمكين لعقيدة أهل السنة والجماعة ، ومقارعة البدعة والمبتدعين ، وهذا كله من أسباب نهوض المجتمعات ، وهذه هي الطريقة المثلى لجمع الشمل ووحدة الصف ، ومن تأمل تاريخ الإسلام الطويل وجد أن الدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين ، وقام بها الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعزَّ به الإسلام قديماً وحديثاً ، وهذا بخلاف الدول التي قامت على البدعة ، وأشاعت الفوضى والفرقة والمحدثات ، وفترت الشمل ، فهذه سرعان ما تندثر ، وتنقرض [١٨٩].

١٦ . الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين :

الكشف عن الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين ، دلَّ على ذلك قول عبد الرحمن بن ملجم - يعني سيفه -: والله لقد اشتريته بألف، وسممته بألف، ولو كانت هذه الضربة على جميع أهل المصر ما بقي منهم أحد [١٩٠].

إن كلماته هذه تبرز لنا العداء السافر الذي يكُنُّه هؤلاء الخوارج لا على عموم المؤمنين فحسب ، بل على القادة الكبار من أمثال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، الذي تجتمع في شخصه رضي الله عنه أعظم المناقب وأجل السجايا ، وانظر - رعاك الله - كيف تورد المناهج الباطلة ، والأفكار المنحرفة أصحابها إلى دركات من التعاسة والشقاء ، عندما يغتالون أهل الإيمان ، ويدعون أهل الأوثان [١٩١].

١٧ . تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها:

إن البيئة الفاسدة تؤثر على أصحابها حتى لو كان منهم من يحبُّ العدل ويسعى إليه ، فهذا عبد الرحمن بن ملجم يقابل شبيب بن بجرة فيقول له: هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما ذاك؟ قال: قتل علي بن أبي طالب ، قال: ثكلتك أمك ، لقد جئت شيئاً إداً ، كيف تقدر على عليّ! قال: أكمن له في المسجد ، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه ، فإن نجونا شفيناً أنفسنا ، وأدركنا ثأرنا ، وإن قُتلنا فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. قال: ويحك! لو كان غير علي لكان أهون عليّ ، قد عرفت بلاءه في الإسلام ، وسابقته مع النبي (ص) ، وما أجدني أنشرح لقتله ، قال: أما تعلم أنه قتل أهل النهر العباد الصالحين؟! قال: بلى ، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا ؛ تقول رواية الطبري: فأجابه [١٩٢].

فانظر . رعاك الله . كيف يؤثر أصحاب الاراء الضالة والأفكار المنحرفة على من يخالطوهم ويجلسون معهم! إنه على الرغم من أن شبيهاً لم ينشرح صدره لقتل علي لما يعلمه عنه من بلائه في الإسلام وسابقتها مع النبي (ص) ، إلا أنه استجاب لابن ملجم لما أثر عليه بالشبهة التي ألقاها عليه عندما ذكره بقتل علي . رضي الله عنه . لإخوانه من الخوارج المارقين ، فأثار فيه العاطفة تجاههم ، رغم أنهم قُتلوا بالحق لا بالباطل ، فاستجاب لصاحبه ، وانقاد له فكانت النتيجة: إفساد الأفكار ، وتلويث السمعة ، والخسران المبين ، وذلك يدعو كل مسلم أن يحذر من مصاحبة من كان على نهج هؤلاء من فاسدي الاعتقاد ، مُلوّثي الأفكار ، وأن يسارع إلى مجالسة العلماء الربانيين الذين يعلمون الحق ويعملون به ، ويرشدونه إلى ما فيه صلاحه في الدنيا والاخرة ، وإنه إن لم يرضَ بهذه السبيل القويمة وخالط أولئك المنحرفين في عقيدتهم فسيعض أصابع الندم ، ولات ساعة مندم [(١٩٣)] كما قال الله تعالى: { وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً * } [الفرقان: ٢٧ . ٢٩].

هذه بعض الدروس والعبر والفوائد من حادثة مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، العالم الرباني ، الذي أفنى عمره كله خاشعاً لله تعالى ، وأوهاً منيباً ، وخط لنا طريقاً مباركاً للاقتداء والتأسي به.

سادساً: ما قيل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من رثاء:

١ . ما قاله أبو الأسود الدؤلي ، وقال ابن عبد البر: وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية ؛ أولها:

ألا يا عينُ ويحكِ أسعدينا	ألا تبكي أمير المؤمنينَا
تبكي أم كلثوم عليه	بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا	فلا قررت عيون الشاميتينا
أفي شهر الصيام فجعثمونا	بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا	وذلك لها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمئينَا
فكل مناقب الخيرات فيه	وحب رسول رب العالمينا
لقد علمت فريش حيث كانت	بأنك خيرها حسباً ودينَا

وإذا استقبلت وجه أبي حسين
رأيت البدر فوق [(١٩٤)] الناظرينا
وكنا قبل مقتله بخير
نرى مولى رسول الله فينا
يقيم الحق لا يرتاب فيه
ويعدل في العدا والأقربينا
وليس بكاتمٍ علماً لديه
ولم يُخلق من المتجبرينا
كان الناس إذا فقدوا
علياً نعام حارٍ في بلد سينينا [(١٩٥)]

٢ . ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر له:

سائل قريشاً به إن كنت ذا عمه
من كان قريشاً به إن كنت ذا عمه
من كان أقدم إسلاماً وأكثرها
علماً وأطهرها أهلاً وأولاداً
من وحد الله إذ كانت مكذبة
تدعو مع الله أوثاناً وأندادا
من كان يقدم في الهيجاء إن نكلوا
عنها وإن ييحلوا في أزمة جادا
من كان أعد لها حكماً وأسطها
علماً وأصدقها وعداً وإيعادا
إن يصدفوك فلن يعدوا أباً حسن
إن أنت لم تلق أفواماً ذوي صلف
وإن أنت لم تلق أفواماً ذوي صلف
وذا عنادٍ لحيق الله جحادا [(١٩٦)]

٣ . ما قاله بكر بن حماد التاهرتي [(١٩٧)] رداً على شاعر الخوارج عمران بن حطان [(١٩٨)]:

قال شارع الخوارج عمران بن حطان:

يا ضربة من تقبي ما أراد بها
إني لأذكره حيناً فأحسبه
إلا ليبلغ من ذي العرش رضواناً
أوفى البرية عند الله ميزاناً

فقال بكر بن حماد التاهرتي معارضاً في ذلك:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة
قتلت أفضل من يمشي على قدم
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
صهر النبي ومولاه وناصره
وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً
ذكرت قاتله والدمع منحدر
فهدمت ويملك للإسلام أركاناً
وأول الناس إسلاماً وإيماناً
سن الرسول لنا شرعاً وتبيناً
أضحت مناقبه نوراً وبرهاناً
ليثاً إذا لقي الأقران أقراناً
فقلت سبحان رب الناس سبحاناً
يخشى المعاد ولكن كان شيطاناً
إني لأحسبه ما كان من بشر

أَشَقَى مُرَاداً إِذَا عُدَّتْ قِبَائِلُهَا
وَأَحْسَرُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
كِعَاقِرِ النَّاقَةِ الْأُولَى الَّتِي جَلَبَتْ
عَلَى ثَمُودَ بِأَرْضِ الْحِجْرِ حُسْرَانَا

قَدْ كَانَ يُخْبِرُهُمْ أَنْ سَوْفَ يَحْضِبُهَا
فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ مَا تَحَمَّلَهُ
لِقَوْلِهِ فِي شَقِيٍّ ظَلَّ مُجْتَرِماً
يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا
بَلْ ضَرْبَةً مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَظِيٍّ
كَأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ قِصْداً بِضَرْبَتِهِ
إِلَّا لِيَصْلَى عَذَابَ الْخُلْدِ نِيرَانًا [(١٩٩)]

وهكذا خرج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من هذه الدنيا بعد جهاد عظيم ، وقد طويت بوفاته صفحة من أنصع صفحات التاريخ وأنقاها ؛ فقد عرف فيه التاريخ رجالاً فذاً من طراز فريد ، كانت همته في رضا الله تعالى ، وكان همه انتصار الإسلام ، وأعظم أمانيه سيادة أحكام الله في دنيا الناس ، وأقصى غايته تحقيق العدالة بين أفراد رعيته .

إن دراسة عهد الخلفاء الراشدين تمد أبناء الجيل بالعزائم الراشدية ، التي تعيد إلى الحياة روعة الأيام الجميلة الماضية ، وبهجتها وبهاءها ، وترشد الأجيال بأنه لن يصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله ، وتساعد الدعاة والعلماء وطلاب العلم على التأسي بذلك العهد الراشدي ، ومعرفة خصائصه ومعامله ، وصفات قادته وجيله ، ونظام حكمه ومنهجه في السير في دنيا الناس ، وذلك يساعد أبناء الأمة على إعادة دورها الحضاري من جديد .

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة الواحدة إلا خمس دقائق ظهراً بتاريخ ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ ، الموافق ٧ يونيو ٢٠٠٣ م ، والفضل لله من قبل ومن بعد ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويشرح صدور العباد للانتفاع به ، ويبارك فيه بمنه وكرمه وجوده ، قال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ﴾ [فاطر: ٢] .

ولا يسعني في نهاية هذا الكتاب إلا أن أقف بقلب خاشع منيب بفضله وكرمه وجوده ، متبرئاً من حولي وقوتي ، فالله هو المتفضلُّ وهم المكرم وهو المعين وهو الموفقُّ ، فله الحمد على ما منَّ به عليّ أولاً وائخراً ، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً وعباده نافعاً ، وأن

يشبني على كل حرف كتبتة ، ويجعله في ميزان حسناتي ، وأن يشب إخواني الذين أعانوني بكافة ما يملكون من أجل إتمام هذا

الجهد المتواضع ، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ؛ فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى. وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ * } [النمل: ١٩].

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانهعلي محمد محمد الصَّلَاةِ

١٧/ربيع الاخر ١٤٢٤ هـ

الخاتمة

وبعد فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل وتضمنتها فصول هذا الكتاب الذي سميته ، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، شخصيته وعصره ، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليّ فله الحمد حتى يرضى ، وله الحمد عند الرضى ، وله الحمد بعد الرضى ، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه ، والله ورسوله برأي منه ، وحسبي أني كنت حريصاً أن لا أقع في الخطأ ، وعسى أن لا أحرم من الأجر ، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين ، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه ، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى ، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * } [الحشر: ١٠].

وبقول الشاعر أبو محمد القحطاني:

قُلْ: إِنَّ خَيْرَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ	وَأَجَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى الْكُتُبَانِ
وَأَجَلَ صَاحِبِ الرُّسُلِ صَاحِبِ مُحَمَّدٍ	وَكَذَلِكَ أَفْضَلُ صَاحِبِ الْعُمَرَانِ [(٢٠٠)]
رَجُلَانِ قَدْ حُلِقَا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ	بِدَمِي وَنَفْسِي ذَانِكَ الرَّجُلَانِ
فَهُمَا اللَّذَانِ تَظَاهَرَا لِنَبِينَا	فِي نَصْرِهِ وَهُمَا لَهُ صِهْرَانِ
بِنْتَاهُمَا أَسْنَى نِسَاءِ نَبِينَا	وَهُمَا لَهُ بِالْوَحْيِ صَاحِبَتَانِ
أَبَوَاهُمَا أَسْنَى صَحَابَةِ أَحْمَدٍ	يَا حَبْدَا الْأَبْوَانَ وَالْبِنْتَانِ
وَهُمَا وَزِيرَاهُ اللَّذَانِ هُمَا هُمَا	لِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ مَسْتَبِقَانِ
وَهُمَا لِأَحْمَدَ نَاطِرَاهُ وَسَمْعُهُ	وَبِقُرْبِهِ فِي الْقَبْرِ مُضْطَجِعَانِ
كَانَا عَلَى الْإِسْلَامِ أَشْفَقَ أَهْلِهِ	وَهُمَا لِذَيْنِ مُحَمَّدٍ جَبَلَانِ
أَصْفَاهُمَا أَقْوَاهُمَا أَحْشَاهُمَا	أَنْفَاهُمَا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

أَسْنَاهُمَا أَرْكَاهُمَا أَعْلَاهُمَا أَوْفَاهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالرُّجْحَانِ

صديقُ أَحْمَدَ صَاحِبُ الْعَارِ الَّذِي هُوَ فِي الْمَعَارَةِ وَالنَّبِيِّ اثْنَانِ
أَعْنِي: أبا بَكْرٍ الَّذِي لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ شَرَعْنَا فِي فَضْلِهِ رَجُلَانِ
هُوَ شَيْخُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ وَخَيْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ حَقًّا بِلَا بُطْلَانِ
وَأَبُو الْمُطَهَّرَةِ الَّتِي تَنْزِيهُهَا قَدْ جَاءَنَا فِي النُّورِ وَالْفُرْقَانِ
أَكْرَمَ بِعَائِشَةَ الرَّضَى مِنْ حُرَّةٍ بِكُرِّ مُطَهَّرَةِ الْإِزَارِ حَصَانِ
هِيَ زَوْجُ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ وَبِكْرُهُ وَعَرُوسُهُ مِنْ جُمْلَةِ النَّسْوَانِ
هِيَ عِرْسُهُ هِيَ أَنْسُهُ هِيَ الْفُهُ هِيَ حُبُّهُ صِدْقًا بِلَا أَذْهَانِ
أُولَيْسَ وَالذُّهَا يُصَافِي بَعْلَهَا وَهِيَ بَرُوحِ اللَّهِ مُؤْتَلِفَانِ
لَمَا قَضَى صَدِيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ دَفَعَ الْخِلَافَةَ لِلْإِمَامِ الثَّانِي
أَعْنِي بِهِ: الْفَارُوقَ فَرَّقَ عُنُودَهُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ
هُوَ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَنَحَا الظَّلَامَ وَبَاحَ بِالْكِتْمَانِ
وَمَضَى وَخَلَّى الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانَ
مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَةً فِي رَكْعَةٍ وَثَرًا فَيُكْمِلُ حَتْمَهُ الْقُرْآنِ
وَلِيَّ الْخِلَافَةَ صِهْرُ أَحْمَدَ بَعْدَهُ أَعْنِي عَلِيَّ الْعَالِمَ الرَّبَّانِي
زَوْجُ الْبُتُولِ أَخَا الرَّسُولِ وَرُكْنُهُ لَيْثُ الْحُرُوبِ مُنَازِلُ الْأَقْرَانِ
سَبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الْخِلَافَةَ رُتْبَةً وَبَنَى الْإِمَامَةَ أَيَّمَا بُنْيَانِ
وَاسْتَخْلَفَ الْأَصْحَابَ كَيْ لَا يَدَّعِي مِنْ بَعْدِ أَحْمَدَ فِي النَّبُوءَةِ ثَانِي
أَكْرَمَ بِقَاطِمَةَ الْبُتُولِ وَبَعْلَهَا وَبِمَنْ هُمَا لِمُحَمَّدٍ سِبْطَانِ
عُصْنَانِ أَصْلُهُمَا بِرُوضَةِ أَحْمَدَ لِلَّهِ دُرُّ الْأَصْلِ وَالْعُصْنَانِ
أَكْرَمَ بِطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدِهِمْ وَسَعِيدِهِمْ وَبِعَابِدِ الرَّحْمَنِ
وَأَبِي عُبَيْدَةَ ذِي الدِّيَانَةِ وَالثَّقَفَى وَامْدَحَ جَمَاعَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
قُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي صَحَابَةِ أَحْمَدَ وَامْدَحَ جَمِيعِ الْإِلِ وَالنَّسْوَانِ
دَعُ مَا جَرَى بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي الْوَعَى بِسَيُوفِهِمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ
فَقْتَلُهُمْ مِنْهُمْ وَقَاتَلُهُمْ لَهُمْ وَكِلَاهُمَا فِي الْحَشْرِ مَرْحُومَانِ

تَحْوِي صُدُورَهُمْ مِنَ الْأَضْعَانِ
إِلَى عِثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَى الْعِصْيَانِ
قَدْ بَاءَ مِنْ مَوْلَاهُ بِالْحُسْرَانِ
فَاللَّهُ ذُو عَفْوٍ وَذُو عُفْرَانِ

وَاللَّهُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَنْزِعُ كُلَّ مَا
وَالْوَيْلُ لِلرَّكِبِ الَّذِينَ سَعَوْا
وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ الْحُسَيْنَ ، فَإِنَّهُ
لَسْنَا نُكْفِرُ مُسْلِمًا بِكَبِيرَةٍ

وبقول الشاعر:

أَنَا الْمِسْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي
وَالخَيْرُ أَنْ يَأْتِينَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي
وَلَا عَن النَّفْسِ لِي دَفْعُ الْمِضْرَاتِ
كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصَفٌّ لَهُ ذَاتِ
وَكُلُّهُمْ عِنْدَهُ عَبْدٌ لَهُ اتِ

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ
أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي وَهِيَ ظَالِمَتِي
لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْبَ مَنْفَعَةٍ
وَالْفَقْرُ لِي وَصَفٌّ ذَاتٍ لَا زُمْ أَبَدًا
وَهَذِهِ الْحَالُ حَالُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ

وبقول الشاعر:

أَبْعَدَ الْخَيْرِ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
تَشْتَغِلُ عَنْهُ بِمَالٍ وَحَوْلٍ
يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَحْتَقِرُ مَا بَدَلَ
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ

اطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَمَا
احْتَفَلُ لِلْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا
وَاهِجِرِ النَّوْمَ وَحَصَلَهُ فَمَنْ
لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَرْبَابُهُ

«سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك»

* * *

أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١ . إن الله أوحى إليّ في عليّ ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: أنه سيد المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرّ
المحجّلين.(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم ٣٥٣

٢ . السبق ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين ، والسابق إلى
محمد علي بن أبي طالب.

(ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة رقم ٣٥٨ ، وضعيف الجامع رقم ٣٣٣٤

٣ . علي إمام البررة ، وقاتل الفجرة ، منصورٌ من نصره ، ومخذولٌ من خذله.

(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم ٣٥٧ ، وضعيف الجامع رقم ٣٧٩٩

٤ . لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم
القيامة.(كذب) السلسلة الضعيفة برقم ٤٠٠

٥ . اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيك ، فرد عليه شرقها. (وفي رواية): اللهم إنه كان في
طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس. قالت أسماء: فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعدما
غربت.

(موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني رقم ٩٧١

٦ . إن الله أمرني بحب أربعة ، وأخبرني أنه يحبهم . قيل : يا رسول الله ! من هم ؟ (وفي رواية : سئمتهم لنا) قال : علي منهم . يقول ذلك ثلاثاً . وأبو ذر ، وسلمان ، والمقداد ؛ أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم .
(ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني برقمي ١٥٤٩ ، ٣١٢٨ ، وضعيف الجامع رقم ١٥٦٦ ،
وضعيف سنن الترمذي ٧٧١ ، وضعيف سنن ابن ماجه ٢٨ ، والمشكاة ٦٢٤٩

٧ . أنا مدينة العلم وعلي بابها ؛ فمن أراد العلم فليأت بابها .

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٢٩٥٥

٨ . أنا عبد الله ، وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كذاب ، صليت قبل الناس لسبع سنين . (باطل) ضعيف سنن ابن ماجه برقم ٢٣
٩ . رحم الله علياً ؛ اللهم أدر الحق معه حيث دار .
(ضعيف جداً) السلسلة الضعيفة رقم ٢٠٩٤ . وضعيف الجامع رقم ٣٠٩٥ .

وضعيف سنن الترمذي رقم ٧٦٧ ، والمشكاة رقم ٦١٢٥

١٠ . علي مع القران ، والقران مع علي ، لن يفترقا حتى يرادا على الحوض .

(ضعيف) ضعيف الجامع برقم ٣٨٠٢

١١ . علي يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين .

(ضعيف) ضعيف الجامع رقم ٣٨٠٥

١٢ . ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي عز وجل ، فأوحى إليّ في علي بثلاث : أنه سيد المسلمين ، وولي المتقين ، وقائد الغر المحجلين .

(موضوع) السلسلة الضعيفة رقم ٤٨٨٩

١٣ . يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب . يعني علياً . ، فقالت عائشة: أأنت سيد العرب؟ قال: أنا سيد ولد ادم ، وعلي سيد العرب ، يا معشر الأنصار! ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا علي فأحبهوه بحبي ، وأكرموه لكرامتي ؛ فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل.(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٨٩٠

١٤ . أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٨٩١

١٥ . أنا المنذر ، وعلي الهادي ، بك يا علي يهتدي المهتدون بعدي.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٨٩٩

١٦ . لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، صفوتي من خلقي أيده بعلي ونصرته.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٠٢

١٧ . من أراد أن ينظر إلى ادم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى يحيى في زهده ، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى علي.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٠٣

١٨ . تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين: بالطرقات والنهروانات والشعفات.

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٠٩٠٧

١٩ . نزلت هذه الاية يوم غدیر خم في { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٢٢

٢٠ . لما نصب رسول الله علياً بغدير خم ، فنادى له بالولاية هبط جبريل بهذه الاية: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي }

(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٢٣

٢١ . هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، يعني: علياً.
(موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٣٢

٢٢ . أنشدكم الله: هل فيكم أحد أخى رسول الله بينه وبينه . إذ أخى بين المسلمين . غيري؟ قالوا: اللهم
لا. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩٤٩

٢٣ . لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي .
(مكذوب) على منهاج السنة (٧٠/٥)

٢٤ . حب علي حسنة لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة.
(مكذوب) على منهاج السنة (٧٣/٥)

٢٥ . الثقلان كتاب الله ، طرف بيد الله وطرف بأيديكم ، فتمسكوا به لا تضلوا ، والاخر عترتي ، وإن
اللطيف الحبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فسألت ذلك لهما ربي ، فلا تقدموهما
فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم.
(ضعيف) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩١٤

٢٦ . معرفة ال محمد براءة من النار ، وحب ال محمد جواز على الصراط ، والولاية لال محمد أمان من
العذاب. (موضوع) السلسلة الضعيفة برقم ٤٩١٧

٢٧ . إن هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا.
هذا الحديث باطل متناً وسنداً: أما من ناحية السند فيه عبد الغفار بن القاسم: قال

عنه الذهبي: أبو مريم الأنصاري رافضي ، ليس بثقة ، قال علي بن المديني: كان
يضع الحديث. ميزان الاعتدال (٦٤٠/٢)

٢٨ . إن وصيي وموضع سري هو علي بن أبي طالب ، وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن أبي طالب. رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤١/٩) وعزاه إلى الطبراني وقال: فيه ناصح بن عبد الله ، وهو متروك

٢٩ . أنا دار الحكمة وعلي بابها.

رواه الترمذي ، وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي: هذا حديث غريب منكر..

ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات، عن شريك ، حديث رقم ٣٧٢٣

وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع. مشكاة المصابيح (١٧٧٧/٣)

وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب. الموضوعات (٣٤٩/١)

٣٠ . أنت يا علي وشيعتك {أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ*} أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ ابن حجر: رافضي كذبه يحيى بن معين. (التقريب ٢١٠١)

٣١ . أوحى الله إلي في علي ثلاثاً: إنه سيد المؤمنين ، وإمام المتقين ، وقائد الغر المحجلين.

قال الحافظ: قال الحاكم في المناقب: صحيح الإسناد. قلت: بل هو ضعيف جداً

ومنقطع أيضاً ، إتحاف المهرة (٣٤٤/١). وقد رد الذهبي هذا الحديث كما في

تعليقه على الحديث (المستدرک ١٣٩/٣) قائلاً بأن عمر بن الحصين العقيلي

وشيخه يحيى بن العلاء الرازي متروكان ، بل صرح بأن الحديث موضوع

٣٢ . بخ بخ لك يا علي! أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

فيه علي بن زيد بن جدعان. قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف. الشجرة في أحوال الرجال،

ص ١٩٤ . قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢٢٦/١): هذا الحديث لا يجوز

الاحتجاج به. ومن فوقه إلى

أبي هريرة ضعفاء، وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم. (كشف الأستار ، ص ٤٩٠) وقال الدارقطني: ليس بالقوي. سنن الدارقطني (١٠٣/١)

٣٣. رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار. رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين. (المستدرک (١٢٥/٣) فيه المختار بن نافع التميمي قال الذهبي تعقيباً

على الحاكم: المختار ساقط. وقال الحافظ: المختار ضعيف (التقريب ٦٥٢٢)

٣٤. عليّ أخي في الدنيا والاخرة. ضعيف (انظر ضعيف الجامع للألباني ٣٨٠١)

٣٥. علي باب حطة ومن دخله كان امناً. موضوع: فيه حسين الأشقر.

قال البخاري: فيه نظر. التاريخ الكبير (٢٨٦٢/٢) وقال: عنده مناكير

(التاريخ الصغير ٣١٩/٢). انظر: السلسلة الضعيفة للألباني ٣٩١٣

٣٦. علي خير البشر ، فمن أبي فقط كفر.

موضوع: قال الحافظ ابن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة

(تسديد القوس: ٨٩/٣). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف

الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جلي (ميزان الاعتدال ٥٢١/١)،

وابن الجوزي في الموضوعات (٣٤٨/١).

٣٧. لقد علمت أن علياً أحب إليك من أبي ، مرتين أو ثلاثاً.

ضعفه الألباني. ضعيف أبي داود ص ٤٩١

٣٨. مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح ؛ من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق.

رواه الطبراني في الكبير (٣٧/٣) ، والهيثمي (١٦٨/٩) في إسناد عبد الله ابن داهر والحسن بن أبي

جعفر ، وهما متروكان ، وقاله الهيثمي.

٣٩ . من أحب أن يحيا حياتي ، ويموت موتي ، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل غرس قضبانها بيديه؛ فليتول علي بن أبي طالب.

صححه الحاكم (١٢٨/٣) وتعقبه الذهبي ، فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف ،

وهو: يحيى بن العلي الأسلمي: قال الحافظ في التقریب (٧٦٧٧) شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي، فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبشع استغلال

٤٠ . ما صب الله في صدري شيئاً إلا صبته في صدر علي .

حديث موضوع. الموضوعات (١٣١/١) أسنى المطالب ١٢٦٢

٤١ . محبك محبي، ومحبي محب الله، ومبغضك مبغضي، ومبغضي مبغض الله.

قال الحافظ: ((رواه ابن عدي وهو باطل)). لسان الميزان (١٠٩/٢)

٤٢ . يا علي! أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة ، يا علي! صليت العصر؟ قال: لا ، قال: اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك ، فردّ عليه الشمس ، قال: فردها عليه ، فصلّى عليّ وغابت الشمس .

أهم المصادر والمراجع

- ١ . المهدي وفقه أشراف الساعة ، الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم ، الدار العالمية - الإسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ .
- ٢ . انتصار للصحب والال من افتراءات السماوي الضالّ ، للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي ، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ٣ . النهج المبين للأصول العشرين ، عبد الله القاسم الوشلي ، دار المجتمع - جدة ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .
- ٤ . مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د. ناصر بن عبد الله القفاري ، دار طيبة - السعودية الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ السعودية .
- ٥ . أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، د. ناصر بن عبد الله ابن علي القفاري ، دار الرضا للنشر والتوزيع - الجيزة بمصر ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ٦ . بذل المجهود في إثبات مشابحة الراضة لليهود ، عبد الله الجميلي ، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .
- ٧ . السنة ومكائنها في التشريع ، د. مصطفى السباعي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
- ٨ . انتصار الحق؛ مناظرة علمية مع بعض الشيعة الإمامية ، مجدي محمد علي ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ٩ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، دار الفكر - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ١٠ . سنن سعيد بن منصور، دار الصمعي - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .
- ١١ . مسند الدارمي ، لأبي محمد عبد الله الدارمي ، دار المغني - الرياض ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م .
- ١٢ . الموسوعة الحديثية السنن الكبرى ، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن سعيد النسائي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م .
- ١٣ . ثم أبصرت الحقيقة ، محمد سالم الخضر ، دار الإيمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م .
- ١٤ . المحصول في علم الأصول ، لفخر الدين محمد عمر بن الحسين الرازي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

- ١٥ . فقه الإمام علي بن أبي طالب ، أحمد محمد طه ، رسالة مقدمة لجامعة بغداد قسم الدراسات الإسلامية الدينية ، لم تطبع .
- ١٦ . أحكام القرآن ، لأبي بكر بن العربي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م .
- ١٧ . تفسير القرطبي ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م .
- ١٨ . التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .
- ١٩ . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الخامسة والعشرون ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م .
- ٢٠ . سورة الحجرات ، د. ناصر العمر ، دار الصديق - صنعاء ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠٢ م .
- ٢١ . منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس ، عبدو الحاج محمد الحريري ، رسالة مقدمة لجامعة بغداد .
- ٢٢ . الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ، لأبي عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م .
- ٢٣ . مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع ، د. علي السالوس ، دار التقوى ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م .
- ٢٤ . سير الشهداء ، دروس وعبر ، عبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م .
- ٢٥ . نساء أهل البيت ، منصور عبد الحكيم ، المكتبة التوفيقية .
- ٢٦ . الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين ، محمد رضا ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٧ . تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قاطناتها العلماء من غير أهلها ووآرديها ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .
- ٢٨ . خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، عبد الحميد علي ناصر فقيهي ، رسالة علمية قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، لم تطبع حتى الان ، أشرف عليها الدكتور أكرم ضياء العمري .

- ٢٩ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن محمد بن عبد البر ، تحقيق: علي محمد الجاوي ، دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .
- ٣٠ . البداية والنهاية ، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، دار الريان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .
- ٣١ . جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ، محمد السيد الوكيل ، دار المجتمع - المدينة ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .
- ٣٢ . الصحيح المسند في فضائل الصحابة ، لأبي عبد الله مصطفى العدوي ، دار ابن عقّان - السعودية ، الخبر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م .
- ٣٣ . الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق ، د. علي محمد الصلّابي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م .
- ٣٤ . دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، د. ناصر بن عبد الكريم العقل ، دار إشبيلية - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ٣٥ . دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، د. محمد ضيف الله بطاينة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ٣٦ . الصّواعق المحرقة على أهل الرّفص والضلال والزندقة ، لأبي العباس أحمد ابن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- ٣٧ . فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، قاسم عاشور ، دار طويق - الرياض ، ١٤١٩ - ١٩٩٨ م .
- ٣٨ . الخوارج في العصر الأموي ، د. نايف معروف ، دار الطليعة - بيروت ، الطبعة الرابعة .
- ٣٩ . شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور ، لأبي عمر عبد الله بن محمد الحمادي ، مكتبة الصحابة - الشارقة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ٤٠ . الموسوعة الحديثية ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ٤١ . الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي ، د. حبيب يوسف مغنية ، دار مكتبة الهلال ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥ م .
- ٤٢ . الطبقات لابن سعد ، دار صادر - بيروت .

- ٤٣ . عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ، د. ناصر علي عائض حسن الشيخ ، مكتبة الرشد . الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .
- ٤٤ . السنة لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال ، تحقيق: د. عطية الزهراني ، دار الراية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- ٤٥ . بيعة علي بن أبي طالب ، أم مالك الخالدي ، حسن فرحان المالكي ، مركز الدراسات التاريخية . عمّان ، الطبعة الثالثة .
- ٤٦ . تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ، محمد أحمد الذهبي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ٤٧ . فتح الباري ، المطبعة السلفية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠ هـ .
- ٤٨ . المدينة النبوية ، فجر الإسلام والعصر الراشدي ، محمد محمد حسن شُرَّاب ، دار القلم . دمشق ، الدار الشامية . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .
- ٤٩ . تاريخ الطبري ، لأبي جعفر ، دار الفكر . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ٥٠ . استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري دراسة نقدية ، د. خالد بن محمد الغيث ، دار الأندلس الخضراء . جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .
- ٥١ . سنن أبي داود ، للإمام أبي داود سليمان السجستاني ، تحقيق وتعليق: عزت الدعاس ، سورية . ١٣٩١ هـ .
- ٥٢ . سنن ابن ماجه ، الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني ، دار الفكر .
- ٥٣ . سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ .
- ٥٤ . سنن النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان بن دينار النسائي ، بشرح جلال الدين السيوطي ، وحاشية الإمام السندي ، دار الفكر . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م .
- ٥٥ . الإحسان في صحيح ابن حبان ، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .
- ٥٦ . السلسلة الصحيحة ، للألباني ، المكتب الإسلامي .

- ٥٧ . معجم الطبراني الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ١٩٩٥ م .
- ٥٨ . السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- ٥٩ . شرح العقيدة الطحاوية ، للعلامة محمد بن علي بن محمد الأذري ، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي . بيروت ، ١٣٩١ هـ .
- ٦٠ . النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود الطناحي ، المكتبة الإسلامية .
- ٦١ . صحيح البخاري ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
- ٦٢ . صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ م .
- ٦٣ . صحيح مسلم بشرح النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٧ هـ ١٩٢٩ م .
- ٦٤ . مجموعة الفتاوى ، تقي الدين أحمد ابن تيمية الحرّاني ، دار الوفاء بالمنصورة، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ٦٥ . المصنف في الأحاديث والآثار ، للحافظ أبي بكر بن أبي شيبة ، طبع: الدار السلفية ، بومباي . الهند ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٦٦ . المصنف ، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، طبع: المكتب الإسلامي . بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ .
- ٦٧ . العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي ، تحقيق: محب الدين الخطيب ، إعداد: محمد سعيد مبيّض، دار الثقافة ، قطر . الدوحة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٩ م .
- ٦٨ . تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين ، تأليف: د. محمد أمّحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر . الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .
- ٦٩ . الإبانة في أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، طبعة الجامعة الإسلامية ، ١٩٧٥ م .

٧٠. الإمامة والرد على الرافضة ، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، تحقيق وتعليق: د. علي ابن محمد بن ناصر الفقيهي ، طبع: مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ.
٧١. أصول الدين ، لعبد القاهر البغدادي ، طبع: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٦ هـ.
٧٢. الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، الناشر: نشاط اباد ، فيصل اباد - باكستان.
٧٣. الاقتصاد في الاعتقاد ، لأبي حامد الغزالي ، طبع: دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ.
٧٤. المقدمة ، لابن خلدون.
٧٥. عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ، سليمان بن حمد العودة ، دار طيبة - الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٢ هـ.
٧٦. الوصية الكبرى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المطبعة السلفية ومكنتها ، نشر: قصي محب الدين الخطيب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١ هـ.
٧٧. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، للقاضي أبي علي محمد بن الطيب الباقلائي ، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
٧٨. دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، د. عبد الرحمن الشجاع ، دار الفكر المعاصر - صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م.
٧٩. الخلافة بين التنظير والتطبيق ، محمود المرادوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
٨٠. منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ، د. سليمان بن قاسم العيد ، دار الوطن - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م.
٨١. الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ، السيد عمر ، معهد الفكر العالمي.
٨٢. عبقرية علي ، عباس محمود العقاد ، المكتبة العصرية - بيروت.
٨٣. خلفاء الرسول ، خالد محمد خالد ، دار ثابت - القاهرة ، دار الفكر - دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.
٨٤. علي بن أبي طالب ، خالد البيطار.

- ٨٥ . علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م.
- ٨٦ . الأدب الإسلامي في عهد النبوة ، نايف معروف ، دار النفائس ، بيروت . لبنان.
- ٨٧ . الخلفاء الراشدون ، عبد الوهاب النجار ، دار القلم . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
- ٨٨ . المرتضى سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن بن علي بن أبي طالب ، لأبي الحسن الندوي، دار القلم . دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
- ٨٩ . لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر . بيروت.
- ٩٠ . تاريخ المذاهب ، لأبي زهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الأولى.
- ٩١ . نظام الحكم في الإسلام ، عارف أبو عبيد ، دار النفائس . الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
- ٩٢ . الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة ، عبد الله بن عمر بن سليمان الدميحي ، دار طيبة . السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ.
- ٩٣ . مشكاة المصابيح ، للبغوي.
- ٩٤ . فتاوى في التوحيد ، عبد الله بن جبرين.
- ٩٥ . الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ، عبد العزيز بن أحمد بن حامد ، غراس للتوزيع . الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
- ٩٦ . مسند الإمام زيد بن علي ، جمع عبد العزيز بن إسحاق البغدادي ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤٠٣ هـ.
- ٩٧ . صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ.
- ٩٨ . صحيح سنن ابن ماجه ، للألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
- ٩٩ . صحيح النسائي ، للألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج . الرياض ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.
- ١٠٠ . مشكاة المصابيح ، للألباني.

- ١٠١ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم أحمد عبد الله الأصفهاني ، دار الكتب العلمية . بيروت .
- ١٠٢ . فضائل الصحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، دار ابن الجوزي . السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ١٠٣ . الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع ، الحافظ الخطيب البغدادي ، تحقيق: د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف . الرياض ، ١٤٠٣ هـ .
- ١٠٤ . شرف أصحاب الحديث ، الخطيب البغدادي ، تحقيق: سعيد أوغلي ، نشر دار إحياء السنة النبوية .
- ١٠٥ . مسند أحمد ، تحقيق أحمد شاكر دار المعارف . مصر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٦٨ هـ .
- ١٠٦ . تذكرة السامع والمتكلم في اداب العالم والمتعلم ، سعد الله بن جماعة ، دار الكتب العلمية .
- ١٠٧ . تاريخ اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، دار بيروت . لبنان .
- ١٠٨ . جامع بيان العلم وفضله ، لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ، دار الفكر ، دار الكتب الإسلامية ، ١٤٠٢ هـ .
- ١٠٩ . جامع بيان العلم وفضله ، لأبي عمر يوسف بن عبد البر ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
- ١١٠ . ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ، محب الدين الطبري ، دار المعرفة . بيروت .
- ١١١ . تاريخ الخلفاء ، للسيوطي ، دار صادر . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- ١١٢ . صفة الصفوة ، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ، دار المعرفة ، بيروت .
- ١١٣ . التاريخ الإسلامي ، مواقف وعبر د. عبد العزيز عبد الله الحميدي ، دار الدعوة الإسكندرية ، دار الأندلس الخضراء . جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ١١٤ . أدب الدين والدنيا ، للماوردي .
- ١١٥ . المتجر الربح في ثواب العمل الصالح ، للدمياطي .
- ١١٦ . الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشيباني ، المعروف بابن الأثير ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٩ م .

- ١١٧ . صحيح التوثيق في سيرة علي بن أبي طالب ، مجدي فتحي السيد ، دار الصحابة بطنطا ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ١١٨ . الإمام علي بن أبي طالب ، محمد رشيد رضا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ١١٩ . رجال الفكر والدعوة ، للندوي ، دار ابن كثير .
- ١٢٠ . كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال ، تصنيف: نديم مرعشلي ، أسامة مرعشلي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .
- ١٢١ . أخلاق النبي في القرآن والسنة ، د. أحمد الحداد ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م .
- ١٢٢ . روح المعاني ، للآلوسي .
- ١٢٣ . الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل .
- ١٢٤ . أصحاب الرسول ، محمود المصري ، مكتبة أبي حذيفة السلفي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ١٢٥ . نيل الأوطار ، محمد بن علي الشوكاني ، الطبعة الأخيرة ، مصطفى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة .
- ١٢٦ . تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء ، د. صبحي حمصاني ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤ م .
- ١٢٧ . مفتاح دار السعادة لابن القيم ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٣٩٢ هـ .
- ١٢٨ . مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٣٩٢ هـ .
- ١٢٩ . تاريخ دمشق ، دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى .
- ١٣٠ . لطائف المعارف ، لابن رجب ، دار ابن كثير .
- ١٣١ . عدة الصابرين ، وذخيرة الشاكرين ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية - بيروت .

- ١٣٢ . التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق: د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .
- ١٣٣ . معرفة الصحابة ، لأبي نعيم ، تحقيق: محمد راضي ابن حاج عثمان ، مكتبة الدار في المدينة النبوية ، ومكتبة الحرمين في الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ .
- ١٣٤ . موسوعة فقه علي بن أبي طالب ، محمد رواس قلعجي ، دار النفائس - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ١٣٥ . فقه التمكين في القرآن الكريم ، د. علي محمد الصَّلَّابِي ، دار الوفاء - المنصورة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م .
- ١٣٦ . شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان الغامدي ، دار طيبة - الرياض .
- ١٣٧ . المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة ، للزمخشري ، تحقيق: سيد إبراهيم صادق ، دار الحديث ، طبعة ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .
- ١٣٨ . الشيخان أبو بكر الصديق وعمر من رواية البلاذري في أنساب الأشراف ، تحقيق: د. إحسان صديق العمدة ، المؤتمن للنشر - السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .
- ١٣٩ . نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ، حمد محمد الصمد ، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .
- ١٤٠ . الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي ، فتحي عبد الكريم ، مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .
- ١٤١ . النظام السياسي في الإسلام ، د. محمد أبو فارس ، دار الفرقان - عمان - الأردن ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٦ م .
- ١٤٢ . روضة الناظر وجنة المناظر ، لابن قدامة ، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي ، المطبعة السلفية - القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩١ هـ .
- ١٤٣ . الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية نشأتها وتطورها حتى منتصف القرن الثالث الهجري ، د. سليمان بن صالح بن سليمان ال كمال ، منشورات جامعة أم القرى .

- ١٤٤ . نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، مطبعة كوتسا توماسي بالقاهرة.
- ١٤٥ . فن الحكم الإسلامي ، مصطفى أبو زيد فهمي ، المكتب المصري الحديث.
- ١٤٦ . الشورى بين الأصالة والمعاصرة ، عز الدين التميمي ، دار البشير ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥ م.
- ١٤٧ . المستدرك على الصحيحين ، للإمام أبي عبد الله النيسابوري ، بذيله: التلخيص ، للذهبي ، دار الفكر ، طبعة ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م.
- ١٤٨ . نهج البلاغة ، شرح: الشيخ محمد عبده ، دار البلاغة ، الطبعة الثامنة ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م.
- ١٤٩ . مسند أبي يعلي ، أحمد بن علي المثنى التميمي ، تحقيق وتخرّيج: حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث . دمشق ، الطبعة الأولى.
- ١٥٠ . مجمع الزوائد ، ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، دار الريان . القاهرة ، دار الكتاب العربي . بيروت.
- ١٥١ . الوسطية في القرآن الكريم ، د. علي محمد الصلّابيّ ، دار النفائس ، دار البيارق . عمّان ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩ م.
- ١٥٢ . التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ، للشيخ عبد الرحمن السعدي.
- ١٥٣ . الاستذكار لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار ، لابن عبد البر ، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- ١٥٤ . الغلو في الدين ، د. الصادق عبد الرحمن الغرياني ، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ، ٢٠٠١ م.
- ١٥٥ . المواعظ والاعتبار ، أحمد بن علي عبد القادر المقرّبي ، الطبعة الثانية ، مكتبة الثقافية الدينية . القاهرة ، ١٩٨٧ م.
- ١٥٦ . الاعتصام ، للشاطبي ، تحقيق: محمد رشيد رضا ، دار المعرفة . بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ.
- ١٥٧ . الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، لابن قيم الجوزية.
- ١٥٨ . في ظلال الإيمان ، صلاح عبد الفتاح الخالدي ، مكتبة المنار . الأردن . الزرقاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م.

١٥٩ - تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمکین فی القرآن الکریم ، علی محمد الصَّلَّابِيّ ، دار الصحابة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .

١٦٠ - تفسير الفخر الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثانية .

١٦١ - السيرة النبوية ، لابن هشام ، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام ، دار الفكر ، بدون تاريخ .

١٦٢ - معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار صادر - بيروت .

١٦٣ - عيون الأخبار ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

١٦٤ - الإعجاز والإيجاز ، أبو منصور الثعالبي ، دار الرائد العربي - بيروت .

١٦٥ - مروج الذهب ومعادن الجواهر ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٢ م .

١٦٦ - الشريعة ، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الاجري ، تحقيق: د. عبد الله بن سليمان الدميحي ، دار الوطن - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

١٦٧ - الشرك في القديم والحديث ، أبو بكر محمد زكريا ، مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م .

١٦٨ - مختصر منهاج القاصدين ، أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ، مكتبة البيان - دمشق ، ١٣٩٨ هـ .

١٦٩ - سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .

١٧٠ - إحياء علوم الدين ، للغزالي .

١٧١ - معالم السلوك وتزكية النفوس ، عبد العزيز محمد العبد اللطيف ، دار الوطن - السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ .

١٧٢ - بدائع الفوائد ، لابن القيم ، مكتبة الرياض .

١٧٣ - صيد الخاطر ، لابن الجوزي .

١٧٤ - الأخلاق والسير ، لابن حزم .

- ١٧٥ . الرياض النضرة في مناقب العشرة ، لأبي جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري ، المكتبة القيمة .
القاهرة.
- ١٧٦ . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، دار
الكتب العلمية . بيروت.
- ١٧٧ . نظام الحكومة الإسلامية للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية ، محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي
الحسني ، الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت.
- ١٧٨ . الأموال ، لأبي عبيد ، تحقيق: محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية.
- ١٧٩ . الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى ، د. محمد ضيف الله بطاينة ، دار طارق ، دار
الكندي . الأردن.
- ١٨٠ . الهبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين ، د. فضل إلهي مؤسسة الجريسي . الرياض ،
الطبعة الثالثة ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ١٨١ . المغني ، للإمام العلامة ابن قدامة المقدسي ، دار الحديث . القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ
١٩٩٦ م .
- ١٨٢ . الخراج ، لأبي يوسف ، يعقوب بن إبراهيم ، المكتبة السلفية . القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٢
هـ .
- ١٨٣ . ولاية الشرطة في الإسلام ، د. نمر الحميداني ، دار عالم الكتب . الرياض ، الطبعة الثانية ،
١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .
- ١٨٤ . تاريخ خليفة بن خياط ، أبو عمر خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي ، تحقيق: أكرم ضياء
العمري ، مؤسسة الرسالة ، ودار القلم . بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٧ هـ .
- ١٨٥ . الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر ، دار الكتب العلمية . بيروت ، الطبعة
الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .
- ١٨٦ . علي بن أبي طالب ، د. علي شرفي ، دار الكندي . إربد . الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ م .
- ١٨٧ . الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ، د. عبد العزيز إبراهيم العمري ، الطبعة الأولى ،
١٤٠٩ هـ .

١٨٨ . من أصول الفكر السياسي ، محمد فتحي عثمان ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م .

١٨٩ . النظم المالية في الإسلام ، عيسى عبده ، معهد الدراسات الإسلامية . القاهرة ١٣٩٦ هـ ١٣٩٧ هـ .

١٩٠ . السياسة المالية لعثمان بن عفان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ م .

١٩١ . تاريخ العرب ، مطول ، د . فيليب حتي ، ترجمة: إدوارد جرجي ، د . جبرائيل جبور ، دار الكشاف . بيروت ، ١٩٤٩ م .

١٩٢ . وقائع ندوة النظم الإسلامية . أبو ظبي ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م .

١٩٣ . نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، ظافر القاسمي ، دار النفائس . بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .

١٩٤ . إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت ، طبعة ١٤٠٧ هـ .

١٩٥ . الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ، عبد السلام السليمان ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المملكة المغربية .

١٩٦ . خلاصة التشريع الإسلامي ، عبد الوهاب خلاّف ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .

١٩٧ . تاريخ القضاء ، كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف ، للإمام القاضي محمد بن سلامة بن جعفر الشافعي ، مطبوعات جامعة أم القرى .

١٩٨ . تاريخ القضاء في الإسلام ، د . محمد الزحيلي ، دار الفكر . دمشق ، دار الفكر المعاصر . لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .

١٩٩ . أخبار القضاة لوكيع ، وكيع محمد بن خلف بن حيان ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ ١٩٤٧ م .

٢٠٠ . الأحكام السلطانية ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ، دار الفكر . بيروت ، بدون تاريخ .

٢٠١ . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، تحقيق: حسن تميم ، مكتبة الحياة . بيروت ، ١٩٦٤ م .

- ٢٠٢ . صحيح سنن أبي داود ، مكتب التربية العربي لدول الخليج .
- ٢٠٣ . شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، دار الفكر - بيروت ، طبعة ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
- ٢٠٤ . المجموع شرح المهذب ، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، مطبعة الإمام بمصر .
- ٢٠٥ . المبسوط ، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي ، دار المعرفة - بيروت .
- ٢٠٦ . المحلى بالاثار ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- ٢٠٧ . معجم الطبراني الأوسط ، سليمان بن أحمد الطبراني ، دار العربية - بغداد ، ١٣٩٨ هـ .
- ٢٠٨ . جمع الجوامع بحاشية العطار ، للإمام ابن السبكي ، مع شرح الجلال المحلي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٠٩ . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، للعلامة علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي ، الناشر : زكريا علي يوسف .
- ٢١٠ . فتح العزيز شرح الوجيز ، للإمام أبي القاسم عبد الكريم محمد الرافعي ، المطبوع في هامش المجموع .
- ٢١١ . بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لمحمد بن أحمد بن رشد القرطبي ، مطبعة الكليات الأزهرية ، طبعة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٦ م .
- ٢١٢ . المنتقى شرح موطأ الإمام مالك بن أنس ، للقاضي أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي ، مطبعة السعادة ، طبعة مصورة على الطبعة الأولى سنة ١٣١٣ هـ .
- ٢١٣ . إعلاء السنن للمحدث الناقد ، ظفر أحمد العثماني ، على ضوء ما أفاده الإمام الفقيه الشيخ أشرف علي التهانوي ، بتحقيق وتعليق: عبد الفتاح أبو غده ، منشورات إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - باكستان .
- ٢١٤ . الإشراف على مذاهب أهل العلم ، للحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، بتحقيق: محمد نجيب سراج الدين دار إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .
- ٢١٥ . السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار ، للشيخ محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق: محمود إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٥٥ هـ ١٩٨٥ م .

- ٢١٦ . المدونة الكبرى ، للإمام مالك بن أنس ، دار صادر - بيروت ، طبعة بالأوفست ١٣٢٣ هـ .
- ٢١٧ . سبل السلام ، للأمير الصنعاني .
- ٢١٨ . مقاصد الشريعة الإسلامية ، د. محمد سعد اليوبي ، دار الهجرة - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
- ٢١٠ . الحكم والتحاكم في خطاب الوحي ، عبد العزيز مصطفى كامل ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م .
- ٢٢٠ . الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري ، يحيى بن إبراهيم اليحيى ، دار الهجرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ٢٢١ . عصر الخلافة الراشدة ، د. أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م .
- ٢٢٢ . حقيقة البدعة وأحكامها ، سعيد ناصر الغامدي ، مكتبة الرشد - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .
- ٢٢٣ . الموافقات في أصول الشريعة ، لأبي إسحاق الشاطبي ، تحقيق: عبد الله دراز ، دار الباز - مكة المكرمة .
- ٢٢٤ . شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، تحقيق: محمد محمد سعيد الخطيب أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية .
- ٢٢٥ . الأم ، للشافعي ، دار المعرفة - بيروت .
- ٢٢٦ . مسائل الإمام أحمد ، لأبي داود سليمان بن الأشعث ، مطبعة المنار بمصر ، سنة ١٣٥٣ هـ .
- ٢٢٧ . مناقب الشافعي ، للرازي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٢٨ . تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، عن طبعة حيدر اباد .
- ٢٢٩ . الإنصاف فيما وقع في تاريخ العصر الراشدي من خلاف ، د. حامد محمد الخليفة ، مطابع الدوحة - المدينة الرياضية ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م .
- ٢٣٠ . الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، تحقيق د. علي نويهض ، دار الفكر - بيروت ، بدون تاريخ .

٢٣١ - تهذيب تاريخ دمشق ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م .

٢٣٢ - الأخبار الطوال ، لأبي حنيفة أحمد بن داود ، تحقيق: عبد المنعم عامر ، مراجعة د. جمال الدين الشيال ، مكتبة المتنبي - بغداد .

٢٣٣ - كتاب الفتوح ، أبو محمد أحمد بن أعثم ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد - الهند ، الطبعة الأولى ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م .

٢٣٤ - ولاية مصر ، لأبي يوسف محمد بن يوسف الكندي ، تحقيق: د. حسين نصار ، دار صادر - بيروت ، بدون تاريخ .

٢٣٥ - مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ، يحيى إبراهيم يحيى ، دار العاصمة - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .

٢٣٦ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي - القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٣٧ - تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان ، علي محمد الصلّائي ، دار النشر والتوزيع - القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م .

٢٣٨ - منهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ، تحقيق: محمد رشاد ، مؤسسة قرطبة .

٢٣٩ - الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد ، مكتبة مدينة العلم - مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٣ هـ .

٢٤٠ - فتنة مقتل عثمان بن عفان ، محمد عبد الله الغبان ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م .

٢٤١ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف عبد الرحمن المزني ، تحقيق: بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .

٢٤٢ - اثار الحرب في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة، د. وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .

٢٤٣ - الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١ هـ .

٢٤٤ . وقعة صفين ، نصر بن مزاحم المنقري ، تحقيق: عبد السلام هارون . القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢ هـ .

٢٤٥ . تفسير التابعين ، عرض ودراسة مقارنة ، د. محمد عبد الله علي الخضير ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .

٢٤٦ . فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، علي محمد الصلابي ، دار الصحابة . الإمارات ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢ م .

٢٤٧ . أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ، د. إبراهيم علي شعوط ، المكتب الإسلامي ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

٢٤٨ . الفتنة الكبرى . علي وبنوه ، طه حسين ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ م .

٢٤٩ . صفة الصفوة ، للإمام أبي الفرج ابن الجوزي ، دار المعرفة . بيروت .

٢٥٠ . الدراهم المضروبة على الطراز الساساني للخلفاء الراشدين في المتحف العراقي ، وداد علي قزاز ، مجلة المسكوكات ، مديرية الآثار العامة . بغداد الجزء (١) ، المجلد (١) ، ١٩٦٩ م .

٢٥١ . الأنساب ، لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، تحقيق وتعليق: الأستاذ محمد عوامة، نشر محمد أمين دمج . بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م .

٢٥٢ . التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان ، محمد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي ، حققه: د. محمود يوسف زايد ، دار الثقافة . الدوحة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .

٢٥٣ . الأساس في السنة وفقهها ، سعيد حوى ، دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .

٢٥٤ . الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ، د. محسن باقر الموسوي ، الغدير . بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .

٢٥٥ . النظم الإسلامية ، صبحي الصالح ، دار العلم للملايين . بيروت ، الطبعة الخامسة ، مايو ١٩٨٠ م .

٢٥٦ . الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري . محمد حسين الزبيدي ، القاهرة ١٩٧٠ م .

٢٥٧ . العرافة والنقابة مؤسستان اجتماعيتان مهمتان في العهد النبوي ، محمد يوسف الفاروقي ، مجمع البحوث الإسلامية ، الجامعة الإسلامية . إسلام اباد . باكستان ، ١٩٨٢ م .

- ٢٥٨ . التفسير الصحيح ، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، د. حكمت بن بشير بن ياسين ، دار المآثر . المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ٢٥٩ . منهج القرآن الكريم في إصلاح النفوس ، د. عبدو الحريري ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، لم تطبع .
- ٢٦٠ . دعاوي الإنقاذ للتاريخ الإسلامي ، سليمان العودة ، رسالة نشرت على الإنترنت .
- ٢٦١ . تذكرة الحفاظ ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار إحياء التراث - بيروت .
- ٢٦٢ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر - بيروت .
- ٢٦٣ . وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، لابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر - بيروت .
- ٢٦٤ . البيان والتبيين للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، دار الخانجي بمصر ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .
- ٢٦٥ . ميزان الاعتدال ، للذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة - بيروت .
- ٢٦٦ . لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٠ هـ .
- ٢٦٧ . المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، لابن حبان البستي ، تحقيق: محمود إبراهيم زيد ، دار المعرفة - بيروت .
- ٢٦٨ . رجال الكشي ، لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، قدم له وعلق عليه: أحمد السيد الحسيني .
- ٢٦٩ . عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة ، لمحمد علي المعلم .
- ٢٧٠ . الخوارج والشيعة ، يوليوس فلهاوزن .
- ٢٧١ . السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ، فان فولتن ، ترجمة: حسن إبراهيم حسن ، ومحمد زكي إبراهيم ، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .
- ٢٧٢ . العقيدة والشريعة الإسلامية ، جولد تسهير أجناس ، ترجمة: د. محمد يوسف موسى وآخرين ، دار الكتب الحديثة - القاهرة .

- ٢٧٣ . تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام ، نكلسن ، رينولد ، ترجمة: صفاء خلوصي .
بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٩ م .
- ٢٧٤ . عقائد الشيعة ، رونلدسن دوايت ، تعريب: (ع م) ، مكتبة الخانجي . القاهرة ، ١٣٦٥ هـ
١٩٤٦ م .
- ٢٧٥ . أصول الإسماعيلية ، لويس بارنارد ، ترجمه إلى العربية: خليل أحمد جلوّ ، جاسم محمد الرجب ،
مكتبة المثني . بغداد ، ١٣٦٧ هـ ١٩٤٧ م .
- ٢٧٦ . عائشة والسياسة ، سعيد الأفغاني ، دار الفكر . بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ ١٩٨١
م .
- ٢٧٧ . الدولة الأموية ، يوسف العث ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م .
- ٢٧٨ . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لأبي محمد بن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي . مصر .
- ٢٧٩ . أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، د. عبد العزيز دخان ، رسالة دكتوراه بفاس بالمغرب ، لم تطبع .
- ٢٨٠ . المغني في الضعفاء للذهبي ، تحقيق: نور الدين عتر .
- ٢٨١ . التاريخ الكبير ، للبخاري ، مؤسسة الثقافة . بيروت .
- ٢٨٢ . دور المرأة السياسي في عهد النبي والخلفاء الراشدين ، أسماء محمد أحمد زيادة ، دار السلام ،
الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م .
- ٢٨٣ . الإمامة والسياسة ، المنسوب لابن قتيبة ، مؤسسة الحلبي . القاهرة .
- ٢٨٤ . لمع الأدلة في عقائد أهل السنة ، للجويني ، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، بتحقيق: فوقية
حسين محمود ، الناشر: الدار المصرية .
- ٢٨٥ . غياث الأمم في تياث الظلم ، لإمام الحرمين الجويني ، تحقيق: عبد العظيم الديب ، مطابع
الدوحة الحديثة . قطر ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ هـ .
- ٢٨٦ . التذكرة في أحوال الموتى والاخرة ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، حققه
وخرّج أحاديثه: فؤاد أحمد زمري ، دار الكتاب العربي .
- ٢٨٧ . حقبة من التاريخ ، عثمان الحميس ، دار الإيمان . الإسكندرية .
- ٢٨٨ . العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، د. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي ، مكتبة
البخاري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠ م .

- ٢٨٩ . إفادة الأخيار ببراءة الأبرار ، محمد العربي التباني ، دار الكتب العلمية . بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ م .
- ٢٩٠ . أعلام النصر المبين ، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي ، تحقيق: د. محمد أمخزون ، دار الغرب ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .
- ٢٩١ . أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، مطبعة الشعب.
- ٢٩٢ . تقريب التهذيب ، لابن حجر .
- ٢٩٣ . الكامل في ضعفاء الرجال ، لابن عدي ، الحافظ أحمد بن عبد الله الجرجاني ، دار الفكر للطباعة . بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ .
- ٢٩٤ . الأنصار في العصر الراشدي ، سياسياً وعسكرياً وفكرياً ، د. حامد محمد خليفة ، رسالة دكتوراه من كلية الآداب في جامعة بغداد ، لم تطبع ، من صورة مصورة.
- ٢٩٥ . العثمانية ، للجاحظ ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل . بيروت ، الطبعة الأولى .
- ٢٩٦ . خلاصة الخلافة الراشدة من تاريخ ابن كثير ، محمد كنعان ، مؤسسة المعارف . بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٨ م .
- ٢٩٧ . نسب قريش ، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله الزبيري ، دار المعارف . القاهرة .
- ٢٩٨ . التاريخ الصغير ، للبخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .
- ٢٩٩ . أنساب الأشراف ، لأبي الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري .
- ٣٠٠ . كتاب أهل البغي من الحاوي الكبير ، لأبي الحسن الماوردي .
- ٣٠١ . المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال ، للحافظ أبي عبد الله محمد عثمان الذهبي ، مكتبة دار البيان ، حققه وعلق عليه: محب الدين الخطيب .
- ٣٠٢ . سير السلف ، لأبي القاسم الأصفهاني ، دار الراية . الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ٣٠٣ . أهل الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه ، رياض العبد الله ، دار الرشيد . بيروت . دمشق ، مؤسسة الإيمان . بيروت . لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .
- ٣٠٤ . عمدة القاري ، شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني .

- ٣٠٥ . تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، محمد بن عبد الرحمن المباركفورى ، مطبعة الاعتماد ، نشر: محمد عبد المحسن الكتبى ، تصحيح : عبد الرحمن محمد عثمان .
- ٣٠٦ . دراسات تربوية فى الأحادىث النبوية ، للأعظمى محمد لقمان الأعظمى الندوى ، دار العبيكان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .
- ٣٠٧ . الزهد ، لابن المبارك .
- ٣٠٨ . الزبير بن العوام ، الثروة والثورة ، عبد العظيم الديب .
- ٣٠٩ . فرسان فى عصر النبوة ، أحمد خليل جمعة ، اليمامة . دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
- ٣١٠ . تاريخ الدعوة الإسلامية ، محمد جميل عبد الله المصرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م .
- ٣١١ . معاوية بن أبى سفيان ، صحابى كبير وملك مجاهد ، منير الغضبان ، دار القلم . دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ٣١٢ . المعرفة والتاريخ ، للفسوى ، لأبى يوسف الفسوى ، تحقيق: أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد . بغداد ، ١٣٩٤ هـ .
- ٣١٣ . الأعلام، للزركلى ، دار العلم للملايين . بيروت . لبنان، الطبعة السادسة، ١٩٨٤ م .
- ٣١٤ . إرواء الغليل تخريج أحادىث منار السبيل ، للشيخ: محمد ناصر الدين الألبانى ، نشر المكتب الإسلامى ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ .
- ٣١٥ . الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، د. حمدي شاهدين ، دار القاهرة .
- ٣١٦ . مسند أحمد مع الفتح الربانى فى ترتيب الإمام ، للساعاتى ، أحمد عبد الرحمن الساعاتى ، مطبعة الفتح الربانى بالقاهرة ، الطبعة الأولى .
- ٣١٧ . تهذيب الأسماء واللغات ، للإمام محيى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .
- ٣١٨ . تلخيص الحبير فى أحادىث الرافعى الكبير ، لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، مراجعة: السيد عبد الله هاشم اليمانى المدنى . المدينة المنورة ، ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- ٣١٩ . عمرو بن العاص الأمير المجاهد ، د. منير محمد الغضبان ، جامعة أم القرى ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

٣٢٠. معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت .
٣٢١. عمّار بن ياسر ، أسامة بن أحمد سلطان ، المكتبة المكية . السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
٣٢٢. قصص لا تثبت ، سليمان بن صالح الخراشي ، دار الصمعي . الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .
٣٢٣. تنزيه خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان من الظلم والفسق في مطالبته بدم أمير المؤمنين عثمان ، لأبي يعلي محمد الفراء ، تحقيق: دار النبلاء . عمّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م .
٣٢٤. أبو موسى الأشعري ، الصحابي العالم المجاهد ، عبد الحميد طهماز ، دار القلم . دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
٣٢٥. أنس بن مالك الخادم الأمين ، عبد الحميد طهماز ، دار القلم . دمشق .
٣٢٦. مناقب عمر ، لابن الجوزي .
٣٢٧. مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمد حميد الله ، دار النفائس ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
٣٢٨. صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي ، دار النفائس ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨ هـ ١٩٩٨ م .
٣٢٩. السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم العمري ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م ، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة .
٣٣٠. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، محمد أبو شهبة ، دار القلم . دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
٣٣١. صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ، للألباني ، دار الصمعي . السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م .
٣٣٢. غزوة الحديبية ، لأبي فارس ، دار الفرقان . الأردن .
٣٣٣. من معين السيرة ، صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .
٣٣٤. إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء ، محمد الحضري ، دار المعرفة . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

- ٣٣٥ . فتوح الشام ، محمد عبد الله الأزدي ، تحقيق: عبد المنعم عبد الله عامر ، نشر مؤسسة القاهرة ١٩٧٠ م .
- ٣٣٦ . القيادة العسكرية في عهد الرسول ، دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .
- ٣٣٧ . سفراء النبي (ص) ، محمود شيت خطاب ، مؤسسة الريان ، دار الأندلسي الخضراء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
- ٣٣٨ . عمرو بن العاص ، عبد الخالق سيد أبو رابية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .
- ٣٣٩ . عمرو بن العاص ، عباس محمود العقاد ، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ م .
- ٣٤٠ . المراسيل ، لابن أبي حاتم ، مؤسسة الرسالة . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧ هـ .
- ٣٤١ . التاريخ ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق: أحمد محمد نور سيف ، دار المأمون للتراث .
- ٣٤٢ . الأحكام السلطانية ، لأبي يعلى: محمد بن الحسين ، تعليق: محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية . بيروت ، ١٤٠٣ هـ .
- ٣٤٣ . الجهاد والقتال في السياسة الشرعية ، د. محمد خير هيكل ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .
- ٣٤٤ . الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني ، تحقيق: محمد زاهد الكوثري ، مؤسسة الخانجي ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢ هـ .
- ٣٤٥ . مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي الفرج ابن الجوزي ، تحقيق: لجنة إحياء التراث ، طبع دار الافاق الجديدة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٢ هـ .
- ٣٤٦ . عقيدة الإمام ابن قتيبة ، د. علي بن نفيح العلياني ، مكتبة الصديق . السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .
- ٣٤٧ . المعارف ، لابن قتيبة ، تحقيق: ثروة عكاشة ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف . مصر .
- ٣٤٨ . مختصر التحفة الاثني عشرية ، للسيد محمود شكري الألويسي ، مكتبة إيشيق . إستانبول . تركيا ، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

٣٤٩ . السيف اليماني في نحر الأصفهاني ، وليد الأعظمي ، دار الوفاء . مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م .

٣٥٠ . منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، محمد صامل العلياني السلمي ، دار طيبة . الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

٣٥١ . أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري ، د. عبد العزيز محمد نور ولي ، دار الخضير . المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

٣٥٢ . منهج المسعودي في كتابة التاريخ ، سليمان بن عبد الله المديد السويكت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م .

٣٥٣ . تاريخ عمرو بن العاص ، حسن إبراهيم حسن ، مطبعة السعادة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٠ هـ ١٩٢٢ م .

٣٥٤ . الشيعة والسنة ، إحسان إلهي ظهير .

٣٥٥ . دراسات عن الفرق وتاريخ المسلمين ، د. أحمد محمد جلي ، شركة الطباعة العربية . السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

٣٥٦ . الإمام الصادق ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي .

٣٥٧ . الشيعة والقران ، إحسان إلهي ظهير ، إدارة ترجمان السنة . لاهور . باكستان ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ .

٣٥٨ . تأويل مختلف الحديث ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق: محمد محيي الدين الأصغر ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ .

٣٥٩ . المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي ، تحقيق: محيي الدين ديب مستو ، يوسف بديوي ، دار ابن كثير . بيروت . دمشق ، دار الكلم الطيب . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ .

٣٦٠ . الكفاية ، أحمد بن علي الخطيب ، دار الكتاب العربي ، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عمر هاشم ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ .

٣٦١ . فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان .

٣٦٢ . تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، منشورات المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.

٣٦٣ . مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح ، طبع: دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان.

٣٦٤ . الباعث الحثيث، شرح اختصار علوم الحديث، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: أحمد شاكر، طبع مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، الطبعة الثانية ، ١٣٧٠ هـ.

٣٦٥ . جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية ، دار القلم . بيروت . لبنان.

٣٦٦ . تفسير السعدي ، المسمى تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق: محمد زهدي النجار ، المؤسسة السعدية.

٣٦٧ . تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار الفكر للطباعة والنشر . بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م.

٣٦٨ . الفرق بين الفرق ، لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح . مصر.

٣٦٩ . أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله ، للسالوس علي أحمد السالوس ، دار وهدان للطباعة . القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢ هـ.

٣٧٠ . الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية . القاهرة ، ١٣٩٣ هـ.

٣٧١ . المحاسن النفسانية في أجوبة المسائل الخراسانية ، الشيخ حسين ال عصفور البحراني ، دار المشرق العربي . بيروت . البحرين.

٣٧٢ . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد علي الشوكاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر، الطبعة الثانية ، ١٣٨٣ هـ.

٣٧٣ . النهاية في الفتن والملاحم ، لابن كثير ، دار المعرفة . بيروت . لبنان ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م.

٣٧٤ . ضحى الإسلام ، أحمد أمين.

- ٣٧٥ . النهي عن سب الأصحاب ، للمقدسي ، محمد عبد الواحد المقدسي ، تحقيق: عبد الرحمن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى.
- ٣٧٦ . لمحات اجتماعية من تاريخ العراق ، د. علي الوردي ، مطبعة الإرشاد . بغداد ، ١٩٦٩ م.
- ٣٧٧ . الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، كامل الشيبلي ، مكتبة النهضة . بغداد ، مطابع دار التضامن ، ١٣٨٦ هـ .
- ٣٧٨ . نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، د. مصطفى حلمي ، دار الدعوة . الإسكندرية.
- ٣٧٩ . خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي ، مكتبة المعلا . الكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
- ٣٨٠ . منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ، الدكتور عبد المجيد بن سالم المشعبي ، أضواء السلف . السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
- ٣٨١ . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية.
- ٣٨٢ . هدي الساري ، مقدمة فتح الباري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ومكاتبها.
- ٣٨٣ . التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي ، مكتبة المثنى . بغداد ، ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م.
- ٣٨٤ . الخوارج ، ناصر العقل ، دار الوطن . الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ .
- ٣٨٥ . الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية ، حامد عبد الماجد قويسني ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.
- ٣٨٦ . تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، بتحقيق: محمود مهدي إستانبولي ، ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م.
- ٣٨٧ . الخوارج ، دراسة ونقد لمذهبهم ، ناصر بن عبد الله السعوي ، دار المعارج الدولية . الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.
- ٣٨٨ . نصب الراية ، لأحاديث الهداية ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي ، دار المأمون . القاهرة ، ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م.
- ٣٨٩ . ظاهرة الغلو في الدين في العصر الحديث ، محمد عبد الحكيم ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.

٣٩٠. الإباضية في موكب التاريخ ، علي يحيى معمر ، مكتبة وهبة.
٣٩١. السياسة في إصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية ، المطبعة السلفية ومكتبتها . القاهرة ، ١٣٨٧ هـ.
٣٩٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ ١٩٧٢ م.
٣٩٣. قواعد في التعامل مع العلماء ، د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار الوراق . السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٢ هـ.
٣٩٤. التكفير جذوره وأسبابه ، د. نعمان عبد الرزاق السامرائي ، دار المنارة . جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
٣٩٥. ظاهرة التكفير ، الأمين الحاج محمد أحمد ، مكتبة دار المطبوعات الحديثة . جدة . السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
٣٩٦. الصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف ، د. يوسف القرضاوي ، كتاب الأمة (٢) ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
٣٩٧. مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ال الشيخ ، دار الهداية . الرياض.
٣٩٨. الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق: أحمد عبد الغفور . القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ.
٣٩٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف: أحمد بن محمد المقرئ الفيومي ، المكتبة العلمية . بيروت . لبنان.
٤٠٠. القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر . بيروت . لبنان.
٤٠١. مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد فارس ، تحقيق: عبد السلام هارون ، دار الجيل . بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ.

- ٤٠٢ . الحجّة في بيان المحجّة وشرح عقيدة أهل السنة ، للحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل الأصبهاني ، د. محمد ربيع مدخلي ، ومحمد بن محمود أبو رحيم ، دار الراية ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .
- ٤٠٣ . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، لفخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ١٤٠٢ هـ .
- ٤٠٤ . الرّواة الذين تأثروا بآبائنا ، د. سعد الهاشمي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م .
- ٤٠٥ . الاقتصاد في الاعتقاد ، لأبي حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، طبعة أولى ، ١٤٠٣ هـ .
- ٤٠٦ . الصارم المسلول على شاتم الرسول ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م .
- ٤٠٧ . الكشف ، للزمخشري، جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة - بيروت .
- ٤٠٨ . تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان .
- ٤٠٩ . اية التطهير وعلاقتها بعصمة الأئمة ، عبد الهادي الحسيني .
- ٤١٠ . تفسير البغوي ، المسمى معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة - بيروت .
- ٤١١ . الحجج الدامغة لنقض كتاب المراجعات ، أبو مريم بن محمد الأعظمي .
- ٤١٢ . تيسير العزيز لشرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة الرياض الحديثة .
- ٤١٣ . الرسالة التدمرية ، لابن تيمية ، تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ .
- ٤١٤ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ، مطبعة البابي الحلبي ، الطبعة الأخيرة ، ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م .
- ٤١٥ . المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية ، عبد الاخر حمّاد الغنيمي ، دار الصحابة - بيروت ، الطبعة الثالثة ، جمادى الثانية ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م .

٤١٦ . الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ، تحقيق: الأستاذ أحمد فهمي محمد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ .

٤١٧ . مختصر تفسير القرآن العظيم المسمى عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر، دار طيبة، دار الوفاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م .

٤١٨ . روايات تاريخ الصحابة في ميزان الجرح والتعديل ، د. عبد العزيز صغير دخان ، الشوكاني باليمن ، طبعة أولى ، ١٩٩٨ م .

٤١٩ . اليهود في السنة المطهرة ، عبد الله الشقاري ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .

٤٢٠ . المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في التفسير من سورة المائدة إلى سورة الناس، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، للطالب فهد عبد العزيز إبراهيم الفاضل ، لم تطبع .

٤٢١ . خلافة علي بن أبي طالب ، رتبه وهذبه: د. محمد بن صامل السلمي ، مستخرج من البداية والنهاية ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م .

٤٢٢ . وسطية أهل السنة بين الفرق ، د. محمد باكريم ، دار الراجعية - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م .

٤٢٣ . عقائد الثلاث والسبعين فرقة ، لأبي محمد اليميني ، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله زربان الغامدي ، مكتبة دار العلوم ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـ .

٤٢٤ . الزبير بن العوام الثروة والثورة ، الدكتور عبد العظيم الديب ، مكتبة ابن تيمية - البحرين .

٤٢٥ . العزلة والخُلطة ، أحكام وأحوال ، سلمان بن فهد العودة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م .

٤٢٦ . أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أحمد السيد يعقوب الرفاعي ، دار الفضيلة - القاهرة ، الطبعة الأولى .

٤٢٧ . السلسلة الضعيفة ، للألباني ، مكتبة المعارف - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م .

٤٢٨ . زاد المعاد ، ابن القيم ، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، دار الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـ .

- ٤٢٩ . السيرة النبوية الصحيحة ، د. أكرم العمري ، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .
- ٤٣٠ . فقه السيرة النبوية ، محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر - دمشق - سوريا ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٩٩١ م .
- ٤٣١ . فصول من السيرة النبوية ، عبد المنعم السيد .
- ٤٣٢ . هجرة الرسول وصحابته في القران والسنة ، أحمد عبد الغني الجمل ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م .
- ٤٣٣ . السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، د. مهدي رزق الله أحمد ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م .
- ٤٣٤ . الخليفان عثمان وعلي بين السنة والشيعه ، أنور عيسى ، لم يطبع .
- ٤٣٥ . مرويات غزوة الحديبية ، حافظ الحكمي ، دار ابن القيم ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م .
- ٤٣٦ . القول المفيد على كتاب التوحيد ، لمحمد صالح العثيمين ، دار العاصمة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ .
- ٤٣٧ . التاريخ السياسي ، د. علي معطي ، مؤسسة المعارف - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م .
- ٤٣٨ . قراءة سياسية للسيرة النبوية ، محمد رواس قلعجي ، دار النفائس ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م .
- ٤٣٩ . علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين ، د. محمد عمر الحاجي ، دار الحافظ - بدمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .
- ٤٤٠ . زواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، حقيقة وليس افتراءً ، تأليف: أبي معاذ الإسماعيلي .
- ٤٤١ . عثمان بن عفان ، صادق عرجون ، الدار السعودية ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م .
- ٤٤٢ . مجلة البحوث الإسلامية ، العدد العاشر .

- ٤٤٣ - رياض النفوس للمالكي ، أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي ، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان ، طبعة عام ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .
- ٤٤٤ - فتنة مقتل عثمان ، محمد عبد الله الغبان ، مكتبة العبيكان ، السعودية ، طبعة ١٤١٩ هـ .
- ٤٤٥ - عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر ، دار القلم - دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م .
- ٤٤٦ - ليس من الإسلام، محمد الغزالي، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .

فهرس الكتاب

الإهداء ٥

المقدمة ٧

الفصل الأول : علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة ٢٥

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وصفته وأسرته ٢٥

أولاً: اسمه وكنيته ٢٥

ثانياً: مولده ٢٦

ثالثاً: الأسرة وأثرها في الأعقاب ٢٧

١ - قبيلة قريش ٢٨

٢ - بنو هاشم ٢٩

٣ - عبد المطلب بن هاشم ٢٩

٤ - أبو طالب والد علي رضي الله عنه ٣٠

٥ - أم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ٣٢

٦ - إخوة علي رضي الله عنه ٣٤

٧ - أزواجه وأولاده ٣٦

٨ . صفاته الخلقية ٣٧

المبحث الثاني: إسلامه وأهم أعماله في مكة ٣٨

أولاً: إسلامه ٣٨

ثانياً: كيف أسلم علي؟ ٣٩

ثالثاً: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب ٣٩

رابعاً: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله (ص) في مكة؟ ٤٠

خامساً: هل دفن علي رضي الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله (ص)؟ ٤٠

سادساً: الحس الأمني عند علي رضي الله عنه ودوره في إيصال أبي ذر رضي الله عنه لرسول الله (ص)

٤١

سابعاً: علي رضي الله عنه مع رسول الله (ص) في طوافه على القبائل وعرضه للدعوة عليها وحضوره

المفاوضات مع بني شيبان ٤٣

ثامناً: تقديمه نفسه فداء للنبي (ص) ٤٦

تاسعاً: هجرته ٤٨

المبحث الثالث: معايشة أمير المؤمنين علي للقران الكريم وأثرها عليه في حياته ٥١

أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر ٥١

ثانياً: مكانة القران الكريم عنده ٥٥

ثالثاً: ما نزل فيه من القران ٥٦

رابعاً: تبليغه تفسير رسول الله (ص) لبعض آيات القران الكريم ٥٧

أ . قوله تعالى: { وَبَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكذِّبُونَ * }

ب . فكل ميسر لما خلق له ٥٧

خامساً: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القران الكريم

وفهم معانيه ٥٩

١ . الالتزام بظاهر القران الكريم ٥٩

٢ . حمل المجمل على المفسر ٦٠

٣ . حمل المطلق على المقيد في القران الكريم ٦١

٤ . العلم بالناسخ والمنسوخ ٦١

٥ . النظر في لغة العرب ٦٢

٦ . فهم النص بنص اخر ٦٢

٧ . السؤال عن مشكله ٦٣

٨ . العلم بمناسبة الايات ٦٤

٩ . تخصيص العام ٦٤

١٠ . معرفة عادات العرب ومن حولهم ٦٦

١١ . قوة الفهم وسعة الإدراك ٦٦

سادساً: تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الايات الكريمة ٦٦

١ . الذاريات ٦٦

٢ . قوله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ *}

٣ . بكاء الأرض على العبد الصالح ٦٧

٤ . الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم ٦٧

٥ . خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ٦٧

٦ . الزهد بين كلمتين من القران ٦٨

٧ . أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتدبره في الصلاة ٦٨

٨ . قوله تعالى: {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ *}

المبحث الرابع: ملازمته لرسول الله (ص): ٧٠

أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة ٧١

١ . وجوب طاعة النبي (ص) ولزوم سنته والمحافظة عليها ٧٢

٢ . حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول (ص) ٧٣

أ . بركة دعائه ٧٣

ب . إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب ٧٣

ج . النصر بالرعب ٧٤

د . خاتم النبوة ٧٤

- هـ . سلام الجبال على النبي (ص) ٧٤
- ٣ . الترغيب في هدي النبي (ص) ٧٥
- ٤ . بيان فضله ، وبعض حقوقه على أمته (ص) ٧٥
- أ . وجوب الصدق عنه، والتحذير من الكذب عليه ٧٥
- ب . البعد عن أسباب تكذيبه ٧٦
- ج . إحسان الظن بحديث رسول الله (ص) ٧٦
- د . الصلاة عليه ٧٦
- هـ . محبته لرسول الله (ص) ٧٧
- ٥ . المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية ٧٨
- أ . بيان خُلُقِهِ ٧٨
- ب . بيان خُلُقِهِ ٧٩
- ٦ . نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة ٨١
- . دعاء الركوب على الدواب ٨١
- . الشرب قائماً ، وقاعداً ٨١
- . تعليم وضوء رسول الله (ص) ٨١
- . نهي رسول الله (ص) لعلي عن أشياء ٨٢
- . الذنوب والمغفرة ٨٢
- . إنما الطاعة في المعروف ٨٢
- . لا يأتي على الناس مئة سنة وعلى الأرض عين تطرف ٨٢
- . دعاء الرسول (ص) لأهل المدينة بالبركة ٨٣
- . دعاء الكرب ٨٣
- . ما أسرَّ إليَّ شيئاً كنتمته عن الناس ٨٣
- . إن الله رفيق يحب الرفق ٨٤
- . تعجيل الصدقة قبل أن تحل ٨٤
- . العشر الأواخر من رمضان ٨٤

- ثانياً: الرواة عن علي بن أبي طالب ٨٤
- . من روى عنه من أهل بيته ٨٦
- . أشهر من روى عن علي من التابعين ٨٧
- المبحث الخامس: أهم أعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب ٩١
- أولاً: المؤاخاة في المدينة ٩١
- ثانياً: حركة السرايا ٩٣
- ١ . غزوة العشيرة ٩٤
- ٢ . غزوة بدر الأولى ٩٤
- ثالثاً: غزوة بدر ٩٥
- ما قيل من أشعار في بطولة علي ببدر ٩٦
- رابعاً: زواج علي من فاطمة رضي الله عنهما ٩٧
- ١ . مهرها وجهازها ٩٧
- ٢ . زفافها ٩٨
- ٣ . وليمة العرس ٩٨
- ٤ . معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما ٩٩
- ٥ . زهد السيدة فاطمة وصبرها ١٠٠
- ٦ . إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ١٠١
- ٧ . محبة رسول الله (ص) للسيدة فاطمة وغيرته عليها ١٠١
- ٨ . صدق لهجتها ١٠٤
- ٩ . سيادتها في الدنيا والآخره ١٠٤
- خامساً : أولادها: الحسن والحسين رضي الله عنهما ١٠٤
- ١ . الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ١٠٤
- ٢ . الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ١٠٧
- ٣ . ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما ١٠٨
- سادساً: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت ١١٠

سابعاً: ما يخص ال رسول الله من الأحكام ١١١

١ . تحرم عليهم الزكاة ١١١

٢ . لا يرثون رسول الله (ص) ١١١

٣ . لهم خمس الخمس في الغنيمة والفبيء ١١١

٤ . الصلاة عليهم مع النبي (ص) ١١٢

٥ . لهم مودة خاصة ١١٢

ثامناً: علي رضي الله عنه في غزوة أحد ١١٣

تاسعاً: علي رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد ١١٥

عاشرأً: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير ١١٦

الحادي عشر: علي رضي الله عنه وموقفه من حادثة الإفك ١١٧

المبحث السادس: أهم أعمال علي رضي الله عنه ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي (ص) ١٢٠

أولأً: علي رضي الله عنه في غزوة (الأحزاب) ١٢٠

ثانياً: علي رضي الله عنه في غزوة بني قريظة ١٢٢

ثالثأً: علي رضي الله عنه في صلح الحديبية وبيعة الرضوان ١٢٢

رابعأً: عمرة القضاء ٧ هـ: علي رضي الله عنه وحضانة ابنة حمزة رضي الله عنه ١٢٦

خامساً: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر ٧ هـ ١٢٧

سادساً: علي رضي الله عنه في فتح مكة ، وغزوة حنين ٨ هـ ١٣١

١ . إحباط محاولة تجسس لصالح قريش ١٣٢

٢ . أجرنا من أجزت يا أم هانأى ١٣٣

٣ . مقتل الحويرث بن نقيذ بن وهب ١٣٣

٤ . علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية ١٣٣

٥ . علي رضي الله عنه في غزوة حنين ١٣٤

٦ . سرية علي رضي الله عنه لهدم الفلس في بلاد طيأى ١٣٤

سابعأً: استخلاف النبي (ص) لعللي على المدينة في غزوة تبوك ٩ هـ ١٣٥

ثامناً: علي رضي الله عنه ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس ٩ هـ ١٣٥

- تاسعاً: علي رضي الله عنه ووفد نصارى نجران ، واية المباهلة ٩ هـ ١٣٧
- عاشراً: علي رضي الله عنه داعياً وقاضياً في اليمن ١٠ هـ ١٣٩
- ١ . قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زبية الأسد ١٤٠
- ٢ . ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر ١٤١
- الحادي عشر: علي رضي الله عنه في حجة الوداع ١٤١
- الثاني عشر: تشرفه بغسل النبي (ص) ودفنه ١٤٣
- الثالث عشر: قصة الكتاب الذي همّ النبي (ص) بكتابته في مرض موته ١٤٣
- الفصل الثاني : علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين ١٥٠
- المبحث الأول: علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق ١٥٠
- أولاً: مبايعة علي لأبي بكر بالخلافة - رضي الله عنهما ١٥٠
- ثانياً: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الردة ١٥٣
- ثالثاً: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر ١٥٤
- رابعاً: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه ١٥٧
- خامساً: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي (ص) ١٥٩
- . أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي لا يورث ١٦٥
- . تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر ١٦٧
- سادساً: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت ، وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر ١٧١
- سابعاً: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق ١٧٣
- المبحث الثاني: علي رضي الله عنه في عهد الفاروق ١٧٥
- ١ . امرأة تعترها نوبات من الجنون ١٧٦
- ٢ . مضاعفة الحد لمن شرب الخمر ١٧٦
- ٣ . لا سلطان لك على ما في بطنها ١٧٧
- ٤ . ردوا الجهالات إلى السنة ١٧٨
- ٥ . هذا الرجل غلبي على نفسي وفضحني في أهلي ١٧٨
- أولاً: في الأمور القضائية ١٧٦

ثانياً: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية ١٧٩
ثالثاً: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشؤون الدولة ١٨١
رابعاً: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم ١٨٣
خامساً: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب ١٨٥
سادساً: قول عمر لفاطمة رضي الله عنهما: يا بنت رسول الله! ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك
١٨٧

سابعاً: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنهم بينهم ١٨٨
ثامناً: ترشيح عمر علي للخلافة مع أهل الشورى ، وما قاله علي في عمر بعد استشهاده ١٨٩

- ١ . ترشيح علي مع أهل الشورى ١٨٩
- ٢ . ما قاله علي في عمر بعد استشهاده ١٩٠
- ٣ . قول علي: إن عمر كان رشيد الأمر ١٩٠
- ٤ . قول علي: إن عمر كان يكره نزوله ، فأنا أكرهه لذلك ١٩١
- ٥ . حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه ١٩١
- ٦ . عمر بن الخطاب جعله الله سبباً في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب ١٩٢
- ٧ . قول عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب في عمر ١٩٣
- المبحث الثالث : علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان ١٩٤
أولاً: بيعة علي لعثمان رضي الله عنهما ١٩٤
ثانياً: أباطيل رافضية دست في قضية الشورى ١٩٥
١ . اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين ١٩٦
٢ . حزب أموي وحزب هاشمي ١٩٧
٣ . أكاذيب نسبت بهتانياً وزوراً لعلي رضي الله عنه ١٩٨
ثالثاً: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما ١٩٨

رابعاً: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان رضي الله عنه ١٩٩

- ١ . إقامة علي للحدود في عهد عثمان رضي الله عنهما ١٩٩
- ٢ . استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية ١٩٩

- ٣ . رأي علي في جمع عثمان الناس على قراءة واحدة ٢٠٠
- خامساً: موقف علي رضي الله عنه في فتنه مقتل عثمان رضي الله عنه ٢٠١
 - ١ . موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة ٢٠٢
 - ٢ . موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار ٢٠٥
 - ٣ . المصاهرات بين ال علي وال عثمان رضي الله عنهم ٢٠٦
 - سادساً: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين ٢٠٨
 - ١ . سيدا كهول أهل الجنة ٢٠٩
 - ٢ . ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضى عليه ٢٠٩
 - ٣ . هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان ٢١٠
 - ٤ . أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي اختصاص عظيم ٢١١
 - ٥ . ما يترتب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة ٢١١
 - ٦ . قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين ٢١٢
 - سابعاً: وصف لأصحاب النبي (ص) في القرآن الكريم ٢١٤
 - الفصل الثالث: بيعة علي رضي الله عنه وأهم صفاته وحياته في المجتمع ٢١٨
 - المبحث الأول: بيعة علي رضي الله عنه ٢١٨
 - أولاً: كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه ٢١٨
 - ثانياً: أحقية علي بالخلافة ٢٢١
 - ثالثاً: بيعة طلحة والزبير لعلي رضي الله عنهم ٢٢٤
 - رابعاً: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه ٢٢٧
 - خامساً: شروط أمير المؤمنين في بيعته وأول خطبة خطبها ٢٣٤
 - ١ . مبدأ الشورى ٢٣٤
 - ٢ . أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين ٢٣٥
 - ٣ . الحرص على أن لا يظل منصب الخليفة شاغراً ٢٣٦
 - ٤ . الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة علي رضي الله عنه ٢٣٦
 - ٥ . أول خطبة خطبها علي رضي الله عنه ٢٣٨

٦ . الترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين ٢٣٩

٧ . أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين علي؛ هل نقول: رضي الله عنه ، أم كرم الله وجهه ، أم عليه

السلام؟ ٢٤١

المبحث الثاني: شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه ٢٤٣

أولاً: العلم والفقه في الدين ٢٤٥

ثانياً: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه ٢٥٥

ثالثاً: تواضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٢٦٢

رابعاً: كرمه وجوده ٢٦٥

خامساً: الحياء من الله تعالى ٢٦٧

سادساً: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله تعالى ٢٦٩

سابعاً: شكره لله ٢٧٣

ثامناً: دعاؤه لله ٢٧٤

تاسعاً: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ٢٧٨

١ . المصدر الأول : كتاب الله تعالى ٢٧٨

٢ . المصدر الثاني : السنة المطهرة ٢٧٨

٣ . الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه ٢٧٨

عاشراً: حق الأمة في الرقابة على الحكام ٢٧٩

الحادي عشر: الشورى ٢٨٠

الثاني عشر: العدل والمساواة ٢٨٢

الثالث عشر: الحريات ٢٨٥

المبحث الثالث: حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٨٨

أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربتها للشرك ٢٨٨

١ . قوله رضي الله عنه: لا يرجون عبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ٢٨٨

٢ . تعريف أمير المؤمنين علي الناس بأسماء الله وصفاته ٢٩١

٣ . تعريف أمير المؤمنين علي الناس بنعم الله المتوجبة لشكره ٢٩٣

٤ . حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية ٢٩٣
أ . الزيارة الشرعية للقبور ٢٩٥

ب . تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة ٢٩٧

ج . ارتباط المزارات بالتخلف والجهل ٢٩٧

د . الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة ٢٩٩

هـ . هل المزارات من الإحداث في الدين ٢٩٩

ز . حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالاعتقاد بالكواكب ٣٠٢

ح . إحراق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية ٣٠٣

ط . كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي وتعريفه للتقوى ٣٠٥

ي . القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٣٠٧

ك . كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ ٣٠٨

ثانياً: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها ٣٠٨

ثالثاً: أمير المؤمنين علي والشعر: ٣١٢

١ . في الفرج والشدة ٣١٤

٢ . في الصبر ٣١٤

٣ . في حرص الناس على الدنيا ٣١٤

٤ . في الصداقة ٣١٥

٥ . في التواضع والقناعة ٣١٥

٦ . في السر وكتمانه ٣١٥

رابعاً: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس ٣١٥

خامساً: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خير العباد ، وعن تطوع النبي (ص) ،

ووصف الصحابة الكرام ٣٢٠

١ . صفات خيار العباد ٣٢٠

٢ . إجابته لمن سأل عن تطوع النبي (ص) ٣٢١

٣ . وصف أمير المؤمنين للصحابة الكرام ٣٢٢

- ٤ . تنبيه أمير المؤمنين علي أصحابه على فضائل الأعمال ٣٢٢
- ٥ . معايدة المريض ٣٢٢
- ٦ . تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة ٣٢٣
- ٧ . إني لست كما تقول ٣٢٣
- ٨ . التحذير من الانقياد للشهوات ٣٢٣
- ٩ . إدخال السرور على المسلم ٣٢٣
- ١٠ . أشد الأعمال ثلاثة ٣٢٣
- سادساً: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين ٣٢٣
- ١ . جزاء المعصية ٣٢٣
- ٢ . طول الأمل واتباع الهوى ٣٢٤
- ٣ . الرياء ٣٢٥
- ٤ . العجب ٣٢٧
- سابعاً: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس ٣٣٠
- ١ . إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق ٣٣٢
- ٢ . لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره ٣٣٢
- ٣ . خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها ٣٣٣
- ٤ . من سبق إلى موضع فهو أحق به ٣٣٤
- ٥ . المحتكر عاصٍ ملعون ٣٣٤
- ٦ . الخسارة على المال والربح على ما اصطالحوا عليه ٣٣٥
- ٧ . تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر ٣٣٥
- ٨ . احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة ٣٣٥
- ٩ . حبسه أهل الشر والفساد ٣٣٥
- ١٠ . الترهيب من عدم الإنفاق ٣٣٦
- ١١ . مناداته للصلاة ٣٣٦
- ١٢ . الاهتمام بالطرق العامة ٣٣٦

١٣ . ظهور بدعة القمص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها ٣٣٦

ثامناً: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٣٣٧

الفصل الرابع: المؤسسة المالية والقضائية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعض اجتهاداته

الفقهية ٣٣٩

المبحث الأول: المؤسسة المالية ٣٣٩

المبحث الثاني: المؤسسة القضائية ٣٤٣

أولاً: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك

العهد ٣٤٤

ثانياً: ميزات القضاء في العهد الراشدي ٣٤٧

ثالثاً: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٤٩

رابعاً: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي ٣٥١

١ . إبقاؤه على أسلوب القضاء ٣٥١

٢ . عدم نقضه للأحكام الصادرة قبله ٣٥٢

٣ . الأهلية للقضاء ٣٥٢

٤ . مكان القضاء ٣٥٢

٥ . مجانية الحصول على الحكم ٣٥٣

٦ . بذور المحاماة ٣٥٣

خامساً: ما يجب على القاضي عند أمير المؤمنين علي ٣٥٣

١ . دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية ٣٥٣

٢ . المساواة بين الخصوم ٣٥٣

٣ . عدم الصياح بالمتخاصمين ٣٦٤

٤ . الابتعاد عن المؤثرات ومجاهدة النفس ٣٥٤

٥ . الشورى ٣٥٤

المبحث الثالث: من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٣٥٥

أولاً: في العبادات ٣٥٥

- أحكام في الطهارة ٣٥٥
أحكام في الصلاة ٣٥٧
أحكام متعلقة بالزكاة ٣٦١
أحكام متعلقة بالصيام ٣٦٣
من أحكام الحج ٣٦٥
بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية ٣٧٢
ثانياً: في الحدود ٣٧٤
١. عقوبة المرتد ٣٧٤
٢. حد الزنى ٣٧٦
أ. قصة الرجم ٣٧٦
ب. تأجيل رجم الحامل ٣٧٧
ج. المستكرهة على الزنى ٣٧٧
د. زنى المضطرة ٣٧٧
هـ. درء الحدود بالشبهات ٣٧٨
و. زنى النصرانية ٣٧٩
ز. الحد كفارة لذنوب من أقيم عليه عند علي ٣٧٩
٣. حد الخمر ٣٨٠
أ. شرب الخمر في رمضان ٣٨٠
ب. حكم الموت بإقامة الخمر ٣٨٠
٤. حد السرقة ٣٨٠
أ. اشتراط الحرز ٣٨٠
ب. سرقة ما فيه شبهة ملك ٣٨١
ج. سرقة الحر ٣٨١
د. سرقة العبد مولاه ٣٨١
هـ. إثبات السرقة ٣٨١

- و. كشف السارق قبل أن يسرق ٣٨٢
- ز. تكرار السرقة ٣٨٢
- ح. قطع اليد وتعليقها ٣٨٢
- ثالثاً: في القصاص والجنايات ٣٨٣
- أ. الاشتراك في القتل العمد ٣٨٣
- ب. من أمر عبده بالقتل ٣٨٣
- ج. المقتول في الزحام ٣٨٤
- د. جناية السائق والقائد الراكب ٣٨٤
- هـ. ما أنشئت بتعدّد فأحدثت تلفاً ٣٨٤
- و. الخطأ في الشهادة ٣٨٥
- ز. اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضاً خطأً ٣٨٥
- ح. من استخدم صغيراً أو عبداً بغير إذن ٣٨٥
- ط. الفعل المعنوي ٣٨٦
- ي. جناية الطبيب ٣٨٦
- ك. الميتم من القصاص والحد ٣٨٦
- ل. قاطع الطريق ألقى القبض عليه ٣٨٧
- م. قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء ٣٨٧
- ن. امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها ٣٨٨
- س. بدل الإبل في دفع الدية ، وكيف تدفع الدية؟ ٣٨٨
- ع. دية الكتاني ٣٨٩
- ف. دية الصلب ٣٨٩
- ص. عين الأعور ٣٨٩
- ق. دية الأصابع ٣٨٩
- رابعاً: في التعزير ٣٨٩
١. الضرب باليد ٣٩٠

٢ . الجلد دون الحد ٣٩٠

٣ . التشهير ٣٩٠

٤ . الحبس ٣٩٠

٥ . التقييد ٣٩١

٦ . الغمس في الأقدار ٣٩١

٧ . القتل ٣٩١

٨ . إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها ٣٩١

المبحث الرابع: حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين ٣٩٣

الفصل الخامس: مؤسسة الولاية في عهد أمير المؤمنين ٤٠١

المبحث الأول: أقاليم الدولة ٤٠١

أولاً: مكة المكرمة ٤٠١

ثانياً: المدينة المنورة ٤٠٢

ثالثاً: ولاية البحرين وعمان ٤٠٣

رابعاً: ولاية اليمن ٤٠٤

خامساً: ولاية الشام ٤٠٥

سادساً: ولاية الجزيرة ٤٠٧

سابعاً: ولاية مصر ٤٠٨

ثامناً: ولاية البصرة ٤٢١

تاسعاً: ولاية الكوفة ٤٢٨

عاشراً: ولايات الشرق ٤٣٠

١ . فارس ٤٣٠

٢ . خراسان ٤٣١

٣ . أذربيجان ٤٣٣

المبحث الثاني: تعيين الولاية في عهد علي رضي الله عنه ٤٣٦

أولاً: موقف علي من ولاية عثمان وتعيينه لأقاربه ٤٣٦

- ١ . موقف علي من ولاية عثمان ٤٣٦
- ٢ . تعيين أمير المؤمنين علي بعض أقاربه على الولايات ٤٤٢
- ثانياً: مراقبة أمير المؤمنين علي لعماله وبعض توجيهاته ٤٤٥
- ثالثاً: الصلاحيات الممنوحة للولاة في عهد علي رضي الله عنه ٤٤٧
- ١ . تعيين الوزراء ٤٤٨
- ٢ . تشكيل مجالس الشورى ٤٤٩
- ٣ . إنشاء الجيش وتجهيزه ٤٥٠
- ٤ . ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم ٤٥١
- ٥ . الحفاظ على الأمن الداخلي ٤٥٢
- ٦ . تشكيل الجهاز القضائي في الولاية ٤٥٣
- ٧ . النفقات المالية ٤٥٣
- ٨ . العمال التابعين للولاية ومتابعتهم ٤٥٥
- ٩ . أصناف طبقات المجتمع ٤٥٧
- ١٠ . التربية بالعقاب والثواب ٤٥٨
- ١١ . دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات ٤٥٩
- رابعاً: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ٤٦١
- ١ . التأكيد على العنصر الإنساني ٤٦١
- ٢ . عامل الخبرة والعلم ٤٦١
- ٣ . العلاقة بين الرئيس والمرؤوس ٤٦١
- ٤ . مكافحة الجمود ٤٦٣
- ٥ . الرقابة الواعية ٤٦٣
- ٦ . التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية ٤٦٤
- ٧ . الضبط ٤٦٤
- ٨ . المشاركة في صنع القرار ٤٦٤
- ٩ . حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة ٤٦٥

١٠ . مرفقات ذوي الخبرات ٤٦٦

١١ . الإدارة الأبوية ٤٦٧

الفصل السادس: معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم ٣٦٨

المبحث الأول: الأحداث التي سبقت معركة الجمل ٤٧٣

أولاً: أثر السبئية في إحداث الفتنة ٤٧٤

١ . السبئية حقيقة أم خيال: حقيقة عبد الله بن سبأ ٤٧٤

٢ . دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة ٤٧٨

ثانياً: اختلاف الصحابة في الطريقة التي يؤخذ بها القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه ٤٨٢

ثالثاً: موقف المطالبين بدم عثمان كطلحة والزبير وعائشة ومعاوية ومن كان على رأيهم ٤٨٣

١ . السيدة عائشة أم المؤمنين ٤٨٣

٢ . طلحة والزبير رضي الله عنهما ٤٨٧

٣ . معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ٤٩٠

رابعاً: موقف معتزلي الفتنة ٤٩٣

١ . سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٤٩٤

٢ . محمد بن مسلمة رضي الله عنه ٤٩٥

٣ . أبو موسى الأشعري رضي الله عنهما ٤٩٥

٤ . عبد الله بن عمر رضي الله عنه ٤٩٦

٥ . سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ٤٩٧

٦ . عمران بن حصين رضي الله عنه ٤٩٧

٧ . سعيد بن العاص الأموي رضي الله عنه ٤٩٨

٨ . أسامة بن زيد رضي الله عنهما ٤٩٨

٩ . عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ٤٩٩

١٠ . صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه ٤٩٩

١١ . أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ٥٠٠

١٢ . أبو هريرة رضي الله عنه ٥٠٠

- ١٣ . عبد الله بن سعد بن أبي سرح رضي الله عنه ٥٠٠
- خامساً: موقف المترثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال ، كأمر المؤمنين علي ، ومن معه ٥٠٢
- ١ . موقف أمير المؤمنين علي من قتلة عثمان رضي الله عنهما ٥٠٣
 - ٢ . محاولة استغنائه عن خدمات من كان منهم ضمن جيشه ٥٠٥
- سادساً: خروج الزبير وطلحة وعائشة ومن معهم إلى البصرة للإصلاح ٥٠٩
- ١ . هل أكرهت السيدة عائشة على الخروج؟ ٥١٤
 - ٢ . هل كانت متسلطة على من معها؟ ٥١٥
 - ٣ . موقف أزواج النبي (ص) من الخروج للطلب بدم عثمان ٥١٥
 - ٤ . مرور السيدة عائشة على ماء الحووب ٥١٧
 - ٥ . أعمالهم في البصرة ٥٢٠
 - ٦ . مقتل حُكيم بن جبلة ومن معه من الغوغاء ٥٢١
 - ٧ . رسائل السيدة عائشة إلى الأمصار الأخرى ٥٢٣
 - ٨ . الخلاف بين عثمان بن حنيف وجيش عائشة والزبير وطلحة ٥٢٤
- سابعاً: خروج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى الكوفة ٥٢٤
- ١ . نصيحة عبد الله بن سلام لأمر المؤمنين علي ٥٢٧
 - ٢ . نصيحة الحسن بن علي لوالده ٥٢٧
 - ٣ . استنفار أمير المؤمنين علي لأهل الكوفة من ذي قار ٥٢٨
 - ٤ . اختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية ٥٣٠
 - ٥ . تساؤلات على الطريق ٥٣٠
- ثامناً: محاولات الصلح ٥٣٢
- ١ . عمران بن حصين رضي الله عنه ٥٣٢
 - ٢ . كعب بن سور . رحمه الله . ٥٣٢
 - ٣ . القعقاع بن عمرو التميمي . رضي الله عنه . ٥٣٣
- تاسعاً: نشوب القتال ٥٣٤
- ١ . دور السبئية في نشوب الحرب ٥٣٤

- ٢ . الجولة الأولى في معركة الجمل ٥٤٠
- ٣ . الجولة الثانية ٥٤٢
- ٤ . عدد القتلى ٥٤٥
- ٥ . هل يصح قتل مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه؟ ٥٤٧
- ٦ . نداء أمير المؤمنين علي بعد الحرب ٥٤٨
- ٧ . تفقده للقتلى وترحمه عليهم ٥٤٩
- ٨ . مبايعة أهل البصرة ٥٤٩
- ٩ . حديث أبي بكر عن رسول الله (ص): إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار ٥٥٠
- ١٠ . تاريخ معركة الجمل ٥٥١
- ١١ . أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟ ٥٥٢
- ١٢ . اعتذار أبي بكر الثقفي عن إمارة البصرة ٥٥٢
- ١٣ . موقف أمير المؤمنين علي ممن ينال من عائشة ٥٥٢
- ١٤ . دفاع عمار بن ياسر عن أم المؤمنين عائشة ٥٥٢
- عاشراً: بين عائشة أم المؤمنين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٥٥٣
- الحادي عشر: سيرة الزبير بن العوام رضي الله عنه واستشهاده ٥٦٧
- الثاني عشر: سيرة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه واستشهاده ٥٨٣
- المبحث الثاني: معركة صفين ٥٩١
- أولاً: تسلسل الأحداث التي قبل المعركة ٥٩١
- ١ . أم حبيبة بنت أبي سفيان ، ترسل النعمان بن بشير بقميص عثمان إلى معاوية وأهل الشام ٥٩١
- ٢ . دوافع معاوية في عدم البيعة ٥٩٢
- ٣ . معاوية يرد على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ٥٩٣
- ٤ . تجهيز أمير المؤمنين علي لغزو الشام واعتراض الحسن على ذلك ٥٩٤
- ٥ . بعد معركة الجمل، أرسل أمير المؤمنين علي جرير بن عبد الله إلى معاوية ٥٩٤
- ٦ . مسير أمير المؤمنين إلى الشام ٥٩٥

- ٧ . خروج معاوية إلى صفين ٥٩٦
- ٨ . القتال على الماء ٥٩٨
- ٩ . المودعة بينهما ومحاولات الصلح ٥٩٩
- ثانياً: نشوب القتال ٦٠٠
- ١ . اليوم الأول ٦٠٠
- ٢ . اليوم الثاني ٦٠٢
- ٣ . ليلة الهزير يوم الجمعة ٦٠٤
- ٤ . الدعوة إلى التحكيم ٦٠٤
- ٥ . مقتل عمّار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين ٦٠٨
- ٦ . فهم العلماء للحديث: «تقتلك الفئة الباغية» ٦١٠
- ٧ . الرد على قول معاوية رضي الله عنه: إنما قتله من جاء به ٦١٢
- ٨ . من هو قاتل عمّار بن ياسر؟ ٦١٣
- ٩ . المعاملة الكريمة أثناء الحرب والمواجهة ٦١٤
- ١٠ . معاملة الأسرى ٦١٦
- ١١ . عدد القتلى ٦١٧
- ١٢ . تفقد أمير المؤمنين علي القتلى وترحمه عليهم ٦١٧
- ١٣ . موقف معاوية مع ملك الروم ٦١٨
- ١٤ . قصة باطللة في حق عمرو بن العاص بصفين ٦١٩
- ١٥ . مرور أمير المؤمنين علي بالمقابر بعد رجوعه من صفين ٦٢٠
- ١٦ . إصرار قتلة عثمان رضي الله عنه على أن تستمر المعركة ٦٢٠
- ١٧ . نهي أمير المؤمنين علي عن شتم معاوية ولعن أهل الشام ٦٢١
- المبحث الثالث: التحكيم ٦٢٣
- أولاً: سيرة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ٦٢٤
- ثانياً: سيرة عمرو بن العاص رضي الله عنه ٦٣٣
- ثالثاً: نص وثيقة التحكيم ٦٤٠

رابعاً: قصة التحكيم المشهورة وبطلانها من وجوه ٦٤٣

خامساً: هل يمكن الاستفادة من حادثة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية؟ ٦٥٢

سادساً: موقف أهل السنة من تلك الحروب ٦٥٣

سابعاً: التحذير من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة ٦٥٨

١ . الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ٦٥٨

٢ . نهج البلاغة ٦٦١

٣ . كتاب الأغاني للأصفهاني ٦٦٣

٤ . تاريخ يعقوبي ٦٦٤

٥ . مروج الذهب ٦٦٥

ثامناً: الاستشراق والتاريخ الإسلامي ٦٦٦

الفصل السابع: موقف أمير المؤمنين علي من الخوارج والشيعة ٦٧١

المبحث الأول: الخوارج ٦٧١

أولاً: نشأة الخوارج والتعريف بهم ٦٧١

ثانياً: ذكر الأحاديث التي تتضمن ذم الخوارج ٦٧٤

ثالثاً: انحياز الخوارج إلى حروراء ومناظرة ابن عباس لهم ٦٧٩

رابعاً: خروج أمير المؤمنين لمناظرة الخوارج وسياسته في التعامل معهم بعد رجوعهم للكوفة ثم خروجهم

من جديد ٦٨٣

خامساً: معركة النهروان ٦٨٧

سادساً: من الآثار الفقهية من معارك أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ٦٩٤

سابعاً: من أهم صفات الخوارج ٦٩٨

١ . الغلو بالدين ٦٩٨

٢ . الجهل في الدين ٧٠٠

٣ . شق عصا الطاعة ٧٠١

٤ . التكفير بالذنوب واستحلال دماء المسلمين وأموالهم ٧٠٢

٥ . تجويزهم على النبي (ص) ما لا يجوز في حقه كالجور ٧٠٣

٦ . الطعن والتضليل ٧٠٣

٧ . سوء الظن ٧٠٤

٨ . الشدة على المسلمين ٧٠٤

ثامناً: بعض الآراء الاعتقادية للخوارج ٧٠٥

١ . تكفير صاحب الكبيرة ٧٠٥

٢ . رأيهم في الإمامة ٧٠٨

تاسعاً: طعنهم في بعض الصحابة ، وتكفيرهم لعثمان وعلي رضي الله عنهما ٧١٤

عاشراً: من سمات الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث ٧١٨

١ . الجهل بالعلوم الشرعية ٧١٨

٢ . القراءة من الكتب بدون معلم ٧١٩

٣ . تخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم ٧٢٦

٤ . شيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعية ٧٢٧

٥ . التأويلات الخاطئة لبعض آراء المفكرين المسلمين المعاصرين ٧٢٧

٦ . انتشار الفساد بين الناس ٧٢٨

٧ . عدم تزكية النفوس ٧٢٨

حادي عشر: أهم مظاهر الغلو في العصر الحديث ٧٢٩

١ . التشدد في الدين على النفس والتعسير على الآخرين ٧٢٩

٢ . التعالي والغرور وما يؤدي إليه من تصدر الأحداث ٧٢٩

٣ . الاستبداد بالرأي وتجهيل الآخرين ٧٣٠

٤ . الطعن في العلماء العاملين ٧٣١

٥ . سوء الظن ٧٣٣

٦ . الشدة والعنف مع الآخرين ٧٣٤

٧ . التكفير ٧٣٧

المبحث الثاني: أمير المؤمنين علي وفكر الشيعة ٧٤٤

أولاً: الشيعة في اللغة والاصطلاح ، والرفض في اللغة والاصطلاح ٧٤٤

ثانياً: نشأة الشيعة الرافضة ، وبيان دور اليهود في نشأتهم ٧٥٠
ثالثاً: المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة ٧٥٦
المبحث الثالث : من أهم عقائد الشيعة الرافضة (الإمامة) ٧٦١
أولاً: منزلة الإمامة عندهم وحكم من جردها ٧٦٢
ثانياً: العصمة عند الشيعة الرافضة ٧٧٢
ثالثاً: النص من شروط الإمامة عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية ٧٩١

* ما يحتج به الإثنا عشرية من أمر تحديد الأئمة بما جاء في كتب السنة ٧٩٩

* أدلتهم من القرآن على النص: ٨٠١

١ . اية الولاية ٨٠١

٢ . اية المباهلة ٨٠٦

٣ . قوله تعالى: { قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا }

* أدلتهم من السنة ٨١١

١ . خطبة غدِير خم ٨١١

٢ . حديث الاستخلاف على المدينة في تبوك ٨١٨

* بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يستدلون بها في الإمامة ٨٢٣

١ . حديث الطائر ٨٢٣

٢ . حديث الدار ٨٢٤

٣ . حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها ٨٢٦

رابعاً: التوحيد والشيعة الإثنا عشرية ٨٢٨

١ . نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة ٨٢٩

٢ . الولاية أصل قبول الأعمال عندهم ٨٣١

٣ . اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقهم ٨٣٢

أ . قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة ٨٣٢

ب . قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة ٨٣٣

ج . إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله ٨٣٤

- ٤ . قولهم: إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء ٨٣٦
- ٥ . قولهم: بأن الدنيا والاخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء ٨٣٧
- ٦ . إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة ٨٣٨
- ٧ . الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة ٨٣٩
- ٨ . قولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء ٨٤٠
- ٩ . الغلو في الإثبات (التجسيم) ٨٤٥
- ١٠ . التعطيل عندهم ٨٤٨
- أ . مسألة خلق القرآن ٨٤٩

ب . مسألة الرؤية ٨٥٢

- ١١ . تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل ٨٥٣
- خامساً: موقف الشيعة الإمامية من القرآن الكريم ٨٥٥
- ١ . اعتقاد بعضهم في تحريف كتاب الله عز وجل ، والرد عليهم ٨٥٦
- ٢ . اعتقادهم أن القرآن ليس بحجة إلا بقيم ٨٦٥
- ٣ . اعتقادهم بأن للقران معاني باطنة تخالف الظاهر ٨٧١
- سادساً: موقف الشيعة الإمامية من الصحابة الكرام ٨٧٥
- ١ . نماذج للمزاجية في تفسير الايات عند الشيعة الرافضة: المتعلقة بردة الصحابة . على حدّ زعمهم . ،
والرد على باطلهم ٨٧٩
- أ . اية ال عمران ٨٧٩
- ب . اية سورة المائدة ٨٨٢
- ج . اية سورة التوبة ٨٨٣
- د . حديث المذادة على الحوض ٨٨٥
- ٢ . عدالة الصحابة ٨٩٠
- ٣ . وجوب محبتهم والدعاء والاستغفار لهم ٨٩٦
- ٤ . تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم في الكتاب والسنة ٨٩٨
- ٥ . حب أمير المؤمنين علي وأبنائه الصحابة ٩٠٠

- سابعاً: موقف الشيعة من السنة النبوية ٩٠١
ثامناً: التقية عند الشيعة ٩٠٩
تاسعاً: المهدي المنتظر بين الشيعة والسنة ٩١٦
١ . عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة ٩١٦
٢ . عقيدة أهل السنة والجماعة في المهدي ٩١٩
عاشراً: عقيدة الرجعة عند الشيعة الراضية ٩٢٢
الحادي عشر: قولهم بالبداء على الله سبحانه وتعالى ٩٢٥
الثاني عشر: موقف أهل البيت من الشيعة الراضية ٩٢٩
الثالث عشر: وجهة نظر في التقريب بين أهل السنة والشيعة ٩٣٢
١ . مؤامرة ابن العلقمي الراضي ٩٣٣
٢ . الدولة الصفوية ٩٣٥
٣ . من التجارب المعاصرة في التقريب ٩٣٧
أ . تجربة مصطفى السباعي ٩٣٧
ب . تجربة الشيخ موسى جار الله ٩٣٨
٤ . المنهج السليم للتقريب ٩٤١
المبحث الرابع: الأيام الأخيرة في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب واستشهاده رضي الله عنه: ٩٤٧
أولاً: في أعقاب النهروان ٩٤٧
ثانياً: استنهاض أمير المؤمنين علي همة جيشه ثم الهدنة مع معاوية ٩٥٠
ثالثاً: دعاء أمير المؤمنين علي الله عز وجل أن يعجل له بالشهادة ٩٥٣
رابعاً: علم أمير المؤمنين بأنه سيستشهد ٩٥٤
خامساً: استشهاد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما فيه من دروس وعبر وفوائد ٩٥٦
١ . اجتماع المتأمرين ٩٥٦
٢ . خروج ابن ملجم ولقاؤه بقطام ابنة الشحنة ٩٥٧
٣ . محمد ابن الحنفية يروي قصة مقتل أمير المؤمنين علي ٩٦٨
٤ . وصية الطبيب لعلي وميل أمير المؤمنين للشورى ٩٥٩

- ٥ . وصية أمير المؤمنين علي لأولاده الحسن والحسين رضي الله عنهما ٩٥٩
- ٦ . نهي أمير المؤمنين علي المثلة بقاتله ٩٦١
- ٧ . مدة خلافة أمير المؤمنين علي ، وموضع قبره ، وسنّه يوم قتل ٩٦٤
- ٨ . خطبة الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد مقتل أبيه ٩٦٥
- ٩ . سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يثني على علي رضي الله عنه ٩٦٦
- ١٠ . عبد الله بن عمر يثني على علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ٩٦٦
- ١١ . استقبال معاوية خبر مقتل علي رضي الله عنهما ٩٦٦
- ١٢ . ما قاله الحسن البصري . رحمه الله . ٩٦٧
- ١٣ . ما قاله أحمد بن حنبل في خلافة علي رضي الله عنه ٩٦٨
- ١٤ . براءة الأشعث بن قيس من دم علي رضي الله عنه ٩٦٨
- ١٥ . خطورة الفرق الضالة والمنحرفة على المسلمين ٩٦٩
- ١٦ . الحقد الدفين الذي امتلأت به قلوب الحاقدين من الخوارج على المؤمنين الصادقين ٩٦٩
- ١٧ . تأثير البيئة الفاسدة على أصحابها ٩٧٠
- سادساً: ما قيل في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من رثاء ٩٧١
- ١ . ما قاله أبو الأسود الدؤلي ، وأكثرهم يرويها لأم الهيثم بنت العريان النخعية ٩٧١
- ٢ . ما قاله إسماعيل بن محمد الحميري من شعر ٩٧٢
- ٣ . ما قاله بكر بن حماد التاهرتي رداً على شاعر الخوارج عمران بن حطان ٩٧٢
- * الخاتمة ٩٧٥
- * فهرس أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين علي ٩٧٨
- * أهم المصادر والمراجع ٩٨٣
- * فهرس الكتاب ١٠١٣

[٢] بذل المجهود (١/٣٤٠).

[٣] البخاري ، رقم ٤٦٩٧.

[٤] مسلم ، رقم ١٦.

[٥] التوحيد لابن بابويه ، ص ٣٣٤ ؛ أصول الكافي (١/٤٨) ، رقم ١٠.

[٦] الانتصار للصحب والال ، ص ١١٢.

[٧] اللالكائي (٧/١٣٦٦-١٣٩٧).

[٨] السنة لابن أبي عاصم ، ص ٥٦١.

[٩] البخاري ، رقم ٣٦٨٥.

[١٠] الانتصار للصحب والال ، ص ١١٤.

[١١] سير أعلام النبلاء (٣/٢٦٣).

[١٢] حلية الأولياء (٢/٣٧).

[١٣] سير أعلام النبلاء (٤/٣٠٢).

[١٤] المصدر السابق نفسه.

[١٥] المصدر السابق نفسه (٤/٣٩٠).

[١٦] الحلية (٣/١٣٧).

[١٧] سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٦).

[١٨] الاعتقاد للبيهقي ، ص ٣٦١.

[١٩] سير أعلام النبلاء (٤/٤٠٣).

[٢٠] شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧/١٣٠٢).

[٢١] النهي عن سب الأصحاب للمقدسي ، ص ٧٥.

[٢٢] سير أعلام النبلاء (٦/٢٥٩).

[٢٣] المصدر السابق نفسه (٦/٢٥٨).

- [٢٤] المصدر السابق نفسه (٢٥٥/٦).
- [٢٥] الانتصار للصحب والال ، ص ١١٩.
- [٢٦] سير أعلام النبلاء (٢٦٠/٦).
- [٢٧] المصدر السابق نفسه.
- [٢٨] الانتصار للصحب والال ، ص ١٢٠.
- [٢٩] مسألة التقريب (٢٦١/٢ إلى ٢٧٨).
- [٣٠] منهاج السنة (١٠٤/٢).
- [٣١] البداية والنهاية (٢٠٢/١٣).
- [٣٢] المصدر السابق نفسه.
- [٣٣] منهاج السنة (٣٨/٣).
- [٣٤] كان النصير عند هولاءكو قد استصحبه في خدمته ، لما فتح قلاع الأموات وانتزعها من أيدي الإسماعيلية. البداية والنهاية (٢٠١/١٣).
- [٣٥] منهاج السنة (٣٨/٣).
- [٣٦] البداية والنهاية (٢٠٣/١٣).
- [٣٧] المصدر السابق نفسه (٢٠٣ - ٢٠٢/١٣).
- [٣٨] لمحات اجتماعية من تاريخ العراق. علي الوردي ، ص ٥٦.
- [٣٩] الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، كامل الشيبلي ، ص ٤١٣.
- [٤٠] أصول الشيعة الإمامية (١٤٧٥/٣).
- [٤١] المصدر السابق نفسه (١٤٧٦/٣).
- [٤٢] عقيدة الشيعة ، دونالدسن ، ص ٣٠٢.
- [٤٣] أصول الشيعة الإمامية (١٤٧٨/٢).
- [٤٤] المصدر السابق نفسه.

- [٤٥] منهاج السنة (٢٤٣/٣).
- [٤٦] المصدر السابق نفسه (٢٤٥/٣).
- [٤٧] مسألة التقريب (٢٨٠/٢).
- [٤٨] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص ٩ .
- [٤٩] المصدر السابق نفسه ، ص ١٠ .
- [٥٠] المصدر السابق نفسه ، ص ٩ . ١٠ .
- [٥١] المصدر السابق نفسه ، ص ٩ . ١٠ .
- [٥٢] السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، ص ١٠ .
- [٥٣] مسألة التقريب (١٩٨/٢).
- [٥٤] المصدر السابق نفسه .
- [٥٥] المصدر السابق نفسه (٢٠١/٢).
- [٥٦] الوشيعة ، ص ١٩ ؛ مسألة التقريب (١٩٩/٢).
- [٥٧] مسألة التقريب (٢٠٥/٢).
- [٥٨] الوشيعة ، ص ٣٩ ، مسألة التقريب (٢٠٨/٢).
- [٥٩] مسألة التقريب .
- [٦٠] مسألة التقريب (٢٨٢/٢ ، ٢٨٣).
- [٦١] مسألة التقريب (٢٩٦/٢).
- [٦٢] النهج المبين لشرح الأصول العشرين ، د. عبد الله الوشلي ، ص ١٢٦ .
- [٦٣] المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٧ .
- [٦٤] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٤٣ .

[٦٥] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٩ .

[٦٦] المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧٩ .

[٦٧] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٠٥ .

[٦٨] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٢٣ .

[٦٩] المصدر السابق نفسه ، ص ٣٤٣ .

[٧٠] مسألة التقريب (٣٦٠/٢) .

[٧١] المصدر السابق نفسه (٣٦١/٢) .

[٧٢] مسلم (٧٤٥/٢ ، ٧٤٦) .

[٧٣] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ص ٣٤٥ .

[٧٤] المصدر السابق نفسه .

[٧٥] نظام الخلافة في الفكر الإسلامي ، مصطفى حلمي ، ص ١٥ ، ١٦ .

[٧٦] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ، ص ٣٥٠ .

[٧٧] تاريخ الطبري (٢٧/٦ - ٤٧) .

[٧٨] المصدر السابق نفسه (٥٣/٦) .

[٧٩] مصنف عبد الرزاق ؛ الطبقات لابن سعد (٨٣/٣) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ،

ص ٣٥١ ، سند صحيح .

[٨٠] تاريخ خليفة ، ص ١٩٨ ، بدون سند .

[٨١] ولاية مصر ، ص ٤٥ - ٤٦ .

[٨٢] الاستيعاب (٥٢٥/٢ - ٥٢٦) .

[٨٣] التاريخ الصغير للبخاري (١٢٥/١) ، بسند منقطع وله شواهد .

[٨٤] الجئة بالضم: الوقاية .

- [٨٥] دُيْث: ذلل. الصغار: الذل والصغر. القماء: الذل والصغار.
- [٨٦] الأساداد: الحجب التي تحجب عنه الهدى والرشاد.
- [٨٧] أدبيل الحقّ منه: تحول الأمر عنه إلى الحق ، فألميت به الكوارث.
- [٨٨] سيم الخسف: أصبح محلّ الإذلال والمهانة.
- [٨٩] منع النصف: النصف: العدل. أي: حرم العدل.
- [٩٠] عقر الدار: وسطها ، وأصلها تواكلتم. وكلّ منكم أمر الجهاد ، أي: الآخر.
- [٩١] الأنبار: بلدة شرقي الفرات.
- [٩٢] مسالخ: جمع مسلحة وهي الثغر.
- [٩٣] المعاهدة: الذمية؛ وهي غير المسلمة المقيمة في بلاد المسلمين.
- [٩٤] الحجل: الخلخل. القلب: السوار. الرغاث: جمع رغبة وهو القرط.
- [٩٥] الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء.
- [٩٦] وافرين: تامين لم ينقص عددهم. الكلم: الجرح.
- [٩٧] ترحاً: همأً أو حزناً أو فقراً.
- [٩٨] القيظ: الحر: حمارة القيظ شدته. يسبخ: يخفف.
- [٩٩] صبارة الشتاء: شدة البرد: القر: البرد.
- [١٠٠] يقصد أن صفات الرجولة انعدمت فيهم.
- [١٠١] حلوم: عقول . ربات الحجال: كناية عن النساء.
- [١٠٢] سدمأً: الهم المشوب بالأسف والغيظ.
- [١٠٣] القيح: ما في القرحة من الصديد. شحتتم صدري: ملأتموه.
- [١٠٤] النغب: جمع نغبة (كجرعة): الجرعة. التّهام: الهم.
- [١٠٥] المراس: المعالجة والمزاولة والمعاناة.
- [١٠٦] البيان والتبيين للجاحظ ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩.
- [١٠٧] الأدب الإسلامي ، نايف معروف ، ص ٥٩.

[١٠٨] ميزان الاعتدال (١٢٤/٣) ، وله نقد جيد في هذا الموضوع؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ٣٥٥.

[١٠٩] فضائل الصحابة (٧٠٥/٢) ، إسناده صحيح.

[١١٠] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٥٦.

[١١١] تاريخ الطبري (٥٦/٦).

[١١٢] التاريخ الصغير للبخاري (٤١/١) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٤٣١.

[١١٣] مصنف عبد الرزاق (١٥٤/١٠) ، بإسناد صحيح ؛ الطبقات (٤/٣) ، إسناده صحيح.

[١١٤] الاحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٣٧/١) ، بإسناد حسن ؛ خلافة علي ، ص ٤٣٢.

[١١٥] سير أعلام النبلاء (١٤٤/٣).

[١١٦] المحن ، لأبي العرب ، ص ٩٩ ؛ خلافة علي ، عبد الحميد ، ص ٤٣٢.

[١١٧] الأود: العوج. اللدد: الخصومة.

[١١٨] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٦٤٩.

[١١٩] مسلم (١٨٨٠/٤).

[١٢٠] تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٦٤٨.

[١٢١] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٤٣٣ ، طرق الرواية صحيحة بمجموعها.

[١٢٢] دلائل النبوة (٤٣٨/٦ - ٤٤١) ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي.

[١٢٣] البداية والنهاية (٣٢٣/٧ - ٣٢٥).

[١٢٤] كتاب الشريعة للاجري (٢١٠٥/٤) ، تحقيق: الدميحي ، إسناده حسن.

[١٢٥] تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٦٤٨.

[١٢٦] طبقات ابن سعد (٣٣/٣ ، ٣٤) ، إسناده صحيح.

[١٢٧] الاستيعاب (١٢٧/٣).

[١٢٨] نبي عترته: نهلك ذريته.

- [١٢٩] مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية (٣٢٥/٢) حسن لغيره.
- [١٣٠] خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ص ١٦٣ - ١٦٤ ، حكم المحقق أحمد ميرين البلوشي . رحمه الله . بالصحة.
- [١٣١] الطبقات لابن سعد (٣٥/٣) ؛ تاريخ الطبري (٥٨/٦ إلى ٦٦) بسند منقطع ؛ مروج الذهب (٤٢٣/٢) ؛ الطبراني الكبير (٥٨ - ٥٥/١) ؛ مجمع الزوائد (٢٤٩/٦) ؛ تاريخ الإسلام ، الخلفاء الراشدون للذهبي ، ص ٦٤٩ ؛ وفيات الأعيان (٢١٨/٧) ؛ البداية والنهاية (٣٢٥/٧).
- [١٣٢] تاريخ الطبري (٥٩/٦).
- [١٣٣] تاريخ الطبري (٦٢/٦).
- [١٣٤] المصدر السابق نفسه.
- [١٣٥] المصدر السابق نفسه.
- [١٣٦] الاستيعاب (١١٢٨/٣).
- [١٣٧] تاريخ الطبري (٦٢/٦).
- [١٣٨] المصدر السابق نفسه (٦٣/٦).
- [١٣٩] المصدر السابق نفسه.
- [١٤٠] تاريخ الطبري (٦٤/٦).
- [١٤١] التاريخ الكبير للبخاري (٩٩/١) ، بسند صحيح.
- [١٤٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٤٣٩.
- [١٤٣] فضائل الصحابة (٥٦٠/٢) ، بسند حسن.
- [١٤٤] المحن لأبي العرب ، ص ٩٤ ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، ص ٤٣٩.
- [١٤٥] الطبقات (٣٥/٣) ؛ تاريخ الإسلام.
- [١٤٦] تاريخ الطبري (٦٤/٦).

- [١٤٧] منهاج السنة (٢٤٥/٥) (٤٠٦ . ٤٠٥/٧) ؛ منهج ابن تيمية في مسألة التكفير ، ص ٣٠٩ .
- [١٤٨] تاريخ الطبري (٦٤/٦) .
- [١٤٩] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٤٤٠ .
- [١٥٠] طبقات ابن سعد (٣٩/٣) ؛ الأخبار الطوال ، ص ٢١٥ .
- [١٥١] تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٦٥٤ .
- [١٥٢] تاريخ الطبري (٦٥/٦) .
- [١٥٣] التاريخ ، ص ١٩٩ .
- [١٥٤] التاريخ الكبير للبخاري (٩٩/١) ، سنده صحيح .
- [١٥٥] المنتظم (١٧٥/٥) ؛ الطبقات (٣٣٧/٣) .
- [١٥٦] الطبقات (٣٣٨ . ٣٣٧/٣) .
- [١٥٧] المنتظم (١٧٥/٥) .
- [١٥٨] المصدر السابق نفسه (١٧٨/٥) .
- [١٥٩] الطبقات (٣٨/٣) ؛ خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٤٤١ .
- [١٦٠] المنتظم (١٧٧/٥) ؛ تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين ، ص ٦٥١ .
- [١٦١] تاريخ بغداد (١٣٧/١) .
- [١٦٢] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٤٤١ .
- [١٦٣] الفتاوى (٥٠٢/٤) ؛ دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص ٢٨٠ .
- [١٦٤] الفتاوى (٤٤٦/٢٧) .
- [١٦٥] تاريخ الطبري (٦٧/٦) .
- [١٦٦] فضائل الصحابة (٧٣٧/٢) ، إسناده صحيح . فلا ينصرف: فلا يرجع .
- [١٦٧] المصدر السابق نفسه ، إسناده صحيح .
- [١٦٨] المصدر السابق نفسه (٧٩٨/٢) ، إسناده حسن .

- [١٦٩] الصحيح المسند من فضائل الصحابة ، للعدوي ، ص ١٤٠ .
- [١٧٠] البداية والنهاية (١٣٣/٨) .
- [١٧١] الاستيعاب (١١٠٨/٣) .
- [١٧٢] المصدر السابق نفسه (١١٠٧/٣) .
- [١٧٣] سدوله: سدلته .
- [١٧٤] الاستيعاب (١١٠٨/٣) .
- [١٧٥] أجيف الباب: رُدُّ وأغلق .
- [١٧٦] البداية والنهاية (١٣٣/٨) .
- [١٧٧] المصدر السابق نفسه .
- [١٧٨] النومة: الخامل الذكر الذي لا يؤبه له .
- [١٧٩] الاستيعاب (١١١٠/٣) .
- [١٨٠] تاريخ مدينة السلام (٤٦٢/١) .
- [١٨١] المصدر السابق نفسه .
- [١٨٢] تاريخ يعقوبي (٢١٢/٢) .
- [١٨٣] الطبقات (٣٦/٣) .
- [١٨٤] خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد ، ص ٣٥٣ .
- [١٨٥] تهذيب الكمال (٣٩٣/٣ - ٣٩٤) ؛ الطبقات (٢٣/٦) .
- [١٨٦] الكامل في التاريخ (٤٤٤/٣) .
- [١٨٧] تهذيب التهذيب (٣٠٠/٢) .
- [١٨٨] دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين ، بطاينة ، ص ٥٢ .
- [١٨٩] سير الشهداء دروس وعبر ، عبد الحميد السحبياني ، ص ٧٧ .
- [١٩٠] تاريخ الطبري (٦٢/٦) .

[١٩١] سير الشهداء دروس وعبر ، ص ٧٨.

[١٩٢] تاريخ الطبري (٦/٦٢).

[١٩٣] سير الشهداء دروس وعبر ، ص ٧٩.

[١٩٤] فوق: في رواية راق. (الاستيعاب (٣/١١٣٢)).

[١٩٥] الاستيعاب (٣/١١٣٢).

[١٩٦] المصدر السابق نفسه (٣/١١٣٣).

[١٩٧] بكر بن حماد التاهرتي (نسبة إلى تاهرت المغربية): رحل إلى المشرق ، وسمع مسند ابن مسدد بن

مسرهذ ، ورواه عنه في المغرب ، وكان معاصراً للبخاري ، وكان شاعراً. الإصابة (٣/١٧٧).

[١٩٨] عمران بن حطان الدوسي البصري: من رؤساء الخوارج ، ومن الشعراء المفوّهين ، توفي سنة ٨٤

هـ. الإصابة (٣/١٧٧).

[١٩٩] الاستيعاب (٣/١١٢٩).

[٢٠٠] العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.